

مُعْجَم
المصطلحات - اللبنة الغيبة
وَتَطَوُّرَهَا

عَرَبِيٌّ - عَرَبِيٌّ

الدكتور أحمد مطلوب

مكتبة لبنان ناشرون

مُعْجَم
المصطلحات - البلاد العربية
وآشورها

عربي - عربي

الدكتور أحمد مطلوب

مكتبة لبنان ناشرون

مَكْتَبَةُ لِبْنَانَ نَاشِرُونَ شَرِكَةٌ

زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١

بَيرُوت - لِبْنان

website: www.ldlp.com

e-mail: info@ldlp.com

وُكلاءَ وَمُوزِعُونَ فِي جَمِيعِ أُنْحَاءِ العَالَمِ

© المُتَمَوِّقُ العَامِلَةُ مَحْفُوظَةٌ

لِمَكْتَبَةِ لِبْنَانَ نَاشِرُونَ شَرِكَةٌ

إِعادَةُ طَبْعِ ٢٠٠٧

ISBN: 9953-86-300-8

طُبِعَ فِي لِبْنانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الثَّانِيَةِ

هَذَا الْمُعْجَمُ ثَمَرَةٌ أَعْوَامٍ، وَزِبْدَةٌ كَثِيرٌ، عَكَفْتُ عَلَيْهَا عَكُوفَ الْمُتَعَبِّدِ، وَنَهَلْتُ مِنْهَا كَمَا يَنْهَلُ الظَّمَانُ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَيْتُ وَاطْمَأْنَنْتُ نَفْسِي إِلَى مَا اسْتَقْرَيْتُ، شَرَعْتُ فِي التَّبْوِيبِ وَالتَّصْنِيفِ وَأَنَا أَطْوِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى مَا حَوْلِي مِنْ عَالَمٍ مُضْطَخِبٍ يَمُورُ، وَخَلَقِي مَشَتْ بِهِمُ الْحَيَاةُ وَسَعَوْا إِلَيْهَا رَاغِبِينَ. فِي هَذَا الْجَوِّ كَتَبْتُ هَذَا السَّفَرَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْمَجْمَعُ الْعِلْمِيُّ الْعِرَاقِيُّ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، وَمَا إِنْ ظَهَرَ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ سَنَةَ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، حَتَّى انْهَلَتْ عَلَيْهِ الطَّلِبَاتُ وَطَفِقَ الْبَاحِثُونَ وَالْمُهْتَمُونَ بِالْمُصْطَلِحِ الْبَلَاغِيِّ يَسْأَلُونَ عَنِ الْجُزْءَيْنِ الْآخَرَيْنِ، وَكَانَ تَوْفِيقُ اللَّهِ عَظِيمًا فَصَدَرَ الْجُزْءُ الثَّانِي سَنَةَ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م وَصَدَرَ الْجُزْءُ الثَّلَاثُ سَنَةَ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

وَلَمْ تَمُضْ شَهْرٌ عَلَى صُدُورِ الْمُعْجَمِ حَتَّى نَفَدَ وَأَصْبَحَ عَزِيزًا، وَاشْتَدَّ الطَّلِبُ عَلَيْهِ وَخَشِنِي الْمُهْتَمُونَ عَلَى إِعَادَةِ طَبْعِهِ، وَكُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ: لَيْسَ مِنْ دَائِي أَنْ أَعُودَ إِلَى مَا نَشَرْتُ. وَمَضِيَتْ أُصْدِرُ الْكُتُبَ الْجَدِيدَةَ وَمِنْهَا «مُعْجَمُ النِّقْدِ الْأَدَبِيِّ الْقَدِيمِ» الَّذِي أَصْدَرْتَهُ وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ وَالْإِعْلَامِ سَنَةَ ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م فِي جُزْءَيْنِ..

وَزَادَ الْإِلْحَاحُ وَعُغِرِضَ عَلَيَّ فِي عَمَّانَ أَنْ أُعِيدَ طَبْعُهُ وَكَانَ مَوْقِفِي ثَابِتًا، وَعُذْتُ إِلَى بَغْدَادَ فَإِذَا بَرَسَالَةٌ كَرِيمَةٌ بَعَثَتْ بِهَا الْأَسْتَاذَ الدَّكْتُورَ جُورْجَ مَتْرِي عَبْدِ الْمَسِيحِ عَارِضًا أَنْ أُعِيدَ طَبْعَ الْمُعْجَمِ فِي «مَكْتَبَةِ لُبْنَانَ» الشَّهِيرَةِ بِإِخْرَاجِ الْمَعَاجِمِ الْأَنْبِقَةِ الدَّقِيقَةِ، فَأَذْعَنْتُ لِلْأَخِ الْكَرِيمِ وَلِلدَّارِ الْعَامِرَةِ، وَقُلْتُ هَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ «لَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ».

لَقَدْ مَرَّتْ عَلَى صُدُورِ الْمُعْجَمِ سِنَوَاتٌ لَمْ أَجِدْ فِيهَا جَدِيدًا يُغَيِّرُ قَدِيمًا، وَهَا أَنَا أُعِيدُ طَبْعَهُ كَمَا صَدَرَ فِي الطَّبَعَةِ الْأُولَى، وَكُلِّي أَمَلٌ أَنْ أَلْقَى التَّقْدَ وَالتَّوْجِيهَ بَعْدَ أَنْ نِلْتُ التَّقْرِيطَ وَالْمَدِيحَ.

وكنت أطمح إلى التّقد إلى لکنّ ثقة الباحثين بي دفتهم إلى الإطراء والثناء دفعا، فلهم مني أجمل
تحيّة وأعظم تقدير، ولعلمهم يغضون عن هفوات بدت، وزلات خطت، فما الكمال إلا لله
وخذّه...

وبعدُ فهذه الطّبعة الثانية من «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» تُقدّمها «مكتبة لبنان»
بثوب قشيب، فلها مني الشُّكر العميم على ما قدّمت من معاجم يعتزّ بها الناطقون بالضاد.

الدُّكتور أحمد مطلوب

الخميس ١٤ ربيع الثاني ١٤١٤ هـ

عضو المجمع العلمي العراقي

٣٠ أيلول ١٩٩٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

نشأتِ البلاغةُ كغيرها من علومِ اللغةِ العربيَّةِ لخدمةِ القرآنِ الكريمِ وإتقانِ اللغةِ وتعليمها والوقوف على أساليبها، ومرّت بأطوارٍ مختلفةٍ، وشهدتْ تجاربَ متعددةً وكان المصطلحُ البلاغيُّ يأخذ معناه العلميَّ الدقيقَ كُلِّما ظهر عالمٌ ألمعيٌّ له قُدرةٌ على وَضْعِ الحدودِ وصياغةِ التعريفاتِ. ولعلَّ عبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ) كان من أكثرِ البلاغيينَ دقَّةً في المصطلحِ وضبطًا للقاعدةِ ورسمًا للأصولِ، فقد استطاعَ بعبقريته الفذة أن يُؤلِّفَ كتابه «دلائل الاعجاز» و«أسرار البلاغة» اللذين كانا عمدة البلاغيين. وظلَّت البلاغةُ تشهدُ نموًّا حتَّى القرنِ الثاني عشرٍ للهجرةِ ولكنها توقَّفت عند رسومِ المتأخرين ولم يُضف إليها في هذا العصر إلا ما يَهْدُفُ إليه المنهجُ الحديثُ في تصنيفِ الموضوعاتِ، وهو مَنهَجُ اتضح في «فن القول» للمرحوم أمين الخولي، ولم يَسُدِ الدرسُ البلاغيُّ الجديد.

والمجددُ إن لم يصدر عن التراثِ يَظَلُّ بعيدًا عن الأصالة؛ لأنَّ التجديدَ قَتْلُ القديمِ دَرْسًا، والبلاغةُ العربيَّةُ ذاتُ التاريخِ العريقِ أحوَجُ ما تكونُ إلى الدراسةِ العميقةِ وسَبْرِ اتجاهاتها لتصلَ إلى مرحلةٍ تَسْتَشْرِفُ فيها مستقبلًا زاهرًا ينيرُ معالمَ الطريقِ. وأولُ خطوةٍ إلى التراثِ البلاغيِّ دراسةُ مصطلحاتها وتطورها وإبرازها بثوبها العربيِّ الأصيلِ، ولن يتم ذلك إلا بوضعِ معجمٍ يجمعُ جزئياتها وينسقها في عَرَضٍ تاريخيٍّ يُظهِرُ تطورها ويحددُ معالمها. وقد ظهرت هذه الفكرةُ منذ سنواتٍ طويلةٍ، ولكنَّ الوصولَ إلى وضعِ معجمٍ كان حُلْمًا بعيدًا لأنَّ تاريخَ البلاغةِ العربيَّةِ طويلٌ؛ ولأنَّ القدماءَ لم يلمحوا التطورَ إلا بما يخدمُ أهدافَ الكتبِ التي ألفوها؛ لأنَّهم لم يقصدوا إلى التاريخِ قَصْدًا، ولم يَسْعَوْا إلى وضعِ معجمِ البلاغةِ التاريخيِّ سَعْيًا. ولكنَّ الدعوةَ إلى وضعِ معجمٍ تاريخيٍّ للغةِ العربيَّةِ ظلت تتردد، وعُقِدَتْ من أجل ذلك الندواتِ فما استطاعت أن تبدأ به؛ لأنَّ تاريخ

الالفاظ العربية ممتد طويل، ولأنَّ الكثير من النصوص ضاع في غمرة الأحداث. ولعلَّ البلاغة أسهلُ موردًا وأقربُ منالًا لتأخر ظهورها في كتب ترصد أصولها، فكان لها أن يُقصد الي وضع كتاب يُؤرخ لمصطلحاتها الكبرى: الفصاحة، والبلاغة، والمعاني، والبيان، والبديع. وصدر ذلك الكتاب عام ١٩٧٢ للميلاد ليكون تجربة تأخذ أبعادها من دعوة المعجم التأريخي وتقتبس ملامحها من التراث الأصيل. وقام منهج ذلك الكتاب وهو «مصطلحات بلاغية» على رصد كل مصطلح في مظانِّه واستقاء الرأي من منابعه، والربط بين الآراء ربطًا يُظهر تطورها التأريخي ويحدد معنى المصطلح الذي استقرَّ عليه المتأخرون.

ومرَّت الأعوام وصورة ذلك الكتاب تتسع، ولم يظهر في الأفق ما يُسدُّ الخطي ويعبِّد الطريق، فكان «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» هديةً تُقدَّم على استحياء؛ لأنها قد تكون فجةً، أو أنها لا تحقق الهدف الذي من أجله يبذل الدارسون جهودهم في هذه السبيل.

إنَّ وَضَعَ المعجم البلاغي لم يكن هينًا فهناك مئات المصادر التي تحمل بين سطورها بذورًا أو ثمارًا، وكان على الباحث أن يقف عليها ويعيد النظر فيها ليأخذ منها ما ينفع ويضمه الي ما اقتبسه من كتب البلاغة والنقد، حتى إذا ما استوت المادة على سُوقها بدأ التصنيف، وبدأت حروفُ الهجاء تأخذ سبيلها في الترتيب من غير التفات الي أصلِ مادةِ المصطلح او ارتباط بالمعجم القديم لأنَّ في ذلك شيئًا من العُسرِ لا يخدم الهدف ولا يحقق الغاية عند المراجعة السريعة، ولذلك وضع «الاستفهام» قبل «الإسجال» و«الارتقاء» قبل «الإرداف» و«الاعتراض» قبل «الإعجاز». فالأساس هو ترتيب الحروف في المصطلح كما يفعل المعاصرون حينما ينسقون الالفاظ والمصطلحات.

وبعد أن تَمَّ هذا التصنيف كانت العودةُ الي المعجمات للوقوف على معنى المصطلح في اللغة ليبدأ بعد ذلك ذِكْرُ أسماء المصطلح المختلفة إنَّ كانت له عدة تسميات، ثم تعريف البلاغيين والنقاد وغيرهم للفن البلاغي، وهو تعريف أخذ من التطور التأريخي نسقه، وقد يكون ذلك التأريخ بعيدًا يمتد الي آخر ما وقفت عنده البلاغة في القرن الثاني عشر للهجرة على يد ابن معصوم المدني (- ١١١٧هـ) صاحب «أنوار الربيع في أنواع البديع». وتأتي أقسام الفن بعد ذلك مؤَضَّحةً بالأمثلة المقتبسة من الكتابِ العزيز وكلام العرب البليغ.

تلك خطة المعجم، بدأت من الهمزة وانتهت بالواو، ولم يكن العمل سهلًا لأنَّ تأريخ البلاغة عريق، ولأنَّ القدماء لم يضعوا معالم لمثل هذا العمل. وقد يجد الباحث عنتًا وضيقًا حينما يجد للنوع الواحد من فنون البلاغة اسمين أو أكثر، فالغانمي - مثلاً - سَمَّى بابًا من أبواب البلاغة

«التبليغ» وسَمَّى بابًا آخر «الاشباع» وسَمَّاهما أبو العسكري وابن الأثير «الايغال». وأطلق بعضهم أسماءً مختلفة على فن واحد كتسميتهم «التجنيس» جناسًا ومُجانسًا ومماثلًا وتمائلاً، و«التورية» إيهامًا وتوجيهًا وتخيلًا، و«التشبيه المقلوب» غلبة الفروع على الاصول، والطرْد والعكس، و«التوجيه» محتمل الضدين، و«الارصاد» تسهيمًا وتوشيحًا و«لزوم ما لا يلزم» إلزامًا والتزامًا وإعنائًا وتشديدًا وتضييقًا، و«التشريع» توشيحًا وذا القافيتين، و«التكميل» احتراसा، و«رد العجز على الصدر» تصديرًا، و«المطابقة» طباقًا وتضادًا وتكافؤًا وتطبيقًا، و«تجاهل العارف» سَوَقَ المعلوم مساق غيره، و«مراعاة النظر» تناسبًا وتوفيقًا وائتلافًا، و«المذهب الكلامي» الاحتجاج النظري. وقد يريد بعضهم بالتوشيح فنًا غير الذي يريده آخر، وقد يختلف التعريف والمثال. فالتوشيح عند معظم البلاغيين هو الارصاد والتسهيم، وعند أسامة بن منقذ «هو أن تريد الشيء فتعبّر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه». وعند ضياء الدين بن الأثير «هو أن يبنى الشاعرُ أبيات قصيدته على بحرَين، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرًا مستقيمًا من بحرٍ على عَرُوضٍ، وصار ما يضاف الى القافية الأولى للبيت كالوشاح وكذلك يجري في الفقرتين من الكلام المنشور». والى ذلك ذهب ابن قَيِّم الجوزية فقال: «التوشيح أن تكون ذيول الأبيات ذات قافيتين على بحرَين أو ضربَين من بحر واحد، فعلى أيّ القافيتين وقفت كان شعرًا مستقيمًا». ولهذا هو «التشريع» عند الآخرين، وقد يسمى «ذا القافيتين» و«التوأم»، قال المدني عنه: «التشريع هو أن تبني القصيدة على وزنَين من أوزان العروض وقافيتين، فإذا أسقط من أجزاء البيت جزءًا أو جزءان صار ذلك البيت من وزن آخر، كأن الشاعر شرع في بيته بابًا الى وزن آخر. ولما خفي على ابن ابي الاصبع وجهُ مناسبة التشبيه بين اللغوي والاصطلاحى أو استبعده، سَمَّى هذا النوع «التوأم» ليطابق بين الاسم والمسمى».

ولم يكن بُدُّ من الاشارة الى ذلك كله عندما يتقدم المصطلح، أما حينما يأتي باسمٍ آخر فيذكر أنه النوع السابق أو الانواع المتقدمة، لئلا يطول الكلام ويُعاد ما ثبت في موادٍ أخرى. وبهذه الطريقة وبالاقصصار على الاسم المشهور لكل متقدم من البلاغيين خَفَّ المعجم ولم يتكرر فيه إلا ما كان تكراره مهما. فالسجع يسمى تسجيعة، ولما كانت التاء قبل السين، بُحِثَ هذا الفن وأقسامه في مصطلح «التسجيع» وكانت الاشارة في «السجع» اليه، فقيل: «السجع: هو التسجيع وقد تقدم»، و«السجع الحالي» هو «التسجيع الحالي وقد تقدم». وهكذا كان الأمر في كل مصطلح مع الاشارة الى المصادر التي ذكرته بالاسم الجديد لئلا يُظن أن القدماء اتفقوا في التسمية، أو أن بعضهم ذكر الفن بعدة مصطلحات.

إنَّ «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» الذي ضمَّ ألف مصطلح ومائة، محاولة أُريد بها

وضع معجم تأريخي لهذا الفن الذي لم يَنْضَجْ ولم يَحْتَرِقْ، وهو معجم يقوم على ترتيب الانواع ترتيبًا هجائيًا لتسهيل مراجعة النوع وجمع أجزائه في مادة واحدة، والاشارة اليها إذا جاءت منفردة، وجمع الآراء المختلفة في الفن الواحد، لتسهيل معرفة أول من بحث فيه، وينتفع مؤرخ البلاغة ومن تعنيه المقارنة بين الفنون عند العرب وغيرهم من الاقوام كالفرس واليونان والهنود الذين قيل إنَّ لهم أثرًا كبيرًا في نشأة البلاغة العربية وتطورها، وما هو بالأثر الكبير حينما يَرْجِعُ الباحث الى هذا المعجم ويرى نشأة الفن وتطوره خلال القرون، وارتباط مصطلحات البلاغة، بالمتقدمين منذ عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - واللغويين والنحاة الأوائل كالخليل بن احمد وسيبويه والاصمعي وأبي عبيدة والفراء وغيرهم ممن لم يدرسوا بلاغة أرسطو، أو يقرأوا صُحف الفرس والهنود.

ويذهب «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» الى أبعد من ذلك، فهو يُقدِّم للدارسين معرفة الجديد عند البلاغيين ويذكر مدى تأثر اللاحقين بالسابقين، وتقريب فنون البلاغة وربطها بالنصوص لتكون نافعة لمن يريد أن يكتشف بنفسه هذا الفن قبل أن يرجع الى المظان ويسبر غورها ويقف على الأساليب. ولن يكون نفعه للمحققين بأقل من ذلك، لأنه يُقدِّم الفن البلاغي خلال العصور المختلفة ويرصد التطور التاريخي، وبذلك تسهل المراجعة وتكثر الفائدة من المصادر التي استقى المعجم منها مادته، وهي مصادر كثيرة يتصل بعضها بالبلاغة والنقد، ويرتبط بعضها بكتب الأدب والنوادر. وليس ذلك بقليل لمن يريد أن يَكْسِبَ من الوقت ساعاتٍ يقضيها في النظر والتأمل والتدقيق والحُكْم.

تلك خطة التنسيق وذلك منهج التأليف، فإن أصاب «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» هدفه الذي من أجله وُضِعَ فذلك خيرٌ من الله، وإن لم يحقق من الهدف شيئًا فعسى أن يُحَرِّكَ الهمم ويدفع الباحثين الى رُصد فنون البلاغة وتقديمها في معجم تأريخي يكون واحدًا مما يطمح اليه المخلصون لأمتهم ولغة كتابهم العزيز. وحسب «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» أنه كان أول خطوة في هذا المضمار وأنه اتسع لألف مصطلح ومائة استنفدت عشرة أعوام لجمعها من المظان، وأنه أول نواة بلاغية تُقدِّم للدارسين ولمن سيضع معجم اللغة العربية، ذلك المعجم الذي لن يتم تنفيذه قبل أن توضع معجمات الفنون والعلوم، وتحدد المصطلحات والتعريفات. ولعلَّ «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» بعد أن يُوجَّه ويضاف اليه، يكون نواة لذلك المعجم الكبير. ومن الله العون والتوفيق.

الدكتور أحمد مطلوب

كلية الآداب - جامعة بغداد

الجمعة في الخامس عشر من أيار ١٩٨١م

الحادي عشر من رجب ١٤٠١هـ

الهمزة

الائتلاف

لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع شيء وما يناسبه من نوعه أو ملائمه من احد الوجوه^(٦). ثم قال: «ولا يخفى ان هذا التفسير يدخل فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف المعنى مع المعنى. وكل من هذه الأقسام عدّه أرباب البديعيات نوعاً برأسه ونظموا له شاهداً مستقلاً وجعلوه مغايراً لهذا النوع، مع انهم مثلوا لائتلاف اللفظ بما مثلوا به لمراعاة النظر بعينه ولا وجه لذلك، بل كان الصواب تنويع هذا النوع الى هذه الأنواع الثلاثة كما فعل صاحب التبيان حيث قال: مراعاة النظر هو أن يجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، وهو أصناف:

الأول: ائتلاف اللفظ والمعنى.

والثاني: ائتلاف اللفظ مع اللفظ.

والثالث: ائتلاف المعنى مع المعنى.

وهذا كتنويعهم اللف والنشر الى أنواعه المذكورة والالتفات الى انواعه الستة، وغير ذلك من أنواع البديع التي تنوع الى أنواع. وإذ قد اصطلح أرباب البديعيات على جعل مراعاة النظر نوعاً برأسه، وكل

(١) الطراز ج ٣ ص ١٤٤.

(٢) اللسان (ألف).

(٣) نقد الشعر ص ١٥.

(٤) المصباح ص ١٤٤، والطراز ج ٣ ص ١٤٤،

وعروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٢.

(٥) خزنة الأدب ص ١٣١.

(٦) أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٩.

الائتلاف: الاجتماع والاتفاق، يقال: ائتلف الشيء: أَلَفَ بعضه بعضاً. قال العلوي: «وهو افتعال من قولهم: أَلَفَ الخرز بعضها الى بعض إذا جمعها»^(١) وفي اللسان: «وقد ائتلف القوم ائتلافاً وأَلَفَ الله بينهم تأليفاً»^(٢).

وكان قدامة بن جعفر قد بنى على الائتلاف منهج كتابه «نقد الشعر» حينما عرّف الشعر بقوله: «انه قول موزون مقفّى يدلّ على معنى»^(٣)، أي انه يتألف من أربعة أركان: الوزن والقافية واللفظ والمعنى. وقد تولد من ذلك ستة أضرب من التأليف، غير ان قدامة ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية. وذكر بدر الدين بن مالك والعلوي والسبكي ائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف المعنى مع المعنى^(٤).

وسمّى ابن حجة الحموي مراعاة النظر ائتلافاً وتناسباً وتوفيقاً ومؤاخاة، وعرفه بقوله: «وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم أو الناثر أمراً وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنى لمعنى إذ القصد جمع شيء الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه»^(٥). وقال المدني عن مراعاة النظر: «هذا النوع أعني مراعاة النظر، سمّاه قوم بالتوفيق وآخرون بالتناسب وجماعة بالائتلاف وبعضهم بالمؤاخاة. قالوا: هو عبارة عن أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد سواء كانت المناسبة لفظاً

علينا إلا البلاغ المبين»^(٣) فان ذكر الرسالة مهّد لذكر البلاغ والبيان فيه.

وقوله: «قيل ادخل الجنة، قال: يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين»^(٤)، لان ذكر دخول الجنة مهّد لفاصلتها.

ائتلاف القافية:

تحدث قدامة عن ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقال: هو «أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمة لما مرّ فيه»^(٥) وتحدث عن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وهي التوشيح والايغال. وذكر أنّ من عيوب ائتلاف المعنى والقافية التكلف في طلبها والاتيان بها لتكون نظيرة لآخواتها في السجع. ومثال أنّ تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها فاشتغل معنى سائر البيت بها قول أبي تمام:

كالظبية الأدماء صافت فازتعت

زهرة العرار الغض والجشجاثا^(٦)

فجميع البيت مبني لطلب هذه القافية، وإلا فليس في وصف الظبية بأنها ترعى الجشجاث كبير فائدة؛ لأنه إنما تُوصف الظبية - إذا قصد لنعتهما بأحسن أحوالها - بان يقال: إنها تعطو الشجر؛ لأنها حينئذ رافعة رأسها، وتُوصف بأنّ دعرًا يسيرًا قد لحقها كما قال الطرمح:

مثل ما عايئت مخروفة

نصها ذاعر روع مؤام^(٧)

(١) بديع القرآن ص ٨٩، وتحريير التحبير ص ٢٢٤.

(٢) هود ٨٧.

(٣) يس ١٦ - ١٧.

(٤) يس ٢٦ - ٢٧.

(٥) نقد الشعر ص ١٩٠.

(٦) العرار؛ النرجس البري الواحدة عرارة. الجشجاث؛ نوع من النبات.

(٧) المخروفة؛ الظبية التي قد رعت العشب الذي نبت في الخريف. نصها؛ رفعت رأسها. مؤام؛ مقارب.

من ائتلاف اللفظ والمعنى، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف المعنى مع المعنى، نوعاً برأسه، فينبغي أن يحدّ كل منها بحد لا يشمل الآخر». وعلى هذا الاساس بحث كل نوع في عنوان مستقل.

ائتلاف الفاصلة:

الفواصل هي مقاطع القرآن، ولا تسمى سجعا ولا قوافي لان هذين المصطلحين مختصان بكلام العرب نثره وشعره. وقد أفرد المصري هذا البحث بباب وقال إنه من مخترعات قدامة وسماه من بعده التمكين، ولكنه عرفه تعريفاً أدخل فيه الأسجاع والقوافي فقال: «هو أن يمهد الناثر لسجعة فقرته والشاعر لقافية بيته تمهيداً تأتي به القافية متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضوعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى البيت كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت من البيت لاختل معناه واضطرب مفهومه. ولا يكون تمكّنها بحيث يتقدم لفظها بعينه في أول صدر البيت أو في أثناء الصدر أو معنى يدل عليها، ولا أن تفيد معنى زائداً على معنى البيت، فان الاول تصدير، والثاني توشيح، والثالث إيغال، ولا يسمى شيء من ذلك تمكيناً. وكل مقاطع أي الكتاب العزيز لا تخلو من أن تكون أحد هذه الأقسام الأربعة، ولهذا تسمى مقاطعه فواصل لا سجعا ولا قوافي، لاختصاص القوافي بالشعر، والسجع بالمنافرة عن معنى الكلام مأخوذ من سجع الطائر»^(١).

ومما جاء منه على هذا الباب وهو باب التمكين قوله تعالى: «قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء، إنك لأنت الحليم الرشيد»^(٢)، فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب؛ لأن الحلم العقل الذي يصحّ به تكليف العبادات ويحضّ عليها، والرشد حسن التصرف في الأموال.

وقوله: «قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون». وما

وأعين رَبِّرَبٍ كحلت بسحرٍ
وأجساد تَضْمَخُ بالجِسادِ^(٦)
وقول البحري:

فلم أرَ ضرغامين أصدَقَ منهما
عِراكًا إذا الهَيَابَةُ اليَكْسُ أكذبا^(٧)
حملت عليه السيفَ لا عَزْمَكَ انثنى
ولا يَدُكَ ارتدَّت ولا حُدَّهُ نَبَا
وقول المتنبي:

يا من يَعِزُّ علينا أن نُفارقَهم
وَجِدَاننا كُلُّ شيءٍ بَعْدَكم عَدَمٌ
إن كان سَرَّكُمْ ما قال حاسِدُنَا
ما لَجُرحِ إذا أرضاكُمْ أَلَمٌ

ائْتِلاف اللَّفْظِ مَعَ اللَّفْظِ:

وهو الصنف الثاني من الائتلاف عند ابن مالك، وقد عرّفه بقوله: «هو أن يكون في الكلام معنى يصحّ معه واحد من عدة معانٍ فيختار منها ما بينه وبين بعض الكلام ائتلاف الاشتراك في الحقيقة أو ملاءمة المزاج أو نحو ذلك»^(٨). وعرّفه العلوي بقوله: «هو أن تريد معنى من المعاني تصحّ تأديته بألفاظ كثيرة ولكنك

- (١) الزغف؛ الدرع المحكمة.
- (٢) نقد الشعر ص ٢٥٤ - ٢٥٦.
- (٣) تحرير التعبير ص ٢٢٤.
- (٤) بديع القرآن ص ٨٩.
- (٥) المصباح ص ١١٧، جوهر الكنز ص ٢٠٠، خزنة الأدب ص ٤٣٩، معترك الأقران ج ١ ص ٣٩، شرح عقود الجمان ص ١٥٥، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٥١.
- (٦) المذاكي؛ الخيل التي تم سنّها وكملت قواها. الدجن؛ المطر الغزير. سامر قينة؛ احتفال بالقيان. الصاد؛ الصفر والنحاس. الربرب؛ بقر الوحش. تضمخ، تلتخ. الجساد؛ الزعفران.
- (٧) الهيابة؛ الهيوب. النكس؛ الجبان.
- (٨) المصباح ص ١١٤.

فأما أن ترعى الجشجات فلا معنى له في زيادة الظبية من الحسن، لأنّ هذا النبت ليس من المراعي التي توصف بالطيب.

ومثال الايتان بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع قول علي بن محمد البصري:
وسابغة الأذيال زَعْفٌ مُفَاضَةٌ
تكتنفها مِنِّي نجادٌ مخططٌ^(١)

في وصف الدرع وتجويد نعتها، ولا يزيد في جودتها أنّ يكون نجادها مخططا أو غير ذلك^(٢).

وتحدث المصري عن «ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت» فقال: «وهو الذي سماه من بعد قدامة التمكين، وهو أن يمهد الناثر لسجعة فقرته أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتي القافية به متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى البيت كله تعلقا تاما بحيث لو طُرِحَتْ من البيت اختلّ معناه واضطرب مفهومه، ولا يكون تمكينا بحيث يقدم لفظها بعينه في أول صدر البيت أو معنى يدل عليها في أول الصدر أو في أثناء الصدر ولا أن يفيد معنى زائدا بعد تمام معنى البيت، فإن الأول يُسمى تصديرا، والثاني توشيحًا، والثالث إيغالا، ولا يقال لشيء من ذلك تمكين البتة»^(٣). وسماه في «بديع القرآن» ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام^(٤)، لأنّ نهايات الآيات لا تسمى أسجاعا بل فواصل لأنّ السجع مأخوذ من سجع الطائر، ولا يليق ذلك بكتاب الله العزيز. ولكن البلاغيين الآخرين كابن مالك وابن الأثير الحلبي والحموي والسيوطي والمدني^(٥) سموه «تمكينًا». ومعظم شعر الفحول من هذا اللون، ومن ذلك قول أبي تمام:

ومن يأذنُ الى الواشين تُسَلِّقُ
مَسامِعُهُ بألسِنَةِ جِدَادِ

وقوله:

مذاكي حَلْبَة وشُروب دَجِنِ
وسامر قينةٍ وقُدورِ صادِ

تختار واحدًا منها لما يحصل فيه من مناسبة ما بعده وملاءمته»^(١).

وقال الحموي: «هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع، ويأخذ عدة معانٍ فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف»^(٢).

وقال السيوطي: «أن تكون الألفاظ ثلثم بعضها بعضًا بأن يُقرَنَ الغريب بمثله والمتداول بمثله رعايةً لحسن الجوار والمناسبة»^(٣).

وذكر المدني أن لهذا النوع تعريفين عند البديعيين:

الأول: ما ذكره صفى الدين الجليّ وعليه أصحاب البديعيات وهو: «أن يكون في الكلام معنى يصحّ معه واحد من عدة معانٍ فيختار منها ما بين لفظه وبين بعض الكلام ائتلاف وملاءمة وإن كان غيره يَشُدُّ مسدّه». كقول البحرى:

كالقسيّ المعطّفات بل الأشـ

هم مبريّة بل الأوتار^(٤)

فإن تشبيهه الابل بالقسيّ من حيث هو كناية عن هزلها يصحّ معه تشبيهها بالعراجين والأهله والأطناب ونحوها، فاختر من ذلك تشبيهها بالاسهم والاوتار لما بينهما وبين القسيّ من الملاءمة والائتلاف.

الثاني: ما ذكره السيوطي، وهو التعريف السابق كقوله تعالى: ﴿تَاللّٰهِ تَفْتًا تَذُكُرُ يُوسُفَ حَتّٰى تَكُوْنَ حَرَضًا﴾^(٥). أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء، فانها أقل استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة الى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الاسماء وتنصب الأخبار وهو «تفتاً» فإن «تزال» أقرب الى الافهام واكثر استعمالاً من «تفتاً»، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو «الحرَض» فاقتضى حسن الوضع أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخيّاً لحسن الجوار ورغبةً في ائتلاف الألفاظ لتتبادل في الوضع، وتتناسب في النظم. ولما أراد غير ذلك قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾^(٦) فأتى بجميع

الألفاظ متداولة لا غرابة فيها.

وهذا التعريف والتمثيل له هو الذي ينبغي المصير اليه والتعويل عليه ليكون نوعاً مستقلاً مغايراً لمراعاة النظير، أما التعريف الأول والتمثيل له فهما شاملان لمراعاة النظير^(٧).

ومن أمثلة هذا الفن قول المتنبي:

على سابع موج المنايا بنخره
غداة كأنّ النبل في صدره وبئل

فالسابع: الحصان، فلما وصفه بالسباحة عقبه بذكر الموج، وذكّر النبل وعقبه بذكر الوئل لما كان يشبه النبل في شدة وقعه وسرعة حركته، ثم واصل بين الوئل والموج لما بينهما من الملاءمة.

ومن ذلك قول ابن رشيق القيرواني:

أصح وأقوى ما رويناه في الندى
من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويهما السيول عن الحيا

عن البحر عن جود الأمير تميم

فلام بين الصحة والقوة، وبين الرواية والخبر؛ لأنها كلها متقاربة في ألفاظها، ثم قوله أحاديث تقارب الأخبار، ثم أردفها بقوله السيول، ثم عقبه بالحيا؛ لأن السيول منه، ثم عن البحر؛ لأنه يقرب من السيل، ثم تابع بعد ذلك بقوله: «عن جود الأمير تميم» فهذه الأمور كلها متقاربة، فلأجل هذا لاءم

(١) الطراز ج ٣ ص ١٤٦.

(٢) خزنة الادب ص ٤٣٨.

(٣) الاتقان ج ٢ ص ٨٨.

(٤) القسي؛ جمع قوس. وهي آلة رمي السهام.

المعطّفات؛ المحنية الاسهم مبرية؛ النبال منحوتة؛ الأوتار؛ جمع وتر، وهو ما يشد بين طرفي القوس لينبض عند الرمي.

(٥) يوسف ٨٥.

(٦) النور ٥٣.

(٧) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام،
فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق
لا يشاركه الآخر فيه»^(٨).

وعدّ المرزوقي «مشاكلة اللفظ للمعنى» أحد
أبواب عمود الشعر وقال:

«وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية
طول الدربة ودوام المدارس فإذا حكما بحسن التباس
بعضها ببعض لا جفاء في خلالها ولا نُبو ولا زيادة فيها
ولا قصور، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد
جُعِلَ الأخصُّ للأخص، والأخصُّ للأخص فهو البريء
من العيب»^(٩).

وقال المصري في تعريفه: «وتلخيص معنى هذه
التسمية أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها
لفظة غير لائقة بذلك المعنى»^(١٠).

وقال العلوي: «هو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى
المقصود ومناسبة له، فإذا كان المعنى فخماً كان
اللفظ الموضوع له جَزْلاً، وإذا كان المعنى رقيقاً
كان اللفظ رقيقاً فيطابقه في كل أحواله، وهما إذا
خَرَجَا على هذا المخرج وتلاءما هذه الملاءمة وقعا
من البلاغة أحسن موقع، وتألفا على أحسن شكل،
وانتظما في أوفق نظام. وهذا باب عظيم في علم
البديع وجاء القرآن الكريم على هذا الأسلوب»^(١١).

(١) الطراز ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧، وينظر نفعات
الأزهار ص ٣٣٥، شرح الكافية ص ٢٢٦.

(٢) البيان ج ١ ص ١٣٦.

(٣) البيان ج ١ ص ١٤٥.

(٤) البيان ج ٢ ص ٧ - ٨.

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٩.

(٦) نقد الشعر ص ١٧١ وما بعدها.

(٧) تحرير التحبير ص ١٩٤، وخزانة الأدب ص ٤٣٧.

(٨) الوساطة ص ٢٤.

(٩) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ١١.

(١٠) تحرير التحبير ص ١٩٤، بديع القرآن ص ٧٧.

(١١) الطراز ج ٣ ص ١٤٤.

بينها في تأليف الألفاظ فصار الكلام بها مُؤْتَلَفَ النشج
مُحَكَّم السَّدى^(١).

إِتِّلَافُ اللَّفْظِ مَعَ الْمَعْنَى:

أشار بشر بن المعتز في صحيفته الى هذا
الفن، وقال: «ومَنْ أَرَاغَ مَعْنَى شَرِيفًا فَلْيَلْتَمَسْ لَهُ
لَفْظًا كَرِيمًا، فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ
الشَّرِيفُ»^(٢). وقال الجاحظ: «إلا اني أزعج ان
سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني»^(٣)،
وقال: «ومتى شاكل - أبقاك الله - ذلك اللفظ
معناه وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقاً
ولذلك القدر لفقاً، وخرج من سماجة الاستكراه،
وسلّم من فساد التكلف، كان قمينا بحسن الموقع
وبانتفاع المستمع، وأجدر بأن يمنع جانبه من تناول
الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائنين، وألا
تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة»^(٤).
وقال: «ولكل ضَرْبٍ من الحديث ضَرْبٌ من
اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء،
فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل
للجزل»^(٥). وهذا هو التناسب بين اللفظ والمعنى،
وقد سماه قدامة «إتلاف اللفظ مع المعنى»^(٦)
وتحدث فيه عن المساواة والاشارة والإرداف
والتمثيل. ولم يبين معناه غير أن الآمدي شرحه
ولم «تُوفِ عبارته بايضاحه»^(٧)، وتحدث عنه
القاضي الجرجاني فقال: «لا أمرك باجراء أنواع
الشعر كله مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه
مذهب بعضه، بل أرى لك أن تقسّم الألفاظ على
رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا
مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبائك، ولا
هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك،
بل ترتب كلاً مرتبته وتوقيه حقه، فتلطف إذا
تغزلت، وتفخّم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح
تصرف مواقعه، فإن المدح بالشجاعة والبأس
يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف

لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ

وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال: لكل شيء وجه وموضع، فالقول الأول جد، وهذا قلته في جاريتي ربابة^(٥). ومن ذلك قول زهير:

أَثَافِي سَفْعًا فِي مُعَرَّسٍ مِرْجَلٍ

وَنُؤْيَا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَمِ^(٦)

فلما عرفت الدار قلت لربعها

ألا انعم صباحًا أيها الربيع واسلم

فانه لما قصد إلى تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى عربي لكن المعنى غريب، ركبته من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال، ولما قصد في البيت الثاني إلى معنى أبين من الأول وأعرف وإن كان غريبًا ركبته من ألفاظ مستعملة معروفة.

ومن هذا الباب ملاءمة الألفاظ في نظم الكلام على مقتضى المعنى لا من مجرد جملة اللفظ، فان الائتلاف من جهة ما تقدم من ملاءمة الغريب للغريب والمستعمل للمستعمل لا من جهة المعنى، بل ذلك من جهة اللفظ. وأما الذي من جهة المعنى فقولته تعالى: ﴿وَلَا تَرَكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾^(٧)، فانه - سبحانه - لما نهى عن الركون

(١) ينظر المصباح ص ١١٣، وخزانة الأدب ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٨، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢١٧، نفحات ص ٣٣٢، شرح الكافية ص ١٨٣.

(٢) آل عمران ٥٩.

(٣) ص ٧١.

(٤) ص ٧٦.

(٥) الأغاني ج ٣ ص ١٦٢، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢١٨.

(٦) الأثافي؛ ما توضع عليه القدر وهي أحجار. السفح؛ السود. المرجل؛ القدر. النؤي؛ ما يحفر حول الخيمة ليمنع السيل. جذم الحوض؛ أصله. يتثلم؛ يتكسر.

(٧) هود ١١٣.

وقد أجمع البلاغيون الآخرون^(١) على هذا المعنى، وعلى أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له. فاذا كان المعنى فخماً كان اللفظ الموضوع له جزلاً، واذا كان المعنى رشيماً كان اللفظ رقيقاً، واذا كان غريباً كان اللفظ غريباً، واذا كان متداولاً كان اللفظ مألوفاً.

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٢) فعدل سبحانه عن الطين الذي أخبر في كثير من مواضع الكتاب العزيز أنه خلق آدم منه، منها قوله: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾^(٣) وقوله حكاية عن ابليس: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٤) فعدل - عز وجل - عن ذكر الطين الذي هو مجموع التراب والماء إلى ذكر مجرد التراب؛ لأنه أدنى العنصرين وأكثرهما لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الالهية بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك، فلهذا كان الاتيان بلفظة التراب أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر، ولو كان موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود. ولما أراد - سبحانه - الامتنان على بني اسرائيل بعيسى - عليه السلام - أخبرهم عنه أنه يخلق لهم من الطين كهيئة الطير تعظيماً لأمر ما يخلقه باذنه، إذ كان المعنى المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به. ومن طريف ما يتصل بهذا الفن ما جاء عن بشار فقد قيل له: إنك لتجيء بالشيء المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قيل: بينما تقول شعراً تُثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضَرِيَّةً

هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا

إِذَا مَا أَعْرَنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ

ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

تقول:

رَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ

تَضُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ

فقلوه: «للاقوام» حشو.

ومثال التثليم قول علقمة بن عبدة:

كَأَنَّ ابْرِيْقَهُمْ ظَبِيٌّ عَلَى شَرْفِ
مُفَدِّمٍ بِسَيَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ^(٤)

أراد: بسبائب، فحذف للوزن.

ومثال التذنيب قول الكمي:

لَا كَعْبِدِ الْمَلِيكِ أَوْ كِيَزِيدِ
أَوْ سَلِيمَانَ بَعْدُ أَوْ كِهْشَامِ

وأراد: عبد الملك.

ومثال التغيير قول الأسود بن يعفر:

وَدَعَا بِمَحْكَمَةِ أَمِينٍ سَكُّهَا
مَنْ نَسَجَ دَاوِدَ أَبِي سَلَامٍ

أي: أبي سليمان

ومثال التفصيل قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّعْتَةِ:

وَبَلَغَ نُمَيْرًا إِنْ عَرَضْتَ ابْنَ عَامِرٍ
فَأَيَّ أَخٍ فِي النَّائِبَاتِ وَطَالِبِ

ففرّق بين نمير بن عامر بقوله: «إن عرضت»^(٥).

ولم يخرج البلاغيون الآخرون كالمصري وابن مالك والحموي والسيوطي والمدني^(٦) عمّا قاله قدامة بن جعفر، ولم يخرجوا على أمثله التي هي من باب الضرائر، ولعل حجّتهم في ذلك أنّ كل شعر سليم

(١) تحرير التحبير ص ١٩٦، بديع القرآن ص ٧٨.

(٢) نقد الشعر ص ١٨٩.

(٣) نقد الشعر ص ١٩٠.

(٤) يروى؛ مفدوم، وفدم الابريق وعلى الابريق؛ وضع الفدام عليه، والفدام مصفاة صغيرة أو خرقة توضع على فم الابريق ليصفي بها ما فيه.

(٥) نقد الشعر ص ٢٤٨، الموشح ص ١٢٧.

(٦) تحرير التحبير ص ٢٢١، المصباح ص ١١٦،

خزانة الأدب ص ٢٣٧، شرح عقود الجمان

ص ١٥٦، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢٣، نفحات

الازهار ص ٣٣٣، شرح الكافية ص ٢٣٣.

للظالمين، وهو الميل اليهم والاعتماد عليهم كان ذلك دون مشاركتهم في الظلم، أخبر أنّ العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم وهو مسّ النار دون الاحراق والاصطلاء، وإن كان المسّ قد يُطلق ويُراد به الاستئصال بالعذاب وشمول الثواب أكبر مجازاً، ولما كان المسّ أول ألم أو لذة يُياشرها الممسوس جاز أنّ يُطلق على ما يدلّ عليه استصحاب تلك الحال مجازاً، والحقيقة ما ذكر، وهو في هذه الآية الكريمة على حقيقته^(١).

فائتلاف اللفظ مع المعنى أساس الكلام البليغ، ويتضح ذلك في شعر الفحول من شعراء العرب، أما صغارهم فانهم يقعون بعيداً عن هذا الفن البديع.

إِتِّلَافُ اللَّفْظِ مَعَ الْوِزْنِ:

هو أحد أقسام الائتلاف عند قدامة الذي عرفه بقوله: «هو أنّ تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامةً مستقيمةً كما بنيت، لم يضطر الأمر في الوزن الى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تأخير ما يجب تقديمه ولا الى تقديم ما يجب تأخيره منها ولا اضطر أيضاً الى اضافة لفظة أخرى يلبس المعنى بها بل يكون الموصوف مقدما والصفة مقولة عليها»^(٢). ومن هذا الباب أيضاً: «ألا يكون الوزن قد اضطر الى ادخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً اليه حتى انه اذا حذف لم تنتقص الدلالة لحذفه او اسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلاّ به، حتى أنّ فقدته قد أثر في الشعر تأثيراً بان موقعه»^(٣). وعيوب هذا الفن: الحشو والتثليم والتذنيب والتغيير والتفصيل. ومثال الحشو قول أبي عدي القرشي:

نَحْنُ الرُّؤُوسُ وَمَا الرُّؤُوسُ إِذَا سَمَتْ
فِي الْمَجْدِ لِلْأَقْوَامِ كَالْأَذْنَابِ

فان «الكدرى» - وهو ضرب من القطا - من طير السهل، والعرب بلادها المفاوز، فقارن بينهما لمكان هذه الملاءمة الدقيقة. والحجل من طير الجبل، والروم بلادها الجبال، فقارن بينهما لهذا التناسب الدقيق.

الثاني: أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فيقرن به منهما ما لاقتراانه به مزية كما في قول المتنبي:

وَقَفَّتْ وما في الموتِ شَكُّ لواقفٍ
كَأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وهو نائمٌ
تَمُرُّ بكِ الأبطالُ كَلَمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسِمٌ

فان عجز كل من البيتين يلائم كلا الصدرين وصالح لان يؤلف معه، ولكن الشاعر اختار ما أورده الأمرين:

أحدهما: ان قوله «كأنك في جفن الردى وهو نائم» مسوق لتمثيل السلامة في مقام العطب فجعله مقررًا للوقوف والبقاء في موضع يقطع على صاحبه بالهلاك، أنسب من جعله مقررًا لثباته في حال مرور الأبطال به مهزومة.

وثانيهما: ان في تأخير قوله: «ووجهك وضاح وثغرك باسم» تميمًا للوصف وتفريعا على الأصل اللذين يفوتان بالتقديم. فالوصف هو ثباته في الحرب، والتتميم هو أن ثباته في الحرب لاحتقاره كل خطب عظيم كما يفيدُه وضاحُ الوجه وتبسم الثغر في ذلك الموقف، لا لضرورة فقدان المهرب. والتفريع على الأصل هو أن وضاحه وجهه وابتسام ثغره عند مرور الأبطال مكلومين مهزومين فرع ثباته في الحرب حين لا شك لواقف في الموت، والردى محيط به من جميع الجوانب ثم انه يسلم منه.

واستشهد سيف الدولة المتنبي يومًا قصيدته التي أولها:

(١) المصباح ١١٨، الطراز ج ٣ ص ١٥٠.

ليس فيه خروج على اللغة والوزن يدخل في هذا الباب.

الائتلاف مع الاختلاف:

هو الصنف السابع من الائتلاف عند ابن مالك، والصنف الرابع عند العلوي^(١) وهو ضربان:

الأول: ما كانت المؤتلفة فيه بمعزل عن المختلفة وأحدهما منتهى عن الآخر، ومثاله قول الشاعر:

أبى القلبُ أن يأتي السديراً وأهلَه
وإن قيل عيشٌ بالسديراً غريراً
بك البقُّ والحُمى وأشدُّ تحفُه
وعمرؤ بن هِنْدٍ يعتدي ويجورُ

الثاني: ما كانت المؤتلفة فيه مداخلة للمختلفة كقول العباس بن الأحنف يهجو قومًا:

وِصَالُكُمْ هَجْرٌ وَحُبُّكُمْ قَلَى
وَعَطْفُكُمْ صَدٌّ وَسِلْمُكُمْ حَرْبٌ

فكل واحد من هذه مقرون مع ضده، مؤلف معه.

ولم يذكر الحموي هذا النوع وإنما تحدث عن ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وتحدث المدني عن هذه الأربعة الى جانب ائتلاف المعنى مع المعنى، وبذلك يكون ابن مالك والعلوي قد انفردا بهذا الفن كما تذكر المصادر التي بين أيدي الباحثين.

إئتلاف المعنى مع المعنى:

وهذا الفن قسم من المناسبة المعنوية، وهو قسمان:

الأول: أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران، أحدهما ملائم والآخر بخلافه فيقرن بالملائم، كما قال المتنبي:

فالعُربُ منه مع الكُدرى طائرةٌ
والروم طائرةٌ منه مع الحَجَلِ

الأضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجمعها^(١).
وكان ابن طباطبا قد ذكر بيتي امرئ القيس حينما
تكلم على تأليف الشعر وقال: «هكذا الرواية وهما
بيتان حسنان ولو وُضِعَ مصراع كل واحد منهما في
موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء
النسج»^(٢). وذكر قول ابن هزّمة:

وَإِنِّي وَتَرْكِي نَدَى الْأَكْرَمِ
مَنْ وَقَدْ حِي بِكَفِي زَنَادًا شِحَاخًا
كَتَارِكَةٍ بَيَضُهَا فِي الْعَرَا
ءِ وَمُلْبِسَةٍ بَيَضُ أُخْرَى جَنَاحَا
وقول الفرزدق:

وَإِنَّكَ إِذْ تَهْجُو تَمِيمًا وَتَرْتَشِي
سَرَابِيلَ قَيْسٍ أَوْ سُحُوقَ الْعَمَائِمِ
كَمَهْرِيْقِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ وَغَرَّةُ
سَرَابٍ أَذَاعَتْهُ رِيَاخُ السَّمَائِمِ

وقال: «وكان يجب أن يكون بيت لابن هزّمة مع بيت
للفرزدق، وبيت للفرزدق مع بيت لابن هزّمة فيقال:

وَإِنِّي وَتَرْكِي نَدَى الْأَكْرَمِ
مَنْ وَقَدْ حِي بِكَفِي زَنَادًا شِحَاخَا
كَمَهْرِيْقِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ وَغَرَّةُ
سَرَابٍ أَذَاعَتْهُ رِيَاخُ السَّمَائِمِ
ويقال:

وَإِنَّكَ إِذْ تَهْجُو تَمِيمًا وَتَرْتَشِي
سَرَابِيلَ قَيْسٍ أَوْ سُحُوقَ الْعَمَائِمِ
كَتَارِكَةٍ بَيَضُهَا فِي الْعَرَا
ءِ وَمُلْبِسَةٍ بَيَضُ أُخْرَى جَنَاحَا

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٣، المصباح ص ١١٥،
الطراز ج ٣ ص ١٤٧، خزنة الأدب ص ٢٣١،
شرح الكافية ص ١٧٢ أنوار الربيع ج ٤
ص ١٩٨، نفحات ص ٢٧٤.

(٢) عيار الشعر ص ١٢٤.

على قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
فلما بلغ قوله: «وقفت وما في الموت شك لواقف» قال
له سيف الدولة: قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما
انتقد على امرئ القيس بيتاه وهما:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّدَّةِ
وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الزِّقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلُ
لِخَيْلِي كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما لا يلتئم شطرا هذين
البيتين، كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ
لِخَيْلِي كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الزِّقَّ الرُّوِّيَّ لِلذِّدَّةِ
وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
ولك أن تقول:

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ
وَوَجْهُكَ وَضَاخٌ وَتَعْرُكٌ بِاسِمِ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

فقال: أيّد الله مولانا، إن صحّ أن الذي استدرك على
امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ
القيس وأخطأت أنا. ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه
البزاز معرفة الحائك؛ لأنّ البزاز يعرف جملة والحائك
يعرف جملة وتفاريقه؛ لأنّه هو الذي أخرج من الغزلية
الى الثوبية، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة
الركوب للصيد، وقرن السماحة في شراء الخمر
للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء. وأنا لما
ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو
الموت ليجانسه، ولما كان وجه الجريح المهزوم لا
يخلو من أن يكون عبوسًا، وعينه من أن تكون باكيةً
قلت: «وَوَجْهُكَ وَضَاخٌ وَتَعْرُكٌ بِاسِمِ» لأجمع بين

حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعًا وإلا كان تشبيهاً بعيداً غير واقع موقعه الذي أريد له. وإذا تأملت أشعار القدماء لم تعدم فيها أبياتاً مختلفة المصارع، كقول طرفة:

ولست بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً

ولكن متى يَسْتَرْفِدِ النَّاسُ أَرْفِدُ

فالمصراع الثاني غير مشاكل للأول. وكقول الأعشى:

وإنَّ امرءَ أهواه بيني وبينه

فيا فِ تَنوفاةً وبهماءُ خَيْفَقُ

لمحقوقةٌ أن تستجيبى لصوته

وأن تعلمي أن المعانَ موفِقُ^(١)

فقوله: «وأن تعلمي أن المعانَ موفِق» غير مشاكل لما قبله. وكقوله:

أَعَزُّ أبيضُ يُسْتَشْقَى الغمامُ به

لو قارَعَ النَّاسَ عن أحسابهم قَرعا

فالمصراع الثاني غير مشاكل للاول وإن كان كل واحد منهما قائماً بنفسه.

ومن هذا الفن قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٢)، فانه لم يراع فيه مناسبة الرِّيِّ للشبع، والاستظلال للبس، بل روعيت المناسبة بين اللبس والشبع في عدم الاستغناء عنهما وانهما من أصول النعمة، وبين الاستظلال والرِّيِّ في كونهما تابعين لهما ومكملين لمنافعهما، وهذا أدخل في الامتنان لما في تقديم أصول النعم وإرداف التوابع من الاستيعاب.

إِتِّلافِ المَعْنَى مَعَ الوَزنِ:

قال قدامة: «هو أن تكون المعاني تامةً مستوفاةً لم يضطر الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك، ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته»^(٣). وذكر أن عيوب ائتلاف المعنى

والوزن المقلوب والمبتور، مثال المقلوب قول عُزوة بن الورد:

فلو اني شَهِدْتُ أبا سُعادِ

غداً غداً بمهجته يفوقُ^(٤)

فديتُ بنفسه نَفْسِي ومالي

وما أَلوَكُ إلا ما أَطيقُ

أراد أن يقول: «فديت نفسه بنفسي» فقلب المعنى.

ومثال المبتور قول عُزوة بن الورد:

فلو كاليومِ كان عَلِيٌّ أَمري

ومَنْ لكَ بالتدبِيرِ في الأمورِ

فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى، ولكنه أتى بالبيت الثاني بتمامه فقال:

إِذَنْ لملكُ عِصْمَةَ أمِّ وَهَبِ

على ما كان من حَسَكِ الصُّدورِ^(٥)

وتبعه البلاغيون الآخرون في هذا الفن ومنهم: المصري، وابن مالك، والحموي، والسيوطي، والمدني^(٦).

إِتِّلافِ الوَزنِ مَعَ المَعْنَى:

وهو «ائتلاف المعنى مع الوزن»، وقد سماه كذلك المدني، وقال في تعريفه: «هذا النوع عبارة عن أن

(١) التنوفة؛ القفر. الخيفق؛ الصحراء الواسعة يخفق

فيها السراب.

(٢) طه ١١٨ و ١١٩.

(٣) نقد الشعر ص ١٩٠، ٢٥٢، الموشح ص ١٢٨.

(٤) فاق الرجل؛ أشرفت نفسه على الخروج أو مات..

(٥) الحسكة؛ العداوة والحقد.

(٦) تحرير التحبير ص ٢٢٣، المصباح ص ١١٦،

خزانة الأدب ص ٤٣٨، شرح عقود الجمان

ص ١٥٥، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢٧، نفحات

ص ٣٣٤، شرح الكافية ص ٢٥٤.

وانما تابعوا قدامة مع أنَّ الفلاسفة المسلمين أشاروا الى هذه المسألة فقال الفارابي وهو يتحدث عن اليونان: «جعلوا لكل نوع من أنواع الشعر نوعًا من أنواع الوزن مثل أنَّ أوزان المدائح غير أوزان الأهاجي، وأوزان الأهاجي غير أوزان المضحكات وكذلك سائرهما»^(٣) وقال ابن سينا: «واليونانيون كانت لهم أغراض محدودة فيما يقولون الشعر وكانوا - يخصون كل غرض بوزن على حدة، وكانوا يسمون كل وزن باسم على حدة»^(٤). ولعل حازمًا أراد أن يُثبِت غير ما قاله هذان الفيلسوفان حينما نسبوا هذه المزية الى اليونان وحدهم فتحدث عن صلة الوزن بأغراض الشعر العربي، أو «ائتلاف الوزن مع المعنى»، ولكنه لم يُفصّل القول في ذلك وظل بعيدًا عن كشف أسرار هذا الائتلاف، وظل البلاغيون الآخرون مرتبطين بما قاله قدامة في هذا الفن.

الابتداء:

ذكر البلاغيون أنَّ الأديب ينبغي أن يتأقَّ في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظًا، وأحسن سبكًا، وأصحَّ معنى. وهذه المواضع هي: الابتداء، والتخلص، والانتهاء.

والابتداء أن يكون مطلع الكلام شعرًا أو نثرًا، أنيقًا بديعًا، لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويعيه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن. وقد استحسنت القدماء مطلع النابغة الذبياني:

كِلِينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةً نَاصِبٍ
وَلِيلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢٧.

(٢) منهاج البلغاء ص ٢٦٠.

(٣) رسالة في قوانين صناعة الشعراء (فن الشعر) ص ١٥٢.

(٤) كتاب المجموع ص ٣٠.

يكون البيت صحيح المعنى مستقيم الوزن، لا يضطر الشاعر فيه لاقامة الوزن الى اخراج المعنى عن وجه الصحة أو تقديم أو تأخير أو حذف^(١)، وذكر أمثلة الفن السابق. ولكن حازمًا القرطاجني تحدث عن صلة الوزن بالمعنى، أي أنَّ للاعريض اعتبارًا من جهة ما تليق به من الأغراض فمنها أعريض فخمة تصلح للفخر، ومنها أعريض رقيقة تصلح لظهار الحزن، وعلى هذا الأساس قسّم أوزان الشعر الى السَّبِطِ، والجَعْدِ، واللين الشديد، والذي بين بين. ويقوم هذا التقسيم على اعتبار الحركات والسكنات، فالسبطات هي التي تتوالى فيها ثلاثة متحركات، والجعدة هي التي تتوالى فيها أربعة سواكن من جزئين أو ثلاثة من جزء - أي لا يكون بين ساكن منها وآخر إلا حركة - والمعتدلة هي التي تتلقى فيها ثلاثة سواكن من جزئين أو ساكنان في جزء، والقوية هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على وتد أو سببين. والضعيفة هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على سبب واحد ويكون طرفاه قابلين للتغيير^(٢). وهذه الحركات والسكنات لها ميزة في السمع وصفة أو صفات تخصه من جهة ما يوجد له رصانة في السمع أو طيش، ومن جهة ما يوجد له سباطة وسهولة أو جعودة وتوغر. ولما كانت أغراض الشعر مختلفة وجب أن تُحاكى تلك الأغراض والمقاصد بما يناسبها من الاوزان، وأعلى البحور درجة الطويل والبسيط ويتلوها الوافر والكامل، ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره، ويتلو ذلك الخفيف. أما المديد والرمل ففيهما ضعف ولين، وأما المنسرح ففيه اضطراب وتقلقل، وفي السريع والرجز كزازة، وفي المتقارب سذاجة لتكرار أجزائه وإن كان الكلام فيه حسن الاطراد، وفي الهزج سذاجة وحدة، وفي المجتث والمقتضب حلاوة قليلة على طيش فيهما، وفي المضارع قبح، ولذلك ينبغي أن يُصاغ الشعر في الوزن الذي يلائم معناه.

ولم يتحدث البلاغيون الآخرون مثل هذا الحديث

ومطلع أشجع الشلمي:

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ
خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
وقالوا إنَّ الابتداءات البارعة التي تقدم أصحابها فيها
معروفة، منها:

أولاً: قول النابغة المتقدم.

ثانياً: قول علقمة بن عبدة:

طحابك قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ
بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيْبُ
ثالثاً: قول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيْبٍ وَمَنْزَلِ
بِسْقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
رابعاً: قول القطامي:

إِنَّا مُحْيِيُوكَ فَاسَلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ
وَإِن بَلِيَّتَ وَإِنَّ أَعْيَا بَكَ الطِّبْلُ
خامساً: قول أوس بن حجر:

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا
إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ الشَّجَاعَةَ وَالنَّجْدَ
مَدَّةً وَالْحَزْمَ وَالنَّدَى جُمِعَا
الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ
نَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقالوا: «لم يبتدئ أحد من الشعراء بأحسن مما ابتداء به
أوس بن حجر، لأنه افتتح المرثية بلفظ نطق به على
المذهب الذي ذهب إليه منها في القصيدة فأشعر
بمرادة في أول بيت»^(١).

سادساً: قول أبي ذؤيب.

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ

وقد ابتداء كلامه في أوله بما دل على آخر غرضه.
ومثل هذه الابتداءات كثير في شعر القدماء

والمحدثين.

واستقبحوا مطلع اسحاق الموصلي:

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبِلَى وَمَحَاكِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكِ

لأنَّ القصيدة في تهنئة المعتصم بالله لما بنى قصره
بالميدان وجلس فيه، وقيل: إنَّ المعتصم تطيَّر بهذا
الابتداء وأمر بهدم القصر.

وليس ما وقع فيه اسحاق من قبح الابتداء فريداً بل قد
وقع فيه شعراء كبار كالمتنبي قال الثعالبي: «ولأبي
الطيب ابتداءات ليست لعمري من أحرار الكلام
وغرره بل هي - كما نعاها عليه العائبون -
مستشعنة لا يرفع السمع لها حجاب ولا يفتح القلب
لها باب»^(٢) من ذلك قوله:

هَذَا بَرَزَتْ لَنَا فَهَجَّتِ رَسِيْسَا
ثُمَّ انصَرَفَتْ وَمَا شَفِيَتْ نَسِيْسَا

فانه لم يرض بحذف علامة النداء من «هذي»
حتى ذكر الرسيس والنسيس، فأخذ بطرفي الثقل
والبرد.

وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى
«براعة الاستهلال» كقول أبي تمام يهنئ المعتصم
بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح
في ذلك الوقت:

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكُتُبِ
فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

بيضُ الصفائحِ لاسودُ الصحائفِ فِي
مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

وقول المتنبي يرثي أم سيف الدولة الحمداني:

نَعُدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي
وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ٢٠٦.

(٢) يتيمة الدهر ج ١ ص ١٦١.

ونرتبطُ السوابقَ مقربات

وما يُنجين من خَبَبِ الليالي

وهذا ما ذهب اليه البلاغيون وأكدوه^(١). ومنهم من يسمي هذا الفن «حسن المطالع والمبادي» كالثعالبي الذي عقد فصلاً للكلام على ابتداءات المتنبي الحسنة، وابن قيم الجوزية الذي قال عنه: «وذلك دليل على جودة البيان وبلوغ المعاني الى الازدهان، فانه أول شيء يدخل الأذن، وأول معنى يصل الى القلب، وأول ميدان يجول فيه تدبر العقل»^(٢). وقسمه الى قسمين:

الأول: جليّ كقوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾^(٣)، وأكثر مطالع سور القرآن الكريم على هذا النمط.

الثاني: خفي كقوله تعالى: ﴿الم. ذلك الكتاب﴾^(٤)، وما يجري مجرى ذلك من السور التي افتتحت بالحروف المفردة والمركبة.

الإبداع:

الابداع من «أبداع» وهو أن يأتي الشاعر بالبدیع، والبدیع: الشيء الذي يكون أولاً^(٥).

والابداع سمة الشاعر المبتكر والكاتب المقتدر، وقد وضعه البلاغيون والنقاد في قمة الانتاج وإن كان قليلاً إذا قيس بغيره. قال ابن رشيق: «الابداع: هو اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تجر العادة بمثله. ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بدیع وإن كثر وتكرر فصار الاختراع للمعنى والابداع للفظ، فاذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بدیع فقد استولى على الأمد وحاز قصب السبق»^(٦).

وقال الوطواط: «قال أرباب البيان إن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعاني البديعة في ألفاظ حسنة بعيدة عن التكلف. وفي رأي أن ذلك لا يدخل في جملة الصناعات لأن كلام العقلاء والفضلاء سواء المنظوم منه أو المنثور يجب أن يكون على هذا النسق فان لم

يكن كذلك اعتبر من أحاديث العوام»^(٧).

وقسم ابن الأثير المعاني الى ضربين:

أحدهما: يتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة. ومن ذلك ما ورد في شعر أبي تمام في وصف مُصَلِّين:

بَكروا وأشروا في مُتونِ ضوامِرِ

قيدتْ لهم من مَرَبَطِ النَّجَارِ

لا يبرحون ومَنْ رَاهم خالَهُم

أبدأ على سَفَرٍ من الأسفارِ

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كلفة كبيرة لشاهد الحال الحاضرة. ومن هذا الضرب ما جاء في شعر المتنبي وفي وصفه الحُمَي، وهو قوله:

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ

فليس تزورُ إلا في الظلامِ

بذلتُ لها المطارفَ والحشايا

فعافتها وباتت في عظامي

كأنَّ الصُّبحَ يَطْردها فتجري

مدامعُها بأربعةِ سِجَامِ

أراقبُ وقتَها من غيرِ شوقِ

مراقبة المشوقِ المستهامِ

(١) التلخيص ص ٤٢٩، الإيضاح ص ٤٢٨، عروس

الأفراح ج ٤ ص ٥٣١، المختصر ج ٤ ص ٥٣١،

المطول ٤٧٧، مواهب الفتح ج ٤ ص ٥٣١.

(٢) الفوائد ص ١٣٧.

(٣) الفاتحة ٢.

(٤) البقرة ٢.

(٥) لسان العرب (بدع).

(٦) العمدة ج ١ ص ٢٦٥.

(٧) حدائق السحر ص ١٨٨.

اصطلحوا على جعل الابداع اسماً للتيان في البيت الواحد والفقرة الواحدة بعدة أنواع من البديع، وسَمَّوا هذا النوع بسلامة الاختراع، ولكل ما اصطلاح^(٧).

فالابداع عند بعضهم هو سلامة الاختراع، والابداع عند آخرين هو أن يكون البيت من الشعر أو الفصل من النثر مشتملاً على عدة ضروب من البديع وهو ما ذهب اليه المصري وتبعه فيه أصحاب البديعيات، ولذلك كان للابداع وسلامة الاختراع تعريفان مختلفان عندهم وإن ذهب المدني الى ان «الابداع» اسم مطابق للمسمى، غير أنه خص بضروب البديع، وخص سلامة الاختراع بالمعنى الجديد.

الإبدال:

الابدال من «أبدل» وأبدل الشيء وبدّله: تخذه منه بدلاً، وأبدلت الشيء بغيره وبدّله الله من الخوف أمناً، وتبدّل الشيء: تغيره، وان لم تأت ببدل^(٨).

وقد أدخله المتأخرون في فنون البديع وقالوا في تعريفه إنه «إقامة بعض الحروف مقام بعض»، وجعل منه ابن فارس «فانفلق» أي: فانفرق، ولذلك قال تعالى: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٩). وعن

وأما الضرب الثاني وهو الذي يُحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جُلُّ ما يستعمله مؤلفو الكلام، ولذلك قال عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عَرَفْتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ^(١)

ولكن قول من قال: «لم يترك المتقدم للمتأخر شيئاً» لا يُؤخذ به؛ لأنّ في كل زمان جديداً وفي كل عصر بديعاً.

وقال المصري: «هو أن تكون مفردات كلمات البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة متضمنةً بديعاً بحيث تأتي في البيت الواحد والقرينة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعداً من البديع ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بابداع»^(٢). واستخرج أحداً وعشرين ضرباً من المحاسن في قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣). ومن هذه الفنون: المناسبة والمطابقة والاستعارة والتمثيل والارداف والتعليل وصحة التقسيم^(٤).

وقال السبكي: «هو ما يبتدع عند الحوادث المتجددة كالأمثال التي تخترع وتضرب عند الوقائع»^(٥)، وهذا ما أفاض في الحديث عنه ابن الأثير عندما تكلم على المعاني.

وذكر السيوطي أنّ الطيّبي سمّى هذا الفن إبداعاً، وسماه أهل البديعيات «سلامة الاختراع»^(٦)، ولكن تعريفهم للأخير يخرجهم من الأول الذي عرّفه المصري ومن سار على نهجته تعريفاً يختلف عن تعريف سلامة الاختراع، قال المدني: «هذا النوع عبارة عن أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه، وسماه بعضهم الابداع وهو اسم مطابق للمسمى غير أن أصحاب البديعيات وكثيراً من علماء البديع

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣١٢.

(٢) تحرير التحبير ص ٦١١، بديع القرآن ص ٣٤٠.

(٣) هود ٤٤.

(٤) السابقان وحسن التوسل ص ٣١٣، نهاية الارب

ج ٧ ص ١٧٥، جوهر الكنز ص ٢٣١، خزانة

الادب ص ٣٧٠، الاتقان ج ٢ ص ٩٦، معترك

الاقران ج ١ ص ٤١٩، أنوار الربيع ج ٥

ص ٣٢٨، نفحات الأزهار ص ٢١٢.

(٥) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣.

(٦) شرح عقود الجمان ص ١٦٣، التبيان في البيان

ص ٢٤٩، شرح الكافية ص ٢٩٢.

(٧) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٠٤.

(٨) اللسان (بدل).

(٩) الشعراء ٦٣.

والابهام عند البلاغيين «إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين»^(٦)، وسماه السكاكي التوجيه، وسماه السيوطي كذلك. ولعله يريد السكاكي حينما قال عن التوجيه: «وعرّفه قوم بأنّ يحتمل الكلام وجهين متباينين من المعنى احتمالاً مطلقاً من غير تقييد بمدح أو ذم أو غيره». وذكر تعريفًا آخر ينطبق على الابهام فقال: «وقوم بأنّ يحتمل معنيين أحدهما مدح والآخر ذم، وهذا رأي لا نرضاه. والذي عليه حدّاق الصنعة وأصحاب البديعيات وأولهم الصفي الحلبي أنّ هذا التفسير للنوع المسمى بالابهام - بالباء الموحدة - كما اخترعه ابن أبي الأصبع وسماه وعرّفه بذلك»^(٧). وقد فرّق المصري بين الابهام والاشترار فقال: «الاشترار لا يقع إلا في لفظة مفردة لها مفهومان لا يعلم أيهما أراد المتكلم، والابهام لا يكون إلا في الجمل المؤتلفة المفيدة ويختص بالفنون كالمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والفخر والرثاء والنسب وغير ذلك، ولا كذلك الاشترار»^(٨)، أي: أنّ الابهام عنده «أنّ يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما على الآخر ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك بل يقصد ابهام الأمر فيهما قصداً»^(٩).

(١) الاسراء ٥.

(٢) الصاحبي ص ٢٠٣، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٨٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٩، معترك الأقران ج ١ ص ٣٩٢، الروض المريع ص ١٤٥.

(٣) الأعراف ٤٠.

(٤) البرهان ج ٣ ص ٤٧.

(٥) اللسان (بهم).

(٦) مفتاح العلوم ص ٢٠٢، وينظر الكشاف ج ١ ص ٤٠٠.

(٧) شرح عقود الجمان ص ١٢٧.

(٨) بديع القرآن ص ٣٠٦، تحرير التعبير ص ٥٩٦.

(٩) السابقان.

الخليل بن احمد في قوله تعالى: ﴿فجاشوا خِلالَ الديار﴾^(١) أنّه أريد فحاسوا، فقامت الجيم مقام الحاء. وحكي عن أبي ريش في قول امرئ القيس:

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ

فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ

معناه «تنسل» فأخرج اللام الثانية ياءً لكسرة اللام الأولى. ومثله قول الآخر:

وَإِنِّي لَأَسْتَنْعِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ

لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا

أراد: استنفس، فأخرج السين ياءً^(٢).

وليس هذا من فنون البديع بل هو من الدراسات اللغوية، ولذلك بحثه ابن فارس في كتابه «الصاحبي» وتحدث عنه اللغويون في مباحثهم، ولكن الباحثين في علوم القرآن كالزركشي والسيوطي عدوه من البديع وبحثوه مع التفويف وتأکید المدح بما يشبه الذم والتقسيم والتدريج.

إبراز الكلام في صورة المُستحيل:

قد يبرز الكلام في صورة المستحيل وذلك على طريق المبالغة ليدل على بقية جملة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٣) وغالى بعض الشعراء في وصف النحول فقال:

ولو أنّ ما بي من جوى وصبابة

على جملي لم يبتق في النار خالداً

وهذا الفن من صور المبالغة المتناهية، ولكن الزركشي تحدث عنه في فنون البديع^(٤).

الإبهام:

الابهام بالباء الموحدة وهو الكلام الموهم لأنّ له أكثر من وجه، وابهام الامر أنّ يشتهه فلا يعرف وجهه وقد أبهمه، واستبهم عليهم الأمر: لم يدروا كيف يأتون له، واستبهم عليه الأمر أي: استغلق^(٥).

فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح لانه يقول: «لم تبلغ ما بلغت بسعيك واهتمامك بل بجد وسعادة، وهذا لافضل فيه؛ لان السعادة تنال الخامل والجاهد^(٥) ومن لا يستحقها»^(٦).

ومن أمثلة الابهام التي ذكرها المدني قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسُنْتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾^(٧). قال الزمخشري: «قولهم: «غير مسمع» حال من المخاطب، أي اسمع وأنت غير مسمع، وهو قول ذو وجهين، يحتمل الذم أي: اسمع منا مدعواً عليك - بلا سمعت - لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع. قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم - لاسمعت - دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه. ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئاً، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه فسمعك عنه ناب. ويجوز على هذا أن يكون «غير مسمع» مفعول «اسمع» أي: اسمع كلاماً غير مسمع اياك لأن أذنك لا تعيه نبواً عنه. ويحتمل المدح أي: اسمع كلاماً غير مسمع مكروها، من قولك اسمع فلان فلانا إذا سبه. وكذلك قولهم «راعنا» يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابقون بها وهي راعينا، فكانوا سخريه بالدين وهزواً برسول الله - صلى الله

(١) حسن التوسل ص ٣١١، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٤، خزانة الأدب ص ٧٩، نفعات ص ٦٦، شرح الكافية ص ٨٩.

(٢) أنوار الربيع ج ٢ ص ٥.

(٣) الحجر ٦٦.

(٤) الطراز ج ٢ ص ٧٨.

(٥) كذا في طبقات المثل السائر، وفي أنوار الربيع ج ٢ ص ١٦؛ الجاهل.

(٦) المثل السائر ج ١ ص ٣٥.

(٧) النساء ٤٦.

وسار البلاغيون على خطأ المصري في التسمية والتعريف^(١)، وقال المدني: «وزاد بعضهم: وينبغي أن يكون المراد انه إذا جرد عن القرائن ولم ينظر الى القائل والمقول فيه كان احتمالاً للمعنيين على السوية»^(٢). وعقد العلوي فصلاً للابهام والتفسير وقال: «إنَّ المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهمًا فانه يفيد بلاغة ويكسبه إعجابًا وفخامة، وذلك لانه إذا قرع السمع على جهة الابهام فان السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب. ومصدق هذه المقالة قوله تعالى: ﴿وَقَضِينَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾^(٣) ثم فسره بقوله: «أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُضْبِحِينَ»^(٤).

ولكن الابهام عند البلاغيين المتأخرين ولا سيما أصحاب البديعيات هو ماذهب اليه المصري الذي ذكر له قول الشاعر مثلاً:

جاءَ من زَيْدٍ قِباءَ

لَيْتَ عَيْنِيهِ سِوَاءَ

فما علم هل أراد أن الصحيحة تساوي السقيمة أو العكس.

ومن إبهام العرب قول رجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم:

تَضَيَّفَنِي وَهَنَا فَقَلتَ أَسَابِقِي

الى الزاد شَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعُ

ولم تلقَ للسعدِيَّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ

من الأرضِ إِلَّا وَهُوَ صَدِيانُ جَائِعُ

فان ظاهر الشعر مبهم معناه فيظن سامعه أنه أراد ضيفاً من البشر فيكون قد هجا به نفسه، وانما هو يصف ذئبا غشي رحله في الليل وهو بالقفر، وهذا فخر محض.

وكان ابن الأثير قد ذكر هذا الفن في الفصل الذي عقده للحكم على المعاني وقال إنَّ المتنبّي كثيراً ما يقصد الابهام في كافورياته، ومن ذلك قوله في كافور:

فما لك تُعْنَى بِالْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا

وَجَدُّكَ طَعْنًا بِغَيْرِ سِنَانٍ

و«عن» ثانياً فمدح وإن عكس فذم إذ يقال: رغب فيه ورغب عنه.

ومنه قول المتنبي في مدح كافور:

ويُغنيك عما يَنْسِبُ الناسُ أنه

اليك تناهى المكرماتُ وتُنسَبُ

فقد يريد به المدح، أو السخرية أي: انه لا نسب لكافور.

وقوله:

وما طرّبي لما رأيتك بدعةً

لقد كُنْتُ أرجو أن أراك فأطربُ

فقد يحتمل السخرية والاستهزاء، أو المدح.

وقوله:

وغير كثير أن يزورك راجلاً

فيرجع ملكاً للعراقيين واليا

فظاهر البيت أن مَنْ رأى كافوراً أفاد منه كسب المعالي، وباطنه أن من رآه على ما به من النقص وقد صار الى الملك ضاق صدره أن يقصر عما بلغه وأن لا يتجاوز ذلك الى كسب المكارم، وكذلك إذا رآه راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقيين.

والابهام فن بديع متسع الباب، والأديب البارع يقدر أن ينزع فيه مذاهب مختلفة، ويفتح أبواباً موصدة.

الاتساع:

قال ابن رشيق: «هو أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى وانما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى»^(٢).

وقال المصري: «هو أن يأتي الشاعر بيت يتسع فيه

(١) الكشف ج ١ ص ٤٠٠.

(٢) العمدة ج ٢ ص ٩٣، وينظر المنزع البديع ص ٤٢٩.

عليه وسلم - يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام. لئلا بالسنتهم: فتلاً بها وتحريفاً، أي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون «راعنا» موضع «انظرنا» و «غير مسمع» موضع: لا أسمعت مكروها. أو يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقاً.

فان قلت: كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرّحوا وقالوا: سمعنا وعصينا؟ قلت: جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء. ويجوز أن يقوله فيما بينهم، ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به»^(١).

ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد ذكر عنده سريح بن الحضرمي وهو من الصحابة: «ذاك رجل لا يتوسد القرآن» فيحتمل وجهين ذكرهما ثعلب عن ابن الأعرابي: أحدهما: المدح وهو انه لا ينام الليل حتى يتوسد القرآن معه فيكون مدحاً.

والثاني: الذم وهو انه ينام ولا يتوسده معه أي لا يحفظه فيكون ذماً.

ومن أمثلة الابهام قول محمد بن حازم الباهلي في الحسن بن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران:

بارك اللهُ لِلْحَسَنِ

ولبورانَ في الحَسَنِ

يا ابنَ هرونَ قد ظفِرَ

تَ ولكن ببنْتِ مَنْ

فلا يعلم ما أراد ب«بنت مَنْ» في الرفعة أو في الحقارة، ولما نمي هذا الشعر الى المأمون قال: «والله ما ندرى أخيراً أراد أم شراً؟».

ومن ذلك قول الشاعر:

ويرغبُ أن يبني المعالي خالداً

ويرغبُ أن يرضى صنيعَ الألائمِ

فان هذا يحتمل المدح والذم لانه إن قَدَّرَ «في» أولاً

- ٩- إنَّ الشَّعْفَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ، وَالْوَتْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ١٠- إنَّ الشَّعْفَ شَفَعَ الْعِشْرَ الَّتِي أَتَمَّ اللَّهُ بِهَا لَيَالِي مُوسَى، وَالْوَتْرَ وَتَرَهَا.
- ١١- إنَّ الشَّعْفَ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةَ، وَالْوَتْرَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ.
- ١٢- إنَّ الشَّعْفَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٧) وَالْوَتْرَ مَنْ تَأَخَّرَ إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ.
- ١٣- إنَّ الشَّعْفَ آدَمَ وَحَوَاءَ، وَالْوَتْرَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.
- ١٤- إنَّ الْوَتْرَ آدَمَ، وَالشَّعْفَ شَفَعَ بِحَوَاءَ.
- ١٥- إنَّ الشَّعْفَ الرَّكْعَتَانِ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ، وَالْوَتْرَ الرَّكْعَةَ الثَّلَاثَةَ.
- ١٦- إنَّ الشَّعْفَ دَرَجَاتِ الْجَنَانِ، لِأَنَّهَا كُلُّهَا شَفَعَ، وَالْوَتْرَ دَرَكَاتِ النَّارِ لِأَنَّهَا وَتَرَ.
- ١٧- إنَّ الشَّعْفَ هُوَ اللَّهُ وَهُوَ الْوَتْرُ أَيْضًا.
- ١٨- إنَّ الشَّعْفَ مَسْجِدًا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَالْوَتْرَ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ.
- ١٩- إنَّ الشَّعْفَ الْقِرَانَ فِي الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ فِيهِ، وَالْوَتْرَ الْإِفْرَادَ فِيهِ.
- ٢٠- إنَّ الشَّعْفَ الْفَرَائِضَ، وَالْوَتْرَ الشُّنْنَ.
- ٢١- إنَّ الشَّعْفَ الْأَعْمَالَ، وَالْوَتْرَ النِّيَّةَ وَهُوَ الْإِحْلَاصُ.
- ٢٢- إنَّ الشَّعْفَ الْعِبَادَةَ الَّتِي تَتَكَرَّرُ كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالْوَتْرَ الْعِبَادَةَ الَّتِي لَا تَتَكَرَّرُ كَالْحَجِّ.
- (١) تحرير التحبير ص ٤٥٤، بديع القرآن ص ١٧٣.
- (٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩.
- (٣) خزنة الأدب ص ٤٢٠.
- (٤) شرح عقود الجمان ص ١٣٩، وينظر الروض المريح ص ١٣١، نفعات ص ١٦٩، شرح الكافية ص ٢٧٨.
- (٥) أنوار الربيع ج ٦ ص ٥٣.
- (٦) الفجر ٣.
- (٧) البقرة ٢٠٣.

- التأويل على قدر قوى الناظر فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه»^(١).
- وقال السبكي: «هو كل كلام تتسع تأويلاته فتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته لنكتة ما كفواتح السور»^(٢).
- وقال الحموي: «هذا النوع أي الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه من المعاني»^(٣).
- وقال السيوطي: «هو أن يأتي بلفظ يتسع فيه التأويل بحسب قوى الناظر فيه وبحسب ما يحتمل اللفظ من المعاني كما وقع في فواتح السور»^(٤).
- وقال المدني: «هذا النوع عبارة عن أن يأتي المتكلم في كلامه نثرًا كان أو نظمًا بلفظ فأكثر يتسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله من المعاني»^(٥).
- وهذه التعريفات ترجع إلى ما بدأه ابن رشيقي وقرره المصري، وهي تشير إلى أن الاتساع يشمل الشعر والنثر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّعْفِ وَالْوَتْرِ﴾^(٦) فقد اتسع التأويل في هاتين اللفظتين على ثلاثة وعشرين قولاً ذكرها المدني وهي:
- ١- هما الزوج والفرد من العدد، وهذا تذكير بالحساب لعظم نفعه.
 - ٢- هما كل ما خلقه الله، لأنَّ الأشياء إمَّا زوج أو فرد.
 - ٣- الشَّعْفُ هُوَ الْخَلْقُ لِكَوْنِهِ أَزْوَاجًا، وَالْوَتْرُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ.
 - ٤- إنَّ الشَّعْفَ صِفَاتِ الْخَلْقِ لِتَبْدِيلِهَا بِأَضْدَادِهَا كَالْقُدْرَةِ وَالْعِجْزِ، وَالْوَتْرَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.
 - ٥- إنَّهُمَا الصَّلَاةُ؛ لِأَنَّ فِيهَا شَفْعًا وَوَتْرًا.
 - ٦- إنَّ الشَّعْفَ النَّحْرَ، وَالْوَتْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ.
 - ٧- إنَّ الشَّعْفَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ وَالْوَتْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ.
 - ٨- إنَّ الشَّعْفَ شَفَعَ الْعِشْرَ الْآخِرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالْوَتْرَ وَتَرَهَا.

بذلك الطهارة والعفاف، كقولهم: أبيض العرض والشيم والحسب. وقيل: أراد أنهم كهول ومشايخ قد حنكهم التجارب وليسوا بالاغمار، وقيل: أراد أنهم ليسوا بعبيد لأن فرق الانسان اذا كان أبيض كان جميع جسده أبيض. وقيل: انحسار الشعر عن مقدم رؤوسهم لمداومتهم لبس البيض والمغافر. وقيل: معناه نحن كرام نكثر استعمال الطيب فايضت مفارقنا لذلك. وقيل: نحن مكشوفو الرؤوس لا عيب فينا فعبّر عن النقاء بالبياض.

ومن ذلك قول المتنبي يذكر الروم:

وقد بَرَدَتْ فوقَ اللقانِ دماؤهم
ونحن أناسٌ نتبعُ الباردَ الشُّخنا^(٣)

أراد: أنا نتبع البارد من الدماء سخنا، كأنه يتوعددهم بقتل آخر، فيكون قد أخذه من قول سُويد بن كراع يصف كلابا وثورًا:

فهزَّ عليه الموت والموتُ دونه
على رَوْقه منه مُذابٌ وجامدُ^(٤)

يعني بالمذاب الحار، وبالجامد البارد، ويجوز أن يكون المتنبي أراد: ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا، وكذلك أيضًا عادتنا في الدماء.

اتِّساقُ البناء:

يقال: وسق الليل واتسق أي انضم، والطريق يأتسق ويتسق: ينضم، واتسق القمر: استوى، واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة، وقال الفراء: الى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه^(٥).

(١) العمدة ج ٢ ص ٩٣.

(٢) تحرير التحرير ص ٤٥٥.

(٣) اللقان موضع ببلاد الروم.

(٤) روقه؛ قرنه.

(٥) اللسان (وسق).

٢٣- إنَّ الشفع الروح والجسد إذا كانا معًا، والوتر الروح بلا جسد، فكأنه - تعالى - أقسم بها في حالتي الاجتماع والافتراق.

ومن الاتساع فواتح السور المشتملة على حروف التهجي، فإنَّ التأويل فيها متسع أيضًا.

ومن أمثله الشعرية قول امرئ القيس:

مِكرٍ مِفْرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مِعًا
كجلمودٍ صخرٍ حَطَّه السيلُ من عَلٍ

فانه أراد أنه يصلح للكر والفر ويحسن مقبلاً مدبراً، ثم قال «معًا» أي جميع ذلك فيه وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل، فاذا انحط من عالٍ كان شديد السرعة فكيف اذا أعانته قوة السيل من ورائه. وذهب قوم الى أن معنى قوله: «كجلمود صخر حطه السيل من علي» انما هو الصلابة؛ لان الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والرياح كان أصلب. وقال بعضهم: إنما أراد الافراط فرعم أنه يرى مقبلاً ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته واعترض على نفسه واحتج بما يوجد عياناً فمثله بالجلمود المنحدر من قنة الجبل، فانك ترى ظهره في النصبه على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل اليك. وقال ابن رشيق بعد هذه التفسيرات: «ولعل هذا ما مرّ ببال امرئ القيس، ولا خطر في وهمه، ولا وقع في خلده ولا روعه»^(١). وقال المصري أيضًا: «ولم تخطر هذه المعاني بخاطر الشاعر في وقت العمل، وانما الكلام إذا كان قويًا من مثل هذا الفحل احتمال لقوته وجوها من التأويل بحسب ما تحتمل ألفاظه وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه ولذلك قال الاصمعي: «خير الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة»^(٢).

ومنه قول الحماسي:

بيضُ مفارقنا تغلي مراجلنا
نأسوا بأموالنا آثارَ أيدينا

فإنَّ التأويل اتسع في قوله: «بيض مفارقنا» فقيل: أراد

القلزم، فظفر الحاجب بهم فقال ابن أبي حصينة في تهنتته مخاطبًا للافرنج:

عَدُّوكم لؤلؤً والبحرُ مَسْكَنُهُ

والدُرُّ في البحر لا يَخْشَى من الغَيْرِ

ثم قال بعد أبيات مخاطبًا الملك الناصر - رحمه الله -.

فامرُ حسامك أن يحظى ينحرفهم

فالدُرُّ مذ كان منسوبًا الى البَحْرِ^(٧)

ثم قال: «ومن الاتفاق ان يتفق للشاعر أسماء لممدوحه ولآبائه يمكنه أن يستخرج منها مدحًا لذلك الممدوح ولو لم تتفق تلك الاسماء على ما هي عليه لما اتفق استخراج ذلك المدح كقول أبي نواس:

عبَّاسُ عَبَّاسٌ إذا احتَدَمَ الوغى

والفَضْلُ فَضْلٌ والرَّبِيعُ رَبِيعٌ

وقد وقع في هذا البيت مع لطيف الاتفاق مليح الازدواج في قوله: «عباس عباس» و«الفضل فضل» و«الربيع ربيع». ولأبي نواس من القسم الاول من الاتفاق ما لم يتفق مثله في مرثية يرثي بها خلفًا الاحمر:

وكانَ مما مضى لنا خَلْفًا

وليس إذ بان منه من خَلْفِ

(١) جواهر الالفاظ ص ٣.

(٢) الشبم؛ البارد. الاراك والسلم؛ من أنواع النبات الطيب. اللجين - بفتح اللام - الخبط وذلك ان ورق الاراك والسلم يخبط حتى يسقط ويجف ثم يدق حتى يتلجن أي يتلجج. الدرین؛ حطام المرعى إذا تناثر وسقط على الارض. اللبين؛ المدر للبن. يعني ان النعم اذا رعت الاراك والسلم غزرت ألبانها (النهاية في غريب الحديث ج ٤ ص ٢٢٩).

(٣) قواعد الشعر ص ٥٩.

(٤) اللسان (وقف).

(٥) البديع في نقد الشعر ص ٨٧.

(٦) الفوائد ص ٢٤٣.

(٧) تحرير التحبير ص ٥٠٣.

وذكر قدامة «اتساق البناء»^(١) وقرنه بالسجع ولم يعرفه وانما قال إنه كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لجرير بن عبد الله البجلي: «خير الماء الشبم، وخير المال الغنم، وخير المرعى: الأراك والسلم، إذا سقط كان لجينا، وإذا يبس كان درينا، وإذا أكل كان لبينا»^(٢).

اتساق النظم:

هذا الفن من صفات الشعر الجيد، وقد ذكره ثعلب وقال إنه «ما طاب قريضه، وسلم من السناد والاقواء والاكفاء والاجازة والايطاء وغير ذلك من عيوب الشعر، وما قد سهّل العلماء إجازته من قصر ممدود، ومدّ مقصور، وضروب آخر كثير وإن كان ذلك قد فعله القدماء وجاء عن فحولة الشعراء»^(٣).

ومعظم الشعر يتصف باتساق النظم، ولا يخرج منه إلا ما وقع فيه عيب أو ضرورة.

الاتفاق:

الاتفاق: التوافق والتظاهر، والوفاق الموافقة، ووفق الشيء ملاءمه، وقد وافقه موافقة ووفقا واتفق معه وتوافقا^(٤).

والاتفاق: «هو أن يتفق للشاعر شيء لا يتفق عاجلاً كثيراً»^(٥)، وقد سماه ابن منقذ وابن قيم الجوزية «الاتفاق والاطراد»، وقد عرفه الأول بما تقدم وعرفه الثاني بمثل ذلك التعريف^(٦).

وسماه المصري والسيوطي والمدني «الاتفاق» وعرفوه بما يشبه التعريف السابق فقال المصري: «هو أن تتفق للشاعر واقعة تعلمه العمل في نفسها فان للسبق الى معاني الوقائع التي يشترك الناس في مشاهدتها أو سماعها فضلاً لا يجحد كما اتفق لبعض شعراء مصر، ويقال إنه الرضي بن أبي حصينة وقد أغزى الملك الناصر صلاح الدين حاجبه حسام الدين لؤلؤ الافرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا
فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ
فَقَوْلُهُ «ظَالِمِينَ» حَشَوْهُ بِهَ الْوِزْنَ وَبَالَغَ فِي
الْمَعْنَى أَشَدَّ مِبَالِغَةً مِنْ جِهَتِهِ.

إثبات الشيء للشيء:

سماه المصري «اثبات الشيء للشيء ينفيه عن غير
ذلك الشيء»، وقد عرّفه بقوله: «هو أن يقصد المتكلم
أن يفرد انسانا بصفة مدح لا يشركه فيها غيره فينفي
تلك الصفة في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها له
خاصة»^(٧).

وذكر السبكي هذا الفن ولم يعرفه، واكتفى بذكر
مثال له^(٨).

ومثاله قول الخنساء في أخيها صخر:
وما بَلَغَتْ كَفُّ امْرِئٍ مِتْنَاوَلًا
من المجد إلا والذي نِلْتَ أَطْوَلُ
وما بلغ المهدون للناس مِدْحَةً
وإن أطنبوا إلا الذي فيك أَفْضَلُ
فتناوله أبو نواس فقال في الأمين:
إذا نحن أثينا عليك بصالح
فأنت كما نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي
وإن جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ مَنَا بِمِدْحَةٍ
لغيرك انسانًا فأنت الذي نَعْنِي

(١) خزانة الأدب ص ٣٦٩، نفحات ص ٢١٨.
(٢) شرح عقود الجمان ص ١٣٦، شرح الكافية
ص ٢٥٢.

(٣) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٦٤.

(٤) السلامان؛ شجر وماء لبني شيبان، واسم.

(٥) اللسان (وكأ).

(٦) العمدة ج ٢ ص ٦٩.

(٧) بديع القرآن ص ٣٠٣.

(٨) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠.

فانه اتفق له من اسم المرثي تورية حسنت موقع
هذا البيت الى أن أتى في الطبقة العليا والغاية
القصوى». ونقل الحموي هذا التعريف^(١).

وقال السيوطي: «وهو عزيز الوقوع جدًا، وهو أن
يتفق للشاعر واقعة واسم مطابق لتلك الواقعة»^(٢).

وقال المدني: «هذا النوع وإن سُمي بالاتفاق إلا
أنه قليل الاتفاق لعزّة وقوعه، وهو عبارة عن أن يتفق
للمتكلم واقعة وأسماء يطابقها إما مشاهدة أو
سَماعًا»^(٣).

ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام:

لسلمى سلامان وعمرة عامر
وهندبني هند وسعدى بني سعد^(٤)

ومن ذلك ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي
الواعظ في الوزير مؤيد الدين العلقمي حيث قال:

يا عُصْبَةَ الْإِسْلَامِ نُوحِي وَالطَّمِي
حُزْنًا عَلَى مَا حَلَّ بِالْمُسْتَعْصِمِ
دَسْتُ الْوِزَارَةَ كَانَ قَبْلَ زَمَانِهِ
لَابِنِ الْفِرَاتِ فَصَارَ لَابِنِ الْعَلْقَمِيِّ

فاتفق أن المذكورين كانا وزيرين وأن المورّي
بهما نهران، وقد طابقت النظم بينهما بالفرات الحلو
والعلقم المر.

الاتكاء:

الاتكاء: الاحتمال على الشيء والاعتماد عليه،
يقال: توكأ على الشيء واتكأ: تحمل واعتمد فهو
متكئ، واتكأت الرجل اتكأ إذا وسدته حتى يتكئ^(٥).

والاتكاء الحشو الذي يحتمل عليه ويعتمد، قال
ابن رشيق هو: «أن يكون في داخل البيت من الشعر
لفظ لا يفيد معنى وانما أدخله الشاعر لاقامة الوزن،
فان كان ذلك في القافية فهو استدعاء. وقد يأتي في
حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه»^(٦).

ومن ذلك قول ابن المعتز:

كأننا مع الجدران في جنّباته
 دُمى في انقطاع الرزق لا في المحاسن
 لما كانت الدمى موصوفة بهاتين الصفتين وكانت
 احدهما لائحة بالمعنى الذي قصده أثبتها ونفى ما
 عداها من الصفة التي لا تليق بغرضه.
 ولكن هذين الفنين فن واحد وقد استدرك
 المصري على نفسه في الحاشية فقال: «قد عثرت
 على أن هذا الباب لمن تقدمني من جهة تسميته لا
 من جهة شواهد فسميته «اثبات الشيء للشيء بنفيه
 عن غير ذلك الشيء وتنزل باب السلب والايجاب بعد
 باب الاستثناء في أبواب من تقدمني». ولكن الأمثلة
 التي ذكرها للفنين واحدة، وبذلك لم يكن هذا الفن
 من مبتدعاته أو مختلفاً عن السلب والايجاب.

الإجازة:

الاجازة مشتقة المعنى من الاجازة في السقي،
 يقال: أجاز فلان فلاناً إذا سقى له أو سقاه. ويقال
 للذي يرِدُ على أهل الماء فيستقي: مُستجيز، قال
 القطامي:

وقالوا فقيم قيم الماء فاستجز

عبادة إن المستجيز على قتر^(٤)

ويجوز أن يكون من «أجزت عن فلان الكأس» إذا
 تركته وسقيت غيره، فجازت عنه دون أن يشربها.

والاجازة في الشعر أن تتم مصراع غيرك، وقيل:
 الاجازة في الشعر أن يكون الحرف الذي يلي حرف
 الروي مضموماً ثم يكسر أو يفتح ويكون حرف الروي

(١) الأنفال ١٧.

(٢) بديع القرآن ص ٣٠٤، وينظر تحرير التحبير
 ص ٥٩٤.

(٣) تحرير التحبير ص ٥٩٣.

(٤) استجز؛ اطلب ان تسقى ابلك. على قتر؛ على
 خوف، ويقال على خطر وحذر من أن لا
 يسقى.

قال المصري: «ومن هذا الباب قسم يقع في
 التشبيه والاحبار، وهو أن يكون للمشبه أو المخبر
 عنه صفات فيعمد المتكلم الى نفي بعضها نفياً يلزم
 منه اثبات ما في تلك الصفات له، كقول رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - لعلي - عليه السلام - «اما
 ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا
 نبي بعدي» فسلبه النبوة مستثنياً لها من جميع ما كان
 لها من موسى - عليهما السلام -

ومن القسم الأول من هذا الباب جميع
 معجزات الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه -
 هي، فان صورة المعجزة تنسب للنبي الذي جاءت
 على يده وتعدّ من فعله مجازاً، وهو في الحقيقة
 فعل الله تعالى، ومن ذلك في الكتاب العزيز قوله
 تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١)،
 فاثبت الرمي للنبي صلى الله عليه وسلم - إذ
 جاءت صورته على يده ونفى معناه عنه إذ كان
 لا يتأتى مثل ذلك الرمي إلا من الله سبحانه، فان
 كل حصاة أصابت عين كل انسان من القوم، وهذا
 لا يكون إلا من فعل الله تعالى^(٢).

وذكر المصري أن هذا الفن من مبتدعاته وسماه
 في «تحرير التحبير»: باب السلب والايجاب وعرفه
 مثل تعريف الأول فقال: «هو ان يقصد المادح أن
 يفرد ممدوحه بصفة مدح لا يشركه فيها غيره
 فينفياها في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها
 لممدوحه بعد ذلك»^(٣). وذكر الأمثلة السابقة
 وأكملها بقول الشاعر:

فَصِرْتُ كَأَنِّي يُوسُفُ بَيْنَ إِخْوَتِي

وَلَكِنْ تَعَدَّتْنِي النَّبِيُّوَةُ وَالْحُسْنُ

فسلب نفسه هاتين الصفتين من صفات يوسف - عليه
 السلام - ليثبت ما عداهما مما امتحن به يوسف من
 اخوته، وهذا البيت وإن كان من شواهد الاستدراك
 فهو مما يليق أن يُستشهد به ههنا.

ومن ذلك قول ابن الرومي:

مقيداً. والاجازة في قول الخليل: أن تكون القافية طاءً والأخرى دالاً ونحو ذلك، وهو الكفاء في قول أبي زيد، ورواه الفارسي: الاجازة بالراء غير معجمة^(١).

فالاجازة «بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً يزيد على ما قبله، وربما أجاز بيتاً أو قسيماً بأبيات كثيرة»^(٢). فأما ما أجز فيه قسيم بقسيم فقول بعضهم لأبي العتاهية: أجز: «برد الماء وطابا»، فقال: «حبذا الماء شراباً». وأما ما أجز فيه بيت بيت فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليلة:

متاريك أذئاب الامور إذا اعترت

أخذنا الفروع واجتنبنا أصولها

وأجبل فقالت ابنته: يا أبت ألا أجزك عنه؟ فقال: أو عندك ذاك؟ قالت: بلى. قال: فافعلي، فقالت:

مقاويل للمعروف حُرْسٌ عن الحنا

كِرَامٌ يُعَاطُونَ العشيرة سُولها

قال: فحمى الشيخ عند ذلك فقال:

وقافية مثل السنان ردفها

تناولت من جَوِّ السماء نزولها

فقالت ابنته:

براهها الذي لا يَنْطِقُ الشعر عنده

ويعجز عن أمثالها أن يقولها

وذكر أن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء فقال: أجزني عني هذا البيت:

أهدى له أحبُّهُ أترجَّة

فبكى وأشفق من عيافة زاجر

فقالت غير مفكرة:

خاف التلوّن إذ أتته لأنَّها

لونان باطنها خلاف الظاهر

وأما ما أجز فيه قسيم بيت بيت ونصف فقول الرشيد للشعراء: أجزوا: «المُلْكُ لله وحده» فقال الجماز:

وللخليفة بعده

وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول العباس بن الأحنف:

أمتي تخاف انتشار الحديد

ث؛ وحظي في ستره أوفر

فصنع القصيدة المشهورة:

هواك هواي الذي أضمر

وسرّك سرّي فما أظهر

إلا أنه خرج فيها عن المقصد.

والاجازة ليست فناً بديعاً كالجناس أو التورية وإنما يدخل في الكلام على الشعر، ولم يدخل في المعجم إلا لأنه قرن الى التضمين كما فعل ابن رشيق حينما عقد باباً واحداً للاجازة والتضمين.

الاجتلاب:

اجتلاب الشعر سوقه واستمداده من الغير، وهو من اجتلب أي ساق واستمد^(٣).

وقرن الحاتمي والصنعاني الاجتلاب بالاستلحاق، وقال الثاني عن الأخذ والاستعانة: «فمنها المحمود ومنها المذموم، فأحد رتبة أن يأخذ اللفظ جميعاً والمعنى كالبيت والبيتين والسجع التام والسجعيتين وذلك على وجهين: إما أن يكون اجتلاباً واستلحاقاً فلا يدعي أنه له، بل يستعين به ويكون مقرراً به، مثل ما فعل عمرو بن كلثوم بيتي عمرو ذي الطوق وهما:

صَدَدَتِ الكأسُ عِنا أمَّ عَمْرُو

وكان الكأسُ مجراها اليمين

(١) العمدة ج ٢ ص ٥٠، اللسان (جوز).

(٢) العمدة ج ٢ ص ٨٩، وينظر نظرة الأغرير ص ١٩٤ وما بعدها.

(٣) اللسان (جلب).

يُسمى البيت يأخذه الشاعر على طريق التمثيل فيدخله في شعره اجتلاباً واستلحاقاً فلا يرى ذلك عيباً. وإذا كان الأمر كذلك فلعمري إنه لا عيب فيما هذه سبيله»^(٤).

الأحاجي:

يقال: كلمة مُحجّية أي مخالفة المعنى للفظ، وهي الأحجية والأحجوة، والأحجية والحجّية لعبة وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم، وهي من نحو قولهم: أخرج ما في يدي ولك كذا. وفلان يأتينا بالأحاجي أي بالأغاليط^(٥).

والأحاجي هي الأغاليط من الكلام وتسمى الألغاز، وقد يُسمّى هذا النوع: «المعمّى»، قال ابن الأثير: «وإما اللغز والأحجية فانهما شيء واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقةً ولا مجازاً ولا يفهم من عرضه لأنّ قول القائل في الضرس:

وصاحبٍ لا أمل الدهر ضحبتَه

يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهدٍ

ما إن رأيت له شخصاً فمذ وقعت

عيني عليه افترقنا فرقة الأبد

لا يدلُّ على أنّه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم، وإنما هو شيء يحبس ويحزر»^(٦). ثم قال: «وإذا ثبت هذا فاعلم أنّ هذا الباب الذي هو اللغز والأحجية والمعّمّى يتنوع أنواعاً: فمنه المصحّف، ومنه

(١) الرسالة العسجدية ص ٥٢، وينظر حلية

المحاضرة ج ٢ ص ٥٨.

(٢) القعب؛ القدح الضخم.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٢٨٣.

(٤) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٥٨.

(٥) اللسان (حجا).

(٦) المثل السائر ج ٢ ص ٢٢٤.

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو

بصاحبك الذي لا تُصبحينا

فانه استلحقه بكلمته «ألا هبي بصحنك فاصبحينا»^(١).

وكان ابن رشيق قد ذكر البيتين وقال: «وربما اجتلب الشاعر البيتين فلا يكون في ذلك بأس كما قال عمرو ذو الطوق: صددت... فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته، وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً، وقد يصنع المحدثون مثل ذلك. قال زياد الاعجم:

أشم إذا ما جئت للعرّف طالباً

حباك بما تحوي عليه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه

لجاد بها فليتنق الله سائله

واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو في شعره. وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب:

ستعلم من يكون أبوه قيناً

ومن كانت قصائده اجتلاباً

فإنما وضع الاجتلاب موضع السرقة والانتحال لضرورة القافية، هكذا ذكر العلماء من هؤلاء المحدثين، وأما الجمحي فقال: من السرقات ما يأتي على سبيل المثل اجتلاباً مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي:

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا^(٢)

ثم قال بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه، فبنو عامر ترويه للجعدي، والرواة مجمعون انه لأبي الصلت، فقد ذهب الجمحي في الاجتلاب مذهب جرير أنه انتحال، ولم أر مُحدثاً غيره يقول هذا القول»^(٣).

فالاختلاف والاستلحاق ليسا عيباً، والى ذلك ذهب الحاتمي وقال: «وبعض العلماء لا يراهما عيباً، ووجدت يونس بن حبيب وغيره من علماء الشعر

الإحالة:

قال الدمنهوري: «الاحالة مصدر أحلته على كذا، وهي قسمان: خفية وجلية، كقوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾^(٢) إحالة على قوله: ﴿واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما يُنسيئك الشيطانُ فلا تقعدُ بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾^(٣)، وكقوله: ﴿وآتينا داودَ زبوراً﴾^(٤). والإحالة في الآية الأولى ظاهرة وفي الثانية خفية لما قيل إنها إحالة على قوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾^(٥)، لتضمنه تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم»^(٦).

الاختباك:

الاختباك: شدّ الأزار، وكل شيء أحكمته وأحسنّت عمله فقد اختبكته، والمحبوك ما أجيد عمله، والحبك: الشد والاحكام^(٧). وكان الاختباك مأخوذ من الشد والاحكام، وقد أشار الى ذلك السيوطي بقوله: «ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والاحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبكُ الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفرج وشدّه، وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن

(١) العقيم: الذي لا يلد. الحوالك: جمع حالكة وهي السوداء. المرابض؛ جمع مريض، وهو مأوى الغنم والوحش. يريد انه حشا الماء سفنا عادية بغير قوائم وبطنونها عقم لانها لا تلد وهي سود الألوان لانها مقيرة. ويريد بالبيت الثاني ان السفن تحمل الجواري التي سبتها الفوارس.

(٢) النساء ١٤٠.

(٣) الانعام ٦٨.

(٤) النساء ١٦٣.

(٥) الأنبياء ١٠٥.

(٦) حلية اللب ص ١٦٩.

(٧) اللسان (حبك).

المعكوس، ومنه ما ينقل الى لغة من اللغات غير العربية كقول القائل: اسمي اذا صحفته بالفارسية آخر، وهذا اسمه اسم تركي وهو «دنكر» - بالدال المهملة والنون - وآخر بالفارسية «ديكر» - بالدال المهملة والياء المعجمة بثنتين من تحت - واذا صحفت هذه الكلمة صارت «دنكر» - بالنون - فانقلبت الياء نوناً بالتصحيف، وهذا غير مفهوم إلا لبعض الناس دون بعض. وانما وضع واستعمل لانه مما يشحذ القريحة ويحدّ الخاطر؛ لانه يشتمل على معاني دقيقة يحتاج في استخراجها الى توقد الذهن والسلوك في معاريج خفية من الفكر. وقد استعمله العرب في اشعارهم قليلاً، ثم جاء المحدثون فأكثروا منه، وربما أتى منه بما يكون حسناً وعليه مَسْحَة من البلاغة، وذلك عندي بين بين فلا أعدّه من الأحاجي ولا أعدّه من فصيح الكلام».

ومن الأحاجي قول بعضهم:

سَبَّعَ رَواحِلُ ما يُنْحَنَ من الوَنا
شَيْمٌ تُساقُ بسبعةِ زُهْرٍ
متواصلات لا الدؤوبُ يَمَلِّها
باقٍ تعاقبها على الدَّهْرِ

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام الزمان ولياليه، وهي الاسبوع، فان الزمان عبارة عنه.

وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبي في وصف السفن:

وحشاه عاديةً بغير قوائم
عُقْمَ البطون حوالكَ الألوان
تأتي بما سَبَّتِ الخيولُ كأنَّها

تحت الحسان مرابضُ الغزلان^(١)

وقد ورد من الألغاز شيء في كلام العرب المنثور غير أنه قليل بالنسبة الى ما ورد في أشعارها، وليس في كتاب الله شيء منها، لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز.

واخراجها تخرج، إلا انه قد عرض في هذه المادة تناسب بالطباق فلذلك بقي القانون فيه الذي هو نسبة الأول الى الثالث، ونسبة الثاني الى الرابع على حالة الاكثرية فلم يتغير عن موضعه ولم يجعل بالنسبة التي بين الاول والثاني، وبين الثالث والرابع وهي نسبة النظير، كقول الشاعر:

واني لتعروني لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

أي: هزة بعد انتفاضة كما انتفض العصفور بلله القطر ثم اهتز.

وقد يحذف من الأول دلالة الثاني عليه، وقد يعكس، وقد يحتمل اللفظ الأمرين. فالاول: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٧) في قراءة من رفع «ملائكته» أي: أن الله يصلي فحذف من الأول دلالة الثاني عليه وليس عطفًا عليه.

والثاني: كقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(٨) أي: ما يشاء.

والثالث: كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^(٩)، فقد قيل: إن «أحق» خبر عن اسم الله تعالى، وقيل بالعكس.

الاحتجاج النظري:

احتج بالشيء اتخذه حجة، والحجة البرهان

- (١) الاتقان ج ٢ ص ٦٢، شرح عقود الجمان ص ١٣٣، معترك الأقران ج ١ ص ٣٢٣.
- (٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ١٢٩.
- (٣) الاتقان ج ٢ ص ٦١، شرح عقود الجمان ص ١٣٣، معترك ج ١ ص ٣٢١.

(٤) هود ٣٥.

(٥) الانبياء ٥.

(٦) النمل ١٢.

(٧) الاحزاب ٥٦.

(٨) الرعد ٣٩.

(٩) التوبة ٦٢.

والرونق وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكًا له مانعًا من خلل يطرقة فسدد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق^(١).

والاحتباك أحد أقسام الحذف وقد سماه الزركشي «الحذف المقابلي» وعرفه بقوله: «هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه»^(٢). وذكره السيوطي باسم «الاحتباك» وقال عنه: «وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وقل من تنبه له أو تنبه عليه من أهل البلاغة، ولم أره إلا في شرح بديعية الاعمى لرفيقه الاندلسي وذكره الزركشي في البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه «الحذف المقابلي»، وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي. قال الاندلسي في شرح البديعية: من أنواع البديع الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وفي الثاني ما أثبت نظيره في الأول»^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه، قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تُجرمون﴾^(٤). الأصل: فان افتريته فعلي إجرامي وانتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون. فنسبة قوله تعالى: ﴿إجرامي﴾ وهو الاول إلى قوله: ﴿وعليكم إجرامكم﴾ وهو الثالث كنسبة قوله: ﴿وانتم برآء منه﴾ وهو الثاني الى قوله تعالى: ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ وهو الرابع، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما.

ومنه قوله تعالى: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾^(٥) تقديره: إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فاتوا بآية.

ومنه قوله تعالى: ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾^(٦)، تقديره: أدخل يدك تدخل

والدليل، وأحج خصمي أي أغلبه بالحجة^(١).

والاحتجاج النظري لون من ألوان الكلام، وسماه بهذا الاسم جماعة منهم أبو حيان الاندلسي وابن قِيم الجوزية وابن النقيب^(٢)، وسماه الزركشي «إلجام الخصم بالحجة»^(٣)، ولكن البلاغيين يسمونه «المذهب الكلامي». وحقيقة هذا النوع احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم وابطال ما أورده الخصم. وسمي المذهب الكلامي لأنه «يُشلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم. والمراد بأهل الكلام علماء أصول الدين»^(٤).

والمذهب الكلامي هو الفن الخامس من بديع ابن المعتز، قال: «وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أنني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو يُنسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»^(٥) ولم يحدد هذا الفن، ولعله يريد به اصطناع أساليب الفلاسفة والمتكلمين في الجدل والاستدلال، ولذلك نفاه عن القرآن الكريم. ولم نعثر في كتب الجاحظ المعروفة على هذا المصطلح، ولكنه يسخر أحياناً من الذين يتكلفون أداء الكلام تشبهاً بالمتكلمين^(٦).

والمذهب الكلامي عند المتأخرين هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، وذلك أن يكون بعد تسليم المقدمات مقدمة مستلزمة للمطلوب، وهذا ما نجده في كتاب الله وكلام العرب الذي استشهد به البلاغيون. وقد ذكره العسكري وأشار إلى أن ابن المعتز نسبه إلى التكلف^(٧)، وتحدث في أول كتاب الصناعتين عن وضوح الدلالة وقرع الحججة وهو مما يدخل في هذا الباب. قال: «ومن وضوح الدلالة وقرع الحججة قول الله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟ قُلْ: يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾»^(٨). فهذه

دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على إعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها؛ لأنّ الاعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء، ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾^(٩)، فزادها شرحاً وقوة؛ لأنّ مَنْ يُخْرِجُ النَّارَ مِنْ أَجْزَاءِ الْمَاءِ وَهُمَا ضِدَانٌ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ مَا أَفْنَاهُ. ثم قال تعالى: ﴿أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^(١٠) فقواها أيضاً وزاد في شرحها وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد لأنّ إعادة الخلق ليست بأصعب في العقول من خلق السماوات والأرض ابتداءً^(١١). وهذا هو المذهب الكلامي عند المتأخرين، أما ما ذكره في فصل المذهب الكلامي فهو متابعة لابن المعتز في معنى هذا الفن وأمثله^(١٢).

وتحدث عنه ابن رشيق في باب التكرار ونقل كلام ابن المعتز وأمثله، وأقرّ بذلك النقل فقال: «وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبدالله بن المعتز إلا ما لاخفاء به عن أحد من أهل التمييز، واضطرني إلى ذلك قلة الشواهد فيه إلا ما ناسب قول أبي نواس:

سَخُنْتُ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودِ حَتَّى
صِرْتُ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ

- (١) اللسان (حجج).
- (٢) البحر المحيط ج ٣ ص ٨٩، ٣٠٥، ج ٥ ص ٣٥٠، الفوائد ص ١٣٦، شرح عقود الجمان ١٢٣، حلية اللب ١٢٤.
- (٣) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٦٨.
- (٤) جوهر الكنز ص ٣٠٢.
- (٥) البديع ص ٥٣.
- (٦) الحيوان ج ٥ ص ١٠ وما بعدها.
- (٧) كتاب الصناعتين ص ٤١٠.
- (٨) يس ٧٨ - ٧٩.
- (٩) يس ٨٠.
- (١٠) يس ٨١.
- (١١) كتاب الصناعتين ص ١٧ - ١٨.
- (١٢) كتاب الصناعتين ص ٤١٠.

تقطع المعاند له فيه؛ لأنه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية. وهو الذي نسبت تسميته الى الجاحظ وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد في الكتاب العزيز وهو محشو منه^(٤).

وبدأ هذا الفن يدخل في المحسنات المعنوية على يد أصحاب بلاغة السكاكي وقد عرّفه ابن مالك بقوله: «المذهب الكلامي أن تُوردَ مع الحكم ردًّا لمنكره حجة على طريق المتكلمين أي صحيحة مسلمة الاستلزام. وينقسم الى منطقي وجدلي، فالمنطقي ما كانت حجته برهانا يقيني التأليف قطعي الاستلزام، والجدلي ما كانت حجته أمانة ظنية لا تفيد إلا الرجحان. وأول من ذكر المذهب الكلامي الجاحظ وزعم أنه ليس في القرآن منه شيء^(٥)، ولعله انما عنى القسم المنطقي فان الجدلي في القرآن منه كثير^(٦).

وقال الحلبي: «هو ايراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام»^(٧).

وقال ابن الأثير الحلبي: «وحقيقة هذا النوع احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما أدعاه المتكلم وإبطال ما أورده الخصم»^(٨).

وسار القزويني وشراح تلخيصه على مذهب ابن مالك في إدخال هذا الفن في المحسنات المعنوية

(١) العمدة ٢ ص ٨٠.

(٢) العمدة ج ٢ ص ٧٩.

(٣) الوافي ص ٢٨٨، قانون البلاغة ص ٤٥٤.

(٤) تحرير التحرير ص ١١٩، بديع القرآن ص ٣٧.

(٥) هذا زعم ابن المعتز.

(٦) المصباح ص ٩٤، وينظر عروس الافراح ج ٤ ص ٣٦٩.

(٧) حسن التوسل ص ٢٢١، نهاية الارب ج ٧ ص ١١٤.

(٨) جوهر الكنز ص ٣٠٢.

لا يَعْجَبُ السامعونَ من صِفتي
كذلك الثلجُ باردٌ حارٌ
فهذا مذهب كلامي فلسفي^(١). ولكنه وجد أمثلة هي أولى بهذه التسمية مما ذكره المؤلفون كنحو قول ابراهيم بن المهدي يعتذر الى المأمون من وثوبه على الخلافة:

البُرُّ منك وطاءُ العذْرِ عندك لي
فيما فَعَلْتَ فلم تعدلْ ولم تَلْمِ
وقام عِلْمُكَ بي فاحتجَّ عندك لي
مقامَ شاهدٍ عَدَلٍ غيرِ مُتَّهِمِ
وقول أبي عبدالرحمن العطوي:

فَوَحِيَ البَيانَ يَعْضُدُهُ البُرُّ
هانُ في مَأْقِطِ ألدِّ الخِصامِ
ما رأينا سوى الحبيبةِ شيئاً
جَمَعَ الحُسْنَ كُلَّهُ في نِظامِ
هي تجري مجرى الاصابة في الرأ
ي ومجرى الأزواج في الأجسام^(٢)

وبدأ المذهب الكلامي يأخذ صورته الواضحة في كتب البلاغة، فالتبريزي علّق على أبيات النابغة الذبياني:-

ولكنني كُنْتُ امرءً لي جانِبُ
من الأرض فيه مُشْتَرَاؤٌ وَمَذْهَبُ
مُلوكٍ وإخوانٌ إذا ما لقيتهم
أَحْكَمُ في أموالهم وأقْرَبُ
كفعلِكَ في قوم أراك اصطنعتهم
فلم تَرَهُمْ في مثل ذلك أذنبوا

بقوله: «أي لا تلمني في مدحي آل جفنة وقد أحسنوا اليّ كما لو أحسنت الى قوم فشكروا لك ولم تَر ذلك ذنبًا. وهذه طريقة الجدل، وانما اتفق له بجودة القريحة وفضل التمييز»^(٣).

وقال المصري: «المذهب الكلامي عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية

ولا يقدرُ على عموم الناس بشدة العذاب إلا من هو على كل شيء قدير، فالله على كل شيء قدير. وأخبر أن الساعة يجازي فيها من يجادل في الله بغير علم، ولا بد من مجازاته، ولا يجازي حتى تكون الساعة آتية. ولا تأتي الساعة حتى يبعث من في القبور فهو يبعث من في القبور وإن الله ينزل الماء على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من في القبور، وإن الله يبعث من في القبور»^(١١).

وذكر المصري أن من هذا الباب جواب سؤال مقدر كقوله تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه﴾^(١٢) لأن التقدير أن قائلًا قال بعد قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾^(١٣)، فقد استغفر إبراهيم لأبيه فأخبر بقوله: ﴿وما كان استغفار إبراهيم﴾ والله أعلم^(١٤).

فالمذهب الكلامي من أساليب القرآن الكريم وكلام العرب، وقد أوضح الحموي هذه المسألة

- (١) الايضاح ص ٣٦٦، التلخيص ص ٣٧٤، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٦٨، المطول ص ٤٣٥، الأطول ج ٢ ص ٢٠٩.
- (٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٧٢.
- (٣) الروم ٢٧.
- (٤) المؤمنون ٩١.
- (٥) الأنبياء ٢٢.
- (٦) يس ٧٩.
- (٧) الحج ٧.
- (٨) الحج ٥.
- (٩) الحج ٦.
- (١٠) الحج ٧.
- (١١) تحرير التحرير ص ١١٩ - ١٢٠، بديع القرآن ص ٣٨ وما بعدها.
- (١٢) التوبة ١١٤.
- (١٣) التوبة ١١٣.
- (١٤) تحرير التحرير ص ١٢٢.

وقال عنه: «هو أن يُورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام»^(١). وقال السبكي إن هذا ليس من البديع لأنه تطبيق على مقتضى الحال فيكون من علم المعاني^(٢). والمذهب الكلامي نوعان:

الأول: الجدلي، وهو ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلا الرجحان، وهذا النوع كثير في كتاب الله من ذلك قوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾^(٣). تقديره: والأهون أدخل في الامكان وقد أمكن البدء فالاعادة أدخل في الامكان من بدء الخلق. ومثله: ﴿ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾^(٤). وقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾^(٥)، وقوله ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾^(٦). ومن هذا النوع أبيات النابغة الذبياني: «ولكنني كنت امرء...».

الثاني: المنطقي: وهو ما كانت حجته برهاناً يقيني التأليف قطعي الاستلزام،

ولعل ابن المعتز عنى هذا النوع حينما نفاه من القرآن، ولكن المصري قال: «ومن هذا الباب نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين فإن أهل هذا العلم قد ذكروا أن أول سورة الحج الى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٧) منطوي على خمس نتائج من عشر مقدمات. فالمقدمات من أول السورة الى قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٨) والنتائج من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾^(٩) الى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١٠). وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال: الله أخبر أن زلزلة الساعة شيء عظيم، وخبره هو الحق، وأخبر عن المغيب بالحق فهو حق، فالله هو الحق، والله يأتي بالساعة على تلك الصفات ولا يعلم صدق الخبر إلا بأحياء الموتى ليدركوا ذلك. ومن يأتي بالساعة يحيي الموتى فهو يحيي الموتى. وأخبر أن يجعل الناس من هول الساعة سكارى لشدة العذاب

وسماه معظم البلاغيين الاحتراس، وعَرَّفوه بمثل ما عَرَّفه به ابن سنان، فقال ابن منقذ: «هو أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه»^(٨). وقال المصري: «هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك»^(٩).

وقال ابن مالك: «الاحتراس أن تأتي في المدح أو غيره بكلام فتراه مدخولاً بعيداً من جهة دلالة منطوقه أو فحواه فتردده بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ»^(١٠).

وقال ابن قيم الجوزية: «وهو أن يذكر لفظاً ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن»^(١١).

ولا تخرج تعريفات أبي حيان والزرركشي والحموي والمدني عن هذا المعنى^(١٢) وأدخله ملخصو المفتاح وشرّاحه في الاطناب وسمّوه الاطناب بالتكميل أو الاحتراس وعَرَّفه القزويني بقوله: «هو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف

ورفض ما ذكره ابن المعتز فقال: «وقيل: إن ابن المعتز قال: لا أعلم ذلك في القرآن، أعني المذهب الكلامي، وليس عدم علمه مانعاً من علم غيره»^(١).

الاحتراس:

الاحتراس من احترس منه أي تحرز، وتحرّست من فلان واحترست منه بمعنى: تحفظت منه^(٢).

وقد تحدث الجاحظ عن «إصابة المقادير» وذكر أن طرفة قال في المقدار وإصابته:

فسقى ديارك - غير مفسدها -

صوب الربيع وديممة تهمي

فانه طلب الغيث على قدر الحاجة؛ لأنّ الفاضل ضار^(٣).

ومن محاسن الكلام عند ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يُتمم معناه ثم يعود اليه فيتممه في بيت واحد كقول كثير:

لو أنّ الباخلين - وأنت منهم -

رأوك تَعَلَّموا منك المطال^(٤)

وعده ابن رشيق من تتميم المنى ومبالغة في اللفظ شديدة وقال: «وهو الذي فتق للشعراء هذا الفن وتفننوا فيه ونوعوه فجاءوا بالاحتراس وغيره فقال طرفة: فسقى...»^(٥). وسماه في العمدة التتميم وقال: «وهو التمام أيضاً وبعضهم يُسمي ضرباً منه احتراساً واحتياطاً»^(٦) ثم عرفه بقوله: «ومعنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنة إلا أوردته وأتى به إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير».

وسماه ابن سنان «التحرز» وقال: «وأما التحرز مما يوجهه الطعن فأن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن فيأتي بما يتحرز من ذلك الطعن كقول طرفة: «فسقى...» فلو لم يقل - غير مفسدها - لظن به أنه يريد توالي المطر عليها وفي ذلك فساد للديار ومحو لرسومها»^(٧).

(١) خزانة الأدب ص ١٦٥، الاتقان ج ٢ ص ١٣٥، شرح عقود الجمان ص ١٢٣، حلية اللب ص ١٤٤، أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٥٦.

(٢) اللسان (حرس).

(٣) البيان ج ١ ص ٢٢٧.

(٤) البديع ص ٥٩.

(٥) قراضة الذهب ص ٢٠.

(٦) العمدة ج ٢ ص ٥٠.

(٧) سر الفصاحة ص ٣٢٢.

(٨) البديع في نقد الشعر ص ٥٥.

(٩) تحرير التحبير ص ٢٤٥، بديع القرآن ص ٩٣.

(١٠) المصباح ص ٩٧.

(١١) الفوائد ص ١٥٢.

(١٢) البحر المحيط ج ٦ ص ٢٣٦، البرهان ج ٣

ص ٦٤، خزانة ص ٤٥٨، أنوار الربيع ج ٦

ص ٢٨٥.

المقصود بما يدفعه»^(١).

والأمثلة التي ذكرها معظم البلاغيين واحدة، وقد اتفقوا على تسمية هذا الفن احتراسا - ما عدا بعضهم - وفرقوا بينه وبين التكميل والتميم. ومن أمثلة هذا الفن في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وقيل بُغْدًا للقوم الظالمين﴾^(٥) فانه - تعالى - لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم ليعلم أنَّ جميعهم كان مستحقًا للعذاب احتراسا من ضعيف يتوهم أنَّ الهلاك ربما شمل من لا يستحق العذاب، فلما دعا على الهالكين ووصفهم بالظلم علم استحقاتهم لما نزل بهم وحل بساحتهم وظهر من ذلك صدق وعده لنبيه نوح - عليه السلام - وأعلمنا أنه قد أنجزه وعده الذي قال فيه: ﴿ولولا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾^(٦).

ومن ذلك قول الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حوْلي

على إخوانهم لَقَتَلْتُ نَفْسِي

ثم تخيلت أنَّ قائلاً قال لها: لقد ساويت أخاك بالهالكين من إخوان الناس فكيف أفرطت في الجزع عليه دونهم؟ فاحترست من ذلك بقولها:

وما يبكون مثل أخي ولكن

أعزّي النفس عنه بالتأسي

وقول الفرزدق:

(١) الايضاح ص ٢٠٢، التلخيص ص ٢٢٩، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣١، المطول ص ٢٩٥، الاطول ج ٢ ص ٤٦، الاتقان ج ٢ ص ٧٤، شرح عقود الجمان ص ٧٥، نفحات ص ١٧٢، شرح الكافية ص ٣١٦.

(٢) المصباح ٩٨.

(٣) تحرير التحبير ص ٢٤٥، وينظر خزانة الأدب ص ٤٥٨.

(٤) تحرير التحبير ص ٢٤٥.

(٥) هود ٤٤.

(٦) هود ٣٧.

فالاحتراسا عند هؤلاء هو التكميل، ولكن ابن مالك أفرد التكميل بفن آخر وعزّفه بقوله: «التكميل أن تأتي في شيء من الفنون بكلام فتراه ناقصًا لكونه مدخولًا بعيب من جهة دلالة مفهومه فتكمله بجملة ترفع عنه النقص. مثل أن تجيد مدح رب السيف بالكرم دون الشجاعة أو رب القلم بالبلاغة دون سداد الرأي ونفاذ العزم فتراه ناقصًا فتذكر معه كلامًا يكمل المدح ويرفع إيهام الدم»^(٢). وفرق المصري بين الاحتراسا والتكميل والتميم فقال: «إن المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى. والتميم يأتي لتمام نقص المعنى ونقص الوزن معًا، والاحتراسا لاحتمال دخل على المعنى وإن كان تامًا كاملاً ووزن الكلام صحيحًا. وقد جعل ابن رشيح الاحتراسا نوعًا من التتميم وسوى بينهما، وقد ظهر الفرق بينهما فجعلهما في باب واحد غير سائغ»^(٣). وفرق بينه وبين المواربة فقال: «والفرق بينه وبين المواربة - بالراء المهملة - أيضًا، أنَّ الاحتراسا يُؤتى به وقت العمل عندما يتفطن المتكلم لموضع الدخّل، والمواربة يُؤتى بها وقت العمل وبعد صيرورة الكلام. والمواربة - بالراء المهملة - تكون بالتصحيح والتحريف واهتمام الكلمة والزيادة والنقص، والاحتراسا بزيادة الجمل المفيدة المتضمنة معنى الانفصال عمّا يحتمله الكلام من الدخّل، والمواربة تكون في نفس الكلام وتكون منفصلة عنه. والاحتراسا لا يكون إلا في نفس الكلام». ثم فرّق بينه وبين المناقضة والانفصال فقال: «إنَّ الاحتراسا هو ما فطن له الشاعر أو الناثر وقت العمل فاحترس منه. والانفصال ما لم يفطن له حتى يدخّل عليه، فيأتي بجملة من الكلام أو بيت من الشعر ينفصل به عنه ذلك الدخّل»^(٤).

فَبَقِيَتْ لِلْعَلْمِ الَّذِي تَهْدِي لَهُ
وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الْأَيَّامُ

الاختراع:

الاختراع من اخترع الشيء أي ارتجله، والخرع -
بالتحريك - والخراعة: الرخاوة في الشيء، ومنه قيل
لهذه الشجرة الخِرْوَع لرخاوته، وقيل: الخِرْوَع: كل
نبات قصيف ريان من شجر أو عشب، وكل ضعيف
رخو خِرْعٌ وخِرْعٌ^(٦).

والاختراع عند ابن وهب «ما اخترعت له العرب
اسمًا مما لم تكن تعرفه»^(٧) وليس هذا ما قصد اليه
البلاغيون والنقاد، فالاختراع عند ابن رشيق: «خَلْقُ
المعاني التي لم يُسَبِّق اليها والياتان بما لم يكن منها
قط، والابداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي
لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له
بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى والابداع
للفظ»^(٨). ثم قال: «واشتقاق الاختراع هو من التليين،
يقال «بيت خرع» إذا كان لينا، والخِرْوَع «فَعْوَل» منه،
فكأن الشاعر سهّل طريقة هذا المعنى ولينه حتى
أبرزه»، وهذا ما أشارت اليه المعاجم في «خرع».

وعدّ القرطاجني الاختراع الغاية في الاستحسان،
قال: «فمراتب الشعراء فيما يُلْتَمَنُ به من المعاني إذن

(١) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٣. وينظر المثل

السائر ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢) اللسان (ختم).

(٣) الطراز ج ٣ ص ١٨٣.

(٤) تحرير التحبير ص ٦١٦، بديع القرآن ص ٣٤٣،

خزانة الأدب ص ٤٦٠، أنوار الربيع ج ٦

ص ٣٢٤.

(٥) الطراز ج ٣ ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٦) اللسان (خرع).

(٧) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٨.

(٨) العمدة ج ١ ص ٢٦٥، وينظر كفاية الطالب

ص ٩٩.

لَعَنَ الْإِلَهُ بَنِي كُليبِ إِنَّهُمْ
لَا يَغْدُرُونَ وَلَا يَفُونَ لَجَارِ

فقوله: «لا يفون» احتراس لئلا يتوهم أنّ عدم
غدرهم من الوفاء فقال: «ولا يفون» ليفيد أنه
للعجز، وقوله: «لجار» ايغال؛ لأنّ ترك الوفاء
للجار أشد قبحا.

الأحجية:

الاحجية مفرد الأحاجي وقد تقدمت، والأحجية
اللغز والمعنى، وهذا قريب من التورية^(١).

الاختتام:

الاختتام من اختتم، وهو نقيض الافتتاح^(٢). وهو
في البلاغة أن يَخْتِمَ البليغ كلامه في أي مقصد كان
بأحسن الخواتم فانها آخر ما يبقى على الاسماع.
وينبغي تضمينها معنى تاما يؤذن السامع بأنه الغاية
والمقصد والنهاية. وهذه تسمية العلوي^(٣) أما غيره
فيسميه حسن الختام أو الخاتمة^(٤).

ومن أمثلة ذلك خواتيم القرآن الكريم «فإنّ الله
تعالى ختم كل سورة من سوره بأحسن ختام وأتمّها
بأعجب إتمام، ختامًا يطابق مقصدها ويؤدي معناها
من أدعية أو وعد أو وعيد أو موعظة أو تحميد وغير
ذلك من الخواتيم الرائقة»^(٥). ومن ذلك ما قاله أبو
تمام يذكر فتح عمورية ويهنئ المعتصم بها:

إِنْ كَانَ بَيْنَ ضُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَجْمٍ

مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مَقْتَضِبِ

فَبَيِّنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرَتْ بِهَا

وَبَيِّنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ

وما قاله المتنبي:

قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا

وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّكَ إِنْسَانًا

وما قاله أبو نواس في المأمون:

والاختزال من أنواع الحذف، وقد قسم بعضهم هذا الاسلوب، عدة أقسام، والاختزال أحد تلك الأقسام، وهو ما ليس اقتطاعاً أي حذف بعض حروف الكلمة، أو اكتفاءً أي حذف أحد الشيعين المتلازمين، أو احتباكاً أي الحذف من الأول ما اثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول.

والاختزال أقسام، لأن المحذوف اما كلمة: اسم، أو فعل، أو حرف، أو أكثر^(٥).

ومن حذف الاسم، حذف المضاف، وهو كثير جداً في القرآن الكريم ومنه ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾^(٦) أي: حج أشهر، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾^(٧) أي: نكاح أمهاتكم.

وحذف المضاف اليه مثل قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾^(٨)، أي: يا ربي. وحذف المبتدأ كقوله: ﴿وما أدراك ما هي. نازٍ حامية﴾^(٩) أي: هي نار، وقوله: ﴿من عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾^(١٠) أي: فعمله لنفسه، وقوله: ﴿صُمِّمْتُ بِكُمْ عُمِّي﴾^(١١)، أي: هم، وقوله: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾^(١٢) أي: دائم. وحذف الموصوف كقوله تعالى: ﴿وعندهم قاصراتُ الطرفِ﴾^(١٣) أي: حور قاصرات.

(١) منهاج البلاغ ص ١٩٦.

(٢) الحج ٧٣.

(٣) الفوائد ص ١٥٦.

(٤) اللسان (خزل).

(٥) معترك ج ١ ص ٣٢٣، الاتقان ج ٢ ص ٦٢.

(٦) البقرة ١٩٧.

(٧) النساء ٢٣.

(٨) الاعراف ١٥١.

(٩) القارعة ٩ - ١٠.

(١٠) الجاثية ١٥.

(١١) البقرة ١٨.

(١٢) الرعد ٣٥.

(١٣) الصافات ٤٨.

أربعة: اختراع واستحقاق وشركة وسرقة. فالاختراع هو الغاية في الاستحسان، والاستحقاق تالٍ له، والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الأول فهذا لا عيب فيه، ومنها ما ينحط فيه الآخر عن الأول فهذا معيب، والسرقة كلها معيبة وإن كان بعضها أشدَّ قبْحًا من بعض^(١).

وقال ابن قيم الجوزية: «الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه، واشتقاقه من التلحين والتسهيل، يقال: نبت خَرَجَ إذا كان لينا فكأن المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم الى الوجود. ومنه في القرآن كثير، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٢). ولم يسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن ولو سمع لكان القرآن سابقاً ولا يكون مثله ولا قريباً منه وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال..

ومثال ذلك من السنة النبوية قوله - ﷺ - : «حَمِي الوطيس» فإنَّ رسولَ الله - ﷺ - أول من تكلم بهذا حين قدّم المسلمون خالد بن الوليد في غزوة مؤتة حين حمل خالد في العدو، والوطيس هو التنور، فعبر بشدة حميه ووقوده عن شدة الحرب واتقادها واتقاد نارها حين حمل خالد ابن الوليد رضي الله عنه. ومن ذلك قوله - ﷺ - : «أما بعد»^(٣).

وقد تكلم البلاغيون على هذا الفن في باب «سلامة الاختراع» ولم ينفرد بمثل هذا البحث غير ابن قيم الجوزية كما تشير الى ذلك المصادر المعروفة.

الاختزال:

الاختزال: الاقتطاع، يقال: اختزله عن القوم مثل اختزعه، واختزل فلان المال: اذا اقتطعه، والاختزال: الحذف استعمله سيويه كثيراً وقال ابن سيده: «لا أعلم ذلك عن غيره»، وانخزل في كلامه: انقطع^(٤).

أعيدت «ما» في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١٥).

ويطرد حذف الفعل اذا كان مفسراً كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾^(١٦) أي: وإن استجارك أحد.

ويكثر في جواب الاستفهام كقوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا﴾^(١٧).

أي: أنزل.

وأكثر منه حذف القول كقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾^(١٨) أي: يقولان ربنا.

ويأتي في غير ذلك كقوله: ﴿انتهوا خيراً لكم﴾^(١٩) أي: واتوا، وقوله: ﴿والذين تبوءوا الدار

(١) الكهف ٧٩.

(٢) الشعراء ٦٣.

(٣) الحديد ١٠.

(٤) النحل ١١٦.

(٥) فصلت ٤٩.

(٦) الاعراف ١٥٢.

(٧) الرعد ٢٣ - ٢٤.

(٨) في المصحف سورة التمل الآية ٢٥؛ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾. وما ذكره السيوطي في معترك ج ١ ص ٣٢٦ احدى القراءات في الآية. للتفصيل في هذه المسألة ينظر البحر المحيط ج ٧ ص ٦٨ - ٦٩.

(٩) الفرقان ٤١.

(١٠) البقرة ٤٨.

(١١) النساء ٩٥.

(١٢) الرعد ٢٣ - ٢٤.

(١٣) ص ٤٤.

(١٤) العنكبوت ٤٦.

(١٥) البقرة ١٣٦.

(١٦) التوبة ٦.

(١٧) النحل ٣٠.

(١٨) البقرة ١٢٧.

(١٩) النساء ١٧١.

وحذف الصفة كقوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾^(١) أي صالحة.

وحذف المعطوف عليه كقوله: ﴿إِنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾^(٢) أي: فضرِب فانفلق.

وحذف المعطوف مع العاطف كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ﴾^(٣) أي: ومن أنفق بعده.

وحذف المُبدل منه كقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾^(٤) أي: لما تصفه، والكذب بدل من الهاء.

وحذف الفاعل معنى كقوله: ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانَ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ﴾^(٥) أي: دعائه الخير. وحذف المفعول مثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾^(٦) أي: إلها.

وحذف الحال كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ﴾^(٧) أي: قائلين. وحذف المنادى كقوله تعالى: ﴿أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾^(٨) أي: يا هؤلاء.

وحذف العائد، ويقع في أربعة أبواب:

الأول: الصلة كقوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٩).

الثاني: الصفة، كقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾^(١٠) أي: فيه.

الثالث: الخبر، كقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(١١) أي: وعده.

الرابع: الحال، كقوله تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ﴾^(١٢) أي: قائلين. وحذف مخصوص نعم كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾^(١٣) أي: أيوب.

وحذف الموصول كقوله: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^(١٤) أي: والذي أنزل إليكم؛ لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل الى من قبلنا، ولهذا

والإيمان ﴿١﴾ أي: والفوا الايمان واعتقدوه.

ومن حذف الحروف حذف همزة الاستفهام كقوله تعالى: ﴿سواء عليهم أُنذرتهم﴾ ﴿٢﴾ أي: أُنذرتهم؟

وحذف الموصول الحرفي كقوله: ﴿ومن آياته يُريكم البرق﴾ ﴿٣﴾، أي: أن يريكم.

وحذف الجار يطرد مع أن وأن كقوله: ﴿يُمْتُونَ عليك أن أسلموا، قل لا تمْتُوا عليّ إسلامكم، بل الله يُمنُّ عليكم أن هداكم﴾ ﴿٤﴾ أي: بأن. وقوله: ﴿أبعدكم أنكم﴾ ﴿٥﴾ أي: بانكم. وجاء مع غيرهما كقوله: ﴿قدّرناه منازل﴾ ﴿٦﴾ أي: قدرنا له.

وحذف العاطف كقوله: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم، قلت: لا أجد ما أحملكم عليه تولوا﴾ ﴿٧﴾ أي: وقلت.

وحذف فاء الجواب كقوله: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين﴾ ﴿٨﴾ أي فالوصية.

وحذف حرف النداء وهو كثير كقوله: ﴿يوسفُ أغرض عن هذا﴾ ﴿٩﴾ أي: يا يوسف. وحذف «قد» في الماضي إذا وقع حالاً كقوله: ﴿أو جاءوكم حصرتُ صدورهم﴾ ﴿١٠﴾ أي: قد حصرت.

وحذف «لا» النافية كقوله: ﴿تالله تفتأ﴾ ﴿١١﴾ أي لا تفتأ. وقوله: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ ﴿١٢﴾ أي: لا يطيقونه.

وحذف لام التوطئة كقوله: ﴿وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمنسن﴾ ﴿١٣﴾ أي: ولكن لم ينتهوا.

وحذف لام الأمر كقوله: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ ﴿١٤﴾ أي: ليقموا. وحذف لام «لقد» كقوله: ﴿قد أفلح من زكّاه﴾ ﴿١٥﴾ أي: لقد.

ومن حذف أكثر من كلمة حذف مضافين كقوله: ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ ﴿١٦﴾ أي: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب.

وحذف ثلاثة متضايفات كقوله: ﴿فكان قاب

قوسين﴾ ﴿١٧﴾ أي: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب، فحذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها.

وحذف مفعولي باب «ظن» كقوله: ﴿أين شركائي الذين كُنتُم تزعمون﴾ ﴿١٨﴾ أي: تزعمونهم شركاء.

وحذف الجار مع المجرور كقوله: ﴿خَلَطُوا عملاً صالحاً﴾ ﴿١٩﴾ أي: بسئبي، و﴿آخر سئناً﴾ أي: بصالح.

وحذف العاطف مع المعطوف كقوله: ﴿بيدك الخير﴾ ﴿٢٠﴾ أي: والشر. وحذف حرف الشرط وفعله ويطرد بعد الطلب كقوله: ﴿فاتبعوني يُحببكم الله﴾ ﴿٢١﴾ أي: إن اتبعتموني.

وحذف جواب الشرط كقوله: ﴿فإن استطعت أن تبغني نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء﴾ ﴿٢٢﴾ أي:

(١) الحشر ٩.

(٢) البقرة ٦.

(٣) الروم ٢٤.

(٤) الحجرات ١٧.

(٥) المؤمنون ٣٥.

(٦) يس ٣٩.

(٧) التوبة ٩٢.

(٨) البقرة ١٨٠.

(٩) يوسف ٢٩.

(١٠) النساء ٩٠.

(١١) يوسف ٨٥.

(١٢) البقرة ١٨٤.

(١٣) المائدة ٧٣.

(١٤) ابراهيم ٣١.

(١٥) الشمس ٩.

(١٦) الحج ٣٢.

(١٧) النجم ٩.

(١٨) القصص ٦٢، ٧٤.

(١٩) التوبة ١٠٢.

(٢٠) آل عمران ٢٦.

(٢١) آل عمران ٣١.

(٢٢) الانعام ٣٥.

ففاعل.

ومدحت العرب التطويل والتقصير فقال الشاعر:

يَزْمُونَ بِالْخُطْبِ الطِّوَالَ وَتَارَةً
وَخِي الْمَلَا حِظِ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ^(٩)

وقال السيوطي عن الاختصار: «الايجاز والاختصار بمعنى واحد كما يُؤخذ من المفتاح وصرح به الخطيبي. وقال بعضهم: الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الايجاز. قال الشيخ بهاء الدين: وليس بشيء»^(١٠). وذلك لأن الايجاز عند البلاغيين قد يكون بحذف الكلمة أو الجملة أو الجمل وهو ما سَمَّوه «ايجاز الحذف».

الاختصاص:

الاختصاص من اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد، ويقال: خصَّصه واختصه: أفرده به دون غيره^(١١).

والاختصاص عند الاصوليين التخصيص، وقد اختلفت فيه عبارات أهل العلم فقال بعضهم: «هو إخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص». وهو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما في اللبس ومن حيث أنَّ كل واحد منهما

(١) النمل ٢١.

(٢) النازعات ١.

(٣) الأنفال ٨.

(٤) يوسف ٤٥ - ٤٦.

(٥) معترك ج ١ ص ٣٢٣، الاتقان ج ٢ ص ٦٢، وينظر الحذف في كتاب الاشارة الى الايجاز ص ٦ وما بعدها.

(٦) المنزعة البديع ص ٧٦.

(٧) الكامل ج ٢ ص ٧٠٤.

(٨) البديع في نقد الشعر ص ١٨٢.

(٩) البيان ج ١ ص ٤٤، كتاب الصناعتين ص ٥٨، زهر الآداب ج ١ ص ١١٤.

(١٠) معترك ج ١ ص ٢٩٥، الاتقان ج ٢ ص ٥٤،

الروض المريع ص ١٤١.

(١١) اللسان (خصص).

وحذف جملة القسم كقوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا﴾^(١) أي: واللّه. وحذف جوابه كقوله: ﴿والنازعات غَرْقًا...﴾^(٢) الآيات، أي: لتبعثن.

وحذف جملة مسببة عن المذكور كقوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُطْلَ الْبَاطِلَ﴾^(٣) أي: فعل ما فعل.

ومنه حذف جمل كثيرة كقوله تعالى: ﴿فَأرسلون. يوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾^(٤) أي: فأرسلوني الى يوسف لأستبصره الرؤيا ففعلوا فاتاه فقال له: يا يوسف. وهذا هو ايجاز الحذف الذي تكلم عليه البلاغيون ولكن السيوطي^(٥) وضع له مصطلحًا وسماه «الاختزال» وفصل القول فيه تفصيلا، وجاء بأمثلة من كتاب الله وَحَدَّهُ.

والاختزال عند السجلماسي أحد أنواع المفاضلة وهو «قول مركب من أجزاء فيه مشتملة بجملتها على مضمون تنقص عنه بطرح جزء منها شأنه أن يصرح به»^(٦)، وهو نوعان «الاصطلام» و«الحذف».

الاختصار:

الاختصار هو الايجاز، وقد قال عنه عياش بن صحار هو «اللمحة الدالة» حينما سأله معاوية: «ما أقرب الاختصار»^(٧)؟ وهذا الاسلوب من أبرز أساليب العرب، فقد اهتموا بالعبارة الموجزة والكلام المختصر ليسهل حفظه ويكون تأثيره في النفوس عظيما. وقد حدّد البلاغيون والنقاد أسلوب التعبير تبعًا للموضوع فقال ابن منقذ وهو يتحدث عن الاسهاب والاطناب والاختصار والاقتصار: «اعلم أنَّ كل واحد من هذه الأقسام له موضع يأتي فيه فيُحَمَّدُ فان أتى في غيره لم يُحَمَّد. فان كان في الترغيب والترهيب والاصطلاح بين العشائر والاعتذار والانذار الى الأعداء والعساكر وما أشبه ذلك فيستحب فيه التطويل والشرح.

وأما غير ذلك فيستحب فيه الاختصار والاقتصار»^(٨).

يقتضي اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ. وقد
فرق ابن قيم الجوزية بينهما من وجوه خمسة^(١):

الأول: أنَّ الناسخ لا يكون إلا متأخرًا عن
المنسوخ.

الثاني: أنَّ النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع بحكم
الخطاب الأول، والتخصيص قد يقع بقول وفعل
وقياس.

الثالث: أنَّ نسخ الشيء لا يكون إلا بما هو مثله في
القوة أو بما هو أقوى منه في الرتبة، والتخصيص جائز
بما هو دون المخصوص في الرتبة.

الرابع: أنَّ التخصيص لا يقع في حكم واحد
والنسخ جائز في مثله لا سيما على أصل من بيني
نسخ الشيء قبل وقته.

الخامس: أنَّ التخصيص ما أخرج من الخطاب ما
لم يرد به، والنسخ رافع ما أريد اثبات حكمه.

ثم قال: «والذي اعتمد عليه المحققون أنَّ
التخصيص إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام أو ما
يقوم مقامه بدليل منفصل في الزمان إن كان
المخصص لفظيًا أو بالحس إن كان عقليًا قبل تقرير
حكمه».

ثم قال: «والتخصيص يسميه أرباب علم البيان
الاختصاص عندهم ولا يحسن إلا أن يكون
اختصاص الشيء بمعنى ظاهر، مثل قوله تعالى:
﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾^(٢) اختصاصها دون سائر
النجوم لأنها عبادت، وقيل: إنَّ النجوم تقطع السماء
طولاً وهي تقطعها عرضاً».

ومن كلام العرب قول الخنساء في أخيها صخر:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ

وانما خَصَّتْ هذين الوقتين لأنَّ طلوع الشمس يذكرها
بغارته على أعدائها، وغروبها يذكرها باقراءه ضيفانه،
فاختصت لهذين الوقتين من بين سائر الاوقات لهذين

المعنيين.

وعبارات التخصيص ثلاثة:

الأولى: إنما جاءني زيد.

الثانية: جاءني زيد لا عمرو.

الثالثة: ما جاءني إلا زيد.

فيفهم من الأولى تخصيص المجيء أو تخصيص
مجيء معين ظنه المخاطب مخصوصًا بغيره أو
مشاركًا غيره فيه فأفاد اثباته لزيد ونفيه عن غيره
دفعة واحدة ومن الثانية في دفعتين، والثالثة بأصل
الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لا يصح «ما زيد
إلا قائم لا قاعد» لأنك بقولك: «إلا قائم» نفيت
عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود
فيقع «لا قاعد» تكررًا. ويصح «إنما زيد قائم لا
قاعد» فان صيغة «إنما» موضوعة للتخصيص ويلزمه
نفي الشركة فليس له من القوة ما يدل عليه
بالوضع، ولهذا يصح «زيد هو الجائي لا عمرو».
فدلالة الأولين على التخصيص أقوى، ودلالة الثالثة
على نفي التشريك. وقد تذكر الثالثة في مثل ما
أدعى واحد أنك قلت قولاً ثم قلت بخلافه
فتقول: «ما قلت إلا ما قلته قبل» وعليه قوله
تعالى حكاية عن عيسى - عليه الصلاة والسلام
-: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾^(٣). ليس
المعنى: اني لم أزد على ما أمرتني به أن أقوله
شيئًا، ولكن المعنى: اني لم أدع مما أمرتني به
أن أقوله شيئًا ولم يذكر ما يخالفه.

وحكم «غير» اذا وقع موقع «إلا» حكم «إلا»، وأما
«إنما» فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر، فاذا قلت:
«إنما ضرب عمراً زيداً» فالاختصاص في الضارب كما
قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

(١) الفوائد ص ١٥٢.

(٢) النجم ٤٩.

(٣) المائدة ١١٧.

أريدُ لأنسى ذِكْرَها فكأنما

تَمَثَّلُ لي ليلي بكلِّ سَبِيلٍ^(٧)

وهذا غير الاغارة التي حددها بقوله: «الاغارة أن يصنع الشاعر بيتًا ويخترع معنى مليحًا فيتناوله مَنْ هو أعظم منه ذِكْرًا وأبعد صوتًا فيروى له دون قائله»^(٨) ومعنى ذلك أن الاختلاس هو التأثر، أما الاغارة فهي السلب والادعاء.

إِخْتِلَافُ صِيغِ الْأَلْفَاظِ وَاتِّفَاقِهَا:

عَدَّ ابن الاثير اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها النوع السادس من الصناعة اللفظية «الالفاظ المركبة» وقال: وهو من هذه الصناعة بمنزلة عَلِيَّةٍ ومكانة شريفة، وُجِّلُ الْأَلْفَاظِ منوطة به. ولقد لقيت جماعة من مدعي فن الصناعة وفاوضتهم وفاوضوني وسألتهم وسألوني فما وجدت أحدًا منهم تيقن معرفة هذا الموضوع كما ينبغي، وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق إليها»^(٩). ومن ذلك أن الألفاظ اذا نُقلت من هيئة الى هيئة انتقل قبحها فصار حسنا وحسنها فصار قبحا. مثل لفظة «خَوْد» فانها المرأة الناعمة، واذا نقلت الى صيغة الفعل قيل «خَوْد» ومعناها أسرع. فهي على صيغة الاسم جميلة رائعة، وليست حسنة اذا جاءت فعلاً كما في قول أبي تمام:

(١) فاطر ٢٨.

(٢) الرعد ٤٠.

(٣) الرعد ١٩.

(٤) الفوائد ص ١٥٢ وما بعدها.

(٥) اللسان (خلس).

(٦) الوساطة ص ١٨٣.

(٧) العمدة ج ٢ ص ٢٨٧.

(٨) العمدة ج ٢ ص ٢٨٤.

(٩) المثل السائر ج ١ ص ٢٨١، الجامع الكبير

ص ٢٧١.

العلماء»^(١). واذا قلت: «انما ضرب زيدٌ عَمْرًا» فالاختصاص في المضروب. واذا قلت: «انما هذا لك» فالاختصاص في «لك» بدليل انك تقول بعده: «لا لغيرك». واذا قلت: «انما لك هذا» فالاختصاص في «هذا» بدليل انك تقول بعده «لا ذاك» قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾^(٢) فاذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعل لا يصح إلا من المذكور كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

وقد يجمع معها حرف النفي إما متأخرًا كقولك: «انما جاءني زيد لا عمرو» وإما متقدمًا كقولك: «ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو»، فهناك لو لم تدخل «انما» كان الكلام مع من ظن أيهما جاءك، وإن أدخلها كان الكلام مع من غلط في الجائي. ولو قلت: «إن عَمْرًا جاءني» فان كانت المستغنى عنها فظهرت فائدة دخول «ما» على «إن» في «انما»^(٤).

الاختلاس:

الخلس: الأخذ في نُهْزَةٍ ومخاتلة، والاختلاس كالخلس، وقيل إنه أوحى من الخلس وأخص. وخلصت الشيء واختلسته وتخلسته اذا استلبته^(٥).

والاختلاس من أنواع السرقات التي ذكرها الأوائل كالقاضي الجرجاني الذي قال: «ولست تُعدُّ من جهابذة الكلام ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علمًا برتبه ومنازله فتفصل بين السرقة والغصب، وبين الاغارة والاختلاس»^(٦).

ولم يذكر الفرق بين الاغارة والاختلاس. وذكر ابن رشيق الاختلاس ولم يحدده واكتفى بذكر أمثلة له، ومن ذلك قول أبي نواس:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ

فكأنه لم يَخْلُ منه مكانٌ

اختلسه من قول كُثَيِّرٍ:

تعالى: ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٧)، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٨).

ومنها ما لا يحسن إلا في الافراد كلفظة «الطيف» التي تفقد جمالها حينما تجمع فيقال: «طُيوف».

وللصيغ أثر في الحسن والقبح، ولكن الذوق والثقافة والممارسة هي التي تضع الحقيقة أمام المتذوقين، أي أنه لا تُحدد هذه المسائل بقواعد ثابتة يَزَجُّ إليها الدارسون، وإن كان الاستقراء يقود إلى أسس عامة كما فعل ابن الأثير الذي قال: «وأما فَعَلَ وافِعْوَعَلَ فانا نقول: «أعشب المكان، فاذا كثر عشبه قلنا: اغشوشب. فلفظة «افِعْوَعَلَ» للتكثير، على أني استقرت هذه اللفظة في كثير من الألفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا: اخشوشن المكان، واغرورقت العين، واحلولى الطعم وأشباهاها. وأما «فُعَلَّة» نحو: هُمَزَة وَلَمَزَة وَجُثْمَة وَنَوْمَة وَلُكْنَة وَلُحْنَة وأشباه ذلك فالغالب على هذه اللفظة أن تكون حسنة، وهذا أخذته بالاستقراء، وفي اللغة مواضع كثيرة لا يمكن استقصاؤها. فانظر إلى ما يفعله اختلاف الصيغة بالألفاظ، وعليك أن تتفقد أمثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك في استعمالها، فكثيراً ما يقع فحول الشعراء والخطباء في مثلها، ومؤلف الكلام من كاتب وشاعر إذا مرّت به ألفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجد الحسن منها

(١) تواهقت الابل: مدت أعناقها وتبارت في السير.

رتك البعير؛ عدا في مقارنة خطو. خود؛ سار مسرعا.

(٢) الأحزاب ٤٨.

(٣) السهب؛ الطويل.

(٤) الحجر ٣.

(٥) المدثر ٢٦ - ٢٧ - ٢٨.

(٦) الليت؛ صفحة العنق. الأخدع؛ عرق في صفحة العنق.

(٧) ص ٢٩.

(٨) الزمر ٢١.

والى بنى عبدالكريم تواهقت
رتك النعام رأى الظلام فخودا^(١)

ومن ذلك لفظة «ودع» وهي فعل ماضٍ لا ثقل بها على اللسان، ولكنها حينما جاءت بهذه الصيغة لم تحسن كقول أبي العتاهية:

أثروا فلم يدخلوا قبورهم
شيئا من الثروة التي جمعوا
وكان ما قدموا لأنفسهم
أعظم نفعاً من الذي ودعوا

وكانت حسنة بديعة بصيغة الأمر كقوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢) وبصيغة المستقبل كما في قوله: - - وقد واصل في شهر رمضان فواصل معه قوم: «لو مُدُّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع له المتعمقون تعمقهم». وقول المتنبي:

تَشَقِّكُمْ بِقِنَاهَا كُلَّ سَلْهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ^(٣)

ومثل ذلك لفظة «وذر» فانها لا تأتي بصيغة الماضي وانما بصيغة الأمر كقوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾^(٤)، وصيغة المستقبل كقوله: ﴿سَأُضْلِيهِ سَقَرًا. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرًا. لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾^(٥).

وقد تكون اللفظة حسنة وهي مفردة ولكنها تفقد ذلك الحسن حينما تُثنى، ومن ذلك «الأخدع» التي جاءت حسنة رائعة في قول الشاعر:

تلفت نحو الحي حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء ليثا وأخدعا^(٦)

وجاءت ثقيلة مستكرهة في قول أبي تمام:

يا دهر قَوْمٍ من أخدعك فقد
أضججت هذا الأنام من خرقك

وعلة ذلك انها في الأول مفردة وفي الثاني مثناة.

ومن الألفاظ ما لا يحسن إلا بصيغة الجمع، كلفظة اللب أي العقل، فانها وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة ولم ترد مفردة، كقوله

الأخذ:

الأخذ والسرقة من الموضوعات الأولى التي تحدث عنها البلاغيون^(٤)، وهما أنواع كثيرة سيرد ذكرها في هذا المعجم.

إخراج الكلام مخرج الشك:

عقد الزركشي بابا في «إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد»^(٥). وضرب له مثلاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِنَّا كُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٦)، وهو يعلم أنه على الهدى وأنهم على الضلال لكنه أخرج الكلام مخرج الشك تقاضياً ومسامحة، ولا شك عنده ولا ارتياب.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(٧)، وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٨). أورده على طريق الاستفهام، والمعنى: هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين لكم من المشاهد ولاح منكم في المخايل ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ تهالكاً على الدنيا.

وإنما أورد الكلام في الآية على طريق سوق غير المعلوم سياق غيره، ليؤديهم التأمل في التوقع عنم يتصف بذلك الى ما يجب أن يكون مسبباً عنه من أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم، فيلزمهم به

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٢) الأقصى القريب ص ١١٨.

(٣) البحتر والبحتري؛ القصير المجتمع الخلق.

(٤) ينظر أسرار البلاغة ص ٣١٣، الطراز ج ٣ ص ٢٠١، شرح عقود الجمان ص ١٦٣.

(٥) البرهان ج ٣ ص ٤٠٩.

(٦) سبأ ٢٤.

(٧) الزخرف ٨١.

(٨) محمد ٢٢.

موحداً ووحده، وما يجد الحسن منها مجموعاً جمعه، وكذلك يجري الحكم فيما سوى ذلك من الألفاظ»^(١).

اختلاف صيغ الكلام:

يعمد الأديب الى صيغ مختلفة من الكلام لئلا يتكرر فيثقل وتمججه الاسماع، قال التنوخي: «وإذا تكرر واختلف المعنى وكان في الكلام دليل على معنى كل واحد من المتكررين فهو التجنيس، وهو مما يستحسن ولا يتجنب، فان لم يكن في الكلام ما يفي بتبيين المعنيين والحقا كل واحد منهما بلفظه فذلك مما ينبغي أن يتجنب ولا يؤتى لكونه مخلاً بالبيان. فاجتناب هذا النوع من قواعد علم البيان واجتناب الأول من باب البديع الذي هو من محاسن الألفاظ»^(٢).

مثال الأول قول ابراهيم بن سيار للفضل بن الربيع:

هَبْنِي أَسَأْتُ وَمَا أَسَأْتُ وَمَا أَسَأْتُ
تُ أَقْرَكِي يَزْدَادَ طَوْلُكَ طَوْلًا

ومثال الثاني وهو مبين في الكلام قول الشاعر:

لِعَمْرِي لَقَدْ حَبَّبَتْ كُلَّ قَصِيرَةٍ
الِيَّ وَإِنْ لَمْ تَدْرِ ذَاكَ الْقَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحَجَالِ وَلَمْ أُرِدْ
قِصَارَ الْخَطِيئِ شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَاتِرُ^(٣)

فلو اقتصر على البيت الأول لكان معيباً لاحتماله القصر والقصر. والقبیح قول كشاجم في المديح:

عمرته بفتية صباح

سُمِحَ بِأَعْرَاضِهِمْ شِحَاحِ

لأن الباء في قوله «بأعراضهم» يجوز أن تتعلق بـ«سمح» فيكون هجواً، ويجوز أن تتعلق بـ«شحاح» فيكون مدحاً، فهو ملبس بين المدح والهجو، وليس في البيت ما يعين أحدهما.

انها «تجيء للتشبيه»^(٧)، وقال المبرد مثل ذلك^(٨).
وسمّاها السكاكي «كلمة التشبيه»^(٩) غير أنّ
القزويني وشراح تلخيصه سموها «أداة التشبيه»^(١٠)
وهو ما سار عليه المتأخرون.

وأداة التشبيه ثلاثة أنواع:

الأول - أسماء: ومنها: مثل، وشبه، وشبيه، ومثل.
الثاني - أفعال: ومنها: حسب، وظن، وخال، ويشبه،
وتشابه، ويضارع.

الثالث - حرفان: وهما: كأنّ، والكاف.

وقد تحذف الأداة فيسمى التشبيه مؤكداً كقول
المتنبي:

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ غُضْنَ بَانَ
وَفَاحَتْ عَنبَرًا وَرَنَتْ غَزَالًا
وَإِذَا ذُكِرَتْ سُمِّيَ التَّشْبِيهُ مُرْسَلًا كَقَوْلِ الْمَتْنَبِيِّ:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتْ رَأَيْتَهُ
يُهْدِي إِلَى عَيْنِيكَ نَوْرًا ثَاقِبًا
كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا
يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

(١) الاسراء ٧٩.

(٢) الأعراف ٤٠.

(٣) اللسان (خلل).

(٤) نقد الشعر ص ٢٤٥، الموشح ص ٣٦٣، نضرة
الاغريض ص ٤٢٧، قانون البلاغة ص ٤١٩.

(٥) نقد الشعر ص ٢٤٧، الموشح ص ٣٦٤، نضرة
الاغريض ص ٤٢٨.

(٦) النطفة؛ الماء الصافي قل أو كثر. أسجت؛
سكنت.

(٧) الكتاب ج ٢ ص ١٧١.

(٨) المقتضب ج ٤ ص ١٤٠.

(٩) مفتاح العلوم ص ١٦٧.

(١٠) الأيضاح ص ٢٣٥، التلخيص ص ٢٤٣، شروح
التلخيص ج ٣ ص ٣٨٦، المطول ص ٣١١،
الاطول ج ٢ ص ٦٥.

على اللفظ وجه إبقاء عليهم من أن يفاجئهم به وتأليفا
لقلوبهم، ولذلك التفت عن الخطاب الى الغيبة تفادياً
عن مواجهتهم بذلك.

وقد يخرج الواجب في صورة الممكن كقوله
تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا، مَحْمُودًا﴾^(١).

وقد يخرج الاطلاق في صورة التقييد كقوله:
﴿حَتَّى يَلْبَحَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٢).

الإخلال:

الاخلال من أخلّ بالشيء أي: أجهف، وأخلّ
بالمكان وبمركزه وغيره: غاب عنه وتركه، وأخلّ
به: لم يف به^(٣).

والاخلال من عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى، وقد
عرّفه قدامة بقوله: «هو أن يترك من اللفظ ما يتم به
المعنى»^(٤). ومن عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى أيضاً:
«أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى»^(٥).

ومن الأول قول الحارث بن حلزة:

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَا
لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًا

أراد أن يقول: «والعيش خير في ظلال النوك من العيش
بكدر في ظلال العقل» فترك شيئاً كثيراً.

ومثال الثاني قول بعضهم:

فَمَا نُطْفَةٌ مِنْ مَاءٍ نَحَضِ عُذْبِيَّةٌ
تُمْتَعُ مِنْ أَيْدِي الرُّقَاةِ تَرَوُّمُهَا
بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا لَوَانِكَ ذُقْتَهُ
إِذَا لَيْلَةٌ أَسْجَتْ وَغَارَتْ نَجُومُهَا^(٦)

وسمى البغدادي هذا الموضوع «الاخلال بالافادة».

أداة التشبيه:

أداة التشبيه هي اللفظة التي تدل على المماثلة
والمشاركة، وقد أشار اليها القدماء وعُدوها أساساً
في اظهار صور التشبيه فقال سيبويه عن «الكاف»

لله - سبحانه - لا عن ضعف ولا عجز بلفظ اقتضت البلاغة الاتيان به ليتم بديع اللفظ كما تم المدح، فحصل في هذه الألفاظ الاحتراس مدمجًا في المطابقة وذلك تبع للتعليق الذي هو المطلوب من الكلام.

ومنه قول بعضهم:

أترى القاضي أعمى

أم تراه يتعمى

سَرَقَ العَيْدَ كَأَنَّ العَيْدَ

دَ أَمْوَالِ الِيتَامَى

فعلق خيانة القاضي في أموال اليتامى بما قدمه من خيانتة في أمر العيد برابطة التشبيه.

وعرّف الادماج بقوله: «هو أن يدمج المتكلم غرضًا له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصد اليه»^(٨). كقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(٩)، فإن هذه الجملة أدمج فيها المبالغة في الحمد ضمن المطابقة إذ أفرد نفسه - سبحانه - بالحمد حيث لا يُحمد سواه.

ومنه قول بعض الاندلسيين:

أَرْضَى أَنْ تَصَاحِبَنِي بَغِيضًا

مَجَامِلَةً وَتَحْمِلُنِي ثَقِيلًا

(١) اللسان (دمج)، التعريفات ص ١٠، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٩.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٤٢٣.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٤١، وينظر المنزح البديع ص ٤٦٤.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٥٨.

(٥) تحرير التحبير ص ٤٥١، بديع القرآن ص ١٧٣.

(٦) تحرير ص ٤٤٣، بديع القرآن ص ١٧١.

(٧) المائدة ٥٤.

(٨) تحرير ص ٤٤٩، بديع القرآن ص ١٧٢.

(٩) القصص ٧٠.

كالبخْرِ يَقْدِفُ للقريبِ جواهرًا

جودًا ويبعثُ للبعيدِ سحائبًا

والأول عند البلاغيين أبلغ لأنَّ الأداة محذوفة.

الإدماج:

الادماج: اللف، يقال: أدمج الحبل أي: أجاد فتله،

وقيل: أحكم فتله، ودمج الشيء دمجًا إذا دخل في الشيء واستتر فيه، وأدمجت الشيء إذا لففته في ثوب. فالادماج إدخال الشيء في الشيء^(١).

وقد بحث الاوائل هذا الفن وعقد العسكري فصلًا

باسم «المضاعفة» قال: «هو أن يتضمن الكلام معنيين: معنى مصرح به ومعنى كالمشار اليه»^(٢). ولكن البلاغيين الآخرين عقدوا بابًا باسم «الادماج»؛ وعده ابن رشيق من الاستطراد، وقال: «ومن الاستطراد نوع يسمى الادماج»^(٣). وعقد له ابن منقذ بابًا سماه «باب التعليق والادماج» وقال عنه: «هو أن تعلق مدحًا بمدح وهجوًا بهجو ومعنى بمعنى»^(٤). ولكن المصري فرّق بين هذين الفنين فقال: «والفرق بين التعليق والادماج أن التعليق يصرح فيه بالمعنيين المقصودين على شدة اتحادهما، والادماج يصرح فيه بمعنى غير مقصود قد أدمج فيه المعنى المقصود»^(٥).

وكان قد عرف التعليق بقوله: «هو أن يأتي

المتكلم بمعنى في غرض من أغراض الشعر ثم يعلق به معنى آخر من ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفن كمن يروم مدحًا لانسان بالكرم فيعلق بالكرم شيئًا يدلّ على الشجاعة بحيث لو أراد أن يخلص ذكر الشجاعة من الكرم لما قدر»^(٦). كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٧)، فانه - سبحانه وتعالى - لو اقتصر على وصفهم بالذل على المؤمنين لاحتمل أن يتوهم ضعيفُ الفهم أن ذلهم عجز وضعف، فنفي ذلك عنهم وكتمل المدح لهم بذكر عزهم على الكافرين ليعلم أن ذلهم للمؤمنين عن تواضع

استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا مهنة بخلوده.

الارتفاد:

الارتفاد: الكسب، يقال: ارتفد المال اكتسبه^(٣).
وقد ذكره ابن رشيق في باب «الحشو وفضول الكلام»
وقال معلقاً على قول الشاعر:

ولو قُبِلْتُ في حادثِ الدهرِ فذِيَّةٌ

لقلنا على التحقيق نحن فداؤُهُ

«فقوله - على التحقيق - حشو مليح فيه زيادة فائدة،
ومن الناس من يُسمى هذا النوع من الكلام ارتفاداً،
وأشد بعض العلماء قول قيس بن الخطيم:

قَضَى لها الله حين صَوَّرها الخا

لِقُ أَنْ لا يُكِنَّها سَدْفُ

والاتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر «صَوَّرها
الخالق» لان اسم الله - تعالى - قد تقدم^(٤).

الارتقاء:

هو الانتقال من الأدنى الى الأعلى في الوجه المراد
مثل: «لا أبالي بالوزير ولا بالسلطان»^(٥).

(١) المصباح ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) ينظر حسن التوسل ص ٢٩٦، نهاية الارب ج ٧
ص ١٦٤، جوهر الكثر ص ٣٠٠، الايضاح
ص ٣٧٥ التلخيص ص ٣٨٣، الطراز ج ٣
ص ١٥٧، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٩٨،
المطول ص ٤٤٢، الأطول ج ٢ ص ٢١٨، خزنة
الأدب ص ٤٥٧، معترك ج ١ ص ٣٨٧، الاتقان
ج ٢ ص ٨٧، شرح عقود الجمان ص ١٢٦،
حلية اللب ص ١٤٤، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٩،
نفحات ص ٣٠٧، التبيان في البيان ص ٣٢٢،

شرح الكافية ص ٣١٤.

(٣) اللسان (رفد).

(٤) العمدة ج ٢ ص ٧١.

(٥) حلية اللب ص ١٧١.

وَحَقُّكَ لارْضِيْتُ بذا لأنِّي
جَعَلْتُ وَحَقُّكَ القَسَمَ الجَلِيلَا

والبيت الثاني المقصود؛ لأنه أدمج فيه الغزل في العتاب
من الفنون، والمبالغة في القسم من البديع.
وقسّمه ابن مالك قسمين:

الأول: يتضمن التصريح بمعنى من فن كفاية عن
معنى من فن آخر كقول بعضهم:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا

فأسعَفْنَا فيمن نُحِبُّ ونكرمُ

فقلْتُ له نُعماك فيهم أتمَّها

وَدَعُ أمرنا إنَّ المهمَّ المقدمُ

فأدمج شكوى الزمان في التهئة.

وقول ابن نباتة السعدي:

ولا بدُّ لي من جَهْلَةٍ في وِصالِهِ

فَمَنْ لي بِخِلِّ أودِعُ الجِلْمَ عنْدَهُ

فأدمج الفخر في الغزل.

الثاني: أن يقصد المتكلم الى نوع من البديع
فيجيء في ضمنه بنوع آخر كقول بعض الاندلسيين
السابق: «أرضى أن تصاحبني...»^(١).

وسار المتأخرون على هذا التحديد والتقسيم^(٢)، وقالوا
إنَّ الادماج أعمُّ من الاستتباع لأنه «تضمنين كلام سيق
لمعنى معنى آخر» كقول المتنبي:

أُقلِّبُ فيه أجفاني كأنِّي

أُعِدُّ بها على الدهر الذنوبَا

فانه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر،
والاستتباع هو «المدح بشيء على وجه يستتبع
المدح بشيء آخر» كقول المتنبي:

نهبت من الاعمار ما لو حَوَيْتُهُ

لَهُتَّت الدنيا بأنك خالِدُ

فانه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه
بحيث لو وُورث أعمارهم لخلد في الدنيا على وجه

الإرداف:

الإرداف من أَرْدَفَ، يقال: أَرْدَفَهُ، أي ركب خلفه، أي حمّله خلفه على ظهر الدابة، فهو رديف ورْدَفٌ^(١).

والإرداف مما فرّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وسماه هذه التسمية، وقال عنه: «هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو رْدَفُه وتابع له، فاذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع»^(٢).

وكان المتقدمون كابن قتيبة وابن المعتز. قد بحثوا ذلك في باب الكناية والتعريض^(٣) ولكن البلاغيين ساروا على مذهب قدامة فعرفه العسكري بقوله: «الارداف والتوابع: أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هو رْدَفُه وتابع له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده»^(٤). وسماه ابن رشيق التتبع وقال: «ومن أنواع الإشارة: التتبع وقوم يسمونه التجاوز، وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوز به ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه»^(٥).

وسماه ابن سنان الإرداف والتتبع وقال: «ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة بل يُؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع. وهذا يسمى الإرداف والتتبع؛ لأنه يُؤتى فيه بلفظ هو رْدَفُ اللفظ المخصوص لذلك المعنى وتابعه»^(٦).

وسماه التبريزي الإرداف وقال: «هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ هو تابع له»^(٧). ونقل البغدادي هذا التعريف كما نقل تعريف قدامة^(٨).

وعده ابن الأثير القسم الثاني من الكناية وذكر أن هذه تسمية قدامة ثم قال: «هو أن تُراد الإشارة إلى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويُؤتى بما هو دليل عليه ومرادف له»^(٩). وَفَرَعَهُ إلى خمسة فروع:

الأول: فعل المبادهة كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾^(١٠). فان المراد بقوله تعالى ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ أي أنه سفيه الرأي، يعني أنه لم يتوقف في تكذيب وقت ما سمعه ولم يفعل كما يفعل المراجيح العقول المشبتهون في الأشياء، فإن من شأنهم إذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبراً أن يستعملوا فيه الروية والفكر، ويتأنوا في تدبره إلى أن يصح لهم صدقه أو كذبه، فقوله ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ يعني أنه ضعيف العقل عازب الرأي، وقد عدل عن هذه العبارة الصريحة بقوله ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ وذلك أكد وأبلغ في هذا الباب.

الثاني: باب «مثل» كقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح: «مثلي لا يفعل هذا». أي: أنا لا أفعله فنفي ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصدًا للمبالغة فسلك به طريق الكناية لأنه إذ نفاه عن يماثله أو يشابهه فقد نفاه عنه لا محالة.

الثالث: هو ما يأتي في جواب الشرط كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾^(١١)، كأنه قال: «إن كنتم مُنكرين يوم البعث فهذا يوم البعث» فكثرت بقوله: ﴿فهذا يوم البعث﴾ عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادّعوه وذلك رادف له.

الرابع: الاستثناء من غير موجب كقوله تعالى:

- (١) اللسان (ردف)، أنوار الربيع ج ٦ ص ٥٠.
- (٢) نقد الشعر ص ١٧٨، جواهر الألفاظ ص ٧.
- (٣) تأويل مشكل القرآن ص ١٩٩، البديع ص ٦٤.
- (٤) كتاب الصناعتين ص ٣٥٠.
- (٥) العمدة ج ١ ص ٣١٣.
- (٦) سر الفصاحة ص ٢٧٠.
- (٧) الوافي ص ٢٦٥.
- (٨) قانون البلاغة ص ٤١٨، ٤٣٩.
- (٩) الجامع الكبير ص ١٦٠.
- (١٠) العنكبوت ٦٨.
- (١١) الروم ٥٦.

جَلَسْتُ عَلَى الْمَكَانِ، فَعَدَلَ عَنِ اللَّفْظِ الْخَاصِ بِالْمَعْنَى إِلَى لَفْظٍ هُوَ رَدِيفُهُ، وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنِ لَفْظِ الْحَقِيقَةِ لِمَا فِي الْإِسْتِوَاءِ الَّذِي هُوَ لَفْظُ الْإِرْدَافِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِجُلُوسٍ مَتَمَكِّنٍ لَا زَيْغَ فِيهِ وَلَا مَيْلَ. وَهَذَا لَا يَحْصُلُ مِنْ لَفْظِ «جَلَسْتُ» وَ«قَعَدْتُ». وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ الشَّعْرِيَّةِ عَلَى الْإِرْدَافِ قَوْلُ أَبِي عُبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ طَعْنَةَ:

فَأَوْجَزْتُهُ أُخْرَى فَأَحَالَمْتُ نَصْلَهَا
بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرَّغْبُ وَالْحِقْدُ^(٥)
ومراده القلب فذكره بلفظ الإرداف.

والفرق بين الإرداف وبين الكناية أن الإرداف قد تقرر أنه عبارة عن تبديل الكلمة برديفها، والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزم؛ لأن الإرداف ليس فيه انتقال من لازم إلى ملزوم، والمراد بذلك انتقال المذكور إلى المتروك كما يقال: «فلان كثير الرماد» ومراده نقله إلى ملزومه وهي كثرة الطبخ للأضياف^(٦). ويبدو أن هذا التمييز لم يقع إلا بعد أن خاض السكاكي وشرح التلخيص في مباحث البلاغة التي ربطوها بالمنطق، ولذلك فرق السيوطي مثل ذلك التفريق وقال: «قال بعضهم: والفرق بين الكناية والإرداف أن الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم، والإرداف من مذكور إلى متروك»^(٧). وذكر المدني أنه والكناية شي واحد عند علماء البيان، غير أن أئمة البديع فرقوا بينهما^(٨).

- (١) الغاشية ٦.
- (٢) التوبة ٤٣.
- (٣) تحرير التحبير ص ٢٠٧، بديع القرآن ص ٨٣.
- (٤) هود ٤٤.
- (٥) أوجره الريح؛ طعنه به في فيه.
- (٦) خزنة الأدب ص ٣٧٦.
- (٧) معترك ج ١ ص ٢٩٠، الاتقان ج ٢ ص ٤٨، شرح عقود الجمان ص ١١٧، الروض المريع ص ١١٧.
- (٨) أنوار الربيع ج ٦ ص ٥١، وينظر نفحات ص ٧٩، شرح الكافية ص ١٩٩.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾^(١)، وَالضَّرِيْعُ نَبْتٌ وَهُوَ يَبِيْسُ الشَّبْرُقِ، وَلَا تَقْرِبُهُ الْإِبِلُ أَوْ الدَّوَابُّ لِخَبْثِهِ، وَالْمَعْنَى لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ أَصْلًا، لِأَنَّ الضَّرِيْعَ لَيْسَ بِطَعَامٍ الْبَهَائِمِ فَضْلًا عَنِ الْإِنْسِ.

ومن ذلك قول بعضهم:

وَتَفَرَّدُوا بِالْمَكْرَمَاتِ فَلَمْ يَكُنْ

لِسَوَاهِمُ مِنْهَا سِوَى الْجِرْمَانِ

والمراد نفي المكرمات عن سواهم لأنه إذا كان لهم الحرمان من المكرمات فمالهم منها شي البتة.

الخامس: ليس مما تقدم بشيء كقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾^(٢) والمعنى المراد من هذا الكلام أنك أخطأت وبئسما فعلت، وقوله: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو أي مالك أذنت لهم وهل أستأنيت؟ فذكر العفو دليل على الذنب ورادف له وإن لم يذكره.

ومن ذلك قول كثير:

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةَ أُنِّي

بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالَمٌ

فَان كَانَ خَيْرًا سَرْنِي وَعَلِمْتُهُ

وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمُنِي اللَّوَائِمُ

فان المراد من قوله «لم تلمني» أنني أهجرها فأضرب عن ذلك جانباً ولم يذكر اللفظ المختص به ولكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له.

ورجع المصري إلى ما بدأه قدامة ونقل تعريفه وبعض أمثله^(٣)، وقرق الحموي بين الإرداف والكناية وقال: «قالوا: إنه هو والكناية شيء واحد. قلت: إذ كان الأمر كذلك كان الواجب اختصارهما، وإنما أئمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني قالوا إن الفرق بينهما ظاهر. والإرداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾^(٤) فَإِنَّ حَقِيقَةَ ذَلِكَ:

ومن أمثلة الإرداف قول ابن أبي ربيعة:

بعيدة مهوى القرطِ إِمَّا لنوفلٍ
أبوها وإِما عَجْدُ شَمْسٍ وهاشمُ

أراد أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بعد مهوى القرط. وقول ليلي الأخيلية:

وَمَخْرَقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ

بين البيوتِ من الحياءِ سقيما

أرادت وصفه الجود والكرم فجاءت بالإرداف والتوابع لهما، أما ما يتبع الجود فإن تخرق قميص هذا المنعوت فسرّ أن العفاة تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم إياه، وأما ما يتبع الكرم فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتته نفس هذا الموصوف وإزالته عنه يُخال سقيما.

ومنه قول الحكم الخضري:

قد كان يُعْجِبُ بَعْضَهُنَّ بِرَاعَتِي

حتى سَمِعَنَ تَتَخَنُّحِي وَسُعَالِي

أراد وصف الكبر والسن فلم يأت باللفظ بعينه، ولكنه أتى بتوابعه وهي السعال والتنحنح.

إرسال المثل:

ذكره الثعالبي ولم يعرفه^(١)، وقال الحموي:

«إرسال المثل نوع لطيف في البديع ولم ينظمه في بديعته غير الشيخ صفي الدين، وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به»^(٢). ونقل المدني هذا التعريف^(٣). وذكره السبكي في البديع وقال عنه: «هو أن يُورد المتكلم مثلاً في كلامه، وقد عرف ذلك في علم البيان في مجاز التمثيل»^(٤).

وكان الوطواط والحلي والنويري قد ذكروه قبل ذلك ولكنهم لم يعرفوه^(٥)، وذكره أمثلة كقول أبي

فراس الحمداني:

تَهونُ علينا في المعالي نفوسنا
ومن نكح الحسناء لم يُغْلِها المَهْرُ

وقول المتنبي:

وحيدٌ من الخُلالِ في كلِّ بلدةٍ
إذا عَظَمَ المطلوبُ قلَّ المساعِدُ

تُبكي عليهن البطاريق في الدجى
وهنّ لدينا ملقيات كواسدُ

بذا قَصَّتِ الأيامُ ما بين أهلها
مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائِدُ

ومن إرسال المثل قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٦) وقوله: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾^(٧)، وقوله: ﴿أليس الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾^(٨) وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٩).

ومن كلامه - صلى الله عليه وسلم -: «لا يلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين»، وقوله: «آفة العلم النسيان وإضاعته أن تُحدِّثَ به غير أهله»، وقوله: «الحياء من الايمان» وقوله: «لا ضَرَرٌ ولا ضِرارٌ في الاسلام».

ومن ذلك قول زهير:

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢١٤، ٢١٩.

(٢) خزانة ص ٨٣.

(٣) أنوار ج ٢ ص ٥٩، نفعات ص ١٠٩.

(٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣.

(٥) حدائق السحر ص ١٥٥، حسن التوسل

ص ٢٤٢، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٧، التبيان

في البيان ص ٢٨١، شرح الكافية ص ١١٨.

(٦) آل عمران ٩٢.

(٧) يوسف ٤١.

(٨) هود ٨١.

(٩) المدثر ٣٨.

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفرّه ومن لا يتق الشتم يشتّم

وقول النابغة:

ولمست بمُستبِقِ أحمًا لا تلمّه
على شعث، أي الرجال المهذب؟

وقول الأفوه الأودي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

وقول لبيد:

وما المال والأهلون إلا وديعة
ولا بدّ يومًا أن تُردّ الودائع

وقول القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المُستعجل الزلل

وقول بشار:

إذا كنت في كلّ الأمور مُعاتبًا
صديقك لم تلق الذي لا تُعاتبه

وقوله:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وقول أبي العتاهية:

إنّ الشباب حجة التصابي
روائح الجنة في الشباب

وقول المتنبي:

إني لأعلم واللبيبُ خبيرُ
أنّ الحياة وإن حُرّضتْ غرورُ

وقوله:

تلذ له المروءة وهي تُؤذي
ومن يعشق يلد له الغرام

وقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

إرسال المثليين:

ذكره الثعالبي^(١)، وعرفه الطواط بقوله: «وتكون
هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر مثليين في بيت
واحد»^(٢). وقال الرازي: «هو عبارة عن الجمع بين
المثليين»^(٣). ونقل الحلبي والنويري هذا التعريف^(٤).

ومن شواهد هذا الفن قول لبيد:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ
وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

وقول أبي فراس:

ومن لم يُوق الله فهو مُضَيِّعُ
ومن لم يُعز الله فهو ذليلُ

وقول المتنبي:

أعز مكان في الدنا سرج سابع
وخير جليس في الزمان كتاب

وقوله:

وكل امرئ يولي الجميل مُحَبَّبُ
وكل مكان يُنبئ العز طيبُ

الإرصاد:

الإرصاد: الانتظار والاعداد، ويقال: أرصدته إذا
قعدت له على طريقه ترقبه^(٥).

والإرصاد: هو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو
البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي. ويُسمى

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ١١٧.

(٢) حدائق السحر ص ١٥٦.

(٣) نهاية الأيجاز ص ١١٢.

(٤) حسن التوسل ص ٢٤٢، ونهاية الأرب ج ٧
ص ١٢٨.

(٥) اللسان (رصد).

اخترعناه نحن. قلت: وما كلفيته؟ فأجابني بجواب لم يبرزه في عبارة يحكيها عن غيره: إنَّ صفة الشعر المسهَّم أن يسبق المستمع الى قوافيه قبل أن ينتهي اليها راوية منذ الشطر الأول قبل أن يخرج الى الشطر الأخير ومن قبل أن يسمعه»^(٦). وسماه ابن وكيع المطمع^(٧)، وذكر ابن سنان ان بعضهم يسميه توشيحاً^(٨)، وبعضهم يسميه تسهيمًا^(٩) وسماه توشيحًا المصري وابن مالك وابن الاثير الحلبي^(١٠)، والتوشيح عند ابن منقذ «هو أن تريد الشي فتعبر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه»^(١١) كقول ابن المعتز:

آذريون أتاك في طَبَقِه

كالمسك في ريحه وفي عَبَقِه

- (١) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٦.
- (٢) نقد الشعر ص ١٩١.
- (٣) كتاب الصناعتين ص ٣٨٢.
- (٤) المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٠.
- (٥) الايضاح ص ٣٤٧، التلخيص ص ٣٥٦، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥، المطول ص ٤٢٢ الاطول ج ٢ ص ١٩٠.
- (٦) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٢.
- (٧) العمدة ج ٢ ص ٣١.
- (٨) سر الفصاحة ص ١٨٧.
- (٩) الوافي ص ٢٧١، قانون البلاغة ص ٤٤٣، البديع في نقد الشعر ص ١٢٧، الرسالة العسجدية ص ١٥٢، التبيان ص ١٨٣، تحرير التحرير ص ٢٦٣، بديع القرآن ص ١٠٠، منهاج البلغاء ص ٩٤، المصباح ص ٨٩، حسن التوسل ص ٢٦٦، بديع القرآن ص ١٠٠، منهاج البلغاء ص ٩٤، المصباح ص ٨٩، حسن التوسل ص ٢٦٦، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٢، جوهر الكنز ص ٢٤٨، الفوائد ص ٢٤٣، أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٣٦، حلية اللب ص ١٣٤، التبيان في البيان ص ٣٢٦.

- (١٠) تحرير ص ٢٢٨، بديع القرآن ص ٩٠، المصباح ص ٩١، جوهر الكنز ص ٢١٣.
- (١١) البديع في نقد الشعر ص ٨٩.

«التسهيم»، وهو مأخوذ من الثوب المسهم، وهو الذي يدل أحد سهامه على الآخر الذي قبله لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذي قبله. وكان ابن المقفع قد ذكره وإن لم يسمه حينما قال: «وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته»^(١). وعلّق الجاحظ عليه بقوله: «كأنه يقول: فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنك ولا يشير الى مغزاك والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزلت».

وسماه قدامة التوشيح وقال: «هو أن يكون أول البيت شاهدًا بقافيته ومعناها متعلقًا به حتى أن الذي يعرفُ قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته»^(٢). وفضّل العسكري أن يسمى التبيين وقال: «سُمي هذا النوع التوشيح، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ولو سمي تبيينًا لكان أقرب. وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبئ عن مقطعه، وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد بعجزه حتى لو سمعت شعرًا أو عرفت رواية ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع اليه. وخير الشعر ما تسابق صدره واعجازه ومعانيه وألفاظه»^(٣).

ورأى ابن الاثير أن تسميته بالارصاد أولى، وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به، أما التوشيح فنوع آخر من علم البيان^(٤). وسماه القزويني وشراح تلخيصه إرصادًا وقال إنه يسمى التسهيم أيضًا^(٥).

وذكر ابن رشيق تسمية قدامة وإن سماه تسهيمًا كما سماه علي بن هارون المنجم. قال الحاتمي: «قلت لعلي بن هارون المنجم: ما رأيت أعلم بصناعة الشعر منك في التسهيم، فقال: وهذا لقب

قد نفض العاشقون ما صنع الـ
هَجْرُ بِالْوَانِهِمْ عَلَى وَرْقِهِ

فمدار البيت موضوع على أنه أصفر. وليس كذلك الإرصاد الذي اتفق عليه المتأخرون كالقزويني الذي قال: «الارصاد ويسمى التسهيم أيضًا، وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي»^(١)، وتبعه في ذلك شراح تلخيصه كالسبكي والتفتازاني والاسفرايني والمغربي^(٢).

وفرق الحموي بين التوشيح والتسهيم فقال: «اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالاً على لفظ آخره ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشع اللذين يجول عليهما الوشاح»^(٣). وقال عن التسهيم: «وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات أخت عمرو ذي كلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها: «فاقسم يا عمرو لو نبهاك» يقتضي أن يكون تمامه: «إذن نبها منك داءً عضالاً» دون غيره من القوافي لأنه قال مكان «داءً عضالاً»: ليثا غضوباً، أو: أفعى قتولا، أو ما ناسب ذلك لكان «الداء العضال» أبلغ إذ كل منهما ممكن مغالبتة والتوقي منه، والداء العضال لا دواء له. وهذا مما يعرف بالمعنى، وأما ما يدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده:

إِذَنْ نَبَّهَا لَيْثٌ عَرِيْسَةٌ

مقيماً مفيداً نفوساً ومالا

وخرق تجاوزت مجهولة

بوجناء حَرْفٍ تَشْكِي الملالا

فكنت النهار به شمسه

يقتضي أن يتلوه:

وكنت دجى الليل فيه الهلالا

ومنه قول البحري:

أحلت دمي من غير جُزْمٍ وحرَّمتْ
بلا سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كلامِي

فليس الذي قد حَلَلْتُ بمحللٍ

ومن هنا يعرف المتأدب أن تمامه:

وليس الذي قد حرَّمتْ بحرام^(٤)

وهذا الفن من محمود الصنعة لأن خير الكلام ما دلَّ بعضه على بعض^(٥) ومن أمثله في كتاب الله قوله: ﴿وما كان الناس إلا أمةً واحدةً فاختلفوا، ولولا كلمةٌ سبقت من ربك لقتل بعضهم فيما فيه يختلفون﴾^(٦). فاذا وقف السامع على قوله تعالى: ﴿لقتل بعضهم فيما فيه﴾ عَرَفَ أن بعده ﴿يختلفون﴾ لما تقدم من الدلالة عليه. ومنه قوله: ﴿مثل الذين اتَّخذوا من دُونِ اللَّهِ أولياءَ كمثل العنكبوت اتَّخذت بيوتاً، وإنَّ أوْهَنَ البيوتِ لبيوتُ العنكبوت﴾^(٧)، فاذا وقف السامع على قوله - عز وجل - ﴿وإنَّ أوْهَنَ البيوتِ﴾ عَلِمَ أن بعده ﴿لبيوتُ العنكبوت﴾ وقوله: ﴿وما كان اللُّهُ ليظلمهم، ولكن كانوا أنفُسَهُمْ يَظلمون﴾^(٨)، فإن أول الآية يدل على آخرها.

ومنه قول زهير:

سَيِّمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ
ثَمَانِينَ حَوْلًا - لا أبا لك - يَسَامُ

وقول الآخر:

(١) الايضاح ص ٣٤٧، التلخيص ص ٣٥٦.

(٢) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥، المطول ص ٤٢٢، الأطول ج ٢ ص ١٩٠.

(٣) خزنة الأدب ص ١٠٠.

(٤) خزنة الأدب ص ٣٧٤.

(٥) المثل السائر ج ٢ ص ٣٤٨، الجامع الكبير ص ٢٣٨.

(٦) يونس ١٩.

(٧) العنكبوت ٤١.

(٨) العنكبوت ٤٠.

الفواصل على زنة واحدة وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن». وتحدث عن عيوب الازدواج، ومن ذلك التجميع وهو «أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني»، ومن عيوبه التطويل وهو «أن تجي الجزء الأول طويلاً فتحتاج الى إطالة الثاني ضرورة».

وتحدث الخفاجي عن السجع والازدواج في باب واحد^(٤)، ولكنه قَسَمَ الفواصل الى قسمين: ضرب يكون سجعا وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعا، وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثل. ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أي المتماثل والمتقارب من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً وتابعا للمعاني وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى. فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض. ويبدو أنه يريد بالازدواج المتقارب أي الذي لا تماثل حروفه في المقاطع.

وعرّفه ابن منقذ بقوله: «هو أن تُزَوجَ بين الكلمات والجمل بكلام عذب وألغاز عذبة حلوة»^(٥). ونقل ابن قيم الجوزية هذا التعريف^(٦).

وقال المصري: «هو أن يأتي الشاعر في بيته من أوله الى آخره بجمل، كل جملة فيها كلمتان مزدوجتان، كل كلمة إما مفردة أو جملة. وأكثر ما يقع هذا النوع في أسماء مثناة مضافة»^(٧).

وأطلقه الرماني على قسم من التجانس الذي

(١) اللسان (زوج).

(٢) البيان ج ٢ ص ١١٦.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٢٦٠.

(٤) سر الفصاحة ص ٢٠٣.

(٥) البديع في نقد الشعر ص ١١١.

(٦) الفوائد ص ٢٢٥.

(٧) تحرير التحرير ص ٤٥٢.

إذا لم تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ
وجاوزهُ الى ما تَسْتَطِيعُ
وقول البحري:

أبكيكما دَمْعًا ولو أني على
قَدْر الجوى أبكي بكيتكما دَمَا

الازدواج:

الازدواج من ازدوج، وازدوج الكلام وتزواج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن، أو كان لاحدى القضيتين تعلق بالأخرى^(١).

وكان الجاحظ قد عقد في «البيان والتبيين» باباً سماه «من مزدوج الكلام»^(٢) لم يُعرّفه، ولكن الأمثلة التي ذكرها تدل على أنه أراد تساوي الفقرتين في الطول مع السجع، كقوله - صلى الله عليه وسلم - في معاوية: «اللهم علّمه الكتاب والحساب، وقه العذاب».

وعقد العسكري باباً في «السجع والازدواج» وقال: «لا يحسن منشور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجاً»^(٣). ولم يفرق بين المصطلحين، وكان الازدواج عنده مرتبطاً بالسجع أو التوازن بين العبارتين اللتين تأتيان مسجوعتين أحياناً وغير مسجوعتين أحياناً أخرى، ولكنه يفضل أن تكونا مسجوعتين، قال وهو يتحدث عن وجوه السجع: «والذي هو دونهما أن تكون الأجزاء متعادلة وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد... والذي ينبغي أن يُستعمل في هذا الباب ولا بد منه هو الازدواج فإن أمكن أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد أو ثلاث أو أربع لا يتجاوز ذلك كان أحسن فإن جاوز ذلك نُسب الى التكلف. وإن أمكن أيضاً أن تكون الأجزاء متوازنة كان أجمل وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول على أنه قد جاء في كثير من ازدواج الفصحاء ما كان الجزء الأخير منه أقصر... وينبغي أيضاً أن تكون

أردأنهنَّ وما ميسس
ن من العبير معاً عبيز

الاستئناف:

تحدث عبد القاهر في مبحث الفصل والوصل عن
الاستئناف وذكر له أمثلة كثيرة، ومن ذلك قول
اليزيدي:

مَلَكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ

ألقاه من زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي

وقال إني في الهوى كاذبٌ

انتقم الله من الكاذبِ

استأنف قول: «انتقم الله من الكاذب» لأنه جعل نفسه
كأنه يجيب سائلاً قال له: فما تقول فيما اتهمك به من
أنك كاذب؟ فقال: أقول: انتقم الله من الكاذب^(٧).

وذكر السكاكي والقزويني كلام عبد القاهر
وأمثله،^(٨) وعرفه التنوخي بقوله: «هو الاتيان بعد
تمام كلام بقول يفهم منه جواب سؤال مقدر»^(٩).
وهذا ما ذهب اليه السابقون. ثم قال: «فمنه ما
يكون باعادة اسم أو صفة كقولك: «أكرم زيداً فزيد
أهل الاكرام» أو «أكرم زيداً صديقك الصدوق» كأنه
توهم أن قائلاً يقول له: لم يكرم زيد؟ فكان استئنافه
كالجواب لذلك. ومنه قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ

(١) البقرة ١٩٤.

(٢) التوبة ١٢٧.

(٣) النكت في إعجاز القرآن ص ٩١، وينظر ما اتفق
لفظه واختلف معناه ص ١٣.

(٤) خزانة الأدب ص ٤٣٥.

(٥) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.

(٦) اقترن العليم بالحكيم والغفور بالرحيم في كثير
من آيات القرآن الكريم.

(٧) دلائل الاعجاز ص ١٨٣.

(٨) مفتاح العلوم ص ١٢٧، الايضاح ص ١٥٥،

التلخيص ص ١٨٦.

(٩) الأقصى القريب ص ٦٨.

قال إنه نوعان: مزوجة ومناسبة، والمزوجة تقع في
الجزاء كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ﴾^(١) أي جازوه بما يستحق على طريق العدل
إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة
على المساواة في المقدار فجاء على مزوجة
الكلام لحسن البيان. والمناسبة تدور في فنون
المعاني التي ترجع الى أصل واحد كقوله تعالى:
﴿ثُمَّ انصرفوا صَرْفَ اللّٰهُ قَلُوبَهُمْ﴾^(٢) فجونس
بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير،
والاصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أما
هم فذهبوا عن الذكر وأما قلوبهم فذهب عنها
الخير^(٣).

وأطلقه الحموي أيضاً على المزوجة فقال: «هذا
النوع سَمَّوه المزوجة والازدواج»^(٤) ونقل تعريف
السكاكي وهو: «المزوجة: هي أن تُزَوجَ بين معنيين
في الشرط والجزاء»^(٥) كقول الشاعر:

إذا ما نهى الناهي فَلَجَّ بِي الهوى

أصاخ الى الواشي فَلَجَّ به الهَجْرُ

وهذا ما ذكره الرماني، ويبدو أن الإزدواج أعثم من
المزوجة لأنه لا يرتبط بالشرط الذي ذكره الرماني
والسكاكي والحموي.

ومن الازدواج أيضاً قوله تعالى: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
و﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٦).

وقول الشاعر:

ومعظمُ النَّصْرِ يومُ النَّصْرِ مَطْعَمُهُ

أَنْتَى تَوَجَّهَ والمَحْرُومُ مَحْرُومٌ

وقول أبي تمام:

وكانا جميعًا شريكِي عِنَانٍ

رضيحي لبانِ خليلي صفاءِ

وقول ابن الرومي:

أبدانهنَّ وما لبيس

ن من الحرير معاً حريز

أي: لِمَ تقول هذا ويحك؟ وما الذي اقتضاك أن تطوي
عن الحياة الى هذا الحد كشحك؟

وإما عن سبب خاص له كقوله تعالى: ﴿وما أبرئُ
نفسي إنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٧)، كأنه قيل: هل
النفس أمارة بالسوء؟ فقيل: إنَّ النفس لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ.

وإما عن غيرهما كقوله تعالى: ﴿قالوا: سلامًا،
قال: سلامٌ﴾^(٨)، كأنه قيل: فماذا قال ابراهيم عليه
السلام؟ فقيل: قال: سلام. ومنه قول الشاعر:

زَعَمَ العَوَازِلُ أَنَّنِي فِي عَمْرَةٍ
صَدَقُوا، وَلَكِنْ عَمَّرْتِي لَا تَنْجَلِي^(٩)

فانه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال كان
ذلك مما يحرك السامع ليسأل: أَصَدَقُوا فِي ذَلِكَ أَمْ
كَذَّبُوا؟ فأخرج الكلام مخرجه اذا كان ذلك قد قيل له،
ففصل.

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة كقوله
تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ﴾^(١٠)
فيمن قرأ ﴿يُسَبِّحُ﴾ مبيِّنًا للمفعول. وقد يحذف
الاستئناف كله كقول الشاعر:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قَرِيشٌ
لَهُمْ إِفٌّ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلافٌ^(١١)

حذف الجواب الذي هو: كذبتم في زعمكم وأقام

(١) طه ٤ - ٥.

(٢) طه ٧ - ٨.

(٣) الأنعام ١٠٣.

(٤) الأنبياء ٦٢ - ٦٣.

(٥) الايضاح ص ١٥٦، التلخيص ص ١٨٦، شروح

التلخيص ج ٣ ص ٥٧، المطول ص ٢٥٩

الاطول ج ٢ ص ١٤.

(٦) غرض؛ ضجر ومل. الغر؛ من لا تجربة له.

(٧) يوسف ٥٣.

(٨) هود ٦٩ - ٣٧.

(٩) الغمرة؛ الشدة. لا تنجلي؛ لا تنكشف.

(١٠) النور ٣٦.

(١١) الالف والايلاف؛ العهد.

الأرضَ والسماواتِ العُلى، الرحمنُ على العرشِ
استوى^(١). وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ
يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الحسنى﴾^(٢). الاستئناف هنا هو قوله تعالى:
﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الحسنى﴾. وقوله تعالى: ﴿لَا
تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ
الخبير﴾^(٣). يدفع وصفه تعالى باللفظ والخبرة
توهم من يستبعد مدركا للبصر ولا يدركه البصر.

وقد يكون الاستئناف بما ليس فيه إعادة اسم ولا
صفة كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِيَا
إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ
كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٤). تمَّ الجواب بقوله: ﴿بل فعله
كبيرهم هذا﴾ واستأنف ﴿فاسألوهم إِنْ كانوا
ينطقون﴾ تنبيهاً على أن جوابه كان تهكما بهم
وليس على حقيقته وأنَّ من لا ينطق كيف يفعل هذا
بل كيف يكون إلها.

وهذا النوع في الكلام كثير، وهو من لطيف البيان،
ولا ينبغي أن يُعدَّ هذا من الحذف؛ لان المتكلم ما
حذف من كلامه شيئاً وانما السؤال لم يقع فكان هذا
جوابه لو وقع.

وقسّم المتأخرون الاستئناف ثلاثة أضرب^(٥): لأنَّ
السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب
الحكم فيها مطلقاً كقول الشاعر:

قال لي؟ كيف أنت؟ قلتُ: عليلٌ

سَهْرٌ دائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

أي: ما بالك عليلًا؟ او ما سبب علتك؟

وكقول الآخر:

وقد غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي

مُعْطِ حَيَاتِي لَغَرٍّ بَعْدَمَا غَرَضَا^(٦)

جربت دهري وأهليه فما تركتُ

لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضَا

مقامه «لهم إلف وليس لكم إلاف» مقامه لدلالته عليه. وقد يحذف ولا يقام شي مقامه كقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْعَبْدُ﴾^(١) أي: «أيوب»، أو «هو» لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه. ونحو قوله: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾^(٢)، أي: نحن.

وقوله:

تُشْرِقُ تِجَانُهُ بِغُرَّتِهِ
إِشْرَاقَ أَلْفَاظِهِ بِمَعْنَاهَا

وقوله:

تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ
كَأَنَّمَا فِي نَفْسِهِمْ شَيْئٌ^(٩)

الاستبّاع:

يقال: استتبعه أي طلب اليه أن يتبعه^(٣)، والاستبّاع هو المجيء بوجه يستتبع وجهها آخر. وقد سَمَّاهُ العسْكَرِيُّ المِضَاعِفَةَ وَقَالَ عَنْهُ: «هُوَ أَنْ يَتَضَمَّنَ الْكَلَامَ مَعْنِيَيْنِ: مَعْنَى مَصْرُوحٍ بِهِ، وَمَعْنَى كَالْمِشَارِ إِلَيْهِ»^(٤). وسماه ابن منقذ التعليق^(٥)، وتبعه في ذلك المصري الذي قال: «هو أن يأتي المتكلم بمعنى في غرض من أغراض الشعر ثم يعلق معنى به معنى آخر من ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفن كمن يروم مدحا لانسان بالكرم فيعلق بالكرم شيئا يدل على الشجاعة بحيث لو أراد أن يخلص ذكر الشجاعة من الكرم لما قدر»^(٦) وسماه كذلك ابن مالك والعلوي^(٧)، وسماه الرازي والحلبي والنويري وابن قيم الجوزية «الموجه»^(٨). وهذه تسمية الثعالبي فقد قال عن المتنبي ومحاسن شعره: «ومنها المدح الموجه كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن، كقوله:

نَهَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ
لَهَيْئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ

قال ابن جنبي: لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وَحَدَّهُ لَكَانَ قَدْ بَقِيَ فِيهِ مَا لَا يَخْلُقُهُ الزمان وهذا هو المدح الموجه؛ لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه واتصال أيامه. وكقوله:

عُمِّرُ الْعَدُوَّ إِذَا لَاقَاهُ فِي رَهَجٍ
أَقْلُّ مِنْ عُمُرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا
مَالٌ كَأَنَّ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ
فَكَلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا

وأخذ الوطواط هذه التسمية وقال: «المدح الموجه، ويقصد بالفارسية ما يحتمل أن يكون على وجهين، وتكون هذه الصنعة بان يمدح الشاعر ممدوحه بصفة من الصفات الحميدة بحيث يقرن بها صفة حميدة أخرى من صفاته فيحصل بذلك مدح الممدوح على وجهين»^(١٠). ومثل له بقول المتنبي: «نهبت من الاعمار» وسماه السكاكي الاستبّاع وقال: «هو المدح بشيء على وجه يستتبع مدحا آخر»^(١١) وذكر بيت المتنبي شاهدا. وتبعه في ذلك القزويني والسبكي والتفتازاني والحموي والسيوطي والاسفراييني والمغربي والدمنهوري^(١٢). وفرّق

(١) ص ٣٠، ٤٤.

(٢) الذاريات ٤٨.

(٣) اللسان (تبع).

(٤) كتاب الصناعتين ص ٤٢٣.

(٥) البديع في نقد الشعر ص ٥٨.

(٦) تحرير التحرير ص ٤٤٣، بديع القرآن ص ١٧١.

(٧) المصباح ص ١٢٣، الطراز ج ٣ ص ١٥٩.

(٨) نهاية الأيجاز ص ١١٤، حسن التوسل ص ٣١٩،

نهاية الأرب ج ٧ ص ١٨١، الفوائد ص ١٦٥.

(٩) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٠٠.

(١٠) حدائق السحر ص ١٣١.

(١١) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(١٢) الأيضاح ص ٣٧٤، التلخيص ص ٣٨٣، عروس

الأفراح ج ٤ ص ٣٩٦، المطول ص ٤٤٢،

المختصر ج ٤ ص ٣٩٦، خزانة الأدب

ص ٤١٧، شرح عقود الجمان ص ١٢٦، الأطول

ج ٢ ص ٢١٧، مواهب الفتاح ج ٤ ص ٣٩٦، حلية

اللب ص ١٤٧، نفحات ص ٢٩٤.

المدني بينه وبين التكميل بقوله: «والفرق بين هذا النوع وبين التكميل، أنَّ التكميل يكمل ما وصف به أولاً، والاستتباع لا يلزم فيه ذلك»^(١).

ومن أمثلة ما جاء من الاستتباع في الذم قول ابن هاني المغربي:

إِنَّ لَفْظًا تَلَوَّكَه لَشَبِيهَةٌ

بِكَ فِي مَنْظَرِ الْجَفَاءِ الْجَلِيفِ

وصفة بالعي وقبح اللهجة على وجه يستتبع وصفه بجفاء الخلقة والجلافة. ومن ذلك قول المدني:

وَبَثُّوا الْجِيَادَ السَّابِحَاتِ لِيَلْحَقُوا

وَهَلْ يُدْرِكُ الْكِسْلَانُ شَأْوَ أَخِي الْمَجْدِ

فساروا وعادوا خائبين على وَجَى

كما خاب من قدبات منهم على وَغْدِ^(٢)

الاستثناء:

الاستثناء من استثنيت الشيء من الشيء أي حاشيته^(٣)، وقد عرفه الأشموني بقوله: «الاستثناء هو الإخراج بـ«إلا» أو إحدى اخواتها لما كان داخلاً أو منزلاً منزلة الداخل»^(٤).

وقد تحدث العسكري عنه في باب البديع وقسمه إلى قسمين:

الأول: أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثني بغيره فتكون الزيادة التي قصدتها والتوكيد الذي توحيته في استثنائك كقول النابغة الذبياني:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ

بِهِنَّ فَلَوْلَ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ

وقول الآخر:

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ

جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ

عَلَى أَنَّ فِيهِ يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

الثاني: استقصاء المعنى والتحرز من دخول

النقصان فيه كقول طرفة:

فَسَقَى دِيَارَكَ - غَيْرَ مَفْسِدَهَا -

صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

وقول الآخر:

فَلَا تَبْعَدَنَّ إِلَّا مِنَ السُّوءِ إِنَّمَا

الِيكَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ نَازِعٌ^(٥)

والأول هو الذي سماه ابن المعتز تأكيد المدح بما يشبه الذم^(٦)، والثاني الاحتراس وذكر الباقلاني النوع الأول وسماه استثناءً وقال: «ومن البديع ضرب من الاستثناء»^(٧)، وذكر أمثلة العسكري. وتابعه ابن رشيق غير أنه أخرج الاحتراس الذي ذكره العسكري من هذا الباب، وقال: «ومن أصحاب التأليف من يعد في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر:

فَأُضْبِحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

وقال الربيع بن ضبيع الفراري:

فَنَيْتُ وَمَا يَفْنَى صَنِيعِي وَمَنْطِقِي

وَكُلُّ أَمْرٍ إِلَّا أَحَادِيثَهُ فَانِي

وليس من هذا الباب عندي، وإنما هو من باب الاحتراس والاحتياط، فلو أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطلال ولخرجنا فيه عن قصده وغرضه، ولكل نوع موضع^(٨).

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٤٩، شرح الكافية ص ٢٨٨.

(٢) الوجي؛ الحفا.

(٣) اللسان (ثني)، وينظر التعريفات ص ١٧.

(٤) شرح الأشموني ص ٢٢٧.

(٥) كتاب الصناعتين ص ٤٠٨.

(٦) البديع ص ٦٢ وينظر المنصف ذي نقد الشعر لابن وكيع ص ٧١.

(٧) اعجاز القرآن ص ١٦٠.

(٨) العمدة ج ٢ ص ٥٠، وينظر المنزع البديع ص ٢٨٦.

ويتضح أنّ البلاغيين نظروا الى الاستثناء من زاويتين:

الاولى: أنّه تأكيد المدح بما يشبه الذم كما فعل ابن المعتز والعسكري.

الثانية: انه الاستثناء النحوي الذي يشتمل على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوية، ويمثل هذا الاتجاه المصري وابن الأثير الحلبي والسيوطي والمدني.

ومن أمثلة الاستثناء قوله تعالى: ﴿قالت الأعرابُ أمّنا، قل لم تُؤْمِنُوا ولكن قولوا: أسلمنا﴾^(١). فان الكلام لو اقتصر فيه على ما دون الاستدراك لكان منفراً لهم؛ لأنهم ظنوا الاقرار بالشهادتين من غير اعتقادهما إيماناً فأوجبت البلاغة تبيين الايمان فاستدرك ما استدركه من الكلام ليعلم أنّ الايمان موافقة القلب للسان وأنّ انفراد اللسان بذلك يسمى اسلاماً لا ايماناً، وزاده ايضاً بقوله تعالى: ﴿ولمّا يدخل الإيمانُ في قلوبكم﴾^(٢) فلما تضمن الاستدراك ايضاح ما على ظاهر الكلام من الاشكال عدّ من المحاسن. وكذلك الاستثناء لا بدّ من تضمنه معنى زائداً على الاستثناء كقوله تعالى: ﴿فسجد الملائكةُ كلّهم أجمعون إلا إبليس﴾^(٣)، فان هذا

(١) الوافي ص ٢٨٣، قانون البلاغة ص ٤٥٠.

(٢) نضرة الاغريض ص ١٢٨.

(٣) تحرير التحرير ص ٣٣٣، بديع القرآن ص ١٢١.

(٤) جوهر الكنز ص ٢٤٦.

(٥) الفوائد ص ١٧١.

(٦) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٥١.

(٧) خزانة ص ١١٨.

(٨) معترك ج ١ ص ٢٩٠، شرح عقود الجمان ص ١٣٢، الروض المربع ص ١١٩.

(٩) انوار الربيع ج ٣ ص ١٠٩، نفحات ص ٢١٩،

كفاية الطالب ص ١٩٢، شرح الكافية ص ١١١.

(١٠) الحجرات ١٤.

(١١) الحجرات ١٤.

(١٢) الحجر ٣٠ - ٣١.

وسار على هذا النهج التبريزي والبغدادي^(١)، وسماه المظفر العلوي استثناءً أيضاً ولكنه قال: «وقد عبّر عنه جماعة فكان أقرب أقوالهم الى القلب ما ذكره عبد الله بن المعتز فانه قال: «الاستثناء في الشعر تأكيد مدح بما يشبه الذم»^(٢) وفعل مثله المصري فقال: «الاستثناء استثناءان: لغوي وصناعي، فاللغوي اخراج القليل من الكثير، وقد فرغ النحاة من ذلك مفصلاً في كتبهم. والصناعي هو الذي يفيد بعد اخراج القليل من الكثير معنى زائداً يُعدّ من محاسن الكلام، يستحق به الاتيان في أبواب البديع. ومتى لم يكن في الاستدراك والاستثناء معنى من المحاسن غير ماوضع له لا يعدّ ان من البديع»^(٣).

وتابعه ابن الاثير الحلبي في التعريف والأمثلة^(٤)، وعرفه ابن قيم الجوزية بقوله: «هو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه أو يدخل شيئاً ثم يخرج منه بعضه»^(٥) وقال إن الاستثناء في القرآن الكريم كثير، وأما الرجوع فلا ينبغي أن يكون في كتاب الله منه شيء؛ لأنّ المتكلم به لا يليق بجلاله أن يوصف بالرجوع عن شيء، وأما ما سوى القرآن ففيه منه كثير.

وعقد الزركشي باباً للاستثناء وقال: «وقريب منه تأكيد المدح بما يشبه الذم بان يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها»^(٦)، وقال إنّ التأكيد فيه من وجهين: على الاتصال في الاستثناء؛ والانقطاع.

وعاد الحمودي الى نهج المصري وابن الاثير الحلبي ونقل ما ذكره^(٧)، وقرن السيوطي الاستدراك بالاستثناء وقال: إنّ «شرط كونهما من البديع أن يتضمننا ضرباً من المحاسن زائداً على ما يدل عليه المعنى اللغوي»^(٨). وذكر المدني هذا الشرط فقال: «فليس كل استثناء يُعدّ من المحسنات البديعية بل يشترط فيه اشتماله على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي حتى يستحق به نظمه في سلك أنواع البديع»^(٩).

من الكثير»^(١). كقول القائل:

إليك وإلا ما تُحَثُّ الركائبُ
وعنك وإلا فالمحدثُ كاذبُ

فان خلاصة هذا البيت قول الشاعر للممدوح: لا تحث الركائب إلا اليك ولا يصدق المحدث إلا عنك، ولا يحصل هذا الحصر من الاستثناء السابق. وقد شرح المصري ذلك بقوله: «فان قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(٢) لا يمنع أن يقال: إلا خمسين عامًا وعامًا لولا توخي الصدق في الخبر. وقوله سبحانه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(٣) لا يمنع ان يقال: ورهطه، لولا مراعاة الصدق، ولأن الصيغ التي قدرها المعترض لا يقع مثلها في الكلام الفصيح فانها عبارة أهل العي والفهد. فان قلت: كل الاستثناء موضوع للحصر فلا اختيار لهذا الاستثناء على الأول، وما قدرته في الاستثناء الأول يلزم مثله في هذا الاستثناء إذا أزلت منه التقديم والتأجير وأتيت بالكلام على استقامته. قلت: الذي ميّز هذا الاستثناء على الأول هو ما فيه من التقديم والتأجير فانه على الصورة التي جاء عليها يفيد حصرًا أشد من حصر جنس الاستثناء كله».

وذكر الحموي والسيوطي هذا النوع ونسباه الى المصري^(٤)، ولكن المدني علق على ذلك بقوله: «وأنا أقول: أما لفظ البيت^(٥) فليس فيه استثناء وإلا» المذكورة في صدره وعجزه ليست هي الاستثنائية وانما هي بمعنى «إن لم» فهي كلمتان «ان» الشرطية

(١) تحرير التحبير ص ٣٣٧.

(٢) العنكبوت ١٤.

(٣) الحجر ٣٠ - ٣١.

(٤) خزانة الأدب ص ١١٩، شرح عقود الجمان ص ١٣٢.

(٥) البيت هو؛

إليك وإلا ما تحث الركائب
وعنك وإلا فالمحدث كاذب

الاستثناء لو لم يتقدم لفظه هذا الاحتراس من قوله تعالى ﴿كلهم أجمعون﴾ لما جاز اثباته في أبواب البديع فانه لو اقتصر فيه على قوله ﴿فسجد الملائكة إلا إبليس﴾ لاحتمل أن يكون من الملائكة من لم يسجد فيتأسّى به إبليس ولا يكون منفردًا بهذه الكبيرة لاحتمال أن تكون أداة التعريف للعهد لا للجنس، فلما كان هذا الاشكال يتوجه على الكلام اذا اقتصر فيه على ما دون التوكيد وجب الاتيان بالتوكيد، ليعلم أن أداة التعريف للجنس فيرتفع هذا الاشكال بهذا الاحتراس فحينئذ تعظم كبيرة ابليس لكونه فارق جميع الملائكة الأعلى وخرق اجماع الملائكة فيستحق أن يفرد بما جرى عليه من اللعن الى آخر الأبد.

ومنه قول زهير:

أخو ثقةٍ لا تُهْلِكُ الخمرُ ما له
ولكنه قد يُهْلِكُ المالَ نائله

وقول أبي نواس:

لمن طَلَلْ عاري المحلّ دفينُ
عفا آيه إلا خوالد جُونُ

وقول الآخر:

تَبَّتْ يَدٌ سَأَلَتْ سواك وأجدبتُ
أرض بغير بحارِ جودك توسمُ
فالعزّ إلا في حياتك ذلّةُ
والمال إلا من يديك محرّمُ

وهناك نوع آخر من الاستثناء وقع للمصري وسماه «استثناء الحصر».

إِسْتِثْنَاءُ الْحَصْرِ:

وَقَعَ هَذَا النَّوعُ لِلْمِصْرِيِّ وَهُوَ الَّذِي سَمَاهُ بِهَذَا الْأِسْمِ قَالَ: «وَمِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ، نَوْعٌ وَقَعَ لِي فَسَمَيْتُهُ إِسْتِثْنَاءَ الْحَصْرِ، وَهُوَ غَيْرُ الْإِسْتِثْنَاءِ الَّذِي يَخْرُجُ الْقَلِيلُ

بالإضافة الى الآخر، وهذه الأشياء من جهة ما ان كان واحد منها يقال بالقياس الى غيره هي من المضاف، ومن جهة أن كل واحد منها بازاء صاحبه كالمقابل له فهي من المتقابلات.

وإما على طريق التضاد مثل: الشرير للخير والحرار للبارد والأبيض للأسود. وإما على طريق العدم والقنية^(٧) مثل الأعمى والبصير والأصلع وذو الجُمَّة. وإما على طريق النفي والاثبات مثل أن يقال: «زيد جالس، زيد ليس بجالس» فإذا أتى في الشعر جمع بيع متقابلين من هذه المتقابلات وكان هذا الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية بل هو لا حق بجميع المعاني. وأعني بقولي: «من جهة واحدة» انه قد يجوز أن يجتمع في كلام منشور أو منظوم متقابلان من هذه المتقابلات ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة فيكون الكلام مستقيماً غير محال ولا متناقض. مثال ذلك أن يُقال في تقابل المضاف: إنَّ العشرة مثلاً ضعف وإتھا نصف، لكن يقال إتھا ضعف لخمسة ونصف لعشرين، فلا يكون ذلك محالاً إذا قيل من جهتين، فاما من جهة واحدة كما اذا قيل إتھا ضعف ونصف لخمسة، فلا. وكذلك يجوز أن يجتمع المتقابلات على طريق العدم والقنية من جهتين مثال ذلك أن يقال: «زيد أعمى بصير القلب» فيكون ذلك صحيحاً، فاما من جهة واحدة

و«لا» النافية، مثلها في قوله تعالى: ﴿إِلا تنصروه فقد نصره الله﴾^(١)، لان تقدير البيت هكذا: «اليك تحث الركائب والالا» أي وإن لم تحث اليك لا تحث. و«عنك يحدث المحدث وإلا» أي وان لم يحدث عنك فالمحدث كاذب. وأما معناه الذي ذكره فالاستثناء فيه ظاهر، فعلى هذا فالأليق أن يسمى هذا استثناءً معنوياً لئلا يتوهم من لا له دربة في العربية أن «إلا» فيه هي الاستثنائية فيخبط خبط عشواء^(٢).

الاستثناء المعنوي:

هو استثناء الحصر الذي تحدث عنه المصري في باب الاستثناء وقال إنَّه نوع وقع له فسماه بهذا الاسم^(٣)، ولكن المدني فضَّل أن يُسمى هذا النوع «الاستثناء المعنوي» لئلا يتوهم من لا له دربة في العربية ان «إلا» فيه هي الاستثنائية فيخبط خبط عشواء^(٤).

الاستحالة والتناقض:

الاستحالة من استحال، وقد قيل: كل شيء تغير عن الاستواء الى العوج فقد حال واستحال وهو مستحيل. وكلام مستحيل أي محال، والمحال ما عدل به عن وجهه. ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة اذا أفسدته، وأحال الرجل أتى بالمحال وتكلم به أي بما لا يمكن وقوعه^(٥). وللاستحالة معنى آخر وهو «حركة في الكيف كتسخن الماء وتبرده مع بقاء صورته النوعية»^(٦)، والأول هو ما يتصل بالاستحالة في البلاغة؛ أما الثاني فهو مما يدخل في غير هذا الفن.

والاستحالة والتناقض من عيوب المعاني وقد تحدث عنهما قدامة فقال: «وهما أن يُذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة. والأشياء تتقابل على أربع جهات: إما عن طريق المضاف، ومعنى المضاف هو الشيء الذي يقال بالقياس الى غيره مثل الضعف الى نصفه، والمولى الى عبده، والأب الى ابنه، فكل واحد من الأب والابن والمولى والعبد والضعف والنصف يقال

(١) التوبة ٤٠.

(٢) أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤.

(٣) تحرير التحبير ص ٣٣٧.

(٤) أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤.

(٥) اللسان (حول).

(٦) التعريفات ص ١٤.

(٧) القنية؛ ما اكتسب، يقال «له غنم قنية» أي خالصة له ثابتة عليه.

أن يتخيل، ومنزلته دون منزلة المستحيل في الشناعة مثل أن تتركب أعضاء حيوان ما على جثة حيوان آخر فإن ذلك جائز في التوهم ولكنه معدوم في الوجود». وعرف التناقض بمثل تعريفي قدامة وابن سنان، وذكر جهات التقابل الأربع.

ومما جاء من الاستحالة والتناقض على جهة التضاد قول أبي نواس يصف الخمر:

كأن بقايا ما عفى من حبابها

تفاريق شيب في سواد عذار^(٦)

فشبه حباب الكأس بالشيب وذلك قول جائز لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده لا في شيء آخر غيره، ثم قال:

تردّت به ثم انفرد عن أديمها

تفري ليل عن بياض نهار^(٧)

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار، وليس في هذا التناقض منصرف الى جهة من جهات العذر، لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان، ولا يجوز أن يوصف الشيء بالسواد والبياض في آن واحد.

ومما جاء من التناقض على طريق المضاف قول عبدالرحمن بن عبدالله القس:

(١) انتكث الحبل؛ انتقض. الجنان - بفتح الجيم - القلب.

(٢) نقد الشعر ص ٢٣٢.

(٣) سر الفصاحة ص ٢٨١.

(٤) سر الفصاحة ص ٢٨٧.

(٥) قانون البلاغة ص ٤١٣ وقد تكلم عليه سيويه في كتابه ج ١ ص ٢٥.

(٦) عفى؛ أمحى. الحباب؛ الفقاقيع التي تعلق الماء أو الخمر. العذار؛ جانب اللحية.

(٧) تردت به؛ اتخذته رداء. أنفرد؛ انشق.

كما لو قيل في انسان واحد إنه أعمى العين بصيرها، فلا. وكذلك في التضاد أن يقال في الفاتر «حار» عند البارد و«بارد» عند الحار، فأما عند أحدهما فلا. وفي النفي والاثبات أن يقال: «زيد جالس» في وقته الحاضر الذي هو جالس، و«غير جالس» في الوقت الآتي الذي يقوم فيه إذا قام، فذلك جائز، فاما في وقت واحد وحال واحدة «جالس» و«غير جالس» فلا. ولهذه العلة يجوز ما يأتي في الشعر على هذه السبيل مثل ما قال خفاف بن نُدبة:

إذا انتكث الحبل أفيته

صبور الجنان رزينا خفيفا^(١)

فلو لم تكن ارادته أنه رزين من حيث ليس خفيفا، وخفيف من حيث ليس رزينا، لم يجز^(٢).

وتحدث ابن سنان في باب المعاني عن الاستحالة التناقض وقال: «إن من الصحة تجنب الاستحالة والتناقض، وذلك أن يجمع بين المتقابلين من جهة واحدة»^(٣). وذكر بعض ما ذكره قدامة. وفرق بين المستحيل والممتنع بقوله: «وقد فرق بين المستحيل والممتنع بأن المستحيل هو الذي لا يمكن وجوده ولا تصوره في الوهم مثل كون الشيء أسود أبيض وطالعا نازلا، فان هذا لا يمكن وجوده ولا تصوره في الوهم، والممتنع هو الذي يمكن تصوره في الوهم وإن كان لا يمكن وجوده مثل أن يتصور تركيب بعض أعضاء الحيوان من نوع آخر منه كما يتصور يد أسد في جسم انسان، فان هذا وإن كان لا يمكن وجوده فان تصوره في الوهم ممكن. وقد يصح أن يقع الممتنع في النظم والنثر على وجه المبالغة، ولا يجوز أن يقع المستحيل البتة»^(٤).

وقال البغدادي إن المستحيل «هو الشيء الذي لا يوجد ولا يمكن مع ذلك أن يتصور في الفكر مثل الصاعد النازل في حال واحدة، فان هذه الحال لا يمكن أن تكون ولا تصور في الذهن»^(٥). ثم قال عن الامتناع إنه «هو الذي وان كان لا يوجد فيمكن

في باب الأخذ الذي تحدث عنه البلاغيون على مختلف العهود. قال القرطاجني وهو يتحدث عن المعاني: «فمراتب الشعراء فيما يلمون به من المعاني إذن أربع: اختراع واستحقاق وشركة وسرقة. فالاختراع هو الغاية في الاستحسان، والاستحقاق تالٍ له، والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الأولى فهذا لا عيب فيه، ومنها ما ينحط فيه الآخر عن الأول فهذا معيب، والسرقة كلها معيبة وإن كان بعضها أشد قبحاً من بعض»^(٣). وفي هذا النص يتضح أن الاستحقاق ليس مما يعاب بل إنّه بعد الاختراع في المنزلة. وقد أوضح القرطاجني هذه المسألة بقوله: «فاذا تساوى تأليف الشاعرين في ذلك فانه يسمى الاشتراك، وإنّ فضلت فيه عبارة المتقدم فذلك الاستحقاق لأنّه استحقّ نسبة المعنى اليه باجادته نظم العبارة عنه»^(٤).

الاستخبار:

الاستخبار من استخبر، واستخبر: سأله عن الخبر وطلب أن يخبره، ويقال: تخبرت الخبر واستخبرته، وتخبرت الجواب واستخبرته. والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر، واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها^(٥).

وكان ثعلب قد ذكر أنّ قواعد الشعر أربع: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار^(٦). ولم يعرف الاستخبار وإنما قال إنه كقول قيس بن الخطيم:

أنى سَرَبْتِ وكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ
وَتَقَرَّبُ الأحلامُ غيرَ قَرِيبِ

(١) العليج؛ الرجل من كفار العجم.

(٢) اللسان (حقوق).

(٣) منهاج البلاغ ص ١٩٦.

(٤) منهاج البلاغ ص ١٩٣.

(٥) اللسان (خبر).

(٦) قواعد الشعر ص ٢٥.

فاني إذا ما الموتُ حلَّ بنفسها

يُزال بنفسي قَبْلَ ذاك فأقْبِرُ

فقد جمع بين «قبل» و«بعد» وهما من المضاف لأنّه لا قبل إلا لبعده، ولا بعد إلا لقبيل، حيث قال: إنّه إذا وقع الموت بها، وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به، وجوابه هو قوله: يُزال بنفسي قبل ذاك، وهذا شبيه بقول قائل لو قال: إذا انكسر الكوز انكسرت الجرة قبله، وقد جعل هذا الشاعر ما هو قبل بَعْدًا

ومما جاء من التناقض على طريق القنية والعدم قول

يحيى بن نوفل:

لأعلاجِ ثمانيةٍ وشيخِ

كبيرِ السِّنِّ ذي بَصَرٍ ضَرِيرٍ^(١)

فلفظة «ضير» تستعمل في الأكثر للذي لا بصر له، قول الشاعر في هذا الشيخ: إنّه ذو بصر وإنّه ضير تناقض من جهة القنية والعدم، وذلك كأنه يقول: إنّ له بصراً ولا بصر له فهو بصير أعمى.

ومن التناقض على طريق الايجاب والسلب قول عبدالرحمن بن عبدالله القس:

أرى هَجْرَها والقَتْلَ مثلين فاقصروا

ملامِكُكم فالقَتْلَ أعفى وأيسرُ

فأوجب هذا الشاعر الهجر والقتل انهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله: «إنّ القتل أعفى وأيسر» فكأنه قال: «إنّ القتل مثل الهجر وليس هو مثله، ولو قال «بل القتل أعفى وأيسر» لكان الشعر مستقيماً.

الاستحقاق:

الاستحقاق: الاستيجاب، يقال: استحق الشيء

أي استوجبه^(٢).

والاستحقاق من أنواع أخذ المعنى عند القرطاجني، ويفهم من كلامه أنّ الشاعر يستحق المعنى إذا فضلت عبارته عن عبارة المتقدم، وهذا حسن جيد

ما تُمْنَعِي يَفْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ

في النَّوْمِ غَيْرِ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبٍ^(١)

فالاستخبار عنده هو الاستفهام، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة حينما قال: «الكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة»^(٢). ولكنهما لم ينصا على ذلك وإن كان ذلك مفهوماً من تقسيمهما الكلام، غير أن ابن فارس قال عنه: «الاستخبار: طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام. وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار؛ لأنك تستخبر فتجيب بشيء ربما فهمته وربما لم تفهمه، فاذا سألت ثانية فانت مستفهم، تقول: أفهمني ما قلته لي. قالوا: والدليل على ذلك ان الباري - جل ثناؤه - يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم»^(٣). وذكر الزركشي مثل ذلك وقال إن الاستخبار بمعنى الاستفهام، وأشار إلى من فرّق بينهما نقلاً عن ابن فارس^(٤). ولكنّ البلاغيين أداروا مصطلح «الاستفهام» في مباحثهم وكتبهم، وهو ما استعمله النحاة حينما تحدثوا عن أدوات الاستفهام، في حين أن عبد القاهر قد قال إن الاستفهام استخبار، «والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك»^(٥).

الاستخدام:

الاستخدام في اللغة استفعال من الخدمة^(٦) وذكر الخطيبي أنه «يسمى أيضاً الاستخدام - بالحاء المهملة»^(٧)، ولا صلة لهذه الكلمة بالاستخدام الذي هو «أن تكون الكلمة لها معنيان فتحتاج إليها فتذكرها وحدها فتخدم للمعنيين»^(٨)، لأن الحذم شدة احماء الشيء بحر الشمس والنار، يقال: حذمه فاحتمد، وحذمة النار: صوت التهابها، والاحتدام شدة الحر، واحتمدت النار: التهبت، واحتمد صدر فلان غيضاً، واحتمدت القدر: إذا اشتد غليانها، واحتمد الدم إذا اشتدت حمرة حتى يسودّ. ولا صلة للاستخدام بالاستخدام، لأن الحذم القطع أو الاسراع في المشي أو المشي الخفيف^(٩).

وكان ابن منقذ أول من عرّفه بقوله: «اعلم أن الاستخدام هو أن تكون الكلمة لها معنيان فتحتاج إليها فتذكرها وحدها فتخدم للمعنيين»^(١٠). ومثّل له بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(١١)، والصلاة ههنا تحتمل أن تكون فعل الصلاة وموضع الصلاة، فاستخدم الصلاة بلفظ واحد؛ لانه قال سبحانه: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ فدلّ على أنه أراد موضع الصلاة، وقال تعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فدلّ على أنه فعل الصلاة. وذكر قول البحرّي:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم

شَبَّوه بين جوانح وقلوب

فالغضا يحتمل أن يكون الموضع، ويحتمل أن يكون الشجر، فاستخدم المعنيين بقوله: «والساكنيه» وبقوله: «وإن هم شَبَّوه».

ومن ذلك قول بعض العرب:

إذا نزل السماء بأرض قوم

رعيناه وإن كانوا غضابا

فالسما تحتمل معنيين: المطر والنبات، فاستخدم المعنيين بقوله: «إذا نزل» وبقوله: «رعيناه» لأنّ النزول من حالات المطر والرعي من حالات الكلاء.

(١) سريت؛ سريت. غير سرور؛ غير مبعدة، أي

انها لا تبعد الضرب في الأرض. مصدر؛ مقل.

(٢) أدب الكاتب ص ٤.

(٣) الصاحبي ص ١٨١.

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢٦.

(٥) دلائل الإعجاز ص ١٠٨.

(٦) اللسان (خدم) وخزانة الأدب ص ٥٢، وأنوار

الربيع ج ١ ص ٣٠٧.

(٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٢٦.

(٨) البديع في نقد الشعر ص ٨٢.

(٩) اللسان (خدم) و(حذم).

(١٠) البديع في نقد الشعر ص ٨٢.

(١١) النساء ٤٣.

وذكر ابن منقذ نوعاً آخر من الاستخدام ومثل له بقول الشاعر:

اسم من ملني ومن صدّ عني
وجفاني لغير ذنّبٍ وجُرمٍ
والذي ضنّ بالوصول علينا
مثلما ضنّ بالهوى قلبُ نغمٍ

وهذا استخدام في الاعراب، لأنّ «قلب» مرفوع بالابتداء وبفاعل «ضنّ» وهو أيضاً استخدام في المعنى لأنّ معنى قلب من القلوب ومعنى العكس لأن الاسم مفعول.

وعرّفه ابن شيث القرشي بقوله: «هو أن تكون الكلمة تقتضي معنيين فتستخدم فيهما جميعاً»^(١) ومثاله: «أنا على عهدك الذي تعلمه لم أحلّ من أمرك عقداً، ولا مكاناً أنس منك فيه فقداً»، فقد استعمل «أحلّ» للمعنيين، ومثاله: «أنت في قلبي مالي عنك ولا لغيرك قلب»، ف«قلب» مستخدمة لقوله: «لي» ولقوله: «عنك».

وقال المصري: «هو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ثم يأتي بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما، ويستخدم كل لفظة منهما لمعنى من معنيي تلك اللفظة المتقدمة»^(٢). وربما التبس هذا الفن بالتورية ولذلك قال: «والفرق بينهما أنّ التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة وإهمال الآخر، والاستخدام استعمالهما معاً».

ونقل الحلبي والنويري تعريف المصري^(٣)، واختلف تعريف الاستخدام بعد ذلك وانقسم البلاغيون الى مؤيد لابن مالك ومنتصر للقزويني، فابن مالك يقول: «إنّ الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر، ثم إنّ اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين، وقد يكون اللفظ المشترك متوسطاً بينهما»^(٤). ومثال هذه الطريقة قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ

أجلٍ كتابٌ، يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾^(٥)، فإن لفظة ﴿كتاب﴾ يحتمل أن يراد بها الأجل المحتوم والكتاب المكتوب، وقد توسطت بين لفظتي ﴿أجل﴾ و﴿يمحو﴾ فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الأمد بقريئة ذكر الأجل، واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقريئة ﴿يمحو﴾. وهذا ما ذكره المصري من قبل حينما ذكر هذه الآية شاهداً للاستخدام.

والقزويني يقول: «هو أن يُراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الآخر»^(٦). وسار على هذا المذهب معظم البلاغيين واصحاب البديعيات^(٧).

ورجع ابن قيم الجوزية الى تعريف ابن منقذ وامثله^(٨)، وذكر الحموي طريقتي ابن مالك والقزويني ثم قال: «وعلى كل تقدير فالطريقتان راجعتان الى مقصود واحد، وهو استعمال المعنيين بضمير وغير ضمير»^(٩). وذكر الآية التي استشهد بها ابن مالك ثم قال: «ومنه قوله من القصيدة النباتية:

حويت ريقاً نباتياً حلا فغدا
ينظّم الدرّ عقداً من ثناياك

- (١) معالم الكتابة ص ٨٢.
- (٢) تحرير ص ٢٧٥، بديع القرآن ص ١٠٤، وينظر البرهان ج ٣ ص ٤٤٦.
- (٣) حسن التوسل ص ٢٦٧، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٣.
- (٤) خزانة الأدب ص ٥٢، انوار ج ١ ص ٣٠٨. وقد سقط هذا التعريف والفن كله من المصباح المطبوع.
- (٥) الرعد ٣٨ - ٣٩.
- (٦) الايضاح ص ٣٥٤، التلخيص ص ٣٦٠.
- (٧) عروس ج ٤ ص ٣٢٦، المطول ص ٤٢٦، المختصر ج ٤ ص ٣٢٦، الاطول ج ٢ ص ١٩٥، مواهب ج ٤ ص ٤٢٦، نفحات ص ٧٩.
- (٨) الفوائد ص ٢١٦.
- (٩) خزانة ص ٥٣.

يذكر المتقدمون له أمثلة كثيرة، ومعظمها ما سبق ذكره في هذا المقام.

الاستدراج:

الاستدراج من استدرج، واستدرجه بمعنى أدناه منه على التدرج فتدرج هو، وفي التنزيل العزيز: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥)، أي: سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم، وقيل إن معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون^(٦).

وذكر ابن الأثير أنه استخرج هذا الفن من كتاب الله وقال: «وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال. والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الأذعان والتسليم. وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها. والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيراً في خلاصه لا قصيراً في خطابه، فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده فليس بكاتب ولا شبيه له إلا صاحب الجدل، فكما أن ذلك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية»^(٧).

وقال في تعريف الاستدراج: «هو التوصل إلى

(١) معترك ج ١ ص ٣٧٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٤، شرح عقود الجمان ص ١١٦.

(٢) النحل ١.

(٣) أنوار ج ١ ص ٣٠٨.

(٤) أنوار ج ١ ص ٣٠٩، شرح الكافية البديعية ص ٢٩٦.

(٥) الأعراف ١٨٢.

(٦) اللسان (درج)، وينظر التعريفات ص ١٤.

(٧) المثل ج ٢ ص ٦٨.

فان لفظة «نباتي» يحتمل الاشتراك بالنسبة إلى السكر وإلى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين «الريق» وحلاوته وبين «الدر» و«النظم» و«العقد» فاستخدمت أحد مفهوميها وهو السكر النباتي بذكر الريق والحلاوة، واستخدمت من المفهوم الآخر وهو قول الشاعر «النباتي» بذكر النظم والدر والعقد. وذكر أن شاهد الضمائر على طريقة القزويني بيت واحد وهو قول القائل: «إذا نزل السماء...»، وأن شاهد الضميرين قول البحري: «فسقى الغضا...» ولم يخرج البلاغيون عن هذين البيتين في مثل هذه الحالة وإن ذكروا غيرهما في الحالات الأخرى.

وذكر السيوطي ما قاله الحموي، وأشار إلى أن الطريقة الثانية مذهب السكاكي واتباعه^(١)، غير أن مفتاح العلوم لا يحوي هذا الفن ولعل السيوطي يريد به طريقة القزويني وشرح تلخيصه. ثم قال: «قيل: ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكي. قلت: وقد استخرجت بفكري آيات على طريقته منها قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٢)، فأمر الله يُراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبي - ﷺ - وقد أريد بلفظه الأخير كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾. قال: «محمد» وأعيد الضمير عليه في «تستعجلوه» مراداً به قيام الساعة والعذاب.

وذكر المدني الطريقتين وسَمَّى الثانية طريقة الخطيب في الأيضاح والتلخيص ومن تبعه ولم ينسبها إلى السكاكي وذكر عبارة السيوطي على الوجه الآتي: «قال الحافظ السيوطي في الاتقان: قيل ولم يقع في القرآن على طريقة صاحب الأيضاح شيء من الاستخدام»^(٣) مع أن العبارة كما جاءت في معترك الاقران والاتقان وشرح عقود الجمان هي: «وهذه طريقة السكاكي واتباعه». وليس في مفتاح العلوم ذكر للاستخدام.

وقد ذكر الحلبي أن الاستخدام عزيز^(٤) ولذلك لم

جميع ما عندك من النعم من عنده، وهو عدوك وعدو أبيك آدم، هو الذي ورطك في هذه الورطة وألقاك في هذه الضلالة. إلا أن إبراهيم - عليه السلام - لامعانه في الاخلاص لم يذكر من جنائتي الشيطان إلا التي تختص منها بالله - عز وجل - عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم - عليه السلام - وذريته. ثم رجع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما يُنتج عليه من الوبال. ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب بحيث لم يصرح بان العقاب لاحق لأبيه ولكن قال: «إني أخاف أن يمسك عذاب» فذكر الخوف والمس إغظاما لهما ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه أكبر من العذاب وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: «يا أبت» توسلاً اليه واستعطافاً، فقال له في الجواب: «قال: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً»^(٣) ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله: «يا أبت» بـ«يا بُني»؟ وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله: «أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟» لأنه كان أهم عنده وفيه ضروب من التعجب والانكار لرغبة إبراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها»^(٤).

وعرّفه ابن الأثير الحلبي بقوله: «يقال استدرج فلان فلاناً إذا توصل الى حصول مقصوده من غير أن يشعره من أول وهلة. والمراد بذلك الملاطفة في الخطاب ولزوم الأدب في الكلام مع المخاطب بحيث لا تنفر نفسه قبل حصول المقصود منه»^(٥). وهذا قريب من قول ابن الاثير السابق، ونقل أحد أمثله وعلق عليه بما

حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به، وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يوثق السامع ويطره؛ لأن مبنى صناعة التأليف عليه ومنشأها منه»^(١).

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾^(٢). وقال ابن الأثير معلقاً على هذه الآيات: «هذا كلام يهز أعطاف السامعين ويهيج نفوس المتأملين، فعليك أيها المترشح لهذه الصناعة بامعان النظر في مطاويه وترداد الفكر في أثنائه، واتخاذة قدوة ونهجاً تقتفيه، ألا ترى حين أراد إبراهيم أن ينصح أباه ويعظه مما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وانتظام مع استعمال المجاملة واللفظ واللين والأدب الجميل والخلق الحسن مستنصحاً في ذلك بنصيحة ربه وذاك أنه طلب منه أولاً العلة في خطيئته طلب منبه على تماديه موقظ له لافراطه في غفلته وتناهيه؛ لأن المعبود لو كان حياً متميزاً سميحاً بصيراً مقتدرًا على الثواب والعقاب إلا أنه بعض الخلق لاستسخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلق كالملائكة والنبين، فكيف لمن جعل المعبود جماداً لا يسمع ولا يبصر؟ ثم تثنى ذلك بدعوته الى الحق مترفقاً به متطلعاً فلم يسم أباه بالجهل المطلق ولا نعته بالعلم الفائق ولكنه قال: إنَّ معي لطائف من العلم وشيئاً منه. وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندني معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتيه. ثم ثلث ذلك بتثيظه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي

(١) الجامع الكبير ص ٢٣٥.

(٢) مريم ٤١ حتى ٤٥.

(٣) مريم ٤٦.

(٤) الجامع الكبير ص ٢٣٥، المثل السائر ج ٢ ص ٦٩.

(٥) جوهر الكنز ص ١٥٦.

يشير الى أنه أخذ منه.

فما العاندون وما أمّوا
وما الحاسدون وما قوّوا
هُم يَطْلُبُونَ فَمَنْ أدركوا
وهم يَكْذِبُونَ فمن يقبلُ
وهم يَتَمَنُونَ ما يشتهو
نَ ومن دونه جَدُّكَ المَقْبِلُ

وكان ابن الاثير قد ذكر هذه الايات شاهداً على المعاني البديعة التي جاء بها المتنبي^(٢)، ولم يذكرها في فن الاستدراج كما فعل العلوي.

وقال التنوخي: «ومن البيان الاستدراج، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس اليه أو ما يخوّفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه. وهذا بابا واسع، وهو أن يقدم المخاطب ما يعلم أنه يؤثر في نفس المخاطب من ترغيب وترهيب واطماع وتزهيد. وأمزجة الناس تختلف في ذلك فينبغي أن يُستمال كل شخص بما يناسبه وهذا لا يؤثر فيه التعليم إلا يسيراً، بل ينبغي أن يكون في مزاج الانسان قوة تؤديه الى ذلك وهي تصرف في الكلام كتصرف الانسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه»^(٣).

ونقل ابن الجوزية^(٤) ما قاله ابن الاثير الذي ابتدع هذا الفن، وذكر أمثله من آيات الذكر الحكيم.

الاستدراك:

الاستدراك من استدرك الشيء بالشيء إذا حاول إدراكه به^(٥). والاستدراك: «رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعاً شبيهاً بالاستثناء وهو معنى «لكن»^(٦) على أن تكون هناك نكتة طريفة لتحسنه

- (١) الطراز ج ٢ ص ٢٨١.
- (٢) المثل ج ١ ص ٣١٤.
- (٣) الأقصى القريب ص ١٠٣.
- (٤) الفوائد ص ٢١٢.
- (٥) اللسان (درك)، التعريفات ص ١٦.
- (٦) أنوار ج ١ ص ٣٨٥.

وذهب العلوي^(١) الى ما ذهب اليه السابقان وذكر الآيات التي استشهدا بها، ولكنه أضاف الى أمثلتهما شواهد أخرى من كلام النبي - ﷺ - وكلام علي - رضي الله عنه - . وذكر أبياتاً للمتنبي، وقال إنها من لطيف ما جاء في الاستدراج من المنظوم، وذلك أن سيف الدولة كان مخيمًا بأرض الديار البكرية على مدينة ميفارقين ليأخذها فعصفت الريح بخيمته فأسقطتها فتطير الناس لذلك وقالوا إنه لا يأخذها فامتدحه المتنبي بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة ويستدرج ما أثر ذلك في صدره بالازالة والمحو تقريبًا لخاطره وتطيينًا لنفسه فأجاد فيها كل الاجادة وأحسن في الاعتذار والاستدراج غاية الاحسان، مطلعها:

أينفَعُ في الخيمة العُدْلُ
وتَشْمَلُ من دَهْرِنَا يَشْمَلُ
ومنها قوله:

تضيّقُ بشخصِكَ أرجاؤها
ويركضُ في الواحد الجَحْفَلُ
وتَقْصُرُ ما كنتَ في جوفها
وتركزُ فيها القنا الذُبْلُ
ثم قال:

وإنَّ لها شَرْفًا باذِخًا
وإنَّ الخيامَ بها تَخْجَلُ
فلا تُنْكَرَنَّ لها صَرْعَةٌ
فمن فَرِحَ النفس ما يقتلُ
ولمّا أمرت بتطيينها

أشيعَ بِأَنَّكَ لا تَرْحَلُ
فما اعتمد الله تقويضها
ولكنْ أشارَ بما تَفْعَلُ
وعرّفَ أَنَّكَ من هَمِّه
وأنك في نَصْرِهِ تَرْفَلُ

وتدخله في البديع، وإلا فلا يعدّ منه.

وسماه ابن المعتز الرجوع وقال: «هو أن يقول شيئاً ويرجع عنه»^(١).

وسماه العسكري الرجوع أيضاً وقال: «هو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه»^(٢) وهذا تعريف السابق.

وسماه التبريزي الاستدراك والرجوع^(٣)، وقال البغدادي عنه: «وأما الاستدراك والرجوع فهو أن يتديء الشاعر بمعنى فينفي شيئاً ثم يستدركه بما يؤيد هذا المعنى أو يثبت ما نفاه أولاً»^(٤).

وقال ابن الزمكاني: «الاستدراك والرجوع، هو أن يعود المتكلم على ما سبق من كلامه بالنقض والابطال»^(٥).

وقال المصري إن الاستدراك والرجوع على قسمين: قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد. وقسم لا يتقدمه ذلك^(٦) ومن أمثلة الأول قول ابن الرومي:

وَإِخْوَانٍ تَخَذْتُهُمْ دُرُوعًا
فَكَانُوا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخَلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ
فَكَانُوا وَلَكِنْ فِي فِؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَّتْ مَنَا قُلُوبٌ
لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي

ومن الثاني وهو الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد قول زهير:

أَخُو ثِقَّةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ

وهذه الشواهد لا تنطبق إلا على الاستدراك، وقد سار على خطاه الحلبي والنويري وذكرنا تعريفه وتقسيمه وأمثله^(٧).

وجمع ابن الأثير الحلبي بين الاستثناء والاستدراك، وقال بعد أن عرّف الاستثناء: «وأما الاستدراك فهو مثل ذلك إلا أنه يفارق الاستثناء

بلفظة لكن»^(٨) وقال السبكي إن «الاستدراك إما بعد تقدم تقرير كقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾»^(٩). أو بعد تقدم نفي كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾»^(١٠). وهذا القسم يرجع إلى الطباقي أو الرجوع»^(١١). وهذا كلام المصري في كتابه «بديع القرآن»^(١٢).

وعاد الحموي إلى ما ذكره المصري في «تحرير التحبير» ولكنه سماه استدراكاً وفرّق بينه وبين الرجوع^(١٣)، وذكر قسمي المصري وأمثله ثم قال: «ومتى لم يكن في الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك لتدخله في أنواع البديع وإلا فلا يعدّ بديعاً»^(١٤). فلو اقتصر زهير في بيته:

أَخُو ثِقَّةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ

على صدر البيت لدلّ على أن ماله موفور وتلك صفة ذم، ولكنه استدرك ما يُزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح بالشرط الثاني.

- (١) البديع ص ٦٠.
- (٢) كتاب الصناعتين ص ٣٩٥.
- (٣) الوافي ص ٢٨٠.
- (٤) قانون البلاغة ص ٤٤٨.
- (٥) التبيان ص ١٨٢.
- (٦) تحرير التحبير ص ٢٣١، بديع القرآن ص ١١٧.
- (٧) حسن التوسل ص ٢٧٩، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٥١.
- (٨) جوهر الكنز ص ٢٤٧.
- (٩) الانفال ٤٣.
- (١٠) الانفال ١٧.
- (١١) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩.
- (١٢) بديع القرآن ص ١١٧ - ١١٨.
- (١٣) خزانة ص ٣٦٧.
- (١٤) خزانة ص ٦٥.

ثم قالت أنت عندي في الهوى
مثل عيني، صدقت لكن سقاما
وقال ابن أبي حجلة:

شكوتُ الى الحبيبة سوءَ حظي
وما ألقاهُ من ألمِ البعادِ
فقلت أنت حظك مثل عيني
فقلت: نعم، ولكن في السوادِ
وقال المعري:

فيا دارها بالحزن إن مزارها
قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ

الاستدعاء:

الاستدعاء من استدعى، وكان قدامة قد تحدث
عن عيوب ائتلاف المعنى والقافية وقال: «ومن عيوب
هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لاختواتها في
السجع لا لأن لها فائدة في معنى البيت»^(٥) كقول أبي
عدي القرشي:

وؤفيت الحتوف من وارثٍ وا
لِ وأبقاك صالحاً ربُّ هودِ

فليس نسبة هذا الشاعر الله - عز وجل - الى أنه «رب هود»
بأجود من نسبته الى أنه «رب نوح» ولكن القافية
كانت دالية فأتى بذلك للسجع لا لافادة معنى بما أتى
به منه.

وسماه ابن رشيق الاستدعاء وقال عنه: «هو ألا
يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط فتحلو حينئذ

(١) معترك ج ١ ص ٣٩٠، الاتقان ج ٢ ص ٨٨.

(٢) شرح عقود الجمان ص ١٣٢، وينظر الروض
المربع ص ٩٧، نضجات ص ٩٧، شرح الكافية
ص ١١٠.

(٣) أنوار ج ١ ص ٣٨٥.

(٤) الأنفال ٤٢.

(٥) نقد الشعر ص ٢٥٥.

وجمع السيوطي بين الاستدراك والاستثناء^(١)،
وذكر لكل منهما مثلاً خاصاً وفصل بينهما في
«شرح عقود الجمان» ووضع لكل واحد فصلاً،
وعرّف الاستدراك بمثل ما عرفه المصري وذكر
أمثله^(٢). وفعل مثل ذلك المدني^(٣).

ومن أمثلة ابن المعتز قول بشار:

نبئتُ فاضحُ أمه يغتابني
عند الأمير وهل عليّ أميرُ

ومن أمثلة البغدادي قول زهير:

قِفْ بالديار التي لم يَغْفُها القِدَمُ
بلى وَغَيْرها الأزواحِ والدَّيَمُ

وقول الأعرابي:

أليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتُها
إليك وكلا ليس منك قليلُ

ومن أمثلة المصري وغيره قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ
بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهَمَّ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصُوى وَالرُّكْبِ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِئْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ
وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنِ بَيْتِهِ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْتِهِ﴾^(٤). فالله
سبحانه أخبر عن الأمر الواقع بخبر أخرجته
الفصاحة مخرج المثل، وقوى دليل الكلام بذكر
العلة حيث قال بلفظ الاستدراك: ﴿ولكن ليَقْضِيَ
الله أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾.

ومنه قول ابن الدويذة المغربي فيمن أودعت عنده
وديعة فادعى ضياعها:

إن قال قد ضاعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّها
ضاعَتْ ولكن منك يَعْني لو تَعِي

أو قال قد وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّها
وَقَعَتْ ولكن منه أَحْسَنَ مَوْجِعِ

وقال الأرجاني:

غالطتني إذ كَسَتْ جِسمي ضنِّي
كُشوةٌ أَعْرَتْ عن اللحمِ العظاما

من المعنى»^(١). وذكر البيت السابق وقول السيد الحميري:

أقسم بالفجر وبالعشر
والشَّفْعِ والوَثْرِ وربِّ لقمان
في منزلٍ محكمٍ ناطقٍ
بِنورِ آياتٍ وبرهانٍ
فالفجرُ فجرُ الصبحِ والعشرُ
عشرُ النَّحْرِ والشَّفْعُ نجيان
محمد وابن أبي طالب
والوثر رب العزة الباني
باني سماوات بناها بلا
تقدير إنسي ولا جانٍ

ثم قال ابن رشيقي: «فانظر الى قوله: «رب لقمان» ما أكثر قلقه وأشد ركافته». وذكر البيت الذي ذكره قدامة أيضًا وهو قول علي بن محمد صاحب البصرة:

وسابغة الأذيال زُغف مفاضة

تكنفها مني نجاد مخطط^(٢)

وقال: «فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد، وهذا أقل ما في تكلف القوافي الشاردة إذا ركبها غير فارسها، وراضها غير سائسها».

ولم يذكر الاستدعاء أحد بعد قدامة وابن رشيقي فيما وصل من كتب البلاغة والنقد.

الاستدلال بالتعليل:

الاستدلال من استدل، وهو «تقرير الدليل لاثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر الى المؤثر فيسمى استدلالاً إنياء، أو بالعكس ويسمى استدلالاً لمياء، أو من أحد الأثرين الى الآخر»^(٣).

وذكر ابن سنان الاستدلال بالتعليل^(٤)، وهو ما يسمى في البديع حسن التعليل ولم يعرفه وإنما ذكر له قول أبي الحسن التهامي:

لو لم تَكُن رِيَقَتُهُ خَمْرَةً
لما تَثَنَّى عِطْفُهُ وهو صاح

وقوله:

لو لم يكن أقحوانًا ثغر مبسمها
ما كان يزداد طيبًا ساعة السَّحَرِ

وقول البحتري:

ولو لم تكن ساخطًا لم أكن
أذمُّ الزمان وأشكو الخطوبًا

وقال ابن سنان إن قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾^(٥) جارٍ هذا المجرى. وهذا من المذهب الكلامي عند البلاغيين.

الاستدلال بالتمثيل:

قال ابن سنان: «وأما الاستدلال بالتمثيل فان يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له»^(٦). كقول المعري:

لو اختصرتم من الاحسان زُرْتُكُمْ

والعذب يهجر للافراط في الخَصْرِ^(٧)

فدل على أن الزيادة فيما يطلب ربما كانت سببًا للامتناع منه بتمثيل ذلك بالماء الذي لا يشرب لفرط برده وإن كان البرد فيه مطلوبًا محمودًا.

ومنه قول أبي تمام:

أخرجتموه بكره من سجيته

والنار قد تُنتَضَى من ناضِرِ السَّلَمِ^(٨)

(١) العمدة ج ٢ ص ٧٤، وينظر كفاية الطالب ص ٢٠٦.

(٢) الزغف؛ الدرع المحكمة.

(٣) التعريفات ص ١٢.

(٤) سر الفصاحة ص ٣٢٧.

(٥) الأنبياء ٢٢.

(٦) سر الفصاحة ص ٣٢٤.

(٧) الخصر؛ البرد.

(٨) السلم؛ جنس من الشجر شائك.

وقوله:

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويث أتاح لها لسان حَسودٍ

لولا اشتعال النار فيما جاوَرَتْ

ما كان يُعزَفُ طيبُ عَزَفِ العُودِ^(١)

وقال ابن سنان إنَّ من الاستدلال بالتمثيل على الوجه الصحيح قول النابغة الذبياني يخاطب النعمان:

ولكنني كُنْتُ امرءً لي جانبٌ

من الأرضِ فيه مُستردٌ ومَذْهَبٌ

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما لَقيتهم

أَحَكَّمُ في أموالهم وأُقَرِّبُ

كفعلك في قوم أراك اضْطَنعتهم

فلم ترَهُمْ في شُكْرِ ذلك أذنبوا

ثم قال: «فاستدل النابغة على أنه لا يستحق اللوم بمدحه آل جفنة وقد أحسنوا إليه بما مثله من القوم الذين أنعم النعمان عليهم، فلما مدحوه لم يكونوا عنده ملومين». وهذا من المذهب الكلامي عند البلاغيين، أما الأبيات الأولى فهي من التمثيل أو الاستعارة بالتمثيل.

الاستشهاد:

يقال: اشهدت الرجل على اقرار الغريم واستشهدته بمعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾^(٢) أي: أشهدوا شهيدين. واستشهدت فلانا على فلان إذا سأله إقامة شهادة احتملها^(٣).

وذكر العسكري فنا سماه «الاستشهاد والاحتجاج» وهو من زياداته^(٤)، وقد قال عنه: «وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر ومجره مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكد بمعنى آخر يجري مجرى

الاستشهاد على الأول والحجة على صحته»^(٥).
ومثاله قول بشار:

فلا تجعلِ الشورى عليك غَضاضَةً

فإنَّ الخوافي قُوَّةٌ للقوادِمِ

وقول أبي تمام:

نَقَلْ فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى

ما الحُبُّ إلا للحبيبِ الأولِ

كم منزلٍ في الأرضِ يألفه الفتى

وحنينُهُ أبداً لأولِ منزلِ

وأخذ الدمنهوري بهذا المعنى وذكر أبيات العسكري التي ذكرها في الصناعتين وهي:

كان لي زُكْنٌ شديدٌ

وَقَعَتْ فيه الزلازلُ

زَعزَعته نُوبُ الدَّهْرِ

رِ وَكَرَّاتُ النوازلِ

ما بقاء الحَجَرِ الصُّلْدِ

بِ على وَقَعِ المعاولِ

وقال: «إن الشاهد في البيت الثالث»^(٦)، وهذا من الاطناب عند المتأخرين. والاستشهاد عند غيرهما هو الاستشهاد بالآيات الكريمة، وقد تحدث الحلبي والنويري عن خصائص الكتابة، ومما يتصل بها الاقتباس والاستشهاد والحل، وقالوا إن الاستشهاد بالآيات ينبغي أن ينبه عليها^(٧).

(١) العرف؛ الرائحة مطلقاً، وأكثر استعماله في الطيبة.

(٢) البقرة ٢٨٢.

(٣) اللسان (شهد).

(٤) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

(٥) كتاب الصناعتين ص ٤١٦.

(٦) حلية اللب ص ١٦٨.

(٧) حسن التوسل ص ٣٢٥، نهاية الارب ج ٧

ص ١٨٣، نفحات ص ٣٢٩.

الاستطراد:

اطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى، واطردت الأشياء إذا تبع بعضها بعضاً، واطرد الكلام إذا تتابع^(١). والاستطراد عند الجاحظ هو الانتقال من موضوع الى آخر لكي لا يمل القارئ أو السامع، وهذا واضح في معظم مؤلفاته.

والاستطراد عند ثعلب هو حسن الخروج^(٢)، وكذلك عند تلميذه ابن المعتز^(٣)، وقيل إن أول من ابتدع هذا الاسلوب السموأل في قوله:

وإنا أناسٌ لا نرى القتلَ سُبَّةً
إذا ما رأته عامِرٌ وسلولُ
يُقَرَّبُ حُبُّ الموتِ آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطولُ

فكان هذا أول شاهد ورد في هذا النوع وسار مسير الأمثال، قال ابن رشيق: «وهو أول من نطق به»^(٤)، وقال المصري: «وأحسب أن أول من استطرده بالهجاء السموأل»^(٥). وقيل إن البحري الشاعر نقل هذه التسمية عن أبي تمام، قال الصولي: «حدثني أبو الحسن علي بن محمد الانباري، قال: سمعت البحري يقول: أنشدني أبو تمام لنفسه:

وسابح هَطِلِ التعدادِ هَتَانِ
على الجراءِ أمينٍ غيرِ خَوَانِ
أظمى الفصوصَ ولم تظماً قوائمه
فخلَّ عينيك في ظمآنِ رِيَانِ
فلو تراه مُشِيحًا والحصى زِيَمِ
بين السنايك من مَثْنَى ووحدانِ
أيقنت أن لم تثبت أن حافره
من صخر تدمر أو من وجه عُثْمَانِ

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري. قال: هذا المستطرِد؛ أو قال: الاستطراد. قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يُرى أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان، فاحتذى هذا البحري فقال في قصيدته التي

مدح فيها محمد بن علي القمي ويصف الفرس أولها:

أهلاً بذككم الخيالِ المُقْبِلِ
فَعَلَ الذي نهواه أو لم يَفْعَلِ

ثم وصف الفرس فقال:

وأغرَّ في الزمنِ البهيمِ محجلِ
قد رُحِت منه على أغرِّ مُحَجَّلِ

كالهيكل المبنِي إلا أنه
في الحُسنِ جاء كصورةٍ في هَيْكَلِ

يَهوي كما تهوي العُقَابُ إذا رَأَتْ
صَيْدًا وينتصبُ انتصابَ الأجدَلِ

متوجس برقيقتين كأنما
يريان من وَرَقٍ عليه مُوصَلِ

وكأنما نَفَضَتْ عليه صبغها
صهباء للبردان أو قُطْرُ بُلِ

ملك العيون فإن بدا أعطيته
نَظَرَ المحبِّ الى الحبيبِ المقبلِ

ما إن يعاف قَدَى ولو أوردته
يومًا خلأق حمدويه الأحولِ^(٦)

وعلق الآمدي على بعض حسن الخروج عند الشعراء

(١) اللسان (طرد).

(٢) قواعد الشعر ص ٥٠.

(٣) البديع ص ٦٠.

(٤) العمدة ج ٢ ص ٣٩، وينظر المنزع البديع ص ٤٥٧، كفاية الطالب ص ١٨٦.

(٥) تحرير التعبير ص ١٣٢، وينظر بديع القرآن ص ٤٩.

(٦) أخبار أبي تمام ص ٦٨، أخبار البحري ص ٥٩، حلية المحاضرة ج ١ ص ١٦٣، إعجاز القرآن ص ١٥٨، زهر الآداب ج ٤ ص ١٠٤١، البديع في نقد الشعر ص ٧٥، حسن التوسل ص ٢٢٧، نهاية الارب ج ٧ ص ١١٩، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٢٨. وينظر المنصف ص ٧٣، والاغاني ج ٢١ ص ٤٨.

بانزال الغيث واهتزاز الارض بعد خشوعها قال: ﴿إِنَّ
الذي أحياها لمحيي الموتى﴾،^(١٢) فأخبر عن قدرته
على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها،
وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلاً عليه
ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام، إلا أنه يريد
الدلالة على نفسه بذكر المطر دون الدلالة على الاعادة
فاستوفى المعنيين جميعاً^(١٣). وقال الرمخشري في
قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يُؤاري
سوءاتكم وريشاً ولباساً التقوى ذلك خير، ذلك من
آيات الله لعلهم يذكرون﴾^(١٤): «وهذه الآية واردة
على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات
وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من
اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة
والفضيحة، وأشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب
التقوى»^(١٥). وقال السيوطي: «وقد خرجت على
الاستطراد قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ
يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١٦) فَإِنَّ أَوَّل
الكلام ذَكَرَ فِيهِ الرَّدَ عَلَى النِّصَارِيِّ الزَّاعِمِينَ بِنُورَةِ

بقوله: «وهذا يسميه قوم الاستطراد، وهو حسن
جدا»^(١) وسماه العسكري الاستطراد وقال في
تعريفه: «هو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه
يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سبباً إليه»^(٢)،
وذكر أمثلة من القرآن والشعر ولا سيما آيات أبي تمام.
وقال ابن رشيق: «الاستطراد أن يبنى الشاعر كلاماً
كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليها
الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم ويعود الى
كلامه الأول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد
ولا اعتقاد نية»^(٣). وقال: «وهو أن يرى الشاعر أنه في
وصف شي وهو إنما يريد غيره فان قطع أو رجع الى ما
كان فيه فذلك استطراد وإن تمادى فذلك خروج،
وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً والصواب ما
بينته»^(٤). وقال: «من الاستطراد نوع يسمى
الادماج»^(٥) كقول عبيد الله بن طاهر لعبد الله بن
سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد:

أبى الدهرُ في اسعافنا في نفوسنا
وأسعفنا فيمن نُحبُّ ونكرمُ
فقلت له: نُعماك فيهم أتمها
وَدَعُ أَمْرُنَا إِنَّ الْمَهْمَ الْمُقَدَّمُ

وسماه الاستطراد - أيضاً - التبريزي والبغدادي وابن
مالك^(٦)، وعدّه الصنعاني من أنواع الفصاحة^(٧).
وذكر المصري أنه لم يظفر منه بشيء في القرآن
المجيد إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا
بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾^(٨)، وقال: «فمن ظفر
فيه بشيء فهو المحسن بالحاقه في بابه»^(٩). وقال مثل
ذلك ابن مالك فيما نقله السبكي^(١٠)، قال: «ان
الاستطراد قليل في القرآن الكريم وأكثر ما يكون في
الشعر وأكثره في الهجاء، ولم أظفر به إلا في قوله
تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾. وذكر
العسكري قبله غير هذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ﴾^(١١)، فبينما يدلّ الله - سبحانه - على نفسه

- (١) الموازنة ج ٢ ص ٣٣٠.
- (٢) كتاب الصناعتين ص ٣٩٨.
- (٣) العمدة ج ١ ص ٢٣٦.
- (٤) العمدة ج ٢ ص ٣٩.
- (٥) العمدة ج ٢ ص ٤١.
- (٦) الوافي ص ٢٨١، قانون البلاغة ص ٤٤٩،
المصباح ص ١٠٦.
- (٧) الرسالة العسجدية ص ١٥٢.
- (٨) هود ٩٥.
- (٩) بديع القرآن ص ٤٩.
- (١٠) عروس الافراح ج ٤ ص ٣١٥.
- (١١) فصلت ٣٩.
- (١٢) فصلت ٣٩.
- (١٣) كتاب الصناعتين ص ٣٩٨.
- (١٤) الأعراف ٢٦.
- (١٥) الكشاف ج ٢ ص ٧٦، وينظر معترك ج ١
ص ٥٩.
- (١٦) النساء ١٧٢.

قبل، فإن تمادى فهو الخروج وإن عاد فهو الاستطراد^(٦)، وفَرَّقَ بين الأثنين الحموي والمدني^(٧)، ولكن قد يجتمع التخلص والاستطراد كما في قول مسلم:

أجَدِّكَ لا تَدْرِين أن رُبَّ لَيْلَةٍ
كَأَنَّ دُجَاهَا من قَرُونِكَ تُنْشَرُ
أَرِقْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغَرَّةٍ
كَغَرَّةِ يَحْيَى حِينَ يُذَكِّرُ جَعْفَرُ

وعَرَّفَ القزويني الاستطراد بقوله: «هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل الى ذكر الثاني»^(٨)، وذكر السبكي والحموي والسيوطي هذا التعريف^(٩)، وعرفه الزركشي تعريفاً غريباً فقال: «وهو التعريض بعيب انسان بذكر عيب غيره»^(١٠)، كقوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾^(١١)، ونقل ابن قيم الجوزية هذا التعريف والمثال وأضاف اليه بيتي السموأل السابقين^(١٢). وذكر المدني بعض التعريفات السابقة، وأشار الى ما بين الاستطراد والتخلص من فروق، وذكر أمثلة من القرآن

- (١) معترك ج ١ ص ٥٩.
- (٢) نضرة الاغريض ص ١٠٧.
- (٣) منهاج البلغاء ص ٣١٦.
- (٤) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٣٥.
- (٥) معترك ج ١ ص ٦١.
- (٦) الطراز ج ٣ ص ١٢.
- (٧) خزانة ص ٤٤، انوار ص ٢٢٩.
- (٨) الايضاح ص ٣٤٩.
- (٩) عروس الافراح ج ٤ ص ٣١٥، خزانة ص ٤٤، شرح عقود الجمان ص ١٣٥، الروض المربع ص ٩٦، نفحات ص ١٥٠، التبيان في البيان ص ٣٢٠، شرح الكافية ص ٧٣.
- (١٠) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٠٠.
- (١١) ابراهيم ص ٤٥.
- (١٢) الفوائد ص ١٣٥.

المسيح، ثم استطراد الرد على العرب الزاعمين بنوّة الملائكة»^(١).

وهذا يدل على أنَّ لأسلوب الاستطراد أمثلة في كتاب الله الخالد غير ما ذكر المصري. وقال المظفر العلوي: «ومعنى الاستطراد خروج الشاعر من ذم الى مدح أو من مدح الى ذم»^(٢)، كقول زهير:

إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ
الجَوَادَ عَلَى عِلاتِهِ هَرِمُ

وأشار القرطاجني الى الفرق بين الاستطراد والتخلص بقوله: «وأهل البديع يسمون ما كان الخروج فيه بتدرج تخلصاً، وما لم يكن بتدرج ولا هجوم ولكن بانعطاف طارى على جهة من الالتفات استطراداً»^(٣)، كقول حسان بن ثابت:

إنْ كُنْتِ كاذِبَةً الذي حَدَّثْتَنِي

فنجوت مَنجى الحارث بن هشام

ولا يرى المدني ذلك استطراداً وإنما هو تخلص لأنَّ «الاستطراد يشترط فيه العود الى الكلام الأول كما تقدم، وحسان لم يعد الى ما كان عليه من ذكر العاذلة بل أتم القصيدة مستمراً على ذكر هزيمة الحارث بن هشام والإيقاع بقومه في يوم بدر»^(٤). وذكر السيوطي أنَّ مما يقترب من الاستطراد ولا يكاد ان يفترقان حسن التخلص، وقال: «وقال بعضهم: الفرق بين التخلص والاستطراد أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت اليه. وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت اليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود الى ما كنت فيه كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضا. قال: وبهذا يظهر أنَّ ما في سورة الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الأعراف الى قصة موسى بقوله: «ومن قوم موسى أمة...»، وفي الشعراء الى ذكر الانبياء والأمم»^(٥). وقال العلوي: «هو أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام ثم يستمر عليه فيخرج الى غيره ثم يرجع الى ما كان عليه من

الاستعارة:

الاستعارة مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص الى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار اليه. والعارية والعاراة: ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه. والمعاورة والتعاور شبه المداولة والتداول يكون بين اثنين. وتعوّر واستعار: طلب العارية، واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه^(٥).

والاستعارة مجاز لغوي عند أكثر البلاغيين وإن كان عبد القاهر قد تردد فيها فجعلها مجازًا عقليًا مرة ومجازًا لغويًا تارة أخرى، ففي «دلائل الإعجاز» يميل إلى أنها مجاز عقلي أو هي من أبوابه^(٦)، ويذكر في الكتاب نفسه أنها مجاز في نفس الكلمة^(٧) أي مجاز لغوي ويؤكد ذلك ما ذكره في كتابه الآخر^(٨) وقد أشار المتأخرون الى هذا التردد كالرازي الذي رأى أنها مجاز لغوي^(٩)، والسكاكي الذي انكر المجاز العقلي وسلكه في الاستعارة الممكنية^(١٠) أي أن المجاز لغوي كله.

والاستعارة من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية، ولعل أبا عمرو بن العلاء كان من أقدم الذين ذكروها، فقد ذكر الحاتمي أن ابن العلاء قال: «كانت يدي في يد الفرزدق وأنشدته قول ذي الرمة:

(١) أنوار ج ١ ص ٢٢٨ وما بعدها.

(٢) تحرير ص ١٣١.

(٣) اللسان (ظهر).

(٤) العمدة ج ٢ ص ٦٠، وينظر المنزح البديع ص ٣٠٨، الروض المريع ص ١٥١.

(٥) اللسان (عور).

(٦) دلائل الاعجاز ص ٢٣٣.

(٧) دلائل الاعجاز ص ٢٣٢.

(٨) اسرار البلاغة ص ٢٩.

(٩) نهاية الايجاز ص ٨٤.

(١٠) مفتاح العلوم ص ١٨٩.

الكريم^(١).

ومن أمثلة الاستطراد التي أعجبت المصري قول بكر بن النطاح:

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمَنَى
لِتَرْضَى فَقَالَتْ قُمْ فَجِئْنِي بِكُوكِبِ
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْنُتُ كُلُّهُ
كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عُنُقَاءِ مُغْرِبِ
سَلِي كُلِّ شَيْءٍ يَسْتَقِيمُ طِلَابُهُ
وَلَا تَذْهَبِي يَا بَدْرُ بِي كُلَّ مَذْهَبِ
فَأَقْسَمَ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي عِزِّ مَالِكِ
وَقَدْرَتِهِ أَعْيَا بِمَا رَمَتْ مَطْلَبِي
فَتَّى شَقِيَتْ أَمْوَالُهُ بِنَوَالِهِ
كَمَا شَقِيَتْ بَكْرٌ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

قال: «وهذا أبدع استطراد سمعته في عمري، فانه قد جمع أحسن قسم، وأبدع تخلص، وأرشق استطراد، وتضمن مدح الممدوح بالكرم وقبيلته بالشجاعة والظفر وهجاء أعدائهم بالضعف والخور، وهذا لم يتفق لمن قبله ولا لمن بعده الى وقتنا هذا»^(٢).

الاستظهار:

الاستظهار من استظهر، أي استعان، واستظهر حفظ، والاستظهار أيضًا الاحتياط والاستيثاق^(٣).

وقد ذكر ابن رشيق في باب الايغال فتًا سمّاه الاستظهار، قال: «ومن هذا نوع يُسَمَّى الاستظهار، وهو قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوي أو غيره:

فأنتم بنو بنيتِه دُوننا

ونحن بنو عمه المسلم

فقوله: «المسلم» استظهار؛ لان العلوية من بني عم النبي - عليه الصلاة والسلام - أيضًا أعني أبا طالب ومات جاهليًا، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه الى ميراث الخلافة»^(٤).

بعربي، والاصل للدواب فاستعاره للناس، والعرب
تفعل هذا»^(٦).

ولكن هؤلاء العلماء لم يعرفوا الاستعارة وإن
ذكروها مصطلحاً ومثالاً، ولعل الجاحظ أول من
عرّفها بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا
اقام مقامه»^(٧) وسماها مثلاً وبديعاً عند تعليقه على
بيت الأشهب بن رميلة:

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ

وَمَا خَيْرٌ كَفًّا لَا تَنْوُءُ بِسَاعِدِهِ

قال: «قوله: «هم ساعد» انما هو مثل، وهذا الذي
تسميه الرواة البديع»^(٨) وهذه تسمية القدماء قال
المظفر العلوي: «وكان القدماء يسمونها الامثال
فيقولون: «فلان كثير الأمثال». ولقبها بالاستعارة
ألزم؛ لأنه أعم؛ ولأن الأمثال كلها تجري مجرى
الاستعارة»^(٩).

وسماها الجاحظ بدلاً عند تعليقه على قوله تعالى:
﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(١٠) وقال: «ولو كانوا لا
يسمون انسيابها وانسيابها مشياً وسعيًا لكان ذلك
مما يجوز على التشبيه والبدل وإن قام الشيء مقام

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٣٦، وينظر العمدة
ج ١ ص ٢٦٩، نضرة الاغريض ص ١٣٤، خزانة
الأدب ص ٤٨ المنصف ص ٥٢، التبيان في
البيان ص ١٨٥، شرح الكافية ص ١٢٦.

(٢) إعجاز القرآن ص ١٠٧، ١٠٨.

(٣) الكتاب ج ١ ص ٣١٦.

(٤) معاني القرآن ج ٢ ص ٩١، ١٥٦، ٢٦٣،
وغيرها.

(٥) النقائص ج ١ ص ٢٧٥.

(٦) النقائص ج ٢ ص ٥٨٩.

(٧) البيان ج ١ ص ١٥٣ - ٢٨٤، الحيوان ج ٢
ص ٢٨٠ - ٢٨٣ - ٣٠٨.

(٨) البيان ج ٤ ص ٥٥.

(٩) نضرة الاغريض ص ١٣٣.

(١٠) طه ٢٠.

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى
وساق الثريا في ملاءته الفجر

قال: فقال لي: أأرشدك أم أدعك؟ قلت: بل أرشدني.
فقال: إن العود لا يدوي أو يجف الثرى، وانما الشعر:
«حتى ذوى العود والثرى». ثم قال أبو عمرو: «ولا أعلم
قولاً أحسن من قوله: «وساق الثريا في ملاءته الفجر»
فصير للفجر ملاءة، ولا ملاءة له، وانما استعار هذه
اللفظة وهو من عجيب الاستعارات»^(١).

وقال الباقلاني بعد أن ذكر بيت امرئ القيس:

وقد اغتدى والطير في وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

«واقتدى به الناس واتبعه الشعراء فقليل: «قيد النواظر»
و«قيد اللاحاظ» و«قيد الكلام» و«قيد الحديث» و«قيد
الرهان». ثم قال: «وذكر الاصمعي وأبو عبيدة وحماد
وقبلهم أبو عمرو أنه أحسن في هذه اللفظة وأنه أتبع فلم
يلحق، وذكروه في باب الاستعارة البليغة»^(٢).

وقال سيبويه تعليقا على بيت عامر بن الأحوص:

وداهية من دواهي المنو

ن ترهبها الناس لافالها

«فجعل للداهية فما»^(٣).

وأشار الفراء الى اسلوب الاستعارة ولكنه لم
يسمها^(٤)، أما أبو عبيدة فقد سماها، فهو في تعليقه
على بيت الفرزدق:

لا قوم أكرم من تميم إذ عدت

عود النساء يُسَقَّنَ كالأجال

قال: «قوله: «عود النساء» هن اللاتي معهن أولادهن،
والأصل في «عود» الابل التي معها أولادها فنقلته
العرب الى النساء. وهذا من المستعار، وقد تفعل
العرب ذلك كثيرا»^(٥). وفي تعليقه على البيت:

لقد مدّ للقين الرهان فردّه

عن المجد عزق من فقيرة مقرّف

قال: «وانما ضربه مثلاً ههنا يريد أن أحد أبويه ليس

وهي المشابهة، وملاكها تقريب الشبه وائتلاف ألفاظ صورتها مع معانيها حتى لا توجد منافرة بينهما.

وقال الرماني: «الاستعارة تعليق العبارة على ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للابانة»^(١٠). ونقل ابن سنان هذا التعريف^(١١).

وقال العسكري إنها «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة الى غيره لغرض»^(١٢)، وفي هذا التعريف إضافة الى ما سبق وهي قوله: «لغرض» أي أنه اشترط في الاستعارة أن يكون وراءها هدف وإلا فاستعمال اللفظ بمعناه الأصلي أولى. وقال ابن فارس: «هي أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع آخر»^(١٣). ونقل ابن رشيق تعريفات القاضي الجرجاني وابن وكيع وابن جنبي والرماني^(١٤)، ولما جاء عبد القاهر نظر الى الاستعارة نظرة دقيقة فيها تحديد وعمق، قال: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»^(١٥). وهذا التعريف يؤكد أنها مجاز لغوي وأنها «ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل»

(١) الحيوان ج ٤ ص ٢٧٣، ٢٧٨.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢.

(٣) الكامل ج ١ ص ٢٤٤، وتنظر ص ٨٦ والمقتضب ج ٣ ص ١٨٨.

(٤) قواعد الشعر ص ٤٧.

(٥) البديع ص ٢.

(٦) نقد الشعر ص ٢٠١، ٢٠٢؛ ٢٣٨.

(٧) جواهر الالفاظ ص ٥.

(٨) البرهان في وجوه البيان ص ١٤٢.

(٩) الوساطة ص ٤١.

(١٠) النكت في اعجاز القرآن ص ٧٩.

(١١) سر الفصاحة ص ١٣٤.

(١٢) كتاب الصناعتين ص ٢٦٨.

(١٣) الصاحبي ص ٢٠٤.

(١٤) العمدة ج ١ ص ٢٦٨.

(١٥) دلائل الاعجاز ص ٥٣، ينظر الايضاح في

شرح مقامات الحريري ص ٣.

الشيء أو مقام صاحبه»^(١).

وقال ابن قتيبة: «فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة اذا كان المسمى بها بسبب من الآخر أو مجاورًا لها أو مشاكلة»^(٢) وهذا تعريف ينطبق على المجاز كله ولا سيما المرسل الذي من علاقاته السببية والمجاورة، ويؤكد هذا المعنى الأمثلة التي ذكرها كقول الشاعر:

إذا سَقَطَ السماء بأرض قَوْمِ
رَعِيناه وإن كانوا غَضابا
وقولهم للنبات «نوء» وللمطر «سما».

وذكرها المبرد وقال إن «العرب تستعير من بعض لبعض»^(٣).

وقال ثعلب: «هو أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه»^(٤).

وقال ابن المعتز إنها «استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها»^(٥). ولم يبحثها قدامة في «نقد الشعر» وإنما أشار إليها اشارات عابرة في أثناء كلامه على المعاضلة وقبح الاستعارة^(٦). وذكرها في «جواهر الألفاظ» وذكر لها أمثلة من غير أن يعرفها^(٧).

وتحدث عنها معاصره ابن وهب في فصل مستقل وقال: «وربما استعملوا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز»^(٨).

وبدأ تعريف الاستعارة بعد هؤلاء يأخذ طابعًا واضحًا يختلف عما سبق، وقد عرّفها القاضي الجرجاني بقوله: «الاستعارة ما اكْتَفِي فيها بالاسم المستعار عن الاصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»^(٩). وهذا التعريف يختلف عن التعريفات السابقة فهو أكثر وضوحًا وأعمق دلالة، وهو يوضح العلاقة بين المستعار له والمستعار منه

وأنَّ «التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيهة بالفرع له أو صورة مقتضبة من صورته»^(١).

وعرّفها الرازي تعريفاً لا يختلف عن تعريف عبد القاهر وقال: «الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه». وقال: «الاستعارة عبارة عن جعل الشيء الشيء لأجل المبالغة في التشبيه»^(٢).

وأخذ السكاكي ما قاله عبد القاهر والرازي وعرّف الاستعارة بقوله: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»^(٣). وهذا من أدق التعريفات لأنه حصر الاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية أو المكنية.

وقال ابن الأثير: «الاستعارة أن تريد الشيء بالشيء فتدع الألفصاح بالتشبيه واطهاره وتجيء على اسم المشبه به وتجريه عليه»^(٤). وقال: «حدُّ الاستعارة: نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول لأنه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدًّا لها دون التشبيه»^(٥).

ونقل المصري تعريفي ابن المعتز والرماني ثم قال: «هي تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه»^(٦). أي ما رجحت فيه الصفة وكان ظاهرًا ينقل إلى ما خفي وكان مرجوحًا عليه في هذه الصفة.

وقال ابن مالك: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به مع سدّ طريق التشبيه ونصب القرينة، ولهذا سميت استعارة»^(٧). وفي هذا التعريف إشارة إلى القرينة التي لا يخلو منها مجاز.

وقال الحلبي: «هو ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظًا وتقديرًا. وإن شئت قلت: هو جعل الشيء الشيء أو

جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه»^(٨) والتعريف الأول ينطبق على الاستعارة التصريحية، والثاني على الاستعارة المكنية، وقد أوضح الحلبي ذلك بالمثالين اللذين ذكرهما وإن لم يصرّح بالتسمية.

وقال القزويني: «الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقيق معناها حسًا أو عقلاً أي التي تتناول أمرًا معلومًا يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية فيقال إنَّ اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسمًا له على سبيل الاعارة للمبالغة في التشبيه»^(٩).

وذكر العلوي عدة تعريفات ثم اختار منها تعريفًا فضّله على غيره وهو أنَّ الاستعارة «تصيرك الشيء الشيء وليس به وجعلك الشيء الشيء وليس له بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكما»^(١٠). وفي هذا التعريف إشارة إلى الاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية، وفضّل للاستعارة عن التشبيه المحذوف الأداة.

ولا تخرج عن ذلك تعريفات التبريزي والبغداددي وابن منقذ والصنعاني وابن الزملكاني والمظفر العلوي والقرطاجني والتنوخي والنويري وابن الأثير الحلبي والسبكي والتفتازاني والزرركشي والحموي

(١) أسرار البلاغة ص ٢٠، ٢٨.

(٢) نهاية الأيجاز ص ٨٢.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٧٤.

(٤) الجامع الكبير ص ٨٢.

(٥) المثل السائر ج ١ ص ٣٦٤ كفاية الطالب ص ١٥٨.

(٦) تحرير التحبير ص ٩٧، بديع القرآن ص ١٩.

(٧) المصباح ص ٦١.

(٨) حسن التوسل ص ١٢٦.

(٩) الأيضاح ص ٢٧٨، التلخيص ص ٣٠٠.

(١٠) الطراز ج ١ ص ٢٠٢، وينظر المنزاع البديع ص ٢٣٥، نفحات الأزهار ص ٧٣.

أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلاً في مفهوم الطرفين،
وثانيهما ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم
الطرفين. وتنقسم باعتبار الجامع أيضًا الى عامية
وخاصية، واما باعتبار الثلاثة - الطرفين والجامع -
فهي ستة أقسام: استعارة محسوس لمحسوس بوجه
حسي أو بوجه عقلي، أو بما بعضه حسي وبعضه
عقلي، واستعارة معقول لمعقول، واستعارة محسوس
لمعقول واستعارة معقول لمحسوس. وباعتبار اللفظ
قسمان: أصلية وتبعية. وباعتبار الخارج ثلاثة أقسام:
المطلقة والمجردة والمرشحة. وهناك الاستعارة
التمثيلية أي المجاز المركب والاستعارة التصريحية
والاستعارة بالكناية أو الممكنية.

وسار المتأخرون على هذا التقسيم وتحدثوا عن
هذه الأقسام، ويتضح من مراجعة كتبهم أنهم لم يتفقوا
على تحديدها كل الاتفاق ولا سيما التخيلية وصلتها
بالممكنية، وكان للسكاكي رأي نقضه القزويني وكان

- (١) الوافي ص ٢٦٣، قانون البلاغة ص ٤٠٩،
وص ٤٣٨، البديع في نقد للشعر ص ٤١،
الرسالة العسجدية ص ١١٥، التبيان ص ٤١،
البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ١١٠،
نصرة الاغريض ص ١٣٤، منهاج البلغاء
ص ٨٧، الاقصى القريب ص ٤٠، نهاية الارب
ج ٧ ص ٤٩، جوهر الكنز ص ٥٣، عروس ج ٤
ص ٤٥، المطول ص ٣٥٧، المختصر ج ٤
ص ٤٥، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٣٢،
خزانة ص ٤٧، معترك ج ١ ص ٢٧٥، الاتقان
ج ٢ ص ٤٣، شرح عقود الجمان ص ٩٣،
الاطول ج ٢ ص ١١٩، مواهب ج ٤ ص ٤٥،
أنوار ج ١ ص ٢٤٣، حلية اللب ص ١١٨؛
الروض المريع ص ١١٥.

(٢) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٣.

(٣) مريم ٤.

(٤) نهاية الايجاز ص ٨١.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٧٦.

(٦) الايضاح ص ٢٨٩، التلخيص ص ٣٠٨، وينظر

أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٥.

والسيوطي والاسفراييني والمغربي والمدني
والدمنهوري^(١) وغيرهم. وهذا يدل على «أن الكلام
في الاستعارة وأنواعها مما أطلق البيانيون فيه أعتة
الأقلام»^(٢)، ولكن المعول عليه عند المتأخرين ما
ذهب اليه عبد القاهر والسكاكي والقزويني
وأصحاب الشروح والتلخيصات.

ولا بد للاستعارة من ثلاثة أركان هي:

١- المستعار منه، وهو المشبه به.

٢- المستعار له، وهو المشبه.

٣- المستعار، وهو اللفظ المنقول.

ويُسمى الأول والثاني طرفي الاستعارة، ففي قوله
تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٣) يكون المستعار هو
الإشتعال، والمستعار منه هو النار، والمستعار له هو
الشيب، والجامع بين المستعار منه والمستعار له
مشابهة ضوء النهار لبياض الشيب ولا بد للاستعارة
من قرينة تدل على أنها ليست تعبيرًا حقيقيًا.

لم يقسم الاوائل الاستعارة الى الأقسام التي ذكرها
المتأخرون بل خلط بعضهم بينها وبين أنواع المجاز
الآخري. وكان تقسيم عبد القاهر بداية العناية بذلك
فقد قسمها الى مفيدة وغير مفيدة، وقسم المفيدة الى
ما سماه المتأخرون استعارة تصريحية واستعارة ممكنية.
ولعل الرازي من أوائل الذين حاولوا تقسيم الاستعارة
في ضوء ما تحدث عنه عبد القاهر، فقد قسمها الى
أصلية وتبعية وتصريحية وممكنية وترشيحية
وتجريدية^(٤).

واستفاد السكاكي من هذا التقسيم وأمعن في
التحديد^(٥)، وقسمها القزويني باعتبار الطرفين -
المستعار منه والمستعار له - وباعتبار الجامع،
وباعتبار الثلاثة، وباعتبار اللفظ، وباعتبار أمر خارج
عن ذلك كله^(٦).

والاستعارة باعتبار الطرفين قسمان: وفاقية وعنادية
ومنها التهكمية أو التمليلية وباعتبار الجامع قسمان:

لغيرهما آراء مختلفة. وتقسيم الاستعارة الى تصريحية وممكنية خير وأجدى في دراسة هذا الفن لأن ذلك عمدته ما دامت الاستعارة تقوم على التشبيه عند معظم البلاغيين، ولكن التطور التاريخي لهذا الفن يقتضي الكلام على هذه الأقسام لتتضح مسيرة هذا الفن خلال الدراسات السابقة.

الاستعارة الاحتمالية:

قال الشكاكي: «هي أن يكون المُشَبَّه المتروك صالح الحمل تارة على ما له تَحَقُّقٌ وأخرى على ما لا تَحَقُّقٌ له»^(١)، أي انها تحتمل الوجهين، وقد شرح الشكاكي التَّحْقِيقِيَّةَ وقال: «أن يكون المشبه المتروك شيئاً متحققاً اما حسيّاً وإما عقليّاً». فالاستعارة الاحتمالية ما احتملت ما له تحقق من وجه وما لا تحقق له من وجه آخر، ونظيره قول زهير:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وعُري أفراس الصبا ورواحله

أراد أن يبين أنه أمسك عما كان يرتكب أو ان الصبا وقمع النفس عن التلبس بذاك مُعْرِضاً الاعراض الكلي عن المعاودة لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب الجهل فقال: «وعُري أفراس الصبا ورواحله» أي ما بقيت آلة من آلاتها المحتاج اليها في الركوب والارتكاب قائمة كأى نوع فرضت من الانواع حرفة أو غيرها متى وطنت النفس على اجتنابه ورفع القلب رأساً عن دق بابه وقطع العزم عن معاودة ارتكابه فتقل العناية بحفظ ما قوام ذلك النوع به من الآلات والأدوات فتري يد التعطيل تستولي عليها فتهلك وتضيع شيئاً فشيئاً حتى لا تكاد تجد في أدنى مدة أثرًا منها ولا عثراً فبقيت لذلك معرّة لا آلة ولا أداة فحق قوله: «أفراس الصبا ورواحله» أن يعد استعارة تخيلية لما يسبق الى الفهم ويتبادر الى خاطر من تنزيل «أفراس الصبا ورواحليه» منزلة أنياب المنية ومخالبتها في قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها

ألفيت كل تميمة لا تنفع

وإن كان يحتمل احتمالاً بالتكلف أن تجعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات أو عن الاسباب التي قلما تتأخذ في اتباع الغي وجر أذيال البطالة إلا أو ان الصبا. وكذلك قوله تعالى: ﴿فأذاقها اللُّهُ لباسَ الجوع﴾^(٢) الظاهر من اللباس الحمل على التخيل وإن كان يحتمل أن يحمل على التحقيق، وهو أن يستعار لما يلبسه الانسان عند جوعه من انتفاع اللون وراثته الهيئة^(٣).

فالاستعارة في البيت والآية الكريمة تحتمل التخيل وتحتمل التحقيق فهي اما تخيلية أو حقيقية.

الاستعارة الأصلية:

الاستعارة الأصلية هي التي تكون في أسماء الأجناس غير المُشْتَقَّة ويكون معنى التشبيه داخلاً في المستعار دخولاً أولياً^(٤). وقد أوضح الشكاكي معناها بقوله: «هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وكقيام وقعود. ووجه كونها أصلية هو أن الاستعارة مبناه على تشبيه المستعار له بالمستعار منه»^(٥). والى ذلك ذهب ابن مالك والقزويني والسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمدني والمغربي^(٦). ومنها

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٦.

(٢) النحل ١١٢.

(٣) مفتاح ص ١٧٨، الايضاح ص ٣١٠، التلخيص ص ٣٢٨، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٦١، المطول ص ٣٨٥، الاطول ج ٢ ص ١٥٠.

(٤) نهاية الايجاز ص ٨٩، البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ١١٢، التبيان في البيان ص ١٨٩.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٧٩، وتنظر ص ١٧٦.

(٦) المصباح ص ٦٥، الايضاح ص ٢٩٨، التلخيص

ص ٣١٤، عروس الافراح ج ٤ ص ١٠٨،

المطول ص ٣٧٦ المختصر ج ٤ ص ١٠٨ =

وتجعله متناولاً له تناول الصفة للموصوف»^(٣). ومثل له بقوله: «رأيت أسداً» أي رجلاً شجاعاً، وقولهم: «عنت لنا ظبية» أي امرأة، وقوله: «أبدت نوراً» أي هدى. فالاسم في هذه الأمثلة متناول شيئاً معلوماً يمكن أن ينص عليه فيقال إنه عنى بالاسم وكنى به عن مسماه الأصلي فجعل اسماً على سبيل الاعارة والمبالغة في التشبيه.

وقال عن المكنية: «أن يؤخذ الاسم من حقيقته ويُوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له وجعل خليفة لاسمه ونائباً منابه»^(٤). ومثل له بقول لبيد:

وغداة ربح قد كشفت وقرّة

إذ أصبحت بيد الشمال زمائمها

وذلك أنه جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري عليه كاجراء الأسد على الرجل.

وفرق بين القسمين بقوله: «إنك إذا رجعت في القسم الأول الى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته يأتيك عفواً كقولك في «رأيت أسداً»: رأيت رجلاً كالأسد، أو رأيت مثل الأسد، أو شبيهاً بالأسد. وإن رمت في القسم الثاني وجدته لا يواتيك إذ لا وجه لأن تقول: «إذ أصبح شيء مثل اليد للشمال» أو «حصل شبيه باليد للشمال». وإنما يترأى لك التشبيه بعد أن تخرق اليه ستراً وتعمل تأملاً وفكراً، وبعد أن تُغيّر الطريقة وتخرج عن الحد الأول كقولك: «إذ أصبحت الشمال ولها في قوة تأثيرها في

= معترك ج ١ ص ٢٨٠، شرح عقود الجمان ص ٩٥، الأطول ج ٢ ص ١٣٦. أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٦، مواهب الفتاح ج ٤ ص ١٠٨.

(١) ابراهيم ١.

(٢) الشعراء ٢٢٥.

(٣) أسرار البلاغة ص ٤٢.

(٤) أسرار البلاغة ص ٤٢.

قوله تعالى: «لُتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»^(١)، وقوله: «فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ»^(٢). وقول البحري.

يُؤدُّونَ التَّحِيَةَ مِنْ بَعِيدٍ

إلى قَمَرٍ مِنَ الْإِيوَانِ بَادٍ

فقد شبه بمدوحه بالقمر، ومنه تشبيه المتنبي بمدوحه بالشمس في قوله:

أَحْبَبْتُكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ

وإن لأمني فيك الشُّها والفراقِ دُ

الاستعارة بالكناية:

وتسمى المكني عنها أو المكنية وهي التي اختفى فيها لفظ المشبه واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه كقول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها

أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وحذف المشبه به وهو السبع وأبقى شيئاً من لوازمه وهي الأظفار التي لا يكمل الاغتيال إلا بها.

ومنها قول دعبل الخزاعي:

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ

ضَحِكَ الْمَشِيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكِي

شبه المشيب بانسان وحذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الضحك على سبيل الاستعارة.

وهذا النوع من الاستعارة مقابل للاستعارة التصريحية وهما من تقسيم هذا الفن بحسب الطرفين: المشبه والمشبه به فتارة يحذف المشبه فتكون الاستعارة تصريحية وتارة يحذف المشبه به فتكون مكنية. وكان عبد القاهر قد أشار الى هذين القسمين وإن لم يسمهما كذلك بل قال عن التصريحية: «أن تنقله - أي الاسم - عن مسماه الأصلي الى شي آخر ثابت معلوم فتجريه عليه

الشيء للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك^(٧). وقال القزويني: «قد يضم التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بان يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية^(٨) ولم يخرج البلاغيون بعد ذلك عن هذا التعريف^(٩).

الاستعارة التَّبعية:

هي أن لا يكون معنى التشبيه داخلاً دخولاً أولياً، وهي كما قال السكاكي: «ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المُشْتَقَّة منها وكالحروف^(١٠)» وقال ابن مالك: «هي ما تقع في الأفعال والصفات والحروف فإنها لا تُوصف فلا تحتل الاستعارة بأنفسها وإنما المُحتمل لها في الأفعال والصفات مصادرها وفي الحروف مُتعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسري في هذه الأشياء^(١١)» وذلك أن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً، وإنما يصلح

الغداة شبه المالك تصريف الشيء بيده واجراءه على موافقته وجذبه نحو الجهة التي تقتضيها طبيعته وتنحوها ارادته. فأنت - كما ترى - تجد الشبه المنتزع ههنا إذا رجعت الى الحقيقة ووضعت الاسم المستعار في موضعه الأصلي لا يلقاك من المستعار نفسه بل مما يضاف اليه. ألا ترى أنك لم ترد أن تجعل الشمال كاليد ومشبهة باليد كما جعلت الرجل كالأسد ومشبهها بالأسد ولكنك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الاحياء. فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له وهو نحو الشمال ذا شيء وغرضك أن تثبت له حكم من يكون له ذلك الشيء في فعل أو غيره لانفس ذلك الشيء فاعرفه^(١).

وذكر فرقاً آخر لخصه بقوله: «وطريقة أخرى في بيان الفرق بين القسمين وهو أن الشبه في القسم الأول الذي هو نحو «رأيت أسداً» «تريد رجلاً شجاعاً»، وصف موجود في الشيء الذي استعرت اسمه وهو الاسد. وأما قولك: «إذ أصبحت بيد الشمال زمامها» فالشبه الذي له استعرت اليد ليس بوصف في اليد ولكنه صفة تكسبها اليد صاحبها وتحصل له بها، وهي التصرف على وجه مخصوص^(٢).

وكان ما ذهب اليه عبد القاهر منطلق البلاغيين في تحديد الاستعارة المكنية، وقد قال الرازي: «هذا إذا لم يصرح بذكر المستعار بل ذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه^(٣).

وقال السكاكي: «هي أن تذكر المُشَبَّه وتريد به المُشَبَّه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي أن تنسب اليه وتضيف شيئاً من لوازم المُشَبَّه به المساوية^(٤)» وقال ابن مالك: «هي أن تذكر المُشَبَّه وتريد المُشَبَّه به وتدلّ بمثل شيء من لوازمه إلى المُشَبَّه^(٥).

ونقل النويري وابن قَيِّم الجوزية والزر كشي تعريف الرازي^(٦)، وقال الحلبي ولم يُسمِّها: «الثاني أن تعتمد لوازمه عندما يكون جهة الاشتراك وصفاً انما ثبت له كما في المستعار منه بواسطة شيء آخر فتثبت ذلك

(١) أسرار البلاغة ص ٤٤.

(٢) أسرار ص ٤٨.

(٣) نهاية الايجاز ص ٩٢.

(٤) مفتاح العلوم ص ١٧٩.

(٥) المصباح ص ٦٤.

(٦) نهاية الارب ج ٧ ص ٥٥، الفوائد ص ٥٣،

البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٣٨.

(٧) حسن التوسل ص ١٣٤.

(٨) الايضاح ص ٣٠٩، التلخيص ص ٣٢٤.

(٩) شروح التلخيص ج ٤ ص ١٨٣، المطول

ص ٣٨١، الأطول ج ٢ ص ١٤٩، معترك

الأقران ج ١ ص ٢٨١، الاتقان ج ٢ ص ٤٥،

شرح عقود الجمان ص ٩٨، أنوار ج ١

ص ٢٥٢، التبيان في البيان ص ١٩١.

(١٠) مفتاح ص ١٨٠، وتنظر ص ١٧٦.

(١١) المصباح ص ٦٥.

المستعار له^(٥)، أي أنها تكون تجريدية إذا عقيبت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفريع كلام ملائم له^(٦) وقال ابن مالك: «تجريد» الاستعارة هو أن تقرن بما يلائم المستعار له^(٧) وَعَرَّفَهَا الْقَزْوِينِي بِمِثْلِ ذَلِكَ^(٨)، وقال العلوي: «فاما الاستعارة المجردة فانما لقبت بهذا اللقب لأنك إذا قلت: «رأيت أسداً يجدلّ الابطال بنصله ويشك الفرسان برمحه» فقد جرّدت قولك: «أسداً» عن لوازم الآساد وخصائصها إذ ليس من شأنها تجديد الابطال ولا شكّ الفرسان بالرماح والنصال^(٩). والى ذلك ذهب السبكي والتفتازاني والزرکشي والسيوطي والاسفراييني والمغربي والمدني^(١٠).

ومثال الاستعارة التجريدية قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾^(١١) حيث قال: ﴿فَأَذَاقَهَا﴾ ولم يقل: «كساها» فان المراد بالاذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس كأنه قال: فأصابها الله بلباس الجوع والخوف.

(١) الايضاح ص ٢٩٨، التلخيص ص ٣١٥، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٠٨، المطول ص ٣٧٦، الأطول ج ٢ ص ١٣٧، معترك ج ١ ص ٢٨٠، شرح عقود الجمان ص ٩٥، أنوار ج ١ ص ٢٤٦.

(٢) القصص ٨.

(٣) آل عمران ٢١، التوبة ٣٤، الانشقاق ٢٤.

(٤) شرح عقود الجمان ص ٩٦.

(٥) نهاية الايجاز ص ٩٢.

(٦) مفتاح العلوم ص ١٨٢.

(٧) المصباح ص ٦٦.

(٨) الايضاح ص ٣٠٠، التلخيص ص ٣١٧.

(٩) الطراز ج ١ ص ٢٣٦.

(١٠) عروس ج ٤ ص ١٢٨، المطول ص ٣٧٧،

المختصر ج ٤، ص ١٢٨، البرهان ج ٣

ص ٤٣٨، معترك ج ١ ص ٢٨١، الاتقان ج ٢

ص ٤٥، شرح عقود الجمان ص ٩٧ الأطول

ج ٢ ص ١٤٢، مواهب الفتاح ج ٤ ص ١٢٨،

أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥٤.

(١١) النحل ١١٢.

للموصوفية الحقائق كما في «جسم أبيض» و«بياض صاف» دون معاني الافعال والصفات المشتقة منها والحروف^(١).

ومثالها قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٢)، شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب غلبة الغائبة عليه، ثم استعير في المشبه اللام الموضوعة للمشبه به.

وقرينة التبعية في الافعال والصفات تعود تارة الى الفاعل كما في «نطقت الحال» أو «الحال ناطقة بكذا» لأنّ النطق لا يسند الى الحال. وتارة الى المفعول كقول ابن المعتز:

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ
قَتَلَ الْبَخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

أي: أزال البخل وأظهر السماح والقتل والاحياء الحقيقيان لا يتعلق بهما والقرينة جعلهما مفعولين. والثاني كقول الشاعر:

نقريهم لهذمياتٍ نقدٌ بها
ما كان خاط عليهم كُلاً زَرَادٍ

وهي قرينة على أن «نقريهم» استعارة، وهو مفعول ثان. أو الاول والثاني كقول الحريري:

وَأَقْرِي الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقَتْ
بِيَانًا يَقُودُ الْحَرُونَ الشَّمُوسَا

وتارة الى الجار والمجرور نحو قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣)، فقوله «بعذاب» قرينة على أن «بشّر» استعارة. وتارة الى الجميع: الفاعل والمفعول الاول والثاني والمجرور بمعنى أن كلاً منها قرينة مستقلة كقول الشاعر:

تَقْرِي الرِّيَاحُ رِيَاضَ الْحَزَنِ مَزْهَرَةً
إِذَا سَرَى النُّومُ فِي الْأَجْفَانِ إِيقَاظًا^(٤)

الاستعارة التجريدية:

وتسمى المُجَرَّدَة، وهي ما كان مُعْتَبَرًا فِيهَا

وقول كثير:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
غَلِقَتْ لَضَحِكْتَهُ رِقَابُ الْمَالِ^(١)

فانه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء فنظر الى المستعار.

الاستعارة التَّحْقِيقِيَّة:

الاستعارة التَّحْقِيقِيَّة هي «أن يكون المشبه المتروك شيئاً متحققاً إما حسيّاً أو عقليّاً»^(٢).

وسماها العلوي الحقيقية وقال: «واما الحقيقية فهي أن تذكر اللفظ المستعار مطلقاً، كقولك: «رأيت أسداً». والضابط لها أن يكون المستعار له أمراً محققاً سواء جرد عن حكم المستعار له أو لم يجرد بأن يذكر الاستعارة ثم يأتي بعد ذلك بما يؤكد أمر المستعار له ويوضح حاله»^(٣). ومثال ذلك قول الشاعر:

ترى الثياب من الكتان يلمحها
نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تُنكر أن تبلى معاجرها
والبدر في كل وقتٍ طالعٍ فيها^(٤)

فلما استعار ذكر القمر عقبه بذكر المعاجر وأنه يبليها بطلوعه فيها كل وقت وذكره من أجل ايضاح أمر المستعار له وبيان حقيقته.

وأوضح السيوطي تعريف السكاكي فقال: «ما تحقق معناها حسناً نحو ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾^(٥). أو عقلاً نحو ﴿وأنزلنا إليكم نوراً﴾^(٦) أي: بياناً واضحاً وحجة دامغة»^(٧). والى ذلك ذهب الاسفرايني والمدني^(٨).

الاستعارة التَّخْيِيلِيَّة:

هي أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم ثم تردف بذكر المستعار له ايضاحاً لها وتعريفًا

لحالها. وقد سماها ابن الاثير الحلبي «استعارة التخيل»^(٩)، وسماها العلوي «الاستعارة الخيالية الوهمية»^(١٠).

ومثال الاستعارة التخيلية قوله تعالى: ﴿بل يده مبسوطان يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(١١) وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾^(١٢) وهما من الآيات الدالة على التشبيه.

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقد يجتمع التحقيق والتخيل في الاستعارة كما في قوله تعالى: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾^(١٣). والظاهر من هذه الاستعارة هو التخيل لأن الله - تعالى - لما ابتلاهم لكفرهم باتصال هاتين البليتين، ولما استعار اللباس ههنا مبالغة في الاشتمال عليهم أخذ الوهم في تصوير ما للمستعار منه من التغطية والستر والاسترسال رعاية لمزيد البيان في ذلك. وإن جعلت من باب التحقيق فهو أن ما يرى على الانسان عند شدة الخوف والجوع

(١) غمر؛ كثير أو واسع. الرداء؛ العطاء الشبيه بالرداء. غلقت انتقل ملكها الى أيدي السائلين.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٦.

(٣) الطراز ج ١ ص ٢٣٠.

(٤) المعاجر؛ جمع معجر على وزن منبر، وهو ثوب تعتم به المرأة وتشده على رأسها.

(٥) النحل ١١٢.

(٦) النساء ١٧٤.

(٧) معترك ج ١ ص ٢٨١، الاتقان ج ٢ ص ٤٥، شرح عقود الجمان ص ٩٣.

(٨) الأطول ج ٢ ص ١٥٤، أنوار الريع ج ١ ص ٢٥١، التبيان في البيان ص ١٨٩.

(٩) جوهر الكنز ص ٥٨.

(١٠) الطراز ج ١ ص ٢٣٢.

(١١) المائدة ٦٤.

(١٢) الرحمن ٢٧.

(١٣) النحل ١١٢.

ترشيحها فهو أن يُنظر فيها الى المستعار ويراعي جانبه ويوليه ما يستدعيه ويضم ما يقتضيه»^(٨).
ومنها قول كثير:

رَمْتَنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضُرْ
ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحٌ
وقول النابغة:

وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمُّهُ
تَضَاعَفَتِ الْأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والازاحة منظور اليه في لفظي السهم والعازب وقول الآخر:

يُنَازِعَنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو
زُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بِنِ بَكْرِ
لِي الشَطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي
ودونك فاعتجر منه بشطرٍ

فانه استعار الرداء للسيف ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف الرداء فنظر الى المستعار منه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ تِجَارَتُهُمْ﴾^(٩) فانه استعار الاشتراء للاختيار وقفاه بالربح والتجارة

(١) الايضاح ص ٢٨٠، الطراز ج ١ ص ٢٣٥.

(٢) هود ٤٤.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٧٦.

(٤) مفتاح ص ١٨٣.

(٥) الفوائد ص ٤٩، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٨،

شروح التلخيص ج ٤ ص ١٥٣، المطوّل

ص ٣٨١، الاطول ج ٢ ص ١٥٨، معترك ج ١

ص ٢٨١، الاتقان ج ٢ ص ٤٥، شرح عقود

الجمان ص ٩٨، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥٢،

التيبان في البيان ص ١٩٠.

(٦) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص ١٠١،

التيبان ص ١٦١.

(٧) نهاية الايجاز ص ٩٢.

(٨) حسن التوسل ص ١٣١.

(٩) البقرة ١٦.

من الضعف والهزال وانتفاع اللون وعلو الصفرة وورثاة الهيئة وركاكة الحال وحصول القلق والخيبة يضاهي الملابس في اختلاف أحوالها وألوانها^(١).

والاستعارة التخيلية مرتبطة بالمكنية بل هي قرينتها خلافاً للسكاكي الذي ذهب الى أن قرينة المكنية تارة تكون تخيلية كبيت الهذلي: «واذا المنية...» وتارة تكون حقيقية أي مستعارة لأمر محقق كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾^(٢). ويتضح ذلك في قوله: «والمصرح بها تنقسم الى حقيقية وتخيلية، والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك متحققاً إما حسيّاً وإما عقليّاً، والمراد بالتخيلية أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً محضاً لا تحقق له إلا في مجرد الوهم»^(٣). ومعنى ذلك أن لا تلازم بين المكنية والتخيلية عند السكاكي بل يوجد كل منهما بغير الآخر. واستدل على انفراد التخيلية عن المكنية بقول أبي تمام:

لَا تَسْقِينِي مَاءَ الْمَلَامِ فَانِنِي
صَبٌّ قَدْ اسْتَعْدَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

فانه قد توهم أن للملامة شيئاً شبيهاً بالماء فاستعار اسمه استعارة تخيلية غير تابعة للمكنية^(٤).

ويتضح في هذه المسألة رأيان:

الأول: رأي السكاكي وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخيلية وتارة تكون حقيقية.

الثاني: رأي القزويني وهو أن قرينة المكنية لا تكون إلا تخيلية.

وكان منطلق السكاكي والقزويني أساساً سار عليه البلاغيون المتأخرون في هذه المسألة^(٥).

الاستعارة الترشيفية:

الاستعارة الترشيفية أو المرشحة، أو المجاز المرشح^(٦)، هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه، أو هي أن يُراعى جانب المستعار ويوليه ما يستدعيه ويضم اليه ما يقتضيه^(٧) أو كما قال الحلبي: «أما

الاستعارة التّصريحية:

الاستعارة التّصريحية هي ما صُرّح فيها بلفظ المُشَبَّه به دون المُشَبِّه، أو هي كما قال السّكاكي: «أنّ يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المُشَبَّه به»^(٦). أو كما قال الحلبي وإن لم يُسمّها: «أنّ تعتمد نفس التشبيه، وهو أنّ يشترك شيان في وصف وأحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقيق ذلك الوصف كقولك: «رأيت أسداً» وأنت تعني رجلاً شجاعاً، و«عنت لنا ظبية» وأنت تريد امرأة»^(٧).

ومثال هذا اللون قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٨)، أي: من الضلالة الى الهدى، فقد استعيرت الظلمات للضلال لتشابههما في عدم اهتداء صاحبهما، وكذلك استعير لفظ النور للايمان لتشابههما في الهداية، والمستعار له وهما الضلال والايمان كل منهما محقق عقلاً.

ومنها قول المتنبي:

(١) نهاية الايجاز ص ٩٢، مفتاح ص ١٨٢، حسن التوسل ص ١٣١، الايضاح ص ٣٠١.

(٢) نهاية الايجاز ص ٩٢، مفتاح ص ١٧٦، ١٨٢، الايضاح ص ٣٠١، التلخيص ص ٣١٨، المصباح ص ٦٦، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٣٠، المطول ص ٣٧٨، الاطول ج ٢ ص ٤٣١، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٣٨، خزانة الأدب ص ٤٩، معترك ج ١ ص ٢٨١، الاتقان ج ٢ ص ٤٥، شرح عقود الجمان ص ٩٧، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥٤.

(٣) الطراز ج ١ ص ٢٣٧.

(٤) تحرير التحبير ص ٩٩.

(٥) خزانة الأدب ص ٤٩.

(٦) مفتاح العلوم ص ١٧٦، وينظر البرهان الكاشف ص ١١٠، التبيان ص ٤١، المصباح ص ٦٢، معترك ج ١ ص ٢٨٢، الاتقان ج ٢ ص ٤٥.

(٧) حسن التوسل ص ١٣٤.

(٨) ابراهيم ١.

اللذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر الى المستعار منه^(١).

ومعظم البلاغيين يسمون هذا اللون الاستعارة المرشحة أو الترشيحية^(٢)، غير أن العلوي يسميها «الموشحة» ولولا تفسيره للتوشيح لقيّل إن في الكلمة تغييراً^(٣). والاستعار الترشيحية هي المقدمة في هذا الباب، قال المصري: «وأجل الاستعارات الاستعارة المرشحة كقوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشْتَرَوْا الضلالة بالهدى فما رَبَحَتْ تجارتُهُمْ﴾ فان الاستعارة الأولى وهي لفظة الشراء رشحت الثانية وهي لفظتا الربح والتجارة للاستعارة^(٤). وقال الحموي: «وليس فوق رتبها في البديع رتبة»^(٥)، وذلك لاشتمال الترشيح على تحقيق المبالغة ولذلك كان مبناها على تناسي التشبيه حتى أنه يوضع الكلام في علو المنزلة وضعه في علو المكان كما قال أبو تمام:

ويضعهُ حتى يظنُّ الجهو

لُ أنَّ له حاجةً في السماء

فلولا أنَّ قَصْدَهُ أن يتناسى التشبيه ويصمم على انكاره فيجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه.

وكما قال العباس بن الاحنف:

هي الشَّمْسُ مسكنها في السّما

ءِ فَعَزَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً

فلا تستطيع اليها الصعو

دَ ولن تستطيع اليك النزولا

وقد يجتمع التجريد والترشيح كما في قول زهير:

لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقَدِّفٍ

له لَبْدٌ أظفاره لم تُقَلِّمِ

فقوله: «لدى أسد شاكي السلاح» تجريد لأنه وصف يلائم المستعار له أي الأسد الحقيقي.

المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه»^(٢).

وقال السيوطي: «هي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد»^(٣)، وإلى ذلك ذهب المدني^(٤) مثالها ما كتبه الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له: «أراك تُقدّم رجلاً وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام». شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخر أخرى.

ومن هذا اللون قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٥)، إذ المعنى أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة اخذ له منا، والجامع يده عليه.

ومنه قول الرماح بن ميادة:

ألم تك في يميني يديك جعلتني
فلا تجعلني بعدها في شمالكا
ولو أنني أذنبت ما كنت هالكاً
على خصلته من صالحات خصالكا

وقول عمير بن الايهم:

راح القطيّن من الأوطان أو بكروا
وصدّقوا من نهار الأمس ما ذكروا

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٧.

(٢) الايضاح ص ٣٠٤، التلخيص ص ٣٢٢.

(٣) معترك ج ١ ص ٢٨٣.

(٤) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥١.

(٥) الزمر ٦٧.

في الخدّ إن عزم الخليطُ رحيلاً
مطرٌ يزيدُ به الخدودَ نحولاً
قرن الدمع بالمطر ثم حذفه وأبقى المشبه به.
وقوله:

وأقبلَ يمشي في البساطِ فما درى
إلى البحرِ يسعى أم البدرِ يترقى
ربط سيف الدولة الحمداني بالبحر.

وقول ديك الجن:

لما نظرتِ اليّ عن حدّق المها
وبسّمتِ عن مُتفتّح النّوّار
وعقدتِ بين قضيبِ بانٍ أهيفِ
وكثيبِ رملٍ عُقدَةَ الزُّنّارِ
عَفَرْتُ حَدّي في الثرى لك طائعا
وعزّمتُ فيك على دخولِ النارِ

ربط بين فمها ومتفتح النوار، وبين جسمها وقضيب البان. وهذه الاستعارة من روائع الاستعارات، ولذلك قال ابن الأثير: «وهذه الأبيات لا تجد لها في الحسن شريكا، ولأن يسمي قائلها شحوروا أولى من أن يُسمي ديكا»^(١).

ومنها قوله أيضاً:

لا ومكانِ الصليبِ في النّحرِ منْد
لك، ومجرى الزُّنّارِ في الخَصْرِ
والخالِ في الخدِّ إذ أشبّهه
وزدّةِ مشكٍ على ثرى تَبْرِ
وحاجبٍ مُدخَطه قلمُ الحُسنِ
من جَبْرِ البهاءِ لا الجَبْرِ
وأقحوانٍ بفيك مُنْتَظِمِ
على شبيهٍ من رائقِ الخَمْرِ

الاستعارة التمثيلية:

سماها القزويني المجاز المركب وقال: «وأما

استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد والحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التمليح ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر والافراد بالذكر ونصب القرينة»^(٩).

وعدها القزويني من العنادية فقال: «ومنها ما استعمل في ضد معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح»^(١٠). وسار على ذلك شراح التلخيص^(١١)، والمدني الذي قال: «ومن العنادية التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل في ضد أو نقيض»^(١٢).

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(١٣) مكان السفية القوي وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١٤) مكان انذرهم؛ لأنَّ البشارة إنما تستعمل في الأمور المحمودة والمراد ههنا العذاب والويل. ومنه قوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾^(١٥).

- (١) نقد الشعر ص ١٨١.
- (٢) دلائل الاعجاز ص ٥٤.
- (٣) الايضاح ص ٣٠٧، التلخيص ص ٣٢٣، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٤٧، المطول ص ٣٨٠، الاطول ج ٢ ص ١٤٧، التبيان في البيان ص ١٩٦.
- (٤) آل عمران ١٥٣.
- (٥) آل عمران ٢١، التوبة ٣٤.
- (٦) معاني القرآن ج ١ ص ٢٣٩.
- (٧) الدخان ٤٩.
- (٨) المحتسب ج ١ ص ١٠١.
- (٩) مفتاح العلوم ص ١٧٧.
- (١٠) الايضاح ص ٢٩٠، التلخيص ص ٣٠٩.
- (١١) شروح التلخيص ج ٤ ص ٧٨، المطول ص ٣٦٥، الاطول ج ٢ ص ١٣٠.
- (١٢) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧.
- (١٣) هود ٨٧.
- (١٤) آل عمران ٢١، التوبة ٣٤، الانشقاق ٢٤.
- (١٥) الصفات ٢٣.

قالوا لنا وعرفنا بعد بينهم
قولاً فما وردوا عنه ولا صدروا
وهذه من أمثلة قدامة في فن «التمثيل»^(١).

ومن ذلك قول المتنبي:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مَرٌّ مَرِيضٍ
يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

والاستعارة في هذه الأمثلة لم تجر في لفظ مفرد من ألفاظ العبارة وإنما أجريت في التركيب كله، وهذا هو «التمثيل الذي يكون مجازاً لمجئك به على حد الاستعارة»^(٢). أو «الاستعارة التمثيلية». ومتى فشا هذا اللون في الاستعمال سمي مثلاً ولذلك لا تغير الأمثال^(٣).

الاستعارة التمليلية:

وتسمى التهكمية أيضاً، وهي استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائصها من الذم والإهانة. وقد أشار الفراء إلى مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم وقال: «وقوله: ﴿فَأْتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾^(٤)، الإثابة ههنا في معنى عقاب ولكته كما قال الشاعر:
أَخَافُ زِيَادًا أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ
أَدَاهِمَ سُودًا أَوْ مُحَدَّرَجَةً سُمْرًا

وقد يقول الرجل الذي قد اجترم اليك: «لكن أتيتني لأثيبك ثوابك» معناه لأعاقبك وربما أنكره من لا يعرف مذاهب العربية وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٥) والبشارة إنما تكون في الخير، فقد قيل ذلك في الشر»^(٦).

ونظر ابن جني الى مثل هذا الاسلوب بمثل ما نظر البلاغيون في المجاز المرسل الى اعتبار ما كان فقال تعليقا على قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٧): «انما هو في النار الدليل المهان، لكنه خوطب بما كان يخاطب به في الدنيا، وفيه مع هذا ضرب من التبكيث له والاذكار بسوء أفعاله»^(٨). وقال السكاكي في تعريف الاستعارة التمليلية: «هي

والكلام من صفة الاقمار والبدور بحال، ولكن الغرض هو ما ذكرناه من توكيد أمر المستعار له وتوضيح حاله».

الاستعارة الخاصية:

هي الاستعارة الغريبة التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة، أو هي التي لا يظهر فيها الجامع إلا بدقة، كقول طفيل الغنوي:

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ
يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ

وموضع اللطف والغرابة منه أن استعار الاقتيات لذهاب الرحل شحم السنام مما يُقتات.

وقول ابن المعتز:

يَنَاجِيَنِي الْإِخْلَافُ مِنْ تَحْتِ مَطْلِهِ
فَتَخْتَصِمُ الْأَمَالَ وَالْيَأْسُ فِي صَدْرِي

وقد تكون الغرابة في نفس الشبه كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركة المحتبي في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسًا له بأنه مُؤَدَّب:

عَوَّدْتُهُ فِيمَا أَزُورُ حَبَائِبِي
إِهْمَالَهُ وَكَذَلِكَ كُلِّ مُخَاطِرِ

وإذا احتبى قَرُبُوسَهُ بَعْنَانِهِ

عَلَّكَ الشُّكِيمَ إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ^(٥)

وقد تحصل بتصريف في العامية كما في قول الآخر:

(١) الزخرف ٥٥.

(٢) الطراز ج ١ ص ٢٤٧.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٧٧؛ الايضاح ص ٢٩٠، التلخيص ص ٣٠٩، شروح التلخيص ج ٤ ص ٧٨، المطول ص ٣٦٥، الاطول ج ٢ ص ١٣٠، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧.

(٤) الطراز ج ١ ص ٢٣٠.

(٥) القربوس؛ حنو السرج. العنان؛ سير اللجام. الشكيم؛ حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.

قال العلوي: «والتهكم في اللغة عبارة عن شدة الغضب على المتهم به لما فيه من إسقاط أمره وخط منزلته وحاله. وهو كثير التداور في كتاب الله - تعالى - خاصة عند عروض ذكر الكفار وأهل الشرك والنفاق كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم﴾^(١) وغير ذلك من الآيات الوعيدية والخطابات الزجرية الدالة على مزيد الغضب وبالغ الانتقام»^(٢).

الاستعارة التهكمية:

هي الاستعارة التمليلية وقد تقدمت. وقد جمعها بمصطلح واحد معظم البلاغيين كالسكاكي والقزويني وشرح تلخيصه والمدني وغيرهم^(٣).

الاستعارة الحقيقية:

هي الاستعارة التحقيقية وقد تقدمت. وقد سماها كذلك العلوي الذي قال عن تقسيم الاستعارة: «التقسيم الاول باعتبار ذاتها الى حقيقية وخيالية، فأما الحقيقية فهي أن تذكر اللفظ المستعار مطلقاً»^(٤). ومثل لها بقوله: «وهذا مثاله قولك: «رأيت أسداً على سرير ملكه» و«بدرًا على فرس أبلق» و«بحرًا على بابه الوفاد» و«بحر علم لا يحيف في قضائه وحكمه» و«بدر تم يتكلم بجميع الحقائق» فيأتي بهذه الامور عقيب ذكر الاستعارة من أجل تأكيد أمرها وايضاح حالها لأنك اذا قلت: «رأيت أسداً» فقد حصل مطلق الاستعارة وهو اختصاصه بالشجاعة التي هي خاصة الأسد، فهذه استعارة مطلقة. ثم لما قلت «على سرير ملكه» فصلته عن حكم الآساد، إذ ليس الجلوس على السرر من شأنها، وإنما جيء بذلك من أجل تأكيد المستعار له. وهذه تسمى استعارة مجردة، وهكذا اذا قلت: «رأيت قمرًا على فرس» و«بدرتم يتكلم» فقد أثبت له ضوء الأقمار وتمام البدور، ثم فصلته عمًا لا يليق بالاقمار والبدور بقولك: «على فرس» وبقولك: «يتكلم» لأنه ليس الكون على الخيل

الدمنهوري حينما قال: «فمراده بالعقلية التخيلية بدليل المقابلة»^(٥). ثم قال إن الاستعارة تتحقق حسًا وعقلًا، فان لم تتحقق كذلك وكان الأمر متوهما فالاستعارة تخيلية. وهذا ما ذهب اليه السكاكي بقوله: «والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك شيئًا متحققًا إما حسيًا واما عقليًا، والمراد بالتخيلية أن يكون المشبه المتروك شيئًا وهميًا محضًا لا تحقق له إلا في مجرد الوهم»^(٦).

الاستعارة العنادية:

هي ما لا يمكن اجتماع الطرفين في شيء كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه واجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع^(٧) ومن العنادية الاستعارة التمليلية أو التهكمية وقد مرّت. ومن أمثلة العنادية استعارة اسم الميت للحي الجاهل فإن الموت والحياة ممتنع اجتماعهما.

الاستعارة غير المفيدة:

قسّم عبدالقاهر الاستعارة الى مفيدة وغير مفيدة، ويريد بغير المفيدة ما لا يكون لها فائدة في النقل،

(١) الايضاح ص ٢٩٢، التلخيص ص ٣١١، شروح التلخيص ج ٤ ص ٨٦، المطول ص ٣٦٧
الاطول ج ٢ ص ١٣١، شرح عقود الجمان ص ٩٤، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧.

(٢) الطراز ج ١ ص ٢٣٢.

(٣) أسرار البلاغة ص ٤٢.

(٤) الايضاح ص ٢٩٢، التلخيص ص ٣١٠، شروح التلخيص ج ٤ ص ٨٥، المطول ص ٣٦٧، الأطول ج ٢ ص ١٣١، شرح عقود الجمان ص ٩٤، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧.

(٥) حلية اللب ص ١٢٥.

(٦) مفتاح العلوم ص ١٧٦.

(٧) الايضاح ص ٢٨٩، التلخيص ص ٣٠٨، شروح التلخيص ج ٤ ص ٧٧، المطول ص ٣٦٥، الأطول ج ٢ ص ١٣٠، معترك ج ١ ص ٢٨٣، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧.

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الأباطح

أراد أنها سارت سيرًا حثيثًا في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلامة حتى كأنها كانت سيولاً وقعت في تلك الأباطح فجرت بها.

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات للاحاق الشكل بالشكل كقول امرئ القيس:

فقلت له لِمَا تَمَطَّى بَصْلِبِهِ
وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وِنَاءً بَكَلْكَلِ

أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صُلْبًا يتمطى به إذ كان كل ذي صُلْبٍ يَزِيدُ في طوله عند تمطيه شيء، وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازًا يَزْدُفُ بعضها بعضًا ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلاً ينوء به^(١).

الاستعارة الخيالية:

هي الاستعارة التخيلية وقد تقدمت. وهذه تسمية العلوي الذي قال: «وأما الاستعارة الخيالية والوهمية فهي أن تستعير لفظًا دالًا على حقيقة خيالية تقدرها في الوهم ثم تَزْدُفُها بذكر المستعار له ايضاحًا لها وتعريفًا لحالها»^(٢).

الاستعارة العامية:

هي أن ينقل الاسم عن مسماه الأصلي الى شيء آخر ثابت معلوم ويجري عليه ويجعل متناولًا له تناول الصفة للموصوف، وذلك مثل: «رأيت أسدًا» أي: رجلًا شجاعًا، و«عنت لنا ظبية» أي: امرأة^(٣).

وقال القزويني: إن العامية المبتذلة هي التي يظهر الجامع فيها كالمثالين السابقين، وتبعه في ذلك شراح تلخيصه وغيرهم^(٤).

الاستعارة العقلية:

هي الاستعارة التخيلية وقد تقدمت. وهذه تسمية

البيت السابق فإن الشاعر لم يستطع أن يأتي بلفظة «الجحفة» لأن الوزن يختل، وقد يكون أراد رَسَم صورة جميلة لمهره فشبهه بالطفل وسَمَّى جحفته شفة. وكثيراً ما نجد مثل ذلك في كلام الناس، ولم يَحْفَ ذلك على عبدالقاهر، فقد أشار الى أن ضرورة الشعر قد تضطر الشاعر الى أن يذكر كلمة أخرى غير الموضوعية في الأصل كما في قول المُرزَد:

فما رَقَدَ الْوَلِدَانُ حَتَّى رَأَيْتَهُ
عَلَى الْبِكْرِ يَمْثِرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٍ^(٣)

وأراد أن يقول: «بساق وقدم» ولكن لم تطاوعه القافية. وقد يجيء للذم كما يقال: «إنه لغلِيظ الجحافل وغلِيظ المشافر» كما قال الفرزدق:

فَلَوْ كُنْتُ ضَبِيًّا عَرَفْتُ قَرَابَتِي
وَلَكِنْ زَنْجِيًّا غَلِيظَ الْمَشَافِرِ

الاستعارة في الأسماء:

تم أقسام الاستعارة المختلفة بطريق الاسم أو الفعل، وكان عبد القاهر قد تحدث عن هذين القسمين، وقرر أن اللفظة إذا دخلتها الاستعارة فإنها لا تخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً، وإذا كانت اسماً فإنه يقع مستعاراً على قسمين:

أحدهما: أن ينقل عن مسماه الأصلي الى شيء آخر ثابت معلوم ويُجرى عليه، ويجعل متناولاً تناول الصفة للموصوف. ومثل ذلك: «رأيت أسداً» أي: رجلاً شجاعاً، و«عنت لنا ظبية» أي: امرأة.

وثانيهما: أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار اليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه ومثاله قول لبيد:

(١) الصفار؛ ما بقي في أسنان الدابة من التبن وغيره.

(٢) أسرار البلاغة ص ٣٠.

(٣) البكر؛ الفتى من الأبل. يمرى؛ يحفزه ليسرع.

وموضعها حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة والتنوُّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان نحو وضع الشفة للانسان والمشفر للبعير والجحفة للفرس وما شاكل ذلك من فروق. فاذا استعمل الشاعر منها في غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله وجاز به موضعه كقول الشاعر:

فبتنا جُلوسًا لَدَى مَهْرِنَا

نُنزِعُ مِنْ شَفْتِيهِ الصِّفَارِ^(١)

فاستعمل الشفة في الفرس وهي موضوعة للانسان. وقد عَلَّقَ عبدالقاهر على ذلك بقوله: «فهذا ونحوه لا يفيدك شيئاً لو لزمتم الأصلي لم يحصل لك، فلا فرق من جهة المعنى بين قوله: «من شفتيه» وقوله: «من جحفته» لو قاله، إنما يعطيك كلا الاسمين العضو المعلوم فحسب بل الاستعارة ههنا بأن تنقصك جزءاً من الفائدة أشبه وذلك أن الاسم في هذا النحو إذا نفيت عن نفسك دخول الاشتراك عليه بالاستعارة دَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى الْعَضْوِ وَمَا هُوَ مِنْهُ. فاذا قلت: «الشفة» دَلَّ عَلَى الْإِنْسَانِ، أعني يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ قَصَدْتَ هَذَا الْعَضْوَ مِنَ الْإِنْسَانِ دُونَ غَيْرِهِ. فاذا توهمت جزئي الاستعارة في الاسم زالت عنها هذه الدلالة بانقلاب اختصاصها الى الاشتراك. فاذا قلت: «الشفة» في موضع قد جرى فيه ذِكْرُ الْإِنْسَانِ وَالْفَرَسِ دَخَلَ عَلَى السَّمْعِ بَعْضُ الشَّبْهِ لِتَجْوِيزِهِ أَنْ تَكُونَ اسْتَعْرَتَ الْإِسْمِ لِلْفَرَسِ. ولو فرضنا أن تعدم هذه الاستعارة من أصلها وتحظر لما كان لهذه الشبهة طريق الى المخاطب فاعرفه»^(٢).

وليس الأمر كذلك بل قد يكون هذا النوع من الاستعارة مفيداً - يحقق غرضاً من الأغراض التي يسعى اليها الشاعر أو الكاتب كالتحقير والتحبیب والتزيين، أو تقتضي ضرورة الشعر ذلك، كما في

وَعَدَاةٌ رِيحٌ قَدْ كَشَفَتْ وَقَرَةً

إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زَمَامُهَا^(١)

وذلك أنه جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تُجري اليد عليه كاجراء الأسد والسيف على الرجل في مثل: «انبرى لي أسد يزار» و«سللت سيفاً على العدو لا يُفَلُّ»: والظباء على النساء في «من الظباء الغيد» والنور على الهدى والبيان في «أبديت نوراً ساطعاً».

والفرق بين القسمين أن التشبيه في الأول يأتي عفواً، ولا يأتي في الثاني إلا بعد التأمل والتفكير^(٢).

وقد أوضح المتأخرون ما يجري من الاستعارة في الاسم فقالوا إنَّ الأسماء ثلاثة: الأول: الاسم العلم ولا مدخل للمجاز فيه؛ لأنه في جميع مواقعه أصل، ومن حق المجاز أن يكون مسبقاً بوضع أصلي ثم ينقل عنه، ومن حق المجاز أن يكون بينه وبين ما نقل عنه علاقة يحسن لأجلها التجوز والنقل. وهذا غير موجود في الأعلام، ولكنهم جوزوا ذلك في الأعلام التي اشتهرت بنوع من الوصف مثل حاتم في «رأينا اليوم حاتمًا» أي: رجلاً كاملاً الجود.

الثاني: الاسم المصدر وهو المشتق منه، وقد يدخله المجاز إذا وقع في غير موضعه مثل: «رجل عدل» وغير ذلك من المشتقات والصفات.

الثالث: اسم الجنس، وأكثر ما يرد المجاز في المفرد منه مثل «أسد» و«بحر» و«ليث» وغير ذلك من الأسماء المفردة.

وقد تدخل الاستعارة في أسماء الإشارة كقوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾^(٣)، فقوله: ﴿هَذَا﴾ استعارة لأنه إنما يستعمل حقيقة فيما كان قريباً مشاراً إليه، فالمجاز في الإشارة داخل هنا فيما يعرض من أحواله في القرب والبعد^(٤).

الاستعارة في الأفعال:

تحدث عبد القاهر عنها وقال إنَّ الفعل إذا استعير

لما ليس له في الاصل فإنه يثبت باستعارته له وصفاً هو شبيه بالمعنى الذي اشتق الفعل منه. ففي «نطقت الحال بكذا» و«أخبرتني أساريرو وجهه بما في ضميره» و«كلمتني عيناه بما يحوي قلبه» نجد في الحال وصفاً هو شبيه بالنطق من الانسان وذلك أن الحال تدل على الأمر ويكون فيها أمارات يعرف بها الشيء كما أن النطق كذلك، وكذلك العين فيها وصف شبيه بالكلام وهو دلالتها بالعلامات التي تظهر فيها وفي نظرها وخواص أوصاف يحدس بها على ما في القلوب من الانكار والقبول.

قال عبد القاهر موضعاً ذلك: «وإذا كان أمر الفعل في الاستعارة على هذه الجملة رجع بنا التحقيق الى أن وصف الفعل بأنه مستعار حكم يرجع الى مصدره الذي اشتق منه. فإذا قلنا في قولهم: «نطقت الحال» إنَّ «نطق» مستعار فالحكم بمعنى أن النطق مستعار، وإذا كانت الاستعارة تنصرف الى المصدر كان الكلام فيه على ما مضى»^(٥).

والفعل يكون استعارة مرة من جهة فاعله الذي رفع به نحو «نطقت الحال بكذا» و«أخبرتني أساريرو وجهه بما في ضميره» و«كلمتني عيناه بما يحوي قلبه». ويكون أخرى استعارة من جهة مفعوله كقول ابن المعتز:

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ
قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

ف«قتل» و«أحيا» إنما صارا مستعارين بأنَّ عُذْيَا الى البخل والسَّمَاخَا، ولو قال: «قتل الأعداء وأحيا» لم يكن «قتل» استعارة بوجه ولم يكن «أحيا» استعارة

(١) القر؛ البرد، قره؛ باردة.

(٢) أسرار البلاغة ص ٤٢، ٢٢٢.

(٣) ص ٥٥.

(٤) نهاية الايجاز ص ٨٧، البرهان الكاشف

ص ١١٢، الطراز ج ١ ص ٨٨.

(٥) أسرار البلاغة ص ٥٠.

على هذا الوجه. ومثله قوله الآخر:

وأقري الهموم الطارقات حزاماً

إذا كثرت للطارقين الوسوس^(١)

وهو استعارة من جهة المفعولين فأما من جهة الفاعل فهو محتمل للحقيقة وذلك أن يقول: «أقري الأضياف النازلين اللحم العبيط». وقد يكون الذي يعطيه الاستعارة أحد المفعولين دون الآخر كقول القطامي:

نقربهم لهذميّات نقذ بها

ما كان خاطاً عليهم كل زراد^(٢)

وقد أوضح المتأخرون ذلك وقالوا إن الأفعال دالة على حصول أحداث في أزمنة معينة، فالفعل الصناعي دال على المصدر وعبارة عنه، فالمصدر إن وقع فيه مجاز فالفعل تابع وإن تعذر وقوع المجاز في المصدر فالفعل أحق بالتعذر^(٣).

الاستعارة في الحروف:

لا مدخل للمجاز في الحروف؛ لأن وضعها على أنها تدل على معانٍ في غيرها فلا بد من اعتبار الغير في دلالتها. ثم ذلك الغير إن كانت صالحة للدخول عليه مثل «زيد في الدار» و«عمرو من الكرام» فهي حقيقة في استعمالها وإن كانت غير صالحة لما دخلت عليه مثل: «من حرف جر» و«لم حرف نفي» صارت مجازاً، لكنّ التجوز إنما كان من جهة تركيبها لا من جهة الافراد والمنع إنما كان في حالة الافراد لا في التركيب^(٤).

ويمكن أن تدخل الاستعارة في الحرف إذا كان مضمناً، لأنه في هذه الحالة يخرج عن معناه الاصلي الذي وضع له. وقد تحدث النحاة عن ذلك في باب التضمين على سبيل التوسع والتجوز، وتكلم عليه البلاغيون في الاستعارة التبعية وقالوا في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾^(٥). إنه استعير في المشبه اللام الموضوع للمشبه به^(٦).

الاستعارة القطعية:

وهي أن يكون المشبه المتروك مُتَعَيَّن الحمل على ماله تحقق حسي أو عقلي أو على ما لا تحقق له البتة إلا في الوهم وهي الاحتمالية التي «يكون المشبه المتروك صالح الحمل على ما لا تحقق له»^(٧).

وقد تحدث السكاكي عن لونين من هذه الاستعارة:

الأول: الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع، قال: «هي اذا وجدت وصفا مشتركا بين ملزومين مختلفين في الحقيقة هو في أحدهما أقوى منه في الآخر وأنت تريد إلحاق الأضعف بالأقوى على وجه التسوية بينهما أن تدعي ملزوم الأضعف من جنس ملزوم الأقوى باطلاق اسمه عليه وسدّ طريق التشبيه بافراده في الذكر توصلًا بذلك الى المطلوب لوجوب تساوي اللوازم عند تساوي ملزوماتها فاعلا ذلك في ضمن قرينة مانعة عن حمل المفرد بالذكر على ما يسبق منه الى الفهم كيلا يحمل عليه فيبطل الغرض التشبيهي بانثاء دعواك على التأويل المذكور ليتمكن التوفيق بين دلالة الافراد بالذكر وبين دلالة القرينة المتمانعتين ولتمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة. مثال ذلك أن يكون عندك شجاع وأنت تريد أن تلحق جراته وقوته بجراءة الأسد وقوته فتدعي الأسدية له

(١) قرى الضيف؛ أضافه، والقرى ما يقدم للضيف. الحزامة؛ ضبط الأمر وأحكامه.

(٢) اللهذميّات؛ السيوف القواطع. نقد؛ نقطع. الزراد؛ صانع الزرد وهي الدروع.

(٣) الطراز ج ١ ص ٨٨، وينظر نهاية الأيجاز ص ٨٨.

(٤) الطراز ج ١ ص ٨٨.

(٥) القصص ٨.

(٦) الايضاح ص ٢٩٩، التلخيص ص ٣١٥، شروح

التلخيص ج ٤ ص ١٢٠، المطول ص ٣٧٥،

الاطول ج ٢ ص ١٤٠، معترك ج ١ ص ٢٨٠،

الاتقان ج ٢ ص ٤٥.

(٧) مفتاح العلوم ص ١٧٦.

الظلمة، فإنّ الظلمة تدرك بحاسة البصر فقط والفحمة تدرك بحاستي البصر واللمس لأنها جسم والظلمة عرض، فكان ذكر الفحمة أحسن بيانا من ذكر الظلمة.

وقال المصري أيضًا: «استعارة المحسوس للمحسوس بسبب المشاركة في وصف محسوس وهي الاستعارة الكثيفة»^(٤).

الاستعارة اللطيفة:

قال المصري: «واللطيف وهو استعارة الأفعال للأسماء»^(٥) كقوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٦)، وكقول أبي تمام:

من كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النِّعِيمُ لَهَا
ذَوَّبَ الغَمَامِ فَمُنْهَلٌّ وَمُنْسَكِبٌ^(٧)

الاستعارة المُجَرَّدَة:

هي الاستعارة التجريدية وقد تقدمت.

استعارة المَحْسُوسِ لِلْمَحْسُوسِ بِوَجْهِ حِسِّي:

سمّاها المصري «الاستعارة الكثيفة»^(٨)، وذلك بأنّ يشترك المحسوسان في الذات ويختلفا في الصفات كاستعارة الطيران لغير ذي جناح في السرعة فان الطيران والعدو يشتركان في الحقيقة وهي الحركة الكائنة إلا أنّ الطيران أسرع.

أو بأنّ يختلفا في الذات ويشتركا في صفة

(١) مفتاح ص ١٧٧.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٨.

(٣) تحرير التحبير ص ١٠١.

(٤) بديع القرآن ص ٢١.

(٥) تحرير ص ١٠١.

(٦) الدخان ٢٩.

(٧) الممكورة؛ المدمجة الخلق.

(٨) بديع القرآن ص ٢١.

باطلاق اسمه عليه مفردًا له في الذكر فتقول: «رأيت أسدًا» كيلا يعدّ جراته وقوته دون جراءة الأسد وقوته مع نصب قرينة مانعة عن إرادة الهيكل المخصوص به كـ«يرمي» أو «يتكلم» أو «في الحمام» أو أنّ يكون عندك وجه جميل وأنت تريد أن تلحق وضوحه واشراقه وملاحة استدارته بما للبدن فتدعيه بدرًا باطلاق اسمه عليه مع إفراده في الذكر قائلًا: «نظرت الى بدر بيتسم»^(١).

الثاني: الاستعارة المصرح بها التخيلية مع القطع، قال السكاكي: «هي أنّ تسمي باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية محضة تقدرها مشابهة لها مفردًا في الذكر ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه الى الفهم من كون مسماه شيئًا متحققًا، وذلك مثل أن تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقوم ومرحوم ومساس بقيا على ذي فضيلة تشبيهاً بليغاً حتى كأنها سبّع من السباع فيأخذ الوهم في تصويرها في صورة السبّع واختراع ما يلازم صورته ويتمّ بها شكله من ضروب هيئات وفنون وجوارح وأعضاء، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها وتماثل افتراسه للفرائس بها من الأنياب والمخالب، ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسامي المتحققة على سبيل الافراد بالذكر وأن تضيفها الى المنية قائلًا: «مخالب المنية» أو «أنياب المنية» الشبيهة بالسبع لتكون اضافتها اليها قرينة مانعة من إجرائها على ما يسبق الى الفهم منها من تحقق مسمياتها»^(٢).

الاستعارة الكثيفة:

قال المصري: «والاستعارة منها كثيف وهو استعارة الاسماء للاسماء»^(٣) كقوله عليه الصلاة والسلام - : «ضَمُّوا مَوَاشِيَكُمْ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ» فاستعار - ﷺ - للعشاء الفحمة لقصد حسن البيان؛ لأنّ الفحمة ههنا أظهر للحسن من

إِسْتِعَارَةُ الْمَحْسُوسِ لِلْمَعْقُولِ:

قال المصري: «وهي أطف من المركبة»^(١٠)، وذلك كاستعارة النور الذي هو محسوس للحجة، وكقوله تعالى: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(١١) فان المستعار منه صدع الزجاجه وهو حسي، والمستعار له تبليغ الرسالة، والجامع لهما التأثير وهما عقليان.

ومنها قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(١٢) فالقذف والدمغ مستعاران وهما محسوسان، والحق والباطل مستعاران لهما وهما معقولان^(١٣).

الاستعارة المرشحة:

هي الاستعارة الترشيحية وقد تقدمت.

- (١) مريم ٤.
- (٢) الكهف ٩٩.
- (٣) نهاية الايجاز ص ٩٦، الايضاح ص ٢٩٥، حسن التوسل ص ١٣٦، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٨، الطراز ج ١ ص ٢٤٣، معترك الأقران ج ١ ص ٢٧٧، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٥.
- (٤) بديع القرآن ص ٢١.
- (٥) يس ٣٧.
- (٦) يونس ٢٤.
- (٧) الذاريات ٤١.
- (٨) الايضاح ص ٢٩٦، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٨، معترك ج ١ ص ٢٧٨، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٥.
- (٩) الايضاح ص ٢٩٧.
- (١٠) بديع القرآن ص ٢١.
- (١١) الحجر ٩٤.
- (١٢) الأنبياء ١٨.
- (١٣) نهاية الايجاز ص ٩٨، الايضاح ص ٢٩٧، حسن التوسل ص ١٣٧، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٩، جوهر الكنز ص ٥٨، الطراز ج ١ ص ٢٤٥، معترك ج ١ ص ٢٧٩، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٦.

محسوسة كقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(١) فالمستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع الانبساط، ولكنه في النار أقوى. ومنها قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾^(٢) فان أصل الموج تحريك المياه فاستعير لحركة أجوج ومأجوج لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة^(٣).

إِسْتِعَارَةُ الْمَحْسُوسِ لِلْمَحْسُوسِ بِوَجْهِ عَقْلِي:

وهذه أطف من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه حسي وسماها المصري «الاستعارة المركبة من الكثيف واللطيف»^(٤). ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهْمِ اللَّيْلِ نَسَلُخُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾^(٥)، فالمستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل، والترتب أمر عقلي.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأُمْسِ﴾^(٦)، أصل الحصيد النبات، والجامع الهلاك، وهو أمر عقلي.

وقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٧) فان المستعار له الريح والمستعار منه ذات النتاج، والمستعار العقم وهو عدم النتاج والمشاركة بين المستعار له والمستعار منه في عدم النتاج وهو شيء معقول^(٨).

إِسْتِعَارَةُ الْمَحْسُوسِ لِلْمَحْسُوسِ بِمَا بَعْضُهُ حِسِّي وَبَعْضُهُ عَقْلِي:

وذلك مثل «رأيت شمسًا» وأنت تريد انسانًا شبيهاً بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن. وقد أهمل السكاكي هذا القسم في «مفتاح العلوم»^(٩).

الاستعارة المطلقة:

وهي التي لم تقترن بما يلائم المستعار أو المستعار منه، قال القزويني: «هي التي لم تقترن بصفة ولا تفرع كلام، والمراد المعنوية لا النعت»^(١) ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^(٢). وتبعه في ذلك البلاغيون ولا سيما شراح التلخيص^(٣).

استعارة المعقول للمعسوس:

وذلك كقوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ. تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(٤) فالشهيق والغيط مستعاران. وقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^(٥). وهذه من الاستعارة المطلقة أيضًا، والمستعار منه التكبر وهو عقلي والمستعار له كثرة الماء وهو حسني، والجامع الاستعلاء وهو عقلي^(٦).

استعارة المعقول للمعقول:

قال المصري: «وهي أطف الاستعارات»^(٧)، وذلك أن يستعار شيء معقول لشيء معقول لاشتراكهما في وصف عديمي أو ثبوتي، وأحدهما أكمل في الوصف فيتناول الناقص منزلة الكامل كاستعارة العدم للوجود إذا اشتركا في عدم الفائدة، أو استعارة اسم الوجود للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما في عدم الإدراك والعقل.

ومنها قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٨)، فإن المستعار منه الرقاد، والمستعار له الموت، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال، والجميع عقلي وقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ﴾^(٩)، المستعار السكوت، والمستعار منه الساكت، والمستعار له الغضب^(١٠).

الاستعارة المفيدة:

قسّم عبد القاهر الاستعارة الى مفيدة وغير مفيدة، ويريد بالمفيدة ما كان لنقلها فائدة وهي عمدة هذا الفن ومداره؛ لأنها الاستعارة الحقيقية وهي واسعة لا تُحدّ فنونها ولا تُحصّر وهي «أمدٌ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثرُ جريانا، وأعجبُ حُسنًا وإحساناً، وأوسعُ سعةً، وأبعدُ غورًا، وأذهبُ نجدًا في الصناعة وغورًا من أن تُجمّع شعبها وتُحصّر فنونها وضروبها»^(١١). ثم قسمها الى استعارة في الاسم وفي الفعل وأوضح ما سُمّي بعد ذلك الاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية أو المكنى عنها.

الاستعارة المكنية:

هي الاستعارة بالكناية وقد تقدمت.

(١) الايضاح ص ٣٠٠، التلخيص ص ٣١٧.

(٢) الحاقه ١١.

(٣) شروح التلخيص ج ٤ ص ١٢٨، المطول

ص ٣٧٧، الأطول ج ٢ ص ١٤٢، معترك ج ١

ص ٢٨١، الاتقان ج ٢ ص ٤٥، شرح عقود

الجمان ص ٩٦، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥٣.

(٤) الملك ٧ - ٨.

(٥) الحاقه ١١.

(٦) نهاية الايجاز ص ٩٨، الايضاح ص ٢٩٨، حسن

التوسل ص ١٣٧، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٩،

جواهر الكنز ص ٥٨، الطراز ج ١ ص ٢٤٦،

معترك الأقران ج ١ ص ٢٠٨، أنوار الربيع ج ١

ص ٢٤٦.

(٧) بديع القرآن ص ٢١.

(٨) يس ٥٢.

(٩) الاعراف ١٥٤.

(١٠) نهاية الايجاز ص ٩٧، الايضاح ص ٢٩٧،

حسن التوسل ص ١٣٦، نهاية الارب ج ٧

ص ٥٨، جواهر الكنز ص ٥٨، الطراز ج ١

ص ٢٤٤، معترك ١ ص ٢٧٨، أنوار الربيع ج ١

ص ٢٤٦.

(١١) أسرار البلاغة ص ٤٠.

الاستعارة الموشحة:

هي الاستعارة الترشيفية والاستعارة المرشحة، وهذه تسمية العلوي ولولا أنه شرح المصطلح لقليل إن في العبارة خطأ. فقد قسم الاستعارة الى مجردة وموشحة وقال: «إذا استعير لفظ لمعنى آخر فليس يخلو الحال إما أن يُذكر معه لازم المستعار له أو يُذكر لازم المستعار نفسه. فإن كان الأوّل فهو التجريد وإن كان الثاني فهو التوشيح»^(١). ثم قال: «فأما الاستعارة الموشحة فإنما سُمّيت بهذا الاسم لأنك إذا قلت: «رأيت أسدًا وافر الأظفار مُنكر الزئير دامي الأنياب» فقد ذكرت لازم اللفظ المستعار وذكرت خصائصه فوشّحت هذه الاستعارة وزيّنتها بما ذكرته من لوازمها وأحكامها الخاصّة، أخذًا لها من التوشيح وهو ترصيع الجلد بالجواهر والآلي تحمله المرأة من عاتقها الى كشحها وهذا هو الوشاح واشتقاق التوشيح للاستعارة منه. ومثالها قوله تعالى: ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾^(٢) ثم قال على أثره: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ فلما استعار لفظ الشراء عَقَبَهُ بِذِكْرِ لَازِمِهِ وَحُكْمِهِ وَهُوَ الرِّبْحُ تَوْشِيحًا لِلْإِسْتِعَارَةِ وَلَوْ قَالَ فَهَلَكُوا أَوْ عَمُوا وَصَمُّوا عَوَضَ قَوْلِهِ: ﴿فَمَا رَبِحَتْ﴾ لَكَانَ تَجْرِيدًا وَلَمْ يَكُنْ تَوْشِيحًا، وَلَوْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَسَاهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ لَكَانَ تَوْشِيحًا، أَوْ قَالَ: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ طَعْمَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ لَكَانَ تَوْشِيحًا أَيْضًا. وَمِنَ التَّوْشِيحِ قَوْلُ كُنُيْرٍ عَزَّةَ:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الْكُخْلُ لَمْ يَضُرْ

ظواهر جلدي وهو في القلب جارح

ومنه قوله:

تَقْرِي الرِّيَاحُ رِيَاضَ الْحَزَنِ مُزْهِرَةً

إذا سرى النوم في الأجفان أيقاظا

فذكر السهم مع الريش والرياض مع الأزهار يكون توشيحًا^(٣).

الاستعارة الوفاقية:

الاستعارة الوفاقية هي أن يكون اجتماع الطرفين في شيء ممكنًا لما بينهما من الاتفاق، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٤)، أي: ضالًا فهديناه، استعير الأحياء من جعل الشيء حيًا للهداية التي هي الدلالة على ما يوصل الى المطلوب والأحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء^(٥).

الاستعانة:

قال الجاحظ: «حدثني صديق لي قال: قلت للعتابي: ما البلاغة؟ قال كُله من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو يلبغ. فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فاظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صرة الحق. قال: فقلت: له: قد عرفت الاعادة والحبسة فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه ياهناه، ويا هذا وياهي، واسمع مني، واستمع اليّ، وافهم عني، أو لست تفهم؟ أو لست تعقل؟ فهذا كله وما أشبهه عي وفساد»^(٦).

والاستعانة هنا بمعناها اللغوي أي ما يستعين به المتحدث أو الخطيب حينما يتوقف وهي أقرب الى الجملة الاعتراضية أو علامة التنبيه. وقد عرّفها المبرد بقوله: «أن يدخل في الكلام ما لا حاجة اليه ليصحح به

(١) الطراز ج ١ ص ٢٣٦.

(٢) البقرة ١٦.

(٣) الطراز ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٤) الانعام ١٢٢.

(٥) الايضاح ص ٢٨٩، التلخيص ص ٣٠٨، شروح التلخيص ج ٤ ص ٧٧، المطول ص ٣٦٤، الاطول ج ٢ ص ١٢٩، معترك ج ١ ص ٢٨٢، شرح عقود الجمان ص ٩٤، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧.

(٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٣، وينظر زهر الآداب ج ١ ص ١١٥.

ويكون من المحاسن ومن العيوب، والايدياع والاستعانة وإن وقعا معاً في النظم والنثر فلا يكونان إلا بالنظم دون النثر»^(٤). وَفَرَّقَ بين الاستعانة والمواربة فقال وهو يتحدث عما يقع من تصحيف أو تحريف في الكلام المتقدم ليدخل في معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة: «والفرقُ بين هذا القسم من الاستعانة وبين المواربة أنَّ المواربة تكون في كلام المتكلم نفسه والاستعانة لا تكون إلا بكلام غيره»^(٥).

وقال السيوطي: «وتضمن البيت كاملاً يسمى استعانة لأنه استعان بشعر غيره»^(٦).

إِسْتِعْمَالُ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ:

العام لفظ وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور مستغرق جميع ما يصلح له، والخاص هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد^(٧).

وقال ابن الاثير الحلبي: «فالعام في اصطلاح الاصوليين هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد. والفرق بين العام والمطلق هو اللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي هي على الاصطلاح المتقدم. وقد يطلق في اصطلاح آخر على المعنى الكلي الذي تندرج تحته المقيدات، فعلى هذا من وجد الخاص أي المقيد وجد العام أي

(١) الكامل ج ١ ص ٣٠.

(٢) تحرير التحبير ص ٣٨٣. وينظر معاهد التنصيص ج ٤ ص ١٥٥.

(٣) المحاجر؛ العيون. الموحشات؛ المقفرات. الدوائر؛ البوالي. صروف الليالي؛ أحداثها. الجد؛ الحظ، العائر؛ المهلك. المستعان بهما هما الثالث والخامس.

(٤) تحرير التحبير ص ١٤٢.

(٥) تحرير ص ٣٨٥.

(٦) شرح عقود الجمان ص ١٧٠، شرح الكافية ص ٢٧١.

(٧) التعريفات ص ٨٥، ١٢٦.

نظماً أو وزنًا إن كان في شعر أو ليتذكر ما بعده إن كان في كلام منشور كنعو ما تسمعه في كثير من كلام العامة مثل قولهم: ألسنت تسمع؟ أفهمت؟ أين أنت؟ وما أشبه هذا. وربما تشاغل العبي بفثل اصبعه ومسّ لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تَنَحَّجَّ^(١). وهذا قريب مما ذكره العتّابي ونقله الجاحظ غير أنّ فيه زيادة وهي الحشو المتصل بوزن الشعر، ومعنى ذلك أنّ الاستعانة تدلُّ على الحشو أيضاً. ولكن البلاغيين نقلوا هذا المصطلح الى معنى آخر فقال المصري: «الاستعانة أن يستعين الشاعر ببيت لغيره في شعره بعد أن يوطيء له توطئة لائقة به هنا بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته وخصوصاً أبيات التوطئة له. وقد شرط بعض النقاد التنبيه عليه إن لم يكن البيت مشهوراً، وبعضهم لم يشترط ذلك، وهو الصحيح فإن أكثر ما رأينا ذلك في أشعار الناس غير منبّه عليه. وأما الناثر فإن أتى في أثناء نثره ببيت لنفسه سمي ذلك تشهيراً وإن كان البيت لغيره سمي استعانة»^(٢).

ومثال ذلك في الشعر قول الحارثي:

وقائلةٍ والدَّمْعُ سَكَبٌ مبادِرُ

وقد شَرِقَتْ بالماء منها المحاجرُ

وقد أبصرتُ حَمَانٍ من بَعْدِ أنسها

بنا وهي مِنّا مُوحشاتٌ دوائرُ

كأن لم يكنُ بين الحَجونِ الى الصِّفا

أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامِرُ

فقلْتُ له والقلبُ مِنِّي كأنما

يقلُّهُ بَيْنَ الجوانِحِ طائرُ

بلى نحنُ كُنّا أهلها فأبادها

صُروفُ الليالي والجُدودُ العوائرُ^(٣)

فان الشاعر استعان ببيتي حرفة بنت تُبَع.

وهذا قريب من التضمن غير أنّ المصري فَرَّقَ بينهما فقال: «والفرقُ بين التضمن والايدياع والاستعانة والعنوان أنّ التضمن يقع في النظم والنثر

المطلق لأنه جزؤه»^(١).

خَلَّفْتُ وَفَرِي وَانْحَرْفْتُ عَنِ الْعَلِيِّ

وَلَقَيْتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ

إِنَّ لَمْ أَشَنَّ عَلِيَّ ابْنَ حَرْبٍ غَارَةً

لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نَهَابِ نَفُوسٍ

خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالِيِّ شُرْبًا

تَعْدُو بِبَيْضٍ فِي الْكَرْيَهَةِ شُوسٍ

حَمِي الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ

لَمَعَانُ بَرَقٍ أَوْ شَعَاعُ شَمُوسٍ^(٧)

وأما الصفات المتعددة الواردة على شيء واحد فكقول

البحثري في وصف نحول الركاب:

يَتَرَقَّرِقْنَ كَالشَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ

بِنَ غِمَارًا مِنَ الشَّرَابِ الْجَارِي

كَالْقَسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَشْ

هَمِ مَبْرِيَّةً بِلِ الْأُوتَارِ

فقد رقي في تشبيه نحولها من الأدنى الى الأعلى

فشبهها أولاً بالقسي، ثم بالأسهم المبرية، ثم بالأوتار

وهي أبلغ في النحول لما سبق.

هذا ما عليه الاسلوب ولكن بعضهم قد يخرج على

ذلك، وقد أشار ابن الاثير الى أن كثيراً من الشعراء

أغفلوا ذلك ومنهم المتنبي الذي قال:

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غِمَامَةُ يَا

لَيْثَ الشَّرِيِّ يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ^(٨)

وكان ينبغي أن يبدأ فيه بالأدنى فالأدنى فيقول: يا

(١) جواهر الكنز ص ٢٩٢.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٢، الجامع الكبير ص ١٦٩.

(٣) البقرة ١٧.

(٤) آل عمران ١٣٣.

(٥) الأعراف ٦٠ - ٦١.

(٦) الكهف ٤٩.

(٧) الوفرة؛ المال. الشرب؛ الضمر. الشوس؛ جمع

أشوس، وهو الذي ينظر نظرة الغاضب المتكبر.

(٨) الشرى؛ مكان تنسب اليه الأسود. الحمام؛

الموت.

وَقَرَّرَ ابْنَ الْإِثِيرِ الْجَزْرِي «أَنَّهُ إِذَا كَانَ الشَّيْئَانِ

أَحَدَهُمَا خَاصًّا وَالْآخَرَ عَامًّا فَإِنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَامِ فِي

حَالَةِ النَّفْيِ أْبْلَغُ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ فِي حَالَةِ الْإِثْبَاتِ،

وَكَذَلِكَ اسْتِعْمَالَ الْخَاصِّ فِي حَالَةِ الْإِثْبَاتِ أْبْلَغُ مِنْ

اسْتِعْمَالِهِ فِي حَالَةِ النَّفْيِ»^(٢). مِثَالُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِيَّةُ

وَالْحَيَوَانِيَّةُ فَإِنَّ إِثْبَاتَ الْإِنْسَانِيَّةِ يُوجِبُ إِثْبَاتَ

الْحَيَوَانِيَّةِ وَلَا يُوجِبُ نَفْيَهَا نَفْيَ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَكَذَلِكَ

نَفْيَ الْحَيَوَانِيَّةِ يُوجِبُ نَفْيَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا يُوجِبُ

إِثْبَاتَهَا إِثْبَاتَ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا

حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا

يُبْصِرُونَ﴾^(٣) فَقَدْ عَدَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنِ الضُّوءِ

إِلَى لَفْظَةِ النُّورِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النُّورَ أَعْمُ مِنَ الضُّوءِ فَإِذَا

انْتَفَى انْتَفَى الْأَخْصُ.

ومما يحمل على ذلك الأوصاف الخاصة إذا

وقعت على شيئين وكان يلزم من وصف أحدهما

وصف الآخر ولا يلزم عكس ذلك، ومثاله قوله

تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٤)، فَإِنَّهُ إِنَّمَا خَصَّ

الْعَرْضَ بِالذِّكْرِ دُونَ الطُّولِ لِلْمَعْنَى الَّتِي أَشِيرَ

إِلَيْهَا، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا عَرْضُهَا

فَكَيْفَ يَكُونُ طُولُهَا؟

وأما الاسماء المفردة الواقعة على الجنس فكقوله

تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي إِنَّا لَنرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

قَالَ: يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾^(٥). قَالَ: ﴿ضَلَالَةٌ﴾ وَلَمْ يَقُلْ «ضَلال»

لِأَنَّ نَفْيَ الضَّلَالَةِ أْبْلَغُ مِنْ نَفْيِ الضَّلَالِ عَنْهُ.

وأما الصفتان الواردتان على شيء واحد فكقوله

تعالى: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً

إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٦) فَإِنَّ وُجُودَ الْمُؤَاخَذَةِ عَلَى الصَّغِيرَةِ

يَلْزَمُ مِنْهُ وُجُودَ الْمُؤَاخَذَةِ عَلَى الْكَبِيرَةِ.

ومنه قول الأشتر النخعي:

يقترن به من إغراب فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قَوِي انفعالها وتأثرها»^(٥).

ولم يَخْتَر معظم البلاغيين تسمية قدامة وإنما سَمَّوه «النوادر» ومنهم المصري الذي قال: «وهو الذي سماه قدامة قديما الاغراب والطرفة وسماه من بعده التطريف وسماه قوم النوادر، وقوم أبقوا عليه تسمية قدامة»^(٦). ثم قال: «وهو أن يأتي الشاعر بمعنى غريب لقلته في كلام الناس، وليس من شرطه على رأي قدامة أن يكون لم يُسْمَع مثله، وإنما شرطه أن يكون قليلاً نادراً. وقد رأى غير قدامة فيه غير ذلك، وقال: لا يكون في المعنى إغراب إلا إذا لم يسمع مثله. والاشتقاق يعضد التفسير الثاني والشواهد تعضد تفسير قدامة؛ لأن شواهد الباب وقع فيها ما يجوز أن يكون قائله لم يسبق إليه وما يجوز أن يكون قد سبق إليه على قلته».

وقال ابن الاثير الحلبي: «ويُسَمَّى هذا الباب بالاغراب وهو أن يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله أو سُمِعَ وهو قليل الاستعمال»^(٧).

وسماه المدني النوادر وقال: «النوادر جمع نادرة، قال الجوهرى: نَدَرَ الشيءُ يَنْدُرُ نَدْرًا: إذا شَدَّ، ومنه النوادر. وفي القاموس: نوادر الكلام: ما شَدَّ وخرج من الجمهور. وسَمَّاه قدامة ومن تَبِعَهُ: الإغراب - بالغين المعجمة - والطرافة»^(٨).

ومن أمثله مدح زهير للفقراء والأغنياء معاً فإنه غريب إذ العادة جارية بمدح الاغنياء غالباً لأنه يقال:

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦.

(٢) اللسان (غرب).

(٣) نقد الشعر ص ١٧٠.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ١٣٢.

(٥) المنهاج ص ٧١.

(٦) تحرير ص ٥٠٦، بديع القرآن ص ٢٢٢.

(٧) جوهر الكنز ص ٢٢٧.

(٨) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٨.

رجل، يا ليث، يا غمامة، يا بحر، يا حمام، لأن هذا مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة الى منزلة حتى ينتهي الى المنزلة العليا، ولو كان مقام ذم لعكس القضية^(١).

ولكن للأديب الحرية في التعبير كما يتصور المعنى أو كما يريد أن يصوره.

الاستغراب:

أغْرَبَ الرجل: جاء بشيء غريب، واستغرب في الضحك واستغرب أكثر منه^(٢) والاستغراب التعجب أو المجيء بالشيء الغريب أو المبالغة فيه.

قال قدامة: «قد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الاستغراب والطرفة، وهو أن يكون المعنى مما لم يُسْبِق إليه. وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف لأن المعنى المستجد إنما يكون مستجداً إذا كان في ذاته جيداً فاما أن يقال له: جيد، إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله فهذا غير مستقيم، بلى يقال لما جرى هذا المجرى: طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فاذا كثر لم يُسَمَّ بذلك، وغريب وطريف هما شيء آخر غير حسن أو جيد لأنه قد يجوز أن يكون حَسَنٌ جيدٌ غَيْرٌ طريفٍ ولا غريبٍ، وطريفٌ غريبٌ غَيْرٌ حَسَنٍ ولا جيد»^(٣).

وسَمَّاه الآخرون إغراباً ونقل ابن منقذ خلاصة كلام قدامة وقال: «هو أن يكون المعنى مما لم يُسْبِق إليه على جهة الاستحسان فيقال: طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فاذا كثر لم يُسَمَّ بذلك»^(٤).

وقرن القرطاجني الشعر الجيد بالاغراب فقال: «الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يُحَبَّبَ الى النفس ما قصد تحبيبه اليها ويكره اليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخيل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته أم بمجموع ذلك. وكل ذلك يتأكد بما

ما سمع قط مدح فقير حتى قال:

على مُكثريهم حقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ
وعند المقلِّين السَّماحةُ والبذلُّ

ومن الإغراب قسم آخر وهو أن يعمد الشاعر الى معنى متداول معروف ليس بغريب في بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا طريفا وينفرد به دون كل من نطق بذلك المعنى من ذلك أن تشبيه الحسان بالشمس والبدر متداول معروف ولكن أبا تمام تحيّل في زيادة طريفة لم تقع لغيره فقال:

فردت علينا الشمس والليل راغم
بشمسٍ لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ما أدري أحلام نائم
ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

فالتشكيك الذي أدخله في كلامه وذكر يوشع بعد إغرابه في التوطئة باخباره بأن هذه المرأة زدّت بها الشمس على الرغم من الليل، نقل المعنى من المعرفة الى الغرابة فاستحق أبو تمام هذا المعنى الطريف دون كل من تناوله.

ومن الإغراب والطرفة نوع لا يكون الاغراب فيه في ظاهر لفظه بل في تأويله وهو الذي إذا حمل على ظاهره كان الكلام به معيّنًا جدًا وإذا تؤول ردّ التأويل الى نمط الكلام الفصيح وأميط من ظاهره حدث العيب فيكون التأويل هو الموصوف بالإغراب لا الظاهر وذلك كقوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾^(١)، فانهم أمسوا كما أصبحوا فتكون لفظة «فأصبحوا» حشوًا لا فائدة فيه، ومثل هذا يتحاشى عنه نظم القرآن^(٢).

ومن الغريب الطريف قول أبي تمام:

لا تُنكروا ضربي له من دونه

مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلاً من المشكاة والنبراس
ومن لطيف الإغراب وطريفة قول بعضهم:

ظلت تُبشّرني عيني إذا اختلجت
بأن أراك وقد كُنّا على حذر
فقلتُ للعينِ إِمّا كُنْتِ صادقةً
إني ببشراك لي من أشعدِ البشّر
فما جزاؤك عندي لسْتُ أَعْرِفُهُ
بلى جزاؤك أن أحبوك بالنظر
وأشترُ المقلّة الأخرى فأحجبها
عن أن تراكِ كما لم تأتِ بالخبر
ومنه قول الآخر:

وما لبس العُشاقُ ثوبًا من الهوى
ولا بدّلوا إلا الثياب التي أبلي
وما شربوا كأسًا من الحُبِّ مُرّةً
ولا حلوةً إلا وشربهم فضلي
ومنه قول أبي الفتح البستي:

أرأيت ما قد قال لي بدّر الدجى
لما رأى طرفي يُديمُ سهودا
حتامَ تَرْمَقني بَطَرْفٍ ساهِرٍ
أقصرُ فلستُ حبيبك المفقودا

الاستفهام:

الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلتة وعرفته، وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيمًا^(٣).

(١) المائة ٥٣.

(٢) تحرير ص ٥٠٦ بديع القرآن ص ٢٢٢، خزانة الأدب ص ٢٢٣.

(٣) اللسان (فهم).

الثاني: أسماء، ولا يطلب بها إلا التصور وهي:

١- ما: يطلب بها شرح الشيء مثل: «ما البلاغة»؟

٢- مَنْ: للسؤال عن الجنس مثل: «مَنْ هذا»؟

٣- أي: للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر

يعمهما مثل: «أي الثياب عندك»؟

٤- كم: للسؤال عن العدد مثل: «كم كتابًا

عندك»؟

٥- كيف: للسؤال عن الحال مثل: «كيف

محمد»؟

٦- أين: للسؤال عن المكان مثل: «أين كنت»؟

٧- أَنَّى: تستعمل تارة بمعنى «كيف» كقوله

تعالى: ﴿أَنَّى يُخَيِّي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟^(٩)

وتارة بمعنى «من أين» كقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ

أَنَّى لَكَ هَذَا﴾؟^(١٠) وتارة بمعنى «متى» مثل:

﴿أَنَّى تَسَافِرُ﴾؟

٨- متى: للسؤال عن الزمان مثل: «متى جئت»؟

٩- أَيَّانَ: للسؤال عن الزمان كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ

(١) الصاحبي ص ١٨١، البرهان في علوم القرآن ج ٢

ص ٣٢٦، معترك الاقران ج ١ ص ٤٣١، الاتقان

ج ٢ ص ٧٩، شرح عقود الجمان ص ٤٩.

(٢) الكتاب ج ١ ص ٩٨، ج ٣ ص ١٧٦.

(٣) معاني القرآن ج ١ ص ٢٣؛ ٢٠٢؛ ج ٢

ص ٤١١؛ المقتضب ج ١ ص ٤١؛ ج ٢

ص ٥٣، ج ٣ ص ٢٢٨، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٨٩،

٢٩٢، ٣٠٧.

(٤) البرهان في وجوه البيان ص ١١٣.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٤٦.

(٦) الايضاح ص ١٣١، التلخيص ص ١٥٣، شروح

التلخيص ج ٢ ص ٢٤٦، المطول ص ٢٢٦،

الأطول ج ١ ص ٢٣٤.

(٧) الطراز ج ٣ ص ٢٨٦.

(٨) الفوائد ص ١٦٠.

(٩) البقرة ٢٥٩.

(١٠) آل عمران ٣٧.

والاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من

قبل، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: إنه طلب خبر ما

ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام أي طلب الفهم.

ومنهم من فَرَّقَ بينهما وقال: إنَّ الاستخبار ما سبق

أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان

استفهاماً^(١). ولكنَّ الدائر في كتب البلاغة مصطلح

«الاستفهام»، وهو من أساليب الانشاء أو الطلب التي

فطن لها أوائل المؤلفين والبلاغيين، وقد عقد له سيبويه

باباً سماه «باب الاستفهام»^(٢)، وتحدث فيه عن

أدواته. وتكلم عليه الفراء والمبرد^(٣).

ودخل في الدراسات البلاغية وتحدث عنه ابن

وهب الذي قال: «ومن الاستفهام ما يكون سؤالاً

عما لا تعلمه فيخصَّ باسم الاستفهام»^(٤).

وقال السكاكي: «والاستفهام لطلب حصول في

الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون

حكماً بشيء على شيء أو لا يكون. والأول هو

التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني

هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»^(٥). وسار

على هذا المذهب ملخصو كتابه «مفتاح العلوم»

وشراح التلخيص^(٦). ولا يخرج غيرهم عن ذلك

فالعلوي يقول: «ومعناه طلب المراد من الغير على

جهة الاستعلاء»^(٧). وابن قيم الجوزية يقول: «هو أن

يستفهم عن شيء لم يتقدم له به علم حتى يحصل له به

علم»^(٨).

وللإستفهام أدوات كثيرة وهي نوعان:

الأول: حرفان وهما الهمزة وهل. وتستعمل

الهمزة لطلب التصديق وهو إدراك النسبة أي تعيينها

مثل: «أقام محمد»؟ الجواب عنها يكون بـ«نعم» أو

«لا». وللتصور وهو ادراك المفرد أي تعيينه مثل:

«أقام محمد أم قعد»؟ والجواب عنها يكون بتحديد

المفرد أي: قام أو قعد.

أما هل فلا يطلب بها غير التصديق مثل: «هل قام

محمد»؟ والجواب عنها يكون بـ«نعم» أو «لا».

حتى متى أنت في لهو وفي لعب
والموت نحوك يجري فاغراً فاه

إِسْتِفْهَامُ الْإِسْتِبْعَادِ:

مَثَلُ لِه السَّيُوطِي (١٤) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْتَى لَهُمْ
الذُّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (١٥). وَمِنْهُ قَوْلُ
أَبِي تَمَامٍ:

مَنْ لِي بَانَسَانٍ إِذَا أَعْضَبْتُهُ
وَجَهَلْتُ كَانَ الْجِلْمُ رَدًّا جَوَابِهِ؟

(١) القيامة ٦.

(٢) الذاريات ١٢.

(٣) الفوائد ص ١٥٨.

(٤) الكتاب ج ١ ص ٣٤٣، ج ٢ ص ١٧٩، ج ٣

ص ١٧٢، ١٧٦، معاني القرآن ج ١ ص ٤، ٢١،

٢٣، ٢٠٢، ٤٦٧، ج ٢ ص ٤١١، ج ٣ ص ٥٤،

٢١٣، مجاز القرآن ج ١ ص ٣٥، ١٨٤، ٢٨٧،

ج ٢ ص ١١٨، ١٢٣، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٦،

١٨١، ٢٣١، ٢٨٨، تأويل مشكل القرآن

ص ٢١٤، المقتضب ج ٢ ص ٥٣، ج ٣ ص ٢٢٨،

٢٦٤، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٧، ج ٤

ص ٣٨٢، الكامل ج ١ ص ١٨٣، ١٨٤، ج ٢

ص ٤٢٨، الروض المربع ص ٧٧.

(٥) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٣٦.

(٦) النساء ٩٧.

(٧) يس ١٠.

(٨) مجاز القرآن ج ٢ ص ١٥٨.

(٩) معترك ج ١ ص ٤٣٩، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.

(١٠) النور ٥٠.

(١١) الانسان ١.

(١٢) معترك ج ١ ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٠،

شرح عقود الجمان ص ٥٣، وينظر البرهان ج ٢

ص ٣٤٣.

(١٣) البقرة ٢١٤.

(١٤) معترك ج ١ ص ٤٣٨، شرح عقود الجمان

ص ٥٤، وينظر البرهان ج ٢ ص ٢٤٤.

(١٥) الدخان ١٣.

أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟ (١)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ أَيَّانَ يَوْمُ
الَّذِينَ؟﴾ (٢).

وَيُخْرَجُ الْإِسْتِفْهَامُ عَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيُّ أَيَّ أَنَّهُ «إِسْتِفْهَامُ
العالم بالشيء مع علمه به» (٣). وَيَقْصَدُ بِهِ غَيْرُ طَلَبِ
الفهم الذي هو الاستفهام عن شيء لم يتقدم له به علم
حتى يحصل له به علم. والاعراض التي يخرج
الاستفهام إليها كثيرة، وقد ذكر المتقدمون كسيويه
والفراء وأبي عبيدة وابن قتيبة والمبرد قسماً كبيراً
منها (٤) ولكنَّ البلاغيين المتأخرين كالسكاكي
والقزويني وشراح تلخيصه، والذين ألفوا في علوم
القرآن كالنزر كشي والسيوطي جمعوها مرتبة في
مباحث الاستفهام.

إِسْتِفْهَامُ الْإِثْبَاتِ:

وَيَأْتِي لِلْإِثْبَاتِ مَعَ التَّوْبِيخِ (٥)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ
تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ (٦).

إِسْتِفْهَامُ الْإِخْبَارِ:

سَمَاهُ بِهَذَا الْاسْمِ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَمِثْلُ لِه بِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَسِوَاءَ عَلَيْهِمُ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧).
وَمِنْهُ قَوْلُ زَهِيرٍ:

سِوَاءَ عَلَيْهِ أَيَّ حِينٍ أَتَيْتَهُ

أَسَاعَةَ نَحْسٍ تُتَّقَى أَمْ بِأَسْعَدِ

وَقَالَ: «فُخْرِجَ لَفْظُهَا عَلَى لَفْظِ الْإِسْتِفْهَامِ وَأَمَّا هُوَ
إِخْبَارٌ» (٨).

وَسَمَاهُ الْبَلَاغِيُونَ «إِسْتِفْهَامَ التَّقْرِيرِ»، أَمَّا اسْتِفْهَامُ
الْإِخْبَارِ فَقَدْ مِثْلُ لِه السَّيُوطِي (٩) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا؟﴾ (١٠)، وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى
الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ (١١)؟

إِسْتِفْهَامُ الْإِسْتِبْطَاءِ:

مِثْلُ لِه السَّيُوطِي (١٢) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَتَى نَضُرُّ
اللَّهَ؟﴾ (١٣)، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِسْتِفْهَامُ الْإِسْتِرْشَادِ:

﴿أَنْلِزِمُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(١٧) أي: لا يكون هذا الالتزام^(١٨).

ومنه قول امرئ القيس:

أَيْقِثُلْنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي
وَمَسْنُونَةُ زُرُقٍ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ

مثل له السيوطي^(١) بقوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾^(٢) والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين وإنما فرق بين العبارتين أدبا، وقيل: هي هنا للتعجب^(٣).

إِسْتِفْهَامُ الْإِفْتِخَارِ:

مثل له السيوطي^(٤) بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ؟﴾^(٥)

إِسْتِفْهَامُ الْإِيَّاسِ:

ذَكَرَهُ الزَّرْكَشِيُّ^(١٩) وَمِثْلُ لَهْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ؟﴾^(٢٠)

إِسْتِفْهَامُ الْإِكْتِفَاءِ:

مِثْلُ لَهْ السِّيُوطِيُّ^(٦) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ؟﴾^(٧)

إِسْتِفْهَامُ الْإِيْنَسِ:

مِثْلُ لَهْ السِّيُوطِيُّ^(٢١) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى؟﴾^(٢٢)، وَقِيلَ هِيَ لِلتَّقْرِيرِ فَيَعْرِفُ مَا

إِسْتِفْهَامُ الْأَمْرِ:

ذَكَرَهُ الْفَرَاءُ وَمِثْلُ لَهْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ؟﴾^(٨)، وَقَالَ: «وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ»^(٩). وَمِثْلُ لَهْ السِّيُوطِيُّ^(١٠) بِالآيَةِ نَفْسَهَا وَقَالَ: «أَيَّ اسْلَمُوا» وَبِقَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ؟﴾^(١١) أَي: انْتَهَوْا، وَقَوْلِهِ: ﴿أَتَصْبِرُونَ؟﴾^(١٢) أَي: اصْبِرُوا.

إِسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِ:

وَالْمَعْنَى فِيهِ النِّفْيُ وَمَا بَعْدَهُ مَنْفِي وَلِذَلِكَ تَصَحُّبُهُ «إِلَّا» كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ؟﴾^(١٣) وَعَطَفَ الْمَنْفِي عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ؟﴾^(١٤) أَي: لَا يَهْدِي. وَقَوْلِهِ: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ؟﴾^(١٥) أَي: مَا شَهِدُوا ذَلِكَ.

وَكثِيرًا مَا يَصْحَبُهُ التَّكْذِيبُ وَهُوَ فِي الْمَاضِي بِمَعْنَى «لَمْ يَكُنْ» وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ بِمَعْنَى «لَا يَكُونُ» كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ؟﴾^(١٦) أَي: لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ. وَقَوْلِهِ:

- (١) معترك ج ١ ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.
- (٢) البقرة ٣٠.
- (٣) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٣٨.
- (٤) معترك ج ١ ص ٤٣٥، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.
- (٥) الزخرف ٥١.
- (٦) معترك ج ١ ص ٤٣٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.
- (٧) الزمر ٦٠.
- (٨) آل عمران ٢٠.
- (٩) معاني القرآن ج ١ ص ٢٠٢.
- (١٠) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، البرهان ج ٢ ص ٣٣٩.
- (١١) المائدة ٩١.
- (١٢) الفرقان ٢٠.
- (١٣) الاحقاف ٣٥.
- (١٤) الروم ٢٩.
- (١٥) الزخرف ١٩.
- (١٦) الاسراء ٤٠.
- (١٧) هود ٢٨.
- (١٨) معترك ج ١ ص ٤٣٢، الاتقان ج ٢ ص ٧٩، البرهان ج ٢ ص ٣٢٨.
- (١٩) البرهان ج ٢ ص ٣٤٣.
- (٢٠) التكويد ٢٦.
- (٢١) معترك ج ١ ص ٤٣٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.
- (٢٢) طه ١٧.

في يده حتى لا ينفرا اذا انقلبت حَيَّةً^(١).

إِسْتِفْهَامُ التَّأْكِيدِ:

أي التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله، ومثّل له السيوطي^(٢) بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ؟﴾^(٣) أي: من حق عليه كلمة العذاب فانك لا تنقذه، فـ «من» للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة في «أفأنت» معادة مؤكدة لطول الكلام.

إِسْتِفْهَامُ التَّنْبِيهِ:

ذكره الزركشي^(٤) ومثّل له بقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهِينًا﴾^(٥)، وجعلها السكاكي من باب التقرير^(٦)، وفيه نظر لأن ذلك لم يقع منه عليه السلام.

إِسْتِفْهَامُ التَّجَاهُلِ:

مثّل له السيوطي^(٧) بقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذُّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٨)

إِسْتِفْهَامُ التَّحْذِيرِ:

ذكره الزركشي^(٩) ومثّل له بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٠) أي قدرنا عليهم فنقدر عليكم.

إِسْتِفْهَامُ التَّخْضِيزِ:

وهو الطلب برفق، وقد مثّل له السيوطي^(١١) بقوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾^(١٢).

إِسْتِفْهَامُ التَّحْقِيرِ:

مثّل له السيوطي^(١٣) بقوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾^(١٤).

ومنه قول الشاعر:

فَدَعِ الوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي

أَطْنِينُ أَجْنَحَةِ الذَّبَابِ يَضِيرُ؟

إِسْتِفْهَامُ التَّذْكِيرِ:

وفيه نوع اختصار، وقد مثّل له السيوطي^(١٥) بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(١٦)، وقوله: ﴿قَالَ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾^(١٧). قال الزركشي^(١٨): «وجعل بعضهم منه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾؟^(١٩)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؟^(٢٠).

(١) البرهان ج ٢ ص ٣٤٣.

(٢) معترك ج ١ ص ٤٣٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.

(٣) الزمر ١٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٣٦.

(٥) المائدة ١١٦.

(٦) هذا ما ذكره الزركشي (البرهان ج ٢ ص ٣٣٦)،

أما السكاكي فقد ذكر للتقرير قوله تعالى؛

﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتْنَا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ (مفتاح

العلوم ص ١٥١).

(٧) معترك ج ١ ص ٤٣٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.

(٨) ص ٨.

(٩) البرهان ج ٢ ص ٣٣٩.

(١٠) المرسلات ١٦.

(١١) معترك ج ١ ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٠،

البرهان ج ٢ ص ٣٤٢.

(١٢) التوبة ١٣.

(١٣) معترك ج ١ ص ٤٣٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٠،

شرح عقود الجمان ص ٥٤، البرهان ج ٢

ص ٣٤٣.

(١٤) الأنبياء ٣٦.

(١٥) معترك ج ١ ص ٤٣٥، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.

(١٦) يس ٦٠.

(١٧) يوسف ٨٩.

(١٨) البرهان ج ٢ ص ٣٤٠.

(١٩) الضحى ٦.

(٢٠) الشرح ١.

إِسْتِفْهَامُ التَّرْغِيبِ:

مَثَلُ لِه السَّيُوطِي (١) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٣)؟

إِسْتِفْهَامُ التَّشْهِيلِ:

وَهُوَ لِلتَّخْفِيفِ، وَقَدْ مَثَلُ لِه السَّيُوطِي (٤) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا﴾ (٥).

إِسْتِفْهَامُ التَّشْوِيقِ:

وَهُوَ الْإِسْتِفْهَامُ الدَّاخِلُ عَلَى جُمْلَةٍ يَصِحُّ حُلُولُ الْمَصْدَرِ مَحَلِّهَا (٦)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ (٧)، وَهُوَ اسْتِفْهَامُ الْإِخْبَارِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ (٨)، وَمَثَلُ لِه الْمَبْرَدُ بِقَوْلِهِ: «لَيْتَ شِعْرِي أَقَامَ زَيْدٌ أَمَ قَعْدٌ» (٩) وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي:

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِي الْعَلَى
أَكَانَ تَرَاثًا مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسَبَا

إِسْتِفْهَامُ التَّشْوِيقِ:

جَمَعَهُ السَّيُوطِي (١٠) مَعَ اسْتِفْهَامِ التَّرْغِيبِ وَمَثَلُ لِهْمَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (١١)، وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٢).

إِسْتِفْهَامُ التَّعْجَبِ:

وَيُقَالُ لِه اسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبِ، وَقَدْ مَثَلُ لِه السَّيُوطِي (١٣) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ (١٤)، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ لِلتَّنْبِيهِ (١٥).

وَمِنْ هَذَا اللَّوْنِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي مَخَاطَبًا الْحَمِي:

أَبْنَتْ الدَّهْرَ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ
فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الرَّحَامِ

إِسْتِفْهَامُ التَّعْظِيمِ:

مَثَلُ لِه السَّيُوطِي (١٦) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١٧).

وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا
لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تُغْرِ

إِسْتِفْهَامُ التَّفْجِيعِ:

ذَكَرَهُ الزَّرْكَشِيُّ (١٨)، وَمَثَلُ لِه بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (١٩)؟. وَلَعَلَّهُ التَّفْخِيمُ الَّذِي ذَكَرَهُ

(١) معترك ج ١ ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٠،

البرهان ج ٢ ص ٣٤١.

(٢) البقرة ٢٤٥.

(٣) الصف ١٠.

(٤) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، شرح

عقود الجمان ص ٥٤، البرهان ج ٢ ص ٣٣٨.

(٥) النساء ٣٩.

(٦) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، شرح

عقود الجمان ص ٥٤، البرهان ج ٢ ص ٣٣٦.

(٧) يس ١٠.

(٨) مجاز القرآن ج ٢ ص ١٥٨.

(٩) المقتضب ج ٢ ص ٥٣.

(١٠) شرح عقود الجمان ص ٥٤.

(١١) البقرة ٢٤٥.

(١٢) الصف ١٠.

(١٣) معترك ج ١ ص ٤٣٥، الاتقان ج ٢ ص ٨٠،

شرح عقود الجمان ص ٥٣.

(١٤) البقرة ٢٨.

(١٥) البرهان ج ٢ ص ٣٤٤.

(١٦) معترك ج ١ ص ٤٣٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٠،

البرهان ج ٢ ص ٣٣٧، وينظر ما اتفق لفظه

واختلف معناه ص ٢٨.

(١٧) البقرة ٢٥٥.

(١٨) البرهان ج ٢ ص ٣٣٨.

(١٩) الكهف ٤٩.

عن الخطأ في قول أبي تمام:

رَضِيْتُ وهل أَرْضَى إذا كان مُسْخِطِي

من الأمر ما فيه رَضَى مَنْ له الأمرُ

قال: «فمعنى هل في هذا البيت التقرير، والتقرير على ضربين: تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع، أو على فعل هو في الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه، ويقتضي من المخاطب في الجواب الاعتراف به، نحو وقوله: هل أكرمتك؟ هل أحسنت اليك؟ هل أودك وأوترك؟ هل أقضي حاجتك؟»

وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينفي أن يكون قد وقع نحو قوله: «هل كان مني اليك قط شيء كرهته؟» و«هل عرفت مني غير الجميل؟»

فقوله في البيت: «وهل أَرْضَى» تقرير لفعل ينفيه عن نفسه وهو الرضى كما يقول القائل: «وهل يمكنني المقام على هذه الحال؟» أي: لا يمكنني، و«هل يَصْبِرُ الحرُّ على الذل؟» و«هل يَزْوَى زيد؟» و«هل يشبع عمرو؟» فهذه كلها أفعال معناها النفي. فقوله: «وهل أَرْضَى» انما هو نفي للرضى فصار المعنى: ولست أَرْضَى، إذ كان الذي يسخطني ما فيه رضى من له الأمر، أي رضى الله تعالى، وهذا خطأ منه فاحش^(١).

(١) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.

(٢) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.

(٣) الكهف ٤٩.

(٤) الشعراء ٧٢ - ٧٣.

(٥) الفجر ٥.

(٦) الشرح ١ - ٢.

(٧) الضحى ٦ - ٧.

(٨) الفيل ٢ - ٣.

(٩) النمل ٨٤.

(١٠) معترك ج ١ ص ٤٣٤، الاتقان ج ٢ ص ٧٩،

شرح عقود الجمان ص ٥٤، البرهان ج ٢

ص ٣٣١ وينظر ما اتفق لفظه واختلف معناه

ص ٢٨.

(١١) الموازنة ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢.

السيوطي^(١)؛ لأن الآية لا تشعر بالتفجع كما تشعر بالتعظيم والتفخيم.

إِسْتِفْهَامُ التَّفْخِيمِ:

مَثَلٌ له السيوطي^(٢) بقوله تعالى: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾^(٣)؟. وكان الزركشي قد ذكر هذه الآية شاهداً للتفجع وليس فيها تفجع.

إِسْتِفْهَامُ التَّقْرِيرِ:

وهو حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده. قال ابن جني: «ولا يستعمل ذلك بـ«هل» كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام». وقال الكندي: «ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَشْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾^(٤) الى أن «هل» تشارك الهمزة في معنى التقرير والتويخ». ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بـ«هل» انما يستعمل فيه الهمزة، ثم نقل عن بعضهم أن «هل» تأتي تقريراً كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾^(٥). والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب. فالأول كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^(٧)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾^(٨). والثاني كقوله تعالى: ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾^(٩).

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام انكار، والانكار نفي وقد دخل على النفي، ونفي النفي اثبات^(١٠).

وقسم الأمدي التقرير الى ضربين حينما تحدث

إِسْتِفْهَامُ التَّكْثِيرِ:

مثّل له السيوطي^(١) بقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾^(٢).

إِسْتِفْهَامُ التَّمْنِي:

مثّل له السيوطي^(٣) بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءٍ﴾^(٤).

ومنه قول المتنبي:

أيدري الرّبُعُ أيّ دَمٍ أراقا
وأَيّ قلوبٍ هذا الرُكْبِ شاقا

إِسْتِفْهَامُ التَّشْبِيهِ:

وهو من أقسام الأمر، وقد مثّل له السيوطي^(٥) بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^(٦)، أي: انظر.

إِسْتِفْهَامُ التَّهْدِيدِ:

ويكون للوعيد، وقد مثّل له السيوطي^(٧) بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُولَيْنِ﴾^(٨).

إِسْتِفْهَامُ التَّهَكُّمِ:

ويكون للاستهزاء، وقد مثّل له السيوطي^(٩) بقوله تعالى: ﴿أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ﴾^(١٠)، وقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟ مَا لَكُمْ تَطَّيْقُونَ﴾^(١١)؟

ومنه قول المتنبي:

أفي كلِّ يومٍ ذا الدمستقِّ قادمٌ
قفاه على الأقدام للوجهِ لائمٌ؟

إِسْتِفْهَامُ التَّهْوِيلِ:

ويكون للتخويف، وقد مثّل له السيوطي^(١٢) بقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ﴾^(١٣)؟ وقوله: ﴿القارعةُ. ما القارعةُ﴾^(١٤)؟

إِسْتِفْهَامُ التَّوْبِيخِ:

وجعله بعضهم من قبيل الإنكار، إلا أنّ الأول إنكار إبطال وهذا الإنكار توبيخ، والمعنى أنّ ما بعده واقع جدير بأن يُنفى، فالنفي هنا قصدي والاثبات قصدي، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضًا^(١٥). ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾^(١٦)؟ وقوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾^(١٧)؟ وقوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١٨)؟

(١) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، البرهان ج ٢ ص ٣٣٨.

(٢) الحج ٤٥.

(٣) معترك ج ١ ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، البرهان ج ٢ ص ٣٤١.

(٤) الأعراف ٥٣.

(٥) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، شرح عقود الجمان ص ٥٤، البرهان ج ٢ ص ٣٤٠.

(٦) الفرقان ٤٥.

(٧) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠.

(٨) المرسلات ١٦.

(٩) معترك ج ١ ص ٤٣٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، شرح عقود الجمان ص ٥٤، البرهان ج ٢ ص ٣٤٣.

(١٠) هود ٨٧.

(١١) الصافات ٩١ - ٩٢.

(١٢) معترك ج ١ ص ٤٣٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، شرح عقود الجمان ص ٥٤، البرهان ج ٢ ص ٣٣٨ وينظر ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٨.

(١٣) الحاقة ١ - ٢.

(١٤) القارعة ١ - ٢.

(١٥) معترك ج ١ ص ٤٣٣، الاتقان ج ٢ ص ٧٩، البرهان ج ٢ ص ٣٤٤.

(١٦) طه ٩٣.

(١٧) الصافات ٩٥.

(١٨) الصف ٢.

وهو قاص، وأقصى الرجل يقصيه: باعده. وتقصيت الأمر واستقصيته واستقصى فلان في المسألة وتقصى بمعنى^(١٤).

والاستقصاء «هو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه إلى أن لا يترك فيه»^(١٥) كقوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾^(١٦). فانه لو اقتصر على قوله «جنة» لكان كافيًا ولكنه لم يقف عند ذلك وانما استقصى فقال: ﴿من نخيل وأعناب﴾ ثم زاد ﴿تجري من تحتها الانهار﴾ ثم أضاف ﴿له فيها من كل الثمرات﴾ وقال في وصف صاحبها: ﴿وأصابه الكبر﴾ ثم استقصى المعنى بما يوجب تعظيم المصاب بقوله: ﴿له ذرية ضعفاء﴾ ثم أصاب الجنة ﴿إعصار فيه نار فاحترقت﴾.

(١) معترك ج ١ ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، البرهان ج ٢ ص ٣٤١.

(٢) الأعراف ١٥٥.

(٣) معترك ج ١ ص ٤٣٥، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، البرهان ج ٢ ص ٣٣٦.

(٤) الحديد ١٦.

(٥) التوبة ٤٣.

(٦) معترك ج ١ ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، البرهان ج ٢ ص ٤٣٢.

(٧) النور ٢٢.

(٨) الرحمن ٦٠.

(٩) معترك ج ١ ص ٤٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٨٠، شرح عقود الجمان ص ٥٤، البرهان ج ٢ ص ٣٣٩.

(١٠) التوبة ١٣.

(١١) المائدة ٤٤.

(١٢) شرح عقود الجمان ص ٥٤.

(١٣) المرسلات ١٦.

(١٤) اللسان (قصا).

(١٥) تحرير التحرير ص ٥٤٠، بديع القرآن ص ٢٤٧.

(١٦) البقرة ٢٦٦.

إِسْتِفْهَامُ الدُّعَاءِ:

وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا؟﴾^(٢)، أي: لا تهلكنا.

إِسْتِفْهَامُ الْعِتَابِ:

مثل له السيوطي^(٣) بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ؟﴾^(٤). ومن أطف ما عاتب به خير خلقه بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهْم؟﴾^(٥).

إِسْتِفْهَامُ الْعَرَضِ:

وهو الطلب بشق، وقد مثل له السيوطي^(٦) بقوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟﴾^(٧).

إِسْتِفْهَامُ النَّفْيِ:

كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ؟﴾^(٨)، وقول البحري:

هل الدهرُ إلا غمرةٌ وانجلاؤها
وشيكاٌ وإلا ضيقةٌ وانفراجها؟

إِسْتِفْهَامُ النَّهْيِ:

مثل له السيوطي^(٩) بقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ؟﴾ فالله أحقُّ أن تخشوه^(١٠) بدليل قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنِي﴾^(١١).

إِسْتِفْهَامُ الْوَعِيدِ:

قال السيوطي: «ومنه الوعيد كقولك لمن يُسيء الأدب: ألم أوذب فلانا؟ إذا كان عالمًا بذلك»^(١٢). ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُولِينَ؟﴾^(١٣)

الاسْتِفْهَامُ:

قصا: بعد، وكل شيء تنجى عن شيء فقد قصا

أحدهما: أنه ليس بشامل لها.

والثاني: أن هذا السواد ليس صورته صورة الدرهم في قعرها.

أعني أنه لم يستدر هناك بل ارتفع من قعر الدائرة حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات وله في منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية في جوانب المدهن إذا كانت بقية بقيت عن الاصابع. وقوله: «في قرارتها مسك» يبين الأمر الأول ويؤمن دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال: «ككأس عقيق فيها مسك» ولم يشترط أن يكون في القرارة. وأما الثاني من الأمرين فلا يدل عليه كما يدل قوله: «بقايا غالية» وذلك أن من شأن المسك والشيء اليابس إذا حصل في شيء مستدير له قعر أن يستدير في القعر ولا يرتفع في الجوانب الارتفاع الذي تراه في سواد الآذريونة، وأما الغالية فهي رطبة ثم هي تؤخذ بالاصابع، وإذا كان كذلك فلا بُدَّ في البقية منها من أن تكون قد ارتفعت عن القرارة وحصلت بصفة شبيهة بذلك السواد، ثم هي لنعمتها ترق فتكون كالصبغ الذي لا جرم له يملك المكان وذلك أصدق للشبه^(٣).

ونقل ابن الأثير الحلبي والسيوطي تعريف المصري للاستقصاء وأمثله^(٤)، وقال السبكي إنه «قريب من مراعاة النظير»^(٥).

الاستلحاق:

وهو من باب الأخذ والاستعانة، وقد قرنه السابقون

(١) تحرير ص ٥٤٣، بديع القرآن ص ٢٥١.

(٢) الآذريون؛ جنس زهر، برتقالي اللون يكثر على شواطئ البحر المتوسط ويزرع في الحدائق.

(٣) أسرار البلاغة ص ١٦١ - ١٦٢.

(٤) جوهر الكثر ص ٢٢٣، معترك الأقران ج ١ ص ٣٧٠، الاتقان ج ٢ ص ٧٥.

(٥) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٠.

ومنه قول ابن الرومي في الحديث:

وَحَدِيثُهَا السُّحْرُ الحَلَالُ لو أَنَّهُ
لم يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لم يُمَلَّلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ
وَدَّ المُحَدِّثُ أَنَّهُ لم تُوجَزِ
شَرُّ العُقُولِ ونزهُةٌ ما مثلها
للمطمئنِّ وعُقْلَةُ المُسْتَوْفِرِ

فقد استقصى وصف حديث هذه المحبوبة استقصاءً تاماً.

وفرق المصري بين هذا الفن الذي ابتدعه والتميم والتكميل، فقال: «والفرق بين الاستقصاء والتميم والتكميل كون التميم يرد على معنى ناقص فيتم بعضه، والتكميل يرد على التام فيكمل وصفه، والاستقصاء له مرتبة ثالثة فانه يرد على الكامل فيستوعب كل ما تقع عليه الخواطر من لوازمه بحيث لا يترك لأخذه مجالاً لاستحقاقه من هذه الجملة»^(١).

وكان عبد القاهر قد تحدث عن استقصاء التشبيه وقال: «ويشبه هذا الموضوع في زيادة أحد التشبيهين مع أن جنسهما واحد وتركيبهما على حقيقة واحدة بأن في أحدهما فضل استقصاء ليس في الآخر قول ابن المعتز في الآذريون»^(٢):

وطاف بها ساقٍ أديبٍ بمبزلٍ
كخنجرٍ عيارٍ صناعتُهُ الفُتْكَ
وحَمَلُ آذريونة فوق أذنه
ككأسٍ عقيقٍ في قرارتها مسكٌ

مع قوله:

مداهنٌ من دهبٍ

فيها بقايا غاليه

الأول ينقص عن الثاني شيئاً، وذلك أن السواد الذي في باطن الآذريونة الموضوع بازاء الغالية والمسك فيه أمران:

بالاجتلاب^(١)، وقد تقدم الكلام عليهما في «الاجتلاب».

الاستهلال:

استهلال الابتداء، يقال استهلَّت السماء وذلك في أول مطرها، واستهلَّ الصبي بالبكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة^(٢).

والاستهلال أن يتدئ الشاعر أو الكاتب بما يدل على الغرض كقول الخنساء في أخيها صخر:

وما بَلَغَتْ كَفُّ امرئٍ متناولٍ
من المجدِ إلا والذي نَلَتْ أطولُ
وما بلغ المهدونَ للناسِ مدحةً
وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ

قال ابن الزمكاني: «ويقرب من هذا الضرب ضرب يسمى التسهيم كقول البحري:

وإذا حاربوا أذلوا عزيزًا
وإذا سالموا أعزوا ذليلاً
وكقوله:

فليس الذي حَلَلْتَه بمحلِّ

وليس الذي حَرَّمْتَه بحرامٍ

فالشطر الأول معرف بالشطر الثاني في البيتين، سُمي بذلك أخذًا من البرد المسهَّم الذي لا تفاوت فيه وقد يسمى التوشيح^(٣).

وهذه النظرة الى الاستهلال أوسع من نظرة الآخرين الذين يرون أنه البدء بالمطلع الدال على المعنى. قال القرطاجني: «وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجًا ونشاطًا لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك، وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها^(٤)».

وقد تحدث البلاغيون عن «الابتداء» و «براعة الاستهلال»، و«الافتتاح» وكلها تتصل بالاستهلال وجمال بداية الكلام إن كان مما يشير السامع ويحرك في نفسه كثيرًا من الكوامن.

الاستيعاب:

وعب الشيء وعبًا وأوعبه واستوعبه: أخذه أجمع، والاستيعاب: الاستقصاء في كل شيء^(٥).

والاستيعاب: «أن يتعلق بالكلام معنى له أقسام متعددة فيستوعبها في الذكر ويأتي عليها^(٦)». كقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾^(٧). فهذا التقسيم حاصر لا مزيد على حصره مع ما فيه من البلاغة التي ليس وراءها غاية، لأنه في معنى: الناس على طبقاتهم واختلاف أحوالهم على أربعة أصناف: فمنهم من له بنات لا غير، ومنهم من له بنون، ومنهم ذو بنات وبنين، ومنهم من هو عقيم لا ولد له من ابن أو بنت، فهذه الآية الكريمة مستوعبة بذلك كله.

ومنه قول بشار:

فراح فريقٌ في الأسارِ ومثله

قتيلٌ وقسمٌ لاذَّ بالبحرِ هاربه

فاستوعب أنواع التنكيل وتفريق الشمل كأنه قال: صاروا بين أسير ومقتول وهارب في البحار لعله ينجو.

ومنه قول نصيب:

(١) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٥٨، الرسالة العسجدية

ص ٥٢، العمدة ج ٢ ص ٢٨٣.

(٢) اللسان (صلل).

(٣) التبيين ص ١٨٣.

(٤) منهاج البلغاء ص ٣٠٩.

(٥) اللسان (وعب).

(٦) الطراز ج ٣ ص ١٠٦.

(٧) الشورى ٤٩ - ٥٠.

وقد تأتي المغالطة بلا إسجال إذا أراد المُتكلِّم إخفاء مراده فسأل عن شيء وهو يريد غيره بشرط أن يكون المسؤول عنه يتعلق بمراده تعلقاً قريباً لطيفاً، كقول أبي نواس:

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانِ
كَيْفَ خَلَّفْتُمْ أَبَا عَثْمَانَ

فيقولون لي جنان كما سرَّ
ك من خالها فسأل عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهم
كيف لم يَغْنِ عندهم كتمانِي

فانه سأل عن أخي سيد جنان - وهو أبو عثمان الذي ذكره في البيت الأول - وانما أراد جنانا.

ونقل الاسجال عن المصري المتأخرون كالحلبي والنويري^(٧)، ولم يخرجوا على أمثله القرآنية والشعرية، وذلك لأنه أول من تحدث عنه وليس فيما سبقه من دراسات كلام على الاسجال.

الأسلوب الحكيم:

عقد الجاحظ في «البيان والتبيين» باباً سماه «اللغز والجواب» وقال: «قالوا كان الحطيئة يرعى غنماً له وفي يده عصا فمرَّ به رجل فقال: يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: عجرا من سَلَمٍ - يعني عصاه - قال: إني ضيف. قال الحطيئة: للضيفان أعددتها»^(٨).

وكان مثل هذا الاسلوب يستعمل للتظرف أو

(١) الرحمن ٦٠.

(٢) اللسان (سجل).

(٣) تحرير التحرير ص ٥٧٤، بديع القرآن ص ٢٨٦.

(٤) آل عمران ١٩٤.

(٥) غافر ٨.

(٦) القرة؛ شدة البرد.

(٧) حسن التوسل ص ٣٠٩، نهاية الارب ج ٧

ص ١٧٣.

(٨) البيان ج ٢ ص ١٤٧.

فقال فريقُ القومِ لما سألتهم

نَعَمْ وفريقٌ أَيْمَنَ اللّٰهَ لا نَدْرِي

فاستوعب جميع نوعي الجواب في النفي والاثبات فلم يَبْقَ بعد ذلك شيء.

وهذا ما سماه الآخرون «حسن التقسيم» و «التقسيم».

الإسجال:

أسجل الأمر: أطلقه، ومنه قول مُحَمَّد بن الحنفية - رحمة الله عليه - في قوله عز وجل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾^(١) قال: هي مُسَجَّلَةٌ للبر والفاجر، يعني مُرسَلَةٌ مُطلقة في الإحسان إلى كُلِّ أحد لم يشترط فيها برّ دون فاجر. وأسجلت الكلام: أرسلته^(٢).

وسماه المصري: «الاسجال بعد المغالطة» وهو من مُبتدعاته، وقد قال في تعريفه: «هو أن يُقصدَ الشاعر غرضاً من ممدوح فيأتي بألفاظ تُقرّر بلوغه ذلك الغرض فيُسجّل عليه ذلك مثل أن يشترط لبلوغه ذلك الغرض شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ثم يُقرّر وقوع ذلك الغرض مُغالطة ليقع المشروط»^(٣).

وقد يقع الإسجال لغير مُغالطة، والقسم الأول يأتي في الشّعْر وغيره من كلام البشر ولا يقع في الكتاب العزيز إلا القسم الثاني وهو الإسجال بغير مُغالطة، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾^(٥).

ومثال القسم الأول وهو ما تقع فيه المُغالطة قول

الشاعر:

جاء الشِّتَاءُ وما عندي لقرَّتِه

إلا ارتعادي وتَصْنِيفِي بأسناني^(٦)

فإنَّ هَلَكْتُ فمولانا يُكفِّنِي

هَبْنِي هلكت فهبني بَعْضُ أكفاني

غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له»^(٥)، وذكر أمثله.

وسمى عبد القاهر هذا الفن «المغالطة»^(٦)، وذكر السيوطي^(٧) المصطلحين أي مُصطلح عبد القاهر ومُصطلح السكاكي. وذكر الحموي أن هذا الأسلوب هو «القول بالموجب»^(٨) وليس الأمر كذلك وإن ذكر أحد شواهدة وهو قصة القبعثري مع الحجاج؛ لأنّ القول بالموجب فن آخر. وذهب الى ذلك كثير من البلاغيين كالمدني الذي قال عن القول الموجب: «هو والاسلوب الحكيم رضيعا لبان وفرسا رهان حتى زعم بعضهم أن أحدهما عين الآخر وليس كذلك»^(٩) ثم قال: «هذا النوع - أعني القول بالموجب - يشترك هو والاسلوب الحكيم في كون كل منهما من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، ويفترقان باعتبار الغاية. فان القول بالموجب غايته ردّ كلام المتكلم وعكس معناه، والاسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له»^(١٠)، وذكر أمثلة الأسلوب الحكيم ليفرق بينه وبين القول بالموجب.

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٥.

(٢) البقرة ١٨٩.

(٣) السخيمة؛ الضغينة، يقال؛ سللت سخيمته باللفظ والترضي أي أخرجت ضغينته من صدره.

(٤) مفتاح العلوم ص ١٥٦.

(٥) الايضاح ص ٧٥، التلخيص ص ٩٧، شروح التلخيص ج ١ ص ٤٧٩، المطول ص ١٣٥ الأطول ج ١ ص ١٥٨.

(٦) الايضاح ص ٧٦، عروس الافراح ج ١ ص ٤٧٩.

(٧) شرح عقود الجمان ص ٢٩.

(٨) خزنة الأدب ص ١١٦.

(٩) أنوار الربيع ج ٢ ص ١٩٨.

(١٠) أنوار الربيع ج ٢ ص ٢٠٩.

التخلص من إحراج السائل، ولم يضع الجاحظ مصطلح «الأسلوب الحكيم» وإنما قال السكاكي وهو يتحدث عن التصريح والتلويح: «ولا كالاسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب»^(١) كما قال الشاعر:

أَتَتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مَزَاوِلَةَ الْقِرَى

وَقَدْ رَأَتْ الضِّيفَانَ يَنْحُونُ مَنْزِلِي

فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا

هُمُ الضِّيفُ جِدِّي فِي قِرَاهِمِ وَعَجَلِي

أو السائل بغير ما يتطلب كما قال الله - تعالى - : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ، قُلْ: هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٢)، قالوا: ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً حتى يمتلئ ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا.

وهذان هما قسما هذا الاسلوب، أي: تلقي المخاطب بغير ما يترقب، كالبيتين السابقين، وتلقي السائل بغير ما يتطلب كآلية الكريمة السابقة. ولهذا الاسلوب أثر في الكلام وقد أوضحه السكاكي بقوله: «وإنّ هذا الاسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع، سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور. وهل الآن شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسلّ سخيمته»^(٣) حتى أثر أن يحسن على أن يسيء غير أن سحره بهذا الاسلوب إذ توعد الحجاج بالقيّد في قوله: «لأحملنك على الأدهم» فقال متغابيا: «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» مبرزاً وعيده في معرض الوعد، متوصلاً أن يريه بألطف وجه أن امرء مثله في مسند الامرة المطاعة خليق بأن يُصَفِّدَ لا أن يُصَفِّدَ، وأن يَعِدَ لا أن يُوعَدَ»^(٤).

وقد أوضح القزويني كلام السكاكي فقال: «ومن خلاف المقتضى ما سماه السكاكي الاسلوب الحكيم، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة

الإسناد الخبري:

الإسناد الخبري: ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه. وصدقه مطابقته للواقع وكذبه عدمها، وقيل: صدقه مطابقته للاعتقاد وكذبه عدمها^(١).

وقد أقام عليه البلاغيون المتأخرون مباحث الخبر وأغراضه وأنواعه^(٢)، ولم يتحدثوا عن الإسناد الانشائي وقد علل السبكي ذلك بقوله: «والذي عندي في ذلك أن حقيقة الإسناد في الانشاء لا يتحقق إلا بتوسع وذلك لأن الإسناد نسبة دائرة بين المنتسبين»^(٣). وهذا صحيح، لأن الإسناد واحد وهو تعليق خبر بمخبر عنه أو مسند بمسند إليه، ولذلك يجري على الانشاء، وكان القزويني قد قال: «ما ذكرناه في الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مختصاً بالخبر بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر»^(٤).

الإسهاب:

أسهب الرجل: أكثر الكلام فهو مسهب - بفتح الهاء - ولا يقال بكسرهما وهو نادر. وقال أبو علي البغدادي: رجل مسهب - بالفتح - إذا أكثر الكلام في الخطأ فان كان ذلك في صواب فهو مسهب - بالكسر - لا غير^(٥).

قال الجاحظ: «قال أبو الحسن قيل لياس: ما فيك عيب إلا كثرة الكلام. قال: فتسمعون صواباً أم خطأ؟ قالوا: لا بل صواباً. قال: فالزيادة من الخير خير. وليس كما قال، للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل على قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيونه»^(٦). وذكر أنهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والإسهاب والاكثار لما في ذلك من التزويد

والمباهاة^(٧). وذكّر أنّ ناساً قالوا لابن عمر: ادع الله لنا بدعوات. فقال: «اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا». فقالوا: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن. قال: نعوذ بالله من الإسهاب»^(٨).

ويتضح أنّ الجاحظ يريد الإسهاب المتكلف، أما الذي يوجبه المقام فذلك محمود، قال: «فأما ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف والخطل والتزويد فانما يخرج إلى الإسهاب المتكلف وإلى الخطل المتزويد»^(٩)، وقال: «ووجدنا الناس إذا خطبوا في الصلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا بين السيماطين في مديح الملوك أطالوا، وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز»^(١٠).

وهذا ما ذهب إليه ابن منقذ حينما تحدث عن الإسهاب والاطناب والاختصار والاقتران، وقال: «اعلم أنّ كل واحد من هذه الأقسام له موضع يأتي فيه فيحمد، فإن أتى في غيره لم يُحمد. فإن كان في الترغيب والترهيب والاصلاح بين العشائر والاعذار والانداز إلى الأعداء والعساكر وما أشبه ذلك فيستحب فيه التطويل والشرح، وأما غير

(١) التعريفات ص ١٧.

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٩، الايضاح ص ١٧،

التلخيص ص ٤٠، شروح التلخيص ج ١

ص ١٩٠ المطول ص ٤٣، الأطول ج ١

ص ٥٢، التبيان في البيان ص ٣٧.

(٣) عروس الأفراح ج ١ ص ١٩١.

(٤) الايضاح ص ١٤٧، التلخيص ص ١٧٤، شروح

التلخيص ج ٢ ص ٣٤٠، المطول ص ٢٤٦،

الأطول ج ١ ص ٢٥٣.

(٥) اللسان (سهب).

(٦) البيان ج ١ ص ٩٩.

(٧) البيان ج ١ ص ١٩١.

(٨) البيان ج ١ ص ١٩٦.

(٩) البيان ج ١ ص ٢٠١.

(١٠) الحيوان ج ١ ص ٩٢ - ٩٣.

فان تهلك شئوءة أو تبدل
فسيري إن في غسان خالا
بعزهم عززت وإن يذلو
فذلهم أنالك ما أنالا

فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها
الى معانٍ طوال فمن ذلك قوله: «تهلك» أو «تبدل»،
ومنه قوله: «إن في غسان خالاً»، ومنه ما تحته معانٍ
كثيرة وشرح طويل وهو: «أنا لك ما أنالا».

وذكرها الجاحظ مرة أخرى بهذا المعنى وربطها
بالوحي والحذف وقال: «ورأينا الله - تبارك وتعالى -
إذا خاطب العرب والأغراب أخرج الكلام مخرج
الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل
أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام»^(٧).
والى ذلك ذهب العسكري^(٨) وذكر البيتين السابقين.

وفعل مثله الباقلاني^(٩)، وقال ابن رشيق: «والإشارة
من غرائب الشعر وملامحه، وبلاغته عجيبة تدل على
بعد المرمى وفرط المقدرة وليس يأتي بها إلا الشاعر
المبرز والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام
لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد
من ظاهر لفظه»^(١٠). وعدّ من أنواع الإشارة التفخيم،
والإيماء، والتعريض، والتلويح، والكناية، والتمثيل،
والرمز، واللمحة، واللغز، واللحن، والتعمية،
والحذف، والتورية. وفعل مثل ذلك ابن سنان

ذلك فيستحب فيه الاختصار والاقتصار، وقد أتى
الكتاب العزيز بهما جميعاً، وذلك لما يصلح
بالمكانين، وقد مدحت العرب التطويل والتقصير
فقالوا:

يَرمون الخُطْبِ الطوالِ وتارةً
يُومون مثلَ تَلاخِظِ الرقباءِ
ومدح بعضهم خطيباً فقال:

إذا هو أَطَنَّبَ في خُطْبَةٍ
قَضَى للمطيلِ على المُقْصِرِ
وإن هو أوجَزَ في خُطْبَةٍ
قَضَى للمُقلِّ على المُكثِرِ^(١)

وعرّفه الكلاعي تعريفاً بديعاً فقال إنّه «ما رفل ثوب
لفظه على جسده معناه»^(٢) ثم قال:

«موطن الاسهاب ما يكتب به الى عامة وتقرع به
آذان جماعة كالصلح بين العشائر والتحضيض على
الحرب والتحذير من المعصية والترغيب في الطاعة
 وغير ذلك مما له بال. فحينئذ يجب على الكاتب ان
بيدئ ويعيد ويحذر بالتكرير وينذر بالترديد»^(٣). وهذا
ما قاله الجاحظ وابن منقذ من قبل.

الإشارة:

هي الإيماء عند المتقدمين لأنّ الإشارة هي الإيماء
يقال: أشار اليه باليد أي أوماً، وأشار الرجل يشير إشارة
إذا أوماً بيديه، ويقال: شوّرتُ اليه بيدي وأشرتُ اليه:
أي لَوَّحْتُ اليه^(٤).

وعدّ الجاحظ الإشارة من أصناف الدلالات على
المعاني^(٥)، لكنه لا يريد بها المعنى البلاغي الذي
ذكره قدامة في باب «ائتلاف اللفظ والمعنى» وقال
«هو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة
بايماء أو لمحة تدلُّ عليها كما قال بعضهم وقد وصف
البلاغة فقال: هي لَمَحَةٌ دالّة»^(٦)، وذلك مثل قول
امرئ القيس:

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٨٢.

(٢) إحكام صنعة الكلام ص ٨٩.

(٣) إحكام صنعة الكلام ص ٩٠.

(٤) اللسان (شور).

(٥) البيان ج ١ ص ٧٦.

(٦) نقد الشعر ص ١٧٤، حلية المحاضرة ج ١

ص ١٣٩، نضرة الاغريض ص ٣٣.

(٧) الحيوان ج ١ ص ٩٤.

(٨) كتاب الصناعتين ص ٣٤٨.

(٩) إعجاز القرآن ص ١٣٦.

(١٠) العمدة ج ١ ص ٣٠٢.

الإشارة إما دلالة تضمن أو دلالة التزام^(٩)، أي أن الإشارة كالكناية وليست كالإيجاز.

ولم يخرج المتأخرون كالمدني^(١٠) عما بدأه قدامة بل أرجع الإشارة إليه وذكر أنها من مستخرجاته، ولا تكاد أمثله تخرج على أمثلة السابقين.

ومن أمثلة الإشارة قوله تعالى: ﴿وَوَغِيضَ الْمَاءِ﴾^(١١)، فإن ذلك يشير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض ومطر السماء ولولا ذلك لما غاض. ومنه قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغُرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾^(١٢)، فقد أشارت لفظة الأمر إلى ابتداء نبوة موسى - عليه السلام - وخطاب الله له، واعطائه الآيات البيّنات من إلقاء العصا لتصير ثعبانا وإخراج يده بيضاء وإرساله إلى فرعون وسؤاله شدة عضده بأخيه هارون إلى جميع ما جرى في ذلك المقام. وقوله

(١) سر الفصاحة ص ٢٤٣، الوافي ص ٢٦٧، قانون البلاغة ص ٤١٦، ٤٤١، نضرة الاغريض ص ٣٣، حسن التوسل ص ٢٦٣، نهاية الارب ج ٧ ص ٨، ١٤٠، كفاية الطالب ص ١٧٣.

(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٣٧.

(٣) تحرير التحبير ص ٢٠٤، بديع القرآن ص ٨٢، وينظر خزانة الادب ص ٣٥٨، نفحات ص ٢٢١.

(٤) الفوائد ص ١٢٥.

(٥) الفوائد ص ١٢٦.

(٦) مفتاح العلوم ص ١٩٦.

(٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١.

(٨) معترك الاقران ج ١ ص ٣٠٤، الاتقان ج ٢ ص ٥٦، شرح عقود الجمان ص ٧٦.

(٩) بديع القرآن ص ٨٢.

(١٠) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٠١، وينظر المنزع البديع ص ٢٦٢ والمنصف ص ٥٤، شرح الكافية ص ١٦٠.

(١١) هود ٤٤.

(١٢) القصص ٤٤.

والتبريزي والبغدادي والمظفر العلوي والحلبي والنويري^(١). وقال عبد القاهر: «كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، وكان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضل فيه»^(٢).

وقال المصري: «من الإشارة نوع يقال له اللحن والوحي، وهو يجمع العبارة والإشارة ببعده لا يفهم طريقه إلا ذو فهم، كما قال الشاعر:

ولقد وحيت لكم لكيما تفتنوا
ولحننت لحننا ليس بالمرتاب^(٣)

وقال ابن قيم الجوزية: «الإشارة أن تطلق لفظاً جلياً تريد به معنى خفياً، وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام»^(٤). وأدخل في هذا الفن بعض أمثلة الكناية، وذلك لأنه قسّم الإشارة إلى أربعة أقسام:

الاول: هو ما عرف به.

الثاني: أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكبير.

الثالث: المعميات والالغاز.

الرابع: التورية.

وقال: «إن الإشارة في الحسن والكناية في القبيح»^(٥)، وهذا هو الفرق بين الفنين عنده. وهذا التقسيم عودة إلى تقسيم السكاكي للكناية إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة^(٦)، وكأن الإشارة جزء من الكناية، وإن كانت عبارة عبد القاهر: «وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة» توحى بان كل فن من هذه الفنون قائم بنفسه.

ونقل السبكي تعريف قدامة وقال إنها من الإيجاز^(٧)، وذهب إلى ذلك السيوطي وقال إنها إيجاز القصر بعينه^(٨). وفرّق المصري بينهما وقال إن دلالة اللفظ في الإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في

حذاق الشعراء، وذلك أنّ الشاعر إذا كان بارعاً جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لأعاريضه ووزنه فجعلها نعتاً للمذكور^(٤)، وذلك كقول ذي الرمة:

قِفِ العيسِ في أطلالِ مَيَّةٍ فاشأَلِ
رُسوماً كأخلاقِ الرِداءِ المُسَلِّسِ

وعلق ابن الأثير على ذلك بعد أن أشار الى التبليغ بقوله: «والبابان المذكوران سواء لا فرق بينهما بحال، والدليل على ذلك أنّ بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافيته وكذلك بيت ذي الرمة، ألا ترى أن امرأ القيس لما قال:

كَأَنَّ عيونَ الوحشِ حَوَّلَ خبائنا
وأزْحَلنا الجزعُ.....

أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي قوله: «لم يُثَقِّبِ» وهكذا ذو الرمة فانه لما قال:

قِفِ العيسِ في أطلالِ مَيَّةٍ فاشأَلِ
رُسوماً كأخلاقِ الرِداءِ.....

أتى بالتشبيه أيضاً قبل أن يأتي بالقافية، ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي قوله: «المسلسل». واعلم أنّ أبا هلال قد سمى هذين القسمين بعينهما الايغال^(٥)

وكان أبو هلال العسكري قد نقل ذلك عن الاصمعي، قال: «وأخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرنا الصولي عن المبرد عن التوّزي قال: قلت للأصمعي: من أشعر الناس؟ فقال: من يأتي بالمعنى الخسيس

(١) الزخرف ٧١.

(٢) اللسان (شبع).

(٣) الموشح ص ١٠، اللسان (شبع).

(٤) المثل السائر ج ٢ ص ٣٥١، الجامع الكبير ص ٢٤٠.

(٥) المثل ج ٢ ص ٣٥١، الجامع ص ٢٤٠.

تعالى: ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^(١) فألمح الى كل ما تميل النفوس اليه من الشهوات وتلتذذ الأعين من المرثيات.

ومنه قول زهير:

فاني لو لقيتك وأتجّهنا
لكانَ لكلِ مُنْكَرَة كَفَاءِ

أي: قابلت كل منكرة بكفتها.

ومن أمثلة الوحي والاشارة بضرب من الاستعارة قول يزيد بن الوليد لمروان بن محمد وقد بلغه عنه تلكؤه عن بيعته: «أراك تُقَدِّمُ رِجْلاً وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى فَاذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَاقْعُدْ عَلَيَّ أَيُّهُمَا شِئْتَ».

الإشباع:

أشبع الثوب وغيره: رواه صبغاً، وقد يستعمل في غير الجواهر على المثل كإشباع النفخ والقراءة وسائر اللفظ، وكل شي توفره فقد أشبعته حتى الكلام يُشبع فتوفر حروفه^(٢).

والاشباع في القوافي هو إشباع حركة الحرف بين ألف التأسيس وحرف الروي ككسرة الصاد من قوله: كِلِينِي لِهَمْ يَا أُمِيمَةً ناصِبِ
وَلِيلِ أَقاسِيهِ بَطِيءِ الكواكِبِ
وقيل: إنّما ذلك إذا كان الروي ساكناً ككسرة الجيم من قوله:

كِنَعاجِ وَجَرَّةٍ ساقِهِنَّ الى ظلالِ الصيفِ ناجِرِ

وقيل: الاشباع اختلاف تلك الحركة اذا كان الروي مقيداً كقول الحطيئة:

الواهِبُ المائَة الصفا

يا فوقها وبر مُظاهِر

وقال الأخفش: الاشباع حركة الحرف الذي بين التأسيس والروي المطلق^(٣).

ولكن الغانمي قال عنه: «هو أن يأتي الشاعر بالبيت معلق القافية على آخر أجزاءه ولا يكاد يفعل ذلك إلا

فيجعله بلفظه كبيراً، أو الكبير فيجعله بلفظة خسيساً، أو ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى»^(١)، وذكر بيتي امرئ القيس وذو الرمة. وكان الاشباع هنا اشباع المعنى وان كان كاملاً.

الاشترَاك:

الشركة مخالطة الشريكين، يقال: اشتركتنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركوا وشارك أحدهما الآخر، والشريك المشارك، وطريق مُشترك: يستوي فيه الناس، واسم مشترك تشترك فيه معانٍ كثيرة^(٢).

والاشترَاك أو المشاركة عدة أنواع: منها ما يكون في اللفظ، ومنها ما يكون في المعنى. فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء:

الأول: أن يكون اللفظان راجعين الى حدٍّ واحدٍ ومأخوذين من حدٍّ واحد، وذلك اشترَاك محمود وهو التجنيس^(٣).

الثاني: أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكًا
أبو أمه حيُّ أبوه يُقَارِبُهُ

فقوله: «حي» يحتمل القبيلة ويحتمل الواحد الحي، وهذا الاشترَاك مذموم، والمليح الذي يحفظ لكثير في قوله يشبب:

لعمري لقد حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ

التي وما تدري بذاك القصائرُ

عَنِيَتْ قَصِيرَاتِ الْجِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ

قَصَارَ الْخُطَى شَرُّ النِّسَاءِ الْبِحَاتِرِ^(٤)

فانه لما أَحَسَّ بالاشترَاك نفاه وأغرب عن معناه الذي نحا إليه.

الثالث: ليس من هذا في شيء، وهو سائر الألفاظ

ألا قد أرى واللّه أن لَسْتُ منكم
وأن لَسْتُ مني وإن كُنْتُمْ أهلي
وقول الآخر:

ألا قد أرى واللّه أنني مَيِّتٌ

ونخل مقيمٌ سِدْرُهَا أو بسالها^(٥)

ومما يعتمده قوم سرقا وليس بسرقة وإنما هو اشترَاك في اللفظ قول عنتره:

ألا قاتلَ اللّهُ النوى كيف أصبحت

أَلْحَ عَلَيْهَا يابثين صريرُهَا

وقول جميل:

ألا قاتلَ اللّهُ النوى كيف أصبحت

أَلْحَ عَلَيْهَا يابثين صريرُهَا^(٦)

والاشترَاك في المعاني نوعان:

الأول: أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة عنهما فيتباعد اللفظان وذلك هو الجيد المستحسن.

(١) كتاب الصناعتين ص ٣٨٠.

(٢) اللسان (شرك).

(٣) ينظر المنزِع البديع ص ٥٠٦.

(٤) البحائر؛ القصار، وهي جمع بحتر، أي قصيرة.

(٥) السدر؛ شجر النبق. وفي معجم البلدان (نخلة)؛

بأرض مقيم سدرها وسيالها.

(٦) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٦٨.

الثاني: وهو على ضربين:

أحدهما: ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل وبالثور والحمار؛ والحسن بالشمس والقمر.

والآخر: ضرب كان مخترعاً ثم كثر حتى استوى فيه الناس وتواطأ عليه الشعراء آخرًا عن أول^(١).

ولم يخرج البلاغيون عما تقدم مما ذكره ابن رشيق والحاتمي فقد قسمه المصري الى معنوي ولفظي، وَفَرَّقَ بين الاشتراك اللفظي والإيضاح بقوله: «إنَّ الاشتراك في الالفاظ والايضاح في المعاني»^(٢). وتبعهم الحلبي والنويري والسيوطي^(٣) وسماه الحموي والمدني «المشاركة»^(٤) ولخصا كلام السابقين.

الاشتغال:

الاشتغال من اشتغل واشتغل فلان بأمره فهو مشتغل^(٥). والاشتغال عند النحاة هو «أن يسبق اسم عاملاً مشتغلاً عنه بضميره، أو ملابسه لو تفرغ له هو أو مناسبة لنصبه لفظاً أو محلاً فيضمير للاسم السابق عند نصبه عامل مناسب للعامل الظاهر مفسرٌ به»^(٦).

ولا يريد البلاغيون ذلك وإنما نظروا اليه من حيث المعنى فقال الزركشي: «إن الشيء اذا أضمر ثم فسر كان أفخم مما اذا لم يتقدم اضمار. ألا ترى أنك تجد اهتزازاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾^(٧) وفي قوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾^(٨) ونظائره. فهذه فائدة اشتغال الفعل عن المفعول بضميره»^(٩).

الاشتقاق:

اشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يميناً وشمالاً واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه^(١٠). والاشتقاق: «نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيباً ومغايرتها في الصيغة»^(١١). وقسموا الانشقاق الى:

١- الاشتقاق الصغير: وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب نحو «ضرب» من الضرب.

٢- الاشتقاق الكبير: وهو أن يكون اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو «جذب» من الجذب.

٣- الاشتقاق الاكبر: وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو «نعق» من النهق^(١٢).

وذكر الحموي والسيوطي والمدني^(١٣) أن الاشتقاق بمعناه البلاغي من مستخرجات أبي هلال العسكري وليس في كتاب الصناعتين هذا المصطلح وإنما هناك «المشتق» الذي قال عنه العسكري في آخر أنواع البديع: «وقد عرض لي بعد نظم هذه الأنواع آخر لم يذكره أحد وسميته المشتق وهو وجهين: فوجه منهما أن يشتق اللفظ من اللفظ، والآخر أن يشتق المعنى من اللفظ. فاشتقاق اللفظ من اللفظ هو مثل قول الشاعر في رجل يقال له ينخاب:

(١) العمدة ج ٢ ص ٩٦ وما بعدها، وينظر كفاية الطالب ص ١٠٤.

(٢) تحرير التحبير ص ٣٤٢.

(٣) حسن التوسل ص ٣١٦، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٨، شرح عقود الجمان ص ١٣٩، شرح الكافية ص ١٧٥.

(٤) خزانة الادب ص ٣٦٥، أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٢٠، نفحات الأزهار ص ٢٨٨.

(٥) اللسان (شغل).

(٦) شرح الاشموني ج ١ ص ١٨٧.

(٧) التوبة ٦.

(٨) الاسراء ١٠٠.

(٩) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٩٠.

(١٠) اللسان (شقق).

(١١) التعريفات ص ٢١.

(١٢) الخصائص ج ١ ص ٥ وما بعدها، التعريفات ص ٢١.

(١٣) خزانة الادب ص ٣٦٨، شرح عقود الجمان ص ١٣٦، أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٧٦.

وكيف يَنْجَحُ مَنْ نِصْفُ اسْمِهِ خَابَا

وقلت في البانياس:

في البانياس إذا أوطئت ساحتها
خَوْفٌ وَحَيْفٌ وَاقْلَاسٌ وَافْلَاسٌ^(١)

وكيف يطمع في أمن وفي دَعَاةٍ
من حلّ في بلدٍ نِصْفُ اسْمِهِ يَأْسُ
واشتقاق المعنى من اللفظ مثل قول أبي العتاهية:

حَلِقَتْ لَحِيَةَ مُوسَى بِاسْمِهِ
وَبَهَارُونَ إِذَا مَا قُلِبَا

وقال ابن دريد:

لو أوحى النحْوُ الى نَفْطُوِيهِ
ما كان هذا النحْوُ يُقْرَأُ عَلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ
وَصَيَّرَ الْبَاقِي صُرَاخًا عَلَيْهِ^(٢)

ونقل الحموي هذا الكلام وقال: «وهذا النوع ما ذكره القاضي جلال الدين في التلخيص ولا في الايضاح ولا ذكره الشهاب محمود في حسن التوسل ولا نظمه العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلبي^(٣)».

ونظمه المدني بعد ذلك فقال:

لَمْ تُبْقِ بَدْرٌ لَهُمْ بَدْرًا وَفِي أَحَدٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَحَدٍ عِنْدَ اشْتِقَاقِهِمْ

وذكر تعريف العسكري وبعض أمثله^(٤).

هذا هو الفن الذي سماه العسكري «المشتق» وسماه الحموي والمدني «الاشتقاق» غير أن الاشتقاق عند البلاغيين غير ذلك، فهو المشتق عند البغدادي مثل قول خالد بن صفوان العبدي: «هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم»^(٥). وعند الوطواط: «أَنْ يُورِدَ الْكَاتِبُ أَوْ الشَّاعِرُ فِي نَثْرِهِ أَوْ نَظْمِهِ الْفَإْظَا مَتَقَارِبَةَ الْحُرُوفِ فِي النَّطْقِ»^(٦) وعند الرازي أَنْ تَجِيءَ بِالْفَإْظَا يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ فِي الْلُغَةِ^(٧). كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

الْقَيِّمِ﴾^(٨)، وهو من التجنيس عند ابن الاثير^(٩).

وعقد له ابن الزمكاني فصلا مستقلا عن التجنيس وقال: «الاشتقاق هو أَنْ تَأْتِيَ بِالْفَإْظَا يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ وَيَكُونُ مَعْنَاهُ مُشْتَرِكًا كَمَا أَنَّ حُرُوفَهُ الْأَصُولُ مُشْتَرِكَةٌ فَتَزِيدُ عَلَى مَعْنَى الْأَصْلِ تَغَايِيرَ اللَّفْظَاتَيْنِ بَوَاجِهٍ»^(١٠). كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾^(١١). وقال: «ومما يشبه المشتق وليس بمشتق قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾»^(١٢)، وإن أصل كل واحد من الكلمتين غير أصل الأخرى ف«جنى» من «جنى الشيء يجنيه» إذا قطعه و«الجنة» من «جنته الله إذا ستره»^(١٣).

وربط التنوخي بين هذا الاشتقاق واشتقاق أهل النحو وقال: «ومن البيان ما يستند الى الاشتقاق المعروف عند أهل النحو»^(١٤).

وسماه بعضهم «الاقتضاب»^(١٥) وقال ابن الجوزية: «هو من باب التجنيس وإنْ عُدَّ أَصْلًا بِرَأْسِهِ

(١) بانياس؛ مرفأ في سورية جنوبي اللاذقية. القلس؛ ما خرج من البطن الى الفم من الطعام او الشراب..

(٢) كتاب الصناعتين ص ٤٢٩.

(٣) خزانة ص ٣٦٨، وينظر المنزح البديع ص ٥٠٢، نفحات ص ٢٤٤، شرح الكافية ص ١٨٧.

(٤) أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٧٦.

(٥) قانون البلاغة ص ٤٠٩.

(٦) حدائق السحر ص ١٠٣.

(٧) نهاية الايجاز ص ٣٠.

(٨) الروم ٤٣.

(٩) المثل السائر ج ٢ ص ٣٣٧، الجامع الكبير ص ١٩٨.

(١٠) التبيان ص ١٦٩.

(١١) الروم ٤٣.

(١٢) الرحمن ٥٤.

(١٣) التبيان ص ١٧٠.

(١٤) الأقصى القريب ص ٨٧.

(١٥) حدائق السحر ص ١٠٣.

الاضطراف:

الصَّرْف: ردّ الشيء عن وجهه والصَّرْف: التَّقَلُّب
والحيلة، يقال: فلان يَصْرِف ويَتَصَرَّف ويَصْطَرِف
لعياله أي يَكْتَسِب لهم واصْطَرِف في طلب
الكسب، قال العجاج:
قد يَكْسِبُ المَالَ الهدانُ الجافي
بغير ماعَصْفٍ ولا اضطرافٍ^(٨)

وقال الحاتمي: «الاضطراف هو صرف الشاعر الى
أبياته وقصيدته بيتًا أو بيتين أو ثلاثة لغيره فيضيفها
الى نفسه ويصرفها عن قائلها وكان كُثِيرٌ كثيرًا ما
يصرِف شعر جميل الى نفسه ويهتدمه»^(٩).

وقال ابن رشيق: «الاضطراف أن يعجب الشاعر بيت
من الشعر فيصرفه الى نفسه فإن صرفه اليه على جهة
المثل فهو اجتلاب واستلحاق، وإن ادّعه جملة فهو
انتحال... أما الاضطراف فيقع من الشعر على نوعين:
أحدهما: الاجتلاب، وهو الاستلحاق أيضًا.

والآخر: الانتحال.

فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني:

وصهباء لا تُخفي القذى وهو دُونُهَا
تُصَفِّقُ في راووقها حين تقطب

تَمَزَّرْتُهَا والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نَعَشٍ دَنُوا
فَتَصَوَّبُوا فاستلحق البيت الأخير فقال:

واجانة رِيَا السرور كأنها
إذا عُمِسَتْ فيها الزجاجة كوكب

(١) الفوائد ص ٢٢٠.

(٢) اللسان (شرف).

(٣) معالم الكتابة ص ٧٨.

(٤) اللسان (صوب).

(٥) البيان ج ١ ص ٢٢٨.

(٦) البديع ص ٥٩.

(٧) خزانة الأدب ص ٤٥٨.

(٨) اللسان (صرف).

(٩) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٦١.

وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في
اللغة»^(١). كالأية السابقة وكقول أبي تمام:

عَمَمَتِ الخَلْقَ من نُعماك حتى
غدا الثقلانِ منها مُثَقَلَيْنِ

ثم قال: «هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس
التجنيس» وهو ما ذهب اليه ابن الاثير قبل ذلك.

الإشراف:

يقال: أشرف لك الشيء: أمكنك وشارف الشيء
دنا منه وقارب أن يظفر به^(٢). وقال ابن شيث القرشي:
«هو أن ينظر الى القافية فيشرف عليها بخاطره ويبنى
الأمر عليها فإن ذلك أهون عليه فيما يكتبه ولا يدور
على القافية فيطول عليه الكلام فكأنها وإن كانت آخر
الكلام مبتدؤه في النفس وهو قول بعضهم «أول الفكرة
آخر العمل»^(٣).

إصابة المقدار:

يقال: أصاب أي جاء بالصواب وأصاب السهم
القرطاس إذا لم يخطئ^(٤) وذكره الجاحظ فقال:
«قال طرفة في المقدار واصابته:

فسقى ديارك - غَيْرَ مُفْسِدِهَا -

صَوَّبُ الغمام وديممة تَهْمِي

طلب الغيث على قدر الحاجة لأن الفاضل ضار»^(٥).

وسماه ابن المعتز «الاعتراض» وقال عنه: «ومن
محاسن الكلام أيضًا والشعر اعتراض كلام في كلام
لم يتم معناه ثم يعود اليه فيتممه في بيت واحد»^(٦)
كقول كُثِيرٍ.

لو انَّ الباخلينَ - وأنتِ منهم -

رَأوكِ تَعَلَّموا منك المطالا

وسماه الحموي «الاحتراس»^(٧) وذكر بيت طرفة
السابق، وتسمية الجاحظ طريفة لأنها تدلُّ على
المعنى دلالة واضحة.

تَمَزَّرَتْهَا وَالذِيكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ
إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا
وربما اجتلب الشاعر البيتين فلا يكون في ذلك بأس
كما قال عمرو ذو الطوق:

صَدَدَتْ الكَأْسَ عَنَا أُمَّ عَمْرُو
وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا الِيميْنَا
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرُو
بِصَاحِبِكَ الذِي لَا تُصْبِحِينَا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته، وكان
أبو عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيبًا.

والانتحال عندهم قول جرير:

إِنَّ الذِينَ غَدَاوَا بِلِبِكَ غَادَرُوا
وَشَلًّا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيِّضَنَّ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي
مَاذَا لَقَيْتَ مِنَ الهَوَى وَلَقِينَا

فان الرواة مجمعون على أَنَّ البيتين للمعلوط
السعدي انتحلها جرير^(١). وكان الحاتمي قد
عُني بهذا الفن وذكر أَنَّ كُثِيرَ عَزَّةَ كَانَ كَثِيرًا مَا
يَصْطَرِفُ شَعْرَ جَمِيلٍ إِلَى نَفْسِهِ وَيَهْتَدِمُهُ وَقَالَ:
«وَأَذْكَرُ هُنَا قَدْرًا مِنْ اصْطِرَافٍ غَيْرِهِ يَسْتَدَلُّ بِهِ
عَلَى مَعْنَى الاصْطِرَافِ. أَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدَ عَيْسَى
بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الطَّاهِرِيِّ عَنِ الدَّمَشْقِيِّ قَالَ: أَخْبَرْنَا
الزَّبِيرُ بْنُ بَكَارٍ قَالَ أَخْبَرْنَا عَمْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
المَوْصِلِيُّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ كَثِيرًا
أَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

إِذَا الْغُرُّ مِنْ نَوْءِ الثَّرِيَا تَجَاوَبَتْ

حَمِينَا بِأَجْوَاذِ الْفَلَاةِ قَطَارُهَا

فَمَرَّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ عَلَى أَبِي ذُوَيْبِ الْهَذَلِيِّ فِي
قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا

وَإِلَّا طُلُوعُ الشَّمْسِ ثُمَّ غِيَاؤُهَا

فَأَخَذَ مِنْهَا بَيْتَيْنِ وَهُمَا:

وَعَيَّرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّي أَحْبَبْتُهَا
وَتَلَّكَ وَشَاةٌ طَائِرٌ عَنْكَ عَاذُهَا
وَإِنْ اعْتَذَرَ مِنْهَا فَأَنِّي مَكْذَبٌ
وَإِنْ تَعْتَذَرَ يَرُدُّ عَلَيْكَ اعْتِذَارُهَا
فاستضافهما جميعا واصطرفهما...

ومن الاضطراف ما أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن
جعفر قال: أخبرنا المبرد عن المازني قال: قال
جرير:

لَوْ شِئْتَ قَدْ نَقَعَ الْفُوَادَ بِمَشْرَبٍ
يَدْعُ الْحَوَائِمَ لَا يَجِدُنْ غَلِيْلًا

مِنْ مَاءِ ذِي رَصْفِ الْقَلَاةِ مَمْنَعٍ
قَطْنِ الْأَبَاطِحِ مَا يَزَالُ ظَلِيْلًا

فقال المهرول العامري، واصطرف الأول واهتمدم
الثاني:

لَوْ شِئْتَ قَدْ نَقَعَ الْفُوَادَ بِمَشْرَبٍ
يَدْعُ الْحَوَائِمَ لَا يَجِدُنْ غَلِيْلًا

مِنْ مَاءِ ذِي رَصْفِ الْقَلَاةِ مَمْنَعٍ
يَعْلُو أَشْمَ عَلَى الْجِبَالِ طَوِيْلًا^(٢)

الاضطلام:

الاضطلام من قولهم: اضطلم من الصلم وهو
القطع^(٣). قال السجلماسي: «هو قول مركب من
أجزاء فيه مشتملة بجملتها على مضمون تنقص عنه
ب طرح جزء منها هو عمدة أو في حكم العمدة في
الاقتران لافادة ذلك المضمون»^(٤) وهو نوعان:
الحذف المقابلي. والحذف المقابلي. وسيأتي الاكتفاء، اما
الحذف المقابلي فهو «الاحتباك» وقد تقدم.

(١) العمدة ج ٢ ص ٢٨١ وما بعدها.

(٢) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٦١ - ٦٢.

(٣) اللسان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

(٤) المنزعة البديع ص ١٨٧.

الإضمار:

الضمير: السرّ وداخل الخاطر، والضمير: الشيء الذي تضره في قلبك وأضمرت الشيء: أخفيته، وهو مضمر وضمّار^(١).

وللضمائر جانبان: أحدهما يتعلق بجانب الاعراب، والآخر يتعلق بجانب المعاني.

والثاني هو الذي يتحدث عنه البلاغيون، وقد قالوا إنّ ضمير الشأن والقصة كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢)، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾^(٣). إنّما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيه من جهة اضماره أولاً وتفسيره ثانياً؛ لأنّ الشيء إذا كان مبهمًا فالنفوس متطلعة الى فهمه ولها تشوق اليه فلاجل هذا حصلت فيه البلاغة، ولأجل ما فيه من الاختصاص والابهام لا يكاد يرد إلا في المواضع البليغة المختصة بالفخامة ومثل ذلك الضمير في «نعم» و«بس» فهو إنّما اضمر على جهة المبالغة في المدح والذم وهو من الباب الذي ابهم ثم فسّر، فتوجه البلاغة فيه من حيث كان مبهما فكان للافتدة تطلع الى فهمه وللقلوب تعلق به ولها غرام بايضاحه.

ومثل ذلك الضمير المتوسط بين المبتدأ والخبر وعواملهما وهو العماد أو الفصل كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾^(٤) وقوله: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقْلُ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾^(٦). ووروده من أجل التأكيد المعنوي وفيه دلالة على الاختصاص، فقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ورَد الضمير على هذه الصيغة للتأكيد لأنّ الكلام مع ذكرها أبلغ ولو قيل «والكافرون الظالمون» باسقاط الضمير لكان هناك فرق بين الحالتين في التأكيد وعدمه وهي مفيدة للإختصاص أي أنّهم لكفرهم اختصوا بمزيد الظلم الفاحش. وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(٧) فيه دلالة على مزيد اختصاصهم بالايان واستحقاقهم لصنعتهم من

بين سائر الخلق فيؤخذ الاختصاص والتأكيد في هذا الضمير^(٨).

الإضمار على شريطة التفسير:

ومن الإضمار ما يُسمّى «الإضمار على شريطة التفسير» وذلك مثل قولهم: «أكرمني وأكرمت عبد الله» أي: أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله، ثم ترك ذكره استغناء بذكره في الثاني. ومما يشبه ذلك مجيء المشيئة بعد «لو» وبعد حرف الجزاء موقوفة معداة الى شيء كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾^(٩) والتقدير: ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم، إلا أنّ البلاغة في الحذف.

ومتى كان مفعول المشيئة أمرًا عظيمًا أو بديعًا غريبًا كان الأولى ذكره والا فالحذف أولى، مثال الأول قوله:

ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيتهُ

عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

لما كانت مشيئة الانسان أن يبكي دمًا أمرًا عظيمًا عجيبًا كان الأولى التصريح به. ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(١٠).

وقد تترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة كقول البحري:

(١) اللسان (ضم).

(٢) الاخلاص ١.

(٣) الحج ٤٦.

(٤) القصص ٥٨.

(٥) الكهف ٣٩.

(٦) الزخرف ٧٦.

(٧) الانفال ٤، ٧٤.

(٨) الطراز ج ٢ ص ١٤١، وينظر الروض المربع ص ١٦٣.

(٩) الانعام ٣٥.

(١٠) الشورى ٢٤.

سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضى الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما شيء. وأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضى جميع الناس شيء لا تناله، وقد كان يقال: رضى الناس شيء لا يُنال»^(٨).

الإطراد:

الإطراد مصدر اطرَدَ الشيء: إذا تبع بَعْضُهُ بَعْضًا وجرى، والأنهار تَطْرُدُ أي: تجري، وبغير مطرد: وهو المتتابع في سيره ولا يكبو، واطرَد الأمر: استقام، واطردت الأشياء: إذا تبع بعضها بعضًا، واطرد الكلام: إذا تتابع^(٩).

قال ابن رشيقي: «ومن حسن الصنعة أن تطرد الاسماء من غير كلفة ولا حشو فارغ فانها إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر وقلة كلفته ومبالاته بالشعر»^(١٠)، كقول الأعشى:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

- (١) الاسراء ١٠٥.
- (٢) الاخلاص ١ - ٢.
- (٣) دلائل الاعجاز ص ١٢٥، نهاية الايجاز ص ١٤٢، حسن التوسل ص ١٦٩ نهاية الأرب ج ٧ ص ٧٩، التبيان ص ١١٧، البرهان الكاشف ص ٢٤٦، الايضاح ص ١٠٥، التلخيص ص ١٢٨، شروح التلخيص ج ٢ ص ١٣١، المطول ص ١٩٣، الاطول ج ١ ص ٢٠٥.
- (٤) اللسان (طول).
- (٥) البيان ج ١ ص ١١٥، وينظر زهر الآداب ج ١ ص ١١٣.
- (٦) الخصائص ج ١ ص ٣٠.
- (٧) البيان ج ١ ص ١١٢.
- (٨) البيان ج ١ ص ١١٦، وينظر الروض المريع ص ٨٣.
- (٩) اللسان (طرد)، خزانة ص ١٦٠، أنوار الربيع ج ٣ ص ٣٢٤.
- (١٠) العمدة ج ٢ ص ٨٢.

قد طَلَبْنَا فلم نَجِدْ لك في السؤ

دِدِ والمجدِ والمكارمِ مثلاً

المعنى: قد طلبنا لك مثلاً، ثم حذف لأن هذا المدح إنما يتم بنفي المثل فلو قال: قد طلبنا لك مثلاً في السؤدد والمجد فلم نجده لكان قد أوقع نفي الوجود على ضمير المثل فإن الكناية لا تبلغ مبلغ التصريح ولهذا لو قيل: «وبالحق أنزلناه وبه نزل» و«قل هو الله أحد وهو الصمد» لذهبت الفخامة التي في قوله تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾^(١)، وقوله: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد﴾^(٢). وعلى ذلك قول الشاعر:

لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شيءٌ

نَغَصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرا^(٣)

الإطالة:

يقال: طال الشيء طولاً وأطلته إطالة أي حددته وجعلته طويلاً^(٤). وكان بعض البلغاء لا يميلون الى الاطالة بل كان بعضهم لا يكاد يتكلم كعمرو ابن عبيد الذي قال الجاحظ عنه: «كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم فاذا تكلم لم يكذب يطيل. وكان يقول: لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شاهده دون نفسه، وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف، ولا خير في شيء يأتيك به التكلف»^(٥) وذكر ابن جني أن «الاطالة والايجاز جميعاً انما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه»^(٦). فالاطالة لها مقتضاها وللایجاز مقتضاها في الكلام، ولكن بعضهم حدد موقف الاطالة فقال شبيب ابن شيبه: «فاذا ابتليت بمقام لا بُدُّ لك فيه من الاطالة فقدم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد. وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً فان قليلاً كافياً خيراً من كثير غير شاف»^(٧). وتحدث ابن المقفع عن الاطالة فقد قيل له: «فإن ملَّ السامع الاطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف»؟ قال: «إذا اعطيت كل مقال حقه وقمت بالذي يجب من

ولم يخرج ابن مالك والحلي والنويري وابن الاثير الحلي والقزويني والسبكي والتفتازاني والحموي والسيوطي والاسفراييني والمغربي والمدني والدمهوري على السابقين^(٥) وفرق العلوي بينه وبين الاستطراد بقوله: «إن الاستطراد يكون كلام ثم تدخل عليه كلامًا أجنبيًا عنه ثم ترجع الى الأول؛ بخلاف الاطراد فانه ذكر اسم الممدوح بعينه ليزداد إبانةً وتوضيحًا على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف في النظم ولا تعسف في السبك حتى يكون ذكر الاسم في سهولته كاطراد الماء وسهولة جريه وسيلانه»^(٦).

هذا هو الاساس عند معظم البلاغيين وسماه بعضهم «ذكر الاسماء مطلقًا»^(٧) وهي تسمية صحيحة وإن كان الأول أكثر دورانًا وأقرب دلالة على هذا الفن.

الإطناب:

الاطناب: البلاغة في المنطق والوصف مدحًا كان

- (١) العمدة ج ٢ ص ٨٤.
- (٢) تحرير التحبير ص ٣٥٢، بديع القرآن ص ١٤١.
- (٣) يوسف ص ٣٨.
- (٤) منهاج البلغاء ص ٣٢٠.
- (٥) المصباح ص ٨٣، حسن التوسل ص ٢٨٤، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٥٥، جوهر الكنز ص ٢٤٠، الايضاح ص ٣٨٢، التلخيص ص ٣٨٧، عروس الافراح ج ٤ ص ٤١٠، المطول ص ٤٤٥، المختصر ج ٤ ص ٤١٠، خزانة ص ١٦٠، معترك ج ١ ص ٣٨٥، الاتقان ج ٢ ص ٨٧، شرح عقود الجمان ص ١٣٣، الأطول ج ٢ ص ٢٢١، مواهب الفتاح ج ٤ ص ٤١٠، أنوار الربيع ج ٣ ص ٣٢٤، حلية اللب ص ١٤٩، نفحات الأزهار ص ١٣٠، كفاية ص ٢٠٦، شرح الكافية ص ١٣٢.
- (٦) الطراز ج ٣ ص ٩٣.
- (٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤١١.

فأتى كالماء الجاري اطرادًا وقلة كلفة وبين النسب حتى أخرجه عن مواضع اللبس والشبهة.

ومما تعسف فيه المتنبي قوله لسيف الدولة الحمداني:

فأنت أبو الهيجا ابن حمدون يا ابنه

تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حارث

وحارث لقمان ولقمان راشد

قال ابن رشيق: «ففي هذا المعنى من التقصير أنه في بيتين وأنه جعلهم أنياب الخلافة بقوله:

أولئك أنيابُ الخلافةِ كُلِّها

وسائر أملاك البلاد الزوائد

وهم سبعة بالممدوح والأنياب في المتعارف أربعة إلا أن تكون الخلافة تمساح نيل أو كلب بحر، فان أنياب كل واحد منهما ثمانية. اللهم إلا أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة فانه يصح. وفيه من الزيادة على ما قبله أنه زاد واحدًا في العدد فانه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة الى أن بلغ راشدًا ولم يقصد الى ذلك أحد من أصحابه وانما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد وهي أربعة أسماء»^(١).

وقال المصري عن الاطراد: «هو أن تطرد للشاعر

أسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفًا لأنها لا تكون إلا أسماء آباءه تأتي منسوبة صحيحة التسلسل غير منقطعة من ظهور كلفة على النظم ولا تعسف في السبك بحيث يشبه تحدرها باطراد الماء لسهولته وانسجامه فمتى جاءت كذلك دلت على قوة عارضة الشاعر وقدرته»^(٢). وذكر بعض أمثلة ابن رشيق وقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(٣) حكاية عن يوسف عليه السلام. وقال القرطاجني: «وما كان في أقصى الرتب من ذلك وما يليها من الأوساط فهو الذي يسمى الاطراد»^(٤).

الأول: الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام وهو يَرِدُ حقيقةً ومجازاً؛ أما الحقيقة فمثل «ذقته بقمي»؛ وإنما جيء به كذلك للتأكيد وللدلالة على نيته والحصول عليه؛ كقول البحري:

تَأْمَلُ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ وَانظُرْ

بِعَيْنِكَ مَا شَرِبْتُ وَمَا سَقَانِي

تَجِدُ شَمْسَ الضُّحَى تَدْنُو بِشَمْسِ

الْيَّ مِنْ الرَّحِيقِ الْخَشِرَوَانِي

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾^(١٠).

وأما ما جاء منه على سبيل المجاز فقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ؛ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١١).

الثاني: المختص بالجميل فإنه يشتمل على أربعة أضرب:

الأول: أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعانٍ متداخلة إلا أن كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر؛ كقول أبي تمام:

قَطَعَتْ الْيَّ الزَابِيْنَ هِبَاتِهِ

وَالثَّاتِ مَأْمُولِ السَّحَابِ الْمَسْبِلِ

(١) اللسان (طنب).

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٧.

(٣) البيان ج ١ ص ٩١، ١٩٥.

(٤) الكامل ج ١ ص ٢٧.

(٥) كتاب الصناعتين ص ١٩٠.

(٦) الخصائص ج ١ ص ٣٠.

(٧) مفتاح العلوم ١٣٣.

(٨) الايضاح ص ١٧٦، التلخيص ص ٢٠٩، شروح

التلخيص ج ٣ ص ١٥٩، المطول ص ٢٨٢،

الاطول ج ٢ ص ٣٢.

(٩) المثل السائر ج ٢ ص ١٢٨، وتنظر ص ١٥٦.

(١٠) الأحزاب ٤.

(١١) الحج ٤٦.

أو ذمًا، وأطنب في الكلام: بالغ فيه، وأطنب في الوصف: اذا بالغ واجتهد. وأطنب في الكلام أيضًا - إذا أبعد، وأطنب الابل: إذا تبع بعضها بعضًا في السير^(١). وهذه المعاني كلها تدل على الطول والتتابع والاطناب من أقدم الفنون التي تحدث القدماء عنها، وكان الجاحظ قد اشار إليه كثيرًا، وقال إنه ليس باطالة ما لم يجاوز الكلام الحاجة^(٢). وقال إن سهل بن هارون كان شديد الاطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة، وبالحنونة والرفخامة وجودة اللهجة والطلاوة^(٣). وتحدث المبرد عن الاطناب^(٤) وبحثه العسكري في كتاب الصناعتين وقال: «القول القصد أن الايجاز والاطناب يحتاج اليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة الى الايجاز في موضعه كالحاجة الى الاطناب في مكانه. فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الاطناب في موضع الايجاز واستعمل الايجاز في موضع الاطناب أخطأ»^(٥).

وأوضح ابن جني أهمية كل منهما بقوله: «والاطالة والايجاز جميعًا انما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه»^(٦). وأدخله السكاكي في مباحث علم المعاني وقال: «هو أدأؤه - الكلام - بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة الى الجمل أو الى غير الجمل»^(٧). وتبعه في هذا القزويني وشرح تلخيصه^(٨).

وقال ابن الاثير: «والذي يُحَدُّ به أن يقال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. فهذا حَدُّه الذي يميزه عن التطويل؛ إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأما التكرير فإنه دلالة على المعنى مرددًا»^(٩). وذكر أن الاطناب يوجد تارة في الجملة الواحدة من الكلام؛ ويوجد تارة في الجمل المتعددة؛ والذي يوجد في الجمل المتعددة أبلغ لاتساع المجال في ايراده. وعلى هذا فإنه قسمان:

ولا يخرج كلام المتأخرين عما ذكره السابقون بل سار بعضهم كالعلوي على خطى ابن الاثير وقد أجمعوا على أن هذا الفن أسلوب له أهدافه في التعبير ولذلك يقف الى جانب الايجاز والمساواة؛ لأن لكل واحد منها هدفه الذي لا يحققه غيره أحسن تحقيق^(٣). وللأطناب عدة أساليب تحدث عنها القدماء وحددوها في ضوء تقسيماتهم لفنون البلاغة.

الإطناب بالاعتراض:

وهو أن يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجمله أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة كالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٤).

والدعاء في قول المتنبي:

وتحتقر الدنيا احتقاراً مُجَرَّبِ
يرى كُلَّ ما فيها - وحاشاك - فانيا

وقول عوف بن محلم الشيباني:

إنَّ الثمانين - وبلغتها -
قد أحوجت سمعي الى تزجمان

(١) التوبة ٤٤ - ٤٥.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ١٢٧، الجامع الكبير ص ١٤٦.

(٣) الرسالة العسجدية ص ٩٩، الأقصى القريب ص ٧٠، جوهر الكنز ص ٢٥٦، الايضاح ص ١٩٥، التلخيص ص ٢١٠، الطراز ج ٢ ص ٢٢٩، ج ٣ ص ٣١٨، الفوائد ص ١٠٦، عروس الافراح ج ٣ ص ١٦٠، المختصر ج ٣ ص ١٦٣، المطول ص ٢٨٢، معترك ج ١ ص ٢٩٤، ٣٣٣، الاتقان ج ٢ ص ٥٣، شرح عقود الجمان ص ٩٧، الأطول ج ٢ ص ٣٢، مواهب الفتاح ج ٣ ص ١٦٣، ١٧١، حلية اللب ص ٩٩، المنزح البديع ص ٣٢٤، التبيان في البيان ص ١٢٤.

(٤) النحل ٥٧.

من منة مشهورة وصنيعة

بكر واحسانٍ أغرَّ مُحَجَّلِ

فالبيت الثاني تداخلت معانيه؛ إذ المنة والصنيعة والاحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك بتكرير؛ لأنه لو اقتصر على قوله: «منة وصنيعة واحسان» لجاز أن يكون تكريراً ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير.

الثاني: يُسمى النفي والاثبات؛ وهو أن يُذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الاثبات أو بالعكس؛ ولا بد من أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر وإلا كان تكريراً؛ والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^(١) فقد قال: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلا أنه زاد في الثانية قوله: ﴿وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين التكرير.

الثالث: هو أن يذكر المعنى الواحد تاماً لا يحتاج الى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كقول البحرني:

ذاتُ حُسنٍ لو استزادتْ

من الحُسنِ اليه لما أصابتْ مزيدا

فهي كالشمس بهجةً والقضيبِ

اللَّدنِ قَدًّا والرِّيمِ طَرْفًا وجيدا

فقد أفاد التشبيه تصويراً وتخبيلاً لا مزيد على حسنه.

الرابع: أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا أصعب الأنواع لأنه يتفرع الى أساليب كثيرة من المعاني^(٢).

والتنبيه في قول الشاعر:

واعلّم - فعلم المرء ينفعه -

أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا

وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر علق بهما كقوله تعالى: ﴿وَوَضَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتُهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾^(١).

والمطابقة مع الاستعطاف في قول المتنبي:

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه

يا جنّتي لرأيت فيه جهنّما

والتنبيه على سبب أمر فيه غرابة كما في قول الشاعر:

فلا هجره يبدو - وفي اليأس راحة -

ولا وصله يبدو لنا فنكارمه^(٢)

الإطناب بالإيضاح:

يؤتى بالاطناب بالإيضاح بعد الابهام ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن فإنّ المعنى إذا ألقى على سبيل الاجمال والابهام تشوقت نفس السامع الى معرفته على سبيل التفصيل والايضاح فتتوجه الى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم. أو لتكمل اللذة بالعلم به فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة واحدة لم يتقدم حصول اللذة به ألم وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس الى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ثم إذا حصل لها العلم به حصلت له لذة أخرى واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم.

أو يؤتى به لتفخيم الأمر وتعظيمه كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾^(٣) والمقام مقتضى للتأكيد للارسال المؤذن بتلقي المكاره والشدائد. كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾^(٤).

ففي ابهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له.

ومن الايضاح بعد الابهام باب «نعم» و«بئس» إذ لو لم يقصد الاطناب لقليل: «نعم زيد» و«بئس عمرو». ووجه حسنه سوى الايضاح بعد الابهام أمران آخران: الأول: إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظرًا الى إطنابه من وجه والى اختصاره من آخر وهو حذف المبتدأ في الجواب.

الثاني: ايهام الجمع بين المتنافيين^(٥).

الإطناب بالإيغال:

سبق الأصمعي الى معرفة هذا الفن ولم يُسمِّه فقد ذكر قدامة أنّ ابا العباس محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني التّوّزي قال: قلت للأصمعي من أشعر الناس؟ فقال: من يأتي الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرًا أو الى الكبير فيجعله بلفظه خسيسًا أو ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج اليها أفاد بها معنى. قال: قلت: نحو من؟ قال: نحو ذي الرمة حيث يقول:

قِفِ العيسِ في أطلالِ مَيَّةٍ فاشأَلِ

رُسومًا كأخلاقِ الرداءِ المسلسلِ

فتم كلامه قبل «المسلسل» ثم قال: «المسلسل» فزاد شيئًا ثم قال:

(١) لقمان ١٤.

(٢) الايضاح ص ٢٠٦، التلخيص ٢٣١، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣٧، المطول ص ٢٩٦، الاطول ج ٢ ص ٤٧.

(٣) طه ٢٥ - ٢٦.

(٤) الحجر ٦٦.

(٥) الايضاح ص ١٩٥، التلخيص ٢٢١، عروس الافراح ج ٣ ص ٢٠٩، المختصر ج ٣ ص ٢٠٩، المطول ٢٩١، شرح عقود الجمان ص ٧١، الأطول ج ٢ ص ٤٠، مواهب الفتح ج ٣ ص ٢٠٩.

عنه القزويني في الاطناب وسَمَّى أحد أقسامه «الاطناب بالايغال» وقال عنه: «الايغال هو ختم البيت بما يفيد نكته يتم المعنى بغيرها كزيادة المبالغة في قول الخنساء:

وإنَّ صَخْرًا لتَأْتُم الهدأةُ به
كأنه عَلَمٌ في رأسه نارٌ

لم تَرَضْ أن تشبهه بالجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارًا. وكتحقيق التشبيه في بيت امرئ القيس السابق: «كأنَّ عيونَ الوحش»^(٩). وتبعه العلوي والسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي^(١٠) ولم يخرج البديعيون على ما ذكره الأوائل أو تحدث عنه القزويني وشرح تلخيصه فالحموي يعود الى ما

(١) نقد الشعر ص ١٩٤، كتاب الصناعتين ص ٣٨٠، تحرير ص ٢٣٢ بديع القرآن ص ٩١.

(٢) نقد الشعر ص ١٩٢.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٣٨٠.

(٤) العمدة ج ١ ص ٢٧٩.

(٥) العمدة ج ٢ ص ٥٧، قراضة الذهب ص ٢٠، المنزح البديع ص ٣٢١.

(٦) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٥.

(٧) سر الفصاحة ص ١٨١.

(٨) الوافي ص ٥٠٢، قانون البلاغة ص ٤٤٢، المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٢، الجامع الكبير ص ٢٤١، تحرير التحرير ص ٢٤١، بديع القرآن ص ٩١، نضرة الاغريض ص ١٣١، المصباح ص ١٠٤، الاقصى القريب ص ١٠٤، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٨، جوهر الكنز ص ١٣٣.

(٩) الايضاح ص ١٩٩، التلخيص ص ٢٢٥، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٢٠، المطول ص ٢٩٣، الأطول ج ٢ ص ٤٤.

(١٠) الطراز ج ٣ ص ١٣١، عروس الافراح ج ٣ ص ٢٢٠، المختصر ج ٣ ص ٢٢٠، المطول ص ٢٩٣، معترك ج ١ ص ٣٦٧، الاتقان ج ٢ ص ٧٤، شرح عقود الجمان ص ٧٣، الاطول ج ٢ ص ٤٤، مواهب ج ٣ ص ٢٢٠.

أظن الذي يُجدي عليك سؤالها

دموعًا كتبديد الجُتَّانِ المَفْصَلِ

فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال «المفصل» فزاد شيئًا^(١).

وَعَدَّه قدامة من باب ائتلاف القافية مع سائر البيت وقال: «الايغال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تامًا من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر في أن يكون شعراً اليها فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت»^(٢) كما قال امرؤ القيس:

كأنَّ عيونَ الوحشِ حَوْلَ حَبائنا

وأزْحِلنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقِّبِ

فقد أتى الشاعر على التشبيه كاملاً قبل القافية وذلك أن عيون الوحش شبيهة بالجزع ثم لما جاء بالقافية أو غل بها في الوصف ووَكَّدَهُ وهو قوله: «لم يثقب» فإنَّ عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه.

ولا يخرج كلام العسكري وأمثله عما ذكره قدامة^(٣) وهو عند ابن رشيق ضرب من المبالغة وذكر أن بعضهم يسميه تبليغًا^(٤) وقال عنه «هو ضرب من المبالغة إلا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها والحاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ»^(٥).

ولكنَّ الحاتمي ذكر أنه يُسمى ايغالا أيضًا قال: «أبدع ما قيل في التبليغ وقد سماه قوم الايغال» وهو: «أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماما قبل انتهائه الى القافية ثم يأتي بها لحاجة الشعر اليها فتزيد البيت نصاعة والمعنى بلوغًا الى الغاية القصوى في الجودة»^(٦).

وقال ابن سنان: «إنَّ الشاعر يوغل بالقافية في الوصف إن كان واصفًا وفي التشبيه إن كان مشبهًا»^(٧).

وذهب البلاغيون الآخرون الى مثل ذلك^(٨) وحينما قُسمت البلاغة الى علومها الثلاثة تحدث

الايغال والتكميل وقال: «ومفهومه أنه لا فرق بينهما، وليس كذلك فان الفرق بينهما من وجهين:

أحدهما: أن التكميل يُؤتى به لافادته معنى آخر يكمل المعنى الأول والايغال يُؤتى به لافادته نكتة في ذلك المعنى بعينه.

الثاني: أن التكميل قد يكون في أثناء الكلام وقد يكون في آخره والايغال لا يكون إلا اختما للكلام»^(٤).

الإطناب بالبسط:

هو الاطناب الذي يكون بتكثير الجمل كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٥) فقوله: ﴿ويؤمنون به﴾ إطناب لأن إيمان حملة العرش معلوم وحسنه إظهار شرف الايمان ترغيباً فيه^(٦).

الإطناب بالتتميم:

قال الحاتمي: «التتميم هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يغادر شيئاً يتم به ويتكامل معه الاشتقاق إلا أتى به»^(٧).

وقال القزويني: «هو أن يُؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة»^(٨) كالمبالغة في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٩)، ومنه

- (١) خزانة الأدب ص ٢٣٤.
- (٢) خزانة ص ١١١، وينظر تحرير التحبير ص ٣٩١.
- (٣) تحرير التحبير ص ٢٤١.
- (٤) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٥.
- (٥) غافر ٧.
- (٦) معترك الاقران ج ١ ص ٣٣٣، الاتقان ج ٢ ص ٦٤.
- (٧) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٣، وينظر المنزع البديع ص ٣٢٣.
- (٨) الايضاح ص ٢٠٥، التلخيص ص ٢٣٠، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣٥، المطول ص ٢٩٦، الاطول ج ٢ ص ٤٧.
- (٩) الانسان ٨.

ذكره قدامة وينقل كلامه^(١) ويفرق بين الايغال والتذييل والتمكين والتكميل بقوله: «والفرق ظاهر فانَّ الايغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق به؛ وهو أيضاً مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل. وأما التمكين فليس له مدخل في هذه الأبواب لأنه عبارة عن استقرار القافية في مكانها لأنها لا تزيد معنى البيت بل إذا حذفت نقص معنى البيت لأنها ممكنة في قواعده. وأما التكميل فإنه وإن أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال والتذييل من وجهين: أحدهما كونه يأتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو. والايغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم والتكميل لا بد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض على التكملة المتقدمة إما تكميلاً بديعياً أو تكميلاً عروضياً. والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالاً ويستوعب غالباً عجز البيت»^(٢).

وكان المصري قد فرّق من قبل بين التتميم والايغال من ثلاثة أوجه: أحدها: أن التتميم لا يرد إلا على كلام ناقص شيئاً ما إما حسن معنى أو أدب أو ما أشبه ذلك، والايغال لا يرد إلا على معنى تام من كل وجه.

الثاني: اختصاص الايغال بالمقاطع دون الحشو مراعاة لاشتقاقه لأن الموغل في الأرض هو الذي بلغ اقصاها أو قارب بلوغه فلما اختص الايغال بالطرف لم يبق للتتميم إلا الحشو.

الثالث: أن الايغال لا بد وأن يتضمن معنى من معاني البديع والتتميم قد يتضمن أو لا يتضمن وأكثر ما يتضمن الايغال التشبيه والمبالغة حتى لو قيل: إنه لا يتعدى هذين الضربين لكان حقاً والتتميم يتضمن طوراً المبالغة ويتضمن حيناً الاحتياط ويأتي مرة غير متضمن شيئاً سوى تتميم ذلك المعنى»^(٣). وتبعهم المدني غير أنه ردّ ما ذكره الحموي من التجاذب الذي ينتظم

قول الشاعر:

إني على مآثرين من كبري
أعرف من أين تُؤكل الكَتِفُ

وقول زهير:

من يلقَ يوماً على عِلّاته هَرِمًا
يَلقَ السّماحةً منه والنّدى حُلُقًا

الإطناب بالتذليل:

بحثه البلاغيون الأوائل فقال العسكري: «فأما التذليل فهو إعادة الالفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه، وهو ضد الاشارة والتعريض. وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف الحافلة، لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة والجيد الخاطر، فاذا تكررت الالفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن، وصحح للكليل البليد»^(١). ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾^(٢)، ومعناه: وهل يجازي بمثل هذا الجزاء إلا الكفور.

ومنه قول الحطيئة:

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ
وَمَنْ يَقِيسُ بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا

فاستوفى المعنى في النصف الأول، وذليل بالنصف الثاني.

وقال الباقلاني: «وهو ضرب من التأكيد»^(٣)، وقال

ابن سنان: «وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عنه»^(٤). ثم قال: «وأما التذليل فهو العبارة عن المعنى بالفاظ تزيد عليه»^(٥).

وقال التبريزي إنه «ضد الاشارة، وهو إعادة الالفاظ

المترادفة على المعنى الواحد بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه»^(٦)، وهذه عبارة العسكري، ونقل البغدادي هذا التعريف^(٧).

وقال ابن منقذ: «هو أن تأتي في الكلام جملة تحقق ما قبلها»^(٨)، وذكر المصري مثل ذلك وفَرَّقَ بين الايغال والتكميل والتمكين والتذليل، فقال: «وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة وهي: باب الايغال، والتكميل، والتمكين، والتذليل، وأنا أشير الى الفرق بينها فأقول: الايغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق بها، وهو أيضاً مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذليل، وأما التمكين فيفارق هذه الأبواب من كونه عبارة عن استقرار القافية في مكانها لكنها لا تزيد معنى البيت شيئاً ومتى حذفت القافية نقص المعنى مع كونها غير نافرة من البيت، والتكميل وإن أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال من وجهين:

أحدهما: كونه يأتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذليل لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو، والايغال والتذليل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم، والتكميل لا بُدَّ أن يأتي بمعنى يكمل الغرض المتقدم إما تكميلاً بديعياً أو تكميلاً عروضياً لأنه يكون بمعاني البديع كمطابقة تكمل جناساً أو مبالغة تكمل تشبيهاً أو بالفنون. والفنون عند أهل الصناعة هي ما ينتجها المتكلم من الأغراض والمقاصد كالمديح والهجاء والرثاء والفخر والوصف وغير ذلك. والتذليل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى إيغالاً

(١) كتاب الصناعتين ص ٣٧٣.

(٢) سبأ ١٧.

(٣) إعجاز القرآن ص ١٥٥.

(٤) سر الفصاحة ص ٢٤٣.

(٥) سر الفصاحة ص ٢٥٦.

(٦) الوافي ص ٢٨١.

(٧) قانون البلاغة ص ٤١٦، ٤٤٩.

(٨) البديع في نقد الشعر ص ١٢٥.

نفي الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بعجزه.

الإطناب بالتكرير:

وهو الاطناب بالتكرار؛ وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية؛ وقد تعرّض له معظم النحاة والنقاد والبلاغيين فقال الفراء: «والكلمة قد تكررهما العرب على التغليف والتخويف»^(٨). وسماه أبو عبيدة «مجاز المكرر»^(٩) وأولى الجاحظ التكرار عناية كبيرة ونقل بعض الأقوال فيه؛ ومن طريف ما ذكر قوله: «جعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه، فلما انصرف اليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه؛ لولا أنّك تكثر ترداده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: الى أنّ يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه»^(١٠). ثم قال الجاحظ: «وجملة القول في الترداد أنّه ليس فيه حدّ يُنتهى اليه، ويؤتى على وضعه وإنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص. وقد رأينا الله -

(١) تحرير التحرير ص ٣٩١، وينظر خزانة الأدب ص ١١٠، وأنوار الربيع ج ٣ ص ٤٣.

(٢) المصباح ص ٩٨، حسن التوسل ص ٢٦٤، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٠، جوهر الكنز ص ٢٤٤، الطراز ج ٣ ص ١١١، الفوائد ص ١٢١، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٩٨، خزانة ص ١٠٩ - ١١١، معترك ج ١ ص ٣٦٨، الاتقان ج ٢ ص ٧٤، أنوار الربيع ج ٣ ص ٣٩.

(٣) الايضاح ص ٢٠٠، التلخيص ٢٢٧، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٢٥، المطول ص ٢٩٤، الاطول ج ٢ ص ٤٥.

(٤) سبأ ١٧.

(٥) الاسراء ٨١.

(٦) الأنبياء ٣٤ - ٣٥.

(٧) الاسراء ٨١.

(٨) معاني القرآن ج ٣ ص ٢٨٧، وينظر ج ١ ص ١٧٧، ج ٢ ص ٢٣٤.

(٩) مجاز القرآن ج ١ ص ١٢.

(١٠) البيان ج ١ ص ١٠٤.

آخذًا في البيت من الجزء الذي هو الضرب الى أول العجز»^(١).

ولم يخرج البلاغيون الآخرون عن هذا المعنى وسار على خطى المتقدمين ابن مالك والحلبي والنويري وابن الأثير الحلبي والعلوي وابن قيم الجوزية والزر كشي والحموي والسيوطي والمدني^(٢).

وتحدث عن التذييل القزويني وشرح تلخيصه في بحث الاطناب وسَمَّوه «الاطناب بالتذييل، وقال القزويني: «هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد»^(٣)، وهو ضربان: ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ما قبله كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾^(٤) وقول ربيعة بن مَروم:

وَدَعَوْا نَزَالٍ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ
وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

وقول ابن نباتة السعدي:

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلَهُ
تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

وضرب يخرج مخرج المثل كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٥). وقول النابغة الذبياني:

وَلَسْتُ بِمَسْتَبِقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ
عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ

وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ؛ أَلَيْسَ لِمَنْ فَهَمَ الْخَالِدُونَ. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٦). فقوله: ﴿أَلَيْسَ لِمَنْ فَهَمَ الْخَالِدُونَ﴾ من الأول وما بعده من الثاني. وكل منهما تذييل على ما قبله.

وهو أيضًا إما لتأكيد منطوق كلام كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٧)؛ وإما لتأكيد مفهومه كبيت النابغة: «ولست بمستبق...» فان صدره دلّ بمفهومه على

نعمة، وَعَقَّبَ كلَّ نعمة بهذا القول؛ والغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى. وقد يأتي للتهويل والتخويف وغير ذلك^(٦).

الإطناب بالتكميل:

قال الباقلاني: «ومن البديع التكميل والتميم وهو أن يأتي بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعاني المصححة المتممة لصحته المكملة لجودته من غير أن يُخِلَّ ببعضها ولا أن يغادر شيئاً منها»^(٧) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٨). وقول نافع بن خليفة:

(١) البيان ج ١ ص ١٠٥.

(٢) بيان إعجاز القرآن ص ٤٧.

(٣) التكاثر ٣ - ٤.

(٤) غافر ٣٨ - ٣٩.

(٥) النحل ١١٩.

(٦) تأويل مشكل القرآن ص ١٨٠، إعجاز القرآن

ص ١٦٠، زهر الآداب ج ١ ص ١٦٤، العمدة

ج ١ ص ٧٣، سر الفصاحة ص ١١٣، الوافي

ص ٢٨٢، قانون البلاغة ص ٤١٠، ٤٥٠،

البديع في نقد الشعر ص ١٩١، الرسالة

العسجدية ص ١٥٥، المثل السائر ج ٢

ص ١٢٩، ١٥٧، الجامع الكبير ص ٢٠٤،

تحرير التحرير ص ٣٧٥، بديع القرآن ص ١٥١،

المصباح ص ١٠٥، الأقصى القريب ص ٩٠،

١١٩، جواهر الكنز ص ١٤٧، الفوائد ص ١١١،

الايضاح ص ٢٠٠، شروح التلخيص ج ٣

ص ٢١٨، المطول ص ٢٩٢، البرهان ج ٣

ص ٨، خزنة الأدب ص ١٦٤، الاتقان ج ٢

ص ٦٦، شرح عقود الجمان ص ٧٢، الأطول

ج ٢ ص ٤٣، أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٤٥، نفحات

الأزهار ص ١٥٧، شرح الكافية ص ١٣٤.

(٧) إعجاز القرآن ص ١٤٣.

(٨) لقمان ٣٤.

عز وجل - ردّد ذكر قصة موسى وهود وهارون وشعيب وإبراهيم ولوط وعاد وشمود وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم^(١). فالتكرار محمود إذا جاء في الموضوع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة اليه، ولذلك فرّق الخطّابي بين المحمود والمذموم فقال: «وأما ما عابوه من التكرار فإنّ تكرر الكلام على ضربين:

أحدهما: مذموم وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغوًا؛ وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

والضرب الآخر: ما كان بخلاف هذه الصفة؛ فان ترك التكرار في الموضوع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة اليه فيه بازاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة الى الحذف والاختصار، وإنما يُحتاج اليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها^(٢).

ويأتي الاطناب بالتكرير لنكتة كتأكيد انذار في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) وفي ﴿ثُمَّ﴾ دلالة على أنّ إنذار الثاني أبلغ وأشد.

وكزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾^(٤).

وقد يكرر اللفظ لطول الكلام كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى من قوله في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن الآية ١٣) لأنه - تعالى - ذكر نعمة بعد

الإطناب بالتوشيح:

وهو أن يُؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء في الخبر: «يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل». وقول الشاعر:

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا
شَبِيهَةٌ خَدِيهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلَيْنِ: شَعْرٍ وَظُلْمَةٍ
وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرِ وَوَجْهِ حَبِيبِ
وقول البحري:

لَمَا مَشَيْتَ بَدِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ
أَعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودِ

فِي جِلْتِي حَبِيرٍ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى
وَشِيَانٍ: وَشِي رُبِّي وَوَشِي بُرُودِ
وَسَفَرُونَ فَامْتَلَأَتْ عَيْونُ رَاقِهَا
وَزْدَانٍ: وَزْدُ جَنِّي وَوَزْدُ حُدُودِ

ومنه قول الآخر:

أُمْسِي وَأَصْبَحُ مِنْ تَذْكَارِكُمْ وَصَبَا
يَرِثِي لِي الْمَشْفِقَانِ: الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

(١) الوافي ص ٢٧٤.

(٢) قانون البلاغية ص ٤٤٦.

(٣) تحرير ص ٣٥٧، بديع القرآن ص ١٤٣.

(٤) المصباح ص ٩٨، حسن التوسل ص ٢٨٧،

نهاية الأرب ج ٧ ص ١٥٧، الفوائد ص ٨٩،

خزانة الأدب ص ١٧٠، أنوار الربيع ج ٥

ص ١٨٥.

(٥) المائة ٥٤.

(٦) ظل الرجل - بالبناء للمجهول -؛ أهدر دمه.

(٧) الايضاح ص ٢٠٢، التلخيص ص ٢٢٩، شروح

التلخيص ج ٣ ص ٢٣١، المطول ص ٢٩٥،

الاطول ج ٢ ص ٤٦. وينظر معترك ج ١

ص ٣٦٩، الاتقان ج ٢ ص ٧٤، شرح عقود

الجمان ص ٧٤.

رجالاً إذا لم يقبلوا الحق منهم

ويُعطوه عادوا بالسيوف القواطع

وإنما تمَّ جودة المعنى بقوله: «يعطوه».

وقال التبريزي: «والتكميل أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها شيئاً إلا أتى به»^(١). ونقل البغدادي هذا التعريف^(٢).

وقال المصري: «وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه ثم يرى مدحه والاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل فيكملة بمعنى آخر»^(٣). وعرفه بمثل ذلك ابن مالك والحلي والنويري وابن قيم الجوزية والحموي والمدني^(٤).

وقال القزويني: «الاطناب بالتكميل أو الإحتراس هو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وهو ضربان: ضرب يتوسط الكلام كقول طرفة:

فَسَقَى دِيَارَكَ - غَيْرَ مُفْسِدِهَا -

صَوَّبُ الرِّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

وضرب يقع في آخر الكلام كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٥)، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ عَلِمَ أنها منهم تواضع لهم. ومنه قول الحماسي:

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ

وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ^(٦)

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأوهم أن ذلك لضعفهم وقتلهم، فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم.

وتبعه في ذلك شراح تلخيصه كالسبكي والتفتازاني والاسفرايني^(٧).

ومنها التأكيد الصناعي، وهو أربعة أقسام:

أحدها: التوكيد المعنوي بـ «كل» و«أجمع» و«كلا» و«كلتا» كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٩)، وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول.

ثانيها: التأكيد اللفظي وهو تكرار اللفظ الأول إما بمرادفه نحو قوله تعالى: ﴿ضَيْقًا حَرَجًا﴾^(١٠)، وإما بلفظه فيكون في الاسم والفعل والحرف والجملة فالاسم نحو قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرًا. قَوَارِيرًا﴾^(١١) وقوله: ﴿دَكَّا دَكَّا﴾^(١٢). والفعل نحو قوله: ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أُمَّهَلَهُمْ رُوَيْدًا﴾^(١٣). واسم الفعل نحو قوله: ﴿هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لَمَّا تُوَعِدُونَ﴾^(١٤). والحرف نحو قوله تعالى: ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(١٥). والجملة نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ

(١) تحرير ص ٣١٦، المصباح ص ٨٠، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٨، جوهر الكنز ص ٢١٨، الايضاح ص ١٩٦، التلخيص ص ٢٢٢، الطراز ج ٣ ص ٨٩، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢١٥، المطول ص ٢٩٢، الاطول ج ٢ ص ٤٢.

(٢) البقرة ٩٨.

(٣) البقرة ٢٣٨.

(٤) الايضاح ص ١٩٧، التلخيص ص ٢٢٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢١٦، المطول ص ٢٩٢، الاطول ج ٢ ص ٤٣، البرهان ج ٢ ص ٤١٢، شرح عقود الجمان ص ٧٢.

(٥) يس ١٤.

(٦) المؤمنون ١٥ - ١٦.

(٧) مريم ٢٩.

(٨) البقرة ١٣٧.

(٩) الحجر ٣٠.

(١٠) الانعام ١٢٥.

(١١) الانسان ١٥ - ١٦.

(١٢) الفجر ٢١.

(١٣) الطارق ١٧.

(١٤) المؤمنون ٣٦.

(١٥) هود ١٠٨.

قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِي مِنْ تَذَكْرِكُمْ
واعتادني المضمينان: الوجدُ والكَمْدُ

وغابَ عن مقلتي نومي لغيبتكم
وخانني المسعدان: الصبرُ والجلدُ

لا غَزَوَ للدمع أن تجري غواربه
وتحتة المضمران: القلبُ والكبدُ

كأنما مهجتي شلُو بمسبغة
ينتابها الضاريان: الذئبُ والأسدُ

لم يَتَّقَ غيرُ خفيِّ الروحِ في جسدي
فَدَى لك الباقيان: الروحُ والجسدُ^(١)

الإطناب بِذِكْرِ الْخَاصِّ:

ومنه الاطناب بذكر الخاص بعد العام وذلك للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٣). ومنه قول المتنبي:

فان تَفَقَّ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُم

فان المِشْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ

وقول ابن الرومي:

كَمْ مِنْ أبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ دُرَى شَرَفٍ

كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ^(٤)

الإطناب بِالزِّيَادَةِ:

ويكون على أنواع: منها دخول حرف فأكثر من حروف التوكيد كقوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾^(٥) وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾^(٦).

ومنها دخول الأحرف الزائدة كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٧)، وقوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾^(٨).

وهذا يدل على أنّ التوازن أو الايقاع مهم في النثر لأنه يضيف عليه جمالا إذا جاء فير متكلف، أو كان غير بعيد عن المعنى الذي يقصد الأديب اليه.

الاعتراض:

يقال: اعترض الشيء دون الشيء، أي: حال دونه، واعترض فلان الشيء: تكلفه، واعترض عرضه: نحاه نحوه، واعترض له بسهم: أقبل قبله فرماه فقتله^(١).

وهذا من الفنون التي تحدث عنها المتقدمون وسماه بعضهم التفاتاً، قال الحاتمي عن الالتفات: «وقد سمّاه قوم الاعتراض»^(٢)، وقال ابن رشيق عنه: «وهو الاعتراض عند قوم»^(٣)، وقال الصغاني: «ومن أنواع الفصاحة الالتفات ويسمى الاعتراض»^(٤). وهذه تسمية الاصمعي، فقد حكى الحاتمي وابن رشيق ما روي عن اسحاق بن ابراهيم أنّ الاصمعي قال له: «أتعرف التفاتات جرير؟» فقال: ما هي؟ وانشده:

أتنسى إذ تودّعنا سُلَيْمِي

بَعُودِ بَشَامَةِ سَقِي البَشَامِ

ثم قال: «ألا تراه مقبلاً على شعره، ثم التفت الى

- (١) الشرح ٥ - ٦.
- (٢) الانفطار ١٧ - ١٨.
- (٣) البقرة ٣٥.
- (٤) يوسف ٣٧.
- (٥) الاحزاب ٤١.
- (٦) مريم ٣٣.
- (٧) البقرة ٦٠.
- (٨) معترك الاقران ج ١ ص ٣٣٣، الاتقان ج ٢ ص ٦٤.
- (٩) ماصع؛ قاتل وجالد.
- (١٠) جواهر الالفاظ ص ٤.
- (١١) اللسان (عرض).
- (١٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧.
- (١٣) العمدة ج ٢ ص ٥٤.
- (١٤) الرسالة العسجدية ص ١٤٦.

يُشْرَا^(١).

وقد تقترن الثانية بـ«ثم» نحو قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما يومُ الدين. ثم ما أدراك ما يومُ الدين﴾^(٢).

ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل كقوله تعالى: ﴿اشْكُرْ أَنْتَ وَرَبُّكَ الْجَنَّةَ﴾^(٣). ومنه تأكيد المنفصل بمثله كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٤).

ثالثها: تأكيد الفعل وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل، والأصل في هذا النوع أن ينعى بالوصف المراد كقوله تعالى: ﴿اذكروا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٥).

رابعها: الحال المؤكدة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَسُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ﴾^(٧).

وفي هذه الأنواع كلها جاء الاطناب بالزيادة لغرض من الأغراض، فاذا انتفى الغرض لم يعد الاطناب مفيداً^(٨).

إِعْتِدَالُ الْوَزْنِ:

ذكره قدامة ولم يُعرّفه، وقال إنه كقول من قال: «اصبر على حر اللقاء ومضض النزال وشدة المصاع ودوام المراس»^(٩)، ولو قال: «على حر الحرب ومضض النازلة وشدة الطعن ومداومة المراس» لبطل رونق التوازن، لان «اللقاء» و«النزال» و«المصاع» و«المراس» بوزن واحد في الحركة والسكون والزوائد. ومثله قول القائل: «إذا كنت لا تؤتى في نقص كرم، وكنت لا أوتى من ضعفٍ سبب، فكيف أخاف منك خيبة أمل أو عدولاً عن اغتفار زلل، أو فتوراً عن لَمِّ شَعْبٍ أو إصلاح خلل»، فجعل «نقصاً» بازاء «ضعف» و«كرماً» بازاء «سبب» و«عدولاً» بازاء «فتور» مناسبة في التقدير وموازنة في البناء، ولو جعل مكان «كرم»: سماحة، ومكان «سبب»: شكراً، لبطل التوازن^(١٠).

وأشار ابن الأثير الى أنّ بعضهم يسميه حشواً، ثم قال عنه: «وَحَدُّهُ كُلُّ كَلَامٍ أُدْخِلَ فِيهِ لَفْظٌ أَوْ مَرْكَبٌ لَوْ أَسْقَطَ لِبَقِي الْأَوَّلِ عَلَى حَالِهِ»^(٩). وقال ابن الزمكاني: «هو أن يأتوا في حشو الكلام بما يتم الغرض دونه»^(١٠). وذكر ابن مالك أن قدامة يُسميه التفاتاً^(١١)، ولكن الأمثلة التي ذكرها قدامة أقرب الى الرجوع منه الى الاعتراض وإن كان قد قال: «ومن نعوت المعاني الالتفات وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً الى ما قدّمه»^(١٢)، وهذا قريب من الرجوع.

وقال ابن شيث القرشي: «هو أن يذكر قضية ثم يحاشيه منها»^(١٣)، وهو أنواع: منه مثل: «وخشيت أن يمر في ظن سيدنا - وحاشاه - أن الأمر كذا فيعجل بالمؤاخذه، وهو أبسط من ذلك علماً وأوسع حلماً»، وقول الشاعر:

حسبتك تجفوني بما قال حاسدي
- وحاشاك - بل غير الجفا منك أليقُ

ومنه نوع آخر على طريق المزج أو طريق التفاؤل،

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧، العمدة ج ٢ ص ٤٦، وينظر الوافي ص ٢٧٨.

(٢) البديع ص ٥٩.

(٣) الخصائص ج ١ ص ٣٣٥.

(٤) كتاب الصنائع ص ٣٩٤.

(٥) البديع في نقد الشعر ص ١٣٠.

(٦) نهاية الأيجاز ص ١١١، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٨.

(٧) الواقعة ٧٥ حتى ٧٧.

(٨) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(٩) المثل السائر ج ٢ ص ١٨٣، الجامع الكبير ص ١١٨.

(١٠) التبيان ص ١٧٤.

(١١) المصباح ص ٩٩.

(١٢) نقد الشعر ص ١٦٧.

(١٣) معالم الكتابة ص ٨٠.

البشام فدعاه^(١)؟ وليس هذا هو الاعتراض الذي قال ابن المعتز عنه: «ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود اليه فيتممه في بيت واحد»^(٢) كقول كثير:

لو أنّ الباخلين - وأنت منهم -

رأوك تعلّموا منك المطالاً

فقد اعترض بقوله - وأنت منهم -

والاعتراض في كلام العرب «كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذاً أو متأولاً»^(٣).

ودخل هذا الاسلوب في كتب البلاغة وعرفه العسكري بمثل ما عرفه ابن المعتز وذكر أمثله^(٤)، واشترط ابن منقذ أن لا تكون الجملة المعترضة زائدة بل يكون فيها فائدة^(٥). وقسمه الرازي الى ثلاثة أقسام^(٦):

الأول: مذموم كقول الشاعر:

وما يَشْفِي ضِدَاعَ الرَّأْسِ
مِثْلُ الصَّارِمِ الْعَضِبِ

الثاني: وسط كقول امرئ الشاعر:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ

بأنّ امرأ القيس بن تملك بيقرأ

الثالث: لطيف، وهو الذي يكسو المعنى جمالاً كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(٧). وأدخله السكاكي في المحسنات المعنوية وقال عنه: «ويسمى الحشو، وهو تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه»^(٨) كقول طرفة:

فسقى ديارك - غير مُفْسِدِهَا -

صوبُ الربيع وديمّة تَهْمِي

ومثاله: «الناس كلهم أبناء الدنيا وأخلاقهم - حاشا سيدنا - أخلاقها، فما يراد منهم الوفاء ولا يردّ منهم الجفاء»، وقول المتنبي:

وتحتقِرُ الدُّنيا احتقارَ مجرّب -

يرى كلّ ما فيها - وحاشاك - فانيا

ومنه نوع آخر وهو حسن، ومثاله: «وجدت من الألم - وعافاك الله - كذا وكذا، فكيف أنكر أن تتنكر عليّ الأيام وتتوالى على جسمي الآلام، وقد أريت على الستين - ضاعفها الله لك عددا - وجعلك بالذكر الجميل بعد العمر الطويل مخلدا»، وقول الشاعر:

إنّ الثمانين - وبلغتها -

قد أحوّجت سمعي الى تزجمان

وسماه التنوخي اعتراضاً^(١)، وقال الحلبي: «وهو الذي سماه الحاتمي وسماه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود فيتمه»^(٢). وذكر ابن الأثير الحلبي أنهم يُسمونه التمام أيضاً^(٣). وهذه تسمية لم ترد كثيراً في كتب البلاغة إذ استحسّن البلاغيون تسميته اعتراضاً كالزركشي والقزويني والعلوي وابن قيم الجوزية والسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي^(٤). وذكر الحموي التسميات السابقة وأشار إلى أن تسمية ابن المعتز هي «اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه» وقال إن اسمه التمام وإن الحاتمي سماه التتميم^(٥)، وسماه بعضهم الاستدراك والرجوع^(٦). ولكنه حينما تحدث عنه عقد له فصلاً باسم «الاعتراض» وقال: «هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم»^(٧). وفرّق بينه وبين الحشو بقوله: «ومنهم من سماه الحشو وقالوا في المقبول منه «حشو اللوزينج» وليس بصحيح. والفرق بينهما ظاهر وهو أن الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم، والحشو إنما يأتي لاقامة الوزن لا غير. وفي الاعتراض من المحاسن المكملة للمعاني المقصودة ما يميز به على أنواع كثيرة».

وذكر المدني له عدة مصطلحات كالتمام والتتميم^(٨)، ولكنه عقد له فصلاً باسم «الاعتراض»^(٩) كما فعل الحموي وغيره، وقال إنه «متى خلا عن نكتة سُمي حشواً فلا يعد حينئذ من البديع بل هو من المستهجن» وذكر أن النكت فيه كثيرة منها التنزيه كما في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(١٠).

ومنها الدعاء كقول أبي المنهال عوف بن محلم الخزاعي:

إنّ الثمانين - وبلغتها -

قد أحوّجت سمعي الى تزجمان.

ومنها التنبيه كقول الآخر:

واعلّم - فعلم المرء ينفعه -

أنّ سوف يأتي كلّ ما قدّرا.

ومنه تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر علق بهما كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ - حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ

(١) الأقصى القريب ص ٥٨.

(٢) حسن التوسل ص ٢٢٦، نهاية الأرب ج ٧ ص ١١٨.

(٣) جواهر الكنز ص ١٢٨.

(٤) البرهان ج ٣ ص ٥٦، الايضاح ص ٢٠٦، التلخيص ٢٣١، الطراز ج ٢ ص ١٦٧، الفوائد ص ٩٤، عروس الافراح ج ٣ ص ٢٣٧، المطول ص ٢٩٦، المختصر ج ٣ ص ٨٣، ص ٤٣٧، معترك ج ١ ص ٣٧١، الاتقان ج ٢ ص ٧٥، شرح عقود الجمان ص ٧٥، الاطول ج ٢ ص ٤٧، مواهب ج ٣ ص ٢٣٧، الروض المربع ص ٩٨، نفحات ص ٢٥٣.

(٥) خزانة الأدب ص ١٢١.

(٦) خزانة ص ٣٦٧.

(٧) خزانة ص ٣٦٦.

(٨) أنوار الربيع ج ٣ ص ٥٢.

(٩) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٣٦.

(١٠) النحل ص ٥٧.

لي ولوالديك ﴿١﴾.

ومنها المطابقة والاستعطاف كما في قول المتنبي:

وُخْفِقَ قَلْبٌ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبِهِ

- يَا جَنَّتِي - لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَا

ومنها بيان السبب لأمر فيه غرابة كما في قول الشاعر:

فَلَا هَجْرُهُ يَبْدُو - وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ -

وَلَا وَضَلُّهُ يَصِفُو لَنَا فَنَكَارِمُهُ

ومنها المدح كما في قول أبي محمد الخازن:

فَأَيُّ طَرَبَةٍ لِلْعَفْوِ إِنَّ الْ-

كَرِيمَ - وَأَنْتَ مَعْنَاهُ - طَرُوبُ

ومما جاء بين كلامين متصلين معنى وهو أكثر من

جملة أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا

أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ

وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾^(٢). فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ ليس من قول أم

مريم وإنما هو اعتراض من كلام الله - سبحانه -

والنكته فيه تعظيم الموضوع وتجهيلها بقدر ما وهب

لها منه.

وهذه النكت أشار إليها القزويني وشرح تلخيصه

حينما تحدثوا عن «الاطناب بالاعتراض»^(٣):

الإعجاز:

نزل القرآن الكريم فكان حجة بلاغية تحدى

العرب بل الانس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان

بعضهم لبعض ظهيرا. وكان العرب يسمعون فيخربون

لروعته وجماله ساجدين ويتأثرون به تأثرا شديدا وقد

دفع المؤلفين فيما بعد الى أن يبحثوا عن ذلك

ويوضحوا مسألة إعجاز القرآن، ويبينوا سر ذلك

الإعجاز الذي تحداهم الله به حينما قال: ﴿قُلْ لَئِن

اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٤).

كان المتكلمون أول من تحدثوا عن إعجازه

وبلاغته فقالت المعتزلة - إلا النظام وهشاما الفوطي

وعباد بن سليمان - : «تأليف القرآن ونظمه معجز

محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم وأنه

علم لرسول الله - ﷺ - . وقال النظام: الآية

والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب،

فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد

لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم. وقال

هشام وعباد: لا نقول إن شيئا من الأعراض يدل على

الله سبحانه وتعالى - ولا نقول أيضا إن عرضا يدل

على نبوة النبي - ﷺ - . ولم يجعل القرآن علما للنبي

- ﷺ - وزعما أن القرآن أعراض»^(٥).

ويتضح من ذلك أن للمعتزلة رأيين في الإعجاز:

الأول: إنه معجز بنظمه.

إنه معجز بالصرفة.

ورأى الرماني أن القرآن معجز ببلاغته، وهو أعلى

طبقات الكلام، والبلاغة عنده ايصال المعنى الى

القلب في أحسن صورة من اللفظ، وأعلى طبقة في

الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة معجز

للغرب كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم

خاصة كما إن ذلك معجز للكافة^(٦).

ويرى الخطابي أن بلاغة القرآن ترجع الى جمال

ألفاظه وحسن نظمته وشمو معانيه وتأثيره في النفوس،

قال: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح

(١) لقمان ١٤.

(٢) آل عمران ٣٦.

(٣) الايضاح ص ٢٠٦، التلخيص ٢٣١، شروح

التلخيص ج ٣ ص ٢٣٧، المطول ص ٢٩٦،

الأطول ج ٢ ص ٤٧. وينظر المنصف ص ٦٣،

التبيان في البيان ص ٣١٦، شرح الكافية

ص ٣٢٠.

(٤) الاسراء ٨٨.

(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٥.

(٦) النكت في اعجاز القرآن ص ٦٩.

يُضاهي القرآن في تأليفه^(٥). وبذلك يكون للخفاجي رأيان:

الأول: إنَّ القرآنَ خَرَقَ العادةَ بفصاحته التي وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدور البشر، ولكنه جعل القرآن طبقات في الفصاحة.

الثاني: الصَّرْفَة.

وذهب عبد القاهر الجرجاني الى أنَّ كتاب الله معجز بنظمه أي أنه يعود الى تلاؤم المعاني في الكلمات المفردة تلاؤما يؤدي الى الغرض، لأنَّ الالفاظ «لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وإنما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ»^(٦). فعبد القاهر يُزجِع الإعجاز الى النَّظْم والتأليف، ولكنه يرى أنَّ إدراك هذين الأمرين يعود الى الذوق والاحساس الروحاني وكثرة الاطلاع على كلام العرب وتذوقه^(٧).

وذهب الزمخشري الى أنَّ القرآن معجز من جهتين:

الأولى: ما فيه من الاخبار عن الغيوب.

الثاني: نظمه، وهذا عنده أمُّ الإعجاز والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر^(٨). وهو بذلك يتابع عبد القاهر، ولأجل إيضاح ذلك طَبَّقَ قوانينَ البلاغة على كتاب الله، وقال إنَّ المفسر لا يستطيع أن يغوص على معانيه ما لم يكن بارِعًا في علمين مختصين به هما: علم المعاني

(١) بيان إعجاز القرآن ص ٢٤.

(٢) بيان إعجاز القرآن ص ٦٤.

(٣) إعجاز القرآن ص ١٦٨.

(٤) سر الفصاحة ص ٢٦٥.

(٥) سر الفصاحة ص ١١٠.

(٦) دلائل الاعجاز ص ٣٨.

(٧) دلائل الاعجاز ص ٢٩٩.

(٨) الكشاف ج ١ ص ٧٧.

الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني»^(١)، وأشار الى تأثير القرآن في النفوس فقال: «قلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعة في القلوب وتأثيره في النفوس»^(٢) وبذلك يكون للخفاجي رأيان:

الأول: مجيء القرآن بأفصح الالفاظ وأحسن النظم.

الثاني: تأثيره في النفوس.

وذهب الباقلاني الى أنَّ كتاب الله معجز؛ لأنه نَظْم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ولذلك رأى أنَّ البديع ليس من الأسباب التي يعلل بها الإعجاز، قال: «لا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن من البديع الذي ادَّعوه في الشعر ووصفوه فيه، وذلك أنَّ هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة»^(٣). وبذلك يرى أنَّ القرآن معجز بأسلوبه ونظمه البديع وألفاظه، وبأثره في النفوس، لا بما فيه من وجوه البلاغة او فنونها.

وعاد الخفاجي الى ما قاله النظام في الإعجاز وَقَرَّر أنَّ وجه الاعجاز صَرَفُ العرب عن معارضة القرآن بأنَّ سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك، قال: «إنَّ الصحيح أنَّ وَجْه الإعجاز في القرآن هو صَرَفُ العرب عن معارضته، وأنَّ فصاحته قد كانت في مقدورهم لولا الصَّرْفُ. وهذا هو المذهب الذي يُعَوَّل عليه أهل هذه الصناعة وأرباب هذا العلم»^(٤). ولكنه قال إنَّ القائل بالصَّرْف يحتاج الى تحقق الفصاحة ليعرف ما هي، ليقطع بأنها كانت في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم. وذهب الى أنَّ لا فَرْقَ بين القرآن وفصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى رجع الانسان الى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما

الأعداد من الأسماء المفردة في النثر والنظم على سياق واحد، فإن زُوي فيهِ ازدواج أو تجنيس أو مُطابَقة أو مُقابَلة أو نحوها فذلك في غاية الحسن»^(٤). ومنه قول القائل: «فلان اليه الحلُّ والعقدُ والقَبولُ والرُدُّ والأمرُ والنهيُّ والإثباتُ والنفيُّ»، وقول المتنبي:

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تُعرفني
والطَّعْنُ والضَّرْبُ والقرطاسُ والقلمُ

وقال ابن الزمكاني: «هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد»^(٥)، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٦)، وقوله: ﴿الخالقُ البارئُ المصورُ﴾^(٧).

وقال الحلبي والنويري إنه يُسمَّى: «سياقة العدد» أو «سياقة الأعداد» ونقلًا كلام الرازي ومثاليه: النثري والشعري^(٨). وكان الثعالبي قد سمَّاه «سياقة الأعداد»^(٩). وفعل مثل ذلك الوطواط الذي قال: «سياقة الأعداد: وتكون هذه الصنعة بأن يسوق الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه عددًا من الأسماء المفردة على نسقٍ واحد بحيث يكون كل واحد من هذه الأسماء له معنى قائم بذاته ويكون اسما كذلك لشيءٍ آخر. وهذه الصنعة أكثر قبولًا وأشدَّ أسرًا إذا اقترنت بازدواج اللفظ أو التجنيس أو التضاد أو أي صنعة أخرى من

(١) نهاية الأيجاز ص ٧.

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٤٣.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٩٦.

(٤) نهاية الأيجاز ص ١١٣، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢١.

(٥) التبيان ص ١٧٧.

(٦) البقرة ٢٥٥.

(٧) الحشر ٢٤.

(٨) حسن التوسل ص ٢٤٧، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٣٠.

(٩) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢١٢.

وعلم البيان.

ورأى الرازي أنَّ إعجاز الكتاب العزيز وبلاغته راجعان الى الفصاحة التي يشتمل عليها نظمه وبدائعه^(١).

واستعرض السكاكي الآراء في الإعجاز فوجد أنها أربعة ثم أورد وجهًا خامسًا رآه أحسن الآراء وخير الوجوه، وقال: «فهذه أقوال أربعة يُحَمِّسُها ما يجده أصحاب الذوق أنَّ وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك الى هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العلمين - المعاني والبيان - بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمته من يشاء، وهي النفس المستعدة لذلك فكل ميسر لما خلق له، ولا استبعاد في إنكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه، فلکم سحبتنا الذيل في إنكاره ثم ضمنا الذيل ما ان نكره، فله الشكر على جزيل ما أُولى، وله الحمد في الآخرة والأولى»^(٢). وانتهى الى أنَّ شأن الإعجاز يدرك ولا يوصف كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، قال: «ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق خدمة هذين العلمين - المعاني والبيان - نعم للبلاغة وجوه ملتزمة ربما تيسرت إمطة اللثام عنها لتجلى عليك أما نفس وجه الإعجاز فلا»^(٣). وهذه نظرة تعتمد على الذوق والادراك الروحاني أكثر من اعتمادها على التعليقات التي أوردها كثير من العلماء. وهذا ما يُحَمِّدُ للسكاكي الذي عاش في زمن تحكُّم المنطق فيه وأخذت النظرة العقلية تطغى في التعليل والتفسير.

وكان لهذه الآراء وغيرها أثر في دراسة البلاغة لأنها دفعت الناس الى الوقوف على أساليبه وما فيه من فنون القول، ولذلك كانت معظم كتب «إعجاز القرآن» كتبًا بلاغية، وهذا من فضل القرآن العظيم.

الأعداد:

تحدَّث الرازي عن التَّعديد وقال: «هو إيقاع

وضوح ما ينال وتضخيمًا لشأن ما أتى من العمل وصار السكوت عن مراتب الثواب أبلغ من بيانها. والى ذلك ذهب الزركشي ونقل كلام ابن الزملكاني^(١).

الإعانات:

العنت: دخول المشقة على الانسان ولقاء الشدة، يقال: أعنت فلانٌ فلانا إعناتًا إذا أدخل عليه عنتًا أي مشقة، والإعانات: تكليف غير الطاقة^(١١).

والإعانات في البلاغة من تسمية ابن المعتز الذي قال: «ومن إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له»^(١٢) قول الشاعر:

عصاني قومي والرشاد الذي به
أمرتُ ومن يعصِ المجربَ يندم
فصبرًا بني بكر على الموت إنني
أرى عارضًا ينهلُ بالموتِ والدم

وسماه بعضهم لزوم ما لا يلزم، والتضييق، والتشديد، والالتزام^(١٣)، وذكر ابن الأثير الحلبي أن تجاهل

صناعات البلاغة^(١) وقال ابن قيم الجوزية «ويسمى أيضًا سياق الأعداد»^(٢)، وذكر تعريف الرازي ومثاليه وأمثلة أخرى من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(٣). ولا يخرج كلام الزركشي عن كلام السابقين وإن أضاف: «وأكثر ما يؤخذ في الصفات ومقتضاها ألا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها ويجري مجرى الوصف في الصدق على ما صدق»^(٤).

وهذا ما سماه غير المتقدمين «الأعداد» قال الحموي: «هذا النوع أعني التعديد ذكره الإمام فخر الدين الرازي وغيره وسماه قوم الأعداد»^(٥)، ويبدو من هذا الكلام أن التعديد أو الأعداد من استخراج الرازي غير أن الثعالبي والوطواط ذاكروه قبله.

ولم يخرج الآخرون عن كلام الرازي وسَمَّوه تعديدًا أو سياقة الأعداد وسياقة العدد^(٦).

الإغراض:

الاعراض عن الشيء: الصَّدُّ عنه، وأعرض عنه: صَدَّ^(٧).

وقد سَمَّاه ابن الزملكاني: «الإعراض عن صريح الحكم» وقال: «تيقظ لهذا الفن فإنه دقيق السلك، لبيق السبك، ويجيء على وجوه شتى»^(٨)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٩). أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب وذكر ما هو معلم مشترك بين جميع أعمال البر تضخيمًا لمقدار الجزاء لما فيه من إبهام المقدار وتنزيلاً له منزلة ما قد علم، فهو غير محتاج إلى بيانه. وهذا على حد قوله - ﷺ -: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله». أعرض عن ذكر الجزاء إلى إعادة الشرط تنبيهًا على

(١) حدائق السحر ص ١٤٩.

(٢) الفوائد ص ١٦٤.

(٣) الحشر ٢٣.

(٤) البرهان ج ٣ ص ٤٧٥.

(٥) خزنة الأدب ص ٤١٦.

(٦) معترك ج ١ ص ٣٩٧، الاتقان ج ٢ ص ٩٠، شرح

عقود الجمان ص ١٤٩، حلية اللب ص ١٦٦،

أنوار الربيع ج ٦ ص ١٢٨، نفحات ص ٢١٣.

(٧) اللسان (عرض).

(٨) البرهان الكاشف ص ٣١٢.

(٩) النساء ١٠٠.

(١٠) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤١١.

(١١) اللسان (عنت).

(١٢) البديع ص ٧٤. وينظر الغيث المسجم ج ١

ص ٧٢.

(١٣) الوافي ص ٢٩٥، قانون البلاغة ص ٤٥٨،

الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٦،

الفوائد ص ٢٣٤، خزنة الأدب ص ٤٣٤، شرح

عقود الجمان ص ١٥٥، أنوار الربيع ج ٦ ص ٩٣.

والسيوطي^(٨).

وقد ورد هذا الفن في القرآن الكريم^(٩) إلا أنه يسير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّشْطُورٍ﴾^(١٠)، وقوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِي الْكُنُوسِ﴾^(١١)، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾^(١٢)، وقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(١٣).

ومن الشعر قول عُروة بن أذينة:

إِنَّ التِّي زَعَمَتْ فَوَاذِكْ مَلَّهَا
خُلِقَتْ هَوَاكْ كَمَا خُلِقَتْ هَوَى لَهَا
بِيضَاءُ بَاكِرْهَا النِّعِيمُ فَصَاغَهَا
بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا

وإذا وَجَدَتْ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا
ومن التزام حركة الفتح قبل حرف الروي قول ابن الرومي:

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا
يَكُونُ بَكَاءُ الْوَلَدِ سَاعَةً يُؤَلَّدُ

- (١) جواهر الكنز ص ٢٠٨.
- (٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٦٧.
- (٣) الطراز ج ٢ ص ٣٩٨.
- (٤) حسن التوسل ص ٢٢٠.
- (٥) نهاية الأرب ج ٧ ص ١١٣.
- (٦) المصباح ص ٨١.
- (٧) تحرير التحرير ص ٥١٧، بديع القرآن ص ٢٢٧.
- (٨) خزانة ص ٤٣٤، معترك ج ١ ص ٥١، شرح عقود الجمان ص ١٥٥، نفحات ص ٣١٦.
- (٩) ينظر تحرير ص ٥١٧، بديع القرآن ص ٢٢٧، خزانة ص ٤٣٥، معترك ج ١ ص ٥١، أنوار الربيع ج ٦ ص ٩.
- (١٠) الطور ١ - ٢.
- (١١) التكوير ١٥ - ١٦.
- (١٢) الانشاق ١٧ - ١٨.
- (١٣) الضحى ٩ - ١٠.

العارف يقال للاعنان^(١). ولكنَّ الفئتين مختلفان وقد شاع في الكتب مصطلح «لزوم ما لا يلزم» أكثر من شيوع مصطلح ابن المعتز، والاثنان واردان وصحيحان؛ لأنَّ الإعنان هو إلزام الشاعر نفسه بما لا ينبغي. قال ابن الأثير: «وهو من أشق هذه الصناعة مذهبًا وأبعدها مسلکًا. وذلك لأنَّ مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه، فإنَّ اللازم في هذا الموضوع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنشور في قوافيها، وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفًا واحدًا وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل رويِّ الأبيات الشعرية»^(٢).

وزاد العلوي في تعريفه فقال: «ويقال له: الاعنان، ويرد في المنظوم والمنثور من الكلام، ومعناه في لسان علماء البيان أن يلتزم الناظم قبل حرف الرويِّ حرفًا مخصوصًا أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروي أيضًا وهكذا القول في الرذف فانه يجعله على حدِّ حرف متماثل وهكذا إذا ورد في النثر يكون على هذه الطريقة. فحاصل الأمر في لزوم ما لا يلزم هو أن يلتزم حرفًا مخصوصًا قبل حرف الروي من المنظوم أو حركة مخصوصة»^(٣).

وقال الحلبي: «هو أن يعنت نفسه في التزام ردف أو دخيل أو حرف مخصوص قبل حرف الروي أو حركة مخصوصة»^(٤). وذكر النويري هذا التعريف^(٥).

وقال ابن مالك: «الالتزام أن يلتزم المتكلم في السجع أو التقفية قبل حرف الروي ما لا يلزمه من مجيء حرف بعينه أو حرفين أو أكثر، ويحمد منه ما عدم الكلفة لدلالته على الاقتدار وقوة المادة»^(٦). وقريب من هذا تعريف المصري الذي قال: «هو أن يلتزم الناثر في نثره أو الشاعر في شعره قبل روي البيت من الشعر حرفًا فصاعداً على قدر قوته وبحسب طاقته مشروطًا بعدم الكلفة»^(٧). وتعريف الحموي

وذلك أن يُنضى الخاطر في طلبه ويبحث على تتبعه
واقترصاص أثره، وغير المتكلف يأتي مستريحاً من
ذلك كله، وهو أن يكون الشاعر في نظم قصيدته أو
الخطيب أو الكاتب في انشاء خطبته أو كتابه، فيينا هو
كذلك إذ سنع له نوع من هذه الأنواع بالاتفاق لا
بالسعي والطلب. ألا ترى الى قول أبي نواس في مثل
هذا الموضوع:

اترك الاطلا لا تعباً بها
إنها من كل بُؤس دانيه
وانعت الراح على تحريمها
إنما دنياك دار فانيه
من عُقارٍ مَنْ رآها قال لي:
صيدت الشمس لنا في آنيه

والحق بهذا الفن تصغير الكلمات الأخيرة من الشعر أو
من فواصل الكلام المنثور كقول بعضهم:

عز على ليلى بذي سُديرٍ
سوء مبيتي ليلة الضميرِ
مُقَضَّباً نفسي في طمير
تنتهز الرعدة في ظهيري
يهفو اليّ الزور من صديري
ظمان في ربح وفي مُطير
وازر قرّ ليس بالغريرِ
من لد ما ظهر الي سُخيرِ
حتى بدت لي جبهة القمير
لأربع خلون من شهير^(٢)

الإغارة:

أغار على القوم إغارة وغارة: دفع عليهم الخيل،
وقيل: الإغارة المصدر والغارة الاسم من الاغارة على

(١) سر الفصاحة ص ٢١٢.

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٥: الجامع الكبير
ص ٢٦٧.

وإلا فما يُبكيه منها وإنه
لأوسع مما كان فيه وأزعد
إذا أبصر الدنيا استهل كآته
بما سوف يلقى من أذاها يُهدد

وكان هذا الفن في العهود الاولى يأتي سهلاً منقاداً في
البيتين والثلاثة، وقد يأتي في العشرين كما في قصيدة
كثير عزة التي يقول فيها:

خليلي هذا رُبُع عَزَّة فاعقِلا
قلوصيكما ثم اخللا حيث حلت
وما كُنْتُ أدري قبل عَزَّة ما البكا
ولا مُوجعات القلب حتى تَوَلَّت
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامرٍ
لعزة من أعراضنا ما استحللت
فما أنا بالداعي لعزة بالجوى
ولا شاميت إن نعل عَزَّة زَلَّت
وإني وتَهيامي بعزة بعدما
تخلت مما بيننا وتخلت
لكا لمرتجي ظل الغمامة كلما
تَبوأ منها للمقيل اضمحلت

ولكن المتأخرين أسرفوا في استعماله، ونظم ابو
العلاء ديوانا سماه «اللزوميات» والتزم فيه بهذا الفن
كل الالتزام. ومعظم البلاغيين لا يستسيغون
الاعنات إذا جاء متكلفاً، وقد قال الخفاجي:
«وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لأجل
ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي؛
لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إكراه ولا
إكراه. ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق
وأقرب السبل وليس بنا حاجة الى المتكلف
المطرح وإن ادعى علينا قائله أن مشقة نالته وتعباً
مرّ به في نظمه»^(١).

وفرق ابن الأثير بين المتكلف وغير المتكلف
فقال: «أما المتكلف فهو الذي يأتي بالفكرة والروية

العدو^(١).

ومن آل يربوع زهاء كأنها
 دُجى الليل محمود النكاية والورد
 فقال له الفرزدق: لا تعودنَّ بها، فأنا أحقُّ بها منك.
 فقال: والله لا أعود فيها أبدًا وما أرويتها إلا لك فهي في
 قصيدة الفرزدق التي يقول فيها:

وكتنا إذا القيسي نب عتوده
 صرئناه فوق الانثيين على الكرد
 وكان الأحوص بقاء فمَرَّ عليه موسى شهوات فأنشد
 قصيدة له حتى مرَّ بهذا البيت:

وكذاك الزمان يذهبُ بالنا
 سٍ وتبقى الديار والآثارُ
 فقال الأحوص على رويها قصيدة أولها:
 ضوء نارٍ بدا لعينك أم شبَّ
 ث بذى الأثلٍ من سلامة نارٍ

فأدخل فيها هذا البيت فقال موسى شهوات: «مارأيت
 مثلك يا أحوص، أنشدتك قصيدة لي فذهبت بأفضل
 بيت فيها فقال الأحوص: «والله ما هو لي ولا لك، وما
 هو إلا للبيد حيث يقول:

وكذاك الزمان يذهبُ بالنا
 سٍ وتبقى الديار والآثارُ
 فعفا آخر الزمان عليهم
 فعلى آخر الزمان الديار^(٧)

الإغراب:

الإغراب هو الاستغراب وقد تقدم، وذلك بأن يأتي

- (١) اللسان (غور).
- (٢) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٣٩.
- (٣) العمدة ج ٢ ص ٢٨٤.
- (٤) الرسالة العسجدية ص ٥٤.
- (٥) نضرة الأغريض ص ٤٤٥.
- (٦) نضرة الاغريض ص ٢١٧.
- (٧) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٣٩ - ٤١.

والاغارة من السرقات، قال الحاتمي: «وهو أن
 يسمع الشاعر المفلق والفحل المتقدم الأبيات الرائعة
 ندرت لشاعر في عصره وباينت مذاهبه في أمثالها من
 شعره ويكون بمذهب ذلك الشاعر المغير أليق
 وبكلامه أعلق فيغير عليها مصافحة ويستنزل شاعرها
 عنها قسراً بفضل الاغارة فيسلمها اليه اعتماداً لسلمه
 ومراقبة لحربه وعجزاً عن مساجلة يمينه»^(٢).

وقال ابن رشيقي في باب السرقات: «الاغارة: أن
 يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من
 أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً فيروى له دون قائله كما
 فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد:

تري الناس ما سِرنا يسرون خَلفنا
 وإن نحن أومأنا الى الناس وَقَفُوا

فقال: متى كان المُلْكُ في بني عذرة؟ إنما هو في مضر
 وأنا شاعرها، فغلب الفرزدق على البيت ولم يتركه
 جميل ولا أسقطه من شعره، وقد زعم بعض الرواة
 أنه قال له: تجاف لي عنه، فتجافى جميل عنه،
 والأول أصح. فما كان هكذا فهو إغارة، وقوم يرون
 أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره، والشَّرْقُ
 أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى، كان ذلك لمعاصر
 أو قديم^(٣). ونقل الصنعاني هذا الكلام^(٤). وقال
 المظفر العلوي: «هي ادعاء اللفظ والمعنى من غير
 أن يفكر الشاعر أو يتعنى، فما ذم شاعر في السرقات
 بأقبح منها»^(٥) وقال: هي «أقبح وجوه السرقات
 وأشنعها وأدناها منزلة وأوضعها»^(٦).

ومن الاغارة ما قاله ذو الرُّمة: لقيت الفرزدق يوماً
 فقلت له: لقد قلت أبياتاً إن لها لعروضاً، وإن لها لمراداً
 ومعنى بعيداً. فقال لي: ما قلت؟ قلت: قلت:

أحينَ أعادَتْ بي تميمُ نساءها
 وجُرِّدَتْ تجريدَ اليماني من الغمِّدِ
 ومدَّت بضيعي الربابُ ومالكُ
 وعمرٌ وشالت من ورائي بنو سَعْدِ

وهي مدى رميته» والثاني «أصله في الرمي وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند النزع حتى تستغرق جميعه بينك وبين حنية القوس». ثم قال: «وهذه التسمية تدل على ما نحوت اليه وأشارت نحوه»^(١٢). وقال: إن «أحسن الاغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بـ «كاد» أو ما شاكلها نحو «كأن» و«لو» و«لولا»^(١٣).

وفرق المصري بين الاغراق والغلو فقال: «وقد رأيت من لا يفرق بين الغلو والاغراق ويجعل التسميتين لباب واحد. وعندني أن معنى البابين مختلف كاختلاف اسميهما إلا أن الاغراق أصله في النزع وأصل الغلو بُعد الرمية وذلك أن الرامي ينصب غرضاً يقصد إصابته فيجعل بينه وبينه مدى يمكن معه تحقيق ذلك الغرض فاذا لم يقصد غرضاً معيناً ورمى السهم الى غاية ما ينتهي اليه بحيث لا يجد مانعاً يمنعه من استيفاء السهم قوته في البعد سميت هذه الرمية غلوة، فالغلو مشتق منها. ولما كان الخروج عن الحق الى الباطل يشبه خروج هذه الرمية عن حد الغرض المعتاد الى غير حد سُمِّي غُلُوءاً»^(١٤) وقال ابن مالك

- (١) ينظر نقد الشعر ص ١٧٠، البديع في نقد الشعر ص ١٣٢، تحرير الحبير ص ٥٠٦، بديع القرآن ص ٢٢٢، جوهر الكنز ص ٢٢٧، خزانة الادب ص ٢٢٣، أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٨.
- (٢) اللسان (غرق) وينظر المنصف ص ٧٨.
- (٣) ينظر تحرير ص ٣٢١.
- (٤) قواعد الشعر ص ٤٠.
- (٥) البديع ص ٦٥.
- (٦) نهاية الايجاز ص ١١٤.
- (٧) حدائق السحر ص ١٧٥.
- (٨) كتاب الصناعتين ص ٣٥٧.
- (٩) الاحزاب ١٠.
- (١٠) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٩٥.
- (١١) العمدة ج ٢ ص ٦٠.
- (١٢) العمدة ج ٢ ص ٦٥.
- (١٣) العمدة ج ٢ ص ٦٤.
- (١٤) تحرير التحبير ص ٣٢٣.

المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله أو سمع وهو قليل الاستعمال. وسماه قوم النوادر^(١).

الإغراق:

أغرق في الشيء: جاوز الحد، وأصله من نزع السهم^(٢) والاغراق فوق المبالغة ودون الغلو^(٣)، وقد سماه ثعلب «الافراط في الاغراق»^(٤) ولم يُعرّفه كقول امرئ القيس:

وقد أعتدي والطير في وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وذكر ابن المعتز «الافراط في الصفة»^(٥) وسماه الرازي «الاغراق في الصفة»^(٦) وهي تسمية الوطواط^(٧). وتحدث عنه العسكري في باب الغلو وقال: «الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها»^(٨) كقوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾^(٩) وقو الشاعر:

يتقارضون إذا التقوا في موطن

نظراً يُزيل مواطن الأقدام

وقال الحاتمي: «وبعضهم يسميه الغلو» ثم قال: «وجدت العلماء بالشعر يعيرون على أبيات الاغراق ويختلفون في استهجانها واستحسانها ويعجب بعض منهم بها وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره، ويرون أنها من إبداع الشاعر الذي يوجب الفضلة له. ويقولون: «إن أحسن الشعر أكذبه» وان الغلو إنما يراد به المبالغة. قالوا: واذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج به عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فانما يراد به المثل وبلوغ الغاية في النعت. واحتجوا بقول النابغة وقد سئل: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: «من استجيد كذبه وأضحك رديته». وقد طعن على هذا المذهب لمنافاته الحقيقية، وانه لا يصح عند التأمل والفكرة»^(١٠).

وسماه ابن رشيق الغلو وقال إن من أسمائه: الإغراق والإفراط^(١١)، وربط بين الغلو والاغراق في المعنى، فالأول مشتق من «المغلاة ومن غلوة السهم

كفى بجسمي نُحولاً إنني رَجُلٌ
لولا مُخاطبتي إِيَّاكَ لم تَرَنِي

وحصر القزويني المُبالغة في التبليغ والإغراق والغلوّ لأنّ «المدعي للوصف من الشدة أو الضعف إما إن يكون ممكناً في نفسه، والثاني الغلو، والاول إما أن يكون ممكناً في العادة أو لا، الأوّل التبليغ، والثاني الإغراق»^(٨). وذكر للإغراق قول الشاعر:

وُنُكِرْمُ جَارِنَا مَا دَامَ فِينَا
ونتبعه الكرامة حيث مالا

وتبعه في ذلك سُراح تلخيصه والسيوطي^(٩). ووضع الحموي الإغراق فوق المُبالغة ودون الغلوّ وقال عنه: «هو في الاصطلاح إفراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة»^(١٠)، وقال المدني: «الإغراق هو أن تدّعي لشيء وصفاً بالغاً حدّ الإمكان عقلاً والاستحالة عادة»^(١١).

ومن الإغراق الى جانب ما تقدّم قول امرئ القيس:

تنوّرتها من أذرعاتٍ وأهلها
بيشرب أدنى دارها نَظَرٌ عال

فإنّ أذرعات في الشام ويشرب في الحجاز، وبينهما ما بينهما من الجبال.

- (١) المصباح ص ١٠٣.
- (٢) البديع في نقد الشعر ص ٨٣.
- (٣) حسن التوسل ص ٢٧٦.
- (٤) حسن التوسل ص ٢٧٦.
- (٥) نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٩.
- (٦) جوهر الكنز ص ١٣٥.
- (٧) الطراز ج ٣ ص ١٢٧.
- (٨) الايضاح ص ٣٦٥، التلخيص ص ٣٧٠.
- (٩) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٦٠، المطول ص ٤٣٤، الاطول ج ٢ ص ٢٠٧، شرح عقود الجمال ص ١٢٢، حلية اللب ص ١٤١، شرح الكافية ص ١٥٢.
- (١٠) خزانة الادب ص ٢٢٧، نفحات ص ٢٠٦.
- (١١) أنوار الربيع ج ٤ ص ٢١٩.

عن الاغراق إنّه قسمان أحسنهما وأدخلهما في القبول ما اقترن به ما يقربه من حد الصحة كـ«قد» و«كاد» و«لو» و«لولا» وحرف التشبيه. وقال عن الغلو إنّ المقبول منه «أن لا يتضمن دعوى كون الوصف على مقدار غير ممكن الوصف بما هو خارج عن طباق الموصوف»^(١).

ولكنّ معظم البلاغيين آثروا مُصطلح «الإغراق» وقد قال ابن منقذ عنه: «هو أن يُبالغ في الشيء بلفظه ومعناه»^(٢)، وقال الحلبي: «هو فوق المُبالغة ودون الغلوّ»^(٣)، وقال عن الغلوّ: «ومنهم من يجعله هو والإغراق شيئاً واحداً»^(٤) وذكر النويري مثل ذلك^(٥).

وجمع ابن الاثير الحلبي الإغراق والغلوّ والمُبالغة في باب واحد وقال: «هي ثلاث تسميات مُتقاربة وَرَدَتْ في باب واحد لقرب بعضها من بعض»^(٦)، وقال في الإغراق: «هو الزيادة في المُبالغة حتى يُخرجها عن حدّها». وفي الغلوّ: «هو زيادة في الخروج عن الحدّ». وفي المُبالغة: «بلوغ القصد في المعنى من غير تجاوز في الحدّ». ومثّل للإغراق بقول ابن المعتز:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا
فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ

وللغلو بقول الشاعر:

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتْ بِهِ

بعد الذراعين والساقين والهادي

وللمبالغة بقول الآخر:

تَصَرَّمَ الدَهْرُ لَا وَضَلُّ فَيَطْمَعُنِي

فيما لديك ولا نَأْيُ فَيْسَلِينِي

وكيف أعجب من عصيان قلبك لي

يوماً إذا كان قلبي فيك يعصيني

والإغراق عند العلوي أحد أنواع المُبالغة وقد قال عنه إنّه «ما كان ممكن الوقوع لكنه ممتنع وقوعه في العادة»^(٧) كقول المُتنبّي:

وقول ابن الفارض:

كأنني هلالُ الشَّكِّ لولا تَأوُّهي
خَفِيْتُ فلم تُهَدِّ العيونُ لرؤيتي

وقول مجنون ليلي:

ألا إِنَّمَا غادرت يا أمَّ مالِكِ
صَدَى أينما تَذْهَبُ به الرِّيحُ يَذْهَبُ

وقول بشار:

في حُلَّتِي جِسْمُ فتى ناحِلِ
لو هَبَّتِ الرِّيحُ به طاحا

إفتاحات الكلام:

هي الابتداء أو حسن الابتداء أو حسن الافتتاح، وهذه تسمية التنوخي الذي قال: «وأما افتتاحات الكلام وخواتمه فينبغي لمن نظم شعراً أو ألف خطبة أو كتاباً أن يفتتحه بما يدل على مقصوده منه ويختمه بما يشعره بانقضائه، وأن يَقْصِدَ ما يروق من الالفاظ والمعاني لاستمالة سامعيه اليه»^(١).

الافتنان:

يفتن الرجل الكلام أي يشتق في فن بعد فن، ورجل مِفْتَنٍ: يأتي بالعجائب وامرأة مِفْتَنَةٌ، وافتن الرجل في حديثه وفي خطبته إذا جاء بالأفانين وهو مثل أشفق. وافتن الرجل في كلامه: إذا توسع وتصرف، وافتن: أخذ في فنون من القول^(٢).

والافتنان من الفنون التي ابتدعتها المصري وقال عنه: «أن يفتن المتكلم فيأتي بفنين متفاوتين من فنون الكلام في بيت واحد أو جملة واحدة مثل النسيب والحماسة والهجاء والهناء والعزاء»^(٣). كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾^(٤) فقد جمعت هذه اللفظات التي هي بعض آية الوعد والوعيد والتبشير والتحذير. وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٥). فقد جمعت هاتان الآيتان التعزية والفخر.

ومنه قول عبد الله بن طاهر بن الحسين.

أحِبُّكَ يا ظِلْمُ وَأنتِ عندي
مكانَ الروحِ من جَسَدِ الجبانِ

ولو أني أقول مكانَ روحي

خَشِيْتُ عليكِ بادرَةَ الطعانِ

وقول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزیه بالرشيد ويهنئه بالأمين:

تعزُّ أبا العباس عن خيرِ هالكِ
بأكرمِ حيٍّ كان أوَمَنُ هو كائنُ

حوادثُ أيامِ تدورُ ضروفُها
لهنَّ مساوي مرةً ومحاسنُ

وفي الحي بالميت الذي غيَّب الثرى
فلا أنت مَغْبُونٌ ولا الموتُ غابنُ

فقد جمع بين التعزية والتهنئة.

ولم يخرج الآخرون كالحلبي والنويري والسبكي والحموي والسيوطي والمدني^(٦) عن هذه الدلالة والأمثلة وإن زاد المدني أمثلة أخرى، من ذلك قول عنتره الذي ذكر النسيب والحماسة في قوله:

إن تُعَدِّ في دوني القناعَ فأنني
طَبٌّ بأخذِ الفارسِ المُسْتَلَمِ^(٧)

(١) الأقصى القريب ص ٨٥.

(٢) اللسان (فن).

(٣) تحرير التحبير ص ٥٨٨، بديع القرآن ص ٢٩٥.

(٤) مريم ٧٢.

(٥) الرحمن ٢٦ - ٢٧.

(٦) حسن التوسل ص ٣٠٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٣، عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠، خزانة ص ٦١، معترك ج ١ ص ٣٨٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٧، شرح عقود الجمان ص ١٣٦، أنوار الربيع ج ١ ص ٣٢٠، نفحات ص ٢٣٦، شرح الكافية ص ٩٨.

(٧) أغدقت المرأة القناع على وجهها؛ أرسلته. المستلم؛ الذي لبس لأمة الحرب وهي الدرع.

أرتضي بالأذى ولم يقف العز
مُ قصورًا ولم تعز المطي
تاركًا أسرتي رجوعًا الى حيد
ثُ غديري قذٍ ورعيي وبئي
كالذي يخبط الظلام وقد أقد

مَر من خلفه النهارُ المضي
ومن ذلك قول أبي الفتيان محمد بن حيوس يخاطب
نصر بن محمود صاحب حلب مهنيًا له بالملك ومعزياً
له في أبيه:

صَبَرْنَا على حُكْم الزمان الذي سطا
على أَنَّهُ لولاك لم يكن الصَّبْرُ
عرانا ببوسى لا يماثلها الأسى
تقارن نُعمى لا يقابلها شُكْرُ

الإفراط:

يقال: أفرط في الأمر: أسرف وتقدم، والافراط:
إعجال الشيء في الأمر قبل التثبت، يقال: أفرط
فلان في أمره أي عَجَل فيه. وأفرط عليه: حملة فوق
ما يطيق، وكل شيء جاوز قدره فهو مُفْرِط، والافراط:
الزيادة على ما أمرت^(١).

وقد قيل للاصمعي: مَنْ أشعر الناس؟ قال: من
يأتي الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه حسناً،
ويأتي الى المعنى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً^(٢)،
وذلك عن طريق المبالغة والافراط في الصفة. وذكر
الجاحظ الافراط في الصفة وقال: «وإذ قد ذكرنا
شيئاً من الشعر في صفة الضرب والطعن فقد ينبغي
أَنْ نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من إسراف
مَنْ أسرف واقتصاداً من اقتصد. فاما مَنْ أفرط فقول
مهلهل:

(١) اللسان (فرط) وينظر المنصف ص ٨١.

(٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٦، العمدة ج ٢
ص ٥٧.

فأول البيت نسيب وآخره حماسة.

ومن الافتنان بالهجو والمدح قول ربيعة في يزيد بن
حاتم يفضله على يزيد بن أسيد وكان في لسانه تمتمة
فعرّض بها في هذه الأبيات:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى
يزيد سليم والأعز ابن حاتم

فَهَمُّ الفتى الازديّ إتلافُ ماله
وَهَمُّ الفتى القيسي جمعُ الدراهم

فلا يَحْسَب التمتامُ أني هجوته
ولكنني فَضَّلْتُ أَهْلَ المكارمِ
ومن أمثله قول الشريف الرضي جامعاً بين الحماسة
والمدح والهجو تعريضاً لا تصريحاً:

ما مُقامي على الهوان وعندي
مِقْوَلٌ صارمٌ وأنف حمي

وإباءٌ محلّق بن عن الضي
مِ كما راع طائرٌ وَحْشي

أي عذر له الى المجد إن ذل
ل غلام في غمده المشرفي

ألبس الذل في ديار الأعداي
وبمضّر الخليفة العلوي

مَنْ أبوه أبي ومولاه مولا
ي إذا ضامني البعيد القصي

لَفَّ عِرقي بعرقه سيدا الننا
سِ جميعاً محمداً وعلي

إِنَّ ذُلِّي بذلك الجوع عَزُّ
وأوامي بذلك النَّقْعِ ري

قد يذل العزيز ما لم يشمر
لانطلاقٍ وقد يُضام الأبوي

إِنَّ شراً عليّ اسراع عزمي
في طلاب العلى وحظي بطي

ومستقبح راؤ، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز الوصف حدّها جمع بين القصد والاستيفاء وسلم من النقص والاعتداء، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية وأدته الحال الى الاحالة، وإنّما الاحالة نتيجة الافراط وشعبة من الاغراق، والباب واحد، ولكن له درج ومراتب. فاذا سمع المحدث قول الأول:

ألا إنّما غادرت يا أمّ مالك
صدى أينما تذهب به الريح يذهب

وقول آخر من المتقدمين:

ولو أنّ أبقيت مني معلق
بعود ثمّام ما تأوّد عودها

جسر على أن يقول:

أسرّ إذا نحلّت وذاب جسمي
لعلّ الريح تسفي بي اليه^(٩)

وبدأ هذا الفن يدخل الدراسات البلاغية، فتحدث عنه ابن رشيق في باب الغلو والإغراق^(١٠)، وعرفه ابن الاثير بقوله: «وأما الإفراط فهو الإسراف وتجاوز الحد، يقال: «أفرط في الشيء إذا أسرف وتجاوز الحد»^(١١). وفرّق بينه وبين التفريط فقال: «أما التفريط والإفراط فهما ضدان أحدهما أن يكون لمعنى المضمّر في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه. والآخر أن

(١) الحيوان ج ٦ ص ٤١٨.

(٢) نقد الشعر ص ٦٢، ٢٤٣.

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٤٢٥.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ١٣١.

(٥) الكامل ج ١ ص ٢٥٣، وينظر العمدة ج ٢ ص ٦١.

(٦) قواعد الشعر ص ٤٠.

(٧) البديع ص ٦٥.

(٨) نقد الشعر ص ١٦٠.

(٩) الوساطة ص ٤٢٠.

(١٠) العمدة ج ٢ ص ٦٠.

(١١) المثل السائر ص ٣١٦، الجامع الكبير ص ٢٢٦.

فلولا الريح أسمع من بحجر

صليل البيض تُقرع بالذكور^(١)

وهذا ما ذكره قدامة فيما بعد وأدخله في المبالغة^(٢).

ومن أشعار المقتصدين في الشعر قول بعضهم:

تركك الركاب لأربابها

فأجهدت نفسي على ابن الصعق

جعلت يدي وشاحاً له

وبعض الفوارس لا يعتنق

وممن صدق على نفسه عمرو بن الاطنابة حيث يقول:

واقدامي على المكروه نفسي

وضرّبي هامة الرجل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت

مكانك تُحمدي أو تستريحي^(٣)

وتحدث ابن قتيبة عن ذلك واستحسن المبالغة والافراط في الاستعارة وقال: «وكان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفن وينسبها فيه الى الافراط وتجاوز المقدار، وما أرى ذلك إلا جائزاً حسناً»^(٤). وأشار المبرد الى الافراط في قول الشاعر:

فلو أنّ ما أبقيت مني معلق

بعود ثمّام ما تأوّد عودها

وقال: إنّ هذا متجاوز «وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب»^(٥).

وأشار ثعلب الى الإفراط في الغلو وذكر له أمثلة^(٦)

كقول النابغة:

وإنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

وذكر ابن المعتز الافراط في الصفة وعده من محاسن الكلام^(٧). وتحدث عنه قدامة في باب المبالغة^(٨)، وتكلم عليه القاضي الجرجاني فقال: «فأما الافراط فمذهب عام في المحدثين وموجود كثير في الاوائل، والناس فيه مختلفون فمستحسن قابل

يكون المعنى فوق منزلته».

وعقد ابن الزمكاني فصلاً لفن سماه «الإفراط والنزول» وقال: «إنَّ هذا الغرض لا يوصف قاصده بالكذب إذ كان غرضه معلوماً وكان متجاوزاً في مقاله غير قاصد إلى البتِّ به والقطع بمقتضاه»^(١). ومثَّل له ببعض كلام الله من ذلك قوله: ﴿وما أمرُ الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾^(٢). وعقد المصري باباً سماه «الإفراط في الصفة» وقال: «وهو الذي سماه قدامة المبالغة، وسماه مَنْ بعده التبليغ، وأكثر الناس على تسمية قدامة لأنها أخفُّ وأعرف»^(٣) وتحدث في هذا الباب عن المبالغة بمعناها العام وقال إنها جاءت في كتاب الله العزيز.

وقال القرطاجني: «هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حد الامكان إلى الامتناع والاستحالة»^(٤). ولخصَّ التنوخي وابن قيم الجوزية وابن الأثير الحلبي ما ذكره ابن الأثير^(٥)، وقال الحلبي والنويري إنَّ «المبالغة تسمى التبليغ والإفراط في الصفة»^(٦). وسار العلوي على خطى ابن الأثير وقال إنَّ الإفراط الزيادة عن الحد أو هو «تجاوز الحد في المدح والذم وغيرهما من المقاصد»^(٧) وقال إنَّ في الاقتصاد مذهبين:

الاول: جوازه، وقالوا: «إنَّ أحسن الشعر أكذبه» بل أكذبه يكون أصدق.

والثاني: منعه بعضهم وزعم أنَّ للأمر حدوداً ونهايات مما يدخل تحت الامكان فاما ما كان من الأمور مما لا يدخل تحت الامكان ولا يعقل وجوده فلا وجه له. وجوّزه العلوي على كل أحواله لأنَّه «إذا كان جائز الوجود فهو معجب لا محالة لاشتماله على المبالغة في المدائح وأنواع الذم وإن لم يكن جائز الوجود فالاعجاب به أشد والملاحظة فيه أدخل، وقد ورد مثل ذلك في كتاب الله تعالى»^(٨).

ومن أمثلة الإفراط قول عنتره:

وأنا المنية في المواطنِ كُلِّها
والطَّغْنُ مني سائقُ الآجالِ
وقول بشار:

إذا ما غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِيَةً
هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَّرَتْ دَمَا
وقول المتنبي:

كأنَّ الهامَ في الهيجا عيونُ
وقد طبعَتْ سيوفك من رقادِ
وقد صغت الأسننة من هموم
فما يخطرُنَ إلا في فؤادِ
وقول أبي نواس:

وأخفتَ أهلَ الشُّركِ حتى أنَّه
لتخافُكَ التُّطفُ التي لم تُخلَقِ

الإفراط في الاستعارة:

هو الخروج عن حد الاستعمال والعادة، وكان أبو تمام قد أثهم بذلك لأنه خرج على عمود الشعر في الاستعارة، ولذلك قال الأمدى: «إنَّ للاستعارة حدّاً تصلح فيه إذا جاوزته فسدت وقبحت»^(٩). وقال: «وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس هو له إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يُشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ

(١) البرهان الكاشف ص ٣١٠.

(٢) النحل ٧٧.

(٣) تحرير التحبير ص ١٤٧، بديع القرآن ص ٥٤.

(٤) منهاج البلغاء ص ٧٦.

(٥) الأقصى القريب ص ١٠٠، الفوائد ص ٢٠٨، جوهر الكنز ص ١٣٩.

(٦) حسن التوسل ص ٢٣٤، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٢٤.

(٧) الطراز ج ٢ ص ٢٩٩، ٣١١.

(٨) الطراز ج ٢ ص ٣١٢.

(٩) الموازنة ج ١ ص ٢٥٩.

في خطبته شيء من القرآن»^(٧).

وقد عرّف الرازي الاقتباس بقوله: «هو أن تُدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه وتضخيمًا لشأنه»^(٨).

وقال الحلبي: «هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ولا ينبّه عليه للعلم به»^(٩)، وذكر مثل ذلك النويري^(١٠).

وقال ابن قيم الجوزية: «ويُسمّى التضمين، وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي أتى به أو ترتيب، فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين وإن كان كلاماً قليلاً أو نصف بيت فهو إيداع»^(١١) وعرّفه القزويني بمثل ما عرّفه الحلبي والنويري وأضاف قائلاً: «لا على أنه منه»^(١٢). كقول الحريري: «فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فاغرب»، والاقتباس من الآية السابعة والسبعين من سورة النحل وهي: ﴿وما أمرُ الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾.

ومنه قول الحماسي:

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) الوساطة ص ٤٢٩.

(٣) الاخذعان؛ مثنى الأخذع، وهما عرقان في صفحتي العنق. الخرق؛ الحمق.

(٤) العود؛ المسن من الابل.

(٥) اليلب؛ الدروع تتخذ من الجلود.

(٦) اللسان (قبس) والثعالبي كتاب «الاقتباس من القرآن الكريم».

(٧) البيان ج ٢ ص ١١٨، والرواية في ج ٢ ص ٦ أيضاً.

(٨) نهاية الايجاز ص ١١٢، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٩.

(٩) حسن التوسل ص ٣٢٣.

(١٠) نهاية الارب ج ٧ ص ١٨٢.

(١١) الفوائد ص ١١٧.

(١٢) الايضاح ص ٤١٦، التلخيص ص ٤٢٢.

لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه»^(١).

وعابوا المتنبي لأنه يفرط أحياناً في الاستعارة^(٢)، وإن كان لا يخرج على عمود الشعر كأبي تمام:

ومن قبيح استعارات أبي تمام قوله:

يا دهرُ قَوْمٍ من أَخْدَعِيكَ فقد

أضججتَ هذا الأنامَ من خُرْقِكَ^(٣)

وقوله:

فضربتَ الشتاءَ في أخدعيه

ضَرْبَةً غادرتَه عَوْدًا ركوباً^(٤)

وقوله:

تروخ علينا كُلَّ يومٍ وتغتدي

خُطوبٌ كأنَّ الدهرَ منهن يصرعُ

ومن افراط المتنبي في الاستعارة قوله:

مَسْرَّةٌ في قلوب الطيب مفرقتها

وحشرةٌ في قلوب البيض واليَلْبِ^(٥)

وقوله:

تجمعتُ في فؤاده هِمَمٌ

ملء فؤادِ الزمانِ إحداها

ولكنّ هذا اللون من الاستعارات ليس محظوراً على الشاعر إذا كان مثل المتنبي أو أبي تمام.

الاقتباس:

يقال: قبست منه ناراً أقبس قبساً فأقبسني أي: أعطاني منه قبساً، وكذلك اقتبست منه ناراً واقتبست منه علماً أيضاً أي: استفدته^(٦).

فالاقتباس هو الأخذ والاستفادة، وقد عرف هذا اللون من الأخذ منذ عهد مبكر وكانوا يسمون الخطبة التي لا تُوشح بالقرآن الكريم بتراء. وروى الجاحظ عن عمران بن حطان انه قال: «إن أول خطبة خطبتها عند زياد - أو عند ابن زياد - فاعجب بها الناس وشهدها عمي وأبي، ثم اني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلاً يقول لبعضهم: هذا الفتى أخطب العرب لو كان

وهي: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.
وكقول الآخر:

فلو كانت الأخلاق تحوي وراثَةً
ولو كانت الآراء لا تَشْعَبُ
لأصبح كلُّ الناس قد ضَمَّهم هوى
كما أنَّ كلَّ الناس قد ضَمَّهم أب
ولكنها الأقدارُ كلُّ مُيسَّرُ
لما هو مخلوقٌ له ومُقَرَّبُ

اقتبس من لفظ الحديث الشريف: «اعملوا، كُلُّ ميسَّرُ لما خُلِقَ له». وسار المتأخرون في هذا السبيل كالسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي^(٢)، غير أنَّ الحموي ذَكَرَ رأياً جديداً نسبه الى العلماء وهو أنَّ جعل الاقتباس نوعين: فما قام به الناثرون من الخطباء والمنشئين يُسمى الاقتباس، وما يتم على أيدي الشعراء في أشعارهم يسمى التضمين. وذلك أنَّ العلماء في هذا الباب قالوا: «إنَّ الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن، وأما الناثر فهو الذي يقتبس كالمنشئ والخطيب»^(٣).

وذكر الحموي أيضاً أنَّ الاقتباس من كتاب الله على ثلاثة أقسام: مقبول ومباح ومردود. فالاول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحو ذلك.

والثاني: ما كان في الغزل والرسائل والقصص.

والثالث: على ضريين:

- (١) الايضاح ص ٤١٩، التلخيص ص ٤٢٣.
- (٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣، ٥٠٩، المطول ص ٤٧١، المختصر ج ٤ ص ٥٠٩، الاتقان ج ١ ص ١١٣، شرح عقود الجمان ص ١٦٦، الاطول ج ٢ ص ٢٥٠، مواهب ج ٤ ص ٥٠٩، التبيان في البيان ص ٣٤٤، شرح الكافية ص ٣٢٦.
- (٣) خزانة الادب ص ٤٤٤.

إذا رُمَّت عنها سَلْوَةٌ قال شافعُ
من الحب ميعادُ السَلْوِ المقابِزُ

ستبقى لها مُضْمَرِ القلبِ والحشا
سريرةٌ ودَّ يوم تَبلى السرائِرُ
والاقتباس من الآية التاسعة من سورة الطارق وهي:
﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

والاقتباس منه ما لا ينتقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الاصلى الى معنى آخر كما تقدم، ومنه بخلاف ذلك كقول ابن الرومي:

لئن أخطأتُ في مَدِحِ
لك ما أخطأتُ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي

«بوادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ»

والاقتباس من الآية السابعة والثلاثين من سورة ابراهيم وهي: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره^(١) كقول بعضهم عند وفاة بعض أصحابه:

قد كانَ ما خِفْتُ أَنْ يَكُونَ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ راجعونَا

والاقتباس من الآية ١٥٦ من سورة البقر، وهي: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون﴾.

وقول عمر الخيام:

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْمَعَالِي
بصائبِ فِكْرَةٍ وَعِلْوِ هَمِّهِ
ولاح بحكمتي نورُ الهدى في
ليالٍ للضلالة مُدْلهِمسه
يريد الجاهلون ليطفؤوه
«ويأبى الله إلا أن يُتِمَّه»

والاقتباس من الآية الثانية والثلاثين من سورة التوبة،

ثم تصرف فيه فعبر عنه بلفظ الحقيقة فقال:

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي
بصبح وما إلا صباح منك بأمثلٍ

قال المصري: «ولا شبهة في أن هذا إنما يأتي من قوة الشاعر وقدرته، ولذلك أتت قصص القرآن الكريم في صور شتى من البلاغة ما بين الایجاز والاطناب واختلاف معاني الالفاظ»^(٨).

ولخصّ السيوطي كلام المصري وسار على مذهبه في بحث هذا الفن وسماه الاقتدار^(٩).

الاقْتِسَام:

هو افتعال من قولهم «اقتسم اقتسامًا وقاسم مقاسمة وقاسم قسامًا إذا حلف»^(١٠) وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه: حلف له، وتقاسم القوم. تحالفوا، وفسر قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾^(١١) بانهم الذين تقاسموا وتحالفوا على كيد الرسول^(١٢). وهو في البلاغة «أن يُحلف على شيء بما فيه فخر أو مدح أو تعظيم أو تغزل أو زهو أو غير ذلك مما يكون في رشاقة في الكلام وتحسين له»^(١٣). وهذا تعريف العلوي، وذكر من الاقتسام خمسة أمور:

- (١) الغاشية ٢٥ - ٢٦.
- (٢) خزنة الادب ص ٤٤٢، نفحات ص ٢٣٩.
- (٣) أنوار الربيع ج ٢ ص ٢١٨.
- (٤) شرح عقود الجمان ص ١٦٨.
- (٥) اللسان (قدر).
- (٦) بديع القرآن ص ٢٨٩.
- (٧) تحرير ص ٥٨٢.
- (٨) تحرير ص ٥٨٣، بديع القرآن ص ٢٩٠.
- (٩) معترك الاقران ج ١ ص ٣٨٨، الاتقان ج ٢ ص ٨٧.
- (١٠) الطراز ج ٣ ص ١٥٣.
- (١١) الحجر ٩٠.
- (١٢) اللسان (قسم).
- (١٣) الطراز ج ٣ ص ١٥٣.

أحدهما: ما نسبة الله تعالى الى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان إنه وَقَعَ على مطالعة فيها شكاية من عماله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(١).

والآخر: تضمين آية كريمة في معنى هزل لا يحسن ذكر مثاله^(٢). وهذا ما نقله المدني^(٣) من شرح بديعية صفى الدين الحلبي وذكره السيوطي أيضًا^(٤).

الاقْتِدَار:

القُدْرُ والقدرة والمقدار: القوة، وقَدَرَ عليه يَقْدِرُ قُدْرَةً، واقتدر فهو قادر وقدير وأقدره الله عليه. والاقْتِدَارُ على الشيء: القدرة عليه^(٥).

والاقتدار من الفنون التي ابتدعتها المصري وقال في تعريفه: «هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتدارًا منه على نظم الكلام وتركيبه وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به لفظ الاستعارة وطورًا يبرزه في صورة الإرداف وأونة يخرج مخرج الایجاز، وحينًا يأتي به في ألفاظ الحقيقة»^(٦). وسماه في «تحرير التحبير» التصرف وعرفه بمثل هذا التعريف^(٧). كقول امرئ القيس يصف الليل:

وليلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرخى سدولَه

عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي

فقلتُ له لَمَّا تمطى بضلْبِه

وأزْدَفَ أعجازًا وناءً بَكْلِكِ

فانه ابرز هذا المعنى في لفظ الاستعارة ثم تصرف فيه فأتى به بلفظ الایجاز فقال:

فيا لك من ليلٍ كأنَّ نجومَه

بكلِّ مُغارِ الفئْلِ شُدَّتْ بيذْبِلِ

ثم تصرف فيه فأخرجه بلفظ الإرداف فقال:

كأنَّ الثريا عُلقَتْ في مصامِها

بأمراسٍ كَثَّانِ الى صُمِّ جَنْدَلِ

الأول: الامتنان والفخر، والامتنان كقوله تعالى: ﴿فَوَزَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَمَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(١). فأمّن الله - تعالى - وأكد امتنانه بما يقرره من القسم.

والافتخار كقول الأشتر النخعي:

بَقِيْتُ وَفَرِي وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعَلِيِّ
وَلَقِيْتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبَسِ
إِنْ لَمْ أَشَنَّ عَلِيَّ ابْنَ هِنْدٍ غَارَةً

لم تخل يوماً من نهاب نفوس
فضمّن هذا القسم على الوعيد ما فيه افتخار من الجود والشرف والسؤدد والشجاعة والبسالة.

الثاني: المدح والثناء كقول الشاعر:

أَثَارُ جُودِكَ فِي الْقُلُوبِ تُؤَثِّرُ
وَجَمِيلُ بَشْرِكَ بِالنَّجَاحِ يُبَشِّرُ
إِنْ كَانَ فِي أَمَلِ سِوَاكَ أَعْدُهُ
فَكَفَرْتُ نِعْمَتَكَ الَّتِي لَا تُكْفَرُ

فهذا إنما ورد ههنا على جهة المدح والثناء على الممدوح بما هو أهله.

الثالث: تعظيم القدر كقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٢) ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

قَالَتْ وَعَيْشِ أَخِي وَحُرْمَةِ وَالِدِي
لَأَنْبَهَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَخَرَجْتُ خِيْفَةَ قَوْلِهَا فَتَبَسَّمْتُ
فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ
فَضَمَمْتُهَا وَلِثَمْتُهَا وَقَدَيْتُ مَنْ
حَلَفْتُ عَلَيَّ يَمِينَ غَيْرِ الْمَحْرَجِ

فقد حكى يمينها على جهة الاعظام لها ورفع القدر منها.

الرابع: ما يكون على جهة التغزل، ومثاله ما قاله بعض الشعراء:

جَنَى وَتَجَنَّى وَالْفَوْأُذُ يُطِيعُهُ
فَلَا ذَاقَ مَنْ يَجْنِي عَلَيَّ كَمَا يَجْنِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَعَيْنِي وَمَسْمَعِي
فَلَا نَظَرْتُ عَيْنِي وَلَا سَمِعْتُ أُذُنِي

فقوله: «فان لم يكن عندي كسمعي» فيه دلالة على القسم وهو متضمن له على جهة التغزل والاعجاب.

الخامس: أن يكون وارداً على جهة الزهو والطرب ومثاله قول الشاعر:

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا
وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
وَمَنْ قَامَ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ
بَأَثَبَتْ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ

لَمَّا خُلِقْتُ كَقَاكَ إِلَّا لِأَرْبَعِ
عَقَائِلَ لَمْ يُعْقَلْ لَهَنَّ ثَوَانِ
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهِ وَإِعْطَاءِ نَائِلِ
وَتَقْلِيْبِ هِنْدِيٍّ وَحَبْسِ عِنَانِ

فهذا وارد في القسم على جهة الاعظام في المديح والاطراء على ممدوحه وإشادة ذكره واطهار أمره.

وسماه التبريزي القسم^(٣)، قال البغدادي: «هو أن يقسم الشاعر أو يحلف غيره بأقسام تتعلق بغرضه المقصود معتمداً بذلك الابداع فيما ينظم»^(٤).

وذكر له بيتي الأشتر النخعي: «بقيت وفري...»
وقول أبي علي البصير معرضاً بعلي ابن الجهم:

أَكْذَبْتُ أَحْسَنَ مَا يَظُنُّ مُؤْمَلِي
وَهَدَمْتُ مَا شَادَتْهُ لِي أُسْلَافِي
وَعَدَمْتُ عَادَاتِي الَّتِي عُودْتُهَا
قَدَمًا مِنَ الْإِتْلَافِ وَالْإِخْلَافِ

(١) الذاريات ٢٣.

(٢) الحجر ٧٢.

(٣) الوافي ص ٢٩٤.

(٤) قانون البلاغة ص ٤٥٨.

وما يكون هجاء لغيره». وَرَدَّ المَدْنِي هذا الكلام بقوله: «وهذا غلط صريح منه فإنَّ القسم من أنواع الانشاء وحكاية الحال من نوع الاخبار، ولكن ليس هذا بمستنكر من ابن حجة فإنَّ باعه قصير جداً في المسائل العلمية»^(١٠).

وقال السيوطي: «هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم أو تنويه لقدره أو ذم لغيره أو جارياً مجرى الغزل والترفق أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد»^(١١). وتحدث عنه في الانشاء وقال: «نقل القرافي في الاجماع على أنه إنشاء وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحققها عند السامع»^(١٢).

فالاعتساف هو القسم، ولكن العلوي انفرد بالمصطلح الأول في حين تردد الثاني في كتب البلاغة والنحو والأدب.

الاقتصاد:

القصد في الشيء: خلاف الافراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير، واقتصد فلان في أمره، أي: استقام^(١٣)، فالاعتساف هو الاستقامة والاعتدال في

- (١) تحرير التحبير ص ٣٢٧.
- (٢) بديع القرآن ص ١١٢.
- (٣) المصباح ص ١٢٠.
- (٤) حسن التوسل ص ٢٧٧.
- (٥) نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٠.
- (٦) جوهر الكنز ص ٣٠٧.
- (٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩.
- (٨) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٠.
- (٩) خزانة الادب ص ١٤٥، وينظر نفحات الأزهار ص ٩٨.
- (١٠) أنوار الربيع ج ٣ ص ٢٠٩.
- (١١) معترك ج ١ ص ٤٠٨، الاتقان ج ٢ ص ٩٣، شرح عقود الجمان ص ١٣٩.
- (١٢) معترك ج ١ ص ٤٤٩.
- (١٣) اللسان (قصد) والمنصف ص ٩٠.

وَصَحِبْتُ أَصْحَابِي بِعَرَضٍ مُعْرِضٍ
مُتَحَكِّمٍ فِيهِ وَمَالٍ وَافِي
وَعَضَضْتُ مِنْ نَارِي لِيُخْفِيَ ضَوْؤُهَا
وَقَرَيْتُ عُذْرًا كَاذِبًا أَضِيافِي
إِنْ لَمْ أَشُرَّ عَلَى عَلِيٍّ خُلَّةً
تُضْحِي قَدَى فِي أَعْيُنِ الْأَشْرَافِ

وقال المصري: «هو أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون له مدحاً وما يكسبه فخراً، أو ما يكون هجاء لغيره أو وعيداً له أو جارياً مجرى التغزل والترفق»^(١) أو «خارجاً مخرج الموعظة والزهد»^(٢). وذكر له الأمثلة السابقة للأقسام الخمسة وهي: الفخر والمدح والتعظيم والغزل والزهد.

وقال ابن مالك: «القسم أن تحلف على شيء بما فيه من فخر أو مدح أو تعظيم أو تغزل أو زهد أو غير ذلك»^(٣)، وهذا قريب من كلام المصري وتقسيماته. وقال الحلبي: «هو أن يُريد الشاعر الحلف على شيء يأتي في الحلف بما يكون مدحاً له وما يكسبه فخراً أو يكون هجاء لغيره أو وعيداً أو جارياً مجرى التغزل والترفق»^(٤). وذكر النويري هذا التعريف^(٥).

وقال ابن الأثير الحلبي: «حقيقة هذا الباب أن يريد الشاعر أن يحلف على شيء فيحلف بما يكون له مدحاً وما يكسبه فخراً وما يكون تعريضاً لغيره»^(٦).

وقال السبكي: «هو الحلف على المراد بما يكون فيه تعظيم المقسم أو غير ذلك بما يناسبه»^(٧).

وَعَرَّفَهُ الزركشي تعريفاً نحويًا فقال: «هو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر»^(٨)، وليس هذا ما قصد إليه البلاغيون.

ونفى الحموي أن يكون لهذا الفن كبير فائدة في البديع، قال: «القسم أيضاً حكاية حال واقعة وليس تحته كبير أمر ولكن تقرر أن الشروع في المعارضة ملزم»^(٩)، وعرفه بقوله: «هو أن يقصد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون له مدحاً وما يكسبه فخراً

اقتصَّ أثره. وقيل: القاصَّ يَقصُّ القصص لا تباعه خبرًا بعد خبر وسوقه الكلام سوقًا^(٥).

والاقتصاص كما عرّفه ابن فارس «هو أن يكون كلام في سورة مقتصًا من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها»^(٦) كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾^(٧)، والآخرة دار الثواب لا عمل فيها فهذا مقتص: من قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصّٰلِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَىٰ﴾^(٨).

ونقل الزركشي هذا الباب من ابن فارس وأشار الى ذلك^(٩)، وفعل مثله السيوطي^(١٠).

وذكر العسكري الاقتصاص بمعنى سَوَّق القصة، قال: «وإذا دعت الضرورة الى سوق خبر واقتصاص كلام فتحْتَاج الى أن تتَوَخَّى فيه الصدق وتتَحَرَّى الحق فإنَّ الكلام حينئذ يملكك ويحوجك الى اتباعه والانقياد له»^(١١). وكان ابن طباطبا قد ذكر اقتصاص الخبر أو الحكاية عند كلامه على ما يضطر اليه الشاعر، وقال: «على أن الشاعر إذا اضطر الى اقتصاص خبر في شعر ذبَّره تدييرًا يسلس له معه القول ويترد فيه المعنى فبنى شعره على وزن يحتمل أن يخشى بما يحتاج الى اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلط به أو نقص يحذف منه، وتكون الزيادة

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣١٦، الجامع الكبير ص ٢٢٦.

(٢) الأقصى القريب ص ١٠٠، جوهر الكنز ص ١٣٩، الفوائد ص ٢٢٦.

(٣) الطراز ج ٢ ص ٣٠١.

(٤) البقرة ٢ - ٥.

(٥) اللسان (قصص).

(٦) الصاحبي ص ٢٣٩.

(٧) العنكبوت ٢٧.

(٨) طه ٧٥.

(٩) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٩٧.

(١٠) الاتقان ج ٢ ص ٨٨.

(١١) كتاب الصناعتين ص ١٤٧.

الامور.

وقد عرفه ابن الأثير بقوله: «أن يكون المعنى المضمّر في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته»^(١).

ولخص التنوخي وابن الأثير الحلبي وابن قيم الجوزية كلام ابن الأثير^(٢)، ونقل العلوي كثيرًا منه وقال في الاقتصاد: «ومعناه أن يكون المعنى المتدرج تحت العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه مساويا له من غير زيادة فيكون إفراطًا، ولا نقصان فيكون تفريطًا»^(٣). كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

فهذه الأوصاف على نهاية الاقتصاد والتوسط من غير إفراط ولا تفريط.

ومنه قول الفرزدق يمدح زين العابدين علي بن الحسين:

هذا الذي تَعْرِفُ البطحاءُ وَطَاطَئُهُ
والبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالجِلُّ وَالْحَرَمُ
هذا ابنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلَّهِمْ
هذا التَّقِيُّ النَقِيُّ الطَاهِرُ العَلَمُ
يكاد يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ

رَكْنَ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وقول البحري:

فلو أنْ مُشْتاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا

فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المِنْبَرُ

الاقتصاص:

قَصَّ آثارهم يَقصُّها قَصًّا وَقَصَصًا وَتَقَصُّصًا: تَبَّعَهَا بالليل، وقيل: هو تَبَّع الأثر أي وقت كان. ويقال: خرج فلان قَصَصًا في أثر فلان وقَصًّا وذلك اذا

وتحدث عنه في باب التنظير أيضًا^(٥)، وتكلم ابن فارس والزرکشي والسيوطي عليه في فصول خاصة اتخذت من هذا المصطلح عنوانا.

الاقْتِضَابُ:

القَضْبُ: القطع، قَضِبَهُ يَقْضِبُهُ قَضْبًا واقتضبه وقَضَّبَهُ فانقضب وتَقَضَّبَ: انقطع، واقتضب الحديث: انتزعه واقتطعه، واقتضاب الكلام: ارتجاله^(٦) قال العسكري: «الاقْتِضَابُ أخذ القليل من الكثير، وأصله من قولهم: «اقتضبت الغصن» إذا قطعت من شجرته، وفيه معنى السرعة أيضًا»^(٧). والاقْتِضَابُ عند بعضهم^(٨) الاشتقاق الذي تقدم. وله معنى آخر أشار اليه البلاغيون كابن الاثير وهو خلاف التخلص وذلك «أن يقطع الشاعر كلامه الذي فيه ويستأنف كلامًا آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالأول. وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين، وأما المحدثون فانهم تصرفوا في التخلص فأبدعوا فيه وأظهروا منه كل غريبة»^(٩). وقال التنوخي: «وأما الاقتضاب فالانتقال من كلام الى غيره بكلمة تدلُّ على الانتقال من غير أن يعلق بعض الكلام ببعض، وهو غالبًا بقولهم: «أما بعد» وقولهم: «وبعد» وبكلمات كثيرة غيرهما. وقد سمي هذا «فصل

والنقصان يسيرين غير مخدجين لما يستعان فيه بهما وتكون الالفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه^(١). ومثل له بقصيدة الأعشى فيما اقتضه من خبير السَّمَوَالِ والتي قال فيها:

كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ

فِي جَحْفَلٍ كَزَهَاءِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

ثم قال ابن طباطبا بعد الأبيات: «فانظر الى استواء هذا الكلام وسهولة مخرجه وتمام معانيه وصدق الحكاية فيه ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له من غير حشد مجتلب ولا خلل شائن، وتأمل لطف الأعشى فيما حكاه في قوله: «أقتل ابنك صبرًا أو تجيء بها» فاضمر ضمير الهاء في قوله: «واختار أدرعه أن لا يسب بها» فتلافى ذلك الخلل بهذا الشرح فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها لاشتمالها على الخبر كله بأوجز كلام وأبلغ حكاية وأحسن تأليف وألطف إيماة»^(٢).

وقال المصري: «هو أن يقتصر المتكلم قصة بحيث لا يغادر منها شيئًا في ألفاظ قليلة موجزة جدًا بحيث لو اقتصها غيره ممن لم يكن في مثل طبقتة من البلاغة أتى بها في أكثر من تلك الالفاظ. وأكثر قصص الكتاب العزيز من هذا القبيل كقصة موسى - عليه السلام - في طه، فان معانيها أتت بألفاظ الحقيقة تامة غير محذوفة وهي مستوعبة في تلك الالفاظ. وقد رأيت أكثر العلماء على تقديم الأعشى في اقتصاصه قصة السموال في أدرع امرئ القيس الشاعر التي أودعها عنده لما قصد قيصر ووفاء السَّمَوَالِ بها حتى سلمها لأهل امرئ القيس وبذل دونها دم ولده وهو يشاهده»^(٣). ومن ذلك قول النابغة في اقتصاصه قصة الزرقاء للنعمان^(٤) والتي منها:

فَاخُكُمُ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ

إِلَى حَمَامٍ شَرَّاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

لقد تحدث المصري عن الاقتصاص في باب الايجاز،

(١) عيار الشعر ص ٤٣.

(٢) عيار الشعر ص ٤٥.

(٣) تحرير التحبير ص ٤٥٩.

(٤) تحرير ص ٤٦٤.

(٥) تحرير ص ٤٥٩، بديع القرآن ص ٢٣٩.

(٦) اللسان (قضب).

(٧) كتاب الصناعتين ص ٣٩.

(٨) حدائق السحر ص ١٠٣، الفوائد ص ٢٢٠،

حسن التوسل ص ١٩٣، نهاية الارب ج ٧

ص ٩٥.

(٩) المثل السائر ج ٢ ص ٢٥٩، الجامع الكبير

ص ١٨١.

فضمنها غزلاً كثيراً ثم قال بعد ذلك:

تَضَحُّكَ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ
قَامَ بِالْآثَارِ وَالشَّنَنِ
سَنِّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدُوا
فَكَأَنَّ الْمَحَلَّ لَمْ يَكُنْ

قال العلوي: «وأكثر مدائح أبي نواس مؤسسة على الاقتضاب من غير ذكر التخلص»^(٧). والاقتضاب عند السجلماسي هو «اقتضاب الدلالة»^(٨) وهو أربعة أنواع: التبع والكناية والتعريض والتلويح، ولكل فن موضعه.

الاقْتِطَاعُ:

القطع: إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلاً، واقتطعه فانقطع وتقطع^(٩) أي: فصله، والاقْتِطَاعُ هو أخذ قطعة من الشيء.

وكان ابن فارس قد عقد باباً باسم «القبض» وقال عنه: «ومن سنن العرب القبض محاذاة للبسطة وهو النقصان من عدد الحروف»^(١٠) كقول القائل:

غرثي الوشاحين صموت الخلخل
أراد: الخلخال. وقول الآخر:

ليس شيء على المنون بخال

- (١) الأقصى القريب ص ٨٤.
- (٢) الايضاح ص ٤٣٣، التلخيص ص ٤٣٣.
- (٣) الايضاح ص ٤٣٤، التلخيص ص ٤٣٤.
- (٤) ص ٥٥.
- (٥) ص ٤٩.
- (٦) الطراز ج ٢ ص ٣٤٧، الفوائد ص ١٤١، شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٣٨، المطول ص ٤٨٠، الاطول ج ٢ ص ٢٥٨، خزنة الأدب ص ١٥٠، التبيان في البيان ص ٣٨٤.
- (٧) الطراز ج ٢ ص ٣٥٣.
- (٨) المنزاع البديع ص ٢٦٢.
- (٩) اللسان (قطع).
- (١٠) الصاحبي ص ٢٢٨.

الخطاب»، وفصل الخطاب حقيقته هو تخليص المعاني بعضها من بعض والاتيان بكل شيء في موضعه ومع ما يناسبه ولعله خلاصة علم البيان»^(١).

وقال القزويني: «وقد ينتقل من الفن الذي شبب الكلام به الى ما يلائمه ويُسمَّى ذلك الاقتضاب وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين»^(٢) وألحق به ما ذكره التنوخي وهو «فصل الخطاب» وقال: «ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص كقول القائل بعد حمد الله: «أما بعد»، قيل وهو «فصل الخطاب»^(٣) كقوله تعالى: ﴿هَذَا، وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ﴾^(٤)، وقوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ، وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَأْبٍ﴾^(٥). ومنه قول الكاتب: «هذا باب» و«هذا فصل». ولا يخرج عن ذلك البلاغيون الآخرون كالعلوي وابن قيم الجوزية والسبكي والتفتازاني والحموي والاسفرايني والمغربي^(٦).

ومن بديع ما جاء في الاقتضاب قول البحري يمدح الفتح بن خاقان بعد انخساف الجسر به في قصيدته التي مطلعها:

متى لاح بزق أو بدا طلل قفر
جرى مستهلاً لابكبيء ولا نزر

وبعده:

فتى لا يزال الدهر بين رباعه
أيادٍ له بيض وأفنية خضر

فبينما هو في غزلها إذ خرج الى المديح على جهة الاقتضاب بقوله:

لعمرك ما الدنيا بنا قصة الجدا

إذا بقي الفتح بن خاقان والقطر

فخرج الى المديح من غير أن يكون هناك له سبب من الأسباب.

ومن ذلك ما قاله أبو نواس في قصيدته التي مطلعها:

يا كثير النوح في الدمن

لا عليها بل على السكن

الاسم من قبل ونقل تعريف ابن فارس أيضًا^(١٠).

فالاقتناس هو الاقتصاص عند جميعهم، ولكن مصطلح «الاقتصاص» أليق بمقام القرآن الكريم، وقد تقدم الاقتصاص.

الإقحام:

قحم الرجل في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير روية، والاقحام: الارسال في عجلة^(١١) ويقال: اقحم فلان نفسه بينهم إذا دخل بينهم.

وقد قال السبكي: «وهو يعلم مما سبق»^(١٢)، ولم يفسر ذلك، والذي سبق «الاشارة» التي تعني دلالة اللفظ القليل على المعنى الكثير أي انه من الايجاز، وبذلك يكون الاقحام هو إدخال شيء على الكلام مما يزيد عليه، ولعله يريد شيئًا آخر، ولكن البلاغيين لم يذكروا ذلك.

الأقسام:

الأقسام جمع قسم ولم يذكر هذا المصطلح إلا ابن منقذ الذي قال: «إنَّ محاسن الشعر الأقسام الشريفة للمعاني اللطيفة»^(١٣). وهذا تعريف أو قول

(١) الزخرف ٧٧، وفي القرآن الكريم؛ «ونادوا يا مالك».

(٢) الصاحبي ص ٢٢٩.

(٣) المائدة ٦.

(٤) الكهف ٣٨.

(٥) الاتقان ج ٢ ص ٦١. معترك الاقران ج ١ ص ٣١٩.

(٦) اللسان (قنص).

(٧) معترك ج ١ ص ٣٩١.

(٨) الصاحبي ص ٢٣٩.

(٩) الاتقان ج ٢ ص ٨٨.

(١٠) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٩٧.

(١١) اللسان (قحم).

(١٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١.

(١٣) البديع في نقد الشعر ص ١٤٠.

أي: بخالد. وقال: «وهذا كثير في أشعارهم، وما أحسب في كتاب الله - جل ثناؤه - منه إلا انه روي عن بعض القراء انه قرأ «ونادوا يا مال»^(١) أي: يا مالك. والله أعلم بصحة ذلك»^(٢).

وسماه السيوطي الاقتطاع، وهو من أنواع الحذف عنده، قال: «الحذف على أنواع: أحدها ما يسمى بالاقتطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة، وأنكر ابن الاثير ورود هذا النوع في القرآن. وردَّ بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها من اسم من اسمائه. وأدعى بعضهم أن الباء في ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾^(٣) أول كلمة «بعض» ثم حذف الباقي. ومنه قراءة بعضهم: «ونادوا يا مال» بالترخيم، ولما سمعها بعض السلف قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم.

وأجاب بعضهم أنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة. ويدخل في هذا النوع حذف «أنا» في قوله: ﴿لكننا هو الله ربي﴾^(٤) الأصل: «لكن أنا» حذفت همزة «أنا» تخفيفًا وادغمت النون في النون^(٥). وهذا قريب مما ذكره ابن فارس، وهو من أنواع الحذف أو الايجاز بالحذف.

الاقتصاص:

قنص الصيد يقنصه قنصًا وقنصًا واقتنصه وتقنصه: صاده، والاقتناص: الاصطياد^(٦).

وقد ذكر السيوطي أن ابن فارس ذكره^(٧)، وليس الأمر كذلك وإنما ذكر الاقتصاص وقال عنه: «هو أن يكون كلام في سورة مقتصا من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها»^(٨). ولعل محقق كتاب «معترك الاقران في إعجاز القرآن» وقع في سهو، وإن أشار الى ذلك في الهامش ولكنه أثبت مصطلح «الاقتناص» وذكر تعريف ابن فارس للاقتصاص، على الرغم من أن السيوطي ذكره باسم «الاقتصاص» في كتابه «الاتقان في علوم القرآن»^(٩)، وذكره الزركشي بهذا

الذاهب»^(٣). وقد سَمَّى الرماني هذا النوع الایجاز بالحذف،^(٤) وهو المصطلح الذي شاع في كتب البلاغة حينما قسموا الایجاز الى: إیجاز حذف وإیجاز قصر. وعقد الحموي بابا للاكتفاء وقال: هو أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى. وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين: قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها. والاكتفاء بالبعض أصعب مسلکا لكنه أحلى موقعا ولم أره في كتب البديع ولا في شعر المتقدمين. فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح:

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي
ما دُمْتُ في قيد الحياة ولا إذا

فمن المعلوم أن باقي الكلام: «ولا إذا مت» لما تقدم من قوله «الحياة» ومتى ذكر تمامه في البيت الثاني كان عيبا من عيوب الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه في الأذهان»^(٥).

والاكتفاء ببعض الكلمة عزيز الوقوع جدا ولم يوجد في كتب البديع ومن ذلك قول ابن سناء الملك:

أهوى الغزالة والغزال وإنما
نههت نفسي عفة وتدينا
ولقد كفت عنان عيني جاها
حتى إذا أعييت أطلقت العنا
أي: العنان^(٦).

(١) اللسان (كفي).

(٢) يوسف ٨٢.

(٣) العمدة ج ١ ص ٢٥١.

(٤) النكت في إعجاز القرآن ص ٧٠.

(٥) خزنة الأدب ص ١٢٦.

(٦) خزنة ص ١٢٩، نفحات ص ٨١.

يحتاج إلى إيضاح لأن الأمثلة التي ذكرها لا تحدد ذلك تحديدا دقيقا. ومن باب الأقسام قول النابغة:

نُبئتُ أن أبا قابوس أوعدني
ولا قرارَ علي زارٍ من الأسدِ
ما إن أتيتُ بشيءٍ أنت تكرهه
إذن فلا رفعتُ سوطي الي يدي

وقول أبي فراس:

لا ضربتُ لي بالعراق خيمة
ولا أنثنتُ أنا ملي على قلم
إن لم أئزها من ديارِ فارسِ
شعثُ النواصي فوقها سُودُ اللمم
حتى تُرى لي بالعراق وقعة

يُشرب فيها الماء ممزوجا بدم
وقول علي بن مقلد أبي شجاع سديد الملك:

فان لم تكن عندي كسمعي وناظري
فلا نظرتُ عيني ولا سمعتُ أذني
فأنك أحلي في جفوني من الكرى
وأطيبُ طعمًا في فؤادي من الأمن

الاكتفاء:

كفي يكفي كفاية إذا قام بالأمر، وكفى الرجل واكتفى: اضطلع، وكفاك الشيء يكفيك واكتفيت به. وكفاه الأمر: إذا قام فيه مقامه^(١).

تحدث ابن رشيق في باب الایجاز وقال: إن الایجاز عند الرماني على ضربين مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه مثل: «سل أهل القرية». ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضوع كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(٢) وقال: إن الضرب الأول مما ذكره الرماني يسمى المساواة، والضرب والثاني مما ذكره يسمونه «الاكتفاء» وهو «داخل في باب المجاز وفي الشعر القديم والمحدث منه كثير يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على

أي: وإن كان كذلك رضيته أيضًا.
وقد يكون بالاسمية والخبرية لـ «إن» وأمثالها كقول
الشاعر:

وَيَقْلُنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَكَ
وقد كَبُرَتْ فقلت: إنَّه

أي: أنه كذلك.

وعلق المدني على تعريف صفي الدين الحلبي وهو
قريب من تعريف الحموي بأنه «شامل لنوعي الاكتفاء
غير أنه لا يشمل الاكتفاء في النثر كما هو ظاهر،
والحد الذي ذكرناه شامل للنظم والنثر معًا»^(٩).

وأما النوع الثاني من الاكتفاء وهو الذي يكون
ببعض الكلمة فهو «حذف بعض حروف القافية من
آخرها لدلالة الباقية عليه» ثم قال: «واحترزنا بالقافية
عن غيرها كقوله:

فنعم الفتى تعشو الى ضوء ناره
طريف بن مالٍ ليلة الجوع والحصر

أي: ابن مالك. وبقولنا: «من آخرها» عن مثل قوله:

غرثى الوشاحين صموت الخلخل

أي: الخلخال. فلا يسمى ذلك اكتفاءً عند البديعيين.
وقد يسمى في غير هذا العلم بالاقطاع ولا يختص
بالقافية. وسماه ابن جني في كتاب التعاقب بالايحاء
وعقد له بابا فقال في باب الايحاء: «هو الاكتفاء عن

(١) النحل ٨١.

(٢) النحل ٨٠. ينظر الاتقان ج ٢ ص ٦١، ومعترك
ج ١ ص ٣٢٠، شرح الكافية ص ١٠٥.

(٣) أنوار الربيع ج ٣ ص ٧١. وينظر المنزح البديع
ص ١٨٨، الروض المربع ص ١٤٣.

(٤) النحل ٨١.

(٥) الأنعام ٣٥.

(٦) النازعات ١ - ٥.

(٧) التوبة ١٠٢.

(٨) الأعراف ١٥٢.

(٩) أنوار الربيع ج ٣ ص ٧٣.

وذكر السيوطي ما قاله ابن رشيق، ذلك أنَّ الحذف
على أنواع أحدهما الاكتفاء وهو «أن يقتضي المقام
ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن
الآخر لنكتة ويختص غالبا بالارتباط العطفى كقوله
تعالى: ﴿سرابيلَ تقيكم الحرَّ﴾^(١)، أي: والبرد.
ونخصَّ الحرَّ بالذكر لأنَّ الخطاب للعرب وبلادهم
حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشد عندهم
من البرد. وقيل: لأنَّ البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته
صريحًا في قوله: ﴿ومن أصوافِها وأوبارِها
وأشعارِها﴾^(٢).

ولخصَّ السيوطي في كتابه «شرح عقود الجمان»
ما ذكره الحموي في خزانته وذكر بعض أمثله.

وقال المدني: «إنَّ الاكتفاء ضرب من الایجاز وهو
نوعان: نوع يكون بكلمة فأكثر، ونوع يكون ببعض
الكلمة. فالأول «هو أن يقتضي المقام ذكر شيئين
بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر
لنكتة ولا يكون المكتفى عنه إلا آخرًا لدلالة الأول
عليه، وذلك الارتباط قد يكون بالعطف وهو
الغالب»^(٣) كقوله تعالى: ﴿سرابيلَ تقيكم
الحرَّ﴾^(٤). وقد يكون بالشرط وجوابه كقوله تعالى:
﴿فإن استطعت أن تبغى نفقًا في الأرض أو سُلَّمًا في
السَّماءِ﴾^(٥)، أي: فافعل. وقد يكون بالقسم بدأ به
كقوله تعالى: ﴿والنازعاتِ غَرْقًا. والناشطاتِ نَشْطًا.
والسابحاتِ سَبْحًا. فالسابقَاتِ سَبْقًا. فالمدبِّراتِ
أَمْرًا﴾^(٦) أي: لتبعثن. وقد يكون بطلب الفعل
للمتعلق كقوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾^(٧)
أي بسيء، «وآخر سيئًا» أي بصلاح. أو بطلبه
للمفعول كقوله تعالى: ﴿إنَّ الذين اتَّخذوا
العِجْلَ﴾^(٨)، أي: إلها.

وقد يكون بطلب حرف الشرط لجملة الشرط وجوابه
كقول الشاعر:

قالت بناتُ العم يا سلمى وإن

كان فقيرًا معدما قالت: وإن

الإكمال:

الكمال: التمام، وقيل: التمام الذي تجزأ منه أجزاءه، واكملت الشيء أي أجملته وأتممته، وأكمله هو واستكمله وكمله: أتمه وجمله، والاكمال: التمام^(٥).

قال العلوي: «وهو إفعال من أكمل الشيء إذا حَصَّلَه على حالة لا زيادة عليها في تمامه. وهو في مصطلح علماء البيان مقول على أن تذكر شيئاً من أفانين الكلام فترى في إفادته المدح كأنه ناقص لكونه موهماً بعيب من جهة دلالة مفهومه فتأتي بجملة فتكمله بها تكون رافعة لذلك العيب المتوهم. وهذا مثاله أن تذكر من كان مشهوراً بالشجاعة دون الكرم ومن كان عالماً بالبلاغة دون سداد الرأي ونفاذ العزيمة فترى في ظاهر الحال أنه ناقص بالاضافة الى عدم تلك الصفة المفقودة عنه فتذكر كلاماً يكمل المدح ويرفع التوهم كما قال كعب بن سعد الغنوي في ذلك:

حليم إذا ما الحلمُ زَيْنَ أهله
مع الحلم في عين العدو مهيب

فانه لو اقتصر على قوله: «حليم إذا ما الحلم زين أهله» لأوهم الى السامع أنه غير واف بالمدح؛ لأن كل من لا يعرف منه إلا الحلم ربما طمع فيه عدوه فنال منه ما يذم به، فلما كان ذلك متوهماً عند إطلاقه أردفه بما يكون رافعاً للاحتمال مكماً للفائدة بوصف الحلم، وهو قوله: «مع الحلم في عين العدو مهيب» ليدفع به ما ذكرناه من التوهم. وكقول السموأل بن عادياء:

- (١) أنوار ج ٣ ص ٨٣؛ الصاحبي ص ٢٢٨.
- (٢) اللسان (كش).
- (٣) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٧٤.
- (٤) البيان ج ١ ص ٩٩.
- (٥) اللسان (كمل).

الكلمة بحرف من أولها». وسماه ابن فارس في فقه اللغة بالقبض، وهو وارد في القرآن والحديث وكلام العرب^(١) ونقل بعض أمثلة القبض والاقطاع التي ذكرها ابن فارس والسيوطي، كقول الشاعر:

قواطيناً مَكَّةً من وِزْقِ الحَمَا

أي: الحمام. وقول الآخر:

ليس حيٌّ على المنون بخالٍ

أي: بخالد.

ومنه قول القاضي الفاضل:

لِعَبَتْ جفونك بالقلوبِ وحبِّها
والخذُّ ميدانٌ وُضدُغِكَ صولجا

أي: صولجان. ومثل ذلك يكون بلا تورية، أما الاكتفاء مع التورية فكقول ابن نباتة:

بروحي أمر الناس نأياً وجَفْوَةً
وأحلامهم تُعْرَأُ وأملحهم شكلاً

يقولون في الأحلام يوجد شخصه
فقلت: وَمَنْ ذا بعده يجد الأحلا

أي: الأحلام، ولكنه ورى عن الجمال أيضاً.

الإكثار:

الكثرة: نقيض القلة، وأكثره جعله كثيراً^(٢).

وقد جعله الأدباء من سمات بعض الكلام الذي لا يكون موجزاً فقال جعفر البرمكي: «إذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيراً، وإذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عيباً»^(٣). أي أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولذلك كان استعمال الاكثار في مكانه من أسباب البلاغة أي أنه ليس عيباً في موضعه ولكن إذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عيباً. قال الجاحظ وهو يتحدث عن إياس بن معاوية: «فان كان إياس عند نفسه عيباً فذاك أجدر بان يهجر الاكثار. وبعد فما نعلم أحداً رمى إياساً بالعي وانما عابوه بالاكثار»^(٤).

شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه
فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَبْرَ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ
وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
ولما رأى من لا علم له أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يُنشدها هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا
يتتبع ولا يتلجلج وقيل لهم إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهُ إِذْ
كَانَ مِنْ أَشْعَارِ الْجَنِّ، صَدَّقُوا ذَلِكَ. ومن ذلك قول
ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه:

هَلْ مَعِينٌ عَلَى الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ
أَمْ مَعَزٌّ عَلَى الْمَصَابِ الْجَلِيلِ
مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْدِ
شَاقِيقٌ مَقِيمٌ بِهِ وَظِلُّ ظَلِيلِ
فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي عَامِرِ الدَّنِ
يَا أَبُو جَعْفَرٍ أَخِي وَخَلِيلِي
لَمْ يَمُتْ مَيِّتَةَ الْوَفَاةِ وَلَكِنْ
مَاتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلِ

(١) ظل الرجل - بالبناء للمجهول - أهدر دمه.

(٢) الطراز ج ٣ ص ١٠٨.

(٣) إعجاز القرآن ص ١٤٣، الوافي ص ٢٧٤، قانون
البلاغة ص ٤٤٦، تحرير ص ٣٥٧، بديع القرآن
ص ١٤٣، المصباح ص ٩٨، حسن التوسل
ص ٢٨٧، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٥٧، الفوائد
ص ٨٩، خزانة الأدب ص ١٧٠، أنوار الربيع
ج ٥ ص ١٨٥، الايضاح ص ٢٠٢، التلخيص
ص ٢٢٩، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣١،
المطول ص ٢٩٥، الأطول ج ٢ ص ٤٦، معترك
ج ١ ص ٣٦٩، الاتقان ج ٢ ص ٧٤، شرح عقود
الجمان ص ٧٤، الروض المريع ص ١٥٠.

(٤) اللسان (لأم).

(٥) الايضاح ص ٥، التلخيص ص ٢٦، شروح
التلخيص ج ١ ص ٧٧، المطول ص ٢٠، الأطول
ج ١ ص ٢٣.

(٦) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ١٠.

وما مات منا سيّد في فراشه
ولا طُلّ منا حيثُ كان قتيلٌ^(١)

فلو اقتصر على قوله: «وما مات منا سيد في فراشه»
لأُوهِمَ أَنَّهُمْ ضُبُّرٌ عَلَى الْحُرُوبِ وَالْقَتْلِ دُونَ
الْإِنْتِصَارِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ فَلَا جَرْمَ أَكْمَلَهُ بِقَوْلِهِ: «وَلَا
طُلَّ مِنْ حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ» فَارْتَفَعَ ذَلِكَ الْإِحْتِمَالُ
الْمَتَوْهَمُ وَزَالَ^(٢).

وهذا ما سماه البلاغيون التكميل أو الاطناب
بالتكميل^(٣)، وقد تقدم.

الالتئام:

يقال: تلاءم القوم والتأموا: اجتمعوا واتفقوا،
ويقال: التأم الفريقان والرجلان إذا تصالحا واجتمعا.
والتأم الجرح التاماً: إذا برأ والتحم^(٤).

والالتئام في البلاغة أن تكون كلمات النظم
متناسبة ليس فيها ما يثقل على النطق عند اجتماعها،
وهو ما تحدث عنه البلاغيون في باب التنافر عند
كلامهم على فصاحة الكلام وخلوصه من ضعف
التأليف وتنافر الكلمات^(٥)، وذكروا له قول القائل:

وَقَبْرَ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ
وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

وقول أبي تمام:

كِرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى
مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتَهُ لُمْتَهُ وَخُدِي

وقد أشار المرزوقي الى ذلك وقال وهو يتحدث عن
عمود الشعر: «وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على
تخير من لذيذ الوزن، الطبع واللسان فما لم يتعثر الطبع
بأبنيته وعقوده ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله
بل استمر فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذاك
يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت، والبيت
كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً^(٦)». وهذا ما
تحدث الجاحظ عنه من قبل وقال: «ومن ألفاظ
العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت

ألا زُبَّ يوم لو رَمْتَنِي رَمِيْثُهَا
ولَكِنَّ عَهْدِي بالنضالِ قديمٌ
فهذه الأبيات من الشعر المتلائم الجميل.

وذكر الرماني مثل ما ذكر الجاحظ حينما تحدث
عن التلاؤم وجاء بأمثلته أيضًا وقال إن «المتلائم في
الطبقة العليا القرآن كله»^(٣). ونقل ابن رشيق كلام
الجاحظ في باب النظم^(٤).

الالتجاء:

لجأ الى الشيء والمكان يلجأ لَجْأً ولُجُوءً ومَلْجَأً
ولجِيءً والتجأ وألجأت أمري الى الله أسندت.
والتجأت وتلجأت إذا استندت اليه واعتضدت به أو
عدلت عنه الى غيره كأنه إشارة الى الخروج
والانفراد^(٥).

وقال ابن منقذ: «هو أن تستعمل اللفظة في غير
موضعها من المعنى»^(٦)، وربط المعازلة بالالتجاء في
باب واحد، وقال: إن ذلك مثل قول بعض العرب:

وذا ت هِدْمٌ عارٍ نواشِرُهَا
تُضْمِتُ بالماء تَوْلَبًا جَدَعًا^(٧)
سَمَّى الطفل تَوْلَبًا، والتولب الجَحْش.

ومنه قول الفرزدق:

فلو كُنْتُ ضبيًا عرفت قرابتي
ولكنَّ زنجيًّا عظيمَ المشافرِ
لأنه استعار المشافر للانسان وإنما هي للجِمال لا
للرجال.

(١) أولاد علة؛ بنو رجل واحد من أمهات شتى.

(٢) البيان ج ١ ص ٦٥.

(٣) النكت في إعجاز القرآن ص ٨٨.

(٤) العمدة ج ١ ص ٢٥٧.

(٥) اللسان (لجأ).

(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٥٨.

(٧) الهدم - بكسر الهاء - الكساء إذا ضوعفت
رقاعه. النواشر؛ عصب الذراع.

لا أُذِيلُ الآمالَ بَعْدَكَ إِنِّي
بعدها بالآمالِ حقَّ بخيلِ
كم لها وقفَةٌ ببابِ كريمِ
رَجَعْتُ من نداءه بالتعطيلِ
ثم قال:

لم يَضُرُّها والْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ
وانشئتُ نحو عَزْفِ نَفْسِ ذَهولِ

فتفقد النصف الأخير من هذا البيت فانك ستجد بعض
ألفاظه يتبرأ من بعض. وأنشدني أبو العاصي قال:

وَبَعْضُ قَرِيضِ القومِ أولادِ عِلَّةٍ
يكدُّ لسانِ الناطقِ المتحفظِ^(١)

وقال أبو العاصي: وأنشدني في ذلك أبو البيداء
الرياحي:

وَشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبشِ فَرَّقَ بينه
لسانُ دَعِيٍّ في القَرِيضِ دَخيلِ

أما قول خلف: «وبعض قريض القوم أولاد علة» فانه
يقول: إذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت
من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض، كان بينها من
التنافر ما بين أولاد العلات. وإذا كانت الكلمة ليس
موقعها الى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان
عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة.

قال: وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء،
سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا
واحداً وشبك سبكاً واحداً، فهو يجري على
اللسان كما يجري الدهان^(٢). وذكر ما لا
تباين الفاظه ولا تنافر أجزاءه، ومن ذلك قول
أبي حَيَّةِ التُّميري:

رَمْتَنِي وَسِئْرُ اللَّهِ بيني وبينها
عَشِيَّةُ آرامِ الكناسِ رَمِيمِ
رميم التي قالت لجارات بيتها
ضَمِنْتُ لكم ألا يزال يهيمُ

وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الأرميد
وذلك من نبا جاءني
وخببرته عن أبي الأسود

قال الزمخشري: «وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات»^(٧)، ثم قال: «وتلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظًا للاصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعته بفوائد»^(٨).

وجاء الالتفات في كتاب الله العزيز، وأول سورة فيه تحمل هذا اللون من التعبير فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٩). فقد التفت من الغيبة إلى الخطاب. وجاء في كلام العرب، وقد انتبه القدماء لمثل هذا الأسلوب وذكره الفراء ولم يُسمِّه^(١٠).

وذكره أبو عبيدة وقال: «والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشاهد فترجع إلى

(١) المقالات؛ المرأة التي لا يعيش لها ولد.

(٢) معالم الكتابة ص ٧٩.

(٣) ينظر أسرار البلاغة ص ٣٠.

(٤) اللسان (لزم).

(٥) المصباح ص ٨١، تحرير التحبير ص ٥١٧، بديع

القرآن ص ٢٢٧، خزانة الأدب ص ٤٣٤، معترك

ج ١ ص ٥١، شرح عقود الجمان ص ١٥٥،

أنوار الربيع ج ٦ ص ٩٣، نفحات ص ٣١٦،

شرح الكافية ص ٢٠٣.

(٦) اللسان (لفت).

(٧) الكشاف ج ١ ص ١١.

(٨) الكشاف ج ١ ص ١٢.

(٩) الفاتحة ٢ - ٥.

(١٠) معاني القرآن ج ١ ص ٦٠، ١٩٥، ٤٦٠.

وينظر جمهرة أشعار العرب ص ١٣.

وقال ابن شيث القرشي: «هو أن يضطر الكاتب إلى أن يأتي بلفظة غير مستعملة في الذي هو بصدده فيقيمها مقام المستعملة. ومثاله: «فما المعشاق عدت سلوها والمقلات»^(١) فقدت فلوها إلا دون ما أنا عليه من الوجد به والغرام». فاستعمل «فلوها» في مكان «ولدها» حتى قابل بها «سلوها» وهو محتمل وربما كان جيدا. وفي الشعر:

ليبكك الشرب والمدامة وال
إخوان طرا وطامع طمعا
وذات هدم باد نواشرها
تضميت بالماء تولىبا جدعا^(٢)

وهذا ما سماه عبد القاهر الاستعارة غير المفيدة^(٣) وقد تقدمت.

الالتزام:

الالتزام هو الارتباط بالشيء، يقال: لزم الشيء يلزمه والتزمه وألزمه إياه فالتزمه، ورجل لزمته: يلزم الشيء فلا يفارقه^(٤).

والالتزام في البلاغة هو «الاعتناء» وقد تقدم، ويسمى التضييق أو التشديد أو لزوم ما لا يلزم، وهذا الأخير أكثر استعمالاً في كتب البلاغة. وممن سماه «التزاما» ابن مالك والمصري والحموي والسيوطي والمدني^(٥).

الالتفات:

لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتاً؛ والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه صرف وجهه إليه، ويقال: لفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات^(٦).

والالتفات من الأساليب العريقة في اللغة العربية وقد عرفه الجاهليون كامريء القيس الذي قال:

تطاول ليلى بالأمم
ونام الخلي ولم تزق

تقدمها والمذهب الكلامي، وقال في تعريف الالتفات: «هو انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه الى معنى آخر»^(٧).

وسماه ابن وهب «الصَّرْف» وقال «وأما الصرف فانهم يصرفون القول من المخاطب الى الغائب ومن الواحد الى الجماعة»^(٨). وسماه ابن منقذ «الانصراف» وقال: «هو أن يرجع من الخبر الى الخطاب من الخطاب الى الخبر»^(٩). وسماه كذلك ابن شيث القرشي وقال: «هو ان تبدىء المخاطبة بهاء الكناية ثم تنصرف الى المخاطبة بالكاف، وهذا يُحتمل إذا كان الأمر مما تكنيه مهمًا دون غيره»^(١٠).

وسماه قوم الاعتراض^(١١)، وهو فن آخر، وقد تقدم في الاطناب بالاعتراض، والاعتراض، ولكن الاخرين سموه التفاتًا، وبدأ هذا الاسلوب يدخل في دراسة البلاغة والنقد، وقد تحدث عنه قدامة في نعوت المعاني وقال: «هو أن يكون الشاعر آخذًا في معنى فكأنه يعترضه إما شك أو ظن بأن رادًا يردُّ عليه قوله أو

(١) مجاز القرآن ج ٢ ص ١٣٩، وينظر ج ١ ص ١١، ٢٥٢، ٢٧٣.

(٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧، كتاب الصناعتين ص ٣٩٢، العمدة ج ٢ ص ٤٦.

(٣) يونس ٢٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٣.

(٥) يونس ٢٢.

(٦) الكامل ج ٢ ص ٧٢٩.

(٧) البديع ص ٥٨، وينظر العمدة ج ٢ ص ٤٦، المنصف ٦٢، المنزع البديع ص ٤٤٢، الروض المربع ص ٩٨.

(٨) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٢.

(٩) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠.

(١٠) معالم الكتابة ص ٧٦.

(١١) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧، العمدة ج ٢ ص ٤٥.

الشاهد»^(١).

ولعلَّ الأصمعي أوَّل من سمَّاه التفاتًا، فقد سأل إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أتعرف التفاتات جرير؟ قال: وما هي؟ فأنشده:

أتنسى إذ تُودِّعني سُليمي

بفرع بِشامةٍ سُقي البِشامُ

ألا تراه مقبلًا على شعره ثم التفت الى البِشام فدعا له^(٢).

وأدخله ابن قتيبة في باب «مخالفة ظاهر اللفظ معناه» وقال: «ومنه أن تُخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾»^(٣).

قال الشاعر:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياء فالسَّنَدِ

أقوتُ وطال عليها سالفُ الأبدِ

وكذلك أيضا تجعل خطاب الغائب للشاهد كقول الهذلي:

يا وَيْحَ نفسي كان جدَّةُ خالد

وبياضُ وجهك للترابِ الأعفرِ^(٤)

وقال المبرد: «والعرب تترك مخاطبة الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد الى مخاطبة الغائب. قال الله - جلَّ وعزَّ - : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾»^(٥)، كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت الى النبي - ﷺ - إخبارًا عنهم. وقال عنتره:

شَطَّتْ مزارُ العاشقينَ وأصبحتُ

عَسِيرًا عليَّ طِلابُك ابنةَ مَحْرَمِ

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها»^(٦).

والالتفات أول محاسن الكلام التي ذكرها ابن المعتز بعد فنون البديع الخمسة وهي: الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما

أعني نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص المسند اليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها الى الآخر، ويُسمَّى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعاني. والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب الى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار اصغائه^(١٠)، وهذا ما ذكره الزمخشري من قبل^(١١). وقال السكاكي إنه قد ينتقل بالصيغة من الماضي الى المضارع^(١٢)، وذكره مرة ثالثة في البديع^(١٣) وأحال الى كلامه في الموضوعين السابقين، وهذا يدل على أن الالتفات كان عنده من علم المعاني مرة، ومن علم البديع تارة أخرى.

وكان كلام ابن الاثير على الالتفات مسهباً، وهو عنده من الصناعة المعنوية قال: «وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه عن صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر، أو من فعل ماضٍ الى مستقبل أو من مستقبل

(١) نقد الشعر ص ١٦٧، وينظر حسن التوسل ص ٢٢٤.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٣٩٢.

(٣) إعجاز القرآن ص ١٥٠.

(٤) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧.

(٥) العمدة ج ٢ ص ٤٥.

(٦) الرسالة العسجدية ص ١٤٦.

(٧) الوافي ص ٢٧٨.

(٨) قانون البلاغة ص ٤٤٧.

(٩) نهاية الايجاز ص ١١٢، الايضاح في شرح

مقامات الحريري ص ١٨.

(١٠) مفتاح العلوم ص ٩٥.

(١١) الكشف ج ١ ص ١٢.

(١٢) مفتاح العلوم ص ١١٨.

(١٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.

سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً على ما قدمه فاما أن يُؤكِّده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه^(١). وهذا هو الاعتراض أو الرجوع، وقد عدّه العسكري النوع الثاني من الالتفات، أما النوع الأول فهو ما ذكره الاصمعي^(٢). وبذلك يتضح أن الالتفات لم يكن واضحاً عند قدامة والعسكري وضوحه عند المتقدمين.

ونقل الباقلاني رواية الأصمعي السابقة وعلق على بيت جرير:

متى كان الخيامٌ بذى طلوح

سُقيت الغيثُ أيُّها الخيامُ

بقوله: «ومعنى الالتفات أنه اعترض في الكلام قوله: «سُقيت الغيث» ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً وكان الكلام منتظماً»^(٣) ولذلك قال الحاتمي: «وقد سماه قوم الاعتراض»^(٤)، وقال ابن رشيق: «وهو الاعتراض عند قوم، وسماه الآخرون الاستدراك»^(٥)، وقال الصنعاني: «ويسمى الاعتراض» ولكنه عرفه تعريف الالتفات فقال: «وهو الانصراف عن الاخبار الى المخاطبة، وعن المخاطبة الى الاخبار». ثم قال: «وقيل الالتفات هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيعدل عنه الى غيره قبل تمام الأول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة وزيادة حسنة»^(٦)، وهذا هو الاعتراض أو الرجوع الذي ذكره السابقون.

وتحدث عنه التبريزي في فصل مستقل في حين انه أفرد الاستدراك والرجوع بفصل آخر، وقال عنه: «الالتفات: أن يكون الشاعر في كلام فيعدل عنه الى غيره قبل أن يتم الأول ثم يعود اليه فيتمه فيما عدل اليه مبالغة في الاول وزيادة في حسنه»^(٧). ونقل البغدادي هذا التعريف^(٨).

وبدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقاً بعد أن بدأت البلاغة تستقر، وقد عرّفه الرازي بقوله: «إنه العدول عن الغيبة الى الخطاب أو على العكس»^(٩). وأدخله السكاكي في علم المعاني وقال: «إن هذا النوع

أمر حكيم. أمرًا من عندنا إنا كنا مُرسِلين. رَحْمَةً من رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾.

ومن ذلك قول أبي تمام:

وركب يُساقُونَ الرِّكَابَ رُجَاجَةً
من السَّيْرِ لم تَقْصِدْ لها كَفُّ قَاطِبٍ
فقد أَكَلُوا منها الغوارِبَ بالسُّرى
وصارتْ لها أشباحُهُم كالغوارِبِ
يُصْرَفُ مَسْرَاهَا جُذَيْلٌ مَشَارِقِ
إذا أَبَهُ هَمٌّ غُذِيْقٌ مَغَارِبِ
يرى بالكَعَابِ الرُّودِ طَلْعَةَ ثَائِرِ
وبالعِزْمِيسِ الوجنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ
كَأَنَّ بها ضِغْنًا على كُلِّ جانِبِ
من الارضِ أو شوقًا الى كُلِّ جانِبِ
إذا العيسُ لاقت بي أبا دُلْفٍ فقد
تَقَطَّعَ ما بيني وبين النوائِبِ
هنالك تَلْقَى الجودَ من حَيْثُ قُطِعَتْ
تمائمُهُ والمجدَ مُرخي الذوائِبِ ﴿٨﴾

قال ابن الأثير: ألا ترى أنه قال في الأول: «يصرّف مسراها» مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك: «إذا العيس لاقت بي» مخاطبا نفسه. وفي هذا من الفائدة إنه لما

- (١) المثل السائر ج ٢ ص ٤، الجامع الكبير ص ٩٨.
- (٢) المثل السائر ج ٢ ص ٥، كفاية ص ١٩٠.
- (٣) الكشاف ج ١ ص ١٢.
- (٤) الفاتحة ٢ - ٥.
- (٥) فصلت ١١ - ١٢.
- (٦) يس ٢٢.
- (٧) الدخان ١ - ٦.

(٨) الركب؛ الجماعة الراكبون. القاطب؛ الذي يمزج الخمر بالماء. الغوارب؛ جمع غارب وهو الكاهل. السرى؛ سير الليل. يصرّف مسراها؛ يسيرها. الجذيل؛ تصغير جذل وهو عود ينصب لتحتك به الجمال الجري. العذيق؛ تصغير عذق. الكعاب؛ البارزة النهدين. الرود؛ الفتاة الناعمة. العرمس؛ الناقة الشديدة. الوجناء؛ القوية.

الى ماضٍ»^(١). وسماه «شجاعة العربية» وهو عنده ثلاثة أقسام:

الاول: الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة، وقد رَدَّ في هذا البحث ما ذهب اليه الرمخشري من أنّ في الانتقال تطريةً لنشاط السامع وابقاظًا للاصغاء اليه وقال: «والذي عندي في ذلك أنّ الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنّها لا تُحَدُّ بحدٍّ ولا تضبط بضابط ولكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها»^(٢). وكان الرمخشري قد أشار الى مثل ذلك بعبارة موجزة فقال: «وقد تختص مواقعه بفوائد»^(٣)، أي أنه رأى أنّ الانتقال من أسلوب الى أسلوب ليس للتطرية والابقاظ والتنبيه وحدها.

ومن أمثلة الرجوع من الغيبة الى الخطاب قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤) فقد رجع من الغيبة في أول الكلام الى الخطاب في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

ومن الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دُخَانٌ فقال لها وللأرض: ائتيا طَوْعًا أو كَرْهًا، قالتا: أتينا طائعين فقضاهنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٥)، فانه قال: ﴿وزينا﴾ بعد قوله: ﴿ثم استوى﴾ وقوله: ﴿فقضاهن﴾ و﴿وأوحى﴾.

ومن الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة قوله تعالى: ﴿ومالي لا أعْبُدُ الذي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٦).

ومن الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد قوله تعالى: ﴿حم. والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا مُنذِرِينَ. فيها يُفْرَقُ كُلُّ

مَيَّتْ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٥﴾.

وعلى هذا ورد قول تأبط شراً:

بَأْتِي قَدْ لَقَيْتُ الْغُولَ تَهْوِي

بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَخَصَحَانِ

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَرَّتْ

صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ (٦)

والضرب الثاني وهو المستقبل كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (٧).

وليس في كتب البلاغة الأخرى أوسع مما ذكر ابن الأثير، وإن كان القزويني رجع إلى السكاكي وأدخل الالتفات في علم المعاني وتبعه شراح تلخيصه كالسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي (٨). أما الذين لم يتبعوا السكاكي فقد بحثوه في باب مستقل وإن لم يخرجوا على الاتجاه العام الذي ساد قبلهم (٩)، غير أن المصري قال: «وفي

(١) المثل السائر ج ٢ ص ١٠ - ١١.

(٢) يونس ٢٢.

(٣) هود ٥٣ - ٥٤.

(٤) الأعراف ٢٩.

(٥) فاطر ٩.

(٦) السهب؛ الأرض المستوية. الصحصان؛ الأرض الواسعة. الجران؛ مقدم العنق.

(٧) النمل ٨٧.

(٨) الأيضاح ص ٧١، التلخيص ص ٩٤، عروس الأفراح ج ١ ص ٤٦٣، المطول ص ١٣٠، المختصر ج ١ ص ٤٦٣، شرح عقود الجمان ص ٢٨، الأطول ج ١ ص ١٥٣، مواهب الفتح ج ١ ص ٤٦٣.

(٩) الأقصى القريب ص ٤٤، الطراز ج ٢ ص ١٣١، التبيان ص ١٧٣، البرهان الكاشف ص ٣١٣، تحرير ص ١٢٣، بديع القرآن ص ٤٢، نضرة الاغريض ص ١٠٥، منهاج البلغاء ص ٣١٥، نهاية الارب ج ٧ ص ١١٦، جوهر الكنز ص ١١٩، الفوائد ص ٩٨، البرهان ج ٣ =

صار إلى مشافهة الممدوح والتصريح باسمه مخاطب عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكروه والقرب من المحبوب، ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولاً به عن خطاب نفسه إلى خطاب غيره وهو أيضاً خطاب لحاضر فقال: «هنالك تلقى الجود». والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شاهده كأنه يصف له جود الممدوح وما لاقاه منه إشارة بذكره وتنويهاً باسمه وحملاً لغيره على قصده وفي صفته جود الممدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة وهي قوله: «حيث قُطعت تمائم» ما يقتضي له الرجوع إلى خطاب الحاضر، والمراد بذلك أن محل الممدوح هو مألّف الجود ومنشؤه ووطنه. وقد يراد به معنى آخر، وهو أن هذا الجود قد أمن عليه الآفات العارضة لغيره من المنّ والمطل والاعتذار وغير ذلك إذ التمام لا تقطع إلا عمن أمنت عليه المخاوف» (١).

ومن الرجوع من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

والثاني: الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر فالأول كقوله تعالى: ﴿يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ، وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ، قَالَ: إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٣).

ومن الرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٤).

الثالث: الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي، فالأول كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ

إذا ما رأوني طالعا من ثنية
يقولون من هذا وقد عرفوني

وقوله: «غض طرفه» من قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقوله: «كأن شعاع الشمس دوني تقابله» من قول
عنتر بن عكبر الطائي:

إذا أبصرتني أغرقت عني
كأن الشمس من قبلي تدور

ومن الالتقاط والترقيع قول ابن هرمة:

كأنك لم تسيروا بجنوب خلص
ولم تلمم على الطلل المحيل
التقطه ولفقه من بيتين أحدهما قول جرير:

كأنك لم تسيروا ببلاد نغم
ولم تنظر بناظره الخياما

فصدر بيت ابن هرمة من صدر البيت، وعجزه من
قول الكميت:

ألم تلمم على الطلل المحيل
بفيد وما بكاؤك بالطلول

وقال الحاتمي: «وممن كان يرقع ويلفق مع سعة صدره
وغزارة بحره أبو نواس فمن ذلك قوله:

أشم طوال الساعدين كأنما
يُناط نجادا سيفه بلواء

= ص ٣١٤، خزانة ص ٥٩، معترك ج ١
ص ٣٣٧، الاتقان ج ٢ ص ٤١، ٨٥ حلية
اللب ص ٧٤، أنوار الربيع ج ١ ص ٣٦٢،
نفحات الأزهار ص ٥٣، التبيان في البيان
ص ٢٣٢، شرح الكافية ص ٧٨.

(١) تحرير التحبير ص ١٢٥.

(٢) تحرير ص ١٢٦.

(٣) اللسان (لقط).

(٤) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٩٠.

الالتفات نوع غير النوعين المتقدمين وهو أن يكون
المتكلم آخذاً في معنى فيمر فيه إلى أن يفرغ من
التعبير عنه على وجه ما فيعرض له أنه متى اقتصر
على هذا المقدار كان معناه مدخولاً من وجه غير
الوجه الذي بنى معناه عليه فيلتفت إلى الكلام فيزيد
فيه ما يخلص معناه من ذلك الدخل كقول شاعر
الحماسة:

فإنك لم تبعد على متعهد
بلى كل من تحت التراب بعيد

فإن هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبور قريب من
الحي الذي يريد تعاوده بالزيارة إذ القبور بأفنية البيوت
غالبا، فلما فرغ من العبارة عن معناه الذي قدره على
هذا التقدير عرض له كأن قائل يقول له: وأي قرب بين
الميت المدفون تحت التراب والحي فالتفت متلافيا
هذا الغلط بقوله: «بلى كل من تحت التراب بعيد»
كأن هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبور إلى
بُعد^(١). وهذا ما سموه الاعتراض والرجوع.

وقال المصري: «والفرق بين الاحتراس والالتفات
أن الاعتراض والانفصال يكونان في بيت واحد وفي
بيتين وفي آية وفي آيتين، والالتفات لا يكونان فيه إلا
في بيت واحد وآية واحدة»^(٢).

الالتقاط:

اللُّقْط أخذ الشيء من الأرض، لَقَطَهُ يَلْقُطُهُ لِقْطًا
والتقطه: أخذه من الأرض واللُّقْطَةُ: اسم الشيء الذي
تجده ملقى فتأخذه^(٣).

والالتقاط والتلفيق من أنواع السرقات وقد
جمعهما الحاتمي في باب واحد وقال: «وهي ترقيع
الالفاظ وتلفيقها واجتذاب الكلام من أبيات حتى
ينظم بيتًا»^(٤). ومن التلفيق قول يزيد بن الطثرية:

إذا ما رأني مُقبلاً غَضَّ طَرْفَهُ
كأن شعاع الشمس دوني يُقابله

فقوله: «إذا ما رأني مقبلاً» من قول جميل:

صَدْرُ هذا البيت مجتذب من قول المساور بن

هند:

أشَمَّ طوال الساعدين شمردل
يكاد يساوي غاربَ الفحل غارِبُه

أو من قول زياد بن عبد الله بن قرة حيث يقول:

أشَمَّ طوال الساعدين كأنما
يُناط الى جذع طوال حمائله

وقوله: «نجادا سيفه بلواء» من قول العنبري^(١).

وذكر ابن رشيق الالتقاط والتلفيق ولم يعرفهما وإنما اكتفى ببعض أمثلة الحاتمي^(٢). وعرف ابن منقذ الالتقاط بقوله: «وهو ما يتطارحه العلماء والشعراء والكتاب بينهم، وهو أن يطرح بيت ويولد من كل كلمة منه بيت أو من كلمتين أو ثلاثة أو غير ذلك مثلما ذكر في كتاب الصناعتين التلفيق والالتقاط وهو أن يكون البيت ملفقاً من آيات قبله»^(٣). وذكر الأمثلة التي ذكرها الحاتمي وابن رشيق.

الإلجاء:

الالجاء من ألجأ أي أسند، وألجأه الى الشيء: اضطره اليه. والالجاء: الاضطرار^(٤).

وقد عرّفه المصري بقوله: «هو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهره موقوفة على الايتان فيه بما يبادر الخصم الى رده بشيء يُلجئه الى الاعتراف بصحته. وملخص تعريفه أن يقال: لكل كلام يرد فيه على المعترض عليه جواب مدخول إذا دخله الخصم به التجأ الى تصحيح الجواب»^(٥)، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾^(٦)، قال الله تعالى في جواب هذا القول: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُنَادُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٧) فان للخصم أن يقول: نحن إنما أردنا القصص والأخبار ونحن نعلم أن الأعجمي إذا القى الكلام الى العربي لا يخرججه عن كونه تعلم معانيه من

الأعجمي. فظاهر الكلام لا يصلح أن يكون ردًا على المشركين فيقال لهم: هَبْ أَنَّ الأعجمي علمه المعاني فهذه العبارة الهائلة التي قطعت أطماعكم عن الايتان بمثلها من علمها له؟ أفان كان هو الذي أتى بها من قبل نفسه كما زعمتم فقد أقرتم أن رجلاً واحداً منكم أتى بهذا المقدار من الكلام الذي هو مائة سورة وأربع عشرة سورة، وقد عجزتم بأجمعكم، وكل من تدعونه من دون الله عن الايتان بأقصر سورة. فان قلت: إن الأعجمي علمه المعاني والالفاظ فهذا أشد عليكم لأنه إقرار بأن رجلاً أعجمياً قدر على ما بين من الآيات المتضمنة للأخبار والقصص وقد عجزتم عن ثلاث آيات منهن، يلجئهم ذلك الى الاقرار بأنه من عند الله.

وقال السبكي: «هو ذكر اعتراض وجواب»^(٨)، ولم يذكر له أمثلة. ويبدو أن المصري انفرد بالحديث عن هذا الفن، لأن «الالتجاء والمعاظلة» الذي ذكره ابن منقذ غير ذلك^(٩)، فالالتجاء والمعاظلة - كما تقدم - هو ما سماه عبد القاهر الاستعارة غير المفيدة، والإلجاء الذي ذكره المصري والسبكي هو «ذكر اعتراض وجواب».

إلجام الخضم بالحجة:

يقال: ألجم الفرس أي وضع له اللجام، وفي الحديث: «مَنْ سُئِلَ عما يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»، أي أن الممسك عن

- (١) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٩١.
- (٢) العمدة ج ٢ ص ٢٨٩.
- (٣) البديع في نقد الشعر ص ٢٠١.
- (٤) اللسان (لجأ).
- (٥) بديع القرآن ص ٢٢٦.
- (٦) النحل ١٠٣.
- (٧) النحل ١٠٣.
- (٨) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠.
- (٩) البديع في نقد الشعر ص ١٥٨.

فرخ الحباري، فاذا استخرج هذا صَحَّ المعنى، واذا حمل على ظاهر لفظه كان محالاً.

وقال الخفاجي: «إن الموضوع على وجه الالغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفائه وجعل ذلك فناً من الفنون التي يستخرج بها أفهام الناس وتمتحن أذهانهم»^(٨) وذكر أنَّ شيخه أبا العلاء المعري كان يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً، ومنه قوله:

وَجُبْتُ سَرَابِيَا كَأَنَّ إِكَامَهُ
جَوَارٍ وَلَكِنْ مَالِهِنَّ نُهُودُ
تَمَجَّسُ حَرْبَاءُ الْهَجِيرِ وَحَوْلَهُ
رَوَاهِبُ خَيْطِ وَالنَّهَارِ يَهُودُ

فألغز بقوله: «جوارٍ» عن الجواري من الناس، وهو يريد كأنهن يجرين في السراب. وبقوله: «نهود» عن نهود الجواري، وهو يريد بنهود «نهوض» أي كأنهنَّ يجربن في السراب ومالهن على الحقيقة نهوض. وأراد بقوله: «تمجَّس حرباء» أي صار لاستقباله الشمس كالمجوس التي تعبدها وتسجد لها وجعل الرواهب النعام لسوادها، ويهود: يرجع، وهو يلغز بذلك عن اليهود لما ذكر المجوس والرواهب.

والالغاز عند ابن الاثير الاغليط من الكلام أو الأحاجي وقد يسمى المعتمى قال: «وأما اللغز والاحجية فأنهما شيء واحد، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ حقيقةً ومجازاً ولا يفهم من عرضه لأنَّ قول القائل في

(١) اللسان (لجم).

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٦٨.

(٣) اللسان (لغز).

(٤) مراتب النحويين ص ٦٣.

(٥) البيان ج ٢ ص ١٤٧.

(٦) حلية المحاضرة ج ٢ ص ١٧٨.

(٧) البرهان في وجوه البيان ص ١٤٧.

(٨) سر الفصاحة ص ٢٦٥.

الكلام ممثل بمن ألجم نفسه بلجام^(١).

والجام الخصم بالحجة هو الاحتجاج النظري وقد تقدم، أو المذهب الكلامي وقد سماه الزركشي «الجام الخصم بالحجة» وقال: «هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه. والعجب من ابن المعتز في بديعه حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن وهو من أساليبه»^(٢).

الألغاز:

ألغز الكلام وألغز فيه: عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره، واللغز: ما ألغز من كلام فشبهه معناه، واللغز: الكلام الملبس، وقد ألغز في كلامه يلغز إلغازاً إذا ورى فيه وعرض ليخفى. واللغز واللغيزي والالغاز: حفرة يحفرها اليربوع في جحرة تحت الأرض^(٣).

وكان الخليل بن احمد الفراهيدي قد ذكره فقال: «رأيت أعرابياً يسأل أعرابياً عن البلصوص ما هو؟ فقال: طائر. قال: فكيف تجمعه؟ قال: البلنصي. قال الخليل: «فقد ألغز رجاز فقال: «فما البلصوص يتبع البلنصي» كان لغزاً»^(٤). وعقد الجاحظ باباً في اللغز والجواب^(٥)، ولكن ذلك أقرب الى اسلوب الحكيم. وقال الحاتمي: «وإنما سمي اللغز لغزاً؛ لأنَّ اللغز والالغاز ما خفي مذهبه وبعد مطلبه مأخوذ من الارض اللغز واللغيزي وهي الخفية»^(٦)، وهذا تعريف لغوي، ولكن ابن وهب قال عنه: «هو قول استعمل فيه اللفظ المتشابه طلباً للمعاينة والمحاكاة. والفائدة في ذلك في العلوم الدنيوية رياضة الفكر في تصحيح المعاني واخراجها من المناقضة والفساد الى معنى الصواب والحق وقدح الفطنة في ذلك واستنجد الرأي في استخراجها»^(٧). وذلك مثل قول الشاعر:

رَبِّ ثَوْرٍ رَأَيْتُ فِي جُحْرِ نَمْلِ

وَنَهَارٍ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءِ

فالثور ههنا القطعة من الأقط وهي اللبن اليابس، والنهار

الضرس:

عما ذكره المتقدمون.

وصاحب لا أمل الدهر ضحبتة

يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد

ما إن رأيت له شخصاً فمذ وقعت

عيني عليه افترقنا فرقة الأبد

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم، وإنما شيء يُحدس ويُحزر^(١).

وسماه المصري «الالغاز والتعمية» وقال: إن الإلغاز يسمى المحاجاة، والتعمية أعم أسمائه وهو: «أن يريد المتكلم شيئاً فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه، وهو يكون في النثر والشعر»^(٢).

والالغاز عند العلوي الأحجية قال: «وهو ميلك بالشيء عن وجهه، واشتقاقه من قولهم: «طريق لغز» إذا كان يلتوي ويشكل على سالكه ويقال له المعنى أيضاً^(٣) وذكر البيتين السابقين في الضرس وعلق عليهما بمثل تعليق ابن الاثير. ومن ذلك وصف المتنبي للسفن في قصيدته التي يمدح بها سيف الدولة عند ذكره لصورة الفرات:

وَحِشَاءُ عَادِيَّةٍ بغيرِ قَوَائِمِ

عُقْمِ الْبَطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ

تأتي بما سبب الخيول كأنها

تحت الحسان مرائب الغزلان

وذكر بعضهم أن الالغاز وقع في القرآن الكريم وجعل منه ما جاء في أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة، ومنه قوله تعالى في قصة ابراهيم - عليه السلام - لما سئل عن كسر الأصنام وقيل له: أنت فعلته؟ فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾^(٤) قابلهم بهذه المعارضة ليقوم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة^(٥).

ولا يخرج كلام الحموي والسيوطي والمدني^(٦)

الإمام:

ألمَ إماماً أي: اقترب منه، وقد ألمَّ به أي نزل، والإمام: النزول، والزيارة غيباً^(٧)، والامام بالشيء معرفته، وتجيء بمعنى انه لم يتعمق فيه. والامام من السرقات، قال ابن رشيق إنه «ضرب من النظر»^(٨)، ومثل له بقول أبي الشيص:

أجد الملامة في هواك لذيذة

حُبّاً لذكرك فليلمني اللوم

وقول المتنبي:

أحبُّه وأحبُّ فيه ملامة

إن الملامة فيه من أعدائه

وقال عنهما ابن رشيق في باب التغاير: «وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة وهو يعدّه في باب السرقات»^(٩). وكان القاضي الجرجاني قد علق على البيتين بقوله: «ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب وقصد به النقض»^(١٠).

وللامام معنى آخر، قال ابن شيث القرشي: «الامام: وهو مصدر قولك: «ألمَّ يلم إماماً» واللمم الصغيرة والكبيرة من الذنوب، وهو أن يلم الكاتب في صدر كلامه بكلمة ثم يبنى عليها فصلاً

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢) تحرير التحبير ص ٥٧٩.

(٣) الطراز ج ٣ ص ٦٦.

(٤) الأنبياء ٦٣.

(٥) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٩٩.

(٦) خزنة ص ٣٩٣، شرح عقود الحمان ص ١٣٧،

أنوار الربيع ج ٦ ص ٤٠، نفحات ٢٣٠، شرح

الكافية ص ٢١٢.

(٧) اللسان (لمم).

(٨) العمدة ج ٢ ص ٢٨٧.

(٩) العمدة ج ٢ ص ١٠٣.

(١٠) الوساطة ص ٢٠٦.

ولكنَّ ورودها على هذه الأوامر إنما كان على جهة الحث له بهذه الأوامر وأمثالها. وكذلك ورد في المناهي كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٨)، وقوله: ﴿لئنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٩). وحاشاه أن يكون جاهلاً أو أن يفعل أفعال السفهاء والجهال. وأتى يخطر بباله الشرك بالله وهو أول من دعا إلى عبادته وحثَّ عليها، وهكذا القول فيما كان وارداً في الأوامر والنواهي - له - عليه السلام - فإنما كان على جهة الإلهاب على فعل الأوامر والانكفاف عن المناهي والتهيج لداعيته وحثاً له على ذلك. فالأمر في حقه على تحصيل الفعل والكف عن المناهي فيما كان يعلم وجوبه عليه ويتحقق الانكفاف عنه إنما هو على جهة التأكيد والحث بالتهيج والإلهاب، فهذان نوعان من الكلام يردان في الكلام الفصيح والخطب البالغة، ولولا موقعهما في البلاغة أحسن موقع ما وردا في كتاب الله - تعالى - الذي أعجز الثقلين الاتيان بمثله أو بأقصر سورة من سوره.

ولم يرد هذا الفن إلا في كتاب «الطراز» للعلوي، ولعله يدخل في خروج الأمر والنهي عن غرضيهما الحقيقيين، والغرض المجازي في كل منهما هو الإلهاب والتهيج.

الامتحان:

امتحان القول: نظر فيه ودبره، وامتنح الله قلوبهم:

- (١) معالم الكتابة ص ٧٢.
- (٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦٣.
- (٣) اللسان (لهب).
- (٤) الطراز ج ٣ ص ١٦٥.
- (٥) الزمر ٢.
- (٦) الروم ٤٣.
- (٧) هود ١١٢.
- (٨) الانعام ٣٥.
- (٩) الزمر ٦٥.

ثم يتفق أن يستعمل كلمة أخرى أجنبية فيناظر ما بين اللفظين وينافي ما بين المعنيين فيعود الى تلك الكلمة التي استعملها في صدر كلامه يعكسها هجاءً ويعيدها في أول الفصل الثاني. وهو مثل قولك: «أفاض الله عليك نعمه، وأضاف اليك قسمه» ومنه: «قُرف فلان بتكذبه ففرق بينه وبين محبوبه» ويقال: «لاح لفلان سبيل رشده فحال بينه وبين ضده». ومنه:

جلَّ عن مشبهٍ يساويه في الفضـ

لٍ كما لَحَّجَّ في اقتناء الفخار^(١)

وهذا هو الضرب الثاني من المشبه بالتجنيس الذي سمي معكوساً، وقد ذكر ابن الاثير عكس الحروف^(٢)، وهو شبيه بما ذكره ابن شيث.

الإلهاب:

ألهب: أوقد، وألهب البرق إلهاباً، وإلهابه تداركه حتى لا يكون بين البرقتين فرجة، وألهب في الكلام: أمضاه بسرعة، والأصل فيه: الجري الشديد الذين يثير اللهب وهو الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار^(٣).

وقد ذكر العلوي فنا سماه «الإلهاب والتهيج» وقال إنهما: «مقولان على كل كلام دالٍ على الحث على الفعل لمن لا يتصور منه تركه وعلى ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله ولكن يكون صدور الأمر والنهي ممن هذه حاله على جهة الإلهاب والتهيج له على الفعل أو الكف لا غير»^(٤). فالأمر مثاله قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾^(٦) وقوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(٧). والمعلوم من حاله - عليه السلام - أنه حاصل على هذه الأمور كلها من عبادة الله تعالى وإقامة وجهة للدين والاستقامة على الدعاء اليه لا يفتر عن ذلك ولا يتصور منه خلافها لأنَّ خلافها معصوم منه الأنبياء فلا يمكن تصوره من جهتهم بحال

ما على جثة آخر فإن ذلك جائز في التوهم ولكنه معدوم في الوجود»^(٥).

الأمثال:

المَثَلُ: الشيء الذي يُضْرَبُ لشيءٍ مثلاً فيُجْعَلُ مثله، والجمع: الأمثال^(٦). ولَخَصَّ الميداني ما قيل في المثل فقال: «قال المُبرِّد: المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر يُشَبَّه به حال الثاني بالأوَّل والأصل في التشبيه، فقولهم «مَثَلٌ بين يديه» إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة. و «فلان أمثل من فلان» أي: أشبه بما له في الفضل. والمثال: القصاص لتشبيهه حال المقتص منه بحال الأوَّل، فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأوَّل كقول كعب بن زهير:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا
وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصحَّ من المواعيد.

قال ابن السكِّيت: المثل: لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شَبَّهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره.

وقال غيرهما: سُمِّيت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثل الذي هو الانتصاب.

وقال إبراهيم النَّظَّام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية الغاية.

(١) اللسان (محن).

(٢) الطراز ج ٢ ص ٢٩٩.

(٣) اللسان (منع).

(٤) نقد الشعر ص ٢٤٢.

(٥) قانون البلاغة ص ٤١٣.

(٦) اللسان (مثل).

صَفَّاهَا وَهَذَّبَهَا^(١). وقد أطلق العلوي مصطلح «الامتحان» على ثلاثة أنواع هي: الاقتصاد والتفريط والافراط، وقال: «إنَّ من المعاني ما يكون متوسطاً فيما أتى به من أجله فيكون اقتصاداً، ومنها ما يكون قاصراً عن الغرض فيقال له تفريط، ومنها ما يكون زائداً عن الحد فيكون إفراطاً. فهذا الفصل يسمى الامتحان لما كان فيه الافادة لمعرفة هذه الامور الثلاثة، فاذا عرفت هذا فاعلم أنَّ هذه الامور الثلاثة أعني الاقتصاد والتفريط والافراط لها مدخل في كل شيء من العلوم والصناعات والاخلاق والطباع»^(٢).

وقد تقدم الكلام على الافراط والاقتصاد وسيأتي الحديث عن التفريط.

الامتناع:

المنع: أَنْ تَحْوَلَ بين الرجل والشيء الذي يريد، ويقال: هو تحجير الشيء؛ منعه يمنعه منعاً ومنَّعه فامتنع منه وتمنَّع^(٣).

وكان قدامة قد تحدث في باب العيوب العامة للمعاني عن إيقاع الممتنع وفَرَّقَ بينه وبين المتناقض، قال: «ومن عيوب المعاني إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه. والفرق بين الممتنع والمتناقض أنَّ المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوُّره في الوهم، والممتنع لا يكون ويجوز أن يتصور في الوهم»^(٤) ومما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع فيه فيما يجوز وقوعه قول أبي نواس:

يَا أَمِينَ اللّٰهَ عِشْ أَبَدًا

دُمْ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاعل لهذا الممدوح بقوله: عِشْ أَبَدًا أو دعا له، وكلا الأمرين مما لا يجوز مستقبح.

وقال البغدادي: «وأما الامتناع فهو الذي وإن كان لا يوجد فيمكن أن يتخيل، ومنزلته دون منزلة المستحيل في الشناعة، مثل أن ترْكَبَ أعضاء حيوان

تستدعي الفعل أو قول يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»^(٦).

وللأمر أربع صيغ هي:

١- فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٧) وقول الحطيئة:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَزَحَلْ لِبَغِيَّتِهَا
وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

٢- المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾^(٨) وقول أبي تمام:

كَذَا فَلِيَجَلَّ الْخَطْبُ وَلِيَفْدَحَ الْأَمْرُ
فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرٌ

٣- اسم فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٩). ومنه «صه» بمعنى اسكت، و«مه» بمعنى اكفف، و«أمين» بمعنى استجب، و«بله» بمعنى دَع، و«رويده» بمعنى أمهله، و«نزالي» بمعنى انزل، و«دراك» بمعنى أدرك.

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١٠).

وقول قطري بن الفجاءة:

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا
فَمَا نِيلَ الْخُلُودِ بِمُشْتَطَاعِ

(١) مجمع الامثال ج ١ ص ٥ - ٦.

(٢) البرهان في وجوه البيان ص ١٤٥.

(٣) البيان ج ٤ ص ٥٥.

(٤) نضرة الاغريض ص ١٣٣، وينظر كفاية الطالب

ص ١٦٢.

(٥) اللسان (أمر).

(٦) الطراز ج ٣ ص ٢٨١.

(٧) النور ٥٦.

(٨) الطلاق ٧.

(٩) المائدة ١٠٥.

(١٠) البقرة ٨٣.

وقال ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وأتق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.

ثم قال الميداني: «فالمثل ما يُمثَّل به الشيء أي يُشَبَّه كالنكل من ينكل به عدوه، غير أن المثل لا يوضع في موضع هذا المثل وإن كان المثل يوضع موضعه، فصار المثل اسماً مُصَرَّحاً لهذا الذي يضرب ثم يرد إلى أصله الذي كان له من الصفة»^(١).

وقال ابن وهب: «وأما الأمثال فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلباً وأقرب مذهباً»^(٢). وهذا ما ذهبت إليه كتب الأمثال غير أن الجاحظ سمى الاستعارة مثلاً، وقال في تعليقه على بيت الأشهب ابن رميلة:

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ
وَمَا خَيْرٌ كَفٌّ لَا تَنُوءُ بِسَاعِدِ

«قوله: «هم ساعد الدهر» إنما هو مثل، وهذا الذي يُسميه الرثوة البديع»^(٣) وهذه تسمية القدماء، قال المُظَفَّرُ العلوي: «وكان القدماء يُسمونها الأمثال فيقولون: «فلان كثير الأمثال». ولقبها بالاستعارة ألزم؛ لأنه أعم، ولأن الأمثال كلها تجري مجرى الاستعارة»^(٤). وهذا هو الصحيح لتبقى الأمثال وإرسال المثل وإرسال المثيلين مما يحسن التمثيل به عند اقتضاء المقام.

والأمثال في القرآن الكريم وكلام العرب كثيرة، وقد تقدمت منها صور في «إرسال المثل» و«إرسال المثيلين».

الأمر:

الأمر نقيض النهي، يقال أمره يأمره أمراً وإماراً فائتم أي قبل أمره^(٥).

والأمر عند البلاغيين هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالزام، أو كما قال العلوي: «هو صيغة

ونصَّ المبرد على معنى الإباحة فقال: «وقد يكون لها موضع آخر معناه الإباحة وذلك قولك: «جالس الحسن أو ابن سيرين» و«أنت المسجد أو السوق» أي قد أذنت لك في مجالسة هذا الضرب من الناس وفي إتيان هذا الضرب من المواضع»^(١٠). وظل مثال «جالس الحسن أو ابن سيرين» يدور في كتب البلاغة عند الكلام على خروج الأمر للإباحة.

ومن الأمر للإباحة قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(١١). وقول كثير:

أسيئي بنا أو أحسيني لا مَلُومَةٌ
لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ

قال القزويني: «ووجه حسنه إظهار الرضى بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب»^(١٢).

- (١) الكتاب ج ١ ص ١٣٧، أدب الكاتب ص ٤، قواعد الشعر ص ٢٥.
- (٢) الصاحبي ص ١٧٩.
- (٣) الصاحبي ص ١٨٤.
- (٤) مفتاح العلوم ص ١٥٢.

- (٥) الايضاح ص ١٤٣، التلخيص ص ١٦٨، الأقصى القريب ص ٨٧، الطراز ج ٣ ص ٢٨١، شروح التلخيص ج ٢ ص ٣٠٨، المطول ص ٢٣٩، الاطول ج ١ ص ٢٤٦، معترك ج ١ ص ٤٤١، الاتقان ج ٢ ص ٨١، شرح عقود الجمان ص ٥٥، حلية اللب ص ٩٥.

- (٦) الكتاب ج ٣ ص ١٧٤.
- (٧) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٦.
- (٨) النور ٣٣.
- (٩) الجمعة ١٠.
- (١٠) المقتضب ج ١ ص ١١.
- (١١) البقرة ١٨٧.
- (١٢) الايضاح ص ١٤٤، وينظر الطراز ج ٣ ص ٢٨٢، عروس الافراح ج ٢ ص ٣١٢، معترك ج ١ ص ٤٤١.

والأمر من أوائل الأساليب التي بحثها النحاة والبلاغيون، وقد عقد له سيبويه بابا وتحدث عنه ابن قتيبة وثعلب وأشاروا الى معناه الحقيقي والى بعض الأغراض التي يخرج اليها^(١). ولعل ابن فارس كان من أوائل الذين عقدوا بابا باسم «باب معاني الكلام» وهي عشرة: خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمنٍ وتعجب^(٢)، وهذا هو الباب الذي سماه البلاغيون باب «الخبر والانشاء». وقد عرّف الأمر بقوله: «الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور سمي المأمور به عاصيا ويكون بلفظ: افْعَلْ وُلْيَفْعَلْ»^(٣). وتحدث عن المعاني التي يحتملها لفظ الأمر.

ودخل أسلوب الأمر في علم المعاني حينما قسم السكاكي البلاغة الى أقسامها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع. والأمر عنده هو الباب الثالث من أبواب الطلب، وقال: «والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو «لينزل» و«انزل» و«نزال» و«صه» على سبيل الاستعلاء»^(٤). وتحدث عن الأغراض المجازية للأمر، وتبعه في ذلك البلاغيون ولا سيما القزويني وشرّاح التلخيص^(٥).

والمعاني المجازية التي يخرج اليها الأمر كثيرة منها:

الأمر للإباحة:

الأمر للإباحة عن الأغراض الاولى التي فطن لها النحاة، فسيبويه يقول: «تقول «جالس عمراً أو خالدًا أو بشرًا» كأنك قلت: جالس أحد هؤلاء ولم ترد إنسانا بعينه»^(٦).

وذكره ابن قتيبة وقال: «وعلى لفظ الأمر وهو إباحة»^(٧) قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾^(٨)، وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٩).

الأمر للاختيار:

ومنه قوله تعالى: ﴿الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾^(١)، قال السبكي: «ولولا أن الالتقاء سحر لكنث أقول إنه أمر إباحة»^(٢).

الأمر للإنعام:

أي: تذكير النعمة^(١٥) كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(١٦).

الأمر للإرشاد:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾^(٣). وقد ذكره السبكي والسيوطي^(٤).

الأمر للإهانة:

ذكره القزويني والعلوي والسبكي والسيوطي^(١٧)، وهو كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(١٨). وقوله: ﴿قُلْ: كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾^(١٩).

الأمر للاعتبار:

ذكره السبكي والسيوطي^(٥)، وهو كقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾^(٦).

الأمر للتأديب:

ذكره ابن قتيبة وقال: «أن يأتي على لفظ الأمر وهو تأديب»^(٢٠) كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ

الأمر للإكرام:

ومنه قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾^(٧)، قال السبكي: «وهو أيضًا من الإباحة»^(٨).

الأمر للالتماس:

وهو الطلب من المساوي^(٩)، قال القزويني: «والالتماس إذا استعملت فيه على سبيل التلطف»^(١٠) كقولك لمن يساويك في الرتبة «افعل» بلا استعلاء.

الأمر للامتنان:

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾^(١١)، قال السبكي: «والظاهر أنه قسم من الإباحة لكن معه امتنان»^(١٢).

الأمر للإنذار:

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾^(١٣)، ومنهم من عدّه من التهديد، ومنهم من جعله قسما آخر، وأهل اللغة قالوا: «التهديد التخويف، والانذار الإبلاغ، فهما متقابلان»^(١٤).

- (١) يونس ٨٠.
- (٢) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢١، وينظر الايضاح ص ١٤٥، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (٣) البقرة ٢٨٢.
- (٤) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (٥) عروس ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٣.
- (٦) الأنعام ٩٩.
- (٧) الحجر ٤٦، ق ٣٤.
- (٨) عروس ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (٩) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢٠.
- (١٠) الايضاح ص ١٤٥.
- (١١) الأنعام ١٤١.
- (١٢) عروس ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (١٣) ابراهيم ٣٠.
- (١٤) عروس ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (١٥) عروس ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (١٦) الأنعام ١٤٢.
- (١٧) الايضاح ص ١٤٤، الطراز ج ٣ ص ٢٨٣، عروس ج ٢ ص ٣١٧، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (١٨) الدخان ٤٩.
- (١٩) الاسراء ٥٠.
- (٢٠) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٦.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾^(١). وقول
المتنبي:

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتًّا وَأَنْتَ كَرِيمٌ
بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبَنُودِ

الْأَمْرُ لِلتَّعَجُّبِ:

ذكره السكاكي في استعمال الانشاء بمعنى الخبر
قال: «والأمر في باب التعجب من نحو «أكرم بزيد»
على قول من يقول إنه بمعنى الخبر»^(١٢)، وذكره ابن
فارس والسبكي والسيوطي^(١٣)، ومنه قول كعب بن
زهير:

أَحْسِنْ بِهَا خَلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
مَوْعُودَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

الْأَمْرُ لِلتَّعْجِيزِ:

ذكره ابن فارس والسبكي والسيوطي^(١٤)، ومنه

- (١) الطلاق ٢.
- (٢) النساء ٣٤.
- (٣) ابراهيم ٣٠.
- (٤) الزمر ٨. ينظر عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢٢.
- (٥) المقتضب ج ١ ص ١١.
- (٦) البقرة ٦٥.
- (٧) الايضاح ص ١٤٤، الطراز ج ٣ ص ٢٨٢، عروس
ج ٢ ص ٣١٧، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (٨) الصاحبي ص ١٨٥.
- (٩) طه ٧٢.
- (١٠) الايضاح ص ١٤٤، الطراز ج ٣ ص ٢٨٣،
عروس الافراح ج ٢ ص ٣١٨، معترك ج ١
ص ٤٤٢.
- (١١) الطور ١٦.
- (١٢) مفتاح العلوم ص ١٥٥.
- (١٣) الصاحبي ص ١٨٦، عروس الافراح ج ٢
ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٣.
- (١٤) الصاحبي ص ١٨٦، عروس ج ٢ ص ٣١٤،
معترك ج ١ ص ٤٤٢.

منكم﴾^(١). وقوله: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَاصْرِبُوهُنَّ﴾^(٢).

الْأَمْرُ لِلتَّحْرِيمِ:

قال السبكي: «فان جماعة ذهبوا الى أنَّ الامر
مشترك بين معانٍ أحدها التحريم كما نقله
الاصوليون. فاذا كنا نذكر الاستعمالات لغير الأمر
مجازًا فذكر هذا أولى لأنه استعمال حقيقي عند
القائل به ولا بدع في استعماله عند غيره في التحريم
مجازًا بعلاقة المضادة. ويمكن أن يمثل له بقوله تعالى:
﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(٣)، لكنه يعبده
﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ فإنه لا يناسب التحريم،
وكذلك ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ﴾^(٤).

الْأَمْرُ لِلتَّخْيِيرِ:

ذكره المبرد وقال: «وكذلك وقوعها للتخيير،
تقول: «اضرب إماما عبدا لله وإماما خالدا» فالأمر لم
يشك ولكنه خيّر المأمور كما كان ذلك في «أو»^(٥).
ومنه قول بشار:

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
مَقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبُهُ

الْأَمْرُ لِلتَّشْخِيرِ:

أي للتذليل، كقوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾^(٦) وعبر
به عن نقلهم من حالة الى حالة إذلالاً لهم، فهو أخص
من الاهانة^(٧).

الْأَمْرُ لِلتَّنْزِيلِ:

ذكره ابن فارس^(٨)، وهو كقوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا
أَنْتَ قَاضٍ﴾^(٩).

الْأَمْرُ لِلتَّشْوِيَةِ:

ذكره القزويني والعلوي والسبكي والسيوطي^(١٠)،

الأمر للتَمَنِّي:

ذكره ابن فارس وقال: «ويكون أمرًا وهو تمنٍ، تقول لشخص تراه: «كن فلانًا»^(١٤). ومنه قول امرئ القيس:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي
بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلٍ

الأمر للتهديد:

ذكره ابن قتيبة وقال: «ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد»^(١٥) كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا تُشْتُمُونَ﴾^(١٦). ومنه قول الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فافعل ما تشاء^(١٧)

الأمر للخبر:

ذكره ابن فارس^(١٨)، ومنه قوله تعالى:

- (١) يونس ٣٨.
- (٢) طه ٧٢.
- (٣) عروس ج ١ ص ٣٢١.
- (٤) الصاحبي ص ١٨٥.
- (٥) عروس ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٣.
- (٦) آل عمران ٩٣.
- (٧) الأنعام ١٥٠.
- (٨) معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (٩) عروس الأفراح ج ٢ ص ٣٢١.
- (١٠) الأنعام ٧٣.
- (١١) الصاحبي ص ١٨٥، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (١٢) الصاحبي ص ١٨٦.
- (١٣) آل عمران ١١٩.
- (١٤) الصاحبي ص ١٨٦، وينظر الايضاح ص ١٤٤، عروس الأفراح ج ٢ ص ٣١٩.
- (١٥) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٦.
- (١٦) فصلت ٤٠.
- (١٧) ينظر الايضاح ص ١٤٤، الطراز ج ٣ ص ٢٨٣، عروس ج ٢ ص ٣١٤، معترك ج ١ ص ٤٤٢.
- (١٨) الصاحبي ص ١٨٦.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾^(١) إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم. ومنه قول الشاعر:

حلَّ الطريقَ لمن يبني المنارَ به
وابرزُ ببرزةٍ حيثُ اضطركَ القَدْرُ

وقول الشاعر:

أزوني بخيلاً طال عُمرًا ببخله
وهاتوا كريماً مات من كثرةِ البذلِ

الأمر للتفويض:

ومنه قوله تعالى: ﴿فاقض ما أنت قاضٍ﴾^(٢). قال السبكي: «زاده الامام أيضاً»^(٣). وقد جاءت الآية لخروج الأمر الى التسليم كما ذكر ابن فارس^(٤).

الأمر للتكذيب:

ذكره السبكي والسيوطي^(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿قل فاتوا بالتوراة فاتلوها﴾^(٦) وقوله: ﴿قل هل من شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾^(٧).

الأمر للتكوين:

وهو أعمُّ من التسخير^(٨)، وقال السبكي: «وهو قريب من التسخير إلا أن هذا أعم»^(٩). ومنه قوله تعالى: ﴿كُنْ فيكون﴾^(١٠)، وهذا لا يكون إلا من الله سبحانه^(١١).

الأمر للتلهيف:

ذكره الصاحبي وقال: «ويكون أمرًا والمعنى تلهيف وتحسير»^(١٢) كقول القائل: «مُتْ بغيضك ومُتْ بدائك» ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بغيظكم﴾^(١٣) وقول جرير:

موتوا من الغيظِ غمًا في جزيرتكم
لن تقطعوا بطنَ وادٍ دونه مُضْرُ

تعالى: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾^(١٨).

الأمر للواجب:

ذكره ابن فارس وقال: «وتكون أمراً وهو واجب»^(١٩) كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢٠). وهذا هو الأمر الحقيقي.

الأمر للوعيد:

ذكره أبو عبيدة وقال عن قوله تعالى: ﴿فَذَرُهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾^(٢١) «مجاز الوعيد»^(٢٢). وذكره المبرد وقال عن قوله تعالى: ﴿ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾^(٢٣): «قيل مخرجه من الله - عز وجل -

- (١) التوبة ٨٢.
- (٢) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢١.
- (٣) معاني القرآن ج ١ ص ٤٧٧.
- (٤) يونس ٨٨.
- (٥) سبأ ١٩.
- (٦) تأويل مشكل القرآن ص ٣١.
- (٧) الصاحبي ص ١٨٤.
- (٨) الايضاح ص ١٤٥، عروس ج ٢ ص ٣٢٠.
- (٩) نوح ٢٨.
- (١٠) معترك الاقران ج ١ ص ٤٤٢.
- (١١) الاسراء ٤٨.
- (١٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٧.
- (١٣) البقرة ٢٨٢.
- (١٤) الصاحبي ص ١٨٥، عروس ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤١.
- (١٥) الاعراف ٢٠٤.
- (١٦) الجمعة ١٠.
- (١٧) عروس ج ٢ ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٣.
- (١٨) الصافات ١٠٢.
- (١٩) الصاحبي ص ١٨٦.
- (٢٠) البقرة ٤٣.
- (٢١) المعارج ٤٢.
- (٢٢) مجاز القرآن ج ٢ ص ٢٧٠.
- (٢٣) الحجر ٣.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾^(١) أي: انهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً. وقال السبكي: «الخبر نحو: «إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعِ مَا شِئْتَ» إذ الواقع ان من لم يستح يفعل ما يشاء. وقيل: المعنى: إذا وجدت الشيء مما لا يستحيا منه فافعله فيكون اباحة»^(٢).

الأمر للدعاء:

ذكره الفراء^(٣)، ومنه قوله تعالى على لسان موسى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٤) وذكره ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾^(٥) وقال إنه «على طريق الدعاء والمسألة»^(٦). وسماه ابن فارس «والمعنى مسألة»^(٧) وقال المبرد: «الدعاء يجري مجرى الأمر والنهي... وذلك كقولك في الطلب «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». وقال القزويني: «إذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع»^(٨)، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِيَّ﴾^(٩).

الأمر للعجب:

ذكره السيوطي^(١٠)، ومنه قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾^(١١).

الأمر للفرض:

ذكره ابن قتيبة وقال: «وعلى لفظ الأمر وهو فرض»^(١٢) كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(١٣). وهذا هو المعنى الحقيقي للأمر.

الأمر للنَّدْب:

ذكره ابن فارس والسبكي والسيوطي^(١٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^(١٥)، وقوله: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(١٦).

الأمر للمشورة:

ذكره السبكي والسيوطي^(١٧)، ومنه قوله

ولما التقى الحيان ألقيت العصا
ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
ولذلك قال الفرزدق:

إن تذكروا كرمي بلؤم أبيكم
وأوابدي تتنحلوا الأشعاراً^(٦)

الانتقال:

النقل: تحويل الشيء من موضع الى موضع، يقال:
نقله ينقله نقلاً فانتقل. والتنقل: التحول^(٧).

وكان المصري قد استخرج فناً جديداً سماه
«الحيدة والانتقال» وقال عنه: «هو أن يجيب
المسؤول بجواب لا يصلح أن يكون جواباً عما سئل
عنه أو ينتقل المستدل الى استدلال غير الذي كان
أخذاً فيه، وإنما يكون هذا بلاغة إذا أتى به المستدل
بعد معارضة بما يدل على أن المعارض لم يفهم
استدلاله فينتقل عنه الى استدلال يقطع به الخصم
عند فهمه. وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك قوله
تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام في قوله
للجبار^(٨): ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٩) فقال
الجبار: «أنا أحيي وأميت». ثم دعا بانسان فقتله ودعا
بمن وجب عليه القتل فأعتقه فلما علم الخليل أنه لم
يفهم معنى الاماتة والاحياء اللذين أرادهما انتقل الى
استدلال آخر فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ
المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ﴾^(١٠) فأتاه باستدلال

(١) المقتضب ج ٢ ص ٨٦.

(٢) الصاحبي ص ١٨٥.

(٣) النحل ٥٥.

(٤) فصلت ٤٠.

(٥) اللسان (نحل).

(٦) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٣٠، العمدة ج ٢

ص ٢٨٣، الرسالة العسجدية ص ٥٣.

(٧) اللسان (نقل).

(٨) الجبار؛ هو النمرود بن فالج.

(٩) البقرة ٢٥٨.

(١٠) البقرة ٢٥٨.

على الوعيد^(١). وقال ابن فارس: «ويكون أمرًا
والمعنى وعيد»^(٢) كقوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ﴾^(٣) وقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٤). ومنه
قول عبيد بن الأبرص:

حتى سقيناهم بكأسٍ مُرَّةٍ
فيها المثلُّ ناعماً فليشربوا

ومن الوعيد قول الشاعر:

ارووا عليّ وأرضوا بي رحالكم
واستمعوا يا بني ميثاء إنشادي
ما ظنكم ببني ميثاء إن رقدوا
ليلاً وشدّ عليهم حية الوادي

وقد جاء في الحديث الشريف: «إذا لم تستح
فاصنع ما شئت» أي: أن الله - جلّ ثناؤه - مجازيك.

الانتحال:

انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان: إذا ادّعه إنه
قائله، وتنحّله: ادّعه وهو لغيره. ونحلّ القول ينحّله
نحلاً: نسبه اليه. ونحلته القول أنحله نحلاً إذا
أضفت اليه قولاً قاله غيره وادّعيته عليه. ويقال: نُحل
الشاعر قصيدة إذا نسبت اليه وهي من قيل غيره.
وانتحل فلان كذا وكذا معناه قد ألزمه نفسه وجعله
كالملك له^(٥).

والانتحال من السرقات عند البلاغيين وهو أن
يأخذ الشاعر أبياتاً لشاعر آخر وينحلها لنفسه كقول
جرير:

إن الذين غَدُوا بلبك غادروا
وشلاً بعينك لا يزال مَعِينَا

غَيَّضَنَ من عَبْرَاتِهِنَ وَقُلْنَ: لِي
مَآذَا لَقِيَتَ من الهوى ولَقِينَا

فان الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي
انتحلها جرير.

وانتحل جرير قول طفيل الغنوي:

ولكنَّما أسعى لمجدٍ مؤثَّل
وقد يُدركُ المجدَ المؤثَّل أمثالي
وقوله:

فتملاً بيتنا أقطاً وسمنا
وحسبك من غنى شَبَعٍ وريٍّ
لأنَّه وصف نفسه في موضع بسمو الهمة الى الأمور
العظيمة، وفي موضع آخر بالقناعة والشبع والري.
وكان قدامة قد تحدث عن هذه الأبيات في باب
مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، ورأى
أنَّ امرأ القيس لم يناقض نفسه، قال: «إنَّه لو تصفح أولاً
قول امرئ القيس حق تصفحه لم يوجد ناقض معنى
آخر، بل المعنيان في الشعرين متفقان إلا أنَّه زاد في
أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر، وليس أحد
ممنوعاً من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض،
وذلك أنَّه قال في أحد المعنيين: «فلو أنني أسعى
لأدنى معيشة كفاني القليل من المال» وهذا موافق
لقوله: «وحسبك من غنى شَبَعٍ وريٍّ» لكن في
المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيء وهو قوله:
«لكنني لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أوتله».
فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الانسان باليسير في
الشعرين متوافقان، والزيادة في الشعر الأول التي دلَّ بها
على بعد همته ليست تنقض واحداً منهما ولا
تنسخه»^(٦).

الانتهاء:

التهيئة والنهاية: غاية كل شيء وآخره، والنهاية:
كالغاية حيث ينتهي اليه الشيء وهو النهاء. يقال:

- (١) تحرير التحبير ص ٥٦٥، بديع القرآن ص ٢٨٠.
- (٢) جوهر الكنز ص ٢٠٥.
- (٣) معترك الأقران ج ١ ص ٤٦٢.
- (٤) اللسان (نكث).
- (٥) البديع في نقد الشعر ص ١٨٢.
- (٦) نقد الشعر ص ٢٠.

لا يجد لاسمه اسماً مشتركاً معه فتعلق بظاهره على
طريق المغالطة أو لأنَّه لم يفهم إلا ذلك الوجه الذي
تعلق به فلا، جزم أنَّ الجبار انقطع وأخبر الله - سبحانه
- عنه بذلك حيث قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾
(البقرة ٢٥٨). وفيه نوع يحيد المسؤول عن خصوص
الجواب الى عمومته لتفيد تلك الحيدة زيادة بيان لا
تحصل بخصوص الجواب كقول عائشة - رضي الله
عنها - وقد سألتها امرأة: أتدخل المرأة الحمام؟
فقلت: «كل امرأة وضعت ثيابها في غير بيتها فقد
عصت»، أو كما قالت. فانظر الى حيدتها عن
الخصوص الى العموم لتفيد زيادة في البيان
وتستوعب جميع أحكام الباب.. وأما ما يأتي بسبب
صحة المعارضة على طريق المغالطة فما لا يحسن
ذكره مثاله^(١). وسماه ابن الاثير الحلبي والسيوطي
«الانتقال»، وقال الأول: «هو أن يسأل المتكلم في
بحث أو غيره فيجيب بجواب لا يصلح أن يكون
جواب ذلك السؤال وانما يحمله على ذلك إما لأنَّ
حجته لم تنهض بالاستدلال عليه واما مغالطة عن أداء
الجواب عما سئل عنه»^(٢). ونقل مثال المصري. وقال
السيوطي: «هو أن ينتقل المستدل الى استدلال غير
الذي كان آخذاً فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة
من الأول»^(٣). ونقل مثال المصري أيضاً.

الانتكاث:

النكث: نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها،
يقال: نكثه ينكثه نكثاً فانكثت وتناكث القوم
عهودهم: نقضوها^(٤).

سماه ابن منقذ «الانتكاث والتراجع» وقال:
«هو أن ينقض الشاعر قوله بقول آخر، أو ينقص
مما زاد فيه»^(٥). كما عابوا على امرئ القيس
قوله:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفاني ولم أطلب قليل من المال

بلغ نهايته، وانتهى الشيء وتناهى ونهَى: بلغ نهايته^(١).

قال ابن رشيق: «وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله أن يكون محكمًا لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحًا له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه. وقد أربى أبو الطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة^(٢) إلا أنه ربما عقّد أوائل الاشعار ثقة بنفسه وإغراباً على الناس^(٣). كقوله في أول قصيدة:

وفأؤ كما كالرُبْع أشجَاه طاسِئُهُ

بأن تُشْعِدَا والدمْعُ أشفَاه ساجِمُهُ

وقال ابن رشيق بعد ذلك: «ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها رغبة مشتهية ويبقى الكلام مبتورًا كأنه لم يتعمد جعله خاتمة، كل ذلك رغبة في أخذ العفو واسقاط الكلفة. ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل من شدة المطر:

كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى غُدِيَّةٌ

بأرجائه القصوى أنا بيث غُنْضِلِ^(٤)

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهي أفضلها.

وقد كره الحدائق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء؛ لأنه من عمل أهل الضعف إلا للملوك فانهم يشتبهون ذلك ما لم يكن من جنس قول أبي الطيب يذكر الخيل لسيف الدولة:

فلا هَجَمَتْ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ

وَلَا وَصَلَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلٍ

فان هذا شبيه ما ذكر عن بغض: كان يصابح الأمير فيقول: لا صَبَحَ اللَّهُ الأمير بعافية، ويسكت ثم يقول: إلا ومَسَّاهُ بأكثر منها، ويماسيه فيقول: لا مَسَّى اللَّهُ الأمير بنعمة ويسكت سكتة ثم يقول: إلا وَصَبَّحَهُ بِأَتَمِّ منها، أو نحو هذا، فلا يدعوه حتى يدعوه عليه، ومثل

هذا قبيح لا سيما عن مثل أبي الطيب^(٥).

وسماه القزويني كما سماه ابن رشيق وقال: «ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظًا وأحسن سبكًا وأصح معنى، الأول الابتداء... والثاني التخلص... والثالث الانتهاء لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس^(٦).

ومن الانتهاءات المرضية قول أبي نواس:

فبِقِيَّتِ لِلْعِلْمِ الَّذِي تَهْدِي لَهُ

وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الْأَيَّامُ

وقول أبي تمام في خاتمة قصيدة فتح عمورية:

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَجِمٍ

مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مَقْتَضِبِ

فبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي تُصِرَّتْ بِهَا

وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ

أَبَقَّتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَمْرَاضَ كَأَسْمِهِمْ

صُفَّرَ الْوَجُوهَ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

وسار شراح التلخيص على سبيل القزويني في الانتهاء^(٧).

ونقل الجاحظ عن شبيب بن شيبه قوله: «والناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه^(٨).

وسماه الحلبي «براعة المقطع» وقال: «هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو

(١) اللسان (نهى).

(٢) أي: الابتداء والتخلص والانتهاء.

(٣) العمدة ج ١ ص ٢٣٩.

(٤) العنصل؛ بصل بري يعمل منه خل شديد الحموضة. الانايش؛ العروق.

(٥) العمدة ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٦) الايضاح ص ٤٣٤، التلخيص ص ٤٣٤.

(٧) شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٤٣، المطول ص ٤٨١، الاطول ج ٢ ص ٢٥٩.

(٨) البيان ج ١ ص ١١٢.

الشاعر مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الاسماع»^(١).
وذكر النويري هذا المصطلح وهذا التعريف^(٢).

وسماه المصري حسن الخاتمة وذكر انه من مستخرجاته، وقال: «يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة فأنها آخر ما يبقى في الاسماع ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها»^(٣). ونقل ابن مالك هذا الكلام وبعض أمثلة المصري^(٤).

وليس الأمر كما قال المصري وإنما سبق الى هذا الفن الذي سمي «جودة القطع» أو «براعة المقطع» أو «الانتهاء»، وقد أشار الحموي الى ذلك بقوله: «هذا النوع ذكره ابن أبي الاصبغ أنه من مستخرجاته وهو موجود في كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشي سماه «حسن المقطع» وسماه ابن أبي الاصبغ حسن الخاتمة»^(٥).

فالانتهاء معروف وأول اشارة اليه كانت كلام شبيب بن شيبة الذي سماه «جودة القطع» وكان القاضي الجرجاني قد تحدث عن حسن الخاتمة وقال: «والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة فانها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء»^(٦) وسماه المدني «حسن الختام» وقال: «وهذا رابع المواضع التي نص أئمة البلاغة على التأنيق فيها؛ لأنه آخر ما يقرع السمع ويرتسم في النس، وربما حفظ لقرب العهد به، فان كان مختاراً حسنا تلقاه السمع واستلذه حتى جبر ما وقع فيما سبق من التقصير كالطعام اللذيذ الذي يتناول بعد الأطعمة التفهة، وإن كان بخلاف ذلك كان على العكس حتى ربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق. وجميع خواتيم السور كفواتحها وارده على أحسن وجوه البلاغة واكملها لانها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد الى غير ذلك

مما يناسب الاختتام»^(٧).

ومن حسن الختام الذي ذكره المدني قول أبي نواس:

وإني جديرٌ إذ بلغتك بالمنى
وأنت بما أملتُ منك جديرٌ
فإن تولني منك الجميل فأهله
وإلا فاني عاذرٌ وشكورٌ

وقول المتنبى:

سما بك هَمِّي فوق الهموم
فَلَسْتُ أَعْدُ يَسَارًا يَسَارًا
ومن كُنْتَ بَحْرًا له يا علي
لم يقبل الدرُّ إلا كبارًا

وقول ابن هاني المغربي:

لا زِلْتُ تَسْحَبُ أذْيَالَ الندى كَرَمًا
في نعمة غير مُزْجاةٍ من النِعَمِ
ما نَمَنَمَ الروضُ أو حاكت وشائعه
أيدي السحاب الغواذي العزّ بالديم

فالانتهاء، وجودة القطع وبراعة المقطع وحسن الخاتمة وحسن الختام كلها فن واحد الهدف منه أن يحرك النفس عند ختام القصيدة أو الكلمة ليبقى أثرها عالقا بالنفوس.

الانسجام:

سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه
وتسجمه سجماً وسجوماً وسجماناً: وهو قطران

(١) حسن التوسل ص ٢٥٥.

(٢) نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥.

(٣) تحرير التحبير ص ٦١٦، بديع القرآن ص ٣٤٣.

(٤) المصباح ص ١٢٦.

(٥) خزانة الادب ص ٤٦٠.

(٦) الوساطة ص ٤٨.

(٧) أنوار الربيع ج ٦ ص ٣٢٤، نفحات ص ٣٤١.

الدمع وسيلانه قليلاً كان أو كثيراً. وانسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم أي انصب، والانسجام هو الانصباب^(١).

قال ابن منقذ: «الانسجام أن يأتي الكلام المتكلم شعراً من غير أن يقصد اليه وهو يدل على فور الطبع والغريزة»^(٢).

وقال المصري: «هو أن يأتي الكلام متحدراً كتحد الماء المنسجم سهولة سبك وعدوبة ألفاظ حتى يكون للجملته من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره مع خلوه من البديع وبعده عن التصنيع. وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود كمثل الكلام المترن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً كمثل أشطار وأنصاف وأبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز»^(٣).

والانسجام على ضربين: ضرب يأتي مع البديع الذي لم يقصد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤). فقد وقع فيه تعطف في قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ و﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ إلى جانب مافيه من سلامة وانسجام.

وضرب لا بديع فيه كقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥). وأكثر آي القرآن الكريم من شواهد هذا الباب^(٦). ويختلف كلام المصري عن كلام سابقه، فالأول يريد به مجيء الجملة الموزونة أو الشطر أو البيت في الكلام، وهو ما ذكره المصري في آخر تعريفه، أما أول كلامه فيريد به الانسجام بمعناه العام وهو أن يتحدرك الكلام تحدر الماء المنسجم سهولة سبك وعدوبة لفظ. والى ذلك ذهب ابن قيم الجوزية والحموي والسيوطي والمدني^(٧).

ومن الانسجام الذي وقع في الأشعار المقصودة قول أبي تمام:

إِنْ شِئْتَ لَا تَرَى صَبْرًا لِمَصْطَبِرٍ
فَانظُرْ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الطَّلَلُ

وقوله:

نَقَلْ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقول البحري:

فِيَا لَائِمِي فِي عِبْرَةٍ قَدْ سَفَحْتُهَا
لَبِينٍ وَأُخْرَى قَبْلَهَا لِتَجْنِبِ
تُحَاوَلُ مِنِّي شِيمَةً غَيْرَ شِيمَتِي
وَتَطْلُبُ مِنِّي مَذْهَبًا غَيْرَ مَذْهَبِي

وقد يحصل الانسجام مع البديع الذي أتت به القريحة عفواً من غير استدعاء ولا كلفة كبيت أبي تمام الأول: «إن شئت...» قال المصري: «فأنت ترى انسجام هذا الكلام مع كون البيت قد وقع فيه المبالغة والتعليق والإشارة فإنه علق عدم صبر المصطبرين برؤية الطلل على تلك الحالة، وأشار بقوله: «على أي حال أصبح الطلل» إلى أحوال كثيرة لو عبّر عنها بلفظها لاحتاجت إلى ألفاظ كثيرة. وعلق أحد الأمرين بالآخر إذ جاء بلفظ الشرط والمشروط»^(٨).

ومن الانسجام قول ابن القيسراني:

بِالسَّفْحِ مِنْ نُعْمَانَ لِي
قَمَرٌ مَنَازِلُهُ الْقُلُوبُ
حَمَلَتْ تَحِيَّتَهُ الشَّمَا
لُ فَرَدَّهَا عَنِّي الْجَنُوبُ

(١) اللسان (سجم).

(٢) البديع في نقد الشعر ص ١٣١.

(٣) تحرير التعبير ص ٤٢٩.

(٤) يوسف ٨٦.

(٥) الأعراف ١٩٩.

(٦) بديع القرآن ص ١٦٦.

(٧) الفوائد ص ٢١٩، خزنة الأدب ص ١٨٩، معترك

ج ١ ص ٣٨٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٧، شرح عقود

الجمان ص ١٥٣، أنوار الربيع ج ٤ ص ٥،

نفحات ص ٢٩٥، شرح الكافية ص ٢٦٤.

(٨) تحرير التعبير ص ٤٣١.

فَرْدُ الصِّفَاتِ غَرِيبُهَا

وَالْحُسْنُ فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ
لَمْ أَنْسَ لَيْلَةً قَالَ لِي
لَمَا رَأَى جَسَدِي يَذُوبُ
بِاللَّهِ قُلْ لِي مَنْ أَعْلَى
كَ يَا فَتَى قُلْتُ: الطَّبِيبُ

وقول ابن بسام المعروف بالبسامي:

لَلَّهِ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَلَهُوهُ
لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الشَّبَابِ تُبَاعُ
فَدَعِ الصُّبَا يَا قَلْبُ وَاسْأَلْ عَنِ الْهُوَى
مَا فِيكَ بَعْدَ مَشِيْبِكَ اسْتِمْتَاعُ

وقول الآخر:

بِيضٌ حَرَائِرُ مَا هَمَمَنْ بِرَيْبَةٍ
كَظَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ لَيْنِ الْكَلَامِ فَوَاسِفًا
وَيَصِدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ

الإِنْشَاءُ:

أَنْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ: أبتدأ خلقهم، والانشاء هو
الابتداء أو الخلق، أو الابتداء^(١). وليس بين هذه
المعاني وما ذهب إليه البلاغيون صلة، لأنَّ الانشاء
عندهم: كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب
لذاته لانه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع
خارجي يطابقه أو لا يطابقه. وهذا ما ذكره
القدماء فقال الشريف الجرجاني: «الانشاء قد
يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه
أو لا تطابقه»^(٢).

واعتمدوا على هذا المعنى حينما فصلوا بين الخبر
والانشاء فقال القزويني: «ووجه الحصر أنَّ الكلام إما
خبر أو انشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو
لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأول: الخبر،
والثاني: الانشاء»^(٣).

والانشاء قسمان:

الأول: الانشاء الطلبي، وهو ما يستدعي مطلوبًا
غير حاصل وقت الطلب وهو خمسة أنواع: الأمر،
والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء. وهذه هي
الموضوعات التي تحدث عنها البلاغيون في مبحث
الانشاء لأنها تتفاوت في التعبير وتخرج عن الأغراض
الحقيقية وتؤدي معاني جديدة للأديب فيها تصرف
كبير.

الثاني: الانشاء غير الطلبي، وهو ما لا يستدعي
مطلوبًا وله أساليب متعددة:

١- صيغ المدح والذم، ومنها «نِعْمَ» و«بِئْسَ»
كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبَدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ
تُخْفَوُهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ
مَنْ سِيئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٤). وقوله:
﴿وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلِنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٥). وقوله:
﴿يَدْعُو لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبِئْسَ الْمَوْلَى وَلِبِئْسَ
الْعَشِيرُ﴾^(٦). وقول زهير بن أبي سلمى في مدح هريم بن
سنان:

نِعْمَ امْرَأٌ هَرِيمٌ لَمْ تَعْرِ نَائِبَةٌ
إِلَّا وَكَانَ لِمَرْتَعٍ لَهَا وَزَّرَا
ومنها: «حبذا» و«لا حبذا» كقول جرير:
يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلِ
وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا

(١) اللسان (نشأ).

(٢) التعريفات ص ٣٢.

(٣) الايضاح ص ١٣ التلخيص ص ١٥١، الطراز ج ١

ص ٦١، شروح التلخيص ج ٢ ص ٢٣٤، المطول

ص ٢٢٤، الاطول ج ١ ص ٢٣١، الاتقان ج ٢

ص ٧٥، شرح عقود الجمان ص ٤٨٩.

(٤) البقرة ٢٧١.

(٥) النحل ٣٠.

(٦) الحج ١٣.

وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ
تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا
ومثل: «لا حبذا صديق السوء».

ومنها: الأفعال المحولة الى «فَعَلَّ» كقوله تعالى:
﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾^(١).

٢- التعجب وله صيغتان قياسيتان هما: «مَا أَفَعَلَهُ»
كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٢). وقول
الشاعر.

بنفسي تلك الأرض ما أطيَّب الرُّبَى
وما أَحْسَنَ الْمُضْطَافَ والمتربعا

و«أَفْعِلْ بِهِ» كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ
يَأْتُونَنا﴾^(٣).

٣- القسم ويكون بالواو والتاء والباء كقوله تعالى:
﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا﴾^(٤). وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ
أَتْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾^(٥). ومثل: «أُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنِّي بَرِيءٌ» أو
«بِاللَّهِ إِنِّي بَرِيءٌ».

ومن صيغ القسم التي تأتي كثيرا «لَعَمْرُؤُ» كقوله
تعالى: ﴿لَعَمْرُؤُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٦).
وقول الشاعر:

لَعَمْرُؤُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِأَوْجَلُ
عَلَى أَيُّنَا تَأْتِي الْمَنِيَةُ أَوَّلُ

٤- الرجاء: وهو طلب حصول أمر محبوب قريب
الوقوع. والحرف الموضوع له «لعل» كقوله تعالى:
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ
صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ
مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٧).

ومنه قول ذي الرمة:

لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً
مَنْ الْوَجْدُ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

والأفعال التي تستعمل في هذا الأسلوب «عسى»
كقوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ
عِنْدِهِ﴾^(٨).

ومنه قول الشاعر:

عسى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ
يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ

و«حري»، مثل: «حري محمد أن يقوم».

و«اخلوق»، مثل: «اخلوقت السماء أن تُمَطَّرَ».

وتُسمَّى هذه الثلاثة «أفعال الرجاء».

٥- صيغ العقود: مثل «بِعْتُ» و«اشتريتُ»
و«هبتُ» و«قبِلْتُ». وهذه أساليب خبر لا يراد بها
الاجبار لأنها لا تحتل الصدق والكذب ولذلك لم
توضع في مباحث الخبر.

ولا يهتم البلاغيون بهذه الأساليب الانشائية لقلة
الأغراض المتعلقة بها؛ ولأنَّ معظمها أخبار نقلت عن
معانيها الأصلية. أما الانشاء الذي يعنون به فهو الطلبي
لما فيه من تفنن في القول.

الانصراف:

الصرف: رد الشيء عن وجهه، صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا
فانصرف. ومعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾^(٩) أي:
رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه، وقيل: انصرفوا
عن العمل بشيء مما سمعوا^(١٠).

والانصراف هو «ان يرجع من الخبر الى الخطاب
ومن الخطاب الى الخبر»، وهذه تسمية ابن منقذ^(١١)،

(١) الكهف ٥.

(٢) عبس ١٧.

(٣) مريم ٣٨.

(٤) الضحى ١ - ٢.

(٥) يوسف ٩١.

(٦) الحجر ٧٢.

(٧) هود ١٢.

(٨) المائدة ٥٢.

(٩) التوبة ١٢٧.

(١٠) اللسان (صرف).

(١١) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠.

وابن شيث القرشي^(١)، وسماه ابن وهب «الصرف»^(٢) وسماه غيرهم «الالتفات» وهو الذي يتردد في كتب البلاغة وقد تقدم.

الإنفاد:

نَفِدَ - بالدال - الشيء نَفْدًا ونَفَادًا: فني وذهب. وأنفد القوم اذا نفد زادهم أو نفدت أموالهم. والمنافد: الذي يُحاجُّ صاحبه حتى يقطع حجته وتنفد، ونافدت الخصم منافدة إذا حاججته حتى تقطع حجته، وخصم منافد: يستفرغ جهده في الخصومة^(٣).

وأخذ المظفر العلوي هذا المعنى اللغوي وقال «الإنفاد - بالدال غير المعجمة - هو من قولهم: خصم منافد إذا خاصم حتى تنفد حجته. وتقول: نافدت الرجل مثل «حاكمته». وفي الحديث: «إن نافدتهم نافدوك». وهو أن يقول الشاعر بيتًا تامًا ويقول الآخر بيتًا^(٤). وربط بين الإنفاد والاجازة فقال: «وأما الإنفاد والاجازة فرؤي أن كعب بن زهير لما تحرك بالشعر كان أبوه زهير ينهاه عنه مخافة ألا يكون استحكم شعره فيروى عنه ما يُعاب عليه. وكان يضربه على ذلك فغلبه وطال ذلك عليه فأخذه وسجنه وقال: «والذي أحلف به لا تتكلم بيت شعر ولا يبلغني تُريغ لشعر إلا ضربت ضربًا ينكرك عن ذلك. فمكث محبوبًا أيامًا ثم أخبر أنه تكلم به فضربه ضربًا مبرحًا ثم أطلقه وسرحه في بهمة وهو غُلِيمٌ صغير فانطلق فرعاها ثم راح بها وهو يرتجز:

كأنما أحدو ببهمي عيرا

من القرى موقرة شعيرا

فخرج زهير اليه وهو غضبان فدعا بناقة فركبها وتناوله فأردفه خلفه، ثم حرك ناقته وهو يريد أن يتعنت كعبًا ويعلم ما عنده ويطلع على شعره، فقال حين فصل من الحي:

وإني لتغدو بي على الهمم جسرّة

تُحِبُّ بوضالٍ صرومٍ وتُغْنِقُ^(٥)

ثم ضربه وقال: أجز يا لكع، فقال:

كبنيانة القاري موضع رخلها
وأثار نسعيها من الدف أبلق^(٦)

فقال زهير:

على لاجبٍ مثل المجرة خيلته
إذا ما علا نشزًا من الأرض مهرق^(٧)

ثم قال: أجزيا لكع، فقال:

منيرٌ هداه ليله كنهاره
جميع إذا يعلو الحزونة أفرق^(٨)

فقال زهير:

تظلّ بوعساء الكثيب كأنها
خباء على صقبي بوانٍ مروق^(٩)

ثم قال: أجزيا لكع، فقال:

تراخى به حُبُّ الضحاء وقد رأى
سماوة قشراء الوظيفين عوهق^(١٠)

فقال زهير:

تجنُّ الى مثل الحبابير جثم
لدى منهج من قيضها المتفلق^(١١)

(١) معالم الكتابة ص ٧٦.

(٢) البرهان ص ١٥٢.

(٣) اللسان (نفد).

(٤) نظرة الاغريض ص ١٩٤.

(٥) صروم؛ قوي. الجسرة؛ الناقة العظيمة.

(٦) النسع؛ المفصل بين الكف والساعد.

(٧) النشز؛ الارتفاع من الارض. لاجب؛ طريق

واضح. مهرق؛ صحيفة.

(٨) الحزونة؛ غلاضة الارض.

(٩) الوعساء؛ الرملة تغيب فيها أخفاف الابل.

صقبي؛ عمودي، بوان؛ عمود من أعمدة البيت

في مؤخرته.

(١٠) قشراء الوظيفين؛ يعني الساقين. عوهق طويلة العنق.

(١١) الحبابير؛ الحبارى. القيض؛ قشر البيض.

المنهج؛ البالي.

ثم قال: أجزيا لكع، فقال:

تحطّم عنها قيضها عن خراطم

وعن حدقٍ كالتبّخِ لم يتفلّق^(١)

فأخذ زهير بيد كعب وقال له: «قد أذنتُ لك في الشعر»^(٢).

الانفصال:

فصلت الشيء فانفصل أي: قطعته فانقطع^(٣).

والانفصال من مبتدعات المصري، وقد عرّفه بقوله: «هو أن يقول المتكلم كلامًا يتوجه عليه فيه دخل إذا اقتصر عليه فيأتي بعده بما يفصل به عن ذلك إما ظاهرًا أو باطنًا يظهره التأويل»^(٤) كقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾^(٥). فإن على ظاهر هذه الآية حصل من جهة أن الطائر يطير بجناحيه فيكون الاخبار بذلك عريا عن الفائدة، والانفصال عن ذلك هو أنه سبحانه لما قال: ﴿وما من دابة في الأرض﴾ أوجبت البلاغة أن يردف ذلك بقوله: ﴿ولا طائر﴾ في السماء أو في الجو ﴿يطير بجناحيه﴾ فأراد الإيجاز فوجب أن يحذف إحدى الجملتين إما في ﴿السماء﴾ أو ﴿يطير﴾. ولا فيها من الضمير، ولا سبيل إلى حذف الفعل لأنه الذي يتعلق به الجار والمجرور الذي يمرّ بجناحيه وذكره مطلوب في الآية؛ لأن ذكر الجناح يفصل صاحبه من الهمج الذي يظهر وهو يخال أنه يطير كالنمل والجعلان وغير ذلك، لأن هذا الصنف قد ذكر في نصف ما دبّ ودرج في الأرض. والآية قصد بها صحة التقسيم لأنه - سبحانه - لما استوعب كل ما يدبّ على الأرض في صدرها أراد الإتيان بما يعمّ الذي يطير في الجو، ولا يطير في الجو إلا طائر، ولا يسمى طائرًا إلا إذا طار بجناحين، ولا تسمى آلة الطيران جناحًا إلا إذا كانت ذات قصب وريش وأباهر وخوافي وقوادم، فقوله - سبحانه - : ﴿ولا طائر﴾ بعد ذكر الدواب

موضح لما أراد من صحة التقسيم، ولفظة «طائر» رشحت لفظه «يطير» لمجيئها بعدها ولفظة «يطير» رشحت الاتيان بلفظة «الجناحين» فحصل من مجموع ذلك الانفصال عن الدخّل المتوجه الى ظاهر الآية.

ومنه قول أبي فراس:

في حرام الناس إن كُنْ
ت من الناس تُعَدُّ
ولقد نَبَّيت إبليـ
س إذا راك يَصُدُّ
ليس من تقوى ولكن
ثَقَلُ فيك وَبَرْدُ

فإن أبا فراس لو اقتصر على البيت الثاني لكان الهجاء فيه غير مخلص، وكان يتوجه دخل بسبب احتمال البيت للمدح والاتيان به في معرض الهجو فانفصل عن هذا الدخل بالبيت الثالث.

وفَرَّقَ المصري بينه وبين الاحتراس بقوله: «والفرق بينه وبين الاحتراس، عموم الاحتراس وخصوص هذا الباب لأن البيت المدخول من هذا الباب يكون الدخل المتوجه عليه من جهة كونه صالحًا لضدين من الفنون وهو في سياق أبيات مقصودة في فن واحد منهما، والاحتراس يكون بيته مدخولاً من هذا الوجه وغيره»^(٦). وقال أيضًا: «إن الاحتراس هو ما فطن له الشاعر أو الناثر وقت العمل فاحترس منه، والانفصال ما لم يفطن له حتى يدخل عليه فيأتي بجملته من الكلام أو بيت من الشعر ينفصل عنه ذلك الدخل»^(٧). وفَرَّقَ

(١) التبخ؛ الجدرى، البثور.

(٢) نضرة الاغريض ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

(٣) اللسان (فصل).

(٤) تحرير التحبير ص ٦٠٩، بديع القرآن ص ٣٢٦.

(٥) الأنعام ٣٨.

(٦) تحرير التحبير ص ٦١٠.

(٧) تحرير التحبير ص ٢٤٦.

كَفَرُوا ﴿﴾ حديثًا عن الكفار وعن تصميمهم في كفرهم.

الاهتدَام:

الهِدْمُ نقيض البناء، هدمه يهدمه هَدْمًا وهدمه فانهدم. وقال ابن الأعرابي الهدم قلع المَدْر يعني البيوت وهو فعل مجاوز والفعل اللازم منه الانهدام^(٩).

وقال الحاتمي: «الاهتدَام وهو افتعال من الهدم فكأنه هدم البيت من الشعر تشبيهاً له بهدم البيت من البناء؛ لأنَّ البيت من الشعر يُسمى بيتًا لأنه يشتمل على الحروف كما يشتمل البيت على ما فيه»^(١٠). وكان كَثِيرٌ عَزَّةٌ يهتدم كثيرًا من شعر جميل ويتبع آثاره في النسيب. ويُروى أنَّ الفرزدق لقي كَثِيرًا فقال:

«ما أشعرك يا كثير في قولك:

أريدُ لأنسى ذكْرَها فكأنَّما
تَمَثَّلُ لي ليلي بكلِّ سبيلٍ

يعرِّضُ بأنَّه اهتدمه من قولٍ جميل:

أريدُ لأنسى ذكْرَها فكأنَّما
تَمَثَّلُ لي ليلي على كلِّ مَرْقَبٍ

ويقال إنَّ كَثِيرًا أنشد عبد الله بن أبي عبيدة قصيدته التي يقول فيها:

(١) تحرير ص ٢٤٦.

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١.

(٣) حسن التوسل ص ٣١٥، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٧.

(٤) اللسان (قطع).

(٥) مفتاح العلوم ص ١٣٠، دلائل الاعجاز ص ١٨٣.

(٦) الايضاح ص ١٥٠، التلخيص ص ١٧٩.

(٧) شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٥، المطول ٢٥١، الاطوال ج ٢ ص ٧.

(٨) البقرة ٦.

(٩) اللسان (هدم).

(١٠) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٦٤.

بينه وبين المواربة فقال: «إنَّ المواربة تكون في كلمة من الكلام أو في كلام منفصل عنه، والانفصال لا يكون إلا ببيتٍ مستقل أو جملة منفردة عن سياق الكلام متعلقة به داخله فيه»^(١).

وأدخله السبكي في باب الاحتراس وقال: «وقد فسّر بما هو في معنى الاحتراس المتقدم في الايجاز والاطناب»^(٢).

وتكلم عليه الحلبي والنويري مثل ما تحدث عنه المصري وذكر آيات أبي فراس^(٣).

الانْقِطَاع:

القطع: إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا، والقطع مصدر قطعت الحبل قطعًا فانقطع^(٤).

والانقطاع من مواضع الفصل في الكلام، وقد ذكر البلاغيون نوعين هما: الاول: الانقطاع للاختلاف خبرًا وانشاءً لفظًا ومعنى كقول الشاعر:

وقال رائدُهُم: ارسوا نزاولها

فكلُّ حَتْفٍ امرئٍ يَجْرِي بمقدارٍ

أو معنى ولفظًا مثل: «مات فلان - رحمه الله».

وعدَّ السكاكي قول اليزيدي:

مَلَّكْتَهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ

من زُهْدٍ على غاربي

وقال: إني في الهوى كاذِبٌ

انْتَقَمَ اللّهُ من الكاذِبِ

من هذا الضرب وحمله عبد القاهر على الاستئناف بتقدير «قلت»^(٥).

وهذا ما سماه القروي «كمال الانقطاع»^(٦) وتبعه في ذلك شراح تلخيصه^(٧) الثاني: الانقطاع لغير الاختلاف أي الاختلاف خبرًا وانشاءً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾^(٨)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مقطوع عما قبله لكون ما قبله حديثًا عن القرآن وكون ﴿إِنَّ الَّذِينَ

قال: «فأخذ كَثِيرَ القِسمِ الأولِ واهتدم باقي البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ فقال: «ورجل رمى فيها الزمان فشلت»^(٣).

الأواخر والمقاطع:

قال ابن منقذ: «وينبغي أن يتحرز الشاعر فيها مما يتأول عليه ويؤول أمره اليه»^(٤) كما روي أن أبا تمام أنشد:

«على مثلها من أُرْبُعٍ وملاعِبٍ» فقال بعض الحاضرين: «لعنة الله ولعن اللاعنين» مع أن عَجْرَه: ازيلت مصونات الدموع السواكب.

وقال ابن منقذ بعد ذلك «وكذلك ينبغي أن تكون أواخر القصائد حلوة المقاطع توقف النفس بانه آخر القصيدة لئلا يكون كالنثر... ولذلك ينبغي أن يكون مقطع البيت حلواً وأحسنه ما على حرفين مثل: «منها بها» «حطه السيل من عل» «وليلة معا» و«تفريق الأحبة في غد» وكقوله:

أتني تُؤنّبني في البكا
فأهلاً بها وبتأنيبها

وللعين عذر إذا ما بكت
وقد عاينت وجه محبوبها

ومنه أن يكون في آخر البيت حرف لا يحتاج الى إعراب: واو أو ياء، أو ياء إضافة، أو ياء جماعة كقوله: «صحا القلب من سلمى وقد كاد لا يصحو». أو تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها كقوله:

هُمُ البحورُ عطاءً حين تسألهم
وفي اللقاء إذا تلقاهم بُهْمُ

(١) الرسالة العسجدية ص ٥٣.

(٢) الرسالة العسجدية ص ٥٤.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٢٨٧.

(٤) البديع في نقد الشعر ٢٨٦.

قامت تُودّعنا والعيّنُ ساجيةً
كأنّ إنسانها في لُجّةِ غَرِقُ

ثم استدار على أرجاءٍ مُقلّتها
مبادراً خلّسات الطرف يستبقُ

كأنّه حين مار المأقيان به
دُرٌّ تسلَّلَ من أسلاكه نَسَقُ

فاهتدم فيها قول جميل:

قامت تُودّعنا والعيّنُ ساجيةً
إنسانها بغضيبض الدمع مكتحلُ

ثم استدار على حوراء ساجية
حتى تبادر منه دمعها الهَمِلُ

كأنه حين مار المأقيان به
دُرٌّ تقطّع منه السلْكُ منفصلُ

وقال الصنعاني: إنّ الاهتدام «أخذ قسمي اللفظ مع المعنى أو أكثر أقسامه»^(١) كما فعل امرؤ القيس بيت أبي داود وهو:

وقد أعتدي والطيرُ في وُكُناتِها
بمنجرٍ ضافي العسيب عتيق

فقال امرؤ القيس:

وقد اغتدي والطيرُ في وُكُناتِها
بمنجرٍ قَيد الأوبدِ هَيَكَلِ

وعَلّق بعد ذكر بعض الأمثلة: «إنّ المهتدم إن لم يقرّ بانه اهتدم وأخذ واستعار أو ادّعى أنّه مائل أو عارض فإنّ منزلته تسقط وفضيحتة تظهر ولا يسمى ذلك معارضة بل صريح السرقة والتغيير والتبديل، واقارره أيضاً شاهد بنقصه لكنه بمنزلة المذنب المعترف لا المصير»^(٢).

فالاهتدام - كما يبدو - أخذ قسم والتصرف في القسم الآخر تصرفاً يسيراً، ويظهر ذلك واضحاً - أيضاً مما علق به ابن رشيق على قول النجاشي:

وكنثُ كذي رجلينِ رجلٍ صَحِيحَةٍ
ورجلٍ رَمَتْ فيها يدُ الحَدَثانِ

الأوصاف:

وَصَفَ الشَّيْءَ لَهُ وَعَلِيهِ وَصْفًا وَصَفَةً: حَلَّاهُ. وَقَالَ
الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته وبعته،
وتواصفوا الشيء من الوصف^(١).

وكان قدامة قد تحدث عن نعت الوصف وقال:
«الوصف إنما هو ذكُرُ الشيء بما فيه من الأحوال
والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع
على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان
أحسنهم وصفًا من أتى في شعره بأكثر المعاني التي
الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولها حتى
يحكيه بشعره ويمثله للحس ببعته»^(٢).

وتكلم ابن رشيقي على الوصف وقال: «الشعر إلا
أقله راجع إلى باب الوصف ولا سبيل إلى حصره
واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه وليس
به؛ لأنه كثيرًا ما يأتي في أضعافه. والفرق بين الوصف
والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء وأن ذلك
مجاز وتمثيل. وأحسن الوصف ما نعت به الشيء
حتى يكاد يمثله عيانًا للسامع»^(٣).

وعقد ابن الأثير الحلبي بابا سماه «باب
الأوصاف والنعوت» وقال: «وَحَدُّ الوصف أنه
ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات والفرق
بين الوصف والتشبيه أن الوصف إخبار عن حقيقة
الشيء وأن التشبيه مجاز وتمثيل. وأحسن الوصف
ما نعت به الشيء حتى يمثّل للسامع حضور
المنعوت وتنزيل النعوت التي نعت بها على
الأجزاء الموصوفة»^(٤) ولكن كثيرًا من الأوصاف
لا تكون بديعة من غير مجاز ولذلك ترتبط هذه
الصور بالتشبيه أو التمثيل، ومعظم الأمثلة التي
ذكرها ابن الأثير الحلبي تعتمد على ذلك؛ ومن
هنا كان هذا الباب أقرب إلى باب التشبيه.

ومن الأمثلة التي ذكرها قول البحري:

وأغرّ في الزمن البهيم محجل
قد رخت منه على أغرّ مُحَجَّل

كالهيكل المبني إلا أنه
في الحُسنِ جاء كصورة في هيكل
تتوهم الجوزاء في أرساغه
والبدرُ غرّة وجهه المتهلّل
صافي الاديم كأنما غُنِيَتْ به
لصفاء نُقْبته مداوس صيقل^(٥)
ومنه قول المتنبي:

وخيل تغتدي ريح الموامي
ويكفيها من الماء السراب
رميتهم ببخر من حديد
له في البرّ خلفهم غباب
فَمَسَّاهم وبُسطهم حريز
وصَبَّحهم وبُسطهم تُراب
ومَن في كفه منهم قناة
كمن في كفه منهم خضاب^(٦)

الإيجاب والسلب:

وجب الشيء يجب وجوبًا أي: لزم وأوجبه هو
وأوجبه الله واستوجبه أي: استحققه. ووجب البيع
يجب جبة وأوجبت البيع فوجب، وقد أوجب لك
البيع وأوجبه هو ايجابا اي: لزم وألزمه^(٧).

وسلبه الشيء يسلبه سلبا أخذه منه، والسلب
نقيض الايجاب وهو القبول والالزام^(٨)

- (١) اللسان (وصف).
- (٢) نقد الشعر ص ١٣٤.
- (٣) العمدة ج ٢ ص ٢٩٤.
- (٤) جوهر الكنز ص ٧١.
- (٥) الجوزاء؛ برج في السماء. النقبة؛ اللون.
المداس؛ جمع مدوس وهو المصقل تصقل به
السيوف. الصيقل؛ الذي يصقل السيوف.
- (٦) الموامي جمع مومة وهي الفلاة التي لا ماء فيها.
- (٧) اللسان (وجب).
- (٨) اللسان (سلب).

لبعضهم: ما لك لا تزيد على أربعة واثنين؟ قال: هي بالقلوب أوقع، والى الحفظ أسرع، وباللسن أعلق، وللمعاني أجمع، وصاحبها أبلغ وأوجز^(٦). وقال أبو عبيدة: «العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول»^(٧). وقال الجاحظ: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره»^(٨) ولكنه قال: «والايجاز ليس يعني قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طومار»^(٩) فقد أوجز، وكذلك الاطالة. وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لاغلاقه ولا يردد وهو يكتفي في الافهام بشطره، فما فضل عن المقدار فهو الخطل^(١٠). وعَدَّ ابن المقفع الايجاز هو البلاغة^(١١).

وكان لهذه الصفة التي أولع بها العرب أن اهتم البلاغيون والنقاد بأسلوب الايجاز ووضعوا له حدوداً وأقساماً وبينوا مواضعه^(١٢)، لأنه ليس بمحمود في كل

وكان قدامة قد تحدث عن هذا الموضوع وقال: «ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق الايجاب والسلب قول عبد الرحمن بن عبد الله القس:

أرى هَجْرَها والقَتْلَ مثلين فاقصروا
ملاَمَكُم فالقَتْلُ أفى وأيسرُ

فأوجب هذا الشاعر الهجر والقتل أنهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله: «إنَّ القتلَ أَعفى وأيسر» فكأنه قال: إنَّ القتلَ مثل الهجر وليس مثله. وأرى أنَّ هذا الشاعر أراد أن يقول: بل القتلَ أَعفى وأيسر، ولو قال: «بل» لكان الشعر مستقيماً لأنَّ مقام لفظه «بل» مقام ما ينفي الماضي ويثبت المستأنف. لكنه لما لم يقلها وأتى بجمع الاثبات ونفيه استحال شعره. وليس إذا علمنا أنَّ شاعرًا أراد لفظه تقيم شعره فجعل مكانها لفظه تحيله وتفسده وجب أن يحتسب له ما توهم أنه أرادته ويترك ما قد صرَّح به، ولو كانت الأمور كلها تجري على هذا لم يكن خطأ^(١).

الإيجاز:

وَجُزُّ الكلامِ وجازةٌ ووجزًا وأوجز: قلَّ في بلاغة، وأوجزه اختصره. ويقال: أوجز فلان ايجازًا في كل أمر، وأمر وجيز وكلام وجيز أي: خفيف مقتصر.^(٢)

فالايجاز أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به وإلا كان إخلالاً يفسد الكلام. أو هو «قلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني»^(٣). وقد سأل معاوية صحار بن عياش العبدي: «ما تُعدُّون البلاغة فيكم؟». قال: الايجاز. قال له معاوية: وما الايجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ^(٤).

وأسلوب الايجاز من أهم خصائص اللغة العربية، فقد كان العرب لا يميلون الى الاطالة والاسهاب وكانوا يعدون الايجاز هو البلاغة، فأكثم بن صيفي رأى أن البلاغة هي الايجاز، وكان جعفر بن يحيى يقول لكتابه: «إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا»^(٥). وفعلوا مثل ذلك في القصائد وقد قيل

- (١) نقد الشعر ص ٢٣٩، الموشح ص ٣٥٣.
- (٢) اللسان (وجز).
- (٣) البيان ج ٢ ص ٢٨.
- (٤) البيان ج ١ ص ٩٦، الحيوان ج ١ ص ٩١.
- (٥) البيان ج ١ ص ٨٦، كتاب الصناعتين ص ١٧٣.
- (٦) كتاب الصناعتين ص ١٧٤.
- (٧) مجاز القرآن ج ١ ص ١١١.
- (٨) البيان ج ١ ص ٨٣.
- (٩) الطومار؛ الصحيفة.
- (١٠) الحيوان ج ١ ص ٩١.
- (١١) البيان ج ١ ص ١١٦.
- (١٢) ايضاح ذلك في؛ الكتاب ج ١ ص ٢١١، مجاز القرآن ج ١ ص ١١١، البيان ج ١ ص ٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٦، ٩٧، ١٠٧، ١١٥، ١١٦، ١٥٥، ج ٢ ص ١٧، ٢٨، ٦٨، الحيوان ج ١ ص ٤٤، ٩١، ٩٤، ج ٣ ص ٧٢، ٧٦، ج ٦ ص ٧، عيون الاخبار ج ٢ ص ١٧٢، النكت في إعجاز القرآن ص ٧٠، الخصائص ج ١ ص ٢٨، ٢٩، ٨٣، ٨٦، كتاب الصناعتين ص ١٧٣، ١٧٥، إعجاز القرآن ص ٣٩٦، زهر الآداب ج ١ ص ١١٤ =

لفظه كَثُوبِ الْمُؤْمِنِ»^(٦)، وقال الرازي: «إنَّه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال»^(٧). وقال السكاكي إنَّ الإيجاز والاطناب من الامور النسبية كالأبوة والبنوة، وهي التي يتوقف تعقلها على تعقل غيرها، فإنَّ الكلام الموجز إنما يدرك من حيث وصفه بالإيجاز بالقياس الى كلام آخر أكثر منه وكذلك المطناب إنما يدرك من حيث وصفه بالاطناب الى كلام آخر يكون أقل منه، أي أنَّه جعل متعارف الأوساط مقياسًا له، وقال: «فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والاطناب هو أدائه بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة والكثرة راجعة الى الجمل أو الى

=العمدة ج ١ ص ٢٢١، ٢٥٠، سر الفصاحة ص ٢٤٥، الرسالة العسجدية ص ٨٨، نهاية الإيجاز ص ١٤٥، مفتاح العلوم ص ١٣٣، الأقصى القريب ص ٦٠، نهاية الارب ج ٧ ص ٤، المثل السائر ج ٢ ص ٧١، ٧٤، ١٢٩، الجامع الكبير ص ١٢٢، التبيان ص ١١٠، البرهان الكاشف ص ٢٣٢، تحرير التحبير ص ٤٥٩، بديع القرآن ص ١٧٩، جوهر الكنز ص ٢٦٨، الأيضاح ص ١٨٢، التلخيص ص ٢٠٩، شروح التلخيص ج ٣ ص ١٦٠، الطراز ج ٣ ص ٣١٦، منهاج البلغاء ص ١٧٤، الفوائد ص ٦٨، المطول ص ٢٨٧، الأطول ج ٢ ص ٣٢٢، البرهان ج ٣ ص ٢٢٠، خزنة الادب ص ٣٦٤، معترك ج ١ ص ٢٩٥، الاتقان ج ٢ ص ٥٣، شرح عقود الجمان ص ٦٧، ٧٠، حلية اللب ص ٩٩، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٣٩، شرح الكافية ص ١٧٨.

- (١) أدب الكاتب ص ١٥.
- (٢) الخصائص ج ١ ص ٣٠، ٨٣، ٨٦.
- (٣) كتاب الصناعتين ص ١٩٠.
- (٤) العمدة ج ١ ص ٢٥٠، النكت في إعجاز القرآن ص ٧٠.
- (٥) سر الفصاحة ص ٢٤٣.
- (٦) إحكام صنعة الكلام ص ٨٩.
- (٧) نهاية الإيجاز ص ١٤٥.

موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، والى ذلك أشار ابن قتيبة بقوله: «لو كان الإيجاز محمودًا في كل الأحوال لجرَّده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز وكرر تارة للافهام»^(١). وقال ابن جنبي إنَّ الإطالة والإيجاز هما في كل كلام مستقل بنفسه ولو بلغ الإيجاز غايته لم يكن له بدٌّ من أن يعطيك تمامه وفائدته مع أنَّه لا بُدَّ فيه من تركيب الجملة فان نقصت عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب، وقال إنَّ العرب الى «الإيجاز أميل وعن الاكثار أبعد» وضرب مثلاً بالقرآن الكريم وما فيه من الحذف الذي يجعل الكلام موجزًا^(٢). ومعنى ذلك أنَّ الإيجاز ضروري كغيره إذا أراد المتكلم أن يكون مطابقًا لمقتضى الحال ولذلك قال العسكري: «إنَّ الإيجاز والاطناب يُحتاج اليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة الى الإيجاز في موضعه كالحاجة الى الاطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن وجهته واستعمل الاطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الاطناب أخطأ»^(٣).

وتحدث ابن رشيقي عنه وذكر تعريف الرماني وهو: «الإيجاز هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف»^(٤). وسماه ابن سنان «الإشارة» وقال عنه: «هو أن يكون المعنى زائدًا على اللفظ، أي أنَّه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة»^(٥). والمختار عنده في الفصاحة والبدال على البلاغة هو أن يكون المعنى مساويًا للفظ أو زائدًا عليه، أي أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة لا أن تكون الالفاظ لفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه الى طرف من التأمل ودقيق الفكر.

وعرّفه الكلاعي تعريفًا بديعًا فقال إنه «ما ثوبُ

غير الجمل»^(١).

وتحدث عنه ابن الأثير وعقد له فصلاً في «المثل السائر» وفصلاً في «الجامع الكبير» وقال في تعريفه: «هو حذف زيادات الألفاظ»^(٢) ثم قال: «حَدُّ الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه، والتطويل هو ضد ذلك، وهو أن يَدُلَّ على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه»^(٣) وسماه ابن الزمكاني الإشارة كما سماه ابن سنان وقال: «هو إثبات المعاني المتكثرة باللفظ القليل»^(٤). وقال العلوي: «هو في مصطلح أهل هذه الصناعة عبارة عن تأدية المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف عليها»^(٥). وقال السجلماسي: «هو قول مركب من أجزاء فيه مشتملة بمجموعها على مضمون تدل عليه من غير مزيد»^(٦).

وهذه التعريفات كلها لا تخرج عن القول بأن الإيجاز هو التعبير عن المعنى بألفاظ قليلة تدل عليه دلالة واضحة.

والإيجاز عدة أنواع تحدث عنها المتقدمون، ولكنهم أجمعوا على تقسيمه إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف.

إيجاز التقدير:

إيجاز التقدير هو ما ساوى لفظه معناه وقد عدّه ابن الأثير^(٧) القسم الأول من الإيجاز الذي لا يحذف منه شيء. وسماه ابن مالك «إيجاز التضييق» وذكر السيوطي هذه التسمية^(٨). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ. كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾^(٩). فقوله: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ﴾ دعاء عليه وقوله: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله عليه. ولا نرى أسلوباً أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا أحسن حسناً ولا أدل سخط مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على

قصر متنه ثم أنه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه إلى منتهى زمانه فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ثم بين الشيء الذي خلق منه بقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ أي هياه لما يصلح له ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أي سهّل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر، والأول أولى لأنه تالٍ لخلقه وتقديره. ثم بعد ذلك يكون تيسير سبيله لما يختاره من طريقي الخير والشر ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أي جعله ذا قبر يوارى فيه ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أي: أحياه ﴿كَلَّا﴾ ردع للانسان عما هو عليه ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي لم يقض مع تطاول زمانه ما أمره الله به، يعني أن انساناً لم يخل من تقصير قط، ألا ترى إلى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة لما قدرت على ذلك لأنك تذهب بجزء من معناه، والإيجاز «هو أن لا يمكنك أن تسقط شيئاً من ألفاظه»^(١٠).

ومنه قوله - عليه الصلاة والسلام - : «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات». وهذا الحديث من أجمع الأحاديث للمعاني الكثيرة، وذلك إنه يشتمل على جُلِّ الأحكام الشرعية فإنّ الحلال والحرام إما أن يكون الحكم فيهما بيّنًا لاخلاف فيه بين العلماء، وإما أن يكون خافياً تتجاذبه وجوه

(١) مفتاح العلوم ص ١٣٣.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٧١، الجامع الكبير ص ١٢٢.

(٣) المثل ج ٢ ص ٧٤.

(٤) التبيان ص ١١٠، البرهان الكاشف ص ٢٣٢،

وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٨،

ونفحات ص ٢٨٣، التبيان في البيان ص ١١٦.

(٥) الطراز ج ٣ ص ٣١٦.

(٦) المنزع البديع ص ١٨١، الروض المربع ص ١٤١.

(٧) المثل ج ٢ ص ٧٨، ١١٤، الجامع ص ١٤٢،

وينظر الطراز ج ٢ ص ١٢٠.

(٨) المصباح ص ٣٦، شرح عقود الجمان ص ٦٩.

(٩) عبس ١٧ - ٢٣.

(١٠) المثل السائر ج ٢ ص ١١٥.

إيجاز الحذف:

سماه أبو عبيدة «مجاز المختصر»^(٤)، وسماه الجاحظ «الايجاز المحذوف» وسماه «الكلام المحذوف»^(٥). وهو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف، أو هو كما قال ابن الأثير: «ما يحذف منه المفرد والجملة للدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه»^(٦). وقال: أما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر أشبه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجذبك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبيّنًا إذا لم تبين. وهذه جملة تنكرها حتى تخبرها وتدفعها حتى تنظر. والأصل في المحذوفات جميعًا على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب. ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن»^(٧).

وأدلة الحذف كثيرة منها:

١- أن يدلّ العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ﴾^(٨). فالعقل يدل على الحذف والمقصود الأظهر يرشد إلى أن التقدير: حرّم عليكم تناول الميتة والدم ولحم الخنزير؛ لأنّ

- (١) المصباح ص ٣٨.
- (٢) شرح عقود الجمان ص ٦٩.
- (٣) النحل ٩٠.
- (٤) مجاز القرآن ج ٢ ص ٢، ٩٨.
- (٥) الحيوان ج ٣ ص ٧٥، البيان ج ٢ ص ٢٧٨.
- (٦) المثل السائر ج ٢ ص ٧٨.
- (٧) المثل ج ٢ ص ٨١.
- (٨) المائدة ٣.

التأويلات، فكل منهم يذهب فيه مذهبا.

ومنه قول النابغة الذبياني:

وإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي
وإن خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ
وتخصيصه الليل دون النهار مما يسأل عنه.

ومما يجري هذا المجرى قول جرير:

تَمَنَّى رجالٌ من تَمِيمٍ مَنِيَّتِي
وماذآءَ عن أحسابهم ذائِدٌ مثلي

فلو شاء قومي كان حلمي فيهم

وكا على جُهالِ أعدائهم جهلي

ومن هذا الضرب قول أبي نواس:

ودارِ نَدَامِي عَطَّلُوها وأدَلجوا
بها أثَرٌ منهم جديدٌ ودارِسُ

مَساحِبُ من جَرَّ الزِقاقِ على الثرى

وأضغاثُ رِيحانِ جنِيّ ويابِسُ

حَبَسْتُ بها صحبي فجددْتُ عهدهم

وإني على أمثالِ تلكِ لحابِسُ

فللراحِ ما زُرْتُ عليه جُيوبُها

وللماءِ ما دارتْ عليه القلائِسُ

الإيجاز الجامع:

هو القسم الثالث من أقسام الإيجاز الخالي من الحذف وهو ما ذكره ابن مالك وقال: «أن يكون المعنى عندك خليقًا بمزيد البسط فتركه إلى بسط أخصر منه لتوخي نكتة»^(١). وذكره الطيبي في «البيان» ونقله عنه السيوطي وقال: «هو أن يحتوي اللفظ على معانٍ متعددة»^(٢) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٣) فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المومني به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية، والاحسان هو الاخلاص في واجبات العبودية.

الغرض الأظهر منها تناولها.

٢- أن يَدُلَّ العقل على الحذف والتعيين كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(١) أي: أمر ربك أو عذابه أو بأسه.

٣- أن يَدُلَّ الفعل على الحذف والعادة على التعيين كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾^(٢). دل العقل على الحذف فيه؛ لأنَّ الانسان إنما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير «في حبه»، لقوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾^(٣)، وأن يكون «في مراودته لقوله: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾^(٤) وأن يكون «في شأنه وأمره» فيشملهما. والعادة دَلَّتْ على تعيين المراودة لأنَّ الحُبَّ المفرط لا يُلام الانسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلبته إياه، وإنما يُلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها عن نفسه.

٤- أن تَدُلَّ العادة على الحذف والتعيين كقوله تعالى: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ﴾^(٥) من أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها؟ فلا بُدَّ من حذف، وتقديره: «مكان قتل» أي أنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه، ويُدلُّ عليه أنهم أشاروا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يخرج من المدينة وأنَّ الحزم البقاء فيها.

٥- الشروع في الفعل كقول المؤمن: «بسم الله الرحمن الرحيم» عند الشروع في القراءة أو أي عمل، فانه يفيد أن المراد: «بسم الله أقرأ» والمحذوف بقدر ما جعلت التسمية مبدأ له.

٦- اقتران الكلام بالفعل فانه يفيد تقديره كقولنا لمن أعرس: «بالرفاء والبنين» فانه يفيد: بالرفاء والبنين أعرس^(٦).

والمحذوف نوعان:

الأول: حذف جزء جملة، وهو حذف المفردات، ويكون على صور مختلفة.

١- حذف الفاعل: كقول العرب: «أرسلت» وهم يريدون: «جاء المطر» ولا يذكرون السماء. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾^(٧)، والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنفس ولم يَجْر لها ذِكر. ومنه قول حاتم:

أماوي ما يُغني الشراء عن الفتى
إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

يريد: النفس، ولم يَجْر لها ذِكر.

٢- حذف الفعل وجوابه: وهو نوعان:

أحدهما: يظهر بدلالة المفعول عليه كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾^(٨) أي: احذروا.

وقول المتنبي:

ولولا أن أكثر ما تمئى
معاودة لقلت ولا مناكا

أي: ولا صاحبت مناكا.

وثانيهما: لا يظهر فيه قسم الفعل؛ لأنه لا يكون هناك منصوب يدل عليه، وإنما يظهر بالنظر الى ملاءمة الكلام كقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٩). فقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يحتاج الى اضمار فعل؛ أي: فقيل لهم: لقد جئتمونا، أو فقلنا لهم.

ومن هذا الضرب ايقاع الفعل على شيئين وهو

(١) الفجر ٢٢.

(٢) يوسف ٣٢.

(٣) يوسف ٣٠.

(٤) يوسف ٣٠.

(٥) آل عمران ١٦٧.

(٦) الايضاح ص ١٩٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٠٣.

(٧) القيامة ٢٦ - ٢٧.

(٨) الشمس ١٣.

(٩) الكهف ٤٨.

واحد منهما مقام الآخر، فمن حذف المضاف قوله تعالى: ﴿وَإِسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(٧) أي: أهلها. ومن حذف المضاف اليه قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْغُذْ﴾^(٨)، أي: من قبل ذلك ومن بعد ذلك.

٥- حذف الموصوف أو الصفة وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر. فمن حذف الموصوف قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾^(٩) أي: آية مبصرة، ولم يُرد الناقة فإنها لا معنى لها لو وصفها بالبصر.

ومن حذف الصفة قوله: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(١٠) أي: كل سفينة صحيحة أو سالحة.

٦- حذف الشرط أو جوابه، ومثال حذف الشرط قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيتَابِي فَاعْبُدُونِ﴾^(١١)، فالفاء في قوله: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ جواب شرط محذوف والمعنى: أن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا لي العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها. ومنه قول الشاعر:

قالوا خراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا

ثم القُفُولُ، فقد جئنا خُراسانا

كأنه قال: إن صَحَّ ما قلتُم أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخلص.

ومن حذف جواب الشرط قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ

(١) يونس ٧١.

(٢) محمد ٤.

(٣) الزخرف ٨٣، المعارج ٤٢.

(٤) النجم ٤٣ - ٤٤.

(٥) البقرة ٢٠.

(٦) المثل السائر ج ٢ ص ٩٧، بديع القرآن ص ١٨٥،

الطراز ج ٢ ص ١٠٤.

(٧) يوسف ٨٢.

(٨) الروم ٤.

(٩) الاسراء ٥٩.

(١٠) الكهف ٧٩.

(١١) العنكبوت ٥٦.

لأحدهما كقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(١) وهو لـ «أمركم» وحده، وإنما المراد: أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم.

ومن حذف الفعل باب يسمى «باب إقامة المصدر مقام الفعل» ويؤتي به لضرب من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾^(٢) أي: فاضربوا الرقاب ضرباً، حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وفي ذلك اختصار وتوكيد.

وأما حذف جواب الفعل فانه لا يكون في الأمر المحتوم كقوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾^(٣) لأنهما جواب أمر ﴿فذرهم﴾ وحذف الجواب في هذا لا يدخل في باب الإيجاز.

٣- حذف المفعول به كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾^(٤). فبعد كل فعل مفعول به محذوف. ويكون ذلك لأغراض منها أن يكون غرض المتكلم بيان حال الفعل والفاعل فقط أو أن يكون غرض المتكلم ذكره ولكنه يحذفه ليوهم أنه لم يقصد كقول البحري:

شَجُو حُسَّادِهِ وَغِيظُ عِدَائِهِ

أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاِعِ

أي: أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره.

أو أن يحذف لأنه معلوم ويأتي هذا بعد فعل المشيئة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾^(٥) أي: لو شاء الله أن يذهب بسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ لذهب بها.

ومنه قول البحري:

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ

كَرَّمًا وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ

أي: لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، فحذف ذلك من الأول استغناءً بدلالته عليه في الثاني^(٦).

٤- حذف المضاف أو المضاف اليه وإقامة كل

ولولا فَضْلُ اللَّهِ عليكم ورحمته وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾. أي: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعَجَّلَ لكم العذاب.

١٠- حذف جواب «لما» كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦﴾. أي: فلَمَّا أَسْلَمَا وتَلَّهُ للجبين وناديناها أَنْ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطقُ به الحال ولا يحيط به الوصف.

١١- حذف جواب «أما» كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ؟﴾ ﴿٧﴾ أي: فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم.

١٢- حذف جواب «إذا» كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٨﴾. أي وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا وأصروا على تكذيبهم.

١٣- حذف المبتدأ أو الخبر، ولا يكون حذف المبتدأ إلا مفردا، والأحسن حذف الخبر لأنَّ منه ما يأتي جملة. ومن المواضع التي يحسن فيها حذف المبتدأ على طريق الإيجاز قولهم: «الهِلال والله» أي: هذا الهلال.

ومن المواضع التي يصحُّ فيها حذف الخبر قولنا: «لولا محمدٌ لكان كذا» ومن المواضع التي يحتمل أن يكون المحذوف فيها اما المبتدأ وإما الخبر قوله تعالى:

(١) الأحقاف ١٠.

(٢) الفجر ١ - ٨.

(٣) المؤمنون ٩١.

(٤) سبأ ٥١.

(٥) النور ١٩ - ٢٠.

(٦) الصافات ١٠٣ - ١٠٥.

(٧) آل عمران ١٠٦.

(٨) يس ٤٥ - ٤٦.

إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾. فان جواب الشرط هنا محذوف تقديره: إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمين؟ ويدلُّ على المحذوف قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

٧- حذف القسم أو جوابه، ومثال حذف القسم: «لأفعلن» أي: والله لأفعلن. ومثال حذف جوابه قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ. وَلِيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ. هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لذي حِجْرٍ. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ ﴿٢﴾. أي: ليعذبن أو نحوه.

٨- حذف «لو» أو جوابها، ومثال حذف «لو» قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ﴿٣﴾. وتقديره: لو كان معه آلهة لذهب كل إليه بما خلق.

ومنه قول قريظ بن أنيف:

لو كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِخْ إِبْلِي

بنو اللقيطة من ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ

إِذَنْ لِقَامَ بَنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ

عند الحفيظة إن ذو لُوثة لانا

والتقدير: إذن لو كنت منهم لقام بنصري معشر خشن.

ومثال حذف جواب «لو» قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿٤﴾. وتقدير جواب «لو»: لرأيت أمرا عظيما. ومنه قول أبي تمام:

لو يعلم الكُفْرُ كم من أَعْصِرِ كَمَنْتُ

له العواقبُ بين السُخْرِ والقُضْبِ

التقدير: لو يعلم الكفر لأخذ أهبة الحذار.

٩- حذف جواب «لولا» كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

١- إعادة الاسماء والصفات كقوله تعالى: ﴿الم﴾. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون^(٦). والاستئناف واقع في هذا الكلام على «أولئك» لأنه لما قال: «الم. ذلك الكتاب». الى قوله: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ اتجه لسائل أن يقول: ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن اولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً.

٢- الاستئناف بغير إعادة الاسماء والصفات كقوله تعالى: ﴿ومالي لا أعبدُ الذي فطرني وإليه ترجعون. أتتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرًا لا تُغن عني شفاعتهم شيئًا ولا يُنقذون. إني إذا لفي ضلال مبين. إني آمنتُ برَبِّكم فاسمعون. قيل ادخل الجنة، قال: يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾^(٧). فمخرج هذا القول مخرج الاستئناف؛ لأن ذلك من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه وكأنَّ قائلاً قال: كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي لوجهه بروحه؟ فقيل: قيل ادخل الجنة ولم يقل: قيل له، لانصباب الغرض الى المقول لا الى المقول له مع كونه معلوماً. وكذلك قوله: ﴿يا ليت قومي يعلمون﴾ مُرْتَبِّ على تقدير سؤال سائل عما وجد.

(١) يوسف ١٨، ٨٣.

(٢) يوسف ٨٥.

(٣) آل عمران ١١٨.

(٤) المثل السائر ج ٢ ص ١١٣، الطراز ج ٢ ص ١١٢.

(٥) الفدام؛ خرقة تجعل في فم الابريق. سبائب جمع سبية وهي الشقة.

(٦) البقرة ١ - ٥.

(٧) يس ٢٢ - ٢٧.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(١) فيحتمل أن يكون المبتدأ محذوفاً وتقديره: فأمرى صبر جميل، ويحتمل أن يكون من باب حذف الخبر وتقديره: فصبر جميل أجمل.

١٤- حذف «لا» من الكلام وهي مرادة كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ﴾^(٢). أي: لا تفتأ. ومنه قول امرئ القيس:

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعدًا
ولو قَطَّعوا رأسي لذيكَ وأوصالي

أي: لا أبرح.

١٥- حذف «الواو» من الكلام وإثباتها، وأحسن حذفها في المعطوف والمعطوف عليه كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنيتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾^(٣). أي: لا يألونكم خبالاً وودوا.

١٦- حذف بعض اللفظ وهو سماعي لا يجوز القياس عليه^(٤)، ومنه قول علقمة بن عبدة:

كأنَّ إبريقهم ظبِّي على شرف
مُفَدِّمٌ بسبا الكَتَّانِ ملثوم^(٥)

فقوله: «بسبا الكتان» يريد: بسبائب الكتان.

وهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن وان كانت العرب قد استعملته.

والنوع الثاني من الايجاز حذف الجمل، وهو قسمان:

أحدهما: حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاماً، وهذا أحسن المحذوفات وأدلها على الاختصار.

ثانيهما: حذف الجمل غير المفيدة.

وجملة هذين النوعين أربعة أضرب:

الأول: حذف السؤال المقدر، ويسمى الاستئناف

وهو على وجهين:

أقصى قلبه؟ ويدل على المحذوف قوله: ﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾.

٢- أن يرد على حد النفي والاثبات كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا﴾^(٦) تقديره: لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل ومن أنفق بعده وقاتل. ويدل على المحذوف قوله: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا﴾.

٣- أن يرد على غير هذين الوجهين فلا يكون استفهاماً ولا نفيًا واثباتاً كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٧). فالمعنى في الآية: والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات وسائر القرب الخالصة لوجه الله - تعالى - وقلوبهم وجلة، أي: خائفة من أن ترد عليهم صدقاتهم. فحذف قوله: «ويخافون ان ترد عليهم هذه النفقات» ودل عليه بقوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾. فظاهر الآية أنهم وجلون من الصدقة وليس وجلهم لأجل الصدقة وإنما وجلهم لأجل خوف الرد المتصل بالصدقة.

ومنه قول أبي تمام:

يتجنب الأثم ثم يخافها
فكأنما حسنائه آثم

والتقدير: أنه يتجنب الأثم فإذا تجنبها فقد أتى بحسنة ثم يخاف أن لا تكون تلك الحسنة مقبولة

(١) القصص ٤٤ - ٤٥.

(٢) مريم ٢٠ - ٢١.

(٣) النحل ٩٨.

(٤) المثل السائر ج ٢ ص ٨٦، الجامع الكبير ص ١٢٥، الطراز ج ٢ ص ٩٧.

(٥) الزمر ٢٢.

(٦) الحديد ١٠.

(٧) المؤمنون ٦٠.

الثاني: الاكتفاء بالسبب عن المسبب، وبالمسبب عن السبب، فاما الاكتفاء بالسبب عن المسبب فكقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾^(١). فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب وهو الوحي الى الرسول - ﷺ - وعليه قول المتنبّي:

أتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرهم وأتيناها على الهرم

أي: فساءنا.

وأما حذف الجملة غير المفيدة من هذا الضرب فكقوله تعالى حكاية عن مريم - عليها السلام - : ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾^(٢). فقوله: ﴿لَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ تعليل معلله محذوف أي: وإنما فعلنا ذلك لنجعله آية للناس، فذكر السبب الذي صدر الفعل من أجله وهو جعله آية للناس ودل به على المسبب الذي هو الفعل.

وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب فكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣). أي: إذا أردت قراءة القرآن فاكتف بالمسبب الذي هو القراءة عن السبب الذي هو الارادة. والدليل على ذلك أن الاستعاذة قبل القراءة والذي دلت عليه أنها بعد القراءة.

الثالث: الإضمار على شريطة التفسير، وهو أن يُحذف من صدر الكلام ما يُؤتى به في آخره فيكون الآخر دليلاً على الأول. وهو ثلاثة أوجه^(٤):

١- أن يأتي على طريق الاستفهام فتذكر الجملة الاولى دون الثانية كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٥). تقدير الآية: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن

فكأنما حسناته آثام فلم يخف الحسنة لكونها حسنة وانما خاف ما يتصل بها من الرد فكأنها مخوفة كما تخاف الآثام.

ومنه قول أبي نواس:

سُنَّة العشاقِ واحدةٌ

فاذا أَحَبَبْتَ فاسْتَكِنِ

فحذف الاستكانة من الأول وذكرها في المصراع الثاني، لأنَّ التقدير: سُنَّة العاشقين واحدة وهي أن يستكينوا ويتضرعوا، فاذا أحببت فاستكن.

الرابع: ما ليس بسبب ولا مسبب ولا اضمار على شريطة التفسير ولا استئناف. فمن حذف الجمل المفيدة قوله تعالى: ﴿قَالَ: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُّوهُ فِي سُئْبِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ. قَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ﴾^(١). فانه حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها: فرجع الرسول اليهم فأخبرهم بمقالة يوسف فعجبوا لها أو فصّدقوه عليها، وقال الملك: ﴿اثْنُونِي بِهِ﴾.

ومن حذف الجمل غير المفيدة قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا. قَالَ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا. قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئُ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا. قَالَ: رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً، قَالَ: آتِيكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا. فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا. يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢). هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره وهو البشرى بالغلام، وتقديرها: ولما جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا له: يا يحيى خذ الكتاب بقوة. فالجملة المحذوفة ليس من الجمل المفيدة.

ومن ذلك قول المتنبي:

لا أبغض العيسَ لكني وقيت بها

قلبي من الهَمِّ أو جسمي من السَّقَمِ

وفي هذا البيت حذف والتقدير: لا أبغض العيس لإنضائي إياها في الأسفار ولكتني وقيت بها أو كذا، فالثاني دليل على حذف الأول.

ومما يتصل بهذا الضرب حذف ما يجيء بعد «أفعل» مثل: «اللّه أكبر» أي: أكبر من كل كبير. وعليه وَرَدَ قول البحري:

اللّه أعطاك المحبة في الوري

وحباك بالفضل الذي لا يُنكّر

ولأنت أملأ في العيون لديهم

وأجلُّ قدرًا في الصدور وأكبرُ

أي: أنت أملأ في العيون من غيرك^(٣).

إيجاز القصر:

هو تقليل الالفاظ وتكثير المعاني، وكان الجاحظ قد أشار اليه وهو «الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه»^(٤). وأشار الى كتابه الذي جمع فيه آيا من القرآن ليعرف بها فصل ما بين الايجاز والحذف، وبين الزوائد والفصول والاستعارات. قال: «فاذا قرأتها رأيت فضلها في الايجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالالفاظ

(١) يوسف ٤٧ - ٥٠.

(٢) مريم ٧ - ١٢.

(٣) معاني القرآن ج ١ ص ٦١، مجاز القرآن ج ٢ ص ٢، ص ٩٨، الحيوان ج ٣ ص ٧٥، البيان ج ٢ ص ٢٧٨، كتاب الصناعتين ص ١٨١، المثل السائر ج ٢ ص ٧١، الجامع الكبير ص ١٢٢، الايضاح ص ١٨٥، نهاية الارب ج ٧ ص ٤، الطراز ج ٢ ص ٨٨، شروح التلخيص ج ٣ ص ١٨٣، معترك ج ١ ص ٢٩٥، الاتقان ج ٢ ص ٥٤، ٥٧، المطول ص ٢٨٧، الاطول ج ٢ ص ٣٧.

(٤) البيان ج ٢ ص ١٦.

بادخل «في» عليه^(٧). ومن الايجاز بالقصر قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٨).

ومنه قول الشريف الرضي:

مالو الى شُعَبِ الرِّحَالِ وَأَسْنَدُوا
أَيْدِي الطَّعَانِ إِلَى قَوْلِي تَحْفِقُ

فانه لما أراد أن يصفهم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام عبّر عن ذلك بقوله: «أيدي الطعان»

وهذا معنى الايجاز بالقصر عند البلاغيين غير أن ابن الأثير^(٩) عدّه فرغاً من الايجاز الذي لا يحذف منه شيء لأنه قَسَمَ الايجاز الى قسمين:

١- الايجاز بالحذف، وهو ما يحذف منه المفرد والجملة.

٢- ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان:

الأول: ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير.

الثاني: ما زاد معناه على لفظه ويسمى الايجاز بالقصر.

وقَسَمَ الايجاز بالقصر الى نوعين:

الأول: ما دلّ لفظه على احتمالات متعددة ويمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي

(١) الواقعة ١٩.

(٢) الواقعة ٣٣.

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٨٦.

(٤) رسالة في البلاغة والايجاز ص ٢٣ وتنظر رسائل

الجاحظ ج ٤ ص ١٥١.

(٥) المثل السائر ج ٢ ص ٧٨.

(٦) البقرة ١٧٩.

(٧) كتاب الصناعتين ص ١٧٥، نهاية الايجاز

ص ١٤٥، المثل السائر ج ٢ ص ١٢٥، بديع

القرآن ص ١٩٢، الايضاح ص ١٨٢.

(٨) المؤمنون ٩١.

(٩) المثل ج ٢ ص ١١٤، وينظر الطراز ج ٢ ص ١١٩.

القليلة على الذي كتبه لك في باب الايجاز وترك الفضول، فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿لَا يُصَدَّغُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾^(١)، وهاتان الكلمتان قد جمعنا جميع عيوب خمر أهل الدنيا. وقوله - عز وجل - حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(٢) جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني^(٣) وقال فيما بقي من رسالته في البلاغة والايجاز: «درجت الارض من العرب والعجم على إيثار الايجاز وحمد الاختصار ودم الاكثر والتطويل والتكرار وكل ما فضل عن المقدار»^(٤).

ورأى ابن الأثير أن التنبيه لهذا النوع من الايجاز عسر، لأنه يحتاج الى فضل تأمل^(٥)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(٦). وتظهر روعة هذه الآية الكريمة حينما تقارن بقول العرب: «القتل أنفى للقتل»، ويتضح ذلك في وجوه:

الأول: أن عدة حروف «في القصاص حياة» عشرة في التلفظ، وعدد حروفه أربعة عشر.

الثاني: ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى الى الاقتصاص.

الثالث: ما يفيد تنكير «حياة» من التعظيم أو النوعية.

الرابع: اطراده بخلاف قولهم، فإنّ القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره.

الخامس: سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم.

السادس: استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان تقديره: القتل أنفى من تركه.

السابع: أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق.

الثامن: جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة

وقال المصري: «هو أن يعمد الشاعر أو المتكلم الى نصف بيت لغيره يودعنه شعره سواء أكان صدرًا أو عجزًا، وأما النثر فان أتى في نثره بنصف بيت لغيره سُمِّي ايداعًا، وإن كان لنفسه سُمِّي تفصيلًا»^(٧). وقال إن من لا يعرف الاصطلاح يسميه تضمينًا، وفرق بينهما وبين الاستعانة بقوله: «إن التضمين يقع في النظم والنثر ويكون من المحاسن ومن العيوب ولكنه لا يكون من العيوب إلا اذا وقع في النظم بالنظم، والايديع والاستعانة وإن وقعا معًا في النظم والنثر فلا يكونان إلا بالنظم دون النثر»^(٨).

وقال الحلبي: «وأكثر الناس يجعلونه من باب التضمين وهو منه إلا أنه مخصوص بالنثر وبأن يكون المودع نصف بيت إما صدرًا وإما عجزًا»^(٩). وذكر النويري هذا التعريف أيضًا^(١٠).

وقال الحموي: «الايديع الذي نحن بصدده هو أن يُودع الناظم شعره بيتًا من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يُوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له. وأحسن الايديع ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول

(١) طه ٧٧ - ٧٩.

(٢) الاعراف ١٩٩.

(٣) البقرة ١٧٩.

(٤) كتاب الصنائع ص ١٧٥، الرسالة العسجدية ص ٨٨، ٩٤، الجامع الكبير ص ١٤٣، نهاية الارب ج ٧ ص ٥، الايضاح ص ١٨٢، شروح التلخيص ج ٣ ص ١٨٣، المطول ص ٢٨٦، الاطول ج ٢ ص ٣٥، معترك ج ١ ص ٢٩٥، الاتقان ج ٢ ص ٥٤، شرح عقود الجمان ص ٦٩.

(٥) اللسان (ودع).

(٦) أنوار الربيع ج ٦ ص ٧٣.

(٧) تحرير التحبير ص ٣٨٠.

(٨) تحرير ص ١٤٢.

(٩) حسن التوسل ص ٢٩٥.

(١٠) نهاية الارب ج ٧ ص ١٦٤.

فاضرب لهم طريقًا في البحر ييسًا لا تخاف دَرَكًا ولا تخشى. فَأَتْبَعَهُمْ فرعونُ بجنوده فَعَشِيَهُمْ من اليمِّ ما غَشِيَهُمْ وأضلَّ فرعونُ قومه وما هَدَى ﴿١﴾ فقوله: ﴿فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم﴾ من جوامع الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة أي: غشيهم من الأمور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه إلا الله ولا يحيط به غيره. ومنه قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٢﴾ فجمع في الآية جميع مكارم الاخلاق؛ لأن في الأمر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما.

ومن ذلك قول السموأل:

وإن هو لم يحمل على النفس ضيئها

فليس الى حُسنِ الشئ سبيلُ

فإن هذا البيت قد اشتمل على مكارم الأخلاق جميعها من سماحة وشجاعة وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك، فإن هذه الأخلاق كلها من ضيم النفس؛ لأنها تجد بحملها ضيمًا أي مشقة وعناء.

الثاني: ما دلَّ لفظه على احتمالات متعددة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها بل يستحيل ذلك، وهو أعلى طبقات الايجاز. ومنه قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ ﴿٣﴾ الذي فاق كل كلام وقُضِلَ غيره من كلام العرب^(٤).

الايديع:

استودعه مالا وأودعه إياه: دفعه اليه ليكون عنده ودیعة، وأودعه قبل منه الودیعة، وقد جاء به الكسائي في باب الأضداد^(٥). وقال المدني: «الايديع في اللغة مصدر أودعته مالا إذا دفعته اليه ليكون عنده ودیعة، وأودعته أيضًا إذا أخذته منه ودیعة فيكون من الأضداد لكنه بمعنى الأول أشهر، والثاني بالمعنى الاصطلاحي أنسب»^(٦).

عارضت معنى بمعنى
والندامى غافلينا
فوقع التضمين في البيت الاول والايديع في البيت
الثاني.

وقال المصري: «وكنت نظرت الى بيت لأبي
الطيب وهو:

تذكرت ما بين العذيب وبارق
مَجْرَّ عوالينا ومَجْرَى السوابق^(٤)
فأودعت كل قسيم منه بيتًا من قصيدة مطلعها:
أعز مقلتي إن كنت غير مرافقي
دموعًا لتبكي فقد حي مفارق
فقد نضبت يوم الوداع مدامعي
وشابت لتشتيت الفراق مفارقي
والبيتان منها:

إذا الوهم أبدى لي لَمَها وثَغَرها
تذكَرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدّها ومدامعي
مَجْرَّ عوالينا ومَجْرَى السوابق

وإن أخذ نصف بيت لغيره فابتدأ به وثنى عليه تامة
البيت لا غير فذلك تمليط، وإن بنى عليه كل ما يخطر
له من أبيات لتمام غرضه فذلك توطيد^(٥). ويبدو من
الأمثلة المتقدمة أن الایداع هو التضمين وأنّ المصري
لم يكن دقيقًا حينما أنكر على البلاغيين خلطهم بين
الایداع والتضمين، وقد أشار المدني الى مثل ذلك
فقال: «وانكار كون التضمين بمعنى الایداع بعد أن
اصطلح على ذلك كثير من أرباب هذا الفن، بل هو

(١) خزانة الأدب ص ٣٧٧، نفحات ص ٨٥.

(٢) شرح عقود الجمان ص ١٧٠.

(٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ٧٣، شرح الكافية ص ٢٦٦.

(٤) العذيب وبارق؛ موضعان بظاهر الكوفة. العوالي؛
الرماح. السوابق؛ الخيل.

(٥) تحرير التحبير ص ٣٨٢.

ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عَجْزُهُ صَدْرًا
أو صَدْرُهُ عَجْزًا وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها
وينظم لها المودع صدورًا لغرض اختاره
وبالعكس^(١).

وقال السيوطي: «والمصراع فما دونه يسمى رَفْوًا
وايداعًا؛ لأنه رفا بشعر الغير وأودعه إياه»^(٢).

وقال المدني: «هو أن يُودِعَ الشاعر شعره بيتًا فأكثر
أو مصراعًا فما دونه من شعر غيره بعد أن يُوطىء له في
شعره توطئة تناسبه وتلائمه ويسمى التضمين والرفو
أيضًا»^(٣). ثم قال: «والايداع عند البديعيين من
المحاسن».

ومثال الایداع في النثر قول علي - رضي الله عنه
- في جواب كتابه لمعاوية: «ثم زعمت أنني لكل
الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت، فإن يكون
ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر
اليك: «وتلك شكاة ظاهر عنك عارها». وهذا عجز
بيت تمثل به أيضًا عبدالله بن الزبير وقد قال أهل الشام
له: «يا ابن ذات النطاقين» على سبيل المعيرة لها بذلك،
نظر الى أنها كانت خادمة لا مخدومة على طريقة
الجاهلية في مدح النساء وذمهم فأنشد:

وعِيَرها الواشونَ أَنِّي أَحِبُّها
وتلك شكاة ظاهِر عنك عارها

ومن شواهد الایداع الشعرية قول أبي نواس:

تَغْنَى وما دارت له الكأسُ ثالثا
تعزى بصبر بعد فاطمة القلب

وقد يجتمع الایداع والتضمين في شعر واحد
كقول علي بن الجهم في «فضل» الشاعرة و«بنان»
المعنى:

كلّما غنّى بنان
اسمعي أو خبرينا
أنشدت فضلًا أحيي
ت عنا يا مدينا

من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به مُتَشَابِهًا^(٥). فان هذه الآية لو اقتصر على قوله: ﴿من قبل﴾ دون بقية الآية لأشكل على المخاطب، فلا يدري هل أراد سبحانه بما حكاه أهل الجنة اشارتهم الى صنف الثمرة أو مقدار ما يؤتون منها بحيث تكون مقادير الثمار متساوية، فأوضح سبحانه هذا الاشكال بقوله: ﴿وأتوا به متشابهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضا في الكمية وان تباينت أصنافه.

ومنه قول الشاعر:

يذكرُنيك الخيزُّ والشرُّ كلُّهُ
وقيلُ الخنا والعلمُ والحلمُ والجَهْلُ

فان هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لأشكل مراده على السامع لجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء، فلما قال بعده:

فألقاك عن مكروها مُتَنَزِّها
وألقاك في محبوبها ولك الفضلُ
أوضح المعنى المراد ورفع اللبس وأوضح الشك.

وقد يكون الايضاح في الوصف الذي لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شيء واحد يقع التعجب منه ويشكل الأمر فيه ثم يوضح ذلك الأشكال بأن يخبر عنه بما يفهم منه كشف اللبس عن الجزء الأول، كقول ابن حيوس الدمشقي:

ومقرطق يغني النديم بوجهه
عن كأسه المملأى وعن إبريقه^(٦)

- (١) أنوار الربيع ج ٦ ص ٧٤.
- (٢) اللسان (وضح).
- (٣) تحرير التحبير ص ٥٥٩، بديع القرآن ص ٢٥٩.
- (٤) تحرير التحبير ص ٥٦٠.
- (٥) البقرة ٢٥.
- (٦) المقرطق؛ لابس القرطق، وهو قباء.

أشهر من الايداع في هذا المعنى - لا وجه له^(١). وذكر تنبيهات منها: أن أحسن التضمين ما صرف عن معنى غرض الشاعر الأول وما زاد على الأصل بنكتة كالتورية ونحو ذلك، ومثاله قول المصري المتقدم في بيت المتنبي.

وانه يجوز في التضمين أن يجعل صدر البيت عجزًا وبالعكس كقول الحريري:

على أنني سأنشُد عند بيعي
أضاعوني وأي فتى أضاعوا

المصرع الثاني صدر بيت للعرجي وعجزه: «ليوم كرهية وسدادٍ ثغر». وانه لا يضره التغيير اليسير لما قصد تضمينه ليدخل في معنى الكلام كقول بعضهم في يهودي به داء الثعلب:

أقول لمعشر غلطوا وغضوا
من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا
متى يضع العمامة تعرفوه
والبيت لسحيم بن وثيلة وهو:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني
فغيره الى طريق الغيبة ليدخل في المقصود.

الإيضاح:

وضح الشيء يضح وضوحًا وضحةً وضحةً واتضح أي: بان وهو واضح ووضّاح. وأوضح وتوضّح: ظهر^(٢).

والايضاح من مبتدعات المصري وقد قال في تعريفه: «هو أن يذكر المتكلم كلامًا في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه»^(٣). وفرق بينه وبين التفسير بقوله: «إنّ التفسير تفصيل الاجمال، والايضاح رفع الاشكال»^(٤).

ومن الايضاح قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا

ومما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع فيه فيما
يجوز وقوعه قول أبي نواس:

يا أمينَ الله عِشْ أَبَدًا
دُمَّ عَلَى الأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا
الممدوح بقوله: «عش أبدًا» أو دعا له، وكلا الأمرين
مما لا يجوز مستقبح.

الإيماء:

أوميت لغة في أومات، وأومى يُومى وومى يمي
مثل أوحى ووحى. والإيماء الإشارة بالأعضاء كالرأس
واليد والعين والحاجب^(٧).

والإيماء من المسائل التي تحدث عنها المتقدمون
فقال المبرد: «من كلام العرب الاختصار المفهم
والاطناب المفخم، وقد يقع الإيماء إلى الشيء
فيغني عن ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة
دالة»^(٨). وقال ابن جني معلقًا على قول الشاعر:

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحِ

(١) المصباح ص ٩٣، حسن التوسل ص ٣٠٤، نهاية

الارب ج ٧ ص ١٦٩، الطراز ج ٣ ص ١٠١.
خزانة الأدب ص ٤١٣، شرح عقود الجمان
١٤٠، أنوار الربيع ج ٦ ص ٣١. نفحات الأزهار
ص ٢٧٢، شرح الكافية ص ٢١٤.

(٢) اللسان (وغل).

(٣) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٣، وينظر المنزح البديع
ص ٣٢١ والمنصف ٧٠، نفحات ص ٢٧١،
كفاية الطالب ص ١٩٩، التبيان في البيان
ص ٣١١، شرح الكافية ص ١٥٦.

(٤) اللسان (وقع).

(٥) اللسان (منع).

(٦) نقد الشعر ص ٢٤٢.

(٧) اللسان (ومي).

(٨) الكامل ج ١ ص ٢٧.

فِعْلُ المَدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا

في مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الأول لأشكل الأمر على
السامع من جهة الوجه وإن كان حسنا لا يغني به
النديم عن الخمر، فأوضح اللبس في البيت الثاني.
ونقل عن المصري هذا الفن البلاغيون كابن مالك
والحلي والنويري والعلوي والحموي والسيوطي
والمدني، وذكروا بعض أمثله^(١).

الإيضاح بَعْدَ الإبهام:

هو أحد أنواع الإطناب، وقد تقدّم.

الإيغال:

وغل في الشيء وغولاً دخل فيه وتواری، ووغل:
ذهب وأبعد وكذلك أوغل في البلاد ونحوها، وتوغل
في الأرض ذهب فأبعد فيها^(٢).

والإيغال أحد أقسام الاطناب وقد تقدم، وهو «ختم
الكلام نثرًا كان أو نظمًا بما يفيد نكتة يتيم المعنى
بدونها»^(٣).

إيقاع الممتنع:

وقع على الشيء ومنه يقع وقعا ووقوعا: سقط،
ووقع الشيء من يدي كذلك وأوقعه غيره، ويقال:
وقع الشيء موقعه. ووقع بالأمر: أحدثه وأنزله، ووقع
القول والحكم إذا وجب^(٤).

والمنع أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي
يريده وهو خلاف الاعطاء، ويقال: هو تحجير
الشيء، منعه يمنعه منعًا ومنعه فامتنع منه وتمنّع^(٥).

وإيقاع الممتنع من عيوب المعاني عند قدامة، وقد
قال عنه: «إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه
ويمكن كونه. والفرق بين الممتنع والمتناقض أن
المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم،
والممتنع لا يكون ويجوز أن يتصور في الوهم»^(٦).

اللغة بمعنى التخيل ولذلك يسمون هذه الصنعة بالتخيل أيضًا. وتكون بأن يذكر الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه ألفاظًا يكون لها معنيان أحدهما قريب والآخر غريب فاذا سمعها السامع انصرف خاطره الى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى الغريب»^(١). ومثال ذلك قول أبي العلاء:

إذا صدق الجد افتري العم للفتى
مكارم لا تكرر وإن كذب الخال

فكل من سمع الالفاظ الثلاثة «جد» و«عم» و«خال» انصرف ذهنه الى الأقارب في حين أن المقصود بها أشياء أخرى، فالجد هو الحظ، والعم هو الجماعة، والخال هو مخيلة السحاب وهي ما يرى فيها من علامة المطر^(١١).

وقال الرازي: «هو أن يكون للفظ معنيان أحدهما قريب والآخر غريب فالسامع يسبق فهمه الى القريب مع أن المراد هو ذلك البعيد، وهذا إنما يحسن إذا كان الغرض تصوير ذلك المعنى البعيد بالمعنى الظاهر. وأكثر المتشابهات من هذا الجنس»^(١٢) ومنه قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٢٠.

(٢) أنوار الربيع ج ٣ ص ٨٣.

(٣) طه ٧٨.

(٤) العمدة ج ١ ص ٣٠٣.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٩٦.

(٦) مفتاح العلوم ص ١٩٤.

(٧) الايضاح ص ٣٢٧، التلخيص ص ٣٤٣، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٧٠، المطول ص ٤١٣،

الاطول ج ٢ ص ١٧٦، شرح عقود الجمان ص ١٠٣.

(٨) المنزعة البديع ص ٢٦٨، الروض المريع ص ١٢١.

(٩) اللسان (وهم).

(١٠) حدائق السحر ص ١٣٥.

(١١) شروط سقط الزند ج ٣ ص ١٢٦٢.

(١٢) نهاية الايجاز ص ١١٣، وينظر الايضاح في

شرح مقامات الحريري ص ٢٢.

«إن في قوله: «أطراف الأحاديث» وحيًا خفيًا ورمزًا حلوا، ألا ترى أنه يريد باطرفها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح، وذلك أحلى وأدمث وأغزل وأنسب من أن يكون مشافهة وكشفا ومصارحة وجهرًا»^(١). وذكر المدني أن الائمة عند ابن جني هو الاكتفاء قال: «وسماه ابن جني في كتاب التعاقب بالائمة وعقد له بابا فقال: «باب الائمة وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أولها»^(٢).

وعده ابن رشيق من أنواع الاشارة ومثل له بقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٣) فأوماً اليه وترك التفسير معه. ويقول كثير:

تجافيت عني حين لالي حيلة
وخلقت ما خلقت بين الجوانح

فقوله: «وخلقت ما خلقت» ايماء مليح^(٤).

والكناية تنوع عند السكاكي الى تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة^(٥)، قال: «وان كانت الكناية لامع نوع الخفاء كقول أبي تمام:

أبينَ فما يزرنَ سوى كريم

وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدٍ

فانه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف كان اطلاق اسم الائمة والاشارة عليها مناسبًا»^(٦). ونقل ذلك القزويني وشراح التلخيص^(٧). وأدخله السجلماسي في أنواع الاشارة^(٨).

الإيهام:

الوهم من خطرات القلب، وتوهم الشيء تخيُّله وتمثله كان في الوجود أو لم يكن. ويقال: توهمت في كذا وكذا وأوهمت الشيء: إذا أغفلته. ووهمت في الشيء أهْمٌ وهَمًّا إذا ذهب وهمك اليه وأنت تريد غيره وتوهمت أي ظننت، وأوهمت غيري إيهاما والتوهيم مثله^(٩).

وكان الوطواط قد تحدت عنه وقال: «الايهام في

وذهب الحموي الى ذلك وقال: «والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى لأنها مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر»^(٨).

وسمى السيوطي هذا الفن إيهاً وأشار الى أنه يُدعى التورية أيضاً^(٩)، وفضل المدني اسم التورية فقال: «التورية أقرب اسم سُمي به هذا النوع ولمطابقتها المُسمى لأنه مصدر ورّيت الحديث: إذا أخفيت وأظهرت غيره. قال أبو عبيدة: لا أراه إلا مأخوذاً من وراء الانسان، فاذا قال: «ورّيته» فكأنه جعله وراءه بحيث لا يظهر. ويسمى الإيهام والتوجيه والتخييل»^(١٠). ولكن الأفضل أن يقال عن الآيات القرآنية إنها تخييل لأنها ليست تورية ولا إيهاً بالمعنى المتأخر، وقد ألمح الزمخشري الى مثل ذلك فقال عن قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١١) «لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وقرئ

(١) الزمر ٦٧.

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٠١.

(٣) طه ٥.

(٤) حسن التوسل ص ٢٤٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣١.

(٥) الزمر ٦٧.

(٦) حسن التوسل ص ٢٥٠، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٢.

(٧) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٤٥، وينظر التبيان في البيان ص ٢٤٣.

(٨) خزنة الأدب ص ٢٣٩.

(٩) معترك ج ١ ص ٣٧٤، الاتقان ج ٢ ص ٨٣، شرح عقود الجمان ص ١١٢.

(١٠) أنوار الربيع ج ٥ ص ٥.

(١١) الزمر ٦٧.

والسماوات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»^(١). وذكر السكاكي هذه الآية شاهداً أيضاً وقال عن الإيهام: «هو أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد فيذكر لإيهام القريب في الحال الى أن يظهر أن المراد به البعيد»^(٢) كقول الشاعر:

حملناهم طراً على الدهم بعدما

خلعنا عليهم بالطعانٍ ملابسا

أراد بالحمل على الدهم: تقييد العدى فأوهم إركابهم الدهم. ومنه قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣).

وذكر الحلبي والنويري أن الإيهام «يقال له التورية والتخييل، وهو أن تذكر ألفاظاً لها معانٍ قريبة وبعيدة فاذا سمعها الانسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلم البعيد»^(٤). ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً

عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هي شاميةٌ إذا ما استقلَّتْ

وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يمانِي

فذكر الثريا وسهيلاً ليوهم أنه يريد النجمين ويقول: كيف يجتمعان، والثريا من منازل القمر الشامية، وسهيل من النجوم اليمانية. ومراده الثريا التي كان يتغزل بها لما زوجت بسهيل. وقالوا عن قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٥) إنه من التخييل وهو «تصوير حقيقة الشيء للتعظيم»^(٦).

وعقد الزركشي باباً للتورية وقال: «وتسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه»^(٧) وعرفها بمثل تعريف الإيهام، وفرق بينها وبين الاستخدام، وذلك انها استعمال المعنيين في اللفظ واهمال الآخر، والاستخدام استعمالهما معاً بقرينتين، أي أن المشترك إن استعمل في مفهومين معاً فهو الاستخدام وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطناً فهو التورية.

وقول أبي تمام:

ما إن ترى الأحساب بيضًا وضحا
إلا بحيث ترى المنايا سودا

إيهام التناوب:

ألحقه القزويني بمراعاة النظير وقال: «ومما يلحق بالتناوب نحو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٥) ويسمى إيهام التناوب»^(٦)، لأنه لما ذكر لفظ الشمس والقمر ذكر النجم والمراد به النبات، فذكر النجم بعد ذكر الشمس والقمر يوهم التناوب لأن النجم أكثر ما يطلق على نجم السماء المناسب للشمس والقمر بكونه في السماء.

إيهام التوكيد:

قال المدني إن «إيهام التوكيد استخراج الشيخ عمر بن الوردى وسماه بهذا الاسم، وهو عبارة عن أن يعيد المتكلم في كلامه كلمة فأكثر مرادًا بها غير المعنى الأول حتى يتوهم السامع من أول وهلة أن الغرض التأكيد وليس كذلك ولذلك سمي «إيهام التوكيد». ولم أقف عليه في شيء من كتب هذا الفن وإنما أشار إليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم استطرادًا وقال: «إنه في غاية الحسن، يظن السامع من أول وهلة أنه من باب التكرار وتحصيل

بالتشديد على معنى: وما عظموه كنه تعظيمه، ثم نبههم على عظمتهم وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال: ﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾. والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمتهم والتوقيف على كنه جلالة لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز، وكذلك حكم ما يروى أن جبريل جاء إلى رسول الله - ﷺ - فقال: «يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات والأرض يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن فيقول أنا الملك. فضحك رسول الله - ﷺ - وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امسك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وان الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتننها الأوهام هينة عليه هوانًا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل. ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء، فإن أكثره وعليته تخيلات»^(١)

إيهام التضاد:

سماه الحموي «إيهام المطابقة»^(٢) وسماه المدني «إيهام الطباق»^(٣)، وألحقه القزويني بالطباق وهو ما يمكن التقابل فيه بين الظاهر من مفهوم اللفظين وإن يكن بين حقيقة المراد منهما تقابل ما^(٤). كقول دعبل:

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ

ضحك المشيب برأسه فبكي

(١) الكشاف ج ٤ ص ١١٠.

(٢) خزانة الأدب ص ٧٠.

(٣) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٨.

(٤) الايضاح ص ٣٤٠، التلخيص ص ٣٥٢، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٩٥، المطول ص ٤٢١،

الأطول ج ٢ ص ١٨٦.

(٥) الرحمن ٥ - ٦.

(٦) الايضاح ص ٣٤٥، التلخيص ص ٣٥٥، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥، المطول ص ٤٢١،

الأطول ج ٢ ص ١٨٩.

وقال المدني: «ولم ينظم أحد من أصحاب البديعيات هذا النوع وقد تفردت أنا بنظمه في بديعيتي وهو قولي في آخر البيت: «ولم أزل مغريا وجددي بهم بهم»، فان قولي «بهم بهم» يوهم التوكيد وليس توكيدا بل «بهم» الأولى. متعلقة بـ«وجددي» والثانية بقولي: «مغريا»^(٣).
وبيت المدني هو:

حَقَّقْتُ إِيهَامَ توكيدي لِحَبِهِم
ولم أزل مُغْرِيًا وَجُدِي بِهِم بِهِم

إيهام الطباق:

هو إيهام التضاد^(٤)، وقد تقدم.

إيهام المطابقة:

هو إيهام التَّضَادِّ وإيهام الطَّبَاق^(٥)، وقد تقدما.

- (١) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٥٩.
- (٢) التوبة ١٠٨.
- (٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٦١.
- (٤) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٨.
- (٥) خزانة الأدب ص ٧٠، أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٨.

الحاصل الى أن يعيره ذهنه ويتأمل معنى الشاعر في ذلك فيرقص طربا^(١) ومثاله قوله تعالى: ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٢).
فقوله: «فيه، فيه» هو إيهام التوكيد فان السامع يظن من أول وهلة أن الثانية تأكيد للأولى، وليس كذلك.

ومن ذلك قول الشاعر:

أَلَا حَلُّ بِي عَجَبٌ عَاجِبٌ
تَقَاصِرَ وَضْفِي عَنْ كُنْهِهِ
رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِ مَنْ
رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِهِ

وأنشد الوردى لنفسه من هذا النوع:

تَعَشَّقْتُ أَحْوَى لِي إِلَيْهِ وَسَائِلُ
وَاصِلُ أَحْوَالِي لَدَيْهِ لَدَيْهِ
أُمْرٌ بِهِ مُسْتَعْطِفاً وَمُسَلِّمًا
فِيثَقُلُ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ
فَلَا كَانَ وَاشٍ كَدَّرَ الصَّفْوَ بَيْنَنَا
وَبَغْضَ تَحْبِيبِي إِلَيْهِ إِلَيْهِ

الباء

البَدَلُ:

مثل «خَذْ نَبْلًا مَدَى»^(٦) واستخدم السكاكي مصطلح «البدل» في كلامه على الفصل والوصل، وعدّه من مواضع الفصل، ففي البيت:

أقول له اِرْحَلْ، لا تُقِيمَنَّ عندنا

وإلا فكنْ في السِّرِّ والجهر مُسلما

فصل الشاعر «لا تقيمَنَّ» عن «ارحل» لقصد البدل؛ لأنَّ المقصود من كلامه هذا إظهار كمال الكراهة لاقامته بسبب خلاف سره العنن. وقوله: «لا تقيمَنَّ عندنا» أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله: «ارحل» لدلالة ذاك عليه بالتضمن مع التجرد عن التأكيد، ودلالة هذا عليه بالمطابقة مع التأكيد. ومثله قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأُولُونَ﴾. قالوا أئذا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ؟^(٧)

فصل قالوا: ﴿أئذا مِثْنَا﴾ عن ﴿قالوا مثل ما قال الأولون﴾ لقصد البدل^(٨).

(١) اللسان (بدل).

(٢) طه ٢٠.

(٣) الواقعة ٥٦.

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٢٧٣.

(٥) الفاتحة ٦ - ٧.

(٦) شرح الأشموني ص ٤٣٥.

(٧) المؤمنون ٨١ - ٨٢.

(٨) مفتاح العلوم ص ١٢٨، الايضاح ص ١٥٣،

التلخيص ص ١٨٤، شروح التلخيص ج ٣

ص ٤٣، المطول ص ٢٥٥، الأطول ج ٢ ص ١٠.

بدل الشيء غيره، والبديلُ البدلُ ويقال بَدُلَ، وبَدُلُ الشيء وبَدَلَهُ وبَدَّلَهُ: الخلف منه. وتبَدَّلَ الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به: أتخذ منه بدلًا، وأبدل الشيء وبَدَّلَهُ: تخذه بدلًا^(١).

وقد أطلق الجاحظ البدلَ على التشبيه والاستعارة، وقال عند كلامه على قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(٢): «ومن جعل للحيات مشيا من الشعراء أكثر من أن نقف عليهم» ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسيابها مشيًا وسعيًا لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل وإن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه فمن عادة العرب ان تشبه به في حالات كثيرة. وقال الله تعالى: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٣) والعذاب لا يكون نُزُلًا ولكنه أجراه مجرى كلامهم^(٤).

ولكن هذا المصطلح لم يُستعمل في الكتب المتأخرة للتشبيه والاستعارة، وكأنه استقر في الدراسات النحوية وقالوا: إنه «التابع المقصود بالحكم بلا واسطة» وهو عندهم أربعة أقسام:

الأول: بدل كُـلٌّ من كُـلٍّ كقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. صراط الذين أنعمت عليهم^(٥).

الثاني: بدل بعض من كُـلٍّ مثل: «أكلت الرغيف ثلثه».

الثالث: بدل الاشتمال مثل: «أعجبني زيدٌ علمه».

الرابع: البدل المُباين، وهو بدل الغلط أو النسيان

البديع:

بدع الشيء يبدعه بدعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه، وابتدعت الشيء: اخترعته لا على مثال. والبديع: المبدع، والبديع من أسماء الله تعالى لا بداعه الاشياء وإحداثه اياها وهو البديع الأول قبل كل شيء. والبديع: الجديد^(١).

وقد ذكر الجاحظ أنَّ مصطلح البديع اطلقه الرواة على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسنًا وجمالًا. قال معلقًا على بيت الأشهب بن رميلة:

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ

وَمَا خَيْرٌ كَفٍ لَا تَنَوُّءُ بِسَاعِدِ

«قوله: «هم ساعد الدهر» إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع»^(٢).

لكن أبا الفرج الاصفهاني ذكر أنَّ الشاعر العباسي مسلم بن الوليد كان أول من أطلق هذا المصطلح، قال: «وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع، وهو لُقِّب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فانه جعل شعره كله مذهبًا واحدًا فيه»^(٣).

ودفع الجاحظ غلوة في حب العرب والرد على الشعوية إلى أن يقول: «والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ورأيت على كل لسان»^(٤).

وكان المولِّدون من الشعراء العصر العباسي قد أكثروا في أشعارهم من الصور البيانية التي سميت البديع، قال الجاحظ: «ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمرو العتابي وكنيته أبو عمرو، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنعو منصور النمري ومسلم بن الوليد الانصاري

وأشباههما. وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع، ولم يكن من المولِّدين أصوب بديعًا من بشار وابن هرمة»^(٥).

وقال «والراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب شعرة في البديع»^(٦).

وشاع هذا اللون في الأدب ولجَّ المولِّدون. في اصطناعه وتباهوا بالسبق اليه مما حدا بالخليفة والشاعر العباسي ابن المعتز الى أن يؤلف «كتاب البديع» ليعلم أن بشارًا ومسلمًا وأبا نواس ومن تقلبهم^(٧) وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن، ولكن كثير في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلَّ عليه، وليعرف أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبواب البديع. قال: «ثم إنَّ حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عُقبى الافراط وثمره الاسراف، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى ناردًا ويزداد حظوة بين الكلام المرسل»^(٨).

وكان الجاحظ من أوائل الذين اعتنوا بالبديع وصوره، وقد أطلقه على فنون البلاغة المختلفة، وتعليقه على بيت الأشهب بن رميلة يوضح اتجاهه حيث سمى الاستعارة بديعًا. ونظر ابن المعتز الى البديع هذه النظرة، وكانت فنونه عندة خمسة هي:

(١) اللسان (بدع).

(٢) البيان ج ٤ ص ٥٥.

(٣) الأغاني ج ١٩ ص ٣١.

(٤) البيان ج ١ ص ٥١.

(٥) البيان ج ١ ص ٥١.

(٦) البيان ج ٤ ص ٥٦.

(٧) تقلبهم؛ حاكاهم.

(٨) البديع ص ١.

والتدرب^(٣).

واهتم ابن رشيق بالبديع وفَرَّقَ بينه وبين المخترع، فالمخترع من الشعر هو «ما لم يسبق اليه قائله ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه»^(٤). والبديع هو الجديد، وأصله في الحبال وذلك أن يفتل الحبل جديدًا ليس من قوى حبل نُقِضَتْ ثم فتلت فتلاً آخر. قال: «والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة، وأنا أذكر منها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة»^(٥).

وأدخل في البديع المجاز والاستعارة والتمثيل والمثل السائر والتشبيه والاشارة، ولا يختلف عبد القاهر عن سابقيه، والبديع عنده فنون البلاغة المختلفة، قال: «وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع»^(٦)، وقال: «وهكذا تراهم يعدونها في أقسام البديع حيث يذكر التجنيس والتطبيق والتوشيح ورد العجز على الصدر وغير ذلك»^(٧).

وسمى ابن منقذ أحد كتبه «البديع في نقد الشعر» وجمع فيه خمسة وتسعين فناً بلاغيًا، وسار المصري على خطاه في كتابيه «بديع القرآن» و«تحرير التحبير» وذكر أكثر من مائة فن بلاغي وابتدع فنونًا جديدة.

إنَّ البديع في القرون الستة الأولى للهجرة كان يدل على فنون البلاغة المختلفة، ولكن السكاكي حينما قسم البلاغة إلى علومها المعروفة أفرد بعض الموضوعات وسمّاها وجوهًا يُصار إليها لتحسين الكلام وقسمها إلى لفظية ومعنوية، ومن الأولى

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

(٢) الوساطة ص ٣٤.

(٣) إعجاز القرآن ص ١٦٨.

(٤) العمدة ج ١ ص ٢٦٢ وينظر المنصف ص ٤٨.

(٥) العمدة ج ١ ص ٢٦٥.

(٦) أسرار البلاغة ص ٢٠.

(٧) أسرار البلاغة ص ٣٦٩، وينظر كفاية الطالب

ص ٤٠.

الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، وذكر ثلاثة عشر فناً سماها «محاسن الكلام والشعر» وهي: الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والهزل الذي يُراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض، والكناية، والافراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعانات الشاعر نفسه في القوافي، وحسن الابتداءات.

وعاصره قدامة بن جعفر وجمع من البديع أنواعًا كثيرة بعضها مما ذكره ابن المعتز وبعضها جديد كالتقسيم والترصيع والمقابلات والتفسير والمساواة والاشارة ولم يسمها بديعًا وإنما هي من محاسن الكلام ونعوته.

وعقد أبو هلال العسكري الباب التاسع من «كتاب الصناعتين» لشرح البديع، وهو عنده مختلف الصور البيانية كالاستعارة والمجاز والمطابقة والتجنيس. وصور البديع خمس وثلاثون، وقد قال عنها: «فهذه أنواع البديع التي ادّعى من لا رويّة ولا دراية عنده أنَّ المحدثين ابتكروها وأنَّ القدماء لم يعرفوها وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين؛ لأنَّ هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرىء من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة»^(١).

وزاد سبعة فنون هي: التشطير، والمجاورة، والتطريز، والمضاعفة، والاستشهاد، والتلطف، والمشتق.

ولم يهتم القاضي الجرجاني بألوان البديع ولم يذكر منها إلا فنونًا قليلة، وقد أشار إلى أنَّ المحدثين سمّوا الاستعارة والمطابق والجناس وغيرها بديعًا^(٢).

وكانت نظرة الباقلاني إلى البديع شاملة وقد ذكر كثيرًا من فنونه في كتابه «إعجاز القرآن» ولكنه قال إنه لا سبيل إلى معرفة الأعجاز من البديع الذي ادّعوه في الشعر ووصفوه، وذلك أنَّ هذا الفن ليس فيه مما يخرق العادة ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلم

المطابقة والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظر، ومن الثانية التجنيس ورد العجز على الصدر والقلب والسجع.

وكان بدر الدين بن مالك أول من أطلق مصطلح «البديع» على هذه الوجوه والمحسنات، وقد قال عن البديع إنه «معرفة توابع الفصاحة»^(١) وقسمها الى ثلاثة أنواع.

الأول: الراجع الى الفصاحة اللفظية وهو أربعة وعشرون فنًا منها: التريد والتعطيف ورد العجز على الصدر والتشطير والترصيع.

الثاني: الراجع الى الفصاحة ويختص بافهام المعنى وتبينه وهو تسعة عشر فنًا منها: حسن البيان والايضاح والمذهب الكلامي والتبيين والتتميم والتقسيم.

الثالث: الراجع الى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه ومنها: اللف والنشر، والتفريق والجمع والتورية وحسن الابتداء وحسن الخاتمة.

وفصل القزويني البديع فصلا تاما عن البلاغة التي جعلها محصورة في المعاني والبيان، والبديع عنده ضربان: ضرب يرجع الى المعنى كالمطابقة ومراعاة النظر والارصاد، وضرب يرجع الى اللفظ كالجناس ورد العجز على الصدر والسجع.

ولم يخرج شُراح التلخيص عما رسمه القزويني وإن أضاف بعضهم كالسبكي فنونا أخرى.

فالبديع بمعناه الأخير هو «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة»^(٢)، أي أنه تابع لعلمي المعاني والبيان.

البديعيات:

شهد القرن السابع للهجرة لونا جديداً من التأليف في البلاغة هو «البديعيات» وهي قصائد في مدح الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن البسيط وروي الميم في أكثر الاحيان، وتتضمن فنونا

بلاغية يُورَى عنها أو لا يُورَى.

والبديعيات كثيرة، ولعل أقدمها بدعية علي بن عثمان الاربلي في مدح بعض معاصريه. وقد ذكر ابن شاعر الكتبي^(٣) ستة وثلاثين بيتا منها اشتملت على فنون بلاغية مختلفة. ويبدو أن هذه البدعية أول ما عرف في الأدب العربي من البديعيات، وهي ليست في مدح النبي الكريم وليست من البسيط أو على روي الميم، وانما هي في مديح بعضهم ومن الخفيف وروي اللام. وقد بدأها صاحبها بذكر الجناس التام والمطرف فقال:

بَعْضُ هَذَا الدَّلَالِ وَالِإِدْلَالِ
حَالٌ بِالْهَجْرِ وَالتَّجَنُّبِ حَالِي
وبالجناس المصحف والمركب فقال:

جُرُتْ إِذْ جُرُتْ رَبَّعَ قَلْبِي وَإِذْ
لَالِي صَبْرًا أَكْثَرَتْ مِنْ إِذْ لَالِي

ومن البديعيات بدعية صفي الدين الحلبي وهي في مائة وخمسة وأربعين بيتًا ومطلعها:

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلْ عَنْ جِيرة العَلَمِ
واقرا السلام على عُزْبِ بذي سلمٍ

وبدعية ابن جابر الاندلسي وهي في مائة وسبعة وعشرين بيتًا استهلها بقوله:

بَطِيْبَةٌ أَنْزَلْ وَيَمَّمُ سَيِّدَ الْأُمَمِ
وانثر له المدح وانثر أطيَّب الكَلَمِ

وسمّاها «الحلة السيرا في مدح خير الوري»^(٤) وشرحها الرعيني الغرناطي بكتاب «طراز الحلة وشفاء الغلة».

(١) المصباح ص ٧٥.

(٢) الايضاح ص ٣٣٤، التلخيص ص ٣٤٧، شروح التلخيص ج ١ ص ٢٨٢، المطول ص ٤١٦، الأطول ج ٢ ص ١٨٠.

(٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ١١٨.

(٤) السیراء؛ المخططة، أو يخالطها حرير.

ومطلعها:

مِنَ الْعَقِيقِ وَمِنْ تَذْكَارِ ذِي سَلَمٍ
بِرَاعَةٍ تَسْتَهْلُ الدَّمْعَ فِي الْعَلَمِ
وشرحها شرحًا موجزًا وأشار إلى أنه عارض بها
بديعية الحموي في التورية باسم النوع البديعي.

ونظمت عائشة الباعونية بديعية في مائة وثلاثين
بيتًا سميتها «الفتح المبين في مدح الأمين» ومطلعها:

فِي حُسْنِ مَطْلَعِ أَقْمَارِي بَدِي سَلَمٍ
أَصْبَحْتُ فِي زُمْرَةِ الْعَشَّاقِ كَالْعَلَمِ
ونظمتها على منوال بديعية الحموي من غير تسمية
النوع البديعي وشرحتها شرحين.

ونظم عبد الغني النابلسي بديعتين ولم يلتزم في
إحداهما تسمية النوع والتزمه في الثانية. ومطلع
الاولى:

يَا مَنْزِلَ الرُّكْبِ بَيْنَ الْبَانِ فَالْعَلَمِ
مِنْ سَفْحِ كَاظِمَةٍ حُيِّتَ بِالْدِيمِ
وشرحها بكتابه «نفحات الأزهار على نسيمات
الاسحار في مدح النبي المختار». ومطلع الثانية:

يَا حُسْنَ مَطْلَعِ مَنْ أَهْوَى بَدِي سَلَمٍ
بِرَاعَةِ الشُّوقِ فِي اسْتِهْلَالِهَا أَلْمِي
وهناك بديعيات أخرى ومعظمها في مدح الرسول
الكريم - صلى الله عليه وسلم

ومن البسيط وعلى روي الميم. ونظم المسيحيون
بديعيات في المسيح - عليه السلام - ومنهم الخوري
نيقولوس بن نعمة الله الصائغ الذي يقول في مطلع
بديعته:

بَدِيْعُ حُسْنِ امْتِدَاحِي رُشَلْ رَبِّهِمْ
بِرَاعَةٍ فِي افْتِتَاحِي حَمْدَ رَبِّهِمْ
والخوري أرسانيوس الفاخوري الذي التزم في إحدى

(١) تنظر البديعيات في بديعيات الآثاري ص ١٧،
٥١، ١٠١.

ونظم عز الدين الموصللي بديعية في مائة وأربعين
بيتًا التزم فيها تسمية الفن البديعي مؤزياً بكلمة عنه
البيت الذي يتضمنها، ومطلعها:

بِرَاعَةٍ تَسْتَهْلُ الدَّمْعَ فِي الْعَلَمِ
عِبَارَةٌ عَنِ نِدَاءِ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ
وكان الموصللي أول من فعل ذلك ليميز على الحلبي
الذي لم يلتزم بتسمية النوع.

وتوالى نظم البديعيات وظهر شعراء عنوا بها
كوجيه الدين عبد الرحمن ابن محمد اليمني وشرف
الدين عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي
القاهري وزين الدين شعبان بن محمد القرشي
الآثاري^(١) الذي نظم ثلاث بديعيات: الصغرى وهي
في مائة وتسعة وستين بيتًا ومطلعها:

إِنْ جِئْتَ بَدْرًا فَطَبِّ وَأَنْزِلْ بَدِي سَلَمٍ
سَلَّمِ عَلَى مَنْ سَبَا بَدْرًا عَلَى عَلَمِ
والوسطى وهي في ثلاثمائة وثمانية أبيات ومطلعها:

دَعُ عَنْكَ سَلْعًا وَسَلِّ عَنْ سَاكِنِ الْحَرَمِ
وَخَلِّ سَلْمَى وَسَلِّ مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ
والكبرى وهي في أربعمائة وسبعة أبيات ومطلعها:

حُسْنُ الْبِدَاعَةِ حَمْدُ اللَّهِ فِي الْكَلِمِ
وَمَدْحُ أَحْمَدَ خَيْرِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

وكان يعاصر الآثاري أديب ناقد له أكبر الأثر في
البديعيات وهو ابن حجة الحموي الذي وجد عصره
يزخر بالبديعيات، وكان قد أعجب ببديعتي الحلبي
والموصللي فنظم بديعية في مائة واثنين وأربعين بيتًا
وَوَزَّى عَنْ كُلِّ فَنِّ بِكَلِمَةٍ، ومطلعها:

لِي فِي ابْتِدَائِ مَدْحِكُمْ يَا عُزْبَ ذِي سَلَمٍ
بِرَاعَةٍ تَسْتَهْلُ الدَّمْعَ فِي الْعَلَمِ

وشرحها بكتابه البلاغي «خزانة الأدب وغاية الأرب»
الذي يُعَدُّ أهم كتب البلاغة في القرن الثامن للهجرة.

ولجلال الدين السيوطي بديعية سماها «نظم البديع
في مدح خير شفيح» وهي في مائة وأربعين بيتًا

أنه حذقت طريقته وأجيد نظمه، وقد يوصف بذلك كل مجيد قول أو صناعة فيجوز أن يوصف القرآن بالبراعة على هذا المعنى، والمراد أنه نظم - يخرج عن إمكان الناطقين لا على معنى أنه تجويد كلام هو على معنى كلام العرب»^(٥).

ويبدو أن هذا المصطلح أهمل ولم يدخل في الدراسات البلاغية ولذلك قال السبكي: «مما يوصف به الكلام والكلمة أيضاً البراعة وأهملها الجمهور وقد ذكرها القاضي أبو بكر في الانتصار مع الفصاحة والبلاغة وحدها بما يقرب من حد البلاغة»^(٦). وقال السيوطي: «البراعة مثل البلاغة فيقال متكلم بارع وكلام بارع ولا يقال كلمة بارعة. قد حدّها القاضي أبو بكر في الانتصار بما يقرب من حدّ البلاغة وأهملها الجمهور وذكرها هنا من زوائد»^(٧). وقد نظمها السيوطي في أرجوزته «عقود الجمان» فقال:

يُوصَفُ بالفصاحة المَرَكِبُ
ومفردٌ ومنشئٌ مُرْتَبُ
وغير ثانٍ صِفُهُ بالبلاغة
ومثله في ذلك البراعة

فالبراعة هي البلاغة وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر حينما جمع بين البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ولم يفصل بينها جميعاً وكل ما شاكل ذلك «مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن

بديعياته التورية على اسم النوع البديعي ومطلعها:

براعة المدح في نجم ضياه سمي
تهدى بمطلعها من عن سنه غمي

ومطلع الثانية:

فحيّ حيّ الجليل الجامع العظم
وبيت لحم وآلا قد سمّت بهم

ولم يلتزم في الثالثة البسيط ولا الميم المكسورة وإنما اتخذ من الكامل والميم المضمومة سبيلاً، ومطلعها:

إني لأحكام القضاء مُسَلَّمُ
ولسان حالي بالهوى مُتَكَلَّمُ

وهذه البديعيات الكثيرة تدلّ على اهتمام كبير بفنون البديع في العهود المتأخرة وإن كان فيها إسراف في الصنعة وتفنن في إيجاد أنواع بديعية جديدة. ولم يستمر الشعراء في نظم هذا اللون من البديع فقد انصرفوا عنه وكادت البديعيات تختفي منذ مطلع القرن العشرين.

البراءة:

بريء من الأمر يبرأ ويبرؤ براءة وبراء، وبرئ: إذا تخلص وبرئ إذا تنزه وتباعد^(١).

وقد أدخل السبكي البراءة في البديع وقال: «ومحلها الهجاء، وهو كما قال أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء فقال: «هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها»^(٢).

البراعة:

برع يبرع بروعاً وبراعة وبرع فهو بارع: تم في كل فضيلة وجمال وفاق أصحابه في العلم وغيره، والبارع: الذي فاق أصحابه في السؤدد^(٣). قال الباقلاني: «وأما البراعة فهي فيما يذكر أهل اللغة الحذق بطريقة الكلام وتجويده. وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة»^(٤). وقال: «فأما وصف الكلام بالبراعة فمعناه

(١) اللسان (برأ).

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠.

(٣) اللسان (برع).

(٤) إعجاز القرآن ص ١٩٤.

(٥) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٢٦٠.

(٦) عروس الافراح ج ١ ص ٧٥.

(٧) شرح عقود الجمان ص ٣.

ضمائر قلوبهم»^(١).

براعة الاستهلال:

البراعة هي التفوق، والاستهلال الافتتاح والابتداء، فاستهل: رأى الهلال، واستهل المولود صاح في أول زمان الولادة واستهلت السماء جادت بالهلال وهو أول المطر. قال المدني: «وكل من هذه المعاني مناسب للنقل منه الى المعنى الاصطلاحي وإن خصه بعضهم بالنقل من المعنى الثاني.

وإنما سمي هذا النوع الاستهلال لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به»^(٢).

وكان الجاحظ قد نقل عن ابن المقفع قوله: «ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته»^(٣) وقال الجاحظ: «كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه، فأنه لا خير في كلام لا يدل على معنائه ولا يشير الى مغزاه، والى العمود الذي اليه قصدت، والغرض الذي اليه نزلت».

وكانت هذه إشارة الى الاهتمام بمثل ذلك في النثر والشعر، ولذلك قال ابن جني: «إذا كان المرسل حاذقاً أشار في تحميده الى ما جاء بالرسالة من أجله»^(٤). وعقد الكلاعي فصلاً سماه «الإشارة في الصدور الى الغرض المذكور»^(٥).

وذكر ابن المعتز فناً في محاسن الكلام سماه «حسن الابتداءات»^(٦) وقال الحموي عن هذه التسمية: «وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وإن أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء»^(٧).

وقد فرّع المتأخرون من هذه التسمية «براعة الاستهلال» وهي كما قال التبريزي: «أن يبتدىء بما يدل على غرضه»^(٨)، كقول الخنساء في أخيها:

وما بلغت كفى امرى متناوياً
من المجد إلا والذي نلت أطول

وما بلغ المهدون للناس مدحةً
وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

ودخل الأخطل على معاوية فقال: إني مدحتك فاسمع. فقال: إن كنت شبهتني بالحية والصقر فلا حاجة لي فيه، وإن كنت قلت كما قالت الخنساء في أخيها، وأنشد البيتين فهات. فأشده الأخطل:

إذا مُتَّ ماتَ الجودُ وانقطعَ الندى

ولم يَبْقَ إلا من قليلٍ مصرّد

فقال له معاوية: «ما زدت على أن نعت الـي نفسي».

وقال البغدادي: «وأما براعة الاستهلال فهي من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء الكلام ونقاد الشعر وجهابذة الألفاظ، فينبغي للشاعر إذا ابتداء قصيدة مدحاً أو ذمّاً أو فخراً أو وصفاً أو غير ذلك من أفانين الشعر ابتداءها بما يدل على غرضه فيها، كذلك الخطيب إذا ارتجل خطبة، والبليغ إذا افتتح رسالة فمن سبله أن يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه وأوله ملخصاً بآخره»^(٩)، وذكر أمثلة التبريزي.

ويتضح مما قاله المتقدمون أن براعة الاستهلال هي «ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وإن وقع في اثناء القصيدة»^(١٠) ولذلك فرّق المصري بين أمثلتها وأمثلة حسن الابتداءات فقال بعد أن ذكر

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٥.

(٢) أنوار الربيع ج ١ ص ٥٦.

(٣) البيان ج ١ ص ١١٦.

(٤) إحكام صنعة الكلام ج ١ ص ١١٦.

(٥) إحكام صنعة الكلام ص ٦٦ وما بعدها.

(٦) البديع ص ٧٥.

(٧) خزانة الأدب ص ٣.

(٨) الوافي ص ٢٨٤.

(٩) قانون البلاغة ص ٤٥٠.

(١٠) تحرير التحبير ص ١٦٨.

الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه»^(٤).

ثم قال: «هذا النوع قد قدمناه في فصل حسن المطلع لكن الزنجاني - رحمه الله - أفرد له باباً فأفردناه على حكم ما أفرده، وكان في حسن المطلع زيادات يحتاج إليها فذكرناها ههنا، وهذه الزيادة التي اقتضت أفرادها»^(٥).

وَعَدَّه القزويني من حسن الابتداء وقال: «وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود، ويسمى براعة الاستهلال»^(٦). كقول أبي تمام يهنئ المعصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السيفُ أَصْدَقُ أنباءٍ من الكُتُبِ
في حَدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

بيضُ الصَّفائحِ لا سُودُ الصَّحائفِ في
مُتُونِهِنَّ جِلاءُ الشكِّ والرَّيبِ

وتبع القزويني في ذلك شرح تلخيصه^(٧).

وقال السيوطي: «ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله. والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن الكريم فأنها مشتملة على جميع مقاصده»^(٨).

(١) تحرير ص ١٧٢.

(٢) حسن التوسل ص ٢٥٠، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٣.

(٣) جواهر الكنز ص ٢١٨.

(٤) الفوائد ص ١٣٩.

(٥) الفوائد ص ١٤٠.

(٦) الايضاح ص ٤٣١، التلخيص ص ٤٣١.

(٧) شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٣٣، المطول ص ٤٧٩، الأطول ج ٢ ص ٢٥٧.

(٨) معترك الاقران ج ١ ص ٧٥، الاتقان ج ٢ ص ١٠٦.

أمثلة للأخير: «فهذه أمثلة ابتداءات القصائد، وأما أمثلة براعة اسلاتهلال فمنها قول محمد بن الخياط:

لَمَسْتُ بكفي كَفِّه أبتغي الغنى
ولم أذِرْ أَنَّ الجودَ من كَفِّه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى
أَقَدْتُ وأعداني فَأَنفَدْتُ ما عندي

ولقد أحسن البحري اتباعه في هذا المعنى حيث قال:

أَعَدَّتْ يدها يدي وشَرَّدَ جُودُهُ
بُخْلِي فأفقرني كما أغناني
وَوَثَّقْتُ بالخُلُقِ الجميلِ معجلاً
منه فأعطيتُ الذي أعطاني

وإذا نظرت إلى فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه، ومن أراد الوقوف على ذلك فليقف على كتابي المنعوت بالخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح»^(١).

وقال الحلبي والنويري ما قاله المصري عن حسن الابتداءات أي أنها «تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداءات القصائد. وقد فرَّع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيئة أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده، والكاتب أشد ضرورة إلى ذلك من غيره ليني كلامه على نسق واحد دل عليه من أوله وهلة علم بها مقصده»^(٢).

وقال ابن الاثير الحلبي عن براعة الاستهلال: «ويسمى حسن الابتداءات وهو من نعوت الألفاظ، وهو أن يكون مطلع الكلام دالاً على المقصود في حسن الابتداء»^(٣). وهذا خلاف ما ذكره السابقون من أن براعة الاستهلال مما فرعه المتأخرون عن حسن الابتداءات.

وقال ابن قيم الجوزية: «هو أن يذكر الانسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاماً دالاً على الغرض

سعى لجُهدَه لكنْ تجاوزَ حَدَه
وكَثُرَ فارتابَتْ ولو شاءَ قَلَّلا

ولم يخرج المدني على ما قاله المتقدمون ولا سيما الحموي، قال: «واعلم أنَّ المتأخرين فرَّعوا على حسن الابتداء براءة الاستهلال، وهو أنَّ يكون أول الكلام دالاً على ما يناسب حال المتكلم متضمناً لما سبق الكلام لأجله من غير تصريح بل بالطف إشارة يدركها الذوق السليم»^(٢). ثم قال: «إذا علمت ذلك فاعلم أنَّ براءة الاستهلال في مطلع القصيدة هو كونه دالاً على بنيت عليه من مدح أو هجاء أو تهنئة أو عتب أو غير ذلك. فإذا جمع المطلع بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان هو الغاية التي لا يدركها إلا مُصَلِّي هذه الحَلْبَة والحالب من أشطر البلاغة أوفر حلبي»^(٣).

بِرَاعَةُ التَّخْلِصِ:

هو التخلص وحسن التخلص، ويراد به حسن الانتقال من غرض إلى آخر في القصيدة، ولم يكن القدماء يعنون بالتخلص وإنما هو من حسنات المحدثين أو كما قال ابن طباطبا: «ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم، لأن مذهب الأوائل في ذلك واحد وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير النوق وحكاية ما عانوه في أسفارهم: انا تجشمتنا ذلك إلى فلان يعنون الممدوح كقول الأعشى:

إلى هُوذة الوهابِ أُرْجِي مطيتي
أُرْجِي عَطَاءً صَالِحًا من نَوَالِكَا^(٤)

وكانوا يقولون عند الانتقال «دع ذا» و«عدَّ عن ذا»، قال الباقلاني: «ألا ترى أنَّ كثيراً من الشعراء وقد وصف

(١) خزانة الأدب ص ٨.

(٢) أنوار الربيع ج ١ ص ٥٣.

(٣) أنوار الربيع ج ١ ص ٥٦.

(٤) عيار الشعر ص ١١١.

وسمَّاه الحموي براءة الاستهلال وقال وهو يتحدث عن حسن الابتداء «وقد فرَّع المتأخرون منه براءة الاستهلال في النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فانهم شرطوا في براءة الاستهلال أنَّ يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بنيت عليه مشعراً بغرض الناظم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها على مقصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح أو هجو وكذلك في النثر. فإذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وإن لم يحصل له براءة الاستهلال فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء. وما سُمي هذا النوع براءة استهلال إلا لأنَّ المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به. ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال، يقال: استهل المولود صارخاً إذا رفع صوته عند الولادة وأهل الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وسُمي الهلال هلالاً لأنَّ الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته»^(١).

ومما وقع من براعات الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيده براءة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليميني حيث قال:

إذا لم يُسالمك الزمانُ فحاربِ

وباعدِ إذا لم تنتفع بالأقاربِ

فاشارات العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة، ويفهم منها أنَّ بقية القصيدة تعرب عن ذلك.

ومن أطف البراعات وأحشمها براءة مهيار الديلمي فإنه بلغه أنه وشي به إلى ممدوحه فتوصل من ذلك بالطف عذر وأبرزه في معرض التغزل والنسيب فقال:

أما وهواها حِلْفَةٌ وتَنَصُّلا

لقد نقل الواشي الواشي إليك فأمحلا

وما أحلى ما قال بعده:

والاسلاميين فمذهب المتعالم فيه: «عَدُّ عن كذا الى كذا» وقصارى كل رجل منهم وصفه ناقته بالعتق والكرم والنجابة والنجاء وأنه امتطأها وأدَّرع عليها جلباب ليل وتجاوز بها جوف تنوفة الى الممدوح. وهذا الطريق المهيع والمحجة اللهجم، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف تخلص به الى غرضه ولم يتعمده إلا أن طبعه السليم ساقه اليه وصراطه المستقيم أضاء له مناره وأوقد له باليفاع ناره في الشعر^(٢).

ومنهم من يُسمى هذا الفن خروجًا وتوسلاً^(٣) قال ابن رشيق: «وأولى الشعر بأن يسمى تخلصًا ما تخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى ثم عاد الى الأول وأخذ في غيره ثم رجع الى ما كان فيه»^(٤) كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها الى النعمان بن المنذر:

وكفكفت مني عبرةً فرددتها
الى النحرِ منها مستهلٌّ ودامعٌ
على حين عابت المشيبَ على الصبا
وقلت: ألما أضحُ والشيبُ وازعُ؟
ثم تخلص الى الاعتذار فقال:

ولكنَّ همًا دون ذلك شاغلٌ
مكان الشغاف تبتغيه الأصابعُ
وعيدُ أبي قابوس من غير كُنْهِهِ
أتاني ودوني راكشٌ فالضَّواجعُ
ثم وصف حاله عندما سمع من ذلك فقال:

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ
من الرُقشِ في أنيابها السَّمُّ ناقعُ
يُسَهِّدُ في ليل التمامِ سَليْمُها
لحلي النساءِ في يديه قعاقعُ

(١) إعجاز القرآن ص ٥٦.

(٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ٢١٥.

(٣) العمدة ج ١ ص ٢٣٦.

(٤) العمدة ج ١ ص ٢٣٧.

بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه، حتى أن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحري مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب الى المديح وأطبقوا على أنه لا يُحسِنه ولا يأتي فيه بشيء وإنما اتفق له في مواضع محدودة خروج يرتضي وتنقل يستحسن^(١). وقال الحاتمي: «من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعرُ كلامه أن يكون ممتزجًا بما بعده من مدح أو ذم أو غيرهما، غير منفصل منه. فإن القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض أجزائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتُعْفِي معالم جماله. ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين محترسين من مثل هذه الحال احتراسا يجنبهم شوائب النقصان ويقف على محجة الاحسان حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال. وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها عن جزء كقول مسلم بن الوليد وهو من بارع التخلص:

أجدك هل تدرين أن رُبَّ ليلةٍ
كأنَّ دُجَاها من قرونك يُنْشَرُ
نصبت لها حتى تجلَّت بغرّةٍ
كغرّة يحيى حين يُذكرُ جَعْفَرُ
وقول بكر بن النطاح:

ودويّة خُلِقَتْ للسراب
فأمواجه بينها تزخرُ
كأنَّ حنيفةً تحميهم
فأليتهم حُشْنُ أَرْوَرُ

وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم واعتمادهم البديع وأفانيه في أشعارهم، فكأنه مذهب سهَّلوا حزنه ونهجوا رسمه. وأما الفحول الاوائل ومن تلاهم من المخضرمين

ذلك كان الأمر بالعكس»^(٧).

وسماه ثعلب «حسن الخروج»^(٨)، وتبعه في ذلك تلميذه ابن المعتز فقال وهو يتحدث عن محاسن الكلام: «ومنها حسن الخروج من معنى الى معنى»^(٩). وسماه التبريزي «براعة التخلص»^(١٠)، وقال البغدادي: «وأما براعة التخلص فان من حكم التشبيب أن يكون ممتزجا بما بعده من مدح أو هجاء وغيرهما وغير منفصل منه، فان القصيدة مثلها كمثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر بطل الجسم. وحذاق الشعر لا يفصلون بينهما بل يصلون الأول بالآخر حتى تراه كالرسالة والخطبة لا ينقطع جزء من جزء»^(١١).

وقال المصري: «براعة التخلص هو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسيب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول بيت من المدح. وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين وقد يقع في بيت واحد. وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم فان المتأخرين قد لهجوا بها وأكثروا منها، وهي لعمرى من المحاسن»^(١٢).

وقال الحلبي والنويري: «براعة التخلص، هو أن

(١) البديع في نقد الشعر ص ٢٨٨.

(٢) التبيان ص ١٨٤.

(٣) الأقصى القريب ص ٨٣.

(٤) الجامع الكبير ص ١٨١.

(٥) جوهر الكنز ص ١٥٧.

(٦) الفوائد ص ١٤٠.

(٧) الايضاح ص ٤٣٢، التلخيص ص ٤٣٢، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٥٣٥، المطول ص ٤٧٩،

الأطول ج ٢ ص ٢٥٧.

(٨) قواعد الشعر ص ٥٠.

(٩) البديع ص ٦٠.

(١٠) الوافي ص ٢٨٥.

(١١) قانون البلاغة ص ٤٥٢.

(١٢) تحرير التحبير ص ٤٣٣.

تناذرهما الراقون من سوء سمّها

تطلقه طوّراً وطوّراً تُراجعُ

فوصف الحية والسليم الذي شَبَّه به نفسه ما شاء، ثم تخلص الى الاعتذار الذي كان فيه فقال:

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمُتني

وتلك التي تَسْتَكُّ منها المسامحُ

وسماه ابن منقذ «التخليص والخروج» وقال: «ويستحب أن يكون الخروج والتشبيب في بيت واحد وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين»^(١). وسماه ابن الزمكاني «التخليص»^(٢)، وسماه التنوخي. المخلص»^(٣).

وقال ابن الاثير: «فأما التخلص فهو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني فبيناً هو فيه إذ أخذ معنى آخر وجعل الأول سبباً اليه فيكون بعضه أخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفرغاً، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه وطول باعه واتساع قدرته»^(٤).

وقال ابن الاثير الحلبي عن التخلص: «هو امتزاج ما يقدم الشاعر على المدح من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف أو غير ذلك بأول بيت من قصيدة أو بأول كلام من النثر ثم يخرج منه الى المدح»^(٥). ونقل ابن قيم الجوزية كلام ابن الاثير وقال «الانتقال من فن الى فن ويسمى التخلص»^(٦) وَفَرَّقَ بينه وبين «الاقتضاب» فقال: «فالفرق بينه وبين الاقتضاب أن التخلص لا يكون إلا لعلاقة بينه وبين ما تخلص منه، وأما الاقتضاب فليس شرطه أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عن الأول».

ووضعه القزويني وشراح تلخيصه ملحقاً بالبلاغة وقال: «التخلص ونعني به الانتقال مما شبب الكلام به من تشبيب أو غيره الى المقصود كيف يكون؟ فاذا كان حسناً متلائم الطرفين حَرَّكَ من نشاط السامع وأعان على اصغائه الى ما بعده، وإن كان بخلاف

لأبيه وقوميه ما تَعْبُدُونَ قالوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ قال هل يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أو يَنْفَعُونَكُمْ أو يَضُرُّونَ قالوا بل وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قال أفرأيتم ما كنتم تَعْبُدُونَ أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الذي خَلَقَنِي فهو يَهْدِينِ والذي هو يُطْعِمُنِي وَيَشْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فهو يَشْفِينِ والذي يُمِيتُنِي ثم يُحْيِينِ^(٦). ثم قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٧) ثم أردفه بقوله: ﴿وَأَزَلِّقَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ. وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾^(٨). ثم قال: ﴿فَكُنُكِبُوا فِيهَا هُم وَالْغَاوُونَ. وَجَنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾^(٩) الى قوله: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٠). قال ابن الأثير: «هذا كلام يسكر العقول ويسحر الألباب»^(١١) وكان هذا الاستشهاد وشرحه ردًا على من ذهب الى أن كتاب الله خالٍ من التخلُّص كأبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، وقد قال ابن الأثير عن قوله: «وهذا القول فاسد»^(١٢). وذكر السيوطي مثل ذلك وردَّ قول الغانمي أيضًا^(١٣).

فبراعة التخلُّص من الفنون التي تشمل الشعر كما تشمل النثر، وهو من محاسن الكلام، وأحد دعائم

(١) حسن التوسل ص ٢٥٤، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥.

(٢) الطراز ج ٢ ص ٣٣٠، أنوار الربيع ج ٣ ص ٢٤٠.

(٣) بديع القرآن ص ١٦٨، تحرير التحبير ص ٤٣٣.

(٤) يوسف ٣.

(٥) تحرير التحبير ص ٤٣٨، بديع القرآن ص ١٦٩.

(٦) الشعراء ٦٩ - ٨١.

(٧) الشعراء ٨٣.

(٨) الشعراء ٩٠ - ٩١.

(٩) الشعراء ٩٤ - ٩٥.

(١٠) الشعراء ١٠٢.

(١١) المثل السائر ج ٢ ص ٢٦٦، وينظر الطراز ج ٢ ص ٣٣٢.

(١٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٦٥.

(١٣) معترك ج ١ ص ٦٠، شرح الكافية ص ١٣٠.

يكون التشبيب أو النسب ممزوجا بما بعده من مدح وغيره غير منفصل عنه»^(١). وذكر قول مسلم بن الوليد:

أجدك هل تدرين أن رُبَّ لَيْلَةٍ
كَأَنَّ دَجَاهَا مِنْ قَرُونِكَ تَنْشُرُ
نَصَبَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بَغْرَةَ
كَغَرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفَرُ

وقول المتنبي:

نودعهم والبين فينا كأنه

قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

وهذا الاستشهاد كأنه يشير الى ما ذكره المصري من أن هذا الفن يقع في بيتين متجاورين أو يقع في بيت واحد.

ولا يخص براعة التخلُّص أو التخلُّص أو حسن التخلُّص أو حسن الخروج^(٢) النظم وإنما يشمل النثر أيضا، وقد ذهب بعض المتكلمين الى أنها أحد وجوه الاعجاز. وهو دقيق يكاد يخفى في غير الشعر إلا على الحذاق من ذوي النقد، وهو مبثوث في الكتاب العزيز^(٣). ومن براعة التخلُّص في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^(٤)، فانه - سبحانه وتعالى - أشار بقوله: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الى قصة يوسف - عليه السلام - فوطأ بهذه الجملة الى ذكر القصة مشيرًا اليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز، وإنما كانت أحسن القصص بكون كل قضية منها كانت عاقبتها الى خير، فإن أولها رمية في الجُب فكانت عاقبته السلامة، وبيع ليكون عبدًا فاتخذ ولدا، ومرأودة امرأة العزيز له فعصمه الله، ودخوله السجن وخروجه ملكًا وظفر أخوته به أولاً وظفر بهم آخرًا، وتطلعه الى أخيه بنيامين واجتماعه به وعمى أبيه وردَّ بصره وفراقه له ولأخيه واجتماعه بهما، وسجود أبويه وأخوته له تحقيقًا لرؤياه من قبل^(٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ

ما كنتم تُعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي
إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو
يُطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي
يُميتني ثم يُحيين. والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧﴾.

بِرَاعَةُ الْقَطْعِ:

سماه شبيب بن شبية «جودة القطع»^(٨)، وسماه
الحلبي «براعة القطع»^(٩)، وسماه النويري «براعة
المقطع»^(١٠) وهو «الانتهاء» وقد تقدم.

بِرَاعَةُ الْمَطَّلَعِ:

وهو الابتداء أو حسن الابتداء، قال المدني: «قال
أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء ويسمى «براعة
المطلع» وهو أن يتأنق المتكلم أول كلامه ويأتي
بأعذب الألفاظ وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها
نظمًا وسبكًا وأصحها مبنى وأوضحها معنى وأخلاها
من الحشو والركة والتعقيد والتقديم والتأخير المُلبس
والذي لا يناسب»^(١١).

بِرَاعَةُ الْمَقْطَعِ:

هو جودة القطع وبراعة القطع والانتهاء وقد تقدم،

- (١) حسن التوسل ص ٢٥٥. نهاية الارب ج ٧
ص ١٣٥، شرح الكافية ص ٣١٨.
- (٢) الفوائد ص ٢٣٣.
- (٣) خزانة الأدب ص ٤٥٩، نفحات ص ٣٠٨.
- (٤) خزانة ص ٤٥٩.
- (٥) شرح عقود الجمان ص ١٧٤.
- (٦) أنوار الربيع ج ٦ ص ٣١٩.
- (٧) الشعراء ٧٥ - ٨٢.
- (٨) البيان ج ١ ص ١١٢.
- (٩) حسن التوسل ص ٢٥٥.
- (١٠) نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥.
- (١١) أنوار الربيع ج ١ ص ٣٤، نفحات الازهار
ص ٤، شرح الكافية ص ٥٧.

الارتباط بين أجزاء القصيدة أو الخطبة والرسالة أو غير
ذلك من فنون.

بِرَاعَةُ الطَّلَبِ:

قال الحلبي والنويري: «هو أن تكون ألفاظ الطلب
مقترنة بتعظيم الممدوح»^(١) كقول أمية بن أبي
الصَّلْتِ:

أذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرضه النشاء

وكقول المتنبي:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي بيان عندها وخطاب

وسماه ابن قيم الجوزية «براعة الطلب وحسن التوسل»
وقال: «وهو أن تكون ألفاظ الطلب مهذبة مقترنة
بتعظيم الممدوح»^(٢).

وقال الحموي: «وهذا النوع من مستخرجات
الشيخ عز الدين الزنجاني في كتاب المعيار، وهو أن
يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة
بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل
يشعر بما في النفس دون كشفه»^(٣). وفَرَّقَ بينه وبين
الادماج فقال: «إنَّ الادماج أن يقدر معنى من المعاني
ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم أنه لم يقصده، وهذا
مقصود على الطلب فقط»^(٤).

وذكر السيوطي مثل ذلك ونظمه بقوله:

وزاد في التبيان حسن الطَّلَبِ

بعد وسيلة أتى بالطلبِ

وقال: «هذا البيت من زيادتي»^(٥) ثم ذكر ما ذكره
السابقون من تعريف وأمثلة.

وذكر المدني^(٦) ذلك أيضًا، وقال إنَّ منه قوله
تعالى حكاية عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿أفرأيتم

الاستقصاء هو حصر كل ما يتفرع من المعنى ويتولد عنه، ويكون من سببه ولوازمه بحيث لا يترك فيه موضعاً قد أخلقه بجدة الأخذ له فيستدركه ليستحقه بذكره. والبسط نقل المعنى من الايجاز الى الاطناب بسبب بسط العبارة عنه وإن لم يستقص كل ما يكون من لوازمه»^(٦).

وقال السبكي: «وفسروه بما هو في معنى الاطناب»^(٧) ولم يُمثل له.

وقال الحموي: «والبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام لكن شروطه زيادة الفائدة»^(٨).

وقال المدني: «البسط هو الاطناب وهو خلاف الايجاز، ومنهم من خصه بالاطناب بتكثير الجمل فقسم الاطناب الى قسمين: بسط وزيادة، فالأول الاطناب بالجمل والثاني الاطناب بغيرها. والبديعيون لا يعرفون ذلك»^(٩).

البلاغة:

البلاغة الانتهاء والوصول، يقال: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، وتبلغ بالشيء وصل الى مراده، والبلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل الى الشيء المطلوب. والبلاغة: الفصاحة، ورجل بليغ: حسن الكلام فصيح يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. وقد

(١) نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥، المطول ص ٤٨٢، الاطول ج ٢ ص ٢٦٠.

(٢) خزانة الأدب ص ٤٦٠، وينظر المطول ص ٤٨٢، الاطول ج ٢ ص ٢٦٠.

(٣) اللسان (بسط).

(٤) تحرير التحبير ص ٥٤٤، بديع القرآن ص ٢٥١.

(٥) جائزة؛ مغنية لطفلها عن الطعام والشراب.

(٦) تحرير ص ٥٤٩.

(٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١.

(٨) خزانة الأدب ص ٤٢٠، نفحات ص ١٨٣ شرح الكافية ص ٢٣٧.

(٩) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢.

وسماه بهذه التسمية النويري والتفتازاني والاسفراييني^(١)، وسماه التيفاشي «حسن المقطع»^(٢).

البسط:

البسط نقيض القبض، بسطه يبسطه بسطاً فانبسط، وبسط الشيء: نشره^(٣).

والبسط في البلاغة نقيض الايجاز، وهو غير الاطناب، وقد عدّه المصري من مبتدعاته وقال عنه: «هو أن يأتي المتكلم الى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير، ليضمن اللفظ معاني أخر يزيد بها الكلام حسناً، لولا بسط ذلك بكثرة الالفاظ لم تحصل تلك الزيادة»^(٤) ومن ذلك قول امرئ القيس:

نَظَرْتُ اليك بعينِ جازيةٍ

حوراءَ حانيةٍ على طفلي^(٥)

فإن حاصله تشبيه عين هذه الموصوفة بعين الظبية فبسط الكلام ليزيده البسط معنى لولاه لم يوجد فيه فإن لنظر الظبية الى خشفها عاطفة عليه بحنو واشفاق من الحسن ما ليس لمطلق نظرها، أو لمنظرها في غير هذه الحالة.

ومنه قول البحري:

أَحْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدِيكَ فَسَوَّدَتْ

ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ

صلة غدت في الناسِ وهي قَطِيعَةٌ

عَجَبًا وبرِّ راح وهو جفاء

فان حاصل البيتين أنك قطعتني عنك خجلاً من كثرة عطائك فبسط هذا الكلام لتحصيل زيادات من البديع لولا البسط ما حصلت كالطباق في البيت الأول بذكر السواد والبياض، والمقابلة في البيت الثاني بذكر الصلة والقطيع والغدو والرواح والبر والجفاء.

وفرق المصري بينه وبين الاستقصاء بقوله: «إنَّ

بلغ بلاغة: صار بليغاً^(١).

منها الفضول^(٨).

ولعل أول ما تردد من معنى البلاغة في سؤال معاوية بن أبي سفيان لصحار ابن عياش، فقد قال له: «ما هذه البلاغة التي فيكم؟» قال: «شيءٌ تجيشُ به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا». وقال له معاوية: «ما تُعدُّون البلاغة فيكم؟» قال: «الايجاز». قال له معاوية: «وما الايجاز؟» قال: «أنَّ تجيب فلا تُبْطِئْ وتقول فلا تُخْطِئْ»^(٢).

وقال العسكري: «البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهت إليها وبلغتها غيري ومبلغ الشيء منتهاه. والمبالغة في الشيء الانتهاء الى غايته فسميت البلاغة بلاغة لأنها تُنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه وسميت البُلْغَةُ بُلْغَةً لانك تبليغ بها فتنتهي بك الى ما فوقها وهي البلاغ أيضاً»^(٩). وأبدى رأيه في تعريفها وَحَدَّها بقوله: «البلاغة كل ما تبليغ به قلب السامع فتمكَّنه في نفسه كتمكَّنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن»^(١٠). والبلاغة عنده من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ولذلك لا يجوز أن يسمى الله - سبحانه - بليغاً إذ لا يصح أن يُوصَفَ بصفة موضوعها الكلام.

وفي كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ تعريفات كثيرة للبلاغة عند العرب وغيرهم^(٣) وفسرها عمرو بن عُبيد في أول الأمر تفسيراً دينياً ثم قال: «فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن الافهام: وقال: «إِنَّكَ اذا أُوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريرين بالالفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الازهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أُوتيت فَضْلَ الخطاب واستحقت على الله جزيل الثواب»^(٤).

ولم يُعرِّف الخفاجي البلاغة تعريفاً دقيقاً واكتفى بالاشارة الى اضطراب القوم في حَدِّها، وَفَرَّقَ بينها وبين الفصاحة فقال: «والفرق بين الفصاحة والبلاغة أنَّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للالفاظ مع المعاني. لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً»^(١١).

وقال الاصمعي عن البليغ إنه «من طبق المفصل وأغناك عن المفسر»^(٥).

ولم يُعرِّفها عبد القاهر، والفصاحة والبلاغة والبراعة

وقال العتابي إنَّ «كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبْسَةٍ ولا استعانة فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق»^(٦).

- (١) اللسان (بلغ).
- (٢) البيان ج ١ ص ٩٦.
- (٣) البيان ج ١ ص ٨٨.
- (٤) البيان ج ١ ص ١١٤، عيون الاخبار ج ٢ ص ١٧٠.
- (٥) البيان ج ١ ص ١٠٦.
- (٦) البيان ج ١ ص ١١٣، وينظر الممتع ص ٣١١.
- (٧) البيان ج ١ ص ١١٥.
- (٨) البلاغة ص ٥٩.
- (٩) كتاب الصناعتين ص ٦.
- (١٠) كتاب الصناعتين ص ١٠.
- (١١) سر الفصاحة ص ٦٠.

واكتفى الجاحظ بذكر قول بعضهم وهو من أحسن ما اجتباه وَدَوَّنَه: «لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سَمْعِكَ أسبق من معناه الى قلبِكَ»^(٧).

وقال المبرد: «إنَّ حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقارنة أختها ومعاوضة شكلها وأن يقرب بها البعيد ويحذف

يقرب منه.

وكان القزويني آخر من وقف عند البلاغة من المتأخرين ومَيَّزَ بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال عن الأولى: «وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته»^(٥) ومقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يُبين مقام التعريف، ومقام الاطلاق يُبين مقام التقييد، ومقام التقديم يُبين مقام التأخير، ومقام الذِّكْرِ يُبين مقام الحذف، ومقام القَصْرِ يُبين مقام خلافه، ومقام الفصل يُبين مقام الوصل، ومقام الايجاز يُبين مقام الاطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يُبين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه عبد القاهر النظم. وقال عن الثانية: «وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يُقْتَدِرُ بها على تأليف كلام بليغ»^(٦).

وقال إنَّ كل بليغ - كلامًا كان أم متكلمًا - فصيح، وليس كل فصيح بليغًا، وإنَّ البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره.

وَقَسَّمَ البلاغة الى ثلاثة أقسام فكان ما يُحْتَرَزُ به عن الخطأ علم المعاني، وما يُحْتَرَزُ به عن التعقيد المعنوي علم البيان، وما يُعْرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته علم البديع. فالبلاغة عنده ثلاثة أقسام: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

ولم يخرج المتأخرون^(٧) عن هذا التعريف

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٥.

(٢) نهاية الايجاز ص ٩.

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٦٩، كفاية الطالب ص ٤١.

(٤) مفتاح العلوم ص ١٩٦.

(٥) الايضاح ص ٩، التلخيص ص ٣٣.

(٦) الايضاح ص ١١.

(٧) شروح التلخيص ج ١ ص ١٢٢، المطول

ص ٢٥، الأطول ج ١ ص ٣٠.

والبيان عنده بمعنى واحد لأنه يُعبر بها عن «فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يُعَلِّمُوهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم»^(١).

ولم تأخذ البلاغة دلالتها المعروفة عند الرازي وهي عنده. «بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز المخل والاطالة المملة»^(٢).

وقال ابن الاثير إنَّ الكلام يُسَمَّى بليغًا لأنه بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية، والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني وهي أخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنسانًا، وكذلك يقال: «كل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغًا» وَفَرَّقَ بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام، وهي أنَّها لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب، فان اللفظة المفردة لا تنعت بالبلاغة وتنعت بالفصاحة إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلامًا^(٣).

وحيثما قَسَّمَ السكاكي البلاغة ووضع معالمها في كتابه «مفتاح العلوم» عرَّفها تعريفًا دقيقًا فقال: «هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»^(٤).

وبهذا التعريف أدخل مباحث علم المعاني وعلم البيان وأخرج مباحث البديع لأنه وجوه يُؤْتِي بها لتحسين الكلام وهي ليست من مرجعي البلاغة.

وللبلاغة طرفان: أعلى وأسفل متباينان تباينًا لا يترأى لأحد نراهما، وبينهما مراتب متفاوتة تكاد تفوت الحصر، فمن الأسفل تبتديء البلاغة وهو القدر الذي إذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بأصوات الحيوانات ثم تأخذ في التزايد متصاعدة الى أن تبلغ حد الاعجاز، وهو الطرف الأعلى وما

والتقسيم واصبح مصطلح البلاغة يضم هذه العلوم الثلاثة.

البليغ:

قال الحصري: «هو من يحوك الكلام على حسب المعاني ويخيط الألفاظ على قدود المعاني»^(١). وهذا ما أصبح تعريفاً للبلاغة حينما قالوا: «البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال».

ولا يكون البليغ متصفاً بالبلاغة إلا إذا كان صاحب ذوق رفيع وثقافة واسعة وذا حفظ عظيم لتنتطب الصور في ذهنه ويحذو حذوها في أول الأمر ثم ينطلق بعيداً عنها.

البيان:

البيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها. وبيان الشيء: اتضح فهو بيّنٌ، واستبان الشيء: ظهر. والبيان الفصاحة واللسن، كلام بيّنٌ: فصيح. والبيان الافصاح مع ذكاء والبيّن من الرجال: الفصيح والسمح اللسان. وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً، والبيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور^(٢).

وفي القرآن الكريم اشارات كثيرة الى البيان منها قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٤). وفي الحديث الشريف قوله - عليه السلام: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^(٥).

وظلت كلمة «البيان» تحمل هذه المعاني العامة حتى اذا ما دخلت في الدراسات البلاغية أصبح لها مدلول غير الواضح. وأول ما تصادفنا هذه الكلمة بمعناها القريب من الاصطلاح عند الجاحظ حيث سمى احد كتبه «البيان والتبيين» وجمع فيه كثيراً من الأقوال وتحدث عن البيان، ولعل تعريف جعفر بن

يحيى الذي ذكره الجاحظ كان من أقدم ما دون قال: «قال ثمامة: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويُجلى عن مغزاك وتُخرجه عن الشِرْكَةِ ولا تستعين عليه بالفكرة. والذي لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف بعيداً من الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً من التأويل. وهذا هو تأويل قول الاصمعي: «البليغ من طَبَّقَ المِفْصَلَ وأغناك عن المفسر»^(٦).

والبيان عند الجاحظ واسع المعنى وهو الكشف والايضاح والفهم والافهام، قال: «البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وَهَتَكَ الحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والافهام فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»^(٧). والدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة: اللفظ، والاشارة، والعقد، والخط والنُصبة.

وتابعه ابن ذهب وقال إن الدلالات أربعة أوجه: بيان الأشياء بذواتها، وبيان الاعتقاد، وبيان العبارة، وبيان الكتاب.

والبيان عند الرماني الاحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره من الادراك^(٨)، وأقسامه أربعة:

- (١) زهر الآداب ج ١ ص ١٢١.
- (٢) اللسان (بين).
- (٣) آل عمران ١٣٨.
- (٤) الرحمن ١ - ٤.
- (٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ١٧٤.
- (٦) البيان ج ١ ص ١٠٦، عيون الاخبار ج ٢ ص ١٧٣، العمدة ج ١ ص ٢٤٩.
- (٧) البيان ج ١ ص ٧٦.
- (٨) النكت في إعجاز القرآن ص ٩٨، وينظر المنزوع البديع ص ٤١٤.

ولما جاء القزويني وجد الطريق معبداً ووجد فنون البيان قد انحصرت واستقرت فسار على هدى السكاكي وعَرَفَ البيان بقوله: «هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه»^(٤). وقسمه كتقسيم السكاكي، لأنَّ اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز وإلا فهو كناية. ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تُبْتَنَى على التشبيه فيتعين التعرض له، فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية. وقَدَّمَ التشبيه على المجاز لابتناء الاستعارة عليه، وقَدَّمَ المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل. ولعل هذا سِرُّ إدخال الكناية في البيان لأنها تحتاج الى قرينة تدل على المعنى المراد منها كما أنَّ المجاز يحتاج الى هذه القرينة غير أنَّ قرينة المجاز تَمْنَعُ من إرادة المعنى الأصلي وقرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

وأخذ البيان عند الساكي والقزويني طابعاً علمياً، وأصبح يُدَلُّ على التشبيه والمجاز والكناية بعد أن كان يشمل فنون البلاغة كلها عند المتقدمين.

ولم يخرج المتأخرون^(٥) على هذا التحديد الذي انتهى اليه السكاكي وأقره القزويني، ولا يزال علم البيان يشمل الموضوعات الثلاثة: التشبيه والمجاز بأنواعه كالمجاز العقلي والمجاز المرسل والاستعارة، ثم الكناية والتعريض.

- (١) العمدة ج ١ ص ٢٥٤.
- (٢) دلائل الاعجاز ص ٣٥.
- (٣) مفتاح العلوم ص ٧٧.
- (٤) الايضاح ص ٢١٢، التلخيص ص ٢٣٥.
- (٥) شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٥٦، المطول ص ٣٠٠، الاطول ج ٢ ص ٥٠.

كلام، وحال، وإشارة، وعلامة. وهذا قريب مما ذهب الجاحظ وابن وهب.

ونقل ابن رشيق كلام الرماني ثم قال: «البيان: الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عُقْلَةٍ، وإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ يَأْتِي التَّعْقِيدُ فِي الْكَلَامِ الَّذِي يَدُلُّ وَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْبَيَانِ»^(١). والغريب أَنَّهُ لَا يُطْلَقُ الْبَيَانُ عَلَى الْبَلَاغَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَهُ فَنٌّ مِنْ فَنُونِهَا كَالْمَجَازِ وَالِاسْتِعَارَةِ وَالتَّشْبِيهِ وَالِإِشَارَةِ وَالتَّجْنِيسِ، وَلَعَلَّ هَذَا الْفَهْمُ هُوَ الَّذِي ضَيَّقَ نِطَاقَ بَحْثِهِ وَحَصَرَهُ فِي الْفَصْلِ الَّذِي عَقَدَهُ وَذَكَرَ فِيهِ بَعْضَ الْأَقْوَالِ الْبَلِيغَةِ.

ولم يُحَدِّدْ ابن سنان البيان ولم يُشِيرْ اليه، وَسَمَّى الْبَلَاغَةَ فَصَاحَةً بِمَعْنَاهَا الْوَاسِعَ، وَعَدَّ عَبْدَ الْقَاهِرِ الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ وَالْبِرَاعَةَ وَالْبَيَانَ شَيْئًا وَاحِدًا وَهُوَ التَّعْبِيرُ عَنِ فَضْلِ الْقَائِلِينَ عَلَى بَعْضٍ مِنْ حَيْثُ نَطَقُوا وَتَكَلَّمُوا وَأَخْبَرُوا السَّامِعِينَ عَنِ الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ وَرَامُوا أَنْ يُعْلِمُوهُمْ مَا فِي نَفْسِهِمْ وَيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنِ ضَمَائِرِ قُلُوبِهِمْ^(٢).

وأخذ البيان عند ابن الاثير معنى واسعاً، وهو لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام. ولكن هذه النظرة الواسعة بدأت تضيق حينما ألف السكاكي كتابه «مفتاح العلوم» وَقَسَّمَهَا إِلَى الْبَلَاغَةِ إِلَى الْمَعْنَى وَالْبَيَانِ وَمَا يَلْحَقُ بِهِمَا مِنْ مَحْسَنَاتٍ مَعْنَوِيَةٍ وَلَفْظِيَّةٍ. وَقَدْ قَالَ فِي تَعْرِيفِ الْبَيَانِ: «أَمَّا عِلْمُ الْبَيَانِ فَهُوَ مَعْرِفَةُ إِيرَادِ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ فِي طَرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ بِالزِّيَادَةِ فِي وَضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ وَبِالنَّقْصَانِ لِيَحْتَرِزَ بِالْوَقُوفِ عَلَى ذَلِكَ عَنِ الْخَطَا فِي مِطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِتَمَامِ الْمَرَادِ مِنْهُ»^(٣). وَأَدْخَلَ الدَّلَالَاتِ فِي تَقْسِيمِ مَوْضُوعَاتِهِ الَّتِي انْحَصَرَتْ فِي التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ بِأَنْوَاعِهِ وَالْكِنَايَةِ.

التاء

التأسيس:

الأُس والأُسَس والأُساس: كل مبتدأ شيء، والأُس والأُساس: أصل البناء، وقد أُسَّ البناء يؤسه أَسًا وأُسسه تأسيسًا^(١).

والتأسيس في الشعر هو أَلِفٌ بينها وبين حرف الروي حرف متحرك نحو قول النابغة:

كَلِينِي لَهُمَّ يَا أَمِيمَةً ناصِبِ

وليلِ أُقاسِيه بطِيءِ الكواكِبِ

وإذا أُسس بيت ولم يؤسس آخر فهو سناد^(٢).

والتأسيس عند البلاغيين هو أن يبتدئ الشاعر بيت غيره ويبنى عليه، وهو مشتق من أُسَّ البناء، فإن هذا قد جعل الشاعر يكون قد جعل بيت غيره أساسًا بنى عليه شعره. وقد ذكره المصري في أثناء كلامه على الاستعانة^(٣).

وابتدع السيوطي فنًا سماه «التأسيس والتفريع» وقال: «هذا نوع لطيف اخترعته لكثرة استعماله في الكلام النبوي، ولم أر في الأنواع المتقدمة ما يناسبه فسميته بالتأسيس والتفريع وذلك أن يمهد قاعدة كلية لما يقصده ثم يرتب عليها المقصود كقوله - ﷺ -: «لكل دين خلق، وخلق هذا الدين الحياء» و«لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» و«لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال» و«لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصيام». وذكر أمثلة كثيرة من هذا النوع ثم قال: «وفي الأحاديث من ذلك شيء كثير وإنما أُطلتُ هنا بهذه الأمثلة تقريرًا للنوع الذي اخترعته»^(٤). وهذا

المعنى للتأسيس غير ما قصد إليه المصري فالتأسيس عنده الاستعانة ولذلك ذكره في باب الاستعانة في حين أن السيوطي يريد به تفسير ما أسسه، أو ذكره، أو إيضاحه، وذلك واضح في كلمات الرسول محمد - ﷺ - فلكل دين خلق، ولكن ما خلقه؟ الجواب أو الإيضاح والتفسير: «خلق هذا الدين الحياء». ومثل ذلك يقال في العبارات الأخرى.

التأكيد:

أَكَّدَ العهد والعقد لغة في وَكَّدَهُ، والتأكيد لغة في التوكيد، وقد أَكَّدَت الشيء ووَكَّدَتَهُ^(٥).

قال العلوي: «التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره. وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده»^(٦). وله مجريان:

الأول: عام وهو يتعلق بالمعاني الإعرابية، ولا يتعلق هذا النوع بمقاصد البلاغة.

الثاني: خاص يتعلق بعلوم البيان ويقال له التكرير أيضًا. وهو قسمان:

١- ما يكون تأكيدًا في اللفظ والمعنى كقوله

(١) اللسان (أسس).

(٢) الموشح ص ٦.

(٣) تحرير التعبير ص ٣٨٥.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٤١.

(٥) اللسان (أكد).

(٦) الطراز ج ٢ ص ٧٦.

الأول: المفيد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾^(٦) فقوله: ﴿والجبال﴾ وارد على جهة التأكيد المعنوي وفائدته تعظيم شأن هذه الأمانة المشار إليها وتفخيم حالها.

ومن ذلك قول المقنع الكندي:

وإنَّ الذي بَيْنِي وبين بني أبي

وبين بني عمي لمختلفٍ جدًّا

إذا أكلوا لَحْمِي وَفَرْتُ لِحْمَهُمْ

وإن هَدَمُوا مجدي بَنِيْتُ لَهُمْ مَجْدًا

وإن ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غِيوبَهُمْ

وإن هم هَوُوا عني هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا

قال العلوي: «فانظر الى هذه الأبيات ما أجمعها لفنون الانصاف وأبلغها في مراعاة جانب الحق والاعتراف، فهذه الالفاظ وإن كانت متغايرة لكنها متطابقة في المقصود دالة عليه»^(٧).

الثاني: غير المفيد، وهو أن ترد لفظتان مختلفتان تدلان على معنى واحد كقول أبي تمام:

قَسَمَ الزَّمَانُ ربوعنا بين الصِّبَا

وقَبولِها ودَبورِها أثلاثًا

فالصِّبَا والقَبول لفظتان تدلان على معنى واحد وهما اسمان للريح التي تهب من ناحية المشرق.

(١) تكررت في سورة الرحمن عدة مرات.

(٢) القمر ١٧ - ١٨. ثم قال: ﴿فكيف كان عذابي ونذر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (الآيتان ٢١ - ٢٢) ثم قال: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ (الآية ٣٠).

(٣) العقوبات والتنكيل.

(٤) الطراز ج ٢ ص ١٨٢.

(٥) ويروى:

أقمنا به يوما ويوما وثالثًا

ويومًا له يوم الترحل خامس

(٦) الأحزاب ٧٢.

(٧) الطراز ج ٢ ص ١٨٦.

تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾^(١). فهذا تكرير من جهة اللفظ والمعنى، ووجه ذلك أن الله - تعالى - إنما أوردها في خطاب الثقلين الجن والانس فكل نعمة يذكرها أو ما يؤول الى النعمة فإنه يردفها بقوله: ﴿بأي آلاء ربكما تكذبان﴾ تقريرًا للآلاء وإعظامًا لحالها. ومن طلك قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر﴾^(٢). وإنما كرره لما يحصل فيه من إيقاظ النفوس بذكر قصص الأولين والاتعاظ بما أصابهم من المثلات^(٣) وحل بهم من أنواع العقوبات فيكون بمنزلة قرع العصا لئلا تستولي عليهم الغفلة ويغلب عليهم الذهول والنسيان.

ومن ذلك قول المتنبي:

العارضُ الهتنُ بنُ العارضِ الهتنِ

بنِ العارضِ الهتنِ بنِ العارضِ الهتنِ

قال العلوي: «فهذا من بابا التكرير ثم من الناس من صوّبه في تكريره هذا ومنهم من قال انه قد أساء فيما أورده من ذلك. والأقرب أنه مجيد في مطلق التكرير، كما حكيناه فيما أوردناه من آي التنزيل، فإن ما أورده من هذا التكرير دال على إغراق الممدوح في الكرم لكن إنما عرض فيه ما عرض لمن أنكره وزعم أنه غير محمود فيما جاء به من جهة أن لفظه «العارض» ولفظة «الهتن» ليستا واردتين على جهة البلاغة فيهما لقلة الاستعمال لهما، فمن أجل هذا كان ما قاله ليس بالغيا في البلاغة مبلغًا عظيمًا لا من جهة التكرير، فإنه محمود لا محالة»^(٤).

ومن ذلك ما قاله «أبو نواس»:

قُمنا بها يومًا ويومًا وثالثًا

ويومًا ويومًا للترحل خامس^(٥)

والمراد من هذا أنه أقام بها أربعة أيام، وهذا تكرير ليس وراءه كبير فائدة.

٢- ما يكون في المعنى دون اللفظ وهذا القسم

يستعمل كثيرًا في القرآن الكريم وغيره وهو ضربان:

ومنه قول الآخر:

قالت أمانة لا تجزَع فقلت لها
إن العزاء وإن الصبر قد غلبا

فالعزاء هو الصبر.

ووقع نزاع بين علماء البيان فمنهم من ردّه ومنهم من قبله، وللعلوي رأي في ذلك لخصه بقوله: «أما الناثر فلا يغتفر له مثل هذا وهو أن يأتي بكلمتين دالتين على معنى واحد من غير فائدة وليس هناك ضرورة تلجئه الى ذلك فلهذا كان معدودًا في الشر من العي المردود فلا نقبله. وأما الناظم فانه إن أتى بهما في صدر البيت فلا عذر له في ذلك لأنه مخالف للبلاغة والبراعة في الفصاحة ويبدل على ضيق العطن في الطلاقة والذلاقة، وإن كان في عجز الأبيات فما هذا حاله يغتفر له من أجل الضرورة الشعرية»^(١).

وقال الزركشي عن التأكيد: «القصد منه الحمل على ما لم يقع ليصير واقعا، ولهذا لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر لئلا يلزم تحصيل الحاصل وإنما يؤكّد المستقبل»^(٢). وقسمه قسمين:

الأول: صناعي يتعلق باصطلاح النحاة، وهو النوع العام عند العلوي.

الثاني: معنوي وهو ما يهم البلاغيين، وهذا ما سماه العلوي الخاص المتعلق بالبيان. وأشار الزركشي الى مسائل تخص التأكيد منها وقوعه في القرآن والسنة وأنه خلاف الأصل وأنه حيث وقع حقيقة وإن زعم قوم أنه مجاز؛ لأنه لا يفيد إلا ما أفاده المذكور الأول.

قال: «حكاه الطرطوشي في العمدة ثم قال: ومن سمى التأكيد مجازًا فيقال له: إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو «عجل عجل» ونحوه، فإن جاز أن يكون الثاني مجازًا جاز في الأول لأنهما في لفظ واحد، وإذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثاني عليه؛ لأنه قبل الأول»^(٣). ونقل هذا الكلام السيوطي فقال وهو يتحدث عن أنواع مختلف في عدها من المجاز:

«الثاني: التأكيد، زعم قوم أنه مجاز لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول، والصحيح أنه حقيقة. قال الطرطوشي في العمدة: ومن سماه مجازًا قلنا له إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو «عجل عجل» ونحوه فإن جاز أن يكون الثاني مجازًا جاز في الأول لأنهما في لفظ واحد وإذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثاني عليه لأنه مثل الأول»^(٤).

تأكيد الذم بما يشبه المدح:

تحدث ابن المعتز عن محاسن الكلام في تأكيد المدح بما يشبه الذم ولم يشتر الى تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهو أن توحى العبارة الثانية بالمدح وما هي منه. وهو ضربان:

الأول: أن يُستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها، مثل: «فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء الى من يحسن اليه». ويرى السبكي أن هذا المثال غير دقيق، والأحسن أن يقال: «فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق مما يسرقه»^(٥).

الثاني: أن يثبت للشيء صفة ذم ويعقب باداء استثناء تليها صفة ذم أخرى، مثل: «فلان فاسق إلا أنه جاهل».

ويفيد هذا الاسلوب التأكيد وذلك أنه كدعوى الشيء بيينة^(٦).

(١) الطراز ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٨٤.

(٣) البرهان ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(٤) الاتقان ج ٢ ص ٤١، وينظر الروض المربع ص ١٦٠.

(٥) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٩٦.

(٦) الايضاح ص ٣٧٤، التلخيص ص ٣٨٢، حسن

التوسل ص ٢٣٠، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٢،

شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٩٥، المطول

ص ٤٤١، الاطول ج ٢ ص ٢١٧، شرح عقود

الجمان ص ١٢٥، حلية اللب ص ١٤٤.

تأكيد المدح بما يُشبه الذم:

هذا الفن من الأساليب القديمة في الشعر العربي،
ومن ذلك قول النابغة:

ولا عَيْبَ فيهم غير أن سيوفهم

بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ

وقد قال الحاتمي عن هذا الفن الذي سماه «استثناء»
وتأكيداً للمدح بما يشبه الذم: «وأحسب أن أول من
بدأ به النابغة فأحسن كل الاحسان في قوله: «ولا
عيب...»^(١).

ومن المتقدمين الذين ذكروه سيويه الذي قال في
باب «ما لا يكون إلا على معنى ولكن» تعليقاً على
البيت: «أي: ولكن بهن فلول». وقال النابغة الجعدي:

فَتَى كَمَلْتُ أخلاقه غير أنه

جَوَادٌ فلا يُبقي من المال باقيا

كأنه قال: ولكنه مع ذلك جواد. ومثل ذلك قول
الفرزدق:

وما سَجَنوني غير أنني ابنُ غالبٍ

وأنِّي من الأثرين غيرِ الزعانفِ

كأنه قال: ولكنني ابن غالب، ومثل ذلك في الشعر
كثير^(٢).

وسماه ابن المعتز «تأكيد المدح بما يشبه الذم»
وهو من محاسن الكلام، ومثل له بيتي النابغتين^(٣).

وسماه العسكري «الاستثناء»^(٤)، وأطلق عليه ابن منقذ
اسم «الرجوع والاستثناء»^(٥)، وهو ليس كذلك عند
المصري الذي قال: «وقد خلط المتأخرون باب
الاستثناء بهذا الباب وكنت أرى أنهما باب واحد
إلى أن نبهني عليه عند قراءته من ألفت له هذا
الكتاب فرأيت إفراده منه»^(٦) وسماه المدني «المدح
في معرض الذم» وسماه آخرون «النفى والجُحود»^(٧).

وتناوله البلاغيون بعد ذلك بالدراسة^(٨) وأدخله
السكاكي في التحسين المعنوي^(٩)، وتحدث عنه
العلوي في التوجيه وقال: «هو أن يكون الكلام له

وجهان»^(١٠) وذكر أنه يرد في البلاغة على استعمالين:

الأول: أن يؤكد المدح بما يكون مشبهاً للذم بأن
تنفى عن الممدوح وصفاً معيناً ثم تعقبه بالاستثناء
فتوهم أنك استثنيت ما يذم به فتأتي بما من شأنه أن
يذم به وفيه المبالغة في مدح الممدوح. ومنه قول
النابغة الذبياني المتقدم، وقول ابن الرومي:

وما تَعْتريها آفةٌ بَشْرِيَّةٌ

من النوم إلا أنها تتخيرُ

كذلك أنفاسُ الرياضِ بسَحْرَةٍ

تَطيبُ وأنفاسُ الأنامِ تَغَيِّرُ

وقول الآخر:

ولا عَيْبَ فينا غير أن سَمَاحنا

أَصْرَّ بنا والناسُ من كلِّ جانبِ

فأفنى الردى أرواحنا غَيْرَ ظالمِ

وأفنى الندى أموالنا غَيْرَ غاصِبِ

أبونا أبٌ لو كان للناسِ كلُّهم

أباً واحداً أغناهم بالمناقِبِ

الثاني: أن يمدح شيء يقتضي المدح بشيء آخر
كقول المتنبي:

نَهَبْتَ من الأعمارِ ما لو حَوَيْته

لَهُنَّعتِ الدنيا بَأَنَّكَ خالِدُ

فأول البيت دال على المدح بالشجاعة وآخره دالٌّ

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٦٢.

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٣٢٦.

(٣) البديع ص ٦٢.

(٤) كتاب الصناعتين ص ٤٠٨.

(٥) البديع في نقد الشعر ص ١٢٠.

(٦) تحرير التحبير ص ١٣٣.

(٧) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧.

(٨) قانون البلاغة ص ٤٥٠، الكشاف ج ٢ ص ٥٣٥،

نهاية الأيجاز ص ١١٤.

(٩) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(١٠) الطراز ج ٣ ص ١٣٦.

على علو الدرجة. وهذا ما سماه السكاكي والقزويني وشرح تلخيصه «الاستبعا»^(١).

وقال ابن مالك عن تأكيد المدح بما يشبه الذم: «أن تنفي عن الممدوح وصفا معيبا ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أنه ستثبت له ما يذم به فتأتي بما من شأنه أن يذم به وفيه المبالغة بالمدح»^(٢).

وقال ابن الأثير الحلبي: «حقيقة هذا النوع أن يكون الانسان أخذًا في مدح فيستثنى في بعضه فيعتقد السامع أن ما بعد الاستثناء يكون نوع ذم أو عيب في الممدوح استثنى منه المادح في مدحه، فاذا تكلمة الاستثناء توجب تأكيدًا للمدح الأول قطعًا له»^(٣).

وقسمه الآخرون كالحلبي والنويري والقزويني وشرح التلخيص^(٤) الى ثلاثة أضرب:

الأول: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، وهو أفضلها عند البلاغيين. ومنه قول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

أي: إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب فأثبت شيئًا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال، فهو في المعنى تعليق بالمحال. والتأكيد فيه من وجهين:

أحدهما: أنه كدعوى الشيء بيينة.

وثانيهما: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلًا فاذا نطق المتكلم بـ«إلا» أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا وهذا ذم. فاذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحا على مدح وإن كان فيه نوع من الخلابة.

الثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى كقول النبي - ﷺ -:

«أنا أفصح العرب بيد أني من قريش». ومنه قول الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه

جواد فما يُبقي من المال باقيا

الثالث: أن يأتي الاستثناء فيه مفرغا كقوله تعالى:

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾^(٥).

أي: وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان بآيات الله. ونحوه قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾^(٦) فإن الاستفهام فيه للانكار.

ويجري الاستدراك مجرى الاستثناء كما في قول بديع الزمان الهمذاني:

هو البدر إلا أنه البحر زاخر

سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

وهذا الأسلوب كثير في كلام العرب غير أنه في غاية العزة في القرآن الكريم، ومنه الآيتان السابقتان. قال المصري: «ولم أجد منه إلا آية واحدة تحيئت على تأويل تدخل به في هذا الباب، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٧) فإن

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٢، الايضاح ص ٣٧٤، التلخيص ص ٣٨٣، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٩٦، المطول ص ٤٤٢، الاطول ج ٢ ص ٢١٧.

(٢) المصباح ص ١٠٩، وينظر المنصف ص ٧١.

(٣) جواهر الكنز ص ٢٠٦.

(٤) حسن التوسل ص ٢٢٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢١، الايضاح ص ٣٧٢، التلخيص ص ٣٨٠، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٨٦، المطول ص ٤٣٩، الاطول ج ٢ ص ٢١٣، شرح عقود الجمان ص ١٢٥، حلية اللب ص ١٤٥، نفحات الأزهار ص ٦١، ٦٨.

(٥) الأعراف ١٢٦.

(٦) المائدة ٥٩.

(٧) المائدة ٥٩.

أحاديثُ تروِيها السيولُ عن الحيا

عن البحرِ عن كَفِّ الأميرِ تميمٍ^(١)

فأنه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية، ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب في العنونة إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الأحاديث فإن السيول أصلها المطر، والمطر أصله البحر، ولهذا جعل كف الممدوح أصلاً للبحر مبالغة.

ومن مراعاة النظر ما يسميه بعضهم «تشابه الاطراف» وهو «أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى»^(٢). كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٣)، فان اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً فإن من يُدرك شيئاً يكون خبيراً به. وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ﴾

الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الايمان يوهم بأن يأتي بعد الاستثناء ما يجب أن ينقم على فاعله مما يذم به فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام مُتضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم^(٤).

وقال السيوطي: «ونظيرها قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٥). وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾^(٦)، فإن ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضي الاخراج فلما كان صفة مدح تقتضي الإكرام لا الاخراج كان تأكيداً للمدح بما يشبه الذم. وجعل منه التnoxي في «الأقصى القريب»: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾^(٧) استثنى ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ الذي هو ضد اللغو والتأثير فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتأثير^(٨).

التأليف:

هو الائتلاف والتلفيق والتناسب والتوفيق ومراعاة النظر، قال السبكي: «وكان الأحسن تسميته التأليف لموافقة التوفيق»^(٩). وقال القزويني: «ومنه - أي المحسنات المعنوية - مراعاة النظر وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً. وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد»^(١٠). كقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(١١).

ومنه قول أسيد بن عنقاء:

كَأَنَّ الثَّرِيَا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ

وَفِي نَحْدِهِ الشُّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرُ^(١٢)

وقول البحري في صفة الابل الأنضاء:

كَالْقَسِيِّ الْمَعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسَدِ

هَمِّ مَبْرِيَةٍ بِلِ الْأُوتَارِ^(١٣)

وقول ابن رشيق:

أَصْحُ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى

مِنَ الْخَبْرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ

(١) بديع القرآن ص ٥٠.

(٢) التوبة ٧٤.

(٣) الحج ٤٠.

(٤) الواقعة ٢٥ - ٢٦.

(٥) معترك الأقران ج ١ ص ٣٩٣.

(٦) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٠١.

(٧) الايضاح ص ٣٤٣، التلخيص ص ٣٥٤، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٣٠١، المطول ص ٤٢٠،

الاطول ج ٢ ص ١٨٧.

(٨) الرحمن ٥.

(٩) الثريا: اسم لجماعة من الكواكب سبع.

الشعري: كوكب آخر.

(١٠) النضو: الهزبل: القسي: جمع قوس.

المعطفات: المحمية. المبرية: المنحوتة.

(١١) الحيا: المطر. الامير تميم: هو ابن المعز بن

باديس من أمراء الدولة الزيرية أو الصنهاجية.

(١٢) الايضاح ص ٣٤٤، التلخيص ص ٣٥٤، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٣٠٣، المطول ص ٤٢٠،

الاطول ج ٢ ص ١٨٨.

(١٣) الأنعام ١٠٣.

والكُتَّاب يُسمون هذا النوع التبديل، حكاه أبو جعفر النحاس^(٦).

وذكر ابن رشيق «العكس» في السرقات أيضًا وقال: «والعكس قول ابن أبي قيس ويروى لأبي حفص البصري:

ذَهَبَ الزمان برهطِ حَسَّانِ الألى
كانت مناقبُهُم حديثَ الغابِرِ
وبقيتُ في خَلْفِ يحلُّ ضيوفُهُم
منهم بمنزلةِ اللئيمِ الغادِرِ
سُودُ الوجوه لثيمَةٌ أخصابُهُم
فُطُسُ الأنوفِ من الطرازِ الآخِرِ^(٧)

وسماه ابن سنان «التبديل»^(٨). والعكس عند ابن منقذ «أن تأتي الجملتان احدهما عكس الأخرى»^(٩) واستشهد بالآية السابقة وأبيات شعرية كثيرة منها قول البحري:

يا من يُحاكي الراحِ في أوصافِها
لونا وطعمًا وجنتين وريقا
قُم فاسقنيها حينَ صُبَّ رحيقُها
في الكأسِ فانقلب الرحيقُ حريقا

وعده البغدادي من نعوت الالفاظ وقال فيه: «هو أن يقدم في الكلام جزء ألفاظه منظومة نظامًا تامًا فيجعل ما كان مقدمًا في الاول متأخرًا في الثاني مثل قول من قال: «اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من

- (١) الحج ٦٤.
- (٢) حلية اللب ص ١٧١.
- (٣) اللسان (بدل).
- (٤) كتاب الصناعتين ص ٣٧١.
- (٥) الروم ١٩.
- (٦) العمدة ج ٢ ص ٤.
- (٧) العمدة ج ٢ ص ٢٨٩.
- (٨) سر الفصاحة ص ٢٣٩.
- (٩) البديع في نقد الشعر ص ٤٦.

الحميد^(١)، فإنه قال: ﴿الغني الحميد﴾ لينبه على أن ما له ليس لحاجة بل هو غني عنه جواد به، فاذا جاد به حمده المنعم عليه.

التأنيس:

قال الدمنهوري: «هو تقديم ما يؤنس المخاطب قبل إخباره بمكروه»^(٢). ويرجع ذلك الى حذف المتكلم وبراعته في مثل ذلك الموقف.

التبديل:

تبدل الشيء وتبدل به واستبدله به كله: اتخذ منه بدلاً. وأبدل الشيء من الشيء وبذله تخذه منه بدلاً. وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأت ببدل^(٣).

وسماه العسكري «العكس» وقال: «العكس أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه التبديل»^(٤). كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٥). وقول الشاعر:

لساني كَتومٌ لأسرارِكم
وَدَمعي نَمومٌ لسرِّي مذيغُ
فلولا دموعي كَتَمْتُ الهوى
ولولا الهوى لم تكن لي دموعُ

ثم قال العسكري: «والعكس أيضًا من وجه آخر وهو أن يذكر المعنى ثم يعكسه إيراد خلاف كقول صاحب: «وتسمى شمس المعالي وهو كسوفها».

وقال ابن رشيق في باب التصدير: «ومن التصدير نوع سماه عبدالكريم المضادة وأنشد للفرزدق:

أصدر همومك لا يغلبك وارِدُها
فكلُّ وارِدَةٍ يومًا لها صَدْرُ

ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومي:

رِيحائِهِم ذَهَبٌ على دُرِّرِ
وشرابُهُم دُرُّرٌ على ذَهَبِ

فلا مَجْدَ في الدنيا لمن قَلَّ ماله
ولا مالَ في الدنيا لمن قَلَّ مَجْدُهُ

الثالث: أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين
كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١٠). وقد يقع بين متعلقي اسمية
وفعلية كقوله - عليه السلام -: «لَسْتُ مِنْ دَدٍ وَلَا دَدٌ
مَنِي». وقول الحماسي:

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ الشُّوْدَ بِيضًا

وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودًا

وأدخله القزويني في المحسنات المعنوية وقال:
«العكس والتبديل، وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم
يؤخر»^(١١) وذكر الوجوه الثلاثة السابقة، وتبعه في
ذلك شراح تلخيصه وغيرهم من المتأخرين^(١٢).

وعقد المصري بابا مستقلا سماه «العكس
والتبديل» وقال: هو أن يأتي الشاعر الى معنى لنفسه
أو لغيره فيعكسه»^(١٣). ومثال ما عكس الشاعر من

(١) قانون البلاغة ص ٤٠٩.

(٢) قانون البلاغة ص ٤٤٧.

(٣) معالم الكتابة ص ٨٣.

(٤) المثل السائر ج ١ ص ٢٦١.

(٥) تحرير التحبير ص ١١٨.

(٦) خزانة الأدب ص ١١٥.

(٧) خزانة ص ١٦٢.

(٨) معترك ج ١ ص ٤٠٥، الاتقان ج ٢ ص ٩٢، شرح

عقود الجمان ص ١١١، أنوار الربيع ج ٣
ص ٣٣٧.

(٩) الممتحنة ١٠.

(١٠) الروم ١٩.

(١١) الايضاح ص ٣٥١، التلخيص ص ٣٥٨.

(١٢) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣١٨، المطول

ص ٤٢٤، الاطول ج ٢ ص ١٩٣، حسن التوسل

ص ٢٦٨ نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٤، البرهان

ج ٣ ص ٤٦٧، خزانة ص ١٦٢، أنوار الربيع ج ٣

ص ٢٣٧، الروض المريع ص ١١٣.

(١٣) تحرير ص ٣١٨، بديع القرآن ص ١١١.

شكرك»^(١). وسماه «العكس والتبديل» أيضًا^(٢)،
وسماه مثل ذلك ابن شيث القرشي وقال: «العكس،
هو أن يؤتى بالكلام وعكسه وكلاهما مفيد»^(٣).

وعَدَّهُ ابن الأثير القسم الرابع من المشبه بالتجنيس
وسماه «المعكوس» وذلك أن تعكس الالفاظ
والحروف. قال عن عكس الالفاظ: «وهذا الضَرْبُ
من التجنيس له حلاوة وعليه رونق، وقد سَمَّاهُ قدامة
بن جعفر الكاتب «التبديل» وذلك اسم مناسب
لمسماه لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدما في
جزء كلامه الأول مؤخرًا في الثاني وربما كان مؤخرًا
في الأول مقدما في الثاني. وَمَثَلُهُ قدامة بقول بعضهم:
«أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك»^(٤).

وقال المصري إن هذه تسمية قدامة: «وقد جاء
قدامة من التصدير بنوع آخر غير ما ذكرنا وسماه
التبديل، وهو أن يصيِّر المتكلم الآخر من كلامه أولا
وبالعكس كقولهم: «اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على
من شكرك» ولم أقف لهذا القسم على شاهد شعري
فقلت:

اضْبِرْ على خُلُقِي مَنْ تَعَاشِرُهُ

واضْحَبْ صَبُورًا على أذى خُلُقِكَ

ولم يفرد له قدامة بابا فاذكره في أبوابه»^(٥).

وقال الحموي: «وقد جاء قدامة من التصدير بنوع
آخر وسماه التبديل»^(٦). وعقد له بابًا سماه «العكس»
وقال: «العكس في اللغة رَدُّ آخر الشيء على أوله ويقال
له التبديل. وفي الاصطلاح تقديم لفظ من الكلام ثم
تأخيره»^(٧). وسماه كذلك السيوطي والمدني^(٨)،
وأشارا الى مصطلح «التبديل» أيضًا وذكر أنواعه وهي:
الأول: أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف اليه
نحو: «عادات السادات، سادات العادات».

الثاني: أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين
اسميتين كقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لِهِنَّ وَلَا هُمْ
يَحِلُّونَ لِهِنَّ﴾^(٩). وقول المتنبي.

المعاني لغيره قول أبي العتاهية يشبه الرايات بالسحاب:

ورايات يَحُلُّ النَّضْرَ فِيهَا
تَمُرُّ كَأَنَّهَا قِطْعُ السَّحَابِ

فعكسه علي بن الجهم فقال يشبه السحابة
بالرايات:

فَمَرَّتْ تَفُوقَ الطَّرْفِ حَتَّى كَأَنَّهَا
جُنُودٌ عُبِيدِ اللَّهِ وَكَلَّتْ بُنُودُهَا

ومثال عكس الشاعر معنى نفسه قول أحدهم:

وَإِذَا الدَّرُّ زَانَ مُحْسِنَ نِسَاءٍ
كَانَ لِلدَّرِّ مُحْسِنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وقول الآخر:

مُنْعَمَةٌ الْأَطْرَافِ زَانَتْ عَقُودَهَا

بأحسن مما زينتها عُقُودُهَا

ومن باب العكس في الكتاب العزيز قوله تعالى:

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

ونقل ابن الاثير الحلبي تعريف المصري وقال إنه
يسمى المغايرة أيضًا^(٢).

التبليغ:

بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه
هو إبلاغًا وبلغه تبليغًا^(٣). قال الحاتمي: «وقد سماه
قوم الايغال وهو: أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت
تماما قبل انتهائه الى القافية ثم يأتي بها لحاجة الشعر
اليها فتزيد البيت نصاعة والمعنى بلوغا الى الغاية
القصوى»^(٤). وسماه ابن رشيق الايغال أيضًا وقال
إنه ضربٌ من المبالغة إلا أنه في القوافي خاصة لا
يعدوها^(٥). وقال ابن الاثير الحلبي: «وإنما سمي
ايغالا لأن الناظم أوغل في كل منهما فكره حتى
استخرج سجعة أو قافية تفيد معنى زائدا على معنى
الكلام»^(٦) ورَدَّ ابن الاثير الجزري كلام الغانمي
الذي ميّز بين التبليغ والاشباع وقال إنهما فن واحد،

وإن تسمية العسكري له بالايغال أقرب^(٧).

وسمى الحلبي والنويري المبالغة تبليغًا، قالوا:
«وتسمى التبليغ والافراط في الصفة»^(٨) وذكرنا
تعريف قدامة وهو: «ومن أنواع نعوت المعاني
المبالغة وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في
شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي
قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من
تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له»^(٩).

كقول عمير بن الأيهم التغلبي:

وَنُكْرِمُ جَارِنَا مَا دَامَ فِيْنَا
وَنَتَّبِعُهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ مَالَا

فإكرامهم للجار ما دام فيهم من الاخلاق الحميدة
الجميلة الموصوفة، وإتباعهم إياه الكرامة حيث كان
من المبالغة في الجميل.

وهذا غير الايغال أو الاطناب بالايغال، وقد أدخله
القزويني في البديع وَعَدَّه نوعاً من المبالغة التي
«تنحصر في التبليغ والإغراق والغلو، لأن المدعي
للوصف في الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكناً
في نفسه أو لا، الثاني الغلو. والأول إما أن يكون
ممكناً في العادة أيضًا أو لا، الأول التبليغ والثاني
الإغراق»^(١٠).

- (١) الأنعام ٥٢.
- (٢) جواهر الكنز ص ٢٨٥، وينظر منهاج البلغاء ص ٥١.
- (٣) اللسان (بلغ).
- (٤) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٥، العمدة ج ٢ ص ٥٧.
- (٥) العمدة ج ١ ص ٢٧٩.
- (٦) جواهر الكنز ص ١٣٣.
- (٧) الجامع الكبير ص ٢٤٠، المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٠.
- (٨) حسن التوسل ص ٢٣٤، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٤.
- (٩) نقد الشعر ص ١٦٠.
- (١٠) الايضاح ص ٣٦٥، التلخيص ص ٣٧١.

وَجُعِلَ نَثْرًا لَمْ يَذْهَبَ حَسَنُهُ وَلَمْ تَبْطُلْ جُودَتُهُ فِي مَعْنَاهُ
وَلَفْظُهُ فَيُصْلِحُ نَقْضَهُ لِبِنَاءِ مُسْتَأْنَفٍ وَجَوْهَرِهِ لِنِظَامِ
مُسْتَقْبَلٍ»^(٣).

وَلَكِنَّ الْآخِرِينَ يُطْلَقُونَ التَّبْيِينَ عَلَى فَنٍ آخَرَ غَيْرِ
التَّوْشِيحِ وَالْإِرْصَادِ، فَالتَّبْرِيْزِيُّ قَالَ إِنَّهُ كَقَوْلِ
الْفِرْزَدِيِّ:

لَقَدْ خُنْتُ قَوْمًا لَوْ لَجَأَتِ إِلَيْهِمْ
طَرِيدَ دَمٍ حَامِلًا ثِقْلَ مَغْرَمٍ
لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُعْطِيًا وَمُطَاعِنًا
وَرَاءَكَ شَرْزًا بِالتَّوْشِيحِ الْمَقْوَمِ^(٤)

فَلَوْ اقْتَصَرَ عَلَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لَكَانَ جَيِّدًا وَدَخَلَ فِي
بَابِ مَا حُذِفَ جَوَابُهُ فَيَبَيَّنُ قَوْلُهُ: «حَامِلًا ثِقْلَ مَغْرَمٍ»
بِقَوْلِهِ: «لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُعْطِيًا» وَقَوْلُهُ: «طَرِيدَ دَمٍ»
بِقَوْلِهِ: «وَمُطَاعِنًا»^(٥). وَنَقَلَ هَذَا الْمَثَالَ وَالتَّعْلِيْقَ عَلَيْهِ
الْبَغْدَادِيُّ^(٦). وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ: «وَيُسَمَّى تَفْسِيرَ الْخَفِيِّ
وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فِي مَفْرَدَاتٍ كَلَامًا لَفْظٌ مَبْهَمٌ الْمَعْنَى
لِكَوْنِهِ مُطْلَقًا أَوْ غَيْرِ تَامِ التَّقْيِيدِ مُرَادًا بِهِ بَعْضُ مَا تَنَاوَلَهُ
فَتَتَّبِعُهُ مَا يَفْسِرُهُ وَيُشْرِحُ مَعْنَاهُ مِنْ وَصْفٍ فِيهِ
تَفْصِيلٌ»^(٧)، وَهُوَ نَوْعَانِ:

الأول: تبين أحد ركني الاسناد بالآخر كقول
محمد بن وهيب الحميري:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا
شَمْسُ الصُّحَى وَأَبُو اسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

(١) شرح التلخيص ج ٤ ص ٣٥٩، المطول
ص ٤٣٤، الاطول ج ٢ ص ٢٠٨، شرح عقود
الجمان ص ١٢٢، حلية اللب ص ١٤١. وينظر
المنصف ص ٧٠.

(٢) اللسان (بين).

(٣) كتاب الصناعتين ص ٣٨٢.

(٤) الوشاح: شجر الرماح، وتطلق أيضًا على الرماح
أنفسها. المقوم: المثقف المعتدل.

(٥) الوافي ص ٢٨٨.

(٦) قانون البلاغة ص ٤٥٤.

(٧) المصباح ص ٦٥.

والتبليغ كقول امرئ القيس:

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ

دِرَاكًا فَلَمْ يُنْضَخْ بِمَاءٍ فَيُغَسَّلَ

وصف هذا الفرس بأنه ادرك ثورًا وبقرة وحشيين
في مضمار واحد ولم يعرق، وذلك غير ممتنع عقلاً ولا
عادة. ومثله قول المتنبي:

وَأَضْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفِيئَتُهُ بِهِ

وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

وهذه عودة الى ما ذكره قدامة في المبالغة، وسار
على خطى القزويني شراح التلخيص^(١). فالتبليغ عند
هؤلاء غير الايغال أو الاطناب بالايغال الذي تحدث
عنه القزويني وشراح تلخيصه في علم المعاني أو ذكره
البلاغيون المتقدمون كالعسكري وابن رشيق والمظفر
العلوي، وإنما هو المبالغة التي تحدث عنها القزويني
في علم البديع.

التَّبْيِينُ:

تبين الشيء: ظهر وتبينته أنا، ويقال: بان الشيء
واستبان وتبين وأبان ويبين بمعنى واحد، والتبيين:
الايضاح والوضوح^(٢).

والتبيين هو التوشيح، قال العسكري: «سُمِّيَ هَذَا
النَّوْعُ التَّوْشِيْحَ، وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ غَيْرُ لَازِمَةٍ بِهَذَا الْمَعْنَى
وَلَوْ سُمِّيَ تَبْيِينًا لَكَانَ أَقْرَبَ. وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأَ الْكَلَامِ
يُنْبِئُ عَنْ مَقْطَعِهِ، وَأَوَّلِهِ يَخْبِرُ بِآخِرِهِ، وَصَدْرُهُ يَشْهَدُ
بِعَجْزِهِ حَتَّى لَوْ سَمِعْتَ شَعْرًا أَوْ عَرَفْتَ رَوَايَةَ ثُمَّ سَمِعْتَ
صَدْرَ بَيْتٍ مِنْهُ وَقَفْتَ عَلَى عَجْزِهِ قَبْلَ بَلُوغِ السَّمَاعِ
إِلَيْهِ، وَخَيْرُ الشَّعْرِ مَا تَسَابَقَ صَدْرُهُ وَأَعْجَازُهُ وَمَعَانِيهِ
وَأَلْفَاظُهُ، فَتَرَاهُ سَلْسَلًا فِي النِّظَامِ، جَارِيًا عَلَى اللِّسَانِ لَا
يَتَنَافَى وَلَا يَتَنَافَرُ كَأَنَّهُ سَبِيكَةٌ مَفْرُغَةٌ أَوْ وَشِيٌّ مَنْمَمٌ أَوْ
عَقْدٌ مَنْظَمٌ مِنْ جَوْهَرٍ مُتَشَاكِلٍ، مَتَمَكِّنُ الْقَوَافِي غَيْرِ
قَلْقَةٍ، وَثَابِتَةٌ غَيْرِ مَرْجَةٍ، أَلْفَاظُهُ مُتَطَابِقَةٌ، وَقَوَافِيهِ
مُتَوَافِقَةٌ، وَمَعَانِيهِ مُتَعَادِلَةٌ، كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ مَوْضُوعٌ فِي
مَوْضِعِهِ وَوَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ فَإِذَا نَقَضَ بِنَاؤُهُ وَحُلَّ نِظَامُهُ

يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فاذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها ولا يزيد أو ينقص^(٥) وذكر بيتي الفرزدق، وقول الحسين بن مطير الأَسدي:

فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ
ضحكٌ يراوح بينه وبكاءٌ

ففسر «بلا حزن» بـ«ضحك»، و«لا بمسرة» بـ«بكاء».

وبحثه المدني في التفسير وقال: «سمّاه ابن مالك وآخرون التبيين»^(٦). والحقيقة أن العسكري ذكر مصطلح «التبيين» وقرنه بالتوشيح وأفرد له التبريزي والبغدادي باباً ثم جاء بعدهما ابن مالك وسماه تبييناً أيضاً.

تتابع الإضافات:

تبع الشيء تبعاً وتباعاً في الأفعال وتبعته الشيء تبعاً: سرت في إثره، وأتبعه وأتبعه وتبعته: قفاه وتطلبه متبعاً له وكذلك تبعه وتبعته تبعاً. وتابع بين الأمور متابعة وتباعاً: وائر ووالى، وتابعته على كذا متابعة وتباعاً، وتتابع الأشياء: تبع بعضها بعضاً^(٧).

قال الصاحب بن عباد: «إياك والإضافات المتداخلة فإن ذلك لا يحسن»^(٨)، وذكر أنه يُستعمل في الهجاء كقول القائل:

(١) الايضاح ص ١٠٢، ١٦٢، ٣٥٧، التلخيص ص ١٢٥، ١٩٣، شروح التلخيص ج ٢ ص ١١٦، المطول ص ١٨٥، الاطول ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) الايضاح ص ٣٥٦.

(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٣٠.

(٤) خزانة الأدب ص ٤٠٨.

(٥) نقد الشعر ص ١٥٤.

(٦) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٢٣.

(٧) اللسان (تبع).

(٨) دلائل الاعجاز ص ٨٢، الايضاح ص ٨.

يَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
الغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذَّكْرُ
الثاني: تبين أحد ركني الاسناد أو غيره بالنعته أو نحوه كقول ابن الرومي:

أرأؤكم ووجوهكم وسيوفكم
في الحادثات إذا دجّون نجوم

فيها معالمٌ للهدي ومصايح
تجلو الدجى والأخريات رجوم

ومنه بيتا الفرزدق السابقان: «لقد خنت قوما....».

وذكر القزويني البيت الاول من بيتي الحميري في تقديم المسند وذلك للتشويق الى ذكر المسند اليه. وذكره في الجامع الوهمي، وفي الجمع، وتبعه في ذلك شراح التلخيص^(١). وذكر القزويني أبيات الفرزدق وابن الرومي أمثلة للضرب الأول من اللف والنشر، وهو أن يأتي النشر على ترتيب اللف^(٢). وَعَدَّ السبكي بيتي ابن الرومي من التقسيم، قال بعد أن ذكر كلام القزويني: «وفيه نظر من وجوه منها أنه اشترط فيما سبق أن لا يكون في النشر تعيين فردٍ منها لفردٍ من أفراد اللف، وهذا فيه تعيين الأخير للأخير بقوله: «والأخريات رجوم» فيكون من التقسيم الذي سيأتي لا من اللف والنشر»^(٣).

والتبيين عند الحموي هو التفسير، قال: «هذا النوع أعني التفسير من مستخرجات قدامة وسمّاه قوم التبيين، وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره إما في البيت الآخر أو في بقية البيت إن كان الكلام يحتاج الى التفسير في أوله. والتفسير يأتي بعد الشرط وما هو في معناه وبعد الجار والمجرور وبعد المبتدأ الذي يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملاً والمفسر مفصلاً»^(٤) وذكر أبيات الفرزدق والحميري وابن الرومي وهو ما ذكره قدامة في التفسير الذي قال عنه: «ومن أنواع المعاني صحة التفسير وهي أن

كما قال الحاتمي: «أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له، فاذا دلّ التابع أبان عن المتبوع»^(٦). وأحسن ما قيل في ذلك وأبدعه قول عمر بن أبي ربيعة:

بعيدة مهوى القُرْطِ إمّا لنوفلٍ

أبوها وإمّا عبْد شمسٍ وهاشمٍ

إمّا ذهبَ الى وصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به بل أتى بمعنى يدل على طول الجيد وهو قوله: «بعيدة مهوى القُرْطِ».

وأبدع من هذا في التتبع قول امرئ القيس:

ويُضحى فتيثُ المسكِ فوق فراشها

نؤومُ الضحى لم تنتطق عن تفضّل

إمّا أراد أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها من يكفيها فأتى باللفظ التابع لذلك. وقال ابن رشيق: «أن يزيد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه. وأول من أشار الى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة: ويضحى فتيث المسك...» فقوله: «يضحي فتيث المسك» تتبع، وقوله: «نؤوم الضحى» تتبع ثانٍ، وقوله: «لم تنتطق عن تفضّل» تتبع ثالث. وانما أراد أن يصفها بالترف والنعمة وقلة الامتهان في الخدمة وأنها شريفة مكيفة المؤونة فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة»^(٧).

وقال النابغة وأراد أن يصف طول العنق وتمام الخلقه فيها فذكر القُرْطِ إذ كان مما يتبع العنق:

(١) دلائل الاعجاز ص ٨٢.

(٢) الايضاح ص ٧، التلخيص ص ٣١.

(٣) الايضاح ص ٨.

(٤) شروح التلخيص ج ١ ص ١١٣، المطول ص ٢٣، الاطول ج ١ ص ٢٧.

(٥) اللسان (تبع).

(٦) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٥.

(٧) العمدة ج ١ ص ٣١٣، قراضة الذهب ص ٢٠.

يا عليّ بن حمزة بن عماره
أنت والله ثلجة في خياره
وقال عبد القاهر: «لا شبهة في ثقل ذلك في الأكثر ولكنه إذا سلّم من الاستكراه لطف وملح»^(١). ومما حسن فيه قول ابن المعتز:

وظلّت تُديرُ الراحِ أيدي جاذرٍ

عتاقِ دنانيرِ الوجوهِ ملاحٍ

ومما جاء حسنا جميلاً قول الخالدي في صفة غلام له:

ويَعْرِفُ الشِعْرَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي

وهو على أن يزيد مجتهدُ

وصيرفِي القريضِ وَرَأَى دِينَا

ر المعاني الدِقَاقِ مُنتَقِدُ

وأدخل القزويني تتابع الاضافات في شروط فصاحة الكلام، قال: «وقيل فصاحة الكلام هي خلوصه مما ذكر، ومن كثرة التكرار والاضافات»^(٢). ومن ذلك قول ابن بابك:

حمامة جَزَعَى حَوْمَةَ الجندلِ اسْجَعِي

فَأَنْتِ بِمَرَأَى مِنْ سُعَادٍ وَمَسْمَعِ

وقال: «وفيه نظر؛ لأن ذلك إن أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه وإلا فلا تخل بالفصاحة. وقد قال النبي - ﷺ - : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم»^(٣). وذكر الأبيات السابقة التي ذكرها عبد القاهر، وتبعه في ذلك شراح التلخيص»^(٤).

التَّبِيعُ:

أتبعه الشيء: جعله تابعا له، والتابع التالي، وتبعته الشيء وأتبعته مثل ردفته وأردفته واتبعته القوم اذا كانوا قد سبقوك فلحققتهم»^(٥).

التتبع من أنواع الاشارة ويُسمى التجاوز، وهو

إذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها

ومن يتعلّق حيثُ علّقَ يفرّق

وسمّاه ابن سنان إردافاً وتببيعا وقال: «ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تُراد الدلالة على المعنى فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة بل يُؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع»^(١). وذكر بيتي امرئ القيس وابن أبي ربيعة، وقال: إن من هذا الفن قول البحرى: فأوجزته أخرى فأضللت نصله

بحيث يكون اللبُّ والرُعبُ والحقْدُ

وقول عمرو بن معد يكرب:

الضاربين بكل أبيضٍ مخدّم

والطاعنين مجامع الأضغان

وأدخل المظفر العلوي التببيع في الكناية وقال وهو يتحدث عنها: «وربما سمّاها قوم التببيع؛ لأن الشاعر يقول معنى ويأتي بلفظ تابع له فاذا دلّ التابع أبان عن المتبوع»^(٢). وذكر أن منه قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾^(٣) وهو كناية عن شدة الأمر والحرب، ومعنى ذلك أن القلوب ارتفعت عن مواضعها فنفرت كأنها تريد الخروج عن الأجسام مفارقة لها.

وعده ابن الاثير الحلبي قسماً من الكناية، قال: «ومن الكناية قسم يقال له التببيع وحقيقته العدول عن اللفظ المراد به المعنى الخاص به الى لفظ هو رذفه»^(٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾^(٥). وقول امرئ القيس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فقد أراد أن يصف الفرس بالسرعة وأنه جواد فلم يتكلم باللفظ بعينه ولكن باردافه. والأمثلة السابقة يدخلها كثير من المتأخرين في الكناية^(٦)، وقد أدرك السابقون ذلك فصرّح المظفر العلوي وابن الاثير

الحلبي بأنها من الكناية.

وقال السجلماسي إن التببيع هو الإرداف، وهو أحد انواع الاقتضاب^(٧).

التّميم:

تمّ الشيء يَتَمُّ تَمًّا وتَمًّا وتَمَامًا وتَمَامًا وتَمَامًا وتَمَامًا وتَمَامًا وتَمَامًا، وأتمّه غيره وتممه واستتمه بمعنى، وتمّمه الله تميمًا وتتمّةً، وتمّم الشيء وتمامته وتمّمته: ما تمّ به^(٨).

وهو التمام أو اعتراض كلام في كلام، قال المصري: «وسمّاه الحاتمي في الحلية التتميم»^(٩)، وقال الحموي: «كان اسمه التمام وإنما سماه الحاتمي التتميم»^(١٠)، وقال المدني: «ومنهم من سماه التمام وسماه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، والتسمية الاولى للحاتمي وهي أولى»^(١١). وقد سماه الحاتمي تميمًا وقال عنه: «هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يغادر شيئًا يتم به ويتكامل الاشتقاق معه فيه إلا أتى به»^(١٢).

وكان الجاحظ قد عقد بابا قال في أوله: «وباب

(١) سر الفصاحة ص ٢٧٠.

(٢) نضرة الاغريض ص ٣٧.

(٣) الأحزاب ١٠.

(٤) جواهر الكنز ص ١٠٥.

(٥) هود ٤٤.

(٦) الايضاح ص ٣١٨، التلخيص ص ٣٣٧، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٣٧، المطول ص ٤٠٧،

الاطول ج ٢ ص ١٦٩.

(٧) المنزع البديع ص ٢٦٣، وينظر المنصف

ص ٦٤، الروض المربع ص ١١٧.

(٨) اللسان (تمم).

(٩) تحرير التعبير ص ٨٥.

(١٠) خزانة الأدب ص ١٢١.

(١١) أنوار الربيع ج ٣ ص ٥٢، وينظر حسن التوسل

ص ٢٢٦.

(١٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٣.

آخر ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ويفضلون إصابة المقادير ويذمون الخروج من التعديل»^(١).

وقال: «وقال طرفة في المقدار وإصابته:

فَسَقَى دِيَارَكَ - غير مفسدها -

صَوَّبُ الرِّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي

طلب الغيث على قدر الحاجة لأنَّ الفاضلَ ضارٌّ»^(٢). وهذا هو الاعتراض عند ابن المعتز^(٣)، ولكنَّ قدامة قال: «ومن أنواع نعوت المعاني التتميم، وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به»^(٤). وَذَكَرَ لَهُ عِدَّةٌ أَمْثَلَهُ مِنْهَا بَيْتٌ طَرْفَةٌ: «فَسَقَى دِيَارَكَ...» وقال: «فقلوه: «غير مفسدها» إتمام لجودة ما قاله؛ لانه لو لم يقل «غير مفسدها» لعيب كما عيب ذو الرمة في قوله:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارْمِي عَلَى الْبَلِي

وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرِّعَائِكَ الْقَطْرُ

فان الذي عابه في هذا القول إنما هو بأن نسب قوله هذا الى أن فيه إفساداً للدار التي دعا لها وهو أن تغرق بكثرة المطر».

وعقد العسكري فصلاً سماه «التتميم والتكميل» وهو: «أن تُوفي المعنى حظّه من الجودة وتعطيه نصيبه من الصحة ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره»^(٥). كقوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٦)، فبقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تَمَّ المعنى. ومنه قول عمرو بن براق:

فَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ حُرًّا ظَلَمْتَهُ

فَمَا لَيْلُ مَظْلُومٍ كَرِيمٍ بِنَائِمٍ

فقلوه: «كريم» تميم؛ لأنَّ اللئيم يُغضي على العار وينام على الثار، ولا يكون منه دون المظالم تكبر. ومنه قول الخنساء:

وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ
كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فقولها: «في رأسه نار» تميم، وقالوا: لم يَشْتَوِفِ أَحَدٌ هَذَا الْمَعْنَى اسْتِيفَاءَهَا. والتتميم عند المرزوقي الزيادة على المعنى وقد سماه «تتميم المقطع»^(٧)، وذكر ابن رشيق أنه التمام وأنَّ بعضهم يُسمي ضرباً منه احتراساً واحتياطاً. وقال: «ومعنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير»^(٨).

وقال التبريزي: «التتميم أن يأخذ الشاعر في معنى فيورده غير مشروح فيقع له أن السامع لا يتصوره بحقيقته فيعود راجعاً الى ما قدّمه فاما أن يؤكدَه واما أن يجلي الشبهة فيه»^(٩) كقول الشاعر:

أَقْمَنَا أَكْلُنَا أَكَلَ اسْتَلَابِ

هَنَّاكَ وَشُرْبُنَا شُرْبُ يُدَاؤِ

ثم علم أنه لم يتم المعنى وانه لبسه فقال:

وَلَمْ يَكْ ذَاكَ سُخْفًا غَيْرَ أَنِّي

رَأَيْتَ الشَّرْبَ سُخْفُهُمْ وَقَارُ

وقال ابن الرومي:

أَرَاؤُكُمْ وَوَجُوهُكُمْ وَسِيُوفُكُمْ

فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نَجُومُ

فِيهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَى وَمَصَابِيحُ

تَجْلُو الدَّجَى وَالْآخِرِيَّاتُ رَجُومُ

(١) البيان ج ١ ص ٢٢٧.

(٢) البيان ج ١ ص ٢٢٨.

(٣) البديع ص ٥٩.

(٤) نقد الشعر ص ١٥٧.

(٥) كتاب الصناعتين ص ٣٨٩.

(٦) النحل ٩٧.

(٧) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ٦.

(٨) العمدة ج ٢ ص ٥٠، قراضة الذهب ص ٢٠.

(٩) الوافي ص ٢٨٧.

تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(١) فقلوله تعالى: ﴿مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ﴾ تميم وقوله: ﴿وهو مؤمن﴾ تميم ثانٍ في غاية البلاغة التي بذكرها تَمَّ الكلام وجرى على الصحة، ولو حذف هاتان الجملتان نقص معناه واختل منه حسن البيان. ومثال ما جاء للاحتياط قول الغنوي:

أناس إذا لم يقبل الحق منهم
يعطوه عاذوا بالسيوف القواضب
ومثال ما جاء للمبالغة قول زهير:
من يَلْقَ يوماً على علّته هَرَمًا
يَلْقَ السّماحةً منه والنّدى خُلُقًا
فقلوله: «على علّته» تميم جاء للمبالغة.

الثاني: في الالفاظ وهو الذي يُؤتى به لاقامة الوزن بحيث لو طرحت الكلمة انتقل معنى البيت بسواها، وهي نوعان: كلمة لا يفيد مجيئها إلا أقامة الوزن فقط، وإخرى تفيد مع الوزن ضرباً من المحاسن، والأولى من العيوب والثانية من النعوت مثل قول المتنبي:

وُخْفوقُ قَلْبٍ لو رأيت لهيبه
- يا جنتي - لرأيت فيه جهنماً

فانه جاء بقوله: «يا جنتي» لاقامة الوزن وقصدها دون غيرها ممّا يَسُدُّ مَسَدَّها ليكونَ بينهما وبين قافية البيت مطابقة لو كان موضعها غيرها لم تحصل.

وفَرَّقَ المِصْرِي بين التتميم والإيغال من ثلاثة

(١) الايضاح ص ٣٥٦.

(٢) قانون البلاغة ص ٤١٢.

(٣) قانون البلاغة ص ٤٥٣.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٥٣.

(٥) الرسالة العسجدية ص ١٤٥.

(٦) التبيان ص ١٨٧.

(٧) تحرير التعبير ص ١٢٧.

(٨) العنكبوت ٢٧.

(٩) النحل ٩٧.

وهذا هو اللف والنشر الذي ذكره المتأخرون^(١).

وذكر البغدادي تعريفين الاول هو: «ومن نعوت المعاني التتميم وهو أن توجد في المعنى كتابة أو خطابة فيوفي بجميع المعاني المتممة لصحته المكملة لجودته من غير أن يُخِلَّ ببعضها ولا أن يُغادر شيء منها. كقول القائل: «فحلقت به أسباب الجلالة غير مستشعر فيها لنخوة، وترامت به أحوال الصرامة غير مستعمل فيها لسطوة، هذا مع زماتة في غير حصر ولين جانب من غير خور». فقد أتى هذا المتكلم بتتميمات المعاني التي جاء بها من غير أن يخل بشيء منها^(٢). والثاني هو تعريف التبريزي وأمثله^(٣). ولم يخرج ابن منقذ كثيراً على ما ذكره العسكري في التعريف والأمثلة، قال: «اعلم أن التتميم أن يذكر الشاعر معنى ولا يغادر شيئاً يتم به إلا أتى به فيتكامل له الحسن والاحسان ويبقى البيت ناقص الكلام فيحتاج الى ما يتممه به من كلمة توافق ما في البيت من تطبيق أو تجنيس^(٤)».

ونقل الصنعاني تعريف ابن رشيق وقال إن التتميم من أنواع الفصاحة^(٥). ونقل ابن الزمكاني تعريف التبريزي ومثّل له ببيتي ابن الرومي: «أراؤكم ووجوهكم...»^(٦) وعقد له المصري باباً باسم التمام وقال: «وهو الذي سماه الحاتمي التتميم وسماه ابن المعتز قبله اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتمه. وشرح حدّه: أنه الكلمة التي إذا طرحت من الكلام نقص حسن معناه أو مبالغته مع أن لفظه يوهّم بأنه تام^(٧). وهو ضربان:

الأول: في المعاني، وهو تتميم المعنى ويأتي للمبالغة والاحتياط، ويجيء في المقاطع كما يجيء في الحشو كقلوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنْ الصَّالِحِينَ﴾^(٨)، فجاءت الفاصلة كلها تميمًا لأن المعنى ناقص بغيرها لكنه متى جاء في المقاطع سُمي إيغالاً ويكثر مجيئه في الحشو ومثاله قوله

أوجه: وقال الزركشي: «هو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة أو احترازًا أو احتياطا. وقيل: هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحا»^(١٠).

ورجع الحموي الى ذكره المصري وأشار الى الخلط بينه وبين التكميل فقال: «ولقد وهم جماعة من المؤلفين وخلطوا التكميل بالتميم وساقوا في باب التميم شواهد التكميل وبالعكس. والفرق بين التكميل والتميم، أن التميم يرد على الناقص فيتمه، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله إذ الكمال أمر زائد على التمام. وأيضا أن التمام يكون متممًا لمعاني النقص لا لأغراض الشعر ومقاصده والتكميل يكملها»^(١١).

ولم يخرج المدني على السابقين وفضل تسمية الحاتمي لهذا الفن^(١٢). وقال ابن شيث القرشي: «إنه مصدر تمم يتم تميما إذا بلغ بالشيء غاية، وهو أن يأتي الكاتب في كلامه المنشور بكلمة لام الفعل فيها حرف علة ثم يأتي بكلمة من بعدها لام

- (١) تحرير ص ٢٤١.
- (٢) المصباح ص ٩٥.
- (٣) حسن التوسل ص ٢٢٦، نهاية الارب ج ٧ ص ١١٨.
- (٤) جوهر الكنز ص ١٣٢.
- (٥) الانسان ٨.
- (٦) الايضاح ص ٢٠٥، التلخيص ص ٢٣١.
- (٧) شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣٥، المطول ص ٢٩٦، الأطول ج ٢ ص ٤٧، معترك ج ١ ص ٣٦٩، الانتقان ج ٢ ص ٧٤، شرح عقود الجمان ص ٧٤، نفحات ص ٢٢٧، التبيان في البيان ص ٣١٢، شرح الكافية ص ١١٩.
- (٨) الطراز ج ٣ ص ١٠٤.
- (٩) الفوائد ص ٩٠.
- (١٠) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٧٠.
- (١١) خزانة الأدب ص ١٢٢، وينظر الروض المربع ص ١٥٢.
- (١٢) أنوار الربيع ج ٣ ص ٥٢.

الاول: أن التميم لا يرد إلا على كلام ناقص شيئا ما، أما حسن معنى أو أدب أو ما أشبه ذلك كبيت الغنوي: «أناس إذا...» فإن المعنى من غير «يعطوه» ناقص، والايغال لا يرد إلا على معنى تام من كل وجه. الثاني: اختصاص الايغال بالمقاطع دون الحشو مراعاة لاشتقاقه؛ لأن الموعغل في الارض هو الذي قد بلغ أقصاها أو قارب بلوغه، فلما اختص الايغال بالطرف لم يبق للتميم إلا الحشو.

الثالث: أن الايغال لا بد من أن يتضمن معنى من معاني البديع، والتميم قد يتضمن أولا يتضمن، وأكثر ما يتضمن الايغال التشبيه والمبالغة. والتميم يتضمن المبالغة طورًا والاحتياط طورًا آخر ويأتي غير متضمن شيئا سوى تميم ذلك المعنى^(١).

ولم يخرج ابن مالك على السابقين في تقسيم التميم الى تميم المعاني وتميم الألفاظ^(٢)، وهو ما ذكره المصري. ونقل الحلب والنويري تعريف المصري وتقسيمه وبعض أمثاله^(٣). وعاد ابن الأثير الحلبي الى تعريف قدامة وشواهد^(٤)، وأدخله القزويني في علم المعاني وبحثه في الاطناب وقال: «هو أن يُؤتى في كلام لا يُوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٥) أي: مع حبه، والضمير للطعام أي مع اشتهاؤه والحاجة اليه»^(٦). وهذا التعريف يبتعد عن أقوال السابقين وإن قال إنه يفيد نكتة كالمبالغة وهو ما أشار اليه معظم البلاغيين. وتبعه شراح تلخيصه والسيوطي^(٧).

والتميم عند العلوي على ثلاثة أوجه: إما للمبالغة وإما للصيانة أي الاحتراز وإما لاقامة الوزن^(٨). وهذا ما أشار اليه السابقون.

وقال ابن قيم الجوزية: «هو أن تُردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه الى الفهم وتزيل عنه الوهم وتقرره في النفس»^(٩).

في غير موضعه». ويبدو من ذلك أنَّ التشبيح داخل في المعازلة وأَنَّه طول الكلام واضطرابه.

التثقيل والتخفيف:

الثقل نقيض الخفة، وثقل الشيء: جعله ثقيلاً والتثقيل ضد التخفيف^(٧).

الخفة: ضد الثقل، خفف الشيء: جعله خفيفاً، والتخفيف ضد التثقيل^(٨). وقد ذكر ابن منقذ هذا الفن وقال: «هو كقول أبي نواس:

دَعَّ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاءُ

وداؤني بالتي كانت هي الداءُ

أخذه أبو تمام فأتى به في ألفاظ ثقيلة فقال:

قَدْ كَأَنَّكَ أَزْبَيْتَ فِي العُلُوءِ

كَمْ تَعْدُلُونَ وَأَنْتُمْ سُجْرَائِي^(٩)

وكما قال مسلم وأحسن:

قَدْ أَوْلَعْتَهُ بِطُولِ الهَجْرِ غَرَّتْهُ

لو كان يعرف طول الهجر ما هجر

(١) معالم الكتابة ص ٧٣.

(٢) أسرار البلاغة ص ١٨، وينظر الايضاح ص ٣٨٥،

التلخيص ص ٣٩٠، شروح التلخيص ج ٤

ص ٤٢٤، المطول ص ٤٤٧، الاطول ج ٢

ص ٢٢٦، الروض المربع ص ١٥٢، كفاية

الطالب ص ١٩٤.

(٣) اللسان (شج).

(٤) العمدة ج ١ ص ٢٦١.

(٥) العمدة ج ٢ ص ٢٦٤.

(٦) ذات هدم: يعني امرأة ضعيفة. الهدم: الكساء

الخلق الرث. النواشر: عروق وعصب باطن

الذراع، والمراد ذراعها. التولب: الصغير.

الجدع: السوء الغذاء.

(٧) اللسان (ثقل).

(٨) اللسان (خفف).

(٩) قدك: يكفيك. الانتات: الاستحياء. الارباب:

الزيادة. الغلواء: ريعان الشباب. العذل: اللوم.

سجرائي: أحبابي، وواحد: سجير.

الفعل فيها حرف صحيح يشبّع للاعتماد عليه للإعراب فيحصل من ذلك تتميم اللفظ وتحصيل معنى تمّ به في تلك الكلمة الاولى التي أتى بها في صدر كلامه وهو قولك: «فلان عالٍ عالم، وقاضٍ قاضب، وغالٍ غالب، وغافٍ غافل». ومنه:

يُمَدُّونَ فِي أَيِّدِ عَوَاصِي عَوَاصِمِ

تصوّل بأسيافٍ قواضٍ قواضِبِ^(١)

وهذا نوع من الجناس عند البلاغيين الآخرين سماه عبد القاهر التجنيس الناقص المطرف^(٢).

التشبيح:

شبح الكتاب والكلام تشبيحاً لم يبينه، وقيل: لم يأت به على وجهه، والتشبيح: اضطراب الكلام وتفنيته. والتشبيح تعمية الخط وترك بيانه. التشبيح: التخليط^(٣).

قال ابن رشيق: «ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مثبج، والتشبيح جنس من المعازلة»^(٤). وقال: «وأما التشبيح فهو طول الكلام واضطرابه، ولا يقال كلام مثبج حتى يكون هكذا. ويقال رجل مثبج الخلق إذا كان طويلاً في اضطراب، والتشبيح عند الصولي في الخط ألا يكون بيتاً، وكذلك هو الكلام»^(٥). وكان ابن رشيق قد أشار الى التشبيح في باب النظم ثم دمج به بالمعازلة في باب آخر فقال: «باب ذكر المعازلة والتشبيح، والعظال في القوافي التضمين حكاة الخليل بن احمد وزعم قدامة أن المعازلة سوء الاستعارة وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ومنه: «تعاطلت الجراد والكلاب» وأنشد قدامة بيت أوس بن حجر:

وَذَاتِ هِدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا

تُضْمِتُ بِالماءِ تَوَلَّبًا جَدْعًا^(٦)

لأنه قد أساء الاستعارة عنده لجعله الطفل تولباً وهو ولد الحمار». ثم ذكر كلامه السابق عن التشبيح، ثم عاد الى المعازلة وقال: «وزعم قوم أن المعازلة تداخل الحروف وتراكبها... وزعم آخرون أنها تركيب الشيء

أخذه أبو تمام فقال:

كشف الغطاء فأخمدني أو أوقدي

لم تكمدني فظننت أن لم تكمد^(١)

ولم يُعرّف ابن منقذ هذا اللون ويبدو من الأمثلة أنه يريد به نوعاً من الأخذ الموفق أو غير الموفق، أي أن الشاعر قد يحيل ما يأخذه جميلاً رقيقاً، وقد يصيره ثقيلاً غليظاً.

التّليم:

تلم الاناء والسيف ونحوه يثلمه ثلماً وتلمه فانثلم وتثلم: كسر حرفه. والتّلم في الوادي أن ينثلم جرفه وكذلك في النّوي والحوض^(٢).

وقد عدّه قدامة من عيوب اثتلاف اللفظ والوزن وقال عنه: «هو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض فيضطر الى ثلمها والنقص منها»^(٣)، كقول علقمة بن عبدة:

كان إبريقهم ظبي على شرف

مفدّم بسبا الكتّان مَلثوم^(٤)

أراد: بسبائب الكتّان، فحذف للعروض. وقال لبيد:

دَرَسَ المنا بمتالع فأبان

وتقادمت بالحبس فالسوبان^(٥)

أراد: المنازل. وهذا من الضرورات غير أن ابن منقذ عقد له فصلاً وقال: «قد جاء في أشعار العرب الفصحاء نقص في الالفاظ والكلمات وتغيير في الاسماء والافعال فليل إنّه لغة، وقيل: إنّه ضرورة»^(٦).

تجاهل العارف:

الجهل نقيض العلم، وقد جهله فلان جهلاً وجاهلاً وجاهلاً عليه. وتجاهل: أظهر الجهل، وتجاهل: أرى من نفسه الجهل وليس به^(٧).

ذكره ابن المعتز في محاسن الكلام^(٨) ولم يُعرّفه، ومثّل له بقول زهير:

وما أذري ولست إخال أذري

أقوم آل حِضْنِ أم نساء؟

وسماه العسكري: «تجاهل العارف ومزج الشك باليقين» وقال: «هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً»^(٩). ومنه قول العزّجي:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا

ليلاي منكّن أم ليلي من البشر

وقول الآخر:

أيا شبة ليلي ما ليلي مريضة

وأنت صحيح إن ذا لمحال

أقول لظبي مرّ بي وهو راتع

أأنت أخو ليلي؟ فقال يُقال

وذكر التبريزي والبغدادي بعض الأمثلة السابقة ولم يُعرّفاه^(١٠).

ورجع ابن منقذ الى ما ذكره العسكري وأضاف اليه أمثلة كثيرة^(١١)، ولم يُعرّفه الرازي^(١٢) ومثّل له بقوله تعالى ﴿وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١٣)، وقول المتنبي:

(١) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٤.

(٢) اللسان (ثمل).

(٣) نقد الشعر ص ٢٤٩.

(٤) قدم الابريق: وضع القدم عليه أي المصفاة او الخرقه ليصفي بها ما فيه.

(٥) متالع: موضع. أبان: جبل. الحبس: موضع. السوبان: واد.

(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٧٨.

(٧) اللسان (جهل).

(٨) البديع ص ٦٢.

(٩) كتاب الصناعتين ص ٣٩٦.

(١٠) الوافي ص ٢٩٥، قانون البلاغة ص ٤٥٩.

(١١) البديع في نقد الشعر ص ٩٣.

(١٢) نهاية الايجاز ص ١١٤.

(١٣) سبأ ٢٤.

وقوله: ﴿أصلواتك تأمرُك أنْ تنزُك ما يعبُدُ آباؤنا أو أنْ نفعلَ في أموالنا ما نشاءُ﴾^(٩)، وهذا خارج مخرج التوبيخ. وقوله: ﴿أأنتَ قلتَ للناسِ اتَّخذوني وأمِّي إلهينِ من دونِ الله﴾^(١٠) وهذا خارج مخرج التقرير. ومما جاء منه في المدح قول بعضهم:

بدا فراعَ فؤادي حُسنُ صورته
فقلتُ هل مَلِكُ ذا الشَّخصِ أم مَلِكُ

وأما ما جاء منه للذم فكقول زهير:

وما أدري ولَسْتُ إخال أدري
أقومُ آل حُصنِ أم نِساء؟

وأما ما دلَّ منه على التذلل في الحب فكقول العرّجي:

باللهِ يا ظَبِيَّاتِ البانِ قُلْنَ لنا
ليلايَ مِنْكُنَّ أم ليليَ مِنَ البَشَرِ

والثاني: منفي كقوله تعالى: ﴿ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريمٌ﴾^(١١).

وقال المظفر العلوي: «ومعنى تجاهل العارف أنَّ الشاعر أو الناثر يسأل عن شيء يعرفه سؤال من لا يعرفه ليعلم أنَّ شدة الشبه بالمشبه به قد أحدثت عنده ذلك، وهو كثير في أشعار العرب وخطبهم»^(١٢).

وعرّفه القزويني بتسمية السكاكي، قال: «وهو كما

(١) مفتاح العلوم ص ٩٢.

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(٣) جواهر الكنز ص ٢٠٨.

(٤) التبيان ص ١٨٨.

(٥) تحرير التحرير ص ١٣٥، بديع القرآن ص ٥٠.

(٦) تحرير ص ١٣٥، بديع القرآن ص ٥٠.

(٧) حسن التوسل ص ٢٣١، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٢٣.

(٨) القمر ص ٢٤.

(٩) هود ص ٨٧.

(١٠) المائدة ص ١١٦.

(١١) يوسف ص ٣١.

(١٢) نضرة الأغرير ص ١٩٢.

أريقُك أم ماء الغمامة أم خَمْرُ

بِفِيّ بَرودٌ وهو في كِبدي جَمْرُ

وتحدث السكاكي عنه في تنكير المسند اليه وذكر التجاهل في البلاغة^(١) ومثّل له بقول الخارجية:

أيا شَجَرَ الخابورِ مالِكُ مُورِقًا

كَأَنَّكَ لَمْ تَجزَعْ عَلَى ابنِ طَريفِ

ثم أدخله بعد ذلك في التحسين المعنوي وسماه «سوق المعلوم مساق غيره» وقال: «ولا أحب تسمية بالتجاهل»^(٢) ومثّل له بقول الخارجية: «أيا شَجَرَ الخابور...» وبالأية السابقة. ولعل الدافع الى ذلك هو تعظيم كتاب الله واحترامه وقد أشار ابن الاثير الحلبي الى ذلك حينما تكلم على هذا الفن، وقال: «وهذا الباب له اسمان: أحدهما: تجاهل العارف، والآخر: يقال له الاعنات، فأما الأول فيطلق على ما يأتي من نوعه في النظم والنثر، وأما الثاني فيُطلق على ما يأتي من هذا النوع في الكتاب العزيز أدبًا مع الآيات الكريمة إذ لا يصحّ إطلاق تسمية «تجاهل العارف» على شيء من آيات الكتاب العزيز»^(٣) وتسمية السكاكي أدقُّ وأكثر أدبًا من الاعنات الذي هو لزوم ما يلزم عند كثير من البلاغيين كما تقدم.

وقال ابن الزمكاني: «هو أن تسأل عن شيء تعرفه موهماً أنَّك لا تعرفه وأنه مما خالجتك فيه الشك لقوة شبه حصل بين المذكورين»^(٤).

وقال المصري: «وقد سماه من بعد ابن المعتز الاعنات»^(٥)، والاعنات لزوم ما لا يلزم وتجاهل العارف شيء آخر كما اتضح من التعريفات السابقة. وعرّفه المصري بقوله: «هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو ليدلّ على شدة التذلل في الحب أو لقصد التعجب أو التقرير أو التوبيخ»^(٦) ونقل الحلبي والنويري هذا التعريف^(٧). وقسمه المصري الى قسمين: الاول موجب، كقوله تعالى: ﴿أَبَشْرًا مِنَّا واحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾^(٨) وهذا خارج مخرج التعجب.

يا خَيْرَ من يَزْكَبُ المَطِيَّ لا
يَشْرَبُ كَأَسَا بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا
وقال:

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرُّكْبَ مُرْتَجِلُ
وهل تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

وقد أشار سيبويه الى هذا الاسلوب في باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات قال: «ولو قال: أما أبوك فلك أب» لكان على قوله: «فلك به أب» أو «فيه أب» وإنما يريد بقوله: «فيه أب» مجرى الأب على سعة الكلام^(١). وهذا النوع من التجريد بالباء، ولكن سيبويه لم يُسمِّه كذلك، وإنما عَرَضَهُ بوصفه أسلوبًا عربيًّا فصيحًا. وكان أبو علي الفارسي من أوائل الذين تعرضوا له وهو الذي سماه تجريدًا. وقد ذكر ذلك السابقون فقال ابن جني: «اعلم أنَّ هذا فصل من فصول العربية طريف حسن، ورأيت أبا علي - رحمه الله - به غريبًا معنيًا ولم يفرد له بابًا لكنه وَسَمَهُ في بعض ألفاظه بهذه السمة فاستقرت منها وأنقت لها. ومعناه أنَّ العرب قد تعتقد ان في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه حقيقته ومحصوله وقد يجري ذلك الى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها وذلك نحو قولهم: «لئن لقيت زيدًا لتلقين منه الاسد» و «لئن سألته

سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة»^(١) كالتوبيخ والمبالغة في المدح والتدليل في الحب والتحقير والتعريض، وتبعه في ذلك شراح التلخيص والسيوطي^(٢).

وسَمَّاه العلوي «التجاهل» وقال: «هو أن تسأل عن شيء تعلمه موهماً أنك لا تعرفه وأنه مما خالجتك فيه الشك والريبة، وشبهة عرضت بين المذكورين، وهو مقصد من مقاصد الاستعارة يبلغ به الكلام الذروة العليا ويحلّه في الفصاحة المحل الأعلى»^(٣). وهذا تعريف ابن الزمكاني وإن أضاف اليه العبارة الأخيرة فعده مقصدًا من مقاصد الاستعارة لأنه يقوم على التشبيه والتباس المشبه بالمشبه به.

وعاد الحموي والمدني الى ما ذكره السابقون وأشاروا الى تسمية ابن المعتز وتسمية السكاكي وذكرنا النكت التي ذكرها القزويني وغيره^(٤).

وظل مصطلح «تجاهل العارف» دائرًا في الكتب في حين أن الاعنات وسوق المعلوم مساق غيره لم يحتل مكانًا وإن كانت تسمية السكاكي أكثر تأدبا عند التعرض لآيات الكتاب العزيز.

التَّجَاوُزُ:

تجاوز بهم الطريق وجازه جوازًا: خَلَّفَهُ. وتجاوز الله عنه: عفا^(٥) والتجاوز هو التتبع، قال ابن رشيق: «ومن أنواع الإشارة التتبع وقوم يسمونه التجاوز، وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه»^(٦). وقد تقدم.

التَّجْرِيدُ:

جرد الشيء يجردُهُ جردًا وجردّه: قشره^(٧). والتجريد مصدر جردته من ثيابه إذا نزعته عنه^(٨).

والتجريد من الأساليب العربية القديمة فقد قال الأعشى وهو يتحدث عن نفسه:

- (١) الايضاح ص ٣٧٨، التلخيص ص ٣٨٥.
- (٢) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٠٣، المطول ص ٤٤٣، الأطول ج ٢ ص ٢١٩، شرح عقود الجمان ص ١٣٠ وينظر الروض المريع ص ١٣١.
- (٣) الطراز ج ٣ ص ٨٠.
- (٤) خزانة الأدب ص ١٢٢، انوار الربيع ج ٥ ص ١١٩، المنزح البديع ص ٢٧٧، الروض المريع ص ١٣١، نفحات ص ٤٣، التبيان في البيان ص ٢٤٠، شرح الكافية ص ١١٧.
- (٥) اللسان (جوز).
- (٦) العمدة ج ١ ص ٣١٣، كفاية الطالب ص ١٧٨.
- (٧) اللسان (جرد).
- (٨) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٥٣.
- (٩) الكتاب ج ١ ص ٣٩٠.

يقتضي ظاهر قوله: «سألته فسألت منه البحر» أن البحر غيره. فأبو علي - رحمه الله - سماه تجريدًا، وهو غير مانع لك من اصطلاحك ولا مشاخ لك في جدك الذي ذكرته للتجريد فكذلك أنت لا تجور ولا تضايقه في اصطلاحه وتجريده»^(١). ورَدَّ أقوال ابن الاثير الأخرى منتصرًا للفارسي. وكان ابن الاثير قد قال إن التجريد «إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه»^(٢). وله فائدتان:

الاولى: طلب التوسع في الكلام.

الثانية: وهي الأبلغ وذاك أنه يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه إذ يكون مخاطبًا بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه.

والتجريد قسمان:

الاول: التجريد المحض، وذلك أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك، كقول حَيْضَ بَيْضَ:

إِلامَ يِراكِ المِجْدُ في زِيِّ شاعِرِ
وقد نَحَلتْ شوقًا فُروعَ المنايِرِ

كَنَمْتُ بعيبِ الشِعْرِ حِلْمًا وحِكمَةً
ببعضهما يِنقادُ صَعْبُ المِفاخِرِ

أما وأبيكَ الخِيرِ إنَّكَ فارسِ الـ
مقالٍ ومُخَيِّ الدارساتِ الغوابِرِ

وإنَّكَ أعييتَ المِسامِعَ والنُّهى
بقولِكَ عَمَّا في بطونِ الدفاتِرِ

فقد أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة وعد ما

(١) الخصائص ج ٢ ص ٤٧٣، وينظر المنزح البديع

ص ٢٧٩، الروض المريع ص ٩٧.

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٤٢٧.

(٣) الفلك الدائر ص ٢١٩.

(٤) المثل السائر ج ١ ص ٤٢٣.

لتسألن البحر» فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسدًا وبحرًا هو عينه هو الأسد والبحر لا أن هناك شيئًا منفصلًا عنه وممتازًا منه. وعلى هذا يخاطب الانسان منهم نفسه حتى كأنها تقابله أو تخاطبه»^(١). ونقل ابن الاثير بعض كلام الفارسي ورَدَّ بعضه، قال: «وأما الذي ذكره أبو علي الفارسي - رحمه الله - فإنه قال: إنَّ العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامئًا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجردًا من الانسان كأنه غيره وهو هو بعينه نحو قولهم: «لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد» و «لئن سألتك لتسألنَّ منه البحر» وهو عينه الاسد والبحر لا أن هناك شيئًا منفصلا عنه أو متميزًا منه. ثم قال: وعلى هذا النمط كون الانسان يخاطب نفسه حتى كأنه يُقاوِلُ غيره كما قال الأعشى: «وهل تُطيق وداعًا أيُّها الرُّجُلُ» وهو الرجل نفسه لا غيره.

هذا خلاصة ما ذكره أبو علي - رحمه الله - والذي عندي أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الأول، لان الثاني هو التجريد، ألا ترى أن الأعشى جرَّدَ الخطاب عن نفسه وهو يريد لها، وأما الأول وهو قوله: «لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد» و «لئن سألتك لتسألنَّ منه البحر» فان هذا تشبيه مضمرة الأداة إذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه»^(٢). ورَدَّ ابن أبي الحديد هذا الرأي وقال: «إنَّ الحدَّ الذي حدَّ هذا الرجل التجريد به لم يأت فيه نص من كتاب الله تعالى ولا ورد عن رسول الله وإنما هو حدُّ اختاره هو وفسر التجريد به، فانه حجر على أبي علي - رحمه الله - أن يجعل التجريد شيئًا آخر. ومعلوم أن هذه الاصطلاحات والمواصفات موكولة الى آراء العقلاء واختياراتهم فأبو علي - رحمه الله - قد اختار أن يُسمي قولهم: «إذا سألت زيدا سألت البحر» تجريدًا، وقد شرح ذلك وأوضحه بقوله إنَّ ظاهر هذه اللفظة أن المسؤول غير زيد لأنَّ ألفاظها تقتضي ذلك. ألا ترى أنك تقول: «صحبت زيدا فاقتبست منه العلم» و«قتلت فلانا فأخذت منه السلب» فيقتضي ظاهره بأنَّ العلم غير المصحوب وأنَّ السلب غير المقتول فهكذا

كالأول وإنما المخاطب هو المخاطب بعينه وليس ثم شيء خارج عنه.

وتحدث عنه عبد القاهر وأخرجه من الاستعارة وقال تعليقا على قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(١): «والمعنى - والله أعلم - أن النار هي دار الخلد وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يقال إن النار شُبِّهت بدار الخلد إذ ليس المعنى على تشبيه النار بشيء يسمى دار الخلد كما تقول في زيد: «إنه مثل الأسد» ثم تقول: «هو الأسد» وإنما هو كقولك: «النار منزلهم ومسكنهم»^(٢).

وقال ابن مالك: «التجريد أن تدل على أن الشيء بليغ في وصف بدعوى ما يستلزم صحة استخلاص موصوف تهيأ منه، كما تقول: «لي من فلان صديق حميم» على دعوى أنه قد بلغ من الصداقة مبلغا صحَّ معه أن يستخلص منه مثله فيها»^(٣).

وقال الحلبي والنويري: هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه»^(٤). ومثل ذلك قال القزويني^(٥) وذكر أنه أقسام غير أنه لم يحددها واكتفى بالأمثلة التي يتضح منها أن التجريد يكون بالباء و«من» ومخاطبة الغير ويراد به النفس وانتزاع شيء من شيء مثله كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(٦) فقد انتزع منها مثلها. وفعل مثله شراح تلخيصه^(٧). ولم يخرج العلوي على ما ذكره ابن الأثير^(٨).

(١) فصلت ٢٨.

(٢) أسرار البلاغة ص ٣١٠.

(٣) المصباح ص ١٠٧.

(٤) حسن التوسل ص ٢٨٥، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٥٦.

(٥) الأيضاح ص ٣٦٣، التلخيص ص ٣٦٨.

(٦) فصلت ٢٨.

(٧) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٤٨، المطول

ص ٤٣٢، الاطول ج ٢ ص ٢٠٤.

(٨) الطراز ج ٣ ص ٧٢.

عده من الفضائل النائية، وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض. وأما ما قصد به التوسع خاصة فكقول الصمة بن عبد الله:

حَنَنْتُ إِلَى رِيًّا وَنَفْسِكَ بَاعَدَتْ

مَزَارِكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبَا كَمَا مَعَا

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا

وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

وقد ورد بعدهما ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع؛ لأنه قال:

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الصَّبَا ثُمَّ أَنْشَيْتُ

عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَى

وَمَا أَحْسَنَ الْمَصْطَافَ وَالْمَتْرَبَعَا

فانتقل من الخطاب التجريدي الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الاولى لما قضي عليه بالتوسع وإنما كان يقضي عليه بالتجريد البليغ.

وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبي:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ

فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

وَاجْزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ

بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى الْقَوْمِ أَقْوَالُ

الثاني: التجريد غير المحض، وهو خطاب لنفسك لا لغيرك، وهذا «نصف تجريد» لأنك لم تجرد من نفسك شيئاً وإنما خاطبت نفسك بنفسك. ومنه قول عمرو بن الاطنابة:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ جَشَأْتُ وَجَاشَتْ

مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وقول الأخر:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً

إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ

وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطاباً لغيرك

أَعَانِقُ غُضْنَ الْبَانِ مِنْ لَيْنِ قَدَّهَا
وَأَجْنِي جَنِّي الْوَزْدِ مِنْ وَجَنَاتِهَا
وقول أبي العلاء:

مَاجَتْ نُمِيرُ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا لَبِدٍ
وَاللَيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالاً مِنَ التَّمِيرِ

الثاني: أن يكون بالباء التجريدية الداخلة على
المنتزع منه. مثل: «لئن سألت فلانا لتسألن به البحر»
بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرًا في
السماحة.

ومنه قول الشاعر:

دَعَوْتُ كُليْبًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا
دَعَوْتُ بِهَا ابْنَ الطُّودِ أَوْ هُوَ أَسْرَعُ

جَرَّدَ مِنْ كُليْبٍ شَيْئًا يَسْمَى ابْنَ الطُّودِ وَهُوَ الصَّدَى،
والحجر إذا تدهده، يريد به سرعة استجابته.

الثالث: أن يكون بدخول باء المعية والمصاحبة في
المنتزع كقوله:

وَشَوْهَاءٌ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِيخِ الْوَعْيِ
بِمَسْتَلْتِمٍ مِثْلِ الْفَنِيْقِ الْمَرْحَلِ

الرابع: أن يكون بدخول «في» على المنتزع منه
كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(٧) أي: في
جهنم وهي دار الخلد، لكنه انتزع منها دارًا أخرى
وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلًا لأمرها
ومبالغة في اتصافها بالشدة.

(١) الفوائد ص ١٦٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٤٨.

(٣) خزائن الأدب ص ٤٣٦.

(٤) معترك ج ١ ص ٣٩٦، وينظر الاتقان ج ٢
ص ٩٠، حلية اللب ص ١٣٩.

(٥) شرح عقود الجمان ص ١٢١ وينظر الروض
المريع ص ٩٦، نفحات ص ٣١٨، التبيان في
البيان ص ٢٣٥، شرح الكافية ص ٢٠٧.

(٦) أنوار الربيع ج ٢ ص ١٥٣.

(٧) فصلت ٢٨.

وَسَمَّى ابْنَ قَيْمِ الْجَوْزِيَّةِ التَّجْرِيدَ الْمُحَضَّ «خطاب
الغير» وقال: «الأول خطاب الغير والمراد به المتكلم
وهو أولى باسم التجريد» وَسَمَّى غَيْرَ الْمُحَضَّ «خطاب
المتكلم لنفسه»^(١). وقال الزركشي: «هو أن تعتقد أن
في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه مباين له فتخرج
ذلك الى ألفاظه بما اعتقدت ذلك»^(٢).

ونقل الحموي^(٣) تعريف القزويني ولم يُفصّل
القول فيه وإنما اكتفى بمثال واحد:

«مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة»
فجردت من الرجل نسمة متصفة بالبركة وعطفتها
عليه كأنها غيره وهي هو. وبيت واحد هو:

أَعَانِقُ غُضْنَ الْبَانِ مِنْ لَيْنِ قَدَّهَا
وَأَجْنِي جَنِّي الْوَزْدِ مِنْ وَجَنَاتِهَا
فانه جَرَّدَ مِنْ قَدَّهَا غُضْنَا وَمِنْ وَجَنَاتِهَا وَرَدَا.

وذكر السيوطي في «معترك الاقران» مثال الحموي
النثري وبعض الآيات بعد أن عرّفه تعريفا لا يخرج على
ما قاله السابقون^(٤). ولكنه أعاد الحديث عنه في
«شرح عقود الجمان» وقسّمه الى قسمين: الأول: أن
ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة.

الثاني: أن تجرد نفسك فتخاطبها كأنها غيرك^(٥).

وقال المدني بعد أن ذكر معنى التجريد في اللغة:
«وفي الاصطلاح أن ينتزع من أمر متصف بصفة أمر
آخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكمالها فيه حتى كأنه
بلغ من الاتصاف بها مبلغًا يَصِحُّ أَنْ يَنْتَزِعَ مِنْهُ أَمْرٌ آخَرُ
مَوْصُوفٌ بِتِلْكَ الصِّفَةِ»^(٦).

وأوضح أقسامه وهي:

الأول: أن يكون بـ«من» التجريدية الداخلة على
المنتزع منه. مثل: «لي من فلان صديق حميم» أي
قد بلغ من الصداقة مبلغًا صحّ معه أن يستخلص منه
صديق آخر مثله فيها. ومنه قول الشاعر:

وَبِي طَبِيَّةٌ أَدْمَاءُ نَاعِمَةٌ الصَّبَا
تَحَارُّ الطِّبَاءُ الْغَيْدُ مِنْ لَفَاتِهَا

من الشعر جميعه أجزاء عروضية ويسجعها كلها على رويين مختلفين جزءً بجزء الى آخر البيت، الأول من الجزأين على رويٍ مخالفٍ لروي البيت، والثاني على روي البيت»^(٣) كقول الشاعر:

هنديّة لحظاتها

خطيةً خطراتها

داريةً نفحاتها^(٤)

ومثال الثاني الذي سجع كل ثان من أجزائه زائداً على قافيته قول أبي تمام:

تَجَلَّى به رُشدي وأثرُ به يدي

وطابَ به ثَمُدي وأورى به زَنُدي^(٥)

وفَرَّقَ بينه وبين التسميط من وجهين:

الأول: تقسيم بيتها الى ثلاثة أجزاء مسجعة إن كان سداسياً أو أربعة مسجعة إن كان ثمانياً.

الثاني: التزام السجع في الأجزاء على قافية البيت. وَفَرَّقَ بينه وبين التسجيع فقال: «وبينه وبين التجزئة اختلاف زنة أجزائه ومجيئها على غير عدد محصور معين»^(٦).

وقال ابن مالك: «التجزئة أن تأتي مقاطع أجزاء البيت على سجعين متداخلين وأولهما مخالف للروي والثاني على وَفَقَه»^(٧).

وسَمَّاه ابن قيم الجوزية: «التجزيء»: وقال: «هو أن يكون الكلام مجزئاً ثلاثة أجزاء أو أربعة

الخامس: أن يكون بلا توسط حرف كقول قتادة بن مسلمة الحنفي:

فلئن بقيتُ لأزحَلَنَّ بَعزُوةً

تَحوي الغنائمَ أو يموتُ كريمٌ

يعني بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كلامه، ولذلك لم يقل: «أو أموت».

السادس: أن يكون بطريق الكناية كقول الأعشى:

يا خَيْرَ مَنْ يَزُكُّبُ المَطِيَّ ولا

يَشْرَبُ إلا بِكفِّ مَنْ بِخِلا

أي يشرب الكأس بكف جواد، فقد انتزع من الممدوح جواداً يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف كريم، ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم.

السابع: أن يكون بطريق خطاب المرء لنفسه كقول المتنبي:

لا خيلَ عندك تُهدِيها ولا مالُ

فليُشعِدِ النطقُ إن لم تُشعِفِ الحالُ

كأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل والمال والحال الذي هو الغنى.

وهذه الأقسام التي ذكرها المدني جمعت ما قاله السابقون.

التَّجْزِئَةُ:

الجزء: البعض، وَجَزَأَ الشيءَ جُزْءً وَجَزَأَهُ: جعله أجزاءً، وكذلك التجزئة وَجَزَأَ المالَ بينهم - مشدد لا غير - قَسَمَهُ، وَأَجْزَأَ مِنْهُ جُزْءً أَخَذَهُ^(١).

قال ابن منقذ: التجزئة هو أن يكون البيت مجزئاً ثلاثة أجزاء أو أربعة^(٢) كقول المتنبي:

فَنَحْنُ فِي جَدَلٍ والرَّومُ فِي جَزَلٍ

والبَحْرُ فِي نَحْجَلٍ والبر فِي شُغْلٍ

وقال المصري: «وهو أن الشعر - يجزئ البيت

(١) اللسان (جزأ).

(٢) البديع في نقد الشعر ص ٦٣.

(٣) تحرير التحبير ص ٢٩٩.

(٤) الهندية: السيف. الخطية: الرماح. دارية: نسبة الى دارين أي أن لحاظها كالسيف فتكا والرماح اعتدالا وكالمسك طيبا.

(٥) التمد: الماء القليل.

(٦) تحرير ص ٣٠٠.

(٧) المصباح ص ٧٩.

منه. وذكر العسكري وابن سنان^(٩) أنَّ قدامة مثَّلَ للتجميع بقول سعيد هذا، وليس في «نقد الشعر» هذا المثال.

وقال ابن رشيق إنَّ من ابتداء القصائد التجميع وهو «أنَّ يكون القسم الأول متهيئاً للتصريح بقافية ما يأتي تمام البيت بقافية من خلالها»^(١٠). كقول جميل بثينة:

يا بَشُّ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاشْجِحِي

وُخْذِي بِحِظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلِ

فتهيأت القافية على الحاء ثم صرفها الى اللام. ثم قال ابن رشيق: «وهو كالاكفاء والسناد»^(١١) في القوافي إلا أنه دونهما في الكراهية جداً واذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتمسور الداخل من غير باب».

وقال ابن سنان إنَّ قدامة سَمَّى «ترك المناسبة في مقاطع الفصول التجميع»^(١٢) ثم قال: «ومن عيوب القوافي أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي يُنْبِئُ أَنْ تكون قافية آخر البيت بحسبه فيأتي بخلافه»^(١٣).

- (١) الفوائد ص ٢٣١.
- (٢) الكوثر ١ - ٣.
- (٣) مريم ٤٢ - ٤٥.
- (٤) خزانة الأدب ص ٤٣٥، شرح عقود الجمان ص ١٥٣، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٠١، نفحات ص ٦٥، شرح الكافية ص ١٩٣.
- (٥) الفوائد ص ٢٣١.
- (٦) اللسان (جمع).
- (٧) نقد الشعر ص ٢٠٩.
- (٨) كتاب الصناعتين ص ٢٦٤.
- (٩) كتاب الصناعتين ص ٢٦٤، سر الفصاحة ص ٢٠٩.
- (١٠) العمدة ج ١ ص ١٧٧.
- (١١) الاكفاء: اختلاف حرف الروي في قصيدة واحدة.
- (١٢) سر الفصاحة ص ٢٠٩.
- (١٣) سر الفصاحة ص ٢٢٠.

أجزاء»^(١) كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢)، وهذا مثال الأجزاء الثلاثة أما مثال الأربعة فكقوله تعالى حكاية عن ابراهيم - عليه السلام - يعظ أباه بقوله: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾^(٣).

ولا يخرج كلام الحموي والسيوطي والمدني على هذا التحديد وهذه الأمثلة^(٤).

التَّجْزِيءُ:

هو التجزئة، وهذه تسمية ابن قيم الجوزية^(٥). وقد تقدم.

التَّجْمِيعُ:

جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً وجمعه وأجمعه فاجتمع، وكذلك تجمَّع واستجمع. وجمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا^(٦).

ذكر قدامة التجميع في عيوب القوافي وقال: «هو أن تكون القافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيئ لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه»^(٧) كقول عمرو بن شأس:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى لَاتَ حِينَ ادَّكَارِهَا

وقد حني الاصلاب ضلاً بتضلال

وَعَدَّهُ العسكري من عيوب الازدواج وقال عنه: «هو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني»^(٨). مثل ذلك أن سعيد بن حميد كتب: «وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر وإن كان قديم العبودية ويستغرق الشكر وإن كان سالف ودك لم يُتَّقِ منه شيئاً». فالعبودية بعيدة

تتكلم بها وانما علماء اللغة قاسوها على نظائرها وجعلوا الجناس حال كلمة بالنسبة الى أختها وكذلك المجانسة. وأما التجنيس فانه فعل المجنس مثل التصنيف فعل المصنف. وأما التجانس فهو الكلمات في نفسها من التشابه^(٦). وقال العلوي: «وهو تفعيل من التجانس وهو التماثل وانما سمي هذا النوع جناسًا لأن التجنيس الكامل أن تكون اللفظة تصلح لمعنيين مختلفين، فالمعنى الذي تدل عليه هذه اللفظة هي بعينها تدل على المعنى الآخر من غير مخالفة بينهما، فلما كانت اللفظة الواحدة صالحة لهما جميعا كان جناسا، وهو من أطف مجاري الكلام ومحاسن مداخله وهو من الكلام كالغرة في وجه الفرس. فالجنس في اللغة هو الضرب من الشيء وهو أعم من النوع والمجانسة المماثلة. وسُمِّي هذا النوع جناسًا لما فيه من المماثلة اللفظية. وزعم ابن دريد أن الاصمعي يدفع قول العامة: «هذا مجانس» لهذا، ويقول إنه مولد^(٧).

وللأصمعي كتاب سماه «الأجناس» ولأبي عبيدالله القاسم بن سلام «كتاب الاجناس من كلام العرب وما اشبهه في اللفظ واختلف في المعنى»^(٨) وقد أشار سيبويه الى فن التجنيس وسماه «اتفاق اللفظين والمعنى مختلف»^(٩). وذكر المبرد مثل ذلك^(١٠) وله كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن

وقال البغدادي إنَّ التجميع من عيوب الألفاظ ومثَّل له بقول سعيد بن حميد^(١). وقال القرطاجني: «ويكره أن يكون مقطع المصراع الأول على صيغة يوهم وضعها أنها مصراع ثم تأتي القافية على خلاف ذلك فيخلف ظن النفس في القافية لذلك، وقد سُمِّي هذا تجميعا»^(٢).

التَّجْنِيس:

الجنس: الضَّرْبُ من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض ومن الأشياء جملة. ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولا عقل^(٣).

وقال الحموي: «وأما اشتقاق الجناس فمنهم من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس أيضًا إلا أن إحدى الكلمتين إذا تشابهت بالأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والجناس مصدر جانس، ومنهم من يقول التجانس التفاعل من الجنس أيضًا لأنه مصدر تجانس الشيطان إذا دخلا في جنس واحد. ولما انقسم أقسامًا كثيرة وتنوع أنواعًا عديدة تنزل منزلة الجنس الذي يصدق على كل واحد من أنواعه فهو حينئذ جنس»^(٤).

وقال المدني: «الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس، فالجناس مصدر جانس والتجنيس تفعيل من الجنس والمجانسة مفاعلة منه؛ لأنَّ إحدى الكلمتين إذا شابته الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، والتجانس مصدر تجانس الشيطان إذا دخلا تحت جنس واحد»^(٥).

فالتجنيس هو التجانس والجناس والمجانسة وكلها مشتقة من الجنس، وقد قال ابن الاثير الحلبي: «فأما لفظة الجناس فيقال إنَّ العرب لم

(١) قانون البلاغة ص ٤١٠.

(٢) منهاج البلغاء ص ٢٨٣.

(٣) اللسان (جنس).

(٤) خزانة الأدب ص ٢٢.

(٥) أنوار الربيع ج ١ ص ٩٧.

(٦) جوهر الكنز ص ٩١.

(٧) الطراز ج ٢ ص ٣٥٥، وينظر اللسان (جنس).

(٨) فهرست ابن النديم ص ٦١، وينظر كتاب

الصناعتين ص ٣٢١.

(٩) الكتاب ج ١ ص ٢٤.

(١٠) المقتضب ج ١ ص ٤٦.

ائتلاف اللفظ والمعنى على المطابق والمجانس
وقال: «ومعناهما أن تكون في الشعر معانٍ متغايرة قد
اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة. فأما
المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة مثل قول زياد
الأعجم:

وُنُبئتهم يَسْتَنْصرونَ بكاهِلٍ
وللؤم فيهم كاهِلٌ وسَنامٌ^(٥)

... وأما المجانس فأَنْ تكون المعاني اشتراكها في
ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق مثل قول أوس بن
حجر:

لكن بفرتاخ فالخلصاء أنت بها
فحنبلٍ فعلى سراء مسرور^(٦)

ومثل قول زهير:

كأنَّ عَيْني وقد سال السليلُ بهم
وجيرة ما هم لو أنَّهم أممٌ^(٧)

فالمطابق عند قدامة هو التجنيس الحقيقي اما
المجانس فهو شبيه به أو أحد أنواعه الذي سُمِّي
تجنيس الاشتقاق.

وذكر الحاتمي قصة هذا الخلاف في المصطلح
فقال: «أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين القرشي قال:
قلت لأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وكان

(١) فهرست ابن النديم ص ٦٥، وينظر كتاب ما
اتفق لفظه واختلف معناه ص ٣ وما بعدها.

(٢) قواعد الشعر ص ٥٦.

(٣) البديع ص ٢٥.

(٤) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٦، كفاية الطالب
ص ١٣١.

(٥) كاهل الأولى للقبيلة والثاني للعضو المعروف
وهو أعلى الظهر مما يلي العنق.

(٦) فرتاخ: موضع. الخلصاء: ماء في البادية وقيل
موضع. حنبل: موضع.

(٧) نقد الشعر ص ١٨٥ - ١٨٦. سأل السليل بهم:

ساروا فيه سيرًا سريعًا، والليل: اسم واد.
الأمم: القصد والقرب.

المجيد^(١). وسماه ثعلب «المطابق» وقال: «هو تكرر
اللفظة بمعنيين مختلفين»^(٢).

والتجنيس ثاني فن من بديع ابن المعتز وهو «أن
تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام.
ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على
السبيل الذي ألف الاصمعي كتاب الاجناس عليها.
وقال الخليل: «الجنس لكل ضرب من الناس والطيور
والعروض ونحوه فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى
في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول
الشاعر: «يوم خلجت على الخليج نفوسهم». أو
يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل
قول الشاعر: «إن لوم العاشق اللوم»^(٣). ومعنى ذلك ان
التسمية ليست لابن المعتز وانما هي للخليل
وللاصمعي، ويبدو أن رأيهما قريب من كلامه فهو
يقول: «على السبيل الذي ألف: الأصمعي كتاب
الاجناس عليها».

وللتجنيس تعريفات كثيرة، وقد شَرَّق المؤلفون فيه
وَعَرَّبوا وقسموه أقسامًا كثيرة لذلك قال ابن الاثير:
«وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه
فَعَرَّبوا وشَرَّقوا لا سيما المحدثين منهم، وصنف
الناس فيه كتبًا كثيرة وجعلوه أبوابًا متعددة واختلفوا
في ذلك وأدخلوا بعض تلك الابواب في بعض فمَنهم
عبدالله بن المعتز وأبو علي الحاتمي والقاضي أبو
الحسن الجرجاني وقدامة بن جعفر الكاتب، وإنما
سُمِّي هذا النوع من الكلام مجانسا، لأنَّ حروف
ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد. وحقيقته أن
يكون اللفظ واحدًا والمعنى مختلفًا وعلى هذا فانه:
هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس
الحقيقي في شيء إلا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى
تجنيسًا وتلك تسمية بالمشابهة لا لأنها دالة على
حقيقة المسَمَّى بعينه»^(٤).

وكان البلاغيون قبل ذلك قد عرفوا التجنيس
وتحدثوا عنه ومنهم قدامة الذي تكلم في باب

بعد أن تكلم على المطابق: «وهذا باب - أعني المطابق - لقبه أبو الفرج قدامة ابن جعفر في نقد الشعر «المتكافى» وسَمَّى ضرباً من المتجانس المطابق... وما علمت أن أحداً فعل هذا غير أبي الفرج فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات، وكانت الألقاب غير محظورة فاني لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها إذ قد سبقوا الى التلقيب وكفوه المؤونة. وقد رأيت قومًا من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة إذا ترددت وتكررت نحو قول جرير:

تَزَوَّدَ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا
فَنِعَمَ الزَادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا
وبابه قليل»^(٦).

وعقد الرماني بابًا للتجانس وقال: «هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة»^(٧). وقال العسكري: «التجنيس أن يُوردَ المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها على حسب ما أَلَّفَ الأصمعي كتاب الأجناس. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظًا واشتقاق معنى كقول الشاعر:

يَوْمًا خَلَجْتَ عَلَى الْخَلِيجِ نَفْسَهُمْ

عَصَبًا وَأَنْتَ لِمِثْلِهَا مُسْتَامٌ

(١) الزبير: بفتح الزاي، وعبدالله بن الزبير من شعراء الحماسة.

(٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٤٢. السمود: الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه.

(٣) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٤٦.

(٤) الموازنة ج ١ ص ٢٦٥.

(٥) الموازنة ج ١ ص ٢٦٦.

(٦) الموازنة ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٧) النكت في إعجاز القرآن ص ٩١.

أعلم من شاهدته بالشعر: أجد قوما يخالفون في الطباق فطائفة تزعم - وهي الأكثر - بأنه ذكر الشيء وضده فيجمعهما اللفظ فهما لا المعنى. وطائفة تخالف ذلك فتقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد كقول زياد الأعجم:

وُنُبِئْتَهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ

وَلِللَّؤْمِ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسِنَامٌ

فقوله: «كاهل» للقبيلة، وقوله «كاهل» للعضو عندهم هو المطابقة. قال: فقال الأخفش: من هذا الذي يقول هذا؟ قلت: قدامة وغيره... فقال: هذا يا بني هو التجنيس ومن زعم أنه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل والأصمعي. ف قيل له: أفكانا يعرفان هذا؟ فقال: سبحان الله وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه. قلت: فأنشدني أحسن طباق للعرب. قال قول عبدالله بن الزبير الأسدي^(١):

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ

بِمَقْدَارِ سَمْدَنْ لَه سُمُودَا

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا

وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا^(٢)

وتحدث الحاتمي عن المجانسة وذكر له قول جرير:

كَأَنَّكَ لَمْ تَسِرْ بِبِلَادِ نُعْمٍ

وَلَمْ تَنْظُرْ بِنَاظِرَةِ الْخِيَامَا

وقوله:

وَمَا زَالَ مَعْقُولًا عِقَالٌ عَنِ النَّدَى

وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا مِنَ الْخَيْرِ حَابِسُ^(٣)

وهذا ما يدخل في التجنيس. وتكلم الآمدي على المجانس في شعر أبي تمام فقال: «هو ما اشتق بعضه من بعض»^(٤) وذكر مصطلح «التجنيس» فقال عن جرير والفرزدق: «وكأن هذين الشاعرين في تجنيس ما جتساه من هذه الالفاظ وحاجتهما اليه يشبه قول النبي - ﷺ - «عُصِيَّةٌ عَصَتِ اللَّهَ، وَعَفَارٌ عَفَرَ اللَّهَ لَهَا، وَأَسْلَمٌ سَأَلَهَا اللَّهَ»^(٥). ثم قال

...ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون
المعنى كقول الشاعر:

يا صاح إن أحاك الصَّبَّ مَهْمومٌ
فارفقُ به إن لَوَمَ العاشقِ اللومُ^(١)

وقال الباقلاني: «ومعنى ذلك أن تأتي بكلمتين
متجانستين. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى
في تأليف حروفها ومعناها واليه ذهب الخليل.
ومنهم من زعم ان المجانسة أن تشترك اللفظتان
على جهة الاشتقاق»^(٢).

ولم يُعرّف ابن رشيّق التجنيس وإنما ذكر أنّه
صُروب كثيرة وعَرّف كل ضرب وذكر له أمثلة^(٣)،
وفعل مثله عبد القاهر الذي تحدث عن ميزته ومواضع
الاحسان والاساءة في استعماله^(٤). وقال التبريزي: هو
«أن يأتي الشاعر بلفظتين في البيت إحداهما مشتقة من
الأخرى، وهذا الجنس يسمونه المطلق»^(٥)، ونقل
البغدادي هذا التعريف^(٦).

وقال الصنعاني: «هو اجتماع كلمتين ألفتا من
حروف متجانسة ولأهل الأدب فيه مذاهب مختلفة
وأقسامه كثيرة»^(٧).

وقال السكاكي: «هو تشابه الكلمتين في
اللفظ»^(٨) وأدخله في التحسين اللفظي كما فعل ابن
الاثير حينما تحدث عنه في الصناعة اللفظية^(٩).

وقال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بكلمتين
مقترنتين متقاربتين في الوزن غير متباعدتين في النظم،
غير متنافرتين عن الفهم يتقبلهما السمع ولا ينبو عنهما
الطبع»^(١٠).

وقال ابن مالك: «ويسميه قدامة طباقا، وهو أن تأتي
في غير رد العجز على الصدر بلفظتين بينهما تماثل في
الحروف وتغاير في المعنى»^(١١). وأدخله في قسم
الفصاحة اللفظية من علم البديع.

وقال التنوخي هو: «أن يأتي المتكلم في كلامه
بحرف أو حرفين ثم يأتي بها ثانيًا في أثناء ذلك

الكلام من غير أن يكون بينهما بُعْدٌ بحيث ينصرف
فيه الذهن عن الأول. ولعل ذلك أن يكونا مجتمعين
في بيت من الشعر ونحوه من الكلام، ولا بُدَّ أن يكون
المتجانسان مختلفي المعنى»^(١٢).

وسماه القزويني: «الجناس» وأدخله في
المحسنات اللفظية^(١٣) كالسكاكي وابن مالك،
وتبعه في التسمية شراح التلخيص والحموي
والسيوطي والمدني^(١٤).

وسماه ابن الأثير الحلبي: «الجناس» ولكنه حينما
عرفه قال: «وحدّ التجنيس أنه اتفاق اللفاظ واختلاف
المعاني»^(١٥)، وقريب من هذا ما ذكره العلوي الذي
عرفه بقوله: «وهو أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه
ويختلف معناهما»^(١٦).

ولم يهتم الأدباء جميعهم بهذا الفن، فقد كان
منهم من لا يتخذه مذهبًا لما في كثير منه من

(١) كتاب الصناعتين ص ٣٢١.

(٢) اعجاز القرآن ص ١٢٦.

(٣) العمدة ج ١ ص ٣٢١.

(٤) أسرار البلاغة ص ٦، دلائل الاعجاز ص ٤٠٢.

(٥) الوافي ص ٢٦٠.

(٦) قانون البلاغة ص ٤٣٧.

(٧) الرسالة العسجدية ص ١٢٧.

(٨) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(٩) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٦.

(١٠) نضرة الاغريض ص ٤٩.

(١١) المصباح ص ٨٤.

(١٢) الأقصى القريب ص ١١٢.

(١٣) الايضاح ص ٣٨٢، التلخيص ص ٣٨٨.

(١٤) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤١٢، المطول

ص ٤٤٥، الاطول ج ٢ ص ٢٢١، خزانة

ص ٢٠، معترك ج ١ ص ٣٩٩، الاتقان ج ٢

ص ٩٠، شرح عقود الجمان ص ١٤٣، أنوار

الربيع ج ١ ص ٩٧، التبيان في البيان ص ٤٠٣.

(١٥) جوهر الكنز ص ٩١.

(١٦) الطراز ج ٢ ص ٣٥٦.

تتقدم وتتأخر.

وفي كتب البلاغة والنقد والأدب أنواع كثيرة هي:

تجنيس الإشارة:

قال الرازي: «إنَّ المتجانس قد يكون مذكورًا صريحًا وقد يكون مذكورًا بإشارة»^(٥).

وقال العلوي: «هو أن لا يذكر أحد المتجانسين في الكلام ولكن يُشار إليه بما يدلُّ عليه»^(٦).

كقول بعضهم وذكره الرازي أيضًا:

حُلِقَتْ لَحِيَةُ مُوسَى بِاسْمِهِ

وبهرون إذا ما قُلِبَا

لأنَّ كلمة «هرون» إذا قلبت كانت «نوره» لكنه لم يذكرها وإنما أشار إليها إشارة بقوله: «وبهرون إذا ما قلبا».

وقول آخر:

وما أروى وان كرمت علينا

بأدنى من موقفة حرون

يطيف بها الرماة فتتقيهم

بأوعالٍ معطفة القرون

ف«أروى» هي المرأة، وقوله «موقفة حرون» إشارة إلى أروى الأوعال وأراد أن هذه المرأة التي اسمها أروى ليست بأقرب من التي في الجبال لكنه أعرض عن ذكرها.

(١) خزانة الأدب ص ٢٠.

(٢) البديع ص ١.

(٣) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٢٢، حسن التوسل ص ١٨٣، التبيان في البيان ص ٤٠٣.

(٤) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٦.

(٥) نهاية الأيجاز ص ٢٩، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٢.

(٦) الطراز ج ٢ ص ٣٧٢، وينظر المنزع البديع ص ٤٩٦، جنى الجناس ص ٧٣، الروض المريع ص ١٦٣.

التكلف، قال الحموي: «أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فإنَّ كلاً منهما يؤدي إلى العقادة والتقييد عن اطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة»^(١). وكان الاوائل يستعملون هذا الفن ولكن من غير إصراف فلما أفضى الحال إلى المولدين في العصر العباسي شاع وظهر، وقد أكثر منه أبو تمام، ولذلك قال ابن المعتز في التجنيس وغيره من فنون البديع: «إنَّ حبيب ابن أوس الطائي من بعدهم شُغِفَ به حتى غلب عليه وتفرَّع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عُقْبَى الإفراط وثمره الإسراف»^(٢).

وأقسام التجنيس أو الجناس كثيرة، وقد اختلف أرباب البديع فيها اختلافاً كبيراً، وقد أفردته بالتأليف جماعة منهم الشيخ صفي الدين الحلبي، ألف كتاباً سماه «الدر النفيس في أجناس التجنيس» والشيخ صلاح الدين الصفدي. ألف فيه كتابه المسمى «جناس الجناس»^(٣) ورأى ابن الاثير أنه سبعة أقسام، واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لأن لفظه واحد لا يختلف، وستة أقسام مشبهة. فالقسم الأول الحقيقي هو «أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها»^(٤)، والأقسام الستة المشبهة بالتجنيس هي: الأول: أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها.

الثاني: أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير.

الثالث: أن تكون الالفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد.

الرابع: المعكوس، وهو ضربان: عكس الالفاظ وعكس الحروف.

الخامس: المجنب وهو أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداهما كالتبع للأخرى والجنبية لها.

السادس: ما يساوي وزنه تركيبه غير أن حروفه

وقال الحلبي والنويري: «ويُسمى الاقتضاب أيضًا ومنهم من عدّه أصلاً برأسه ومنهم من عدّه أصلاً في التجنيس: وهو أن تجيء بالفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة»^(٧).

وقال السيوطي: «ويسمى المقتضب»^(٨). وقد فرّق الحموي بينه وبين المطلق فقال: «أما الجنس المطلق فلشدة تشابهه بالمشتق يُوهم أحد ركنيه أن أصلهما واحد وليس كذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾^(٩)، وكقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾^(١٠)... فهذه الأركان هنا شواهد على الجنس المطلق ليس فيها ركنان يرجعان الى أصل واحد كالمشتق بل جميع ما ذكرنا أسماء أجناس وهي محمولة على عدم الاشتقاق»^(١١).

تَجْنِيسُ الْإِضَافَةِ:

قال ابن الزمكاني: «فإن عرض للمنطق أن أضيف الى إحدى الكلمتين قيل له تجنيس الإضافة كقول البحرّي:

- (١) خزنة الأدب ص ٤١.
- (٢) خزنة ص ٤٢.
- (٣) شرح عقود الجمان ص ١٤٧، أنوار الربيع ج ١ ص ٢١٧، التبيان في البيان ص ٤٠٨.
- (٤) الأيضاح ص ٣٨٩، التلخيص ص ٣٩٢، الأيضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٢.
- (٥) الروم ٤٣.
- (٦) الواقعة ٨٩.
- (٧) حسن التوسل ص ١٩٣، نهاية الأرب ج ٧ ص ٩٥، حدائق السحر ص ١٠٣، الفوائد ص ٢٢٠.
- (٨) معترك ج ١ ص ٤٠١، شرح عقود الجمان ص ١٤٧، الروض المريع ص ١٦٧.
- (٩) يونس ١٠٧.
- (١٠) المائدة ٣١.
- (١١) خزنة الأدب ص ٢٥.

وسمّي بعضهم هذا النوع «تجنيس الكناية» قال الحموي: «وكل منهما مطابق التسمية»^(١). وأدخله في الجنس المعنوي وعَرّفه بقوله: «الضرب الثاني من المعنوي وهو جناس الاشارة والكناية هو غير الأول أي جناس الاضمار. وسبب ورود هذا النوع في النظم أن الشاعر يقصد المجانسة في بيته بين الركنين من الجنس فلا يوافقه الوزن على إبرازهما فيضمّر الواحد ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمّر فإن لم يتفق له مرادف الركن المضمّر فيأتي بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه. وهذا لا يتفق في الكلام المنشور»^(٢). ومثاله قول امرأة من عقيل وقد أراد قومها الرحيل عن بني ثهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الابل:

فما مكثنا دام الجمال عليكما
بثهلان إلا أن تُشدّ الأباعرُ

وأرادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت الى مرادفة الجمال بالاباعر. ومنه قول دعبل في امرأته سلمى:

إني أحبُّك حُبًّا لو تَضَمَّنَهُ

سَلْمَى سَمِيكَ ذَاكَ الشَّاهِقُ الرَّاسِي

فالكناية في «سميك» لأنها أشعرت أن الركن المضمّر في سلمى يظهر منه جناس الاشارة بين الركن الظاهر والمضمّر في سلمى، وسلمى الذي هو الجبل.

ولم يخرج السيوطي والمدني عن ذلك في بحث هذا الفن^(٣).

تَجْنِيسُ الْإِشْتِقَاقِ:

أحقه القزويني بالجناس وقال: هو «أن يجمع بين اللفظين الاشتقاق»^(٤) كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾^(٥)، وقوله ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾^(٦). ومنه قول أبي تمام:

وَأَنْجَدْتُكُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكَمِ

فِيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

ونقل السيوطي والمدني هذا الكلام، وسارا على
خطا الحموي^(٤).

تَجْنِيسُ الإِطْلَاقِ:

ألحقه القزويني بالجناس وقال: هو أن تجمع
اللفظين المشابهة، وهي ما يشبه الاشتقاق وليس
به^(٥). وقال السيوطي: «ومنها تجنيس الاطلاق بأن
يجتمع في المشابهة فقط»^(٦). وقال: «ويسمى أيضًا
المشابهة والمقاربة والمغايرة وإيهام الاشتقاق»^(٧).
ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾^(٨). وقوله:
﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾^(٩).

ومنه قول البحري:

وإذا ما رياحُ جُودِكَ هَبَّتْ

صار قولُ العَدُولِ فيها هَبَاءً

تَجْنِيسُ الإِقْتِضَابِ:

هو تجنيس الاشتقاق، ويسمى المقتضب
أيضًا^(١٠). وقد تقدم.

تَجْنِيسُ البَعْضِ:

وهو مثل الجناس او التجنيس الناقص، ومنه قول
القُطامي:

(١) التبيان ص ١٦٨.

(٢) الوساطة ص ٤٤.

(٣) خزانة ص ٤١.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٢٧، أنوار الربيع ج ١
ص ٢٠٩.

(٥) الايضاح ص ٣٨٩، التلخيص ص ٣٩٢.

(٦) معترك ج ١ ص ٤٠١.

(٧) شرح عقود الجمان ص ١٤٦.

(٨) الرحمن ص ٥٤.

(٩) الشعراء ص ١٦٨.

(١٠) حسن التوسل ص ١٩٣، نهاية الارب ج ٧

ص ٩٥، معترك ج ١ ص ٤٠١، شرح عقود

الجمان ص ١٤٧.

أيا قَمَرَ التَمَامِ أَعْنَتَ ظُلْمًا

عليّ تطاولُ الليلِ التَمَامِ

فصار بالاضافة كالمختلفين^(١). وكان القاضي
الجرجاني قد سماه «المضاف» وذكر بيت البحري
وقال: «ومعنى التمام واحد في الامرين ولو انفرد لم يُعدَّ
تجنيسًا ولكنَّ أحدهما صار موصولاً بالقمر والآخر
بالليل فكانا كالمختلفين»^(٢).

تَجْنِيسُ الإِضْمَارِ:

التجنيس المعنوي نوعان: تجنيس الاشارة وقد
تقدم، وتجنيس الاضمار قال الحموي: «فالمعنوي
المضممر هو أن يضمم الناظم ركني التجنيس ويأتي
في الظاهر بما يرادف المضممر للدلالة عليه، فإن
تعذر المرادف أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على
المضممر بالمعنى»^(٣). ومنه قول ابن عبدون وقد
اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا:

ألا في سبيلِ اللّهُوِ كأسٌ مُدَامِةٌ

أَتَتْنَا بِطَعْمِ عَهْدِهِ غَيْرِ ثَابِتِ

حكّت بِنْتٌ بَسْطَامِ بنِ قَيْسِ صَبِيحَةً

وَأَمْسَتْ كَجَسْمِ الشَّنْفَرِيِّ بَعْدَ ثَابِتِ

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء، والشنفرى
قال:

اشقنيها يا سواد بن عمرو

إنّ جسمي من بعدِ حالي لَحَلٌّ

والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية اللفظ
جناسان مضميران في صهباء وصهباء، وخل وخل،
وهما في صدر البيت وعجزه. ومن هنا أخذ الشيخ
صفي الدين الحلبي وقال:

وكلّ لَحْظٍ أتى باسم ابنِ ذي يَزَنِ

في فَتْكِهِ بالمُعْنَى أو أَبِي هَرَمِ

فابن ذي يزن اسمه سيف وأبو هرم اسمه سنان، فظهر
له جناسان مضميران من كنايات الالفاظ الظاهرة.

بأَحْسَنَ من جُمَانَةٍ يَوْمَ رَدُّوا

جِمَالَ البين واحتملوا نهارا

ف«جمانة» و«جمال» تجنيس البعض.

ومنه قول العُجَيْر السلولي:

تَرَوَى من البحرين ثم تَرَوَّحَتْ

به العينُ يهديه لظمياءَ نَاقِلُهُ

«تروى» و«تروّحت» مجنس البعض^(١).

التَّجْنِيسُ التَّامُّ:

وهو الجناس المستوفي والمماثل والكامل^(٢) قال السكاكي: «وهو أن لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ»^(٣).

وقال الحلبي: «المستوفى التام: وهو أن يجيء المتكلم بكلمتين متفتحتين لفظًا مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركتهما»^(٤).

وقال القزويني: «والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها فإن كانا من نوع واحد كاسمين سمي مائلاً كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(٥). وقول أبي تمام:

إِذَا الخَيْلُ جَابَتْ قَسَطَلَ الحَرْبُ صَدَّعُوا

صُدُورَ العوالي في صُدُورِ الكتائب^(٦)

ف«صدور العوالي» أسنتها وأعاليتها، و«صدور الكتائب» نحور أفرادها.

وإن كانا من نوعين كاسم وفعل سُمِّي مستوفى كقول أبي تمام:

مَا مَاتَ من كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ

يُخِيَا لَدَى يَحْيَى بنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٧)

تَجْنِيسُ التَّخْرِيفِ:

قال ابن منقذ: «هو أن يكون الشكل فرقًا بين الكلمتين»^(٨).

كقول البحري:

سَقَمَ دونَ أَغْيَنِ ذاتِ سُقْمِ

وَعَذَابٌ من الثنَايا العِذابِ

وقول الآخر:

أَحْبَابِنَا ما بينَ فُرِّ

قَتَيْكُمُ وَبَيْنَ المَوْتِ فَرَقُ

جَازِيَتْمُونَا في بَعَا

دِكُّمُ بما لا نَسْتَجِحُّ

أَفْنَيْتُمُ العِبرَاتِ فابقُوا

وَمَلَكَتُمُ رِقي فَرَقُوا

وعرّفه المصري بمثل هذا التعريف، قال: «هو أن يكون الشكل فرقًا بين الكلمتين أو بعضهما»^(٩). كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾^(١٠) وقوله: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾^(١١) وكقوله - ﷺ -: «الظلم ظلمات».

(١) نضرة الاغريض ص ٨٣.

(٢) أسرار البلاغة ص ١٧، حسن التوسل ص ١٨٣، الطراز ج ٢ ص ٣٥٦، معترك ج ١ ص ٣٩٩.

(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(٤) حسن التوسل ص ١٨٣ - ١٨٤، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٠.

(٥) الروم ص ٥٥.

(٦) القسطل: الغبار الساطع في الحرب.

(٧) الايضاح ص ٣٨٢، التلخيص ص ٣٨٨، التبيان ص ١٦٦، الطراز ج ٢ ص ٣٥٦، خزنة الأدب ص ٣٠، معترك ج ١ ص ٣٩٩، شرح عقود الجمان ص ١٤٣، أنوار الربيع ج ١ ص ١٤٨، حدائق السحر ص ٩٤، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤١٦، المطول ص ٤٤٦، الاطول ج ٢ ص ٢٢٣، جنى الجناس ص ٧٣، التبيان في البيان ص ٤٠٣.

(٨) البديع في نقد الشعر ص ٢٠.

(٩) تحرير التحبير ص ١٠٦، بديع القرآن ص ٢٩.

(١٠) العاديات ١١، والآية: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

(١١) القصص ص ٤٥.

«سالب وساكب». أو متقاربين كقولهم: «شاحب وشاغب». ومن القسم الذي توسط فيه الحرف الواحد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ. وَإِنَّهُ لَحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(٦).

وقال المصري تعليقاً على قول أبي تمام: «يمدون من أيد...»: «وعندي أن تسميته تجنيس التداخل لدخول إحدى الكلمتين في الأخرى، أو تجنيس التضمن لتضمن إحدى الكلمتين لفظ الأخرى أولى بالاشتقاق، إذ لا معنى لقولهم يرجع لفظ إحدى الكلمتين في لفظ الأخرى لأن ظاهر الرجوع يؤذن بذهاب قبله ولا ذهاب، أو كما قالوا: «تجنيس التذييل»^(٧).

تَجْنِيسُ التَّذْيِيلِ:

هو تجنيس التداخل أو تجنيس الترجيع^(٨).

تَجْنِيسُ التَّرْجِيعِ:

سمّاه ابن منقذ بهذا الاسم وقال: «هو أن ترجع الكلمة بذاتها»^(٩)، وسمّي تجنيس التداخل أو تجنيس التذييل^(١٠)، وسمّاه التبريزي «التجنيس الناقص»^(١١).

(١) العيافة: التكهن بالطير، العائف المتكهن بالطير وغيره.

(٢) جواهر الكنز ص ٩٤، الفوائد ص ٢٤٠.

(٣) خزانة الأدب ص ٣٦.

(٤) تحرير التحبير ص ١٠٧، بديع القرآن ص ٣٠. وينظر الوافي ص ٢٦٢.

(٥) القيامة ٢٩ - ٣٠.

(٦) العاديات ٧ - ٨.

(٧) تحرير ص ١٠٨.

(٨) تحرير ص ١٠٨.

(٩) البديع في نقد الشعر ص ٢٦.

(١٠) تحرير ص ١٠٨، بديع القرآن ص ٣٠، جواهر

الكنز ص ٩٥، شرح عقود الجمان ص ١٤٥،

جنى الجناس ص ٢٤٤.

(١١) الوافي ص ٢٦٢.

ومنه قول أبي تمام:

هَنَّ الحَمَامُ فَإِنْ كَسَرَتْ عِيَاْفَةً

من حَائِهِنَّ فَأَنَّهُنَّ حِمَامٌ^(١)

وهو ثلاثة أقسام:

الأول: يُبدل فيه الحركة بالحركة كالأيتين السابقتين وبيت أبي تمام.

الثاني: يُبدل فيه الحركة بالسكون، كالحديث الشريف.

الثالث: يُبدل فيه التخفيف بالتشديد مثل: «الجاهل إما مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ». وعرّفه مثل ذلك ابن الأثير الحلبي وابن قيم الجوزية^(٢)، وقال الحموي: «هو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك، فإنَّ القصد اختلاف الحركات»^(٣).

تَجْنِيسُ التَّدَاخُلِ:

سمّاه بعضهم «تجنيس الترجيع» وسمّاه التبريزي: «التجنيس الناقص» وسمّاه آخرون «تجنيس التذييل»، وهو «الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخرى، وجميع حروف الأخرى موجود في الأولى وقسم في وسطها وقسم في آخرها»^(٤). مثال الأول: قوله تعالى: ﴿والتَّقَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾^(٥).

ومثال الثاني: قول بعضهم: مَن جَدَّ وَجَدَّ.

ومثال الثالث: قول أبي تمام:

يَمُدُّونَ من أَيْدِ عَوَاصِ عَوَاصِمِ

تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضِ قَوَاضِبِ

وقد تكون الزيادة حرفين، فإما أن يقعا في أول الكلمة ويكونا متقاربين كقولهم: «ليل دامس وطريق طامس». وإما أن يقعا في وسطها كقولهم: «ما خصصتني بل خسستني». أو آخر الكلمة ويكونا متباعدين كقوله:

تَجْنِيسُ التَّرْكِيْبِ:

ذكر ابن سنان «مجانس التركيب» وقال: «ومن المجانس فن ورد في شعر أبي العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان وسماه لنا مجانس التركيب، لأنه يركب من الكلمتين ما يتجانس به الصيغتان»^(١).

وقال ابن منقذ: «هو أن تكون الكلمة مركبة من كلمتين»^(٢). ومنه قول أبي العلاء:

البابليةُ بابٌ كلُّ بِلِيَّةٍ
فتوقَّينَ دخولَ ذاكِ البابِ

وقول الآخر:

إِنْ تَزِمِكَ الْغَرْبَةُ فِي مَعْشِرِ
تُضَافِرُوا فِيكَ عَلَى بُغْضِهِمْ
فِدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ
وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ

وقال المصري: «هو أن تتركب كلمة من كلمتين ليمائل بها كلمة مفردة في الهجاء واللفظ»^(٣). وهو قسمان:

الأول: تتشابه الكلمتان فيه لفظاً وخطاً كقول القائل:

يَا مَنْ تَدُلُّ بِوَجْنَةٍ
وَأَنَامِلٍ مِنْ عَنَدِمِ
كُفِّي جُعِلْتُ لَكَ الْفِدَا
أَلْحَاطَ عَيْنِكَ عَنْ دَمِي

وكقول أبي الفتح البستي:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَةٍ
فَدَعَهُ فِدْوَلُتُهُ ذَاهِبَةً

الثاني: يتشابهان فيه لفظاً لا خطاً كقول الشاعر:

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَا
مَ وَلَا جَامَ لَنَا

ما الذي ضَرَّ مُدِيرَ الـ

جَامَ لَوْ جَامَلْنَا

وأدخله القزويني في الجناس التام، قال: «والتام أيضاً إن كان أحد لفظيه مركباً سمي جناس التركيب»^(٤). وكان ابن الزمليكاني قد سماه «المركب» وقال «وقد يُسَمَّى هذا المرفوع لضمك الى القصير الحرف الفائت لتعادل نظيرتها»^(٥).

وَسَمَّاهُ الْحَلْبِي كَذَلِكَ وَقَسَمَهُ كَتَقْسِيمِ
الْمِصْرِيِّ^(٦)، وَفَعَلَ مِثْلَهُ الْحَمَوِيُّ^(٧) وَقَسَمَهُ
الْمَدْنِي^(٨) إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، الْأَوَّلُ وَالثَّانِي
الْمُتَقَدِّمَانِ، وَالثَّلَاثُ سَمَاءُ الْمَرْفُوعِ وَهُوَ مَا كَانَ
أَحَدَ رُكْنَيْهِ مُسْتَقْلِلًا وَالْآخِرُ مَرْفُوعًا مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى
كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ:

وَلَا تَلُّهُ عَنِ تَذْكَارِ ذُبَيْكَ وَابِكِهِ
بِدَمْعٍ يُحَاكِي الْمُرْنَ حَالَ مِصَابِهِ
وَمَثَلٌ لِعَيْنَيْكَ الْجِمَامِ وَوَقَعَهُ
وَرُوعَةً مَلْقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ

تَجْنِيسُ التَّصْحِيفِ:

سَمَّاهُ ابْنُ سِنَانٍ «مِجَانِسَ التَّصْحِيفِ» وَمَثَّلَ لَهُ
بِقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ:

وَلَمْ يَكُنِ الْمَغْتَرُّ بِاللَّهِ إِذْ شَرَى
لِيَعْجِزَ وَالْمَعْتَرُّ بِاللَّهِ طَالِبُهُ^(٩)
وقال ابن منقذ: «هو أن تكون اللفظ فرقا بين

(١) سر الفصاحة ص ٢٣٢.

(٢) البديع في نقد الشعر ص ٣٣، وينظر جوهر الكنز ص ٩٧.

(٣) تحرير التعبير ص ١٠٩، وينظر خزنة الادب ص ٢٢، وشرح عقود الجمان ص ١٤٤.

(٤) الايضاح ص ٣٨٣، التلخيص ص ٣٨٩، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١١.

(٥) التبيان ص ١٦٧.

(٦) حسن التوسل ص ١٨٨.

(٧) خزنة ص ٢٣.

(٨) انوار الربيع ج ١ ص ٩٨.

(٩) سر الفصاحة ص ٢٣٣.

وقسمه السيوطي مثل ذلك^(١٢)، وقال الحموي إن «من الناس من يُسمِّي كل ما اختلف بحرف «تجنيس التصريف» سواء كان من المخرج أو من غيره»^(١٣).

تَجْنِيسُ التَّغَايُرِ:

سَمَّاهُ التَّبْرِيْزِي «المطلق»^(١٤)، وقال المصري: «هو أن تكون احدى الكلمتين اسمًا والأخرى فعلاً»^(١٥) كقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾^(١٦). وقوله: ﴿إِنَّا قَلَّمْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٧، وينظر جوهر الكنز

ص ٩٤، المنزح البديع ص ٤٨٩.

(٢) خزانة الأدب ص ٣٦.

(٣) الكهف ١٠٤.

(٤) نهاية الأيجاز ص ٢٩، مفتاح العلوم ص ٢٠٣،

التيان ص ١٦٩، تحرير التحبير ص ١٠٥، بديع

القرآن ص ٢٩، البحر المحيط ج ٦ ص ١٦٧،

خزانة الأدب ص ٣٦، الروض المريع ص ١٦٥.

(٥) التبيان ص ١٦٧، نضرة الاغريض ص ٨٠،

الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١١.

(٦) حسن التوسل ص ١٩٢، نهاية الأرب ج ٧

ص ٩٣، الطراز ج ٢ ص ٣٦٥، خزانة ص ٣٦،

معتك ج ١ ص ٤٠٠، شرح عقود الجمان

ص ١٤٤، انوار الربيع ج ١ ص ١٨٠، جنى

الجناس ص ١٨٠، الروض المريع ص ١٦٥.

(٧) البديع في نقد الشعر ص ٢٢، وينظر جوهر الكنز

ص ٩٤.

(٨) فاطر ٤٢.

(٩) تحرير ص ١٠٧، بديع القرآن ص ٢٩.

(١٠) حسن التوسل ص ٩٥، نهاية الأرب ج ٧

ص ٩٦.

(١١) الانعام ٢٦.

(١٢) شرح عقود الجمان ١٤٦.

(١٣) خزانة ص ٢٩، وينظر الروض المريع ص ١٦٧.

(١٤) الوافي ص ٢٦٠.

(١٥) تحرير ص ١٠٤، بديع القرآن ص ٢٨.

(١٦) الانعام ٧٩.

الكلمتين»^(١). وقال الحموي: «هو ما تماثل ركناه خطأ واختلفا لفظاً»^(٢). كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾^(٣) وكقول أبي تمام:

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ

في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعبِ

واتفق معظم البلاغيين على هذه التسمية^(٤)، غير أنَّ ابن الزملكاني والمظفر العلوي يسميانه «تجنيس الخط»^(٥). وسماه الحلبي والنويري والعلوي والحموي والسيوطي والمدني «التجنيس المُصَحَّف»^(٦).

تَجْنِيسُ التَّصْرِيفِ:

قال ابن منقذ: «هو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف»^(٧) كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾^(٨). وقوله - صلى الله عليه وسلم - : «الخيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرِ».

ومنه قول الشريف الرضي:

لَا يُذَكِّرُ الرَّمْلُ إِلَّا حَنًّا مَغْتَرَبًا

لَهُ بَدِي الرَّمْلِ أَوْطَاؤٌ وَأَوْطَانُ

إِذَا تَلَفَتْ فِي أَطْلَالِهَا ابْتَدَرَتْ

لِلْعَيْنِ وَالْقَلْبِ أَمْوَاةٌ وَنِيرَانُ

وقال المصري: «هو اختلاف صيغة الكلمتين بابدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه»^(٩).

وقال الحلبي والنويري: «ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف، وهو ما كان كالمصحف إلا في اتحاد الكتابة ثم لا يخلو من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج أو لا تتقارب، فإن تقاربت سمي مضارعاً وإن لم تتقارب سمي لاحقاً»^(١٠). فالمضارع كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾^(١١). واللاحق كقول علي - رضي الله عنه - : «الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر».

التَّجْنِيسُ الْحَقِيقِيُّ:

قال ابن قَيِّم الجوزية: «هو أن تأتي بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى في الحروف مغايرة لها في المعنى»^(٦).

وقال ابن الاثير الحلبي: «فاما الحقيقي فهو ما استوت ألفاظه في الخط والوزن والتركيب»^(٧). وهذا هو الجنس التام، وقد تقدم.

تَجْنِيسُ الْخَطِّ:

هو تجنيس التصحيف أو المصحف^(٨) وقد تقدم. وقال الوطواط: «ويسمونه أيضا المضارعة والمشاكل»^(٩).

تَجْنِيسُ الْعَكْسِ:

سَمَّاهُ العلوي «المعكوس»^(١٠) وسماه الحموي والمدني «المقلوب»^(١١)، وقال ابن منقذ: «هو أن تكون الكلمة عكس الأخرى»^(١٢) وهو قسمان: ^(١٣).
الاول: تنقلب فيه الحروف، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي

- (١) التوبة ٣٨.
- (٢) تحرير التحبير ص ١٠٤.
- (٣) تحرير ص ١٠٥، بديع القرآن ص ٢٨.
- (٤) الواقعة ٨٩.
- (٥) تحرير ص ١٠٥.
- (٦) الفوائد ص ٢٤٠.
- (٧) جوهر الكنز ص ٩٢.
- (٨) التبيان ص ١٦٧، نضرة الاغريض ص ٨٠، معترك ج ١ ص ٤٠٠، المنزع البديع ص ٤٨٨، التبيان في البيان ص ٤٠٧.
- (٩) حدائق السحر ص ١٠٢، وينظر جنى الجنس ص ١٨٠.
- (١٠) الطراز ج ٢ ص ٣٦٨.
- (١١) خزانة الادب ص ٣٩، انوار الربيع ج ١ ص ١٩٥.
- (١٢) البديع في نقد الشعر ص ٣٠.
- (١٣) ينظر جوهر الكنز ص ٩٦، الطراز ج ٢ ص ٣٦٩.

بالحياة الدنيا من الآخرة»^(١). وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «عُصِيَّةُ عَصَتِ اللّٰهَ ورسولَه، وَعَفَّارِ غَفَرَ اللّٰهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللّٰهُ».

ومنه قول جرير:

كَأَنَّكَ لَمْ تَسِرْ بِبِلَادِ نَجْدٍ

وَلَمْ تَنْظُرْ بِنَاظِرَةِ الْخِيَامَا

وقال المصري: «وقد فَرَّغَ التبريزي من هذا القسم ضربا سماه التجنيس المستوفي، وهو أن تتشابه الكلمتان لفظًا وخطًا وإحداهما اسم والأخرى فعل»^(٢) كقول أبي تمام:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَأَنَّهُ

يَخِيَا لَدَى يَخِيىِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ

وهذا هو الجنس التام الذي تقدم.

تَجْنِيسُ التَّمَاثُلِ:

قال المصري: «هو أن تكون الكلمتان اسمين او فعلين»^(٣)، وهو ضربان:

الأول: تماثل فيه الكلمتان سواء كانتا اسمين ام فعلين في اللفظ والخط كقول الشاعر:

عَيْنُهُ تَقْتُلُ النُّفُوسَ وَفَوْهُ

منه تُخِيىِ عَيْنُ الْحَيَاةِ النُّفُوسَا

الثاني: لا تماثل في الكلمتان الا من جهة الاشتقاق سواء أكانتا اسمين أم فعلين، كقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ﴾^(٤)، وقوله - صلى الله عليه وسلم - «اسلم تسلم».

ومنه قول البحري:

نَسِيمُ الرُّوْضِ فِي رِيحِ شَمَالٍ

وَصَوْبُ الْمُزْنِ فِي رَاحِ شَمُولٍ

ثم قال المصري: «وهذان التجنيسان أعني التغاير والتماثل من التجنيس الذي أصَّله قدامة وابن المعتز»^(٥).

ذكرها المظفر العلوي^(٧) كقول النابغة الذبياني:

نرى الراغبين العاكفين ببابه
على كل شيزى أترعت بالعراعر
له بفناء البيت دهماً جونة
تلقم أوصال الجزور العراعر^(٨)
ومنه الأبيات:

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَ شَجُونِكَ بِالْخَالِ
وَعَيْشَ زَمَانٍ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي
ليالي ريعانُ الشبابِ مُسَلِّطُ
عليَّ بعصيانِ الإمارةِ والخالِ
وإِذَا أَنَا خِدْنٌ لِلْعَوِيِّ أَخِي الصَّبَا
وللغزلِ المريحِ ذي اللهبِ والخالِ
ليالي تُكْنِي تَسْتَبِينِي بَدَلَهَا
وبالنظرِ الفتانِ والخذِّ والخالِ
إِذَا سَكَنْتَ رَبْعًا رَئِمْتُ رَبَاعَهَا
كما رَئِمَ الميثاءُ ذو الرِيثةِ الخالي

(١) طه ٩٤.

(٢) بديع القرآن ص ٣٠.

(٣) حسن التوسل ص ١٩٧، نهاية الأرب ج ٧ ص ٩٧.

(٤) الآدم: الاسم مؤنثه أدماء. اعتجر: لف عمامته.

(٥) الأيضاح ص ٣٨٨، التلخيص ص ٣٩١، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٢٨، المطول ص ٤٤٨، الأطول ج ٢ ص ٢٢٧، المنزح البديع ص ٤٨٧، الروض المربع ص ١٦٦، التبيان في البيان ص ٤٠٩.

(٦) طه ٩٤.

(٧) نضرة الاغريض ص ٨٩.

(٨) العراعر - بفتح العين الاولى - : الأسنمة، والعراعر - بضم العين الاولى: الضخمة الكبيرة الشيزى خشب صلب تصنع منه القصاع، ويراد به هنا القصاع. دهماً: قدر سوداء لكثرة استعمالها. جونة: القدر التي اسودت من دخان النار. جزور: ما يذبح من النوق أو الغنم.

خَشِيْتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(١). وقول أبي تمام:

بيضُ الصفائحِ لاسودُّ الصَّحَائِفِ فِي
متونهنَّ جلاءُ الشُّكِّ والرَّيْبِ

الثاني: تنقلب فيه الكلمات كقوله - صلى الله عليه وسلم - : «جارُ الدارِ أحقُّ بدارِ الجارِ» وقول بعضهم: «عاداتُ الساداتِ ساداتُ العاداتِ».

وقال المصري: «هو أن تكون إحدى كلمتيه عكس الأخرى بتقديم بعض الحروف على بعض»^(٢).

وقال الحلبي والنويري: «فان اشتملت كل كلمة على حروف الأخرى وكان بعض هذه قلب حروف هذه خص باسم جناس العكس»^(٣). كقول عبد الله بن رواحة يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم - :

تَحْمِيلُهُ الناقَةَ الأدماءُ مُعْتَجِرًا
بالبرودِ كالبدرِ جَلَى نورُهُ الظُلما^(٤)

تجنيس القلب:

هو ان تختلف الكلمتان في ترتيب الحروف، وقد قسمه القزويني الى قسمين^(٥):

الاول: قلب الكل كقولهم: «حسامه فتح لأوليائه حنق لأعدائه».

الثاني: قلب البعض كما جاء في الخبر: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا». وعليه قول المتنبي:

مُنْعَةً مُنْعَمَةً رَدَاخِ
يَكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَيْرَ الْوَقوعَا

وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سُمِّي «مقلوبا مجنحا» ومثَّل له السيوطي بقوله تعالى: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٦). وهذا هو تجنيس العكس.

تجنيس القوافي:

وهو أن يأتي في القافية كما يفهم من الأمثلة التي

اللاحق هنا ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمي مضارعا، وإن كان قريبا منه كان مضارعا أيضا. وأنا أذكر شاهد كل منهما فإن الفرق بينهما يدق عن كثير من الافهام ولم يُساعده على ظلمة شكّه غير ضياء الحسن. والمضارع هو المتشابه في المخرج كقوله تعالى، وهو الى الغاية التي لا تدرك: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾^(١٢). ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «الخیلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». ومثله قول بعضهم: «البرايا أهداف البلايا». ومن النظم قول الشريف الرضي رحمه الله:

لا يُذكر الرملُ إلا حنَّ مغترَّب

له الى الرمل أوطارٌ وأوطانُ

فاللام والراء والنون من مخرج واحد عند قطرب والجرمي وابن دريد والبراء. قال بعض أهل الأدب في كتاب: «راش سهامه بالعقوق ولوى ماله عن

(١) الغوي: الضال. المريح: من مرج. رثم: الف واجب. ذو الرينة: الريث الابطاء. الميثاء: صفة للارض اللينة السهلة من غير رمل.

(٢) الطراز ج ٢ ص ٣٥٦.

(٣) خزانة الأدب ص ٤١، شرح عقود الجمان ص ١٤٧، انوار الربيع ج ١ ص ٢١٧، المنزح البديع ص ٤٩٦، الروض المريع ص ١٦٤.

(٤) نهاية الايجاز ص ٢٩.

(٥) مفتاح العلوم ص ٢٠٣.

(٦) التبيان ص ١٦٧، حسن التوسل ص ١٩٣، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٤، الايضاح ص ٣٨٧، التلخيص ص ٣٩١، معترك ج ١ ص ٤٠٠، شرح عقود الجمان ص ١٤٦.

(٧) أنوار الربيع ج ١ ص ١٤٠.

(٨) الهمزة ١.

(٩) غافر ٧٥.

(١٠) العاديات ٧ - ٨.

(١١) النساء ٨٣.

(١٢) الانعام ٢٦.

ويقتادني منهم رخيّم دلاله

كما اقتاد مُهْرًا حينَ يَأْلُفه الخالي^(١)

الخال الاول موضع، والثاني: الماضي، والثالث العُجب، والرابع الذي لا زوجة له، والخامس النقطة السوداء، والسادس الذي ليس له مُعين، والسابع الذي يسوس الدواب.

التجنيس الكامل:

هو التجنيس التام او المستوفي^(٢) وقد تقدم.

تجنيس الكناية:

هو تجنيس الاشارة^(٣)، وقد تقدم.

التجنيس اللاحق:

قال الرازي: وإما إن كان الاختلاف بحرفين غير متقاربين فيسمى التجنيس اللاحق^(٤).

وقال الشكاكي: «وهو أن يختلفا لا مع التقارب»^(٥) وقال مثل ذلك ابن الزمكاني والحلي والنويري والقزويني والسيوطي^(٦).

وقال المدني: «هو ما أبدل من أحد ركنيه حرف بحرف من غير مخرجه ولا قريب منه»^(٧). ويكونان إما في الأول كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٨). وإما في الوسط كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾^(٩)، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكُمْ لَشَهِيدٌ. وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(١٠). وإما في الآخر كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾^(١١).

وقول البحري:

هل لما فات من تلاقٍ تلافٍ

أم لشاكٍ من الصبابة شافي

وفرق الحموي بينه وبين المضارع فقال: «وأما

اللاحق فقل من فرق بينه وبين المضارع والمراد بالمضارع هنا المشابه. والفرق بينهما دقيق فإن

ركناه وتجانسا خطأ خالف أحدهما الآخر بابدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء»^(٥).

وقال السيوطي: «وبقي قسم آخر نبهت عليه من زيادتي وهو أن يكون المبدل مناسبًا للآخر مناسبة لفظية ويسمى اللفظي كالذي يكتب بالضاد والظاء نحو: ﴿وَجِوَةٌ يَوْمِيذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٦). والتاء والهاء نحو: «جبلت القلوب على معادة المعاداة». والنون والتنوين كقول الأرجاني:

وَبِيضُ الْهِنْدِ مِنْ وَجْدِي هَوَايَ
بِاحْدَى الْبِيضِ مِنْ عَلِيَا هَوَايَ
وَالنُّونُ وَالْأَلْفُ كَقَوْلِ أَبِي الْعَفِيفِ التَّلْمِسَانِيِّ:

أَحْسَنُ وَجْهَ اللَّهِ وَجْهًا وَفَمَّا
إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالْحَسَنِ فَمَنْ^(٧)

التَّجْنِيسُ الْمُبْدَلُ:

قال المظفر العلوي: «وهو قريب من المطمع»^(٨). وكان قد عرّف المطمع بقوله: «هو أن يأتي الشاعر بكلمة ثم يبدأ في اختها على وفق حروفها فيطمع في أنه يجيء بمثلها فيبدل في آخرها حرفًا بحرف»^(٩). ومثاله قول الخطيم المحرزي:

- (١) الضحى ٩ - ١٠.
- (٢) خزانة الادب ص ٢٩، وينظر أنوار الربيع ج ١ ص ١٤٠، التبيان في البيان ص ٤٠٦.
- (٣) نضرة الاغريض ص ٥٥.
- (٤) حلاه عن الماء: طرده ومنعه.
- (٥) خزانة الادب ص ٣٨، وينظر أنوار الربيع ج ١ ص ١٩٣.
- (٦) القيامة ٢٢ - ٢٣.
- (٧) شرح عقود الجمان ص ١٤٦، معترك ج ١ ص ٤٠١، وينظر أنوار الربيع ج ١ ص ١٩٣، جنى الجناس ص ٢٦٧.
- (٨) نضرة الاغريض ص ٧٤.
- (٩) نضرة الاغريض ص ٧٢.

الحقوق» فالعين والحاء من مخرج واحد. ويعجبني قول الشيخ جمال الدين ابن نباته في هذا الباب:

رَقَّ النَّسِيمُ كَرِقَّتِي مِنْ بَعْدِكُمْ
فَكَأَنَّنا فِي حَيِّكُمْ نَتَغَايِرُ
وَوَعَدْتُ بِالسَّلْوَانِ وَاشْرَابِكُمْ
فَكَأَنَّنا فِي كَذِبِنَا نَتَخَايِرُ

فالعين والحاء من مخرج واحد.... واللاحق قد تقدم أنه ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(١). وكتب بعضهم في جواب رسالة: «وَصَلَّ كِتَابِكَ فَتَنَاوَلْتَهُ بِالْيَمِينِ وَوَضَعْتَهُ مَكَانَ الْعَقْدِ الثَّمِينِ». ومن النظم قول البحري وأجاد الى الغاية:

عَجِبَ النَّاسُ لَاعْتِزَالِي وَفِي الْأَطْرِ
رَافَ تُلْفَى مَنَازِلُ الْأَشْرَافِ
وَقُعُودِي عَنِ التَّقْلُبِ وَالْأَرْزِ
ضَ لِمَثَلِي رَحِيْبَةُ الْأَكْنَفِ

ليس عن ثزوة بلغت مداها
غير أنني امرؤ كفاني كفافي
ف«كفاني» و«كفافي» هو اللاحق الذي لا يلحق»^(٢).

تَجْنِيسُ اللَّفْظِ:

قال المظفر العلوي: «وربما سمّوه المطلق»^(٣). ومنه قول جرير:

حَلَّاتٌ ذَا سَقَمٍ يَرِي لِشَفَائِهِ
وَرَدًّا وَيَمْنَعُ إِنْ أَرَادَ وُرُودًا^(٤)

وقول القطامي:

صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهٌ وَرُقْنَهُ
لَدُنْ شَبِّ حَتَّى شَابَ سَوْدَ الذَّوَابِ

ف«شَبِّ» و«شَابَ» تجنيس لفظ.

التَّجْنِيسُ اللَّفْظِيُّ:

قال الحموي: «أما اللفظي فهو النوع إذا تماثل

فلي طَبَّعَ كَسَلْسَالٍ مَعِينٍ
زُلال من ذُرَى الأَحْجارِ جاري
وقال: «وهذا القسم له رونق وطلاوة».

التَّجْنِيسُ الْمُحَرَّفُ:

قال القزويني: «وإن اختلفا في هيئات الحروف فقط سمي مُحَرَّفًا»^(٦). والاختلاف قد يكون في الحركة فقط مثل: «جُبَّةُ البُرْدِ جَنَّةُ البُرْدِ» وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٧).

وقد يكون في الحركة والسكون كقولهم: «البدعة شَرَكُ الشَّرْكَ» وقول أبي العلاء:

والحسَنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ
بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ

وهذا هو التجنيس الناقص عند السكاكي^(٨).

وقال الحموي: «هو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك»^(٩). وقد سماه «جناس التحريف» وقد تقدم.

التَّجْنِيسُ الْمَحْضُ:

قال المظفر العلوي: «ومعنى المحض الخالص وكأنه من أصل واحد في مسموع حروفه»^(١٠).

- (١) مفتاح العلوم ص ٢٠٣.
- (٢) الايضاح ص ٣٨٤، التلخيص ص ٣٨٩، وينظر الاطول ج ٢ ص ٢٢٤.
- (٣) حسن التوسل ص ١٨٨.
- (٤) أنوار الربيع ج ١ ص ٩٨.
- (٥) المثل السائر ج ١ ص ٢٦٣، الجامع ص ٢٦٣.
- (٦) الايضاح ص ٣٨٤، التلخيص ص ٣٨٩.
- (٧) الصافات ٧٢ - ٧٣.
- (٨) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.
- (٩) خزانة الادب ص ٣٦.
- (١٠) نضرة الاغريض ص ٥١.

ليالي شهر ما أُعْرَسُ سَاعَةً
وأيام شهر ما أُعْرَجَ دَائِبُ
أطمع أنه يجنس «أعرس» فقال: «اعرج» فابدل الجيم من السين.

ومثال التجنيس المبدل قول الزبرقان بن بدر:

فُرْسَانُ صِدْقٍ فِي الصَّبَاحِ إِذَا
كَثُرَ الصِّيَاحُ وَلَجَّ فِي النَّفْرِ

أبدل الياء من الباء:

ومنه قول العديلي:

أخا شَقَّةٍ قَدْ شَفَّهَ دَلَجُ الشُّرَى
يَبِيْتُ يَرُومَ الهَمِّ كُلِّ مَرَامِ

أبدل الفاء من القاف.

التَّجْنِيسُ الْمُتَشَابِهُ:

وهذا النوع من التام، قال السكاكي: «وإذا وقع أحد المتجانسين في التام مركبًا ولم يكن مخالفا في الخط كقوله:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَةٍ
فَدَعَاهُ فَدَوَّلَتْهُ ذَاهِبَةٍ

سمي «متشابهًا»^(١).

وذكر القزويني كلام الشكاكي^(٢)، وعَدَّه الحلبي من المُرَكَّبِ^(٣)، وفعل مثله المدني الذي قال: «الجناس المقرون ويُسمى المتشابه، وهو ما اتفق ركناه لفظًا وخطًا»^(٤). ومثَّل له بالبيت السابق وبأبيات أخرى.

التَّجْنِيسُ الْمُجَنَّبُ:

قال ابن الأثير: هو «أَنْ يَجْمَعَ مُؤَلَّفُ الْكَلَامِ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا كَالْتَبَعِ لِلْأُخْرَى وَالْجَنِيْبَةِ»^(٥). كقول البهتي:

أبا العباس لا تَحْسَبْ لِسَانِي
لشِيءٍ مِنْ جِلِي الأَشْعَارِ عَارِي

ومنه قول أبي حية البجلي:

يعدُّها للعدى فتیان عادیه

وكل كهل رحيب الباع صيهميم^(١)

قوله: «العدى» و«عاديه» تجنيس محض.

وقال يزيد بن جدعاء:

وهم صبَّحوا أخرى ضرازا ورهطه

وهم تركوا المأموم وهو أميم

«المأموم» الذي يهذي من أم رأسه، و«الأميم» حجر يشدخ به الرأس.

التَّجْنِيسُ الْمُحَقَّقُ:

قال ابن رشيق: «التجنيس المحقق ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجَّع الى الاشتقاق أو لم يَزَجْجْ»^(٢). كقول أحد بني عبس:

وذلكم أنَّ ذلَّ الجار حالفكم

وأنَّ أنفكم لا يعرف الأنفا

فاتفقت «الأنف» مع «الأنف» في جميع حروفهما دون البناء، ورجعا الى أصل واحد، وهذا عند قدامة^(٣) أفضل تجنيس وقع.

ومثله في الاشتقاق قول جرير - والجرجاني يسميه التَّجْنِيسُ الْمُطَّلَقُ^(٤):

وما زال معقولاً عقالاً عن الندى

وما زال محبوباً عن الخير حابس

التَّجْنِيسُ الْمُخَالَفُ:

قال الحلبي والنويري: «هو أن تشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها»^(٥). كقول أبي تمام:

بيض الصفائح لاشود الصفائح في

مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ والرَّيْبِ

وقول البحتري:

شواجر أرماع تقطع بينهم

شواجر أرحام ملوم قطوعها

وقول المُنْتَبِي:

مُنْعَةٌ مُنْعَةٌ رَدَاخٌ

يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوَقُوعَا^(٦)

والبيت الأول من شواهد «تجنيس العكس».

التَّجْنِيسُ الْمُخْتَلِفُ:

هذا النوع من التجنيس الناقص^(٧)، وقد قال ابن الرَّمْلَكَانِي:

«ثم النقص إن وقع بتغير الحركات سُمِّيَ الْمُخْتَلِفُ»^(٨). وذكره المظفر العلوي بهذا الاسم^(٩)، وقال الحلبي والنويري: «ومنه المختلف ويسمى التجنيس الناقص»^(١٠).

والاختلاف إما في الحركة كقوله - صلى الله عليه وسلم - : «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي». وقول أبي العلاء:

لغيري زكاة من جمال فان تكن

زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

(١) الصهميم من الرجال: الشجاع الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يريد ويهوى.

(٢) العمدة ج ١ ص ٣٢٣.

(٣) نقد الشعر ص ١٨٩.

(٤) الوساطة ص ٤١.

(٥) حسن التوسل ص ١٩٦، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٧، جنى الجناس ص ١٩٧.

(٦) أي هي منعمة لا يقدر عليها أحد. الرداح: ضخمة العجيزة.

(٧) نهاية الايجاز ص ٢٨، الطراز ج ٢ ص ٣٥٩.

(٨) التبيان ص ١٦٦، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٠.

(٩) نضرة الاغريض ص ٧٨.

(١٠) حسن التوسل ص ١٨٦، نهاية الارب ج ٧ ص ٩١.

أو بالحركة والسكون كقولهم: «البِدْعَةُ شَرَكُ الشَّرِكِ». أو بالتخفيف والتشديد كقولهم: «الجاهلُ أَمَّا مُفْرَطٌ وَاَمَّا مُفْرَطٌ».

التَّجْنِيسُ الْمُذَيَّلُ:

قال الشَّكَاكِي: «هُوَ أَنْ يَخْتَلِفَا بِزِيَادَةِ حَرْفٍ»^(١). وقال الحموي: «اختلف جماعة المؤلفين في اسمه ولم يتقرر له أحسن من هذه التسمية فإنَّ فيها مُطَابَقَةً لِلْمُسَمَّى وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ الْمَذِيلَ هُوَ مَا زَادَ أَحَدَ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ حَرْفًا فِي آخِرِهِ فَصَارَ لَهُ كَالذَّيْلِ»^(٢).

وذكر السيوطي أنَّ بعضهم يسميه «المُتَوَجَّج»^(٣) وسَمَّاهُ الْوَطَاطُ «التَّجْنِيسُ الزَّائِدُ» وقال: ويسمونه أَيْضًا التَّجْنِيسُ الْمُذَيَّلُ^(٤). وسَمَّاهُ الْحَلْبِيَّ وَالنُّوَيْرِيَّ الْمُذَيَّلَ وَالزَّائِدَ وَالنَّاقِصَ^(٥).

وقال العلوي: «هُوَ أَنْ تَجِيءَ الْكَلِمَتَانِ مَتَجَانِسَتِي اللَّفْظَ مَتَّفِقَتِي الْحَرَكَاتِ وَالزَّنَةَ خِلَافًا لَهُ رُبَّمَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا مَخَالَفَةٌ»^(٦). وتلك المخالفة على وجهين:

الأول: أَنْ تَخْتَصَّ أَحَدَى الْكَلِمَتَيْنِ بِحَرْفٍ يَخَالَفُ الْآخَرَ مِنْ عَجْزِهَا كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ:

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ
تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

فآخر «عواص» ياء وآخر «عواصم» ميم، وآخر «قواض» ياء، وآخر «قواضب» باء.

وقول البحري:

لَيْسَ صَدَفَتْ عَنَّا فَرَبَّتْ أَنْفَسِ

صَوَادٍ إِلَى تِلْكَ النُّفُوسِ الصَّوَادِفِ

فآخر «صواد» الياء وعَجْزُ «صوادف» الفاء مع اتفاقهما فيما عدا ذلك.

الثاني: أَنْ تَخْتَلِفَ الْكَلِمَتَانِ مِنْ أَوْلَهُمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾^(٧). فلم يختلف «الساق» و«المساق» إلا بزيادة الميم في أول «المساق».

ومن ذلك ما ذكره عبد القاهر:

وَكُلُّ سَبَقَتْ مِنْهُ الَّتِي عَوَارِفُ

ثَنَائِي مِنْ تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَارِفُ

وَكَمْ غَرَّرَ مِنْ بَرِّهِ وَلَطَائِفِ

لشكري على تلك اللطائف طائفُ

قال: «وَذَاكَ أَنَّ زِيَادَةَ «عوارف» على «وارف» بحرف اختلاف من مبدأ الكلمة في الجملة فإنه لا يبعد كل البعد عن اعتراض طرف من هذا التخيل وإن كان لا يقوى تلك القوة كأنك ترى أنَّ اللفظة أعيدت عليك مبدلاً من بعض حروفها غيره أو محذوفاً منها»^(٨).

التَّجْنِيسُ الْمُرَدَّدُ:

هو التجنيس المزدوج والمُكْرَّرُ^(٩)، قال ابن الزَّمَلْكَانِي: «ومتى ولي أحد المتجانسين الآخر من غير فصل قيل له المزدوج»^(١٠). مثل: «مَنْ جَدَّ وَجَدَّ» وقال الشاعر:

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالُ

وَالهُوَ لِلنَّاسِ قَتَالُ

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٢، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٠.

(٢) خزانة الادب ص ٢٨.

(٣) معترك ج ١ ص ٤٠٠، شرح عقود الجمان ص ١٤٥.

(٤) حدائق السحر ص ٩٦.

(٥) حسن التوسل ص ١٨٧، نهاية الارب ج ٧ ص ٩١.

(٦) الطراز ج ٢ ص ٣٦٢.

(٧) القيامة ٢٩ - ٣٠.

(٨) أسرار البلاغة ص ١٩.

(٩) حدائق السحر ص ٨٩، مفتاح العلوم ص ٢٠٣، حسن التوسل ص ١٩١، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٣، الطراز ج ٢ ص ٣٦٥.

(١٠) التبيان ص ١٦٨، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١١.

التجنيس»^(٧).

وقال المدني: «هو ما كان أحد ركنيه مستقلاً
والآخر مرفُوقاً من كلمة أخرى»^(٨).

ومنه قول الحريري:

ولا تَلُّهُ عن تَذْكارِ ذَنْبِكَ وَاِبْكِهِ
بدمعٍ يُحاكي الوَبْلَ حالَ مُصَابِهِ

وَمَثَلٌ لِعَيْنِكَ الْجِمَامَ ووقَّعَهُ

وروعةً ملقاه ومطعمَ صابِه

وكان عبد القاهر قد سمَّاه كذلك ومثَّل له بقول
القائل:

ناظِراه فيما جَنَى ناظِراه

أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بما أودَعَانِي

التَّجْنِيسُ المُرَكَّبُ:

هو تجنيس التركيب والتجنيس المرفُوق^(٩). وقد
تقدَّم.

(١) حسن التوسل ص ٩١، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٣.

(٢) مر البيت في «التجنيس المجنب» بصورة أخرى.

(٣) الجامع الكبير ص ٢٦٣.

(٤) نصره الثائر ص ١٤٨.

(٥) الطراز ج ٢ ص ٣٦٥.

(٦) الايضاح ص ٣٨٣، وينظر التبيان ص ١٦٧،

حسن التوسل ص ١٩٠، نهاية الارب ج ٧

ص ٩٢، خزانة الأدب ص ٢٣، معترك ج ١

ص ٤٠١، شرح عقود الجمان ص ١٤٤،

الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١١.

(٧) حسن التوسل ص ١٩٠، نهاية الارب ج ٧

ص ٩٢.

(٨) انوار الربيع ج ١ ص ١١١.

(٩) التبيان ص ١٦٧، حسن التوسل ص ١٩٠، نهاية

الارب ج ٧ ص ٩٢، الطراز ج ٢ ص ٣٦٠،

الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١١،

جنى الجناس ص ١٢١، التبيان في البيان

ص ٤٠٦.

فالأوَّل جمع «إِجْل» بكسر الهمزة وسكون الجيم وهو
القطيع من بقر الوحش، والثاني جمع «أَجَل» بفتحهما،
وهو مدة الشيء.

وقال الحلبي والنويري: «ويقال له التجنيس المرَّد
والمكرر أيضًا، وهو أن يأتي في أواخر الاسجاع
وقوافي الأبيات بلفظتين متجانستين إحداهما ضميمة
الأخرى وبعضها»^(١). كقول البُشتي:

أبا العباسِ لا تَحَسَبْ لشيني

بأني من جِلِي الأشعارِ عاري^(٢)

فلي طَبَّعْ كَسَلَسالٍ مَعِينِ

زُلالٌ من دُزَى الأحجارِ جاري

وكان ابن الاثير قد ذكر هذين البيتين شاهداً للتجنيس
المجنب^(٣). وصحح الصفدي ذلك وقال: «هو النوع
الذي يسمونه بالمزدوج»^(٤).

وقال العلوي: «وإنما لُقِّبَ هذا بالمزدوج لما يظهر
بين الكلمتين من الاستواء، ومنه الازدواج وهو
الاستواء. ويقال له التجنيس المردد، ويقال له المكرر
أيضًا. وينقسم الى ما يكون الازدواج واردًا على جهة
الانفصال في الكلمتين جميعًا كقولك: «مَنْ جَدَّ
وَجَدَّ» و«مَنْ لَجَّ وَلَجَّ». والى ما يكون الازدواج واردًا
على جهة الانفصال في إحداهما والاتصال في
الأخرى كقولك: «إذا ملأ الصاع انصاع»^(٥).
وكيبي البستي السابقين. «أبا العباس.....».

التَّجْنِيسُ المَرْفُوقُ:

أدخله القزويني في التجنيس التام وقال: «والتام
أيضًا إن كان أحد لفظيه مُرَكَّبًا سُمِّيَ جناس
التركيب، ثم إن كان المُرَكَّبُ منهُما مُرَكَّبًا من
كلمة وبعض كلمة سُمِّيَ مَرْفُوقًا»^(٦).

وقال الحلبي والنويري: «ومن أنواع المُرَكَّبِ
المَرْفُوقِ وهو أن تجمع بين كلمتين إحداهما أقصر من
الأخرى فتضم الى القصيرة من حروف المعاني أو من
حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركنها

التَّجْنِيسُ الْمُرْدُوجُ:

هو التجنيس المردد أو المركب^(١).

التَّجْنِيسُ الْمُسْتَوْفَى:

ويقال له التام والكامل، وهو أن تكون كل كلمة مستوفاة في الأخرى^(٢). وقال الحموي عن التام: «إن انتظما من نوعين كاسم وفعل سُمِّيَ مُسْتَوْفَى»^(٣) وهذا ما ذهب إليه القزويني من قبل^(٤).

وعُدَّ هذا من التجنيس لاختلاف المعنيين لأنَّ أحدهما فعل والآخر اسم، ولو اتفق المعنيان لم يُعَدَّ تجنيسا وإنما كان لفظة مكررة أي أنه ينبغي أن تكون الكلمتان من نوعين، ولذلك قال القزويني: «وإن كانا من نوعين كاسم وفعل سُمِّيَ مُسْتَوْفَى»^(٥). ومنه قول الشاعر:

ما مات من كَرَمِ الزمان فأنه

يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وقول الآخر:

وَسَمِيَتْهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ

إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ

تَجْنِيسُ الْمُشَابَهَةِ:

وهو مما يشبه المشتق ويسميه بعضهم المغاير^(٦). كقوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ﴾^(٧) وقوله: ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾^(٨).

ومنه قول البحترى:

وَإِذَا مَا رِيَاخُ جُودِكَ هَبَّتْ

صَارَ قَوْلُ الْعُدَّالِ فِيكَ هَبَاءً

وقول أبي حية البجلي:

يَعْدُهَا لِلْعَدَى فَتِيَانُ عَادِيَةٌ

وَكُلُّ كَهْلٍ رَحِيبِ الْبَاعِ صِيْهِمِيمٌ^(٩)

قال المظفر العلوي: «وقوله: «يعدها للعدى» تجنيس مشابه»^(١٠).

التَّجْنِيسُ الْمَشْوُوشُ:

قال السكاكي: «وهي نوع آخر يُسَمَّى تَجْنِيسًا مُشْوُوشًا وهو مثل قولك: «بلاغة وبراعة»^(١١).

وقال الغانمي: «وكلَّ تجنيس تَجَادَبَهَ طرفان فلا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه فهو المسمى بالمشووش. مثاله قولهم: «فلان مليح البلاغة لبيق البراعة»^(١٢).

وقال العلوي: «فلو اتَّفَقَ العَيْنَانِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ وَكَانَتَا مِنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ لَكَانَ ذَلِكَ مِنْ تَجْنِيسِ التَّصْحِيفِ، أَوْ كَانَ اللَّامَانِ مُتَّفَقَيْنِ لَكَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُضَارَعِ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَقِيَ مُذَبَذَبًا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ يَنْجَذِبُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِشِبْهِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «صَدَّعَنِي مَذْ صَدَّعَنِي» فَلَوْلَا تَشْدِيدُ النَّونِ لَكَانَ مَعْدُودًا مِنْ

(١) حقائق السحر ص ٩٨، مفاتيح العلوم ص ٢٠٣، حسن التوسل ص ١٩١، نهاية الأرب ج ٧ ص ٩٣، شرح عقود الجمان ص ١٤٧، التبيان في البيان ص ٤٠٧.

(٢) الطراز ج ٢ ص ٣٥٦.

(٣) خزانة الأدب ص ٣٠، وينظر الوساطة ص ٤٢ وأسرار البلاغة ص ٨، ١٧.

(٤) الايضاح ص ٣٨٣.

(٥) الايضاح ص ٣٨٣، وينظر الوساطة ص ٤٢، الوافي ص ٢٦١، قانون البلاغة ص ٤٣٨، نهاية الأرب ج ٧ ص ٩٠، الاطول ج ٢ ص ١٢٣.

(٦) حسن التوسل ص ١٩٥، نهاية الأرب ج ٧ ص ٩٥.

(٧) الرحمن ص ٥٤.

(٨) المائدة ص ٣١.

(٩) الصهميم من الرجال: الشجاع الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يريد ويهوى.

(١٠) نضرة الاغريض ص ٥٢.

(١١) مفاتيح العلوم ص ٢٠٣.

(١٢) التبيان ص ١٦٨، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٢، وينظر حسن التوسل ص ١٩٣، نهاية الأرب ج ٧ ص ٩٤، شرح عقود الجمان ص ١٤٨، جنى الجناس ص ٢٧٥.

وقال السكاكي: «التجنيس المضارع أو المطرف هو أن يختلفا بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج»^(٨).

وقال ابن الزمكاني: «وإن لم يتفقا خطأ فإن وقع التفاوت بحرف من الحروف المتقاربة سواء وقع أولاً أو آخرًا أو حشواً لُقِّبَ المضارع»^(٩).

وقال القزويني: «ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمي الجنس مضارعاً»^(١٠). وهو إما في الأول نحو: «بيني وبين كتي ليل دامس وطريق طامس». أو في الوسط كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾^(١١). أو في الآخر كقوله - ﷺ -: «الخيْلُ معقودٌ بنواصيها الخيرُ الى يومِ القيامة».

وقال الحلبي والنويري: «ومنه المضارع ويسمى المطمع، وهو أن يُجاء بالكلمة ويبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها فتطمع في أنها مثلها فتخالف بحرف. ويسمى المطرف أيضا وهو أن تجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد من

(١) الطراز ج ٢ ص ٣٦٨.

(٢) خزنة الأدب ص ٣٦.

(٣) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٢٢، وينظر التبيان في البيان ص ٤٠٨.

(٤) حسن التوسل ص ١٩٢، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٣، الطراز ج ٢ ص ٣٦٥، خزنة الأدب ص ٣٦، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١١، جنى الجنس ص ١٨٠.

(٥) الوساطة ص ٤٣.

(٦) العمدة ج ١ ص ٣٢٥، وينظر المنزع البديع ص ٤٨٥.

(٧) نهاية الایجاز ص ٢٩، وينظر أنوار الربيع ج ١ ص ١٧١، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٢.

(٨) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(٩) التبيان ص ١٦٧.

(١٠) الايضاح ص ٣٨٦، التلخيص ص ٣٩١.

(١١) الانعام ٢٦.

تجنيس المركب»^(١).

وقال الحموي: «إنَّ الركنين إذا تجاذبهما نوعان من التجنيس ولم يخلصا لواحد كان الجنس مشوشاً»^(٢).

ومثاله قول أبي فراس:

لَطِيرَتِي فِي الصُّدَاعِ نَالَتْ

فَوْقَ مَنْالِ الصُّدَاعِ مِنِّي

وَجَدْتُ فِيهِ اتِّفَاقَ سُوءِ

صَدَّعَنِي مِثْلَ صَدَّعَنِي

قال المدني: «فلولا تشديد نون «عني» لكان جناساً مركباً، أو كان «صدَّعني» كلمة واحدة لكان جناساً محرفاً»^(٣).

التَّجْنِيسُ الْمُصَحَّفُ:

هو تجنيس التصحيف^(٤)، وقد تقدّم.

التَّجْنِيسُ الْمُضَارِعُ:

تحدّث ابن رشيق عن تجنيس سماه «المضارعة» وقال إنّه على ضروب كثيرة منها أن تزيد الحروف وتنقص وهو الذي يسميه القاضي الجرجاني^(٥) الناقص كقول أبي تمام:

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصِ عَوَاصِمِ

تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضِ قَوَاضِبِ

ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر كقول أبي تمام:

بِيضُ الصَّفَائِحِ لِأَسْوَدِ الصَّحَائِفِ فِي

مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

ومنها التصحيف ونقص الحروف كقول بعضهم:

فَإِنْ حَلُّوا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ

وَإِنْ رَحَلُوا فَلَيْسَ لَهُمْ مَفَرٌّ^(٦)

وقال الرازي: «إنَّ الحرفين اللذين وقع الاختلاف فيهما إما أن يكونا متقاربين أو لا يكونا متقاربين، فالأول يسمى المضارع والمطرف»^(٧).

الحروف المتقاربة سواء وقع آخرًا أو حشواً كقوله
- عَلَيْهِ - : «الخیلُ معقودٌ بنواصيها الخیرُ». ومنه
قول الحُطَيْئة:

مطاعينُ في الهيجا مطاعيمُ في الدجى
بنى لَهُمُ آبَاؤُهُم وَبَنَى الجَدُّ
وقول البحتري:

ظَلَلْتُ أَرْجُمُ فَيْكَ الظنُّ
نَ أَحاجِمُهُ أَنْتَ أم حاجِبُهُ؟^(١)

ولكن المطرف عند القزويني هو «أن يختلفا بزيادة
حرف واحد في الأول كقوله تعالى: ﴿والتفت الساقُ
بالساق إلى ربك يومئذ المساق﴾^(٢). أو في الوسط
كقولهم «جَدِّي جهدي». أو في الآخر كقول أبي
تمام:

يُمَدُّونَ من أيدِ عَوَاصِ عَوَاصِمِ
تصوُلُ بِأَسْيَافِ قَوَاضِ قَوَاضِبِ
وَعَرَّفَ المَضارِعَ بأنَّ يكونَ الحرفانِ المَختلِفانِ
مَقتارِبينِ^(٣).

وقال العلوي: «هو أن يُجَمَعَ بين كلمتين هما
متجانستان لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد سواء
وقع أولاً أو آخرًا أو وسطًا حشواً»^(٤). وهو وجهان:
الأول: أن يقع الاتفاق في الحروف المتقاربة
كالحديث الشريف السابق.

الثاني: أن يقع في الحروف التي لا تقارب فيها
كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمُ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ﴾^(٥).
وكقول البحتري:

أَلَمَ فَا تَ من تَلَاقِ تَلَافِ
أم لَشَاكٍ من الصَّبَابَةِ شَافِ؟

ثم قال: «وما هذا حاله يقال له التجنيس اللاحق
والتجنيس الناقص»^(٦).

وأدخله السيوطي في تجنيس التصريف وهو عنده
قسمان: «ما يكون التخالف بحرف مقارب في
المخرج وما يكون بغيره، والأول يُسَمَّى المَضارِعِ

والثاني اللاحق. وكل منهما إما في الأول أو في
الوسط أو في الآخر»^(٧).

والمضارع عند الحموي هو «المشابه في
المخرج»^(٨). وسماه المدني «المطرف» وقال: «وأما
الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر
بحرف في طرفه الأول وهو عكس المذيل، فإنَّ
المذيل تكون الزيادة في آخره فهي كالذيل. وقد
يُسمى هذا الجناس المردوف والناقص وفي تسميته
اختلاف كثير ولكن المطرف أولها لأنَّه مطابق
للمسمى إذ الزيادة فيه كالطرف لأنها في أوله، وخير
الاسماء ما طابق المسمى»^(٩).

التَّجْنِيسُ المُضَافُ:

قال القاضي الجرجاني: «ومنه التجنيس المضاف
كقول البحتري:

أَيَا قَمَرَ التَّمَامِ أَعْنَتَ ظُلْمًا
عَلِيَّ تَطَاوَلَ اللَّيْلِ التَّمَامِ

ومعنى التمام واحد في الأمرين ولو انفرد لم يعد
تجنيسًا ولكنَّ أحدهما صار موصولًا بالقمر والآخر
بالليل فكانا كالمختلفين»^(١٠).

وقال ابن رشيق تعليقًا على هذا البيت: «فهذا
عندهم وما جرى مجراه إذا اتصل كان تجنيسًا وإذا

(١) حسن التوسل ص ١٩٢، نهاية الأرب ج ٧
ص ٩٤ وينظر الروض المريع ص ١٦٤.

(٢) القيامة ٢٩ - ٣٠.

(٣) الأيضاح ص ٣٨٥، التلخيص ص ٣٩٠.

(٤) الطراز ج ٢ ص ٣٦٦.

(٥) النساء ٨٣.

(٦) الطراز ج ٢ ص ٣٦٧.

(٧) شرح عقود الجمان ص ١٤٦، معترك ج ١
ص ٤٠٠، التبيان في البيان ص ٤٠٥.

(٨) خزانة الأدب ص ٢٩.

(٩) أنوار الربيع ج ١ ص ١٧١.

(١٠) الوساطة ص ٤٤.

الحموي قال عنه: «وأما الجنس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول»^(٩) وهذا غير تعريفه للمضارع^(١٠).

التجنيس المطلق:

قال القاضي الجرجاني: «وأما التجنيس فقد يكون منه المطلق وهو أشهر أوصافه، كقول النابغة:

وأقطع الخرقَ بالخرقاءِ قد جعلت

بَعْدَ الكَلالِ تشكّي الأينِ والسّامِ»^(١١)

وهذا يتصل بالاشتقاق فـ«خرق» و«خرقاء» يجمعهما أصل، وقد قال ابن رشيق بعد أن تكلم على التجنيس المحقق: «ومثله في الاشتقاق قول جرير، والجرجاني يسميه التجنيس المطلق»^(١٢).

وقال التبريزي: «التجنيس أن يأتي الشاعر بلفظتين في البيت إحداهما مشتقة من الأخرى وهذا الجنس

(١) العمدة ج ١ ص ٣٣٠، وينظر الوافي ص ٢٦٢، قانون البلاغة ص ٤٣٨.

(٢) تحرير التعبير ص ١١٠.

(٣) الوساطة ص ٤٤، وينظر الوافي ص ٢٦٢، قانون البلاغة ص ٤٣٨، جنى الجنس ص ٢٨٣.

(٤) التبيان ص ١٦٨.

(٥) قانون البلاغة ص ٤٣٧.

(٦) نقد الشعر ص ١٨٥.

(٧) الوافي ص ٢٦٤.

(٨) حدائق السحر ص ٩٩، نهاية الأيجاز ص ٢٩،

مفتاح العلوم ص ٢٠٢، حسن التوسل ص ١٩٢،

نهاية الأرب ج ٧ ص ٩٤، الأيضاح ص ٣٨٥،

التلخيص ص ٣٩٠، شروح التلخيص ج ٤

ص ٤٢٥، شرح عقود الجمان ص ١٤٥،

الاطول ج ٢ ص ٢٢٦، أنوار الربيع ج ١

ص ١٧١.

(٩) خزنة الأدب ص ٣٥.

(١٠) خزنة ص ٢٩.

(١١) الوساطة ص ٤١.

(١٢) العمدة ج ١ ص ٣٢٤.

انفصل لم يكن تجنيساً. وإنما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال: «ليل التمام» كما قال: «قمر التمام». والرماني سمى هذا النوع مزاجاً ومثله عنده قول الآخر:

حَمَّني مياهُ الوفرِ منها مواردِي

فلا تحمياني وِرْدَ ماءِ العناقدِ^(١)

وقال المصري: «وأما القسم الذي جعلته لها تاسعا وهو الذي ذكره التبريزي وسماه التجنيس المضاف وأنشد فيه قول البحري: «أيا قمر التمام...» فهو مع قطع النظر عن الاضافة من تجنيس التحريف، لكن هو قسم قائم بذاته لاتصال المضاف بالمضاف اليه»^(٢). وليس هذا النوع من تسمية التبريزي وإنما من تسمية القاضي الجرجاني^(٣). وسمّاه ابن الزمكاني «تجنيس الاضافة»^(٤) وقد تقدم.

التجنيس المطابق:

قال البغدادي: «وأما التجنيس فهو أن يأتي الشاعر بلفظتين في البيت إحداهما مشتقة من الأخرى ويسمونه المطابق وهو أشهر أوصافه وأكبر أصنافه»^(٥) نحو قول امرئ القيس:

لقد طَمَحَ الطَّمَاحُ من بُعْدِ أَرْضِهِ

لِيلْبَسَنِي من دَائِهِ ما تَلْبَسَا

والمطابق من تسمية قدامة وقد قال: «فاما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها»^(٦).

مثل قول زياد الأعجم:

وُنبئتُهم يستنصرونَ بكاهلِ

ولِلُّومِ فيهم كاهلٌ وسنأمُ

والتجنيس المطابق هو التجنيس المطلق عند التبريزي الذي نقل عنه البغدادي تعريفه ومثاله ولكنه وضعه للمطابق^(٧).

التجنيس المطرف:

هو التجنيس المضارع^(٨)، وقد تقدم. غير أن

ثم يبدأ في أختها على وفق حروفها فيطمع في أنه يجيء
بمثلها فيبدل في آخرها حرفا بحرف وهو حسن في
التجنيس^(١٠). كقول الحطيئة:

مطاعين في الهيجامطاعيم في الدجى
بنى لهم أبائهم وبنى الجد

وقول أبي كدراء العجلي:

نهضت الى حديد مشرفي
حديث الصقل ماثور حسام

التجنيس المعكوس:

هو أن يقدم المتكلم المؤخر من الكلام ويؤخر
المقدم منه، قال ابن الأثير: «وقد سماه قدامة بن
جعفر الكاتب «التبديل» وذلك اسم مناسب لمسماه،
لأن المؤلف يأتي بما كان مقديما في جزء كلامه الأول
مؤخرا في الثاني، وبما كان مؤخرا في الأول مقديما في
الثاني»^(١١). وهو ضربان:

الأول: عكس الألفاظ كقول بعضهم: «عادات
السادات سادات العادات». وقول عتاب بن رقاء:

إن الليالي للأنام مناهل
تطوى وتُنشَرُ دونها الأعمار

- (١) الوافي ص ٢٦٠.
- (٢) قانون البلاغة ص ٤٣٧.
- (٣) التبيان ص ١٦٦.
- (٤) نضرة الاغريض ص ٥٥.
- (٥) الطراز ج ٢ ص ٣٥٩.
- (٦) مفتاح العلوم ص ٢٠٣.
- (٧) خزانة الأدب ص ٢٥، وينظر جنى الجناس
ص ٢٧٢.
- (٨) حسن التوسل ص ١٩٢، نهاية الارب ج ٧
ص ٩٤.
- (٩) شرح عقود الجمان ص ١٤٦، وينظر جنى
الجناس ص ٢١٠.
- (١٠) نضرة الاغريض ص ٧٢.
- (١١) الجامع الكبير ص ٢٦٢، المثل السائر ج ١
ص ٢٦١.

يسمونه المطلق»^(١). نحو قول امرئ القيس:

لقد طمخ الطماخ من بعد أرضه
ليلبسني من دائه ما تلبسا

وقول جرير:

فما زال معقولا عقالا عن الندى

وما زال محبوبا عن المجد حابس

وهذا الذي سماه البغدادي «التجنيس المطابق»
وذكر له الأمثلة نفسها^(٢).

وعرفه ابن الزمكاني بمثل تعريف التبريزي وذكر
بيت جرير^(٣)، وسماه المظفر العلوي «تجنيس
اللفظ»^(٤)، وعده العلوي من الناقص وقال:
«المختلف بالأحرف وتتفق الكلمتان في أصل واحد
يجمعهما الاشتقاق وما هذا حاله يقال له المطلق»^(٥)،
كبيت جرير، ثم قال: «وإنما سمي مطلقا لأنه لما
كانت حروفه مختلفة ولم يشترط فيه أمر سواه قيل
له مطلق». وسماه السكاكي «تجنيس المشابهة» أو
«المتشابهة»^(٦)، وقال الحموي: «أما الجناس المطلق
فإن للناس في الفرق بينه وبين المشتق معارك وسماه
السكاكي وغيره المتشابه والمتقارب لشدة مشابهته
وقربه من المشتق وكل منهما يختلف في الحروف
والحركات، ولكن الفرق بينهما دقيق قل من أتى
بصحته ظاهرا فإن المشتق غلط فيه جماعة وعده
تجنيسا وليس الأمر كذلك فإن معنى المشتق يزجج
الى أصل واحد والمراد من الجناس اختلاف المعنى
في ركنيه، والمطلق كل ركن منه يباين الآخر في
المعنى»^(٧).

التجنيس المطمع:

هو التجنيس المضارع^(٨)، وقد تقدم. قال
السيوطي: «وسمى قوم هذا النوع المطمع لأنه لما
ابتدأ بالكلمة على وفق الحروف التي قبلها طمع في
أنه يجانسها بمثلها جناسا مماثلا»^(٩).

وقال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بكلمة

وقال الحلبي والنويري: «هو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجنس بمعناها دون لفظها. وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظاً ولا يوافقه الوزن على الاتيان باللفظ المجانس فيعدل الى مرادفه»^(٥). ثم قالوا: «وبعضهم لا يُدخِل هذا في باب التجنيس وإن كان في غاية الحسن والصعوبة».

وتحدث العلوي عن هذا النوع في «تجنيس الاشارة»^(٦)، وأفرد الحموي نوعاً سماه «الجناس المعنوي»^(٧)، وهو «تجنيس المعنى»، وقسمه الى تجنيس إضمار وتجنيس إشارة وقال: «إن المعنوي طرفة من طرف الأدب عزيز الوجود جداً». وتابعه في ذلك السيوطي والمدني^(٨) وقسماه الى إضمار وإشارة، وقد تقدم هذان النوعان.

التَّجْنِيسُ الْمُغَايِرُ:

قال ابن منقذ: «هو أن تكون الكلمتان اسمًا وفعلاً»^(٩). كقوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٠). وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾^(١١).

وقول ذي الرُّمة:

- (١) الروم ١٩.
- (٢) الأنبياء ٣٣.
- (٣) الجامع الكبير ص ٢٦٢.
- (٤) نضرة الاغريض ص ٧٠.
- (٥) حسن التوسل ص ١٩٧، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٧.
- (٦) الطراز ج ٢ ص ٣٧٢.
- (٧) خزانة الأدب ص ٤١.
- (٨) شرح عقود الجمان ص ١٤٧، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٠٩، جنى الجنس ص ٢٧٧.
- (٩) البديع في نقد الشعر ص ١٢.
- (١٠) النمل ٤٤.
- (١١) الروم ٤٣.

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ
وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السَّرُورِ قِصَارُ
وكقول الأضبط:

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ
وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لَابِسِهِ
وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهُ

ومنه قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١).

الثاني: عكس الحروف كقوله تعالى: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ﴾^(٢)، وقول بعضهم:

أَهْدَيْتَ شَيْئًا يِقْلُ لَوْلَا
أُحْدِثُهُ الْفَأَلِ وَالتَّبْرُكُ
كِرْسِي تَفَاءَلَتْ فِيهِ لِمَا
رَأَيْتُ مَقْلُوبَهُ يَسْرُكُ

وكقول الآخر:

كَيْفَ السَّرُورُ بِإِقْبَالٍ وَآخِرُهُ
إِذَا تَأَمَّلْتَهُ مَقْلُوبُ إِقْبَالِ

قال ابن الاثير: «وهذا الضرب نادر الاستعمال لأنه كلما تقع كلمة تقلب حروفها فيجنيء معناها صواباً»^(٣).

تَجْنِيسُ الْمَعْنَى:

قال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بألفاظ يُدُلُّ بمعناها على الجنس وإن لم يذكره»^(٤). كقول الشاعر في مدح المُهَلَّبِ:

حَدَا بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ فَأَجْفَلْتُ

نَعَامَتَهُ مِنْ عَارِضٍ يَتَلَهَّبُ

يذكر فعل المهلب بقَطْرِي بن الفُجَاءة، وكان قَطْرِي يلقب «أبا نعامة» فأراد أن يقول: حدا بأبي نعامة فاجفلت نعامة أي روحه فلم يستقم له فقال: «بأبي أم الرئال» وأم الرئال النعامة وهو جمع رأل.

وهذا النوع أقرب الى تجنيس الاشتقاق وغيره من الأنواع الأخرى التي تعتمد على المقاربة في الاشتقاق ولكنهم اشترطوا في هذا النوع أن تكون إحدى الكلمتين اسمًا والأخرى فعلاً.

التَّجْنِيسُ الْمَفْرُوقُ:

وهو الضرب الثاني من التجنيس المركب، والمركب قد يكون من كلمة وبعض كلمة وهو المرفوع، أما اذا اختلفا فهو المرفوق^(٩). ومنه قول البستي:

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَا
مَ وَلَا جَامَ لَنَا
مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الْ
جَامِ لَوْ جَامَلْنَا

وقال المدني: «وُحِصَّ بِاسْمِ الْمَفْرُوقِ لِإِفْتِرَاقِ الرِّكْنَيْنِ فِي الْخَطِّ»^(١٠) ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر:

(١) البرى: الخلاخيل. العاج: أسورة من العاج. عيجت: لويت. العشر: شجر ناعم لين. نهى به السيل: بلغ به اليه، الابطح بطن الوادي.

(٢) نضرة الاغريض ص ٦١.

(٣) الرحمن ٥٤.

(٤) المائدة ٣١.

(٥) يونس ١٠٧.

(٦) النمل ٤٤.

(٧) حسن التوسل ص ١٩٥، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٥.

(٨) جوهر الكنز ص ٩٢، وينظر جنى الجناس ص ١٦١.

(٩) نهاية الايجاز ص ٣٠، التبيان ص ١٦٧، مفتاح العلوم ص ٢٠٣، حسن التوسل ص ١٨٩، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٢، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١١، الايضاح ص ٣٨٤، التلخيص ص ٣٨٩، خزانة الأدب ص ٢٢، الاطول ج ٢ ص ٢٢٤، أنوار الربيع ج ١ ص ١٠٣.

(١٠) أنوار الربيع ج ١ ص ١٠٣.

كَأَنَّ الْبِرَى وَالْعَاجَ عَيْجَتْ مُتَوْنُهُ
عَلَى عَشْرِ نَهَى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحُ^(١)

وقول جرير:

كَأَنَّكَ لَمْ تَسِرْ بِبِلَادٍ نَجِدِ
وَلَمْ تَنْظُرْ بِنَاظِرَةِ الْخِيَامَا

وقول الآخر:

رُبَّ خَوْدٍ عَرَفْتُ فِي عَرَفَاتِ
سَلَبْتَنِي بِحُسْنِهَا حَسَنَاتِي

وَرَمَتْ بِالْجِمَارِ جَمْرَةَ قَلْبِي
أَيُّ قَلْبٍ يَقْوَى عَلَى الْجَمَرَاتِ

حَرَمَتْ حِينَ أَحْرَمْتُ نَوْمَ عَيْنِي
وَاسْتَبَاحَتْ جِمَايَ بِاللَّحْظَاتِ

وَأَفَاضَتْ مَعَ الْحَجِيجِ فِفَاضَتْ
مِنْ دُمُوعِي سَوَابِقُ الْعَبْرَاتِ

لَمْ أَتْلُ مِنْ مَنَى مَنَى النَّفْسِ لَكِنْ
خِيفْتُ بِالْخَيْفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي

وقال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بكلمتين إحداهما اسم والأخرى فعل»^(٢). ثم قال: «وهذا التجنيس يستحسنه أهل البديع في الشعر وهو كثير جداً».

وقال الحلبي والثوري: «ومما يشبه المشتق ويسميه بعضهم المشابه وبعضهم المغاير قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿لِيرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرْذَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾^(٦).

ومن النظم قول البحري:

وَإِذَا مَا رِيَاخُ جُودِكَ هَبَّتْ

صَارَ قَوْلُ الْعَدَالِ فِيهَا هَبَاءً^(٧)

وسماه ابن الأثير الحلبي «جناس المغايرة» وقال: «هو أن تكون إحدى الكلمتين اسمًا والأخرى فعلاً»^(٨).

التَّجْنِيسُ الْمُكْرَّرُ:

هو التجنيس المردد والتجنيس المزدوج^(٤)، وقد تقدم.

التَّجْنِيسُ الْمُؤَلَّفَقُ:

قال الحموي: «حَدُّ الْمُؤَلَّفَقِ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنَ الرُّكْنَيْنِ مُرَكَّبًا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُرَكَّبِ. وَقَلَّ مَنْ أَفْرَدَهُ عَنْهُ، وَغَالِبُ الْمُؤَلَّفَقِينَ مَا فَرَّقُوا بَيْنَهُمَا بَلْ عَدَّوْا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُرَكَّبًا إِلَّا الْحَاتِمِي وَابْنُ رَشِيْقٍ وَأَمْثَالَهُمَا. وَلِعَمْرِي لَوْ سُمِّيَ الْمُؤَلَّفَقُ مُرَكَّبًا وَالْمُرَكَّبُ مُؤَلَّفَقًا لَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْمُطَابَقَةِ فِي التَّسْمِيَةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤَلَّفَقَ مُرَكَّبٌ فِي الرُّكْنَيْنِ وَالْمُرَكَّبُ رُكْنٌ وَاحِدٌ كَلِمَةٌ مَفْرُودَةٌ وَالثَّانِي مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَهَذَا هُوَ التَّلْفِيقُ»^(٥). ومنه قول الشاعر:

وكم لجباه الراغبين إليه من

مجال سجد في مجالس جود

وقول ابن عنين:

خبروها بأنه ما تصدَّى

لسلوا عنها ولو مات صدا

وقال السيوطي: «هو المتركب ركناه»^(٦)، وذكر المدني مثل ما قال الحموي وأضاف أمثلة إليه^(٧). ومن

(١) نضرة الاغريض ص ٦٦، وينظر جنى الجناس ص ٢٧٠.

(٢) حسن التوسل ص ١٩٣، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٥، معترك ج ١ ص ٤٠١، شرح عقود الجمان ص ١٤٧.

(٣) خزانة الأدب ص ٣٩، أنوار الربيع ج ١ ص ١٩٥.

(٤) حدائق السحر ص ٩٨، مفتاح العلوم ص ٢٠٣، حسن التوسل ص ١٩١، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٣، الطراز ج ٢ ص ٣٦٥.

(٥) خزانة الأدب ص ٢٧.

(٦) شرح عقود الجمان ص ١٤٤.

(٧) أنوار الربيع ج ١ ص ١٢٦.

لا تعرِّضنَّ على الرواة قصيدة

ما لم تبالغِ قبلُ في تهذيبها

فمتى عرَّضتَ الشعرَ غيرَ مُهذَّبٍ

عدَّوه منك وساوسًا تهذي بها

وقول أبي الفضل الميكالي:

لقد راعني بذرُّ الدجى بصدوده

ووكلَّ أجفاني برعي كواكبه

فياجزعي مهلاً عساه يعودُ لي

ويا كبدي صبرًا على ما كواك به

وقول ابن جابر:

أيها العاذلُ في حُبِّي لها

خلَّ نفسي في هواها تحترقُ

ما الذي ضركَ مني بعدما

صارَ قلبي من هواها تحتَ رقِّ

التَّجْنِيسُ الْمُقَارِبُ:

قال المظفر العلوي: «ومعناه أنه يقارب التجنيس

وليس بتجنيس»^(١) كمال قال محمد بن عبد الملك الأسيدي:

ردَّ الخليطُ أيانقًا وجمالًا

وأرادَ جيرتك الغداةَ زيالا

ف«ردَّ» و«أراد» يشبه التجنيس للتقارب وليس بتجنيس.

وقال القطامي:

كأنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَأْمٌ

ونحنَ لِعَلَّةٍ عَلَّتِ ارتفاعًا

التَّجْنِيسُ الْمُقْتَضِبُ:

هو تجنيس الاشتقاق وتجنيس الاقتضاب^(٢)، وقد تقدّم.

التَّجْنِيسُ الْمُقْلُوبُ:

هو تجنيس العكس^(٣)، وقد تقدّم.

ذلك قول الصلاح الصفدي الذي كان مولعاً بهذا النمط:

ولمّا نأيتم لم أزل مترقّباً
قدومكم في غدوة ومساء
وأين اذا كان الفراق مُعاندي
مطالع ناءٍ من مطالٍ عناءٍ
وقوله:

وساقٍ غدا يسقي بكأسٍ وطرفه
يجردُ أسيفاً لغيرِ كِفاحٍ
إذا جرح العشاق قالوا أقتت في
مدارجِ راحٍ أم مدارِ جراحٍ
وقوله:

بكيثُ على نفسي لنوحِ حمائمٍ
وَجَدْتُ لها عندي هَدِيَّةً هادٍ
تنوبُ إذا ناحت على الأيك في الدجى
منابٍ رشادٍ في منابرِ شادٍ
وقوله:

متى تَصْنَعِ المعروفَ تَزِقَ الى العلى
وتَلَقَّ سُعودًا في ازديادِ سُعودٍ
وإن تَغْرِسِ الإحسانَ تَجِنِ الثمارَ من
مغارِ سُعودٍ لا مغارِسِ عُودٍ

التجنيس المُمائل:

قال التفتازاني: «سُمي جناسًا مماثلاً جريًا على اصطلاح المتكلمين من أنّ التماثل هو الاتحاد في النوع»^(١).

وقال ابن منقذ: «هو أنّ تكون الكلمتان اسمين أو فعلين»^(٢) كقوله تعالى: ﴿فَرُوخٌ وَرِيحَانٌ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ﴾^(٤) وقول النبي - ﷺ -: «الظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ومنه قول البحرني:

يُذَكِّرُنِيكَ وَالذِّكْرَى عَنَاءٌ
مِشَابُهُ فَيْكَ طَيْبَةُ الشُّكُولِ

نسيم الروض في ريحِ شمالي
وصوب المزن في راحِ شمولى
وقول الآخر:

إذا أعشطتك أكفُ اللئامِ
كفتك القناعةُ شِبَعًا ورِيَا

فكن رجلاً رجُلُهُ في الثرى
وهامةُ همته في الثرىا

أبياً لنائلِ ذي ثروة
تراه بما في يديه حَفِيَا

فإنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَاةِ
دون إِرَاقَةَ مَاءِ الْمُحَيَا

وعرّفه المظفر العلوي بمثل ذلك^(٥)، وقال القزويني: «فإن كانا من نوع واحد سمي مماثلاً»^(٦)، وهو من الجناس التام، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(٧).

وسمّاه ابن الاثير الحلبي «جناس المماثلة»^(٨)، وردد الحموي ما قاله القزويني وهو أنّه «اذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين أو فعلين سمي مماثلاً»^(٩).

(١) المختصر ج ٤ ص ٤١٥.

(٢) البديع في نقد الشعر ص ١٤.

(٣) الواقعة ٨٩.

(٤) الرحمن ٥٤.

(٥) نضرة الاغريض ص ٩٥.

(٦) الايضاح ص ٣٨٢، التلخيص ص ٣٨٨.

(٧) الروم ٥٥.

(٨) جوهر الكنز ص ٩٣، وينظر المنزع البديع ص ٤٨٢.

(٩) خزانة الأدب ص ٣٠.

التَّجْنِيسُ الْمُتَّفَصِّلُ:

قال ابن رشيق: «وقد أحدث المولِّدون تجانسًا منفصلاً يظهر أيضًا في الخط كقول أبي تمام:

رَفْدُوكَ فِي يَوْمِ الْكَلَابِ وَشَقَّقُوا

فِيهِ الْمِرَادُ بِجَحْفَلٍ كَاللَّابِ

الكاف للتشبيه، واللاب جمع لابة، وهي: الحرة ذات الحجارة السود... وليس بتجانس صحيح على ما شرطه المتقدمون، ولكنه استظرف فادخل في هذا الباب تملحًا. وأكثر من يستعمله الميكالي وقابوس وأبو الفتح البستي وأصحابهم فمن ذلك قوله:

عَارِضَاهُ بِمَا جَنَى عَارِضَاهُ

أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بِمَا أَوْدَعَانِي

فقوله: «أودعاني» إنما هي «أو» التي للعطف نسق بها «دعاني» وهو أمر الاثنين من «دَعَّ» على قوله: «عارضاه» الذي في أول البيت. وقوله «أو دعاني» الذي في القافية فعل ماضٍ من اثنين^(١).

التَّجْنِيسُ النَاقِصُ:

وهو غير التام والكامل، وذلك أن يكون نقص في إحدى الكلمتين. قال القاضي الجرجاني: «ومنه الناقص كقول الأحنس بن شهاب:

وَحَامِي لَوَاءٍ قَدْ قَتَلْنَا وَحَامِلٍ

لَوَاءٍ مَنَعْنَا وَالسِّيَوفُ شَوَارِعُ

فجانس بـ«حامي وحامل»، والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الآخر^(٢).

وأدخله ابن رشيق في «تجنيس المضارعة» وأشار إلى أن الجرجاني سماه التجنيس الناقص^(٣) وسماه التبريزي والبغدادي والصنعاني ناقصا^(٤)، وقال الرازي إنه «التجنيس الذي يكون الاختلاف واقعًا في هيئة الحروف»^(٥) وهذا ما قاله الوطواط من قبل^(٦). وإلى ذلك ذهب السكاكي وقال: «هو أن يختلفا في الهيئة دون الصورة»^(٧) وقال ابن الزملياني: «وهو ما

عدا التام»^(٨). وقال القزويني: «وإن اختلفا في أعداد الحروف سُمي ناقصا»^(٩)، وهو إما أن يختلفا بزيادة حرف واحد وهو المطرف، أو بزيادة أكثر من حرف واحد وهو المذيل.

وسماه الحلبي والنويري «المختلف» وقالوا: «ومنه المختلف ويُسمى التجنيس الناقص وهو مثل الأول في اتفاق حروف الكلمتين إلا أنه يُخالفه إما في هيئة الحركة... أو بالحركة والسكون»^(١٠).

وقسّم العلوي التجنيس كغيره إلى قسمين أساسيين:

الأول: التجنيس التام وهو المستوفى والكامل، وذلك أن تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركاتهما ويختلفا في المعنى.

الثاني: الناقص، ويُقال له المشبه ويأتي على أنحاء مختلفة ويأتي على عشرة أضرب: المختلف والمشتق وغير المشتق - المفروق والمرفو - والمذيل والمزدوج والمصحف والمضارع والمشوش والمعكوس والاشارة^(١١).

(١) العمدة ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) الوساطة ص ٤٣.

(٣) العمدة ج ١ ص ٣٢٥، وينظر المنزع البديع ص ٤٨٦.

(٤) الوافي ص ٢٦٢، قانون البلاغة ص ٤٣٨، الرسالة العسجدية ص ١٣٣.

(٥) نهاية الأيجاز ص ٢٨.

(٦) حدائق السحر ص ٩٥.

(٧) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(٨) التبيان ص ١٦٦.

(٩) الأيضاح ص ٣٨٥، التلخيص ص ٣٨٩.

(١٠) حسن التوسل ص ١٨٦، نهاية الأرب ج ٧ ص ٩١.

(١١) الطراز ج ٢ ص ٣٥٩، وينظر معترك ج ١ ص ٤٠٠، شرح عقود الجمان ص ١٤٥، الأطول ج ٢ ص ٢٢٥، الروض المريع ص ١٦٦، التبيان في البيان ص ٤٠٤.

لتنوء بالعُصْبَة ﴿٧﴾. وإنما العصبه تنوء بالمفتاح. ومن كلام العرب: «إن فلانة لتنوء بها عجيزتها»، ويقولون: «ادخلت القلنسوة في رأسي وأدخلت الخف في رجلي» وإنما يكون هذا فيما لا يكون فيه لبس ولا إشكال ولا وهم ولا يجوز: «ضربت زيداً» وأنت تريد: غلام زيد على حكم قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف ٨٢) ومثل قوله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾. ومن كلام العرب قول الأخطل:

أَمَا كَلَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ
عِنْدَ التَّفَاخُرِ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرُ
مُخْلَفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ
وَهُمْ بَغِيْبٌ وَفِي عَمِيَاءٍ مَا شَعَرُوا
مِثْلَ الْقِنَافِدِ هَدَاجُونَ قَدْ بَلَّغَتْ
نَجْرَانَ أَوْ بَلَّغَتْ سُوءَاتِهِمْ هَجْرًا^(٨)

تَخْصِيصُ الْمُسْنَدِ:

خصّ به الشيء: أفرد به من دون غيره، وأختص فلان بالأمر وتخصّص له إذا انفرد^(٩).
وذلك بالاضافة مثل: «زيد ضارب غلام» أو بالوصف مثل: «زيد رجل عالم» وذلك لتكون الفائدة أتم^(١٠).

- (١) اللسان (حجل).
- (٢) منهاج البلغاء ص ٣٠٠.
- (٣) منهاج البلغاء ص ٢٩٧.
- (٤) اللسان (حز).
- (٥) سر الفصاحة ص ٣٢٢.
- (٦) اللسان (حول).
- (٧) القصص ٧٦.
- (٨) ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٣٧ - ٣٩.
- هداجون: من الهدج والهدجان بالتحريك: السير السريع. يقول: ان رهط جرير كالقنفاذ لمشيههم في الليل للسرقة والفجور.
- (٩) اللسان (خصص).
- (١٠) مفتاح العلوم ص ١٠١، الايضاح ص ٩٧، التلخيص ص ١١٩.

وقد سبق الكلام على هذه الأنواع وغيرها من الأنواع التي شعبها المتأخرون، وهي كلّها ترجع الى التجنيس الناقص.

التَّحْجِيلُ:

التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس، وحجل فلان أمره تحجيلاً إذا شهره^(١). وهو تذييل أو آخر الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية لتزداد بهاء وحسناً، وتقع في النفوس أحسن موقع^(٢). وقال القرطاجني: «وأيضاً فإننا سمينا تحلية أعقاب الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية بالتحجيل ليكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحوًا من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس^(٣)».

التَّحْرُزُ:

الحِزْرُ: الموضع الحصين، واحترزت من كذا وتحرزت أي: توقيت^(٤).

وهو الاحتراس وقد تقدم، وسَمَّاه بهذا الاسم ابن سنان الذي قال: «وأما التحرز مما يوجب الطعن فان يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن فيأتي بما يتحرز به من ذلك الطعن، كقول طرفة:

فَسَقَى دِيَارَكَ - غير مفسدها -

صَوَّبُ الرِّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

فلو لم يقل: «غير مفسدها» لظن به أنه يريد توالي المطر عليها وفي ذلك فساد للديار ومحو لرسومها^(٥).

التَّحْوِيلُ:

تحوّل عن الشيء: زال عنه الى غيره، وحال الرجل يحول مثل تحوّل من موضع الى موضع^(٦). وهو المقلوب أو الانتقال، وقد تحدث عنه المبرد وقال: «ومما في القرآن مما يجيء مثله في كلام العرب من التحويل كقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾

التَّخْلُصُ:

هو الانفكاك من الشيء، وخلص الشيء، اذا كان قد نشب ثم نجا وسلم^(١).

وهو براعة التلخيص وحسن التخلص، وقد تقدم. وممن سماه «التخلص» القزويني وشراح تلخيصه^(٢).

تَخْلِيصُ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي:

التخليص: التنجية من كل منشب، تقول: خلصته من كذا تخليصاً أي نجيته^(٣).

قال التنوخي: «ومن البيان تخليص الالفاظ بعضها من بعض والمعاني بعضها من بعض، واجتناب اختلاطها»^(٤). ومثال اختلاط الالفاظ بالتقديم والتأخير قول بعض الأعراب:

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعَجٍ

الْيَّ وَسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا

لأنَّ الترتيب أن يقال: أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا الْيَّ مَا بَيْنَ مَنْعَجٍ وَسَلْمَى.

ومثال اختلاط المعاني بالتقديم والتأخير قول الشاعر:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا

وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِينَا فَوَارِسَا

أَكْرَى وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ

وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسِّيُوفِ الْقَوَانِيسَا

معناها: لم أر مثلاً للحي أكرى منهم ولا مثلاً لنا أضرب منا، فخلط المعنيين والالفاظ الدالة عليهما وفي إعرابهما إشكال وفيهما شذوذ من بناء أفعال التفضيل مما ليس من الغرائز.

التَّخْيِيرُ:

خَيْرُهُ بين الشيئين أي فوضت اليه الخيار، وتخير الشيء: اختاره^(٥) وقد أشار أبو العلاء المعري الى احتمال تغيير القوافي وذكر قول من قال:

أَلَمَّ بِصَحْبَتِي وَهَمَّ هَجُوعٌ
خِيَالٌ طَارِقٌ مِنْ أُمِّ حُضْنِ

لَهَا مَا تَشْتَهِي عَسَلًا مُصَفًّى

إِذَا شَاءَتْ وَحَوَّارِي بِسَمْنِ

فهذان البيتان يصلحان للتغيير وإبدال قافيتهما، وقد فعل أبو العلاء ذلك، فأم حصن: أم حفص وأم جزء وأم حرب وأم صمت، وحواري بسمن: بلمص وبكشء وبضرب وبكمت^(٦). ولكن أبا العلاء لم يعرفه ولم يسمه هذا الاسم.

وقد سمي المصري هذا النوع من الفن «التخير» وقال إنه من مبتدعاته وَعَرَفَهُ بقوله: «هو أن يأتي الشاعر بيت يسوغ أن يُقْفَى بقوافٍ شتى فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل تدخل بتخيرها على حسن اختياره»^(٧).

كقول الحريري:

إِنَّ الْغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّيْلَ مُمْتَهَنٌ

فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَالَهُ قُوْتُ

فانه يسوغ أن يقول: «فكيف حال غريب ما له حال» أي: ماله مال، ماله نشب ماله سبب» ولكن «ما له قوت» أدل على الفاقة وأمس بذكر الحاجة.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْقِنُونَ. وَاختلاف الليل والنهار وما أنزل

(١) اللسان (خلص).

(٢) الايضاح ص ٤٣٢، التلخيص ص ٤٣٢، شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٣٥، المطول ص ٤٧٩، الاطول ج ٢ ص ٢٥٧.

(٣) اللسان (خلص).

(٤) الأقصى القريب ص ١٠١.

(٥) اللسان (خير).

(٦) رسالة الغفران ص ١٥٤.

(٧) تحرير التحبير ص ٥٢٧، بديع القرآن ص ٢٣٣.

والتخيير لا يكون إلا بـ«أو» التي هي للتخيير خاصة.
والثاني: أن التخيير يُشترط فيه صحة التقسيم ولا
كذلك حسن النسق. والفرق بين تخيير مقطع الكلام
دون كل مقطع يسدّ مسدّه وبين التسهيم أن صدر
كلام التخيير لا يدلّ إلا على المقطع فقط وصدر
كلام التسهيم يدلّ على ما زاد على المقطع الى أن
يبلغ عجز البيت. والفرق بين التخيير والتوشيح التوطئة
بتقديم لفظة القافية في أول البيت من التوشيح ولا
كذلك التخيير»^(٥).

وقال السبكي عن التخيير: «هو إثبات البيت أو
الفقرة على روي يصلح لاشياء غيره فيتخير له»^(٦).
وذكر بيت الحريري: «إن الغريب...» وكان الفن
التسعون من البديع عنده «التخيير» الذي قال عنه:
«هو البيت يأتي على قافية مع كونه يسوغ أن يُقْفَى
بقوافٍ كثيرة»^(٧) كقول ديك الجن:

قولي لطيفك ينثني

عن مضجعي عند المنام

فَعَسَى أَنَا فتنطفي

نارًا تَأَجَّجُ في العظام

جَسَدٌ تُقَلِّبُهُ الأَكْفُ

على فراشٍ من سقام

أَمَا أَنَا فَمَا عَلِمْتِ

فهل لوصلك من دوام

فانه يصلح مكان منام: رقاد، هجوع، هجود،

(١) الجاثية ٣ - ٥.

(٢) تحرير ص ٥٢٩، بديع القرآن ص ٢٣٦.

(٣) المائة ٨٩.

(٤) اليفاع: التل المشرف. أسنت الناس: أصيبوا
بالسنين أي أصابهم الجذب. الصريخ:
المستغيث.

(٥) تحرير ص ٥٣٠، بديع القرآن ص ٢٣٧.

(٦) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠.

(٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٤.

اللّه من السماء من رزقي فأحيا به الأرض بعد موتها
وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون»^(١). وقد انتهت
كل آية بفاصلة حددها المعنى ولذلك جاءت في
مكانها ولا يغني غيرها عنها.

وأدخل المصري في التخيير نوعًا آخر وهو «أن
يؤتى بقطعة من الكلام أو بيت من الشعر قد عطف
بعض جملة على بعض بأداة التخيير»^(٢) كقوله تعالى:
﴿فَكَفَّارُتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٣).

ومنه قول الشاعر:

خَلَّوْا التَّفَاخِرَ أَوْ خَلَّوْا الْيَفَاعَ إِذَا

مَا أَسْنَتِ النَّاسُ أَوْ لَبَّوْا الصَّرِيخَ ضُحَى^(٤)

ثم قال: «ولا يكون هذا الضرب من المحاسن
حتى تكون الجمل المعطوف بعضها على بعض
متضمنة صحة التقسيم كما جاء في الآية الكريمة إذ
حصر - سبحانه وتعالى - فيها أنواع الكفارة التي لا
يجزىء الموسر غيرها كما جاء في البيت من حصر
أعظم الأسباب التي تفاخر بمثلها وهي نهاية الكرم
وغاية الشجاعة إذ لا يحل بالمكان المرتفع من
الأرض في المجاعة ليدل على بيته إلا الجواد كما
قال شاعر الحماسة:

له نارٌ تشبُّ على يفاع

إذا النيران أَلْبَسَتِ الْقِنَاعَا

ولم يكُ أكثرُ الفتیان مألًا

ولكنْ كان أَرْحَبَهُم ذِرَاعَا

كما أنه لا يبادر الى تلبية الصريخ عند الضحى وهو
وقت الغارات إلا أشجع القوم».

وفرق بينه وبين حسن النسق وغيره بقوله: «والفرق
بين التخيير بـ«أو» وحسن النسق من وجهين:

أحدهما: أن حسن النسق يكون بجميع حروف
العطف وغالبا ما تقع الواو، وربما وقع منه شيء بالفاء
للتعاقب أو بـ«ثم» للمهلة والتراخي ووقوعه بالواو أكثر،

التَّخْيِيلُ:

خال الشيء: ظنه، وتخيَّله: ظنه وتفرسه. وتخيل عليه: شبَّه^(٦).

قال عبد القاهر: «وجملة الحديث الذي أريده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلاً ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريبها ما لا ترى»^(٧).

وقال ابن الزمِّلَكَاني: «هو تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد وأنه مما يظهر في العيان»^(٨). كقوله تعالى: ﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾^(٩). وقوله: ﴿طلُّعها كأنه زووس الشياطين﴾^(١٠).

وسمى الحلبي والنويري الايهام والتورية تخييلًا^(١١) وربما كان ذلك قريباً لأن الرازي^(١٢) ذكر مثلاً للتورية وهو قوله تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته...﴾ وهي من التخييل.

وتحدث العلوي عنه وبعد أن ذكر تعريفه ابن الزمِّلَكَاني والمطرزي قال: «هو اللفظ الدال بظاهره على معنى والمراد غيره على جهة

(١) أنوار الربيع ج ٢ ص ١٥١.

(٢) خزنة الأدب ص ٧٨.

(٣) خزنة ص ٢٣٩، صفحات ص ٢٢٩، شرح الكافية ص ٩٤.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٥٥.

(٥) أنوار الربيع ج ٢ ص ١٤٩.

(٦) اللسان (خيل).

(٧) أسرار البلاغة ص ٢٥٣.

(٨) التبيان ص ١٧٨.

(٩) الزمر ٦٧.

(١٠) الصافات ٦٥.

(١١) حسن التوسل ص ٢٤٩، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٣١.

(١٢) نهاية الأرب ج ٧ ص ١١٣، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٢.

وسن. ومكان عظام: فؤاد، ضلوع، كبود، بدن. ومكان سقام: قتاد، دموع، وقود، حزن. ومكان دوام: معاد، رجوع، وجود، ثمن.

قال المدني: «فهذه القوافي المثبتة حيال كل بيت يناسب كل منها المعنى ولكن الأول أولى»^(١). وهذا النوع كالسابق الذي ذكره السبكي في الثاني والخمسين من أنواع البديع، ولكنه - كما يبدو - فرَّقَ بينهما بأن الأول ربما خصَّ الروي في البيت الواحد، وربما شمل الثاني الأبيات. ولكن الفكرة واحدة ولذلك عدَّه المصري فنا واحداً. ومزج الحموي بين النوعين واستشهد ببيت الحريري وأبيات ديك الجن بعد أن عرفه بتعريف المصري نفسه^(٢). وحينما تحدث عن التورية قال: «يقال لها الايهام والتوجيه والتخيير»^(٣). ولعل في الكلمة تصحيفاً أي أنها «التحير» لأن في التورية نوعاً من التحير في ارادة المعنى، أو لعله «التخييل».

ولم يخرج السيوطي على ما ذكره السابقون^(٤)، ومثله المدني في ذلك، وردَّ على الحموي الذي استشهد بأبيات من كتاب الله فقال: «وذكر ابن حجة في هذا النوع آية من كتاب الله تعالى وعدّها منه وهو غير صواب، بل هي نوع من التمكين قطعاً، إذ مفهوم التخيير أنه يسوغ أن يؤتى في مكان الفاصلة بفاصلة أخرى لولا ما حظر الشرع من ذلك وليس كذلك، فإن القرآن العظيم نزل على أكمل الوجوه لفظاً ومعنى بحيث لا يمكن أحد أن يغير فيه حرفاً واحداً وإن خفي على بعض الضعفاء وجه الحكمة في بعض الألفاظ والفواصل وتوهم أنه يمكن تغييرها فهو من غباوته وجهله بمواقع الالفاظ. والآية التي عدّها ابن حجة من هذا النوع عدّها غيره من التمكين»^(٥).

وليس الحموي هو الذي ذكر الآية أول مرة وإنما سبقه إلى ذلك المصري كما تقدم.

والتدبيح من مبتدعات المصري، وقد قال في تعريفه: «هو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألواناً يقصد الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من مدح أو وصف أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون أو لبيان فائدة الوصف بها»^(١). كقوله تعالى: ﴿ومن الجبال جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾^(٢)، فإن المراد بذلك الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق.

ومنه قول ابن خيوس الدمشقي:

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ

فَالْقَهْمَ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالٍ

تَلَقَّ بِيضَ الْوَجْهِ سُودَ مِثَارٍ

النَّقْعِ خُضْرَ الْأَكْنَفِ حُمْرَ النِّصَالِ

وقول أبي تمام:

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى

لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُندُسٍ خُضْرُ

وقول البحتري:

تَحَسَّنَتِ الدُّنْيَا بِعَدْلِكَ فَاعْتَدَتْ

وَأَفَاتِهَا بِيضٌ وَأَكْنَفُهَا خُضْرُ

ويأتي للذم كقول بعضهم:

(١) الطراز ج ٣ ص ٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٤٠.

(٣) البرهان ج ٣ ص ٤٤٥.

(٤) حلية اللب ص ١٦٩.

(٥) الكشاف ج ٤ ص ١١١.

(٦) التبيان ص ١٧٨، الطراز ج ٣ ص ٣، البرهان في

علوم القرآن ج ٣ ص ٤٤٠.

(٧) المنزع البديع ص ٢١٨، وما بعدها وينظر

الروض المريع ص ١٠٣.

(٨) اللسان (دبج).

(٩) أنوار الربيع ج ٦ ص ١١٨.

(١٠) تحرير التحبير ص ٥٣٢، بديع القرآن ص ٢٤٢.

(١١) فاطر ٢٧.

التصوير»^(١). وقال الزركشي وهو يتحدث عن الاستعارة: «ومنها جعل الشيء للشيء وليس له من طريق الادعاء والاحاطة به نافعة في آيات الصفات»^(٢). وذكر الآية السابقة ثم قال: «ويسمى التخيل». وقال إن التورية تسمى ايها ما وتخيلاً^(٣) أي أنه ذهب الى ما ذكره الرازي والحلبي والنويري أيضاً. وذكر الدمنهوري مثل ذلك حينما عرّف التخيل بقوله: «ويقال له الايهام، وهو أن يُذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد»^(٤). وهذا تعريف التورية عند البلاغيين.

والتخيل من أهم الفنون البلاغية لأنه يتصل بالابداع والخلق الفني، وقد أولاه عبد القاهر أهمية كبيرة عندما تكلم على التشبيه والتمثيل في كتابه «أسرار البلاغة»، وقال الزمخشري عنه: «ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإن أكثره وعليته تخيلات قد زلت بها الأقدام قديماً»^(٥). وأشار المتأخرون الى هذا الأثر ونقلوا عبارة الزمخشري^(٦). والتخيل عند السجلماسي هو: التشبيه والاستعارة والمماثلة أو التمثيل والمجاز^(٧)، ولكل نوع مادته في هذا المعجم.

التدبيح:

الدبج: النقش والتزيين، ودبج الأرض المطر يدبجها دبجاً: روضها^(٨).

وقال المدني: «التدبيح مشتق من الديباج، وهو ثوب سداه ولحمته ابريسم، وهو معرب «ديبا» بدون الجيم ثم كثر حتى اشتقت العرب منه فقالوا: دبج الغيث الأرض دبجاً - من باب ضرب - ودبجها تدبجاً - بالتضعيف - إذا سقاها فأنبتت أزهاراً مختلفة، لأنه عندهم اسم للمنقش»^(٩).

التداول والتناول:

الدولة: الانتقال من حال الى حال أو من حال الشدة الى الرخاء، وتداولنا الأمر: أخذناه بالدول، وتداولته الايدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة^(٥).

وناولت فلانا شيئاً مناولة إذا عاطيته، وتناولت من يده شيئاً: إذا تعاطيته، وناولته الشيء فتناوله، وتناول الأمر: أخذه^(٦).

وقد عقد ابن منقذ باباً سماه «السابق واللاحق والتداول والتناول» وقال: «هو أن يأخذ البيت فينقص من لفظه أو يزيد في معناه أو يحرره فيكون أولى به من قائله لكن الأول سابق والآخر لاحق»^(٧). كقول علي بن الجهم:

وكم وَفَفَةَ للريحِ دونِ بلادِها
وكم عَقَبَتِ للطيرِ دونِ بلادِ

أخذه المعري فقال:

وَسَأَلْتُ كَمَ بَيْنَ العَقِيقِ الى الحِمَى
فَجَزَعْتُ من بُعْدِ النوى المتطاوِلِ
وَعَدَزْتُ طيفَكَ في الجفَاءِ لأنَّهُ
يَشْرِي فيصبحُ دوننا بمراحِلِ

(١) المصباح ص ٨٩، حسن التوسل ص ٣١٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٨٠، جوهر الكنز ص ٢٢٨، الطراز ج ٣ ص ٧٨، خزنة الادب ص ٤٤١، معترك ج ١ ص ٣٩٥، الاتقان ج ٢ ص ٨٩، أنوار الربيع ج ٦ ص ١١٨، نفحات ص ٩٣، شرح الكافية ص ٢٩٠.

(٢) سر الفصاحة ص ٢٣٩.

(٣) الايضاح ص ٣٣٩، التلخيص ص ٣٥٠.

(٤) شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٩١، المطول ص ٤١٨، الاطول ج ٢ ص ١٨٤، خزنة ص ٦٩، شرح عقود الجمان ص ١٠٧، أنوار الربيع ج ٢ ص ٤٧.

(٥) اللسان (دول).

(٦) اللسان (نول).

(٧) البديع في نقد الشعر ص ٢٢٢.

وَأَحْبَبْتُ من حُبِّها الباخلينَ

حتى وَمَقْتُ ابنِ سَلْمِ سعيدا

إذا سَيْلَ عُزفا كسا وجهه

ثيابا من اللُؤْمِ بيضا وسودا

وَعَرَّفَ التدييجَ بمثل ما عرفه المصري ابن مالك والحلبي والنويري وابن الاثير الحلبي والعلوي والحموي والسيوطي والمدني^(١).

وللتدييج معنى آخر عند البلاغيين، فقد تكلم ابن سنان بعد الطباق على نوع سماه «المخالف» وقال: «فاما المخالف وهو الذي يقرب من التضاد فكقول أبي تمام:

تَرَدَى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فما أتى

لها الليلُ إلا من سُندسٍ خُضِرُ

فان الحمر والخضر من المخالف وبعض الناس يجعل هذا من المطابق^(٢). ومنه قول عمرو بن كلثوم:

بأنا نُورِدُ الراياتِ بيضا

وَنُضدِرُهُنَّ حُمْرًا قد رَوينا

وتحدث القزويني عن مثل هذا في الطباق ولكنه قال بعد بيتي ابن حَيُّوس وأبي تمام: «ومن الناس من سَمَّى نحو ما ذكرناه تدييجًا، وفَسَّرَهُ بأن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية. أما تدييج الكناية فكبيت أبي تمام وبيتي ابن حَيُّوس، وأما تدييج التورية فكلفظ الأصفر في قول الحريري^(٣). وقول الحريري هو: «فمذ ازورَّ المحبوب الأصفر، وأغبرَّ العيش الأخضر، اسودَّ يومي الأبيض، وابيضَّ فؤدي الأسود حتى رثى لي العدو الأزرق فياحبذا الموت الأحمر».

وسار على ذلك سُراح التلخيص والحموي والسيوطي والمدني بعد أن ذكروا المعنى الأول أيضا^(٤).

وكقول الآخر:

له خلائقُ بيضٌ لا يُغيّرُها
صَرَفُ الزمانِ كما لا يَصُدُّ الذَّهَبُ

أخذه الآخر فقال:

صديقٌ لي له نَسَبٌ
صَدَاقَةٌ مِثْلِهِ تَجِبُ
إِذَا نُقِدَتْ خَلَائِقُهُ
تَبْهَرُجُ عِنْدَهُ الذَّهَبُ

التَّدْلِي:

الانسان يُدلي شيئاً في مهواة ويتدلى هو نفسه، ويقال: تدليت فيها وعليها، ولا يكون التَّدْلِي إلا من علو الى استفال، يقال: تدلَّى من الشجرة، وتدلَّى فلان علينا من أرض كذا وكذا أي: أتانا^(١).

وقال السيوطي: «التدلي بأن يُذكَرَ الأعلى ثم الأدنى لنكتة نحو «الرحمن الرحيم» فإنَّ الأول أبلغ، ولو اقتصر عليه لاحتشم أن يطلب منه اليسير فكمل بالألف لذلك. وخرَّج على ذلك: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٢) و﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾^(٣) و﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٤). ونكتة البداءة بالمسيح أن الخطاب مسوق للرد على النصارى ثم استطرده للرد على العرب المدعين في الملائكة ثم تخلص الى حال المعاد^(٥).

التَّذْنِيب:

ذَنَّبَ ذَنْبًا: تبعه، والتذنيب: التعاضل، وذَنَّبَ الضَّبَّ: أخرج ذنبيه من أدنى الجحر ورأسه في داخله^(٦).

والتذنيب الزيادة، وقد قال قدامة هو: «أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر الى الزيادة فيها»^(٧). كقول الكُميت:

لا كعبدِ المليكِ أو كيزيدِ

أو سليمانَ بَعْدُ أو كهشامِ

فالملك والمليك اسمان لله - عز وجل -
والخليفة هو عبد الملك بن مروان، وقد اضطر
الشاعر الى أن يجعله «عبد المليك» للضرورة الشعرية.

التَّذْيِيل:

الذيل: آخر كل شيء، وذيل فلان ثوبه تذيلاً أي
طوله^(٨).

والتذييل: «أن يذيل الناظم أو الناثر كلاماً بعد تمامه
وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام
وتزيده توكيداً وتجري مجرى المثل بزيادة
التحقيق»^(٩). وهو الاطناب بالتذييل وقد تقدم،
ولكن كثيراً من البلاغيين بحثوه مستقلاً^(١٠)، وبحثه
القزويني وشراح التلخيص والسيوطي في

(١) اللسان (دلي).

(٢) البقرة ٢٥٥.

(٣) الاسراء ٢٣.

(٤) النساء ١٧٢.

(٥) شرح عقود الجمان ص ١٣٥.

(٦) اللسان (ذنب).

(٧) نقد الشعر ص ٢٥٠.

(٨) اللسان (ذيل).

(٩) خزانة الأدب ص ١١٠.

(١٠) كتاب الصناعتين ص ٣٧٣، إعجاز القرآن

ص ١٥٥، سر الفصاحة ص ٢٤٣، ٢٥٦، الوافي

ص ٢٨١، قانون البلاغة ص ٤١٦، ٤٤٩، البديع

في نقد الشعر ص ١٢٥، تحرير التحرير

ص ٣٨٧، بديع القرآن ص ١٥٥، المصباح

ص ٩٨، حسن التوسل ص ٢٦٤، نهاية الارب

ج ٧ ص ١٤٠، جوهر الكنز ص ٢٤٤، الطراز

ج ٣ ص ١١١، الفوائد ص ١٢١، البرهان ج ٣

ص ٦٨، خزانة ص ١٠٩ - ١١١، معترك ج ١

ص ٣٦٨، الاتقان ج ٢ ص ٧٤، انوار الربيع ج ٣

ص ٣٩، ٤٢، ٤٣، نفحات ص ٣٢٣، كفاية

ص ١٧٩.

وحرفا الترجي «لعل» و«عسى» وقد تردان مجازًا لتوقع محذور ويُسمَّى الاشفاق، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(٨).

التَّرْجِيعُ:

رَجَعُ يَرْجِعُ: انصرف، ورَجَعَ الرجلُ وترَجَّع: ردد صوته في قراءة أو أذان أو غناء أو زمر أو غير ذلك مما يترنم به. والترجيع في الأذان: أن يكرر قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسولُ الله». وترجيع الصوت: ترديده في الحلق، والترجيع: ترديد القراءة^(٩).

ذكر العلوي فناء سماه «الترجيع في المحاورة» وقال: «الترجيع تفصيل من قولك: رجعت الشيء، إذا رددته، ويسمى الترجيع رجيعا وهو ما يخرج من بطن ابن آدم لأنه يتردد فيه ويقال للسماة ذات الرَجْع^(١٠) لأنَّ المطر يتردد في نزوله منها. وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن أن يحكي المتكلم

(١) الايضاح ص ٢٠٠، التلخيص ص ٢٢٧، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٢٥، المطول ص ٢٩٤، الاطول ج ٢ ص ٤٥، شرح عقود الجمان ص ٧٤ وينظر الروض المربع ص ١٥١، التبيان في البيان ص ٣٠٧، شرح الكافية ص ٧٧.

(٢) اللسان (رتب).

(٣) خزانة الأدب ص ٣٦٧، الاتقان ج ٢ ص ٩٠، أنوار الربيع ج ٥ ص ٣١٧، نفحات ص ١٤٥، شرح الكافية ص ٢١٠.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٣٤.

(٥) غافر ٦٧.

(٦) اللسان (رجا).

(٧) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢٣، معترك ج ١ ص ٤٤٦، الاتقان ج ٢ ص ٨٢. الروض المربع ص ٧٧.

(٨) الشورى ١٧.

(٩) اللسان (رجع).

(١٠) الآية ١١ من سورة الطارق: «والسماة ذات الرجع».

الاطناب^(١).

التَّرْتِيبُ:

رَتَّبَ الشيءَ يَرْتَبُه: ثبت فلم يتحرك، ورتبته ترتيبا: أثبته^(٢).

والترتيب من استخراج شرف الدين التيفاشي وهو الذي سماه بهذا الاسم وقال عنه: «هو أن يجنح الشاعر الى أوصاف شتى في موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفا زائدا عما يوجبه علمه في الذهن أو في العيان»^(٣).

وقال السيوطي: «هو الترتيب والمتابعة»^(٤). ومنه قول زهير:

يُؤَخِّرُ فيوضع في كتاب فيدخِرُ

ليومِ الحسابِ أو يُعَجِّلُ فينقم

وقول مسلم بن الوليد:

هيفاء في فزعها ليلٌ على قَمَرٍ

على قَضِيبٍ على حِقْفِ النقالِ الدهسِ

فان الأوصاف الأربعة على ترتيب الانسان من الأعلى الى الأسفل.

ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شِيُوخًا﴾^(٥).

التَّرْجِيُّ:

الرجاء من الأمل نقيض اليأس، رجاء يرجوه رجوًا، ورجيه وارتجاه وترجاه بمعنى^(٦).

والترجي من أساليب الانشاء، وقد فرقوا بينه وبين التمني بأنه في الممكن والتمني فيه وفي المستحيل، وبأنَّ الترجي في القريب والتمني في البعيد، وبأنَّ الترجي في المتوقع والتمني في غيره، وبأنَّ التمني في المعشوق للنفس والترجي لغيره^(٧).

مراجعة في القول ومحاورة جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأخصر لفظ فينزل في البلاغة أحسن المنازل وأعجب المواقع.

ومن جيد ما يورد من أمثلتها ما قاله بعض الشعراء^(١).

قَالَتْ أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا

إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَائِرٌ

أَمَا رَأَيْتَ الْبَابَ مِنْ دُونِنَا

قُلْتُ بِأَنِّي وَابْتُ ظَافِرٌ

قَالَتْ فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادِيَةً

قُلْتُ فَسِيفِي مُرْهَفٌ بِاتِرٌ

قَالَتْ أَلَيْسَ الْبَحْرُ مِنْ دُونِنَا

قُلْتُ فَأَنِّي سَابِخٌ مَاهِرٌ

قَالَتْ أَلَيْسَ اللَّهُ مِنْ فَوْقِنَا

قُلْتُ بَلَى وَهُوَ لَنَا غَافِرٌ

قَالَتْ فَمَا كُنْتَ أَغْيَيْتَنَا

فَأَتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ

وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَشْقُوطِ النَّدَى

لَيْلَةَ لَانَاهِ وَلَا أَمْرُ

وَأَلْطَفَ مِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ فِي شِعْرِهِ:

قَالَ لِي يَوْمًا سُلَيْمًا

نُ وَبَعْضُ الْقَوْلِ أَشْنَعُ

قَالَ صِفْنِي وَعَلِيًّا

أَيْنَا أَتَقِي وَأُورَعُ

قُلْتُ إِنِّي إِنْ أَقْلُ مَا

فِيكَمَا بِالْحَقِّ تَجَزَعُ

قَالَ كَلَّا قُلْتُ مَهْلًا

قَالَ قُلْ لِي قُلْتُ فَاسْمَعُ

قَالَ صِفْنِي قُلْتُ يُعْطِي

قَالَ صِفْنِي قُلْتُ تَمْنَعُ

وَمِنْ جَيِّدِهِ مَا قَالَهُ الْبَحْتَرِيُّ:

بِتُّ أَسْقِيهِ صَفْوَةَ الرَّاحِ حَتَّى
وَضَعَ الْكَأْسَ مَائِلًا يَتَكَفَّأُ

قُلْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ تَفْدِيكَ نَفْسِي

قَالَ لَبِيكَ قُلْتُ لَبِيكَ أَلْفَا

هَاكُهَا قَالَ هَاتِيهَا قُلْتُ خُذْهَا

قَالَ لَا أَسْتَطِيعُهَا ثُمَّ أَغْفَى

فهذا وما شاكلة من جيد ما يؤثر في المحاورة

وترجيع الخطاب على وجهه الملاطفة والاستعطاف^(٢).

وذكر السيوطي في بحث التكرير نوعًا خاصًا

منه سماه الترجيع وقال: «قال الطيبي هو أن يكون

المعنى مهتمًا بشأنه فاذا شرع في نوع من الكلام

نظر إلى ما يتخلص إليه فاذا تمكن من إيراد كثر

إليه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ

أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣). قال الرمخشري^(٤)

في تجديد النزول له شأن في تقرير ما نزل له

وتأكيد واردة أن يكون على بال من المخاطب

ولا ينساه ولا يسهو عنه لفوته فأشبه الشيء الذي

أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه

ويتخلص إليه^(٥).

وسماه الآخرون «المراجعة» وذكر المصري أنه من

مبتدعاته قال: «هو أن يخكي المتكلم مراجعة في

القول ومحاورة في الحديث جرت بينه وبين غيره أو

بين اثنين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظ

إما في بيت واحد أو في أبيات أو جملة واحدة^(٦)

كقول عمر بن أبي ربيعة:

(١) الأبيات لوضاح اليمن.

(٢) الطراز ج ٣ ص ١٥١ وما بعدها.

(٣) التوبة ٨٥.

(٤) عبارة الرمخشري في الكشاف ج ٢ ص ٢٣٥.

(٥) شرح عقود الجمان ص ٧٣.

(٦) تحرير التحبير ص ٥٩٠، بديع القرآن ص ٣٠٠.

التحاور بين المتكلم وغيره في البيت الواحد بألفاظ وجيزة»^(٧).

وذكر المدني للترجيع والمراجعة أمثله كثيرة تدل على شيوع مثل هذا الأسلوب بين الشعراء^(٨).

التَّرْدِيدُ:

الردّ، مصدر: «رددت الشيء» وهو صرف الشيء ورجعه، وردّه عن وجهه يردّه ردًّا صرفه، وردد القول بمعنى رده والتثقيب للكثرة^(٩). والترديد هو إعادة الشيء.

قال الحاتمي: «الترديد هو تعليق الشاعر لفظة في البيت متعلقة بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر في البيت نفسه»^(١٠).

وَعَدَّهُ ابن رشيق من المجانسة^(١١)، وعقد له بابا وعرفه بقوله: «وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسيم منه». وهذا كلام الحاتمي، وذلك كقول زهير:

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِيَالَتِهِ هَرِمًا
يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
فعلق «يَلْقَى» بـ«هرم» ثم علقها بالسماحة. وقوله:

- (١) البقرة ١٢٤.
- (٢) نهاية الأيجاز ص ١١٤.
- (٣) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٥٠.
- (٤) المصباح ص ١٢١.
- (٥) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧١.
- (٦) خزانة الأدب ص ٩٩.
- (٧) شرح عقود الجمان ص ١٣٤، معترك ج ١ ص ٤١٨، الاتقان ج ٢ ص ٩٦.
- (٨) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٥٠ وما بعدها.
- (٩) اللسان (ردد).
- (١٠) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٤ وينظر المنصف ص ٦١، الروض المريع ص ١٦٢.
- (١١) العمدة ج ١ ص ٣٢٣.

بَيْنَمَا يَنْعَتَنِي أَبْصَرْتَنِي
مِثْلَ قَيْدِ الرُّمْحِ يَعْذُو بِي الْأَغْرُ

قَالَتِ الْكُبْرَى تَرَى مَنْ ذَا الْفَتَى
قَالَتِ الْوَسْطَى لَهَا: هَذَا عُمَرُ

قَالَتِ الصُّغْرَى وَقَدْ تَيَّمْتَهَا
قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ؟

وذكر أبيات أبي نواس والبحري، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وكان الرازي قد تحدث عن السؤال والجواب^(٢) ومثّل له بقول الباخري:

قَدْ قُلْتُ هَجَرْتَنِي فَمَا الْعِلَّةُ؟
صَدَّتْ وَتَمَايَلَتْ قَالَتْ قَلَّهْ

وأشار الى ذلك المدني بقوله: «وسماها جماعة منهم الامام فخر الدين الرازي: السؤال والجواب... قال الشيخ صفى الدين الحلبي في شرح بديعته: وذكر ابن الاصبغ أن هذا النوع من مخترعاته، وقد وجدناه في كتب غيره بالاسم الثاني»^(٣) أي: السؤال والجواب ونقل ابن مالك تعريف المصري وأمثله^(٤)، وقال السبكي: «هي حكاية محاورة بين المتكلم وغيره وهو أعم من الالغاء»^(٥) ومثّل له بأبيات وضاح اليمن التي ذكرها العلوي: «قالت الا لاتلجن درانا...».

وقال الحموي: «المراجعة ليس تحتها كبير أمر ولو فوّض اليّ حكم في البديع ما نظمتها في أسلاك أنواعه. وذكر ابن أبي الاصبغ أنها من اختراعاته وعجبت من مثله كيف قربها الى الذي استنبطه من الأنواع البديعية الغربية كالتهمك والافتنان والتديج والهجاء في معرض المدح والاشترك والالغاز والنزاهة. ومنهم من سمّى هذا النوع أعني المراجعة السؤال والجواب»^(٦).

ونقل السيوطي تعريف المصري وقال: «المراجعة ذكرها ابن مالك وعبد الباقي وغيرهما وهي حكاية

ومن هاب أسباب السماء ينلنه
ولو رام أسباب السماء يسلم
فرددت «أسباب». ومنق قول أبي حية الثميري:

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا
لبسن البلى ممن لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يومًا وليلة
تقاضاه شيء لا يملُّ التقاضيا

والترديد في قوله: «لبسن البلى ممن لبسن اللياليا»
و«إذا ما تقاضى المرء يومًا وليلة» ثم قال: «تقاضاه شيء
لا يملُّ التقاضيا».

ومنه قول أبي نواس:

صفراء لا تنزل الأحران ساحتها

لو مسها حجرٌ مسته سراء

ثم قال ابن رشيق: «وسمع أبو الطيب باستحسان
هذا النوع فجعله نصب عينه حتى مقته وزهد فيه، ولو
لم يكن إلا بقوله:

فقلقلُ بالهمم الذي قلقل الحشا

قلاقل عيش كلهن قلاقل

فهذه الألفاظ كما قال كلهن قلاقل»^(١).

وعرفه التبريزي والبغدادي بما يقرب من تعريف
ابن رشيق وذكر بعض أمثله ثم قال: «وقد يسمى
التعطف أيضًا»^(٢). ولكن المصري فرّق بينهما
بقوله: «وقد يلتبس الترديد الذي ليس تعددًا من هذا
الباب بباب التعطف، والفرق بينهما أن هذا النوع من
الترديد يكون في أحد قسمي البيت تارة وفيهما معًا
مرة، ولا تكون إحدى الكلمتين في قسم والآخرى في
آخر. والمراد بقربهما أن يتحقق الترديد. والتعطف وإن
كان ترديد الكلمة بعينها فهو لا يكون إلا متباعدًا
بحيث تكون كل كلمة في قسم. والترديد يتكرر
والتعطف لا يتكرر، والترديد يكون بالأسماء المفردة
والجمل المؤتلفة والحروف، والتعطف لا يكون إلا
بالجمل غالبًا»^(٣).

وسماه ابن منقذ «التصدير»^(٤) وهو رد الأعجاز
على الصدور والفرق بينهما أن التصدير مخصوص
بالقوافي تُردُّ على الصدور والترديد يقع في أضعاف
البيت^(٥).

وقال ابن شيث القرشي: «وهو أن ترد آخر الكلام
على أوله»^(٦)، وهذا هو التصدير، أورد الأعجاز على
الصدور.

وقال ابن الاثير: «وربما جهل بعض الناس فادخل
في التجنيس ما ليس منه نظرًا الى مساواة اللفظ دون
اختلاف المعنى. فمن ذلك قول أبي تمام:

أظنُّ الدَّمْعَ في خَدِّي سيبقى

رسوما من بكائي في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء إذ حدَّ التجنيس هو
إتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهذا البيت المشار
اليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معًا، وهذا مما ينبغي
أن ينبه عليه ليعرف. ومن علماء البيان من جعل له
اسمًا سمّاه به وهو الترديد أي أن اللفظة الواحدة
رددت فيه»^(٧).

وقال ابن الزمكاني: «هو أن تعلق لفظة بمعنى ثم
تردها بعينها وتعلقها بمعنى آخر»^(٨). وذكر المصري
مثل ذلك فقال: «هو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام
بمعنى ثم يردّها بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله -
سبحانه وتعالى-: ﴿حَتَّى نُؤْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ،
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾»^(٩). فالجلالة الأولى

(١) العمدة ج ١ ص ٣٣٣.

(٢) الوافي ص ٢٨٧، قانون البلاغة ص ٤٥٣.

(٣) تحرير التحبير ص ٢٥٤.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٥١.

(٥) العمدة ج ٢ ص ٣.

(٦) معالم الكتابة ص ٨٤.

(٧) المثل السائر ج ١ ص ٢٥٢، كفاية الطالب

ص ١٣٩.

(٨) التبيان ص ١٨٦.

(٩) الانعام ١٢٤.

وردد كلمة من الجملة الثالثة في الجملة الرابعة ثنتان في كل قسم، وكل جملتين متفتقتان في الصورة غير أنهما مختلفتان إذا نظرت الى كل قسم وجملته وإن اشتركا في المعنى فإن صورة الطعن غير صورة الضرب، ومعنى الجميع واحد وهو الحماسة في الحرب.

وذكر المظفر العلوي وابن مالك والنويري والحلي وابن الاثير الحلبي والعلوي والسبكي والزر كشي والسيوطي والمدني كلام السابقين^(٥). وقال الحموي: «إن التردد والتكرار ليس تحتها كبير أمر ولا بينهما وبين أنواع البديع قرب ولا نسبة لانحطاط قدرهما عن ذلك ولولا المعارضة ما تعرضت لهما في بديعيتي. ولكن ذكر زكي الدين بن أبي الاصبع بينهما فرقاً فيه بعض إشراق وهو أن اللفظة التي تكرر في البيت ولا تفيد معنى زائداً بل الثانية عين الاولى هي التكرار، واللفظة التي يرددها الناظم في بيته تفيد معنى غير معنى الأولى هي التردد. وعلى هذا التقدير صار للترديد بعض مزية يتميز بها على الكرار ويتحلى بشعارها وعلى هذا الطريق نظم أصحاب البديعيات هذا النوع أعني التردد»^(٦).

وذكروا نوعاً من الطباق سمّوه «طباق التردد» وهو

(١) تحرير التحبير ص ٢٥٣، بديع القرآن ص ٩٦.

(٢) تحرير ص ٢٥٣.

(٣) المائدة ٥١.

(٤) تحرير ص ٢٥٥.

(٥) نضرة الاغريض ص ١٢٣، المصباح ص ٧٦،

حسن التوسل ص ٢٦٤، نهاية الارب ج ٧

ص ١٤١، جوهر الكنز ص ٢٦٠، الطراز ج ٣

ص ٨٢، عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠، البرهان

ج ٣ ص ٣٠١، معترك ج ١ ص ٣٩٧ شرح عقود

الجمان ص ٧٣، أنوار الربيع ج ٣ ص ٣٥٩،

نفحات الأزهار ص ١٤١، شرح الكافية

ص ١٤٨.

(٦) خزانة الأدب ص ١٦٤، وينظر كلام المصري

في تحرير التحبير ص ٢٥٤.

مضاف اليها، والثانية مبتدأ بها^(١). وذكر أن من التردد نوعاً يسمى التردد المتعدد «وهو أن يتردد حرف من حروف المعاني إما مرة أو مراراً وهو الذي يتغير فيه مفهوم المسمى لتغير الاسم إما لتغير الاتصال أو تغاير ما يتعلق بالاسم»^(٢) ومثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٣) فان اتصال «من» بضمير المخاطبين الغائبين في الموضوعين مع ما تضمنت «مَنْ» من معنى الشرط أصارت المؤمنين كافرين عند وقوع الشرط، وقد يتردد حرف الجر في الجملة من الكلام والبيت من الشعر مراراً عدة في جمل متغايرة، ومثاله قول الشاعر:

يُرِيكَ فِي الرَّوْعِ بَدْرًا لَاحٍ فِي غَسَقِي

فَلَيْتَ عَرِيْسَةَ فِي صُوْرَةِ الرَّجُلِ

وربما كان المتردد غير حرف الجر كحرف النداء

أو غيره ومثاله قول المتنبي:

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةً يَا

لَيْتَ الشَّرِي يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ

ومثال المتردد من الجمل غير المتعددة قول أبي

نواس:

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا

لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

فقوله: «مسّتها» و«مسّته» تردد حسن.

ومن التردد نوع آخر ذكره المصري وهو «ترديد

الحبك» ويسمى بيته المحبوك وهو «أن تبني البيت من

جمل ترد فيه كلمة من الجملة الأولى في الجملة الثانية

وكلمة من الثالثة في الرابعة بحيث تكون كل جملتين

في قسم، والجملتان الأخيرتان غير الجملتين الأولىين

في الصورة، والجمل كلها سواء في المعنى»^(٤).

كقول زهير:

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا

ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

قد ردد كلمة من الجملة الأولى في الجملة الثانية،

قال مكانها «يا مُنيتي» لم يكن في البيت طباق.
الثالث: أن لفظة الترشيح في كلام المورى
غير لفظة التورية، فإن التورية في قول علي -
عليه السلام - : «وهذا كان أبوه ينسج الشمال
باليمين» في لفظة «الشمال» والترشيح في لفظة
«اليمين».

وذكر الحموي والسيوطي والمدني ما ذكره
المصري^(٥) لأنه من أوائل الذين حددوا هذا الفن،
ولذلك استندوا الى ما ذكره.

ومثال الترشيح للتورية قول التهامي:

وإذا رجوت المستحيلَ فإنما

تَبني الرجاءَ على شفيرِ هارٍ

فذكر «الشفير» يرشح «الرجاء» للتورية بـرجاء البئر وهو
ناحيتها ولولا ذكره ما كان فيه تورية ولكان من رجوت
بمعنى ضد اليأس فقط لقوله أولاً: «وإذا رجوت
المستحيل». ومثال الترشيح للطباق بيت المتنبي:
«وخفوق قلب...».

ومثال الترشيح للاستخدام قول أبي العلاء في صفة
الدرع:

تلك ماذيةٌ وما لذبابِ الـ

صَيِّفِ والسيفِ عندها من نصيبِ

فان ذكر «السيف» رشح «الذباب» لاستخدامه بمعنى
طرف السيف، ولولاه لانحصر في معنى الطائر
المعروف.

ومثال الترشيح للاستعارة قوله تعالى: ﴿أولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت

(١) خزانة ص ٧١.

(٢) اللسان (رشح).

(٣) تحرير ص ٢٧١، بديع القرآن ص ١٠٣.

(٤) يوسف ٤٢.

(٥) خزانة الأدب ص ٣٧٢، شرح عقود الجمان

ص ١١٦، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٧٢.

«أن ترد آخر الكلام المطابق على أوله»^(١). ثم قال
الحموي: «فان لم يكن الكلام مطابقاً فهو من ردِّ
الأعجاز على الصدور ومنه قول الأعشى:

لا يرقعُ الناسُ ما أوهوا وإنَّ جهدوا

طُولَ الحياةِ ولا يُوهونَ ما رَقَعوا

التَّرْشِيحُ:

الرشح: ندى العرق على الجسد، والترشيح التورية
والتهيئة للشيء، ورُشِحَ للأمر: رُتِيَ له وأهمل، ورشَّح
الغيث النبات: رباه، ورشَّحت الأرض البُهمى: ربَّتها
وبلغت بها^(٢).

قال المصري: «هو أن يُؤتى بكلمة لا تصلح
لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة تؤهلها
لذلك»^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿اذكُرْني عند ربِّك
فأنساه الشيطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾^(٤) فإن لفظة ﴿ربك﴾
رشحت لفظة ﴿ربه﴾ لأن تكون تورية إذ يحتمل أن
يراد بها الإله تعالى، وأن يراد بها الملك. ولو وقع
الاقتصار على قوله: ﴿فأنساه الشيطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾
دون قوله: ﴿اذكُرْني عند ربك﴾ لم تدل لفظة
﴿ربه﴾ إلا على الإله فحسب لكن لما تقدمت لفظة
﴿ربك﴾ وهي لا تحتمل إلا الملك صلحت لفظة
﴿ربه﴾ للمعنيين.

والترشيح يكون للتورية وللاستعارة وللمطابقة
وغيرها، وقد فرَّق المصري بين الترشيح والاستعارة
والتورية من ثلاثة أوجه:

الأول: أن من التورية ما لا يحتاج الى ترشيح، وهي
التورية المحضة.

الثاني: أن الترشيح لا يخص التورية دون بقية
الأبواب بل يعم الاستعارة والطباق وغيرهما، ففي
قول المتنبي:

وُخْفوقُ قَلْبِ لو رأيتَ لهيبه

يا جَنَّتِي لظنَّنتِ فيه جهنَّما

رشحت لفظة «يا جنتي» لفظة «جهنم» للمطابقة، ولو

مسجوعاً»^(٧)، وذكر الباقلاني نوعاً منه سماه «الترصيع مع التجنيس»^(٨) كقول ابن المعتز:

أَلَمْ تَجْزَعْ عَلَى الرَّبْعِ الْمُحِيلِ
وَأَطْلَالِ وَأَثَارِ مُحْوَلِ

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾^(٩).

وقال الباقلاني: «ومما يقارب الترصيع ضَرْبٌ يُسَمَّى الْمَضَارِعَةَ»^(١٠)، كقول الخنساء:

حَامِي الْحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ مَهْ
سَدِي الطَّرِيقَةِ، نَفَّاعٌ وَضَرَّازٌ

جَوَّابٌ قَاصِيَةٌ جَزَّازٌ نَاصِيَةٌ
عَقَّادٌ أَلْوِيَةٌ لِلْخَيْلِ جَزَّازٌ

وقال ابن رشيق: «وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيهاً بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة»^(١١). ثم قال: «وللقدماء من هذا النوع إلا أنهم لا يُكثرون منه كراهة التكلف».

وقال ابن سنان: «وهو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنشور مسجوعة وكان ذلك شبهً بترصيع الجواهر

(١) البقرة ١٦.

(٢) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٦٣ وينظر الروض المربع ص ١٢٩، نفحات ص ١٠٦، شرح الكافية ص ١٦٤.

(٣) اللسان (رصع).

(٤) معالم الكتابة ص ٧١.

(٥) نقد الشعر ص ٣٨، وينظر المنزح البديع ص ٥٠٩.

(٦) جواهر الالفاظ ص ٣.

(٧) كتاب الصناعتين ص ٣٧٥.

(٨) اعجاز القرآن ص ١٤٥.

(٩) الاعراف ٢٠١ - ٢٠٢.

(١٠) اعجاز القرآن ص ١٤٦.

(١١) العمدة ج ٢ ص ٢٦.

تَجَارَتْهُمْ»^(١)، فإنه استعار الاشتراء للاستبدال والاختيار ثم رشحه بما يلائم الاشتراء من الربح والتجارة فذكر الربح والتجارة يرشح حقوق المبالغة في التشبيه.

فالترشيح لا يخص فناً بعينه ولذلك قال المدني: «إِنَّ التَّرْشِيحَ لَا يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ مِنَ الْبَدِيعِ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّوْرِيَةِ فَلَا مَعْنَى لَجَعْلِهِ نَوْعًا بِرَأْسِهِ، فَقَدْ تَوَهَّم»^(٢).

التَّرْصِيعُ:

رصع الشيء: عقده عقداً مثلثاً متداخلاً، وإذا أخذت سيراً فعددت فيه عقداً مثلثة فذلك الترصيع. والترصيع: التركيب، يقال: تاج مرصع بالجواهر وسيف مرصع أي مُحلَّى بالرصاص وهي حلق يُحَلَّى بها الواحدة رصيعة. وَرَضَّعَ الْعَقْدَ بِالْجَوْهَرِ: نَظَّمَهُ فِيهِ وَضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ^(٣).

فالترصيع مأخوذ من ترصيع العقد وذاك أن يكون في أحد جانبي العقد من الآليء مثل ما في الجانب الآخر، ولكن ابن شيث القرشي قال: «الترصيع وهو مأخوذ من رصيعة اللجام وهي العقدة التي تكون على صدغ الفرس من الجانبين ولا يجوز أن تكون إحدى العقدتين معقودة والأخرى محلولة ولا أن تكون إحداهما حالية والأخرى عاطلة»^(٤).

والترصيع من نعوت الوزن عند قدامة وقد عرّفه بقوله: «هو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف»^(٥). وبقوله أيضاً: «فالترصيع أن تكون الالفاظ متساوية البناء متفقة الانتهاء سليمة من عيب الاشتباه وشين التعسف والاستكراه يتوخى في كل جزئين منها متواليين أن يكون لهما جزءان متقابلان يوافقانها في الوزن ويتفقان في مقاطع السجع من غير استكراه ولا تعسف»^(٦).

وقال العسكري: «هو أن يكون حشو البيت

دون الأول، وأكثر ما يقع الجزءان المسجع والمهمل في الترصيع مدمجين إلا أن أشجاع التسجيع على قافية البيت. والفرق بينه وبين التسميط المسمى تسميط التبعض، أن المسجع من قسمي التسميط معا هي أجزاء عروضية والمسجع من الترصيع أجزاء غير عروضية لوقوع السجع في بعض الأجزاء»^(١).

وذكر أبيات أبي صخر التي ذكرها قدامة^(٢) وهي:

وتلك هيكله خَوْذُ مُبْتَلَّةٍ
صفراء رَعْبَلَةٌ فِي مَنْصِبِ سَنِمِ
عَذْبٌ مُقْبَلُهَا خَدْلٌ مُخَلْخَلُهَا
كالدِّغْصِ أَسْفَلُهَا مَخْضُوبَةُ الْقَدَمِ
سُوْدٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا
مَخْضٌ ضَرَائِبُهَا صِيغَتْ عَلَى الْكَرَمِ

- (١) سر الفصاحة ص ٢٢٣.
(٢) الوافي ص ٢٧٦، قانون البلاغة ص ٤٤٦، البديع في نقد الشعر ص ١١٦، التبيان ص ١٦٩، المصباح ص ٧٨، جوهر الكنز ص ٢٥٤، خزانة ص ٤٢٢، معترك ج ١ ص ٤١٥، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٦٢، نفحات ص ١٦٨.
(٣) نهاية الأيجاز ص ٣٥، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٩.
(٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٣، الفوائد ص ٢٢٩، حسن التوسل ص ٢٠٧، نهاية الارب ج ٧ ص ١٠٤.
(٥) المثل ج ١ ص ٢٦٤، الجامع ص ٢٦٣.
(٦) البقرة ٢٦٧.
(٧) الغاشية ٢٥ - ٢٦.
(٨) الصفات ١١٧ - ١١٨.
(٩) الانفطار ١٣ - ١٤.
(١٠) المثل ج ١ ص ٢٦٤، وينظر الطراز ج ٢ ص ٣٧٣، الروض المربع ص ١٦٨، التبيان في البيان ص ٤١٩، شرح الكافية ص ١٩٠.
(١١) تحرير التحبير ص ٣٠٢.
(١٢) نقد الشعر ص ٤٧.

في الحلبي»^(١).

ولا يخرج كلام التبريزي والبغدادي وابن منقذ وابن الزملكاني وابن مالك وابن الأثير الحلبي والحموي والسيوطي والمدني عن ذلك^(٢).

وقال الرازي: «هو أن تكون الالفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز»^(٣) ونقل السكاكي وابن قيم الجوزية والحلي والنويري هذا التعريف^(٤).

وقال ابن الأثير: «هو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية»^(٥). ونفى أن يكون هذا الفن في كتاب الله العزيز لما فيه من زيادة في التكلف، وقال إنه قليل في الشعر، وإذا جيء به فيه لم يكن عليه محض الطلاوة التي تكون إذا جيء به في الكلام المنثور. ومن ذلك قول بعضهم:

فمكارم أوليتها مُتَبَرِّعًا
وجرائمُ أَلْغِيَتِهَا مُتَوَرِّعًا

ف«مكارم» بازاء «جرائم» و«أوليتها» بازاء «ألغيتها» و«متبرعا» بازاء «متورعا».

ولكن السابقين كابن منقذ والرازي والسكاكي ذكروا له أمثلة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾^(٦)، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(٧)، وقوله: ﴿وَأْتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٨)، وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(٩). وعلق ابن الأثير على الآية الأخيرة بقوله «فأما قول من ذهب الى أن في كتاب الله منه شيئاً ومثله بقوله: إِنَّ الْأَبْرَارَ...» فليس الأمر كما وقع له فان لفظة «لفي» قد وردت في الفقرتين معاً، وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه لكنه قريب منه»^(١٠).

وقال المصري: «الترصيع كالتسجيع في كونه يجزئ البيت إما ثلاثة أجزاء إن كان سداسياً، أو أربعة إن كان ثمانياً وسجع على ثاني العروضين

ومنه قول النبي - صلوات الله عليه - «إياكم
والمشازة فانها تميت الغرة وتحيي العزة»^(٧) ومنه
قول الشاعر:

عُرِّزَ لَكُنْهُمْ عُرِّزٌ
إِنْ مَزَجْتَ الْخُبْرَ بِالْخَبْرِ

وأما ترصيع اللغو^(٨) فهو كل كلمتين جاءتا في النثر
على صورة واحدة في الخط لا يفرق بينهما إلا
بالشكل والنقط إلا أنه لا يصلح أن تكون إحداهما
قبالة الأخرى قافية لاختلاف حرف الروي وهو مثل:
«أعجبنى من نبل فلان شائعه ومن نيله سائغه» و«أنا فيما
فعلته نابغ لا تابع وعائد لا عائد وحابس لا خائس»^(٩).

وهذا تقسيم جديد للترصيع وهو من صنوف
الجناس، وقد عدها ابن رشيق من جناس
التصحيف^(١٠).

وقد يكون الترصيع مع التجنيس، قال الوطواط:

(١) الخود: الحسنة الخلق الشابة. المبتلة: الحسناء
أيضا. رعبلة: ذات خلقان، والرعبلة: الرعاء
الخرقاء وهو المقصود. المخلخل: موضع
الخلخال. الدعص: الرمل. مخضوبة: مصبوغة
بالخضاب. الترائب: الصدور. محض ضرائبها:
خالصة الاخلاق. درم مرافقها: مستوية مرافقها.
الشبم: البارد. رذم الاناء: امتلأ وسال ما فيه.
شبيت: خلطت. الموهبة: غدیر ماء صغير.
مهيبة: يهاب فيها. الشمم: البعد.

(٢) الهصر: الذي يكسر فريسته. العارض الهطل:
السحاب...

(٣) نضرة الاغريض ص ١١٨.

(٤) الايضاح ص ٣٩٥، التلخيص ص ٤٠٠.

(٥) حسن التوسل ص ٢٠٧، نهاية الارب ج ٧
ص ١٠٤.

(٦) الكهف ١٠٤.

(٧) غرة كل شيء ما يرفع قيمته. العرة: العيب.

(٨) من لغاعن الطريق وعن الصواب: مال عنه.

(٩) معالم الكتابة ص ٧١.

(١٠) العمدة ج ١ ص ٢٩٥.

سَمَّحْ خَلَائِقَهَا دُرْمٌ مَرِافِقَهَا
يَزْوَى مُعَانِقَهَا مِنْ بَارِدِ شَبِيمٍ
كَأَنَّ مُعْتَقَةً فِي الدَّنِ مَغْلَقَةً
صَفْرًا مُصَفَّقَةً مِنْ رَابِيٍّ رَذِمٍ
شَبِيتَ بِمَوْهَبَةٍ مِنْ رَأْسِ مَرْقَبَةٍ
جَرْدَاءَ مَهْيَبَةٍ فِي حَالِقِ شَبِيمٍ^(١)

وسمى هذا النوع «الترصيع المدمج» لأن كل جزء
مسجع من أجزائه مدمج في الجزء الذي قبله فرقا بينه
وبين ما ليس كذلك من الترصيع. فإن من الترصيع ما
أجزؤه المسجعة غير مدمجة فيما قبلهما، ومثاله قول
مسلم بن الوليد:

كَأَنَّهُ قَمَرٌ أَوْ ضَيْعَمٌ هَصِرٌ
أَوْ حَيْئَةٌ ذَكَرٌ أَوْ عَارِضٌ هَطِلٌ^(٢)
وَسَمَّاهُ الْمَظْفَرُ الْعُلُوِي تَرْصِيعًا وَتَفْوِيفًا^(٣).

وأدخل القزويني هذا اللون في السجع وقال:
«وقيل السجع غير مختص بالنثر ومثاله من الشعر
قول أبي تمام:

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي

وفاض به ثمدي وأورى به زندي

وأدخل في السجع التشطير أيضا وهو أن يجعل
كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها كقول أبي
تمام:

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ

لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٍ^(٤)

وقسم الحلبي والنويري الأسجاع الى أربعة أنواع:
الترصيع والمتوازي والمطرف والمتوازن^(٥)، وبذلك
يتفقان مع القزويني في هذا التحديد، كما يتفق
المتأخرون معهم حينما عدوا بيت أبي تمام الأول
من السجع المطرف، والبيت الثاني من سجع
التشطير. وقسمه ابن شيث القرشي الى ترصيع حذو
وترصيع لغو وقال: «فترصيع الحذو وأفصحها قوله
تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٦).

النصارى»^(١٠). أي: ولا من هو أقرب مودّة فكيف بالأبعد؟

التَّزَاج:

الزوج: خلاف الفرد، والزوج، الفرد الذي له قرين. وتزواج القوم وازدوجوا: تزوج بعضهم بعضاً. والمزاوجة والازدواج بمعنى، وازدوج الكلام وتزواج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن أو كان لإحدى القضيتين تعلّق بالأخرى^(١١).

والتزواج هو أن يزواج بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحري:

إذا ما نهى الناهي فَلَجَّ بِي الهوى
أصاحت إلى الواشي فَلَجَّ بها الهجرُ

وقوله:

إذا احتَرَبْتُ يوماً ففاضت دماؤها
تَذَكَّرْتُ القُربى ففاضت دموعها^(١٢)

وسُمِّيَ التزواج مزاوجة، فالرمانى قسَمَ التجانس إلى مناسبة ومزاوجة وقال إنَّ المزاوجة تقع في الجزاء^(١٣) كقوله تعالى: ﴿فَمِنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

- (١) حدائق السحر ص ٩٢.
- (٢) اعجاز القرآن ص ١٤٥.
- (٣) اللسان (رقا).
- (٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣.
- (٥) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٩٦.
- (٦) البقرة ٢٥٥.
- (٧) الكهف ٤٩.
- (٨) شرح عقود الجمان ص ١٣٥، التبيان في البيان ص ٣١٥.
- (٩) الحشر ٢٤.
- (١٠) البقرة ١٢٠.
- (١١) اللسان (زوج).
- (١٢) دلائل الاعجاز ص ٧٤، حسن التوسل ص ٢٨٣، نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٤.
- (١٣) النكت في اعجاز القرآن ص ٩١.

«وصناعة الترصيع رفيعة الشأن في ذاتها ولكنها إذا اقترنت بعمل آخر مثل التجنيس فإنها تزداد غلوا ورفعة شأن»^(١). ومنه قول بعضهم: «قد وطئت الدهماء أعقابهم وخشيت الأعداء أعقابهم» و«الكؤوس في الراحات والنفوس في الراحات»، وقول المؤملي الكاتب:

لم نَزَلْ نحن في سدادِ ثغور
واضطلامِ الابطال من وَسَطِ لامِ
واقترحامِ الأهوالِ من وَقْتِ حامِ
واقترسامِ الاموالِ من وَقْتِ سامِ
ومنه قول الطواط:

جَلالُكَ يا خَيْرَ الملوكِ مساعيا
على مِثْرِ المجدِ المؤثِلِ خاطِبُ
فللحظةِ النكراءِ سَيْبُكَ دافِعُ
ولللخطةِ العذراءِ سيفُكَ خاطِبُ

وكان الباقلاني^(٢) قد ذكر - كما تقدم - الترصيع مع التجنيس ومثل له بقول ابن المعتز وبأية من الذكر الحكيم.

التَّرْقِي:

رقي إلى الشيء رقيًا ورُقُوقًا وارتقى يرتقي وترقى: صعد، ورقي غيره، ويقال: ما زال فلان يترقى به الأمر حتى بلغ غايته^(٣).

قال السبكي: «هو أن يذكر معنى ثم يردف بأبلغ منه كقولك: «عالم تحرير وشجاع باسل» وهذا قد يدخل في بعض أقسام الأطناب»^(٤).

ومثل له الزركشي^(٥) بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٦)، وقوله: ﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾^(٧). وذكر السيوطي تعريف السبكي ومثاله نقلًا عن كتاب «التبيان»^(٨). وذكر قوله تعالى: ﴿الخالقُ البارئُ المصوِّرُ﴾^(٩) أي قدر ما يوجد ثم مثله. وقوله: ﴿لَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا

اسمي هذا الباب تشابه الاطراف لأن الأبيات فيه تتشابه أطرافها»^(٩). وقال: «ولم أظفر من الكتاب العزيز في هذا الباب إلا بقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾»^(١٠) فالحظ تشابه أطراف هذه الجمل لتقدر هذا النظم قدره»^(١١).

ومنه قول النابغة الذبياني:

لعمري وما عمري عليّ بهيّن
لقد نطقتُ بطلاً عليّ الأقرعُ
أقرعُ عوف لا أحاولُ غيرها
وجوهُ قرودٍ تبتغي من تُخادِعُ
وقول ليلي الأخيلية تمدح الحجاج:
إذا نزلَ الحجاجُ أرضاً مريضاً
تتبعُ أقصى دائها فشفاهها
شفاها من الداءِ العُضالِ الذي بها
غلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها

(١) البقرة ١٩٤.

(٢) البقرة ١٤ - ١٥.

(٣) آل عمران ٥٤.

(٤) الرسالة العسجدية ص ١٢٧.

(٥) المصباح ص ٨٤.

(٦) نهاية الأيجاز ص ١١١.

(٧) مفتاح العلوم ص ٢٠٠، الايضاح ص ٣٥٠،

التلخيص ص ٣٥٨، شروح التلخيص ج ٤

ص ٣١٦، المطول ص ٤٠٣، الاطول ج ٢

ص ١٩٢، خزانة ص ٤٣٥، معترك ج ١

ص ٤١١، الاتقان ج ٢ ص ٩٤، شرح عقود

الجمان ص ١١١، حلية اللب ص ١٤، أنوار

الربيع ج ٦ ص ١٠١.

(٨) اللسان (سبغ).

(٩) تحرير التحبير ص ٥٢٠، بديع القرآن ص ٢٢٩.

(١٠) النور ٣٥.

(١١) بديع القرآن ص ٢٣٠.

فاعتدوا عليه»^(١) أي جازوه بما يستحق على طريق العدل إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان. ومن ذلك: ﴿مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٢) أي: يجازيهم على استهزائهم. ومنه: ﴿ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين﴾^(٣) جازاهم على مكرهم فاستعير للجزاء على المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم.

ونقل الصنعاني كلام الرماني وأمثله^(٤)، وتبعهما في ذلك ابن مالك الذي قال عن المزوجة هي «أن تأتي في غير ردّ العجز على الصدر بمتماثلين في أصل المعنى والاشتقاق فحسب»^(٥) كقول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والمزوجة عند الرازي من أقسام النظم وذلك «أن يزواج بين معنيين في الشرط والجزاء»^(٦)، أي أنها الازدواج والتزواج وهو ما ذهب إليه عبد القاهر من قبل. والى ذلك ذهب السكاكي والقزويني وشرح التلخيص، وأدخلوا المزوجة في المحسنات المعنوية^(٧).

التسبيغ:

يقال: شيء سابغ أي كامل وافٍ، وسبغ الشيء يسبغ سبوغاً: طال الى الأرض واتسع، وسبغت الدرع وكل شيء: طال الى الأرض فهو سابغ^(٨).

قال المصري: «هذا الباب سمّاه الأجدابي التسبيغ وفسّره بأن قال: «هو أن يعيد لفظ القافية في أول البيت الذي يليها، والتسبيغ زيادة في الطول، ومنه قولهم: «درع سابغة» إذا كانت طويلة الأذيال. وهذه اللفظة في اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء، وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لائقة بهذا المسمى فرأيت أن

والسجع من أوصاف البلاغة في موضعه وعند سماحة القول فيه وأن يكون في بعض الكلام لا كله، فإنه في الكلام كمثل القافية في الشعر وإن كانت القافية غير مستغنى عنها في الشعر القديم والسجع مستغنى عنه. قال ابن وهب: «فأما أن يلزمه الانسان في جميع قوله ورسائله وخطبه ومناقلاته فذلك جهل من فاعله وعي من قائله»^(١). وقال ابن جنبي: «ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعًا لذ لسامعه فحفظه، فاذا هو حفظه كان جديرًا باستعماله، ولو لم يكن مسجوعًا لم تأنس النفس به ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وان لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله»^(٢).

وقد ذمه بعضهم لأن الرسول - ﷺ - ذم سجع الكهان حينما قال لبعضهم منكرًا عليه وقد كلمه بكلام مسجوع: «أَسْجَعًا كَسْجَعِ الْكُهَّانِ؟». قال الجاحظ: «وكان الذي كرهه الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة أن كُهَّان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون اليهم وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رثيًا من الجن مثل حازي جهينة، ومثل شق وسطيح

(١) خزانة ص ١٠٢، شرح عقود الجمان ص ١٤٩، أنوار الربيع ج ٣ ص ٤٥.

(٢) الايضاح ص ٣٤٤، التلخيص ص ٣٥٤.

(٣) اللسان (سجع).

(٤) العين ج ١ ص ٢١٤.

(٥) نقد الشعر ص ٦٠، التبيان ص ١٧٨، تحرير

التحبير ص ٣٠٠، بديع القرآن ص ١٠٨،

المصباح ص ٧٩، الطراز ج ٣ ص ١٨، أنوار

الربيع ج ٦ ص ٢٤٩.

(٦) جواهر الكنز ص ٢٥٢.

(٧) المثل السائر ج ١ ص ١٩٣.

(٨) الايضاح ص ٣٩٣، التلخيص ص ٣٩٧.

(٩) مفتاح العلوم ص ٢٠٣.

(١٠) البرهان في وجوه البيان ص ٢٠٩.

(١١) الخصائص ج ١ ص ٢١٦.

سقاها فرواها بشرِبِ سجاليه
دماء رجالٍ يحلبون صراها
وقول أبي حية الثُميري:

رَمَثْنِي وَسِثْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ
رَمِيمُ الَّتِي قَالَتْ لَجِيرَانَ بَيْتِهَا
ضَمِنْتَ لَكُمْ أَلَّا يَزَالَ بِهِيْمُ

وذكر الحموي والسيوطي والمدني مثل ذلك^(١)، ولكن تشابه الأطراف كما فسره القزويني ليس كذلك فهو عنده من مراعاة النظرير وذلك «أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى»^(٢).

التَّسْجِيعُ:

سجع يَسْجَعُ سَجْعًا: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا، والسجع الكلام المقفى، والجمع: أسجاع وأساجيع، وكلام مُسَجَّعٌ. وسجع يسجع سجعا وسَجَّعَ تسجيعا: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه: سَجَّاعٌ وهو من الاستواء والاستقامة والاشتباه كأن كل كلمة تشبه صاحبتها. قال ابن جنبي: سمي سجعا لاشتباهه أو آخره وتناسب فواصله. وسَجَّعَ الحمامُ: هدل على جهة واحدة، وسَجَّعَ الحمامة: موالاة صوتها على طريق واحد^(٣) وربط الخليل السجع بالفواصل فقال: «سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن»^(٤).

السجع هو الفن المعروف في الأدب العربي، وقد سماه تسجيعة قدامة وابن الزمكاني والمصري وابن مالك والعلوي والمدني^(٥)، وألحقه ابن الاثير الحلبي بالتسميط^(٦). وقال ابن الاثير الجزري: «وَحَدُّهُ أَنْ يُقَالَ: تَوَاطَوْا الْفَوَاصِلَ فِي الْكَلَامِ الْمَشْتُورِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ»^(٧) وهو ما قاله القزويني^(٨)، وهو معنى قول السكاكي: «الأسجاع وهي في النثر كما القوافي في الشعر»^(٩).

كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا. إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا. وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿٧﴾.

الثالث: أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول، وهو عند ابن الاثير عيب فاحش، وذلك أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرًا عن الأول فيكون كالشيء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها.

ثم قَسَّمَهُ على اختلاف أنواعه الى نوعين:

الأول: القصير، وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكُلَّمَا قَلَّتْ الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع. وهذا الضرب أوعر السجع مذهباً وأبعده متناولاً ولا يكاد استعماله يجيء إلا نادراً.

الثاني: الطويل، وهو ضد الأول لأنه أسهل متناولاً^(٨).

وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عده ألفاظ، أما السجع القصير فأحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين كقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾^(٩). ومنه ما يكون مؤلفاً من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة، وكذلك الى العشرة. وأمّا السجع الطويل فإن درجاته تتفاوت أيضاً في الطول فمنه ما يقرب من السجع القصير وهو أن يكون

(١) البيان ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) البيان ج ١ ص ٢٩٠.

(٣) البرهان ص ٢٠٩.

(٤) المثل السائر ج ١ ص ١٩٣.

(٥) إحكام صناعة الكلام ص ٢٣٦.

(٦) الضحى ٩ - ١٠.

(٧) الفرقان ١١ - ١٣.

(٨) المثل السائر ج ١ ص ٢٣٨، الجامع الكبير ص ٢٥٣.

(٩) المرسلات ١ - ٢.

وعزى سلمة وأشباههم. وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع^(١) وعلل ذلك النهي بقوله: «فوق النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها في صدور كثير منهم، فلما زالت العلة زال التحريم. وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم»^(٢). وقال ابن وهب إن الرسول الكريم أنكر ذلك لأن المتكلم أتى به في بعض كلامه ومنطقه وكان ذلك على سجية الانسان وطبعه فهو غير منكر ولا مكروه بل أتى في الحديث الشريف^(٣). ونطق به - ﷺ - في بعض كلامه حتى أنه غيّر الكلمة عن وجهها اتباعاً لها باخواتها في السجع فقال لابن ابنته: «أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة»، وإنما أراد «ملمة» لأن الأصل فيها من «الم فهو ملم». ورأى ابن الاثير أن الرسول العظيم لم يذم السجع كله وإنما ذم ما كان مثل سجع الكهان لا غير، وقد ورد في القرآن الكريم. وعلل ذم بعضهم للسجع بقوله: «وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم فانه قد أتى منه بالكثير حتى ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما. وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور»^(٤). وقال الكلاعي: «والذي عندي في هذا أن النثر والنظم أخوان فكما لا يقدر في النظم تكلف الوزن والقافية، كذلك لا يقدر في النثر تكلف السجع»^(٥).

وقَسَّم ابن الاثير التسجيع أو السجع الى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما على الآخر، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٦).

الثاني: أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول كقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ

فيهما سواء فذاك هو التطويل بعينه لأنَّ التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليها بدونها، وإذا وردت سجتان يدلان على معنى واحد كانت إحداها كافية في الدلالة عليه. وجُلُّ كلام الناس المسجوع جارٍ عليه^(٧). ووضع للكلام المسجوع أربع شرائط:

الأولى: اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الصحيح، وذلك أن تكون جيدة.

الثانية: اختيار التركيب الحسن.

الثالثة: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تاليًا للمعنى لا المعنى تابعًا للفظ.

الرابعة: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير الذي دلت عليه أختها.

وتسمى الكلمة التي تختتم بها الآية الكريمة «فاصلة» لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾^(٨) ومنع بعضهم أن يُسَمَّى سجعًا وذلك لأنَّ أصل السجع من «سجع الطير» فشرف القرآن الكريم من أن يستعار لشيء فيه لفظ هو في أصل صوت الطائر، ولأجل تشريف كتاب الله عن مشاركة غيره من الكلام في اسم السجع الواقع في كلام الناس، ولأنَّ الكتاب العزيز من صفات الله - عز وجل - فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها وإنَّ صَحَّ المعنى.

(١) الطراز ج ٣ ص ٢٣.

(٢) الايضاح ص ٣٩٥.

(٣) القمر ١ - ٢.

(٤) معالم الكتابة ص ٦٩ - ٧٠، الفوائد ص ٢٢٦،

خزانة الأدب ص ٤٢٣، نفحات ص ١٨٢،

شرح الكافية ص ١٩٤.

(٥) أسرار البلاغة ص ١٠.

(٦) سر الفصاحة ص ٢٠١.

(٧) المثل السائر ج ١ ص ١٩٨.

(٨) فصلت ٣.

تأليفه من إحدى عشرة الى اثنتي عشرة لفظة واكثره خمس عشرة لفظة، ومنه ما يكون تأليفه من العشرين لفظة أو ما يزيد على ذلك.

وأخذ العلوي بهذا التقسيم وتابع ابن الاثير في أنَّ القصير أحسن وأوعر مسلكًا من الطويل وأصعب مدركًا وأخف على القلب وأطيب على السمع؛ لأنَّ الألفاظ إذا كانت قليلة فهي أحسن وأرق^(١).

وأضاف القزويني قسمًا ثالثًا وهو «السجع المتوسط»^(٢) كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّشْتَمِرٌ﴾^(٣).

وقسمه المتأخرون الى عدة أقسام هي: الحالي والعاطل والمرصع والمشطر والمطرف والمتمائل والمتوازن والمتوازي^(٤). ولكنَّ تقسيم ابن الاثير اكثر وضوحًا وأقرب الى روح الفن، ولعل اهتمام المتأخرين بالتقسيم هو الذي دفعهم الى ذلك.

والأصل في السجع الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل اليه بالطبع. وشرط السجع الحسن أن يُصَفَّى من الغثاء وأن يكون اللفظ تابعًا للمعنى، وهو كما قال عبد القاهر: «لا تجد تجنيسًا مقبولاً ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تتبغى به بدلاً ولا تجد عنه حولا»^(٥). وقال ابن سنان: «والمذهب الصحيح أنَّ السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه. ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيل لأجله وورد ليصير وصلة اليه»^(٦). وللسجع سرٌّ بيته ابن الاثير بقوله: «واعلم أنَّ للسجع سرًّا هو خلاصته المطلوبة فان عُرِّي منه فلا يعتد به أصلاً، وهذا شيء لم ينبه عليه أحد غيري... والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها فان كان المعنى

واسرف بعضهم فيه، ولذلك نزه الأشعرية كتاب الله من هذا الفن البديعي الذي أصبح من المحسنات اللفظية عند المتأخرين^(٥)، وسموا نهاية الآيات «فواصل» وهي تسمية دقيقة من أجل أن يكون هناك فرق بين سجع البشر وآيات الله العزيز.

التشجيع الحالي:

قسّم ابن شيث القرشي السجع الى حال وعاطل، وقال عن الحالي: هو «كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور على زنة واحدة تضح أن تكون إحداهما قافية أمام صاحبها كقولك «فلان لا تدرك في المجد غايته ولا تنسخ من الفضل آيته». ويكفي في ذلك كلام رسول الله - ﷺ - في تعويد الحسن والحسين - عليهما السلام -: «أعيذكما من الهامة والسامة وكل عين لامة»، وكذلك قوله: «يرجعن مأزورات غير مأجورات». وبمقدار ما تتوازن اللفظتان ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك»^(٦).

وقال الكلاعي: «وإنما سمينا هذا النوع الحالي لأنه محلي بحسن العبارة ولطف الإشارة وبدائع التمثيل والاستعارة، وجاء من الأسجاع والفواصل ما لم يأت في باب العاطل»^(٧).

التشجيع العاطل:

قال ابن شيث القرشي: «وأما السجع العاطل فهو

(١) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٤.

(٢) اعجاز القرآن ص ٨٦.

(٣) طه ١ - ٣.

(٤) الفاتحة ٣ - ٤.

(٥) الايضاح ص ٣٩٣، التلخيص ص ٤٠٤، شروح

التلخيص ج ٣ ص ٤٤٥، المطول ص ٤٥٣،

الأطول ج ٢ ص ٢٣٢، شرح عقود الجمان

ص ١٥٠.

(٦) معالم الكتابة ص ٦٩.

(٧) احكام صنعة الكلام ص ٩٧.

وفترقوا بين الفاصلة والسجع وقالوا إن الفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، والسجع يقصد لنفسه ثم يحيل المعنى اليه^(١). ومن أشهر الذين نفوا السجع عن كتاب الله أبو بكر الباقلائي متابعاً في ذلك أبا الحسن الأشعري؛ لأن القرآن لو كان سجعا لكان غير خارج على أساليب العرب في كلامهم ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز^(٢).

ولعل ما كان من أمر السجع في عصره جعله يذهب هذا المذهب ويربط السجع باللفظ دون المعنى مع علمه بأن السجع كثير في كتاب الله، وقد سمّاه بعض البلاغيين سجعا، ولن يقلل من قيمته أن نسميه «فواصل» لأننا حينما ننظر في تصرفهم لها نجد أنها حروف متشاكلية في المقاطع وهي تابعة للمعاني ويمكن أن نجعل السجع تابعا للمعاني أيضا كما فعل عبد القاهر وابن الاثير. وتقسيم الفواصل الى وجهين:

أحدهما: على الحروف المتجانسة كقوله تعالى: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى﴾^(٣).

وثانيهما: الحروف المتقاربة كالميم والنون في قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين﴾^(٤) - لا يخرج السجع منها، ولو قال الباقلائي إن الإعجاز لا يؤخذ من السجع كما لا يؤخذ من فنون البديع الأخرى لكان أولى، وله الحق في ذلك ما دام يذهب الى أن كتاب الله الخالد معجز بنظمه وحسن تأليفه. يضاف الى ذلك أن معنى السجع في اللغة ليس تصويت الحمام فحسب بل الأساس فيه الاستقامة والاستواء والاشتباه بأن كل كلمة تشبه صاحبها، وليس بعد القرآن كتاب يشمل الاستقامة والاستواء بكل صورها ومعانيها.

ومهما يكن من أمر فان أكثر البلاغيين يُسمون هذا الفن سجعا، وهو فن أصيل عُرف في الجاهلية وصدر الاسلام وشاع وانتشر في العصر العباسي أيما انتشار

التَّشْجِيعُ الْمُتَوَازِي:

وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي^(١٠). كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُورٌ مَرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾^(١١).

التَّشْجِيعُ الْمُرْصَعُ:

وهو مقابلة كل لفظة بلفظة على وزنها ورويها^(١٢)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(١٣) وسماء الحلبي والنويري «الترصيع»^(١٤).

التَّشْجِيعُ الْمُشْطَرُّ:

وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الأخير^(١٥)، كقول أبي تمام:

- (١) معالم الكتابة ص ٧٠.
- (٢) أحكام صنعة الكلام ص ٩٦.
- (٣) معترك ج ١ ص ٥٠.
- (٤) الصافات ١١٧ - ١١٨.
- (٥) نهاية الإيجاز ص ٣٤، وينظر حدائق السحر ص ١٠٦، حسن التوسل ص ٢٠٩، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٠٥.
- (٦) معترك الأقران ج ١ ص ٥٠.
- (٧) الغاشية ١٥ - ١٦.
- (٨) نهاية الإيجاز ص ٣٤.
- (٩) الأيضاح ص ٣٩٨، التلخيص ص ٤٠٤.
- (١٠) حدائق السحر ص ١٠٥، نهاية الإيجاز ص ٣٤، حسن التوسل ص ٢٠٩، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٠٤، الفوائد ٢٢٦، معترك ج ١ ص ٥٠، الأيضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٣.
- (١١) الغاشية ١٣ - ١٤.
- (١٢) خزنة الأدب ص ٤٢٣، معترك ج ١ ص ٥٠.
- (١٣) الانفطار ١٣ - ١٤.
- (١٤) حسن التوسل ص ٢٠٧، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٠٤.
- (١٥) خزنة الأدب ص ٣٤٢.

أن تقابل اللفظة أختها ولا تجمع بينهما القافية، وكثير من الكتاب البلغاء يقصده لخلوه من التكلف وجريانه على سجية الكلام دون التصنع، وهو إذا كان من القادر حسنٌ وإذا كان من العاجز قُصور. وهو كقوله: «قُلْ أَهْلَ الدِّينِ وَالْأَمَانَةِ فَالِي مَنْ يُسْكِنُ وَعَلَى مَنْ يُعْوَلُ» فقال: «يعول» في قبالة «يسكن» فلو شاء قال «يظهر ويطن» أو «فيما يسر ويعلن». فإذا كان الكاتب متمكناً من البلاغة عد ذلك منه تنزلاً وطلباً للاختصار واعتناء بحصول المعنى إلى المخاطب بالالفاظ النقية من غير التفات إلى تصنع السجع^(١).

وقال الكلاعي: «وإنما سَمِينَا هَذَا النُّوعَ الْعَاطِلَ لِقَلَّةِ تَحْلِيَّتِهِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْفَوَاصِلِ، وَهَذَا النُّوعُ هُوَ الْأَصْلُ، وَالتَّجْمَلُ بِكَثْرَةِ السَّجْعِ فَرَعٌ طَارِئٌ عَلَيْهِ»^(٢).

التَّشْجِيعُ الْمُتَمَاثِلُ:

قال السيوطي: «أَنْ يَتَسَاوَى فِي الْوِزْنِ دُونَ التَّقْفِيَةِ وَيَكُونُ أَفْرَادَ الْأُولَى مُقَابِلَةً لِمَا فِي الثَّانِيَةِ فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُرْصَعِ كَالْمُتَوَازِنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُتَوَازِي»^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) فالكتاب والصراط متوازنان، وكذلك «المستبين» و«المستقيم» واختلفا في الحرف الأخير.

التَّشْجِيعُ الْمُتَوَازِنُ:

قال الرازي هو: «أَنْ يَتَّفَقَا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَلَا يَتَّفَقَا فِي الْحَرْفِ الْأَخِيرِ»^(٥). وبمثل ذلك عرّفه السيوطي^(٦). ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾^(٧). ثم قال الرازي «وهذا القسم خارج عن الحد المذكور»^(٨). وهذا النوع سمّاه المتأخرون الموازنة وأدخلوه في المحسنات اللفظية، قال القزويني: «وهي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية»^(٩). وذكر الآيتين السابقتين.

التصديق بما جاءت به من أحوال القيامة والحشر والنشر وغير ذلك.

تدبيرٌ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ
لِلَّهِ مُرْتَقِبٌ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٌ

التَّسْلِيمُ:

سَلَّمْتُ إِلَيْهِ الشَّيْءَ فَتَسَلَّمَهُ أَي أَخَذَهُ،
والتسليم بذل الرضى بالحكم، وَأَسَلَّمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ
أَي سَلَّمَ، وَأَسَلَّمَ أَي دَخَلَ فِي السَّلْمِ وَهُوَ
الاستسلام^(٧).

والتسليم أقرب الى أسلوب البحث والمُناظرة، قال
السبكي: «وهذا يدخل في المذهب الكلامي»^(٨).
وهو من مُبتكرات المصري الذي قال: «هو أن
يفرض المُتكلِّم فرضاً محالاً إما منفياً أو مشروطاً
بحروف الامتناع ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع
لامتناع وقوع مشروطه، ثم يُسَلَّم بوقوع ذلك تسليماً
جدلياً ويدل على تقدير عدم الفائدة في وقوعه على
تقدير وقوعه»^(٩). كقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١٠).

ومنه قول الطِّرِمَاح:

لو كان يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةً

مَنْ خَلَقَهُ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ

(١) حدائق السحر ص ١٠٦، نهاية الأيجاز ص ٣٤،

حسن التوسل ص ٢٠٩، نهاية الأرب ج ٧

ص ١٠٤، معترك ج ١ ص ٤٩، شرح عقود

الجمان ص ١٥١، الأيضاح في شرح مقامات

الحريري ص ١٣.

(٢) الفوائد ص ٢٢٦.

(٣) نوح ١٣ - ١٤.

(٤) اللسان (سجل).

(٥) الطراز ج ٣ ص ١٦٧.

(٦) الحج ٧٣.

(٧) اللسان (سلم).

(٨) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٠.

(٩) تحرير التحرير ص ٥٨٧، بديع القرآن ص ٢٩٥.

(١٠) المؤمنون ٩١.

التَّشْجِيعُ الْمُطْرَفُ:

وهو أن يأتي المُتكلِّم في أجزاء كلامه أو بعضها
بأسجاع غير مُتَّزِنَةٍ بزنة عروضية ولا محصورة في عدد
مُعَيَّن بشرط أن يكون رويُّ الأسجاع رويَّ القافية^(١).
وسماه ابن قيم الجوزية «المُتطَرَّف» وقال: «هو أن تتفق
الكلمتان الاخيرتان في الحرف الأخير دون الوزن»^(٢).
ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(٣).

التَّسْجِيلُ:

السَّجَلُ: الدلو الضخمة المملوءة ماءً -،
والتَّسْجِيلُ: الصَّبُّ، يقال: سَجَلْتُ الْمَاءَ سَجْلًا إِذَا
صَبَبْتَهُ صَبًّا مُتَّصِلًا، وأسجل الرجل: كثر خيره،
وسجل أنعظ^(٤). فالأسجال الاكثار.

قال العلوي: «هو تطويل الكلام والمبالغة فيما سيق
من أجليه من مدح أو ذم، وهو نوع من الأطناب، خلا
أن الأطناب عام في كل مقصود من الكلام والتسجيل
خاص في المبالغة في المدح أو الذم»^(٥). والمثال فيه
قوله - تعالى - في ذم عبادة الأوثان والأصنام وتهجين
من عبَد سواه فانه سجل عليهم غاية التسجيل ونعى
اليهم أفعالهم ووبخهم وسَفَّ حلومهم واسترك عقولهم
على جهة التسجيل والتنويه بما عملوا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَإِنْ يَسْلُبْنَهُمْ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾^(٦).

ومثاله في المدح قوله - تعالى - في صفة
المؤمنين في صدر سورة البقرة حيث ذكرهم
بالصفات المحمودة وأثنى عليهم بالمناقب
المعهودة وبما شرح الله صدورهم بالإيمان بالله
تعالى وبرسوله وكتبه المنزلة وبما كان منهم من

ونقل ذلك السيوطي والمدني^(١).

على بَعْضٍ وَأَتِينَا دَاوُدَ زَبُورًا^(٧). ومنه قول مروان بن حفصة:

التَّسْمِيطُ:

السَّمَطُ: الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سِلْكٌ، والسِمَطُ خيط النظم لأنه يعلق، والسَمَطُ: الخيط الواحد المنظوم. وَسَمَطَ الشَّيْءَ سَمَطًا: عَلَّقَهُ، وَسَمَّطَتِ الشَّيْءَ: عَلَقْتَهُ عَلَى السَّمُوطِ تَسْمِيطًا، وَسَمَّطَتِ الشَّيْءَ: لَزَمْتَهُ^(٢).

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا
أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَيُسَمَّى هَذَا «تَسْمِيطَ التَّبْعِيضِ»، وَمِنْهُ نَوْعٌ آخَرَ
يُسَمَّى «تَسْمِيطَ التَّقْطِيعِ» وَهُوَ «أَنْ يَسْجَعَ جَمِيعَ
أَجْزَاءِ التَّفْعِيلِ عَلَى رُويٍّ يَخَالِفُ رُويَّ الْقَافِيَةِ»^(٨)
كقول المصري نفسه:

قال المدني: «التسميط مأخوذ من «السَّمَطُ» - بكسر السين المهملة وسكون الميم - وهو خيط النظم، كأنهم جعلوا القافية كالسِمَطِ، والأجزاء المسجعة بمنزلة حبات العقد، أو من السمط بمعنى القلادة كأنهم جعلوا البيت بتفصيله بالأجزاء المسجعة كالقلادة الْمُفَصَّلَةَ بالجواهر المتناسبة، وهو عبارة عن أن يجعل الشاعر البيت من قصيدة أو كل بيت منها أربعة أقسام، ثلاثة منها على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابع»^(٣).

وَأَسْمَرَ مَثْمِرٍ بِمِزْهَرٍ نَضِيرٍ
مِنْ مُقْمِرٍ مُسْفِرٍ عَنِ مَنَظَرٍ حَسَنِ
والفرق بين التسميط والتفوييف تسجيع بعض أجزاء بيت التسميط وخلو كل أجزاء بيت التفوييف من السجع^(٩). والفرق بينه وبين التسجيع كون أجزاء التسجيع على روي قافية وليس كذلك التسميط^(١٠).

وقال التبريزي: «التسميط اعتماد الشاعر تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيهه به أو من جنس واحد في التصريف والتمثيل. وسُمِّي تسميطًا تشبيهًا بالمسَمَطِ في نظمه»^(٤). كقول امرئ القيس:

وتحدث المظفر العلوي عن التضمين وقال:
«ويُسَمَّى التَّسْمِيطُ وَالتَّوْشِيحُ، وَهَذَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ
قَلِيلٌ جَدًّا وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَأْتِي
عَلَيْهِ الْإِحْصَاءُ كَثْرَةً وَعَدًّا وَالْيَسِيرُ مِنْهُ دَلِيلٌ عَلَى الْكَثِيرِ.
قَالَ الْأَخْطَلُ:

مَكْرٍ مِفْرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا
كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عِلِّ

فأتى باللفظتين الأولىين مسجوعتين في تصريف واحد وجاء التاليتين شبيهتين بهما في التعديل والتمثيل. والمراد من هذا أن تكون الأجزاء متوالية أو أن تكون مسجوعة.

- (١) معترك ج ١ ص ٤٦٢، عقود الجمان ص ١٣٢، أنوار الربيع ج ٢ ص ٢١٤، نفحات ص ١٢١، شرح الكافية ص ٩٢.
- (٢) سمط (اللسان).
- (٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٩٠، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٧.
- (٤) الوافي ص ٢٩٢.
- (٥) قانون البلاغة ص ٤٥٦.
- (٦) تحرير التحبير ص ٢٩٥، بديع القرآن ص ١٠١.
- (٧) الاسراء ص ٥٥.
- (٨) تحرير ص ٢٩٥.
- (٩) تحرير ص ٢٩٥.
- (١٠) تحرير ص ٣٠٠.

ونقل البغدادي هذا الكلام^(٥)، وقال المصري: «هو أن يعتمد الشاعر تصيير بعض مقاطع الأجزاء أو كلها في البيت على سجع يخالف قافية البيت»^(٦). كقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ

وقال ابن قيم الجوزية إنه على قسمين^(٨).

الأول: أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ثم يجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضي أو رسالة حتى تنتهي فتصير كالسمط الذي احتوى على جواهر متشاكله. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾^(٩) الى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ﴾ (التكوير ١٤). وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَشْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(١٠). وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانُ﴾^(١١).

وقول امرئ القيس:

وَمُسْتَلَمٍ كَشَفْتُ بِالرَّمْحِ ذَيْلَهُ
أَقَمْتُ بِعَضْبٍ ذِي شَقَاشِقٍ مِيلَهُ
فَجَعْتُ بِهِ فِي مُلْتَقَى الْحَرْبِ خَيْلَهُ
تَرَكَتُ عِتَاقَ الطَّيْرِ يَحْجُلْنَ حَوْلَهُ
كَأَنَّ عَلَى سِرْبَالِهِ نَضْحَ جِرْيَالٍ

الثاني: أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول

(١) لم يرد البيت في ديوان الأخطل. الونى: التعب والفتور.

(٢) نضرة الاغريض ص ١٩٠. يتقون بي الأسنه: يجعلونها بينهم وبينها. لم أخم: لم أنكل ولم أضعف.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٨٤.

(٤) المصباح ص ٧٩.

(٥) حسن التوسل ص ٢٧٢، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٧.

(٦) جواهر الكنز ص ٢٥٢.

(٧) الطراز ج ٣ ص ٩٧.

(٨) الفوائد ص ٢٣٠.

(٩) التكوير ١ - ٢.

(١٠) التكوير ١٥ - ١٨.

(١١) الرحمن ١ - ٦.

ولقد سما للخُرْمِي فلم يُقَلْ

بعد الونى لكن تضايق مقدمي^(١)

ضمّن قول عنتره:

إِذِ يَتَّقُونَ بِيَّ الْأَسِنَّةَ لَمْ أَحِمَّ

عنها ولكني تضايق مقدمي^(٢)

وليس هذا هو التسميط عند الآخرين بل هو التضمين الذي عرّفه ابن رشيق بقوله: «هو قصدك الى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالتمثل»^(٣).

وقسمه ابن مالك كالمصري الى تسميط تبغيض وتسميط التقطيع وذكر أمثله^(٤).

وقال الحلبي والنويري: «هو أن يجعل المتكلم مقاطيع أجزاء البيت أو القرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القرينة»^(٥). ومثلا له بيت مروان: «هم القوم...» وقال: «فان أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط والأجزاء المسجعة بمنزلة حبّ العقد». وهذا هو تسميط التبغيض عند المصري وابن مالك.

ونقل ابن الاثير الحلبي تعريف المصري وبيت مروان^(٦)، وأوضح العلوي الفرق بينه وبين التسجيع بقوله: «اعلم أن من الناس من يعدُّ هذا النوع من أنواع التسجيع والحق ما قاله الخليل بن احمد - رحمه الله تعالى - أنه مخالف لأنواع السجع، وهو أن يُؤتى بالبيت من الشعر على أربعة مقاطع فتلاثة منها على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابعة الى أن تنقضي القصيدة على هذه الصفة. واشتقاقه من قولهم: عَقِدْتُ مُسَمِّطًا إِذَا رُوِيَ فِيهِ هَذِهِ الْحَالُ»^(٧). ومن أمثله قول جنوب الهذلية:

وَحَرْبٍ وَرَدَّتْ وَثَغْرِ سَدَدَتْ

وَعَلَجٍ شَدَدَتْ عَلَيْهِ الْجِبَالَا

ومالٍ حَوَيْتَ وَخَيْلٍ حَمَيْتَ

وضيفٍ قَرَيْتَ يَخَافُ الْوَكَالَا

جنوب الهذلية: «و حرب وردت...» وكقول
الحريري:

خَلَّ اذْكَارَ الأربَعِ
والمعهد المرتبِعِ
والظاعنِ المودِعِ
وعَدَّ عنه ودَعِ
واندُبَ زمانا سَلَفَا
سَوَدت فِيه الصُّخُفَا
ولم تَزَلْ معتكفا
على القبيح الشَّنِيعِ

وعاد السبكي والحموي والسيوطي بهذا الفن الى قول السابقين ولا سيما كلام المصري وابن مالك^(١). وأخذ المدني بتعريف ابن قيم الجوزية للقسم الثاني حينما قال: «وهو عبارة عن أن يجعل الشاعر البيت من قصيدة أو كُـلَّ بيت منها أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابع»^(٢)، وذكر أبيات جنوب الهذلية وامرئ القيس والحريري وغيرها وفرَّقَ بينه وبين التسجيع. وهذا هو تسميط التبعض عند المصري وابن مالك. وأشار الى القسم الآخر أي تسميط التقطيع ونقل تعريف المصري وبيت شعره ثم قال: «ومنهم من يُسَمِّي هذا النوع الموازنة، وَعَدَّهُ نوعا مستقلا»^(٣).

التسهيل:

السهولة: كل شيء الى اللين وقلة الخشونة، وقد سَهَّلَ سُهولةً وَسَهَّلَهُ: صَيَّرَهُ سهلا. وفي الدعاء: «سَهِّلْ اللهُ عَلَيْكَ الأَمْرَ وَلِكَ» أي: حمل مؤونته عنك وخَفَّفَ عَلَيْكَ، والتسهيل: التيسير^(٤).

قال المدني: «التسهيل أدخلها بعضهم في نوع الانسجام، وذكرها التيفاشي مضافة الى باب الظرافة وسَمَّاهَا قوم التطريف، وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب «سر الفصاحة» وقال في مجمل كلامه: «هي خلو اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف في السبك،

لا كما قال بعضهم:

وَقَبْرَ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ
وليس قُزْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ
وهذا من أعقد الكلام وأشدّه تنافرا»^(٥).

وعقد ابن منقذ بابا باسم «الظرافة والسهولة»^(٦)، وفعل مثله الحموي الذي قال: «السهولة ذكرها التيفاشي مضافة الى باب الظرافة وشركها قوم بالانسجام، وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتابه «سر الفصاحة» فقال في مجمل كلامه: «هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف في السبك». وقال التيفاشي: السهولة أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الأدب، وهي تدلُّ على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الرويَّة»^(٧). ومنه قول الشاعر.

أَلَسْتُ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ أَنِّي
إذا ما تُبْتُ عن ليلى تتوبُ
فَها أنا تائبٌ عن حبِّ ليلى
فمالك كلما ذُكِرْتُ تذوبُ؟
وقول أبي العتاهية:

أَتَتِ الخِلافَةُ مُنْقَادَةً
اليه تُجَرِّزُ أذْيالَها
فلم تَكُ تَصُلِحُ إلا له
ولم يَكُ يَصُلِحُ إلا لها

(١) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٨، خزانة الادب ص ٤٣٤، شرح عقود الجمان ص ١٥٢.

(٢) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٩٠.

(٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٩٩، نفحات ص ١٣١، شرح الكافية ص ١٩٦.

(٤) اللسان (سهل).

(٥) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٠ ويتضح من عبارته انه يريد (السهولة).

(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٣٤.

(٧) خزانة الأدب ص ٤٥٤.

عن التسهيم فما منهم من أجاب بجواب التفهيم ولم يحصل من إشاراتهم اليه ونصوصهم عليه سوى أن المسهّم هو الذي يسبق السامع الى قوافيه قبل أن ينتهي اليها راويه. قلت: ليس هذا اللقب دالاً على هذا المعنى فإن كان الملقب قصد الاغراب به فقد أبعد المرمى وزلّ عن النهج الأقوم. وإنما التسهيم التخطيط والبرد المسهّم: المخطط. وكان الأجدر أن يقال: إن التسهيم في الشعر هو التحسين له والتنقيح لألفاظه ومعانيه بالبرد المحسّن بالتسهيم حتى يكون هذا النوع من الشعر معناه الى قلبك أسرع من ألفاظه الى سمعك. ولو سُمّي المطمّع أي من سمعه يطمّع في قول مثله وهو من ذاك بعيد لجاز^(٧). ولكنه بعد ذلك فسّرهُ كما فسّرهُ الآخرون.

التشويم:

السومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة، وسوم الفرس جعل عليه السيمة، والمسومة:

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٠.

(٢) اللسان (سهم).

(٣) أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٣٦.

(٤) نقد الشعر ص ١٩١، كتاب الصناعتين ص ٣٨٢.

(٥) ينظر حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٢، العمدة ج ٢ ص ٣١، الوافي ص ٢٧١، قانون البلاغة ص ٤٤٣، البديع في نقد الشعر ص ١٢٧، الرسالة العسجدية ص ١٥٢، التبيان ص ١٨٣، منهاج البلغاء ص ٩٤، المصباح ص ٨٩، حسن التوسل ص ٢٦٦، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٢، جوهر الكنز ص ٢٨٤، الفوائد ص ٧٥، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥، المطول ص ٤٢٢، خزنة الأدب ص ٣٧٤، الأطول ج ٢ ص ١٩٠، أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٣٦، حلية اللب ص ١٣٤، والمنزع البديع ص ٣٥٩، نفحات ص ١٣٥، كفاية ص ١٨٠، شرح الكافية ص ٢٦٨.

(٦) أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٣٦.

(٧) نضرة الاغريض ص ١١٦.

ثم قال الحموي: «ومذهبي أن البهاء زهير قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه».

وسمّي المدني هذا النوع «التسهيل» وذكر كلام الحموي^(١)، ومعنى ذلك أن التسهيل عنده السهولة التي ذكرها السابقون.

التسهيم:

المسهّم: البرؤ المخطّط، وبرؤ مسهّم مخطّط بصور على شكل السهام^(٢).

وقال المدني: «التسهيم مأخوذ من البرد المسهّم أي المخطّط، وهو الذي يدل أحد سهامه على الذي يليه لكون لونه يقتضي أن يليه لون فحصوص بمجاورة الذي قبله أو بعده منه»^(٣).

والتسهيم الإرساد وقد تقدم، وسماه قدامة والعسكري «التوشيح»^(٤)، ويقال إن الذي سماه تسهيمًا علي بن هارون وسماه ابن وكيع «المطمّع»^(٥).

وفرق صفي الدين الحلبي بينه وبين التوشيح وقال: «ومن المؤلفين من سماه التوشيح، والتوشيح غيره، والفرق بينهما من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن التسهيم يُعرف به من أول الكلام آخره، ويُعلم مقطعه من حشوه من غير أن تتقدم سجعته النثر أو قافية الشعر، والتوشيح لا يُعلم السجعة والقافية منه إلا بعد تقدم معرفتها.

والآخر: أن التوشيح لا يدلُّك أوله إلا على القافية فحسب، والتسهيم يدلُّك تارة على عجز البيت وطورًا على ما دون العجز بشرط الزيادة على القافية.

والثالث: أن التسهيم يدلُّ تارة أوله على آخره وطورًا آخره على أوله بخلاف التوشيح»^(٦).

وكان المظفر العلوي قد تكلم على التسهيم كلاماً يختلف عن كلام البلاغيين الآخرين، قال: «سئل جماعة ممن يتعاطى علم البديع ونقد الشعر الصنيع

المُعَلِّمة^(١).

الكلام منها.

ولما كان اعتماد ذلك في رؤوس الفصول ووجوهها أعلامًا عليها وإعلامًا بمغزى الشاعر فيها، وكان لفواتح الفصول بذلك بهاء وشهرة وازديان حتى كأنها بذلك ذوات غرر، رأيت أن أسمى ذلك بالتسويم، وهو أن يُعَلَّم على الشيء وتجعل له سيما يتميز بها. وقد كثر استعمال ذلك في الوجوه كالغرر، كما قال ابن الرومي:

سَمَا سَمَوَةٌ نَحْوَ السَّمَاءِ بَعْرَةٌ

مُسَوِّمَةٌ قَدَمًا بِسِيمَا سَجُودِهَا

فلذلك كان هذا اللقب لائقًا بما وضع عليه، وايضًا فانا سمينا تحلية أعقاب الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية بالتحجيل ليكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحوًا من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس.

فاذا اطرد للشاعر أن تكون فواتح فصوله على هذه الصفة واستوسق له الإبداع في وضع مبادئها على أحسن ما يمكن من ذلك صارت القصيدة كأنها عَقْدٌ مُفَصَّلٌ، وتألقت لها بذلك غرر وأوضاع وكان اعتماد ذلك فيها أدعى الى ولوع النفس بها وارتسامها في الخواطر لامتياز كل فصل منها بصورة تخصّه^(٢).

التَّشَابُه:

تَشَابَهَ الشَّيْئَانِ وَاشْتَبَهَا: أَشْبَهَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبِهِ^(٣).

التَّشَابُه: أَنَّ يَتَسَاوَى الطَّرْفَانِ الْمُشَبَّهَ وَالْمُشَبَّهَ بِهِ فِي جِهَةِ التَّشْبِيهِ فَيَتَرَكُ التَّشْبِيهِ إِلَى التَّشَابِهِ لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّرْفَيْنِ مُشَبَّهًا وَمُشَبَّهًا بِهِ تَفَادِيًا مِنْ تَرْجِيحِ أَحَدٍ

(١) اللسان (سوم).

(٢) منهاج البلاغ ص ٢٩٥ وما بعدها.

(٣) اللسان (شبه).

وقد تحدث القرطاجني عن ذلك وقال: «إِنَّ الْحَذَّاقَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُهْتَدِينَ بِطِبَاعِهِمُ الْمَسْدُودَةَ إِلَى ضُرُوبِ الْهَيْئَاتِ الَّتِي يَحْسِنُ بِهَا مَوْقِعَ الْكَلَامِ مِنَ النَّفْسِ مِنْ جِهَةِ لَفْظٍ أَوْ مَعْنَى أَوْ نَظْمِ أَسْلُوبٍ، لَمَّا وَجَدُوا النَّفُوسَ تَسَامُ التَّمَادِي عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ وَتُؤَثِّرُ الْإِنْتِقَالَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَوَجَدُواهَا تَسْتَرِيحُ إِلَى اسْتِئْثَافِ الْأَمْرِ بَعْدَ الْأَمْرِ وَاسْتِجْدَادِ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ وَوَجَدُواهَا تَنْفِرُ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَتَنَاهَ فِي الْكَثْرَةِ إِذَا أَخَذَ مَأْخِذًا وَاحِدًا سَازِجًا وَلَمْ يَتَحِيلَ فِيمَا يَسْتَجِدُ نَشَاطَ النَّفْسِ لِقَبُولِهِ بِتَنْوِيْعِهِ وَالِافْتِنَانِ فِي أَنْحَاءِ الْإِعْتِمَادِ بِهِ وَتَسْكُنُ إِلَى الشَّيْءِ وَإِنْ كَانَ مَتْنَاهَا فِي الْكَثْرَةِ إِذَا أَخَذَ مِنْ شَيْءٍ مَأْخِذَهُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ يَخْرُجَ الْكَلَامُ بِهَا فِي مَعَارِيضَ مُخْتَلِفَةٍ وَاحْتِيلَ فِيمَا يَسْتَجِدُ نَشَاطَ النَّفْسِ لِقَبُولِهِ مِنْ تَنْوِيْعِهِ وَالِامْتِنَانِ فِي أَنْحَاءِ الْإِعْتِمَادِ بِهِ اعْتَمَدُوا فِي الْقِصَائِدِ أَنْ يُقَسِّمُوا الْكَلَامَ فِيهَا إِلَى فِصُولٍ يُنْحَى بِكُلِّ فِصْلٍ مِنْهَا مَنْحَى مِنَ الْمَقَاصِدِ لِيَكُونَ لِلنَّفْسِ فِي قِسْمَةِ الْكَلَامِ إِلَى تِلْكَ الْفِصُولِ وَالْمِيلِ بِالْأَقَاوِيلِ فِيهَا إِلَى جِهَاتٍ شَتَى مِنَ الْمَقَاصِدِ، فَالِرَّاحَةِ حَاصِلَةٌ بِهَا لِافْتِنَانِ الْكَلَامِ فِي شَتَى مَذَاهِبِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَضُرُوبِ مَبَانِيهِ النَّظْمِيَّةِ وَاعْتَنُوا بِاسْتِفْتَاخَاتِ الْفِصُولِ وَجَهَدُوا فِي أَنْ يَهَيِّؤُوهَا بِهَيْئَاتٍ تَحْسِنُ بِهَا مَوَاقِعَهَا مِنَ النَّفُوسِ وَتَوْقِظُ نَشَاطَهَا لِتَلْقَى مَا يَتْبَعُهَا وَيَتَّصِلُ بِهَا، وَصَدَّرُوهَا بِالْأَقَاوِيلِ الدَّالَّةِ عَلَى الْهَيْئَاتِ الَّتِي مِنْ شَأْنِ النَّفُوسِ أَنْ تَنْهَى بِهَا عِنْدَ الْإِنْفِعَالَاتِ وَالتَّأَثُّرَاتِ لِأُمُورٍ سَازِرَةٍ أَوْ فَاجِعَةٍ أَوْ شَاجِيَةٍ أَوْ مَعْجَبَةٍ بِحَسَبِ مَا يَلِيْقُ بِغَرَضِ الْكَلَامِ مِنْ ذَلِكَ وَقَصَدُوا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَقَاوِيلُ مَبَادِيَّ كَلَامٍ مِنْ جِهَةٍ مَا تُنْحَى بِهَا مِنْ أَنْحَاءِ الْوَضْعِ أَوْ مُحْكُومًا لَهَا بِحُكْمِ الْمَبَادِيَّ وَأَنْ وَصَلَهَا بِمَا قَبْلَهَا وَاصِلًا لِكُونِهَا مُسْتَقِلَّةً بِأَنْفُسِهَا مِنْ جِهَةِ الْوَضْعِ الَّذِي يَخْصُّهَا فَيَكُونُ اسْتِئْثَافُ الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ وَصُوغُهُ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَاتِ مُجَدِّدًا لِنَشَاطِ النَّفْسِ وَمُحَسِّنًا لِمَوْقِعِ

المتساويين^(١). كقول أبي إسحاق الصابي:

تشابهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمَدَامَعِي
فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ
فَوَاللَّهِ لَا أَذْرِي أَبَا لَخْمَرٍ أَشْبَلَتْ
جُفُونِي أَمْ مِنْ عِبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ
وكقول صاحب بن عبّاد:

رَقُّ الزَّجَاجِ وَرَاقَتِ الْخَمْرِ
وَتَشَابُهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّما خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ
وَكأَنَّما قَدْحٌ وَلَا خَمْرُ

والتشابه عند الحلبي والنويري هو التناشب أي ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر، كقول النابغة:

وَالرِّفْقُ يُمْنٌ وَالْأَنَاةُ سَعَادَةٌ
فَاسْتَأْنِ فِي رِزْقِي تَنَالَ نَجَاحًا
وَالْيَأْسُ عَمَّا فَاتَ يُعْقِبُ رَاحَةً
وَلرَّبِّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذُبَاحًا

وقالا عن التناشب: «ويُسمَّى التشابه أيضًا، وقيل: التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة بل متقاربة في الجزالة والرقة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكسو اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد، بل يصاغان معًا صياغة تناسب وتلاؤم»^(٢).

تشابه الأطراف:

أطلقه المصري على التسيبغ^(٣) وقد تقدّم. ولكن القزويني عدّه من مراعاة النظر وقال: «ومن مراعاة النظر ما يُسمّى بعضهم «تشابه الأطراف» وهو أن يُختم الكلام بما يُناسب أوله في المعنى»^(٤). كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٥). فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئًا فإن من يدرك

شيئًا يكون خبيرًا به. ومن خفيّ هذا الضرب قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦). فان قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يوهم أن الفاصلة ﴿الغفور الرحيم﴾ ولكن إذا انعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز الحكيم.

وتابع القزويني شرح التلخيص^(٧) في ذلك، وهو ليس التسيبغ الذي تحدث عنه الآخرون. وتحدث المدني عن نوع سماه «تناسب الاطراف» وقال: هو «عبارة عن أن يتبدى المتكلم كلامه بمعنى ثم يختمه بما يناسب ذلك المعنى الذي ابتدأ به»^(٨). وهو الذي سمّاه القزويني وشرح التلخيص «تشابه الأطراف»، وسماه بعضهم «تشابه الاطراف المعنوي» قال المدني: «هو تطويل في العبارة فرأينا نحن تسميته بتناسب الاطراف أولى لمطابقتها لمساماه»^(٩). وقسمه الى لونين.

الأول: ظاهر كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾.

الثاني: خفي كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ...﴾.

(١) مفتاح العلوم ص ١٦٤، الايضاح ص ٢٤٢، التلخيص ص ٢٦٨، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤١٢، المطول ص ٣٣٥، الأطول ج ٢ ص ٩٥.

(٢) حسن التوسل ص ٢١٢، نهاية الارب ج ٧ ص ١٠٧، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٤.

(٣) تحرير التعبير ص ٥٢٠، بديع القرآن ص ٢٢٩.

(٤) الايضاح ص ٣٤٤، التلخيص ص ٣٥٤.

(٥) الأنعام ١٠٣.

(٦) المائدة ١١٨.

(٧) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٣، المطول ص ٤٢٠، الأطول ج ٢ ص ١٨٨.

(٨) أنوار الربيع ج ٤ ص ١٩٥.

(٩) أنوار الربيع ج ٤ ص ١٩٥.

اللغوي^(٧). ولكن المتأخرين فرّقوا بينهما وتحدّثوا عنهما تفصيلاً.

وكان القدماء قد أكثروا من استعمال كلمة «التشبيه» من غير أن يُعرفوه، فبشار بن برد يقول: «ونظرت إلى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت إليها بفكر جيد وغريزة قوية فأحكمت سبرها وانتقيت حرّها»^(٨). ويقول: «لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول:

كأنّ قلوب الطير رطبًا ويابسًا
لدى وكُرّها العنّاب والحشْفُ البالي
أعمل نفسي في تشبيه شيئين في بيت حتى قلت:
كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهوى كواكبُه^(٩)

وقال سيبويه: «تقول: «مررت برجل أسد أبوه» إذا كنت تريد أن تجعله شديدًا و«مررت برجل مثل الأسد أبوه» إذا كنت تشبهه»^(١٠).

وقال ابن سلام وهو يتحدث عن امرئ القيس: «وشبهه النساء بالظباء والبيض، وشبهه الخيل بالعقبان والعصي، وقيد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسب وبين المعنى». وقال عن ذي الرمة: «كان أحسن أهل طبقتة تشبيهاً وأحسن الاسلاميين

(١) أنوار الربيع ج ٣ ص ٤٥.

(٢) خزنة الأدب ص ١٠٢.

(٣) خزنة الادب ص ١٠٢، نفعات ص ٣٠٩، شرح الكافية ص ١٠٧.

(٤) حسن التوسل ص ٣٢٠، نهارة الارب ج ٧ ص ١٨١.

(٥) أنوار الربيع ج ٣ ص ٤٥.

(٦) اللسان (شبه).

(٧) المثل السائر ج ١ ص ٣٨٨.

(٨) العمدة ج ٢ ص ٢٣٩.

(٩) كتاب الأغاني ج ٣ ص ١٩٦.

(١٠) كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٨.

وهو ما ذكره القزويني في تشابه الاطراف. ولكن المدني عقد فصلاً سمّاه «تشابه الأطراف» وقال: «تشابه الاطراف عبارة عن أن يعيد الشاعر لفظته القافية في أول البيت الذي يليها فتكون الأطراف متشابهة. وسماه قوم «التسبيغ» - بالسین المهمله والغين المعجمة - والتسمية الأولى أولى^(١).

وقال الحموي: «هذا النوع الذي سمّوه تشابه الأطراف هو أيضا مثل المراجعة ليس في كل منهما كبير أمر، وتالله ما خطر لي يوما ولا حُسن في الفكر أن ألحق طرفاً من تشابه الاطراف بذيل من أبيات شعري، ولكن شروع المعارضة ملتزم»^(٢). وقال: «وهذا النوع كان اسمه التسبيغ - بسین مهمله وغين معجمة - وإنما ابن أبي الاصبغ قال هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى فسماه «تشابه الاطراف» فان الأبيات فيه تتشابه أطرافها»^(٣).

وكان الحلبي والنويري قد قالا عنه: «هو أن يجعل الشاعر قافية بيته الأول أول بيته الثاني وقافية الثاني أو الثالث وهكذا الى انتهاء كلامه»^(٤)، وهذا هو التسبيغ.

تَشَابُهُ الْأَطْرَافِ الْمَعْنَوِيّ:

هو تشابه الأطراف وقد تقدّم. قال المدني: «وهو تطويل في العبارة فرأينا نحن تسميته بتناسب الأطراف أولى لمطابقتة لمُسمّاه»^(٥).

التَّشْبِيه:

التَّشْبِيه والتَّشْبِيه: المِثْل، وأشبه الشيء: ماثلته، وأشبهت فلانا وشابهته وأشبهه عليّ، وتَشَابَهَ الشيئان واشتبهَا: أشبه كُلّ واحد منهما صاحبه، والتَّشْبِيه: التَّمْثِيل^(٦). أي أن اللغويين لم يُفرّقوا بين «التَّشْبِيه» و«التَّمْثِيل» وإلى ذلك ذهب بعض البلاغيين كالزمخشري وابن الأثير، ونعى الأخير على العلماء الذين فرّقوا بينهما وعقدوا لكل منهما بابا مع أنّهما شيء واحد ولا فرق بينهما في أصل الوضع

ذو الرِّمَّة»^(١).

وأداره الجاحظ كثيرًا في كتبه وقال في موازنته بين قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «الناس كلهم سواء كأسنان المشط»، وقول الشاعر:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى

لذي شبيهة منهم على ناشيء فضلًا

«وإذا حصّلت تشبيه الشاعر وحقيقته وتشبيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وحقيقته، عرفت فضل ما بين الكلامين»^(٢).

وترددت كلمة «التشبيه» عنده من غير أن يحدده أو يقسمه، وشأنها في ذلك شأن المصطلحات الأخرى التي ذكرها، ولعل المبرد كان من أوائل الذين فتحوا باب دراسة هذا الفن، قال: «واعلم أنّ للتشبيه حدًا فالأشياء تتشابه من وجوه وتباين من وجوه، وإنّما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع»^(٣).

وقال قدامة: «إنّ الشيء لا يشبه بنفسه لا بغيره من كل الجهات إذ كان الشئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغير البتة اتحدا فصار الاثنان واحدًا، فبقي أنّ يكون التشبيه إنّما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما وتوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها. وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد»^(٤).

وقال الرُّمّاني: «التشبيه هو العَقْدُ على أنّ أحد الشيئين يَشُدُّ مَسَدًا الآخر في حس أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أنّ يكون في القول أو في النفس»^(٥).

وقال العسكري: «التشبيه: الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه»^(٦).

ونقل الباقلاني تعريف الرُّمّاني وقال: «وأما التشبيه فهو العَقْدُ على أنّ أحد الشيئين يَشُدُّ مَسَدًا الآخر في

حس أو عقل»^(٧). وقال ابن رَشِيْق: «التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»^(٨).

وقال السَّكّاكي: «إنّ التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به، واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر»^(٩). ونقل ابن مالك هذا التعريف^(١٠)، وقال ابن الأثير: «التشبيه هو أنّ يثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به»^(١١).

وقال المصري: «التشبيه عبارة عن العَقْدِ على أنّ أحد الشيئين يَشُدُّ مَسَدًا الآخر في حال أو عقد. هكذا حدّ الرماني، وهذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره. وحدّ التشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف»^(١٢).

وقال ابن الأثير الحلبي: «حدّ التشبيه أنّ تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به قصدًا للمبالغة»^(١٣). وقال القزويني: «التشبيه الدلالة على مشاركة أمرٍ لآخر في معنى»^(١٤).

وقال العلوي بعد أنّ ذكر تعريف المطرزي

(١) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٥٥.

(٢) البيان ج ٢ ص ١٩.

(٣) الكامل ج ٢ ص ٧٦٦.

(٤) نقد الشعر ص ١٢٢.

(٥) النكت في اعجاز القرآن ص ٧٤.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٢٣٩.

(٧) إعجاز القرآن ص ٣٩٩.

(٨) العمدة ج ١ ص ٢٨٦.

(٩) مفتاح العلوم ص ١٥٧.

(١٠) المصباح ص ٥١.

(١١) المثل السائر ج ١ ص ٣٨٨، الجامع الكبير

ص ٩٠، كفاية الطالب ص ١٦٠، ١٦٤، التبيان

في البيان ص ١٤٣، شرح الكافية ص ١٨٤.

(١٢) تحرير التحبير ص ١٥٩، بديع القرآن ص ٥٨.

(١٣) جوهر الكنز ص ٦٠.

(١٤) الايضاح ص ٢١٣، التلخيص ص ٢٣٨.

يوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن^(٥). وحاولوا أن يعللوا سبب بحثه منفصلاً غير أنهم لم يدخلوه في علم البيان، وكان عليهم أن يُعَدُّوه فناً مستقلاً من فنون البلاغة وبذلك يريحون أنفسهم من عناء التعليل.

أما كونه مجازاً أو غير مجاز فقد اختلفوا فيه وذهب بعضهم إلى أنه ليس مجازاً، ولعل عبد القاهر كان من أوائل الذين صرّحوا بذلك فقال: «إنَّ كل متعاطٍ لتشبيهه صريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه، فاذا قلت: «زيد كالأسد» و«هذا الخبر كالشمس في الشهرة» و«له رأي كالسيف في المضاء» لم يكن نقل اللفظ عن موضوعه ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن لا يكون في الدنيا تشبيه الا وهو مجاز وهو محال؛ لأنَّ التشبيه معنى من المعاني وله حروف واسماء تدل عليه فاذا صرّح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه»^(٦). وتبعه في هذا الرأي الرازي والمطرزي والسكاكي وابن الزمكاني والحلبي والتويري والقزويني وشراح التلخيص^(٧)، وإلى ذلك أشار ابن قيم الجوزية بقوله: «وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة

والسكاكي: «التعريف الثالث هو المختار أن يُقال: هو الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها»^(١). وقال الزركشي: «هو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه. وقيل: أن تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به. وقيل: الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد كالطيب في المسك والضيء في الشمس والنور في القمر، وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة»^(٢). وقال السجلماسي: «هو القول المخيل وجود شيء في شيء»^(٣).

وهذه التعريفات وغيرها تؤدي إلى معنى واحد هو أنَّ التشبيه ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر. لكنَّ البلاغيين اختلفوا في هذه الصفة أو الصفات ومقدار اتفاقها واختلافها، فذهب قدامة إلى أنَّ أحسن التشبيه ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما التشبيه إلى حال الاتحاد، وإلى ذلك ذهب ابن رشيق لأنَّ المشبه لو ناسب المشبه به مناسبة كلية لكان إياه. وقال ابن سنان: «وإنما الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه وبالضد حتى يكون رديء التشبيه ما قلَّ شبهه بالمشبه به»^(٤). وقد يكون التشبيه أحسن إذا كثرت جهات الاختلاف ليكون مجال التخيل والتصور أبعد مدى ولكنَّ ينبغي أن لا يؤدي ذلك إلى الغموض والابهام.

واختلفوا في موقع هذا الفن من علم البيان وصلته بالمجاز، فمدرسة السكاكي لا تعدُّه من علم البيان وإنَّ بحثته فيه لأنَّ دلالاته وضعية، وعدُّه كثير من البلاغيين ركناً أساسياً في بحوث البيان. وذكر بعض من دار في فلك السكاكي أنَّ الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجود في التشبيه ولذلك فهو فن مستقل في علم البيان قصدًا وإن توقف عليه بعض أبوابه؛ لأنَّ توقف بعض الأبواب على بعض لا

(١) الطراز ج ١ ص ٢٦٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤١٤.

(٣) المنزح البديع ص ٢٢٠ المنصف ص ٥٠،

الروض المربع ص ١٠١.

(٤) سرّ الفصاحة ص ٢٩٠.

(٥) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٢٩٠، حاشية الدسوقي

ج ٣ ص ٢٩٠.

(٦) أسرار البلاغة ص ٢٢١.

(٧) نهاية الأيجاز ص ٧٧، الإيضاح في شرح

مقامات الحريري ص ٥، مفتاح العلوم ص ١٥٦،

التيان ص ٣٧، البرهان الكاشف ص ١٠٥ حسن

التّوَسُّل ص ١٢٥، نهاية الأرب ج ٧ ص ٤٩،

الإيضاح ص ٢١٢، التلخيص ص ٢٣٥، شرح

التلخيص ج ٣ ص ٢٥٦، المطوّل ص ٣٠٠،

الاطول ج ٢ ص ٥٠، نفعات ص ٢٥٩.

والحق أنَّ التشبيه مجاز؛ لأنه يعتمد على عقد الصلة بين شيئين أو أشياء لا يمكن أن تفسر على الحقيقة، ولو فسرت كذلك لأصبح كذبا، وهو الفن الكثير الاستعمال في كلام العرب. ويبدو أنَّ عدم الانتقال فيه من معنى إلى آخر كما في الاستعارة دعاهم إلى إخراجه من المجاز الذي هو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له أو إسناد أمر إلى آخر على سبيل التوسع.

وللتشبيه أربعة أركان هي: المُشَبَّه والمُشَبِّه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويُطلق على المُشَبَّه والمُشَبِّه به اسم «طَرَفِي التشبيه» وهما الركنان الأساسيان في التشبيه. وينقسم باعتبارهما إلى أربعة أقسام:

الأول: أن يكونا حِسِّيَّين، والمراد بالحسي ما يُدْرِك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة: البصر والسمع والشم والذوق واللمس. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ. كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾^(٧). وقول الشاعر:

وَكأنَّ أَجْرَامَ السَّمَاءِ لَوامِعًا
دُرَّرَ نُثْرُونَ عَلَى بِسَاطِ أَرْزَقِ

وقال الآخر:

كَأنَّ المُدَامَ وَصَوْبَ العَمَامِ
وَرِيحَ الخُزَامِي وَذَوْبَ العَسَلِ
يُعَلُّ بِهَا بَرْدُ أنْيَابِهَا
إِذَا النَجْمُ وَسَطَ السَّمَاءِ اعْتَدَلِ

وقول الآخر:

- (١) الفوائد ص ٥٤.
- (٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤١٥.
- (٣) الفوائد ص ٥٤.
- (٤) العمدة ج ١ ص ٢٦٨.
- (٥) المثل السائر ج ١ ص ٣٥٦، ٣٦٦.
- (٦) الطراز ج ١ ص ٢٦٦.
- (٧) الصفات ٤٨ - ٤٩.

وحذاقها إلى أنَّ التشبيه ليس من المجاز؛ لأنه معنى من المعاني وله حروف وألفاظ تدل عليه^(١) وقال الزركشي: «والمحققون على أنه حقيقة. قال الزنجاني في المعيار: التشبيه ليس بمجاز لأنه معنى من المعاني وله ألفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل لأنه كالأصل لهما وهو كالفرع له. والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيانين هو الذي يجيء على حد الاستعارة. وتوسط الشيخ عز الدين فقال: إن كان بحرف فهو حقيقة أو بحذفه فهو مجاز بناءً على أنَّ الحذف من باب المجاز»^(٢).

وذهب آخرون إلى أنه مجاز، وإلى ذلك أشار ابن قيم الجوزية بقوله: «والذي عليه جمهور أهل الصناعة أنَّ التشبيه من أنواع المجاز، وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير إليه»^(٣). ولعل ابن رشيق أشهر من صرَّح بذلك فقال: «وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلان المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا الحقيقة»^(٤).

وقرَّر ابن الاثير أنَّ المجاز قسمان: تَوْشَع في الكلام وتشبيه، والتشبيه ضربان: تشبيه تام وتشبيه محذوف وهو الاستعارة، ثم قال: «وإن شئت قلت: إنَّ المجاز ينقسم إلى توسع في الكلام وتشبيه واستعارة، ولا يخرج عن أحد هذه الأقسام الثلاثة، فأين وجد كان مجازاً». ثم قال: «ألا ترى أنَّه إذا وُجِد التشبيه وَحْدَهُ كان ذلك مجازاً»^(٥). وحسم العلوي الموضوع بعد أن تحدث عن التشبيه فقال: «والمختار عندنا كونه معدوداً في علوم البلاغة لما فيه من الدقة واللطافة ولما يكتسب به اللفظ من الرونق والرشاقة ولاشماله على إخراج الخفي وإدناؤه البعيد من القريب، فأما كونه معدوداً في المجاز أو غير معدود فالأمر فيه قريب من قريب بعد كونه من أبلغ قواعد البلاغة وليس يتعلق به كبير فائدة»^(٦).

أما أداة التشبيه فهي اللفظة التي تدل على المماثلة والمشاركة^(٥)، وهي ثلاثة أنواع:

الأول: أسماء وهي: مثل وشبه وشبيه ومثيل وغيرها، ومثالها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهِ صِرٌّ﴾^(٦)، وقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(٧).

الثاني: أفعال وهي: حَسِبَ وخَالَ وَظَنَّ ويشبهه وتشابه وغيرها، ومثالها قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾^(٨)، وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(٩).

الثالث: حروف وهي بسيطة كالكاف في قوله تعالى: ﴿كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾^(١٠). أو مركبة وهي «كأن» ومثالها قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾^(١١). وأما وجه الشبه فهو الوصف المشترك بين المشبه والمشبه به تحقيقاً أو تخيلاً فالتحقيقي كتشبيه الشعر بالليل في السواد والتخييلي كتشبيه السيرة بالمسك والاخلاق بالعنبر.

ووجه الشبه قد يكون واحداً حسياً كالنعومة في تشبيه البشر بالحريز، أو واحداً عقلياً كالهداية في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». أو متعدداً كقول أبي بكر الخالدي:

(١) العنكبوت ٤١.

(٢) إبراهيم ١٨.

(٣) نهاية الأيجاز ص ٥٩، وينظر البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٢٠.

(٤) نهاية الأيجاز ص ٦٠.

(٥) ينظر الجمان في تشبيهات القرآن ص ٤٣.

(٦) آل عمران ١١٧.

(٧) البقرة ١٧.

(٨) النور ٣٩.

(٩) طه ٦٦.

(١٠) إبراهيم ١٨.

(١١) الصافات ٦٥.

لها بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ

رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ

الثاني: أن يكونا عقليين لا يدرك واحد منهما بالحس بل العقل كتشبيه العلم بالحياة والجهل بالموت والفقر بالكفر.

الثالث: تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾^(١). وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾^(٢).

الرابع: تشبيه المحسوس بالمعقول ومنعه بعضهم لأنَّ العقل مستفاد من الحس، قال الرازي: «إنه غير جائز لأنَّ العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها ولذلك قيل: مَنْ «فَقَدَ حِسًّا فَقَدَ فَقَدَ عِلْمًا». وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز، ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك بالطيب فقال: «الشمس كالْحُجَّةِ فِي الظهور» و«المسك كأخلاق فلان في الطيب» كان سخيفاً من القول»^(٣).

وأجازه بعضهم، ومن أمثلته قول القاضي التنوخي:

وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا

سُنُنٌ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

وقول أبي طالب الرقي:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ

يَوْمُ النُّوَى وَفَوَّادٌ مِنْ لَمْ يَعَشَقِ

وقول الآخر:

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ أَمْلِي فِي

لِكَ وَقَدْ رُحْتُ عَنْكَ بِالْحِزْمَانِ

وعَلَّلَ الرَّازِي حُسْنَ هَذِهِ التَّشْبِيهَاتِ بِقَوْلِهِ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَجْهَ الْحَسَنَ فِي هَذِهِ التَّشْبِيهَاتِ أَنَّ يَقْدِرَ الْمَعْقُولُ مُحْسُوسًا وَيَجْعَلُ كَالْأَصْلِ فِي ذَلِكَ الْمَحْسُوسَ عَلَى طَرِيقِ الْمَبَالِغَةِ وَحِينَئِذٍ يَصْحُحُ التَّشْبِيهُ»^(٤).

وَتَرَكُ المشبه وأداة التشبيه، وتَرَكُ وجه الشبه، وتَرَكُ المشبه ووجه الشبه، وتَرَكُ أداة التشبيه ووجهه، وإفراد المشبه به بالذكر. والمرتبة السابعة وهي حذف وجه الشبه والأداة أبلغ الجميع، وَسَمَّوْا هذه المرتبة «التشبيه البليغ».

وللتشبيه أغراض كثيرة ذكرها البلاغيون^(٨)، فمما يرجع الى المشبه منها: بيان أن وجود المشبه ممكن، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى اقتناعه كما في قول المتنبي:

فِيَا تَفَقَى الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
فِيَا المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ

وبيان حاله كما في قول الهذلي:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذَكَرَاكِ هِزَّةً
كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَلَةَ القَطْرِ

وبيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة كقول الشاعر:

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةِ كَقَابِضٍ
عَلَى المَاءِ خَانَتَهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ

وتقرير حاله في نفس السامع كقول الشاعر:

(١) نهاية الأيجاز ص ٦٥، مفتاح العلوم ص ١٥٩،
الإيضاح ص ٢٢٠.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٢٤٢، تحرير التحرير
ص ١٥٩، ١٦١، بديع القرآن ص ٥٨، البرهان
في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٢٢، معترك ج ١
ص ٢٧٢.

(٣) النور ٣٩.

(٤) القمر ١٩ - ٢٠.

(٥) العنكبوت ٤١.

(٦) الرحمن ٢٤.

(٧) التوبة ١٩.

(٨) العمدة ج ١ ص ٢٨٧ أسرار البلاغة ص ١٠١،
مفتاح العلوم ص ١٥٧، المثل السائر ج ١
ص ٣٩٦، الإيضاح ص ٢١٥ وغيرها من الكتب
التي تعرضت للتشبيه.

يَا شَبِيهَ البَدْرِ حُسْنًا
وَضِيَاءً وَمَنَالًا
وَشَبِيهَ العُضُنِ لِينًا
وَقَوَامًا وَاَعْتِدَالًا
أَنْتَ مِثْلُ الوَزْدِ لَوْنًا
وَنَسِيمًا وَمَلَالًا
زَارِنَا حَتَّى إِذَا مَا
سَرَّنا بِالقُرْبِ زَالًا

وقد خاض القدماء في مسائل عقلية حينما تعرضوا لوجه الشبه، وكان حديثهم عنه لا يمس الجانب الأدبي متاقويا^(١).

ويقع التشبيه على وجوه منها^(٢):

الاول: إخراج ما لا يقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾^(٣).

الثاني: إخراج مما لم تَجْرِبْ به العادة الى ما جرت به كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ. تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾^(٤).

الثالث: إخراج ما لا يعرف بالبديهة الى ما يعرف بها كقوله تعالى: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾^(٥).

الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة الى ماله قوة فيها كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الجَوَارِ المُنشآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾^(٦).

الخامس: إخراج الكلام مخرج الإنكار كقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَشْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؟﴾^(٧).

ومراتب التشبيه في القوّة والضعف في المُبالغة باعتبار ذكر أركانها كلها أو بعضها ثمان هي: ذكُرُ الأركان الأربعة، وتَرَكُ المشبه، وتَرَكُ أداة التشبيه،

يقصده الشاعر في ضميره هو نفس هذا التشبيه»^(٣)،
كقول المتنبي:

ومن كُنتَ بحرًا له يا عليّ
لم يقبل الدرّ إلا كبارا
فقد بدا من ظاهر البيت أنّ المقصود هو طلب الدر
الثمين في حين أنّ مقصود الشاعر تشبيه الممدوح
بالبحر.

ومنه قول الوطواط نفسه:

إنّ كان وَجْهُكَ شَمْعًا
فما لجسمي يذوبُ
ظاهر البيت يوحي أنّه يتعجب من ذوبان جسده في
حين أنّ مقصوده الذي يضمّره هو تشبيه وجه
المعشوق بالشمع.
ومنه قوله أيضًا:

وأمرع آمالي بفيضِ يمينه
وهل تُجذبُ الآفاقُ والغيثُ هاطلُ
وقال الحلبي والنويري: «هو أنّ يكون مقصوده التشبيه
بشيء فدلّ ظاهر لفظه أنّ مقصوده غيره»^(٤)، ومثاله
بيت المتنبي: «ومن كنت...»

التشبيه البعيد:

هو التشبيه الذي يحتاج الى تفسير ولا يقوم بنفسه،

(١) الايطلان: الكشحان وهو ما بين آخر الضلوع
الى الورك. السرحان: الذئب. التتفل: ولد
الثعلب.

(٢) حسن التوسل ص ١٢٠، نهاية الارب ج ٧
ص ٤٦، تحرير التحبير ص ١٦٣، شرح عقود
الجمان ص ٨٧. والعناب: شجر حبه يشبه
الزيتون واجوده الاحمر.

(٣) حدائق السحر ص ١٤٧.

(٤) حسن التوسل ص ١١٨، نهاية الارب ج ٧
ص ٤٤، وينظر شرح عقود الجمان ص ٩١.

إنّ القلوبَ إذا تنافر وُدّها
مثلُ الرجاجة كَسْرُها لا يُشعَبُ
وتزيينه للترغيب كقول ابن الرومي:

تقول هذا مُجارجِ النخلِ تَمْدَحُهُ
وإنّ تَعِبَ قلت: ذا قيءُ الزنابيرِ
واستطرفه كقول أبي تمام:

يرى أَقْبَحَ الأشياءِ أوبَةَ أملٍ
كَسَتْهُ يَدُ المأمولِ حُلَّةَ خائبٍ
وأَحْسَنُ من نَورِ تفتحه الصبّا
بياضِ العطايا في سوادِ المطالبِ

وأغراض التشبيه الراجعة الى المشبه به تكون في
الغالب إيهام أنّ المشبه به أتم من المشبه في وجه
الشبه، وذلك في التشبيه المقلوب كقول محمد بن
وهيب:

وبدا الصبايح كأنّ غُرَّتَهُ
وَجْهَ الخليفةِ حين يُمْتَدِّحُ

والتشبيه أنواع كثيرة، ومن هذه الأنواع التي ذكرتها
المصادر القديمة:

تشبيه أربعة بأربعة:

هو أنّ تُشَبَّه أربعة أشياء بأربعة أشياء كقول امرئ
القيس:

له أَيْطَلَا ظَبْيِي وَساقا نَعامَةٍ
وإِرْحاءِ سَرْحانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفَلٍ^(١)
وكقول أبي نواس:

تَبْكِي فَتُدْرِي الدُرَّ من نَرَجِسٍ
وَتَلْطِمْ الوَرْدَ بَعْنابٍ^(٢)

تشبيه الإضمار:

قال الوطواط: «تشبيه الاضمار وتكون هذه الصفة
بأن يشبه الشاعر شيئًا بشيء آخر بحيث يبدو من ظاهر
العبارة أنّ المقصود شيء آخر وليس هذا التشبيه بينما

قال المبرد: «وهو أحسن الكلام»^(١) ومنه قول الشاعر:

بل لو رأني أختُ جيراننا

إذ أنا في الدار كأني حمار

قال: المُبرّد: «فإنما أراد الصّحّة فهذا بعيد لأنّ السامع إنّما يستدلّ عليه بغيره، وقال الله - عز وجل - وهذا البين الواضح: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٢) والسفر: الكتاب. وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾^(٣) في أنّهم قد تعاموا عليها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيتها حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها»^(٤).

وقال ابن طباطبا: «ومن التشبيهات البعيدة التي لم يلطف أصحابها فيها ولم يخرج كلامهم في العبارة عنها سلسًا قول النابغة:

تُخْدي بهم أذمّ كأنّ رحالها

عَلَقَ أريقَ على مُتونِ صِوارِ»^(٥)

وقول النابغة الجعدي:

كأنّ حجّاجٍ مقلتها قليبٌ

من السّقيين يُخْلِيفُ مُستقاها»^(٦)

والحجّاج لا يغور لأنّه العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب»^(٧).

وقال الرازي: «وأما الغريب فهو الذي تحتاج في إدراكه الى دقة نظر وقوة فكر مثل تشبيه الشمس بالمرأة في كف الأشلّ كقوله: «والشمسُ كالمرأة في كَفِّ الأشلّ». وتشبيه البرق باصبع السارق في قول كشاجم:

أرقت أم نمت لضوءٍ بارقٍ

مؤتلقٍ مثل فؤادِ العاشقِ»^(٨)

وقال القزويني: «والبعيد الغريب هو ما لا ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه في بادئ الرأي»^(٩). وسبب خفائه أمران:

الأول: كونه كثير التفصيل كتشبيه الشمس بالمرأة

في كف الأشلّ.

الثاني: ندور حضور المشبه به في الذهن لبعده المناسبة بينه وبين المشبه أو لكونه وهميًا أو مركبا خياليا أو مركبا عقليا. مثل تشبيه البنفسج بنار الكبريت في قول الشاعر:

ولا زورديّة تزهو بزرقتها

بين الرياضِ على حُمُرِ اليواقيتِ»^(١٠)

كأنّها فوق قاماتٍ ضَعُفْنَ بها

أوائلُ النارِ في أطرافِ كبريتِ

وتشبيه نصال السهام بأنياب الاغوال كما في قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرقيّ مُضاجعي

ومَسْنونَةٌ زُرُقٌ كأنيابِ اغوالِ

التشبيه البليغ:

هو التشبيه الذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه، وسموا مثل هذا بليغًا لما فيه من اختصار من جهة وما فيه من تصوير وتخيل من جهة أخرى؛ لأنّ وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب وفتح

(١) الكامل ج ٣ ص ٨٥٣.

(٢) الجمعة ٥.

(٣) الجمعة ٥.

(٤) الكامل ج ٣ ص ٨٥٧.

(٥) تخدي: تمشي. الأدم: الابل العتاق. الصوار: جماعة بقر الوحش.

(٦) الحجّاج: العظم المستدير حول العين. القليب: البئر. السقيين على لفظ تثنية سقب موضع في ديار بني جعدة. يخلف: يستقى والاختلاف: الاستقاء.

(٧) عيار الشعر ص ٨٩، الموشح ص ١٢٩.

(٨) نهاية الايجاز ص ٧١.

(٩) الايضاح ص ٢٥٣، التلخيص ص ٢٨٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٤٨، المطول ص ٣٤٢، الاطول ج ٢ ص ١٠٤.

(١٠) اللازوردية: البنفسجية.

تشبيه التسوية، وتكون هذه الصفة بأن يأخذ الشاعر صفة من صفاته وصفة من صفات مقصوده ويشبه الاثنين بشيء واحد لأنهما من قبيله»^(٥). ومنه قول الوطواط نفسه:

صُدَّعُ الحبيب وحالي
كلاهما كالليالي
ثغوره في صفاء
وأدمعي كالآلي

وقال الحلبي والنويري: «هو أن يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة من الصفات المقصودة ويشبههما بشيء واحد»^(٦). وذكر البيتين السابقين.

تشبيه التفضيل:

قال الوطواط: «تشبيه التفضيل، وتكون هذه الصنعة بان يشبه الشاعر شيئاً بشيء آخر ثم يعود فيفضل المشبه على المشبه به»^(٧) كقول الشاعر:

حَسِبْتُ جَمَالَه بَدْرًا مُضِيئًا
وأين البدرُ من ذاك الجَمالِ؟

وقول أبي الفرج هندو:

من قاسَ جَدْوَاك بالغمام فما
أَصْفَ في الحُكْمِ بين هذينِ

(١) تحرير التعبير ص ١٥٩.

(٢) الايضاح ص ٢٥٩، التلخيص ص ٢٨٥.

(٣) أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٤) نهاية الايجاز ص ٥٩، وينظر البرهان ج ٣ ص ٤٢٠.

(٥) حدائق السحر ص ١٤٤.

(٦) حسن التوسل ص ١١٧، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٣، وينظر الايضاح ص ٢٤٨، التلخيص

ص ٢٧٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٢٩،

المطول ص ٣٣٨، الاطول ج ٢ ص ٩٨، شرح

عقود الجمان ص ٨٧.

(٧) حدائق السحر ص ١٤٨.

باب التأويل، وفي ذلك ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيراً. قال المصري: «حدُّ التشبيه البليغ إخراج الأغمض الى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف»^(١).

وَعَدَّ القزويني البعيد من البليغ لغرابته ولأنَّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق اليه كان نيله أحلى وموقعه من النفس ألطف. وليس البعد في التشبيه هو التعقيد لأنَّ التعقيد سوء ترتيب الالفاظ واختلال الانتقال من المعنى الأول الى المعنى الثاني^(٢).

التَّشْبِيه التَّخْيِيلِي:

عَدَّ المدني التخييلي الذي يكون وجه الشبه فيه لا يوجد إلا على سبيل التخييل مثل قول القاضي التنوخي:

وكأنَّ النجومَ بين دُجاها

سُننٌ لاحَ بينهنَّ ابتداءً

وقول أبي طالب الرقي:

ولقد ذَكَرْتُكَ والظلامُ كأنَّه

يَوْمُ النَّوى وفؤادُ من لم يَعشَقِ

وقول الآخر:

ربِّ ليلٍ كأنَّه أَملي فيـ

لك وقد رُحْتُ منك بالحرمان^(٣)

وهو تشبيه المحسوس بالمعقول الذي قال عنه الرازي: «إنَّه غير جائز لأنَّ العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتية اليها ولذلك قيل: «من فَقَدَ حسًّا فَقَدَ فَقَدَ علماً». وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك بالطيب فقال: «الشمس كالحجة في الظهور» و«المسك كأخلاق فلان في الطيب» كان سخيفاً من القول»^(٤).

تَشْبِيه التَّسْوِيَةِ:

هو تعدد المشبه دون المشبه به، قال الوطواط:

أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا

وهو إذا جادَ دامعُ العينِ

وقال الحلبي والنويري: «هو أن تشبه شيئًا بشيء ثم ترجع فترجع المشبه على المشبه به»^(١). وذكر الأبيات السابقة.

التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِي:

تحدث أبو عبيدة عن التمثيل وهو عنده التشبيه أو تشبيه التمثيل، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾^(٢): «ومجاز الآية مجاز التمثيل؛ لأنَّ ما بَنَوَهُ عَلَى التَّقْوِيلِ أَثْبَتَ أُسَاسًا مِنَ الْبِنَاءِ الَّذِي بَنَوَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ فَهُوَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ، وَهُوَ مَا يَجْرَفُ مِنَ سِيُولِ الْأَوْدِيَةِ فَلَا يَثْبِتُ الْبِنَاءَ عَلَيْهِ»^(٣) وليس في هذا التفسير ما يعطي الفرق الواضح بين اللونين، ولعل قدامة كان أول من عدَّ التمثيل مخالفًا للتشبيه وهو عنده من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى. قال: «هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلامًا يدلُّ على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبثان عما أراد أن يشير إليه»^(٤). ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة:

أَلَمْ تَكُ فِي يُمْنِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي

فَلَا تَجْعَلْتَنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكََا

وَلَوْ أَنِّي أُذْنِبْتُ مَا كُنْتُ هَالِكًا

عَلَى خَصْلَةٍ مِنْ صَالِحَاتِ خِصَالِكََا

وقال قدامة أيضًا: «والتمثيل أن يراد الإشارة إلى معنى فتوضع ألفاظ تدلُّ على معنى آخر وذلك المعنى وتلك الألفاظ مثال للمعنى الذي قصد بالإشارة إليه والعبارة عنه. كما كتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد حين تلكأ عن بيعته: «أما بعد فإنني أراك تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيِّهِمَا شِئْتَ وَالسَّلَامُ». فهذا التمثيل من الموقع ما ليس له لو قصد للمعنى بلفظه الخاص حتى لو أنه قال مثلاً: «بلغني تلكؤك عن بيعتي فإذا أتاك كتابي هذا فبايع أو، لا». لم يكن لهذا اللفظ من العمل في المعنى بالتمثيل

ما لما قدّمه»^(٥).

وهذا ما سماه القزويني «المجاز المركب» وقال إنه «اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه»^(٦) وذكر عبارة يزيد بن الوليد مثلاً له.

وَفَسَّرَ ابْنُ سِنَانِ التَّمْثِيلَ كَمَا فَسَّرَهُ قَدَامَةُ وَذَكَرَ أَمْثَلَهُ^(٧)، وَهُوَ عِنْدَهُ مِنْ نَعَوَاتِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ. وَفَسَّرَهُ الْمِصْرِيُّ مِثْلَ هَذَا التَّفْسِيرِ^(٨) وَأَلْحَقَ بِهِ مَا يَخْرُجُ مِنَ التَّمْثِيلِ الْمِثْلِ السَّائِرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾^(٩)، وَقَوْلِهِ النَّابِغَةُ الذِّيَابِيُّ:

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلُمُّهُ

عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبِ

والتمثيل هو المماثلة عند بعضهم كالعسكري الذي ذكر بعض أمثلة قدامة في التمثيل^(١٠). والباقلاني الذي قال: «ومما يُعَدُّونَهُ مِنَ الْبَدِيعِ الْمِمَّاثِلَةِ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْاسْتِعَارَةِ سَمَّاهُ قَدَامَةُ التَّمْثِيلِ»^(١١)، والسجلماسي الذي قال: «المماثلة وهي المدعوة أيضا التمثيل»^(١٢).

والتمثيل عند ابن رشيق من ضروب الاستعارة وهو المماثلة^(١٣)، وقد قال: «والتمثيل والاستعارة من

(١) حسن التوسل ص ١١٩، نهاية الأرب ج ٧

ص ٤٤، وينظر شرح عقود الجمان ص ٩١.

(٢) التوبة ١٠٩.

(٣) مجاز القرآن ج ١ ص ٢٦٩.

(٤) نقد الشعر ص ١٨٢.

(٥) جواهر الألفاظ ص ٧.

(٦) الإيضاح ص ٣٠٤، التلخيص ص ٣٢٢.

(٧) سِرِّ الْفَصَاحَةِ ص ٢٧٣.

(٨) تحرير التحبير ص ١١٤، بديع القرآن ص ٨٥.

(٩) النجم ٥٨.

(١٠) كتاب الصناعتين ص ٣٥٣.

(١١) إعجاز القرآن ص ١١٩.

(١٢) المنزح البديع ص ٢٤٤.

(١٣) العمدة ج ١ ص ٢٨٠.

التشبيه إلا انهما بغير أدواته وعلى غير أسلوبه».

وكان عبد القاهر من أوائل الذين وضعوا حدًا واضحًا بين التشبيه والتمثيل حينما قسم التشبيه الى ضربين:

أحدهما: أن يكون تشبيه الشيء بالشيء من جهة أمر بيّن لا يحتاج فيه الى تأويل، وهذا هو التشبيه الأصلي.

ثانيهما: أن يكون التشبيه محصلًا بضرب من التأويل، وهذا هو التشبيه التمثيلي، او التمثيل.

ولذلك فكل تشبيه يكون الوجه فيه حسيًا مفردًا أو مركبًا أو كان من الغرائز والطباع العقلية الحقيقية هو «تشبيه غير تمثيلي»، وكل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليًا مفردًا أو مركبًا غير حقيقي ومحتاجا في تحصيله الى تأويل هو «تشبيه تمثيلي»، وهذا هو الفرق بين الضربين وإن كان الأول عاما والثاني خاصا، ولذلك قال: «كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً»^(١).

ومن التشبيه قول الشاعر:

وقد لاح في الصُّبْحِ الثريا لمن رأى

كعنقودٍ مُلأحيةٍ حينَ نُورًا

ولا يحتاج هذا البيت الى تأويل لأنه ظاهر، أما التمثيل فهو بخلاف ذلك، ومنه قول ابن المعتز:

اصبرْ على مَضَضِ الحَسو

دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

فالنار تأكلُ بَعْضُهَا

إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

وقول صالح بن عبد القدوس:

وإنَّ مَنْ أَدْبَتَهُ فِي الصُّبَا

كالعُودِ يُسْقَى المَاءَ فِي غَرْسِهِ

حتى تراه مُورِقًا ناضِرًا

بعد الذي أَبْصَرَتْ مِنْ يُبْسِهِ

وهذه الأبيات تحتاج الى تأويل ولا يمكن أن تفهم الصلة بين الأطراف إلا بضربٍ من التأمل. والتمثيل

الذي أولى أن يسمى كذلك ما لا يحصل إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى كأن التشبيه كلما أوغل في كونه عقليًا محضًا كانت الحاجة الى الجملة أكثر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

والتمثيل عند السكاكي هو ما كان وجه الشبه فيه عقليًا غير حقيقي وكان مركبًا، قال: «واعلم أن التشبيه متى كان وجهه غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل»^(٣) كقول ابن المعتز: «اصبر على مضمض...» وقول صالح بن عبد القدوس: «وإنَّ مَنْ أَدْبَتَهُ...».

والتمثيل عند القزويني ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد أي من أمرين أو أمور سواء كان ذلك التعدد متعلقًا بأجزاء الشيء الواحد أم لا، قال: التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور»^(٤).

وقال الدسوقي: «التمثيل هو هيئة مأخوذة من متعدد سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين، أو كان أحدهما مفردًا والآخر مركبًا، وسواء كان ذلك الوصف المنتزع حسيًا بأن كان منتزعا من حسي أو عقليا أو اعتباريا وهميا، وهذا مذهب الجمهور»^(٥). ولذلك فكل تمثيل عند السكاكي تمثيل عند القزويني والجمهور، وليس كل تمثيل عندهم تمثيلاً عند السكاكي، فبين المذهبين عموم وخصوص.

(١) أسرار البلاغة ص ٨٤، ويُنظر الإيضاح في شرح مقامات الحريري ص ٧.

(٢) يونس ٢٤.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٦٤.

(٤) الإيضاح ص ٢٤٩، التلخيص ص ٢٧٤.

(٥) حاشية الدسوقي ج ٣ ص ٤٣٢.

ومن أمثلة التمثيل عند القزويني والجمهور أبيات
ابن المعتز وابن عبد القدوس وقول بشار:

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا
وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
ووجه الشبه في البيت جسي وإن كان مركبا.

وقد يكون التمثيل على سبيل الاستعارة، وإذا كثر
استعماله سُمِّيَ مثلاً كقول بشار:

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبُهُ

وقول أبي تمام:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ
طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ

مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ

ولورود الأمثال على سبيل الاستعارة لا تغير، أي
انها تستعمل كما وردت من غير التفات الى المخاطب
أو الموضوع.

تَشْبِيهِ التَّوْلِيدِ:

ذكر المصري لونا من التشبيه فقال: «والنوع الآخر
من التشبيه هو الذي يُسَمَّى تشبيه التوليد والتمثيل
كقول الكميت:

أَخْلَامُكُمْ لِسْقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ
كَمَا دَمَاؤُكُمْ يُشْفَى بِهَا الْكَلْبُ^(١)

تَشْبِيهِ ثَلَاثَةٍ بِثَلَاثَةٍ:

هو أن تشبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء^(٢) كقول
المرقش:

النَّشْرُ مِشْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا
نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأُكْفِ عَنَمٌ

وقول البحتري:

كَالسَيْفِ فِي إِخْذَامِهِ وَالغَيْثِ فِي
إِرْهَامِهِ وَاللَيْثِ فِي إِقْدَامِهِ
وقول بعضهم:

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَعُضْنٌ
شَعْرٌ وَوَجْهٌ وَقَدُّ
خَمْرٌ وَدَرْ وَوَرْدٌ
رَيْقٌ وَتَغْرٌ وَخَدُّ

تَشْبِيهِ ثَمَانِيَةٍ بِثَمَانِيَةٍ:

وهو تشبيه ثمانية أشياء بثمانية أشياء كقول
بعضهم:

خُدُودٌ وَأَصْدَاغٌ وَقَدُّ وَمُقَلَّةٌ
وَتَغْرٌ وَأَرِيَاقٌ وَلَحْنٌ وَمَعْرَبٌ
وَوَرْدٌ وَسُوسَانٌ وَبَانٌ وَنَزْجِسٌ
وَكَأْسٌ وَجِرْيَالٌ وَجَنْكٌ وَمَطْرَبٌ^(٣)

تَشْبِيهِ الْجَمْعِ:

هو تعدد المشبه به دون المشبه كقول
البحتري:

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو
مُنْضُدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاحٍ
وقول امرئ القيس:

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ
وَرِيحَ الْخُزَامِيِّ وَنَشْرَ الْقَطْرِ

(١) تحرير التحبير ص ١٦٥.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٢٥٠، العمدة ج ١
ص ٢٩٢، حسن التوسل ص ١٢٠، نهاية
الارب ج ٧ ص ٤٦.

(٣) شرح عقود الجمان ص ٨٧.

يُعَلُّ بِهَا بَرْدُ أَنْيَابِهَا

إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمَسْتَجِرَ^(١)

التشبيه الجيد:

هو التشبيه الخارج عن التعدي والتقصير كقول امرئ القيس:

إِذَا مَا الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ

تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوَشَاحِ الْمَفْصَلِ

وقول الكميت:

تُشَبِّهَ فِي الْهَامِ آثَارَهَا

مَشَافِرَ قَرْحَى أَكْلَنَ بَرِيرَا^(٢)

التشبيه الحسن:

عدُّ المبرد من التشبيه الحسن قول جرير في صفة الخيل:

يَشْتَفَنَ لِلنَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّمَا

إِرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ الْأَشْطَانِ^(٣)

ومنه قول عنترة:

غَادِرْنَ نَضْلَةَ فِي مَعْرَكِ

يَجْرُ الْأَسْنَةَ كَالْمَحْتَطَبِ^(٤)

وعُدُّوا من التشبيه الحسن قول امرئ القيس:

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا

وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ^(٥)

التشبيه الحسي:

قال القزويني: «الحسي: المدرك هو أو مادته باحدى الحواس الخمس الظاهرة»^(٦) كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ. كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾^(٧). وقول الشاعر:

لَهَا بَشْرٌ مِثْلَ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ

رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ

تشبيه خمسة بخمسة:

هو تشبيه خمسة أشياء بخمسة أشياء كقول الواواء الدمشقي:

قَالَتْ مَتَى الْبَيْتُ يَا هَذَا فَقُلْتُ لَهَا

إِمَّا عَدَا زَعَمُوا أَوْ لَا فَبَعْدَ غَدِ

فَأَمْطَرْتُ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَّتْ

وَزَدَا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ^(٨)

قال العسكري عن البيت الثاني: «ولا أعرف لهذا البيت ثانيًا في أشعارهم»^(٩).

التشبيه الخيالي:

هو التشبيه المعدوم الذي فرض مجتمعًا من عدة أمور، كل واحد منها يدرك بالحس، أو هو كما قال الحلبي: «تشبيه الموجود بالمتخيل الذي لا وجود له في الأعيان»^(١٠) كقول الشاعر:

(١) الإيضاح ص ٢٤٨، التلخيص ص ٢٧٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٣٠، المطول ص ٣٣٨، الأطول ج ٢ ص ٩٨، شرح عقود الجمان ص ٨٧.

(٢) قواعد الشعر ص ٣١، البرير: نبات ذو شوك.

(٣) يشتفن ويتشوفن بمعنى واحد أي يتناولن وينظرن. وقوله: «كانما إرنانها...» اراد شدة سهيلها كانما يصهلن في آبار واسعة تبين أشطانها - حبالها - عن نواحيها.

(٤) الكامل ج ٢ ص ٧٥٨، ج ٣ ص ٨٣٨.

(٥) إعجاز القرآن ص ١٠٩.

(٦) الإيضاح ص ٢١٩، التلخيص ص ٢٤٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ٣١٤، المطول ص ٣١٢، الأطول ج ٢ ص ٦٧.

(٧) الصفات ٤٨ - ٤٩.

(٨) العمدة ج ١ ص ٢٩٤، تحرير التحرير ص ١٦٤، حسن التوسل ص ١٢٠، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٦، شرح عقود الجمان ص ٨٧.

(٩) كتاب الصناعتين ص ٢٥١.

(١٠) حسن التوسل ص ١١١.

وكانَّ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ
أَعْلَامُ ياقوتِ نُشْرُونَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبْرَجْدٍ^(١)

وقول الآخر:

كُنَّا بَاسِطُ اليَدِ
نحو نيلوفرِ نَدِي
كدبابيسِ عَشَجِدِ
فُضِبَها مِنْ زَبْرَجِدِ^(٢)

وأدخلوا هذا النوع في تشبيه الحسي بالحسي؛ لأنَّ أجزاءه مدركة بالحس وإن كانت الصورة كلها غير موجودة^(٣). وفَرَّقُوا بينه وبين الوهمي فقال العلوي: «والتفرقة بين الأمور الخيالية والأمور الموهومة هو أنَّ الخيال أكثر ما يكون في الأمور المحسوسة، فاما الأمور الوهمية فانما تكون في المحسوس وغير المحسوس مما يكون حاصلًا في الوهم وداخلًا فيه»^(٤).

تَشْبِيهِ سَبْعَةٍ بِسَبْعَةٍ:

وهو أن يكون تشبيه سبعة أشياء بسبعة أشياء كقول القاضي نجم الدين بن البارزي:

يُقَطَّعُ بالسكِّينِ بطيخةً ضُحَى
على طَبَقٍ في مجلسٍ لَانَ صاحِبُهُ
كشمسٍ ببرقٍ قد بدا وأهله
لدى هالةٍ في الأفقِ شَتَّى كواكِبُهُ^(٥)

تَشْبِيهِ سِتَّةٍ بِسِتَّةٍ:

هو تشبيه ستة أشياء بستة أشياء كقول ابن جابر:

إن شئت ظيبيًا أو هلالًا أو دجى
أو زهر غصن في الكثيب الأملد
فللحظها ولوجهها ولشعرها
ولخديها والقدر والردف أقصد^(٦)

تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ:

وهو أن يشبه شيء واحد بأربعة أشياء كقول الحلبي:

يفترّ طِرْشُكَ عن سطورٍ جادها الـ
فِكْرُ السليمِ بَصُوبِ مِسْكِ أَذْفَرِ
فكأنما هو رَوْضَةٌ أو جَدُولُ
أو سِمَطٌ دَرٌّ أو قِلادةٌ عَنَبِرِ^(٧)

تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ:

هو أن يشبه شيء واحد بثلاثة أشياء كقول البحري:

كأنما يَبْسِمُ عن لُؤْلُؤِ
مُنْضِدٍ أو بَرْدٍ أو أَقاحِ^(٨)

تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءٍ:

هو أن يشبه شيء واحد بخمسة أشياء، كقول الحريري:

يفترُّ عن لُؤْلُؤِ رَطْبٍ وعن بَرْدِ
وعن أَقاحٍ وعن طَلْعٍ وعن حَبَبِ^(٩)

(١) تصوب: مال الى أسفل. الزبرجد: حجر كريم، وأشهره الأخضر.

(٢) النيلوفر: نبات ينبت في الماء الراكد ويورق ويزهر على سطحه. العسجد: الذهب.

(٣) الايضاح ص ٢١٩، التلخيص ص ٢٤٤، شروح التلخيص ج ٣ ص ٣١٤، المطول ص ٣١٢، الاطول ج ٢ ص ٦٧.

(٤) الطراز ج ١ ص ٢٧٣.

(٥) حسن التوسل ص ١٢١، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٦، شرح عقود الجمان ص ٨٧.

(٦) شرح عقود الجمان ص ٨٧.

(٧) تحرير التحبير ص ١٦٣، حسن التوسل ص ١١٩، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٥.

(٨) تحرير ص ١٦٣، حُسن التوسل ص ١١٩، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٥.

(٩) تحرير ص ١٦٣، حُسن التوسل ص ١٢٠، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٥.

تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ:

وهو معظم التشبيهات المعروفة التي يكون الربط فيها بين مشبه واحد ومشبه به واحد. ويأتي على وجوه منها: تشبيه الشيء بالشيء صورة كقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(١).

ومنها تشبيه الشيء بالشيء لونا وحسنا كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ يَيْضُ مَكْنُونٌ﴾^(٢) ومنها تشبيهه به لونا وسبوغا كقول امرئ القيس:

ومشودودة السكِّ موضونة

تضائل في الطيِّ كالمبرد

يفيض على المرء أردائها

كفيض الأتيِّ على الجُدجد^(٣)

ومنها تشبيهه بها لونا وصورة كقول النابغة:

تجلو بقادمتي حمامة أيككة

بردا أسف لثائه بالإثمد^(٤)

كالأقحوان غداة غب سماءه

جفت أعاليه وأسفله ندى

ومنها ما يتضمن معنى اللون وحده كقول زهير:

زجرت عليه حرة أرحبية

وقد كان لون الليل مثل اليرندج^(٥)

ومنها ما تشبيهه به حركة كقول عنتر:

غردا يحك ذراعه

قدح المكب على الزناد الأجدم

ومنها تشبيهه به معنى كقول النابغة:

فانك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يند منهن كوكب

وقوله:

فانك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أن المتأى عنك واسع^(٦)

تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِشَيْئَيْنِ:

وهو أن يشبه شيء واحد بشيئين^(٧) كقول امرئ القيس:

وتعطو برخص غير شثن كأنه

أساريع رمل أو مساويك إسجل^(٨)

تَشْبِيهِ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ:

قال الحاتمي: «أجمع أهل العلم بالشعر كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وغيرهما بأن أحسن التشبيه ما يُقابل به مشبهان بمشبهين»^(٩).

وقال الحموي: «هذا النوع - أعني تشبيه شيئين بشيئين - من المحاسن العزيزة الوقوع بخلاف كبيرة العدد في التشبيه فان ذلك نوع اللف والنشر أحق به. وهو في الاصطلاح أن يقابل الشاعر بين الأربعة ويلتزم أن كل واحد من المشبه يشد مسد المشبه به. ومما حكى عن بشار بن برد أنه قال: «ما زلت منذ سمعت قول امرئ القيس في وصف العقاب:

كأن قلوب الطير رطبًا ويايسًا

لدى وكرها العناب والحشف البالي

لا يأخذني الهجوع حسدا له الى أن قلت في وصف

(١) يس ٣٩.

(٢) الصافات ٤٩.

(٣) السك: الدرع الضيقة الحلق. الموضونة: الدرع المنسوجة او المقاربة النسج. الجدجد: الأرض المستوية.

(٤) الإثمد: حجر يكتحل به.

(٥) اليرندج: جلد أسود، أو السواد يسود به الخف.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٢٤٥ وما بعدها.

(٧) العمدة ج ١ ص ٢٩١، تحرير ص ١٦٢، حشن التوشل ص ١١٩، نهاية الأرب ج ٧ ص ٤٥.

(٨) تعطو: تناول. الشثن: الخشن. أساريع: دود يكون في الرمل. الأسجل: شجر له غصون دقاق.

(٩) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٧٠.

الحرب:

تَشْبِيهِ صُورَةٍ بِصُورَةٍ:

قال ابن الأثير الحلبي إنَّ التشبيه لا يخلو من ثلاثة أحوال: تشبيه معنى بصورة، وتشبيه معنى بمعنى، وتشبيه صورة بصورة كقولته تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٤) فشبه صورة أجسام الفلك في عظمها بالجبال^(٥).

تَشْبِيهِ صُورَةٍ بِمَعْنَى:

قال ابن الأثير الحلبي: «وأما تشبيه صورة بمعنى كقوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عبد الله بن مسعود أنه خطَّ خطًّا مربعًا في وسطه خط، الى جانبه خطوط ثم خطَّ خطًّا خارجًا وقال: «أتدرون ما هذه الخطوط؟» قلنا: «اللَّهُ ورسوله أعلم». فقال: «الخطُّ المربع هو الأجل والخطُّ الذي في وسطه هو الانسان، والخطوط التي حوله الأعراض التي تنهشه إن تركه هذا نهشه هذا. والخط الذي هو خارج المربع هو الأمل»^(٦).

التَّشْبِيهِ الْعَجِيب:

عَدَّ المبرد من التشبيه العجيب قول ذي الرمة في صفة الظليم:

شَخَّتْ الجَزَارَةَ مِثْلَ البَيْتِ سَائِرَهُ

مِنَ المُسَوِّحِ خِدَبٌ شَوْقَبٌ خَشِيبٌ^(٧)

(١) خزانة الأدب ص ١٨٩، وينظر العمدة ج ١ ص ٢٩٠، تحرير ص ١٦٣، حسن التوسل ص ١٢٠، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٥، نفحات ص ١٩٧، شرح الكافية ص ٢٣١.

(٢) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٠٥.

(٣) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٠٦.

(٤) الرحمن ٢٤.

(٥) جواهر الكنز ص ٦٠.

(٦) جواهر الكنز ص ٦١.

(٧) الشخت: الدقيق القوائم. الخدب: الضخم. الشوقب: الطويل. الخشب: الغليظ الخشن.

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا

وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ^(١)

وقال المدني: «هذا النوع عبارة عن أن يأتي المتكلم بشيئين ويقابلهما بشيئين لأجل التشبيه»^(٢) وهو على نوعين:

الأول: أن يكون المقصود تشبيه كل جزء من جزء أحد طرفي التشبيه بما يقابله من الطرف الآخر، كقول امرئ القيس: «كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ...».

الثاني: أن يكون المقصود تشبيه هيئة حاصلة من مجموع جزئي أحد الطرفين بالهيئة الحاصلة من مجموع جزئي الطرف الآخر وإن كان الظاهر فيه تشبيه شيئين بشيئين، وهو نوعان:

أحدهما: ما يكون بحيث يحسن تشبيه كل جزء من جزئي أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقول الشاعر:

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَائِمًا

دُرَّرَ نُثْرُونَ عَلَى بِسَاطِ أَرْزَقِ

وثانيهما: ما لا يكون كذلك كقول القاضي التنوخي:

كَأَنَّمَا المَرِيخُ والمَشْتَرِي

قُدَّامَهُ فِي شَامِخِ الرِّفْعَةِ

مُنْصَرِفٌ بِاللَّيْلِ عَنِ دَعْوَةِ

قَدِ أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ شَمْعُهُ

وهذا لا يصح كالسابق أن ينظر اليه بانفراد وإنما تشبه الهيئة الحاصلة من المريخ حال كون المشتري أمامه بالهيئة الحاصلة من المنصرف عن الدعوة مسرجًا الشمعة قدامه. وهذا هو تشبيه المركب بالمركب، قال المدني: «وإنما أطلق عليه البديعيون تشبيه شيئين بشيئين باعتبار تعدد طرفيه»^(٣).

وقول الشماخ:

فَقَرَّبْتُ مُبْرَأَةً تَخَالُ ضَلُوعَهَا

من الماسخياتِ القسيِّ الموترِ^(١)

القزويني بقوله: «والقريب المبتذل هو ما ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه في بادئ الرأي»^(٦).

وسبب ظهوره أمران:

الاول: كونه الشبه أمرًا جليًا فإنَّ الجملة أسبق أبدًا

الى النفس من التفصيل.

الثاني: كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المُشَبَّه

به في الدهن.

تَشْبِيهِ عَشْرَةَ بِعَشْرَةَ:

وهو تشبيه عشرة أشياء بعشرة أشياء كقول القائل:

فَرُوعٌ جَبِينٌ مُحِيًّا مَعْطَفٌ كَفَلٌ

صُدُغٌ فَمٌ وَجِنَانٌ نَاطِرٌ تُعْرُ

لَيْلٌ هِلَالٌ صَبَاخٌ بَانَةٌ كُثْبٌ

أَسٌّ أَقَاخٌ شَقِيقٌ نَرْجِسٌ دُرٌّ^(٢)

تَشْبِيهِ الْكِنَايَةِ:

قال الوطواط: «تشبيه الكناية، وتكون هذه الصنعة

بأن يُكْنَى عن المشبه بلفظ المشبه به بغير أداة من

أدوات التشبيه»^(٧).

وقال الحلبي والنويري: «هو أن تشبه شيئًا بشيء

من غير أداة التشبيه»^(٨) كقول المتنبي:

بَدَتْ قَمَرًا وَمَاسَتْ خُوطَ بَانٍ

وَفَاخَتْ عَنبْرًا وَرَنَتْ غَزَالًا

وقول الواواء الدمشقي:

قُلْنَا وَقَدْ قَتَلْتَ فِيهَا لَوَاحِظَهَا

كَمْ ذَا أَمَا لِقَتِيلِ الْحُبِّ مِنْ قَوْدٍ

(١) الكامل ج ٢ ص ٧٤٣، ٧٥٢، ٧٥٧ ماسخة:

من نصر الأزد، واليهم نسبت القسي الماسخية

الموتر: المشدد الوتر.

(٢) شرح عقود الجمان ص ٨٧.

(٣) الكامل ج ٣ ص ٨٥٥. ساورتنى من المساورة

وهي المواثبة. والرقش جمع رقشاء وهي الحية.

تناذرها الراقون: أي أنذر بعضهم بعضًا.

(٤) الكامل ج ٣ ص ٨٣٥.

(٥) نهاية الأيجاز ص ٧٠.

(٦) الإيضاح ص ٢٥٢، التلخيص ص ٢٧٨، شروح

التلخيص ج ٣ ص ٤٤٢، المُطَوَّل ص ٣٤١،

الأطوال ج ٢ ص ١٠٢.

(٧) حدائق السحر ص ١٤٢.

(٨) حُسن التَّوَسُّلِ ص ١٧، نهاية الأرب ج ٧ ص ٤٣.

التَّشْبِيهِ الْقَاصِدُ:

عَدَّ الْمَبْرَدُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْقَاصِدِ الصَّحِيحِ قَوْلَ النَّابِغَةِ:

وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسٍ فِي غَيْرِ كُنْهٍ

أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَعِيلَةٌ

مِنَ الرَّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ

يُسَهِّدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا

لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

تَنَادَرُهَا الرَّاقُونَ فِي سُوءِ سَمِّهَا

تَطَلَّقَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ

فهذه هي صفة الخائف المهموم^(٣) وهو التشبيه

المقارب عند المبرد أيضًا.

التَّشْبِيهِ الْقَرِيبُ:

ذكره المبرّد وقال: «ومن حلّو التشبيه وقريبه

وصريح الكلام وبليغه قول ذي الرُّمَّة:

وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَدَارِي قَطَعْتَهُ

وَقَدْ جَلَّتْهُ الْمَظْلَمَاتُ الْحَنَادِسُ^(٤)

وقال الرازي: «فالقريب مثل ما اذا أخطرت بالبال

استدارة الشمس واستنارتها وقعت المرأة المجلوة في

قلبك وعرفت كونها شبيهة للشمس»^(٥). وَعَرَّفَهُ

فأمطرت لؤلؤًا من نرّجسٍ وسَقَتْ

وَرَدًا وَعَعَضَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وهذا هو «التشبيه المؤكد» أي المحذوف الأداة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمْزُ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(١)، وقول الحماسي:

هم البحورُ عطاءً حين تسألهم

وفي اللقاء إذا تلقى بهم بُهْمٌ

وقول الشريف الرضي:

أرسي النسيم بواديكم ولا يرحت

حوامل المزن في أجداثكم تَضَعُ

ولا يزال جنينُ النباتِ تُرَضِعُهُ

على قبوركم الغواصةُ الهمعُ

التَّشْبِيهِ الْمُؤَكَّد:

هو التشبيه الذي حذف فيه الأداة^(٢)، ويُسمى «تشبيه الكناية»^(٣) وقد تقدّم.

التَّشْبِيهِ الْمُتَجَاوِز:

عَدَّ الْمُبْرَدُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُتَجَاوِزِ الْمَفْرُطِ قَوْلُ

الخنساء:

وإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةَ بِهِ

كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارًا^(٤)

ومن التشبيه المتجاوز الجيد النظم قول أبي الطمحان:

أضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ

دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجُرْعَ ثاقِبُهُ^(٥)

التَّشْبِيهِ الْمُتَخَيَّل:

هو التشبيه الخيالي والوهمي عند الرازي الذي

قال: «الموجود بالمتخيل الذي لا وجود له في

الأعيان مثاله تشبيه الجمر الموقد ببحر المسك

موجه الذهب»^(٦). وقد أدخل في هذا النوع أمثلة من

التشبيه الخيالي والتشبيه الوهمي.

التَّشْبِيهِ الْمُتَعَدَّد:

تَحَدَّثَ عَبْدُ الْقَاهِرِ عَنْهُ بَعْدَ كَلَامِهِ عَلَى التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ فَقَالَ: «قَدَمْتُ بَيَانَ الْمُرَكَّبِ مِنَ التَّشْبِيهِ وَهَهُنَا مَا يُذَكَّرُ مَعَ الَّذِي عَرَفْتِكَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ وَيُقْرَنُ إِلَيْهِ فِي الْكُتُبِ وَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يَسْتَحِقُّ صِفَةَ التَّرْكِيبِ وَلَا يَشَارِكُ الَّذِي مَضَى ذِكْرَهُ فِي الْوَصْفِ الَّذِي كَانَ تَشْبِيهًا مُرَكَّبًا وَذَلِكَ أَنَّ يَكُونُ الْكَلَامُ مَعْقُودًا عَلَى تَشْبِيهِ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا لَا يَدْخُلُ الْآخَرَ فِي الشَّبهِ. وَمِثَالُهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا

لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وذلك أنه لم يقصد إلى أن يجعل بين الشئيين اتصالاً وإنما أراد اجتماعاً في مكان فقط»^(٧) فالتشبيه المركب لا تُغَيَّرُ أَجْزَاؤُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى تَغْيِيرِ الصُّورَةِ، وَالتَّشْبِيهِ الْمُتَعَدَّدُ يُمْكِنُ تَغْيِيرَ أَجْزَائِهِ لِأَنَّهُ جَمْعٌ لِلصُّورِ وَلَيْسَ دَمَجًا لَهَا. وَتَدْخُلُ فِي هَذَا الضَّرْبِ كَثِيرٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمُمَثِّلٍ كَتَّشْبِيهِ الْجَمْعِ وَتَشْبِيهِ التَّسْوِيَةِ.

التَّشْبِيهِ الْمُجْمَل:

هو التشبيه الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، ومنه

(١) النمل ٨٨.

(٢) الإيضاح ص ٢٦٢، التلخيص ص ٢٨٦، شروح

التلخيص ج ٣ ص ٤٦٥، المطول ص ٣٤٤،

الأطول ج ٢ ص ١٠٦، معترك ج ١ ص ٢٧٣،

الإتقان ج ٢ ص ٤٣، شرح عقود الجمان

ص ٩٠.

(٣) حدائق السحر ص ١٤٢، محسن التوشل

ص ١١٧، نهاية الأرب ج ٧ ص ٤٣.

(٤) الكامل ج ٢ ص ٧٥٩.

(٥) الكامل ج ٣ ص ٨٥٤.

(٦) نهاية الإيجاز ص ٦١.

(٧) أسرار البلاغة ص ١٧٦.

التَّشْبِيهِ الْمَحْمُود:

عَدَّ الْمَبْرِدَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَحْمُودِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

طَلِيقُ اللَّهِ لَمْ يَمُنُّنْ عَلَيْهِ
أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي كَثِيرٍ
وَلَا الْحِجَاخُ عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ
تَقْلِبُ طَرْفَهَا حَذَرَ الصَّقُورِ
وقال: «وهذا غاية في صفة الجبان»^(٤).

التَّشْبِيهِ الْمُخْتَصِر:

قال المُبَرِّدُ: «والعرب تختصر في التشبيه وربما
أومأت به إيماءً، قال أحد الرجاز:

بتنا بحسان ومغزاه تئط
ما زلت أسعى بينهم والتببط
حتى إذا كان الظلام يختلط
جاؤوا بمدقٍ هل رأيت الذئب قط

يقول في لون الذئب واللبن إذا جهد وخلط بالماء
ضرب الى الغبرة»^(٥).

التَّشْبِيهِ الْمَرْدُود:

هو التشبيه القاصر عن الغرض^(٦)، فتشبيه

(١) الايضاح ص ٢٥٠، التلخيص ص ٢٧٤، شروح
التلخيص ج ٣ ص ٤٣٤، المطول ص ٣٣٩،
الأطول ج ٢ ص ١٠٠، شرح عقود الجمان
ص ٨٨.

(٢) حسن التوسل ص ١٠٧، نهاية الارب ج ٧
ص ٣٩، الايضاح ص ٢١٩، التلخيص
ص ٢٥٠.

(٣) نهاية الايجاز ص ٥٩، البرهان ج ٣ ص ٤٢٠،
حُسن التَّوَسُّلِ ص ١٠٨، نهاية الارب ج ٧
ص ٤٠، خزانة الأدب ص ١٨٣.

(٤) الكامل ج ٢ ص ٧٤٧.

(٥) الكامل ج ٣ ص ٨٧٥.

(٦) الايضاح ص ٢٦٤، التلخيص ص ٢٨٨، شروح
التلخيص ج ٣ ص ٤٦٧، المطول ص ٣٤٥،
الاطول ج ٢ ص ١٠٧.

ظاهر يفهمه كل أحد مثل «زيد أسد» أي في الشجاعة،
ومنه ما هو خفي لا يدركه إلا مَنْ له ذهن يرتفع عن
طبقة غير المثقفين كقول مَنْ وَصَفَ بَنِي الْمَهْلَبِ
لِلْحِجَاخِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْهُمْ: «كَانُوا كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا
يُدْرِي أَيْنَ طَرْفَاهَا» أَي: لِتَنَاسُبِ أَصُولِهِمْ وَفُرُوعِهِمْ فِي
الشَّرْفِ يَمْتَنِعُ تَعْيِينُ بَعْضِهِمْ فَاضْلاً وَبَعْضُهُمْ أَفْضَلَ مِنْهُ
كَمَا أَنَّ الْحَلْقَةَ الْمَفْرَغَةَ لِتَنَاسُبِ أَجْزَائِهَا يَمْتَنِعُ تَعْيِينُ
بَعْضِهَا طَرْفًا وَبَعْضِهَا وَسْطًا.

ومنه ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف
المشبه به كالمثال الأول ومنه ما ذكر فيه وصف
المشبه به وحده كالمثال الثاني، ونحوه قول زياد
ابن الاعجم:

وَإِنَّا وَمَا تُلْقِي لَنَا إِنْ هَجَوْنَا
لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا تُلْقِي فِي الْبَحْرِ يَغْرَقِي

وقول النابغة:

فَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ
إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبٌ
ومنه ما ذكر فيه وصف كل واحد منهما كقول أبي
تمام:

صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدُفْ مَوَاهِبُهُ
عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَخِبِ
كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيْقُهُ
وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ^(١)

تَشْبِيهِ الْمَخْسُوسِ بِالْمَخْسُوسِ:

هو أن يكون المشبه والمشبه به حسيين أي
مدركين باحدى الحواس الخمس^(٢). وقد تقدم
الكلام عليه في طرفي التشبيه وفي التشبيه الحسي.

تَشْبِيهِ الْمَخْسُوسِ بِالْمَعْقُولِ:

هو تشبيه ما يُدْرِكُ بِالْحَسِّ بِمَا لَا يُدْرِكُ بِهِ^(٣)، وقد
تقدّم الكلام عليه في طرفي التشبيه وفي التشبيه
التخييلي.

مجموع أشياء قد تَضَامَتْ وتلاحقت حتى صارت شيئاً واحداً^(٧) كقول بشار:

كَأَنَّ مِثَارَ النَّعْمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا
وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

وهو تشبيه شيئين بشيئين، قال المدني: «وإنما أطلق عليه البديعيون تشبيه شيئين بشيئين باعتبار تعدد طرفيه»^(٨). وقد تقدم.

تَشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ بِالْمُفْرَدِ:

وهو كقول أبي تمام:

يَا صَاحِبِي تَقْصِيَا نَظْرِيكَمَا
تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُصَوِّرُ
تَرِيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ زَانَهُ
زَهْرُ الرَّبِيِّ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ

فالمشبه وهو «نهار مشمس قد زانه زهر الربى» مركب، والمشبه به مفرد وهو «مقمر»^(٩).

التَّشْبِيهِ الْمُسْتَحْسِنِ:

عَدَّ الْمُبْرِدُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُسْتَحْسِنِ قَوْلَ عَلْقَمَةَ بِنِ
عَبْدَةَ:

- (١) شرح عقود الجمان ص ٩٠.
- (٢) الأيضاح ص ٢٦٣، التلخيص ص ٢٨٨، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٦٧، المطول ص ٣٤٤، الأطول ج ٢ ص ١٠٦، معترك ج ١ ص ٢٧٣، الانتقان ج ٢ ص ٤٣، شرح عقود الجمان ص ٩٠.
- (٣) البقرة ١٧.
- (٤) الحديد ٢١.
- (٥) أسرار البلاغة ص ١٧٦.
- (٦) المنزاع البديع ص ٢٢٩.
- (٧) جواهر الكنز ص ٦١، الطراز ج ١ ص ٢٨٩، شرح عقود الجمان ص ٨٦، الأطول ج ٢ ص ٩٦.
- (٨) انوار الربيع ج ٥ ص ٣٠٦.
- (٩) جواهر الكنز ص ٦٢، الطراز ج ١ ص ٢٩٥، شرح عقود الجمان ص ٨٦.

الشيء بالمسك في الرائحة مقبول لأن المسك أعرف الأشياء ولو شبه به في السواد لكان مردوداً لانه ليس معروفاً من هذا الجهة عرفانه من تلك. قال السيوطي: «قال عبد الباقي اليميني في كتابه: «اللهم إلا أن يذكر الغرض مصرحاً به كقول القائل:

أَشْبَهَكَ الْمِسْكَ وَأَشْبَهْتَهُ

فِي لَوْنِهِ قَائِمَةٌ قَاعِدُهُ

لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكَمَا وَاحِدٌ

أَنْكَمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

غرضه ذكر اللون؛ لأن محبوبته سوداء، وعلل ذلك بكونهما من طينة واحدة»^(١).

التَّشْبِيهِ الْمُرْسَلِ:

هو التشبيه الذي تذكر في أدواته^(٢) كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(٣) وقوله: ﴿عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤). ومنه قول البحري:

وَإِذَا الْأَسِنَّةُ خَالَطَتْهَا خِلْتَهَا

فِيهَا خِيَالُ كَوَاكِبٍ فِي الْمَاءِ

التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ:

هو التشبيه الذي يَتَّجِدُ فِيهِ الْمَشْبَهُ وَالْمَشْبَهُ بِهِ وَيَكُونُ مَرْكَبًا مِنْ شَيْئَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ. وَهُوَ غَيْرُ التَّشْبِيهِ الْمَتَعَدِّدِ الَّذِي يَكُونُ جَمْعًا لِلصُّورِ التَّشْبِيهِيَّةِ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيْبٍ^(٥) وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى التَّشْبِيهِ الْمَتَعَدِّدِ. وَقَالَ السَّجْلَمَاسِيُّ: «التَّشْبِيهِ الْمَرْكَبِ هُوَ أَنْ يَقَعَ التَّخْيِيلُ فِي الْقَوْلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمَثِيلِ فِيهِ لِشَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ وَذَاتَيْنِ بِذَاتَيْنِ»^(٦)، وَأَدْخَلَ فِيهِ بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي أَدْخَلَهَا غَيْرُهُ فِي التَّمَثِيلِ.

تَشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ بِالْمُرَكَّبِ:

وهو أن يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من

التَّشْبِيهُ الْمُصِيبُ:

عَدَّ الْمُبَرِّدُ مِنْهُ قَوْلَ سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ:
كَأَنَّ النِّعَامَ بَاضَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
وَأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ جَوَاحِمُ
وَقَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:

بِيضَاءُ فِي دَعَجٍ صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ
كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ
وَقَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:
كَأَنَّ الثَّرِيَاءَ غُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا
بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ^(٥)

التَّشْبِيهُ الْمَطْرِدُ:

وهو أن يجري على الصورة المطردة، وذلك بأن يكون المشبه به أدخل في المعنى الجامع بينه وبين المشبه أما بالكبر أو الإيضاح أو البيان. قال العلوي: «وعلامته أنه لا بُدُّ من أن تكون لفظة «أفعل التفضيل» جارية في التشبيه. وهذا يدل على ما قلناه من اعتبار زيادة المشبه به على المشبه في تلك الصفة الجامعة بينهما، فإن لم يكن الأمر على ما قلناه من الزيادة كان التشبيه ناقصاً وكان معيياً ولم يكن دالاً على البلاغة.

(١) الكامل ج ٢ ص ٧٥٣.

(٢) الكامل ج ٢ ص ٧٦٠. السرار: آخر ليلة من الشهر.

(٣) حدائق السحر ص ١٤٢.

(٤) حُسن التَّوَسُّلِ ص ١١٦، نهاية الأرب ج ٧ ص ٤٣، الإيضاح ص ٢٦٢، التلخيص ص ٢٨٦.

(٥) الكامل ج ١ ص ٣٦٧، ج ٢ ص ٧٤٤، ج ٣ ص ٨١٤، ٨٥٣. وفي ديوان ذي الرمة ص ٥: «كحلاء في برج...» دعجت العين: صارت شديدة السواد مع سعتها فصاحبها أدعج في دعجاء. البرج: سعة في بياض العين. النعج: البياض الخالص. والنعج التي تراها مكحولة وان لم تكحل.

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَنِّي عَلَى شَرْفِ
مُفَدِّمٍ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومُ
فَهَذَا حَسَنٌ جَدًّا^(١).

التَّشْبِيهُ الْمُسْتَطَرَفُ:

عَدَّ الْمُبَرِّدُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُسْتَطَرَفِ قَوْلَ بَشَّارِ بْنِ
بُرْدٍ:

كَأَنَّ فِؤَادَهُ كُرَّةٌ تَنْزَى
حَذَارَ الْبَيْنِ إِنْ نَفَعَ الْحَذَارُ
يُرْوَعُهُ السِّرَارُ بِكُلِّ أَمْرٍ
مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ بِهِ السِّرَارُ^(٢)

التَّشْبِيهُ الْمَشْرُوطُ:

قال الّوطواط: «التشبيه المشروط ويكون بتشبيه شيء بشيء آخر بشرط من الشروط فيقولون لو كان هذا لكان ذلك»^(٣). ومنه قول الّوطواط نفسه:

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَفْوَلُ

وقال الحلبي والتّويري: «أشبه وجه مولانا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه» وكقوله: «وجه هو كالشمس لولا كسوفها والقمر لولا خسوفه»^(٤).

ومن ذلك أيضا قول أبي تمام:

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسُ
قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنَّ تَلِكَ ذَوَابِلُ

وقول الحريري:

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا
لَوْ كَانَ طَلَقَ الْمَحْيَا يُمَطِّرُ الذَّهَبَا
وَالْبَدْرُ لَوْ لَمْ يَغْبُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ
وَالْأَسَدُ لَوْ لَمْ تَصُدَّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَبَا

وهكذا الحال إذا كانا حاصلين على جهة الاستواء فلا مبالغة في ذلك فاذن لا بدّ من اعتبار الزيادة»^(١).

التَّشْبِيهِ الْمُطْلَق:

قال الّوطواط: «التشبيه المطلق ويكون بتشبيه شيء بشيء آخر بواسطة أداة التشبيه وبدون شرط أو عكس أو تفضيل أو ما شابه ذلك»^(٢).

وقال الحلبي والنويري: «هو أنّ تشبه شيئاً بشيء من غير عكس ولا تبديل»^(٣). وباب التشبيهات المطلقة واسع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(٥)، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : «الناس كأسنان المشط». ومن ذلك قول البحري:

كَأَنَّمَا تَبَسُّمٌ عَنْ لُؤْلُؤٍ
مُنْضَّدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاحٍ

وقول الصاحب بن عباد:

أَتَثْنِي بِالْأَمْسِ أَبْيَآئِهِ
تُغَلَّلُ رُوحِي بِرُوحِ الْجِنَانِ
كَبَرْدِ الشَّرَابِ وَبُرْدِ الشُّبَا
بِ وَظَلِّ الْأَمَانِ وَنَيْلِ الْأَمَانِي
وَعَهْدِ الصُّبَا وَنَسِيمِ الصُّبَا
وَصَفْوِ الدِّنَانِ وَرَجْعِ الْقِيَانِ

التَّشْبِيهِ الْمُعْرَى:

عدّ المظفر العلوي من التشبيه المعرّى قول النابغة:

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسٍ النَّحْضِ بِأَزْلَاهَا
لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالمَسْدِ^(٦)

وقال: إنّ أهل البديع يسمونه «التشبيه المعرّى» فإذا شبّهوا ما له حركة وجرس نصبوا كما قالوا: «صريف صريف» نصباً، وإذا لم يكن كذلك رفعوا كما يقول القائل: «له رأس رأس الأسد» رفعاً^(٧).

تَشْبِيهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ:

هو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة، وذلك أنّ يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيّاً^(٨) كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾^(٩). وقد تقدم في طرفي التشبيه.

تَشْبِيهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَعْقُولِ:

وذلك أنّ يكون المشبه والمشبه به عقليين كقول الشاعر:

رَبِّ حَيٍّ كَمَيِّتٍ لَيْسَ فِيهِ
أَمَلٌ يُرْتَجَى لِنَفْعٍ وَضُرٍّ
وَعِظَامٍ تَحْتَ التَّرَابِ وَفَوْقَ الْـ
أَرْضِ مِنْهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ^(١٠)

قال الحموي: «إنّ هذا النوع في هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات وأحسن ما وجدت فيه أعني تشبيه المعقول بالمعقول قول أبي الطيّب المتنبّي:

- (١) الطراز ج ١ ص ٣٠٤.
- (٢) حدائق السحر ص ١٣٩.
- (٣) حسن التوسل ص ١١٥، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٢.
- (٤) يس ٣٩.
- (٥) الحاقة ٧.
- (٦) مقدوفة: مرمية باللحم رمياً. الدخيس: الذي ادمج من كثرته وصلابته. النحض: اللحم. بازلهاء: يعني سنّها التي بزلت به أي انشق نابها. صريف: صرير. القعو! البكرة التي يدور فيها المحور إذا كان من الخشب. المسد: الجبل من ليف.
- (٧) نضرة الاغريض ص ١٧٠.
- (٨) حسن التوسل ص ١٠٨، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٠، خزنة الأدب ص ١٨٢.
- (٩) العنكبوت ٤١.
- (١٠) حسن التوسل ص ١٠٨، نهاية الارب ج ٧ ص ٣٩.

لأن مطرد العادة في البلاغة على تشبيه الأدنى فاذا جاء على خلاف ذلك فهو معكوس»^(٥).

والعلوي هنا قرر ما تعارف عليه البلاغيون من أن المشبه به ينبغي أن يكون الأصل وهو الأقوى والأوضح ولكن الشاعر قد يخرج على هذه القاعدة وهو يُصوّر معانيه فيأتي بالتشبيهات التي لا تجري على ما قرره البلاغيون، وفي ذلك إثراء لهذا الفن. وقد وقف عبد القاهر عند هذا اللون وقال إنه يفتح باباً الى «دقائق وحقائق» وذلك بجعل «الفرع أصلاً والأصل فرعاً»^(٦)، وهو كثير في التشبيهات الصريحة وذلك «أنهم يُشبهون الشيء فيها بالشيء في حال ثم يعطفون على الثاني فيشبهونه بالأول فترى الشيء مشبهاً مرة ومشبهاً به أخرى» ومن أظهر ذلك قولهم في النجوم «كأنها مصابيح» ثم قولهم في المصابيح «كأنها نجوم» وتشبيه العيون بالنرجس ثم تشبيه النرجس بالعيون كقول أبي نواس:

لَدَى نَرْجِسٍ غَضَّ الْقَطَافِ كَأَنَّهُ

إِذَا مَا مَنَحْنَاهُ الْعَيُونَ عُيُونَ

وتشبيه الثغر بالأقاحي ثم تشبيهها بالثغر كقول ابن المعتز:

وَالْأَقْحَوَانُ كَالثَنَائِيَا الْغُرِّ

قَدْ صُقِلَتْ أَنْوَارُهُ بِالْقَطْرِ

وتشبيه أنوار الرياض بالنجوم كقول البحرني:

بَكَتِ السَّمَاءُ بِهَا رُذَاذَ دُمُوعِهَا

فَعَدَّتْ تَبَسُّمُ عَنْ نُجُومِ سَمَاءِ

ثم تشبه النجوم بالنور:

(١) خزانة الأدب ص ١٨٢.

(٢) حسن التوسل ص ١١٧، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٤.

(٣) الخصائص ج ١ ص ٣٠٢.

(٤) المثل السائر ج ١ ص ٤٢١، الجامع الكبير ص ٩٧.

(٥) الطراز ج ١ ص ٣٠٩.

(٦) أسرار البلاغة ص ١٨٧.

كَأَنَّ الْهَمَّ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي
فَسَاعَةً هَجَّرَهَا يَجِدُ الْوَصَالَا^(١)

التَّشْبِيهِ الْمَعْكُوسِ:

هو التشبيه المقلوب والمنعكس، وذلك بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به ويجعل المشبه به مشبهاً، كقول البحرني:

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا

وَلِلْقَضِيْبِ نَصِيْبٌ مِنْ تَشْبِيْهَا

وقول ابن المعتز:

وَلَاخَ ضَوْءُ هَلَالٍ كَادَ يَفْضُحُنَا

مِثْلَ الْقَلَامَةِ إِذْ قُصِّتْ مِنَ الظُّفْرِ

وقال الحلبي والتويري: «التشبيه المعكوس وهو أن تشبه شيئين كل واحد منهما بالآخر»^(٢). وليس في هذا التعريف بيان، وقد أحسن السابقون في إيضاحه، فابن جني سماه «غلبة الفروع على الأصول» وقال: «هذا فصل من فصول العربية تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الأعراب ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة»^(٣). وسماه ابن الاثير «الطرْدَ والعكس» وقال: إن الغرض منه المبالغة وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ^(٤). وسماه العلوي «التشبيه المنعكس» وقال: «اعلم أن هذا النوع من التشبيه يَرِدُ على العكس والندور وبابه الواسع هو الأطراد. وإنما لقب بالمنعكس لما كان جارياً على خلاف العادة والالف في مجاري التشبيه وقد يقال له «غلبة الفروع على الأصول». وكل هذه الالقب دالة على خروجه عن المقياس المطرد والمهييع المستمر، وله موقع عظيم في إفادة البلاغة. وقد ذكره ابن الاثير في كتابه «المثل السائر» وقرره ابن جني في كتاب «الخصائص». والشرط في استعماله أن لا يرد إلا فيما كان متعارفاً حتى تظهر في صورة الانعكاس لأنه لو ورد في غير المتعارف لكان قبيحاً؛

واقترصر على الجمع بين الشئيين في مطلق الصورة والشكل واللون أو جمع وصفين على وجه يوجد في الفرع على حده أو قريب منه في الأصل فإن العكس يستقيم في التشبيه ومتى أريد شيء من ذلك لم يستقم»^(٢).

ولا يأتي القلب في التمثيل أو التشبيه التمثيلي بهذه السهولة بل يحتاج الى تأويل وتخيل يخرج عن الظاهر خروجاً بيناً أو يبعد عنه بعداً ظاهراً، فهو يطاوع في التشبيه مطاوعة وينقاد القياس فيه انقياداً لا تعسف فيه، ولا يطاوع تلك المطاوعة في التمثيل. ومثال قلب التمثيل قول القاضي التنوخي:

وكأنَّ النجومَ بين دُجَاهَا

سُننٌ لاحَ بينهنَّ ابتداعٌ

وقول أبي طالب الرقي:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ

يَوْمُ النُّوَى وَفؤَادُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ

وقول ابن بابك:

وَأَرْضٌ كَأَخْلَاقِ الْكَرِيمِ قَطَعْتُهَا

وَقَدْ كَحَلَّ اللَّيْلِ السِّمَاقَ فَأَبْصَرَا

وهذه الصور تحتاج الى فضل تأمل ودقة تأول وبعد نظر، وهي من تشبيه المحسوس بالمعقول الذي أنكره بعضهم وأكثر منه الشعراء في العصر العباسي أو هي - كما قال السجلماسي - من «الجرى على غير المجرى الطبيعي»^(٣) في التشبيه.

تَشْبِيهِ الْمَعْنَى بِالصُّورَةِ:

هذا النوع من أحوال التشبيه عند ابن الاثير الحلبي قال: «إما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ يَحْسبُهُ الظَّمَانُ

(١) أسرار البلاغة ص ٢٠٢.

(٢) أسرار البلاغة ص ٢٠٤.

(٣) المنزوع البديع ص ٢٢٧.

قَدْ أَقْدِفُ الْعَيْسَ فِي لَيْلٍ كَأَنَّ بِهِ

وَشَيْئًا مِنَ النَّوْرِ أَوْ رَوْضًا مِنَ الْعُشْبِ

وقد يمتنع هذا القلب في طرفي التشبيه وذلك أن يكون بين الشئيين تفاوت شديد في الوصف الذي لأجله نشبه ثم قصدنا أن نلحق الناقص منهما بالزائد مبالغة ودلالة على أنه يفضل أمثاله فيه. وقد فسّر عبد القاهر ذلك بقوله: «بيان هذا أن ههنا أشياء هي أصول في شدة السواد كخافية الغراب والقار ونحو ذلك، فاذا شبهت شيئاً بها كان طلب العكس في ذاك عكساً لما يوجبه العقل ونقضاً للعادة؛ لأنَّ الواجب أن يثبت المشكوك فيه بالقياس على المعروف لا أن يتكلف في المعروف تعريفه بقياس على المجهول، وما ليس بموجود على الحقيقة فأنت إذا قلت في شيء «هو كخافية الغراب» فقد أردت أن تُثبِتَ له سواداً زائداً على ما يعهد في جنسه وأن تصحح زيادة هي مجهولة له، وإذا لم يكن ههنا ما يزيد على خافية الغراب في السواد فليت شعري ما الذي تريد من قياسه على غيره. ولهذا المعنى ضعف بيت البحري:

على باب قِنَسِرِينَ وَاللَّيْلُ لاطِحٌ

جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ

وذاك أن المداد ليس من الأشياء التي تزيد عليها في السواد، كيف وزب مداد فاقد اللون، والليل والسواد بشدته أحق وأحرى أن يكون مثلاً. ألا ترى الى ابن الرومي حيث قال:

جَبْرُ أَبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ

يَسِيلُ لِلإِخْوَانِ أَيَّ سَيْلٍ

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل، وكأنَّ البحري نظر الى قول العامة في الشيء الأسود: «هو كالنقش» ثم تركه للقافية الى المداد»^(١).

وَلَخَّصَ قَاعِدَةَ قَلْبِ التَّشْبِيهِ بِقَوْلِهِ: «وجملة القول أنه متى لم يقصد ضرب من المبالغة في إثبات الصفة للشئ والقصد الى إيهام في الناقص أنه كالزائد

كَفَّ الْأَشْلَّ المشبه به وهو المرآة مقيد بكونه في كَفَّ الْأَشْلَّ بخلاف المشبه وهو الشمس. وعكسه نحو: «المرآة في كَفَّ الْأَشْلَّ كالشمس». ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لِهِنَّ﴾^(٦). وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾^(٧).

وقول المتنبي:

وإذا اهتزَّ للندى بحرًا
وإذا اهتزَّ للوغي كان نضلاً
وإذا الأرضُ أظلمتْ كان شمسًا
وإذا الأرضُ أمحلتْ كان ونبلاً

وقول البحري:

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى
كالرغدِ والبرقي تحت العارضِ البردي^(٨)

التشبيه المفرط:

عدَّ المُبرِّد من التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي: «هو كالبحر» وللشجاع «هو كالأسد»^(٩).

التشبيه المَفْرُوق:

هو ما أتى بالمشبه والمشبه به واحدًا بعد الآخر كقول المرقش الأكبر:
النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا
نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمْ

(١) النور ٣٩.

(٢) جواهر الكنز ص ٦٠.

(٣) جواهر الكنز ص ٦١.

(٤) النور ٣٥.

(٥) جواهر الكنز ص ٦٢، الطراز ج ١ ص ٢٩٢، شرح عقود الجمان ص ٨٦.

(٦) البقرة ١٨٧.

(٧) النبأ ١٠.

(٨) جواهر الكنز ص ٦١، الطراز ج ١ ص ٢٨٦، شرح عقود الجمان ص ٨٦، الأطول ج ٢ ص ٩٢.

(٩) الكامل ج ٣ ص ٨٥٣.

ماء^(١)، فشبهه ما لا يدرك بالحاسة وهو الأعمال بما يدرك بالحاسة وهو السراب^(٢). وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس وقد تقدم.

تشبيه المعنى بالمعنى:

قال ابن الاثير الحلبي: «وأما تشبيه معنى بمعنى، كقولك: «زيد أسد» فإن الغرض تشبيه الشجاعة التي هي معنى في زيد بالشجاعة التي هي معنى في الأسد»^(٣).

تشبيه المفرد بالمركب:

وهو أن يكون المشبه مفردًا والمشبه به غير مفرد كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾^(٤). وقول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ
له عن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وقول أبي تمام:

خُذْهَا مُثَقَّفَةً الْقَوَافِي رُبُّهَا
لِسَوَابِغِ النَّعْمَاءِ غَيْرُ كَنُودِ
كَالِدِرِّ وَالْمَرْجَانِ أَلْفَ نَظْمُهُ
بِالشَّدْرِ فِي عُتْقِ الْفَتَاةِ الرُّودِ^(٥)

تشبيه المفرد بالمفرد:

قد يكون المشبه والمشبه به مقيدين كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على طائل: «هو كالراقم على الماء»، فالمشبه الساعي مفرد مقيد بأن لا يحصل من سعيه على شيء والمشبه به الراقم مقيد بكون رقمه على الماء لأن وجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه وهو موقوف على اعتبار هذين القيدتين.

أو يكونان غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد.

أو يكونان مختلفين نحو «والشمس كالمرآة في

وقول المتنبي:

تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا
تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ^(٣)

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ حُوطَ بَانٍ
وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَزَتْ غَزَالًا^(١)

التَّشْبِيهِ الْمَقْبُول:

وهو التشبيه الوافي بافادة الغرض كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار. ثم الطرفان في الثاني إن تساويا في وجه الشبه فالتشبيه كامل في القبول، وإلا فكلما كان المُشَبَّه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب الى الكمال. أو كأن يكون المُشَبَّه به أتم شيء في وجه الشبه إذا قصد الحاق الناقص بالكمال، أو كأن يكون المشبه به مسلّم الحكم معروفه عند المخاطب في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان امكان الوجود^(٤).

والتشبيهات الجيدة من الانواع الاخرى تدخل في تمثيل هذا الضرب من التشبيه.

التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوب:

هو التشبيه المعكوس والمنعكس وغلبة الفروع على الاصول^(٥)، وقد تقدم.

(١) الإيضاح ص ٢٤٧، التلخيص ص ٢٧٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٢٨، المطول ص ٣٣٨، الاطول ج ٢ ص ٩٨.

(٢) الإيضاح ص ٢٥١، التلخيص ص ٢٧٧، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٤٤، المُطَوَّل ص ٣٤٠، الأطول ج ٢ ص ١٠٢، شرح عقود الجمان ص ٨٨.

(٣) الكامل ج ٣ ص ٨٥٥.

(٤) الايضاح ص ٢٦٤، التلخيص ص ٢٨٨، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٦٧، المطول ص ٣٤٤، الاطول ج ٢ ص ١٠٦. شرح عقود الجمان ص ٩٠.

(٥) أسرار البلاغة ص ١٨٧، حسن التوسل ص ١١٧، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٤، الطراز ج ١ ص ٣٠٩.

التَّشْبِيهِ الْمُفْصَّل:

هو التشبيه الذي يذكر فيه وجه الشبه كقول أبي بكر الخالدي:

يَا شَبِيَةَ الْبَدْرِ حُسْنًا
وَضِيَاءً وَمَنَالًا
وَشَبِيَةَ الْغُضَنِ لِينًا
وَقَوَامًا وَاغْتِدَالًا
أَنْتَ مِثْلُ الْبَدْرِ لَوْنًا
وَنَسِيمًا وَمَلَالًا
زَارْنَا حَتَّى إِذَا مَا
سَرْنَا بِالْقُرْبِ زَالًا

وقول الآخر:

وَتَغْرُهُ فِي صَفَاءٍ
وَأَدْمَعِي كَاللَّالِي

وقول أبي العلاء:

أَنْتَ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ وَإِنْ جَا
وَزَتْ كَيَوَانٌ فِي عُلوِّ الْمَكَانِ^(٢)

التَّشْبِيهِ الْمُقَارَب:

عَدَّ الْمُبْرَدُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُقَارَبِ وَالْقَاصِدُ الصَّحِيحُ
قَوْلُ النَّابِغَةِ:

وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسٍ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ
أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَنْعِيلَةٌ
مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا الشُّمُّ نَاقِعُ
يُسَهِّدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا
لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

التَّشْبِيهِ الْمَلْفُوفُ:

وهو ما أُتِيَ فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما، كقول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا
لدى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ
البالي

شبه الرطب واليابس من قلوب الطير بالعتاب والحشف البالي^(١).

التَّشْبِيهِ الْمُتَعَكِّسُ:

وهو التشبيه المعكوس والمقلوب وغلبة الفروع على الاصول^(٢)، وقد تقدم.

التَّشْبِيهِ الْوَهْمِيُّ:

التشبيه الوهمي هو ما لا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها في الخارج ولو وجد لكان مدرّكًا باحدى الحواس الخمس، وقد قال الحلبي إنه يقرب من النوع المسمى «التشبيه الخيالي»^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٤). فقد استقر في نفوس الناس من قبح الشياطين ما صار بمنزلة المشاهد كما استقر في نفوسهم من حسن الحور العين ما صار بمنزلة المشاهد ولذلك ربط سبحانه وتعالى بين شجر الزقوم ورؤوس الشياطين:

ومنه قول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي

وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ

وأدخلوا هذا النوع في تشبيه العقلي بالعقلي لأنه لا يُدْرِكُ بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يكن مدرّكًا إلا بها^(٥).

التَّشْبِيهِاتُ الْعُقْمُ:

تَحَدَّثَ الحَاتِمِي عن التشبيهات العُقْمُ ونقل عن

هارون الرشيد انه قال عن بيتي عنتره:

وَخَلَا الذَّبَابُ بِهَا يُغْنِي وَخَدَهُ
غَرْدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتْرَمِ
هَزِجًا يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ
فِعْلَ الْمِكْبِ عَلَى الزِّنَادِ الْأَجْدَمِ

«يا أصمعي هذا من التشبيهات العقم التي لا تنتج ثمرة ولا تلحق شجرة»^(٦). ونقل عن الاصمعي أن أبا عمرو بن العلاء وخلقا الأحمر ويونس أجمعوا على أن التشبيهات العقم التي انفرد بها أصحابها ولم يشركهم فيها غيرهم ممن تقدم معدودات.

أحدها: قول عنتره في تشبيه حنك الغراب بالجلمين:

ظَعَنَ الَّذِينَ فِرَاقُهُمْ أَتَوْعُ
وَجَرَى بَيْنَهُمُ الْغَرَابُ الْأَبْقَعُ
خَرَقَ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لِحْيِي رَأْسَهُ
جَلْمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلِّعُ

ثانيها: قول عدي بن الرقاع في تشبيه قرن الطيبي:

تُرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ
قَلَّمْ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

ثالثها: قول الراعي يصف قانصا جعد الرأس دنس الثياب:

(١) الايضاح ص ٢٤٧، التلخيص ص ٢٧٢، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٢٦، المطول ص ٣٣٨، الأطول ج ٢ ص ٩٨، شرح عقود الجمان ص ٨٧.

(٢) أسرار البلاغة ص ١٨٧، حسن التوسل ص ١١٧، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٤، الطراز ج ١ ص ٣٠٩.

(٣) حسن التوسل ص ١١٢.

(٤) الصافات ٦٤ - ٦٥.

(٥) الايضاح ص ٢٢٠، التلخيص ص ٢٤٤، شروح التلخيص ج ٣ ص ٣١٦، المطول ص ٣١٣، الاطول ج ٢ ص ٦٨.

(٦) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٧٨.

ذكر الكدورة والمرارة وجدت المعنى في تشبيهك له
بالماء في الصفاء وبالعسل في الحلاوة باقياً على
حقيقته»^(٤).

ومن التشبيهات المجتمعة قول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا
لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

فليست لمضامة الرطب في القلوب الى اليابس منها
هيئة يقصد ذكرها أو يعنى بأمرها، ولا لاجتماع
الحشف البالي مع العناب. ولو فَرَّقَ التشبيه فقليل
كَأَنَّ الرطب في القلوب عناب وكأن اليابس حشف
لم يكن أحد التشبيهين موقوفاً في الفائدة على الآخر.
ونظيره في جمع التشبيهات قول المتنبي:

بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ حُوطَ بَانَ
وَفَاخَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ غَزَالًا

فهما تشبيهان كل واحد مستقل بنفسه وليس بينهما
امتزاج فيحصل منه شيء واحد. وهذا ما ذكره عبد
القاهر من قبل حينما تكلم على التشبيه المتعدد والفرق
بينه وبين المركب^(٥)، ويكاد كلام الرازي يكون نقلاً
لذلك. وقد تقدم ذلك في «التشبيه المتعدد».

التشديد:

هو الإعانات والالتزام والتضييق ولزوم ما لا
يلزم^(٦). وقد تقدم.

(١) مجتاب: لابس. البرجد: كساء مخطط. سراته:
ظهره.

(٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٧٨.

(٣) العمدة ج ١ ص ٢٩٦، وينظر نضرة الاغريض
ص ١٦٤.

(٤) نهاية الإيجاز ص ٦٨.

(٥) أسرار البلاغة ص ١٧٦.

(٦) حسن التوثيل ص ٢٢٠، نهاية الأرب ج ٧

ص ١١٣، الفوائد ص ٢٣٤، أنوار الربيع ج ٦

ص ٩٣، نفحات ص ٣١٦.

فَكَأَنَّ فَرْوَةَ رَأْسِهِ مِنْ شَعْرِهِ
رُعَيْتٌ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهَا فُلْفُلًا

رابعها: قول بشر بن أبي حازم بن عمرو الأسدي
يشبه عروق الأوطى إذ حفر أضله الثور باظلافه بالأعنة:

يُشِيرُ وَيُبْدِي عَنْ عُرُوقِ كَأَنَّهَا
أَعْنَةُ خَرَّازٍ تُحَطُّ وَتُبَشَّرُ

خامسها: قول الطرماح في وصف النعام:

مُجْتَابٌ شَمْلَةٌ بُرْجِدٌ لَسْرَاتِهِ
قَدْرًا وَأَسْلَمٌ مَا سِوَاهَا الْبُرْجِدُ^(١)

سادسها: قول ذي الرمة في تشبيه الليل:

وَلَيْلٌ كَجَلْبَابِ الْعُرُوسِ أَدْرَعْتُهُ
بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

أَحْمٌ عِلَافِيٌّ وَأَبْيَضٌ صَارِمٌ
وَأَغْيَسُ مُهْرِيٌّ وَأَزْوَعٌ مَاجِدٌ

سابعها: قول مضر بن ربيعي في صفة نعامة:

صَفْرَاءُ عَارِيَةٌ الْأَكَارِعُ رَأْسُهَا
مِثْلُ الْمِدْقِ وَأَنْفُهَا كَالْمِبْرَدِ^(٢)

ونقل ابن رشيق ما ذكره الحاتمي ثم قال: «وفي الشعر
من هذا صدر جيد، وفي القرآن تشبيه كثير»^(٣).

التشبيهات المجتمعة:

قال الرازي: «إنما يكون كذلك إذا كان التشبيه في
أمر كثيرة لا يتقيد البعض بالبعض وحينئذ يكون ذلك
تشبيهات مضموما بعضها الى بعض لأغراض كثيرة
وكل واحد منفرد بنفسه.

ولهذا النوع خاصيتان:

الأولى: أنه لا يجب فيها الترتيب، ألا ترى أنك إذا
قلت: «زيد كالأسد بأساً، والبحر جوداً، والسيف
مضاً، والبدر بهاءً» لم يجب عليك أن تحفظ لهذه
التشبيهات نظاماً.

الثانية: إذا اسقط البعض فإنه لا يتغير حال الباقي
كقولهم: «هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر»، ولو تركت

التَّشْرِيعُ:

يقال: شَرَعَ بابا الى الطريق أنفذه، وشرعَ البابُ والدار شروعا: أفضي الى الطريق وأشرعه اليه^(١). وقال المدني: «التشريع في اللغة مصدر «شَرَعَ» - بالتضعيف. يقال: شرع بابا الى الطريق تشريعا أي فتحه وبيّنه كـ«أشرعه إشراعا». وشرع الناقة تشريعا إذا أدخلها في شريعة الماء - وهي مورد الابل على الماء - والتشريع أيضا إيراد أصحاب الابل ابلهم شريعة لا يحتاج معها الى الاستقاء من البئر. ومنه حديث علي - عليه السلام - : «إِنَّ أَهُونَ السَّقِي التَّشْرِيعِ». ومن المعنى الاول نقل الى الاصطلاح، وهو أن تُبنى القصيدة على وزنين من أوزان العروض وقافيتين، فإذا أسقط من أجزاء البيت جزء أو جزءان صار ذلك البيت من وزن آخر، كأنَّ الشاعر شرع في بيته بابا الى وزن آخر. ولما خفي على ابن أبي الاصبع وجه مناسبة التشبيه بين اللغوي والاصطلاحي أو استبعده سمى هذا النوع: «التوأم» ليطابق بين الاسم والمسمى^(٢). وقد ذكر السيوطي أنَّ الحريري ابتدع هذا النوع^(٣)، وأنَّ الأجدابي سماه بهذه التسمية، ويسمى أيضا «ذا القافيتين»^(٤). وقال السبكي إنَّ تسميته بالتشريع «عبارة لا يناسب ذكرها فإنَّ التشريع قد اشتهر استعماله فيما يتعلق بالشرع المطهر وكان اللائق اجتنابها»^(٥).

وسمّاه بعضهم «التوشيح»، قال ابن الاثير: «وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض واذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف الى القافية الأولى للبيت كالوشاح، وكذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور فان كل فقرة منهما تصاغ من سجعيتين»^(٦).

وقال العلوي في تسميته تشريعا: «لأنَّ ما هذا حاله

من الشعر فإنَّ النفس تشرع الى تمام القافية وكمالها»^(٧).

وسمّاه المصري «التوأم» وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى، قال: «إنه متى اقتصر على القافية الأولى كان من ضرب ذلك البحر الذي عمل الشاعر بيته منه، فاذا استوفى أجزاءه وبناه على القافية الثانية كان البيت من ضرب غير ذلك الضرب من ذلك البحر، وغالبه أن يختلف الرويان وإن جاز توافقهما»^(٨). وقال السيوطي: «وهي تسمية مطابقة للمسمى»^(٩).

ومن هذا الفن قول بعضهم:

واذا الرياح مع العشي تناوحت

هُوج الرمالِ بكشبهنَّ شمالا

أفيتنا نَفري الغبيط لضيفنا

قَبْلَ القتالِ ونقتل الأبطالا

فانه لو اقتصر على «الرمال» و«القتال» لكان الشعر من مجزوء الكامل، وهو:

(١) اللسان (شرع).

(٢) أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٤٣.

(٣) شرح عقود الجمان ص ١٥٥.

(٤) المصباح ص ٨١، الإيضاح ص ٣٩٩، التلخيص

ص ٤٠٥، عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٦١،

المختصر ج ٤ ص ٤٦١، المطول ص ٤٥٨،

خزانة الادب ص ١١٩، معترك ج ١ ص ٥٠،

الاتقان ج ٢ ص ١٠٤، شرح عقود الجمان

ص ١٥٥، الاطول ج ٢ ص ٢٣٧، مواهب الفتاح

ج ٤ ص ٤٦١، أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٤٣،

نفحات ص ١١٧، شرح الكافية ص ١١٣.

(٥) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٦١، وينظر شرح عقود

الجمان ص ١٥٥.

(٦) المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٩، وينظر الايضاح في

شرح مقامات الحريري ص ١٧.

(٧) الطراز ج ٣ ص ٧٠.

(٨) تحرير التحبير ص ٥٢٢، بديع القرآن ص ٢٣١.

(٩) شرح عقود الجمان ص ١٥٥.

وإذا الرياح مع العشيّ تناوحت هُوجَ الرمالِ
ألفيتنا نَفري الغبيطَ لضيفنا قَبْلَ القتالِ

ومنه قول الآخر:

اسلّم ودُمّت على الحوادثِ مارسا
ركنا ثبير أو هضابُ حراءِ
ونل المرادَ ممكناً منه على
رغم الدهور وفز بطولِ بقاءِ

ويصيران من المجزوء بقافية أخرى:

اسلّم ودُمّت على الحوادثِ مارسا
ونل المرادَ ممكناً منه على رَغْمِ الدهورِ

وفي هذا الفن تكلف ظاهر ولذلك لا يستعمل إلا قليلاً، وهو كما قال ابن الأثير: «ليس من الحسن في شيء»^(١)، ولذلك لم يهش له أصحاب البديعيات، وقد قال الحموي: «ولا شك في أنّ هذا النوع لا يأتي إلا بتكلف زائد وتعسف، فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة»^(٢).

التشطير:

الشَطْرُ نِصْفُ الشَّيْءِ، والجمع أشطر وشطور، وشطرتة جعلته نصفين^(٣).

وهذا الفن من ابتداء العسكري^(٤)، وقد عرّفه بقوله: «هو أنّ يتوازن المصراعان والجزءان وتتعاقد أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه»^(٥). ومثاله قول بعضهم: «مَنْ عَتَبَ على الزمان طالت معتبته ومن رَضِيَ عن الزمان طابت معيشتة». ومنه قول أوس بن حجر:

فتحدُرُكم عَبَسُ الينا وعامرُ
وترفَعُنَا بَكْرُ اليكم وتغلبُ

وقول أبي تمام:

بِمُصَعَّدٍ من حُسْنِهِ ومُصَوَّبٍ
ومُجَمَّعٍ مِنْ نَعْتِهِ ومفترقِ

وقول البحري:

فَقِفْ مُسْعِدًا فيهن إن كنت عاذِرًا
وسِرْ مبعداً عنهن إن كنت عاذلاً

وجمع ابن منقذ التشطير والمقابلة في باب واحد وقال: «إنّ المقابلة والتشطير هو أنّ يقابل مصراع البيت الأول كلمات المصراع الثاني»^(٦)، كقول جرير:

وباسطُ خيرٍ فيكم بيمينه
وقابضُ شرٍّ عنكم بشماليا

وقول المتنبي:

أزورهم وظلامُ الليلِ يَشْفَعُ لي
وأثنى وضياءُ الصُّبْحِ يُغْري بي

وقول ذي المرمرة:

استَحَدَثَ الرُّكْبُ عن أشياعِهِمْ حَبِيرًا
أم راجعَ القلبِ من إطرابِهِمْ طَرَبُ؟

وقال المصري: «هو أنّ يقسم الشاعر بيته شطرين، ثم يصرّع كل شطر من الشطرين لكنّه يأتي بكل شطر مخالفاً لقافية الآخر ليتميز من أخيه فيوافق فيه الاسم المُسمّى»^(٧)، كقول مسلم بن الوليد:

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذي رَهَجٍ
كأنّه أَجَلٌ يَسْعَى الى أَمَلٍ

وقول أبي تمام:

تدبيرُ مُعْتَصِمٍ باللهِ مُنْتَقِمٍ
للهِ مُرْتَغِبٍ في اللهِ مُرْتَقِبٍ

ثم قال المصري: «وعندي أنّ بيت أبي تمام أولى من بيت مسلم بهذا الباب؛ لأنه عمد الى كل شطر قدره بيتاً وصرّعه تصريعا صحيحا، وبيت مسلم شطره

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٠.

(٢) خزانة الادب ص ١٢٠.

(٣) اللسان (شطر).

(٤) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

(٥) كتاب الصناعتين ص ٤١١.

(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٢٨.

(٧) تحرير الحبير ص ٣٠٨.

وقول الشريف الرضي:

ولقد مَرَزْتُ على ديارهم
وظلولها بيدِ البلى نَهَبُ
فَوَقَفْتُ حتى عَجَّ من نَصَبِ
نضوي ولجَّ بعدلِي الرُّكْبُ
وَتَلَفَّتْ عيني فَمُذَّ خَفِيثُ
عني الديارُ تَلَفَّتْ القلبُ

وقال ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة: «هو أن يكون في صدر الكلام كلمة من عَجْزِهِ»^(٨) كقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٩)، كأبيات المعري وكثير عَزَّة.

وهذا قريب من رد العجز على الصدر ومن أنواع التجنيس.

التَّشْكِيك:

التَّشْكِيكُ نقيض اليقين، يقال شَكَّكَتُ في كذا وَتَشَكَّكَتُ وشكَّ في الأمر يَشُكُّ شَكًّا وشكَّكه فيه غيره^(١٠).

سمَّاه ابن رشيقي «التشكك» وقال: «وهو من مُلِحِ

(١) المصباح ص ٧٨.

(٢) الايضاح ص ٣٩٧، التلخيص ص ٤٠٢.

(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٥٤، المختصر ج ٤

ص ٤٥٤، المطول ص ٤٥٥، الاطول ج ٢

ص ٢٣٥، وينظر شرح عقود الجمان ص ١٥٢،

نفحات ص ٢٧٠، شرح الكافية ص ١٨٩.

(٤) حسن التوسل ص ٢٧٣، نهاية الارب ج ٧

ص ١٤٧، خزانة الأدب ص ١٧٣.

(٥) أنوار الربيع ج ٦ ص ٣١٠.

(٦) اللسان (شعب).

(٧) البديع في نقد الشعر ص ٩١.

(٨) الفوائد ص ١٧١.

(٩) البقرة ١٤٤.

(١٠) اللسان (شكك).

الأول مصرَّع تصريعا صحيحا وشرطه الثاني ليس بمصرَّع لمخالفة روي وسطه وروي آخره في الاعراب، اللهم إلا أن يجعل الشطر على ضربين: ضرب يصرَّع فيه أحد الشطرين دون الآخر، وضرب يصرعان فيه معا». وقال ابن مالك عن التشطير: «ومن أحسن ما جاء منه قول أبي تمام»^(١).

وَعَدَّ القزويني التشطير من السجع وقال: «هو أن يُجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لاحتها كقول أبي تمام»^(٢)، وتبعه شراح التلخيص^(٣). ورجع الحلبي والنويري والحموي الى تعريف المصري^(٤)، واقترب من ذلك المدني غير أنه جمع رأي القزويني ورأي السابقين بتعريفه الذي قال فيه: «هو أن يقسم الشاعر كلاً من صدر بيته وعجزه شطرين ثم يسجع كل شطر منهما لكنه يأتي بالصدر مخالفا للعجز في التسجيع»^(٥).

التَّشْعِب:

التَّشْعِب: الجمع والتفريق والاصلاح والافساد ضد، يقال: شَعِبَ يشَعِبُهُ فانشعب وشعبته فتشعب. وشعب الرجل أمره: إذا شتته وفرقه. وشعب الزرع وتشعب: صار ذا شعب أي فرق، وانشعب النهر وتشعب: تفرقت منه أنهار^(٦).

قال ابن منقذ: «هو أن يكون في المصراع الثاني كلمة من المصراع الأول»^(٧). كقول أبي العلاء.

قد أوزقتُ عُمدُ الخيامِ وأعشبتُ

شعبُ الرجالِ ولونُ رأسي أغبرُ

ولقد سلوتُ عن الشبابِ كما سلا

غيري ولكنُ للحبيبِ تذكُّرُ

وقول كثير:

وما هَجَرْتُكَ النفسُ يا عَزُّ إنَّها

قلَّتْكَ ولا أنْ قلَّ منك نصيبُها

ولكنَّهم يا أَحْسَنَ الناسِ أولعوا

بقولِ إذا ما جئتُ: هذا حبيبُها

المؤلفين حتى أدخله في باب تجاهل العارف، وهو أن يرى المتكلم شيئاً شبيهاً بشيء فيشكك نفسه فيه لقصد تقريب المشبه من المشبه به ثم يعود عن المجاز الى الحقيقة فيزيل ذلك التشكيك فإن لم يعد الى الحقيقة فهو تجاهل العارف، وإن عاد فهو التشكيك المحض»^(١)، كقول سلم:

تَبَدَّتْ فَقَلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا

بِجِلْدِ غَنِيِّ اللُّوْنِ مِنْ أَثَرِ الوَرَسِ

فَلَمَّا كَرَزْتُ الطَّرْفَ قَلْتُ لِصَاحِبِي

عَلَى مَرِيَةٍ مَا هَهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ

ثم قال: «فانظر كيف رجع الى التحقيق بعد التشكيك، وقد خفي هذا الفرق عن ابن رشيق وغيره حتى أدخلوه في باب تجاهل العارف، وهذا خلاف قول أبي تمام:

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَلْحَلَامُ نَائِمٍ

أَلَمْتُ بِنَا أُمِّ كَانَ فِي الرُّكْبِ يُوشَعُ

فان سلماً رجع عن التشكيك وأبو تمام لو يرجع، فكان بيت سلم من التشكيك المحض وبيت حبيب من تجاهل العارف، وقد ظهر الفرق بين البابين». ولذلك عُدَّ المصري مبتدعاً لهذا الفن لأن ما ذكره ابن رشيق من باب تجاهل العارف.

التشهير:

الشهرة وضوح الأمر، وقد شَهَرَهُ يَشْهَرُهُ شَهْرًا

(١) العمدة ج ٢ ص ٦٦، وينظر المنزع البديع ص ٢٧٦، الروض المريع ص ١٣١، كفاية الطالب ص ١٧٢.

(٢) البقرة ٢٨٢.

(٣) تحرير التحبير ص ٥٦٣، بديع القرآن ص ٢٧٩.

(٤) حُسن التَّوَشُّلِ ص ٣٠٤، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٦٩، جوهر الكنز ص ٢٠٤، عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٠، وقال ابن الاثير انه التجاهل (ينظر كفاية الطالب ص ١٧٢).

(٥) تحرير ص ٥٦٤.

الشعر وطرف الكلام وله في النفس حلاوة وحسن موقع بخلاف ما للعلو والاعراق. وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا يميز أحدهما من الآخر»^(١). ومعظم الأمثلة التي ذكرها من تجاهل العارف كقول زهير:

وما أذري وسوف إخال أذري

أَقْوَمُ آلِ حُضْنِ أُمِّ نِسَاءٍ؟

ولكنَّ المصري قال: «هو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هي حشو أو أصلية لا غنى للكلام عنها مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾^(٢). فان لفظه «بدين» تشكك السامع هل هي فضلة، إذ لفظه ﴿تدائنتم﴾ تغني عنها، والناظر في علم البيان يعلم أنها أصلية لأن لفظه الدين لها محامل وتقول: «داينت فلانا المؤدة يعني جازيته» ومنه «كما تدين تُدان». ومن ذلك قول رؤبة:

دايَنْتُ أَرْوَى وَالدَّيُونُ تُقْضَى

فَمَطَلْتُ بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضًا

وأمثال هذا. وكل هذا هو الدَّيْنُ المجازي الذي لا يكتب ولا يُشهد عليه، ولما كان المراد في الآية الكريمة تبين الدين المالي الذي يكتب ويُشهد عليه وفيه، وتبيين الأحكام المتعلقة به وما ينبغي أن يعمل فيه أوجبت البلاغة أن تقول: ﴿بدين﴾ معناه يكتب ويشهد ليقول: «فاكتبوه» والله أعلم»^(٣). وذَهَبَ الى مثل ذلك الحلبي والنويري وابن الاثير الحلبي والسبكي^(٤).

ومن التشكيك ضَرْبٌ آخر، وهو أن يأتي المتكلم بجمل من المعاني في كلامه كل جملة معطوفة على الأخرى بـ«أو» التي هي موضوعة للتشكيك لا التي للتخيير، كقول البحري:

كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ

مُنْضَدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاحٍ

قال المصري: «ومن التشكيك نوع التبس على بعض

الى ذلك لتذهب نفس السامع الى كل من معنيه كما
حكى عن بعض الأذكياء أنه كتب الى بعض أصحابه
أن يشتري له من البضائع الرائجة، وأمر أن لا ينقط
ليصلح للرائجة والرابحة»^(١١).

التَّصْدِيرُ:

التَّصْدِيرُ: نصب الصدر في الجلوس، وصدّر
كتابه: جعل له صدرًا، وصدّره في المجلس فتصدّر.
والتصدير: حزام الرجل والهودج^(١٢).

والتصدير هو ردّ العجز على الصدر أو ردّ الأعجاز
على الصدور، وسماه التبريزي والبغدادي «ردّ الكلام
على صدره»^(١٣)، وذكر الجاحظ أنه جاء في الصحيفة
الهندية: «ويكون مع ذلك ذاكرًا لما عقد عليه أول
كلامه»^(١٤) ونقل قول ابن المقفع: «حتى يكون
لكل فن من ذلك صدر يدلُّ على عجزه»^(١٥) وقال
في رسالة القيان: «إنّ الفروع لا محالة راجعة الى
اصولها، والأعجاز لاحقة بصدورها»^(١٦). ولكن
الجاحظ لم يقدّر له بابا أو يُمثّل له، وكان ابن المعتز
قد عدّه من فنون البديع الخمسة، وهو الباب

- (١) اللسان (شهر).
- (٢) تحرير ص ٣٨٣.
- (٣) اللسان (صحف).
- (٤) التنبيه على حدوث التصحيف ص ٢٦.
- (٥) الحيوان ج ١ ص ١٢١.
- (٦) الوساطة ص ٤٦.
- (٧) الوافي ص ٢٨٣.
- (٨) قانون البلاغة ٤٥٠.
- (٩) تحرير التحبير ص ١٠٥.
- (١٠) خزنة الأدب ص ٣٦.
- (١١) شرح عقود الجمان ص ١٤٢.
- (١٢) اللسان (صدر).
- (١٣) الوافي ص ٢٧٢، قانون البلاغة ص ٤٤٤.
- (١٤) البيان ج ١ ص ٩٣.
- (١٥) البيان ج ١ ص ١١٦.
- (١٦) رسالة القيان - رسائل الجاحظ ج ٢ ص ١٤٦.

وشهرة فاشتهر، وشهره تشهيرًا فاشتهر^(١).

والتشهير أن يأتي الناثر في أثناء نثره بيت لنفسه،
وقد أشار المصري الى هذا النوع عند كلامه على
الاستعانة^(٢).

التَّصْحِيفُ:

التصحيف: الخطأ في الصحيفة^(٣). والتصحيف
هو «أن يُقرَأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه وعلى غير
ما اصطلح عليه في تسميته. وأما لفظ التصحيف
فإن أصله فيما زعموا أن قومًا أخذوا العلم عن
الصُّحُفِ من غير أن لقوا فيه العلماء فكان يقع
فيما يروونه التغيير فيقال عندها قد صحّفوا فيه،
أي روهه عن الصُّحُفِ ومصدره التصحيف
ومفعوله مُصَحَّفٌ»^(٤).

وقد أشار الجاحظ الى ما يقع في الكلام من
التصحيف^(٥)، وقال القاضي الجرجاني: «ومن
أصناف البديع التصحيف»^(٦) كقول البحرني:

ولم يكن المغتتر بالله إذ سرى
ليعجزَ والمعتتر بالله طالِبُه

ثم قال القاضي: «وهذا يدخل في بعض الأقسام
التي ذكرناها في التجنيس ولكن ما أمكن فيه
التصحيف فله باب على حياله وجانب يتميز به عن
غيره».

وذكر التبريزي هذا النوع ولم يُعرِّفه واكتفى بأمثلة
القاضي الجرجاني^(٧) ونقل عنه ذلك البغدادي^(٨).
وقد قال المصري عن التبريزي: «ولم يذكره التبريزي
في أقسام التجنيس وجعل التصحيف بابًا مفردًا»^(٩).

وعقد الحموي بابا سماه «المُصَحَّفُ والمُحَرَّفُ»
ويريد به جناس التصحيف، قال: «ومنهم من يُسمّيه
جناس الخط وهو ما تماثل ركناه خطأ واختلفا
لفظًا»^(١٠).

وقال الشيوطي: «هذا نوع رابع اخترعته، وهو أن
يأتي في المقصود بكلام لتصحيفه معنى مُعتبر فيقصد

الرابع^(١)، وَقَسَّمَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الأول: ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول، كقول الشاعر:

تَلْقَى إِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ عَرْمَرَمًا

فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُفْلُ عَرْمَرِمٍ

الثاني: ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول كقول الشاعر:

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلِطُّمُ خَدَّهُ

وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ

الثالث: ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر:

عَمِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْصَدْتُهُ

سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامُ

ولم يُسَمَّ ابن المعتز هذه الأقسام ولكنَّ المصري قال: «والذي يحسن أن نسمي القسم الأول تصدير التقفية، والثاني تصدير الطرفين، والثالث تصدير الحشو»^(٢).

وسَمَّاه الْأَصْمَعِيُّ التَّصْدِيرَ فَقَالَ: «من حسن التصدير قول عامر بن الطفيل:

فَكُنْتُ سَنَامًا فِي فِزَارَةِ تَامِكَا

وَفِي كُلِّ حَيِّ ذُرْوَةٌ وَسَنَامٌ»^(٣)

وسَمَّاه الحاتمي التصدير أيضا وقال: «هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت في أوله أو في عجزه أو في النصف منه ثم يرددها في النصف الأخير فاذا نظم الشعر على هذه الصنعة تهيأ استخراج قوافيه وقبل أن يطرق أسمع مستمعيه، وهو الشعر الجيد»^(٤). وتبعه في التسمية ابن رشيق الذي ذكر أقسام ابن المعتز وقال إنّه: «قريب من الترديد، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي تُرَدُّ عَلَى الصَّدُورِ فَلَا تَجِدُ تَصْدِيرًا إِلَّا كَذَلِكَ حَيْثُ وَقَعَ مِنْ كِتَابِ الْمُؤَلِّفِينَ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ فَرَقًا وَالتَّرْدِيدُ يَقَعُ فِي أَعْصَافِ الْبَيْتِ إِلَّا مَا نَاسَبَ قَوْلَ ابْنِ الْعَمِيدِ الْمَقْدَمِ»^(٥)، وهو:

فَإِنْ كَانَ مَسْخُوطًا فَقُلْ شِعْرُ كَاتِبٍ

وَإِنْ كَانَ مَرْضِيًّا فَقُلْ شِعْرُ كَاتِبٍ

وقال: «وهو داخل - عندي - في باب الترديد إذ كان قوله عند الشُّخْطِ «شعر كاتب» إنما معناه التفسير به وبسط العذر له إذ ليس الشعر من صناعته كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون «نحو كتابي» إذا لم يكن مجودًا، وقوله عند الرضى «شعر كاتب» إنما معناه التعظيم له وبلوغ النهاية في الظرف والملاحة لمعرفة الكتاب باختيار الالفاظ وطرق البلاغات فقد ضاؤ وطابق في المعنى وإن كان اللفظ تجنيسًا مرددًا»^(٦).

وسَمَّاه ابن منقذ «ترديدًا» و«تصديرًا» قال: «باب الترديد ويُسَمَّى التَّصْدِيرَ، اعْلَمْ أَنَّ التَّرْدِيدَ هُوَ رَدُّ أَعْجَازِ الْبَيْوتِ عَلَى صَدُورِهَا أَوْ تَرْدُ كَلِمَةٍ مِنَ النِّصْفِ الْأَوَّلِ فِي النِّصْفِ الثَّانِي»^(٧).

ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم النهشلي المضادة كقول الفرزدق:

أَصْدِرْ هُمُومَكَ لَا يَغْلِبُكَ وَارِدُهَا

فَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صَدْرٌ»^(٨)

وقال المصري عن ردُّ الأَعْجَازِ عَلَى الصَّدُورِ: «وهو الذي سَمَّاه المتأخرون التصدير»^(٩)، وذكر أقسام ابن المعتز ووضع لها أسماء ثم ذَكَرَ قِسْمًا رَابِعًا ذَهَبَ عَنْهُ ابْنُ الْمُعْتَزِ وَهُوَ يَأْتِي فِيمَا الْكَلَامِ فِيهِ مَنْفِي، وَاعْتَرَاضٌ فِيهِ إِضْرَابٌ عَنْ أَوْلِهِ كَقَوْلِ أَبِي الْعَطَاءِ السَّنْدِيِّ:

(١) البديع ص ٤٧.

(٢) تحرير التحبير ص ١١٧.

(٣) نظرة الإغريض ص ١٠٤.

(٤) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٦٢.

(٥) العمدة ج ٢ ص ٣.

(٦) العمدة ج ١ ص ٣٣٥.

(٧) البديع في نقد الشعر ص ٥١.

(٨) العمدة ج ٢ ص ٤.

(٩) تحرير التحبير ص ١١٦، بديع القرآن ص ٣٦.

اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبهه في أو الفقرة واللفظ الآخر في آخرها، فيكون أربعة أقسام:

الأول: أن يكونا مكررين كقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٨).

والثاني: أن يكونا متجانسين نحو قولهم: «سائل اللثيم يَزِجُ ودمعته سائل».

والثالث: أن يجمع اللفظين الاشتقاق نحو قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(٩).

والرابع: أن يجمعهما شبه الاشتقاق نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ: إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾^(١٠).

وفي النظم: على أربعة أقسام وهو: أن يقع أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو عجزه أو صدر المصراع الثاني فهذه أربعة أقسام. وعلى كل تقدير فاللفظان إما مكرران، أو متجانسان، أو ملحقان بهما، فتصير الأقسام اثني عشر حاصلة من ضرب أربعة في ثلاثة، وباعتبار أن الملحقين قسمان لأنه إما أن يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق تصير الأقسام ستة عشر، حاصلة من ضرب أربعة في أربعة. والاقسام التي ذكرها هي:

الأول: وقوع أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول واللفظان مكرران كقول الشاعر:

(١) تحرير ص ١١٨.

(٢) قانون البلاغة ص ٤٠٩.

(٣) تحرير ص ٢٣١.

(٤) نضرة الإغريض ص ١٠٤.

(٥) الفوائد ص ٢٣٩.

(٦) خزانة الأدب ص ١١٤، وينظر المنزح البديع ص ٤٠٦، كفاية الطالب ص ١٤١.

(٧) أنوار الربيع ج ٣ ص ٩٤.

(٨) الأحزاب ص ٣٧.

(٩) نوح ص ١٠.

(١٠) الشعراء ص ١٦٨.

فإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ

بلى كُلُّ مَنْ تَحْتَ الترابِ بَعِيدُ

وقال إن قدامة جاء من التصدير بنوع آخره وسماه التبديل وهو «أن يصير المتكلم الآخر من كلامه أولاً وبالعكس كقولهم: «اشكر لمن أنعم عليك وانعم على شكرك»^(١)، ونظم له شاهداً شعرياً، قال: «ولم أقف لهذا القسم على شاهد شعري فقلت:

اضْبِرْ عَلَى خُلُقِ مَنْ تَعَاشِرُهُ

واضْحَبْ صَبُورًا عَلَى أذى خُلُقِكَ

ثم قال: «ولم يفرد له قدامة باباً فأذكره في أبوابه». وليس في نقد الشعر المطبوع هذا النوع، ولعل البغدادي^(٢) نقله من كتاب آخر كما نقله المصري.

وفرق المصري بين التصدير والتوشيح فقال: «وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما يَدُلُّ صَدْرُهُ عَلَى عَجْزِهِ، والفرق بينهما أن دَلَالَةَ التصدير لفظية ودَلَالَةُ التوشيح معنوية»^(٣).

وقال المظفر العلوي: ويلقبه قوم رد أعجاز الكلام على صدوره وهو أن يتدئ الشاعر بكلمة في البيت ثم يُعيدُها في عَجْزِهِ أو نصفه ثم يردُها في النصف الأخير، وإذا نظم الشعر على هذه الصنعة تيسر استخراج قوافيه قبل أن تطرق اسماع مستمعيه»^(٤). وقال ابن قيم الجوزية: «رد العجز على الصدر ويُسمى التصدير من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان»^(٥). وقال

الحموي: «هذا النوع الذي هو ردُّ الأعجاز على الصدور سَمَّاه المتأخرون التصدير، والتصدير هو أخف على المستمع وأليق بالمقام»^(٦)، ولكن المدني قال: «رد العجز على الصدر هذا النوع سَمَّاه بعضهم بالتصدير، والاول أولى لأنه مطابق لسماه، وخير الاسماء ما طابق المسمى»^(٧). وفرَّق بين مفهومه في النثر وفي الشعر، فقال: «وهو في النثر: أن يجعل أحد اللفظين المكررين أعني المتفقين في اللفظ والمعنى أو المتجانسين وهما المتشابهان في اللفظ دون المعنى أو الملحقين بالمتجانسين وهما اللفظان

سريع الى ابن العم يَلِطُمُ وَجْهَهُ
وليس الى داعي الندى بسريع
وقول ابن جابر الاندلسي:

جَمالُ هذا الغزالِ سِحْرُ
يا حَبَّذا ذلكَ الجَمالُ

الثاني: وقوع أحد اللفظين المكررين في آخر البيت والثاني في حشو المصراع الأول كقول الشاعر:

تَمَتَّعَ من شَمِيمِ عَرارِ نَجِدِ
فما بَعَدَ العَشِيَّةِ من عَرارِ

وقول أبي تمام:

ولم يَحْفَظْ مُضاعَ المَجْدِ شَيْءُ
من الأَشياءِ كالمالِ المُضاعِ

الثالث: وقوع أحد اللفظين المكررين في آخر البيت والآخر في المصراع الأول، كقول أبي تمام:

وَمَنْ كانَ بالبيضِ الكواعِبِ مُغْرَمًا
فمازِلْتُ بالبيضِ القواضِبِ مُغْرَمًا

وقول البحري:

لقد غادرت في جِسْمِي سَقاما
بما في مُقْلَتِيكَ من السَقامِ

الرابع: وقوع أحد اللفظين المكررين في آخر البيت، والآخر في أول المصراع الآخر كقول ذي الرمة:

وإن لم يكنْ إلا معرَّجُ ساعةٍ
قليلاً فاني نافعٌ لي قليلاً

وقول كثير عزة:

أصابَ الردى مَنْ كانَ يبغى لها الردى
وَجُنَّ اللواتي قُلْنَ عَزَّةَ جُنَّتِ

الخامس: هو وقوع أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول واللفظان متجانسان كقول القاضي الجرجاني:

دَعاني مِنْ ملامِكِما سِفاهاً
فداعي الشوقِ قبلِكِما دَعاني
وقول الآخر:

ذوائِبُ سُودٌ كالعناقيدِ أُرْسِلَتْ
فمِنْ أَجْلِها مِنا النفوسُ ذوائِبُ

السادس: وقوع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت، والآخر في حشو المصراع الأول كقول الثعالبي:

وإذا البلايلُ أَفْصَحَتْ بلغاتها
فأنفِ البلايلِ باحتساءِ بلايلِ

وقول الآخر:

لا كانَ انسانٌ تيمَّمَ قاصداً
صَيْدَ المِها فاصطاده إنسانها

السابع: وقوع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت والآخر في آخر المصراع الأول كقول البحري:

العيشُ في ظِلِّ دارِنا إذا بردا
والراحُ تَمزجها بالماءِ من بردى

وقول ابن جابر الاندلسي:

زُرْتُ الديارَ عَن الأَحِبَّةِ سائلاً
وَرَجَعْتُ ذا أَسْفِ وَدَمَعِ سائِلِ

وَنَزَلْتُ في ظِلِّ الأراكَةِ قائلاً
والرَبْعُ أَخْرَسُ عن جوابِ القائلِ

الثامن: وقوع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع كقول الأرجاني:

أَمَلتَهُمُ ثُمَّ تَأَمَلتَهُمُ
فلاخَ لي أنَ ليسَ فيهِمُ فلاحُ

وقول الميكالي:

إنَّ لي في الهوى لساناً كتوماً
وفؤاداً يُخفي حريقَ جواه

غيرَ أنِّي أخافُ دَمَعِي عليه
ستراه يُبدي الذي ستراه

التاسع: وقوع أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول واللفظان ملحقان بالمتجانسين جمعهما الاشتقاق كقول السري الرفاء وقيل للبحثري:

ضرائبُ أبدعتها في السما
حِ فلسنا نرى لك فيها ضربيا

وقول البحتري:

ضربَ الجبالَ بمثلها من عزمه

عُضبانَ يَطْعُرُ بالحمام وَيَضْرِبُ

العاشر: وقوع أحد اللفظين الملحقين بالمتجانسين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول كقول امرئ القيس:

إذا المرءُ لم يَحْزُنْ عليه لسانه

فليس على شيءٍ سواه يَحْزَانُ

وقول أبي فراس:

يقولُ لي انتظرَ زَمَنًا وَمَنْ لي

بأنَّ الموتَ ينتظرُ انتظاري

الحادي عشر: وقوع أحد اللفظين الملحقين بالمتجانسين في آخر البيت والآخر في آخر المصراع الاول كقول الشاعر:

فَدَعَ الوعيدَ فما وَعِيدُكَ ضائري

أَطْنِينُ أَجْنَحَةَ الذُّبَابِ يَضِيرُ

وقول أبي تمام:

أَعَاذَلْنَا مَا أَحْشَنَ اللَّيْلَ مَرَكَبًا

وَأَحْشَنُ مِنْهُ الْمَلَمَاتِ رَاكِبُهُ

الثاني عشر: وقوع أحد اللفظين الملحقين بالمتجانسين في آخر البيت والآخر في أول المصراع الثاني كقول أبي تمام:

ثَوَى فِي الثَّرَى مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الْوَرَى

وَيَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهْرِ نَائِلُهُ الْغَمْرُ

وقد كانت البيضُ القواضبُ في الوغى

بواترَ فهي الآنَ من بَعْدِهِ بُشْرُ

وقول أبي فراس:

ولكتنني في ذا الزمانِ وأهله

غريبٌ وأفعالي لديه غرائبُ

الثالث عشر: وقوع أحد اللفظين الملحقين اللذين يجمعهما شبهُ الاشتقاق في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول كقول الحريري:

ولاح يلحى على جزي العنانِ الى

ملهى فَشَحَقًا له من لائحِ لاجِ

وقول الكافي العماني:

ثنينا السوءَ عن ذاك التثني

وأثنيناها عن تلك الثنايا

الرابع عشر: وقوع أحد اللفظين المذكورين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول كقول الشاعر:

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ الثُّرَيَّا مَكَانَهُ

تراه فأضحى الآنَ مثواه في الثرى

وقول أبي العلاء:

لو اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتَكُمْ

وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

الخامس عشر: وقوع أحد اللفظين المذكورين في آخر البيت والآخر في آخر المصراع الأول كقول الحريري:

وَمُضْطَلِعَ بِتَلْخِيصِ الْمَعَانِي

وَمَطَّلَعَ إِلَى تَلْخِيصِ عَانِ^(١)

وقول البحتري:

صَفَا مِثْلَمَا تَصْفُو الْمَدَامُ خِلَالَهُ

وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ

السادس عشر: وقوع أحد اللفظين المذكورين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الثاني كقول

(١) التلخيص الاول: التبيين والشرح، والثاني:

التلخيص (ينظر القاموس المحيط - لخص -).

التهامي:

طَيْفٌ أَلَمَ فزَادَ فِي آلامِي

أَلَمًا وَلَمْ أَعْهَدْهُ ذَا إِمَامٍ

وقوله:

تَخْمُدُ الْحَرْبُ حِينَ تَعْمَدُ بِأَسًا

وَتَسِيلُ الدَّمَاءُ حِينَ تَسْلُ

وَرَدُّ الْأَعْجَازِ عَلَى الصُّدُورِ أَوْ التَّصْدِيرِ عِنْدَ ابْنِ الْأَثِيرِ مِنْ بَابِ التَّجْنِيسِ، قَالَ: «وَرَأَيْتُ الْغَانِمِي قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ بَابًا وَسَمَّاهُ «رَدُّ الْأَعْجَازِ عَلَى الصُّدُورِ» خَارِجًا عَنِ بَابِ التَّجْنِيسِ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْهُ وَقِسْمٌ مِنْ جُمْلَةِ أَقْسَامِهِ»^(١). وَالْيَاقُوتِيُّ ذَهَبَ الْخَطِيبِيُّ، وَقَدْ قَالَ السَّبْكَيُّ إِنَّهُ «مِنْ أَنْوَاعِ التَّحْسِينِ اللَّفْظِيَّةِ لَا مِنَ الْجِنَاسِ كَمَا تَوَهَّمَهُ الْخَطِيبِيُّ»^(٢).

وهذا الفن عند السكاكي والقزويني وشرح التلخيص ومن تبعهم من المحسنات اللفظية، وقد أفردوه عن التجنيس^(٣).

التَّصَرُّفُ:

صَرَّفَ الشَّيْءَ: أَعْمَلَهُ فِي وَجْهِ كَأَنَّهُ يَصْرِفُهُ عَنِ وَجْهِ إِلَى وَجْهِ، وَتَصَرَّفَ هُوَ، وَتَصَارَيْفُ الْأُمُورِ: تَخَالِيفُهَا، وَمِنْهُ تَصَارَيْفُ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ^(٤).

والتصريف من مُبتدعات المصري، قال: «هو أن يأتي الشاعر إلى معنى فيبرزه في عدة صور تارة بلفظ الاستعارة وطورًا بلفظ الإيجاز وآونة بلفظ الإرداف وحينًا بلفظ الحقيقة»^(٥). كقول امرئ القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ

عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ

وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلِّكَ

فإنه أبرز هذا المعنى في لفظ الاستعارة ثم تصرّف فيه فأتى به بلفظ الإيجاز فقال:

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ طَوِيلٍ كَأَنَّهُ

بِكُلِّ مَغَارٍ الْفِثْلِ شُدَّتْ بِيذْبُلٍ

فان التقدير: فيا لك من ليل طويل، فحذف الصفة لدلالة التشبيه عليها. ثم تصرّف فيه فأخرجه بلفظ الإرداف فقال:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُقَلَّتْ فِي مِصَامِهَا

بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

ثم تصرف فيه فعبر عنه بلفظ الحقيقة فقال:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي

بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ

وهذا يدل على قوة الشاعر وقدرته، ولذلك أتت قصص القرآن الكريم في صور شتى من البلاغة وما بين الإيجاز والاطناب واختلاف معاني الألفاظ.

وسمى المصري هذا الفن «الاعتدال» أيضا وقال: «هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتدارًا منه على نظم الكلام وتركيبه وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به لفظ الاستعارة وطورًا يبرزه في صورة الإرداف وآونة يخرج مخرج الإيجاز، وحينًا يأتي به في ألفاظ الحقيقة»^(٦).

ونقل الحلبي والتويري هذا الفن وأمثله منه وسمياه

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢٥١، الجامع الكبير ص ٢٥٨، كفاية الطالب ص ١٤١.

(٢) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٣٣.

(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٣، المصباح ص ٧٧، الايضاح ص ٣٩٠، التلخيص ص ٣٩٣، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٣٣، المطول ص ٤٤٩، الأطول ج ٢ ص ٢٢٨، شرح عقود الجمان ص ١٤٨، معترك ج ١ ص ٤٨، وينظر الروض المريع ص ١٦٢.

(٤) اللسان (صرف).

(٥) تحرير التعبير ص ٥٨٢.

(٦) بديع القرآن ص ٢٨٩.

وقال ابن سنان: «هو أن يذكر مؤلف الكلام معنى يحتاج الى تفسيره فيأتي به على الصحة من غير زيادة ولا نقص»^(١٢).

وقال البغدادي: «هي أن توضع معانٍ تحتاج الى شرح أحوالها فاذا شرحت أتى بتلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة عليها ولا نقصان منها»^(١٣).

وقال ابن منقذ: «إنَّ التفسير هو أن تذكر جملة فلا تزيد فيها ولا تنقص منها ولا تخالف بينها»^(١٤).

وقال الصنعاني: «ومن أنواع الفصاحة ما يُسمونه التفسير، والتفسير شرح ما يبتدىء به القائل مجملًا»^(١٥).

وقال ابن شيث القرشي: «هو أن يكون في صدر الكلام جملة يفسرها ما بعدها»^(١٦). وقال ابن الاثير: «إنَّ صحة الترتيب في ذلك أن يذكر في الكلام معانٍ مختلفة فاذا أعيد اليها بالذکر لتفسر قَدَم المقدم وأخر

(١) حسن القرآن ص ٣١٥، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٧، وينظر الروض المريع ص ١٦٧.

(٢) اللسان (صرح).

(٣) الفوائد ص ١٧٩.

(٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٢٣.

(٥) المصباح ص ٩٥، خزنة الأدب ص ٤٠٨، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٢٣.

(٦) نقد الشعر ص ١٥٤.

(٧) الوشيج: شجر الرماح، وتستعمل للرمح.

(٨) كتاب الصناعتين ص ٣٤٥.

(٩) القصص ٧٣.

(١٠) اعجاز القرآن ص ١٤٣.

(١١) العمدة ج ٢ ص ٣٥.

(١٢) سر الفصاحة ص ٣١٨، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٠.

(١٣) قانون البلاغة ص ٤١٢.

(١٤) البديع في نقد الشعر ص ٧٢.

(١٥) الرسالة العسجدية ص ١٤٩.

(١٦) معالم الكتابة ص ٨١.

التصرف^(١). كما سماه المصري في «تحرير التحبير».

التَّصْرِيحُ بَعْدَ الإِبْهَامِ:

صَرَخَتْ الخُمْرُ تصريحا انجلى زَبْدُهَا فخلصت، وصَرَخَ فلان بما في نفسه وصارح: أبداه وأظهره، والتصريح خلاف التعريض^(٢).

والتصريح بعد الإبهام هو التفسير وقد سَمَّاه كذلك ابن قيم الجوزية فقال: «التصريح» بعد الإبهام ويسمى التفسير^(٣). والتفسير «في اللغة تفعيل من الفسر، وهو البيان والكشف، وقيل: هو مقلوب السفر، يقال: أسفر الصباح: إذا أضاء»^(٤). وسَمَّاه بعضهم «التبيين»^(٥)، وعَدَّه قدامة من أنواع المعاني وسَمَّاه «صحة التفسير» وقال: هي «أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فاذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منه ولا يزيد أو ينقص»^(٦) كقول الفرزدق:

لقد جِئْتُ قومًا لو لَجَأْتُ اليهم

طريدَ دمٍ أو حاملاً ثِقَلَ مَعْرَمٍ

فلما كان هذا البيت محتاجًا الى التفسير قال:

لألفيتَ منهم مُعْطِيًا ومُطَاعِنًا

وراءك شَرَرًا بالوشيجِ المقومِ^(٧)

وقال العسكري: «هو أن يورد معاني فيحتاج الى شرح أحوالها فاذا شرحت تأتي في الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تزداد فيها»^(٨)، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٩). فجعل السكون ليل وابتغاء الفضل للنهار، فهو في غاية الحسن ونهاية التمام.

وقال الباقلاني: هو أن توضع معانٍ تحتاج الى شرح أحوالها فاذا شرحت أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة ولا نقصان»^(١٠).

وقال ابن رَشِيق: «هو أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملًا وقلما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد»^(١١).

المؤخر وهو الأحسن»^(١).

وقال ابن الرّمكاني: «هو أن تذكر شيئاً ثم تقصد تخصيصه فتعيده مع ذلك المخصص»^(٢).

وقال المصري: «هو أن يأتي المتكلم في أول الكلام، أو الشاعر في بيت من الشعر بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون أن يفسر أما في البيت الآخر أو في بقية البيت إن كان الكلام الذي يحتاج إلى التفسير في أوله»^(٣).

وقال التنوخي: «هو أن يذكر المؤلف ناظماً كان أو ناثراً أشياء مرتبة ثم يفسرها، فالمحمود منه أن يكون التفسير مرتباً ترتيب المفسر، فإن خالف بين التفسير والمفسر في الترتيب أخذ عليه ما لم يكن ذلك لمعنى. ومما يخالف فيه الترتيب النظم لضرورة الوزن والقافية فيعذر فاعله، وقد يخالف الترتيب لمعنى غير النظم فتكون المخالفة أولى من الترتيب»^(٤). ولا يخرج معنى التفسير عن ذلك عند الآخرين^(٥). ويلاحظ أن هذه التعريفات تُقَرَّبُ هذا الفن من اللف والنشر وقد أشار بعضهم كالحلبي والنويري إلى ذلك فقالا: «وهو قريب منه - أي من اللف والنشر - وهو أن يذكر لفظاً ويتوهم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير»^(٦).

والتفسير على أقسام: فمنه ما هو ضروري، ومنه ما هو غير ضروري فالضروري ما لا يتيم الكلام إلا به، وغير الضروري ويسمى «تبرعا» وهو نوعان: نوع يتم الكلام دونه ولكن لا يكمل معناه إلا بالتفسير، ونوع يتم الكلام ويكمل تقسيمه ولكن يحتاج في معناه إلى زيادة تكميل وتوكيد^(٧).

ومثال الضروري قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(٨)، فاستغرق بذلك أقسام أجناس كل ما دبّ ودرج مع حسن الترتيب. وهذا تفسير ضروري فانه لو اقتصر على قوله: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ ولم يفسر هذا التفسير لكان الكلام غير تام، ولما فسر به هذه الاقسام

الثلاثة كمل به المعنى ولم يثق فيه قسم رابع.

ومثال تفسير التبرع قول الشاعر:

لئن كُنْتُ مُحتَاجًا إلى الحِلْمِ إنِّي

إلى الجَهْلِ في بَعْضِ الأَحْيَانِ أَحْوَجُ

ثم فسره بقوله:

ولي فَرَسٌ بالحِلْمِ للحِلْمِ مُلَجِّمٌ

ولي فَرَسٌ بالجَهْلِ للجَهْلِ مُشْرَحٌ

ثم فسره بقوله:

فَمَنْ رَامَ تَقْوِيْمِي فإِنِّي مُقَوِّمٌ

وَمَنْ رَامَ تَعْوِيْجِي فإِنِّي مُعَوِّجٌ

فالثاني تفسير الأول والثالث تفسير الثاني وكلا التفسيرين من باب التبرع لأن البيت الأول تمّ به الكلام واستوفى المعنى، فهذا هو تفسير التبرع.

وليس كل كلام يفتقر إلى تفسير بل ما كان منه مجملًا ومبهما فيجب تفسيره وتبيانه. وأفصح ما كانت الكلمة وتفسيرها في بيت واحد كقول الشاعر:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهِمْ

شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

وقول الآخر:

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣١٠، الجامع الكبير

ص ٢٢١ كفاية الطالب ص ١٨٢.

(٢) التبيان ص ١٧٦، البرهان الكاشف ص ٣١٥.

(٣) تحرير التحرير ص ١٨٥، بديع القرآن ص ٧٤.

(٤) الأقصى القريب ص ٩٧.

(٥) جوهر الكنز ص ١٤٨، الراز ج ٣ ص ١١٤،

البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٦، خزانة

الأدب ص ٤٠٨، معترك ج ١ ص ٣٦١، الاتقان

ج ٢ ص ٧٢، شرح عقود الجمان ص ١٣٩،

انوار الربيع ج ٦ ص ١٢٣.

(٦) حسن التوسل ص ٢٤٦، نهاية الارب ج ٧

ص ١٢٩.

(٧) جوهر الكنز ص ١٤٨.

(٨) النور ٤٥.

المصراعين، وبيت من الشعر مُصْرَعٌ له مصراعان، وكذلك بابٌ مصْرَعٌ. والتصريح في الشعر: تفتية المصراع الأول، مأخوذ من مصراع الباب، وهما مُصْرَعَان، وانما وقع التصريح في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدىء، إما قصة وأما قصيدة^(٢).

وقد سبق الى معرفة التصريح علماء العروض كالخليل، وقد كانوا يعدونه من محاسن الكلام، قال أبو تمام يمتدحه:

وتقفو لي الجدوى بجدوى وإنما

يروقك بيتُ الشعر حين يُصْرَعُ

قال قدامة في نعت القوافي: «أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها فان الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرَّعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره، وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحلّه من الشعر»^(٣). فمنه قوله:

ففا بئك من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ

بسقط اللوى بين الدخولِ فَحَوْمَلِ

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال:

أفأطم مهلاً بَعْضَ هذا التدليلِ

وإن كُنْتُ قد أزمعتِ صرْمِي فأجملي

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت فقال:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي

بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

وذكر أن كثيراً من الشعراء سلك مسلك امرئ

(١) نقد الشعر ص ٢٣١، وينظر الموشح ص ٣٦٧، قانون البلاغة ص ٤١٥.

(٢) اللسان (صرع)، وينظر العمدة ج ١ ص ١٧٤.

(٣) نقد الشعر ص ٥١، وينظر انوار الربيع ج ٥ ص ٢٧١.

صالوا وجادوا وضاءوا واحتبوا فهُمُ
أَسَدٌ وَمُزْنٌ وَأَقْمَارٌ وَأَجْبَالٌ

وفي بيتين كقول الشاعر:

ولمّا أبى الواشون إلا فراقنا

وما لَهُمُ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ

عَزْوَتِهِمْ مِنْ مَقْلَتِيكَ وَأَدْمَعِي

وَمِنْ نَفْسِي بِالسَّيْفِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ

وَعَدَّ قُدَامَةَ فساد التفسير من عيوب المعاني وهو ما كان على نقيض صحة التفسير، ولم يجد له مثلاً إلا بيتين جاء بهما أحد شعراء زمانه وهو يطلب أمثلة لهذا الباب وهما:

فيا أيُّها الحيرانُ في ظلمِ الدُّجَى

وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغْيٌ مِنَ الْعَدَى

تعال إليه تَلَقَّ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ

ضِيَاءً وَمَنْ كَفَّيَهُ بَحْرًا مِنَ النَّدَى

قال قدامة: «ووجه العيب فيهما أن هذا الشاعر لما قدّم في البيت الأول الظلم وبغْي العدى كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما فأتى بازاء الاظلام بالضياء وذلك صواب، وكان الواجب أن يأتي بازاء بغْي العدى بالنصرة أو العصمة أو بالوَزْر أو بما جانس ذلك مما يحتمى به الانسان من أعدائه فلم يأت بذلك وجعل مكانه ذكر الندى، ولو كان ذكر الفقر أو العدم لكان ما أتى به صواباً»^(١).

التَّصْرِيحُ:

صرع الباب: جعل له مصراعين. قال أبو اسحاق: المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما بابا البيت، قال واشتقاقهما من الصرعين وهما نصفا النهار. قال: فمن غدوة الى انتصاف النهار صرَّعٌ ومن انتصاف النهار الى سقوط القُرْصِ صرَّعٌ. قال الازهري: والمصراعان من الشعر ما كان فيه قافيتان في بيت واحد، ومن الأبواب ما له بابان منصوبان ينضمان جميعاً مدخلهما بينهما في وسط

عبارة عن استواء عروض البيت وضربه في الوزن والاعراب والتقفية بشرط أن تكون العروض قد غيّرت عن أصلها لتلحق الضرب في زنته. والبديعي استواء آخر جزء في الصدر وآخر جزء في العجز في الوزن والاعراب والتقفية، ولا يعتبر بعد ذلك أمر آخر^(٧).

ومثال التصريح العروضي قول امرئ القيس:

أَلَا عِمَّ صَبَاخًا أَثِيهَا الطَّلُّ البَالِي

وهل يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي العُضْرِ الخَالِي

ومثال التصريح البديعي قوله في أثناء هذه القصيدة:

أَلَا إِنِّي بَالٍ عَلَى جَمَلٍ بَالٍ

يَقُودُ بِنَا بَالٍ وَيَتْبَعُنَا بَالٍ

ولا يخرج الآخرون عن هذا المعنى للتصريح^(٨). وقد قسمه ابن الأثير إلى سبعة أقسام أو سبع مراتب وتابعه العلوي في ذلك^(٩)، وهذه المراتب هي:

الأولى: وهي أعلى التصريح درجة، أن يكون كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه في فهم معناه غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه، ويسمى «التصريح الكامل» كقول المتنبي:

(١) نقد الشعر ص ٦٠.

(٢) العمدة ج ١ ص ١٧٣.

(٣) العمدة ج ١ ص ١٧٤.

(٤) سر الفصاحة ص ٢٢١.

(٥) قانون البلاغة ص ٤٥٦.

(٦) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٢، الجامع الكبير ص ٢٥٤.

(٧) تحرير التحبير ص ٣٠٥.

(٨) نضرة الاغريض ص ٢٨، منهاج الادباء

ص ٢٨٣، الأقصى القريب ص ١١١، الايضاح

ص ٣٩٧، الطراز ج ٣ ص ٣٢، المطول

ص ٤٥٦، خزانة الادب ص ٣٦٦، أنوار الربيع

ج ٥ ص ٢٧١، نفحات ص ٢٨١، التبيان في

البيان ص ٤١٧، شرح الكافية ص ١٨٨.

(٩) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٢، الطراز ج ٣ ص ٣٣.

القيس ومنهم أوس بن حجر والمرقش وحسان والشماخ وعبيد بن الابرص والراعي وابن أحمر الباهلي وأمّية بن حرثان. ثم قال: «وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأنّ بنية الشعر إنّما هو التسجيع والتقفية فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر»^(١).

فالتصريح في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنشور وفائدته أنّه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها، وهو أدخل في باب السجع. وقد قال ابن رشيق: «فأما التصريح فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته»^(٢). وقال: «وسبب التصريح مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أول وهلة أنّه أخذ في كلام موزون غير منشور، ولذلك وقع في أول الشعر، وربما صرّع الشاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريح إخباراً بذلك وتبنيها عليه. وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع تصريح، وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة إلا أنّه إذا كثر في القصيدة دلّ على التكلف إلا من المتقدمين»^(٣).

وقال ابن سنان: «وأما التصريح فيجري مجرى القافية، وليس الفرق بينهما إلا أنّه في آخر النصف الأول من البيت والقافية في آخر النصف الثاني منه. وإنّما شبه مع القافية بمصراعي الباب»^(٤).

وقال البغدادي: «هو أن يقصد الشاعر لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة كمقطع المصراع الثاني»^(٥).

وقال ابن الأثير: «إنّ التصريح في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنشور»^(٦).

وفرق المصري بين العروضي والبديعي فقال: «التصريح على ضربين: عروضي وبديعي. فالعروضي

أحدهما: أقرب حالاً من الآخر ويكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها كقول عبید بن الأبرص:

فَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَتَوَوَّبُ

وَعَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَتَوَوَّبُ

وثانیهما: أن يكون التصريح بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها، كقول أبي تمام:

فَتَى كَانَ شُرْبًا لِلْعُغَاةِ وَمَرْتَعًا

فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضِ مَرْتَعًا

السادسة: أن يذكر المصراع الأول ويكون معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول المصراع الثاني ويُسمى التصريح «المعلق» كقول امرئ القيس:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي

بَصْبِحِ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فإن المصراع الأول معلق على قوله «بصبح» وهذا معيب جداً، وعليه ورد قول المتنبي:

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا

تَدْمَى وَأَلْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا

فإن المصراع الأول معلق على قوله: «تدمى».

السابعة: أن يكون التصريح في البيت مخالفاً لقافيته ويُسمى التصريح «المشطور» وهو أنزل درجات التصريح وأقبحها، ومن ذلك قول أبي نواس:

أَقْلَنِي قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الذُّنُوبِ

وَبِالْإِقْرَارِ عُذْتُ عَنِ الْجُحُودِ

فَصَرَّعَ بِحَرْفِ الْبَاءِ فِي وَسْطِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَفَّاهُ بِحَرْفِ الدَّالِ، وهذا لا يكاد يستعمل إلا قليلاً. قال ابن الأثير عن هذه المراتب السبع: «وذلك شيء لم يذكره على هذا الوجه أحد قبلي»^(١). وأدخل القزويني التصريح في السجع، وقال: «ومنه ما يُسمى التصريح وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب»^(٢). وسماه الشيوطي

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٢.

(٢) الايضاح ص ٣٩٧.

إذا كان مدح فالنسيب المقدم

أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَيَّمٌ

الثانية: أن يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه غير محتاج إلى الذي يليه فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطاً به كقول امرئ القيس:

قِفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فالمصراع الأول غير محتاج إلى الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتبطاً به. ومنه قول أبي تمام:

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرَوَى الظَّمَاءُ الْحَوَائِمُ

وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ الْمَبْدَدَ نَاطِمُ

وقول المتنبي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ

هِيَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

الثالثة: أن يكون الشاعر مُخَيَّرًا في وضع كل مصراع موضع صاحبه ويسمى التصريح «الموجه» كقول بعضهم:

مِنْ شُرُوطِ الصُّبُوحِ فِي الْمَهْرَجَانِ

خِفَّةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوقِ الْمَكَانِ

فإن هذا البيت يجعل مصراعه الأول ثانياً ومصراعه الثاني أولاً.

الرابعة: أن يكون المصراع الأول غير مستقل بنفسه ولا يفهم معناه إلا بالثاني ويسمى التصريح «الناقص» وليس بمرضي ولا حسن، كقول المتنبي:

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَغَانِي

بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

فإن المصراع الأول لا يستقل بنفسه في فهم معناه دون أن يذكر المصراع الثاني.

الخامسة: أن يكون التصريح في البيت بلفظة واحدة وسطاً وقافية ويسمى التصريح «المكرر» وهو قسمان:

التَّصْرِيحُ الْمُعْلَقُ:

هو المرتبة السادسة من التصريح وقد تقدم.

التَّصْرِيحُ الْمُكْرَّرُ:

هو المرتبة الخامسة من التصريح وقد تقدّم.

التَّصْرِيحُ الْمُوجَّهُ:

هو المرتبة الثالثة من التصريح وقد تقدّم.

التَّصْرِيحُ النَاقِصُ:

هو المرتبة الرابعة من التصريح وقد تقدّم^(٢).

التَّصْرِيحُ:

صَرَّفَ الشَّيْءَ: أَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِ كَأَنَّهُ يَصْرِفُهُ عَنِ وَجْهِ إِلَى وَجْهِ^(٣).

قال الرماني: «التصريف: تصريف المعنى من المعاني المختلفة كتصريفه في الدلالات المختلفة وهو عَقْدُهَا بِهِ عَلَى وَجْهِ التَّعَاقُبِ. فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة وهو عقدها به على جهة المعاقبة كتصريف الملك في معاني الصفات فصرف في معنى «مالك» و«ملك» و«ذي الملكوت» و«المليك» وفي معنى «التمليك» و«التمالك» و«الأملاك» و«التملك» و«الملوك». ثم قال: «وهذا الصَّرْفُ من التصريف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتُدَلُّ عليه. أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة منها قصة موسى - عليه السلام - ذكرت في سورة الأعراف وفي طه والشعراء وغيرها لوجوه من الحكمة

(١) شرح عقود الجمان ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٢، الطراز ج ٣ ص ٣٣،

شرح عقود الجمان ص ١٥١ - ١٥٢.

(٣) اللسان (صرف).

«المُصْرَعُ» وأدخله في السجع أيضًا، وقال: «المُصْرَعُ وهو من زيادتي، وذكره في الإيضاح، وهو تَوَافُقُ آخِرِ المِصْرَاعِ الأوَّلِ وعجز المِصْرَاعِ الثاني في الوزن والرَّوِّيَ والإعراب وأليق ما يكون في مطالع القصائد»^(١)، ونقل عن صاحب «التبيان» أنه ثمانية أقسام، وهي المراتب السبع التي ذكرها ابن الأثير غير أنه عدَّ المرتبة الخامسة نوعين، وأقسام صاحب التبيان هي:

الأول: الكامل، وهو المرتبة الأولى.

الثاني: المستقل، وهو المرتبة الثانية.

الثالث: غير المستقل، وهو المرتبة الرابعة أي

الناقص.

الرابع: المُعْلَقُ، وهو المرتبة السادسة.

الخامس: أن يكون لكل منهما في التقديم معنى،

وهو المرتبة الثالثة أي المُوجَّه.

السادس: أن يكون لفظ العجز حقيقة، وهو النوع

الأول من المرتبة الخامسة أي المُكْرَّر.

السابع: أن يكون مجازًا، وهو النوع الثاني من

المرتبة الخامسة أي المُكْرَّر.

الثامن: أن يتخالف لفظ العجزين وهو المرتبة

السابعة أي المشطور.

التَّصْرِيحُ الكَامِلُ:

هو المرتبة الأولى من التصريح وقد تقدم.

التَّصْرِيحُ المُسْتَقِلُّ:

هو المرتبة الثانية من التصريح وقد تقدم.

التَّصْرِيحُ المَشْطُورُ:

هو المرتبة السابعة من التصريح وقد تقدم.

وأقطع الهوجل مستأنسا

بهوجل عيرانية عنتريس^(٧)

«هوجل» واسعة السير، فقال: هذا يا بني هو التجنيس، ومن زعم انه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل والاصمعي. فقيل له: أفكانا يعرفان هذا؟ فقال: سبحان الله، وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه». وقال الحاتمي بعد ذلك: «أخبرنا عبيدالله بن احمد بن دريد عن أبي حاتم قال: سألت الأصمعي عن صنعة الشعر فذكر في بعض قوله المطابقة، وقال: أصلها وضع الرجل موضع اليد، وأنشد:

وخيل يطابقن بالدارعين

طباق الكلاب يطأن الهراسا^(٨)

وقال المدني: «قالوا: ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة ومعناها اصطلاحا فانها في اللغة الموافقة، يقال: طبقت بين الشيئين إذا جعلت

(١) النكت في اعجاز القرآن ص ٩٣.

(٢) اعجاز القرآن ص ٤١٢، وينظر المنزع البديع ص ٤٩٩.

(٣) اللسان (ضدد).

(٤) التعريفات ص ٥٣.

(٥) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٦، حسن التوسل ص ١٩٩، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٨، الفوائد ص ١٤٥، الطراز ج ٢ ص ٣٧٧، البرهان ج ٣ ص ٤٥٥، خزنة الأدب ص ٦٩، معترك ج ١ ص ٤١٤، الاتقان ج ٢ ص ٩٥، شرح عقود الجمان ص ١٠٥، أنوار الربيع ج ٢ ص ٣١، المنزع البديع ص ٣٧٠.

(٦) البديع ص ٣٦.

(٧) الهوجل الأولى المطمئن من الارض والثانية الناقة واسعة السير، العيرانية: الناقة الصلبة، والعنتريس: الغليظة.

(٨) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٤٢، وينظر نضرة الاغريض ص ٩٧ - ٩٩، العمدة ج ٢ ص ٦. الدارعون: الذين لبسوا الدروع، الهراس: شوك كأنه حسك، الواحدة هراسة.

منها التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها تمكين العبرة والموعظة، ومنها حل الشبهة في المعجزة^(١).

وعده الباقلاني من وجوه البلاغة ولخص ما ذكره الرّماني^(٢).

التضاد:

ضد الشيء: خلافه، وقد ضاده وهما متضادان، يقال: ضادني فلان إذا خالفك، فأردت طولاً وأراد قصراً، وأردت ظلمة وأراد نورا، فهو ضدك وضد يدك^(٣). والتضاد أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل^(٤).

والتضاد هو التطبيق والتكافؤ والطباق والمطابقة والمقاسمة^(٥)، وقد سمّاه ابن المعتز «المطابقة» وهو الفن الثالث من بديعه، قال: «قال الخليل - رحمه الله -: يقال طبقت بين الشيئين إذا جمعتهم على حدو واحد، وكذلك قال أبو سعيد: فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان. قد طباق بين السعة والضيق في هذا الخطاب^(٦)» وقد ذكر الحاتمي في باب المطابقة ما قيل فيها فقال: «أخبرنا أبو الفرج علي ابن الحسين القرشي قال: قلت لأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وكان أعلم من شاهدهته بالشعر: أجد قوما يخالفون في الطباق، فطائفة تزعم وهي الاكثر - بأنه ذكر الشيء وضده فيجمعهما اللفظ فهما لا المعنى، وطائفة تخالف ذلك فتقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد كقول زياد الاعجم:

وئبئتهم يستنصرون بكاهل

وللؤم فيهم كاهل وسنام

فقوله: «كاهل» للقبيلة، وقوله «كاهل» للعضو عندهم، هو المطابقة. قال: فقال الاخفش: من هذا الذي يقول هذا؟ قلت: قدامة وغيره. فاما قدامة فقد أنشد:

أحدهما على حذو الآخر وطابق الفرس في جريه: إذا وضع رجله مكان يديه، والجمع بين الضدين ليس موافقة^(١). ونقل عن ابن الأثير قوله: «إِنَّهُمْ سَمَّوْا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ مَطَابِقًا لِغَيْرِ اشْتِقَاقٍ وَلَا مَنَاسِبَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَسْمَاهُ، هَذَا الظَّاهِرُ لَنَا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا قَدْ عَلِمُوا لِذَلِكَ مَنَاسِبَةً لَطِيفَةً لَمْ نَعْلَمْهَا نَحْنُ»^(٢). ثم قال المدني: «وأغرب ابن أبي الحديد في قوله: «الطَّبِقُ بِالتَّحْرِيكِ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْمَشَقَّةُ، قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنُ طَبَقٍ﴾»^(٣) أي مشقة بعد مشقة، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقًا بل متعذرًا، ومن عادتهم أن تعطى الألفاظ حكم الحقائق في أنفسها توسعًا سَمَّوْا كل كلام جمع فيه بين الضدين مطابقة وطباقًا^(٤). وقال السعد التفتازاني في شرح المفتاح: «إِنَّمَا سُمِّيَ هَذَا النُّوعُ مَطَابِقَةً لِأَنَّ فِي ذِكْرِ الْمَعْنِيِّينَ الْمُتَضَادِّينَ مَعَا تَوْفِيقًا، وَإِيقَاعَ تَوْافُقٍ بَيْنَ مَا هُوَ فِي غَايَةِ التَّخَالُفِ كَذَكَرِ الْإِحْيَاءِ مَعَ الْإِمَاتَةِ وَالْإِبْكَاءِ مَعَ الضَّحْكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ». ثم قال المدني: «وَكَأَنَّ ابْنَ الْإِثِيرِ ظَهَرَ لَهُ وَجْهُ الْمَنَاسِبَةِ فِيمَا بَعْدَ فَقَالَ فِي كَافِيَةِ الطَّالِبِ: «الْمَطَابِقَةُ هِيَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَعْنَى وَضَدِهِ، وَمَعْنَاهَا أَنْ يَأْتَلَفَ فِي اللَّفْظِ مَا يُضَادُّ الْمَعْنَى وَكَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَافِقُ الْكَلَامِ فَسُمِّيَ طَبَاقًا»^(٥). ويبدو من ذلك ان تسميته «مطابقة» أو «طباقًا» غير مناسبة، ومصطلح «التضاد» اكثر دلالة على هذا الفن، لان التضاد يدل على الخلاف..

الأمدي عن المطابقة: «هو مقابلة الحرف بضده أو ما يقارب الضد، وإنما قيل مطابق لمساواة أحد القسمين صاحبه وإن تضادًا او اختلفا في المعنى»^(٩). وقال: «إنما هو مقابلة الشيء بمثل الذي هو على قدره فسموا المتضادين إذا تقابلا متطابقين»^(١٠)، ثم قال: «وهذا باب أعني المطابقة لُقِّبَهُ أَبُو الْفَرَجِ قَدَامَةً بِنِ جَعْفَرِ الْكَاتِبِ فِي كِتَابِهِ الْمَوْلَفِ فِي «نقد الشعر»: المتكافىء، وَسَمِّيَ ضَرْبًا مِنَ الْمُتَجَانِسِ الْمَطَابِقِ، وَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِالْكَلِمَةِ مِثْلَ الْكَلِمَةِ سِوَاءَ فِي تَأْلِيفِهَا وَاتِّفَاقِ حُرُوفِهَا وَيَكُونُ مَعْنَاهُمَا مُخْتَلِفًا... وَمَا عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا فَعَلَ هَذَا غَيْرَ أَبِي الْفَرَجِ فَانْهَ إِذَا كَانَ هَذَا اللَّقْبُ يَصِحُّ لِمُوَافَقَتِهِ مَعْنَى الْمَلْقَبَاتِ وَكَانَتْ الْأَلْقَابُ غَيْرَ مُحْظُورَةً، فَانِي لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ أَنْ يَخَالَفَ مَنْ تَقَدَّمَ مِثْلَ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَرِ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ تَكَلَّمُ فِي هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَأَلْفَ فِيهَا إِذْ قَدْ سَبَقُوا إِلَى التَّلْقِيبِ وَكَفَوْهُ الْمُؤُونَةُ. وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ يَسْمُونُ هَذَا النُّوعَ الْمَجَانِسَ «المماثل» ويلحقون به الكلمة إذا ترددت وتكررت»^(١١).

وقال التبريزي: «فَالطَّبَاقُ أَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ بِالْمَعْنَى وَضَدِهِ أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَ الضَّدِّ»^(١٢).

وقال ابن الأثير: «وهذا النوع يسمى البديع أيضًا،

- (١) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣١.
- (٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٨٠، الجامع الكبير ص ٢١٢.
- (٣) الانشقاق ١٩.
- (٤) الفلك الدائر - المثل السائر ج ٤ ص ٣٠٠.
- (٥) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣١ - ٣٢، وينظر كفاية الطالب ١٢٨.
- (٦) نقد الشعر ص ١٦٣.
- (٧) نقد الشعر ص ١٨٥.
- (٨) قواعد الشعر ص ٥٦.
- (٩) الموازنة ج ١ ص ٢٧١.
- (١٠) الموازنة ج ١ ص ٢٧٢.
- (١١) الموازنة ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
- (١٢) الوافي ص ٢٥٨، قانون البلاغة ص ٤٣٦.

وسَمَّاهُ قَدَامَةً «التكافؤ» وقال: «ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو أن يصف الشاعر شيئًا أو يذمه أو يتكلم فيه بمعنى ما، أي معنى كان فيأتي بمعنيين متكافئين. والذي أريد بقولي: «متكافئين» في هذا الموضوع: متقاومان، إما من جهة المضادة أو السلب والايجاب أو غيرهما من أقسام التقابل»^(٦). اما «المطابق» عند قدامة فهو التجنيس^(٧)، وهو ما ذكره ثعلب حيث سمى الجناس «المطابق»^(٨)، وإن كانت بعض الأمثلة التي ذكرها تحتمل المطابقة أيضا. وقال

وهو في المعاني ضد التجنيس في اللفظ»^(١)، ورأى أنَّ الاليق من حيث المعنى ان يسمى «المقابلة» وكان ابن سنان قد آثر تسميته «المطابق»^(٢).

وقال المصري إنَّ المطابقة ضربان: ضَرْبٌ يأتي بالفاظ الحقيقة، وضَرْبٌ يأتي بالفاظ المجاز. فما كان منه بلفظ الحقيقة سُمي طباقاً، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤاً، ومثاله.

حُلُوُّ الشَّمَائِلِ وَهُوَ مُرٌّ بِاسِلٌ

يحمي الذِّمَارَ صَبِيحَةَ الإِرْهَاقِ

فقوله: «حلو» و«مر» يجري مجرى الاستعارة إذ ليس في الانسان ولا في شمائله ما يذاق بحاسة الذوق»^(٣).

وأدخل الشُّكَاكِي والقزويني وشُرَّاح التلخيص المطابقة في المحسنات المعنوية^(٤) واصبحت من فنون البديع.

والجمع بين المتضادين يكون باسمين أو فعلين أو حرفين، أي لا يصح أن يضم الاسم الى الفعل أو الفعل الى الاسم^(٥). والجمع بين الاسمين كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٦)، ومنه قول الفرزدق:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ

لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ

والجمع بين الفعلين كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾^(٧)، وقوله - ﷺ -: «إنكم لتكثرون عند الفَرَعِ وَتَقْلُونَ عند الطَّمَعِ»، وقول أبي صخر الهذلي:

أما والذي أبكى وأضحك والذي

أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ

والجمع بين الحرفين كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٨) وقول الشاعر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى

وأخلص منه لا علي ولا ليا

وللطباق نوعان كما ذكر المصري:

الأول: الطِّبَاقُ الحَقِيقِيُّ وهو ما كان بألفاظ الحقيقة سواء كان من اسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٩)، وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى والبصيرُ ولا الظلماتُ ولا النورُ ولا الظلُّ ولا الحرورُ﴾^(١٠)، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبكى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحيا﴾^(١١).

الثاني: الطِّبَاقُ المِجَازِيُّ وهو ما كان بألفاظ المجاز، ويرى المدني أن يشترط فيه أن يكون المعنيان المِجَازِيَانِ متقابلين أيضا وإلا دخل فيه إيهام الطباق^(١٢). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(١٣) أي: ضالاً فهديناه، فالموت والاحياء متقابل معناهما المِجَازِيَانِ، وهما الضلال والهدى. ومنه قول التهامي:

لقد أحيا المكارمَ بَعْدَ مَوْتِ

وشادَ بِناءِها بَعْدَ انْهِيادِ

وهذا هو الطباق اللفظي، أمَّا الطباق المعنوي فهو مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ كقوله

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٢٧٩، الجامع الكبير ص ٢١١.

(٢) سر الفصاحة ص ٢٣٤.

(٣) تحرير التعبير ص ١١١، بديع القرآن ص ٣١.

(٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٠، المصباح ص ٨٧،

الايضاح ص ٣٣٤، التلخيص ص ٣٤٨، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٨٦، المطول ص ٤١٧،

الاطول ج ٢ ص ١٨٢.

(٥) الفوائد ص ١٤٥.

(٦) الكهف ١٨.

(٧) آل عمران ٢٦.

(٨) البقرة ٢٨٦.

(٩) الكهف ١٨.

(١٠) فاطر ١٩ - ٢١.

(١١) النجم ٤٣ - ٤٤.

(١٢) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٧.

(١٣) الانعام ١٢٢.

الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة لكنها مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة. ومنه قول التهامي:

والهُون في ظلِّ الهوينى كامنٌ

وجلالةُ الأخطار في الاخطارِ

فان جلاله الأخطار وان لم تكن مقابلة للهون لكنها لازمة للجز المقابل للهون^(٥).

ولا يكفي أن يُؤتى بالتضاد أو المطابقة بعيدة عن أي هدف، مجردة عن أي تأثير، وإنما ينبغي أن تأتي مرشحة بنوع من البديع لكي تكتسب جمالاً.

قال الحموي: «والذي أقوله إنَّ المطابقة التي يأتي بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر، ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شيء سهل، اللهم إلا أن ترشح بنوع من أنواع البديع وتشاركه في البهجة والرونق، كقوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٦)، ففي العطف بقوله تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ دلالة على أن من قدر على الأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده. وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى. فانظر الى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذي لا يدرك لو جازته وبلاغته ومبالغة التكميل التي لا تليق بغير قدرته. ومثل ذلك قول امرئ القيس:

(١) يس ١٥ - ١٦.

(٢) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٣.

(٣) الروم ٦ - ٧.

(٤) الفتح ٢٩.

(٥) تحرير التعبير ص ١١٤، بديع القرآن ص ٣٢،

الايضاح ص ٣٣٤، التلخيص ص ٣٤٧، خزنة

الأدب ص ٧١، معترك ج ١ ص ٤١٤، شرح

عقود الجمان ص ١٠٧، الأطول ج ٢ ص ١٨٣.

(٦) آل عمران ٢٧.

تعالى: ﴿إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمَرْسَلُونَ﴾^(١) معناه: رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ لَصَادِقُونَ. ومنه قول هُدبَةَ ابنِ الحَشْرَمِ:

فإن تقتلوني في الحديدِ فأنني

قتلتُ أحاكم مُطلقاً لم يُقَيِّدِ

فان معناه: فان تقتلوني مقيداً وهو ضد المطلق، فطابق بينهما بالمعنى: وقول المقنع الكندي:

لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنِي

وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَا أَكَلَّفُهُمْ رِفْدَا

فقوله: «إن تتابع» في قوة قوله: «ان كثر» والكثرة ضد القلة، فهو طباق بالمعنى لا باللفظ^(٢).

والطباق الذي يأتي بألفاظ الحقيقة ثلاثة أقسام:

الأول: طباق الايجاب، وهو الجمع بين الشيء وضده، كالأمثلة السابقة.

الثاني: طباق السلب، وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، وقول الشاعر:

وَنُكِّرُوا إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ

وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

وقول البحري:

يُقَيِّضُ لِي مَن حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى

وَيَسْرِي إِلَيَّ الشُّوقُ مَن حَيْثُ أَعْلَمُ

الثالث: طباق التردد، وهو أن يرد آخر الكلام المطابق على أوله فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رد الإعجاز على الصدور. ومثاله قول الأعشى:

لا يرقع الناس ما أوهوا وإن جهدوا

طولَ الحياة ولا يُوهون ما رقعوا

ومن الطباق نوع يُسمَّى الطُّبَاقَ الحَفِيَّ والمُلْحَقَ بالطباق، وهو الجمع بين معنيين بتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم كقوله تعالى: ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٤)، فإنَّ

التَّضْمِينُ:

ضَمَّنَ الشَّيْءَ الشَّيْءَ: أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع، وقد تضمَّنه هو، والمضمَّن من الشعر: ما ضمنته بيتاً^(٤).

التضمين في العروض هو أن يُبنى بيت على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضياً له^(٥)، أو هو «أن يكون الفصل الأول مفتقراً الى الفصل الثاني والبيت الأول محتاجاً الى الأخير»^(٦). أو هو «أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها»^(٧)، كقول الشاعر:

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى
بَلِيلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قِطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ
تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ^(٨)

وقول النابغة الذبياني:

وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ
وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظِ إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَالِحَاتٍ
وَوَثِقْتُ لَهُمْ بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنِّي

وقول الآخر:

وَسَعِدَ نَسَائِلُهُمُ وَالرِّبَابُ
وَسَائِلُ هَوَازِنَ عَنَا إِذَا مَا

(١) خزانة الادب ص ٧١.

(٢) الوساطة ص ٤٤.

(٣) الرسالة العسجدية ص ١٣٧.

(٤) اللسان (ضمن).

(٥) الموشح ص ٢٣، الوافي ص ٢٩٢، مفتاح العلوم ص ٢٧٣، الاقصى القريب ص ١٠٢، جوهر الكنز ص ٢٦٢.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٣٦.

(٧) العمدة ج ١ ص ١٧١.

(٨) عزها - بالعين المهمله والزاي: قهرها وغلبها.

مِكْرًا مِفْرًا مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا

كجلمودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

فالمطابقة في الإقبال والإدبار، ولكنه لما قال «معاً» زادها تكميلاً في غاية الكمال، فإن المراد بها قرب الحركة في حالتي الإقبال والإدبار وحالتي الكر والفر. فلو ترك المطابقة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الموقع، ثم أنه استطرده بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعي... وقد اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد^(١).

ومن المطابقة التي اكتست بالتورية قول المتنبي:

بِرَعْمٍ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ
وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَصْطَحِبَانِ

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لَسِيفِهِ
رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي

ومن المطابقة التي اكتست بالجناس قول أبي تمام:

بِيضُ الصَّفَائِحِ لِأَسْوَدِ الصَّحَائِفِ فِي
مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

وليس معنى ذلك أن التضاد أو المطابقة حينما تأتي من غير ترشيح تفقد قيمتها بل أن التضاد هو الذي يكسبها قيمة لأنه يؤدي الى ايضاح المعنى وتقريب الصورة وهي كما قال الشاعر:

ضِدَانٌ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسُنَا

وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضُّدُّ

ولأهمية المطابقة قال القاضي الجرجاني: «وأما المطابقة فلها شعب خفية، وفيها مكان تغمض، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب والذهن اللطيف»^(٢). وقال الصنعاني: «وهي من أكثرها دلالة على الفصاحة في الكلام وأدخل في المنظوم والمنثور»^(٣).

وللتضمين معنى آخر، قال الزركشي: «هو إعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف. فأما في الأسماء فهو أن تُضمَّن اسمًا معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعًا كقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٦)، ضمن «حقيق» معنى حريص ليفيد أنه محقق بقول الحق وحريص عليه. وأما الأفعال فإن تُضمَّن فعلًا معنى فعل آخر ويكون فيه معنى الفعلين جميعًا وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعديا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل الفعل ليصح تعدي به»^(٧). وهذا هو التضمين اللغوي، أما التضمين البلاغي فهو استعارة كلام الأخير وادخاله في الكلام الجديد، وقد بدأ يتضح في الكتب البلاغية منذ عهد مبكر كما في كتاب الصناعتين^(٨)، وقال ابن رشيق: «هو قَصْدُكُ إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل»^(٩)، وهذا ما تردد في كتب البلاغة الأخرى^(١٠).

- (١) العمدة ج ١ ص ١٧١.
- (٢) المصون ص ٩.
- (٣) المثل السائر ج ٢ ص ٣٤٢، الجامع الكبير ص ٢٣٢، كفاية الطالب ص ٢١٢.
- (٤) النكت في إعجاز القرآن ص ٩٤، وإعجاز القرآن ص ٤١٢، المنزع البديع ص ٢١٣.
- (٥) كتاب الصناعتين ص ٣٦، وينظر تحرير التعبير ص ١٤٠، بديع القرآن ص ٥٢، الأيضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٩.
- (٦) الأعراف ١٠٥.
- (٧) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٣٨.
- (٨) كتاب الصناعتين ص ٣٦.
- (٩) العمدة ج ٢ ص ٨٤.
- (١٠) قانون البلاغة ص ٤٥٧، البديع في نقد الشعر ص ٢٤٩، منهاج البلغاء ص ٣٩، ٢٧٦ - ٢٧٧، الأقصى القريب ص ١٠٢، جوهر الكنز ص ٢٦٢ كفاية الطالب ص ٢١٢، الروض المربع ص ١٣٤ معاهد التنصيص ج ٤ ص ١٥٣.

لقيناهم كيف تعلوهم

بواتر يعززين بيضًا وهاما

قال ابن رشيق: «وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيبًا من التضمين»^(١). والتضمين من العيوب عند القدماء لأن «خير الشعر ما قام بنفسه وكمل معناه في بيته وقامت أجزاء قسمته بانفسها واستغني ببعضها لو سكت عن بعض»^(٢)، غير أن ابن الأثير لا يُعَدُّه عيبًا^(٣).

والتضمين أيضًا: «حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه»^(٤)، وهو على وجهين: ما كان يُدَلُّ عليه الكلام دلالة الاخبار، وما يُدَلُّ عليه دلالة القياس، أي: أن العبارة تتضمن المعنى من غير إشارة صريحة إليه، وهو تضمين توجيه البنية مثل «معلوم» يوجب أنه لا بد من «عالم»، وتضمين يوجب معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به كالصفة بضارب يدل على «مضروب».

والتضمين عند البلاغيين هو «استعارتك الانصاف والأبيات من غيرك وادخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك»^(٥). كقول الشاعر:

إذا ذلَّ عَزْمٌ عَلَى الْحَزْمِ لَمْ يَقُلْ

«غَدًا غَدَهَا إِنْ لَمْ تَعْفُهَا الْعَوَائِقُ»

ولكنه ماضٍ عَلَى عَزْمِ يَوْمِهِ

فیفعل ما يرضاه خَلَقٌ وَخَالِقٌ

والشطر الثاني من البيت الأول مُضمَّن.

ومنه قول جَحْظَةَ:

أَصْبَحْتُ بَيْنَ مَعَاشِرٍ هَجَرُوا النَّدَى

وَتَقَبَّلُوا الْأَخْلَاقَ عَنِ أَسْلَافِهِمْ

قَوْمٌ أَحَاوَلُوا نَيْلَهُمْ فَكَأَنَّمَا

حَاوَلْتُ نَثْفَ الشَّعْرِ مِنْ آنَافِهِمْ

هَاتِ اشْقِنِيهَا بِالْكَبِيرِ وَغَنِّي

«ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ»

والشطر الأخير مضمَّن.

تَضْمِينُ الْمُزْدَوِجِ:

قال الوطواط: «ويكون بأن يُوردَ الشاعر أو الكاتب في عباراته أو أبياته لفظين أو أكثر مزدوجين، وذلك بمراعاته لحدود الاسجاع والقوافي»^(٦).

وقال الرازي: «هو أن يكون المتكلم بعد رعايته الاسجاع يجمع في أثناء القرائن بين لفظين متشابهتي الوزن والروي»^(٧) كقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾^(٨)، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «المؤمنون هينون لينون».

وقال ابن الرَّمْلَكَاني: «هو أن يقع في أثناء قرائن النثر أو النظم لفظان مسجعان مع مراعاة حدود الاسجاع الأصلية»^(٩). وذكر ابن قيم الجوزية^(١٠) مثل هذا التعريف وذكر الآية نفسها وقول الشاعر:

تَعَوَّدَ وَسَمَّ الوَهْبِ والنَّهْبِ فِي العِلا

وهذان وَقَّتَ اللُّطْفِ والعُنْفِ دَابَهُ

ففي اللُّطْفِ أَرْزَاقُ العِبَادِ هِبَاتِهِ

وفي العُنْفِ أَعْمَارُ العِدَاةِ نَهَاةِ

وذكر المدني أن هذا النوع من مستخرجات صاحب المعيار^(١١) وذكر الأمثلة السابقة وقول البحري:

(١) نضرة الاغريض ص ١٩٠.

(٢) الايضاح ص ٤١٦، التلخيص ص ٤٢٢.

(٣) الايضاح ص ٤١٩، التلخيص ص ٤٢٤.

(٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٥١٤، المختصر ج ٤

ص ٥١٤، المطول ص ٤٧١، الاطول ج ٢

ص ٢٥١، مواهب الفتاح ج ٤ ص ٥١٤،

التبيان في البيان ص ٣٤١.

(٥) معترك ج ١ ص ٣٩٨، الاتقان ج ٢ ص ٤٠، ٥٦،

٩٠، شرح عقود الجمان ص ١٦٩.

(٦) حدائق السحر ص ١٢٠.

(٧) نهاية الايجاز ص ٣٤، الايضاح في شرح

مقامات الحريري ص ١٨.

(٨) النمل ٢٢.

(٩) التبيان ص ١٧٢.

(١٠) الفوائد ص ٢٢٦.

(١١) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢١٥.

وَسَمَّاهُ المظفر العلوي تَضْمِينًا وتَسْمِيَةً وتوشيحًا، ولهذين الفين معنيان مختلفان عن التضمين، ولكنه سماهما كذلك، قال: «باب التضمين ويُسمى التسميط والتوشيح، وهذا في أشعار العرب قليل جدًا وقد استعمل المحدثون من ذلك ما لا يأتي عليه الاحصاء كَثْرَةً وَعَدًّا واليسير منه دليل على الكثير».

قال الاخلط:

ولقد سَمَا لِلْحُرْمِيِّ فلم يَقُلْ

بَعْدَ الوَنَى لَكِنْ تَضَائِقَ مَقْدَمِي^(١)

وهذا تضمين لعبارة «لكن تضايق مقدمي» وليس تسميطًا أو توشيحًا، إلا اذا نظر أن العبارة المضمنة وشحت وسمطت الكلام.

وتحدث القزويني عن الاقتباس في خاتمة كتابه «الايضاح» و«التلخيص» فقال: «أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه»^(٢)، وقال: «وأما التضمين فهو أن يضمن الشعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء»^(٣)، أي انه فَرَّقَ بين الاقتباس والتضمين، فالأول يخص القرآن والحديث على أن لا يدمج قوله تعالى أو كلامه صلى الله عليه وسلم بكلام الآخرين، والثاني يخص الشعر. وتبعه في ذلك شرح التلخيص^(٤).

وَلَخَّصَ السيوطي معاني التضمين فقال إنه يطلق على أشياء^(٥).

الأول: ايقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز.

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه، وهذا نوع من الايجاز.

الثالث: تعلق ما بعد الفاصلة بها.

الرابع: ادراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم، وهذا هو النوع البديعي.

وتطابق الشيعان: تساويا، والمطابقة الموافقة،
والتطابق: الاتفاق. وطَبَّقَ السَّحَابُ الجَوَّ: غشاه،
وطَبَّقَ الماءُ وَجْهَ الأرضِ: غَطَّاه. والتطبيق في
الصَّلَاةِ: جَعَلَ اليدين بين الفخذين في الرُّكُوعِ^(٥).

والتطبيق هو التضاد وقد تقدم، والتكافؤ والطباق
والمطابقة والمقاسمة^(٦)، ولا علاقة لمعنى التطبيق
البلاغي بمعناه اللغوي، وقد أشار الى ذلك
البلاغيون^(٧).

التَّطْرِيزُ:

الطَّرِيزُ: البَرُّ والهيئة، والطرّاز ما ينسج من الثياب
للسلطان، والطرّيزُ والطرّاز: الجيد من كل شيء،
ويقال: طرّز الثوب فهو مطرّز^(٨).

والتطريز من مُبتدعات العسكري^(٩)، وقد قال في
تعريفه: «هو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة
كلمات متساوية في الوزن فيكون فيها كالطرّاز في
الثوب، وهذا النوع قليل في الشعر»^(١٠). ومنه قول

(١) اللسان (ضيق).

(٢) حسن التوسل ص ٢٢٠، نهاية الارب ج ٧

ص ١١٣، الفوائد ص ٢٣٤، خزانة الأدب

ص ٤٣٤، شرح عقود الجمان ص ١٥٤، أنوار

الربيع ج ٦ ص ٩٣، نفحات ص ٣١٦.

(٣) البديع في نقد الشعر ص ١٥٥.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٥٤.

(٥) اللسان (طبق).

(٦) أسرار البلاغة ص ٢٠، البديع في نقد الشعر ص ٣٦

الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٦،

التبيان ص ١٧٠، الطراز ج ٢ ص ٣٧٧، الفوائد

ص ١٤٥، خزانة الادب ص ٦٩، شرح عقود

الجمان ص ١٠٥، أنوار الربيع ج ٢ ص ٣١.

(٧) المثل السائر ج ٢ ص ٢٨٠، الجامع الكبير

ص ٢١٢ كفاية الطالب ص ١٢٨، أنوار الربيع

ج ٢ ص ٣١.

(٨) اللسان (طرز).

(٩) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

(١٠) كتاب الصناعتين ص ٤٢٥.

إِنَّ الطِّبَاءَ غَدَاةَ سَفْحِ مُحَجَّرِ

هَيَّجْنَ حَرًّا جَوِّيَ وَفَرَطَ تَذَكَّرِ

مَنْ كُلِّ سَاجِي الطَّرْفِ أَغِيدَ أَجِيدِ

وَمُهَفَّفِهِ الكَشْحَيْنِ أَحْوَى أَحْوَرِ

وقول الآخر يرثي صاحب بن عباد:

مضى الصاحب الكافي ولم يبق بعده

كريم يُرَوِّي الأرضَ فيضُ غمامه

فقدناه لَمَّا تَمَّ واعتَمَّ بالعلی

كذاك حُسوفُ البدرِ عند تمامه

التَّضْيِيقُ:

الضيق: نقيض السعة، ويقال: ضَيَّقَ عليه
الموضع^(١).

والتضييق: هو الالتزام والاعنات والتشديد ولزوم ما
لا يلزم، وقد تقدم في الإعنات. ولكن معظم البلاغيين
يُسمونه «لزوم ما لا يلزم»^(٢) غير أن ابن منقذ عقد بابا
سَمَّاه «التضييق والتوسيع والمساواة» وقال: «التضييق
هو أن يضيق اللفظ عن المعنى لكون المعنى أكثر من
اللفظ»^(٣).

كقول امرئ القيس:

على سابع يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ

أفانينَ جَزِيٍّ غيرَ كَرٍّ ولا واني

فان قوله: «أفانين جزوي» اختصار معانٍ كثيرة وكذلك
«غير كَرٍّ» يحتمل معانٍ كثيرة، وكذلك «لا واني». وهذا
غير الاعنات أو لزوم ما لا يلزم الذي ذكره
الآخرون.

وقال السيوطي: «هذا النوع اخترعته وسميته
بالتضييق بأن يلتزم في الروي أمرًا لا يلزم، وإنما لم
يذكره لظنهم أن الروي يلزم أن يكون على حرف
واحد فلا يقع فيها التزام ما لا يلزم»^(٤).

التَّطْبِيقُ:

الطبق: غطاء كل شيء، وقد طابقه مُطابِقةً وطباقًا

احمد بن أبي طاهر:

إذا أبو قاسم جَادَتْ لَنَا يَدُهُ
لَمْ يُحْمَدِ الْأَجُودَانِ: الْبَحْرُ
وَالْمَطَرُ
وَإِنْ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارُ غُرَّتِهِ
تَضَاءَلِ الْأَنْوَارِ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَإِنْ مَضَى رَأْيُهُ أَوْ حَدُّ عَزْمَتِهِ
تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ: السَيْفُ وَالْقَدْرُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ حَذِيرًا مِنْ حَدِّ صَوْلَتِهِ
لَمْ يَدْرِ مَا الْمَزْعَجَانِ: الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ

وقول أبي تمام:

أَعْوَامٌ وَضَلَّ كَادَ يُنْسِي طَوْلَهَا
ذَكَرَ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجْرٍ أَرْدَفَتْ
نَجْوَى أَسَى فَكَأَنَّهَا أَعْوَامٌ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا
فَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهَا أَحْلَامٌ
وذكر ابن منقذ تعريف العسكري وأمثله وأضاف
اليها^(١).

والتطريز عند المصري غير هذا، قال: «هو أن
يبتدئ المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات
غير مفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات
مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك الجملة
الأولى فتكون الذوات في كل جملة متعددة تقديراً
والجمل متعددة لفظاً والصفة الواحدة المخبر بها
عن تلك الذوات متعددة لفظاً وعدد الجمل التي
وصفت بها الذوات لا عدد الذوات عدد تكرار
واتحاد لا تعداد تغاير»^(٢) كقول ابن الرومي:

أُمُورُكُمْ بَنِي خَاقَانَ عِنْدِي
عُجَابٌ فِي عُجَابٍ فِي عُجَابٍ
قُرُونٌ فِي رُؤُوسٍ فِي وَجُوهِ
صَلَابٍ فِي صَلَابٍ فِي صَلَابٍ

وقول الآخر:

فَثُوبِي وَالْمَدَامُ وَلَوْ نُ حَدِّي
شَقِيقٌ فِي شَقِيقٍ فِي شَقِيقٍ
وهذا النوع من مبتدعات المصري، أما التطريز
الذي ذكره العسكري فهو التوشيع عنده^(٣)، وتبعه
ابن مالك فقال: زهو أن يشتمل الصدر على ثلاثة
أسماء مخبر عنه ويتعلق به ويشتمل العجز على الخبر
مقيداً بمثله مرتين^(٤) وتبعه كذلك الحلبي والنويري
والعلوي والسبكي والحموي والسيوطي^(٥).

وعاد ابن قيم الجوزية الى المعنى الأول للتطريز
فقال: «هو أن تأتي قبل القافية بسجعات متتالية فيبقى
في الأبيات أواخر الكلام كالطراز في الثوب»^(٦)، ومثَّلَ
له بقول الشاعر:

أُمْسِي وَأَصْبَحُ مِنْ هِجْرَانِكُمْ دَنِفًا
يَرِثِي لِي الْمَشْفِقَانِ: الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
قَدْ حَدَّدَ الدَّمْعُ حَدِّي مِنْ تَذْكَرِكُمْ
وَهَدَّنِي الْمَضْنِيَانِ: الشُّوقُ وَالْكَمَدُ
كَأَنَّمَا مُهْجَتِي شِلْوٌ بِمَسْبَعَةٍ
يَتَابَهَا الضَّارِيَانِ: الذِّئْبُ وَالْأَسَدُ

لم يَبْقَ غَيْرُ خَفِيِّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
فِدَى لَكَ الْفَانِيَانِ: الرُّوحُ وَالْجَسَدُ
إِنِّي لِأَحْسَدُ فِي الْعِشَاقِ مُضْطَبِّرًا
وَخَسْبُكَ الْقَاتِلَانِ: الْحُبُّ وَالْحَسَدُ

ثم قال ابن قيم الجوزية: «هذا النوع استخرجه

(١) البديع في نقد الشعر ص ٦٤.

(٢) تحرير التحبير ص ٣١٤.

(٣) تحرير ص ٣١٦.

(٤) المصباح ص ٨١.

(٥) حسن التوسل ص ٢٧٣، نهاية الأرب ج ٧

ص ١٤٨، الطراز ج ٣ ص ٩١، عروس الأفراح

ج ٤ ص ٤٧١، خزانة الادب ص ٣٧٥، شرح

عقود الجمال ص ١٤٩.

(٦) الفوائد ص ٢٣٦.

المتأخرون وليس في شعر القدماء شيء منه ولا في كلامهم، وقد استقرت من الكتاب العزيز وأشعار المولدين فوجدته على ثلاثة أقسام:

الأول: ما له علمان: علم من أوله وعلم من آخره.

الثاني: ما له علم من أوله.

والثالث: ما له علم من آخره:

فأما الذي له علمان فكقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتَلَى فِيهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُرِيدُونَ الْإِخْلَاقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

ومنه قول بعضهم:

والمُسْعِدَانِ عَلَيْهَا الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ

أفناهما الخاذلان: الوجد والكمد

والعاذلان عليها رَدَّ عَذْلَهُمَا

في حُبِّهَا العاذران: الحُسْنُ وَالْجَيْدُ

والباقيان هواها والغرام بها

فداهما الذاهبان: الروح والجسد

وأما الذي طرازه من أوله فمنه في القرآن كثير، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الْمَصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

ومنه قول البحري:

تعلو الوفود ثلاثة في أرضه
إفضاله وجداه والإنعام

وثلاثة تغشاك مهما زرته

إرفاده والممن والإكرام

وثلاثة قد جانبت أخلاقه

قول البذا والزور والآثام

وثلاثة في الغر من أفعاله

تدبيره والنقض والإبرام

وأما الذي علمه من آخره ففي القرآن منه كثير، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ. وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ. فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان. رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ. فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾^(٣) إلى آخر السورة.

وجمع المدني بين رأي المتقدمين والمتأخرين لأنه ذكر للتطير معنيين:^(٤)

الأول: أن يؤتى في الكلام بمواضع متقابلة كأنها

طراز كآيات أبي تمام التي ذكرها العسكري: «أعوام وصل...».

الثاني: أن يتبدى المتكلم من ذوات غير منفصلة

ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك الجمل الأولى فتكون الذوات في كل جملة متعددة تقديراً والجمل متعددة لفظاً وعدد الجمل التي وصفت بها الذوات لا عدد الذوات عدد تكرار واتحاد لا تعداد تغاير، كبيتي ابن الرومي: «أموركم بني خاقان...». وهذا كلام المصري ومثاله. وقد قال المدني: «هكذا قرره الشيخ صفي الدين الحلبي في شرح بديعته»^(٥).

(١) الروم ٢١ - ٢٤.

(٢) الحشر ٢٢ - ٢٤.

(٣) الرحمن ١٤ - ١٨.

(٤) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٤٢.

(٥) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٤٢ وينظر كفاية الطالب =

التَّطْرِيفُ:

طَرَفَ فلان إذا قاتل حول العسكر لأنَّه يحمل على طَرَفٍ منهم فيردُّهم الى الجمهور، والتطريف: أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه، وطرف كل شيء: منتهاه^(١).

قال ابن منقذ: «هو أن تكون الكلمة مجانسة لما قبلها أو لما بعدها أو متعلقة بها بسبب من الأسباب»^(٢)، كقول أبي تمام:

السيفُ أصدَقُ أنباءٍ من الكُتُبِ
في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعبِ

التَّطْوِيلُ:

الطول: نقيض القصر، وطوّل: أطال، يقال: طوّل لفرسك يا فلان، أي أرخ له حبله في مرعاه»^(٣).

قال ابن سنان: «التطويل هو أن يُعبّر عن المعاني بألفاظ كثيرة كل واحد منها يقوم مقام الآخر، فأى لفظ شئت من تلك الالفاظ حذفته وكان المعنى على حاله، وليس هو لفظاً متميزاً مخصوصاً كما كان الحشو لفظاً متميزاً مخصوصاً»^(٤).

وقال ابن الأثير: «هو أن يدلّ على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه»^(٥)، كقول العجير السلولي:

طلوعُ الثنايا بالمطايا وسابقُ

الى غايةٍ من يبتدِرُها يُقدِّمُ

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة اليه وعجزه من محاسن الكلام.

وقال القزويني: «هو أن لا يتعين الزائد في الكلام كقوله: «وألفى قولها كذباً وميناً» فإنَّ الكذب والمين واحد»^(٦).

وعَدَّ بعضهم التطويل عيًّا، قال الرماني: «فأما التطويل فعيب وعي، لأنَّه تكلف فيه الكثير فيما يكفي منه القليل فكان كالمسالك طريقاً بعيداً جهلاً

منه بالطريق القريب. وأما الاطناب فليس كذلك لأنَّه كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من النزهة والفوائد العظيمة فيحصل في الطريق الى غرضه من الفائدة على نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب»^(٧). ونقل ذلك الصنعاني وقال: «وهذا الاطناب وهو بلاغة وليس بالتطويل الذي هو عيٌّ لأنَّه يتكلف فيه الكثير فيما يكفي فيه القليل فكان كالمسالك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب، والإطناب ليس كذلك لأنَّه كما قال الرماني يكون كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة فيحصل له في الطريق الى غرضه من الفائدة على نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب»^(٨). وذكر ابن الاثير مثل ذلك فقال: «فإنَّ مثال الايجاز والاطناب والتطويل مثال مقصد يسلك اليه في ثلاثة طرق، فالايجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه، والاطناب والتطويل هما الطريقتان المتساويتان في البعد اليه، إلا أنَّ طريق الاطناب تشتمل على منزّه من المنازلة لا يوجد في طريق التطويل»^(٩).

التَّظْرِيفُ:

الظَّرَفُ: البراعة وقيل: حُسن العبارة والحِذْقُ بالشيء، وقد ظَرَّفَ يَظْرِفُ وهم الظرفاء ورجل

= ص ١٥٤، نفحات ص ٢٥٧، التبيان في البيان ص ٣٢٥، شرح الكافية ص ١٩٨.

(١) اللسان (طرف).

(٢) البديع في نقد الشعر ص ١٢٩.

(٣) اللسان (طول).

(٤) سر الفصاحة ص ٢٥٧.

(٥) المثل السائر ج ٢ ص ٧٤، وتنظر ص ١٢٩، ١٥٦.

(٦) الايضاح ص ١٧٧، التلخيص ص ٢١١، وتنظر شروح التلخيص ج ٣ ص ١٧٣، المُطوّل ص ٢٨٥، الأطول ج ٢ ص ٣٤.

(٧) النكت في إعجاز القرآن ص ٧٢ - ٧٣.

(٨) الرسالة العسجدية ص ٩٩.

(٩) المثل السائر ج ٢ ص ١٢٩ وينظر الروض المربع ص ٨٧.

أَحْسَنَ زَيْدًا» وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(١)، وهو أحد أبواب الكلام العشرة التي ذكرها^(١١) وقد أدخله الرازي في أقسام النظم وقال^(١٢) إنه كقول الشاعر:

أَيَا شَمْعًا يُضِيءُ بِلَا انْطِفَاءٍ
وَيَا بَدْرًا يَلُوحُ بِلَا مَحَاقٍ

فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا مَعْنَى انْتِقَاصِي
وَأَنْتَ الشَّمْعُ مَا سَبَبُ اخْتِرَاقِي

وهذا ما ذكره الوطواط فقال: «تكون هذه الصنعة بأن يظهر الشاعر في أحد أبياته تعجبه وحيرته من شيء من الأشياء»^(١٣)، وذلك كقول أديب ترك: «أيا شمعا يضيء...».

التَّعْدِيدُ:

هو الأعداد، وقد تقدم، ويسمى سياقة الأعداد وسياقة العدد أيضًا^(١٤).

- (١) اللسان (ظرف).
- (٢) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٠.
- (٣) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ٦.
- (٤) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ٦.
- (٥) النمل ٨٧.
- (٦) الزمر ٦٨.
- (٧) المائدة ١١٦.
- (٨) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٧٢.
- (٩) اللسان (عجب).
- (١٠) عبس ١٧.
- (١١) الصاحبي ص ١٨٨.
- (١٢) نهاية الأيجاز ص ١١٦.
- (١٣) حدائق السحر ص ١٨٩ وينظر الروض المريع ص ١١٨.
- (١٤) نهاية الأيجاز ص ١١٣، الإيضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢١، التبيان ص ١٧٧، حُسن التَّوَسُّلِ ص ٢٤٧، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٣٠، يتيمة الدهر ج ١ ص ٢١٢، حدائق السحر ص ١٤٩، الفوائد ص ١٦٤، البرهان ج ٣ =

ظريف^(١).

والتظريف هو التسهيل^(٢)، وقد تقدّم.

تَعَادُلُ الْأَقْسَامِ:

ذكره المرزوقي^(٣) وأراد به صحة التقسيم ثم مقابلة كل قسم من المعاني المتحدث عنها بقسمه.

تَعَادُلُ الْأَوْزَانِ:

ذكره المرزوقي^(٤) وأراد به تساوي سموط الاسجاع وهي القرائن التي تنزل من الكلام المسجوع منزلة المصاريح للشعر فتعادلها بأن تكون متساوية المقدار في النطق، معتدلة فيه، وذلك أصل السجع.

التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ الْمَاضِي:

وهو من الالتفات وذلك بأن يعدل فيه الى لفظ الماضي تقريرًا وتحقيقًا لوقوعه كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٦).

وقد يعبر عن المستقبل بالماضي مُرادًا به المستقبل فهو مجاز لفظي كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصُّورَ فِي يَمِينِكَ وَإِذَا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَدْ فَجَعَلْتُكِ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَتَحِيَّاتٍ مَبِينَاتٍ لِقَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾^(٧)، أي: «يقول»، عكسه لأنّ المضارع يراد به الديمومة والاستمرار^(٨).

التَّعَجُّبُ:

العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، وقد عَجِبَ منه يَعْجَبُ عَجْبًا وتعَجَّبَ واستعجب. والاستعجاب: شدة التعجب^(٩).

قال ابن فارس: «وأما التعجب فتفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف كقولك: «ما

التَّعْدِيلُ:

عَدَّلَ المَوازِينِ والمَكايلِ: سَوَّاهَا، وَعَدَّلَ الشَّيْءَ: وَاوَزَنَهُ^(١).

قال ابن شيث القرشي: «هو أَنْ تكون اللفظة التي هي السَّجْعَةُ الثَّانِيَةُ مُرَكَّبَةً من كلمتين حتى تساوي أُخْتَهَا»^(٢). ومثاله: «شكر الله تفضله ولا زالت ختوم المحامد تفض له»، وقول الشاعر:

وَإِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنَامِلُهُ

أَقَرَّ بِالرِّقِّ كَتَّابُ الْإِنَامِ لَهُ

وهذا نوع من التجنيس، وقد ذكره ابن رشيق وذكر البيت في بحث التجنيس، وقال: «وقد أحدث المولدون تجانسا منفصلاً يظهر أيضاً في الخط»^(٣)، وذكر له أيضاً قول أبي تمام:

رَفْدُوكَ فِي يَوْمِ الْكِلَابِ وَشَقَّقُوا

فِيهِ الْمَزَادَ بِجَحْفَلٍ كَاللَّابِ^(٤)

وقول البستي:

عَارِضَاهُ فِيمَا جَنَى عَارِضَاهُ

أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بِمَا أُوْدَعَانِي

التَّعْرِيضُ:

عَرَّضَ لِفُلَانٍ وَبِهِ: إِذَا قَالَ فِيهِ قَوْلًا وَهُوَ يَعْيبُهُ، يُقَالُ: عَرَّضَ تَعْرِيضًا: إِذَا لَمْ يَبَيِّنْ، وَالتَّعْرِيضُ خِلَافُ التَّصْرِيحِ، وَالمَعَارِيضُ: التَّوْرِيَةُ بِالشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ^(٥).

وقال العلوي: «التعريض خلاف التصريح، يقال: عَرَّضْتُ لِفُلَانٍ أَوْ بِفُلَانٍ إِذَا قُلْتُ قَوْلًا وَأَنْتَ تَعْنِيهِ، وَمِنْهُ المَعَارِيضُ فِي الكَلَامِ. وَفِي أمثالهم: «إِنَّ فِي المَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الكَذِبِ» أَرَادُوا أَنَّ المَعَارِيضَ فِيهَا سَعَةٌ عَنِ قِصْدِ الكَذِبِ وَتَعْمُدِهِ. وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ عَرَضَ لَهُ كَذَا إِذَا عَنَّ، لِأَنَّ الوَاحِدَ مَنْ قَدْ يَعْضُ لَهُ أَمْرٌ خِلَافُ التَّصْرِيحِ فَيؤَثِّرُهُ وَيَقْصِدُهُ»^(٦).

التعريض من الأساليب العربية العريقة، وقد استعمله الشعراء فقال كعب ابن زهير:

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَعْصِمُهُمْ

ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ الشُّوْدُ التَّنَائِيلُ^(٧)

يُعَرِّضُ بِالأَنْصَارِ لَغَلْظَتِهِمْ عَلَيْهِ فَانكَرَتْ قَرِيشٌ مَا قَالَ، وَقَالُوا: لَمْ تَمْدَحْنَا إِذْ هَجَوْتَهُمْ، وَلَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ حَتَّى قَالَ:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحَيَاةِ فَلَا يَزِلْ

فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الأَنْصَارِ^(٨)

الباذِلِينَ نَفوسَهُمْ لِنَبِيَّهِمْ

يَوْمَ الهَيَاجِ وَسَطْوَةِ الجَبَّارِ^(٩)

وقد ذكره المُتَقَدِّمُونَ كالفراء ولم يُسَمِّه، وَلَكِنَّ تَعْلِيْقَهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى﴾^(١٠) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَرَّفَهُ وَفَهَمَهُ^(١١)، وَذَكَرَهُ ابْنُ قَتِيْبَةَ وَتَحَدَّثَ عَنْهُ^(١٢)، وَعَقَدَ لَهُ وَلِلْكُنَايَةِ بَابًا قَالَ: «وَمِنْ هَذَا البَابِ التَّعْرِيضُ وَالعَرَبُ تَسْتَعْمِلُهُ فِي كَلَامِهَا كَثِيرًا فَتَبْلُغُ إِرَادَتَهَا بِوَجْهِ هُوَ أَلْطَفٌ وَأَحْسَنُ مِنَ الكَشْفِ

=ص ٤٧٥، خزانة الأدب ص ٤١٦، معترك ج ١ ص ٣٩٧، الاتقان ج ٢ ص ٩٠، شرح عقود الجمان ص ١٤٩، حلية اللب ص ١٦٦، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٢٨، نفحات ص ٢١٣، شرح الكافية ص ٣٠٦.

(١) اللسان (عدل).

(٢) معالم الكتابة ص ٧٨.

(٣) العمدة ج ١ ص ٣٢٨.

(٤) اللاب: جمع لابة، وهي الحرة ذات الحجارة السود.

(٥) اللسان (عرض).

(٦) الطراز ج ١ ص ٣٨٠.

(٧) الزهر: البيض. عرد: فر. التنايل جمع تنبال - بكسر أوله - وهو القصير.

(٨) المقنب: ألف وأقل وقيل: هم الجماعة من الفوارس نحو الثلاثين.

(٩) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٠٢.

(١٠) سبأ ٢٤.

(١١) معاني القرآن ج ٢ ص ٣٦٢.

(١٢) عيون الاخبار ج ١ ص (ك)، ج ٢ ص ١٩٧.

أن الكناية وضع لفظ يراد به معنى يعرف من لفظ آخر هو أحق به لكن يعدل عنه لقبحه في العادة أو لعظمه أو لستره أو لما ناسب ذلك من الأغراض. والتعريض أن يذكر شيء يفهم منه غير ما وضع له لمناسبة ما بين المعنيين^(١).

ومن التعريض قول الشَّمَنْدَرِ الحارثي:

بَنَى عَمَّنَا لَا تَذْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَمَا

دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْعُمَيْرِ الْقَوَافِيَا

فقوله: «دفنتم القوافيا» يعني أن ما جرى لكم في ذلك اليوم من قهرنا لكم لا يصلح بعده ذكر الشعر، فلم يذكر القهر والغلبة، وَعَرَّضَ عَنْهُ بَدْفَنِ الْقَوَافِيَا.

وقال ابن الأثير الحلبي إنَّ الالغاز والتعمية اذا قاربت الظهور سُمِّيت كناية أو تعريضا، وأما إذا أوغل في خفائه سُمِّي لغزاً أو رمزاً، وذكر تعريف ابن الاثير وقال: «وقالوا إنَّ هذا الحدَّ فاسد لأنه ليس لنا قسم ثالث في استعمال اللفظ ليُدلَّ على المعنى خارجاً عن الحقيقة والمجاز»^(٢). وفَرَّقَ العلوي كابن الاثير بين الفنيين^(٣)، وَعَرَّفَ الحلبي والنويري التعريض بعد تعريف الكناية وقالوا: «وأما التعريض فهو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر

والتصريح، ويعييون الرجل إذا كان يكشف في كل شيء ويقولون: «لا يحسن التعريض إلا ثلثاً». وقد جعله الله في خطبة النساء في عدَّتِهِنَّ جَائِزًا فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤) ولم يجر التصريح. والتعريض في الخِطْبَةِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلْمَرْأَةِ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَجَمِيلَةٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَكَ بَغْلًا صَالِحًا، وَإِنَّ النِّسَاءَ لَمِنْ حَاجَتِي، وهذا وأشباهه من الكلام»^(٥).

وَعَدَّ ثعلب من لطافة المعنى الدلالة بالتعريض على التصريح وقال: «ومن لطف المعنى كل ما يَدُلُّ على الإيحاء الذي يقوم مقام التصريح لمن يحسن فهمه واستنباطه»^(٦). وَعَدَّ ابن المعتز من محاسن الكلام «التعريض والكناية»^(٧) ولم يُعَرِّفْهُمَا أَوْ يَفْصِلْ بَيْنَهُمَا. وَسَمَّاهُ ابن وهب «اللحن» وقال: «وأما اللحن فهو التعريض بالشيء من غير تصريح أو الكناية عنه بغيره»^(٨). وذكره ابن جنبي ولم يُعَرِّفْهُ^(٩)، وأدخله ابن رشيقي في باب الإشارة وذكر بيت كعب بن زهير الذي عَرَّضَ فِيهِ بِالْأَنْصَارِ وَبَعْضَ الْأَمْثَلَةِ الْآخَرَى^(١٠): وتحدث عنه عبد القاهر مع الكناية^(١١)، وفعل مثله التبريزي والبغدادي^(١٢).

وكان ابن الاثير ممن ميزوا بين الكناية والتعريض وقال: «وأما التعريض فهو اللفظ الدالُّ على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فاذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: «والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني» فإنَّ هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً، إنما دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ»^(١٣). وفعل مثله التنوخي وقال: «ومن البيان الكناية والتعريض وهما معنيان متقاربان جداً وربما التبس على كثير من الفضلاء أمرهما فمثل أحدهما بما يستحق أن يكون مثلاً للآخر وربما كان ذلك لكون اللفظ صالحاً للكناية من وجه والتعريض من وجه. والفرق بينهما

(١) البقرة ٢٣٥.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٠٤.

(٣) قواعد الشعر ص ٤٤.

(٤) البديع ص ٦٤.

(٥) البرهان في وجوه البيان ص ١٣٤.

(٦) الخصائص ج ١ ص ٢٢٠.

(٧) العمدة ج ١ ص ٣٠٣.

(٨) دلائل الإعجاز ص ٢٣٦.

(٩) الوافي ص ٢٧٧، قانون البلاغة ص ٤٤٧.

(١٠) المثل السائر ج ٢ ص ١٩٨، الجامع الكبير ص ١٥٧.

(١١) الأقصى القريب ص ٧٢.

(١٢) جوهر الكنز ص ١١٠، وتنظر ص ١٠٦.

(١٣) الطراز ج ١ ص ٣٨٠.

التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح
بغيره»^(١٠). وقال السجلماسي: «هو اقتضاب الدلالة
على الشيء بضده ونقيضه من قبل أن في ظاهر اثبات
الحكم لشيء نفيه عن ضده ونقيضه»^(١١).

ويأتي التعريض لأغراض مختلفة ذكر المدني
منها:^(١٢).

الأول: لتنويه جانب الموصوف كما يقال: «أمر
المجلس السامي نفذ والستر الرفيع قاصد لكذا»
تعريضا بأن المعبر عنه أرفع قدراً وشأناً من أن يسع
الذاكر له التصريح باسمه وترك تعظيمه بالسكينة.
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تلك الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ﴾^(١٣) أراد به محمداً - صلى الله عليه
وسلم - فلم يُصَرِّحْ بِذِكْرِهِ بَلْ عَرَّضَ إِعْلَاءَ لِقَدْرِهِ.

الثاني: لملاطفة، كما يقول الخاطب لمن يريد
خُطْبَتَهَا: إِنَّكَ لَجَمِيلَةٌ صَالِحَةٌ وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَسْرَلَ لِي
امْرَأَةً صَالِحَةً.

الثالث: للاستعطاف والاستماحة كما يقول

(١) حسن التوسل ص ١٤٣، نهاية الأرب ج ٧
ص ٦٠.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٤.

(٣) المصباح ص ٧٣، الايضاح ص ٣٢٧، التلخيص
ص ٣٤٣، عروس الأفراح ج ٤ ص ٢٦٥.

(٤) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٢.

(٥) المطول ص ٤١٣، المختصر ج ٤ ص ٢٦٥،
مواهب الفتح ج ٤ ص ٢٦٥.

(٦) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣١١.

(٧) الانبياء ٦٣.

(٨) خزانة الأدب ص ٤٢١.

(٩) أنوار الربيع ج ٦ ص ٦٠.

(١٠) معترك ج ١ ص ٢٩٢، الإنقان ج ٢ ص ٤٨،
شرح عقود الجمان ص ١٠٣.

(١١) المنزع البديع ص ٢٦٦، الروض المربع ص ١١٨.

(١٢) أنوار الربيع ج ٦ ص ٦٠ - ٦٧.

(١٣) البقرة ٢٥٣.

كقولك: «ما أقبح البخل» تعرض بأنه بخيل»^(١).

وكان السكاكي قد قال من قبل إن الكناية تتنوع
الى تعريض وتلويح ورمز وايماء وإشارة، وقال: «متى
كانت الكناية عرضية كان اطلاق اسم التعريض عليها
مناسبا»^(٢)، وتبعه ابن مالك والقزويني والسبكي^(٣)،
غير أن الأخير بحثه في البديع وقال: «التعريض وهو
الدلالة بالمفهوم بقصد المتكلم»^(٤)، ونهج منهج
السكاكي أيضاً التفتازاني والمغربي^(٥).

وعقد الزركشي للكناية والتعريض فصلاً غير أنه
قال: «وأما التعريض فقليل إنه الدلالة على المعنى من
طريق المفهوم، وسُمِّيَ تعريضا لأنَّ المعنى باعتباره
يفهم من عرض اللفظ أي من جانبه ويسمى التلويح؛
لأنَّ المتكلم يلوح منه للسامع ما يريد»^(٦) كقوله
تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا
يَنْطِقُونَ﴾^(٧)؛ لأنَّ عرضه بقوله: ﴿فاسألوهم﴾ على
سبيل الاستهزاء وإقامة الحجة عليهم بما عرض لهم
به من عجز كبير الاصنام عن الفعل مستدلاً على ذلك
بعدم إجابتهم إذا سُئِلُوا ولم يرد بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم
فدلالة هذا الكلام عجز كبير الاصنام عن الفعل
بطريق الحقيقة». وكلام الزركشي قريب من كلام
ابن الاثير والسبكي فالتعريض عنده «دلالة على
المعنى من طريق المفهوم».

وعقد له الحموي فصلاً مستقلاً وقال: «هو عبارة
عن أن يكتفي المتكلم بشيء عن آخر لا يصرح به
ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه»^(٨). وفعل
مثله المدني الذي قال عنه: «التعريض هو الاتيان بكلام
مشار به الى جانب هو مطلوب وابهام أن الغرض
جانب آخر. وسُمِّيَ تعريضا لما فيه من الميل عن
المطلوب الى عرض أي جانب»^(٩).

وعَدَّ الشَّيْطَانِي الوجه الخامس والعشرين من وجوه
إعجاز القرآن الكريم «وقوع الكناية والتعريض» وذَكَرَ
الفرق بينهما ونقل بعض أقوال السابقين وقال: «وأما

على شيء لا بعينه. وأقسام المعرفة المضمرة، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرف بالالف واللام، والمضاف الى واحد منها اضافة معنوية. وتتفاوت النكرات أيضًا في مراتب التنكير وكلما ازدادت النكرة عمومًا زادت ابهامًا في الوضع^(٥).

ويدخل التعريف على المسند اليه لأن الأصل فيه أن يكون معرفة لأنه المحكوم عليه، والحكم على المجهول لا يفيد، ولذلك فانه يُعَرَّفُ لتكون الفائدة أتم، لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الاعلام به أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف.

والتعريف مختلف، ويكون بوسائل هي:

الاول: الإضمار، وذلك إذا كان المقام مقام التكلم كقول بشار:

أنا المرعثة لا أخفى على أحد

ذرت بي الشمس للقاصي وللداني^(٦)

أو كان المقام مقام الخطاب كقول الحماسية أمامة مخاطبة ابن المدينة:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني

واشمت بي من كان فيك يلوم

أو كان المقام الغيبة كقوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٧) أي: العدل. وقول الشاعر:

(١) التكوير ٨ - ٩.

(٢) المائدة ١١٦.

(٣) سبأ ٢٥.

(٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ٦٧، وينظر نفحات ص ٢٧٧، شرح الكافية ص ٢٥٠.

(٥) البرهان الكاشف ص ١٣٣، التبيان ص ٥٠، الطراز ج ٢ ص ١١.

(٦) المرعثة: الذي لبس الرعثة وهي القرط. ذرت: طلعت.

(٧) المائدة ٨.

المحتاج: «جئتك لأسلم عليك ولأنظر الى وجهك الكريم»، قال الشاعر:

أروح لتسليم عليك واغتدي

وحشبتك مني بالسلام تقاضيا

الرابع: للملامة والتوبيخ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟﴾^(١) والذنب للوائد دون المؤودة ولكن جعل السؤال لها إهانة للوائد وتوبيخًا على ما ارتكبه، ومنه قوله تعالى لعيسى - عليه السلام -: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهِينٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾^(٢) ولا ذنب لعيسى وإنما هو تعريض بمن عبدهما، لكنه عدل من خطابهم إهانة لهم وتوبيخًا.

الخامس: للاستدراج كقوله تعالى: ﴿لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) لم يقل: «عما تجرمون» احترازًا عن التصريح بنسبة الجرم اليهم وأكتفاءً بالتعريض في قوله ﴿عما أجرمنا﴾.

السادس: للاحتراز عن المخاشنة والمفاحشة كما تقول مُعَرِّضًا بمن يؤذي المسلمين: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

وقال المدني بعد أن ذكر هذه الاغراض: «وأجمع العلماء على أن التعريض أرجح من التصريح لوجوه: أحدها: أن النفس الفاضلة لميلها الى استنباط المعاني تميل الى التعريض شغفًا باستخراج معناه بالفكر.

ثانيها: أن التعريض لا ينتهك معه سجف الهيئة ولا يرتفع به ستر الحشمة.

ثالثها: أنه ليس للتصريح إلا وجه واحد، وللتعريض وجوه وطرق عديدة.

رابعها: أن النهي صريحًا يدعو الى الاغراء بخلاف التعريض كما يشهد به الوجدان»^(٤).

التعريف والتكبير:

المعرفة ما دلَّ على شيء بعينه، والنكرة ما دل

داخريين ﴿٥﴾.

وربما جعل ذريعة الى التعريض بالعظيم لشأن
الخبر كقول الشاعر:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا

بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

أو لشأن غير الخبر كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا
شُعَبِيًّا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦).

الرابع: الإشارة، ويؤتى بالمسند اليه اسم إشارة
لأحد أمور وذلك: أن يقصد تمييزه لاجتماعه في
ذهن السامع حسًا كقول الشاعر:

أَوْلَيْكَ قَوْمٌ إِنْ بَنُوا أَحْسَنُوا الْبِنَا

وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْقَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

أو لقصد أن السامع غبي لا يميز الشيء عنده إلا
بالحس كقول الفرزدق:

أَوْلَيْكَ آبَائِي فَجِئْتَنِي بِمَثَلِهِمْ

إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

أو للتبيه إذا ذكر قبل المسند اليه مذكور وعقب
بأوصاف على أن ما يرد بعد اسم الإشارة فالمذكور
جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف كقوله تعالى:
﴿أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ هُمْ
الْمُفْلِحُونَ﴾ (٧).

الخامس: التعريف بالالف واللام وتكون لأحد
أمور: أن يشار به الى معهود بينك وبين مخاطبك
كما اذا قال لك قائل: «جاءني رجل من بلدة كذا»
فتقول: «ما فعل الرجل؟». وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ

(١) الاخلاص ١.

(٢) المسد ١.

(٣) يوسف ٢٣.

(٤) طه ٧٨.

(٥) غافر ٦٠.

(٦) الأعراف ٩٢.

(٧) البقرة ٥.

هو البحرُ من أي النواحي أُنْيَتْهُ

فَلُجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْبِرُّ سَاحِلُهُ

الثاني: العلمية، ذلك لاجتماعه بعينه في ذهن
السامع ابتداءً باسم مختص كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١)، وقول الشاعر:

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقُرَّه

عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

أو لتعظيمه أو إهانته كما في الكنى واللقاب
المحمودة والمذمومة.

أو لكناية حيث الاسم صالح لها، كقوله تعالى:
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (٢) أي: جهنمي.

أو لايهام استلذاذه كقول الشاعر:

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا

لَيْلَايَ مِنْكَ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

أو التبرك به مثل: «اللّه الهادي ومحمّد هو
الشفيع».

أو التفاؤل مثل: «سعد في دارك».

أو التطير مثل: «السفاح في دار صديقك».

الثالث: الموصولية ويكون ذلك لاسباب منها:
عدم علم المخاطب بالاحوال المختصة به سوى
الصلة مثل: «الذي كان معنا أمس رجل عالم».

أو لاستهجان التصريح بالاسم، أو زيادة التقرير
كقوله تعالى: ﴿وَرَاوَدْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ
نَفْسِهِ﴾ (٣).

أو التفيخيم كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ الْيَمِّ مَا
غَشِيَهُمْ﴾ (٤) أو تنبيه المخاطب على غلطة كقول
الشاعر:

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ

يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُضْرَعُوا

أو للايماء الى وجه بناء الخبر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَكِبُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى ﴿١﴾.

أو يراد به نفس الحقيقة مثل: «الماء مبدأ كل حي».

السادس: التعريف بالاضافة ويكون لاسباب منها: أن لا يكون لاحضار المسند اليه في الذهن طريق أخصر من الاضافة كقول الشاعر:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينِ مُضْعِدٌ

جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ ﴿٢﴾

أو أن تغني إضافته عن التفصيل المتعذر أو المرجوح لجهة كقول الشاعر:

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمِيمَ أَحِي

فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

أو لتضمنها تعظيمًا لشأن المضاف اليه أو المضاف أو غيرهما، فتعظيم شأن المضاف كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ﴿٣﴾. ومن تعظيم شأن المضاف اليه قولك: «كتابي من أجل الكتب».

أو لتضمنها تحقير شأن المضاف أو المضاف اليه أو غيرهما مثل: «أبو السارق جاء» و«أخو محمد سارق».

أو لتضمنها الاستهزاء كقوله تعالى على لسان فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٤﴾.

أما تعريف المسند فلا فائدة السامع إِمَّا حُكْمًا عَلَى أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك، وإما لازم حكم بين أمرين كذلك، وقد أوضح عبدالقاهر الجرجاني ذلك ﴿٥﴾.

وللتنكير دلالة غير ما نراه في التعريف قال ابن الزمكاني: «وقد يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق وأن سلوك الايضاح ليس بسلوك للطريق خصوصا في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من

شأنهما التشييد. وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد، والنكرة متكررة الاشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها الى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسمها الى غاربها فيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة. وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة فإنه لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن اليه ﴿٦﴾. فالتنكير يأتي لفائدة، ويُتَّكَّرُ الْمَسْنَدُ إِلَيْهِ لِأَغْرَاضٍ مِنْهَا: الْإِفْرَادُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ ﴿٧﴾.

والنوعية كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ ﴿٨﴾.

والتعظيم كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ ﴿٩﴾.

والتحقير كقول الشاعر:

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَشِينُهُ

وَلَيْسَ لَهُ عَنِ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

والتكثير كقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ ﴿١٠﴾.

والتقليل كقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ﴿١١﴾.

(١) آل عمران ٣٦.

(٢) مصعد: ذاهب مبعد في الأرض. جنيب: منحى مبعد أو مقدم يتبعه غيره.

(٣) الاسراء ٦٥.

(٤) الشعراء ٢٧.

(٥) دلائل الاعجاز ص ١٣٢، الايضاح ص ٩٧، شروح التلخيص ج ٢ ص ٩٣، وينظر مفتاح العلوم ص ٨٥ وما بعدها.

(٦) البرهان الكاشف ص ١٣٦.

(٧) القصص ٢٠.

(٨) البقرة ٧.

(٩) البقرة ١٧٩.

(١٠) الأعراف ١١٣.

(١١) التوبة ٧٢.

مَنْ يَلْتَقِ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا
يَلْتَقِ السَّمَاخَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

وقول أبي نواس:

صفراء لا تنزل الأحران ساحتها
لو مسَّها حَجَرٌ مَسَّته سَرَّارٌ

وَفَرَّقَ المصري بينهما بقوله: «وقد يلتبس الترديد الذي ليس تعددًا من هذا الباب بباب التعطف، والفرق بينهما أن هذا النوع من الترديد يكون في أحد قسمي البيت تارة وفيهما معًا مرة ولا تكون إحدى الكلمتين في قسم والآخرى في آخر، والمراد بقربهما أن يتحقق الترديد. والتعطف وإن كان ترديد الكلمة بعينها فهو لا يكون إلا متباعداً بحيث تكون كل كلمة في قسم، والترديد يتكرر والعطف لا يتكرر، والترديد يكون بالاسماء المفردة والجمل المؤتلفة والحروف والتعطف لا يكون إلا بالجمل غالباً»^(٧).

وعقد للتَّعْطُفِ باباً مستقلاً وقال: «وقد سَمَّاه قوم المشاكلة، وقد تقدم أن التعطف كالتريديد في إعادة اللفظة بعينها في البيت وأن الفرق بينهما بموضعهما وباختلاف التردد، وثبت أن التعطف لا بد أن تكون إحدى كلمتيه في مصراع والأخرى في المصراع الآخر ليُشبه مصراعاً البيت في انعطاف أحدهما على الآخر بالعطفين في كل عطف منهما يميل إلى الجانب الذي يميل إليه الآخر»^(٨). وذكر له بيت زهير: «مَنْ يَلْتَقِ يَوْمًا...» وقوله تعالى: «قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا

وَيُنْكِرُ الْمَسْنَدَ لِأَغْرَاضٍ مِنْهَا: إرادة إفادة عدم الحصر والعهد مثل: «زيد كاتب وعمرو شاعر».

وإرادة التفخيم والتعظيم كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وإرادة التحقير مثل: «الحاصل لي من هذا المال شيء» أي: حقير^(٢).

التَّعْطُفُ:

عَطَفَ الشَّيْءُ يَعْطِفُهُ عَطْفًا وَعُطُوفًا فَانْعَطَفَ، وَعَطَفَهُ فَتَعَطَّفَ: حناه وأماله^(٣).

قال العسكري: هو «أن تذكر اللفظ ثم تكرر المعنى مختلف. قالوا: وأول من ابتدأه امرؤ القيس في قوله:

ألا انني بالٍ على جَمَلٍ بالٍ

يسوق بنا بالٍ ويتبعنا بالٍ

وليس هذا من التعطف على الأصل الذي أصْلوه، وذلك أن الالفاظ المكررة في هذا البيت على معنى واحد يجمعها البلى فلا اختلاف بينها وإنما صار كل واحدة منها صفة لشيء فاختلقت لهذه الجهة لا من جهة اختلافها في معانيها... وإنما التعطف كقول الشماخ:

كادت تُساقِطني والرَّحْلُ إِذْ نَطَقَتْ

حمامةٌ قد دَعَتْ ساقًا على ساقٍ

أي: دعت حمامة، وهو ذكر القماري ويسمى الساق عندهم - على ساق شجرة^(٤). وهذا قريب من التجنيس الذي سَمَّاه قدامة «المطابقة»، قال العسكري: «وأهل الصنعة يسمون النوع الذي سماه المطابقة «التعطف»^(٥).

وسمى بعضهم التعطف ترديدًا، قال التبريزي: وهو «أن يعلق الشاعر لفظة في البيت بمعنى ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر»^(٦). ولكنه غير الذي ذكره العسكري لأن مثال الترديد قول زهير:

(١) البقرة ٢.

(٢) مفتاح العلوم ص ٩١، ١٠٠، الإيضاح ص ٤٥،

٩٧، شروح التلخيص ج ١ ص ٣٤٧، ج ٢

ص ٩١.

(٣) اللسان (عطف).

(٤) كتاب الصناعتين ص ٤٢٠.

(٥) كتاب الصناعتين ص ٣٠٧.

(٦) الوافي ص ٢٨٥، وينظر قانون البلاغة ص ٤٥٣.

(٧) تحرير التحبير ص ٢٥٤.

(٨) تحرير ص ٢٥٧، بديع القرآن ص ٩٧.

وقال الحموي بعد أن أشار الى الصلة بينه وبين الترديد والفرق بينهما إنَّ التعطف من الانواع التي «ليس تحتها كبير أمر، وإنَّ رتبة البديع أعلى من هذه الأنواع السافلة»^(٦).

وتحدّث السيوطي عنه في علم المعاني وقال: «ثم نبهت من زيادتي أيضًا على أنواع خاصة من التكرير أحدها يسمى الترديد... ثانيها: التعطف، وهو مثل الترديد إلا أنه يشترط في إعادة اللفظ أن يكون في فقرة أخرى أو مصراع آخر»^(٧). وذكر المدني ما ذكره السابقون وفرّق بين الترديد والتعطف من وجهين:

الأول: أن الترديد لا يشترط فيه إعادة اللفظة في المصراع الثاني بل لو اعيدت في المصراع الأول صحَّ، بخلاف التعطف.

والثاني: أن الترديد يشترط فيه إعادة اللفظة بصيغتها، والتعطف لا يشترط فيه ذلك، بل يجوز أن تعاد اللفظة بصيغتها وبما يتصرف منها^(٨).

تَعْقِيبُ الْكَلَامِ:

عَقِبَ كُلُّ شَيْءٍ: آخِرُهُ، وَعَقَّبَ فُلَانٌ فِي الصَّلَاةِ تَعْقِيبًا: إِذَا صَلَّى فَأَقَامَ فِي مَوْضِعِهِ يَنْتَظِرُ صَلَاةَ أُخْرَى. وَعَقَّبَ هَذَا هَذَا: إِذَا جَاءَ بَعْدَهُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَوَّلِ شَيْءٌ. وَتَعَقَّبَ الْخَبْرَ: تَبِعَهُ، وَيُقَالُ: تَعَقَّبْتُ الْأَمْرَ: إِذَا تَدَبَّرْتَهُ^(٩).

- (١) التوبة ٥٢.
- (٢) الروم ٧.
- (٣) المصباح ص ٧٧.
- (٤) جواهر الكنز ص ٢٦٠.
- (٥) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧١.
- (٦) خزانة الأدب ص ٤١٧، نفحات ص ٣٢٧.
- (٧) شرح عقود الجمان ص ٧٣، شرح الكافية ص ٢٨٥.
- (٨) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٤٤.
- (٩) اللسان (عقب).

إحدى الحُسنيين ونحن نترَبُّصُ بكم أن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بعذابٍ من عِنْدِهِ أو بأيدينا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ^(١) وقوله: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٢).

وقال ابن مالك: «التعطيف أن تعلق الكلمة في موضع من الصدر بمعنى، ثم تعلقها فيما سوى الضرب من العجز بمعنى آخر»^(٣)، كقول الشاعر:

إذا ما نهى الناهي فَلَجَّ بِي الْهَوَى
أصاحَ الى الواشي فَلَجَّ بِي الْهَجْرُ
كَأَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ عَلَى عَطْفِي الْبَيْتِ، وَهَذِهِ مِنَ الْمَزَاوِجَةِ.
ومنه قول المتنبي:

فساقَ اليَّ العَرَفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ
وَسُقَّتْ إِلَيْهِ الْمَدْحَ غَيْرَ مُدَمَّمٍ

وتحدّث عنه ابن الأثير الحلبي في باب الترديد وقال: «فاما التعطف فهو أن تكون إحدى الكلمتين في المصراع الأول والأخرى في المصراع الثاني، وكذلك المشاكلة. وحاصل الأمر أن هذه الانواع كلها مادة واحدة وشواهدا متقاربة وهي باب واحد»^(٤). وذكر بيت أبي نواس: «صفراء لا تنزل...»، وقول الشاعر:

سريعَ الى ابنِ العَمِّ يَشْتُمُ عِرْضَهُ
وليس الى داعي النَّدى بسريعِ

وهذا من ردِّ العجز على الصدر.

وقال السبكي: إنه «كالترديد إلا أن الكلمة مذكورة في مصراعين وهو أعم من المزاوجة من وجه، فان تلك يشترط فيها الشرط والجزاء ولا يشترط فيها التكرار في مصراعين أو فقرتين، وهذا يشترط فيه التكرار في مصراعين ولا يشترط أن يكون في الكلام شرط وجزاء وينفصل هذا والذي قبله عن ردِّ العجز على الصدر بأن ذلك يكون العجز فيه آخر الضرب أو آخر الفقرة وهذان يكون إعادة الكلمة فيهما فيما وراء القافية»^(٥).

وعقده، وقد ائعقد وتعقد^(٤). والتعقيد من الأساليب غير المستحسنة، وقد قال بشر بن المعتمر: «وياك والتوعر فإن التوعر يُسَلِّمُكَ الى التعقيد والتعقيد هو الذي يَسْتَهْلِكُ معانيك وَيَشِينُ أَلْفَاظَكَ»^(٥).

وذكر المبرد أن من أقبح الضرورة وأهجن الالفاظ وأبعد المعاني قول الفرزدق في مدح ابراهيم بن هشام:

وما مثله في الناس إلا مُمَلِّكًا

أبو أمه حيّ أبوه يُقَارِبُهُ

«وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح. فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد. وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تَصَرَّمَ مني وُدُّ بَكْرِ بنِ وائل

وما كاد مني وُدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ

قوارضُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا

وَقَدْ يَمَلَأُ القَطْرُ الإِنَاءَ فيفعم

وكانه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

والشيبُ ينهض في السوادِ كأنه

ليلٌ يصيحُ بجانبه نهارُ

فهذا أوضح معنى وأعرّب لفظ وأقرب مأخذ»^(٦).

وكان جعفر بن يحيى يطلب أن يكون الكلام بريًا من التعقيد، وقال العسكري: «التعقيد والاعلاق والتعكير سواء، وهو استعمال الوحشي وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض حتى يستبهم المعنى»^(٧). وقد

قال التتوخي: «ومن البيان تعقيب الكلام بمصدر معظم بمن أضيف اليه توكيدًا لما في ذلك الكلام من الحكم والمعاني وغير ذلك مما يعظم في بابه خيرًا أو شرًا»^(١). ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢). لما كانت الجبال ترى جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب لسرعة حركتها وهي لا ترى كان ذلك أمرًا عظيمًا تحار فيه العقول، وكّد بقوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ ثم وصف نفسه بانه المتقن لكل شيء.

ومن ذلك قول الشاعر:

يَرْكَبُ كُلَّ عَاقِرٍ جَمْهُورِ

مَخَافَةً وَزَعَلَ المَحْبُورِ

والهول من تهول الهبور

يجوز أن يكون «مخافة» وما عطف عليه منتصبا على المصدر أو مفعولاً له، وهو مصدر أيضًا فوكّد به سوء فعله في كونه راكب العاقر وهو ما لم ينبت من الرمل مع أنه جمهور وهو ما تراكم من الرمل أيضًا، وترك السهل خوفًا وسرعة لكونه متنعمًا يعسر عليه تحمل الشقاء أو هولًا وتهولًا من المواضع المطمئنة للجبين، وكل ذلك ركوب السهل خير منه فوكّد بتلك المصادر ضعف رأيه مع أن المصدر حيث وقع يكون مؤكّدًا لفعله أو مبيّنًا لنوعه أو لعدده.

وذكر ابن رشيقي في باب التقسيم أن منه ما يسمى جمع الأوصاف كقول امرئ القيس:

له أَيُّطَلَا ظَبْيِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ

وإِزْحَاءِ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفُلِ

ويُسميه بعض الحُذّاق من أهل الصناعة «التعقيب» وهو عندهم مُسْتَحْسَنٌ، أما التعقيب وهو مثل التعكير فمكروه في الكلام»^(٣).

التّعقيد:

العقدُ: نقيضُ الحلِّ، عقده يعقده عقدًا وتعقادًا

(١) الاقصى القريب ص ٨٠.

(٢) النمل ٨٨.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٢٥.

(٤) اللسان (عقد).

(٥) البيان ج ١ ص ١٣٦.

(٦) الكامل ج ١ ص ٢٨.

(٧) كتاب الصناعتين ص ٤٥.

والثاني: ما يَزِجُ إلى المعنى وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرًا كقول العباس بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بُغْدَ الدارِ عنكم لتقربوا
وتَشْكُبُ عَيْنَايَ الدموعَ لِتَجْمُدَا

كُنِّي بسكب الدموع عما يوجب الفراق من الحزن وأصاب، لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه كقولهم: «أبكاني وأضحكني» أي: ساءني وسرني، كما قال الحماسي:

أبكاني الدَّهْرُ ويا رَبِّمَا
أضحكني الدَّهْرُ بما يُرضي

ثم طرد ذلك نقيضه فاراد أن يكتي عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقًا من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ؛ لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها فلا يكون كناية عن المسرة وإنما يكون كناية عن البخل. فالكلام الخالي من التعقيد ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهرًا حتى يخيل إلى السامع أنه فهمه من حاق اللفظ.

وسار المتأخرون على مذهب السكاكي والقزويني، ودرسوا التعقيد في مبحث الفصاحة الذي صدروا به دراساتهم البلاغية^(٦).

التعليق:

عَلِقَ بالشيء عَلَقًا وَعَلِقَهُ: نشب فيه، والتعليق من

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ١٦٩.

(٢) الخصائص ج ١ ص ٣٢٩، ج ٢ ص ٣٩٢.

(٣) دلائل الاعجاز ص ٦٥.

(٤) مفتاح العلوم ص ١٩٦.

(٥) الايضاح ص ٥، التخليص ص ٢٧.

(٦) شروح التلخيص ج ١ ص ١٢، المطول

ص ١٠٢، الأطول ج ١ ص ٢٢ وما بعدها.

وقع المتنبي في استكراه اللفظ وتعقيد المعنى، قال الثعالبي: «وهو أحد مراكبه الخشنة التي ينسخها ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويُتعب ولا ينجح»^(١).

واهتم ابن جني بهذه المسألة وذكر أمثلة كثيرة للتعقيد، وبيّن أنه من آثار الإخلال بقواعد النحو وأصوله، وأنه متعمد لظهور قوة الطبع^(٢)، وقال عبد القاهر إن ذلك بسبب فساد النظم وسوء التأليف^(٣).

وأدخل السكاكي التعقيد في بحث الفصاحة وقال إنها قسمان: قسم راجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد، وفشّره بقوله: «والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك إلى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك إلى أن لا تدري من أين تتوصل وبأي طريق معناه يتحصل كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مُمَلِّكًا
أبو أمه حيّ أبوه يُقارِبُه

وكقول أبي تمام:

ثانيه في كَبِدِ السَّمَاءِ ولم يَكُنْ

كاثنينِ ثانٍ إذهُما في الغارِ

وغير المُعَقَّد هو أن يفتح صاحبه لفكرتك الطريق المستوي ويُمهّده وإن كان في معاطف نصب عليه المنار وأوقد الأنوار حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته^(٤). وتبعه في ذلك القزويني الذي عرّف التعقيد بقوله: «هو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به»^(٥). وله سببان:

أحدهما: ما يَزِجُ إلى اللفظ وهو أن يختل النظم ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه كقول الفرزدق. والكلام الخالي من التعقيد اللفظي ما سلّم نظمه من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلا وقد قامت عليه قرينة لفظية أو معنوية.

كمن يروم مدحاً لانسان بالكرم فيعلق بالكرم شيئاً يدل على الشجاعة بحيث لو أراد أن يخلص ذكر الشجاعة من الكرم لما قدر^(٧). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٨) فانه - سبحانه - لو اقتصر على وصفهم بالذل على المؤمنين لاحتل أن يتوهم ضعيف الفهم أن ذلكهم عن عجز وضعف فنفى ذلك عنهم وكمل المدح لهم بذكر عزهم على الكافرين ليعلم أن ذلكهم للمؤمنين عن تواضع لله - سبحانه - لا عن ضعف ولا عجز، بلفظ اقتضت البلاغة الاتيان به ليتمم بديع اللفظ كما تم المدح، فحصل في هذه الالفاظ الاحتراس مدمجاً في المطابقة وذلك تبع للتعليق الذي هو مطلوب من الكلام.

ومنه قول أحدهم في بعض القضاة وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يجز الشهادة:

أَتَرَى الْقَاضِيَّ أَعْمَى
أَمْ تَرَاهُ يَتَّعَامِي
سَرَقَ الْعَيْدَ كَأَنَّ الْعَيْدَ
يَدُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى

فعلق خيانة القاضي في أموال اليتامي بما قدّمه من خيانتة أمر العيد برابطة التشبيه. وفصل المصري الادمج عن التعليق وعقد له باباً مستقلاً وقال: «هو أن يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى وقد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض في كلام لتتمة معناه الذي قصد اليه»^(٩).

- (١) اللسان (علق).
- (٢) البديع في نقد الشعر ص ٥٨.
- (٣) معالم الكتابة ص ٨٣.
- (٤) كتاب الصناعتين ص ٤٢٣.
- (٥) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.
- (٦) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٤٨.
- (٧) تحرير التحبير ص ٤٤٣، بديع القرآن ص ١٧١.
- (٨) المائدة ٥٤.
- (٩) تحرير ص ٤٤٩، بديع القرآن ص ١٧٢.

عُلِقَ، يقال: عُلِقَ بها تعليقا أي ارتبط بها أو أحبها^(١). وقد عقد ابن منقذ باباً باسم «التعليق والادمج» وقال: «هو أن تعلق مدحاً بمدح وهَجُؤاً بهَجُؤاً ومعنى بمعنى»^(٢) كمال قال المتنبي:

الى كم تَرُدُّ الرسل فيما أتوا به
كَأَنَّهُمْ فِيمَا وَهَبْتَ مَلَامٌ
أدمج «الرسول» برد اللوم، فكلاهما مديح.
وقول الآخر:

مُغْرَى بِقَذْفِ الْمُحْصِنَا
تِ وَلَيْسَ مِنْ أَبْنَائِهِنَّ

وقال ابن شيث القرشي: «التعليق هو أن يعلق معنى بمعنى فيعلق المدح بالمدح والهجو بالهجو»^(٣). وهذا تعريف ابن منقذ، وقد ذكر له البيت السابق وقول القائل: «وأنت أبداً تردّ على قولي حتى كأني ألومك فيما طبعت عليه من النوال أو أسومك أن تكون وأنت من سادات الكرام من البخال».

وعلاوة هذا الباب أن يكون أحد المعنيين تلويحاً والآخر تصريحاً، ومنه أن يتحيل الكاتب في بلاغته أن يقصد شيئاً ويلف معه غيره. وهذا ما بحثه العسكري في باب «المضاعفة» وقال: «هو أن يتضمن الكلام معنيين مصرح به ومعنى كالمشار اليه»^(٤). وهو قريب مما سماه السكاكي «الاستتباع» وقال: «هو المدح بشيء على وجه يستتبع مدحاً آخر»^(٥). وأشار الى ذلك المدني وهو يتحدث عن الاستتباع فقال: «هذا النوع سماه العسكري المضاعف وابن أبي الاصبغ ومن بعده التعليق وسماه الزنجاني الموجّه، والسكاكي الاستتباع، ولم يُعَيَّر أحد منهم من الشواهد. وهو عبارة عن الوصف بشيء يستتبع وصفاً آخر من جنس الوصف الأول مدحاً كان أو ذمّاً أو غير ذلك»^(٦). وعاد المصري الى مصطلح ابن منقذ وقال: «التعليق هو أن يأتي المتكلم بمعنى في غرض من أغراض الشعر ثم يعلق به معنى آخر من ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفن

عن التخييل، ويفهم من كلامه أنه يريد به حسن التعليل فقد قال: «وجملة الحديث الذي أريد بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلاً ويدعي دعوة لا طريق الى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه»^(٦). وسماه الرازي «حسن التعليل» وقال: «هو أن يُذكر وصفان أحدهما لعلّة الآخر ويكون الغرض ذكرهما جميعاً»^(٧)، كقول القائل:

فان غادر الغدران في صحنٍ وجنتي
فلا غرّو منه لم يزلّ وابلاً يهمني

وقال الحلبي والثوري: «هو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو أربعة أضرب، لأنّ الصفة إما ثابتة قصد بيان علتها أو غير ثابتة أريد اثباتها»^(٨).

فالأولى: أن لا يظهر لها في العادة علة كقول المتنبي:

لم يحك نائلك السحاب وإنما
حمت به فصبيها الرخصاء

أو تظهر لها علة كقول المتنبي:

ما به قتل أعاديهِ ولكن
يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب
فان قتل الأعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره.

الثانية: اما ممكنة كقول مسلم بن الوليد:

يا واشيّا حسنت فينا إساءته
نجى جدارك إنساني من العرق

(١) المصباح ص ١٢٣.

(٢) الطراز ج ٣ ص ١٥٩.

(٣) الفوائد ص ٢١٥.

(٤) اللسان (علل).

(٥) سر الفصاحة ص ٣٢٧.

(٦) أسرار البلاغة ص ٢٥٣.

(٧) نهاية الأيجاز ص ١١٦.

(٨) حسن التوسل ص ٢٢٣، نهاية الأرب ج ٧ ص ١١٥.

وقسم ابن مالك التعليق الى قسمين:

الأول: أن تأتي في شيء من الفنون بمعنى تام فيه توطئة لما تذكره بعد من معنى آخر، أما في ذلك الفن كقول أبي نواس:

لهم في بيتهم نسب
وفي وسط الملا نسب

لقد زنوا عجزهم

ولو زنتها غضبوا

فعلق هجوهم بالسخف والحماسة بهجوم بفجور أمهم ودناءة أبيهم حيث لم يرضوه وادعوا غيره. وأما من فن آخر كقول المتنبي في صفة الليل:

أقلب فيه أجفاني كأنني

أعدت بها على الدهر الذنوبا

فعلق في عتاب الزمان بفن الغزل اللازم من الوصف.

الثاني: أن يتضمن التعليق بالشرط وراء التلازم للدلالة على زيادة المبالغة كقول أبي تمام:

فان أنا لم يمدحك عني صاغراً

عدوك فاعلم أنني غير حامد

فانه كنى بتعليق عدم حمده لممدوحه على عدم حمد عدوه صاغراً عن المبالغة وعلو همته واقتدار ممدوحه على كثرة العطاء^(١).

وذكر العلوي هذين القسمين وأمثلتهما بعد أن عرّف التعليق بقوله: «وهو في لسان علماء البيان مقول على حمل الشيء على غيره لملازمة بينهما»^(٢).

وعاد ابن قيم الجوزية الى مذهب ابن منقذ فعقد للتعليق والادماج فصلاً واحداً وعرّفه بمثل تعريفه^(٣).

التعليل:

علله بطعام وحديث ونحوهما: شغله بهما، يقال: فلان يُعلّل نفسه بتعلّة: وتعلّل به أي تلّهى به^(٤).

التعليل هو حسن التعليل، وقد ذكر ابن سنان الاستدلال بالتعليل ولم يُعرّفه^(٥). وتحدث عبدالقاهر

فان استحسان إساءة الواشي ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكر. أو غير ممكنة كقول الشاعر:

لو لم تكن نية الجوزاء خدتمته
لما رأيت عليها عقد منتطيق
والحق به ما بني على الشك كقول أبي تمام:
رُبا شفعت ربح الصبا لرياضها
الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن الشحاب الغرغرين تحتها
حبيباً فما تزقى لهن مدامع

وذهب الى ذلك القزويني في التعريف والتقسيم وإلحاق ما بُني على الشك به^(١)، وتبعه شراح تلخيصه والسيوطي والمدني^(٢).

وعقد بعض البلاغيين فصلاً باسم «التعليل»، وقد قال المصري: «هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول»^(٣)، كقوله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾^(٤)، فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب. ومنه قول البحري:

ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
أذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو العلة في شكوى الشاعر الزمان.

ونقل ابن الأثير الحلبي تعريف المصري والآية الكريمة^(٥)، وقال ابن مالك: «التعليل أن تقصد الى حكم فتراه مستبعداً لكونه قريباً أو عجباً أو لطيفاً أو نحو ذلك فتأتي على سبيل التطرف بصفة مناسبة للتعليل فتدعي كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه، فان اثبات الحكم بذكر علته أروج في العقل من إثباته بمجرد دعواه»^(٦).

وذكر العلوي تعريف ابن مالك وقسمه الى

نوعين^(٧):

الأول: أن يأتي التعليل صريحاً إما باللام كقول ابن رشيق يعلل قوله - عليه السلام - : «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» فقال في معنى ذلك:

سألت الأرض لِم جعلت مُصَلِّي
ولِم كانت لنا طُهوراً وطيباً
فقالَت غيرَ ناطقةٍ لأنِّي
حويتُ لكل إنسان حبيبا

ولقد أحسن في الاستخراج والطف في التعليل، فلاجل ما قاله كان ذلك علة في كونها طهوراً ومسجداً.

الثاني: أن لا يكون التعليل صريحاً في اللفظ وإنما يُؤخذ من جهة السياق والنظم والمعنى كقول بعض الشعراء، ولعله مسلم بن الوليد:

يا واشيأ حسنت منا إساءته

نجى حذارك إنساني من الغرق

فلقد أبدع فيما قاله وأراد أن الواشي مذموم لا محالة لما يفعله من القبيح لكن العلة في حسن إساءته وهو أنه يخاف على محبوبته من وشايتها فامتنع دمع عينه من أجل الخوف فسليم إنسان عينه من أن يغرق بدموعه لما كان خائفاً مذعوراً من الوشاية، فلا وجه لتعليل حسن الوشاة إلا هذا.

وقال الزركشي إن ذكر الشيء مُعللاً أبلغ من ذكره

(١) الايضاح ص ٣٦٧، التلخيص ص ٣٧٥.

(٢) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٧٣، المطول ص ٤٣٦، الاطول ج ٢ ص ٢١٠، شرح عقود الجمان ص ١٢٥، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٣٦، التبيان في البيان ص ٢٦٠، شرح الكافية ص ٢٨٣.

(٣) تحرير التحرير ص ٣٠٩، بديع القرآن ص ١٠٩.

(٤) الانفال ٦٨.

(٥) جوهر الكنز ص ٢٣٩.

(٦) المصباح ص ١١٠.

(٧) الطراز ج ٣ ص ١٣٨.

بلا علة لوجهين:

أحدهما: أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول.

الثاني: أن النفوس تنبعث الى نقل الاحكام المعللة بخلاف غيرها.

وغالب التعليل في القرآن الكريم هو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الاولى وهو سؤال عن العلة^(١).

وتختلف نظرة الزركشي عن الآخرين في التعليل فهو يريد التعليل الحقيقي ولذلك تحدّث عن الطرق الدالة على العلة كالتصريح بلفظ الحكم او الإتيان بـ«كي» أو ذكر المفعول له، أو الإتيان بـ«أن» وغير ذلك. ويريد البلاغيون به حسن التعليل الذي لا يقوم على علة حقيقية في أغلب الأحيان. ويبدو أن اتجاه الزركشي لم يؤثر في البلاغيين كثيرًا، فالحموي عاد الى ما قاله المصري وابن مالك^(٢)، غير أن السيوطي أوجز ما قاله الزركشي ايجازًا لا يوضح المسألة^(٣)، ولعل سبب عودته الى ذلك اتصال موضوعه بالقرآن الكريم.

التعمية:

عمي عليه الأمر: التيس، والتعمية أن تعمي على الانسان شيئًا فتلبسه عليه تلبيسًا، والتعمية: الاخفاء، ويقال: عميت معنى البيت تعمية^(٤).

تحدث ابن رشيق عن التعمية في باب الإشارة وقال: «ومنها التعمية، وهذا مثل للطير وما شاكله، كقول أبي نواس: «واسم عليه خبن للصفاء» وما أشبهه»^(٥).

وتحدث عنها الحموي في باب «الالغاز» وقال: «هذا النوع أعني الالغاز يسمى المحاجاة والتعمية وهي أعم اسمائه، وهو أن يأتي المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ويأتي بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه»^(٦) كقول أبي العلاء في إبرة:

سَعَتْ ذات سُمِّ في قَمِيصٍ فغادرت
به أثرًا واللَّهُ شافٍ من السُّمِّ
كَسَتْ قَيْصَرًا ثَوْبَ الجَمالِ وتُبَعًا
وِكِشْرَى وعادَتْ وهي عاريةُ الجِسمِ
وأدخلها السجلماسي في انواع الاشارة^(٧).

التغاير:

تغيّر الشيء عن حاله: تحوّل، وتغيّره: حوّله وبدّله كأنه جعله غير ما كان. وغير عليه الأمر: حوّله. وتغايرت الاشياء اختلفت^(٨).

قال ابن رشيق: «هو ان يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما ثم يصححا جميعا وذلك من افتتان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم»^(٩). ومن ذلك قول بعضهم يذكر قومًا بأنهم لا يأخذون إلا القود^(١٠) دون الدية:

لا يَشْرَبُونَ دِماءَهُم بأَكْفُهُم
إِنَّ الدِماءَ الشَافِياتِ تُكَالُ
وقال آخر وقد أخذ بثأره إلا انه فيما زعم قتل دون من قتل له:

فيقتل خير بامرئ لم يكن له
بواءً ولكن لا تكايل بالدم
ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم يفضله على الكرم المطبوع:

- (١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٩١.
- (٢) خزنة الأدب ص ٤١٦، نفحات ص ١٦٥.
- (٣) معترك ج ١ ص ٣٧٢، الاتقان ج ٢ ص ٧٥.
- (٤) اللسان (عمي).
- (٥) العمدة ج ١ ص ٣٠٩.
- (٦) خزنة الأدب ص ٣٩٣.
- (٧) المنزح البديع ص ٢٦٨.
- (٨) اللسان (غير).
- (٩) العمدة ج ٢ ص ١٠٠.
- (١٠) القود: القصاص.

قد بَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ حَدِيثًا
وَبَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ قَدِيمًا
وَوَزَدْنَاهُ سَائِحًا وَقَلِيْبًا
وَزَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيمًا^(١)
فَعَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشَقِّ الْ-
نَفْسِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
وقال المتنبي في خلافه:

لو كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ
لَمَا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ
تَكْرِمَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا
ومن مליح التغاير قول أبي الشيص:

أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٌ
حُبًّا لِذِكْرِكَ فليُلْمَنِي اللَّوْمُ

وقول المتنبي في عكس هذا:

أَحْبُّهُ وَأَحَبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ
إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وهذا عند القاضي الجرجاني من لطيف السرق
وقد جاء على وجه القلب وقصد به النقض^(٢).

وقال المصري: «التغاير هو تضاد المذهبين أما في
المعنى الواحد بحيث يمدح انسان شيئاً ويذمه أو يذم
ما مدحه غيره أو يفضل شيئاً على شيء ثم يعود فيجعل
المفضول فاضلاً أو يفعل ذلك مع غيره فيجعل
المفضول عند غيره فاضلاً وبالعكس»^(٣).

وقال الحلبي والنويري: «هو أن يغاير المتكلم
الناس فيما عاداتهم أن يمدحوه فيذمه أو يذمونه
فيمدحه»^(٤). وعرفه بمثل ذلك السبكي وأضاف أن
التغاير إما من كلام شخصين كقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا
بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
آمَنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٥). وإما أن يتغاير كلام الشخص
الواحد في وقتين كقول قريش عن القرآن الكريم: ﴿مَا
سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾^(٦) فانه اعتراف بالعجز

ثم قالوا في وقت آخر: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٧).
وكان الأصل أن لا يُعَدَّ هذا حسناً بل عيباً لكنه لوقوعه
في وقتين مختلفين في غير هذا المثال عُدَّ من
المحاسن^(٨).

وسمّاه العسكري التلطف وهو من زياداته^(٩)،
وقال: «هو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه
والمعنى الهجين حتى تُحَسِّنَهُ»^(١٠).

وقال الحموي عن التغاير: «سمّاه قوم التلطف وهو
أن يتلطف الشاعر بتوصله الى مدح ما كان قد ذمه هو
أو غيره»^(١١)، وقال السيوطي مثل ذلك^(١٢). وسمّاه
آخرون «المغايرة»، قال المدني: «المغايرة والتغاير
ويسميه قوم التلطف»^(١٣).

التغليب:

عَلَبَهُ: قَهَرَهُ، وَعُغِبَ عَلَى صَاحِبِهِ: حُكِمَ لَهُ عَلَيْهِ
بِالْغَلْبَةِ، وَتَغَلَّبَ عَلَى بَلَدٍ كَذَا: اسْتَوْلَى عَلَيْهِ قَهْرًا،
وَعُغِبَتْهُ أَنَا عَلَيْهِ تَغْلِيْبًا^(١٤).

(١) يريد بالسائح: النهر. القليب: البئر. البارض: أول ما
يَنبِت من نبت الأرض. الجميم: النبت الكثير.

(٢) الوساطة ص ٢٠٦.

(٣) تحرير التحرير ص ٢٧٧، بديع القرآن ص ١٠٥.

(٤) حسن التوسل ص ٢٦٩، نهاية الأرب ج ٧
ص ١٤٥.

(٥) الأعراف ٧٥ - ٧٦.

(٦) المؤمنون ٢٤.

(٧) الأنفال ٣١.

(٨) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٦٨.

(٩) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

(١٠) كتاب الصناعتين ص ٤٢٧.

(١١) خزانة الأدب ص ١٠٢.

(١٢) شرح عقود الجمان ص ١١٢.

(١٣) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٧١، وينظر خزانة الأدب
ص ١٠٢، ١٠٤، نفحات ص ٩٩، شرح الكافية

ص ١٠٢.

(١٤) اللسان (غلب).

ذلك»^(٨)، كما قال بعضهم يذكر سليمان - عليه السلام -:

وَكُلُّ صَمَوَاتٍ نَشَلَةٌ تَبَعِيَّةٌ
وَنَسَجِ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ^(٩)
وكما قال الآخر:

ودعا بمُحَكِّمَةِ أَمِينِ سَكِّهَا
من نَسَجِ دَاوُدِ أَبِي سَلَامٍ

التَّفْخِيمُ:

فَخَّمَهُ وَتَفَخَّمَهُ: أَجَلَّهُ وَعَظَّمَهُ، والتفخيم: التعظيم،
وَفَخَّمَ الْكَلَامَ: عَظَّمَهُ^(١٠).

وقد تحدث ابن رَشِيْق عنه في باب الإشارة وقال:
«ومن أنواع الإشارة التفخيم والإيماء، فأما التفخيم
فكقول الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(١١) وقد
قال كعب بن سعد الغنوي:

أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيته
ولا ورعٌ عند اللقاء هيبٌ^(١٢)

وذكره السجلماسي في الإبهام وهو من جنس

- (١) منهاج البلغاء ص ١٠٣.
- (٢) الإيضاح ص ٩١، التلخيص ص ١١٢، شروح التلخيص ج ٢ ص ٥١، ج ٤ ص ٤٧٣، المطول ص ١٥٨ الاطول ج ١ ص ١٧٩، التبيان في البيان ص ٢٣٩.
- (٣) الأعراف ٨٨.
- (٤) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٣.
- (٥) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٠٢.
- (٦) البرهان ج ٣ ص ٣١٢، وينظر معترك ج ١ ص ٢٦٢، الاتقان ج ٢ ص ٤٠.
- (٧) اللسان (غير).
- (٨) نقد الشعر ص ٢٥٠.
- (٩) الصموت: الدرع الثقيلة. النشلة: الواسعة. القضاء: الدرع الخشنة. الذائل: طويلة الذيل.
- (١٠) اللسان (فخم).
- (١١) القارعة ١ - ٢.
- (١٢) العمدة ج ١ ص ٣٠٣.

قال القرطاجني هو «أن يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظاً أو معنى»^(١).

وقال القزويني: «التغليب باب واسع يجري في فنون كثيرة»^(٢) كقوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لِنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٣). أدخل شعيب - عليه السلام - في ﴿لِنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ بحكم التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم أصلاً. وقد يسمى «ترجيح أحد المعلومين على الآخر»^(٤)، ويكثر التغليب بالتثنية من ذلك «أبوان» للأب والأم، و«الخافقان» للمشرق والمغرب و«العمران» لأبي بكر وعمر.

وعرّفه الزركشي بقوله: «وحيقيقته إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظه عليهما إجراء المختلفين مجرى المُتَّفِقِينَ»^(٥). وهو أنواع: فمنه تغليب المذكر، وتغليب المتكلم على المُخاطَب، والمُخاطَب على الغائب، وتغليب العاقل على غيره، وتغليب المُتَّصِفِ بالشيء على ما لم يتَّصف به، وتغليب الأكثر على الأقل، وتغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مغموز فما بينهم بأن يُطلق اسم الجنس على الجميع، وتغليب الموجود على ما لم يوجد، وتغليب الإسلام، وتغليب ما وقع بغير هذا الوجه، وتغليب الأشهر. وقد قالوا إن جميع باب التغليب من المجاز، قال الزركشي: «لأنَّ اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ألا ترى أنَّ القانتين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف، فاطلاقه على الذكور والانات على غير ما وضع له»^(٦).

التَّغْيِيرُ:

تغيّر الشيء عن حاله: تحوّل، وغيره: حوّلته وبدّلته كأنه جعله غير ما كان، وغير عليه الأمر: حوّلته^(٧).

قال قدامة: «هو أن يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته الى صورة اخرى إذا اضطرتته العروض الى

الإشارة^(١).

التفريط:

أفرط عليه في القول يُفْرِط: أسرف وتقدّم. وفرط في الأمر يفرط فرطاً أي قصّر فيه وضيّعه حتى فات، وكذلك التفريط وهو التقصير والتضييع^(٢).

قال ابن منقذ: «هو أن يقدم الشاعر على شيء فيأتي بدونه فيكون تفريطاً منه إذ لم يكمل اللفظ أو يبالغ في المعنى»^(٣)، كقول حسان بن ثابت:

لنا الجفّناتُ العُرّ يَلْمَعَنَ بالضّحي

وأسيافنا من شدّة تَقَطُرُ الدّما

فَرَطَ في قوله: «الجفّنات» لأنها دون العشرة وهو يقدر أن يقول: «لدينا الجفان» لأنّ العدد الأقل لا يفتخر به.

وقال ابن الأثير: «وإما التفريط فهو التقصير والتضييع، ولهذا قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤) أي: ما أهملنا ولا ضيّعنا. وإما الإفراط فهو الإسراف وتجاوز الحدّ، يقال: أفرط في الشيء، إذا أسرف وتجاوز الحدّ. والتفريط والإفراط هما الطرفان البعيدان، والاقتصاد هو الوسط المعتدل، وقد نقلت هذه المعاني الثلاثة إلى هذا النوع من علم البيان. أمّا الاقتصاد فهو: أن يكون المعنى المضمّر في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبرّ عنه في منزلته. أمّا التفريط والإفراط فهما ضدّان: أحدهما أن يكون المعنى المضمّر في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبرّ عنه، والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته. والتفريط في المعاني الخطابية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه، والإفراط يجوز استعماله، فمنه الحسّن ومنه دون ذلك. فمِمّا جاء من التفريط قول الأعشى:

وما مُزِبِدٌ من خليج الفِرا

تِ جَوْنٌ غوارِبُهُ تَلْتَطِمْ^(٥)

بأجودَ منه بما عُونه

إذا ما سماؤُهُمُ لم تُغم

فانه مدح ملكاً بالجدود بماعونه، والماعون: كُمل ما يستعار من قدوم أو قصعة أو قدر أو ما أشبه ذلك، وليس للملوك في بذله مدح ولا لأوساط الناس أيضاً، وفي مدح السوقة به قولان، ومدح الملوك به عيب وذمّ فاحش، وهذا من أقبح التفريط^(٦).

وقال التّوخي: «والتفريط أن يكون اللفظ قاصراً عمّا تضمنه من المعنى»^(٧).

وقال ابن الأثير الحلبي: «وأما التفريط والإفراط فهو أن يكون المعنى المضمّن في العبارة بخلاف ما تقتضيه البلاغة إمّا أن يكون انحطاطاً دونها فهو تفريط وإمّا ما تجاوز عنها فهو الإفراط. ولهذا قال عليه السلام: «الجاهل إمّا مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ» يعني إمّا مُقَصِّرٌ فيما يجب عليه أو مُتجاوز الحدّ فيما أمر به»^(٨).

وَعَرَفَهُ العلوي بمثل هذا التعريف، أي أنّ التفريط هو التقصير والتضييع^(٩)، وَعَدَّ الاقتصاد والتفريط والإفراط فصلاً واحداً سماه «الامتحان». ونقل ابن الجوزيّة كلام ابن الأثير وبعض أمثله^(١٠).

لقد تحدّث البلاغيّون عن التفريط وأوضحوا معناه، والغريب أن الشيوطي قال: «ونبّهت من زيادتي أيضاً على نوع يُسمّى التفريط ذكره عبد الباقي اليميني في كتابه ولم أره لغيره قال: «وهو ضدّ المُبالغة، أن يُؤتي بالوصف ناقصاً عمّا يقتضيه حال

(١) المنزح البديع ص ٢٦٧.

(٢) اللسان (فرط).

(٣) البديع في نقد الشعر ص ١٤٦.

(٤) الانعام ٣٨.

(٥) المزبد: الموج. الجون: الأسود. الغوارب جمع غارب، وغارب كل شيء: أعلاه.

(٦) المثل السائر ج ٢ ص ٣١٦، الجامع الكبير ص ٢٢٦.

(٧) الأقصى القريب ص ١٠٠.

(٨) جوهر الكنز ص ١٣٩.

(٩) الطراز ج ٢ ص ٣٠٨.

(١٠) الفوائد ص ٢٠٨.

ما ثم يلتفت الى شي آخر يوصف بصفة مماثلة أو مشابهة أو مخالفة لما وصف به الأول فيستدرج من أحدهما الى الآخر ويستطرد به اليه على جهة تشبيه أو مفاضلة أو التفات أو غير ذلك مما يناسب به بين بعض المعاني وبعض فيكون ذكر الثاني كالفرع عن ذكر الأول^(١). وهذا قريب مما ذهب اليه ابن رشيق، بل الأمثلة واحدة. والتفريع عند المصري نوعان:

أحدهما: أن يبدأ الشاعر بلفظة هي إما اسم وإما صفة ثم يكررها في البيت مضافة الى أسماء وصفات يتفرع من جملتها أنواع من المعاني في المدح وغيره كقول المتنبي:

أنا ابنُ اللقَاءِ أنا ابنُ السماء

أنا ابن الضرابِ انا ابن الطعان

أنا ابنُ الفيافي أنا ابنُ القوافي

انا ابنُ السروج أنا ابنُ الرعان

طويلُ النجادِ طويلُ العمادِ

طويلُ القنائةِ طويلُ السنان

حديدُ اللحاظِ حديدُ الحفاظِ

حديدُ الحسامِ حديدُ الجنان

وهذا النوع لم يسبق الى استخراجه، وهو تفريع الجميع لأن كل بيت ينطوي على فروع من المعاني شتى من المدح تفرعت من أصل واحد.

والنوع الثاني: يتفرع منه معنى واحد من أصل واحد اما في بيت أو أبيات، واما في جملة من الكلام او جمل، وهو أن يصدر الشاعر او المتكلم

(١) شرح عقود الجمان ص ١٢٣.

(٢) اللسان (فرع).

(٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ١١١.

(٤) العمدة ج ٢ ص ٤٤، وينظر المنزاع البديع ص ٤٦٦.

(٥) قانون البلاغة ص ٤٥٥، وينظر الوافي ص ٢٩١.

(٦) منهاج البلغاء ص ٥٩، وينظر الروض المريع ص ٩٦، كفاية الطالب ص ١٨٨.

المعبر عنه^(١). وذكر بيتي الأعشى السابقين. وهذا غريب من الشيوطي، ولعله يريد انه لم ير أحدا أدخل التفريط في المحسنات المعنوية من البديع.

التفريع:

فَرَعٌ: فَرَقٌ، وَفَرَعٌ كُلُّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ، وَتَفَرَّعَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ أَي كَثُرَتْ^(٢). والتفريع مصدر قولك: «فرعت من هذا الأصل فروعا» إذا استخرجتها^(٣). قال ابن رشيق: «وهو من الاستطراد كالتدرج في التقسيم، وذلك أن يقصد الشاعر وصفا ما ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف توكيدا»^(٤)، كقول الكميت:

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ

كَمَا دِمَاؤُكُمْ يُشْفَى بِهَا الْكَلْبُ

فوصف شيئا ثم فرع شيئا آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا.

وقول ابن المعتز:

كَلَامُهُ أَخْدَعُ مِنْ لَحْظِهِ

وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طَيْفِهِ

فبينا هو يصف خدع كلامه فرع منه خدع لحظه، ويصف كذب وعده فرع كذب طيفه. وقال البغدادي: «هو أن يأخذ الشاعر في وصف من الأوصاف فيقول ما كذا، فينعت شيئا من الأشياء نعتا حسنا ثم يقول بأفعل من كذا»^(٥)، كما قال الأعشى:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحُزْنِ مُعْشِبَةٌ

خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوَكَبِ شَرْقٍ

مُؤَزَّرٌ بَعْمِيمِ النَّبْتِ مَكْتَهَلٌ

يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشَرَ رَائِحَةٍ

وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ

وقال القرطاجني: «هو أن يصف الشاعر شيئا بوصف

الاجتماع كما وهم ابن حجة، وضد الاجتماع إنما هو الافتراق لا التفريق»^(٨).

وَسَمَّاهُ الحَلْبِي وَالتَّوْبِرِي «التفريق المفرد»^(٩) وقال السكاكي: «هو أن تقصد الى شيئين من نوع فتوقع بينهما تبايناً»^(١٠)، كقول الوطواط:

ما نوال الغمام وَقَّتَ ربيع
كنوال الأمير وَقَّتَ سخاء

فنوال الأمير بَدْرَةٌ عَيْن
ونوال الغمام قَطْرَةٌ ماء

وَعَرَّفَهُ بمثل ذلك ابن مالك والقزويني والعلوي والحموي والسيوطي والمدني وشرح التلخيص^(١١).

- (١) البديع في نقد الشعر ص ١٢٣.
- (٢) تحرير التحبير ص ٣٧٢ - ٣٧٤، وينظر المصباح ص ١٠٨، حسن التوسل ص ٢٩١، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٦٠، الطراز ج ٣ ص ١٣٢، خزانة الادب ص ٤١٤، شرح عقود الجمان ص ١٢٤، أنوار الربيع ج ٦ ص ١١١، نفحات ص ٢٩١، شرح الكافية ص ٣٠٣.
- (٣) الإيضاح ص ٣٧٢، التلخيص ص ٣٧٩.
- (٤) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٨٣، المطول ص ٤٣٩، الأطول ج ٢ ص ٢١٣.
- (٥) شرح عقود الجمان ص ١٤٠.
- (٦) أنوار الربيع ج ٦ ص ١١٢.
- (٧) اللسان (فرق).
- (٨) أنوار الربيع ج ٤ ص ٢٥٩، خزانة الأدب ص ١٧٢.
- (٩) حسن التوسل ص ٢٨١، نهاية الأدب ج ٧ ص ١٥٢.
- (١٠) مفتاح العلوم ص ٢٠١، حدائق السحر ص ١٧٨.
- (١١) المصباح ص ١١٢، الايضاح ص ٣٥٧، التلخيص ص ٣٦٣، الطراز ج ٣ ص ١٤١، خزانة الادب ص ١٧٢، شرح عقود الجمان ص ١١٩، حلية اللب ص ١٣٧، أنوار الربيع ج ٤ ص ٢٥٩، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٣٥، المطول ص ٤٢٨، الاطول ج ٢ ص ٢٠٠، نفحات الأزهار ص ١٣٧، التبيان في البيان ص ٣٣٢، شرح الكافية ص ١٦٧.

كلامه باسم منفي بـ«ما» خاصة ثم يصف الاسم المنفي بمعظم أوصافه اللائقة به إما في الحسن أو القبح ثم يجعله أصلاً يفرع منه معنى في جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفي الموصوف ومنه أبيات الأعشى السابقة. وقد سَمَّى ابن منقذ هذا النوع النفي^(١).

ومن التفريع نوع ثالث وهو تفريع معنى من معنى من غير تقدم نفي ولا جحود كقول ابن المعتز:

كلامه أَخَذَ مِنْ لَفْظِهِ
وَوَعْدَهُ أَكْذَبُ مِنْ طَيْفِهِ

وهو مختص بمعاني النفس دون معاني البديع^(٢).

وقال القزويني: «هو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد اثباته لمتعلق له آخر»^(٣) ومنه قول الكميت، وتبعه شرح التلخيص^(٤).

وَذَكَرَ الشُّيُوطِيُّ فَنَّا سَمَّاهُ «التأسيس والتفريع» وقال: «هذا نوع لطيف اخترعته لكثرة استعماله في الكلام النبوي، ولم أر في الأنواع المُتَقَدِّمة ما يناسبه فَسَمَّيْتُهُ بالتأسيس والتفريع، وذلك أن يُمَهَّدَ قاعدة كَلِيَّةٌ لما يقصده ثم يُرْتَّبُ عليها المقصود كقوله - صلى الله عليه وسلم -: «لكل دين خلق، وخلق هذا الدين الحياء». وقد استعمل - صلى الله عليه وسلم - مثل هذا في تقريراته كثيراً»^(٥).

فالتفريع له معنيان عند علماء البلاغة، الاول: ما ذكره الخطيب القزويني وشرح التلخيص، والثاني ما ذكره البديعيون والزنجاني في معيار النظار. والى ذلك أشار المدني، وقال إن النوع الثاني «سماه بعضهم النفي والجحود»^(٦).

التَّفْرِيقُ:

الفَرْقُ: خلاف الجمع، فرقة يفرقه فَرْقًا وفَرْقَهُ، وقيل: فَرَّقَ للصَّلاح فَرْقًا، وفَرَّقَ للفساد تفريقًا^(٧). وقال المدني: «التفريق في اللغة ضد الجمع لا

التَّفْرِيقُ وَالْجَمْعُ:

أيضاً. وأدخله السجلماسي في جنس التوضيح^(٥).

تَفْسِيرُ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ:

ذكره القرطاجني وذكر له بعض قولهم:

أذكى وأحمد للعداوة والقرى

نارين: نَارَ وَغَى وَنَارَ زِنَادٍ^(٦)

تَفْسِيرُ الْإِيضَاحِ:

ذكره القرطاجني وقال: «هو إرداف معنى فيه إبهام

ما بمعنى مماثل له إلا أنه أوضح منه»^(٧)، كقول المتنبّي:

ذكيّ تظنيه طليعة عينه

يرى قلبه في يومه ما ترى غدا

التَّفْسِيرُ بَعْدَ الْإِبْهَامِ:

قال ابن الأثير: «إنّ هذا النوع لا يُعمد الى استعماله

إلا لضرب من المُبالغة فاذا جيء به في كلام فانما يفعل

ذلك لتضخيم أمر المبهم واعظامه لأنّه هو الذي يطرق

السمع أولاً فيذهب بالسامع كل مذهب»^(٨). كقوله

تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوَلاءِ مَقْطُوعٌ

مُضْبِحِينَ﴾^(٩) ففسر الأمر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هُوَلاءِ

مَقْطُوعٌ﴾ وفي إبهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تضخيم

للأمر وتعظيم لشأنه.

(١) بديع القرآن ص ٣١٣.

(٢) الأنعام ٤٢ - ٤٤.

(٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٢٣.

(٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٢٣.

(٥) المنزح البديع ص ٤٢٢، وينظر الروض المريع

ص ١٣٧، كفاية الطالب ص ١٨٢، نفحات

ص ٢٨٦، شرح الكافية ص ٢٨١.

(٦) منهاج البلغاء ص ٥٨.

(٧) منهاج البلغاء ص ٥٧.

(٨) المثل السائر ج ٢ ص ٢٧.

(٩) الحجر ٦٦.

ابتدع المصري فنا سماه «التفريق والجمع» وقال:

«هو أن يُفرق المتكلم بين كلامين مرتبطين متلاحمين

بكلام يتلو به الأول من كلامه بوهم السامع أنه غير

مرتبط ليفيد بذلك معنى لا يفيد الكلام لو جاء على

مقتضى وضع النظم وترتيبه ثم يعود فيجمع ما تفرّق

من الكلام بما كان يجب أن يقدّم لتأهيله لنفع الأول

وملاءمته له وارتباطه به وكونه في الظاهر لا يصلح أن

يجاوره غيره»^(١). كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ

مِن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ.

فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا

ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(٢). ومقتضى حسن الجواب في النظم

أن يقول ههنا: أخذناهم بغتة فلم يقل ذلك وقال:

«فتحنا عليهم أبواب كل شيء» و«حتى إذا فرحوا بما

اوتوا أخذناهم بغتة» فأوهم ظاهر النظم أن قوله: «فتحنا

عليهم أبواب كل شيء» بعد قوله: «فلما نسوا ما ذكروا

به» غير ملائم وأنّ الأليق أن يقال: «أخذناهم بغتة»، ولو

جاء النظم على توهم السامع لحصل الاخلال بما أفاده

الفصل من المعاني لأنّ الإخبار بفتح أبواب كل شيء

عقيب معاملتهم بما يبطل أعدارهم ويُنبئهم بأمر

معاصيهم ويسلكهم في خير الكتب المنزلة من الله

المتضمنة الوعيد بأخذهم من وسط ما استدرجهم به

من النعم لتكون المحبة أشد وألم الأخذ أعظم

والعذاب أشق. ثم قال بعد الاخبار بفتح أبواب النعم

العميمة «أخذناهم» فاجتمع ما تفرق من الكلام وانتظم

ما انفصم من ذلك النظام، وهذا سيرٌ من اسرار البلاغة.

التَّفْسِيرُ:

التفسير هو البيان والكشف، وقيل هو مقلوب

«السفر» يقال: أسفر الصباح: إذا أضاء^(٣).

والتفسير هو التصريح بعد الإبهام وقد تقدم،

وسمّاه ابن مالك وآخرون «التبيين»^(٤). وقد تقدم

ومن بديع التفسير بعد الإبهام قول الشاعر في وصف الخمر:

فقد مضى ما مضى من عقلٍ شارِبها
وفي الزجاجة باقٍ يَطْلُبُ الباقي

وقول الآخر:

مَضَى ما مَضَى حتى علا الشَّيْبُ رأسه
فلما علاه قال للباطلِ ابْعُدِ

وقول الآخر:

سَأَعْيِلُ عني العارَ بالسيفِ جالِبًا
عليَّ قضاءَ الله ما كان جالِبًا^(١)

تفسير التبرع:

قال ابن الأثير الحلبي: «وأما تفسير التبرع فمثل قول الشاعر:

لَيْسَ كُنْتُ محتاجًا الى الجِلْمِ إني
الى الجَهْلِ في بَعْضِ الأحياءِ أَحْوَجُ

ثم فسره بقوله:

ولي فَرَسٌ بالجِلْمِ للجِلْمِ مُلَجِّمٌ
ولي فَرَسٌ بالجَهْلِ للجَهْلِ مُسْرَجٌ

ثم فسره بقوله:

فَمَنْ رام تَقْويمي فاني مُقَوِّمٌ
وَمَنْ رام تَعْويجي فاني مُعَوِّجٌ

فالثاني تفسير الأول والثالث تفسير الثاني وكلا التفسيرين من باب التبرع؛ لأن البيت الأول تم به الكلام واستوفى المعنى فهذا هو تفسير التبرع^(٢) وقد تقدم في التصريح بعد الإبهام.

تفسير التضمن:

ذكره القرطاجني ومثله بقول ابن الرومي:

خَبَّرَهُ بالداءِ واسأله بحيلته

تُخَبِّرُ وتَسْأَلُ أخوا فَهْمٍ وإفهام^(٣)

تفسير التعليل:

ذكره القرطاجني ومثله بقول أبي الحسن مهبّار

بن مرزويه:

بكيثُ على الوادي فحرّمت ماءه

وكيف يحلُّ الماءُ أكثره دَمٌ^(٤)

تفسير السبب:

ذكره القرطاجني ومثله بقول الشاعر:

..... يرجى ويتقى

يرجى الحيا منه وتُحشى الصواعقُ^(٥)

تفسير العدد:

ذكره ابن الأثير الحلبي ومثله بقول ذي الرمة:

وليلٍ كجلبابِ العروسِ أدْرَعْتُهُ

بأربعةٍ والشَّخْصُ في العينِ واحدٌ

أحْمٌ عِلافِيٌّ وأبيضُ صارِمٌ

وأعيسُ مَهْرِيٌّ وأزوعُ ماجِدٌ^(٦)

تفسير الغاية:

ذكره القرطاجني ولم يذكر له مثلاً^(٧).

التفصيل:

الفصل: بون ما بين الشيئين، وفصلت الوشاح إذا كان نظمه مفصلاً بأن يجعل بين كل لؤلؤتين مرجانة

(١) جواهر الكنز ص ١٥٢، الفوائد ص ١٨١.

(٢) جواهر الكنز ص ١٥٠.

(٣) منهاج البلغاء ص ٥٧.

(٤) منهاج البلغاء ص ٥٧.

(٥) منهاج البلغاء ص ٥٧.

(٦) جواهر الكنز ص ١٥١. ادرعته: لبسته. أحم:

أسود يعني الرجل. الأبيض: السيف. الأعين:

البعير. المهري: منسوب الى مهرة من عرب

اليمن.

(٧) منهاج البلغاء ص ٥٧.

مُحَرَّمًا من أصناف النساء ذوات الأرحام ثلاثة عشر صنفًا، ومن الأجانب صنفان^(١٢).

وقال الحموي: «التفصيل - بصاد مُهْمَلَة - نوع رخيص بالنسبة الى فن البديع والمغلاة في نظمه... والتفصيل هو أن يأتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرًا كان أو عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوطئة الملائمة»^(١٣).

وقال الشيوطي: «ثم نَبَّهت من زيادتي على نوع يشبه التضمين وهو التفصيل - بصاد مُهْمَلَة - وهو أن يُضْمَن شعره مصرعًا من نظم له سابق. وحسنه التمهيد له والتوطئة وصرفه عن ذلك المعنى الذي وضع له أولاً»^(١٤). وذكر ذلك المدني فقال: «وفي الاصطلاح عبارة عن أن يأتي المُتَكَلِّم بشطر بيت من شعر له مُتَقَدِّم في نثره أو نظمه صدرًا كان أو عجزًا يفصل به كلامه بعد أن يُوطئ له توطئة ملائمة»^(١٥).

وذكر المدني أيضا ما ذكره قدامة فقال: «وقد يطلق التفصيل على معنى آخر في الاصطلاح وهو أن يقدم الشاعر ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم، أو يفصل فيما حقه الاتصال، وهو من العيوب العامة

- (١) اللسان (فصل).
- (٢) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٦٦.
- (٣) نقد الشعر ص ٢٥١، الموشح ص ١٢٧.
- (٤) العمدة ج ٢ ص ٧٢.
- (٥) العمدة ج ٢ ص ٢٦.
- (٦) آل عمران ١٠٦ - ١٠٧.
- (٧) المؤمنون ١.
- (٨) المؤمنون ٥.
- (٩) المؤمنون ٧.
- (١٠) النساء ٢٢.
- (١١) النساء ٢٤.
- (١٢) بديع القرآن ص ١٥٤.
- (١٣) خزانة الادب ص ٢٢٢.
- (١٤) شرح عقود الجمان ص ١٧٠ وينظر الروض المريع ص ١٢٧.
- (١٥) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٦٦، نفحات ص ٣٠٣، شرح الكافية ص ٣٧٣.

أو شذرة أو جوهرة تفصل بين كل اثنتين من لون واحد، والتفصيل: التبيين^(١). وقال المدني:

«التفصيل بصاد مهملة في اللغة: مصدر «فَصَّلْتُ الشيءَ تفصيلاً» إذا جعلته فصولاً متميزة»^(٢).

قال قدامة: «هو أن لا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر»^(٣).

كما قال دريد بن الصمة:

وَبَلَغَ نَمِيرًا إِنْ عَرَضْتَ ابْنَ عَامِرٍ

فَأَيُّ أَخٍ فِي النَّائِبَاتِ وَطَالِبِ

فَفَرَّقَ بَيْنَ «نَمِيرِ بْنِ عَامِرٍ» بِقَوْلِهِ: «إِنْ عَرَضْتَ».

وذكر ابن رشيق أنه من تسميات قدامة وقال إنه نوع من الحشو^(٤)، وكان قد ذكر أن عبد الكريم يطلق التفصيل على التقطيع وهو بعض أنواع التقسيم^(٥)، وأنشد في ذلك:

بَيْضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا

نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

والتفصيل عند المصري الشرح والتفسير، وقد قَسَّمَهُ الى مُتَّصِلٍ وَمُنْفَصِلٍ، وَالمُتَّصِلُ منه كُلُّ كَلَامٍ وَقَعَ فِيهِ «أَمَّا وَأَمَّا» كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌُ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمُ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمُ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٦).

والمنفصل هو ما يأتي مُجْمَلَةً في سورة وَمُفْصَلَةً في أخرى أو في مكانين مفترقين من سورة واحدة، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٧) الى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُجُورِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٨) الى قوله: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٩)، فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ إِجْمَالُ الْمُحَرَّمَاتِ جَاءَتْ مُفَسَّرَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(١٠) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾^(١١) فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ

عندي تصحيف والصواب بهذا المعنى التفسير بالزاي والقاف قبل الفاء^(٤). ولا علاقة لهذا المعنى بالفن الذي ذكره ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة وَعَرَّفَه بقوله: «هو أن يأتي في البيت ذكر نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فيوميئ إليها الشاعر أو الناثر»^(٥).

كقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾^(٦)، فإن امرأ القيس أو ما إليه بقوله:

مِنِ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوَدَّبَتْ مَحْوَلٌ
مِنِ الذَّرِّ فَوْقَ الْأَنْفِ مِنْهُ لِأَثَرِ
وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ:

أَلْوَمٌ زِيَادًا مِنْ رِكَائِكَ رَأِيهِ
وَفِي قَوْلِهِ: أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ
وَهَلْ يُحْسِنُ التَّهْدِيبُ مِنْكَ خَلَائِقًا
أَرَقُّ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ وَأَطْيَبُ
وَسَمَّى ابْنَ مَنْقَذِ هَذَا النُّوعِ «التَّقْفِيَةَ»^(٧)، ولا يدرى أي المصطلحين أصح، وهل فيهما تحريف.

التَّقْوِيفُ:

اشتقاق التقويف من الثوب الذي فيه خطوط بيض، وأصل الفَوْفِ البياض الذي في أظفار الأحداث والحبة البيضاء في النواة وهي التي تنبت منها النخلة. والفوفة القشرة البيضاء التي تكون على النواة، والفوف الشيء، والفوف قطع القطن، وبُرْدٌ مَفْوَفٌ أي رقيق. فكأنَّ المتكلم خالف بين جمل المعاني في التقفية كمخالفة البياض لسائر الألوان، لأن بعده من سائر الألوان أشد من بعد بعضها عن

- (١) الاسراء ٧٠.
- (٢) اللسان (فضل).
- (٣) شرح عقود الجمان ص ١٢٤.
- (٤) اللسان (فقر).
- (٥) الفوائد ص ٢١٧.
- (٦) الرحمن ٥٦.
- (٧) البديع في نقد الشعر ص ٢٨٤.

للشعر». ورأى أن المعقود بالتفصيل هو المعنى الأول، وفَرَّقَ بينه وبين الايداع فقال: «ولا فرق بينه وبين الايداع سوى أن الايداع إيراد الشاعر شطر بيت لغيره، والتفصيل إيراده شطر بيته لنفسه، وليس تحته كبير أمر».

التَّفْضِيلُ:

فَضَّلَهُ: مَرَّاه، ويقال: فَضَّلَ فلان على غيره إذا غلب بالفضل عليهم، وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١) قيل: تأويله أن الله فضلهم بالتمييز^(٢).

وقال الشَّيْطِيُّ: «هو من زيادتي ذكره الصفي واتباعه وجعله الاندلسي قسماً من التفريع وكذا فعل صاحب التلخيص أولاً ثم ضرب عليه بخطه كما رأيته في نسخته ومشى عليه في الايضاح. وهو أن ينفي بـ«ما» أو «لا» دون غيرهما من أدوات النفي عن ذي وصف أفعل تفضيل مناسب لذلك الوصف معدى بـ«من» الى ما يراد مدحه أو ذمة فتحصل المساواة بين الاسم الجرور بـ«من» وبين الاسم الداخلة عليه «ما» النافية، لأنها نفت الأفضلية فتبقى المساواة كقوله:

مَا رَبُّعٌ مَيَّةٌ مَعْمُورًا يَطِيفُ بِهِ
غِيلَانُ أَبِيهِ رَبُّي مِنْ رَبِّعِهَا الْخَرِبِ
وَلَا الْخُدُودُ وَإِنْ أَدْمِينُ مِنْ خَجَلِ
أَبِيهِ إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ

ومثاله من الحديث: «ماذئبان ضاريان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» ومنهم من سمى هذا النوع النفي والجحد^(٣).

ومنهم من سماه «التفريع» وقد تقدم.

التَّفْقِيرُ:

قال ابن المظفر إنَّ التَّفْقِيرَ فِي رِجْلِ الدَّوَابِّ بِيَاضٍ مَخَالِطٍ لِلْأَسْوَقِ إِلَى الرِّكْبِ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: هَذَا

بعض^(١).

قال التبريزي: «والتفويف المشبه بالبُرد المفوف، وهو الذي يخلط في وشيه شيء من بياض»^(٢). كقول جرير:

هم الأختيارُ مَنْسَكَةٌ وَهَدْيًا
وفي الهيجا كأنهم ضُفُورُ
بهم حدبُ الكرام على المعالي
وفيهم من مساءتهم فَتورُ
خلائقُ بَعْضِهِمْ فيها كَبْعُضِ
يؤمُّ كبيرهم فيها الصغيرُ
عن النكراءِ كُلُّهُمُ غَبِيٌّ
وبالمعروفِ كُلُّهُمُ بَصِيرُ

وقال البغدادي: «وهذا النوع من الشعر هو أن يسهل له مخارج الحروف ويرف منه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة. وأن يكون ظاهر المعنى لا يحتاج إلى إعمال الفكر في استنباط معانيه وإن كان خاليا من جميع الأوصاف التي تقدمت وتأخرت عنها»^(٣). وذكر أمثلة التبريزي. وقال ابن الزملاكاني: «التفويف شبه بالبُرد المفوف الذي يخالط وشيه شيء من بياض، وفي الاصطلاح عبارة عن أن يصف المذكور مما يدخل على مدحه من صفات الكرم مثلاً ثم بما يدل على ذمه لكن تقرر بذلك الذم ما يرشد بأنه مديح»^(٤)، وذكر أبيات جرير. وقال المصري: «والتفويف في الصناعة عبارة عن إتيان المُتكلِّم بمعاني شتى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الفنون والأغراض كل فن في جملة من الكلام منفصلة من أختها بالتجميع غالباً مع تساوي الجمل المركبة في الوزن»^(٥). ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة، فمثال ما جاء منه بالجمل الطويلة قول النابغة الذبياني:

فلله عينا من رأى أهل قُبَّةِ

أضرَّ لمن عادى وأكثر نافعاً

وأعظم أحلاماً وأكبر سيِّداً
وأفضل مشفوعاً إليه وشافعا
ومثال ما جاء منه في الجمل المتوسطة قول ابن زيدون:

ته احتمل واحتكم اصبر وعزأهن
ودل اخضع وقل اسمع ومر أطمع
ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبي:
أقل أنل اقطع احمل عل سل اعد
زد هس بش تفضل ادن سر صل

وقد جاء من التفويف المُركَّب من الجمل الطويلة في الكتاب العزيز قوله تعالى ﴿الذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٦). وفي الجمل المتوسطة قول سبحانه: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٧).

قال المصري: «ولم يأت من الجمل القصيرة شيء في فصيح الكلام»^(٨).

وقال المظفر العلوي إنَّ الترصيع يسمى

- (١) تحرير التحبير ص ٢٦٠، وينظر اللسان (فوف)، حسن التوسل ص ٢٦٥، خزانة الأدب ص ١١١، أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٠٨.
- (٢) الوافي ص ٢٨٩، وينظر كفاية الطالب ص ١٥٦.
- (٣) قانون البلاغة ص ٤٥٥.
- (٤) التبيان ص ١٨٧.
- (٥) تحرير التحبير ص ٢٦٠، القرآن ص ٩٨.
- (٦) الشعراء ٧٨ - ٨٢.
- (٧) آل عمران ٢٧.
- (٨) تحرير التحبير ص ٢٦٢، بديع القرآن ص ١٠٠، وينظر معترك ج ١ ص ٣٩٤، الاتقان ج ٢ ص ٨٩، التبيان في البيان ص ٣٢٤، شرح الكافية ٧٩.

لا تحتاج الى أعمال الفكر في استنباط معانيه. وهذا ما ذكره البغدادي^(٦)

الثاني: المفوف من الكلام والشعر هو الذي يكون فيه التزامات لا تلزم تكتب بأصباغ مختلفة حتى يفطن للالتزامات التي جعلت عليه.

وقال ابن قيم الجوزية بعد ذلك: «وعلى كلا القولين فالقرآن العزيز كله كذلك فان كان التفويف بأصباغ مختلفة الالوان فتفويف القرآن العظيم مقاطع آياته وتحزيبه وتعشيره وأرباعه وأخماسه وأسباعه فان العلماء - رضي الله عنهم - رخصوا بأن يكون ذلك بالحمرة أو الخضرة أو الصفرة أو بألوان مخالفة للون الحبر والمداد حتى يعلم أنها ليست من نفس القرآن فاستحبوا ذلك، فاذا صار على هذه الصفة أشبه البيزء المفوف بل أجل وأحسن وأبهى وألطف. وان كان التفويف الاول فالقرآن الكريم كله كذلك أيضا فاعرف ذلك»^(٧).

وليس هذا ما أراده البلاغيون المتأخرون من التفويف، وقد قال الحموي: «التفويف تأملته فوجته نوعا لم يفد غير إرشاد ناظمه الى طرق العقادة، والشاعر إذا كان معنويا وتجشم مشاقه تقصر يده عن التطاول الى اختراع معنى من المعاني الغريبة وتجفوه حسان الألفاظ ولم يعطف عليه برقة وتأنف كل قرينة صالحة أن تسكن له بيتا ولكن شروع المعارضة ملزم به»^(٨). ثم قال: «والتفويف في الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعانٍ شتى من

(١) نضرة الاغريض ص ١١٨.

(٢) المصباح ص ٨٢.

(٣) حسن التوسل ص ٢٦٥، نهاية الارب ج ٧

ص ١٤١، الطراز ج ٣ ص ٨٤.

(٤) الإيضاح ص ٣٤٥.

(٥) الفوائد ص ٢٣٥.

(٦) قانون البلاغة ص ٤٥٥.

(٧) الفوائد ص ٢٣٦.

(٨) خزنة الادب ص ١١١.

«التفويف»^(١)، ولكن تعريفه للترصيع والأمثلة التي ذكرها لا صلة لها بالتفويف وأمثله.

وقال ابن مالك: «التفويف أن تأتي بمعانٍ متلائمة في جمل مستوية المقدار أو مقاربة من قولهم: «ثوب مفوف» للذي على لون وفيه خطوط بيض»^(٢)، وهو ضربان:

الأول: ما جملة على المقاطع كقول الشاعر يصف سحابا:

يُسْرِبُ وَشَيْئًا مِنْ خُزُوزٍ تَطَرَّرَتْ

مطارفها طرزا من البرق كالتبر

فَوْشِيَّ بِلَا رَقْمٍ وَنَقْشٍ بِلَا يَدٍ

وَدَمْعٍ بِلَا عَيْنٍ وَضِحْكَ بِلَا ثَغْرِ

الثاني: ما جملة مدمجة وهو ثلاثة أقسام، لأن جملة إما طوال كما في قول عنترة:

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرَزُ وَإِنْ يَسْتَلْحَمُوا

أَشْدُّ وَإِنْ نَزَلُوا بَضْنُكَ أَنْزِلِ

وإما متوسطة كما في قول ابن زيدون: «ته احتمال...».

وإما قصار كما في قول ديك الجن:

احل وامرر وضر وانفع ولن

واخشن ورش وابر وانتدب للمعالي

وهذا ما ذكره الحلبي والثوري والعلوي^(٣)، ولكن القزويني قال: «وأما ما يسميه بعض الناس التفويف... فبعضه من مراعاة النظير وبعضه من المطابقة»^(٤).

وذكر ابن قيم الجوزية فيه قولين^(٥):

الأول: أن تكون ألفاظه سهلة المخارج عليها رَوْنُقُ

الفصاحة وبهجة الطلاوة وعذوبة الحلاوة مع الخلو من

البشاعة ملطفة عند الطلب والسؤال مفخمة عند

الفخار والنزال. وينبغي أن يكون الشعر سهل

العروض وقوافيه عذبة المخارج سهلة الحروف

ومعانيه مواجهة للغرض المطلوب ظاهرة منه حيث

المسند^(٧). وباب التقديم والتأخير واسع لأنه يشمل كثيراً من أجزاء الكلام، فالمسند اليه يقدم لأغراض بلاغية منها: أنه الاصل ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها.

وان يتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقاً اليه كقول أبي العلاء:

والذي حازت البرية فيه

حيوانٌ مُسْتَحَدَثٌ من جَمادٍ

وأن يقصد تعجيل المسرّة مثل: «سعدٌ في دارك» أو الاساءة مثل: «السقّاح في دار صديقك».

وايهام أن المسند اليه لا يزول عن خاطر مثل «اللّه ربي».

وايهام التلذذ بذكره كقول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا

ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وتخصيص المسند اليه بالخبر الفعلي إن ولي

حرف النفي كقول المتنبي:

وما أنا أسقمْتُ جسمي به

ولا أنا أضرمْتُ في القلب نارا

وتقوية الحكم وتقريره كقوله تعالى: ﴿والذين هم

بربّهم لا يُشركون﴾^(٨). وإفادة العموم مثل: «كل

(١) خزانة الادب ص ١١٢، نفحات ص ١١٩،

كفاية الطالب ص ١٥٦.

(٢) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٠٨.

(٣) اللسان (قدم) و(أخر).

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٣٣.

(٥) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٣٣، الفوائد

ص ٨٢.

(٦) الطراز ج ٢ ص ٥٦، وينظر معترك الاقران ج ١

ص ١٧٤، التبيان في البيان ص ٨٧.

(٧) ينظر دلائل الاعجاز ص ٨٣.

(٨) المؤمنون ص ٥٩.

المدح والغزل وغير ذلك من الفنون والاعراض كل فن في جملة من الكلام منفصلة عن أختها مع تساوي الجملة في الوزنية ويكون بالجملة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة وأحسنها وأبلغها وأصعبها مسلماً القصار^(١). وهذا كلام المصري نفسه، وذكر المدني مثل ذلك وأضاف أمثلة أخرى^(٢).

التقديم والتأخير:

التقديم من «قَدَم» أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك^(٣). قال الزركشي عن التقديم والتأخير: «هو أخذ أساليب البلاغة، فانهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق»^(٤).

واختلفوا في عدّه من المجاز، فمنهم من عدّه منه لأنّ تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه، قال الزركشي: «والصحيح أنه ليس منه، فإنّ المجاز نُقِلَ ما ما وُضِعَ له الى ما لم يُوضَع»^(٥).

والمعاني لها في التقديم خمس أحوال^(٦):

الأولى: تقدّم العلة على معلولها.

الثانية: التقدّم بالذات كتقدم الواحد على الاثنين.

الثالثة: التقدّم بالشرف.

الرابعة: التقدّم بالمكان.

الخامسة: التقدّم بالزمان.

وتقديم الشيء على وجهين: تقديم على نية التأخير كتقديم الخبر اذا قُدّم على المبتدأ، وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن ينقل الشيء عن حكم الى حكم، وذلك كأن يعمد الى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له فيقدم تارة على ذلك واخرى على ذلك مثل: «زيد المنطلق» و«المنطلق زيد»، فالتقديم والتأخير يؤثران في معنى الجملة لأنّ ما يقدم هو المبتدأ أو المسند اليه وما يؤخر هو الخبر أو

والذات كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾^(٩). والعلة والسببية كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١٠) لأنَّ العبادة سبب حصول الاعانة.

والمرتبة كقوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١١) لأنَّ المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

والتعظيم كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾^(١٢).

والغلبة والكثرة كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ﴾^(١٣).

والاهتمام عند المخاطب كقوله تعالى: ﴿فَحِثُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(١٤). ومراعاة الافراد كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾^(١٥)، فإنَّ المفرد سابق على الجمع. ومن ذلك قصد الترتيب وخفة اللفظ ورعاية الفاصلة. وهذه الانواع التي ذكرها الزركشي لم يبحثها البلاغيون إلا من خلال الجملة، ولذلك

(١) مفتاح العلوم ص ٩٣، الايضاح ص ٥٢، شروح

التلخيص ج ١ ص ٣٨٩.

(٢) آل عمران ٨٩.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٠٥، الايضاح ص ١٠١،

شروح التلخيص ج ٢ ص ١٠٩.

(٤) الفاتحة ٥.

(٥) الانعام ١٦٤.

(٦) الضحى ٩ - ١٠.

(٧) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٣٨، وينظر

معترك ج ١ ص ١٧٤.

(٨) الأحزاب ٧.

(٩) المجادلة ٧.

(١٠) الفاتحة ٥.

(١١) البقرة ١٧٣، وهناك آيات كثيرة فيها «غفور

رحيم».

(١٢) النساء ٦٩.

(١٣) فاطر ٣٢.

(١٤) النساء ٨٦.

(١٥) الكهف ٤٦.

انسان لم يقم»^(١).

ويقدم المسند لأغراض منها: تخصيص المسند بالمسند اليه كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

والتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقول حسان يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم -:

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا

وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا

عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ

والتفاوت بتقديم ما يسر مثل: «عليه من الرحمن ما يستحقه».

والتشويق الى ذكر المُسند اليه كقول محمد بن وهيب:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا

شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ^(٣)

ومن التقديم تقديم تعلقات الفعل عليه كالمفعول والجار والمجرور والحال ويكون ذلك لأغراض منها: الاختصاص كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤).

والاهتمام بالمتقدم كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥).

والتبرك مثل «قرأنا قرأت».

وضرورة الشعر، وهو كثير لا يُحَدُّ ولا يُحْصَرُ.

ورعاية الفاصلة كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٦).

وهناك أنواع اخرى لا تزجغ إلى المُسند اليه أو المُسند او مُتعلقات الفعل، وإنما ترجع الى أمور كثيرة، وقد بحثها الزركشي^(٧) في أنواع التقديم والتأخير، ومما ذكره السبق كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾^(٨).

يُؤْتَى بالأقسام مستوفاة لم يخلّ بشيء منها ومخلصة لم يدخل بعضها في بعض»^(٦). كقول بعضهم: «فانك لم تخل فيما بدأتني من مجد أثلته، وشكر تعجلته، وأجر ادخرته». وتحدث عن صحة التقسيم وقال: «وصحة التقسيم أن تُوضع معانٍ يحتاج إلى تبيين أحوالها فإذا شرحت أتى بتلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة عليها ولا نقصان منها»^(٧). كقول بعضهم: «انا واثق بمسالكك في حال بمثل ما أعلم من مشاركتك في أخرى: لانك إذا غطفت وُجدت لدنا، وإذا غمزت ألفت شتنا». وهذا غير التقسيم المعروف وإنما هو نوع من اللف والنشر.

وقال العسكري: «التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه»^(٨).

وقال الخفاجي: «أن تكون الأقسام المذكورة لم يخلّ بشيء منها ولا تكرر ولا دخل بعضها تحت بعض»^(٩).

وقال ابن رشيقي: إن بعضهم يرى أن التقسيم «استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به»^(١٠)، وعَدَّ من التقسيم التقطيع، ومن التقطيع الترصيع.

وعَدَّ عبد القاهر التقسيم من النظم الجيد ولا سيما إذا تلاه جمع كقول حسان ابن ثابت:

(١) اللسان (قسم).

(٢) حسن التوسل ص ٢٨١، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٥٣.

(٣) البيان ج ١ ص ٢٤٠.

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٤٦.

(٥) الوساطة ص ٤٧.

(٦) جواهر الالفاظ ص ٥.

(٧) جواهر الالفاظ ص ٦.

(٨) كتاب الصناعتين ص ٣٤١.

(٩) سر الفصاحة ص ٢٧٧.

(١٠) العمدة ج ٢ ص ٢٠.

كانت دراستهم لها قاصرة، أما الذين عنوا بأسلوب القرآن الكريم فقد تجاوزوا ذلك ونظروا إلى التقديم والتأخير نظرة أوسع وأكثر عمقا فجاءت مادتهم أغزر وبحوثهم أخصب، ولا يكاد يستثنى من ذلك إلا عبد القاهر الذي أبدع في تحليل الأساليب البلاغية ونقل النحو من أحوال الإعراب والبناء إلى المعاني التي تزخر بها العبارات، وكانت نظريته في النظم من أحسن ما عرف النقد القديم والبلاغة العربية.

التقسيم:

قَسَمَ: جَزَأً، والتقسيم هو التجزئة والتفريق^(١).

سَمَّاه الحلبي والنويري «التقسيم المفرد»^(٢)، والتقسيم من الأساليب العريقة في اللغة العربية، فقد سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - قول زهير وكان لشعره مقدماً:

وَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ

يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ

فقال كالمعجب: «مَنْ عَلَّمَهُ بِالْحَقِّ وَتَفْصِيلِهِ بَيْنَهَا وَأَقَامَتْهُ أَقْسَامَهَا؟»^(٣). وذكر الجاحظ إعجاب عمر - رضي الله عنه - بقول عبدة بن الطبيب أيضاً:

وَالْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرِ لَيْسَ يُدْرِكُهُ

وَالْعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلٌ

وقال: وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يردد هذا النصف الآخر ويعجب من جودة التقسيم^(٤).

وكان ذلك أساس فن التقسيم في البلاغة العربية، وقد قال القاضي الجرجاني عن قول زهير:

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا

ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

«فَقَسَمَ الْبَيْتَ عَلَى أَحْوَالِ الْحَرْبِ وَمَرَاتِبِ اللَّقَاءِ، ثُمَّ أَلْحَقَ بِكُلِّ قِسْمٍ مَا يَلِيهِ فِي الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ مِنْ تَفْصِيلِ الْمَمْدُوحِ فَصَارَ مُوَصُولاً بِهِ مَقْرُوناً إِلَيْهِ»^(٥).

وتحدث قدامة عن تمام الأقسام فقال: «هو أن

أشياء تتقاسمها أشياء لا يصلح أن ينسب منها شيء إلا إلى ما نسب إليه من الأشياء المتقاسمة، ومنها تعدد أجزاء من شيء تتقاسمها أشياء أو أجزاء من شيء وتكون الأجزاء المعدودة إما جملة أجزاء الشيء أو أشهر أجزائه وألحقها بغرض الكلام ويكون كل جزء منها لا يصلح أن ينسب إلى غير ما نسب إليه بالنظر إلى صحة المعنى ومنها تعدد أشياء محمودة أو مذمومة من شيء متفقة في الشهرة والتناسب^(١).

والكمال في المعاني باستيفاء أقسامها واستقصاء متمماتها، ومن المعاني التي وردت القسمة فيها تامة صحيحة قول نصيب:

فقال فريقُ القومِ: لا، وفريقُهُم

نعم، وفريقُ قال: وَيَحْكُ ما ندري

ومن المعاني التي وقع التقسيم فيها تامة صحيحة قول الشماخ:

متى ما تَقَعُ أَرْسَاغَةٌ مَطْمِئِنَةٌ

على حَجَرٍ يَرْفُضُ أو يتدحرج

ومن المعاني التي قُسِّمَتْ أتمَّ تقسيم على جهة من التدرج والترتيب قول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا أطعنوا

ضارب حتى إذا ضاربوا اعتنقا

(١) دلائل الاعجاز ص ٧٤.

(٢) البديع في نقد الشعر ص ٦١.

(٣) الرسالة العسجدية ص ١٤٤.

(٤) المثل السائر ج ٢ ص ٣٠٤، الجامع الكبير ص ٢١٨، كفاية الطالب ص ١٤٧.

(٥) جوهر الكنز ص ١٤٤.

(٦) مفتاح العلوم ص ٢٠١، وينظر حدائق السحر ص ١٧٩.

(٧) الايضاح ص ٣٥٨.

(٨) الايضاح ص ٣٥٨، التلخيص ص ٣٦٤.

(٩) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٣٦، المطول ص ٤٢٨، الأطول ج ٢ ص ٢٠٠.

(١٠) منهاج البلغاء ص ٥٥.

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ
أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تَلِكُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ

إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاغْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ^(١)

وقال ابن منقذ: «هو أن يُقسم المعنى بأقسام تستكملة فلا تنقص عنه ولا تزيد عليه»^(٢).

وقال الصنعاني: «هو أن يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدأ به ويستوفيه فلا يغادر قسماً يقتضيه المعنى إلا أورده»^(٣).

وقال ابن الأثير: نريد بالتقسيم ههنا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يُترك منها قسم واحد، وإذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ولم يشارك غيره»^(٤).

وقال ابن الأثير الحلبي: «وَحَدُّ هَذَا الْبَابِ أَنْ يَسْتَوْفِيَ الْمَتَكَلِّمُ جَمِيعَ أَقْسَامِ الْكَلِمَةِ الَّتِي يُمْكِنُ وُجُودُهَا غَيْرَ تَارِكٍ مِنْهَا قِسْماً وَاحِداً»^(٥).

وأدخل السكاكي التقسيم في المحسنات المعنوية وقال: «هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك»^(٦).

كقول بعضهم:

أديبانٍ في بَلَخٍ لا يَأْكُلانِ

إِذَا صَحِبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبِيدِ

فهذا طويلٌ كظِلِّ الْقَنَاةِ

وهذا قصيرٌ كظِلِّ الْوَتِيدِ

وعلق القزويني على تعريف السكاكي بقوله: «وهذا يقتضي أن يكون التقسيم أعمَّ من اللف والنشر»^(٧).

وعرّف التقسيم بقوله: «هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين»^(٨)، وتبعه شراح التلخيص^(٩).

وذكر القرطاجني عدة أقسام لهذا الفن وقال إن من ذلك تعدد أشياء ينقسم إليها شيء لا يمكن انقسامه إلى أكثر منها، ومنها: تعدد أشياء تكون لازمة عن شيء على سبيل الاجتماع أو التعاقب، ومنها تعدد

ومن المعاني التي وقعت قسمتها ناقصة قول جرير:

صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فَثَلْثُهُمْ

من العبيدِ وَثُلْتُ من مواليتها

فهذه قسمة ناقصة، لأنه أَخْلَّ بالقسم الثالث.

ومما نقصت قسمته من المعاني بتداخل قسم على قسم قول أبي تمام:

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا

وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاثًا^(١)

ولا يخرج كلام الآخرين عما تقدّم في التحديد والتقسيم والأمثلة^(٢).

وذكر ابن قيم الجوزية والزرکشي أنّ أرباب علم البيان لا يريدون بالتقسيم القسمة العقلية التي يتكلم عليها المتكلم لأنها تقتضي أشياء مستحيلة كقولهم: الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة، أو لا مفترقة ولا مجتمعة، أو مجتمعة ومفترقة معًا، أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق، فإنّ هذه القسمة صحيحة عقلاً لكنّ بعضها يستحيل وجوده، وإنّما المقصود «استيفاء المتكلم أقسام الشيء بحيث لا يغادر شيئاً وهو آلة الحصر ومظنة الاحاطة بالشيء»^(٣) كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾^(٤) فإنه لا يخلو العالم جميعاً من هذه الأقسام الثلاثة: إما ظالم نفسه وإما سابق مبادر إلى الخيرات وإما مقتصد فيها، وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها.

وكان قدامة قد قال عن صحة التقسيم: «هي أن يتدىء الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها»^(٥) وفساد التقسيم يكون إما بأن يكرر الشاعر الأقسام أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الآخر^(٦). وقال المصري: «وصحّة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً»^(٧).

التَّقْصِيرُ:

القَصْرُ: الحبس، وقصر قيد بغيره قصرًا: إذا ضيقه. وقصر فلان صلاته يقصرها قصرًا في السفر. وقصر: نقص ورخص، ضد^(٨).

قال ابن منقذ: «هو أن يُنْقَصَ السارق من كلامه ما هو من تمامه»^(٩) كما قال عنتره:

وَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ

مالي وعِرْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يُكَلِّمِ

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى

وَكَما عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي

أخذهما حسان فنقص منهما ذكر الصَّخُو فقال:

فَنَشْرِبُهَا فَتَتْرَكُنَا مُلُوكًا

وَأُسْدًا مَا يُنْهِنُنَا اللَّقَاءُ

وكقول أبي نواس:

(١) منهاج البلغاء ص ١٥٤ - ١٥٧، وينظر المنزح البديع ص ٣٥٥.

(٢) نضرة الاغريض ص ١١٢، المصباح ص ٩٦، الاقصى القريب ص ٩٦، حسن التوسل ص ٢٨١، نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٣، خزانة ص ٣٦٢، معترك ج ١ ص ٣٩٤، الاتقان ج ٢ ص ٨٩، شرح عقود الجمان ص ١١٩، حلية اللب ص ١٣٧، أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٩٣، المنصف ص ٦٥، كفاية الطالب ص ١٧٤، الروض المربع ص ١٢٧.

(٣) الفوائد ص ٩٠، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٧١، نفحات ص ٢٠٩، التبيان في البيان ص ٣٣٢، شرح الكافية ص ١٦٩.

(٤) فاطر ص ٣٢.

(٥) نقد الشعر ص ١٤٩.

(٦) نقد الشعر ص ٢٢٦، الموشح ص ١٢٤، قانون البلاغة ص ٤١٤.

(٧) تحرير التحبير ص ١٧٣، بديع القرآن ص ٦٥.

(٨) اللسان (قصر).

(٩) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٤.

للسبي ما نكحوا والقَتْل ما وُلدوا
والنَّهْب ما جَمَعوا والنار ما زَرَعوا
وإذا كان تقطيع الاجزاء مسجوعا أو شبيهاً بالمسجوع
فذلك هو الترصيع^(٢).

التَّقْفِيَة:

قفاه واقتفاه وتقفاه: تبعه، وقفيت على أثره بفلان
أي أتبعته إياه^(٣).

ذكر ابن منقذ بابا باسم «التقفية» وقال: «هو أن
يأتي ذكر نكتة أو خبر أو غير ذلك يومئذ اليه الشاعر أو
النائر^(٤)» كقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾^(٥)
فانه يومئذ الى قول امرئ القيس:
من القاصراتِ الطَّرْفِ لودبَّ محوّل
من الذرِّ فوق الأثب منه لأثرا
ومنه قول الرِّفَاء:

مدح يغضُّ زهيرٌ عنه ناظره
ونائلٌ يتوارى عنده هَرْمُ
لا يستعيرُ له المُدَّاح منقبةً
ولا يقولون فيه غيرَ ما عَلِموا

وقد ذكر النوع نفسه ابن قيم الجوزية باسم
«التفقير»^(٦)، وذكر له الآية وبيت امرئ القيس وغير
ذلك مما ذكره ابن منقذ، ولعل الأصح تسمية ابن
منقذ، وليس بعيداً أن يكون مصطلح ابن الجوزية
محرّفاً، لأن معنى التفقير اللغوي لا علاقة له بالأمثلة.

تَقْلِيل اللَّفْظِ وَلَا تَقْلِيلُهُ:

ذكره السَّكَاكِي فِي الْمُحَسَّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَقَالَ:

- (١) اللسان (قطع).
- (٢) العمدة ج ٢ ص ٢٥.
- (٣) اللسان (قفا).
- (٤) البديع في نقد الشعر ص ٢٨٤.
- (٥) الرحمن ٥٦.
- (٦) الفوائد ص ٢١٧.

إِذَا حَصَلَتْ دُونَ اللَّهَاءِ مِنَ الْفَتَى
دَعَا هَمَّهُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلٍ
أَخَذَهُ ابْنُ الْمَعْتَزِ فَنَقَصَ مِنْهُ فَقَالَ:

إِذَا سَكَنْتَ صَدْرَ الْفَتَى زَالَ هَمُّهُ
فَطَابَتْ لَهُ دُنْيَاهُ وَأَتَّسَعَ الضَّنْكَ

ومعنى ذلك أن هذا النوع يدخل في باب السرقات غير
المحمودة، لأنَّ اللاحق قَصَرَ عن السابق.

التَّقْطِيع:

قَطَعَ: قَسَمَ، وَالتَّقْطِيعُ: التَّقْسِيمُ^(١).
وقد ذكر ابن رشيق من أنواع التقسيم نوعا سماه
«التقطيع»، وهو كقول النابغة الذبياني:
وَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى أَهْلَ قُبَّةٍ
أَضْرَّ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِعَا
وَأَعْظَمَ أَحْلَامًا وَأَكْبَرَ سَيِّدًا
وَأَفْضَلَ مَشْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِعَا
وسماه قوم منهم عبد الكريم «التفصيل» وأنشد في
ذلك:

بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا
نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
وقال البحتري:

قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا
أَوْ مُعِينًا أَوْ عَاذِرًا أَوْ عَمْدُولًا

فقطِعْ وَفَصَلْ.

وقال المتنبي:

فِيَا شَوْقٌ مَا أَبْقَى وَيَالِي مِنَ النَّوَى
وَيَادْمَعٌ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبُ مَا أَصْبَى
ففصل وجاء به على تقطيع الوزن كل لفظتين ربع
بيت.
وقال:

الحديث: إذا رددته عليه^(٧).

قال ابن الأثير عن الإطناب: «والذي يَحُدُّهُ أَنْ يُقَالَ: هو زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة، فهذا حَدُّهُ الذي يميزه عن التطويل، إذ التطويل هو: زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأما التكرير فإنه دلالة اللفظ على المعنى مردداً كقولك لمن تستدعيه: «أَسْرِعْ أَسْرِعْ» فإن المعنى مردد واللفظ واحد... وإذا كان التكرير هو إيراد المعنى مردداً فمنه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة، فاما الذي يأتي لفائدة فإنه جزء من الإطناب وهو أخص منه فيقال حينئذ: إنَّ كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب وليس كل إطناب تكريراً يأتي لفائدة. وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فإنه جزء من التطويل وهو أخص منه فيقال حينئذ: إنَّ كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل وليس كل تطويل تكريراً يأتي لغير فائدة^(٨)».

وَقَسَمَ ابن الأثير الحلبي التكرير قسمين^(٩):

الأول: يُوجَد في اللفظ والمعنى مثل: «أَسْرِعْ

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.

(٢) اللسان (كفاً).

(٣) نقد الشعر ص ١٦٣، جواهر الالفاظ ص ٧، إعجاز القرآن ص ١٤٦، العمدة ج ٢ ص ٥، الوافي ص ٢٧٦، قانون البلاغة ص ٤١٢، ٤٤٧، الطراز ج ٢ ص ٣٣٧، الفوائد ص ١٤٥، أنوار الربيع ج ٢ ص ٣١.

(٤) تحرير التعبير ص ١١١، خزانة الأدب ص ٦٩.

(٥) جوهر الكنز ص ٨٩، وينظر الروض المريع ص ١٠٦.

(٦) معترك ج ١ ص ٤١٤، الاتقان ج ٢ ص ٩٥، شرح عقود الجمان ص ١٠٥.

(٧) اللسان (كرر).

(٨) المثل السائر ج ٢ ص ١٢٨، وينظر كفاية الطالب ص ٢٠٨، المنزح البديع ص ٤٧٦، الروض المريع ص ١٥٥، نفحات ص ١٥٧، التبيان في البيان ص ٢٩٩.

(٩) جوهر الكنز ص ٢٥٧.

«ومنه تقليل اللفظ ولا تقليله مثل: يا، وهيا، وغاض، وغيض، إذا صادفا الموقع. ويتفرع عليهما الإيجاز في الكلام والإطناب فيه^(١)».

التَّكَافُؤُ:

التكافؤ: الاستواء، وفي حديث النبي - ﷺ -: «المسلمون تكافؤاً دِمَاؤُهُمْ»^(٢).

التكافؤ هو التضاد والتطبيق والطباق والمطابقة، وقد سَمَّاه كذلك قدامة والنحاس^(٣)، وقال المصري إنَّ الطباق حينما يأتي بلفظ المجاز يسمى تكافؤاً، وذكر الحموي مثل ذلك^(٤). وقال ابن الأثير الحلبي: «أما التكافؤ فهو كالطباق في أَنَّهُ ذِكْرُ الشَّيْءِ وَضَدُهُ لَكِن يَشْتَرَطُ فِي التَّكَافُؤِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الضَّدَيْنِ حَقِيقَةً وَالْآخَرُ مَجَازًا، فَبِهَذَا يَحْصُلُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا»^(٥)، كقول دِعْبِل:

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ

ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكِي

ف«ضحك المشيب» مجاز و«بكاء الرجل» حقيقة.

وقول بشار:

إِذَا أَيْقَظْتِكَ حُرُوبُ الْعِدَى

فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَا ثُمَّ نَمَّ

فايقاظ الحروب مجاز ونوم الشخص حقيقة.

وذكر مثل ذلك السيوطي الذي قَسَمَ المطابقة أو الطباق الى حقيقي ومجازي وقال إنَّ المجازي هو التكافؤ^(٦).

وقد تقدم الكلام على ذلك في التضاد.

التَّكْرَارُ:

هو الإطناب بالتكرار، وقد تقدّم.

التَّكْرِيرُ:

كُرِّرَ الشَّيْءُ: أعاده مرة بعد أخرى، وكررت عليه

أَسْرِعُ».

التَّكْلُفُ:

تكلّفت الشيء: تجشّمته على مشقة وعلى خلاف عادتك، ويقال: حملت الشيء تكلفة إذا لم تطقه إلا تكلفاً^(٥).

وقد عقد ابن منقذ باباً سماه «التكلف والتعسف» وقال: «وهو الكثير من البديع كالتطبيق والتجنيس في القصد لأنه يدلُّ على تكلف الشاعر لذلك وقصده إليه، وإذا كان قليلاً نسب إلى أنه طبع في الشاعر، ولهذا عابوا على أبي تمام لأنه كثر في شعره، ثم إنهم استحسّنوه في شعر غيره لقلته. وقالوا: إنه بمنزلة اللثغة تستحسن فاذا كثرت صار خرساً، والشية تستحسن في الفرس فاذا كثرت صار بلقاً، والجودة تستحسن في الشعر فاذا كثرت صار قَطَطاً^(٦)، ولهذا قالوا: خير الأمور أوسطها، والحسنة بين الشئيين والفضلة بين الرذيلتين»^(٧).

التَّكْمِيلُ:

هو الإطناب بالتكميل وقد تقدم. وقد عرّفه المدني بقوله: «التكميل عبارة عن أن يأتي المتكلم بمعنى تام في فن من الفنون فيرى الاقتصار عليه ناقصاً فيكمله بمعنى آخر في غير ذلك الفصل الذي أتى به أولاً، كمن مدح انساناً بالحلم فيرى الاقتصار عليه بدون مدحه بالبأس ناقصاً فيكمله بذكره»^(٨).

(١) الزمر: ١١ - ١٣.

(٢) الروم ٤٨ - ٤٩.

(٣) معالم الكتابة ص ٧٧.

(٤) معالم الكتابة ص ٧٧.

(٥) اللسان (كلف).

(٦) القطط: الجعد.

(٧) البديع في نقد الشعر ص ١٦٣.

(٨) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٨٥، وينظر الروض المريع

ص ١٥١، نفحات ص ١٣٦، التبيان في البيان

ص ٣٠٩، شرح الكافية ص ١٤٢.

الثاني: يُوجد في المعنى دون اللفظ مثل: «أطعني ولا تعصني» فإنَّ الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية.

وكُلَّ قِسْمٍ من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد، فالمفيد الذي يأتي في الكلام توكيداً له وتسديداً من أمره وإشعاراً بعظم شأنه، وهو يأتي في اللفظ والمعنى، كقوله: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١) ثم قال بعد ذلك: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (الزمر ١٤). والمقصود في هذا التكرير غرضان مختلفان، أما ما جاء في اللفظ والمعنى والمراد به غرض واحد فكقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الودقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِينَ﴾^(٢).

وأما القسم الذي هو غير مفيد فهو الذي يأتي في الكلام توكيداً له كقول المتنبي:

ولم أرَ مثلاً جيرانِي ومِثْلِي

لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ

وقال ابن شيث القرشي: «التكرير هو أن يأتي بثلاث أو أربع كلمات موزونات ثم يختم^(٣) بأخرى تكون القافية إما على وزنهن أو خارجه عنهن، مثل أن يقال: «لازال عالي المنار حامي الذمار عزيز الجار هامى النعم وافي المجد نامي الحمد جديد الجد وافر القسم». أو تتكرر اللفظة الواحدة مثل أن يقال: «باسم الأيام باسم الأيادي باسم الخدام»... وفي الشعر:

كَأَنَّ المُدَامَ وَصَوَّبَ العَمَامَ

وَنَشَرَ الحُزَامِي وَرِيحَ القَطْرِ^(٤)

وهذا نوع من التقطيع الذي يورث تكريرا.

التَّلاؤْمُ:

تلاءم القَوْمُ والتَّأموا: اجتمعوا واتَّفَقوا^(١).

قال الرُّمَّاني: «التَّلاؤْمُ نقيض التَّنافر، والتَّلاؤْمُ تعديل الحروف في التَّأليف، والتَّأليف على ثلاثة أوجه: متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا»^(٢) والفائدة في التَّلاؤْمُ حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة^(٣).

وقد تقدَّم الكلام عليه في الالتئام:

التَّلَطُّفُ:

لَطَفٌ يَلطُفُ: اذا رفق، والتَّلَطُّفُ للأمر: التَّرْفُقُ له^(٤).

التَّلَطُّفُ من ابتداء العسكري^(٥)، وقد قال في تعريفه: «هو ان تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه والمعنى الهجين حتى تحسنه»^(٦). ومنه قول الحطيئة في قوم كانوا يُلقبون بأنفِ الناقة فيأنفون فقال فيهم:

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ

وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا

فكانوا بعد ذلك يتبجحون بهذا البيت.

ومدح ابن الرومي البخل وعذر البخيل فقال:

لَا تَلْمِ الْمَرْءَ عَلَى بُخْلِهِ

وَلُمُّهُ يَا صَاحِبِ عَلَى بَدْلِهِ

لَا عَجَبٌ بِالْبُخْلِ مِنْ ذِي حِجِّي

يُكْرِمُ مَا يُكْرِمُ مِنْ أَجْلِهِ

وقال ابن منقذ: «هو أن يُلْفَقَ كلاماً من كلام آخر

فيولد من الكلامين كلاماً ثالثاً»^(٧)، كما روي عن مصعب بن الزبير أنه وَشَمَ على خيله (عِدَّة) فلما أخذها الحجاج كتب عليها (للفرار)، ومن ذلك قوله لسعيد: ما اسمك؟ قال: سعيد، فقال: على الأعداء.

وقال الحموي والمدني إن بعضهم سَمَّى التَّغَايِرَ

تلطفاً^(٨)، ولكن التَّغَايِرَ - وقد تقدَّم - أوسع من ذلك

وإن كان لا يخرج عنه كثيراً.

التَّأْلِيفُ:

لَفَّ الشَّيْءُ يَلْفُهُ لَفًّا: جمعه، وقد التَّفَّ^(٩).

قال المصري: «هو أن يقصد المتكلم التعبير عن معنى خطر له أو سُئِلَ عنه فيلف معه معنى آخر يلازم كلمة المعنى الذي سُئِلَ عنه»^(١٠). كقوله تعالى: مخبراً عن موسى عليه السلام وقد قال سبحانه له: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشِّرْتُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى﴾^(١١) وكقول الرسول - ﷺ - وقد سُئِلَ عن البحر في حديث أوله: «هو الطهور ماؤه، الحَّلُّ ميتته».

وَعَرَّفَهُ المصري تعريفاً آخر فقال: «التلّيف وهو عبارة عن إخراج الكلام مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يُرد المتكلم ذكره وإنما قصد ذكر حكم خاص داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح بتعليمه. وبيان هذا التعريف أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة الى بيانها كلها أو أكثرها فيعدل المسؤول عن الجواب الخاص عما سُئِلَ عنه من تبين ذلك النوع، ويجيب

(١) اللسان (لأم).

(٢) النكت في اعجاز القرآن ص ٨٧.

(٣) النكت في اعجاز القرآن ص ٨٨، الرسالة

العسجدية ص ١٥٦ وينظر الروض المريع

ص ١١١.

(٤) اللسان (لطف).

(٥) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٤٢٧.

(٧) البديع في نقد الشعر ص ٢٨٤.

(٨) خزانة الأدب ص ١٠٢، أنوار الربيع ج ٢

ص ٣٧١.

(٩) اللسان (لف).

(١٠) تحرير التحبير ص ٣٤٣.

(١١) طه ١٧ - ١٨.

بجواب عام يتضمن الإبانة عن الحكم المسؤول عنه وعن غيره بدعاء الحاجة الى بيانه»^(١).

وهذا هو التعريف الذي ذكره السبكي للتلفيف بعد ذلك فقال: «هو إخراج الكلام مخرج التعليم وهو أن يقع السؤال عن نوع من الأنواع تدعو الحاجة لبيان جميعها فيجاب بجواب عام عن المسؤول عنه وعن غيره ليبنى على عمومته ما بعده من الصفات المقصودة»^(٢) وليس في كتب البلاغة الأخرى إشارة الى هذا الفن، فالمصري لم يذكر السابقين ولم يضعه في الفنون التي ابتدعها، ولكن السبكي قال: «وقد يقال إن هذا يرجع الى الاستطراد»^(٣).

التَّفْهِيمُ:

لَفَّقَتِ الثَّوْبَ أَلْفَقَهُ لَفَقًا: وهو أن تضم شقَّةً الى أخرى فتخيطها، وَلَفَّقَ الشَّقَتَيْنِ يَلْفَقُهُمَا لَفَقًا وَلَفَّقَهُمَا: ضمَّ إحداهما الى الأخرى فخاطهما والتلفيق أعم، وهما ما دامتا ملفوقتين لِفَاقٍ وتلفاق وكتاهما لِفَقَانٍ ما دامتا مضمومتين فاذا تباينت بعد التفريق قيل انفتق لِفَقَهُمَا^(٤).

والتلفيق من السرقات وهو أن يلفق الشاعر بيته من عدة أبيات لغيره، مثل قول ابن الطَّرِيفِيَّةِ:

إذا ما رأني مُقْبِلًا غَضَّ طَرْفَهُ

كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ دُونِي يَقَابِلُهُ

فأوله من قول جميل:

إذا ما رأوني طَالِعًا مِنْ ثَنِيَّةِ

يقولون: مَنْ هَذَا وَقَدْ عَرَفُونِي

ووسطه من قول جرير:

فَفُضُّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نُمَيْرِ

فَلَا كَعْبًا بَلَعْتَ وَلَا كِلَابًا

وعَجْرُهُ مِنْ قَوْلِ عَنْتَرَةَ الطَّائِي:

إذا أَبْصَرْتَنِي أُعْرَضْتَ عَنِّي
كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ حَوْلِي تَدُورُ^(٥)

والتلفيق هو الالتقاط وقد تقدم.

التَّلْمِيحُ:

لمح اليه يَلْمَحُ لِمَحًا وَأَلْمَحًا: اختلس النظر، وقال بعضهم: لمح: نظر^(٦).

قال التفنازاني: «وأما التلميح: صح بتقديم اللام على الميم من لمحهُ إذا أبصره ونظر اليه وكثيرًا ما تسمعهم يقولون في تفسير الأبيات في هذا البيت تلميح الى قول فلان، وقد لمح هذا البيت فلان الى غير ذلك من العبارات»^(٧).

وقال الرازي: «هو أن يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من غير أن يذكره»^(٨)، كقول الشاعر:

المستغيثُ بَعْمَرُو عِنْدَ كُرْبِيَّةِ

كالمستغيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

وتَحَدَّثَ القَزْوِينِي عَنِ التَّلْمِيحِ فِي بَابِ السَّرْقَاتِ وَقَالَ: «وأما التلميح فهو أن يُشار الى قصة أو شعر من غير ذكره»^(٩).

والأول كقول ابن المعتز:

(١) بديع القرآن ص ١٢٣.

(٢) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٦٩.

(٣) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٦٩.

(٤) اللسان (لفق).

(٥) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٩٠، العمدة ج ٢ ص ٢٨٩.

(٦) اللسان (لمح).

(٧) المطول ص ٤٧٥، المختصر ج ٤ ص ٥٢٤. وينظر أنوار الربيع ج ٤ ص ٢٦٦.

(٨) نهاية الأيجاز ص ١١٢، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٢.

(٩) الايضاح ص ٤٢٦، التلخيص ص ٤٢٧.

البازي» فقال: «إذا كان يصيد القطا»، أشار التميمي الى قول جرير:

أنا البازي المطلُّ على نُميرٍ
أتيحُ من السماء لها أنصبابا

وأشار شريك الى قول الطرماح:

تَمِيمٌ بِطُرُقِ اللُّؤمِ أَهْدَى مِنَ القِطَا
ولو سَلَكَتْ طُرُقَ المَكَارِمِ ضَلَّتْ

وتبع القزويني في هذا الفن شرح التلخيص^(١)، ولا يخرج كلام الآخرين عن هذا المعنى^(٢)، وان كان المدني فَصَّلَ القول فيه وصنفه أربعة فصول:

الأول: فيما وقع التلميح فيه الى آية من القرآن.

الثاني: فيما وقع التلميح فيه الى حديث مشهور.

الثالث: فيما وقع التلميح فيه الى شعر مشهور.

الرابع: فيما وقع التلميح فيه الى مثل.

ولا يخرج ما ذكره عما تقدم، وإن كان بحثه مرتباً، وأمثله كثيرة لأنه كما قال: «باب لا ينتهي حتى يُنتهى عنه»^(٣).

وقد عدّه الحلبي والنويري من التضمين فقالا: «وهو من التضمين وإنما بعضهم أفردوه وهو أن يشير في فحوى الكلام الى مثل سائر أو بيت مشهور أو قضية معروفة من غير أن يذكره»^(٤).

(١) شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٢٤، المطول ص ٤٧٥، الأطول ج ٢ ص ٢٥٤.

(٢) الطراز ج ٣ ص ١٧٠، الفوائد ص ١٦٢، خزانة الأدب ص ١٨٤، شرح عقود الجمان ص ١٧١، أنوار الربيع ج ٤ ص ٢٦٦، نفحات ص ١٨٤، التبيان في البيان ص ٣٥٧، شرح الكافية ص ٣٢٨.

(٣) أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٠٧.

(٤) حسن التوسل ص ٢٤٢، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٧.

أترى الجيرة الذين تداعوا
عند سَيْرِ الحبيبِ وَقَتِ الزَّوَالِ
عَلِمُوا أَنِّي مُقِيمٌ وَقَلْبِي
رَاحِلٌ فِيهِمْ أَمَامَ الجِمَالِ
مثل صاعِ العزيرِ في أَرْحَلِ القَوِّ
م ولا يَعْلَمُونَ ما في الرِّحَالِ
وفيه إشارة الى ما جاء في سورة يوسف - عليه السلام - من ضواعِ صاحبِ مصر أيامِ يوسف.
وقول أبي تمام:

لِحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمِ الهوى
قلوبًا عَهْدُنَا طَيْرَهَا وَهِيَ وَقَعٌ

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ

بشَمْسٍ لَهُمِ مِنْ جَانِبِ الخِذْرِ تَطْلُعُ

نضاً ضَوْوَهَا صِبْغَ الدُّجَنَةِ وَأَنْطَوِي

لبهجتها ثَوْبُ السَّمَاءِ المَجْرَعُ

فوالله ما أدري أحلامُ نائم

أَلَمَّتْ بنا أم كان في الركبِ يُوشَعُ

وفيه إشارة الى قصة يوشع فتى موسى - عليهما السلام - واستيقافه الشمس.

والثاني كقول الحريري: «بت ليلة نابغة» أو ما الى قول النابغة الذبياني:

فَبِتُّ كَأَنِّي ساوَرْتَنِي ضَعِيلَةٌ

من الرُقَشِ في أنيابها السُّمُّ نَاقِعُ

وقول غيره:

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي

أرقُّ وأخفى منك في ساعة الكَرْبِ

أشار الى البيت المشهور:

المستجيرُ بعمرٍو عند كُرْبَتِهِ

كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن التلميح ضَرْبٌ يشبه اللغز كما رُوي أن تميمًا قال لشريك النميري: «ما في الجوارح أحبُّ اليَّ من

التلويح:

ألاح بالسيف ولوح: لمع به وحركه، وألاح بثوبه ولوح به: أخذ طرفه بيده من مكان بعيد ثم أداره ولمع به ليريه من يحب أن يراه^(١).

الوحي باللفظ ودلالة الإشارة والتلويح من أساليب العرب القديمة، وقد أشار الجاحظ إليها^(٢)، وذكر ابن جني «التلويح» مع التعريض والإيماء^(٣)، وأدخله ابن رشيق في باب الإشارة وقال: «ومن أنواعها قول المجنون قيس بن معاذ العامري:

فلو كُنْتُ أعلو حُبَّ ليلي فلم يَزَلْ

بي النقْضُ والإبرامُ حتى علانيا

فلوَّح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا^(٤).

وتحدث السكاكي عن التلويح في الكناية فقال: «متى كانت الكناية عَرَضِيَّةً على ما عرفت كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسبا، وإذا لم تكن كذلك نظر فان كانت ذات مسافة بينها وبين المكني عنها متباعدة لتوسط لوازم كما في «كثير الرماد» وأشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسبا لأن التلويح هو أن تشير الى غيرك عن بعد^(٥).

وذكر القزويني وشراح التلخيص ذلك^(٦)، ولم يخرجوا على ما ذكره السكاكي، وقال السجلماسي: «هو اقتضاب الدلالة على الشيء بنظيره واقامته مقامه^(٧).

التمام:

هو التتميم وقد تقدّم، والتمام اسمه القديم ولكن الحاتمي سمّاه «التتميم» وقال عنه: «هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يغادر شيئاً يتم به ويتكامل الاشتقاق معه فيه إلا أتى به^(٨).

وهو الاعتراض عند ابن المعتز^(٩)، وقد تقدم.

تمام الأقسام:

تحدث قدامة عن توفير الأقسام فقال: «هو أن يُؤتى بالأقسام مستوفاة لم يدخل بشيء منها ومخلصة لم يدخل بعضها في بعض^(١٠)» مثل: «فانك لم تخل فيما بدأتني من مجد أثلته وشكر تعجلته وأجر ادخرته». وهو عنده غير التقسيم المتقدم، لأنه تحدث عنه منفرداً باسم «صحة التقسيم^(١١).

التمثيل:

التمثيل في اللغة هو التشبيه، وقد تحدث عنه أبو عبيدة وهو عنده التشبيه أو تشبيه التمثيل^(١٢)، وأفرد له قدامة بحثاً وقال: «هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير اليه^(١٣)»، وفسره المصري مثل هذا التفسير^(١٤).

(١) اللسان (لوح).

(٢) البيان ج ١ ص ٤٤.

(٣) الخصائص ج ١ ص ٢٢٠.

(٤) العمدة ج ١ ص ٣٠٤.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٩٤.

(٦) الايضاح ص ٣٢٧، التلخيص ص ٣٤٤، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٦٩، المطول ص ٤١٣،

الأطول ج ٢ ص ١٧٦، شرح عقود الجمان

ص ١٠٣، حلية اللب ص ١٦٩، نفحات

ص ٢٨٤.

(٧) المنزاع البديع ص ٢٦٦.

(٨) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٣، العمدة ج ٢

ص ٥٠، تحرير التحبير ص ١٢٧، بديع القرآن

ص ٤٥، حسن التوسل ص ٢٢٦، نهاية الارب

ج ٧ ص ١١٨، خزانة ص ١٢١، أنوار الربيع ج ٣

ص ٥٢.

(٩) البديع ص ٥٩.

(١٠) جواهر الالفاظ ص ٥.

(١١) جواهر الالفاظ ص ٦.

(١٢) مجاز القرآن ج ١ ص ٢٦٩.

(١٣) نقد الشعر ص ١٨٢.

(١٤) تحرير التحبير ص ٢١٤، بديع القرآن ص ٨٥،

وينظر كفاية الطالب ص ١٦٠.

بالقسم في البيت الثاني من الثلاثة، والمدح بالغزل بواسطة الاستطراد، وأتى بالطامة الكبرى في البيت الثالث من الثلاثة إذ مزج فيه الإرداف بالتشبيه والشجاعة بالكرم، ومدح قبيلة الممدوح بمدحه وذم أعداءها، والايغال بالتشبيه.

والتمزيج يلتبس بأربعة أبواب من البديع هي: التكميل والافتنان والتعليق والادماج، وقد فرّق المصري بينها فقال: «إنّ التكميل لا يكون إلا في معاني النفوس وأغراضها معاً في البديع، ولا يكون أحد الأمرين فيه قد اتحد بالآخر بحيث لا يظهر من الكلام إلا صورة أحد الأمرين دون الآخر. وإنما يؤخذ المعنى الآخر من الكلام بطريق القوة لشدة امتزاج المعنيين أو الفنين أو أحدهما بالآخر، وهذه حال التمزيج بمعاني النفوس ومعاني البديع. والفرق بين التمزيج والافتنان أنّ الافتنان لا يكون إلا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كالغزل والمدح والعتاب والهجاء والتهنئة والتعزية، والتمزيج بخلاف ذلك إذ هو يجمع الفنون والمعاني ويكون الأمران فيه متداخلين، والفنان فيه ظاهران. والفرق بين التمزيج والتعليق أنّ التعليق كالافتنان في اختصاصه بالفنون دون المعاني وظهور الفنين فيه معاً إلا أنّ أحدهما متعلق بالآخر، والافتنان لا يكون إلا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كالغزل والمدح والعتاب والهجاء والتهنئة والتعزية، والتمزيج بخلاف ذلك إذ هو يجمع الفنون والمعاني، ويكون الأمران فيه متداخلين أي أحد الفنين فيه متعلقاً بالآخر ولا بدّ، وكلاهما يفارق الامتزاج في ظهور صور الأشياء التي

(١) كتاب الصناعتين ص ٣٥٣، إعجاز القرآن

ص ١١٩، العمدة ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) أسرار البلاغة ص ٨٤، دلائل الإعجاز ص ٥٤،

مفتاح العلوم ص ١٦٤، الايضاح ص ٢٤٩،

شرح الكافية ص ١١٥.

(٣) اللسان (مزج).

(٤) تحرير التحبير ص ٥٣٦، بديع القرآن ص ٢٤٦.

والتمثيل عند العسكري والباقلاني وابن رشيق المماثلة، وهو ضربٌ من الاستعارة^(١). والتمثيل عند عبد القاهر والسكاكي والقزويني وشراح التلخيص وغيرهم^(٢) هو «التشبيه التمثيلي» وقد تقدم.

التمزيج:

مَرَجَ الشَّيْءَ يَمْرُجُهُ مَرْجًا فَاَمْتَرَجَ: خلطه^(٣).

والتمزيج من مبتدعات المصري، وقد قال: «هو أنّ يَمْرُجَ المتكلم معاني البديع بفنون الكلام أعني أغراضه ومقاصده بعضها ببعض بشرط أنّ تجمع معاني البديع والفنون في الجملة أو الجمل من النثر والبيت أو البيوت من الشعر»^(٤) كقول بكر بن النطّاح:

بَدَلْتُ لَهَا مَا قَدِ ارَادَتْ مِنَ الْمَنَى

لِتَرْضَى فَقَالَتْ قُمْ فَجِئْنِي

بِكُوكِبِ

فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْنُتُ كُلُّهُ

كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنَقَاءِ مُغْرِبِ

فَأَقْسِمُ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي عِزِّ مَالِكِ

وَقَدْرَتِهِ أَعْيَا بِمَا رُمْتُ مَطْلَبِي

فَتَى شَقِيَّتْ أَمْوَالُهُ بِغُفَاتِهِ

كَمَا شَقِيَّتْ بِكُرِّ بَأْرِمَاحِ تَغْلِبِ

فان التمزيج وقع في الثلاثة المتواليات من هذا الشعر بعد الأول، فأما الأول من الثلاثة فانه مزج في صدره العتاب بالغزل بالمراجعة حيث قال: «فقلت لها هذا التعنت كله» لارتباط هذا الصدر بما قبله بسبب المراجعة التي فيهما إذ قال: «فقلت» وأتى في عجز البيت بالتذييل ليتحقق العتاب ويستدل على صحة ما ادعاه من التعنت فمزج المذهب الكلامي بالتذييل في العجز. كما مزج العتاب والغزل في الصدر مع الارتباط بما قبله وحق ذلك بالمراجعة الحاصلة فيهما فوق التمزيج في البيت المذكور من الفنون في العتاب والغزل، ومن المعاني في المراجعة بسبب الارتباط والتذييل والمذهب الكلامي، ثم مزج المبالغة

والتمكن هو «ائتلاف القافية» وقد تقدم. وكان اسمه «ائتلاف القافية» عند قدامة ولكن الذين جاءوا بعده سموه «التمكين»^(٥).

التَّمْلِيظ:

مَلَطَ الحائظ مَلَطًا ومَلَطَهُ: طلاه، والمِلَاط: الطين الذي يُجَعَل بين سافي البناء ويملطه في الحائط. والملاطان جانبنا السنام مما يلي مقدّمه، والملاطان: الجنبان، سميا بذلك لأنّهما قد ملط اللحم عنهما مَلَطًا أي نزع، والملاطان: الكتفان، والملاطان: العضدان^(٦). وقال ابن رشيق: «واشتقاق التمليط من أحد شيئين:

أولهما: أن يكون من المِلاطين، وهما جانبنا السنام في مرد الكتفين، قال جرير:

ظللن حَوالي خِدر أسماء وانتحي

باسماء مَوّار الملاطين أزوْح

فكأنّ كل قسيم مِلاط، أي جانب من البيت، وهما عند ابن السكيت العضدان. والآخر: وهو الأجود، أن يكون اشتقاقه من المِلاط وهو الطين يدخل في البناء يملط به الحائط مَلَطًا، أي يدخل بين اللبن حتى يصير شيئًا واحدًا. وأما المِلَط - وهو الذي لا يبالي ما صنع - والأملط الذي لا شعر عليه في جسده فليس

(١) الأنبياء ١١٢.

(٢) تحرير التحبير ص ٥٣٨ - ٥٣٩، وينظر باب التوليد في بديع القرآن ص ٢٠٧ - ٢١١، صفحات ص ٢٠٤.

(٣) جواهر الكنز ص ١٥٤.

(٤) اللسان (مكن).

(٥) نقد الشعر ص ١٩٠، تحرير التحبير ص ٢٢٤،

بديع القرآن ص ٨٩، المصباح ص ١١٧، جواهر

الكنز ص ٢٠٠، خزانة ص ٤٣٩، معترك ج ١

ص ٣٩، شرح عقود الجمان ص ١٥٥، أنوار

الربيع ج ٦ ص ١٥١، صفحات ص ٣٢٢، شرح

الكافية ص ٢٦٧.

(٦) اللسان (ملط).

تكون فيه فإنها تمتزج في الامتزاج بحيث لا يظهر منها لكل شيئين إلا صورة واحدة. والفرق بين التمزيج والادماج أن الادماج كالتعليق لا يكون إلا بالفنون دون المعاني بخلاف التمزيج وإن اشبه التمزيج في إيجاد الصور، لا يكون إلا بالمعاني البديعية دون المعاني النفسية ودون الفنون. والفرق بين التعليق والتكميل دقيق وقد جاء في الكتاب العزيز من التمزيج قوله تعالى: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾^(١) فإنها امتزج فيها فنا الأدب والهجاء بمعنى الإرداف والتتميم وتولّد من ذلك ما استخرجته منها من بقية المحاسن، فكان ذلك أربعة عشر نوعا يضيق هذا المكان عن ذكرها مفصّلة، وقد ذكرتها مفصّلة في «بديع القرآن» العزيز^(٢).

وقد ذكر ابن الاثير الحلبي فنا سَمَاه «التعريج» وقال: «هذا الباب يُسَمَّى بحسن الارتباط ويُسَمَّى حسن الترتيب ويُسَمَّى حسن النسق، وحقيقته أئتلاف الكلام بعضه ببعض حتى كأنه أفرغ في قالب واحد. وأكثر ما يوجد هذا النوع مستعملاً في كتاب الله تعالى الدالّ على الاعجاز، وسُمِّي الارتباط لأنّه اذا جاءت الآية وعلم تأويل الارتباط بين الآيتين وامتزج معناه علم حسن الترتيب فسُمي حسن الارتباط لذلك. وكذلك تسميته بالتمزيج وحسن النسق وحسن الترتيب»^(٣). وليس هذا تعريجا وإنما هو «التمزيج» الذي ذكره المصري لأنّ تعريفه قريب من ذلك ولأن ابن الاثير الحلبي ردد كلمة «التمزيج» عدة مرات في هذا التعريف، وفي الكتاب خطأ وقع في العنوان الذي كتب صحيحًا في مسارد الكتاب، يُضاف الى ذلك أنّ التعريج ليس من الفنون المذكورة في كتب البلاغة المعروفة.

التَّمْكِين:

مَكَّنَ مكانه فهو مَكِين، وتمكَّنَ مثل مَكَّنَ. وتمكَّنَ بالمكان وتمكّنه أي ثبت فيه، وتمكَّنَ من الشيء واستمكن: ظفر^(٤).

لاشتقاقه منهما وجه»^(١).

وقد تحدث ابن رشيقي عنه في باب «التضمين والاجازة» وقال: «ومن هذا الباب نوع يسمى التمليط، وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه»^(٢).

وفي الحكاية أن امرأ القيس قال للتوأم اليشكري: إن كنت شاعراً كما تقول فملط أنصاف ما أقول فأجزها قال: نعم.

قال امرؤ القيس:

أحار ترى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا.

فقال التوأم:

كنارِ مجوسٍ تَسْتَعِرُّ استعاراً

فقال امرؤ القيس:

أرِقْتُ له ونام أبو شريح

فقال التوأم:

إذا ما قلت قد هداً استطارا

وربما ملط الأبيات شعراء جماعة كما يحكى أن أبا نواس والعباس بن الاحنف والحسين بن الضحاك الخليل ومسلم بن الوليد الصريح خرجوا في متنزه لهم ومعهم يحيى بن المعلّى فقام يصلي بهم فنسي الحمد وقرأ: «قل هو الله أحد» فارتج عليه في نصفها فقال أبو نواس: أجزوا:

أكثر يحيى غلطا

في «قل هو الله أحد»

فقال العباس:

قام طويلاً ساهياً

حتى إذا أعيأ سجد

فقال مسلم:

يَزْحَرُ في مِخْرَابِهِ

زَحِيرَ حُبْلَى بَوْلِدُ

كَأَمَّا لِسَانُهُ

شُدَّ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدُ

وكان الخطابي قد تحدث عن الاجازة وذكر طرفاً مما ذكره ابن رشيقي^(٣).

التَّمَنِّي:

تمنى الشيء: أراده، والتمني: تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه^(٤).

ولا يخرج معنى التمني عند البلاغيين عن هذا المعنى فهو توقع أمر محبوب في المستقبل، والفرق بينه وبين الترجي أنه يدخل في المستحيلات، والترجي لا يكون إلا في الممكنات^(٥). ولكن البلاغيين - مع ذلك - يفرقون بين نوعين من التمني:

الأوّل: توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلًا كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٦)، وقول الشاعر:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا

فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشَيْبُ

الثاني: توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه ممكنًا غير مطموح في نيته كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾^(٧).

والأداة الموضوعية للتمني «ليت» وقد تستعمل ثلاثة أحرف للدلالة عليه:

أحدها: «هل» كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ

(١) العمدة ج ٢ ص ٩٢.

(٢) العمدة ج ٢ ص ٩١.

(٣) بيان إعجاز القرآن ص ٥٤، وينظر العمدة ج ١ ص ٢٠٢، ج ٢ ص ٩١ - ٩٢.

(٤) اللسان (مني).

(٥) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢٣.

(٦) النساء ٧٣.

(٧) القصص ٧٩.

فیشفعوا لنا»^(١).

التَّنَاسُبُ:

نَاسِبُهُ: شَرَكُهُ فِي نَسَبِهِ، الْمُنَاسِبَةُ: الْمُشَاكَلَةُ،^(٩)
وَتَنَاسَبَا: تَمَاطَلَا وَتَشَاكَلَا، وَالتَّنَاسُبُ مِنْ تَنَاسَبَ.

تَحَدَّثَ بِشَرِّ بْنِ الْمُعْتَمِرِ فِي صَحِيفَتِهِ عَنِ التَّنَاسُبِ
بَيْنَ الْأَلْفَافِ وَالْمَعَانِي فَقَالَ: «وَمَنْ أَرَاغَ مَعْنَى كَرِيمًا
فَلْيَلْتَمَسْ لَهُ لَفْظًا كَرِيمًا، فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْمَلْفُظِ الشَّرِيفِ»^(١٠).

وَقَالَ الْجَاحِظُ عَنِ تَنَاسُبِ الْأَلْفَافِ وَالْمَعَانِي: «إِلَّا
أَتَيْ أَرْعَمُ أَنَّ سَخِيفَ الْأَلْفَافِ مُشَاكِلٌ لِسَخِيفِ
الْمَعَانِي»^(١١). وَقَالَ: «وَمَتَى شَاكِلٌ - أَبْقَاكَ اللَّهُ -
ذَلِكَ اللَّفْظُ مَعْنَاهُ وَأَعْرَبَ عَنِ فَحْوَاهُ، وَكَانَ لِتِلْكَ
الْحَالَةِ وَفَقًا وَلِذَلِكَ الْقَدْرِ لَفْقًا وَخَرَجَ مِنْ سَمَاجَةِ
الِاسْتِكْرَاهِ وَسَلِمَ مِنْ فِسَادِ التَّكْلِيفِ كَانَ قَمِينًا بِحَسَنِ
الْمَوْقِعِ وَبِانْتِفَاعِ الْمُسْتَمْعِ وَأَجْدَرُ أَنْ يَمْنَعَ جَانِبَهُ مِنْ
تَنَاوُلِ الطَّاعِنِينَ وَيَحْمِي عَرْضَهُ مِنْ اعْتِرَاضِ الْعَائِبِينَ،
وَأَلَّا تَزَالَ الْقُلُوبُ بِهِ مَعْمُورَةً وَالصُّدُورُ مَأْهُولَةً»^(١٢).
وَقَالَ: «وَلِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ الْحَدِيثِ ضَرْبٌ مِنَ اللَّفْظِ

الثَّانِي: «لَوْ» سِوَاءَ كَانَتْ مَعَ «وَدَّ» كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾^(٢). أَوْ لَمْ تَكُنْ، كَقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾^(٣)، وَقَوْلِهِ: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا
كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾^(٤).

الثَّالِثُ: «لَعَلَّ» كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ.
أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾^(٥). وَمِنْهُ قَوْلُ
الشَّاعِرِ:

أَسِرَّ بَ الْقَطَا هَلْ مِنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ

لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ^(٦)

تَمْهِيدُ الدَّلِيلِ:

مَهَّدْتُ لِنَفْسِي وَمَهَّدْتُ أَي جَعَلْتُ لَهَا مَكَانًا وَطِينًا
سَهْلًا، وَيَمَهَّدُونَ: يُوَطِّئُونَ. وَتَمْهِيدُ الْأُمُورِ: تَسْوِيطُهَا
وَإِصْلَاحُهَا، وَتَمْهِيدُ الْعُذْرِ: قَبُولُهُ وَبَسْطُهُ^(٧).

تَحَدَّثَ السِّيُوطِيُّ فِي الْمَحْسَنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ عَنِ
«تَمْهِيدِ الدَّلِيلِ» وَقَالَ: «هَذَا نَوْعٌ ثَالِثٌ اخْتَرَعْتَهُ
وَسَمَيْتُهُ تَمْهِيدَ الدَّلِيلِ، وَهُوَ أَنْ يَقْصِدَ الْحَكْمَ
بِشَيْءٍ فَيَرْتَبُ لَهُ أَدْلَةً تَقْتَضِي تَسْلِيمَهُ قِطْعًا بِأَنْ
يَبْدَأَ بِالْمَقْصُودِ وَيَخْبِرُ عَنْهُ بِجُمْلَةٍ مُسَلِّمَةٍ، ثُمَّ
يَخْبِرُ عَنِ تِلْكَ الْجُمْلَةِ بِأُخْرَى مُسَلِّمَةٍ فَيَلْزِمُ
ثَبُوتَ الْحَكْمِ لِلأَوَّلِ بِأَنْ يَحْذِفَ الْوَسْطَ وَيَخْبِرُ
بِالْأَخِيرِ عَنِ الأَوَّلِ. وَهَذَا شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ
الْمَنَاطِقَةِ، وَنَحْنُ أَهْلُ السَّنَةِ لَا نَتَّبِعُهُمْ أَصْلًا، وَهُمْ
مُصْرِحُونَ بِأَنَّهُ فِي طَبْعِ أَهْلِ الذُّوقِ وَالذِّكَاةِ،
وَالْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ طَافِحَانٌ بِاسْتِعْمَالِهِ ثُمَّ تَارَةً يَكُونُ
الْوَسْطُ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَتَارَةً يَكُونُ أَكْثَرَ. فَمِنْ
الأَوَّلِ قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى
تَحَابُّوا» لِأَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يَحْذِفَ الْوَسْطَ فَيَقَالُ: «لَا
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَحَابُّوا، لَمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ مِنْ لَمْ
يُؤْمِنِ بِي، وَلَمْ يُؤْمِنِ بِي مِنْ لَا يَحِبُّ الْإِنصَارَ»^(٨).

(١) الأعراف ٥٣.

(٢) القلم ٩.

(٣) هود ٨٠.

(٤) البقرة ١٦٧.

(٥) غافر ٣٦ - ٣٧.

(٦) مفتاح العلوم ص ١٤٧، الايضاح ص ١٣١،

التلخيص ص ١٥١، الطراز ج ٣ ص ٢٩١،

شروح التلخيص ج ٢ ص ٢٣٨، المطول

ص ٢٢٥، الاطول ج ١ ص ٢٣٢، البرهان ج ٢

ص ٣٢١، معترك ج ١ ص ٤٤٤، الاتقان ج ٢

ص ٨٢، شرح عقود الجمان ص ٤٨، حلية اللب

ص ٩٣، الروض المريع ص ٧٧.

(٧) اللسان (مهدي).

(٨) شرح عقود الجمان ص ١٤٢.

(٩) اللسان (نسب).

(١٠) البيان ج ١ ص ١٣٦.

(١١) البيان ج ١ ص ١٤٥.

(١٢) البيان ج ٢ ص ٧.

تجاورها أو قبحة فيلائم بينها لتنظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ولا يجعل بين ما ابتدأ وصفه أو بين تمامه فصلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه، فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول اليه. كما انه يحترز من ذلك من كل بيت فلا يباعد كلمة عن اختها ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله؟ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه. وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة والناقلين له فيسمعون الشعر على جهة ويؤدونه على غيرها سهواً ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه منه كقول امرئ القيس:

كأنِّي لم أركب جوادًا للذة
ولم أتبطن كاعبًا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل
لخيلي كربي كربة بعد إجفال

هكذا الرواية وهما بيتان حسان ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج فكان يروى:

- (١) الحيوان ج ٣ ص ٣٩.
- (٢) نقد الشعر ص ١٧١ وما بعدها.
- (٣) الاقصى القريب ص ٩٢.
- (٤) حسن التوسل ص ٢١٢، نهاية الارب ج ٧ ص ١٠٧، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٤.
- (٥) الفوائد ص ٨٧ - ٨٨.
- (٦) حدائق السحر ص ١٣٠، الايضاح ص ٣٤٣، التلخيص ص ٣٥٤، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠١، المطول ص ٤٢٠، الاطول ج ٢ ص ١٨٨، خزنة الادب ص ١٣١، شرح عقود الجمال ص ١٠٨، أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٩، الروض المريع ص ١١٢، ١٤٣.

ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والافصاح في موضع الافصاح والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال»^(١).

وتحدث قدامة عن نعت ائتلاف اللفظ والمعنى وهو المساواة والاشارة والإرداف والتمثيل والمطابق والمجانس^(٢)، وقال التنوخي: «ومن البيان التناسب، وهو في الالفاظ وفي المعاني، وأكثر ما يحتاج اليه في الالفاظ لأن المعاني التي تطلب لا يلزم فيها ترتيب ولا مناسبة، فإن المتكلم قد يفتقر الى ذكر الاشياء المتناقضة والمتضادة والمتغايرة والمتنافرة وحيث لا يفتقر الى شيء من ذلك فهو التناسب فكأنه مضطر الى ما يأتي به إذا كان مراداً»^(٣).

وقال الحلبي والثوري: «والتناسب هو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر»^(٤). ويسمى التشابه أيضاً، وقيل إن التشابه أن تكون الالفاظ غير متباينة بل متقاربة في الجزالة والرقّة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكسو اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد، بل يصاغان معا صياغة تناسب وتلاءم.

ومن التناسب قول النابغة:

الرفق يُمنُّ والأناء سعادة
فاستأن في رزقي تنال نجاحا
واليأس عما فات يُعقب راحة
ولرب مطمعة تعود ذباحا

ونقل ابن قيم الجوزية ذلك^(٥)، وسمى الوطواط والقزويني وشرح التلخيص والحموي والشيوطي والمدني، مراعاة النظير «تناسبا» أيضا^(٦).

تناسب الأبيات:

وهو أن تكون الأبيات أو أشطرها متناسبة، وقد قال ابن طباطبا العلوي: «وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ويقف على حسن

الصورة الشعرية إذا وقع تنافر بين العبارات.

تَنَاسُبُ الْأَطْرَافِ:

قال المدني: «تَنَاسُبُ الْأَطْرَافِ عبارة عن أن يَتَدَيَّءَ المتكلمُ كلامه بمعنى ثم يختمه بما يُنَاسِبُ ذلك المعنى الذي ابتدأ به. وهذا النوع جعله الخطيب في التلخيص والإيضاح من مراعاة النظر^(٣). قال: ومن مراعاة النظر ما يُسَمِّيهِ بعضهم تشابه الأطراف وهو أن يُخْتَمَ الكلام بما يُنَاسِبُ أوله في المعنى، وقد علمت أن الشيخ زكي الدين بن أبي الإصبع نقل هذا الاسم وهو «تشابه الأطراف» إلى نوع التسبيغ الذي هو عبارة عن أن يعيد الشاعر لفظة القافية في أول البيت الذي يليها فتكون الأطراف متشابهة وهي تسمية مطابقة للمُسَمَّى. وسَمَّى بعضهم هذا النوع «تشابه الأطراف المعنوي» وهو تطويل في العبارة فرأينا نحن تسميته بتناسب الأطراف أولى لمطابقتها لمُسَمَّاه»^(٤). وهو نوعان: ظاهر وخفي، فالأول كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٥) فإن «اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالابصار، والخبير يناسب كونه مدركاً للأشياء لأن المدرك للشيء يكون خبيراً».

الثاني كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦). فان قوله - سبحانه - : ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يوهم أن الفاصلة «الغفور الرحيم» ولكن إذا أمعن وانعم النظر علم أنه يجب أن تكون على ما عليه التلاوة لأنه لا يغفر لمن يستحق

(١) عيار الشعر ص ١٢٤.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤، الجامع الكبير ص ٢١٧.

(٣) الايضاح ص ٣٤٤، التلخيص ص ٣٥٤.

(٤) أنوار الربيع ج ٤ ص ١٩٥.

(٥) الانعام ١٠٣.

(٦) المائدة ١١٨.

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ
لَخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّقَّ الرَّوِّيَّ لِلدَّةِ
وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ^(١)
ومن ذلك قول المتنبي:

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكُّ
لِوَاقِفِ

كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهَكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمٍ

وحكي أن سيف الدولة الحمداني قال للمتنبي: قد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرئ القيس قوله: «كأنني لم أركب...» فبيتك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس وكان ينبغي لك أن تقول:

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكُّ لِوَاقِفِ

وَوَجْهَكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمٍ

تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً

كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

فقال المتنبي: «إِنْ صَحَّ أَنَّ الَّذِي اسْتَدْرَكَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ هَذَا هُوَ أَعْلَمُ بِالشَّعْرِ مِنْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَأَخْطَأْتُ أَنَا، وَمَوْلَانَا يَعْلَمُ أَنَّ الثَّوْبَ لَا يَعْلَمُهُ الْبِرَّازُ كَمَا يَعْلَمُهُ الْحَائِكُ لِأَنَّ الْبِرَّازَ يَعْرِفُ جَمَلَتَهُ وَالْحَائِكُ يَعْرِفُ تَفَاصِيلَهُ وَإِنَّمَا قَرَنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ النِّسَاءَ بِلَذَّةِ الرِّكُوبِ لِلصَّيْدِ وَقَرَنَ السَّمَاخَةَ بِسَبَاءِ الْخَمْرِ لِلضِّيَافِ بِالشَّجَاعَةِ فِي مَنَازِلَةِ الْأَعْدَاءِ، وَكَذَلِكَ لَمَّا ذَكَرْتُ الْمَوْتَ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ اتَّبَعْتَهُ بِذِكْرِ الرَّدَى فِي آخِرِهِ لِيَكُونَ أَحْسَنَ تَلَاوُماً، وَلَمَّا كَانَ وَجْهُ الْمَنْهَزِمِ الْجَرِيحِ عَبُوساً وَعَيْنُهُ بَاكِيةً قُلْتُ: «وَوَجْهَكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمٍ» لِأَجْمَعِ بَيْنَ الْأَضْدَادِ»^(٢).

فتناسب الايات والأشطار والارتباط بينها من أهم ما ينبغي للشاعر العناية به لئلا يحدث خلل أو تختل

وتحدث القزويني عن تنافر الحروف وقال: «فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها كما روي أن أعرابيا سُئِلَ عن ناقتة فقال: «تركتها ترعى الهُغْغَع». ومنه ما هو دون ذلك كلفظ «مُسْتَشِيرٌ» في قول امرئ القيس:

غدايْرُهُ مُسْتَشِيرَاتٌ الى العُلَى
تَضَلُّ العِقَاصُ في مُثْنَى ومُرْسَلٍ^(٦)

وتحدث عن تنافر الكلمات وقال: «والتنافر منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها، متتابعة كما في البيت الذي أنشده الجاحظ:

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ
وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
ومنه ما دون ذلك كما في قول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالوَرَى
مَعِي وَإِذَا مَا لَمْتُهُ لَمْتُهُ وَحَدِي

فان في قوله: «أمدحهُ» ثقلاً ما بين الحاء والهاء من تنافر^(٧). وسار شراح التلخيص على خطأ القزويني في بحث التنافر^(٨).

التناقض:

النقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وناقضه في الشيء مناقضة ونقاضاً: خالفه، والمناقضة في

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٢٧٩ وما بعدها، الجامع الكبير ص ٢١١ وما بعدها.

(٢) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ٦.

(٣) اللسان (نفر).

(٤) البيان ج ١ ص ٦٥.

(٥) البيان ج ١ ص ٦٦.

(٦) الايضاح ص ٢، التلخيص ص ٢٤.

(٧) الايضاح ص ٢٥، التلخيص ص ٢٦.

(٨) شروح التلخيص ج ١ ص ٧٧، ٩٩، المطول ص ١٦، ٢٠، الأطول ج ١ ص ١٨، ٢٣.

العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو «العزير الحكيم».

التناسب بين المعاني:

عقد ابن الأثير باباً في الصناعة المعنوية سماه «التناسب بين المعاني»^(١)، وهو عنده ثلاثة أقسام: المطابقة وصحة التقسيم وفساده وترتيب التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد. وكل قسم من هذه الأقسام نوع في هذا المعجم.

تناسب الفصول والوصول:

ذكر ذلك المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة^(٢) ولم يُفسرهُ، ولعلهُ يريد به معرفة الفصل من الوصل وصحة استعمالهما لاهميتهما في الكلام، وقد عدّوهما من أصعب المواضع.

التنافر:

النَّفَرُ: التفرق، نَفَر القوم يَنْفِرُونَ نَفْرًا ونَفِيرًا، ونَفَر: فَرَّ. وتنافروا: ذهبوا، وتفرقوا^(٣).

قال الجاحظ: «ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها إلا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ

وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

ولما رأى من لا علم له أن أحدًا لا يستطيع أن ينشدها هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتبع ولا يتلجلج وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن، صدّ قوا بذلك^(٤). ومن ذلك قول ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه:

لَمْ يَضُرُّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ

وانثنت نحو عَزَفٍ نَفْسٍ ذَهْوِلٍ

قال الجاحظ: «فَتَقَدَّ النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض»^(٥).

القول أن يتكلم بما يتناقض معناه^(١). وقال الشريف الجرجاني: «التناقض: هو اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى»^(٢).

تحدثت قدامة عن التناقض وقال: «إنَّ مُناقَضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذمّاً حسناً أيضاً غير مُنكَر عليه ولا مَعيب من فعله إذا أحسن المدح والذم بل ذلك عندي يَدُلُّ على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها»^(٣). وتحدثت في عيوب المعاني عن الاستحالة والتناقض وهما «أن يُذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة. والأشياء تتقابل على أربع جهات: إما على طريق المضاف ومعنى المضاف هو الشيء الذي يقال بالقياس إلى غيره مثل الضعف إلى نصفه والمولى إلى عبده والأب إلى ابنه... وإما على طريق التضاد مثل الشَّرير للخير والحارّ للبارد والأبيض للأسود. وإما على طريق العدم والقنية^(٤) مثل الأعمى والبصير والأصلع وذو اللحية. وإما على طريق النفي والاثبات مثل أن يقال: «زيد جالس»: «زيد ليس بجالس».

فاذا أتى في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات وكان الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية بل هو لاحق بجميع المعاني»^(٥).

فمما جاء في الشعر من التناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن بن عبد الله القس:

فاني إذا ما الموتُ حلَّ بنفسها

يُزال بنفسي قبل ذاك فأقْبِرُ

فقد جمع بين «قبل» و«بعد» وهما من المضاف لأنه لا قبل إلا لبعده ولا بعد إلا لقبله، حيث قال: «إنه إذا وقع الموت بها» وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به، وجوابه هو قوله: «يُزال بنفسي قبل ذاك» وهذا شبيه بقول قائل لو قال: «إذا انكسر الكوز

انكسرت الجرة قبله».

ومما جاء على جهة التضاد قول أبي نواس يصف الخمرة:

كأنَّ بقايا ما عَفَا من حُبابها

تفاريقُ شَيْبٍ في سَوادِ عِذارِ

فَشَبَّه حُباب الكأس بالشيب وذلك قول جائر؛ لأنَّ الحُباب يشبه الشيب في البياض وحده لا في شيء آخره غيره، ثم قال:

تَرَدَّتْ به ثم انْفَرَى عن أديمها

تَفَرَّى ليلٍ عن بياضِ نَهارِ

فالحُباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار. وليس في هذا التناقض منصرف إلى جهة من جهات العذر لأنَّ الأبيض والأسود طرفان متضادان.

ومما جاء من التناقض على طريقة القنية والعدم قول يحيى بن نوفل:

لأعلاجِ ثمانيةٍ وشيخ

كبير السنِّ ذي بَصَرٍ ضَريرِ

فلفظة «ضرير» إنما تستعمل في الأكثر للذي لا بصر له وقول هذا الشاعر في هذا الشيخ إنَّه ذو بصر وإنَّه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم. وذلك أنه كأنه يقول: «إنَّ له بصراً ولا بصر له، فهو بصير أعمى».

ومما جاء على طريق الإيجاب والسلب قول عبد الرحمن بن عبد الله القس:

(١) اللسان (نقض).

(٢) التعريفات ص ٦٠.

(٣) نقد الشعر ص ١٨.

(٤) القنية: الشيء، أو ما اكتسب.

(٥) نقد الشعر ص ٢٣٢، وينظر سر الفصاحة

ص ٢٨١، قانون البلاغة ص ٤١٣، البديع في

نقد الشعر ص ١٧٦، منهاج البلغاء ص ١٣٨.

التميم، وهو أن نأخذ في بيان معنى فيقع في نفسك أن السامع لم يتصوره على حدّ حقيقته وإيضاح معناه فتعود اليه مؤكداً له فيندرج تحت ما ذكرناه من خاصة التنبية»^(٣). وهذا كقول ابن الرومي:

آرأؤكم ووجوهكم وشيوفكم

في الحادثات إذا دجّون نجوم

منها معالم للهدى ومصايح

تجلو الدجى والأخريات رجوم

ف قوله: «نجوم» وردّ غير مشروح لأنه يفهم منه ما ذكره من التفصيل في البيت الآخر فلماذا كان مبهما فلما شرح تقاسيم النجوم في البيت الثاني جاء متمماً له ومكماً لمعناه. قال العلوي: «فلا جرم كان معنى التميم فيه حاصلاً وكان فيه التنبية على ما ذكرناه فلماذا أوردناه على أثر التنبية لما كان قريباً منه وملتصقاً به، فكان أحقّ باليراد على أثره»^(٤).

التندير:

ندر الشيء يندر ندوراً: سقط، وقيل: سقط وشدّ، ونوادير الكلام تندر وهي ما شدّ وخرج من الجمهور^(٥).

التندير من مبتدعات المصري، وقد قال في تعريفه: «هو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة أو مُجَنَّة مستطرفة، وهو يقع في الجدّ والهزل»^(٦). ومن لطيف ما جاء منه في الجدّ وبديعه قوله تعالى: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت﴾^(٧). وأما ما جاء منه في الهزل

(١) اللسان (نبه).

(٢) الوافي ص ٢٩٨، وينظر البيان ص ١٨٩، وينظر الروض المريع ص ٧٧، ٨٨.

(٣) الطراز ج ٣ ص ٨٨.

(٤) الطراز ج ٣ ص ٨٩.

(٥) اللسان (ندر).

(٦) تحرير التحبير ص ٥٧١، بديع القرآن ص ٢٨٥.

(٧) الأحزاب ١٩.

أرى هجرها والقتل مثلين فأقصرها

ملامكم فالقتل أعمى وأيسر

فأوجب هذا الشاعر الهجر والقتل أنهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله: «إنّ القتل أعمى وأيسر» فكأنه قال: «إنّ القتل مثل الهجر وليس هو مثله».

التنبية:

نبتّه وأنبهه من النوم فتنبّه وانتبه، وانتبه من نومه: استيقظ، والتنبية مثله. ونبتّه من الغفلة فانتبه وتنبّه: أيقظه، وتنبّه على الأمر: شعر به وتنبهته على الشيء: وقفته عليه فتنبه هو عليه^(١).

قال التبريزي: «هو أن يقول الشاعر بيتاً يرسله إرسال غير متحرز من المنتقد عليه ثم يتنبّه على ذلك فيستدرك موضع الطعن عليه بما يصلحه وربما كان ذلك في الشطر الأول من البيت فيتلافاه في الشطر الثاني وربما كان في بيت فيتلافاه في الثاني»^(٢)، كقول بعضهم:

هو الذئب أو للذئب أوفى أمانة

وما منهما إلا أزلّ خوون

كأنه لما قال: «أو للذئب أوفى أمانة» تنبه على أن قائلاً يقول له: وأية أمانة في الذئب؟ فقال مستدركاً لخطئه: «وما منهما إلا أزلّ خوون» فسلم له البيت.

ومن ذلك:

إذا ما ظمئت إلى ريقها

جعلت المدامة منه بديلاً

وأين المدامة من ريقها

ولكن أعلل قلباً غليلاً

فنبّه بقوله: «وأين المدامة من ريقها» على قول القائل: وهل تكون المدامة بدلاً عن ريقها، فاستدرك عند ذلك بقوله: «ولكن أعلل قلباً غليلاً».

وبعد أن ذكر العلوي ما ذكره التبريزي وابن الزملاكاني قال: «ومما هو منسحب في أذيال التنبية

فكقول أبي تمام فيمن سرق له شعراً وهو محمد بن يزيد الرقي:

مَنْ بَنُو بَحْدَلٍ مِنْ ابْنِ الْجَبَابِ
مَنْ بَنُو تَغْلِبٍ عِدَاةَ الْكَلَابِ

من طفيل من عامر أم من الحا
رث أم من عتيبة بن شهاب

إِنَّمَا الضَّيْعُ الْهَصُورُ أَبُو الْأَشَدِّ

بِالِ هَتَّاكُ كُلِّ خَيْسٍ وَغَابِ

مَنْ عَدَتْ خَيْلُهُ عَلَى سَرْحِ شِعْرِي

وهو للحين راتع في كتاب

يا عذارى الكلام صررتن من بعد

يدي سبايا تبعن في الأعراب

لو ترى منطقي أسيراً لأضبح

ت أسيراً ذا عبيرة واكتئاب

طال رغبتي اليك مما أقاسي

ه ورهبي يا رب فاحفظ ثيابي

وقال المصري في الفرق بينه وبين التهكم والهزل الذي يُراد به الجد: «إنَّ التندير ظاهر جدُّ وباطنه هزلٌ بخلاف البابين»^(١).

وقال الحلبي والنويري: «هو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة أو نكتة مستظرفة يعرض فيها بمن يريد ذمه بأمر، وغالبًا ما يقع في الهزل»^(٢)، وذكر أبيات أبي تمام أيضا.

التنزيل:

أنزله غيره واستنزله بمعنى، ونزله تنزيلا، والتنزيل أيضا: الترتيب والتنزيل: النزول في مهلة^(٣).

والتنزيل هو ترتيب الأشياء من الأعلى إلى الأدنى، وقد ذكره الدمهوري فقال: «الانتقال من الأدنى إلى الأعلى في الوجوه المرادة نحو: «لا أبالي بالوزير ولا بالسلطان» والتنزيل عكس الترتيب نحو: «هذا الأمر لا يعجز السلطان ولا الوزير»^(٤). وقد ورد هذا النوع في

قول عبد الرحمن الحضري:

تَعْرِیْضٌ أَوْ الْغَازُ اِزْتِقَاءُ

تَنْزِيلٌ أَوْ تَأْنِيسٌ أَوْ إِحْهَاءُ

التنسيق:

النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد، وقد نشقته تنسيقاً، والتنسيق: الترتيب^(٥).

تحدث الوطواط عن «تنسيق الصفات» وقال: «وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر شيئاً بجملة أسماء أو جملة صفات متواليه»^(٦).

كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٧). ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة، أحاسينكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون. ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون». ومنه قول العباس بن عبد المطلب في مدح المصطفى عليه السلام:

وَأَبْيَضُ يُشْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

ثَمَالُ الْيَتَامَى عِضْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

وقول حسان:

بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ

شُمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الْبَطْرَازِ الْأَوَّلِ

(١) تحرير ص ٥٧٣، بديع القرآن ص ٢٨٥.

(٢) حسن التوسل ص ٣٠٧، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٧٢.

(٣) اللسان (نزل).

(٤) حلية اللب ص ١٧١.

(٥) اللسان (نسق).

(٦) حدائق السحر ص ١٥٠.

(٧) الحشر ٢٣.

«حسن النسق والانسجام» ونقل تعريف المصري ونقل بعض أمثله^(٨). وتبعهما ابن قيم الجوزية وَعَرَّفَ هذا النوع بتعريف المصري أيضا^(٩). وقال الحموي: «هذا النوع أعني حسن النسق ويُسمَّى التنسيق من محاسن الكلام وهو أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا لا مستهجنًا. والمستحسن من ذلك أن يكون كل بيت إذا أُفردَ قام بنفسه واستقلَّ معناه بلفظه وإن رَدَّفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد بحيث يعتقد السامع أنَّهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما ونقص كمالهما وتقسَّم معناه وما ليس كذلك بل حالهما في كمال الحسن وتتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع»^(١٠). ومن ذلك قوله تعالى:

وذكر الشيوطي قولين في هذا الفن:

الأوَّل: ما ذكره الرازي والحلي والنويري وهو «أنَّ يذكر الشيء بصفات متوالية».

الثاني: قول أصحاب البديعيات وهو ما ذكره المصري والحموي^(١١). ولكنَّه ذكر الرأي الثاني في «الاتقان» وَحَدَّه وَعَرَّفَ حسن النسق بتعريف البلاغيين السابقين ولا سيما تعريف المصري ومثاله القرآني^(١٢).

وذكر المدني الرأيين أيضا، ونقل التعريفين المعروفين لكل رأي^(١٣).

- (١) نهاية الأيجاز ص ١١٣.
- (٢) حسن التوسل ص ٢٤٨، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٣١.
- (٣) تحرير التعبير ص ٤٢٥، بديع القرآن ص ١٦٤.
- (٤) هود ٤٤.
- (٥) الزجاج: جمع زج، والزج: الحديدية التي في أسفل الرمح. اللهم: الماضي في ضربته.
- (٦) الأسل: الرماح.
- (٧) جوهر الكنز ص ١٥٤.
- (٨) جوهر الكنز ص ٢٩٧.
- (٩) الفوائد ص ١٩١.
- (١٠) خزانة الأدب ص ٤١٥، نفحات ص ٢٠٤.
- (١١) شرح عقود الجمان ص ١٤٩.
- (١٢) الاتقان ج ٢ ص ٩٢.
- (١٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٣٢.

وذكر الرازي تنسيق الصفات ومثَّل له بالآية السابقة^(١)، وقال الحلبي والنويري عن تنسيق الصفات: «هو أن يذكر الشيء بصفات متوالية»^(٢). وسمَّاه المصري «حسن النسق» وقال: «هو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا لا مستهجنًا. والمستحسن من ذلك أن يكون كل بيت إذا أُفردَ قام بنفسه واستقلَّ معناه بلفظه وإن رَدَّفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد بحيث يعتقد السامع أنَّهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما ونقص كمالهما وتقسَّم معناه وما ليس كذلك بل حالهما في كمال الحسن وتتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع»^(٣). ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي، وَغِيضُ الْمَاءِ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، وقد جاءت الجمل في هذه الآية الكريمة معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة.

ومن الشعر قول زهير:

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ^(٥)

فإنَّه نسق على هذا البيت عدة أبيات، كل بيت معطوف على ما قبله بالواو عطف تلاحم. وهذا من شواهد عطف بيت على بيت، وقد يكون حسن النسق في جمل البيت الواحد كقول ابن شرف القيرواني:

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَحْفَلُ بِحَادِثَةٍ
إِذَا ادَّرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسَلِ^(٦)

سَلْ عَنْهُ وَأَنْطِقْ وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ
مِلَّةَ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ

وسمَّاه ابن الأثير الحلبي التمزيج وحسن الارتباط وحسن الترتيب وحسن النسق وَعَرَّفَهُ بما يَقْرُبُ من تعريف المصري^(٧). وتحدث عنه في باب آخر باسم

تَنسيق الصِّفات:

هو التنسيق المتقدم، وقد سماه كذلك الوطواط والرازي والحلي والثويري^(١).

التَّنظير:

النظر: تأمل الشيء بالعين. وتقول العرب: نظرت الى كذا وكذا، من نظرت العين ونظرت القلب. واذا قيل نظرت في الامر كان تفكراً وتدبراً بالقلب^(٢).

قال المصري: «هو أن ينظر الانسان بين كلامين إما متفقي المعاني أو مختلفي المعاني ليظهر الأفضل منهما»^(٣). مثال الأول قول يزيد بن الحكم الثقفي من شعراء الحماسة:

يا بَدْرُ والأمثالِ يَضُ
رَبُّها لذي اللُّبِّ الحَكِيمِ
دُمٌ لِلخَليلِ بُوْدَه
ما خَيْرُ وِدٍّ لا يَدومُ
واغْرِفْ لجارِكَ حَقَّه
والحَقُّ يَعْرِفُهُ الكَرِيمُ
واعلَمْ بأنَّ الضَّيْفَ يُو
مًا سَوفَ يَحْمَدُ أو يَلومُ

فنظر بين هذه الوصايا وبين قوله تعالى: ﴿وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾^(٤).

ومثال الثاني ما اقتضه الأعشى من قصة السموأل في وفائه بأدراع امرئ القيس التي أودعه اياها عند دخوله بلاد الروم، وقصيدة الأعشى مطلعها:

كُنْ كَالسَموألِ إِذْ طافَ الهُمائمُ بِهِ

فِي جَحْفَلِ كَسوادِ اللَّيلِ جَرَّارِ

قال المصري: «هذه القصيدة أجمع العلماء البصراء بنقد الكلام على تقديمها في هذا الباب على جميع الاشعار التي اقتضت فيها القصص وتضمنت

الأخبار. واذا نظرت بينها وبين قوله تعالى في سورة يوسف ﴿وَرَفَعَ أَبوِيه على العَرْشِ...﴾^(٥) رأيت تفاوت ما بين الكلامين وأدركت الفرق بين البلاغتين^(٦).

والتنظير من مُبتدعات المصري، وهو قريب مما ذكره النقاد في باب الموازنة بين الكلام.

التَّنكِيت:

التنكيت مصدر نَكَتَ إذا أتى بنكته وأصله من النَّكْتِ، وهو أن تَضْرِبَ في الارض بقضيب ونحوه فتؤثر فيها لأن المتكلم إذا أتى في كلامه بدقيقة احتاج السامع في استخراجها الى فضل تأمل وتفكر يَنْكُتُ معه الأرض كما هو شأن المتأمل^(٧).

قال ابن منقذ: «التنكيت هو أن تقصد شيئاً دون أشياء لمعنى من المعاني ولولا ذلك لكان خطأ من الكلام وفساداً في النقد»^(٨). فقد سُئِلَ ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرى﴾^(٩) لِمَ لم يقل: «الثرى» فقال: كان قد ظهر في العرب رجل يقال له ابن أبي كبشة عبد الشعري لأنها أكبر نجم في السماء فقصدتها الله تعالى دون النجوم لأنها عبدت ولم تعبد الثريا.

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء:

يُذَكِّرُنِي طُلوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وأذَكِّرُهُ لَكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

(١) حدائق السحر ص ١٥٠، نهاية الايجاز ص ١١٣، حسن التوسل ص ٢٤٨، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣١، نفحات ص ٢٠٤.

(٢) اللسان (نظر).

(٣) بديع القرآن ص ٢٣٨.

(٤) النساء ٣٦.

(٥) يوسف ١٠٠.

(٦) بديع القرآن ص ٢٤١.

(٧) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٥٣.

(٨) البديع في نقد الشعر ص ٥٦.

(٩) النجم ٤٩.

ألا إنما ليلى عصا خَيْرَانِيَّةٍ
إذا غمزوها بالأكفِّ تليينُ
ذكر ابن قتيبة أنه لما أنشده بشارًا قال له: هَجَّنتُ
شعرك بقولك «عصا» ولو قلت: «عصا مخ» أو «زبد»
لم تزل الهجنة.

وأحسن من هذا قولي:

وحوراء المدامع من مَعَدِّ
كأنَّ حديثها ثَمَرُ الْجِنَانِ
أذا قامَتْ لطيتها تثنَّتْ
كأنَّ عظامها من خَيْرَانِ

ومنه قول أبي تمام:

تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
جلودهم قبل نَضِجِ التينِ والعنَبِ
قيل: إنه هجين؛ لأنه لا فائدة في اختصاصه بالتين
والعنب دون التمر.

التَّهْدِيبُ:

التهديب كالتنقية، هَذَبَ الشَّيْءَ يَهْدِبه هَذَبًا
وَهَذَبَهُ: نَقَّاه وَأَخْلَصَهُ^(٧). عقد ابن منقذ بابًا سماه
«التهديب والترتيب» وقال: «ومن التهديب أن
يخلص المعنى قبل السبك للفظ والقوافي قبل
الآيات»^(٨). وأتبع الباب بجملة وصايا تتصل بنظم

(١) تحرير التحبير ص ٤٩٩، بديع القرآن ص ٢١٢،
جوهر الكنز ص ٢١٦، خزنة الادب ص ٣٧٥،
معترك ج ١ ص ٣٩٦، الاتقان ج ٢ ص ٩٠،
شرح عقود الجمان ص ١٥٠، أنوار الربيع ج ٥
ص ٣٥٣، شرح الكافية ص ٢٧٤.

(٢) خزنة الادب ص ٣٧٥، نفحات ص ١٧٣.

(٣) شرح عقود الجمان ص ١٥٠.

(٤) اللسان (نكر).

(٥) اللسان (هجن).

(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٥٦.

(٧) اللسان (هذب).

(٨) البديع في نقد الشعر ص ٢٩٥.

لَمْ خَصَّتْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَغُرُوبَهَا دُونَ أَثْنَاءِ النَّهَارِ؟
فقال: لأنَّ وقت الطلوع وقت الركوب الى الغارات،
ووقت الغروب وقت قرى الضيفان، فذكرته في هذين
الوقتين مدحًا له بأنَّه كان يغير على اعدائه وَيَقْرِي
أضيافه.

وأخذ المصري وابن الاثير الحلبي والحموي
والسيوطي والمدني بتعريف ابن منقذ وأمثله^(١) وقال
الحموي: «هذا النوع أعني التنكيت يستحق لغرابته أن
يُعدَّ مع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع»^(٢)،
وقد عدَّه السيوطي مختصًا بالفصاحة دون البلاغة،
مثله في ذلك مثل الفرائد^(٣).

التَّنْكِيرُ:

النكرة إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة والنكرة
خلاف المعرفة، والتنكير خلاف التعريف^(٤). وقد
تقدَّم الكلام عليه في «التعريف والتنكير».

التَّهْجِينُ:

الهُجْنَةُ من الكلام ما يعيبك، والتهجين:
التقبيح^(٥).

قال ابن منقذ: «هو أن يصحب اللفظ والمعنى لفظًا
آخر ومعنى آخر يُزري به ولا يقوم حسن أحدهما
بقباحة الآخر»^(٦) فيكون كمدح بعضهم لعبد الله
البحلي حيث قال:

يُقَالُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ بَجِيلِهِ

نَعَمَ الْفَتَى وَبُسَّتِ الْقَبِيلَهُ

فقال عبد الله: ما مُدِح من هُجِّي قومه.

ومن ذلك قول النابغة:

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ يَقْضِهَا

نَظَرَ الْعَلِيلِ إِلَى وُجُوهِ الْعُودِ

هَجَّجَ البيت بذكر العلة.

ومنه قول بعض العرب:

الشعر وجودة الكلام وحسن سبكه وترتيبه.

ناصر الدولة:

وما كان لي عنها نُكُولٌ وإنَّما
تجاوزتُ عن حَقِّي ليغدولك الحَقُّ
فإنَّ سيف الدولة - كما قيل - كان قد عمِلَ أولاً
«وما كان لي نكول» ثم فطن إلى أنَّ هذا السَّبْكَ -
يستثقل لقرب الحروف المتقاربة المخارج، وإذا قدَّم
«لي» على لفظة «عنها» سهل التركيب وحصل
التهذيب.

ولم يخرج البلاغيون كابن الاثير الحلبي وابن قيم
الجوزية والحموي والمدني عما ذكره ابن منقذ
والمصري^(٤).

التَّهْكَمُ:

تهكّم على الأمر وتهكّم بنا: زَرَى علينا وعبث
بنا^(٥). وقال المدني: «التهكّم: التهدم في البئر
ونحوها، والاستهزاء والطعن المتدارك والتبخثر
والغضب الشديد والتندم على الأمر الفأث والمطر
الكثير الذي لا يطاق والتغني. والمقصود هنا المعنى
الثاني وهو الاستهزاء، وفي كونه منقولاً من التهدم -
كما قال بعضهم - أو الغضب - كما قال آخرون -
نظر، لأنّه قد ورد التهكّم بمعنى الاستهزاء في اللغة فأثي
داع إلى كونه منقولاً من معنى آخر؟ نعم هو في
الأصطلاح أخص منه في اللغة لأنّه في اللغة بمعنى
الاستهزاء مطلقاً، وفي الاصطلاح هو الخطاب بلفظ
الاجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع
التحذير، والوعد في مكان الوعيد، والعذر في موضع

وعقد المصري بابا لهذا الفن وقال: «التهذيب
عبارة عن تَزْدَادِ النظر في الكلام بعد عمله لينقح
ويُتنبه منه لما مرَّ على الناثر أو الشاعر حين يكون
مستغرق الفكر في العمل فيغير منه ما يجب تغييره
ويحذف ما ينبغي حذفه ويصلح ما يتعين اصلاحه
ويكشف عما يشكل عليه من غريبه وإعرابه ويحرر
ما لم يتحرر من معانيه وألفاظه حتى تتكامل صحته
وتروق بهجته»^(١). وذكر بعض ما يتصل بتنقيح
الشعر ووصية أبي تمام للبحثري في صناعة المنظوم،
وقال إنَّ التهذيب ثلاثة أقسام:

الاول: قسم يكون بعد الفراغ من نظم الكلام
بإعادة النظر في لينقحه ويحرره، وهذا القسم لا يقع
في الكتاب العزيز.

الثاني: قسم هو حسن الترتيب في النظم إما في
الارتقاء في الأدنى إلى الأعلى أو بتقديم ما يجب
تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره.

الثالث: قسم يعضد المعنى أو يقل التركيب أو
سوء الجوار، إما في حروف مفردات الكلمة فيتجنب
وقت التأليف تلك اللفظة التي وقع فيها ذلك من
المواضع الأول أو سوء الجوار في مجاورة الكلام
بعضه لبعض إذا كانت بهذه المثابة^(٢).

وقال المصري ايضاً: «إنَّ التهذيب لا شاهد له
يخصه لأنّه وَصِفَ يُعْمُ كل كلام منقح محرر، إلا أنّا
نلخص فيه ما يُعْرَفُ به وهو أن نقول: كل كلام قيل فيه
لو كان موضع هذه الكلمة غيرها أو لو تقدم هذا
المتأخر أو تأخر هذا المتقدم أو لو تمَّ هذا النقص أو
تكمل هذا الوصف أو لو حذفت هذه اللفظة بته أو لو
طرح هذا البيت جملة أو لو وضع هذا المقصد أو
تسهَّل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى
أبين، فهو خالٍ من التهذيب، عارٍ من التنقيح
والتأديب»^(٣).

ومن أمثلة ذلك قول سيف الدولة يخاطب أخاه

(١) تحرير التحبير ص ٤٠١.

(٢) بديع القرآن ص ١٥٨.

(٣) تحرير ص ٤٠٤.

(٤) جوهر الكنز ص ٢٩٥، الفوائد ص ٢١٨، خزنة
ص ٢٣٥، أنوار الربيع ج ٥ ص ١٤٩، نفحات
ص ١٨٠، شرح الكافية ص ٢٥٩.

(٥) اللسان (هكم).

اللوم، والمدح في معرض السخرية، ونحو ذلك»^(١). وكقول ابن الرومي:

فيا له من عمَلٍ صالحٍ
يَرْفَعُهُ اللَّهُ إِلَىٰ أَسْفَلِ

والفرق بين التهكم والهزل الذي يُراد به الجد أنّ التهكم ظاهره جدٌّ وباطنه هزل وهو ضد الأول؛ لأنّ الهزل الذي يُراد به الجدّ يكون ظاهره هزلاً وباطنه جدّاً.

ولا يخرج كلام الآخرين كابن مالك والحلي والنويري والعلوي والسبكي والحموي والسيوطي والمدني عما ذكره المصري في تعريف التهكم وأمثله^(٨).

التوأم:

التوأم من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن من الاثنين الى مازاد، وقد يستعار في جميع المزدوجات. وذهب بعض أهل اللغة الى أنّ توأم «فَوْعَلٌ» من الوثام وهو الموافقة والمشاكلة، يقال: هو يوائمني أي يوافقني^(٩).

والتوأم هو التشريع وقد تقدم، والذي سَمَّاه بهذا

(١) أنوار الربيع ج ٢ ص ١٨٥، وينظر خزنة الأدب ص ٩٨.

(٢) الرعد ١١.

(٣) الكشف ج ٢ ص ٤٠٣.

(٤) ينظر خزنة ص ٩٨، أنوار الربيع ج ٢ ص ١٩٣ - ١٩٤، شرح الكافية ص ٨٨.

(٥) تحرير التحرير ص ٥٦٨، بديع القرآن ص ٢٨٣.

(٦) النساء ١٣٨.

(٧) الدخان ٤٩.

(٨) المصباح ص ١١١، حسن التوسل ص ٣١٨،

نهاية الأرب ج ٧ ص ١٧٩، الطراز ج ٣

ص ١٦١، عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٢،

خزنة ص ٩٨، شرح عقود الجمان ص ١٣٠،

أنوار الربيع ج ٢ ص ١٨٥، نفحات الأزهار

ص ٦٢.

(٩) اللسان (تأم).

وذكر الزمخشري التهكم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقال: «يَحْفَظُونَهُ فِي تَوْهَمِهِ وَتَقْدِيرِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَي مِنْ قَضَايَاهُ وَنَوَازِلِهِ أَوْ عَلَى التَّهْكَمِ بِهِ»^(٣).

وقال المصري إنّ هذا الفن من مبتدعاته وذكر الآية السابقة وأشار الى الزمخشري، وكلامه حق إذا أريد به أنّه أول من عقد للتهكم باباً، لأنّ البلاغيين السابقين لم يذكروه^(٤). قال في تعريفه: «هو في الاستعمال عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء»^(٥)، ومثال البشارة قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٦)، ومثال الاستهزاء قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٧). ومثال المدح في موضع الاستهزاء قول ابن الدؤري في ابن أبي حُصَيْنَةَ مِنْ أَيْبَات:

لَا تَظُنَّنَّ حَدْبَةَ الظُّهْرِ عَيْبًا

فهي في الحسن من صفات الهلال

وكذاك القسيّ مُحَدَّوْدِيَاتٌ

وهي أنكى من الظُّبَا والعوالي

وإذا ما علا الشُّنَامُ فففيه

لقُرومِ الجِمالِ أيّ جِمالٍ

وذنابى القِطَاةِ وَهِيَ كَمَا تَعُدُّ

لَمْ كَانَتْ مَوْصُوفَةً بِالْجَلَالِ

وأرى الانحناء في منسّرِ البَا

زِيٍّ لَمْ يَعُدُّ مِخْلَبَ الرِّثْبَالِ

كَوْنَ اللَّهُ حَدْبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتُ

سَتْ مِنْ الْفَضْلِ أَوْ مِنْ الْإِفْضَالِ

فَأَتَتْ رَبْوَةً عَلَى طَوْدٍ جِلْمٍ

طَالٍ أَوْ مَوْجَةٍ بِبَحْرِ نَوَالِ

مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ

لَوْ غَدَتْ جِلْيَةً لِكُلِّ الرَّجَالِ

تعريفًا يختلف عن السابقين فقال: «التوارد ويسمى الإغراب والطفرة وهو أن يُذكَر الشيء المشهور على وجه غريب بزيادة أو تغيير يُصَيِّرُه غريبًا، وقد تقدم هذا في أنواع التشبيه وهو أن يكون وجه الشبه مشهورًا مبتدلاً ولكن يلحق به ما يصيِّرُه غريبًا خاصًا»^(٧).

التَّوَأْفُق:

التوافق: الاتفاق والتظاهر، وقد وافقه موافقةً ووفقًا واتفق معه وتوافقا^(٨).

ذَكَرَ القرشي التوافق ويريد به موافقة اللفظ للفظ ولكن بلغة أخرى. قال: «وقد يقارب اللفظ اللفظ او يوافقه وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية»^(٩). وليس هذا من البلاغة وإنما ذكر للتنبية.

التَّوْجِيه:

تَوَجَّه اليه: ذهب، ووجهته في حاجة ووجهت وجهي لله وتوجهت نحوك واليك^(١٠). وقال الحموي: «التوجيه مصدر تَوَجَّه الى ناحية كذا إذا استقبلها وسعى نحوها»^(١١). قال المدني: «وهو غلط واضح دل على عدم معرفته باللغة والصرف وأنه كان فيهما راجلا جدا، إذ لا يخفى على أصغر

الاسم المصري وقال: «وهذا الباب أيضا سَمَّاه الاجدابي «التشريع» وفَسَّرَه بأن قال: هو أن يبني الشاعر البيت أو النثر على قافيتين إذا اقتصر على إحدهما كان البيت له وزن وإن كَمَلَهُ على القافية الاخرى كان له وزن آخر وتكون القافيتان متماثلتين وتكونان مختلفتين. وهذه التسمية وإن كانت مطابقة لهذا المُسَمِّي فهي غير معلومة عند الكافة فسميته «التوأم» وهو أن يكون للبيت - كما ذكر قافيتان»^(١).

التَّوَارِد:

ورد فلان وروداً: حضر، وورد الماء وَرَدًا وورودًا وورد عليه: أشرف عليه. وَاَرَدَه. وَرَدَ معه، وتوردت الخيل البلدة: اذا دخلتها قليلاً قليلاً قطعة قطعة^(٢). وتوارد القوم الماءً وردواً معاً، والشاعران اتفقا على معنى واحد يوردانه جميعاً بلفظ واحد من غير أخذ ولا سماع. ذكر القاضي الجرجاني هذا النوع بمعنى توارد الخواطر والافكار^(٣)، وقال ابن منقذ: «هو أن يقول الشاعر بيتاً فيقوله آخر من غير أن يسمعه»^(٤)، كما قال امرؤ القيس:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وقال طرفة:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وكما قال كُثَيِّرُ عَزَّة:

يُذَكِّرُنِيهَا كُل رِيح مَرِيضَةٍ
لَهَا بِالتَّلَاعِ الْقَاوِيَاتِ نَسِيمٌ^(٥)

وقال جرير:

يُذَكِّرُنِيهَا كُل رِيح مَرِيضَةٍ
لَهَا بِالتَّلَاعِ الْقَاوِيَاتِ وَثِيْدٌ

وقال المظفر العلوي: «وإنما سَمَّوه توارداً أنفة من ذكر السرقة وتكبراً عن السمة بها»^(٦). وَعَرَفَهُ السبكي

(١) تحرير التعبير ص ٥٢٢، بديع القرآن ص ٢٣١، خزانة ص ١١٩، معترك ج ١ ص ٥٠، الاتقان ج ٢ ص ١٠٤، شرح عقود الجمان ص ١٥٥.

(٢) اللسان (ورد).

(٣) الوساطة ص ٥٢.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٢١٧.

(٥) القاويات: الخاليات.

(٦) نضرة الاغريض ص ٢١٨.

(٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠.

(٨) اللسان (وفق).

(٩) جمهرة أشعار العرب ص ١٠.

(١٠) اللسان (وجه).

(١١) خزانة الادب ص ١٣٥.

هو المقصود، وأما التوجيه فلا يرجح فيه أحد الوجهين، وهما كما قال ابن الاثير الحلبي: «حَدُّ التورية أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليهما ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لا ما استعمله. وَحَدُّ التوجيه أنه اللفظ المحتمل وجهين يحمل المتكلم مراده على أيهما شاء»^(١٢).

ولكن المصري عقد بابا للتوجيه وسماه «الإبهام» وقال: «هو أن يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما على الآخر ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك بل يقصد به إبهام الأمر فيهما قصداً»^(١٣). وهذا هو التوجيه عند السكاكي والقزويني وشراح التلخيص. وقد فَضَّل الحموي تسمية المصري فقال: «فتسمية النوع هنا بالابهام أليق من تسميته بالتوجيه ومطابقة التسمية فيه لا تخفى على أهل الذوق الصحيح، وهذا مذهب ابن أبي الاصبغ فإنه هو الذي تَخَيَّرَ الابهام»^(١٤)، وذلك لأن التوجيه عند المتأخرين:

- (١) أنوار الربيع ج ٣ ص ١٤٣.
- (٢) البقرة ١٠٤.
- (٣) معاني القرآن ج ١ ص ٦٩.
- (٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.
- (٥) الايضاح ص ٣٧٧، التلخيص ٣٨٤.
- (٦) النساء ٤٦.
- (٧) الكشاف ج ٢ ص ٤٠٠.
- (٨) حدائق السحر ص ١٣٢.
- (٩) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٠٠ المطول ص ٤٤٣، الاطول ج ٢ ص ٢١٩.
- (١٠) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٠١.
- (١١) تحرير التحبير ص ٢٦٨، بديع القرآن ص ١٠٢.
- (١٢) جوهر الكنز ص ١١١.
- (١٣) تحرير ص ٥٩٦، بديع القرآن ص ٣٠٦.
- (١٤) خزانة الادب ص ١٣٦، وينظر شرح عقود الجمان ص ١٢٧، أنوار الربيع ج ٢ ص ٥، ج ٣ ص ١٤٣، حلية اللب ص ١٤٧، نفحات =

الطلاب أن «التوجيه» مصدر وجهه الى كذا توجيهها، كما يقال: وجهت وجهي لله سبحانه. وقد يقال: وجهت اليك بمعنى توجهت لازما، واما تَوَجَّه فمصدره التوجه، وهذا أمر قياسي ولا يحتاج فيه الى سماع»^(١).

والتوجيه: إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين بأن يكون أحدهما مدحا والآخر ذما، وقد التفت الفراء الى هذا الاسلوب - وإن لم يُسمَّه - عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾^(٢) فيفهم منها الذم الذي أراده اليهود والمدح الذي قصده المسلمون حين رَغِبُوا في أن يراعاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -^(٣).

وأدخل السكاكي هذا النوع في المحسنات المعنوية وقال: «هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كقول من قال للأعور: «ليت عينيه سواء». وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع للأعور: «ليت عينيه سواء». وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع باعتبار»^(٤). وَعَرَّفَه القزويني بمثل ذلك^(٥) وأضاف الى كلام السكاكي تفسير قوله تعالى: ﴿وَاشْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾^(٦) نقلاً عن الزمخشري الذي سماه «ذا الوجهين»^(٧) لأنه يحتمل الذم أي: اسمع منا مدعواً عليك بلا سمعت، والمدح أي: اسمع غير مسمع مكروها. ونقله الوطواط من الزمخشري وسماه «المحتمل للضدين» وقال فيه: «ويُسمونه أيضاً بذئ الوجهين ويكون بأن يقول الشاعر بيتاً من الشعر يحتمل معنيين أحدهما للمدح والآخر للهجاء»^(٨).

وسار على خطا القزويني شراح التلخيص^(٩)، غير أن السبكي قال: «كذا أطلقه المصنف ويجب تقييده بالاحتمالين المتساويين، فانه إن كان أحدهما ظاهراً والثاني خفياً والمراد هو الخفي كان تورية»^(١٠).

وسمى المصري التورية توجيهاً^(١١)، وليس الأمر كذلك لأن التورية فيها معنيان: قريب وبعيد، والثاني

وظبي معانيه معانٍ بديعةً
له حازَ فكري إذ حوى كلَّ مُعْجَزِ
قَرَأْتُ مقاماتِ الحريريِّ كلَّها
بعارضةٍ مشروحةٍ للمطرزِي
ومن التوجيه بأسماء سور القرآن قول السراج الوراق:
كُلُّ قَلْبٍ عَلَيَّ كَالصَّخْرِ مَلَا
ن وهيهات أن تلين الصُّخُورُ
مُغْلَقُ البابِ ماتلا سورةَ الفتح
وقافٌ من دونها والطُّورُ
وفي كتاب «أنوار الربيع» كثير من ألوان التوجيه^(٥).

التَّوْرِيَّةُ:

وَرِيْتُ الخبر: جعلته ورائي وسترته، ووريت عنه
سترته وأظهرت غيره، والتورية الستر^(٦).
التورية تُسَمَّى الإيهام والتوجيه والتخييل
والمغالطة^(٧)، ويرى الحموي أن التورية أولى
=ص٩١، التبيان في البيان ص٢٤٥، شرح
الكافية ص١٢٢.
(١) خزانة الادب ص١٣٦، انوار الربيع ج ٣
ص١٤٤.
(٢) الطراز ج ٣ ص١٣٦.
(٣) البرهان ج ٢ ص٣١٤.
(٤) البرهان ج ٣ ص٤٤٥.
(٥) أنوار الربيع ج ٣ ص١٤٤ وما بعدها.
(٦) اللسان (ورى).
(٧) المثل السائر ج ٢ ص٢١٥، ٢١٩، تحرير التعبير
ص٢٦٨، بديع القرآن ص١٠٢، المصباح
ص١١٩، حسن التوسل ص٢٤٩، نهاية الارب
ج ٧ ص١٣١، مفتاح العلوم ص٢٠١، الايضاح
ص٣٥٣، التلخيص ص٣٥٩، الطراز ج ٣
ص٦٢، البرهان ج ٣ ص٤٤٥، خزانة
ص٢٣٩، الروض المريع ص١٢٢، الاتقان ج ٢
ص٨٣، شرح عقود الجمان ص١١٢، حلية اللب
ص١٣٦، نفحات ص١٨٨، التبيان في البيان
ص٢٤٣.

«أن يُوجه المتكلم بعض كلامه أو جملة الى أسماءٍ
متلازمة اصطلاحاً من أسماء الأعلام او قواعد
علوم أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون
توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير إشترك
حقيقي بخلاف التورية، وهذا هو مذهب الشيخ
صفي الدين»^(١).

وَعَرَّفَهُ العلوي بمثل ما عَرَّفَهُ السكاكي^(٢)، غير أنه
أَدْخَلَ فيه المدح بما يشبه الذم ومدح الشيء بحيث
يقتضي المدح بشيء آخر، وذكر في الخاتمة المثل
المشهور: «ليت عينيه سواء» وقال: «يحتمل أن
تكون العوراء مثل الصحيحة في الرؤية ويحتمل
عكس ذلك.

وَعَرَّفَهُ الزركشي بمثل تعريف السكاكي
والقزويني^(٣)، لكنه قال في مبحث التورية: «وتسمى
الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه»^(٤) وَعَرَّفَهَا بمثل
ما عرفها البلاغيون، وفي ذلك خلط بين الفنين اللذين
فرق بينهما السابقون. ومن التوجيه بأسماء الاعلام قول
ابن النقيب يهجو:

أَرِحْ ناظري من عابس الوجه يابسٍ
له خُلُقٌ صَعْبٌ ووجْهٌ مُقَطَّبُ
أَقُولُ له إذ آيستني صِفائهُ
وإن قيل إنِّي في المطامع أشعْبُ
متى يَظْفَرُ الآتي اليك بِسؤْلِهِ
ويَنْجَحُ من مَسْعاه قَصْدٌ وَمَطْلَبُ
ولوْمك سَيَّارٌ وشَرْكٌ ياسِرٌ
ووجْهك عَبَّاسٌ وخُلُقك مُصْعَبُ

وقول محيي الدين بن عبد الظاهر يصف نهرًا:

إذا فاحَرْتُهُ الرِيحُ وُلَّتْ عَليلَةٌ
بأذيالِ كُشبانِ الرَبى تَتَعَثَّرُ
به الفَضْلُ يبدو والرَبيعُ وكم غدا
به الرَوْضُ يحيى وهو لا شكَّ جَعْفَرُ

ومن التوجيه بأسماء الكتب قول بعضهم:

كالجاحظ الذي أراد بها التغطية واستعمال الحيلة^(٤). وتحدث عنها ابن رشيق في باب الإشارة وقال إن من أنواعها التورية^(٥) كقول عليّة بنت المهدي في ظلّ الخادم:

أيا سَرْحَةَ البستانِ طالَ تَشَوُّقِي
فهل لي الى ظلِّ اليك سَبِيلُ
متى يَشْتَفِي مَنْ ليس يُرجى خُرُوجُهُ
وليس لمن يَهْوَى اليه دخولُ

فورّت بـ«ظِلّ» عن «ظَلّ». والتورية عند ابن رشيق مثل الكناية وذلك أنّ الشيء لا يذكر باسمه وإنما يُكَنَّى عنه بشجرة أو شاة أو بيضة أو مهرة، كقول المسيب بن علس:

دعا شَجَرَ الأَرْضِ داعيَهُمْ
لِيَنْصُرَهُ السِّدْرُ والأَثَابُ^(٦)

فكَنَّى بالشجر عن الناس.

ولعلّ تعريف ابن منقذ أقرب الى المعنى الاصطلاحي فقد قال: «هي أنّ تكون الكلمة بمعنيين فتريد أحدهما فتُورِّي عنه بالآخر»^(٧). وأقرب من ذلك تعريف المصري وهو: «أنّ تكون الكلمة تحتل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله»^(٨).

(١) خزانة الادب ص ٢٣٩.

(٢) أنوار الربيع ج ٥ ص ٥.

(٣) خزانة ص ٢٣٩.

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٢٧٧، ٢٨٠.

(٥) العمدة ج ١ ص ٣١١.

(٦) السدر: شجر النبق. الأثاب: شجر ينبت في بطون الأودية بالبادية، وهو على ضرب التين ينبت ناعما كأنه على شاطئ نهر وهو بعيد من الماء.

(٧) البديع في نقد الشعر ص ٦٠.

(٨) تحرير التعبير ص ٢٦٨، بديع القرآن ص ١٠٢، وينظر المصباح ص ١١٩، جوهر الكنز ص ١١١، شرح الكافية ص ٣٥.

بالتسمية لقربها من مطابقة المسمى لأنّها مصدر ورّيت تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر^(١)، وذهب الى مثل ذلك المدني فقال: «التورية أقرب اسم سمي به هذا النوع لمطابقتها المسمى، لأنّه مصدر ورّيت الحديث، إذا أخفيته وأظهرت غيره»^(٢)

والتورية أنّ يذكّر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورّي عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع مع أول وهلة أنّه يريد القريب وليس كذلك، ولذلك سُمّي هذا الفن إيهاماً.

ولم يكن المتقدمون يعنون بهذا النوع كثيراً ولكن المتأخرين شغفوا به حباً وأكثروا منه وأصبح سمة في أشعارهم، وقد أشار الحموي الى ذلك بقوله: «لأنّ هذا النوع - أعني التورية - ما تنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حُذِّق الشعراء وأعيان الكتاب، ولعمري إنهم بدّلوا الطاقة في حسن سلوك الأدب الى أنّ دخلوا اليه من باب، فإنّ التورية من أعلى فنون الأدب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث في القلوب ويفتح لها أبواب عطف ومحبة، وما أبرز شمسها من غيوم النقد إلا كل ضامير مهزول، ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول»^(٣). وذكر أنّ المتنبي أول من كشف غطاءها وجلا ظلمة أشكالها بقوله:

برغم شيبِ فارِقِ السَّيْفِ كَفَّهُ

وكانا على العِلاّتِ يَضْطَحِبانِ

كأنّ رِقابَ الناسِ قالَتْ لسَيْفِهِ

رَفيقُكَ قَيْسِيٌّ وأنتَ يَماني

فهو يقول: إنّ كفّ شيب وسيفه متنافران لا يجتمعان، لأنّ شيباً كان قيسياً والسيف يقال له يمانى، فورّى به عن الرجل المنسوب الى اليمن، ومعلوم ما بين القيسيين واليمانيين من التنافر.

ولكنّ المتقدمين أشاروا اليها وإنّ لم يُغنوا بها

المعنى القريب المورّى به، والثالث يكون من لوازم
المعنى البعيد المورّى عنه.

الثاني: ليس كل لفظ مشترك يتصور فيه التورية،
بل لا بدّ من اشتهاار معانيه وتداولها على الألسنة
بخلاف اللغات الغريبة، إلا أن يختص قوم باشتهاار
لغة غريبة بينهم فينبغي اعتبار حال المخالط بها.

والتورية أربعة أنواع: التورية المبيّنة، والتورية
المجردة، والتورية المرشحة، والتورية المهيأة.

التورية المبيّنة:

وهي ما ذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية
أو بعده، وهي قسمان:

الأول: هو ما ذكر لازمه من قبل، كقول البحري:

ووراء تَسْدِيَةِ الْوِشَاحِ مَلِيَّةٌ
بِالْحَسَنِ تَمْلُحُ فِي الْقُلُوبِ وَتَعْدُبُ

ف«تملح» تحتمل أن تكون من الملوحة وهو
المعنى القريب المورّى به، وتحتمل أن تكون من
الملاحة وهو المعنى البعيد المورّى عنه، وقد تقدم
من لوازمه على جهة التبيين «ملية بالحسن».

الثاني: هو الذي يُذكر فيه لازم المورّى عنه بعد
لفظ التورية كقول ابن سناء الملك:

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠١.

(٢) طه ٥.

(٣) الكشاف ج ٣ ص ٥٢.

(٤) الزمر ٦٧.

(٥) حسن التوسل ص ٢٥٠، نهاية الأرب ج ٧

ص ١٣٢.

(٦) الأيضاح ص ٣٥٣، التلخيص ص ٣٥٩.

(٧) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢٢، المطول

ص ٤٢٥، الأطول ج ٢ ص ١٩٤.

(٨) الطراز ج ٣ ص ٦٢.

(٩) الفوائد ص ١٣٦.

(١٠) المنزاع البديع ص ٢٦٩.

(١١) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٤.

وقال الشكاكي في الإيهام: «هو أن يكون للفظ
استعمالان قريب وبعيد فيذكر لإيهام القريب في
الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد»^(١)، وهذا هو
تعريف التورية. وقد مثل له بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) ولكن الزمخشري قال في
تفسيرها: «إنها كناية عن الملك كما في قوله:
«يُدْفَلان مَبْسُوطَةٌ وَيُدْفَلان مَغْلُوبَةٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ جَوَادٌ أَوْ
بَخِيلٌ»^(٣). وبقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٤). وهي من
التخييل عند الحلبي والنويري^(٥)، وذلك أحسن من
أن يطلق على ما في كتاب الله من روعة وتخييل
لفظ الإيهام.

وفضّل القزويني مصطلح «التورية» وذكر أنها
تسمى إيهامًا، وقال: «هي أن يطلق لفظ له معنيان
قريب وبعيد ويراد بها البعيد»^(٦). وتبعه في ذلك
شراح التلخيص^(٧).

وقال العلوي: «إنّ هذا الاسم عبارة عن كل ما
يفهم منه معنى لا يدلُّ عليه ظاهر لفظه ويكون
مفهوما عند اللفظ به»^(٨). وأدخل فيها الكناية
والتعريض والمغالطة والاحاجي والالغاز وقال:
«فهذه الأمور كلها مشتركة في كونها دالة على
أمور بظواهرها ويفهم عند ذكورها أمور آخر غير ما
تعطيه بظواهرها».

وقال ابن قيم الجوزية: «هو أن يعلق المتكلم لفظة
من الكلام بمعنى ثم يردّها بعينها ويعلقها بمعنى
آخر»^(٩). وأدخلها السجلماسي في أنواع التعمية^(١٠).

ولا تخرج تعريفات البلاغيين الآخرين عن هذا
المعنى، وقد ذكر المدني تبيينهما: ^(١١)

الأول: الفرق بين اللفظ الذي تتهيأ به التورية
واللفظ الذي تترشح به واللفظ الذي تبيّن به، أن
الأول لو لم يذكر لما تهيأت التورية أصلاً، والثاني
والثالث إنما هما مقويان للتورية، ولم لم يُذكر
لكانت التورية موجودة، غير أن الثاني من لوازم

وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح «البيان»، ويحتمل القوة وعظمة الخالق، وهذا المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد، فإنّ الله تعالى مُنَزَّة عن المعنى الأول.

ومنها قول الحماسي:

فلما نأت عنا العشيرة كلُّها
أنخنا فحالفنا السيوف على الدَّهرِ
فما أسلمتنا عندَ يومِ كَريهيةٍ
ولانحن أغضينا الجفونَ على وثرٍ^(٥)

فإنّ «الإغضاء» مما يلائم جفن العين لا جفن السيف وإن كان المراد به أعماد السيوف؛ لأنّ السيف إذا اغمد انطبق الجفن عليه وإذا جرد انفتح.

الثاني: هو ما ذكر لازمه بعد لفظ التورية كقول الشاعر:

مذهمتُ من وَجدي في خالها
ولم أصلُ منه الى اللثمِ
قالت قفوا واستمعوا ما جرى
خالني قد هامَ به عمّي

فالخال يحتمل أن يكون خال النسب وهو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العمّ^(٦).

(١) خزانة الادب ص ٣٥٣، أنوار الربيع ج ٥ ص ١٠.

(٢) طه ٥.

(٣) المصباح ص ١١٩، الايضاح ص ٣٥٣، التلخيص

ص ٣٦٠، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢٢،

المطول ص ٤٢٥، الاطول ج ٢ ص ١٩٥،

خزانة ص ٣٥١، أنوار الربيع ج ٥ ص ٦.

(٤) الذاريات ٤٧.

(٥) الوتر: الثأر.

(٦) الايضاح ص ٣٥٣، التلخيص ص ٣٦٠، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٣٢٢، المطول ص ٤٢٥،

الاطول ج ٢ ص ١٩٥، خزانة الأدب ص ٣٥٢،

أنوار الربيع ج ٥ ص ٩.

أما والله لولا خوفُ سُخْطِكَ
لهانَ عليّ ما ألقى بِرَهْطِكَ
ملكتُ الخافقين فتَهتَ عُجْبًا
وليس هما سوى قلبي وقُرْطِكَ

يحتمل «الخافقين» أن يريد ملك المشرق والمغرب وهو المعنى القريب المورّى به ويحتمل أن يريد قلبه وقُرْطٌ محبوبته وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد فإنّ الشاعر صرّح بعد «الخافقين» بذكر القلب والقُرْط^(١).

التورية المجردة:

وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورّى عنه وهو المعنى البعيد. ومثاله قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) ولم يذكر من لوازم ذلك شي فالتورية مجردة. ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - حين سُئِلَ في مجيئه عند خروجه الى بدر فقيل له: مم أنتم؟ فلم يُرِدْ أن يعلم السائل فقال: «من ماء» أراد أنا مخلوقون من ماء، فورّى عنه بقبيلة يقال لها «ماء». ومنها قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في الهجرة وقد سُئِلَ عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: مَنْ هذا؟ فقال: «هادٍ يهديني». أراد هاديًا يهديني الى الاسلام، فورّى عنه بهادي الطريق، وهو الدليل الى السفر^(٣).

التورية المرشحة:

وهي التي يُذكر فيها لازم المورّى به وسُمّيت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورّى به، ثم تارةً يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارةً بعده، فهي بهذا الاعتبار قسمان:

الأول: هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنِينَا بِأَيْدِي﴾^(٤) فان قوله ﴿بِأَيْدِي﴾ يحتمل الجارحة وهو المعنى القريب المورّى به

التَّورِيَّةُ الْمُهَيَّأَةُ:

وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ إلا باللفظ الذي قبلها او باللفظ الذي بعدها أو تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر. فهي بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

الأوَّل: وهو الذي تتهيأ فيه التورية من قبل كقول، ابن سناء الملك:

وَسَيَّرْكَ فِينَا سَيْرَةَ عُمَيْرِيَّةِ

فَرَوَّحْتَ عَنْ قَلْبٍ وَأَفْرَجْتَ عَنْ كَرْبٍ

وَأَظْهَرْتَ فِينَا مِنْ سَمِيكَ سُنَّةً

فَأَظْهَرْتَ ذَاكَ الْفَرَضَ مِنْ ذَلِكَ النَّدْبِ

يحتمل «الفرض» و«الندب» أن يكونا من الأحكام الشرعية، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون «الفرض» بمعنى العطاء و«الندب» صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الأمور. وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، ولولا ذِكْرُ السُّنَّةِ لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم «الفرض» و«الندب» الحكمان الشرعيان اللذان صَحَّتْ بهما التورية.

الثاني: هو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعد، كقول الشاعر:

لَوْلَا التَّطِيرُ بِالْخِلَافِ وَإِنَّهُمْ

قَالُوا مَرِيضٌ لَا يَعُودُ مَرِيضًا

لِقَضِيَّتْ نَحْبًا فِي جَنَابِكَ خِدْمَةً

لَأَكُونَ مَنْدُوبًا قَضَى مَفْرُوضًا

فالمندوب يحتمل أن يكون أحد الأحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل الميت الذي يُكَي عليه وهو المعنى البعيد المورى عنه.

الثالث: هو الذي تقع التورية فيه في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر كقول عمر بن أبي ربيعة:

أَيْهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَا سُهَيْلًا

عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ

وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ «الثريا» ثريا السماء، و«سهيل» النجم المعروف بسهيل، وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن تكون الثريا بنت علي بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وهو المعنى البعيد المورى عنه^(١).

التَّوْزِيعُ:

التوزيع: القسمة والتفريق، ووَزَعُ الشَّيْءُ: قَسَّمَهُ وَفَرَّقَهُ^(٢).

هذا النوع من مستخرجات صفي الدين الحلبي في بديعته وشرحها، وهو «أن يوزع المتكلم حرفا من حروف الهجاء في كل لفظة من كلامه نظماً كان أو نثراً بشرط عدم التكلف»^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿كِي نُسَبِّحُكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرُكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾^(٤)، فالكاف ملزوم في جميع الكلمات سوى الفاصلة.

ومنه قول سليم النبلي من قصيدة لزم في كلماتها القاف:

رَشَقْتُ قَلْبِي أَحْدَاقُ الرِّشَاقِ

فَسَقَامِي لِسَقَامِ بِالْجِدَاقِ

وقول الحظوري وفي كل كلمة همزة:

بَأَبِي أَغِيدُ أَذَابَ فؤَادِي

إِذْ تَنَاءَى وَأَظْهَرَ الإِعْرَاضَا

(١) خزانة الادب ص ٣٥٣، أنوار الربيع ج ٥ ص ١١.

(٢) اللسان (وزع).

(٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٨٨، شرح الكافية ص ٢٦٢.

(٤) طه ٣٣ - ٣٥.

التَّوَسُّعُ:

السعة: ضد الضيق، والتوسع من توسع، قيل: توسعوا في المجالس اي تفسحوا^(١).

ذكره الجاحظ ويريد به أن يتوسع المتكلم في كلامه كأن يجعل الفروج فرحاً، ويجوز في الشعر ما لا يجوز في غيره^(٢). وقد قال: «والعرب تتوسع في كلامها وبأي شي تفاهم الناس فهو بيان إلا أن بعضه أحسن من بعض»^(٣).

وللتوسع غير هذا المعنى فقد ذكر الزركشي أن من التوسع الاستدلال بالنظر في الملكوت كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤).

ومنه التَّوَسُّعُ في ترادف الصفات كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ. ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا﴾^(٥). فإنه لو أريد اختصاره لكان: أو كظلمات في بحر لُجِّيٍّ.

ومنه التَّوَسُّعُ في الذم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ خِلَافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(٦)، الى قوله: ﴿عَلَى الْخُرُطُومِ﴾^(٧).

وسمَّاه السَّبْكِي «التوسيع» وقال: «وقد فسروه بأن يأتي في آخر الكلام بشي مفسر بمعطوف ومعطوف عليه مثل قوله:

إذا أبو قاسم جادَتْ لنا يَدُهُ

لم يُحَمَّدِ الأُجُودَانَ: البَحْرُ وَالْمَطَرُ

وهذا في الحقيقة أحد نوعي اللف والنشر»^(٨).

التَّوَسُّلُ:

الوسيلة: الدرجة والقربة، وتوسل اليه بوسيلة إذا

تقرب اليه بعمل، والتوسيل والتوسل واحد^(٩).

والتوسل هو الخروج والتخلص، قال ابن رشيق: «ومن الناس من يُسَمَّى الخروج تخلصاً وتوسلاً»^(١٠). وقد تقدم التخلص وبراعة التخلص.

التَّوَشِيحُ:

الوشاح: حلي النساء من لؤلؤ وجوهر تتوشح المرأة به ومنه اشتق توشح الرجل بثوبه، ووشحتها توشيحاً فتوشحت هي أي: لبسته^(١١).

والتوشيح هو الإرصاء والتسهيم عند معظم البلاغيين^(١٢)، غير أن ابن منقذ قال عنه: «هو أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول

(١) اللسان (وسع).

(٢) الحيوان ج ١ ص ١٩٩.

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٧.

(٤) البقرة ١٦٤.

(٥) النور ٤٠.

(٦) القلم ١٠ - ١١.

(٧) القلم ١٦.

(٨) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١.

(٩) اللسان (وسل).

(١٠) العمدة ج ١ ص ٢٣٦.

(١١) اللسان (وشح).

(١٢) نقد الشعر ص ١٩١، كتاب الصناعتين

ص ٣٨٢، اعجاز القرآن ص ١٤٠، العمدة ج ٢

ص ٣١، ٣٤، سر الفصاحة ص ١٨٧، الوافي

ص ٢٧١، الرسالة العسجدية ص ١٥٢، تحرير

التحبير ص ٢٢٨، ٢٣١، بديع القرآن ص ٩٠،

منهاج البلغاء ص ٩٤، المصباح ص ٩١،

الاقصى القريب ص ١١١، حسن التوسل

ص ٢٥٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٧، جوهر

الكنز ص ٢١٣، الطراز ج ٣ ص ٧٠، عروس

الافراح ج ٤ ص ٤٧١، البرهان ج ١ ص ٩٥،

خزانة ص ١٠٠، معترك ج ١ ص ٤٩، أنوار الربيع

ج ٣ ص ٣٢، نفحات ص ٢٣٥، شرح الكافية

ص ٧٤.

منه^(١)، كقول ابن المعتز.

التَّوْقِيفُ:

وَقَّفَ الحديث: بَيَّنَّه، وَقَفَّتْ الحديث توقيفاً وبينته تبييناً، ويقال وَقَفْتَهُ على الكلمة توقيفاً، والتوقيف: البياض مع السواد، والتوقيف: عقب يلوى على القوس رطباً لنا حتى يصير كالحلقة، مشتق من الوقف الذي هو السوار من العاج^(١١).

قال السبكي: «هو إثبات المتكلم معاني من المدح والوصف والتشبيه وغيرها من الفنون التي يفتح بها الكلام في جملة منفصلة عن أختها بالسجع غالباً مع تساوي الجمل في الزنة أو بالجمل الطويلة»^(١٢). كقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي

أَذْرِيُونَ أَتَاكَ فِي طَبَقِهِ
كَالْمِسْكِ فِي رِيحِهِ وَفِي عَبَقِهِ
قَدْ نَفَضَ الْعَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الـ
مَهْجَرُ بِالْوَانِهِمْ عَلَى وَرِقِهِ
فمدار البيت موضوع على أنه أصفر.

وقال ابن الاثير: هو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض واذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الاخرى كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت كالوشاح، وكذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور^(٢). والى ذلك ذهب ابن قيم الجوزية أيضاً فقال: «التوشيح أن تكون ذبول الأبيات ذات قافيتين على بحرین أو ضربين من بحر واحد فعلي أي القافيتين وَقَفَّتْ كان شعراً مستقيماً»^(٣). وهذا هو «التشريع» وقد يُسَمَّى «ذا القافيتين»^(٤)، وقد تقدم الكلام عليه في «التشريع».

وسمى العلوي «التضمين» تسميماً وتوشيحاً^(٥) على خلاف ما تعارف عليه البلاغيون.

التَّوْشِيحُ:

وَشَعَّ القُطْنُ وغيره ووَشَّعَهُ: لَفَّه، والتوشيح: دخول الشيء في الشيء^(٦). والتوشيح هو الاطناب بالتوشيح^(٧) وقد تقدم، وهو التطريز أيضاً^(٨).

التَّوْفِيقُ:

الْوِفَاقُ: الموائمة، والتوافق: الاتفاق والتظاهر، ويقال: وَقَّفَهُ اللّٰهُ - سبحانه - للخير ألهمه وهو من التوفيق^(٩).

والتوفيق هو الائتلاف والتناسب والمؤاخاة ومراعاة النظر^(١٠)، وقد تقدم الائتلاف والتناسب.

(١) البديع في نقد الشعر ص ٨٩.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٩، الجامع الكبير ص ٢٤٢.

(٣) الفوائد ص ٢٣٢، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٧.

(٤) المطول ص ٤٥٨.

(٥) نضرة الاغريض ص ١٩٠.

(٦) اللسان (وشع).

(٧) تحرير ص ٣١٦، المصباح ص ٨٠، حسن التوسل

ص ٢٧٤، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٨، جوهر

الكثر ص ٢٨١، الايضاح ص ١٩٦، التلخيص

ص ٢٢٣، الطراز ج ٣ ص ٨٩، شروح التلخيص

ج ٣ ص ٢١٥، المطول ص ٢٩٢، الاطول ج ١

ص ٤٢، خزانة ص ١٦٩، شرح عقود الجمان

ص ٧١، أنوار الربيع ج ٥ ص ١٨١، نفحات

ص ١٤٢، شرح الكافية ص ١٣٩.

(٨) كتاب الصناعتين ص ٤٢٥، البديع في نقد الشعر

ص ٦٤.

(٩) اللسان (وقف).

(١٠) الايضاح ص ٣٤٣، التلخيص ص ٣٥٤، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٣٠١، المطول ص ٤٢٠،

الاطول ج ٢ ص ١٨٧، خزانة ص ١٣١، شرح

عقود الجمان ص ١٠٨، أنوار الربيع ج ٣

ص ١١٩.

(١١) اللسان (وقف).

(١٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٨.

الليل ﴿١﴾.

ومن أمثلة توكيد المتصل بالمنفصل قوله تعالى:
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى. قَلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (٩).

التوكيد:

أكد العهد والعقد لغة في وَكَّدَهُ، والتأكيد لغة في التوكيد، وقد أكدت الشيء ووكدته (٢).
والتوكيد هو التأكيد (٣)، وقد تقدم.

ومن توكيد المنفصل بالمنفصل قول أبي تمام:

لا أنت أنت ولا الديار ديار
خَفَّ الهوى وتَوَلَّتِ الأوطار

ومنه قول المتنبي:

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
وَجَدُّكَ بِشْرُ الْمَلِكِ الْهُمَامِ

التوليد:

وُلِدَ الرجل غنمه توليدا كما يقال نَجَّحَ إبله (١٠)،
وقال المدني: «التوليد في اللغة مصدر: «وُلِدَتِ
القابلة المرأة» إذا تولت ولادتها، ووُلِدَتِ الشيء عن
غيره أنشأته عنه، وهو المنقول عنه الى
الاصطلاح» (١١).

تحدث البلاغيون والنقاد عن التوليد عند كلامهم
على السرقة، وكان هدف بعضهم نفيها عنه، فقال ابن
رشيق: «هو أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر
آخر تقدّمه أو يزيد فيه زيادة فلذلك يُسَمَّى التوليد وليس
باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره، ولا يقال له أيضا

توكيد الضميرين:

قال ابن الاثير: «إذا كان المعنى المقصود معلوما
ثابتا في النفوس فانت بالخيار في توكيد أحد الضميرين
فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه
فالأولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر في
الدلالة عليه لتقرره وثبته» (٦). وهذا ما تحدث عنه
ابن الاثير الحلبي في توكيد الضمير المتصل
بالمنفصل، ولكن ابن الاثير الجزري أوضح هذه
المسألة قبله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى
إِنَّمَا أَنْتَ ثَلَقِي وَإِنَّمَا أَنْتَ نَكُونُ نَحْنُ الْمَلْقِينُ﴾ (٧) وقد أتى
الضمير المتصل مؤكدا للمنفصل.

ومن أمثلة توكيد المتصل بالمتصل قوله تعالى:
﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ: أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا
زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ
إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٨).

- (١) فاطر ١٣.
- (٢) اللسان (أكد).
- (٣) الاقصى القريب ص ٩٩، التبيان ص ١١٠،
البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ٢٣٣.
- (٤) الأعراف ١١٥.
- (٥) جوهر الكنز ص ٢٥٧.
- (٦) المثل السائر ج ٢ ص ١٩، الجامع الكبير ص ١٥٢
وينظر الروض المريع ص ١٥١ - ١٥٩.
- (٧) الأعراف ١١٥.
- (٨) الكهف ٧٤ - ٧٥.
- (٩) طه ٦٧ - ٦٨.
- (١٠) اللسان (ولد).
- (١١) انوار الربيع ج ٥ ص ٣٢٣.

سرقة، اذا كان ليس آخذًا على وجهه»^(١). ومنه قول امرئ القيس:

سَمُوْتُ اليها بعدما نام أهلها
سُمُوُّ حَبَابِ المَاءِ حَالاً على حالِ

فقال عمر بن أبي ربيعة وقيل وضاح اليمن:

فاسقَطْ علينا كسَقوِطِ النَّدى

ليلةً لاناها ولا زاجرِ

فولد منه معنًى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس من غير أن يشركه في شيء من لفظه أو ينحو منحاه إلا في المحصول وهو لُطْفُ الوصول الى حاجته في خفية. وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل:

يَخْرُجْنَ من مُستطيرِ النَّعَمِ داميةً

كأنَّ آذانها أطرافُ أقلامِ

فقال عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال:

تُرْجِي أغنَّ كأنَّ أبرة رَوْقِهِ

قَلَمٌ أصابَ من الدَّوَاةِ مدادها^(٢)

فولد بعد ذكر القلم اصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى إذ كان القرن أسود.

والتوليد عند المصري ضربان^(٣): من الالفاظ والمعاني، فالذي من الالفاظ على ضربين أيضاً: توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره وتوليد من لفظ نفسه. والأول: هو أن يزوج المتكلم كلمة من لفظه الى كلمة من غيره فيتولد بينهما كلام يناقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية وذلك في الالفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة. مثاله ما حُكي أَنَّ مصعب بن الزبير وَسَمَ خيله بلفظة «عِدَّة» فلما قُتِلَ وصار الى العراق رآها الحجاج فوسم بعد لفظه «عِدَّة» لفظه «الفرار» فتولد بين اللفظتين غير ما أراده مصعب. وهذا ما سَمَّاه ابن منقذ التلطف وَعَرَّفَهُ بقوله: «هو أن يلفق كلاماً مع كلام آخر فيولد من الكلامين كلاماً ثالثاً»^(٤) وذكر المثال نفسه.

ومن لطيف التوليد قول بعض العجم، وهو توليد

المتكلم ما يريد من لفظ نفسه:

كأنَّ عِذاره في الخِدِّ لأم

ومَبَسِمَه الشهيِّ العَذْبِ صاد

وطُرَّة شَعْرِهِ لَيْلٌ بهيِّم

فلا عَجَبٌ إذا سرق الرقاد

فإن هذا الشاعر وُلِدَ من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة لص، وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فحصل في البيت توليد وإغراب وإدماج. قال المصري: «وهذا من أغرب ما سمعت في ذلك، وهو النوع الثاني من التوليد اللفظي»^(٥).

ومن توليد الالفاظ توليد المعنى من تزويج الجمل المفيدة، ومثاله ما حُكي أَنَّ أبا تمام أنشد أبا دلف:

على مِثْلِها من أرْبُعٍ وملاعبِ

أذيلتْ مَضُوناتُ الدموعِ السواكِبِ

فقال: «مَنْ أراد نكتة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» فولد بين الكلامين كلاماً ينافي غرض أبي تمام من وجهين:

أحدهما: خروج الكلام من النسيب الى الهجاء بسبب ما انضم اليه من الدعاء.

الثاني: خروج الكلام من أن يكون بيتاً من شعر الى أن صار قطعة من نثر. وهذا هو الضرب الأول من التوليد وهو ما تولد من اللفظ، وأما الضرب الثاني منه وهو ما تولد من المعاني فكقول القطامي:

قد يُدْرِكُ المتأني بَعْضَ حاجته

وقد يكونُ مع المستعْجِلِ الرُّلُّ

(١) العمدة ج ١ ص ٢٦٣.

(٢) الروق: القرن.

(٣) تحرير التحبير ص ٤٩٤، بديع القرآن ص ٢٠٧، وينظر المنصف ص ١٧ - ١٨.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٢٨٤.

(٥) تحرير التحبير ص ٤٩٥.

وقال من بعده:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله

إنَّ التخلُّقَ يأتي دونه الخُلُقُ

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامي بكماله ومعنى عجز البيت مولد بينهما.

وتحدّث ابن الأثير الحلبي عن التوليد بما يشبهه كلام المصري وتقسيمه^(١)، وقال السبكي: «هو أنَّ المتكلم يدرج ضرباً من البديع بنوع آخر فيتولد منهما نوع ثالث»^(٢).

وقال الحموي: «هذا النوع أعني التوليد ليس تحته كبير أمر وهو على ضربين: من الالفاظ والمعاني. فالذي من الالفاظ تزكُّه أولى من استعماله لأنه سرقة ظاهرة وما ذاك إلا أنَّ الناظم يستعذب لفظه من شعره غيره فيقتضبها ويضمنها غير معناها الأول في شعره كقول امرئ القيس في وصف الفرس:

وقد أغتدي والطيرُ في وُكناتِها

بمنجَرِدٍ قيدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

فاستعذب أبو تمام «قيد الأوابد» فنقلها الى الغزل فقال:

لها مَنْظَرٌ قَيْدِ الأوابِدِ لم يَزَلْ

يروحُ ويغدو في خَفارَتِهِ الحُبِّ

والتوليد من المعاني هو الأجل والأستر، وهو الغرض هنا. وذلك أنَّ الشاعر ينظر الى معنى من معاني مَنْ تقدمه ويكون محتاجاً الى استعماله في بيت من قصيدة له فيورده ويولد منه معنى آخر كقول القطامي:

قد يُدْرِكُ المتأني بعضَ حاجتِهِ

وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

وقال من بعده ونقص الالفاظ وزاد تمثيلاً وتوكيداً وتذيلاً:

عليك بالصَّبرِ فيما أنت طالِبُهُ

إنَّ التخلُّقَ يأتي دونه الخُلُقُ

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامي بكماله ومعنى عجزه نوع من التذييل^(٣).

التَّوْهِيمُ:

تَوَهَّمَ الشيء: تخيله وتمثله، ووهمت الى الشيء: اذا ذهب قلبك اليه وأنت تريد غيره، وتوهمت أي ظننت، وأوهمت غيري ايها ما. والتوهيم مثله. ووهم - بكسر الهاء - غلط وسها^(٤).

قال ابن منقذ: «هو أنَّ تجيء لكلمة تُوهم أخرى»^(٥) كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾^(٦) لأنَّ قوله - سبحانه - ﴿يُؤْفِكُهُمُ﴾ يُوهم من لا يحفظ دينهم - بالفتح - ومنه قول المتنبي:

فإنَّ الفِئامَ الذي حَوَّله

لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الأَرْؤُسَ

قوله «الأرؤس» يُوهم أنَّها القيام - بالقاف - وانما هو الفِئام - بالفاء - وهم الجماعات.

وقال المصري: «هو أنَّ يأتي المتكلم في كلامه بكلمة يُوهم ما بعدها من الكلام أنَّ المُتكلِّمَ أراد تصحيفها ومراده على خلاف ما يتوهم السامع فيها»^(٧).

ورأى الحموي أنَّ يُدمج التوهيم والترشيح في التورية فيذكر التوهيم مع إيها ما والترشيح مع المرشحة^(٨). وقال السيوطي: «الترشيح والتوهيم ولهما مناسبة بالتورية»^(٩)، ولكنَّ المدني فرَّق بين التورية والتوهيم وقال إنَّ الفرق بينهما من ثلاثة

(١) جواهر الكنز ص ٢٢٤.

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠.

(٣) خزانة الادب ص ٣٥٨، وينظر أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٢٣، نفحات ص ١٧٧، شرح الكافية ص ٢١٥.

(٤) اللسان (وهم).

(٥) البديع في نقد الشعر ص ٨٦.

(٦) النور ٢٥.

(٧) تحرير التحبير ص ٣٤٩، بديع القرآن ص ١٣١.

(٨) خزانة الادب ص ٣٩٢.

(٩) شرح عقود الجمان ص ١١٥.

أوجه^(١).

وبالشجر الذي له ساق.

ومن ذلك قول صفي الدين الحلبي:

وساق من بني الاتراك طفّل

أتيه به على جَمْعِ الرفاقِ

أملكه قيادي وهو رقي

وأفديه بعيني وهو ساقِي

فان ذكر العين يوهم أنه أراد بقوله «ساقِي» العضو المعروف الذي هو ما بين الركبة والقدم، وإنما أراد الساقِي. قال المدني بعد هذين البيتين: «وتوهم ابن حجة أنه قصد بذلك التورية فأورد البيتين في باب التورية وقال: لا شك أن مراده بالمعنى الواحد من التورية ساقِي الراح، وهو ظاهر صحيح، وبالمعنى الثاني أن يكون هذا الساقِي ساقًا للشيخ صفي الدين وهو غير ممكن^(٧). وهذا عمى بصيرة من ابن حجة عن المقصود، ولم يقصد الشيخ صفي الدين التورية وإنما قصد التوهيم»^(٨).

(١) انوار الربيع ج ٦ ص ٣٨.

(٢) تحرير ص ٣٤٩، بديع القرآن ص ١٣٢، عروس

الافراح ج ٤ ص ٤٦٩، انوار الربيع ج ٦ ص ٣٥.

(٣) الاعراف ١٥٦.

(٤) آل عمران ١١١.

(٥) النور ٣٣.

(٦) الرحمن ٥ - ٦.

(٧) ينظر خزانة الأدب ص ٣٤٨، نفحات ص ٢٨٠،

شرح الكافية ص ٢٢٨.

(٨) انوار الربيع ج ٦ ص ٣٧.

الاول: أن التورية تُوهم وجهين صحيحين قريباً وبعيداً، والمراد البعيد منهما، والتوهيم يوهم صحيحاً وفاسداً والمراد الصحيح منهما.

الثاني: أن التورية لا تكون إلا باللفظة المشتركة، والتوهيم بها وبغيرها.

الثالث: أن ايهام التورية مما يتعمده الناظم، والتوهيم مما يتوهمه القارئ أو السامع.

ويأتي التوهيم على وجوه مختلفة^(٢)، من ذلك التصحيف كقوله تعالى: ﴿أَصِيبُ بِه مِّنْ أَشَاءٍ﴾^(٣) فَإِنَّ اصَابَةَ الْعَذَابِ أَوْهَمَتِ السَّامِعَ أَنَّ لَفْظَةَ ﴿أَشَاءٍ﴾ بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ مِنَ الْإِسَاءَةِ. ومنه قول المتنبي: «وان الفيام...».

ومنه اختلاف الاعراب كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يِقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾^(٤) فان القياس ﴿ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ﴾ عطفاً على ما قبله، لكن لما كان الغرض الاخبار بأنهم لا يُنْصَرُونَ أبداً ألغى العطف وأبقى صيغة الفعل على حالها لتدل على الحال والاستقبال. ومنه اختلاف المعنى كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥) فانه يوهم السامع أنه غفور للمكره، وانما هولهم.

ومنه الاشتراك كقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٦). فان ذُكِرَ الشمس والقمر يُوهم السامع أن النجم أحد النجوم السماوية وإنما المراد به النبات الذي لا ساق له

الجيم

الجامع:

جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعًا، وأمر جامع يجمع الناس^(١).

الجامع هو الذي يجمع بين شيئين أو أكثر، وهذا من مصطلحات الوصل، أي هو الذي يجمع بين كل شيئين من الجملتين. وهو ثلاثة أقسام:

الأول: الجامع العقلي، وهو علاقة تجمع بين الشيئين في القوة المفكرة جمعًا يكون مسندًا إلى العقل بأن يكون أمرًا حقيقيًا أي واقعيًا في نفس الأمر من حيث هو هو. قال القزويني: «هو أن يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل، فإنَّ العقل بتجريده المثليين عن التشخص في الخارج يرفع التعدد. أو تضاف كما بين العلة والمعلول والسبب والمسبب والسفل والعلو والأقل والأكثر فإن العقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن»^(٢).

الثاني: الجامع الوهمي هو أن تجمعهما تلك الصلة في القوة المفكرة جمعًا يكون من جهة الوهم بأن لا يكون أمرًا حقيقيًا بل اعتباريًا ويكون أمرًا غير محسوس بأحدى الحواس الخمس الظاهرة فإنَّ الوهم باصطلاح القوم ما يحكم بالمعاني الجزئية غير المحسوسة. قال القزويني: «هو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلون بياض ولون صفرة فإنَّ الوهم يبرزهما في معرض المثليين، ولذلك حُسِّنَ الجمع بين الثلاثة التي في قوله:

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها

شمس الضُّحى وأبو إسحاق والقمر

أو تضادَّ كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضة والملاسة والخشونة وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيء والاقرار والانكار والايمان والكفر وكالمتصفات بذلك كالأسود والابيض والمؤمن والكافر. أو شبه تضادَّ كالسما والارض والسهل والجبل والأول والثاني، فإنَّ الوهم ينزل المتضادين والشبهيين بهما منزلة المتضايين فيجمع بينهما في الذهن ولذلك تجد الضد أقرب خُطورًا بالبال مع الضد»^(٣).

الثالث: الجامع الخيالي، وهو أن يكون بينهما علاقة تجمعهما في القوة المفكرة جمعًا اعتباريًا مسندًا لأحدى الحواس الخمس. قال القزويني: «هو أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق، وأسبابه مختلفة ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبًا ووضوحًا، فكم صور تتعاقب في خيال وهي في آخر لا تتراءى. وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم»^(٤).

(١) اللسان (جمع).

(٢) الايضاح ص ١٦٢، وينظر التلخيص ص ١٩٢،

مفتاح العلوم ص ١٢٤، شروح التلخيص ج ٣

ص ٧٦، المطول ص ٢٦٤، الأطول ج ٢ ص ١٩.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) المصادر السابقة.

الجزالة:

الجزل: الحطب اليابس وقيل الغليظ، ورجلُ جزلُ الرأي وامرأة جزلة بيّنه الجزالة: جيدة الرأي. واللفظ الجزل: خلاف الركيك^(٦).

قال ابن شيث القرشي عن الجزالة والسهولة: «وهذان النوعان من محاسن الكتابة فإن الكاتب الكيس يطلب أحدهما فإن وجد فيه المقصود وكان الكلام له فيه منقادًا وإلا طلب الآخر. وأكثر المطبوعين يميلون الى النوع الثاني وهو لعمرى خليق بالميل اليه لبعده من التكلف.

فالاول: «إن شئت لقانا فآلقنا في القنا، فان أسياقنا تشرئب الى شرب الدماء كما تشرئب الى الماء خواطر النفوس الظماء وتحب أن تخب بنا الجياد في الهيجاء كما يخب لسان الملجلج في الهجاء. فالغمرة الخمرة، والعجاجة الزجاجية ونحن شربها وندمانها وغيرنا قتيلا وسكرانها»^(٧).

والثاني: «أنت يا أخي وفقك الله أوذ إلى قلبي من الماء الزلال عند العطش وأحب الى ناظري من السفور عند الغيش. ولو أوتيت مطالبي لم أفارقك طرفة عين ولم أطالب الأنام من بعدك بشار ولا من قربك بدين، وقلبك شهيد دعواي وضميرك سمير نجواي، فما أحدثك من محنتي إلا بما أنت به عليم ولا أحدث بك من الشغف إلا ما هو عندك قديم. فصموتي إعراب وإعراضي إقبال على الثقة لا إضراب».

(١) الغاشية الآيات ١٧ - ٢٠.

(٢) الايضاح ص ١٦٤، التلخيص ص ١٩٤.

(٣) اللسان (جحد).

(٤) معالم الكتابة ص ٨١.

(٥) البديع ص ٦٥.

(٦) اللسان (جزل).

(٧) لقانا: مصدر لقي، فآلقنا: فعل أمر، القنا: جمع

قناة وهي الرمح. اشرب: رفع رأسه للشرب.

تخب: الخب: نوع من المشي. الغمرة: الشدة.

وللجامع أهمية عند البلاغيين في دراسة علم المعاني ولذلك قال القزويني: «ولصاحب علم المعاني فضل احتياج الى التنبه لأنواع الجامع لا سيما الخيالي فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في ذلك كالجمع بين الابل والسماء والجبال والارض في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(١) بالنسبة الى أهل الوبر فإن جُلَّ انتفاعهم في معاشهم من الابل فتكون عنايتهم مصروفة اليها وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر فيكثر تقلب وجوههم في السماء. ثم لا بدّ لهم من مأوى يؤويهم وحصن يتحصنون به، ولا شيء لهم في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مُكثهم في منزل عن التنقل من أرض الى سواها، فاذا فَتَشَّ البدوي في خياله وَجَدَ صور هذه الأشياء حاضرةً فيه على الترتيب المذكور بخلاف الحَضْرِي فاذا تلا قبل الوقوف على ما ذكرناه ظَنَّ النسق لجهله معيياً»^(٢).

الجحد:

الجحد والجحود: نقيض الإقرار كالإنكار والمعرفة، جحده جحدًا وجحودًا^(٣).

قال ابن شيث القرشي: «الجحد وهو أن تُنكر شيئًا لا تتحقق فيه الإنكار بل هو على حكم المبالغة. مثاله: «وقلبي قلق لما بلغني من تأملك ولا والله مالي بقلبي منذ بلغني ذلك عهد. وعندى من الألم ما لا يستطيع التصبر عنه، ولا والله ما أعرف الألم بعدم الاحساس بالحال التي أحدثها عند الوجد». وفي الشعر:

يقولون لو سَلَيْتَ قلبك لازعوى

فقلْتُ: وهل للعاشقين قلوبُ^(٤)

وهو الإفراط في الصفة عند ابن المعتز^(٥)، أي أنه مبالغة كما قرر ابن شيث نفسه.

الآخرون كالقزويني وشرح التلخيص والعلوي والحموي والسيوطي والمدني^(٦).

جَمْعُ الْأَوْصَافِ:

عَدَّه القاضي الجرجاني من أصناف البديع وقال بعد كلامه على التقسيم: «ومما يقارب هذا جمع الأوصاف»^(٧).

وقال ابن رشق بعد باب التقسيم: «هذا وما قبله يُسَمَّى جمع الأوصاف وسَمَّاه بعض الحدائق من أهل الصناعة التعقيب»^(٨). ومثال قول أبي دواد:

بَعِيدُ مَدَى الطَّرْفِ خَاطِي البُضِيعِ
مَمْرُ المَطَا سَمَهْرِي العَصْبِ

وقول النابغة:

حَدِيدُ الطَّرْفِ وَالْمَنْكِ

بِ وَالْعُرْقُوبِ وَالْقَلْبِ

وقد يُعَدُّ فيه التفضية والترصيع مثل قول الشاعر:

فَالعَيْنُ قَادِحَةٌ وَالرَّجْلُ ضَارِحَةٌ
وَاليَدُ سَابِحَةٌ وَاللَّوْنُ غَرَبِيْبٌ

(١) معالم الكتابة ص ٧٤ - ٧٥. العرار: واحدها

عرارة، وهو زهر اصفر ناعم طيب الرائحة.

(٢) اللسان (جمع).

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٥٢.

(٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.

(٥) الكهف ٤٦.

(٦) المصباح ص ١١٢، الايضاح ص ٣٥٧،

التلخيص ص ٣٦٣، شروح التلخيص ج ٤

ص ٣٣٥، المطول ص ٤٢٨، الاطول ج ٢

ص ١٩٩، الطراز ج ٣ ص ١٤٢، خزانة الادب

ص ٣٦١، معترك ج ١ ص ٤٠٣، الاتقان ج ٢

ص ٩٢، شرح عقود الجمان ص ١١٨، أنوار

الربيع ج ٣ ص ٣٧١، نفحات ص ١٤٧، التبيان

في البيان ص ٣٣١، شرح الكافية ص ١٦٦.

(٧) الوساطة ص ٤٧.

(٨) العمدة ج ٢ ص ٢٥.

وكثيرًا ما يقع الناس في هذين النوعين من الجهامة ويحسبونها من النوع الأول، وفي الركافة ويحسبونها من النوع الأول، وفي الركافة ويحسبونها من النوع الثاني. فالأول في الشعر كثير لا يحصى ومنه قول حبيب:

حُدِّي عِبْرَاتِ عَيْنِكَ مِنْ زِمَاعِي
وَصُونِي مَا أَزَلَّتِ مِنَ القِنَاعِ

أَقْلِي قَدْ أَضَاقَ بِكَ كَذَرَعِي
وَمَا ضَاقَتْ بِنَازِلَةِ ذِرَاعِي

أَلْفَةَ النَحِيْبِ كَمْ افْتَرَاقِ
أَطْلُ فَكُنْتُ دَاعِيَةً اجْتِمَاعِ

والثاني قليل في الاشعار إلا عند المحسنين الكبار وهو:

تَمَنَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدِ
فَمَا بَعْدَ العَشِيَةِ مِنْ عَرَارِ^(١)

الجَمْعُ:

جَمَعَ الشَّيْءَ عَنِ تَفْرِقَةٍ يَجْمَعُهُ جَمْعًا، وَجَمَعَتِ الشَّيْءَ إِذَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا.^(٢)

قال خلف الأحمر: «لم أَرَأِ أَجْمَعَ مِنْ بَيْتِ لَامِرِي القَيْسِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ
وَقَادَ وَذَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلَ

ولا أجمع من قوله:

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبِي وَسَاقَا نَعَامِي

وَإِرْحَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْقُلِ^(٣)

وأدخل السكاكي الجمع في المُحَسَّنَاتِ المعنوية وقال: «هو أن تدخل شيئين فصاعدًا في نوع واحد»^(٤). كقوله تعالى: ﴿المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٥). وقول الشاعر:

إِنَّ الفِرَاعَ وَالشَّبَابَ وَالجِدَّ

مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَي مَفْسَدَةٌ

وتبعه ابن مالك في التعريف والأمثلة والبلاغيون

والشدُّ مُنْهَمِرٌ والماءُ مُنْحَدِرٌ

والقُصْبُ مُضْطَمِرٌ والمتنُّ مَلْحُوبٌ^(١)

جَمْعُ الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلِفِ:

قال العسكري: «هو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة»^(٢)، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾^(٣). ومنه قول امرئ القيس:

سماحةٌ ذا وبرٌ ذا ووفاءٌ ذا

ونائلٌ ذا إذا صحا وإذا سَكَرَ

وقول أبي تمام:

غدا الشَّيْبُ مُخْتَطًّا بِفَوْدِي خِطَّةً

سبيلُ الردى منها إلى النَّفْسِ مَهْيَعٌ

هو الزُّورُ يجفَى والمعاشِرُ يُجْتَوِي

وذو الإلفِ يُقْلَى والجديدُ يُرْقَعُ

وسمَّاه التبريزي «جمع المؤتلفة والمختلفة» ولم يُعرِّفه^(٤) واكتفى ببيت امرئ القيس مثالا. وفعل مثله البغدادي وقال: «ويقال إنه لم يجمع واحد في بيت واحد جماعة أشياء قبله»^(٥).

وسمَّاه المصري «جمع المختلفة والمؤتلفة»، وقال: «والذي أقول في هذه التسمية إنها عبارة عن أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعانٍ مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فصل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتي لأجل الترجيح بمعانٍ تخالف معاني التسوية»^(٦). ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لَحَكِيمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٧).

ومنه قول الخنساء في أخيها وقد أرادت مساواته بأبيها مع مراعاة حقِّ الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها حقِّ الولد:

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا

يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً الْحُضْرِ

وَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا

صَقْرَانِ قَدْ حَطَّأَ إِلَى وَكْرٍ

حتى إذا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ

لُزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْعُذْرِ

وعلا هُتَافُ النَّاسِ أَيُّهُمَا

قال المجيبُ هناك: لا أُدْرِي

بَرَقَتْ صَحِيفَةٌ وَجْهٍ وَإِدِهِ

وَمَضَى عَلَى غُلُوبِهِ يَجْرِي

أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يَسَاوِيَهُ

لولا جلالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ^(٨)

قال المصري: «وأول من فتح باب هذا المعنى فيما أظن زهير حيث قال:

هو الجوادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَأُوهُمَا

على تكاليفه فمثله لِحَقًا

أو يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ

فمثل ما قَدَّما مِنْ صَالِحِ سَبَقًا

لكنَّ لشعر الخنساء من الفضل في هذا المعنى ما ليس لغيره وتداول الناس هذا المعنى بعدها وابتدله

(١) تضرح الحصا: تنحيه وتبعده. سابحة: تسير بلطف. غريب: أسود. الشد: العدو والجري، القصب: المعى.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٤٠١.

(٣) الأعراف ١٢٣.

(٤) الوافي ص ٢٨٨.

(٥) قانون البلاغة ص ٤٥٤.

(٦) تحرير التحرير ص ٣٤٤، بديع القرآن ص ١٢٧.

(٧) الأنبياء ٧٨ - ٧٩.

(٨) الحضر: الارتفاع في العدو. العذر جمع عذار. صحيفة: بشرة جلده. الغلواء: الغلو في الجري والسرعة فيه.

الشعراء»^(١)

«هو أن تدخل شيئين في معنى واحد وتفرق جهتي
الادخال»^(٦)، كقوله:

قد اسودَّ كالمسكِ صُدْغًا
وقد طاب كالمسكِ خُلْقا

فانه شبه الصُدغ والخلق بالمسك ثم فرق بين وجهي
المشابهة.

وذكر ابن مالك مثل ذلك،^(٧) وذكر الحلبي
والنويري بيتًا غير السابق وهو قول الوطواط:

فوجهك كالنارِ في صَوئِها
وقلبي كالنارِ في حرِّها^(٨)

وقال القزويني «شبه وجه الحبيب وقلب نفسه
بالنار، وفَرَّقَ بين وجهي المشابهة»^(٩)، وذكر قوله
تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(١٠). وتبع القزويني شرح
التلخيص والسيوطي والمدني^(١١).

ومن أمثلة هذا النوع قول مروان بن أبي حفصة:

(١) تحرير ص ٣٤٥.

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩.

(٣) خزنة الادب ص ٤٢٠، نفعات ص ١٥٣، شرح
الكافية ص ٢٧٦.

(٤) معترك ج ١ ص ٤٠٤، الاتقان ج ٢ ص ٩٢، شرح
عقود الجمان ص ١٣٩.

(٥) أنوار الربيع ج ٦ ص ٦٩.

(٦) مفتاح العلوم ص ٢٠١.

(٧) المصباح ص ١١٣.

(٨) حسن التوسل ص ٢٨١، نهاية الارب ج ٧
ص ١٥٣.

(٩) الايضاح ص ٣٥٩، التلخيص ص ٣٦٤.

(١٠) الاسراء ١٢.

(١١) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٣٨، المطول
ص ٤٢٩، الاطول ج ٢ ص ٢٠١، معترك ج ١
ص ٤٠٣، الاتقان ج ٢ ص ٩٢، شرح عقود
الجمان ص ١١٩، أنوار الربيع ج ٥ ص ١٦٨،
نفعات ص ١٦٠، التبيان في البيان ص ٣٣٣،
شرح الكافية ص ١٧٠.

ومن جمع المختلفة والمؤتلفة ضَرَبَ يأتي الشاعر
فيه بأسماء مؤتلفة ثم يصفها بصفات مختلفة كقول
الشاعر:

لله ليلتنا إذ صاحباي بها
بَدْرٌ وَبَدْرٌ سَمَاوِيٌّ وَأَرْضِيٌّ

إِنَّ الهوى والهواءَ الطَّلَقَ معتدلاً
هذا وهذا رَبِيعِيٌّ طَبِيعِيٌّ

بِئنا جميعاً وكُلُّ في السماع وفي
شَرِبِ المُدَامِ حِجَازِيٌّ عِرَاقِيٌّ

أُسْقَى وَأُسْقَى نَدِيمًا غَاب ثَالِثًا
فَالدَّوْرُ مِنَا يَمِينِيٌّ شِمَالِيٌّ

ومن جمع المختلفة والمؤتلفة قول العباس بن
الأحنف:

وَصَالِكُمْ صَرْمٌ وَحُبُّكُمْ قَلِيٌّ
وَعَطْفُكُمْ صَدٌّ وَسِلْمُكُمْ حَرْبٌ

فان الوصل والحب والعطف والسلم من المؤتلفة،
والصرم والقلبي والصد والحرب من المختلفة.

وسمَّاه السبكي بتسمية المصري ونقل تعريفه^(٢)،
ورجع الحموي الى مصطلح العسكري وقال: «هذا
النوع - أعني جمع المؤتلف والمختلف - ذَكَرَ
المؤلفون فيه أقوالاً كثيرة غير سديدة ومثله بأمثلة
غير مطابقة، ولم يحرره ويطابقه بالأمثلة اللائقة غير
الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع»^(٣) وذكر تعريفه
وأمثله.

وفعل مثله السيوطي^(٤)، وقال المدني: «هذا النوع
اختلفت فيه أقوال المؤلفين وَعَبَّرُوا عنه بعبارات غير
سديدة ومثَّلُوا له بأمثلة غير مطابقة»^(٥) ثم ذكر تعريف
المصري وأمثله كما فعل الحموي.

الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ:

أدخله السكاكي في المحسنات المعنوية وقال:

يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا
الَّذِينَ شَقُّوا ففِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خَالِدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ
رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ. وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ
رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ»^(٣).

وَعَلَّقَ الْقَزويني على كلامه تعالى بقوله: «أما
الجمع ففي قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا
بِإِذْنِهِ﴾ فَإِنَّ قَوْلَهُ ﴿نَفْسٌ﴾ متعدد معنى لأنَّ النكرة
في سياق النفي تَعْمٌ، وأما التفريق ففي قوله: ﴿فَمِنْهُمْ
شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، وأما التقسيم ففي قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ
شَقُّوا﴾ الى آخر الآية الثانية»^(٤).

وذكر قول ابن شرف القيرواني:

لمختلفي الحاجاتِ جَمْعٌ بيباه

فهذا له فَرٌّ وهذا له فَرٌّ

فللخاملِ العليا وللْمُعْدمِ الغنى

وللمذنبِ العُثْبى وللخائفِ الأَمْرُ

وتبعه في ذلك شَرَاخُ التلخيص والسيوطي
والمدني^(٥).

والجمع بين هذه الاشياء الثلاثة صعب ولذلك قال
الوطواط: «جمع هذه الأشياء الثلاثة مع بعضها مشكل
للغاية»^(٦).

(١) نهاية الايجاز ص ١١٦.

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٠١.

(٣) هود ١٠٥ - ١٠٨.

(٤) الايضاح ص ٣٦٠، التلخيص ص ٣٦٦.

(٥) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٤١، المطول

ص ٤٣٠، الاطول ج ٢ ص ٢٠٢، معترك ج ١

ص ٤٠٤، الاتقان ج ٢ ص ٩٢، شرح عقود

الجمان ص ١٢٠، أنوار الربيع ج ٥ ص ١٧٦،

التبيان في البيان ص ٣٣٦.

(٦) حدائق السحر ص ١٨٠.

تَشَابَهَ يَوْمَاهُ عَلَيْنَا فَأَشْكَلَا
فَمَا نَحْنُ نَدْرِي أَيُّ يَوْمِيهِ أَفْضَلُ
أَيُّومُ نَدَاهُ الْغَمْرُ أَمْ يَوْمُ بَأْسِهِ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَغْرُ مُحَجَّلُ
فإنَّه أدخل يوميه في التشابه والاشكال ثم فَرَّقَ بينهما
فجعل أحدهما للبذل والسماحة، والثاني للنجدة
والشجاعة.

وقول البحري:

ولما التقينا والنقا مَوْعِدٌ لَنَا

تَعَجَّبَ رَائِي الدَّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطَهُ

فَمِنْ لَوْلَا تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا

وَمِنْ لَوْلَا عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

فجمع المرئي من الدر والملقوظ منه في كونهما
متعجباً منهما، ثم فَرَّقَ بينهما فجعل الأول مجلواً عند
الابتسام وهو ثغره، وجعل الثاني مسقطاً عند المحادثة
وهو حديثه.

الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ:

ذكر الرازي الجمع والتفريق والتقسيم في وجه
واحد وقال: «وأما الجمع مع التفريق والتقسيم
فكقول الحاتمي:

وَمَنْ قَيَّدَ الْمَعْبُودَ قَيَّدَ عِبْدَهُ

وَذَلِكَ بَادٍ وَهُوَ خَافٍ عَلَى الْقَلْبِ

فَقَيْدُكَ فِي أَسْرِ وَقَيْدِي فِي الْأَسَى

وَذَلِكَ عَلَى أَجْلِ وَهَذَا عَلَى قَلْبٍ^(١)

وأدخله السكاكي في المحسنات المعنوية^(٢) وقال:
«كما إذا قلت:

فَكَالنَّارِ ضَوْءٌ وَكَالنَّارِ حَرًّا

مُحْيَا حَبِيبِي وَحُرْقَةً بِالِي

فَذَلِكَ مِنْ ضَوْئِهِ فِي اخْتِيَالٍ

وَهَذَا لِحُرْقَتِهِ فِي اخْتِلَالٍ

ولك أَنْ تُلْحَقَ بِهَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ - عَزَّ سُلْطَانُهُ - : ﴿يَوْمَ

الجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ:

أدخله السكاكي في المحسنات المعنوية وقال: «هو أن تجمع أمورًا كثيرة تحت حكم ثم تُقسّم أو تقسم ثم تجمع. مثال الأول قول المتنبي:

الدَّهْرُ مُعْتَدِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ
وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا

والنهب ما جمعوا والنار ما زرَعوا

فإنه جمع في البيت الأول أرض العدو وما فيها في كونها خالصة للممدوح وقسم في الثاني:

ومثال الثاني قول حسان - رضي الله عنه -:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ

أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تَلِكُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ

إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاغْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ

فانه قسم في البيت الأول حيث ذكر ضرهم للاعداء ونفعهم للاولياء ثم جمع في الثاني فقال: «سجية تلك»^(١).

وذكر ذلك ابن مالك والحلي والنويري والقزويني وشرح التلخيص والحموي والسيوطي والمدني^(٢).

الجِنَاسُ:

هو التَّجَانُسُ والتَّجْنِيسُ والمُجَانَسَةُ^(٣)، وقد تقدّم في «التجنيس». والذين سمّوه جناسًا ذكروا أقسامه بهذا الاسم وهي:

جِنَاسُ الإِشَارَةِ:

هو تجنيس الإشارة^(٤).

جِنَاسُ الإِشْتِقَاقِ:

هو تجنيس الاشتقاق ويُسمّى المقتضب أيضًا^(٥).

جِنَاسُ الإِضْمَارِ:

هو تجنيس الاضمار^(٦).

جِنَاسُ الإِطْلَاقِ:

هو تجنيس الاطلاق^(٧).

الجِنَاسُ التَّامُّ:

هو التجنيس التام^(٨).

جِنَاسُ التَّحْرِيفِ:

هو تجنيس التحريف، أو الجناس المحرف^(٩).

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠١.

(٢) المصباح ص ١١٣، حسن التوسل ص ٢٨٣، نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٤، الايضاح ص ٣٥٩، التلخيص ص ٣٦٥، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٣٩، المطول ص ٤٢٩، الأطول ج ٢ ص ٢٠١، خزانة الادب ص ٣٥٦، معترك ج ١ ص ٤٠٤، الاتقان ج ٢ ص ٩٢، شرح عقود الجمان ص ١٢٠، أنوار الربيع ج ٥ ص ١٧٣، نفحات ص ٢١٦، التبيان في البيان ص ٣٣٤، شرح الكافية ص ١٧١.

(٣) الايضاح ص ٣٨٢، التلخيص ص ٢٨٨، جوهر الكنز ص ٩١، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤١٢، المطول ص ٤٤٥، الأطوال ج ٢ ص ٢٢١، معترك ج ١ ص ٣٩٩، الاتقان ج ٢ ص ٩٠، شرح عقود الجمان ص ١٤٣، أنوار الربيع ج ١ ص ٩٧، جنى الجناس ص ٧٣، شرح الكافية ص ٦٠.

(٤) أنوار الربيع ج ١ ص ٢١٧.

(٥) معترك ج ١ ص ٤٠١.

(٦) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٠٩.

(٧) معترك ج ١ ص ٤٠١.

(٨) معترك ج ١ ص ٣٩٩، شرح عقود الجمان ص ١٤٣، خزانة الادب ص ٣٠، أنوار الربيع ج ١ ص ١٤٨، جنى الجناس ص ٧٣، نفحات ص ٣٧.

(٩) جوهر الكنز ص ٩٤، أنوار الربيع ج ١ ص ٨٥.

جِنَاسُ التَّرْجِيعِ:هو تجنيس الترجيع^(١).**الجِنَاسُ المُتَشَابِه:**هو التجنيس المتشابه^(١٢).**جِنَاسُ التَّرْكِيبِ:**هو تجنيس التركيب^(٢).**الجِنَاسُ المُتَوَازِن:**هو أن تتفق الكلمتان في الوزن وتختلفا فيما عداه^(١٣).**جِنَاسُ التَّصْحُفِ:**هو تجنيس التصحيف^(٣).**الجِنَاسُ المُتَوَجِّع:**

قال الشَّيْطَانِي وهو يَتَحَدَّثُ عن الجِنَاسِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْاِخْتِلَافُ بِأَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ: «سَمَّاهُ فِي التَّلْخِيسِ^(١٤) مَذِيلاً وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِمَا كَانَتْ الزِّيَادَةُ فِي الْآخِرِ فَإِنَّ كَانَتْ فِي الْأَوَّلِ فَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ مُتَوَجِّعًا... وَسَمَّاهُ فِي كَنْزِ الْبَلَاغَةِ^(١٥) تَرْجِيعًا لِأَنَّ الْكَلِمَةَ رَجَعَتْ بِذَاتِهَا بِزِيَادَةٍ»^(١٦). وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

جِنَاسُ التَّصْرِيفِ:هو تجنيس التصريف^(٤).**جِنَاسُ التَّنْوِينِ:**

قال السَّبْكَي: «وَهُوَ إِمَّا مَقْصُورٌ نَحْوَ شَجَى وَشَجَنٍ أَوْ مَنْقُوصٌ مِثْلَ مَطَاعِينَ وَمَطَاعٍ فِي قَافِيَةِ نُونِيَّةٍ»^(٥).

(١) جواهر الكنز ص ٩٥، جنى الجناس ص ٢٤٤.

(٢) جواهر الكنز ص ٩٧، شرح عقود الجمان ص ١٤٤.

(٣) جواهر الكنز ص ٩٤، جنى الجناس ص ١٨٠.

(٤) جواهر الكنز ص ٩٤، أنوار الربيع ج ١ ص ١٤٥.

(٥) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٣٢.

(٦) جواهر الكنز ص ٩٢.

(٧) معترك ج ١ ص ٤٠٠؛ جنى الجناس ص ١٨٠.

(٨) جواهر الكنز ص ٩٦، الطراز ج ٢ ص ٣٦٨،

خزانة ص ٣٩، أنوار الربيع ج ١ ص ١٩٥، جنى

الجناس ص ١٩٧.

(٩) معترك ج ١ ص ٤٠١.

(١٠) خزانة ص ٢٨، معترك ج ١ ص ٤٠٠، أنوار

الربيع ج ١ ص ١٤٠، نفحات ص ٣٣.

(١١) خزانة ص ٣٨، معترك ج ١ ص ٤٠٠، شرح

عقود الجمان ص ١٤٦، أنوار الربيع ج ١

ص ١٩٣، جنى الجناس ص ٢٦٧.

(١٢) الأطول ج ٢ ص ٢٢٤.

(١٣) شرح الفوائد الغيائية ص ٣٥٢.

(١٤) التلخيص ص ٣٩١، الايضاح ص ٣٨٦.

(١٥) جواهر الكنز ص ٩٥.

(١٦) شرح عقود الجمان ص ١٤٥.

الجِنَاسُ الْحَقِيقِيُّ:هو التجنيس الحقيقي^(٦).**جِنَاسُ الْخَطِّ:**هو التجنيس المصحف^(٧).**جِنَاسُ الْعَكْسِ:**هو التجنيس المعكوس والمقلوب^(٨).**جِنَاسُ الْقَلْبِ:**هو تجنيس القلب^(٩).**الجِنَاسُ الْوَالِغِيُّ:**هو التجنيس اللاحق^(١٠).**الجِنَاسُ اللَّفْظِيُّ:**هو التجنيس اللفظي^(١١).

الدنيا ونار وشار في الآخرة».

الجناس المَرْفُوفُ:

هو التجنيس المرفوف^(٩).

الجناس المُرَكَّبُ:

هو تجنيس التركيب^(١٠).

الجناس المَزْدُوجُ:

هو التجنيس المزدوج^(١١).

الجناس المُسْتَوْفَى:

هو التجنيس المستوفى^(١٢).

الجناس المُشْتَقُّ:

لم يعدّه ابن حجة من الجناس لأنّ معنى المشتق

(١) العاديات ١١.

(٢) البقرة ٦٢.

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٢٦٣، الجامع الكبير ص ٢٦٣.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٤٧.

(٥) خزانة ص ٣٦، معترك ج ١ ص ٤٠٠، شرح عقود

الجمان ص ١٤٤، الأطول ج ٢ ص ٢٢٤، أنوار

الربيع ج ١ ص ١٨٥، نفحات الأزهار ص ٢٧.

(٦) خزانة ص ٢٨، معترك ج ١ ص ٤٠٠، شرح عقود

الجمان ص ١٤٥، الأطول ج ٢ ص ٢٦٦، أنوار

الربيع ج ١ ص ١٣٤.

(٧) شرح عقود الجمان ص ١٤٥.

(٨) القيامة ٢٩ - ٣٠.

(٩) معترك ج ١ ص ٤٠١، شرح عقود الجمان

ص ١٤٤، أنوار الربيع ج ١ ص ١١١.

(١٠) خزانة الادب ص ٢٠، أنوار الربيع ج ١ ص ٩٨،

جنى الجناس ص ١٢١، نفحات الأزهار ص ١٢.

(١١) شرح عقود الجمان ص ١٤٧.

(١٢) شرح عقود الجمان ص ١٤٤، الأطول ج ٢

ص ٢٢٣، أنوار الربيع ج ١ ص ١٤٨.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾^(١)، وقوله ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾^(٢)،

وحديث الشيخين: «في الحبة السوداء الشفاء من كل

داء»، وحديث الديلمي: «ضَعْ بَصْرَكَ مَوْضِعَ سَجُودِكَ»

وقال البُستي:

أبا العباس لا تَحْسَبْ بِأَنِّي

بشيءٍ من حَلَى الأَشْعَارِ عَارِي

فَلِي طَبْعٌ كَسَلْسَالٍ مَعِينٍ

زَلَالٍ مِنْ دُرَى الأَحْجَارِ جَارِي

الجناس المُجَنَّبُ:

هو التجنيس المُجَنَّبُ^(٣).

الجناس المُجَنَّبُ:

قال الشُّيُوطِي: «هو أَنْ يَقَعَ أَحَدُ المَقْلُوبِينَ أَوَّلَ

البَيْتِ وَالأَخْرَ آخِرَهُ»^(٤) كقول الشاعر:

لَا حَ أَنْوَارُ الهُدَى

مِنْ كَفِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ

الجناس المُحَرَّفُ:

هو التجنيس المحرف^(٥).

الجناس المُذَيَّلُ:

هو التجنيس المُذَيَّلُ^(٦).

الجناس المَرْدُوفُ:

قال الشُّيُوطِي وهو يَتَحَدَّثُ عَنِ الجِنَاسِ النَاقِصِ:

«وهو قسمان: أحدهما أَنْ يَقَعَ الاختلاف بحرف

واحد إمّا في الأَوَّلِ أو الوَسْطِ أو الطَّرْفِ ويكون في

نوع أو نوعين، فالأَوَّلُ سَمِّيَتْهُ أَنَا بالمردوف لأنّ حرف

الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس»^(٧)، كقوله

تعالى: ﴿والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذ

المساق﴾^(٨)، وحديث الصحيحين: «الايمان

يمان»، وحديث الطبراني: «ترك الوصية عار في

قال القاضي الجرجاني: «ومعنى التمام واحد في الامرين ولو انفرد لم يعد تجنيسًا ولكن أحدهما صار موصولًا بالقمر والآخر بالليل فكانا كالمختلفين، وقد يكون من هذا الجنس ما تجانس به المفرد بالمضاف وقد تكون الاضافة اسمًا ظاهرًا ومكنيًا وقد تكون نسبا ومن أملح ما سمعت فيه قول أبي الفتح ابن العميد:

فإن كان مَسْخُوطًا فقلَّ شِعْرُ كَاتِبٍ

وإن كان مَرْضِيًّا فقلَّ شِعْرُ كَاتِبٍ^(٩)

الجناس المُطَرَّف:

هو التجنيس المُطَرَّف^(١٠).

الجناس المُطَلَق:

هو التجنيس المطلق^(١١).

الجناس المُطْمِع:

هو التجنيس المُطْمِع^(١٢).

(١) خزانة الادب ص ٢٥.

(٢) الكافرون ١ - ٤.

(٣) الفلق ٥.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٤٨، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٢١، جنى الجناس ص ٢٧٥.

(٥) خزانة ص ٣٦، شرح عقود الجمان ص ١٤٤، أنوار الربيع ج ١ ص ١٨٠.

(٦) معترك ج ١ ص ٤٠٠، جنى الجناس ص ١٨٠، نفعات ص ٣٣.

(٧) خزانة الادب ص ٢٩، معترك ج ١ ص ٤٠٠.

(٨) النكت في إعجاز القرآن ص ٩١، العمدة ج ١ ص ٣٣٠.

(٩) الوساطة ص ٤٢، وينظر جنى الجناس ص ٢٨٣.

(١٠) خزانة ص ٣٠، شرح عقود الجمان ص ١٤٥،

الاطول ج ٢ ص ٢٢٦، أنوار الربيع ج ١ ص ١٧١، نفعات الأزهار ص ٢٣.

(١١) خزانة ص ٢٠، أنوار الربيع ج ١ ص ١١٤، جنى الجناس ص ٢٧٢، نفعات ص ٢٩.

(١٢) شرح عقود الجمان ص ١٤٦، جنى الجناس ص ٢١٠.

يرجع الى أصل واحد، والمراد من الجناس اختلاف المعنى في ركنيه^(١). ومثال المشتق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾^(٢)، والجمع راجع الى العبادة والمعنى في الاشتقاق راجع الى أصل واحد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٣). ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم - : «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ومنه قول عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا

فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

ومن لطيف ذلك قول كشاجم في خادم أسود مشهور بالظلم:

يَا مُشْبَهًا فِي فِعْلِهِ لَوْنَهُ

لَمْ تَحْظْ مَا أَوْجِبَتِ الْقِسْمَةَ

فِعْلُكَ مِنْ لَوْنِكَ مُسْتَخْرِجٌ

وَالظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظُّلْمَةِ

الجناس المُشَوِّش:

هو التجنيس المُشَوِّش^(٤).

الجناس المُصَحَّف:

هو التجنيس المُصَحَّف^(٥)، وقال الشيوطي: «ويُسَمَّى جناس الخط»^(٦).

الجناس المُضَارِع:

هو التجنيس المضارع^(٧).

الجناس المُضَاف:

وهو ما سَمَّاهُ الرماني المزاجية^(٨)، كقول البحري:

أَيَا قَمَرَ التَّمَامِ أَعْنَتْ ظُلْمًا

عَلَيَّ تَطَاوَلَ اللَّيْلِ التَّمَامِ

الجِناسُ الْمُعْتَلُّ:

قال السبكي: «هو ما تقابل في لفظيه حرفا مدلولين متغايرين أصليان أو زائدان مثل: نار ونور وشمال وشمول»^(١).

الجِناسُ المَعكُوسُ:

هو التجنيس المعكوس^(٢).

الجِناسُ المَعنَوِيّ:

هو تجنيس المعنى أو المعنوي^(٣).

جِناسُ المُغايِرَةِ:

هو التجنيس المغاير^(٤).

الجِناسُ المَفروقُ:

هو التجنيس المفروق^(٥).

الجِناسُ المَقرونُ:

وهو الجناس المتشابه وهو «ما اتفق ركناه لفظًا وخطًا»^(٦)، كقول أبي الفتح البستي:

إذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَةٍ

فَدَعُهُ فَدَوْلُثُهُ ذاهِبَةٍ

الجِناسُ المَقصورُ:

قال السبكي: «ومنها التجنيس المقصور نحو سنا وسناء، ومثل جنا وجناح»^(٧).

الجِناسُ المَقلوبُ:

هو تجنيس القلب وجناس العكس^(٨).

الجِناسُ المُكْتَبَفُ:

قال السيوطي وهو يتحدّث عن أنواع الجناس الناقص: «والثاني سَمِيَتْه أنا بالمكتنف لأنّ حرف

الزيادة فيه مكتنف أي مُتوسِّط بين ما اكتنفاه»^(٩)، كقولهم: «جدي جهدي»، وحديث احمد: «الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة»، وحديث مسلم «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً».

الجِناسُ المُكْرَرُ:

هو التجنيس المكرر والمزدوج^(١٠).

الجِناسُ المُلقَقُ:

هو التجنيس المُلقَق^(١١).

الجِناسُ المَلْفوفُ:

أدخله السيوطي في جناس التركيب وقال: «هو ما ترَكَّبَ من كلمتين تامتين أو ثلاث كلمات»^(١٢). ويكون متشابهها وذلك بأن يتفقا في الخط كقول البستي:

إذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَةٍ

فَدَعُهُ فَدَوْلُثُهُ ذاهِبَةٍ

(١) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٣٢.

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٦١.

(٣) خزانة ص ٤١، شرح عقود الجمان ص ١٤٧، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٠٩، جنى الجناس ص ٢٧٧، نفعات ص ٢٠.

(٤) جواهر الكنز ص ٩٢، وينظر جنى الجناس ص ١٦١.

(٥) الأطول ج ٢ ص ٢٢٤، أنوار الربيع ج ١ ص ١٠٣.

(٦) أنوار الربيع ج ١ ص ٩٨.

(٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٣٢.

(٨) خزانة الادب ص ٣٨، أنوار الربيع ج ١ ص ١٩٥.

(٩) شرح عقود الجمان ص ١٤٥.

(١٠) شرح عقود الجمان ص ١٤٧.

(١١) خزانة ص ٢٧، شرح عقود الجمان ص ١٤٤.

أنوار الربيع ج ١ ص ١٢٦، نفعات ص ١٧.

(١٢) شرح عقود الجمان ص ١٤٤.

وقال الآخر:

عَضُّنا الدَّهْرَ بنايِه

ليتَّ ما حلَّ بنايِه

أو مفروقاً، وذلك بأنَّ يختلفا فيه كقول البستي:

كُلُّكُمْ قد أَحَذَ الجا

مَ ولا جَامَ لَنَّا

ما الذي ضَرَّ مُديرَ الـ

جَامَ لو جَامَلَنَّا؟

وقوله:

وإنَّ أَقرَّ على رَقٍ أَناملَه

أقرَّ بالرقِّ كُتَّابُ الأنامِ له

الجِناسُ المُمائِلُ:

هو التجنيس المماثل^(١)، وقال التفتازاني: «سُمِّيَ جناساً مماثلاً جرياً على اصطلاح المتكلمين من أنَّ التماثل هو الاتحاد في النوع»^(٢).

الجِناسُ النَّاقِصُ:

هو التجنيس الناقص^(٣).

جَوْدَةُ القَطْعِ:

قال شبيب بن شيبه: «الناسُ مُوكَّلون بتفضيل جَوْدَةِ الابتداء وبمدح صاحبه، وأنا مُوكَّل بتفضيل جودَةِ القِطْعِ وبمدح صاحبه»^(٤).

وجودة القِطْعِ هو الانتهاء وبراعة المقطع وحسن المقطع وحسن الخاتمة وحسن الختام، وقد تقدَّم «الانتهاء» و«براعة المقطع».

(١) جواهر الكنز ص ٩٣، شرح عقود الجمان ص ١٤٣، الأطول ج ٢ ص ٢٢٣، أنوار الربيع ج ١ ص ١٤٨.

(٢) المختصر ج ٤ ص ٤١٥.

(٣) معترك ج ١ ص ٤٠٠، شرح عقود الجمان ص ١٤٥، الأطول ج ٢ ص ٢٢٥.

(٤) البيان ج ١ ص ١١٢.

الحاء

الحالي:

أي: اتخذوا من دونه آلهة لا يأتون عليهم بسلطان بين.

حليت المرأة حليًا وهي حالٍ وحالية: استفادت حليًا أو لبسته^(١) والحالي هو الكلام الذي يُزيّن بألوان البديع، قال الكلاعي: «وإنما سَمَّينا هذا النوع الحالي لأنه حُلِّي بحسن العبارة ولطف الإشارة وبدائع التمثيل والاستعارة وجاء فيه من الأسجاع والفواصل ما لم يأت في باب العاطل»^(٢).

الحذف:

حَذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفًا: قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ، وَحَذَفُ الشيءِ: إسقاطه^(٣).

وذكر ابن رَشِيْق في باب «الإشارة»^(٤) نوعاً من الحذف ومثَّل له بقول نعيم بن أوس يخاطب امراته:

إِنْ شئتِ أَشْرَفْنَا جَمِيعًا فَدَعَا

اللَّهَ كُلَّ جِهَدِهِ فَأَسْمَعَا

بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَآ

وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ أَنْ تَأَ

كذا رواه أبو زيد الأنصاري وساعده من المتأخرين علي بن سليمان الأخفش وقال: لأنَّ الرجز يدل عليه، إلا أنَّ رواية النحويين «وإنَّ شَرًّا فآ» و«إلا أن تا» قالوا: يريد «وإنَّ شَرًّا فشر، وإلا أن تشائي» وانشدوا:

وذكر ابن شيث القرشي نوعاً من السجع سماه الحالي وقال: «فالسجع الحالي كل كلمتين جاءتا في الكلام المنشور على زنة واحدة تصلح أن تكون إحداهما قافية أمام صاحبتهما»^(٥) مثل: «فلان لا تدرك في المجد غايته ولا تنسخ من الفضل آيته»، وقوله - عليه الصلاة والسلام - في تعويد الحسن والحسين: «أعيزكما من الهامة السامة ومن كلِّ عَيْنٍ لامة»^(٦)، وقوله: «يَزْجَعْنَ مَأْزوراتٍ غَيْرَ مَأْجوراتٍ».

الحث والتحضيض:

الحث: الإعجال في اتِّصال، وقيل هو الاستعجال ما كان، حثَّه يحثُّه حثًّا واستحثه واحثته.

والحَضُّ: ضَرْبٌ مِنَ الحَثِّ فِي السَّيْرِ وَكُلُّ شَيْءٍ، حَضُّهُ يَحْضُهُ حَضًّا وَحَضَّضَهُ وَهُمْ يَتَحَضَّضُونَ^(٧).

والحث والتحضيض كالأمر^(٨)، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنْتِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾^(٩)، أي: اتتهم ومرهم بالاتقاء. وربما كان تأويلها النفي كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾^(١٠)

(١) اللسان (حلا).

(٢) إحكام صنعة الكلام ص ٩٧.

(٣) معالم الكتابة ص ٦٩.

(٤) الهامة: واحدة الهوام. اللامة: العين المصيبة.

(٥) اللسان (حث) و(حضض).

(٦) الصاحبي ص ١٨٧.

(٧) الشعراء ١٠ - ١١.

(٨) الكهف ١٥.

(٩) اللسان (حذف).

(١٠) العمدة ج ١ ص ٣١٠.

وقال الحموي: «هذا النوع - أعني الحذف - عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفاً من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف. وهذا هو الغاية كما فعل الحريري في المقامة السمرقندية بالخطبة المهملة التي أجمع الناس على أنها نسيج وحدها وواسطة العقد^(٤).

وقال الشيوطي: «هو أن يَحذفَ المتكلمُ من كلامه حروفاً من حروف الهجاء بلا تكلف ولا تعسف بأنَّ يحذفَ كل حرف موصول ويأتي بالجميع مقطوعة أو عكسه أو يحذفَ كل حرف منقوط ويأتي بالجميع مهملة أو عكسه، أو يأتي بكلامه متخالفاً حرف منه موصول وحرف مقطوع أو حرف معجم وحرف مهمل أو كلمة كل حروفها معجمة، وكلمة كل حروفها مهملة وهكذا، أو يلتزم حذف حرف واحد كالألف. نَبَّهَ على ذلك الرازي في نهاية الإيجاز^(٥) وللحريري من ذلك أشياء في المقامات^(٦).

وذكرَ المدني أنَّ هذا النوع من مستخرجات الإمام أبي المعالي عز الدين عبد الوهاب بن ابراهيم الزنجاني صاحب معيار النظار^(٧).

ومن أمثلة هذا النوع البديعي قصيدة صاحب اسماعيل بن عباد في مدح أهل البيت - عليهم السلام - وهي في سبعين بيتاً وقد عرَّاهَا من حروف

(١) حدائق السحر ص ١٦٦، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٣.

(٢) البيان ج ١ ص ١٤ - ١٦.

(٣) الطراز ج ٣ ص ١٧٥.

(٤) خزانة الادب ص ٤٣٩.

(٥) ينظر نهاية الايجاز ص ٢٢.

(٦) شرح عقود الجمان ص ١٥٦ وينظر الروض المريع ص ١٠٦، ١٠٩، ١٤٣، نفحات ص ٢٥٤، شرح الكافية ص ٢٧٦.

(٧) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٧٦.

ثم تنادوا بعد تلك الضوضا
منهم بهاتٍ وهل ويايا
نادى منادٍ منهم ألاتا
قالوا جميعاً كلهم بلى فا
وأنشد الفراء: «قلت لها قومي فقالت قاف» يريد:
قمت وللحذف دلالتان:

الأولى: ما ذكره البلاغيون في باب الإيجاز بالحذف وقد تقدّم.

الثانية: ما ذكره علماء البديع المتأخرون، قال الوطواط: «وتكون هذه الصنعة بأن يطرح الشاعر أو الكاتب حرفاً أو أكثر من حروف المعجم من نثره أو نظمه»^(١) ومثاله ما يروونه من أن أصل بن عطاء كان يلثغ بالراء فقيل له كيف تقول: «اطرح رمحك واركب فرسك» فقال: «ألق قناتك واغل جوادك». وهذا ما أشار اليه الجاحظ من اطراح وأصل لحرف الراء^(٢).

ومن أمثلة الحذف قول الحريري في مقدمة الخطبة التي أوردها في مقاماته وقد حذف منها كل الحروف المنقوطة: «الحمد لله الممدوح الاسماء، المحمود الآلاء، الواسع العطاء، المدعو لحسم اللأواء...». وحذف الحريري جميع الحروف المنقوطة من الأبيات:

أَعِدْ لِحَسَادِكَ حَدَّ السِّلَاحِ

وَأُورِدِ الْآمَلَ وَرَدَّ السَّمَّاحِ

وَصَارِمِ اللَّهْوِ وَوَضَلَ الْمَهَا

وَأَعْمَلَ الْكُومَ وَشُمَرَ الرَّمَاحِ

وَاشَعَ لِادْرَاكِ مَحَلِّ سَمَا

عِمَادِهِ لَا لِادْرَاعِ الْمَرَاكِ

وَاللَّهِ مَا السُّودُودُ حَسُوُ الطَّلَا

وَلَا مُرَادُ الْحَمْدِ رُوْدُ رَدَاكِ

قال العلوي عن هذا اللون من الحذف: «هو في مصطلح علم البيان عبارة عن التجنب لبعض حروف المعجم عن إيرادها في الكلام»^(٣).

الألف ومطلعها:

قَد ظَلَّ يَجْرُحُ صَدْرِي

مَنْ لَيْسَ يَعْدُوهُ فِكْرِي

وقصيدة ابي الحسن علي بن الحسين الهمداني التي
أخلاها من الواو ومطلعها:

بَرَقَ ذَكَرْتُ بِهِ الْحَبَائِبُ

لَمَّا بَدَأَ فَالْدَّمْعُ سَاكِبُ

وللحريري:

فَتَنَّتَنِي فَجَنَّتَنِي تَجَنِّي

بَتَفَنُّ يَفْتَنُّ غَبُّ تَجَنِّي

شَغَفَّتَنِي بِجَفْنِ ظَبِي غَضِيضُ

غَنَجُ يَقْتَضِي تَفِيضُ جَفَنِي

وفي البيتين حذف الحروف المهملة، وجاء الحريري
بالحروف متصلة.

الحذو:

يقال: حذا حذوه: أي فعل فعله، والحذو من أجزاء
القافية حركة الحرف الذي قبل الرفع، يجوز ضمته
مع كسرتة ولا يجوز مع الفتح غيره نحو ضمة قول مع
كسره قيل وفتحة قول مع فتحة قيل^(١).

وقال ابن منقذ عن الحذو والاتباع: «هو أن يكون
البيت على صناعة البيت الآخر»^(٢)، كما قال سحيم:

فَمَا بَيِّضَةٌ بَاتِ الظَّلِيمِ يُحِفُّهَا

وَيَرْفَعُ عَنْهَا جُؤْجُؤًا متجافيا

بِأَحْسَنَ مِنْهَا حِينَ قَالَتْ أَرَائِحُ

مَعَ الرُّكْبِ أَمْ ثَاوٍ لَدِينَا لِيَالِيَا

تبعه على هذا الحذو قوم كثير منهم من قال:

وَمَا قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ مُزِنٍ نَقَاذِفَتْ

بِهِ جَانِبُ الْجُودِيِّ وَاللَّيْلِ دَامِسُ

بِأَعْدَبَ مِنْ فِيهَا وَقَدْ دُقَّتْ طَعْمَهُ

وَلَكُنِّي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ

ومن ذلك لكثير:

وَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيْبَةُ الشَّرِي

يَمُحُّ جَشَّائِهَا وَعَرَاؤُهَا

بِأَطْيَبَ مِنْ أُرْدَانِ عَزَّةٍ مَوْهِنَا

إِذَا أُوقِدَتْ بِالْمُنْدَلِ الرُّطْبِ نَارُهَا

ومن ذلك قول بعضهم:

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ

فَحَلُّوْ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

حذاه الآخر فقال:

وَمَالِي مَالٌ غَيْرُ دَرْعِ حَصِينَةٍ

وَأَخْضَرُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ

وَأَحْمَرُ كَالِدِيَابِجِ أَمَّا سَمَاؤُهُ

فَرِيًّا وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمُحْوَلُ

والحذو في هذه الأمثلة لا يريد به الاتباع في المعاني
والالفاظ وإنما الأخذ بأسلوب السابق. ولكن الأمثلة
الآخرى التي ذكرها ابن منقذ تظهر الحذو في المعاني
والالفاظ الى جانب الاسلوب. من ذلك قول كثير:

وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةٍ بَعْدَمَا

تَوَلَّى شِبَابِي وَارْجَحَنَّ شِبَابُهَا

لِكَالْمَرْتَجِي مَاءً بِقَفْرَاءِ سَبَسَبِ

يُغَرُّ بِهِ مِنْ حَيْثُ عَنَّ سَرَابُهَا

وقوله يحذو نفسه أيضا:

وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةٍ بَعْدَمَا

تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ

لِكَالْمَرْتَجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كَلَّمَا

تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ

وأخذه جميل بن معمر فقال: «وإني وتطلابي بثينة
بعدها».

(١) اللسان (حذا) وينظر الموشح ص ٧.

(٢) البديع في نقد الشعر ص ٢١٢.

الحروف العاطفة والجارّة:

أدخل ابن الأثير هذا الموضوع في الصناعة المعنوية وقال: «إنَّ أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها فيجعلون ما ينبغي أن يُجرَّ بـ«على» بـ«في» في حروف الجر، وفي هذه الأشياء دقائق أذكرها لك»^(١).

أما حروف العطف فنحو قوله تعالى: ﴿والذي هو يُطعمني ويسقيني. وإذا مرضتُ فهو يشفيني والذي يُميتني ثم يُحيينني﴾^(٢)، فالاول عطفه بالواو التي هي للجمع وتقديم الإطعام على الإسقاء والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم، ثم عطف الثاني بالفاء لأنَّ الشفاء يعقب المرض بلا زمان حال من أحدهما ثم عطف الثالث بـ«ثم» لأنَّ الإحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جيء في عطفه بـ«ثم» التي هي للتراخي. ولو غيّر نسق الكلمات لصحَّ المعنى إلاَّ أنه لا يكون كمعنى الآية إذ كل شيء منها قد عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه.

وأما حروف الجر فإنَّ الصواب يشدُّ عن وضعها في مواضعها، ومما ورد منه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)، قال ابن الأثير: ألا ترى الى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر ههنا، فإنَّه إنما خولف بينهما في الدخول على الحق والباطل لأنَّ صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء. وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجه. وهذا معنى دقيق قلما يُراعى مثله في الكلام، وكثيراً ما سمعتُ اذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الأمور فيقول له: أنت على ضلالك القديم كما أعهدك فيأتي بـ«على» في موضع «في» وإن كان هذا جائزاً إلاَّ أن استعمال «في» ههنا أولى لما أشرنا إليه»^(٤).

حُسن الابتداء:

هو الابتداء، وقد تقدم. وهذه تسمية ابن المعتز فقد ذكّر في محاسن الكلام «حسن الابتداءات»^(٥) وقال إنَّه كقول النابغة:

كَلِينِي لَهُم يَا أُمِيمَةً نَاصِبٍ
وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

حُسن الإبتاع:

وهذا النوع من الأخذ أو السرقات الجيدة، قال المصري: «هو أن يأتي المُتكلم الى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحق بوجه من وجوه الزيادات التي وجب للمتأخر استحقاق معنى المُتقدّم إمّا باختصار لفظه أو قصر وزنه أو عدوثة قافيته وتمكنها أو تميم لنقصه أو تكميل لتمامه أو تحلته بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم ويوجب الاستحقاق»^(٦).

ونقل الحلبي والثوري والحموي والمدني كلام المصري^(٧)، ولم يبعد ابن الأثير الحلبي عنه كثيراً^(٨).

ومن ذلك قول عنتره:

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مَنْصِبًا
شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمَنْصِلِ

وقد أحسن منصور الفقيه اتباعه فقال:

- (١) المثل السائر ج ٢ ص ٥٠، الجامع الكبير ص ٢٠١.
- (٢) الشعراء ٧٩ - ٨١.
- (٣) سبأ ٢٤.
- (٤) المثل السائر ج ٢ ص ٥٣، الجامع الكبير ص ٢٠٣.
- (٥) البديع ص ٧٥.
- (٦) تحرير التحرير ص ٤٧٥، بديع القرآن ص ٢٠١.
- (٧) حسن التوسل ص ٢٩٨، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٦٥، خزانة الأدب ص ٤٠٩، أنوار الربيع ج ٦ ص ٥، نفحات ص ٢٢٢، شرح الكافية ص ٢٢١.
- (٨) جوهر الكنز ص ١٦٠.

حُسن الأَخذ:

يتصل هذا النوع بالسرقات، وهي مسألة لا بد منها لأنَّ اللاحق يتأثر بالسابق، قال العسكري: «ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصبّ على قوالب من سبقهم. ولكنَّ عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويرزوها في معارض تأليف ويوردوها في غير حليتها الأولى ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فاذا فعلوا ذلك فهم أحقُّ بها ممن سبق إليها. ولولا أنَّ القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول وإنما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين»^(١). ثم قال: «وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده وقصّر فيه عن تقدمه»^(٢). وهذا قريب من «حسن الاتباع» بل هو نفسه لأنَّ ما اشترطه العسكري ينطبق على النوعين. وقد استعمل مصطلح «حسن الاتباع»^(٣) وهو يتحدث عن «حسن الأخذ» فكأنه يريد بهما معنى واحداً. ومن ذلك قول وهب بن الحارث بن زهرة:

تبدو كواكبُه والشَّمْسُ طالعةٌ
تَجْرِي على الكأسِ منه الصابُ والمَقْرُ
أخذه النابغة فقال:

تبدو كواكبُه والشَّمْسُ طالعةٌ
لا النورُ نُورٌ ولا الإِظلامُ إِظلامٌ
وأخذ قول رجل من كندة في عمرو بن هند:
هو الشمسُ وافَتْ يومَ دَجْنٍ فأفضَلَتْ
على كُلِّ ضَوْءٍ والملوكُ كواكبُ
فقال:

(١) كتاب الصناعيتين ص ١٩٦.

(٢) كتاب الصناعيتين ص ١٩٧.

(٣) كتاب الصناعيتين ص ٢١٤.

مَنْ فاتني بأبيه
ولم يَفُتني بأمه
ورامَ شَمِي ظُلماً
سَكَتٌ عنِ نِصْفِ شَمِيهِ
ومن هذا الباب قول ابن الرومي:

تَخَذتكم دِرْعاً حَصِيناً لتدفعوا
نبالَ العِدا عني فكنتم نصالها
وقد كُنْتُ أرجو منكم خَيْرَ ناصرٍ
على حين خذلان اليمين شمالها
فإن أنتم لم تَحْفَظوا لمودّتي
ذمّاماً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا وِقْفَةً المعذور عني بمعزلٍ
وخلّوا نبالي للعدا ونبالها
فاتبعه ابن سنان الجفاجي الحلبي فقال:

أَعَدتكم لدفاعِ كلِّ مُلِمَّةٍ
عَوْنًا فكنتم عَوْنُ كلِّ مُلِمَّةٍ
وتَخَذتكم لي جُنَّةً فكأنما
نَظَرَ العدوُّ مَقَاتلي من جُنَّتِي
فلأَنفُضَنَّ يديَّ يأساً منكم
نَفْضَ الأناملِ من ترابِ الميِّتِ
ومن مليح الاتباع ما وقع بين ابن الرومي وأبي حية النميري فيما قاله، في زينب أخت الحجاج حيث قال:
تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ
به زَيْنَبُ في نِسْوَةِ عَطِرَاتِ
يُخْمِرْنَ أَطْرَافَ البَنانِ مِنَ الثَّقَى
ويُبرِزْنَ شَطْرَ الليلِ مُعْتَجِرَاتِ
فَهَنَّ اللواتي إنْ بَرَزْنَ قَتَلَنِي
وإنْ غَبْنَ قَطَعْنَ الحشا حَسْرَاتِ
وقد أتبع ابن الرومي أبا حية في البيت الأخير فقال:
ويلاه إنْ نظرتُ وإنْ هي أَعْرَضَتْ
وَقَعُ السَّهامِ وَنَزَعُهُنَّ أَلِيمُ

والايضاح يكون بالعبارة الفاضلة والعبارة النازلة وحسن البيان لا يكون إلا بالعبارة الفاضلة»^(٧). وقال المدني: «حسن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير، وإنما سُمِّي هذا النوع بحسن البيان لأنه عبارة عن الافصاح عما في النفس بألفاظ سهلة بليغة بعيدة عن اللبس من غير حشو مستغنى عنه يكاد يستر وجه حسن البيان ويغطي واضح التبيان»^(٨). وَسَمَّاهُ العُلُوي «كمال البيان»^(٩).

وَقَسَّمُوهُ إِلَى حَسَنٍ وَمَتَوَسِّطٍ وَقَبِيحٍ. فَالْقَبِيحُ كَبِيانٍ بِاقْلٍ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ ثَمَنِ ظَنِّي كَانَ مَعَهُ فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ: «أحد عشر» فادركه العي ففرق أصابع يديه وأدلع لسانه فأفلت الظبي. وهذا على مذهب المصري من الايضاح وليس من حسن البيان. والمتوسط كما لو قال خمسة وستة أو عشرة وواحد، والحسن لو قال: «أحد عشر» وهذا كالسابق ايضاح وليس حسن بيان، وإنما هو الكلام البليغ الذي يفصح عن المعنى. وهو معظم ما أنتجه الشعراء الفحول وكبار الكتاب.

حُسن التَّأليف:

قال العسكري: «حسن التأليف يَزِيدُ المعنى وضوحًا وشرحًا ومع سُوءِ التَّأليفِ وِرداءةُ الرِّصْفِ والتَّركيبِ شعبةٌ من التعمية، فإذا كان المعنى سببًا

- (١) جواهر الكنز ص ١٥٤.
- (٢) الفوائد ص ١٣٧.
- (٣) الايضاح ص ٤٣٤، التلخيص ص ٤٣٤، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٥٣، المطول ص ٤٨١، الاطول ج ٢ ص ٢٥٩، شرح عقود الجمان ص ١٧٥.
- (٤) إعجاز القرآن ص ٤١٥.
- (٥) تحرير التحبير ص ٤٨٩.
- (٦) بديع القرآن ص ٢٠٤.
- (٧) تحرير ص ٤٩٢، بديع القرآن ص ٢٠٥.
- (٨) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٩٠.
- (٩) الطراز ج ٣ ص ٩٩، وينظر نفحات ص ٣٢١، شرح الكافية ص ٣٠٩.

بأنك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يند منهن كوكب

وقال بشار:

مَنْ راقِبَ لَمْ يَظْفَرْ بِحاجتِهِ
وفازَ بالطيباتِ الفاتِكُ اللَّهْجُ

تبعه سلّم الخاسرُ فقال:

مَنْ راقِبَ النَّاسَ ماتَ غَمًّا
وفازَ باللَّذَةِ الجَسُورُ

حُسن الازْتِباط:

هو التمزيج أو حسن الترتيب أو حسن النسق^(١) وقد تقدم الكلام على التمزيج.

حُسن الِافْتِتاح:

هو حسن الابتداءات وقد تقدم. وهذه تسمية ابن قيم الجوزية^(٢).

حُسن الِانْتِهاء:

هو الانتهاء^(٣). وقد تقدم.

حُسن البَيان:

قال الباقلاني: فالبيان على أربعة أقسام: كلام وحال وإشارة وعلامة ويقع التفاضل في البيان»^(٤) ولم يُعرِّفه، غير أن المصري قال:

«حُسن البَيان عبارة عن الإبانة عما في النفس بألفاظ سهلة بليغة بعيدة من اللبس»^(٥). وقال: «وَحَقِيقَةُ حَسَنِ البَيانِ إِخْرَاجُ المَعْنَى فِي أَحْسَنِ الصُّورِ المَوْضُوحَةِ لَهُ وإِصْالَهُ إِلَى فَهْمِ المَخاطَبِ بِأَقْرَبِ الطَّرِيقِ وَأَسْهَلِهَا فَانهُ عَيْنُ البِلاغَةِ»^(٦). وقد تأتي العبارة عنه من طريق الايجاز وقد تأتي من طريق الاطناب بحسب ما تقتضيه الحال. وفَرَّقَ بينه وبين الإِشارة والايضاح فقال: «إنَّ الإِشارةَ لا تكون بلفظ الحَقِيقَةِ وحسن البَيان يكون بلفظ الحَقِيقَةِ وبغيره...»

حسنه أي أنه أروع من الثاني الذي جاء تشبيها عاما. وحُسْنُ التشبيه النوع الحادي عشر من محاسن الكلام عند ابن المعتز^(٨)، ولكنه لم يُعرّفه واكتفى ببعض الأمثلة من غير إيضاح، من ذلك قول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا
لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وقول عنتره:

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرٍ حُرَّةٍ
فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدِرْهِمِ

وقول بشار:

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كُرَّةٌ تَنْزَى
حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعُ الْحِذَارُ

وقول أبي نواس:

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ
كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ

وقول البحتري:

تُخْفِي الزَّجَاجَةُ نُورَهَا فَكَأَنَّهَا
فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بغيرِ إِنْاءٍ

وقول العلوي الأصفهاني:

(١) كتاب الصناعتين ص ١٦١.

(٢) الجامع الكبير ص ٦٥.

(٣) ينظر منهاج البلغاء ص ٢٢٢.

(٤) الموازنة ج ١ ص ٤٠٢.

(٥) الوساطة ص ٤٨، المصباح ص ١٢٥، الايضاح

ص ٤٣٢، التلخيص ص ٤٣٢، شروح التلخيص

ج ٤ ص ٥٣٥، المطول ص ٤٧٩، الأطول ج ٢

ص ٢٥٧، جوهر الكنز ص ١٥٧، الطراز ج ٢

ص ٣٣٠، خزانة الادب ص ١٤٩، شرح عقود

الجمان ص ١٧٣، أنوار الربيع ج ٣ ص ٢٤٠،

نفحات ص ١٢٣، التبيان في البيان ص ٣٨٢.

(٦) جوهر الكنز ص ١٥٤.

(٧) الكتاب ج ٢ ص ٢٩.

(٨) البديع ص ٦٨.

وَرَضْفُ الْكَلَامِ رَدِيًّا لَمْ يَوْجَدْ لَهُ قَبُولٌ وَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِ
طَلَاوَةٌ. وَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى وَسْطًا وَرَضْفُ الْكَلَامِ جَيِّدًا
كَانَ أَحْسَنَ مَوْقِعًا وَأَطْيَبَ مُسْتَمْعًا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْعَقْدِ إِذَا
جُعِلَ كُلُّ خِرْزَةِ مِنْهُ إِلَى مَا يَلِيْقُ بِهَا كَانَ رَائِعًا فِي
الْمِرْأَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَرْتَفِعًا جَلِيلًا، وَإِنْ اخْتَلَّ نَظْمُهُ
فُضِّمَتِ الْحَبَّةُ مِنْهُ إِلَى مَا لَا يَلِيْقُ بِهَا اقْتَحَمَتِ الْعَيْنُ
وَإِنْ كَانَ فَائِقًا ثَمِينًا^(١).

وقال ابن الأثير: «حسن التأليف أن توضع الألفاظ
في مواضعها وتجعل في أماكنها»^(٢)، ومعظم كلام
البلغاء متصف بذلك.

وخلاف ذلك وهو سوء التأليف قول أبي تمام:

يَا دَهْرُ قِيَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ

أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

وقول الفرزدق:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا

أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ^(٣)

وقال الآمدي: «وحسن التأليف وبراعة اللفظ
يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحُسْنًا ورؤنقًا حتى
كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم
تعهد»^(٤).

حُسْنُ التَّخْلِصِ:

هو التخلص أو براعة التخلص^(٥)، وقد تقدا.

حُسْنُ التَّرْتِيبِ:

هو التمزيج أو حسن الارتباط أو حسن النسق^(٦)،
وقد تقدّم الكلام عليه في التمزيج.

حُسْنُ التَّشْبِيهِ:

قال سيبويه: «تقول مررت برجل أسد أبوه» إذا
كنت تريد أن تجعله شديدًا، و«مررت برجل مثل
الأسد أبوه» إذا كنت تشبهه»^(٧). أي أنه فرّق بين
اسلوبين، فالاول فيه خفاء التشبيه وهو يدلُّ على

معنى مجرداً من كلام أو مثلاً سائراً أو جملة مفيدة أو فقرة من كلمة»^(٦). وقد سَمَّوا تضمين كلام الله «اقتباساً» وفَرَّقوا بين التضمين والاقتباس^(٧).

حُسن التَّغْلِيل:

هو التعليل^(٨)، وقد تَقَدَّمَ.

حُسن التَّقْسِيم:

هو التقسيم وقد تقدم.

حُسن التَّنْقِيل:

هو براعة التخلص أو التخلص^(٩) أو حسن التخلص، وقد تَقَدَّمَ التخلص.

حُسن الجَمْع:

هو الجمع، وقد تَقَدَّمَ.

حُسن الخاتِمة:

هو الانتهاء: وقد تَقَدَّمَ. وذَكَر المصري أنه من

(١) الرسالة العسجدية ص ١٦٢.

(٢) الدخان ٢٥ - ٢٦.

(٣) الدخان ٤٠.

(٤) يس ٧٨ - ٧٩.

(٥) البديع ص ٦٤.

(٦) تحرير التحرير ص ١٤٠، بديع القرآن ص ٥٢.

(٧) حسن التوسل ص ٢٣٨، نهاية الارب ج ٧

ص ١٢٦، الايضاح ص ٤١٨، ٤١٩.

(٨) أسرار البلاغة ص ٣٥٤، نهاية الايجاز ص ١١٦،

حسن التوسل ص ٢٢٣، نهاية الارب ج ٧

ص ١١٥، الايضاح ص ٣٦٧، التلخيص

ص ٣٧٥، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٧٣،

المطول ص ٤٣٦، الاطول ج ٢ ص ٢١٠، شرح

عقود الجمان ص ١٢٥، أنوار الربيع ج ٦

ص ١٣٦، نفحات الأزهار ص ١٦٥، البيان

في البيان ص ٢٦٠.

(٩) اعجاز القرآن ص ٥٦.

كَأَنَّ انتضاءَ البَدْرِ من تَحْتِ غَيْمِهِ

نَجَاءً من البَأْسَاءِ بَعْدَ وُقُوعِ

وهذه الأبيات من التشبيهات الحسنة عند ابن

المعتر.

حُسن التَّصَرُّف:

قال الصنعاني: «ومن أنواع الفصاحة بل هو معظمها وكبيرها حسن التصرف وهذا النوع لا يَحْضُلُ بالعمل ولا ينقاد للمتكلف بل لا بد له من العلوم الضرورية المعبر عنها بالطبع، وليس ذلك يَحْضُلُ من كثرة تعلم ولا ممارسة علوم ولا درس. وبهذا تفاضل الخطباء والشعراء وأصحاب الرسائل، فإذا تأملت تصرف القرآن في المعاني المقصودة عَرَفْتَ أَنَّهُ زائد في الحسن على جميع أقسام الكلام وأنواعه، ويشهد لك عقلك أنه ليس من كلام البشر لمجاورته في الحسن جميع كلامهم لأنك تجد عامة الناس إذا أخذوا في الاقتصاص والتصرف في المعاني المختلفة والأغراض المتباينة والمقاصد المتغايرة تضعف قواه ويهيئ نسجه وتزول بهجته ويظهر عليه الاختلال وحال القرآن بخلاف ذلك»^(١). ومن بديع التحذير من الاغترار بالامهال قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا من جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وزرورع ومقام كريم﴾^(٢). ومن جميل الوعيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣). ومن بليغ الحجاج قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا ونَسِي خَلْقَهُ، قال من يُحْيِي العِظَامَ وهي رَمِيم. قل يُحْيِيهَا الذي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وهو بَكُلِّ خَلَقٍ عَلِيم﴾^(٤).

حُسن التَّضْمِين:

حسن التضمين النوع الثامن من محاسن البديع عند ابن المعتر^(٥)، وهذا الفن هو التضمين الذي تقدم، ولكن السابقين نَوَّعوه فَشَمِلَ العروض واللغة والبلاغة. وحسن التضمين عند المصري: «هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو من آية أو

مُستخرجاته ولكن القاضي الجرجاني سمّاه «حسن الخاتمة»^(١)، وأشار إلى ذلك الحموي والمدني^(٢).

حُسْنُ الْخِتَامِ:

هو الانتهاء، وقد تقدّم.

حُسْنُ الْخُرُوجِ:

هو التخلص أو حسن التخلص أو براعة التخلص، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك وسمّاه كذلك ثعلب وتلميذه ابن المعتز^(٣). وسماه السجلماسي «التوجيه»، قال: وهو الخروج^(٤).

حُسْنُ الرَّصْفِ:

قال العسكري: «حسن الرصف أن تُوضع الالفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى وتضم كل لفظة منها إلى شكلها وتضاف إلى لفظها»^(٥). ثم قال: «ومن تمام حسن الرصف أن يخرج الكلام مخرجاً له طلاوة وماء وربما كان الكلام مستقيم الالفاظ صحيح المعاني ولا يكون له رونق ولا رواء ولذلك قال الاصمعي لشعر لبيد «كأنه طيلسان طبراني» أي هو محكم الأصل ولا رونق له»^(٦). وقال: «والكلام إذا خرج في غير تكلف وكد وشدة وتفكر وتعمُّل كان سلساً سهلاً وكان له ماء ورواء ورفراق، وعليه فرند^(٧) لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه»^(٨). وذلك مثل قول الحطيئة:

هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ

مِنَ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاءُوا

وقوله:

لَهُمْ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا

تَسَاقُطُ مَاءِ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ

وكقول أشجع السلمي:

قَضَّرَ عَلَيْهِ تَحِيَّةً وَسَلَامًا
نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ

وَإِذَا سَيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعِدَا
طَارَتْ لَهُنَّ عَنِ الْفِرَاحِ الْهَامُ

بَرَقَتْ سَمَاؤُكَ لِلْعَدُوِّ فَأَمْطَرَتْ
هَامًا لَهَا ظِلُّ السَّيُوفِ غَمَامُ

رَأَى الْإِمَامَ وَعَزَّمَهُ وَحَسَامُهُ
جُنُدًا وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ قِيَامُ

وكقول النمر:

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً
إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحُ

فَالْمَالُ فِيهِ تَجِلَّةٌ وَمَهَابَةٌ
وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحُ

وكقول الآخر:

نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأَسْقَطَ نَجْمُهُمْ
وَالنَّجْمُ يَسْقُطُ وَالْجُدُودُ تَنَامُ

وكقول الآخر:

لَعَنَ الْإِلَهُ تَعِلَّةَ بَنٍ مُسَافِرٍ
لَعْنًا يُشْنُّ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ

ثم قال العسكري: «ففي هذه الأبيات مع جودتها رونق ليس في غيرها مما يجري مجراها في صحة المعنى وصواب اللفظ».

وقال عن سوء الرصف: «وسوء الرصف تقديم ما

(١) الوساطة ص ٤٨.

(٢) خزائن ص ٤٦٠، انوار الربيع ج ٦ ص ٣٢٤، التبيان في البيان ص ٣٧٨.

(٣) البيان ج ٣ ص ٣٦٦، قواعد الشعر ص ٥٠، البديع ص ٦٠.

(٤) المنزعة البديع ص ٤٧٢، المنصف ص ٨٢.

(٥) كتاب الصناعتين ص ١٦١.

(٦) كتاب الصناعتين ص ١٧٠.

(٧) الفرند: وشي السيف.

(٨) كتاب الصناعتين ص ١٧١.

وتحدث العسكري أيضًا عن حسن المقطع وقال:
«ومن حسن المقطع جودة الفاصلة وحسن موقعها
وتمكنها في موضعها^(٨)». وهو ثلاثة أضرب:

الأول: أن يضيق الشاعر موضع القافية فيأتي بلفظ
قصير قليل الحروف فيتمم به البيت، كقول زهير:

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
وَلَكُنْتُ عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِي

وقول النابغة:

كَالْأَقْحَوَانِ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ
جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

الثاني: أن يضيق به المكان أيضا ويعجز عن إيراد
كلمة سالمة تحتاج الى إعراب ليتم بها البيت فيأتي
بكلمة معتلة لا تحتاج الى الإعراب فيتمه بها، كقول
امرئ القيس:

بَعَثْنَا رَبِيًّا قَبْلَ ذَاكَ مُخَمَّلًا
كَذُئِبِ الْغَضَا يَمْشِي الضَّرَاءَ وَيَتَقِي

وقول زهير:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو
وَأَقْفَرُ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فَالْثِقْلُ

وقول الحطيئة:

- (١) كتاب الصناعتين ص ١٦١.
- (٢) الفوائد ص ١٣٧، التبيان في البيان ص ٣٧٨.
- (٣) الفاتحة ٥.
- (٤) الشعراء ٧٧ - ٧٨.
- (٥) الشعراء ٨٣.
- (٦) معترك ج ١ ص ٦٢، التبيان في علم البيان ص ٣٨٥.
- (٧) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٣٧، حدائق السحر ص ١٢٧، الفوائد ص ١٣٨، أنوار الربيع ج ٦ ص ٣٢٤، التبيان في البيان ص ٣٨٧، شرح الكافية ص ٣٣٣ وفيه «براعة الختام».
- (٨) كتاب الصناعتين ص ٤٤٣.
- (٩) كتاب الصناعتين ص ٤٤٥.

ينبغي تأخيرها منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير
صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها. قال
العتابي: الألفاظ أجساد والمعاني أرواح وإنما تراها
بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرًا أو أخرت
منها مقدمًا أفسدت الصورة وغيّرت المعنى كما لو
حوّل رأس الى موضع يد أو يد الى موضع رجل
لتحوّلت الخلقة وتغيرت الحلية. وقد أحسن في هذا
التمثيل وأعلم به على أن الذي ينبغي في صيغة الكلام
وضع كل شي منه في موضعه ليخرج بذلك من سوء
النظم^(١).

حُسْنُ الْمَطَالِعِ وَالْمَبَادِي:

هو براعة الاستهلال أو براعة المطلع أو حسن
الابتداء أو حسن الافتتاح^(٢).

حُسْنُ الْمَطْلَبِ:

قال الشيوطي بعد أن تكلم على التخلّص والفرق
بينه وبين الاستطراد: «ويقرب منه حسن المطلب، قال
الزنجاني والطبيي: وهو أن يخرج الى الغرض بعد
تقدمة الوسيلة كقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾^(٣). قال الطبيي: ومما اجتمع فيه حسن
التخلص والمطلب معا قوله تعالى حكاية عن
إبراهيم: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي
خَلَقَنِي﴾^(٤) الى قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا
وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٥).

حُسْنُ الْمَقْطَعِ:

هو الانتهاء وبراعة المقطع وحسن الخاتمة، وقد
سمّاه كذلك الثعالبي والوطواط وابن قيم الجوزية
والتيفاشي^(٦) وكان العسكري قد تحدث عن ذلك
فقال: «وقلما رأينا بليغا إلا وهو يقطع كلامه على
معنى بديع أو لفظ حسن رشيق»^(٧) وقال: «فينبغي
أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها وأدخل
في المعنى الذي قصدت له في نظمها».

أَنْ يُحْشَى الْبَيْتَ بِلَفْظٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِاقَافَةِ الْوِزْنِ»^(٦)،
كقول أبي عدي القرشي:

نحن الرؤوس وما الرؤوسُ إذا سَمَتْ
في المجدِّ للأقوامِ كالأذنانِ
فقوله: «للاقوام» حشو.

ونقل المرزباني كلام قدامة ومثاله^(٧)، وقال
الحاتمي «وهذا باب لطيف جداً لا يتيقظ له إلا
من كان متوقداً القريحة متباصراً الآلة، طباً بمجاري
الكلام عارفاً بأسرار الشعر، متصرفاً في معرفة
أفانيه»^(٨).

وذكر العسكري ثلاثة أضرب للحشو: اثنان منها
مذمومان وواحد محمود، فأحد المذمومين أن يدخل
في الكلام لفظ لو سقط لكان الكلام تاماً مثل قول
الشاعر:

أَنْعَى فَتَى لَمْ تَذَرِّ الشَّمْسُ طَالِعَةً
يوماً من الدهرِ إلا ضَرَّ أو نفعاً

فقوله: «يوماً من الدهر» حشو لا يحتاج إليه لأنَّ
الشمس لا تطلع ليلاً.

والضرب الثاني: العبارة عن المعنى بكلام طويل لا
فائدة في طوله ويمكن أن يُعَبَّرَ عنه بأقصر منه كقول
النابغة:

(١) النجم ٤٣ - ٤٥.

(٢) الضحى ٤ - ٥.

(٣) حدائق السحر ص ١٥٠، نهاية الأيجاز ص ١١٣،

تحرير التحرير ص ٤٢٥، بديع القرآن ص ١٦٤،

جواهر الكنز ص ١٥٤، ٢٩٧، الفوائد ص ١٩١،

خزانة الأدب ص ٤١٥، الاتقان ج ٢ ص ٩٢، أنوار

الربيع ج ٦ ص ١٣٢، نفعات ص ٢٠٤، شرح

الكافية ص ٢٤٩.

(٤) اللسان (حشا).

(٥) العمدة ج ٢ ص ٦٩.

(٦) نقد الشعر ص ٢٤٨.

(٧) الموشح ص ٣٦٥.

(٨) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٩٠.

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَزَحَلْ لِبَغِيَّتِهَا
واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

الثالث: أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من
ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت من الشعر وتكون
مستقرة في قرارها و متمكنة في موضعها حتى لا
يسد مسدّها غيرها وإن لم تكن قصيرة قليلة
الحروف، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ
وَأَبْكِي. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا. وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجِينَ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(١). فابكى مع أضحك وأحيا مع
أمات والانشى مع الذكر. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّآخِرَةُ
خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى﴾^(٢)، فالأولى مع الآخرة والرضا مع
العطية في نهاية الجودة وغاية حسن الموقع.

ومن الشعر قول الحطيئة:

هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ
مِنَ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاءُوا

وقول أبي نواس:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِبَيْتٍ تَكشَفَتْ

لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وهذا معنى واسع لحسن المقطع، لأنَّ حسن الانتهاء
أو الخاتمة تخص الرسالة أو الخطبة أو القصيدة، ولكن
العسكري في هذا القسم يدخل نهاية أي كلام سواء
أكان عبارة أم بيت شعر، ويضم الفاصلة والقافية إلى
هذا النوع.

حُسْنُ النَّسْقِ:

هو التنسيق أو تنسيق الصفات أو التمزيج^(٣).

الحشو:

حشا: ملاء، واسم ذلك الشيء الحشو على لفظ
المصدر، وقد سُمِّيَ القطن «الحشو» لأنه يُحْتَى به
الفُرْشُ وغيرها^(٤).

سمّاه قوم «الأتكاء»^(٥)، وقد تقدّم، قال قدامة: «هو

تَبَيَّنَتْ آيَاتِ لَهَا فَعَرَفْتُهَا

لستة أعوام وذا العام سابع

كان ينبغي أن يقول: «لسبعة أعوام» ويتم البيت بكلام آخر يكون فيه فائدة، فعجز عن ذلك فحشا البيت بما لا وجه له.

وأما الضرب المحمود فكقول كُثِّرَ عَزَّة:

لو انَّ الباخلينَ وأنتَ فيهم

رَأوكَ تَعَلَّموا مِنكَ المِطالا

فقوله: «وأنت فيهم» حشو إلا أنه مليح، ويُسمى أهل الصنعة هذا الجنس «اعتراض كلام في كلام»^(١) وهذه تسمية ابن المعتز، فقد قال عن الفن الثاني من المحاسن: «ومن محاسن الكلام أيضًا والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد»^(٢) وذكر بيت كثير: «لو انَّ الباخلين...» فان كان ذلك في القافية سمي استدعاء^(٣). وقسمه الوطواط الى ثلاثة أقسام: (٤)

الأول: الحشو القبيح وذلك بأن يكون اللفظ الزائد لا محل له بحيث يفسد البيت بوجوده، كقول القائل: «أورثني تكلمه صداع الرأس والقلقا» فإن لفظ «الرأس» زيادة مستكرهة لأن الصداع لا يكون إلا في الرأس.

الثاني: الحشو المتوسط وذلك بأن يتساوى ذكر اللفظة الزائدة وعدم ذكرها فلا تكون مستقبحة غاية القبح ولا مستحسنة غاية الاستحسان، كقول الوطواط نفسه:

وَأنتَ لَعَمْرُ المِجدِ أَشْرَفُ من حَوَى

على رُغمِ أَنافِ العِدا قَصَبِ المِجدِ

فعبارة «لعمر المجد» حشو متوسط، وكذلك عبارة «على رغم أناف العدا».

الثالث: الحشو المليح، وبهذا النوع من الحشو يزدان البيت فيحسن الكلام ويزداد رونقه، ومن أجل ذلك يُسمى الناس بحشو اللوزينج، ومثاله قول أبي المنهال عوف بن محلم الخزاعي:

إِنَّ الثمانينَ وَبَلِغَتْهَا

قد أَحَوَّجَتْ سَمْعِي الى تَرْجُمان

ومنه قول كثير: «لو أنَّ الباخلين...» وقول النابغة الجعدي:

ألا زَعَمْتُ بنو سعدَ بأنِّي

- فقد كَذَبوا - كَبِيرُ السِّنِّ فَإِنِ

وقال ابن سنان: «وأصل الحشو أن يكون المقصد بها إصلاح الوزن أو تناسب القوافي وحرف الروي إن كان الكلام منظوما وقصد السجع وتأليف الفصول إن كان منشورا من غير معنى تفيده أكثر من ذلك»^(٥).

وقال عبد القاهر: «وأما الحشو فانما كُرِهَ وذُمُّ وأُنكرَ ورُدُّ لأنَّه خلا من الفائدة ولم يحل منه بعائدة، ولو أفاد لم يكن حشوًا ولم يُدعَ لغوًا.

وقد تراه مع اطلاق هذا الاسم عليه واقعا من القبول أحسن موقع ومدركا من الرضى أجزل حظ ذاك لافادته إياك عل مجيئه مجيء ما لا معول في الافادة عليه ولا طائل للسامع لديه فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لم ترتقبها والنافعة أتتك ولم تحتسبها، وربما رزق الطفيلي ظرفا يحظى به حتى يحل محل الاضياف الذين وقع الاحتشاد لهم والأحاب الذين وثق بالانس منهم وبهم»^(٦).

وقال ابن منقذ: «الحشو أن تأتي في الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة»^(٧) والحشو عند ابن الأثير «الاعتراض» قال: «وبعضهم يسميه الحشو، وَحَدُّهُ كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٨.

(٢) البديع ص ٥٩.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٦٩.

(٤) حدائق السحر ص ١٥١ - ١٥٣.

(٥) سر الفصاحة ص ١٧٠.

(٦) أسرار البلاغة ص ١٩.

(٧) البديع في نقد الشعر ص ١٤٢.

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴿١٠﴾^(١).
والفعل والفاعل مثل: «لا ينجح إلا محمد».
والفاعل والمفعول مثل: «ما شاهد محمد إلا
الحديقة».

والمفعولين مثل: «ما أعطيت محمدًا إلا كتابًا» في
قصر المفعول الأول على الثاني، أما قصر المفعول
الثاني على الأول فمثل: «ما أعطيت كتابًا إلا محمدًا».

والحال وصاحبها مثل: «ما جاء راکضًا إلا محمد»
في قصر الحال على صاحبها، أما قصر صاحب الحال
عليها فمثل: «ما جاء محمدًا إلا راکضًا».

ومثل ذلك متعلقات الفعل فان القصر يجري فيها
ما عدا اثنين:

الأول: المصدر المؤكد فلا يقع القصر بينه وبين
الفعل ولذلك لا يجوز أن تقول: «ما ضربت إلا ضربًا»،
وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾^(١١) فتقديره ظنًا
ضعيفًا.

(١) المثل السائر ج ٢ ص ١٨٣، الجامع الكبير
ص ١١٨، كفاية الطالب ص ٢٠٣.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ١٨٤، الجامع الكبير
ص ١١٨.

(٣) الطراز ج ٢ ص ١٦٧.

(٤) نضرة الاغريض ص ١٨٠.

(٥) الايضاح ص ١٧٨، التلخيص ص ٢١١.
الوصب: المرض والوجع الدائم ونحول
الجسم، والتعب.

(٦) شروح التلخيص ج ٣ ص ١٧٨، المطول
ص ٢٨٥، الاطول ج ٢ ص ٣٤، وينظر
المنصف ص ٧٥، كفاية الطالب ص ٢٠٣،
الروض المربع ص ٨٣، ١٦٥.

(٧) اللسان (حصر).

(٨) معترك ج ١ ص ١٨١.

(٩) الحديد ص ٢٠.

(١٠) آل عمران ١٤٤.

(١١) الجاثية ٣٢.

لبقي الأول على حاله^(١). وقال: «... أحدهما: لا
يأتي في الكلام إلا لفائدة وهو جار مجرى التوكيد.
والآخر: أن يأتي في الكلام لغير فائدة، فإما أن يكون
دخوله فيه كخروجه منه، وإما أن يؤثر في تأليفه نقصا
وفي معناه فسادا»^(٢).

وتابعه العلوي في التسمية والتقسيم والأمثلة^(٣)،
ولم يُعرّفهُ المظفر العلوي وإنما ذكر أمثلة في باب
«الحشو السديد في المعنى المفيد»^(٤).

وقسّمه القزويني الى نوعين:

أحدهما: ما يفسد المعنى كقول المتنبي:

ولا فضل فيه للشجاعة والندى

وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

والثاني: ما لا يفسد المعنى كقول أبي العيال
الخفاجي:

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي

صُدَّاعُ السَّرَاسِ وَالْوَصْبُ^(٥)

وتابعه في ذلك شراح التلخيص^(٦).

الحَصْر:

حَصْرُهُ يَحْصِرُهُ حَصْرًا: ضَيَّقَ عَلَيْهِ وَأَحَاطَ بِهِ،
والحصر الاحاطة والتضييق^(٧). والحصر هو القَصْرُ،
ومعناه تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص^(٨)
كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي في قوله
تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٩)،
وتخصيص الخبر بالمبتدأ مثل: «ما شاعر إلا المتنبي».
وللقصر طَرَفَان:

الأوّل: المقصور، وهو الشيء المُخَصَّص.

الثاني: المقصور عليه، وهو الشيء المُخَصَّص به.

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾
خُصَّصَ الْغُرُورُ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا، فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَقْصُورٌ
عَلَيْهِ، وَالْغُرُورُ مَقْصُورٌ.

ويقع القصر بين المبتدأ والخبر كقوله تعالى: ﴿وَمَا

الثاني: المفعول معه فانه لا يجيء بعد «إلا» ولذلك لا يقال: «ما سرت إلا والحائط».

وينقسم القصر بحسب الحقيقة والاضافة الى قسمين:

الاول: قصر حقيقي، وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة لا يتعداه الى غيره أصلاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١) فالتذكر صفة لا تتجاوز الى غيرهم من سائر الناس في الحقيقة والواقع.

الثاني: قصر إضافي، وهو غير حقيقي وذلك بأن يكون القصر فيه بالاضافة الى شيء مخصوص لا الى ما عدا المقصور عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٢) فـ «محمد» مقصور على الرسالة بالاضافة الى شيء آخر، وليس المقصود أن الرسالة مختصة به وحده.

وينقسم القصر باعتبار طرفيه - المقصور والمقصور عليه - الى قسمين:

الأول: قصر موصوف على صفة كقوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٣) فقد قصرت العبادة على التقريب قصر موصوف على صفة.

الثاني: قصر صفة على موصوف مثل: «ما في الدار إلا محمد» فقد قصر الوجود في الدار على «محمد» قصر صفة على موصوف.

والمراد بالصفة في أسلوب القصر الصفة المعنوية لا النعت الذي يذكره النحاة، لأن الاستثناء لا يقع بين الصفة والموصوف.

وينقسم القصر بحسب الحقيقة والادعاء الى أربعة أقسام:

الأول: القصر الحقيقي على سبيل الحقيقة.

الثاني: قصر إضافي على سبيل الحقيقة.

وهذان النوعان هما اللذان يقصدان عند اطلاق

القصر الحقيقي والقصر الاضافي كما سبق.

الثالث: قصر حقيقي على سبيل الادعاء والمبالغة، ومثال قصر الصفة على الموصوف «لا شاعر إلا المتنبى» على سبيل المبالغة وإضفاء الشاعرية على المتنبى.

ومثال قصر الموصوف على الصفة: «ما حاتم إلا جواداً» أي انه لا يتصف بغير الجود من الصفات مبالغة في كمال الجود فيه.

الرابع: قصر إضافي على سبيل الادعاء والمبالغة، ومثال قصر الصفة على الموصوف: «ما عالم إلا محمد» وذلك إذا أريد قصر العلم على «محمد» بالنسبة الى آخر اذا كان عالمًا أيضًا.

ومثال قصر الموصوف على الصفة: «ما محمد إلا كاتب» إذا قصر «محمد» على الكتابة بالنسبة الى صفة الشعر او الرسم، ويراد بذلك انتقاء صفة الشعر أو الرسم منه.

وينقسم القصر الاضافي بحسب حال المخاطب الى ثلاثة اقسام:

الاول: قصر أفراد، وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

الثاني: قصر قلب، وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يثبت بالقصر.

الثالث: قصر تعيين، وذلك إذا كان المخاطب متردداً في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

فاذا قيل في قصر الصفة على الموصوف: «الأديب محمد لا خالد» وكان المخاطب يعتقد اشتراكهما في صفة الأدب كان القصر «قصر أفراد».

وإذا كان المخاطب يعتقد غير ذلك كان القصر «قصر قلب».

(١) الرعد ١٩.

(٢) آل عمران ١٤٤.

(٣) الزمر ٣.

لكمال التمدح: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾
(الأنعام ٥٩) وعلم أن علم ذلك يشاركه فيه من
مخلوقاته كل ذي إدراك فقال: ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي
ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام ٥٩) ثم ألحق هذه
الجزئيات بعد حصرها بالكليات حيث قال: ﴿وَلَا
رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ (الأنعام ٥٩) ثم قال: ﴿إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام ٥٩).

ومنه قول الشاعر:

اليك طوى غرض البسيطة جاهل
قصارى المطايا أن يلوح بها القصر
وكنت وعزمي في الظلام وصارمي
ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
فبشرت آمالي بملك هو الورى
ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

فقد قصد الشاعر في البيت الأخير تعظيم
الممدوح وتفخيم أمر داره التي قصده فيها ومدح
يومه الذي لقيه فيه فجعل الممدوح جميع الورى
والدار التي لقيه فيها الدنيا، واليوم الذي رآه فيه
الدهر، فجعل الجزئي كلياً بعد حصر أقسام
الجزئي، أما جعله الجزئي كلياً فلأن الممدوح جزء
من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من
الدهر، وأما حصر أقسام الجزئي فلأن العالم أجسام
وظروف زمان وظروف مكان، وقد حصر ذلك.
وقال ابن الأثير الحلبي: «هو أن يعظم المتكلم

وإذا كان المخاطب مُتَرَدِّداً لا يدري أي الصفتين
هي صفة محمد كان القصر «قصر تعيين». ولا يجري
هذا التقسيم في القصر الحقيقي؛ لأن القصر في ذلك
النوع قصر بالنسبة الى ما عدا المقصور عليه على
الاطلاق فلا يمكن أن يتصور في الشركة أو العكس
أو التردد على ما في القصر الإضافي الذي يجري فيه
القصر بالنسبة الى شيء محدود.

وأهم طرق القصر اربعة:

الأول: النفي والاستثناء، كقوله تعالى:
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(٢).

الثاني: «إنما»، ويكون المقصور عليه مؤخرًا وجوبا
كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ﴾^(٣). ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

إِنَّمَا مُضْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ الدِّ
بِهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

الثالث: العطف بـ «لا» أو «لكن» أو «بل» مثل:
«محمد شاعر لا كاتب» و «ما محمد قائماً بل زيد».
الرابع: تقديم ما حقه التأخير مثل: «شاعر هو» و
«أنا كفيتك مهتمك». وهناك طرق اخرى للقصر غير أن
البلاغيين لم يتفقوا عليها كل الاتفاق. ولذلك تظل
الوجوه الاربعة عمدة هذا الاسلوب^(٤).

حَصْرُ الْجُزْئِيِّ وَالْحَاقَّةُ بِالْكُلِّيِّ:

هذا الفن من مستخرجات المصري وقد قال في
تعريفه: «هو أن يأتي المتكلم الى نوع ما فيجعله
بالتعظيم له جنساً بعد حصر أقسام الأنواع فيه
والاجناس»^(٥) كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ
لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٦). فإنه
سبحانه تَمَدَّحٌ بأنه يعلم ما في البر والبحر من أصناف
الحيوان والنبات والجماد حاصراً لجزئيات المولّدات،
ورأى أن الاقتصار على ذلك لا يكمل به التمدح فقال

(١) آل عمران ١٤٤.

(٢) يس ١٥.

(٣) فاطر ٢٨.

(٤) مفتاح العلوم ص ١٣٨، الايضاح ص ١١٨،

التلخيص ص ١٣٧، شروح التلخيص ج ٢

ص ١٦٦. المطول ص ٢٠٤، الاطول ج ١

ص ٢١٣، معترك ج ١ ص ١٨١.

(٥) تحرير التحبير ص ٦٠٠، بديع القرآن ص ٣١٥.

(٦) الانعام ٥٩.

موجوداً في المائة الثانية اللهم إلا أن يكون في أواخرها»^(٨). ولعله يريد بذلك أن البحث في الحقيقة والمجاز لم يبدأ إلا في ذلك العهد الذي حدّده، أما الفرق بينهما في التعبير أو في البحث فهو أسبق من ذلك، كما يتضح من الاخبار، وما يتجلى من كلام أبي عبيدة والجاحظ وغيرهما من المتقدمين.

وقد بدأ البحث في الحقيقة يظهر من القرن الثالث ولكن الذين جاءوا بعده كانوا أكثر عمقاً في التحديد، فابن جني يقول: «الحقيقة ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة»^(٩).

وقال ابن فارس: «فالحقيقة الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير»^(١٠).

وقال عبدالقاهر: «كل كلمة أُريد بها ما وقعت له في وضع واضح، وإن شئت قلت في مواضعة وقوعاً لا تستند فيه الى غيره فهي حقيقة. وهذه العبارة تنتظم الوضع الأول وما تأخر عنه كلغة تحدث في قبيلة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع الناس مثلاً أو تحدث اليوم. ويدخل فيها الأعلام منقولة كانت كزبد وعمرو أو مرتجلة كغطفان، وكل كلمة استؤنف لها على الجملة مواضعة أو ادعي الاستئناف فيها»^(١١). وهذا تعريفها في المفرد، أما حدّها في الجملة فهي:

(١) جواهر الكنز ص ٢٣٠.

(٢) خزانة الأدب ص ٣٧١.

(٣) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٤٤، نفحات الأزهار ص ١٤٦، شرح الكافية ص ٢٤٣.

(٤) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٤٤.

(٥) اللسان (حقق).

(٦) الحيوان ج ٥ ص ١٣٣، ١٣٤.

(٧) الايمان ص ٨٤.

(٨) الايمان ص ٨٥.

(٩) الخصائص ج ٢ ص ٤٤٢.

(١٠) الصاحبى ص ١٩٧.

(١١) أسرار البلاغة ص ٣٢٤.

جنساً من أنواع الكلام ويحصر فيه الأنواع المستغرقة لنوع ذلك الجنس حتى يبالغ فيه»^(١).

ونقل الحموي تعريف المصري وأمثله^(٢)، وقال السيوطي: «وهو نوع غريب صعب المسلك اخترعه ابن أبي الاصبع المصري وهو شبيه بالمبالغة ذكرته عقبها، وذلك أن يأتي المتكلم الى نوع فيجعله جنساً تعظيماً له ويجعل الجزئيات كلها منحصرة فيه»^(٣). كقول الصفي:

فَرْدٌ هُوَ الْعَالَمُ الْكَلْبِيُّ فِي شَرَفِ
وَنَفْسُهُ الْجَوْهَرُ الْقُدْسِيُّ فِي الْعِظَمِ

ومن الحديث «الدعاء هو العبادة».

ونقل المدني كلام المصري وأمثله وأضاف إليها بعض الأمثلة^(٤).

الحَقِيقَةُ:

حقّ الأمر يحق: صار حقاً وثبت، وحقّ عليه القول وأحققته أنا، وحقّه وحققه. صدّقه. وحقق الرجل اذا قال هذا الشيء هو الحق^(٥).

والحقيقة «فعيلة» بمعنى «مفعولة»، واشتقاقها من «حقق الشيء إذا أثبته، ولذلك فهي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وقد أشار الجاحظ إليها بقوله: «ويذكرون ناراً أخرى وهي على طريق المثل لا على طريق الحقيقة»^(٦).

وتقرن الحقيقة في البحث بالمجاز، وقد قال ابن تيمية إن تقسيم الكلام اليهما «اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الاولى لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من الائمة المشهورين في العلم... وأول من عُرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يَغنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عنى بمجاز الآية ما يُعبّرُ به عن الآية»^(٧)، ثم قال: «فإن تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته

الثاني: أسماء دينية، وهي التي تفيد مدحًا أو ذمًا نحو «مسلم» و «مؤمن» و «كافر» و «فاسق».

الحَقِيقَةُ العُرْفِيَّةُ:

هي التي نقلت من مسماها اللغوي إلى غيره بعُزْف الاستعمال. وذلك الاستعمال قد يكون عامًا، وقد يكون خاصًا^(١٠).

وتنحصر الحقيقة العرفية في صورتين:

الأولى: أن يشتهر استعمال المجاز بحيث يكون استعمال الحقيقة مستنكرًا كحذف المضاف واقامة المضاف إليه مقامه مثل: «حُرِّمَت الخَمْرُ» والتحرير مضاف إلى الخمر، وهو في الحقيقة مضاف إلى الشرب، وقد صار هذا المجاز أعرف من الحقيقة وأسبق إلى الفهم، ومنه تسمية الشيء باسم ما يشابهه كتسميتهم حكاية كلام المتكلم بأنه كلامه كما يقال

(١) أسرار البلاغة ص ٣٥٥.

(٢) الفوائد ص ١٠.

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٥٨، الجامع الكبير ص ٢٨.

(٤) مفتاح العلوم ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٥) الايضاح ص ٢٦٥، التلخيص ص ٢٩٢.

(٦) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤، المطول ص ٣٤٨،

الاطول ج ٢ ص ١١١ وينظر الروض المريع

ص ٨٢، ١١٩، ١٦٢.

(٧) الطراز ج ١ ص ٤٧.

(٨) نهاية الايجاز ص ٤٦، البرهان الكاشف ص ٩٨،

نضرة الاغريض ص ٢٣، منهاج البلغاء ص ٩،

١٥، حسن التوسل ص ١٠٤، نهاية الارب ج ٧

ص ٣٧، جوهر الكنز ص ٥١. الاتقان ج ٢

ص ٣٦، شرح عقود الجمان ص ٩١.

(٩) مفتاح العلوم ص ١٧٠، البرهان الكاشف

ص ٩٩، الطراز ج ١ ص ٥٥، جوهر الكنز

ص ٥١، الايضاح ص ٢٦٥، التلخيص

ص ٢٩٢، شروح التلخيص ج ٤ ص ٢،

المطول ص ٣٤٨، الاطول ج ٢ ص ١١١.

(١٠) المصادر السابقة.

«كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع منه فهي حقيقة، ولن تكون كذلك حتى تعرى من التأول، ولا فصل بين أن تكون مصيبا فيما أفدت به من الحكم او مخطئا وصادقا أو غير صادق»^(١). وتابعه ابن قيم الجوزية في هذا التعريف ونقل كلامه^(٢).

وقال ابن الأثير: «فأما الحقيقة فهي اللفظ الدال على موضوعه الاصيل»^(٣).

وقال السكاكي: «فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص. فلفظ «الأسد» موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه». ثم قال: «ولك أن تقول: الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص»^(٤).

وقال القزويني: «الحقيقة: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب»^(٥)، وتبعه في ذلك شراح التلخيص^(٦)، وذكر العلوي أن أجمع تعريف في بيانها ما ذكره أبو الحسين البصري فانه قال: «ما أفاد معنى مصطلحا عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب»^(٧).

ولا يخرج تعريف الآخرين عما سبق^(٨).

والحقيقة ثلاثة أقسام هي: الشرعية والعرفية واللغوية.

الحَقِيقَةُ الشَّرْعِيَّةُ:

هي اللفظة التي يُستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي^(٩).

وهي قسمان:

الأول: أسماء شرعية، وهي التي لا تفيد مدحًا أو ذمًا نحو «الصلاة» و «الزكاة» و «الحج» وسائر الاسماء الشرعية.

لها الى معانٍ جديدة يصطلح عليها الناس.

الحل:

حلَّ العُقْدَةُ يَحُلُّهَا حَلًّا: فتحها ونقضها فانحلت،
والحلُّ: حلُّ العُقْدَةِ^(٢).

الحلُّ من أساليب الكتابة المعروفة منذ القديم، وقد أشار العتابي اليها، سئل يوماً: «بماذا قدرت على البلاغة؟» فقال: «بحل معقود الكلام، فالشعر رسائل معقودة والرسائل شعر محلول»^(٣).

وبحث ابن منقذ «الحل والعقد» في باب واحد وقال: «إنَّ الحَلَّ والعُقْدَ هو ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب، وهو أن يأخذ لفظاً منشوراً فينظمه أو شعراً فينثره ويطارحه العلماء فيما بينهم»^(٤).

وفعل مثله ابن الأثير الحلبي وابن قَيِّم الجوزيَّة إذ جمعا الحلَّ والعقد في باب واحد^(٥)، وتحدَّث العسكري عنه في «حسن الأخذ» وقال: «إنَّ المحلول من الشعر على أربعة ضرب: فَضْرَبٌ منها يكون بإدخال لفظة بين ألفاظه، وَضْرَبٌ ينحلُّ بتأخير لفظة منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم وَضْرَبٌ منه يَنحَلُّ على هذا الوجه ولا يحسن ولا يستقيم، وَضْرَبٌ تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظاً من عندك، وهذا ارفع درجاتك»^(٦).

فأما الضرب الأوَّل فكقول قليب المعتزلي لبعض الملوك يستعطفه على رجل من أهله: «جعلني الله فداءك، وليس هو اليوم كما كان، إنه وحياتك أفلت بطالته أي والله وراجعه حلمه وأعقبه - وحقك - الهوى ندماً، أنحى الدهر - والله - عليه بكللكه فهو اليوم إذا

لمن أنشد قصيدة لامرئ القيس بانه كلام امرئ القيس، لأنَّ كلامه في الحقيقة هو ما نطق به وأما حكايته فكلام غيره لكنه قد صار حقيقة لسبقه الى الافهام بخلاف الحقيقة، وكتسميتهم الشيء باسم ما يتعلق به كتسميتهم قضاء الحاجة بالغائط وهو المكان المطمئن من الارض فاذا اطلق فان السابق الى الفهم منه مجازه وهو قضاء الحاجة دون حقيقته وهو المكان المطمئن. فصارت هذه الامور المجازية حقائق بالتعريف من جهة أهل اللغة تسبق الى الافهام معانيها دون حقائقها الوضعية اللغوية.

الثانية: قصر الاسم على بعض مسمياته وتخصيصه به نحو لفظ «الدابة» فإنها جارية في وضعها اللغوي على كل ما يدبُّ من الحيوانات من الدودة الى الفيل ثم إنها اختصت ببعض البهائم. ومنه لفظة «الجن» فإنها موضوعة لكل ما استتر ثم اختصت ببعض من يستتر عن العيون، و «القارورة» فانها موضوعة لمقر المائعات ثم اختصت ببعض الآنية دون غيرها مما يستقر فيه.

والحقيقة العرفية الخاصة هي التي وضعها أهل عرف خاص وجرت على السنة العلماء من الاصطلاحات التي تخص كل علم، فانها في استعمالها حقائق وإن خالفت الأوضاع اللغوية نحو ما يجريه النحويون في كتبهم من الرفع والنصب والجر والجزم، وما يجريه أهل الحرف والصناعات والعلوم فيما يفهمونه بينهم.

الحقيقة اللغوية:

هي ما وضعها واضع اللغة ودلَّت على معانٍ مصطلح عليها في تلك المواضع كألفاظ القلم والكتاب والشمس والقمر، فاذا استعملت في معناها الأصلي فانها تكون حقيقة، واذا استعملت في غيره فانها تكون مجازاً^(١). والحقيقة اللغوية هي أساس اللغة، اما الحقيقة الشرعية والحقيقة العرفية فهما نقل

(١) المصادر السابقة.

(٢) اللسان (حلل).

(٣) عيار الشعر ص ٧٨.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٢٥٩.

(٥) جوهر الكنز ص ١٩٥، الفوائد ص ٢٢٥.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٢١٦ - ٢١٧.

رأى أخصاً ثقة غَضَّ بصره ومَجْمَجَ كلامه» وكان قد سمع أبياتا للعتبي فحلها بهذه العبارات، وأبيات العتبي هي:

أفلت بطالته وراجعه
حلم وأعقبه الهوى ندما
ألقي عليه الدهر كلكه
وأعاره الإقتار والعدما
فاذا ألمَّ به أخوثة
غَضَّ الجفونَ ومَجْمَجَ الكلماً^(١)

وأما الضرب الثاني فمثاله ما ذكره بعض الكتاب من قول البحري:

نَطْلُبُ الاكثَرُ في الدنيا وقد
نَبْلُغُ الحاجةَ فيها بالأقلِّ

ثم قال: «فاذا نثرت ذلك ولم تزد في ألفاظه شيئاً قلت: نطلب في الدنيا الاكثر وقد نبلغ منها الحاجة بالأقل».

وأما الضرب الثالث فهو أن توضع ألفاظ البيت في مواضع ولا يحسن وضعها في غيرها فيختل إذا نثر بتأخير لفظ وتقديم آخر فتحتاج في نثره الى النقصان منه والزيادة فيه، كقول البحري:

يُسَرُّ بِعُمَرَانَ الدِيَارِ مُضَلَّلٌ
وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُنْيَا أَوْانَ مَجِيئِهَا
فَكَيْفَ ارْتَضَائِهَا أَوْانَ ذَهَابِهَا

فاذا نثر على الوجه قيل: «يسر مضلل بعمران الدنيا ومن خرابها عمرانها مستأنف، ولم أرتض أوان مجيئها الدنيا فكيف أوان ذهابها ارتضائها». فهذا نثر فاسد، فاذا غيرت بعض ألفاظه حسن وهو أن تقول: «يسر المضلل بعمران الديار وانما تستأنف عمرانها من خرابها، وما ارتضيت الدنيا أوان مجيئها فكيف ارتضيتها أوان ذهابها؟».

والضرب الرابع أن يُكسَى ما يُحَلُّ من المنظوم

ألفاظاً، وهذا أرفع الدرجات.

وتحدّث ابن الأثير عن الحل في باب «الطريق إلى تعلّم الكتابة» وقال: «ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها وأظفرتني بكنوز جواهرها إذ لم يظفر غيري باحجارها فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حلّ آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الآيات الشعرية»^(٢)، ثم تكلم على حل الآيات والحديث والشعر.

وأفرد المصري «الحل» في باب وقال: «هو أن يعمد الكاتب إلى شعر ليحل منه عقد الوزن فيصيره منشوراً»^(٣). وقال الحلبي والثوري: «وأما الحل فهو باب يتسع على المجيد مجاله وتتصّرف في كلام العارف به رؤيته وارتجاله. وملاك أمر المتصدي له أن يكون كثير الحفظ للأحاديث النبوية والآثار والامثال والاشعار لينفق منها وقت الاحتياج اليها. وكيفية الحل أن تتوخى هدم البيت المنظوم وحلّ فرائده من سلكه ثم يرتب تلك الفرائد وما شابهها ترتيب متمكن لم يحصره الوزن ويبرزها في أحسن سلك وأجمل قالب وأصح سبك ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع إن أمكن ذلك من غير كلفة ويتخير لها القرائن، وإذا تمّ معه المعنى المحلول في قرينة واحدة يغرم له من حاصل فكره أو من ذخيرة حفظه ما يناسبه، وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسده إلى ما شاء، فان كان نسيباً وتأتى له أن يجعله مديحاً فليفعل، وكذلك غيره من الأنواع. وإذا أراد الحلّ بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها فما قصرت عنها ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعُدَّ معيباً، وإذا حلّ باللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل إلا مع مراعاة نظام الفصاحة في ذلك واجتناب ما ينقص المعنى

(١) مجمع الكتاب: لم يبين حروفه.

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٧٧.

(٣) تحرير التحبير ٤٣٩.

ويحط رتبته»^(١).

حَلّ الأشعار:

تكلم العسكري على حلّ الشعر وقسّمه الى أربعة أضرب^(٨)، وقد تقدّمت في «الحل»، وتحدّث عنه ابن الأثير^(٩)، وقسّمه إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: وهو أدناها مرتبة أن يأخذ الناثر بيتًا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة، وهذا عيب فاحش. الثاني: وهو وسط بين الأوّل والثالث في المرتبة، وهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعزف عن بعضها بألفاظ أخرى.

الثالث: وهو أعلى الأقسام الثلاثة، وذلك أن يؤخّذ المعنى فيصاغ بالفاظ غير ألفاظه.

وذكر هذه الأقسام الثلاثة ابن الأثير الحلبي^(١٠). واشترط القزويني لكي يكون نثر النظم مقبولاً شيئين:

الأوّل: أن يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن سبكه أصله.

الثاني: أن يكون حسن الموقع مستقرّاً في محله غير قلق^(١١). وذلك كقول بعض المغاربة: «فإنه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظنّ يقتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده» حلّ قول المتنبي:

(١) حسن التوسل ص ٣٢٥، نهاية الارب ج ٧ ص ١٨٣.

(٢) الايضاح ص ٤٢٥، التلخيص ص ٤٢٦.

(٣) شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٢٣، المطول ص ٤٧٥، الأطول ج ٢ ص ٢٥٤، شرح عقود الجمان ص ١٧١، التبيان في البيان ص ٣٥٥.

(٤) المثل السائر ج ١ ص ١١٤.

(٥) جوهر الكنز ص ٦٠٩.

(٦) المثل السائر ج ١ ص ١٢٧.

(٧) جوهر الكنز ص ٦٠٩.

(٨) كتاب الصناعتين ص ٢١٦.

(٩) المثل السائر ج ١ ص ٧٨.

(١٠) جوهر الكنز ص ٦٠٧.

(١١) الايضاح ص ٤٢٥، التلخيص ص ٤٢٦.

وقال القزويني: «وأما الحلُّ فهو أن يُنثر نَظْمٌ»^(٢) وتحدّث عنه، وقد تبعه شراح التلخيص وغيرهم^(٣).

والحل ثلاثة أنواع كما ذكر ابن الاثير وهي: حل الآيات وحل الأحاديث وحل الشعر.

حَلّ الآيات:

قال ابن الأثير: «وأما حلُّ آيات القرآن العزيز فليس كثر المعاني الشعرية لأنّ ألفاظه ينبغي أن يُحافظ عليها لمكان فصاحتها إلا انه لا ينبغي أن يؤخذ لفظ الآية بجملته فإنّ ذلك من باب التضمنين وإنّما يؤخذ بعضه فاما أن يجعل أولاً لكلام أو آخراً على حسب ما يقتضيه موضعه وكذلك تفعل بالآخبار النبوية. على أنّه قد يؤخذ معنى الآية والخبر فيكسى لفظاً غير لفظه وليس لذلك من الحسن ما للقسم الأوّل»^(٤).

وذكر ابن الأثير الحلبي مثل ذلك وأشار الى اختلاف علماء الأدب في حل القرآن العزيز وإدراجه في مطاوي الكلام^(٥).

حَلّ الأحاديث:

قال ابن الأثير: «وأما الأخبار النبوية فكالقرآن العزيز في حلّ معانيها»^(٦) وقال ابن الأثير الحلبي: «وأما حلّ الآيات من القرآن العزيز وكذلك الأحاديث النبوية فينبغي للمُنشئ أن لا يأخذ عند حلّ الآية والحديث جملة اللفظ فإنّ ذلك من باب التضمنين ولا يأخذ المعنى مجرداً عن اللفظ بكماله إلا إن أراد بذلك الاستشهاد، بل إذا وقع له معنى وكانت آية من الآيات الكريمة أو حديث من الأحاديث النبوية يتضمن ذلك المعنى فليجعل الآية والحديث في سياق كلامه المناسب للمعنى فيطرز كلامه بالآية أو الحديث»^(٧).

ومنه قول الشريف الرضي:

قلبي وطرفي منك هذا في حمى

قيظ وهذا في رياض ربيع

فانه لما قدم «قلبي» وجب أن يقدم وصفه بأنه في حمى
قيظ فلو كان قال: «طرفي وقلبي منك» لم يحسن في
الترتيب أن يؤخر قوله «في رياض ربيع» والطرف مقدم.
وهذا هو اللف والنشر.

الحيدة والانتقال:

الحيد: حرف شاخص يخرج من الجبل، والحيد
ما شخص من الجبل واعوجج. وحاد عن الشيء يحيد:
مال عنه وعدل. والحيدة: العقدة في قرن الوعل.
والنقل: تحويل الشيء من موضع الى موضع، نقله
ينقله نقلاً فانتقل^(٥).

وهذا النوع من مستخرجات المصري، قال: «هو
أن يجيب المسؤول بجواب لا يصلح أن يكون جواباً
عما سُئِلَ عنه أو ينتقل المستدل الى استدلال غير الذي
كان آخذاً فيه وإتما يكون هذا بلاغة إذا أتى به
المستدل بعد معارضة بما يدل على أن المعترض لم
يفهم استدلاله فينتقل عنه الى استدلال يقطع به
الخصم عند فهمه»^(٦)

ومنه قوله تعالى حكاية عن الخليل إبراهيم - عليه
السلام - في قوله للجبار: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ﴾^(٧) فقال الجبار: «أنا أحيي وأميت» ثم دعا

(١) شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٢٣، المطول
ص ٤٧٥، الاطول ج ٢ ص ٢٥٤، شرح عقود
الجمان ص ١٧١.

(٢) الفوائد ص ١٠٤.

(٣) النساء ١.

(٤) سر الفصاحة ص ٢٢٥.

(٥) اللسان (حيد) و(نقل).

(٦) تحرير التعبير ص ٥٦٥، بديع القرآن ص ٢٨١.

(٧) البقرة ٢٥٨.

إذا ساءَ فِعْلُ الْمَرِّ سَاءَتْ ظَنُونَهُ

وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ

وكقول بعضهم في وصف السيف: «أورثه عشق
الرقاب نُحولاً فبكى والدمع مطر تزيد به الخدود
محولاً» حلّ قول المتنبي:

فِي الْخَدِّ إِنْ عَزَمَ الْخَلِيْطُ رَحِيْلًا

مَطَرٌ تَزِيْدُ بِهِ الْخَدُوْدُ مَحْوَلًا

وَنَهَجَ الْمُتَأَخَّرُونَ نَهَجَ الْقَرْوِيْنِي فِي حَلِّ الْمَنْظُومِ^(١).

الحمل على المعنى:

قال ابن قيم الجوزية: «وذلك كتأنيث المذكر
وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد للجماعة
والجماعة للواحد، وحمل الثاني على لفظ الأول
أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً أو غير ذلك»^(٢). ومن
ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٣) والمراد به آدم عليه
السلام، وأنت ردّاً الى النفس.

ومنه قول الشاعر:

أَبُوكَ خَلِيْفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى

وَأَنْتَ خَلِيْفَةٌ ذَاكَ الْكَمَالُ

وقول الآخر:

يَا أَيُّهَا الرَّايِبُ الْمُزْجِي مَطِيئَتُهُ

سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

فانه ذهب بالصوت الى الاستغاثة كما ذهب الآخر
بالخوف الى المخافة في قوله:

أَتَهْجُرُ بَيْتًا بِالْحِجَازِ تَلْفَعَتْ

بِهِ الْخَوْفُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

حمل اللفظ على اللفظ:

عدّه ابن سنان من التناسب وقال: «ومن التناسب
أيضاً حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب ليكون ما
يرجع الى المقدم مقدماً والى المؤخر مؤخراً»^(٤).

وأخبر الله سبحانه عنه بذلك حيث قال تعالى: ﴿فَبَيَّهَتِ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٢) وفيه نوع يحدد المسؤول عن خصوص الجواب الى عمومته لتفيد تلك الحيدة زيادة بيان لا تحصل بخصوص الجواب.

(١) البقرة ٢٥٨.

(٢) البقرة ٢٥٨.

بانسان فقتله ودعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه. فلما علم الخليل أنه لم يفهم معنى الاماتة والإحياء اللذين أرادهما انتقل الى استدلال آخر فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأُتِي بِهَا مِنَ المَغْرِبِ﴾^(١) فأتاه باستدلال لا يجد لاسمه اسما مشتركاً معه فتعلق بظاهره على طريق المغالطة، أو لانه لم يفهم إلا ذلك الوجه الذي تعلق به، فلا جزم أن الجبار انقطع

الخاء

الخَبْر:

خبرْتُ بالأمر أي علمته، وخبرت الأمر أَخْبِرُهُ إذا عرفت على حقيقته، والخَبْرُ - بالتحريك - واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر، والخبر: النبأ، وخَبَّرَهُ بكذا وأخبره: نبأه^(١).

ذكر سيويه الخبر مقابل الاستفهام^(٢)، وفعل مثله الفراء^(٣)، وبدأ هذا النوع يدخل الدراسات البلاغية ويأخذ صورة محدودة، وقد قال المبرد عنه: «الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب»^(٤). وَقَسَّمْ ثعلب قواعد الشعر الى أربعة: أمر ونهي وخبر واستخبار^(٥)، وقال إِنَّ الخبر كقول القُطامي:

يَقْتَلِنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَغْلَمُهُ
مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْثُونُهُ بَادِي
فَهَنْ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبَنَّ بِهِ
مَوَاضِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي

وقال ابن وهب: «والخبر كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عندك كقولك: «قام زيد» فقد أفدته العلم بقيامه»^(٦).

وقال ابن فارس: «أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام، تقول: أخبرتته أخبره، والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم»^(٧).

ولكنَّ البلاغيين المتأخرين عادوا في بحثه الى منهج المتكلمين وأدخلوا فيه المباحث الفلسفية

والعقائدية فقال الرازي: «القول المقتضي بتصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي أو بالاثبات. وَمَنْ حَدَّه: المحتمل للتصديق والتكذيب المحدودين بالصدق والكذب، واقع في الدور مرتين»^(٨).

وذكر السكاكي أقوال السابقين في تعريف الخبر وناقشها وذهب الى أَنَّ الخبر والطلب مستغنيان عن التعريف الحدِّي^(٩). أما القزويني فقد ذكر آراء السابقين كالنظام والجاحظ، ولكنه أخذ برأي الجمهور وقال في أول بحثه للخبر: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور الى أَنَّهُ منحصر فيهما ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم: صِدْقُهُ مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه، وهذا هو المشهور وعليه التعويل»^(١٠). والى ذلك ذهب شراح التلخيص

- (١) اللسان (خبر).
- (٢) الكتاب ج ١ ص ١١٩، ١٣٤، ١٣٥.
- (٣) معاني القرآن ج ١ ص ٣٣٥، ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥، ٣٥٤.
- (٤) المقتضب ج ٣ ص ٨٩، وينظر ج ١ ص ١٢، ٤١. الروض المربع ص ١٢٠، ١٣٣، ١٤٣، ١٥٧ - ١٥٤.
- (٥) قواعد الشعر ص ٢٥.
- (٦) البرهان في وجوه البيان ص ١١٣.
- (٧) الصاحبي ص ١٧٩.
- (٨) نهاية الايجاز ص ٣٧.
- (٩) مفتاح العلوم ص ٧٨.
- (١٠) الايضاح ص ١٣، التلخيص ص ٣٨.

قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا وما أنزلَ الرحمنُ من شيءٍ
إِن أنتم إلا تكذبون. قالوا: رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ
لمرسلون ﴿٦﴾.

ومنه قول الحماسي:

إِنَّا لنصفح عن مجاهلِ قَوْمِنَا
وَنُقيمُ سَالِفَةَ العَدُوِّ الأَصِيدِ^(٧)

ومتى نَجِدُ يوماً فسادَ عشيرة
نُضلخ وإن نرَّ صالحًا لا نَفْسُدِ
وللخبر مؤكدات كثيرة منها: إنَّ، وأنَّ، وكأَنَّ، ولكنَّ،
ولام الابتداء، والفصل، واما، وقد، والسين، والقسم،
ونونا التوكيد، ولن، والحروف الزائدة، وحروف
التنبيه.

ولللخبر غرضان أصليان هما:

الأول: فائدة الخبر، ومعناه إفادة المخاطب الحكم
الذي تضمنته الجملة أو الكلام، وهذا هو الأصل في
كل خبر لأنَّ فائدته تقديم المعرفة أو العلم إلى
الآخرين.

الثاني: لازم الفائدة وهذا الغرض لا يقدم جديدًا
للمخاطب وإنما يفيد أنَّ المتكلم عالم بالحكم.

ولكنَّ الخبر كثيرًا ما يُخْرَجُ على خلاف مقتضى
الظاهر فينزل غير السائل منزلة السائل وينزل غير المنكر
منزلة المنكر، وينزل المنكر منزلة غير المنكر، وله معانٍ

(١) شروح التلخيص ج ١ ص ١٧٣، المطول
ص ٣٨، الأطول ج ١ ص ٤٤، الطراز ج ١
ص ٦١، البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣١٧،
معترك ج ١ ص ٤٢٢، الاتقان ج ٢ ص ٧٥،
شرح عقود الجمان ص ٩.

(٢) الانبياء ٦٣.

(٣) مفتاح العلوم ص ٨١.

(٤) القصص ٢٠.

(٥) يوسف ٨.

(٦) يس ١٣ - ١٦.

(٧) السالفة: صفحة العنق. الأصيد: المتكبر.

ومعظم المتأخرين.^(١)

والخبر ثلاثة أضرب:

الأول: الابتدائي، وهو الخبر الذي يكون خاليا من
المؤكدات لأنَّ المخاطب خالي الذهن من الحكم
الذي تضمنه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قال بل فعله
كبيرهم هذا﴾^(٢).

ومنه قول المتنبي:

أنا الذي نظَّر الأعمى إلى أدبي

واشمعتُ كلماتي مَنْ به صمَّم

أنامُ مِلءَ عيوني عن شوارِدها

ويشهر الخلق جرَّاهَا ويختصم

الثاني: الطلب، وهو الخبر الذي يتردد المخاطب
فيه ولا يعرف مدى صحته، أو هو كما قال السكاكي:
«وإذا ألقاها إلى طالب لها متحير طرفاها عنده دون
الاستناد فهو منه بين بين لينقذه من ورطة الحيرة
استحسن تقوية المنقذ بادخال اللام في الجملة أو
«إنَّ»^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿وجاء رجلٌ من أقصى
المدينة يسعى، قال: يا موسى إنَّ الملاء يأتِمرونَ بك
ليقتلوك فاخرجْ إليّ لك من الناصحين﴾^(٤) وقوله
تعالى: ﴿إذ قالوا: لِيُوسُفُ وأخوه أَحَبُّ إلى أبينا
منا﴾^(٥).

ومنه قول جرير:

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوْرٌ

قَتَلننا ثم لم يُحيينَ قَتَلانَا

وقول البحتري:

هل يَجلبسُ إليّ عطفك موقفٌ

تَبتُّ لَدَيْكَ أقولُ فيه وتَسْمَعُ

الثالث: الإنكاري، وهو الخبر الذي ينكره
المخاطب إنكارًا يحتاج إلى أن يؤكَّد بأكثر من
مؤكد كقوله تعالى: ﴿واضربْ لهم مثلاً أصحابَ
القرية إذ جاءها المرسلون. إذ أرسلنا إليهم اثنين
فكذبوهما فعزَّزنا بثالث فقالوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرسلون.

مجازية كثيرة تحدث عنها البلاغيون ودارسو علوم القرآن، وسيأتي الكلام عليها في المواد القادمة،

الخبر الابتدائي:

هو الخبر الذي يكون خاليا من المؤكدات لأنَّ المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه^(١) وقد تقدّم في «الخبر».

الخبر الإنكاري:

هو الخبر الذي ينكره المخاطب انكارًا يحتاج الى أن يُؤكّد بأكثر من مؤكّد^(٢) وقد تقدّم في «الخبر».

الخبر الطلبي:

هو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته^(٣). وقد تقدم في «الخبر».

الخبر للاسترحام:

منه قول إبراهيم بن المهدي مخاطبًا المأمون:

أَتَيْتُ جُرْمًا شَنِيعًا
وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلُ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ
وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلُ

وقول الآخر:

فمالي حيلة إلا رجائي
لعفوك إن عفوت وحسن ظني

الخبر لإظهار التّحسر:

منه قول أعرابي يرثي ولده:

ولما دعوت الصّبر بعدك والأسى
أجاب الأسى طوعًا ولم يجِب الصّبرُ

وقول المتنبي:

أقمتُ بأرضٍ مِصْرَ فلا ورائي
تُحِبُّ بِي الرِّكَابُ ولا أَمَامِي

وقوله في الرثاء:

الْحَزَنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَزِدُّ
وَالْقَلْبُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنٍ مُسَهَّدِ
هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَزِجُّ

الخبر لإظهار الضعف:

منه قوله تعالى: ﴿قَالَ: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٤).

وقول الشاعر:

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبَلَّغْتَهَا -

قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانِ

وقول أبي نواس:

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلوًا

وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا

منه قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾^(٥) قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾^(٦) فإن السياق يدل على أن الله - تعالى - أمر بذلك لا أنه أخبر.

الخبر للإنكار:

منه قوله تعالى: ﴿ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٧)، وهذا للتبكي، أما الإنكار من غير ذلك فمثل: «ما له عليّ حقّ».

(١) مفتاح العلوم ص ٨١، الايضاح ص ١٨،

التلخيص ص ٤٢، شروح التلخيص ج ١

ص ٢٠٧، المطول ص ٤٩ الاطول ج ١ ص ٦٢.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) مريم ٤.

(٥) البقرة ٢٢٨.

(٦) البقرة ٢٣٣.

(٧) الدخان ٤٩.

الْخَبْرُ لِلتَّحْذِيرِ:

منه قوله - صلى الله عليه وسلم - : «أَبْغَضُ الْحَلَالِ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقُ».

الْخَبْرُ لِتَحْرِيكِ الْهِمَّةِ:

منه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(١).

الْخَبْرُ لِلتَّعْظِيمِ:

منه «سبحان الله».

الْخَبْرُ لِلتَّمَنِّيِّ:

منه: «ووددتك عندنا».

الْخَبْرُ لِلتَّوْبِيخِ:

من ذلك قولنا لتارك الصلاة: «الصلاة رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ».

الْخَبْرُ لِلتَّوَعُّدِ:

كقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾^(٢).

الْخَبْرُ لِلدُّعَاءِ:

قال المبرد: «تقول: «غفر الله لزيد» واللفظ لفظ الإخبار، والمعنى معنى الدعاء»^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤)، أي أعنا على عبادتك.

الْخَبْرُ لِلْفَخْرِ:

منه قول عمرو بن كلثوم:

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ

تَخَرُّ لَهُ الْجِبَابِرُ سَاجِدِينَ

وقول أبي فراس الحمداني:

إِنَّا إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَا

نُ وَنَابَ خَطْبٌ وَادَّلَهُمْ

أَلْفَيْتَ حَوْلَ بَيْوتِنَا

عُدَدَ الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ

لَلِقَا الْعِدَا بِيضَ السَّيْرِ

فِ وَلِلنَّدَى حُمْرَ النِّعَمِ

هَذَا وَهَذَا دَأْبُنَا

يُودَى دَمٌ وَيُرَاقُ دَمٌ

وقول الشريف الرضي:

لغیر العلی منی القلی والتجئُبُ

ولو لا العلی ما كنتُ فی العیش أَرْغَبُ

وَقَوْرٌ فَلَا الْأَلْحَانَ تَأْسُرُ عِزْمَتِي

وَلَا تَمَكَّرُ الصَّهْبَاءُ بِنِ حِينِ أَشْرَبُ

وَلَا أَعْرِفُ الْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوَضْفِهَا

وَلَا أَنْطِقُ الْعَوْرَاءَ وَالْقَلْبُ مُعْضَبُ

الْخَبْرُ لِلْمَدْحِ:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ

إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

الْخَبْرُ لِلنَّفْيِ:

منه: «لا بأس عليك».

الْخَبْرُ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ:

نحو قولهم: «ما هو إلا كذاب» و«إن هو إلا كذاب»، ويستعمل في الأمر الذي ينكره المخاطب أو ما ينزل هذه المنزلة، قال الرازي: «فلا يصح استعمال هذه العبارة في الأمر الظاهر فلا تقول للرجل الذي ترققه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم: «ما هو إلا أخوك»^(٥).

(١) يونس ٢٦.

(٢) القيامة ٣٥. ينظر مجاز القرآن ج ٢ ص ٢٧٨.

(٣) المقتضب ج ٣ ص ٢٧٣، ج ٤ ص ١٧٥.

(٤) الفاتحة ٥.

(٥) نهاية الأيجاز ص ١٥٢.

الخبر للنهي:

منه قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١).

الخبر للوعد:

منه قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾^(٢).

الخبر للوعيد:

منه قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣).

خذلان المخاطب:

خذله يَخْذِلُهُ خَذْلًا وَخِذْلَانًا: تَرَكَ نُضْرَتَهُ وَعَوْنَهُ. وَخِذْلَانُ اللَّهِ الْعَبْدَ: أَنْ لَا يَعِصِمَهُ مِنَ الشُّبْهِ فَيَقَعُ فِيهَا، نَعُوذُ بِلُطْفِ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ^(٤).

قال ابن الأثير: «هو الأمر بعكس المراد ذلك على الاستهانة بالمأمور وقلة المبالاة بأمره، أي: أنني مقابلك على فعلك ومجازيك بحسنه^(٥). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾^(٦). فقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ من باب الخذلان كأنه قال له: إذ قد أبيت ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حَقَّكَ أَنْ لَا تُؤَثِّرَ بِهِ ذَلِكَ وَتَأْمُرَكَ بِتَرْكِهِ. وهذا مبالغة في خذلانه، لأن المبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على ضد ما أمر به.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾^(٧) فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا لِأَمْرِ الْوَارِدِ عَلَى وَجْهِ التَّمْيِيزِ الْمَبَالِغَةِ فِي الْخِذْلَانِ.

وهذا ما تحدث عنه ابن قيم الجوزية، ونقله عن ابن الأثير^(٨).

الخروج:

الخروج: نقيض الدخول، خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجًا^(٩):

قال أبو دواد بن حريز: «والخروج مما بني عليه أول الكلام إسهاب»^(١٠)، وذكر ذلك العسكري أيضا^(١١).

وقال ابن رَشِيق: «وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به لأنَّ الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تتمادى فيما خرجت إليه»^(١٢).

كقول أبي تمام:

ضَبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ضَبًّا مِنْ كَثَبِ

عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمِ الرَّوْعِ مُنْتَقِمًا

سَيْفُ الْإِمَامِ الَّذِي سَمَّتْهُ هَيْبَتُهُ

لَمَّا تَخَرَّمَ أَهْلُ الْأَرْضِ مُخْتَرِمًا

ثم تتمادى في المدح إلى آخر القصيدة:

وَفَرَّقَ ابْنُ رَشِيقٍ بَيْنَ هَذَا النَّوْعِ وَالتَّخْلُصِ وَقَالَ: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُسَمِّي الْخُرُوجَ تَخْلُصًا وَتَوْشَلًا وَيُنْشِدُونَ آيَاتًا مِنْهَا:

إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ الْفِتْيَ وَأَطَاعَهُ

فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ وَلَوْ كَانَ مِنْ جَزْمٍ

وَلَوْ أَنَّ جَزْمًا أَطْعَمُوا شَحْمَ جَفْرَةَ

لَبَاتُوا بِطَانًا يَضْرُطُونَ مِنَ الشَّحْمِ

وأولى الشعر بأن يُسَمَّى تَخْلُصًا مَا تَخَلَّصَ فِيهِ الشَّاعِرُ

(١) الواقعة ٧٩.

(٢) فصلت ٥٣.

(٣) الشعراء ٢٢٧.

(٤) اللسان (خذل).

(٥) الجامع الكبير ص ١٩٧.

(٦) الزمر ٨.

(٧) الزمر ١٤ - ١٥.

(٨) الفوائد ص ٢١٤.

(٩) اللسان (خرج).

(١٠) البيان ج ١ ص ٤٤.

(١١) كتاب الصناعتين ص ٣.

(١٢) العمدة ج ١ ص ٢٣٤.

وقد تَحَدَّثَ الزَّرْكَشِيُّ عن وجوه المُخاطَبَاتِ
والخِطَابِ في القرآن الكريم وقال إِنَّهَا تَأْتِي على نحو
من أربعين وجها ذكر منها: (٩)

الأوَّلُ خِطَابِ العَامِّ المراد به العموم، كقوله تعالى:
﴿إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٠).

الثاني: خطاب الخاص والمراد به الخصوص
كقوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بعد إيمانكم﴾ (١١).

الثالث: خطاب الخاص والمراد به العموم كقوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (١٢).

الرابع: خطاب العام والمراد به «الخصوص كقوله
تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
لكم﴾ (١٣).

الخامس: خطاب الجنس كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّاسُ﴾ (١٤).

السادس: خطاب النوع كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ﴾ (١٥).

السابع: خطاب العين كقوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ

(١) العمدة ج ١ ص ٢٣٦.

(٢) ينظر شرح عقود الجمان ص ٢٧، حلية اللب
ص ٧٠.

(٣) النساء ٢٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٨.

(٥) البديع ص ٦٠.

(٦) حلية المحاضرة ج ١ ص ٢٢٦.

(٧) حسن التوسل ص ٢٢٧، نهاية الارب ج ٧
ص ١١٩.

(٨) اللسان (خطب).

(٩) البرهان ج ٢ ص ٢١٧ وما بعدها.

(١٠) المجادلة ٧.

(١١) آل عمران ١٠٦.

(١٢) الطلاق ١.

(١٣) آل عمران ١٧٣.

(١٤) البقرة ٢١، ١٦٨، وهو كثير في القرآن الكريم.

(١٥) البقرة ٤٠.

من معنى الى معنى ثم عاد الى الأوَّل وأخذ في غيره ثم
رجع الى ما كان فيه» (١). وليس الخروج مثل ذلك لأنه
لا يشترط فيه الرجوع الى ما كان عليه الشاعر.

الخروج على مُقْتَضَى الظاهر:

الأصل في الكلام أن يكون على مُقْتَضَى الظاهر،
ولكنه قد يخرج على خلافه لنكته أو سبب من
الأسباب. ولهذا الخروج أساليب مختلفة منها: وَضَعُ
المُضْمَرِ موضع المُظْهِرِ، وَوَضَعُ المُظْهِرِ موضع
المُضْمَرِ، والقلب، والأسلوب الحكيم، والتغليب،
والالفتات، وغيرها (٢). ولكل واحد منها موضع في
هذا المعجم.

خروج اللَّفْظِ مَخْرَجَ الغالب:

قال الزَّرْكَشِيُّ: «كقوله تعالى: ﴿وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي
في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ (٣). فان الحجر ليس بقيد
عند العلماء، لكنَّ فائدة التقييد تأكيد الحكم في هذه
الصورة مع ثبوته عند عدمها، ولهذا قال بعده: «فإن لم
تكونوا دَخَلْتُمْ بهنَّ فلا جُنَاحَ عليكم» ولم يقل: «فإن لم
تكونوا دخلتم بهن» ولم يكن في حجوركم، فدلَّ على
أن الحجر خرج مخرج العادة» (٤).

الخروج من مَعْنَى إلى مَعْنَى:

هو أحد محاسن الكلام عند ابن المعتز (٥)، وهو
الاستطراد وقد ذكره الحاتمي (٦) وقال الحلبي
والنويري عنه: «ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة أنه
نقل هذه التسمية عن البحري نقلها عن أبي تمام
وسماه ابن المعتز «الخروج من معنى الى معنى» (٧).
وقد تقدم «الاستطراد».

الخِطَاب:

الخِطَابُ والمُخاطَبَةُ: مُرَاجَعَةُ الكلام، وقد خاطبه
بالكلام، وقد خاطبه مُخاطَبَةً وخطابا، وهما
يتخاطبان (٨).

العشرون: خطاب الشخص ثم العدول الى غيره
كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ (١٤).

الحادي والعشرون: خطاب التلوين كقوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (١٥).

الثاني والعشرون: خطاب الجمادات خطاب من
يعقل كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ
كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١٦).

الثالث والعشرون: خطاب التهييج كقوله تعالى:
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧).

الرابع والعشرون: خطاب الإغضاب كقوله تعالى:
﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ
تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٨).

الخامس والعشرون: خطاب التشجيع والتحريض
كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (١٩).

- (١) البقرة ٣٥.
- (٢) وردت كثيرًا في القرآن الكريم.
- (٣) التحريم ٧.
- (٤) الحجر ٤٦.
- (٥) الحجر ٣٤ - ٣٥.
- (٦) الدخان ٤٩.
- (٧) الانشقاق ٦.
- (٨) المؤمنون ٥١، ٥٤.
- (٩) ق ٢٤.
- (١٠) طه ٤٩.
- (١١) يونس ٦١.
- (١٢) الاحزاب ١.
- (١٣) الأعراف ٧٩.
- (١٤) هود ١٤.
- (١٥) الطلاق ١.
- (١٦) فصلت ١١.
- (١٧) المائدة ٢٣.
- (١٨) الممتحنة ٩.
- (١٩) الصف ٤.

أنت وزَوْجُكَ الْجَنَّةِ﴾ (١).

الثامن: خطاب المدح كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢).

التاسع: خطاب الذم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ (٣).

العاشر: خطاب الكرامة كقوله تعالى: «ادْخُلُوهَا
بِسَلَامٍ آمَنِينَ﴾ (٤).

الحادي عشر: خطاب الالهانة كقوله تعالى:
﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ (٥).

الثاني عشر: خطاب التهكم كقوله تعالى: ﴿ذُوقْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٦).

الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ (٧).

الرابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا
صَالِحًا﴾ (٨).

الخامس عشر: خطاب الواحد والجمع بلفظ
الاثنين كقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ (٩).

السادس عشر: خطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله
تعالى: ﴿فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ﴾ (١٠).

السابع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد كقوله
تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ
تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١١).

الثامن عشر: خطاب عين والمراد غيره كقوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (١٢).

التاسع عشر: خطاب الاعتبار كقوله تعالى:
﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي
وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (١٣).

الأول: أن الفاعل قد فعل الفعل على جهة الاختصاص به دون غيره، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾^(١٣) فَصَدَّرَ الجملة بالضمير دلالة على اختصاصه بالاماتة والاحياء والاضحاك والابكاء.

الثاني: التحقق وتمكين ذلك المعنى في نفس السامع بحيث لا يخالجه فيه ريب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^(١٤)، فخطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بـ«إن» المشددة.

ومن ذلك قول بعضهم:

والشيبُ إن يَظْهَرُ فَإِنَّ وراءَه

عُمْرًا يكون خلالَه مُتَنَفِّسٌ

لم يَنْتَقِصْ مني المشيبُ قَلَامَةً

ولما بقي مني أَلْبٌ وَأَكْيَسٌ

فلما كان المشيب يذم في أكثر أحواله أتى باللام المؤكدة في قوله «ولما بقي» وجعل الجملة الاسمية عوضاً من الفعلية في ذلك وتأكيذاً.

(١) الحجرات ١٢.

(٢) الزمر ٥٣.

(٣) مريم ٤٢.

(٤) البقرة ٢٣.

(٥) آل عمران ١١٩.

(٦) آل عمران ٩٣.

(٧) آل عمران ٨٤.

(٨) الأعراف ٢٦.

(٩) معترك الاقران ج ١ ص ٢٢٩.

(١٠) الرسالة ص ٥٣.

(١١) المثل السائر ج ٢ ص ٥٤، الطراز ج ٢ ص ٢٥.

(١٢) الطراز ج ٢ ص ٢٥.

(١٣) النجم ٤٣ - ٤٤.

(١٤) البقرة ١٤.

السادس والعشرون: خطاب التنفير كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

السابع والعشرون: خطاب التحنن والاستعطاف كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٢).

الثامن والعشرون: خطاب التحبيب كقوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ؟﴾^(٣).

التاسع والعشرون: خطاب التعجيز كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾^(٤).

الثلاثون: التحسير والتلهف كقوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغِيظِكُمْ﴾^(٥).

الحادي والثلاثون: التكذيب كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦).

الثاني والثلاثون: خطاب التشریف وهو كل ما في القرآن العزيز مخاطبه بـ«قل» كقوله: ﴿قُلْ آمَنَّا﴾^(٧).

الثالث والثلاثون: خطاب المعدوم كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾^(٨).

وذكر السيوطي هذه الوجوه^(٩)، وكان الامام الشافعي قد تحدث عن بعض هذه الوجوه فعقد أبواباً لما نزل من الكتاب العزيز عاماً يراد به العام ويدخله الخصوص، وما نزل عام الظاهر وهو يجمع العام والخصوص، وما نزل عام الظاهر يُراد به كله الخصوص^(١٠)، ولكنه - رضي الله عنه - لم يفصل جميع وجوه الخطاب.

الخطاب بالجملة الاسمية:

تحدث ابن الأثير والعلوي^(١١) عن الخطاب بالجملة الاسمية، ويؤتي بها لغرض خاص، قال العلوي: «ومتى كان وارداً على جهة الاسمية فإنه ينقدح فيه معنيان»^(١٢)

الخطاب بالجملة الفعلية:

تحدث ابن الاثير والعلوي عن الخطاب بالجملة الفعلية^(١)، وقال ابن الاثير: «وإنما يُعَدُّ عن أحد الخطابين الى الآخر لضرب من التأكيد والمبالغة. فمن ذلك قولنا: «قام زيد» و«إنَّ زيدًا قائم» فقولنا: «قام زيد» معناه الإخبار عن زيد بالقيام، وقولنا: «إنَّ زيدًا قائم» معناه الإخبار عن زيد بالقيام أيضًا، إلا أنَّ في الثاني زيادة ليست في الأوَّل وهي توكيده بـ«إنَّ» المُشَدِّدة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها، وإذا زيد في خبرها اللام فقليل: «إنَّ زيدًا لقائم» كان ذلك أكثر توكيدًا في الإخبار بقيامه»^(٢). فالغرض من الجملة الاسمية الثبوت والهدف من الجملة الفعلية التجدد، وقد قال الرازي: «إنَّ كان الغرض من الاخبار الاثبات المطلق غير المشعر بزمان وجب أن يكون الإخبار بالاسم كقوله تعالى: ﴿وَكَلِّبُهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾^(٣) لأنه ليس الغرض لإثبات البسط للكب، فأما تعريف زمان ذلك فليس بمقصود. وأمَّا إذا كان الغرض في الاخبار الاشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح له الفعل كقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٤). فإنَّ المقصود بتمامه لا يحصل بمجرد كونه معطيًا للرزق بل بكونه معطيًا للرزق في كل حين وأوان»^(٥). ولَخَصَّ القزويني ذلك بقوله: «وفعليتها لافادة التجدد واسميتها لافادة الثبوت فان من شأن الفعلية أن تدلَّ على التجدد، ومن شأنه الاسمية أن تدلَّ على الثبوت»^(٦).

الخطاب العام:

ذكره السبكي وقال: «المقصود منه أن يخاطب به غير معين إيدانًا بأنَّ الأمر لعظمته حقيق بأنَّ لا يخاطب به أحد دون أحد»^(٧). كقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وَقَفُوا على النار﴾^(٨)، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : «بَشِيرِ المشائين في الظلم». وربما يخاطب واحد بالثنية كقول:

خَلِيلِي مُرَّا بِي عَلِيَّ أُمِّ جُنْدُبِ

لنقضي لُبَانَاتِ الفؤَادِ المُعَذَّبِ

ثم قال السبكي: «قال الطيبي: والمراد به عموم استغراق الجنس في المفرد فهو كالألف واللام الداخلة على اسم الجنس قال: وتسميته خطابا عاما مأخوذ من قول صاحب الكشاف: «ما أصابك يا انسان» «خطاب عام».

الخيف:

خيف البعير والإنسان والفرس وغيره خيفًا وهو أخيفُ بينُ الخيفِ والأنثى خيفاء إذا كانت إحدى عينه سوداء كحلاء والأخرى زرقاء^(٩).

قال العلوي: «هو فن من فنون البلاغة حسنُ التأليف والانتظام مُشْتَمِلٌ على ما يجوز فيه الكلم الإهمال والإعجام. وهو أن يكون الكلام من المنشور والمنظوم معقودًا من جزئين إحدى كلمتي العقد منقوطة كلها والأخرى مهملة كلها. واستعارة هذا اللقب من قولهم: «فرس أخيف» إذا كان إحدى عينيه سوداء والأخرى زرقاء»^(١٠).

ومثاله قول الحريري:

اسْمَحْ فبِثَّ السَّمَا حَ زَيْنُ

وَلَا تُخِبْ أَمَلًا تَضِيْفُ

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٥٤، الطراز ج ٢ ص ٣٠.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٥٤.

(٣) الكهف ١٨.

(٤) فاطر ٣.

(٥) نهاية الايجاز ص ٤١.

(٦) الايضاح ص ٩٩، وينظر دلائل الاعجاز ص ١٣٢.

(٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣.

(٨) الانعام ٢٧.

(٩) اللسان (خيف).

(١٠) الطراز ج ٣ ص ١٧٧.

الذي جملة حروف إحدى كلمتيه منقوطة وجملة حروف الكلمة الأخرى غير منقوطة»^(٢).

وسَمَّاه المطرزي «الخيفاء» أيضا وقال: «الخيفاء عند البلغاء هي الرسالة أو القصيدة يكون حروف إحدى كلمتيها منقوطة بأجمعها وحروف الأخرى غير منقوطة بأسرها من الفرس الخيفاء وهي التي خيف وهو أن تكون إحدى عينيها سوداء والأخرى زرقاء»^(٣).

الخَيْفَاء:

هو الخيف^(٤)، وقد تقدّم.

(١) حدائق السحر ص ١٦٨.

(٢) نهاية الايجاز ص ٢٣.

(٣) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٢.

(٤) حدائق السحر ص ١٦٨، نهاية الايجاز ص ٢٣،

الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٢،

الطراز ج ٣ ص ١٧٧.

فقوله «اسمح» لا ينقط شيء من حروفه، وقوله «فبث» منقوطة كلها، وهكذا القول في سائر كلمات البيت.

ومن النثر قول الحريري أيضا: «الكرم ثَبَّتَ اللَّهُ جيشَ سعودك يزين، واللؤم غَضَّ الدهرُ جفنَ حسودك يشين، والأروع يثيب والمعور يخيب، والمُلاحل يضيف والماحل يخيف».

وكان الوَطواط قد سَمَّاه «الخيفاء» وقال: «الخيف في اللغة هو أن تكون عينا الجواد إحداهما سوداء والأخرى زرقاء، وتكون هذه الصنعة بان يجعل الكاتب في نثره أو الشاعر في شعره كلمة من عبارته منقولة وكلمة أخرى عاطلة غير منقوطة»^(١)، وذكر ما ذكره العلوي فيما بعد من أمثلة ولكنه لم يكتف بالبيت الأوّل من قول الحريري وإنما ذكر له بيتًا آخر وهو:

ولا تَجْزِرِ رَدَّ ذِي سَوَالِ

فَنَنْ أَم فِي السَّوَالِ خَقْفُ

وسَمَّاه الرازي الخيفاء أيضا وقال: «هي الكلام

الدلال

الدَّالَّةُ:

لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقذارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها في السارّ والضارّ وعمّا يكون منها لغوّاً بهرَجًا وساقطًا مُطَرِّحًا»^(٤)

وتحدّث ابن وهب عن وجوه البيان ولم يخرج على دلالات الجاحظ، قال: «البيان على أربعة أوجه: فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب ومنه البيان باللسان ومنه البيان بالكتاب وهو الذي يبلغ من بُعد أو غاب»^(٥). وهذا الكلام قريب من كلام الجاحظ فإنّ النُصْبَةَ عنده هي بيان الاعتبار ويدخل فيها بيان الاعتقاد أيضًا لأنّه ثمرة بيان الاعتبار ونتيجته في القلب، ودلالة اللفظ عند الجاحظ هي البيان الثالث، ودلالة الخط هي البيان الرابع.

وبدأ مبحث الدلالة يدخل في البلاغة ويُقسّم علم البيان بمقتضاه، ومن أقدم البلاغيين الذين اهتموا بذلك الرازي، فقد عقد فصولاً للكلام على دلالة اللفظ على المعني، وقسّم الدلالة إلى وضعيّة وعقلية^(٦). وقرر الشكاكي أنّ «صاحب علم البيان له

دلّ يدلّ، اذا هدى، ودلّه على الشيء يدلّه دلًا ودلالة: سدّده إليه»^(١) قال الشريف الجرجاني: «الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأوّل هو الدالّ والثاني هو المدلول؛ وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النصّ وإشارة النصّ ودلالة النصّ واقتضاء النصّ. ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النّظم إمّا أن يكون ثابتًا بنفس النّظم أو لا الأوّل إن كان النّظم مسوقًا إليه فهو العبارة وإلا فالإشارة، والثاني إن كان الحكم مفهومًا من اللفظ لغة فهو الدلالة أو شرعًا فهو الاقتضاء. فدلالة النصّ عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادًا. فقلوه: «لغة» أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرّد سماع اللفظ من غير تأمّل كالنهي عن التأيف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾^(٢) يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الأذى بدون الاجتهاد»^(٣).

وتحدّث الجاحظ عن أصناف الدلالات فقال: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نُصْبَةً، والنُصْبَةُ هي الحال الدالة التي تقوم مقام الأصناف ولا تُقصر عن تلك الدلالات. ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها وحلية مُخالفة لحلية أختها وهي التي تكشف

(١) اللسان (دلل).

(٢) الاسراء ٢٣.

(٣) التعريفات ص ٩٣.

(٤) البيان ج ١ ص ٧٦.

(٥) البرهان في وجوه البيان ص ٦٠.

(٦) نهاية الايجاز ص ٨ وما بعدها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾^(٤)، ومنه، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً، قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾^(٥)

دَلَالَةُ الْإِلْتِمَامِ:

أجمع البلاغيون على أن الدلالة الوضعية لا يقع فيها تفاوت لأن «معرفتها التوقيف»^(٦)، وإنما يقع التفاوت في الدلالة الالتزامية أو دلالة الالتزام. وقال ابن الزمليكانى: «اللفظ إما يعتبر بالنسبة الى تمام مسماه وهو المطابقة أو الى جزئه من حيث هو كذلك وهو الالتزام»^(٧) والأولى وضعية والأخريان عقليتان، لأن اللفظ إذا وضع للمسمى انتقل الذهن من المسمى الى اللازم^(٨)، ومثال دلالة الالتزام دلالة لفظ الإنسان والفرس على كونها متحركة وشاغلة الجهة وغير ذلك من الأمور اللازمة.

دَلَالَةُ التَّضْمُنِ:

هي اعتبار اللفظ الى جزئه من حيث هو كذلك، وذلك نحو دلالة الفرس والانسان والأسد على معانيها التي هي متضمنة لها كالحوانية والإنسانية، فإن هذه المعاني كلها تدل عليها هذه الألفاظ عند الإطلاق

- (١) مفتاح العلوم ص ١٥٦.
- (٢) المصباح ص ٥٠، الايضاح ص ٢١٢، التلخيص ص ٢٣٦، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٥٦، المطول ص ١ - ٣ الأطول ج ٢ ص ٥٢، الطراز ج ١ ص ٣٤.
- (٣) البيان ج ١ ص ٧٨.
- (٤) مريم ٢٩.
- (٥) آل عمران ٤١. البرهان الكاشف ص ٨٣.
- (٦) نهاية الايجاز ص ١٤.
- (٧) البرهان الكاشف ص ٩٨.
- (٨) مفتاح العلوم ص ١٥٦، الايضاح ص ٢١٢، التلخيص ص ٢٣٧، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٦٦، المطول ص ٣٠٣، الأطول ج ٢ ص ٥٤، الطراز ج ١ ص ٣٨، المنزوع البديع ص ٢١٣.

فضل احتياج إلى التعرض لأنواع دلالات الكلم^(١) وشرح ذلك الاحتياج وتحدث عن أنواع الدلالات. وأخرج التشبية من علم البيان لأن دلالة وضعية.

وتبعه في ذلك ابن مالك والقزويني وشراح التلخيص والعلوي^(٢) واتخذوا الدلالات منهجاً في دراسة فنون البيان.

والدلالات التي تحدث عنها القدماء هي: دلالة الإشارة، ودلالة الالتزام، ودلالة التضمن، ودلالة الخط، ودلالة العقد، والدلالة العقلية، ودلالة اللفظ، ودلالة المطابقة، ودلالة التضمن، والدلالة الوضعية.

دَلَالَةُ الْإِشَارَةِ:

هي من دلالات المعاني الخمس التي ذكرها الجاحظ وقال إنها باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجراً ومانعاً رادعاً ويكون وعيداً وتحذيراً. والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تعني عن الخط^(٣). وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة.

أشارت بظرف العين خيفة أهلها
إشارة مذعورٍ ولم تتكلم
فأيقنت أن الظرف قد قال مزحجاً
وأهلاً وسهلاً بالحبیب المتيّم

وقال الآخر:

وللقب على القلب
دليل حين يلقاه
وفي الناس من النا
س مقاييس وأشباه
وفي العين غنى للمر
ء أن تنطق أفواه

وقال ابن الزمليكانى: «ومن الإشارة قوله تعالى:

دلالة اللفظ:

هي أعلى الدلالات الخمس التي ذكرها الجاحظ منزلة، واللفظ هو الذي يتبارى فيه الأدباء ويجولون في ميادينه^(٧).

دلالة المطابقة:

هي أن يُعتبر اللفظ بالنسبة الى تمام مسماه وذلك نحو دلالة الإنسان والفرس والأسد على هذه الحقائق المخصوصة فإنها مرشدة بالوضع عند إطلاقها على معانيها المعقولة. وتختص دلالة المطابقة بأحكام كثيرة منها ثلاثة أحكام هي:

الحكم الأول منها: ليس يلزم في كل معنى من المعاني أن يكون له لفظ يدل عليه بل لا يبعد أن يكون ذلك مستحيلاً؛ لأن المعاني التي يمكن أن يعقل كل واحد منها غير متناهية.

الحكم الثاني: الحقيقة في وضع الالفاظ إنما هو للدلالة على المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية.

الحكم الثالث: الألفاظ المشهورة من جهة اللغة المتداولة بين الخاصة والعامة لا يجوز أن تكون

(١) مفتاح العلوم ص ٥٦، البرهان الكاشف ص ٩٨، الأيضاح ص ٢١٢، التلخيص ص ٢٣٧، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٦٦، المطول ص ٣٠٣، الأطول ج ٢ ص ٥٤، الطراز ج ١ ص ٣٧، المنزح البديع ص ٢١٣.

(٢) الحائن: الهالك.

(٣) البيان ج ١ ص ٧٩، البرهان الكاشف ص ٨٣.

(٤) الأنعام ٩٦.

(٥) البيان ج ١ ص ٨٠، البرهان الكاشف ص ٨٣.

(٦) نهاية الأيجاز ص ٨، مفتاح العلوم ص ١٥٦، البرهان الكاشف ص ٩٨، الأيضاح ص ٢١٢، التلخيص ص ٢٣٧، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٦٦، المطول ص ٣٠٣، الأطول ج ٢ ص ٥٤.

(٧) البيان ج ١ ص ٧٦، البرهان الكاشف ص ٨٣.

لأنها متضمنة لها من حيث أن هذه الحقائق متضمنة لها. فدالاتها عليها من جهة تضمنها إياها^(١).

دلالة الخط:

هي إحدى الدلالات الخمس التي ذكرها الجاحظ، وقد قالوا: «القلم أبقى أثراً» وقالوا: «القلم مطلق في الشاهد والغائب وهو للغابر الحائن^(٢) مثله للقائم الراهن»^(٣).

دلالة العقد:

هي إحدى الدلالات الخمس التي ذكرها الجاحظ، قال: «وأما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل: ﴿فَالْقُلُوبُ إِضْبَاحٌ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٤). والحساب يشتمل على معانٍ كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة، وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جُلِّ النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ما جعله الله - عز وجل - لنا قواماً ومصلحةً ونظاماً»^(٥).

الدلالة العقلية:

قال الرازي: «وأما العقلية فإما على ما يكون داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم البيت ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ إزاء حقيقة مُركبة ولا يكون مُتناوِلاً لأجزائها، وإما على ما يكون خارجاً عنه لدلالة لفظ السقف على الحائط فإنه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة كان اللفظ المفيد لحقيقة السقف مفيداً للحائط بواسطة دلالة الأول فتكون هذه الدلالة عقلية»^(٦).

موضوعه بمعنى خفي لا يعرفه إلا الخاص ولا يصلح أن تكون موضوعه بازاء المعاني الدقيقة التي لا يفهمها إلا الأذكياء^(١).

دَلَالَةُ التُّصْبَةِ:

هي إحدى الدلالات الخمس التي ذكرها الجاحظ وقال: «وأما التُّصْبَةُ فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان»^(٢).

الدَّلَالَةُ الوَضْعِيَّة:

وهي دلالة المُطَابَقَةِ^(٣)، وقد تقدّمت.

الدَّلِيل:

قال قدامة: «البلاغة ثلاثة مذاهب:

المساواة: وهو مُطَابَقَةُ اللفظ المعنى لا زائداً ولا

ناقصاً.

والإشارة: وهو أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة. والدليل: وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه. قال بعض الشعراء:

يكفي قليلُ كلامه وكثيرُهُ
بيتٌ إذا طال التُّضالُ مُصِيبٌ^(٤)

(١) الطراز ج ١ ص ٣٥، وينظر مفتاح العلوم ص ١٥٦، البرهان الكاشف ص ٩٨، الايضاح ص ٢١٢، التلخيص ص ٢٣٧، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٦٦، المطول ص ٣٠٣، الأطول ج ٢ ص ٥٤.

(٢) البيان ج ١ ص ٨١، البرهان الكاشف ص ٨٣.

(٣) نهاية الإيجاز ص ٨، مفتاح العلوم ص ١٥٦، البرهان الكاشف ص ٩٨، الايضاح ص ٢١٢، التلخيص ص ٢٣٧، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٦٦، المطول ص ٣٠٣، الاطول ج ٢ ص ٥٤، الطراز ج ١ ص ٣٨.

(٤) نهاية الأرب ج ٧ ص ٨. ولم يذكر قدامة ذلك في نقد الشعر أو جواهر الالفاظ.

الذکر

الذکر:

والاستلذاذ بذكره مثل: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَازِقُ كُلِّ حَيٍّ».

وبسط الكلام حيث يقصد الاصغاء كقوله تعالى: حكاية عن موسى - عليه السلام: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾^(٣)، ولذلك زاد على الجواب بقوله: «أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا». وذكر السكاكي: أن المسند اليه يذكر لكون الخبر عام النسبة الى كل مسند اليه^(٤) كقول الشاعر:

اللَّهُ أَنْجَحَ مَا طَلَبْتُ بِهِ

والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

والنفسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا

وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

ولكن القزويني قال: «وفيه نظر، لأنه، إن قامت قزينة تَدُلُّ عليه إن حذف فعموم الخبر واردة تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره وإلا فيكون ذكره واجبا»^(٥).

إما ذكر المسند فللأسباب التي تقدمت في المسند اليه كزيادة التقرير والتعريض بغاوة السامع والاستلذاذ والتعظيم والإهانة وبسط الكلام، أو

(١) اللسان (ذكر).

(٢) البقرة ٥.

(٣) طه ١٨.

(٤) مفتاح العلوم ص ٨٥.

(٥) الايضاح ص ٣٤، وينظر شروح التلخيص ج ١ ص ٢٨٢.

الذکر - الحفظ للشيء تذكره، والذکر أيضا: الشيء يجري على اللسان يقال ذَكَرَهُ يَذْكُرُهُ ذِكْرًا وَذُكْرًا^(١).

ويقرن البلاغيون الذُّكْرَ بالحذف وهو نقيضه وقد تَقَدَّمَ. ويُذَكَّرُ المُسْنَدُ اليه، والمسند وغيرهما في العبارة ولسبب من الأسباب، ومن أغراض ذُكْرِ المُسْنَدِ اليه:

أنه الأصل ولا مقتضى للحذف، فاذا حُذِفَ ذهب المعنى.

وضعف التعويل على القرينة، وذلك إذا ذُكِرَ المسند اليه في الكلام وطال عهد السامع به، أو ذُكِرَ معه كلام في شأن غيره مما يوقع في اللبس إن لم يذكر.

والتنبيه على غباوة السامع حتى أنه لا يفهم إلا بالتصريح.

وزيادة الايضاح والتقرير كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، ففي تكرير اسم الاشارة زيادة ايضاح وتقرير لتمييزهم على غيرهم.

وإظهار التعظيم بالذُّكْرُ مثل: «القهار يصون عباده» لعظم هذا الاسم. أو اظهار الاهانة مثل: «اللعين إبليس».

والتبرك باسمه مثل: «محمد رسول الله خير الخلق».

الصنعة بأن يقول الشاعر قصيدة او مقطوعة ويجعل لها قافيتين متجاورتين^(٧). ومثاله قول مسعود ابن سعد:

يا ليلةً أَظْلَمَتْ عَلَيْنَا
ليلاءَ قَارِيَةَ الدُّجْنَةِ
قد رَكَضَتْ فِي الدُّجَى عَلَيْنَا
دُهْمًا خُدَارِيَةَ الأَعْنَةِ
فَبِتُّ أَقْتَسَاهَا فَكَانَتْ
حُلَّى نَهَارِيَةَ الأَجْنَةِ

ففي هذه الأبيات نجد أن القافية الأولى هي الكلمات «قارية» و«خدارية» و«نهارية»، اما القافية الثانية فهي: «الدجنة» و«الأعنة» و«الأجنة» وسماه التفتازاني «ذا القافيتين ايضاً»^(٨)، وهو التشريع أو التوشيح وقد تقدماً.

(١) مفتاح العلوم ص ٩٩، الايضاح ص ٨٦، التلخيص ص ١٠٦، شروح التلخيص ج ١ ص ١٩.

(٢) الايضاح ص ١٩٧، التلخيص ص ٢٢٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢١٦، المطول ص ٢٩٢، الاطول ج ٢ ص ٤٣، البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤٦٤، شرح عقود الجمان ص ٧٢.

(٣) البرهان ج ٢ ص ٤٧١.

(٤) الأنعام ١٦٢.

(٥) التوبة ٧٨.

(٦) حسن التوسل ص ٣٠١، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٧.

(٧) حدائق السحر ص ١٥٧.

(٨) المطول ص ٤٥٨، المختصر ج ٤ ص ٤٦١.

ليتعين كونه اسما فيستفاد منه الثبوت أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد، أو كونه ظرفاً فيورث احتمال الثبوت والتجدد^(١).

ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ:

هو الإطناب بذكر الخاص بعد العام^(٢)، وقد تقدم.

ذِكْرُ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ:

قال الزركشي: «وهذا أنكر بعض الناس وجوده وليس بصحيح»^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾^(٤)، والنسك العبادة، فهو أعم من الصلاة. وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٥).

الذَّمُّ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ:

قال الحلبي والنويري: «هو أن يقصد المتكلم ذمَّ انسان فيأتي بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجو»^(٦). ومنه قول بعضهم في الشريف ابن الشجري:

يا سيدي والذي يُعِيدُكَ مِنْ
نَظْمٍ قَرِيضٍ يَصُدُّ بِه الْفِكْرُ
ما فيك من جدك النبي سوى
أَنَّكَ لَا يَنْبَغِي لَكَ الشُّعْرُ

ذو القافيتين:

هذه تسمية الوطواط وقد قال عنه: «وتكون هذه

الراء

الرَّجْع:

رَجَعَ رَجْعًا وَرُجُوعًا وَرُجِعَى وَرُجِعَانَا وَمَرَجَعًا وَمَرَجَعَةً: انصرف وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾^(٣) أي الرجوع والمرجع^(٤).

تحدث ابن شيث القرشي عن الرَّجْع وقال: «الرَّجْع أيضًا وهو الرد تقول: «رجعت فلانا عن كذا وكذا» إذا رددته. ومنه ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(٥)

وهو أيضًا نوعان: مجتمع ومفروق.

فالمجتمع كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور على صيغة واحدة في اللفظ والخط لا تخالف إحداهما الأخرى إلا بأول الحروف ثم يعود ما في كل واحدة من الكلمتين في الأخرى بغير زيادة ولا نقص كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٦)، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرُحُونَ﴾^(٧). ومنه قول علي - صلوات الله عليه - : «الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر، فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم». ومنه قول أبي عبادة:

(١) اللسان (رجع).

(٢) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٣. الرأية مختلف

(٣) العلق ٨.

(٤) اللسان (رجع).

(٥) الطارق ١١.

(٦) الهمزة ١.

(٧) غافر ٧٥.

والصحيح هو الأصح
ويطابقه الديوان ما عدا
في شعور مشهور

رَجَحَانِ السَّابِقِ عَلَى الْمَسْبُوقِ:

رجح الشيء بيده وزنه ونظر ما ثقله، وأرجح الميزان أي أثقله حتى مال، ورجح الشيء يَرْجُحُ وَيَرْجُحُ وَيَرْجُحُ رُجُوحًا وَرَجَحَانًا، ورجح في مجلسه يَرْجُحُ: ثَقُلَ فلم يخف^(١).

وَرَجَحَانِ السَّابِقِ عَلَى الْمَسْبُوقِ نوع من الأخذ، ولكنّه يكون أقلّ رتبة ودرجة من المأخوذ منه أي أنّ السابق يرجح على المسبوق. وقد ذكره ابن منقذ ولم يُعرِّفه وقال إنه كقول مسلم بن الوليد:

فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقٌ عِرْضِكَ إِنَّهُ

عِرْضٌ عَزَزْتُ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلٌ

أخذه أبو نواس فقصر منه الوزن وأطال المعنى فقال:

بِمَا أَهْجُوكَ لَا أُدْرِي

لِسَانِي فَيْكَ لَا يَجْرِي

إِذَا فَكَّرْتُ فِي هَجْوِ

لِي أَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِي

وقال عدي بن زيد:

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِيقٌ

كُنْتُ كَالْعَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي

أخذه أبو نواس فقصر عنه بقوله:

غَضَّضْتُ عَنْكَ بِمَا لَا يَدْفَعُ الْمَاءُ

وَصَحَّ هَجْرُكَ حَتَّى مَا بِهِ مَاءٌ^(٢)

غَضَّضْتُ مَلَأَ

وقال الباقلاني قبل ذلك إنَّ منهم مَنْ لا يَعُدُّ الاعتراض والرجوع من البديع وذكر البيهقي^(٦).

والرجوع هو الفن الثالث من محاسن الكلام عند ابن المعتز، وهو «أنَّ يقول شيئاً ويَزِجُ عنه»^(٧). كقول بشار:

نُبِّئْتُ فاضِحُ أُمِّه يَغْتَابِنِي
عند الأمير وهل عليك أمير؟

وقول يزيد بن الطثرية:

أليس قليلاً إنَّ نظرْتُها
اليك وكلا ليس مِنْك قليلُ

وَعَرَّفَهُ العسكري بمثل كلام ابن المعتز^(٨)، وقرنه ابن منقذ بالاستثناء وقال: إنَّ الرجوع والاستثناء هو أن تذكر شيئاً ثم تَزِجُ عنه^(٩)، وذكر بيت ابن عشرين. وقال الحلبي والنويري: «هو أن يعود المتكلم إلى كلامه السابق بالنقض لنكته»^(١٠). وقد قال السيوطي عن هذه النكته تعليقاً على بيت زهير: «قِفْ بالديار»: «والنكته في أنه يبين برجوعه دهش عقله عند رؤية ديار أحبته فلم يَعْرِفْ ما يقول وتوهم ما ليس بصحيح فلما راجعه عقله رجع بالنقض عن

(١) الأمر من باراه وساماه وهاماه للمغالبة بالمباراة والسمو والهمي.

(٢) معالم الكتابة ص ٧٠ - ٧١. الشواجر جمع شاجر وشاجرة بمعنى القاطع.

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٢٥٤، الجامع الكبير ص ٢٦٠.

(٤) العمدة ج ١ ص ٣٢٥.

(٥) إعجاز القرآن ص ٢٤٥.

(٦) إعجاز القرآن ص ١٥٣.

(٧) البديع ص ٦٠، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٨.

(٨) كتاب الصناعتين ص ٣٩٥.

(٩) البديع في نقد الشعر ص ١٢٠.

(١٠) حسن التوسل ص ٢٦٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٤.

لأنت معاطفه فَخِيلَ أَنَّهُ
للخيزران مُناسِبٌ بعظامه

إِنَّ كُنْتَ تُنَكِّرُ ما أقولُ فجارِه
أو بارِه أو سامِه أو هامِه^(١)

والرجع المفرق: هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنشور تضمن احدهما من الحروف ما تضمنته الاخرى بغير زيادة ولا نقصان إلا انه على غيربنية ولا ترتيب كما كان في الرجوع المجتمع ولكن قد يتقدم بعض الحروف على بعض وهو من أحسن أوضاع الكتابة كقولك: «فلان أرفع القوم عمادًا وأرفعهم معادًا وأصدقهم معادًا». ومنه قول الشاعر:

شواجرُ أرماحٍ تقطَّعَ بينهم

شواجرُ أرحامٍ ملومٍ قطوعُها^(٢)

وهذا هو الجناس، فالرجع المجتمع عند ابن الاثير في القسم الثاني من المشبه بالتجنيس وهو «أن تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس»^(٣).

والرجع المفرق عند ابن رشيق من جناس المضارعة وهو: «أن تتقدم الحروف وتتأخر»^(٤) كقول أبي تمام:

بيضُ الصفائِحِ لا سُودُ الصِّحائِفِ في

مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ والرِّيبِ

وقول البحري: «شواجر أرماح...»

الرجوع:

الرجوع هو الانصراف والعودة، وقد ذكر الباقلاني أنَّ أبا عبيدة كان يقول عن امرئ القيس في بيته:

وإنَّ شِفائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ

فهل عند رَسْمِ دارِسٍ من مُعَوَّلٍ

إنَّه رَجَعُ فاكذب نفسه كما قال زهير:

قِفْ بالديار التي لم يَعْفُها القِدَمُ

بلى وغيَّرها الأزواح والديَمُ^(٥)

الكلام الأول»^(١).

والرجوع من المُحسِّنات عند المُتأخِّرين، وقد عرّفه القزويني بمثل تعريف الحلبي والنويري^(٢) وتبعه في ذلك شرح التلخيص^(٣).

وعقد ابن قيم الجوزية فصلاً للرجوع والاستدراك وقال: هو على قسمين:

الأول: أن تذكر شيئاً وترجع عنه كقولهم: «والله ما معه من العقل شيء إلا بمقدار ما يُوجب الحجة عليه». وقول زهير: «قِفْ بالديار...».

الثاني: من الاستدراك وهو أن يتدبّر كلامه بما يوهّم السامع أنه هَجَوٌ ثم يستدرك ويأخذ في المدح كقوله أبي مقاتل الضير:

لا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانِ

عُرَّةُ الداعي ويوم المهرجانِ

وهذا النوع غير مستحسن عند الحدّاق فإنّ السامع ربما يتطير من أول الكلام فيتأذى ولا يلتذ بما بعده^(٤).

وقال الحموي: وسَمَّاه بعضهم استدراكاً واعتراضاً وليس بصحيح^(٥) ثم قال: «والذي اقوله إنّ هذا الرجوع لا فرق بينه وبين السلب والايجاب وقد تقدم قول أبي هلال العسكري أنّ السلب والايجاب هو الذي يبيّن المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة وإثباته من جهة أخرى. وقال القاضي جلال الدين: «الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض. وكل من التقريرين لائق بالنوعين». وذهب الى مثل ذلك المدني وقال: «وليس المراد أنّ المتكلم غلط ثم عاد لأنّ ذلك يكون غلطاً لا بديع فيه، بل المراد أنّه أوهّم الغلط وإنّ كان قاله عن عمد إشارة الى تأكد الاخبار بالثاني لأنّ الشيء المرجوع اليه يكون تحقّقه أشد»^(٦).

رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ:

الرّد: صرّف الشيء ورَجَّعه، والمراد: مصدر رددت الشيء^(٧). ورد العجز على الصدر هو «التصدير» وقد تقدم، وسَمَّاه ابن المعتز «رَدُّ أَعْجَازِ

الكلام على ما تقدمها»^(٨) وتبعه في ذلك معظم البلاغيين^(٩). وسَمَّاه التبريزي والبغدادي «رَدُّ الكلام على صَدْرِهِ»^(١٠).

الرَّذَالَةُ:

الرذُل والرذيل والأرذل: الدون من الناس، وقيل: هو الرديء من كل شيء. وقد رذُل فلان يرذُل رذالة ورذولة فهو رذُل ورذال^(١١).

(١) شرح عقود الجمان ص ١١٢، وينظر خزانة الادب ص ٣٦٧، نفحات ص ١٦٣، شرح الكافية ص ٣٣١.

(٢) الايضاح ص ٣٥٢، التلخيص ص ٣٥٩.

(٣) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢١، المطول ص ٤٢٤، الأطول ج ٢ ص ١٩٤، وينظر حلية اللب ص ١٣٤، التبيان في البيان ص ٣٢٣.

(٤) الفوائد ص ١٦٨.

(٥) خزانة الادب ص ٣٦٧.

(٦) أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٦٩.

(٧) اللسان (ردد).

(٨) البديع ص ٤٧، وينظر المنصف ص ٦٠.

(٩) كتاب الصناعتين ص ٣٨٥. اعجاز القرآن ص ١٤٠، نهاية الايجاز ص ٣٠، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٤، مفتاح العلوم ص ٢٠٣، المثل السائر ج ١ ص ٢٥١، الجامع الكبير ص ٢٥٨، تحرير التحبير ص ١١٦، بديع القرآن ص ٣٦، التبيان ص ١٧٩، نظرة الاغريض ص ١٠٤، المصباح ص ٧٧، حسن التوسل ص ٢١٤، نهاية الارب ج ٧ ص ١٠٩، الايضاح ص ٣٩٠، التلخيص ص ٣٩٣، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٣٣، المطول ص ٤٤٩، الاطول ج ٢ ص ٢٢٨، الطراز ج ٢ ص ٣٩١، الفوائد ص ٢٣٩، البرهان ج ٣ ص ٤٦٧، خزانة ص ١١٤، شرح عقود الجمان ص ١٤٨، أنوار الربيع ج ٣ ص ٩٤، الروض المربع ص ١٠٧، نفحات ص ٤٧، التبيان في البيان ص ٤١٤، شرح الكافية ص ٨٢.

(١٠) الوافي ص ٢٧٢، قانون البلاغة ص ٤٤٤.

(١١) اللسان (رذُل).

الرَّقْطَاءُ:

الرَّقْطَاءُ: سواد يشوبه نقط بياض أو بياض يشوبه نقط سواد، وقد اِرْقَطَ اِرْقَاطًا وَاِرْقَاطًا وَاِرْقِطَاطًا وهو اِرْقَطُ والأُنثى رَقْطَاءٌ^(٦).

قال المُطَرِّزِي: «وأما الرقطاء عندهم فهي التي أحد حروف كلمة منها منقوط والآخر غير منقوط من الشاة الرقطاء وهي التي بها نقط سود وبيض. مثال ذلك من النثر قول الحريري: «أخلاق سيدنا تحب وبعقوته تلب»^(٧).

وقد ذكره العلوي وهو يتحدّث عن «الخيف» وقال: «ومما يجيء على أثره ويسبك من خلاصة جوهره نوع آخر من هذه الرسائل يلقب بالرقطاء وهي مُخالفة لما ذكره في الخيف لكنّها تختص بها نوعًا من الاختصاص، وهي أن تكون الكلمة الواحدة أحد حروفها منقوط والآخر مُهمَل لا نُقَط فيه، واشتقاقه من قولهم: «شاة رقطاء» وهي التي في جلدها نُقَط من سوادٍ وبياض، وليس وراء هذا شيء، خلا ما ذكرناه من الأحكام في البلاغة وعلو مراتب الفصاحة وسلاطة اللسان وجودة القريحة وصفاء الذهن الى غير ذلك من المواد التي يجعلها الله في بعض الأشخاص دون بعض»^(٨)، ومثاله قول الحريري: «أخلاق سيدنا تحب» فالهمزة مُهملة والخاء منقوطة واللام مُهملة والقاف منقوطة، ومثاله من الشعر قول الحريري:

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٦٤.

(٢) اللسان (رشق).

(٣) البديع في نقد الشعر ص ١٦١.

(٤) اللسان (رفا).

(٥) شرح عقود الجمان ص ١٧٠.

(٦) اللسان (رقت).

(٧) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٣.

(٨) الطراز ج ٣ ص ١٧٨.

عقد ابن منقذ بابًا للردالة والجهامة وقال: «إنّ الرّدالة هو أن يكون المعنى لا يُراد ولا يُستفاد»^(١) مثل قول بعض العرب:

زيادُ بنُ عَينٍ عَينُهُ تحت حاجبه

وأسنانه بيضٌ وقد طرَّ شاربه

وقول أبي العتاهية:

مات الخليفةُ أيُّها الثَّقَلانِ

فكأنني أَفَطَرْتُ في رَمضانِ

ومنه قول الآخر:

إنَّ جِشْمِي شَفَّ من غَيرِ مَرَضٍ

وفؤادي لَجوى الحُزْنِ غَرَضٍ

كجِرابٍ كان فيه جُبنٌ

دَخَلَ الفأْرُ عليه فأنْقَرَضَ

الرِّشَاقَةُ:

الرِّشَاقَةُ والرِّشِيقُ من الغلمان والجواري: الخفيف الحسن القد اللطيفه، وقد رَشِقَ رَشَاقَةً. يقال للغلام والجارية إذا كانا في اعتدال: رشيقي ورشيقة وقد رَشِقَا رَشَاقَةً^(٢).

عقد ابن منقذ بابًا للرِّشَاقَةُ والجهامة وقال: «أما الجَهامة فهي الكلمات القبيحة في السمع وأما الرِّشَاقَةُ فهي حلاوة الألفاظ وعدوبتها»^(٣) كقول الشَّنْفَرِي:

لَتَقَرَّعَنَّ عَلَيَّ السِّنُّ من نَدَمٍ

إذا تذكرت مني بعضَ أخلاقي

الرَّفْوُ:

رَفْوُ الثَّوبِ أَرْفُوهُ رَفْوًا^(٤) أي أصلحتُ ما به من عيب وأعدت الالتحام بين أجزائه والرفو نوع من التضمين وذلك ان يضمن المصراع فما دونه، قال الشُّيُوطِي: «والمصراع فما دونه يسمى رفوًا وإبداعًا لأنّه رفا شعره بشعر الغير وأودعه أياه»^(٥)

الى التراقي والنحور وزبد الماء فيها مزاجا فانتهى
الشراب الى فوق رؤوسها. ويجوز أن يكون انتهاء
الحُباب الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت.
والأول أملح، وفائدته معرفة حَدِّها صِرْفًا من معرفة
حَدِّها ممزوجة»^(٣).

وتابع البلاغيون ابن رشيقي في عدِّ الرمز من الاشارة
والكناية فقال عبد القاهر: «وكذلك إثباتك الصفة للشيء
تثبتها له اذا لم تُلقِّه الى السامع صريحًا وجئت اليه من
جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة كان له من
الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا
يجهل موضع الفضيلة فيه»^(٤).

وتتفاوت الكناية عند السكاكي الى تعريض
وتلويح ورمز وإيماء وإشارة قال: «وإن كانت ذات
مسافة غريبة مع نوع من الخفاء كنعو «عريض القفا»
و«عريض الوسادة» كان اطلاق اسم الرمز عليها مناسبًا،
لأنَّ الرمز هو أن تشير الى قريب منك على سبيل
الخفية»^(٥).

وذكر مثل ذلك القزويني وشراح التلخيص^(٦).
وتابعهم ابن الاثير الحلبي فقال وهو يتحدث عن
الكناية: «فإن كثرت الارداف والوسائط فإنه يكون
خفيا جدًا كالإلغاز والتعمية التي تراض بهما الأذهان
فما وقع من هذا الباب لقصد سُمي كناية أو تعريضًا إذا
قارب الظهور وأما اذا أوغل في خفائه سُمي لغزًا أو
رمزًا»^(٧).

(١) اللسان (رمز).

(٢) البرهان في وجوه البيان ص ١٣٧.

(٣) العمدة ج ١ ص ٣٠٦.

(٤) دلائل الاعجاز ص ٢٣٧.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٩٤.

(٦) الإيضاح ص ٣٢٧، التلخيص ص ٣٤٣، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٦٩، المطول ص ٤١٣،

الاطول ج ٢ ص ١٧٦، شرح عقود الجمان

ص ١٠٣.

(٧) جواهر الكنز ص ١٠٦.

سَيِّدُ قُلُوبٍ سَبُوقٌ مَبْرٌ
فَطِنٌ مُعْرِبٌ عَزُوفٌ عَيْوْفٌ

الرَّمْزُ:

الرَّمْزُ: تصويت خفي باللسان كالهمس، والرمز:
إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفقتين، والرمز:
كُلُّ ما أشرت اليه مما يُبان بلفظ بأي شيء أشرت
اليه بيد أو بعين^(١).

قال ابن وهب: «وأما الرمز فهو ما أخفي من
الكلام... وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه
فيما يريد طيِّه عن كافة الناس والافضاء به الى
بعضهم فيجعل للكلمة أو للحرف اسمًا من أسماء
الطيور والوحش أو سائر الاجناس أو حرفًا من
حروف المعجم ويطلع على ذلك الموضع من يريد
افهامه رمزه فيكون ذلك قولاً مفهوماً بينهما، مرموزًا
عن غيرهما. وقد أتى في كتب المتقدمين والحكماء
والمتفلسفين من الرموز شيء كثير وكان أشدهم
استعمالاً للرمز افلاطون»^(٢).

وعَدَّ ابن رشيقي الرمز من أنواع الإشارة وقال: «ومن
أنواعها الرمز كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل
زوجها وشبيت:

عَقَلْتُ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى
مَعَ الصَّبْحِ أَوْ مَعَ جُنْحِ كُلِّ أَصِيلٍ
يريد: أنني لم أعطها عقلاً ولا قوداً بزوجها إلا الهَمَّ
الذي يدعوها الى عد الحصى.

ومن مליح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوسًا
ممزوجة فيها صور منقوشة:

قَرَارُهَا كِسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا
مَهَّأ تَدْرِيبُهَا بِالْقَسِيِّ الْفَوَارِسُ
فَللْخَمْرِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا
وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
يقول إنَّ حَدَّ الخمر من صور الفوارس التي في الكؤوس

وتحدّث المصري عن الرمز والإيماء وقال إنّه من مُبتدعاته مع أنّ ابن رَشِيْق وغيره تكلموا على الرمز. قال: «فحواه أن يريد المُتكلّم إخفاء أمر ما في كلامه مع إرادته إفهام المُخاطب ما أخفاه فيرمز له في ضمنه رمزاً يهتدي به الى طريق استخراج ما أخفاه من كلامه. والفرق بينه وبين الوحي والإشارة أنّ المُتكلّم في باب الوحي والإشارة لا يودع كلامه شيئاً يستدل منه على ما أخفاه لا بطريق الرمز ولا غيره بل يوحى مراده وحيثاً خفيّاً لا يكاد يعرفه إلاّ أحذق الناس. فخفاء الوحي والإشارة أخفى من خفاء الرمز والإيماء. والفرق بينه وبين الإلغاز أنّ الإلغاز لا بد فيه ما يدلّ على المُعمّى فيه بذكر بعض أوصافه المُشتركة بينه وبين غيره وأسمائه فهو أظهر من باب الرمز»^(١). ومثال الرمز قول النابغة الذبياني:

فأحكّم كحكّم فتاة الحيّ إذ نظرت
الى حمامٍ شراعٍ وارِدِ الثَّمَدِ
يُحْفُه جانبا نيقٍ ويتبعُه
مثل الرجاجة لم تُكحلّ من الرّمَدِ
قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا
الى حمامتنا أو نصفه فقد

فكملت مائة فيها حمامتها
وأسرعت حسبةً في ذلك العددي^(٢)
فانه رمز عدّة الحمام التي رأتها الزرقاء - وعدته ستّ
وستون حمامة - فأخفى هذه العدّة ولم يدلّ عليها
بصريح الدلالة، ورمز الدلالة على عدتها بهذا
الطريق. ومن أمثلة هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ
الصلاةَ طرفي النهارِ وزُلْفًا من الليلِ إنّ الحسنةَ
يُذهبن السيئاتِ﴾^(٣)، فإنّ صدر هذه الآية دلّ على
أنّ الصلوات خمس، لأنّه - عز وجل - أشار الى
صلاتي النهار بقوله: ﴿طرفي النهار﴾ ودلّ على
صلوات الليل بقوله تعالى: ﴿وزُلْفًا من الليل﴾.
وعدّه السجلماسي من التعمية وهي من جنس الإشارة
وقال إنّه من الأقاويل اللغزية.^(٤)

- (١) بديع القرآن ص ٣٢١.
(٢) فتاة الحي: زرقاء اليمامة. شراع: مجتمعة.
التمد: الماء القليل. النيق: الجبل. قد: حسب.
الحسبة: الحساب.
(٣) هود ١١٤.
(٤) المنزع البديع ص ٢٦٩.

الزاي

الزِيَادَةُ:

الزِيَادَةُ: التَّمَوُّ، والزيادة خلاف النقصان، زاد الشي يزيد زَيْدًا وزَيْدًا وزيادة ومزِيدًا ومزَادًا. اي: ازداد^(١).

فما نُطْفَةٌ من ماءٍ نَهَضَ عذِيبةٌ
تمنع من أيدي الرقاة يرومُها
بأطيبٍ من فيها لَوْ أَنَّكَ ذُقْتَهُ
إذا لَيْلَةٌ أَشَجَّتْ وِغَارَتِ نَجْوُمُهَا

قوله: «لَوْ أَنَّكَ ذُقْتَهُ» زيادة أفسد بها المعنى لأنه أوهم أنك اذا لم تذقه لم يكن طيبًا ولو قال: «بأطيب من فيها واني لصادق» لكان أوكد في الاخبار وأصح في الانتقاد^(٦). وقال ابن قَيِّم الجوزية عن الزيادة في البناء: «هو أن يقصد المتكلم معنى يعبر عنه لفظتان إحداهما أزيد بناءً من الأخرى فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصدًا منه الى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه. ولهذا فان «اعشوشب» و«اخشوشن» في المعنى أكثر وأبلغ من «خشن» و«اعشب» ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضًا.

فان «ستار» أبلغ من «ساتر» و«عقار» أبلغ من «غافر». ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾^(٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾^(٨) عدل عن «قادر» الى

تحدّث النحاة الأوائل عن الزيادة وفضلها في الكلام، وقد أشار الخليل الى موضعها وبلاغتها وقال سيبويه في مثل: «مررت برجل حسبك به من رجل» وزعم الخليل - رحمه الله - أن «به» ههنا بمنزلة «هو» ولكن هذه الباء دخلت ههنا توكيدًا قال: «كفى الشيب والاسلام» و «كفى بالشيب والاسلام»^(٢) فالزيادة تفيد الكلام توكيدًا وتقوية والى ذلك ذهب أبو عبيدة وذكر أن الحروف تزداد للتأكيد وللتنبية^(٣).

وتحدّث التبريزي عن الزيادة التي يتم بها المعنى كقول طرفة:

فسقى ديارك - غير مفسدها-

صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

فقوله: «غير مفسدها» زيادة جعلت المعنى في غاية الحسن^(٤).

وذكر المصري أن هذا الفن من مستخرجاته ولكن الخليل وسيبويه وأبا عبيدة قد أشاروا الى بلاغة الزيادة، وأمثلة التبريزي تجعله من التميم أو الاحتراس ولكن فضل المصري انه فضل القول فيه^(٥).

ونصح المظفر العلوي الشاعر أن يتجنب الزيادة كما يتجنب الاخلال، كقول الشاعر:

(١) اللسان (زيد).

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٢٦.

(٣) مجاز القرآن ج ١ ص ٢٢٦.

(٤) الوافي ص ٢٩٦.

(٥) بديع القرآن ص ٣٠٥.

(٦) نضرة الاغريض ص ٤٢٨.

(٧) نوح ١٠.

(٨) الكهف ٤٥.

التأكيد، ومنهم من يسميه بالصلة، ومنهم من يسميه المُقْحَم^(٤) ثم تَحَدَّثَ عن الزيادة في الحروف والافعال، ومن الأول قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٥) وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٦). ومن الثاني زيادة «كان» في قوله تعالى: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٧)، ومثل قولهم: «أصبح العسلُ حلوا».

«مقتدر» ليشعر بالزيادة على زيادة قدرة الله تعالى والبيان عن عظم شأنه. ومن هذا المعنى قول أبي نواس:

فَعَفَوْتُ عَنِّي عَفْوً مُقْتَدِرٍ
أَحَلَّتْ لَهُ نَعْمٌ فَأَلْفَاهَا

والعرب عادتُها أن تزيد في بناء الاسم ليشعر بزيادة المعنى الدال عليه^(١).

وكان ابن الأثير قد تَحَدَّثَ عن مثل هذا في باب «قوة اللفظ لقوة المعنى» وذكر الأمثلة نفسها^(٢). وتَحَدَّثَ مثل ذلك الزُّرْكَشِي وقال:

«إنَّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقِلَ إلى وزن آخر أعلى منه فلا بدَّ أن يَتَضَمَّنَ من المعنى أكثر مما تضمنه أوَّلًا، لأنَّ الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زيدت في الالفاظ وجب زيادة المعنى ضرورة»^(٣) وعقد للزيادة المطلقة قسمًا أيضًا وقال: «والاكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ويسمونونه

- (١) الفوائد ص ١٠٦.
- (٢) المثل السائر ج ٢ ص ٦٠، الجامع الكبير ص ١٩٣.
- (٣) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٤.
- (٤) البرهان ج ٣ ص ٧٠، وينظر الروض المريع ص ١٦٣.
- (٥) المائة ١٣.
- (٦) آل عمران ١٥٩.
- (٧) مريم ٢٩.

السين

السؤال والجواب:

تشابه علينا وإنما إن شاء الله لمهتدون. قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تُثِيرُ الأَرْضَ ولا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لا شِيَةَ فيها قالوا الآن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِحُوهَا وما كادوا يَفْعَلُونَ ﴿٥﴾.

ذَكَرَهُ الوَطَواطُ وقال: «تكون هذه الصنعة بأن يرد في البيت أو البيتين سؤال وجواب»^(١). ومنه قول الباخرزي:

ومنه قول امرئ القيس:

قد قُلْتُ لها هجرتني ما العِلَّةُ؟

ويومَ دَخَلْتُ الخِدرَ خِدرَ عُنيزَةٍ

صَدَّتْ وتمايلت وقالت قل له

فقلت لك الويلات إنك مرجلي

وقال: «والفرس يُقدِّرون صنعة السؤال والجواب حقَّ قدرها ويستعملونها في القصيدة من مطلعها الى نهايتها على نسق واحد».

فقلتُ لها سيري وارخي زمامه

ولا تَمْنَعِينَا من جَنَّاك المَعْلَلِ

وذَكَرَ الرازي هذا الفن ولم يُعَرِّفْهُ ومثَّل له بقول

وقال الحموي إنه المُراجَعَةُ وهي: «أن يحكي المُتَكَلِّم مُراجَعَةَ في القول ومُحَاوَرَةَ في الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وأطف معنى وأسهل لفظ أما في بيت أو في ابيات»^(٦).

الباخرزي: «قد قلت لها...»^(٢) ومثَّل له الحلبي والنويري^(٣) بقول أبي نواس:

لك جِسمي تَعِلُّه

فدمي لِمَ تُجِلُّه

وقال المدني عن المُراجَعَةَ: «وسَمَّاهَا جماعة منهم الإمام فخر الدين الرازي: السؤال والجواب... وقال الشيخ صفي الدين الحلبي في شرح بديعته: وذكر ابن أبي الاصبغ أن هذا النوع من مخترعاته وقد وجدناه في

قال إن كنت مالكا

فلي الأمر كله

وقال ابن قَيِّم الجَوَزيَّة: «هو أن يحكي كلامًا بـ«قال» ثم يجيبه بـ«قال» أيضا»^(٤)، وهو في القرآن الكريم كثير منه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبِحُوا بَقْرَةً، قالوا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا؟ قال أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهِلين. قالوا ادْعُ لنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لنا ما هي؟ قال: إِنَّه يقولُ إِنَّها بَقْرَةٌ لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ عَوانٌ بين ذلك فافعلوا ما تُؤمرون. قالوا: ادْعُ لنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لنا ما لوئُها؟ قال إِنَّه يقولُ إِنَّها بَقْرَةٌ صَفراءُ فاقع لونها تَسُرُّ الناظرين. قالوا: ادْعُ لنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لنا ما هي إِنَّ البَقْرَ

(١) حدائق السحر ص ١٥٩.

(٢) نهاية الايجاز ص ١١٤.

(٣) حسن التوسل ص ٢٥٥، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٦.

(٤) الفوائد ص ١٦٩.

(٥) البقرة ٦٧ - ٧١.

(٦) خزانة الادب ص ٩٩.

كتب غيره بالاسم الثاني»^(١).

أخذه الحطيئة فقال:

ترى عافيات الطير قد وثقت لها
بشيع من الخيل العتاق منازلها
أخذه حميد بن ثور فقال:

إذا ما غزا يوماً رأيت غمامة
من الطير ينظرون الذي هو صانع
أخذه مسلم فقال:

قد عود الطير عادات وثقت بها
فهن يتبعنه في كل مرتحل
موف على مهج في يوم ذي رهج
كأنه أمل يمشي الى أجل
وقال أبو نواس:

وإذا مَحَّ القنا علقاً
وتراءى الموت في صوره
راح في ثنيي مفاضته
أسد يدمي شبا ظفيره
يتأيا الطير غدوته
ثقة بالشبع من جزره^(٣)

ثم أخذه أبو تمام فقال:

وقد ظللت أعقاب رايته ضحى
بأقدام طير في الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها
مع الجيش إلا أنها لم تقايل
ثم أخذه المتنبى فقال:

له عسكرا خيل وطير إذا رمى
بها عسكراً لم تبق إلا جماجمه
وقال:

(١) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٥٠.

(٢) البديع في نقد الشعر ص ٢٢٢.

(٣) المفاضة: الدرع الواسعة. يتأيا الطير: يتحرى
ويترقب. الجزر: ما يذبح، اللحم.

السابق واللاحق:

السابق واللاحق من الأخذ والسراقات، وقد عقد ابن منقذ باباً له باسم «السابق واللاحق والتداول والتناول» وقال: «هو أن يأخذ البيت فينقص من لفظه أو يزيد في معناه أو يحرره فيكون أولى به من قائله لكن الأول سابق والآخر لاحق»^(٢). ومنه قول علي بن الجهم:

وكم وقفة للريح دون بلادها
وكم عقبه للطير دون بلادها
أخذه أبو العلاء فقال:

وسألت كم بين العقيق الى الجمی
فجزعت من بعد النوى المتطاويل
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه
يسري فيصبح دوننا بمراحل
وكقول الآخر:

له خلائق بيض لا يغيرها
صرف الزمان كما لا يصد الذهب
أخذه الآخر فقال:

صديق لي له نسب
صداقة مثله تجب
إذا نعدت خلائقه
تبهرج عنده الذهب
ومنه قول الأفوه الأودي:

وترى الطير على آثارها
رأي عين ثقة أن سثمارا
أخذه النابغة فقال:

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقهم
عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله
إذا ما التقى الجمعان أول غالب

فمم جاء تحريم ما ذكرتم؟ وما علته؟ ولا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما أو لا يُدرى له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله، والأخذ عن الله إما بوحى أو إرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو في معنى قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾. فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن وجه منها: والأول يلزم عليه أن تكون جميع الذكور حراما، والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة، لأنَّ العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك لانه لم يأت اليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم - وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أنَّ ما قالوه افتراء على الله وضلال.

السَّبْكُ:

سَبَكَ الذهب والفضة ونحوه من الذائب يَسْبِكُهُ وَيَسْبِكُهُ سَبْكَاً وَسَبْكَه: ذَوَّبَهُ وَأَفْرَغَهُ فِي قَالْبٍ، السَّبْكُ تَسْبِيكُ السَّبِيكَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يَذَابُ وَيُفْرَغُ فِي مَسْبِكَةٍ مِنْ حَدِيدٍ كَأَنَّهَا شَقَّ قَصْبَةَ وَالْجَمْعُ السَّبَائِكُ^(٦).

تَحَدَّثَ ابْنُ مَنْقَدٍ عَنِ الْفِكَ وَالسَّبِكِ فِي بَابٍ وَاحِدٍ وَقَالَ: «أَمَّا الْفِكُ فَهُوَ أَنْ يَنْفَصِلَ الْمَصْرَاعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمَصْرَاعِ الثَّانِي وَلَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَاهُ» مِثْلُ قَوْلِ زَهِيرٍ:

- (١) اللسان (سب).
- (٢) التعريفات ص ١٠٢.
- (٣) التعريفات ص ١٠٣، وينظر الروض المربع ص ١٣٠.
- (٤) معترك ج ١ ص ٤٦٠.
- (٥) الأنعام ١٤٣ - ١٤٤.
- (٦) اللسان (سبك).

وذي لَجِبٍ لاذو الجناح أمامه
بناجٍ ولا الوحش المثار بسالمٍ
تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيَشِ الْقَشَاعِمِ
فاوماً الى المعنى ايماء.

السَّبْرُ وَالتَّقْسِيمُ:

السَّبْرُ: التَّجْرِبَةُ. وَسَبَرَ الشَّيْءَ سَبْرًا. حَزَرَهُ وَخَبَرَهُ، وَالسَّبْرُ: اسْتِخْرَاجُ كُنْهِ الْأَمْرِ^(١). وَقَالَ الشَّرِيفُ الْجَرَجَانِيُّ: «السَّبْرُ وَالتَّقْسِيمُ كِلَاهُمَا وَاحِدٌ وَهُوَ إِيرَادُ أَوْصَافِ الْأَصْلِ أَيْ الْمَقِيسِ عَلَيْهِ وَإِبْطَالُ بَعْضِهَا لِتَعْيِينِ الْبَاقِيِ لِلْعَلِيَّةِ كَمَا يُقَالُ عِلَّةُ الْحَدُوثِ فِي الْبَيْتِ أَمَّا التَّأْلِيْفُ أَوْ الْإِمْكَانُ، وَالثَّانِي بَاطِلٌ بِالتَّخْلُفِ لِأَنَّ صِفَاتِ الْوَاجِبِ مُمْكِنَةٌ بِالذَّاتِ وَليست حَادِثَةٌ فَتَعْيِينُ الْأَوَّلِ^(٢)، وَقَالَ: «السَّبْرُ وَالتَّقْسِيمُ: هُوَ حَضْرُ الْأَوْصَافِ فِي الْأَصْلِ وَالغَايَةِ بَعْضٌ لِتَعْيِينِ الْبَاقِيِ لِلْعَلِيَّةِ كَمَا يُقَالُ: عِلَّةُ حَرْمَةِ الْخَمْرِ إِمَّا الْإِسْكَارُ أَوْ كَوْنُهُ مَاءَ الْعَنْبِ أَوْ الْمَجْمُوعِ وَغَيْرِ الْمَاءِ وَغَيْرِ الْإِسْكَارِ لَا يَكُونُ عِلَّةً بِالطَّرِيقِ الَّذِي يَفِيدُ إِبْطَالَ عِلَّةِ الْوَصْفِ فَتَعْيِينُ الْإِسْكَارِ لِلْعِلَّةِ^(٣)».

وَتَحَدَّثَ الشَّيْطَوِيُّ عَنْهُ وَقَالَ: «مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمُصْطَلَحَةِ عَلَيْهَا فِي عِلْمِ الْجَدَلِ السَّبْرُ وَالتَّقْسِيمُ»^(٤) وَمِنْ أَمْثَلِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ، أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥). فَانَّ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَّمُوا ذَكَورَ الْأَنْعَامِ تَارَةً وَإِنَائِهَا أُخْرَى رَدَّ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِطَرِيقِ السَّبْرِ وَالتَّقْسِيمِ فَقَالَ: إِنَّ الْخَلْقَ لِلَّهِ خَلَقَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِمَّا ذَكَرَ ذَكَرًا وَأُنْثَى

السَّجْعُ الْمُتَوَازِي:

هو التسجيع المتوازي^(١٠)، وقد تقدّم.

السَّجْعُ الْمُرْصَع:

هو التسجيع المرصع^(١١)، وقد تقدّم.

السَّجْعُ الْمُشَطَّر:

هو التسجيع المشطر^(١٢)، وقد تقدّم.

- (١) البديع في نقد الشعر ص ١٦٢ - ١٦٣.
 (٢) البيان ج ١ ص ١١، ٢٨٤، البرهان في وجوه
 البيان ص ٢٠٨، كتاب الصناعتين ص ٢٦٠،
 الخصائص ج ١ ص ٢١٦، اعجاز القرآن
 ص ٨٦، سر الفصاحة ص ٢٠١، اسرار البلاغة
 ص ١٠، احكام صنعة الكلام ص ٢٣٥، نهاية
 الايجاز ص ٣٤، مفتاح العلوم ص ٢٠٣، المثل
 السائر ج ١ ص ١٩٣، الجامع الكبير ص ٢٥١،
 الاقصى القريب ص ١١٠، حسن التوسل
 ص ٢٠٦، نهاية الارب ج ٧ ص ١٠٣،
 الايضاح ص ٣٩٣، التلخيص ص ٤٠٤،
 الفوائد ص ٢٢٦، شروح التلخيص ج ٤
 ص ٤٤٥، المطول ص ٤٥٣، الاطول ج ٢
 ص ٢٣٢، خزانة ص ٤٢٣، مقدمة في صناعة
 النظم والنثر ص ٧٠، الاتقان ج ٢ ص ٩٧، شرح
 عقود الجمان ص ١٥٠، التبيان في البيان
 ص ٤١٩.

- (٣) معالم الكتابة ص ٦٩.
 (٤) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٠.
 (٥) معالم الكتابة ص ٦٩.
 (٦) المثل السائر ج ١ ص ٢٤٠.
 (٧) الفوائد ص ٢٢٦.
 (٨) معترك ج ١ ص ٥٠.
 (٩) نهاية الايجاز ص ٣٤، معترك ج ١ ص ٥٠،
 التبيان في البيان ص ٤٢٠.
 (١٠) نهاية الايجاز ص ٣٤، الفوائد ص ٢٢٦، معترك
 ج ١ ص ٥٠، شرح عقود الجمان ص ١٥١،
 التبيان في البيان ص ٤٢٠.
 (١١) خزانة الادب ص ٤٢٣، معترك ج ١ ص ٥٠.
 (١٢) خزانة ص ٤٢٣.

حَيِّ الدِيَارِ التِي لَمْ يَغْفُهَا الْقِدْمُ
 بَلَى وَغَيَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالذَّيْمُ
 «وَأَمَّا السَّبَبُ فَهُوَ أَنْ يَتَعَلَّقَ كَلِمَاتُ الْبَيْتِ بَعْضُهَا
 بِبَعْضٍ مِنْ أَوْلَاهِ إِلَى آخِرِهِ»^(١) كَقَوْلِ زَهِيرٍ:
 سَيَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا
 ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

السَّجْعُ:

السجع هو التسجيع^(٢)، وقد تقدّم الكلام عليه.
 وهو أنواع:

السَّجْعُ الْحَالِي:

هو التسجيع الحالي^(٣)، وقد تقدّم.

السَّجْعُ الطَّوِيلُ:

هو التسجيع الطويل^(٤)، وقد تقدّم في الكلام على
 أنواع التسجيع.

السَّجْعُ الْعَاطِلُ:

هو التسجيع العاطل^(٥)، وقد تقدّم.

السَّجْعُ الْقَصِيرُ:

هو التسجيع القصير^(٦)، وقد تقدّم في الكلام على
 أنواع التسجيع.

السَّجْعُ الْمُتَطَرِّفُ:

هو التسجيع المتطرف^(٧)، وقد تقدّم.

السَّجْعُ الْمُتَمَاثِلُ:

هو التسجيع المتماثل^(٨)، وقد تقدّم.

السَّجْعُ الْمُتَوَازِنُ:

هو التسجيع المتوازن^(٩)، وقد تقدّم.

السَّجْعُ الْمُطْرَفُ:

هو التسجيع المُطْرَفُ أو المُتَطْرَفُ^(١)، وقد تقدّم.

السَّجْعُ الْمُوَاظِي:

لم يذكره أحد بهذا الاسم غير الحموي^(٢) ولعل فيه تصحيحاً لأنّ التعريف الذي ذكره لهذا النوع هو ما ذكره الآخرون للمتوازي^(٣)، وقد تقدّم.

السَّرِقَةُ:

سَرَقَ الشَّيْءَ يَسْرِقُهُ سَرِقًا وَسَرِقًا وَالاسْمُ السَّرِيقُ وَالسَّرِيقَةُ، والسَّرِقَةُ: الأخذ بخفية، ويقال: سَرِقَ الشَّيْءَ سَرِقًا: خفي^(٤).

فَطَنَ الْعَرَبُ مِنْذَ عَهْدِ مَبْكَرٍ إِلَى التَّجْدِيدِ وَالتَّقْلِيدِ وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْإِبْتِدَاعِ وَالْإِتْبَاعِ وَوَضَعُوا لِذَلِكَ قَوَاعِدَ وَأَصُولًا. وَالسَّرِيقَاتُ قَدِيمَةٌ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَقَدْ وَجَدتْ بَيْنَ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَطَنَ النِّقَادَ وَالشُّعْرَاءَ إِلَيْهَا وَلَحِظُوا مَظَاهِرَهَا بَيْنَ أَمْرِ الْقَيْسِ وَطَرْفَةِ بِنِ الْعَبْدِ، وَبَيْنَ الْأَعَشَى وَالنَّابِغَةِ الذِّيَّانِي، وَبَيْنَ أَوْسِ بِنِ حَجْرٍ وَزُهَيْرِ بِنِ ابْنِ سَلْمَى. وَكَانَ حَسَانُ بِنِ ثَابِتٍ يَعْتَزُّ بِكَلَامِهِ وَيَنْفِي عَنْ مَعَانِيهِ الْأَخْذَ وَالْإِغَارَةَ، قَالَ:

لَا أَسْرِقُ الشُّعْرَاءَ مَا نَطَقُوا

بَلْ لَا يُوَافِقُ شِعْرُهُمْ شِعْرِي

وَكَانَتِ السَّرِقَةُ مِنْ مَوْضُوعِ الْمَلَاخَاةِ بَيْنَ جَرِيرِ وَالْفَرَزْدَقِ، وَكُلُّ ادَّعَى أَنَّ صَاحِبَهُ يَأْخُذُ مِنْهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ يَخَاطِبُ جَرِيرًا:

إِنْ تَذَكَّرُوا كَرَمِي بِلُؤْمِ أَبِيكُمْ

وَأَوَابِدِي تَتَنَحَّلُوا الْأَشْعَارَا

وَعَضِبَ عَلَى الْبُعِيثِ الْمَجَاشَعِيِّ لَمَّا أَخَذَهُ أَحَدُ مَعَانِيهِ فَقَالَ فِيهِ:

إِذَا مَا قَلْتُ قَافِيَةً شَرُودَا

تَنَحَّلَهَا ابْنُ حَمْرَاءِ الْعِجَانِ

وَكَانَ الْجَاخِظُ قَدْ أَشَارَ إِلَى السَّرِقَاتِ وَمَهَّدَ لِلْبَاحِثِينَ

السَّبِيلِ، قَالَ: «لَا يُعْلَمُ فِي الْأَرْضِ شَاعِرٌ قَدِيمٌ فِي تَشْبِيهِهِ مَصِيبِ تَامٍ وَفِي مَعْنَى غَرِيبِ عَجِيبٍ أَوْ فِي مَعْنَى شَرِيفِ كَرِيمٍ أَوْ فِي بَدِيعِ مَخْتَرَعٍ إِلَّا وَكَلَّ مِنْ جَاءِ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ مَعَهُ إِنَّهُ لَمْ يَغْدُ عَلَى لَفْظِهِ فَيَسْرِقُ بَعْضُهُ أَوْ يَدْعِيهِ بِأَسْرِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْعُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالمَعْنَى وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ شَرِيكًا فِيهِ كَالْمَعْنَى الَّذِي تَتَنَازَعُهُ الشُّعْرَاءُ فَتَخْتَلِفُ أَلْفَاظُهُمْ وَأَعَارِيضُ أَشْعَارِهِمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ صَاحِبِهِ، أَوْ لَعَلَّهُ إِنَّ يَجْحَدُ أَنَّهُ سَمِعَ بِذَلِكَ الْمَعْنَى قَطُّ وَقَالَ: «إِنَّهُ خَطَرَ عَلَى بَالِي مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ كَمَا خَطَرَ عَلَى بَالِ الْأَوَّلِ»^(٥).

وَعَالَجَ النِّقَادُ وَالبَلَاغِيُونَ مَوْضُوعَ السَّرِقَةِ، وَقَالَ ابْنُ طَبَّاطْبَا إِنَّ الشُّعْرَاءَ السَّابِقِينَ غَلَبُوا عَلَى الْمَعْنَى الشُّعْرِيَّةِ فَضَاقَ السَّبِيلُ أَمَامَ الْمُحَدِّثِينَ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَخْذِ بَدًّا. وَقَالَ إِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِي شِعْرِ السَّابِقِينَ لِتَعَلُّقِ مَعَانِيهَا بِفَهْمِهِ وَتَرْسُخِ أَصُولِهَا فِي قَلْبِهِ وَإِذَا مَا نَظَّمَ الشُّعْرَ وَجَدَهَا أَمَامَ نَظْرِيهِ وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَغْيِرَ عَلَى مَعَانِي الْآخَرِينَ فَيُودِعُهَا شِعْرَهُ لِأَنَّ هَذَا لَا يَسْتَرُ سَرِقَتَهُ^(٦).

وَرَأَى الْأَمْدِيُّ أَنَّ لَا سَرِقَةَ فِي الْأَلْفَاظِ لِأَنَّهَا مَبَاحَةٌ غَيْرُ مَحْظُورَةٌ وَإِنَّمَا السَّرِقَةُ تَتَحَقَّقُ فِي الْمَعْنَى الْبَدِيعَةِ الْمُخْتَرَعَةِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا شَاعِرٌ لَا فِي الْمَعْنَى الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ النَّاسِ الْجَارِيَةِ فِي عَادَاتِهِمْ وَالْمُسْتَعْمَلَةِ فِي أَمْثَالِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ مِمَّا تَرْتَفِعُ الظَّنَّةُ فِيهِ عَنِ الَّذِي يُوْرِدُهُ أَنْ يَقَالَ أَخَذَهُ مِنْ غَيْرِهِ، قَالَ: «وَإِنَّمَا السَّرِقُ

(١) نهاية الأيجاز ص ٣٤، خزانة ص ٤٢٣، معترك ج ١ ص ٤٩، شرح عقود الجمان ص ١٥١، التبيان في البيان ص ٤٢٠.

(٢) خزانة ص ٤٢٣.

(٣) نهاية الأيجاز ص ٣٤، الفوائد ص ٢٢٦، معترك ج ١ ص ٥٠، شرح عقود الجمان ص ١٥١.

(٤) اللسان (سرق).

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣١١.

(٦) عيار الشعر ص ١٠.

وعقد ابن فصولاً مختلفة عن السرقة^(٩)، وكان ابن الأثير قد وقف طويلاً عندها وتحدث عن أقسامها كالنسخ والسلخ وأخذ المعنى مع الزيادة عليه وعكس المعنى الى ضده^(١٠).

ودخلت السرقات في كتب البلاغة حينما وضع القزويني كتابيه «التلخيص» و«الايضاح» فبعد أن انتهى من بحث فنون البديع ذكر أن لهذا العلم ملحقات لا ينبغي إهمالها وهي السرقات الشعرية والابتداء والتخلص والانتهاء^(١١)، وهذا اتجاه جديد في دراسة هذا الموضوع. فقد تكلم عليها السابقون مع فنون البلاغة والنقد الأخرى ولم يجعلوها من البديع أو يلحقوها به. وقد أثارت هذه المسألة بعضهم فتساءل العلوي قائلاً: «هل تُعدُّ السرقة الشعرية من علم البديع أو لا؟» وأجاب أن للمسألة وجهين:

أحدهما: أنها تكون معدودة فيه لأن كل واحد من السابق واللاحق إنما يتصرف في تأليف الكلام ونظمه وترديده بين الفصيح والأفصح والأقبح والأحسن، وهذه هي فائدة علم البديع وخالصة جوهره.

وثانيهما: أنها غير معدودة في علم البديع؛ لأن معنى السرقة هو الأخذ ومجرد الأخذ لا يكون متعلقاً بأحوال الكلام ولا بشي من صفاته فلأجل

(١) الموازنة ج ١ ص ٥٢، وتنظر ص ٣٢٦.

(٢) الموازنة ج ١ ص ٢٩١.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٢١٦.

(٤) الوساطة ص ١٨٣.

(٥) العمدة ج ٢ ص ٢٨٠.

(٦) قراضة الذهب ص ١٤.

(٧) اسرار البلاغة ص ٣٠٢، ٣٨٣، ٣٨٥.

(٨) دلائل الاعجاز ص ٣٧٣، ٣٨٥.

(٩) البديع في نقد الشعر ص ٢٦٤ - ٢٨٣.

(١٠) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٦ وما بعدها، الجامع

الكبير ص ٢٤٢، وما بعدها، كفاية الطالب

ص ١٠٩.

(١١) الايضاح ص ٤٠١، التلخيص ص ٤٠٨.

يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك^(١) وقال إن السرقة ليست من «كبير مساوي الشعراء وخاصة المتأخرين إذ كان هذا باباً ما تعرّى منه مُتقدّم ولا مُتأخّر»^(٢).

وعُني العسكري بهذا النوع وتحدّث عن حُسن المأخذ وقبحه، ويريد بحسن المأخذ أن يؤخذ المعنى ويكسى لفظاً جديداً أجود من لفظه الأوّل، ويريد بالقبيح أن يعتمد الى المعنى ويؤخذ لفظه كله أو أكثره أو يخرج في مَعْرِض مُسْتَهْجَن^(٣).

وتحدّث القاضي الجرجاني عنها وذكر أن المعاني المشتركة والمتداولة لا تُعدُّ سرقةً، قال: «فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر والجواد بالغيث والبحر والبليد البطيء بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار والصب المستهام بالمخبول في حيرته والسليم في سهره، والسقيم في انينه وتأمله امور متقررة في النفوس متصورة للعقول يشترك فيها الناطق والأبكم والفصيح والأعجم والشاعر والمفحم حكمت بأن السرقة عنها منتفية والأخذ بالاتباع مستحيل ممتنع^(٤) ولا تُطلق السرقة إلا على الأمور المنسوبة لشاعر أو كاتب بعينه.

وتحدّث ابن رَشِيْق عنها وقال: «هذا باب متسع جدّاً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدّعي السلامة منه وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأخر فاضحة لا تخفي على الجاهل المغفل»^(٥). وحصر السرقات في الأنواع البديعية فقال: «السرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة وذلك في العبارات التي هي الألفاظ»^(٦).

ودرّس عبد القاهر السَّرقات، وقال إن المعاني العقلية يتفق فيها العقلاء، والتخييلية يختص بها كل شاعر أو أديب عن غيره^(٧). وقال إن السرقة ليست مُجرّد لفظ ومعنى وإنما الأمر صياغة وتصوير^(٨)، وهذا يَرْجِعُ الى إيمانه بالنظم الذي هو توخي معاني النحو.

ذكر ضعف الذباب الذي هو أقل المخلوقات سلبا لما يسلبه وعجز جميع الخلق عن القدرة على خلق مثله.

ومن هذا الباب قول عنتره:

وخلا الذبابُ به فليس يبارح
غَرْدًا كَفِعَلِ الشَّارِبِ المِترَمِ
هَزِجًا يَحُكُّ جِناحِه بِجِناحِه
قَدَحَ المِكبِّ على الزنادِ الأجدَمِ

فعنتره ابتدع معنى لم يُسبق اليه ولم يشبهه أحد فيه.

وسمّاه المصري «سلامة الاختراع من الاتباع» وقال: «هو أن يخترع الاول معنى لم يُسبق اليه ولم يتبع فيه»^(٩)، وهذا ما نقله ابن الاثير الحلبي وإن غيّر التسمية فقال: «سلامة الابتداع من الاتباع». وتبع المصري في التسمية الحلبي والنويري والسبكي والحموي والسيوطي والمدني^(١٠).

(١) الطراز ج ٣ ص ١٨٩.

(٢) الطراز ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٧٤، المطول ص ٤٦٢، الاطول ج ٢ ص ٢٤٢.

(٤) فحولة الشعراء ص ٣٨، الحيوان ج ٣ ص ٣١١، الكامل ج ١ ص ١٠٠، الموازنة ج ١ ص ٥٢، الوساطة ص ١٨٣، العمدة ج ٢ ص ٢٨٠، أسرار البلاغة ص ٢٤١، دلائل الإعجاز ص ٣٦٠، الاستدراك ص ٦١، نضرة الاغريض ص ٢٠٣، الأقصى القريب ص ١٠٧، منهاج البلغاء ص ١٩٤، ١٩٦، الطراز ج ٣ ص ١٨٨، شرح عقود الجمان ص ١٦٢.

(٥) الايضاح ص ٤١٦، التلخيص ص ٤٢٢.

(٦) اللسان (سلم).

(٧) جوهر الكنز ص ١٥٩.

(٨) الحجج ٧٣.

(٩) تحرير التحبير ص ٤٧١، بديع القرآن ص ٢٠٠.

(١٠) حسن التوسل ص ٢٩٦، نهاية الارب ج ٧ ص ١٦٤، عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩، خزانة ص ٤٠٤، شرح عقود الجمان ص ١٦٣، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٠٤، نفحات ص ١٧٤، شرح الكافية ص ٢١٩.

هذا لم تكن معدودة في علم البديع^(١).

واختار العلوي الأوّل وهو عدّها من جملة أصناف البديع وأكّد هذا بقوله: «والبرهان القاطع على ما ذكرناه هو أن علم البديع أمر عارض لتأليف الالفاظ وصوغها وتنزيلها على هيئة تعجب الناظر وتشوق القلب والخاطر، وهذا موجود في السرقات الشعرية، فإنّ الشعاعين المفلقين يأخذ كل واحد منهما معنى صاحبه ويصوغه على خلاف تلك الصياغة ويقبله على قالب آخر، فإما زاد عليه وإما نقص عنه. وكل ذلك إنّما هو خَوْضٌ في تأليف الكلام ونظمه وإذن الأخلق عدّها منه لما ذكرناه بل هي أخلق بذلك، لأننا اذا عددنا الطباق والتجنيس والترصيع والتصريع من علوم البديع مع أنّها إنّما اقتصت بما اقتصت به من التأليف وتنزيلها على تلك الهيئات من لسان واحد فكيف حالها اذا كانت مختصة بما ذكرناه من لسانين على هئتين مختلفتين»^(٢).

وقد تحدّث القزويني عن أنواع السرقات وتبعه في ذلك شراح التلخيص^(٣) والسرقات أنواع كثيرة منها الانتحال والنسخ والمسح والاعارة والالمام والسلخ والنقل والقلب وغيرها، وفي هذا المعجم كثير من هذه الأنواع وقد أشير الى انها من الأخذ او السرقة^(٤).

ولم يقف القزويني عند هذه الالوان وانما تحدث عما يتصل بالسرقة من الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح^(٥)، ولهذه الانواع حديث في هذا المعجم أيضًا.

سَلَامَةُ الْاِبْتِدَاعِ:

السلام والسلامة البراءة، وتسلم منه: تبرأ، والسلام العافية^(٦). قال ابن الاثير الحلبي: «حقيقة هذا الباب أن يتدع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبع فيه»^(٧). مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٨). فقد

سَلَامَةُ الْاِخْتِرَاعِ:

هو سلامة الابتداء، وقد سَمَّاه كذلك المصري والحلبي والنويري والسبكي والحموي والسيوطي والمدني^(١).

السَّلْبُ وَالْإِيجَابُ:

سَلَبَ الشَّيْءَ يَسْلُبُهُ سَلْبًا، وَالسَّلْبُ: مَا يُسَلَبُ.

وَجَبَ الشَّيْءُ يَجِبُ وَجُوبًا: لَزِمَ، وَأَوْجَبَهُ اللَّهُ وَاسْتَوْجَبَهُ أَي: اسْتَحَقَّهُ، وَأَوْجَبَ إِيجَابًا^(٢).

قال العسكري: «هو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى أو الأمر به في جهة والنهي عنه في جهة وما يجري مجرى ذلك»^(٣). كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٤)، وقول السموأل:

وَنُنَكِّرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ

وَلَا يُنَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

وقول البحري:

فَابْتَقَ عُمَرَ الزَّمَانَ حَتَّى نُؤَدِّيَ

شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي

وقول أبي تمام:

إِلَى سَالِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ كُلِّ عَائِبٍ

وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ عَلَى الْجُودِ سَالِمٌ

ولم يُعَرِّفْهُ الْبَاقِلَانِي وَإِنَّمَا اِكْتَفَى بِذِكْرِ بَيْتِ السَّمُوْأَلِ^(٥)، وَسَمَّاهُ الْخَفَاجِي: الْإِيجَابُ وَالسَّلْبُ وَمِثْلُ لَهُ بَيْتُ السَّمُوْأَلِ وَقَوْلُ الْبَحْرِيِّ:

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى

وَيَسْرِي إِلَيَّ الشُّوقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

في «لا اعلم» و«أعلم» من السلب والإيجاب^(٦).

والإيجاب والسلب هو أحد أنواع التقابل التي تحدث عنها قدامة وقال: «ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق الإيجاب والسلب قول عبد الرحمن ابن عبد الله القس:

أَرَى هَجْرَهَا وَالْقَتْلَ مِثْلِينَ فَاقْصِرُوا

مَلَامِكُمْ فَالْقَتْلُ أَعْفَى وَأَيْسَرُ^(٧)

وقال التبريزي عن السلب والإيجاب: «هو أن يوقع الكلام على نفي شيء وإثباته في بيت واحد»^(٨) ونقل هذا التعريف البغدادي والحلبي والنويري وابن قيم الجوزية^(٩). وأدعى المصري أن هذا النوع من مبتدعاته ولكنه استدرك على نفسه بحاشية في أصل كتابه «تحرير التحبير» وقال: «وقد عثرت على أن هذا الباب لمن تقدمني من جهة تسميته لا من جهة شواهد»^(١٠). وقال: «هو أن يقصد المادح أن يُفْرَدَ ممدوحه بصفة مدح لا يشركه فيها غيره فينفيا في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها لممدوحه بعد ذلك»^(١١). كقول الخنساء في أخيها:

وَمَا بَلَغْتَ كَفِّ امْرِئٍ مَتَنَاوَلًا

مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا وَالَّذِي نَلْتَ أَطْوَلُ

وَمَا بَلَغَ الْمَهْدُونَ لِلنَّاسِ مِدْحَةً

وَإِنْ أَطْبَعُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فقصد أبو نواس أخذ معنى الثاني من البيتين فلم يتهيا له أخذه إلا في بيتين وقصر عنه بعد ذلك تقصيرا كبيرا وذلك انه قال:

(١) المصادر السابقة.

(٢) اللسان (سلب) و (وجب).

(٣) كتاب الصناعتين ص ٤٠٥.

(٤) الاسراء ٢٣.

(٥) اعجاز القرآن ص ١٤٨.

(٦) سر الفصاحة ص ٢٤٠.

(٧) نقد الشعر ص ٢٣٩.

(٨) الوافي ص ٢٧٧.

(٩) قانون البلاغة ص ٤٤٧، حسن التوسل

ص ٢٨٣، نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٤، الفوائد

ص ١٦١، كفاية الطالب ص ١٩٦.

(١٠) تحرير التحبير هامش ص ٥٩٢.

(١١) تحرير التحبير ص ٥٩٣.

وأرجع السَّبكي السلب والايجاب الى الطباق بعد
أن عَرَفَه كتعريف المصري في «بديع القرآن»^(٣). ولم
يخرج الحموي والسيوطي والمدني عما ذكره
السابقون^(٤).

السَّلخ:

السَّلخ: كشط الإهاب، سَلَخَ يَسْلُخُ سَلْخًا،
وَالسَّلْخُ: ما سُلِخَ عَنْهُ^(٥).

والسَّلخ أحد أنواع السرقات وقد قال ابن الاثير
هو: «أخذُ بعض المعنى مأخوذًا من سَلَخَ الجلد
الذي هو بعض الجسم المسلوخ»^(٦). والسَّلخ عند
القزويني الإمام أيضًا، قال: «وإن كان المأخوذ
المعنى وَخَذَهُ سُمِّيَ إِمَامًا وَسَلْخًا»^(٧) وهو ثلاثة
أقسام:

الأول: كقول البحري:

تَصُدُّ حَيَاءً أَنْ تَرَكَ بِأَوْجِهِ

أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلَيمَ مُطِيعُهَا

وقول المتنبي:

وَجُرْمٌ جَرَّةٌ سَفْهَاءِ قَوْمٍ

وَحَلٌّ بغيرِ جَارِمِهِ العَذَابُ

(١) بديع القرآن ص ١١٦.

(٢) أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٨٠، وينظر خزانة الأدب
ص ٣٦١.

(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩، وينظر المنزوع
البديع ص ٣٣٤.

(٤) خزانة ص ٣٦١، شرح عقود الجمان ص ١١٢،
أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٨٠، نفحات ص ٣٠٥،
شرح الكافية ص ٢٤٠.

(٥) اللسان (سلخ).

(٦) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٥، الجامع الكبير
ص ٢٤٣.

(٧) الايضاح ص ٤٠٨، التلخيص ص ٤١٤، وينظر
شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٩٢، المطول
ص ٤٦٦، الأطول ج ٢ ص ٢٤٦، التبيان في
البيان ص ٣٦٣.

إذا نحن أثينا عليك بصالح

فأنت كما تُثني وفوق الذي تُثني

وإن جرت الألفاظ يومًا بمدحة

لغيرك إنسانًا فأنت الذي نُعني

ومن هذا الباب ما يقع في التشبيه والأخبار وتفسيرها
بحيث يكون للمشبه أو المخبر عنه صفات فينفي
بعضها ليثبت بعضها وينفي واحدة ليجب اختها او
يسلبها ويوجب غيرها كقوله - صلى الله عليه وسلم -
: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا
أنه لا نبي بعدي» فسلب النبوة ليجب بقية المنازل
التي كانت لهارون من موسى - عليهما السلام -

ومن ذلك قول الشاعر:

فَصِرْتُ كَأَنِّي يُوسُفُ بَيْنَ إِخْوَتِي

وَلَكِنْ تَعَدَّتْنِي النُّبُوَّةُ وَالْحُسْنُ

فسلب نفسه هاتين الصفتين من صفات يوسف - عليه
السلام - ليثبت ما عداهما مما امتحن به يوسف من
إخوته.

ولكنَّ المصري حينما ألف كتاب «بديع القرآن»
لم ينسب «السلب والايجاب» الى نفسه، وقد عَرَفَه
بقوله: «هو بناء الكلام على نفي الشيء من جهة
وإيجابه من جهة أخرى أو أمر بشيء من جهة ونهي
عنه من غير تلك الجهة»^(١). وهذا كتعريف
العسكري، وذكر له قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
أُفٌ...﴾ (الإسراء ٢٣) شاهدًا كما فعل السابق
أيضًا، وبذلك نفى عن نفسه تهمة الكذب التي أشار
اليها بعضهم كالمدني الذي قال: «هذا النوع زعم ابن
أبي الاصبع أنه من مستخرجاته وهو موجود في كتب
القدماء الذين نقل عنهم ككتاب الصناعتين لأبي هلال
العسكري وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي وبديع
شرف الدين التيفاشي وذكره عز الدين الزنجاني في
معيار النظار»^(٢). ويبدو أن المدني لم يطلع على «بديع
القرآن» أو على نسخة «تحرير التحبير» التي استدرك في
احد هواش صفحاتها ما ذكره.

الثاني: كقول بعض الأعراب:

وريحُها أَطيبُ من طيبها
والطَّيبُ فيه المِسْكُ والعَنْبُرُ

وقول بشار:

وإذا أَذْنَيْتَ منها بَصَلًا
غلب المِسْكُ على رِيحِ البَصَلِ

الثالث: كقول الأعرابي:

ولم يَكُ أَكْثَرَ الفَتِيانِ مَالًا
ولكنْ كانَ أَزْحَبَهُمْ ذِراعًا

وقول أشجع:

وليس بأَوْسَعِهِم في الغِنَى
ولكنْ مَعروفَهُ أَوْسَعُ

ولم يُبَيِّن القزويني هذه الأقسام الثلاثة واكتفى بالأمثلة، ولكنّ العلوي قال عن الوجه الاول: «أن تكون السرقة مقصورة علي المعنى لا غير، من غير إيراد لفظ ما سُرق منه. وهذا أدقُّ السرقات مسلكًا وأحسنها صورة وأعجبها مساقًا» ومثاله قول بعض أهل الحماسة:

لقد زادني حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي
بغِيضِ الي كُلِّ امرئٍ غيرِ طائِلِ

فقد أخذ المتنبي هذا المعنى واستخرج منه ما يشبهه من جهة معناه ولم يورد شيئًا من ألفاظه ولكنه عَوَّل فيه على المعنى وقصره عليه، قال:

وإذا أَتَتَكَ مَذْمُوتِي من ناقِصِ
فهي الشَّهادَةُ لي بأنِّي كاملُ

وقال العلوي عن الوجه الثاني: «أن تكون السرقة بأخذ المعنى وشيء يسير من اللفظ» كقول حسان بن ثابت يصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويمدحه:

ما إنْ مَدَحْتُ محمدًا بمقالتي
لكنْ مَدَحْتُ مقالتي بمحمدِ

أخذه أبو تمام فأكمل معناه واسترق شيئًا من لفظه

على القلة، فقال:

ولم أمدَحَكَ تفخيمًا لشِعْري
ولكنِّي مَدَحْتُ بك المديحا

وقال عن الوجه الثالث: «أن يُؤخذ بعض المعنى»

كقول بعض الشعراء:

عطاؤك زَيْنٌ لامرئٍ إنْ حَبَوْتَهُ
ببذلٍ وما كُلُّ العطاءِ يَزِينُ

وليس بشَيْنٍ لامرئٍ بَدَلُ وجهه
اليك كما بَعَضُ السَّوَالِ يَشِينُ

أخذه أبو تمام ونقص من معناه بعض النقصان فقال:

تُدعى عطاياها وَفُرا وهي إنْ شَهَرَتْ
كانت فخارًا لمن يعفوه مؤتِنفا

ما زلت منتظرًا أعجوبةً زمنيًا
حتى رأيت سؤالًا يجتني شرفًا^(١)

السُّهولة:

السُّهْلُ نفيض الحَزْنِ، والسُّهولة ضد الحزونة، والسُّهْلُ كل شيء الى اللين وقلة الخشونة. يقال: سَهَّلَ سُهولةً وَسَهَّلَهُ: صَيَّرَهُ سَهْلًا^(٢).

أدخل المُتَأَخَّرُونَ السُّهولة في بديعياتهم وقال الحموي: «السُّهولة ذَكَرَها التيفاشي مضافة الى باب الظرافة وشركها قوم بالانسجام. وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب «سر الفصاحة» فقال في مجمل كلامه: «هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف في السبك». وقال التيفاشي: «السُّهولة أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الأدب. وهي تَدُلُّ على رِقَّة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الروية^(٣).

(١) الطراز ج ٣ ص ١٩٢، وما بعدها.

(٢) اللسان (سهل).

(٣) خزنة الأدب ص ٤٥٤، نفحات ص ٣١١.

وقال المتنبّي:

إذا كان بَعْضُ النَّاسِ سَيِّفًا لِدَوْلَةٍ
ففي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

سُوءُ الرِّصْفِ:

قال العسكري: «وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها وصرفها عن وجوها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها»^(٤) وهو سوء النظم، ومن ذلك المُعَاظَلَةُ كقول الفرزدق:

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي
نَكْرُنُ مِثْلَ مَنْ يَا ذُبُّ يَصْطَحِبَانِ

فقد تراكبت الكلمات في الشطر الثاني. ومثله قوله أيضا للوليد بن عبد الملك:

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ
أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كُليْبٌ تُصَاهِرُهُ

وقوله يمدح هشام بن اسماعيل:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا
أَبُو أُمَّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

سَوِّقُ الْمَعْلُومِ مَسَاقٍ غَيْرِهِ:

هو تَجَاهُلُ الْعَارِفِ وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَالَّذِي سَمَّاهُ «سَوِّقُ الْمَعْلُومِ مَسَاقٍ غَيْرِهِ» الشَّكَاكِي، قَالَ: «وَلَا أُحِبُّ تَسْمِيَتَهُ بِالتَّجَاهُلِ»^(٥).

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٠.

(٢) البيان ج ١ ص ١١١.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٢٩١.

(٤) كتاب الصناعتين ص ١٦١.

(٥) مفتاح العلوم ص ٢٠٢، وينظر الايضاح ص ٣٧٨، التلخيص ص ٣٨٥، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٠٣، المطول ص ٤٤٣، الاطول ج ٢ ص ٢١٩، خزنة ص ١٢٢، أنوار الربيع ج ٥ ص ١١٩.

وَسَمَّاهَا الْمَدْنِي «التسهيل»^(١)، وَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ الْحَمَوِي عَنْ «السهولة» وَقَدْ تَقَدَّمَ التسهيل.

وَمِنْ أَحْسَنِ أَمْثَلَةِ هَذَا النَّوعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

أَلَسْتُ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ أَتِي

إِذَا مَا تُبْتُ عَنْ لَيْلِي تَتُوبُ

فَهَا أَنَا تَائِبٌ عَنْ حُبِّ لَيْلِي

فَمَالِكٌ كُلَّمَا ذُكِرْتُ تَذُوبُ؟

وقول أبي فراس الحمداني:

أَسَاءَ فَرَادَتُهُ الْإِسَاءَةَ حُظُوءَةً

حَبِيبٌ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْهُ حَبِيبٌ

يَعُدُّ عَلَيَّ الْوَأَشْيَانِ ذُنُوبَهُ

وَمِنْ أَيِّ لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبُ؟

سُهولة المخرج:

سهولة المخرج أن يتحدث الانسان بطلاقة بحيث لا يتكلف أو يتوقف. وقد ذكرها الجاحظ فقال: «وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس فوصف بها جعفر بن يحيى، كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع أهل عصره، وما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه. وكان لفظه في وزن إشارته، ومعناه في طبقة لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك»^(٢).

سُوءُ الْإِتِّبَاعِ:

سوء الاتباع من باب السرقات وقد قال ابن رشيق: «وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظا رديا مستهجنًا ثم يأتي من بعده فيتبعه فيه على رداءته»^(٣) كقول أبي تمام:

بَاشَرْتُ أَسْبَابَ الْغِنَى بِمَدَائِحِ

ضَرَبْتُ بِأَبْوَابِ الْمَلُوكِ طُبُولًا

سِيَاقَةُ الأَعْدَادِ:

هذا الفن هو الأعداد وسياقة العدد أو التعديد^(١)
وقد تقدّم.

- (١) حدائق السحر ص ١٤٩، نهاية الايجاز
ص ١١٣. حسن التوسل ص ٢٤٧، نهاية
الأرب ج ٧ ص ١٣٠، الفوائد ص ١٦٤، أنوار
الربيع ج ٦ ص ١٢٨.
(٢) المصادر السابقة.

سِيَاقَةُ العَدَدِ:

هو الأعداد وسياقة الأعداد، والتعديد^(٢)، وقد
تقدّم.

الشين

شبه كمال الاتصال:

ف قيل: قال: سلام.

ومنه قول الشاعر:

زَعَمَ العواذِلُ أَنَّنِي فِي عَمْرَةٍ

كَذَبُوا، وَلَكِنْ عَمَّرْتِي، لَا تَنْجَلِي

فانه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل: أصدقوا في ذلك أم كذبوا؟ فأخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له، ففصل.

ومنه قول المتنبي:

وَمَا عَفَّتِ الرِّياحُ لَهُمْ مَحَلًّا

عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا

فإنه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح كان مظنة أن يسأل عن الفاعل.

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ﴾^(٤) فيمن قرأ ﴿يُسَبِّحُ﴾ مبنياً للمفعول.

وقد يحذف الاستئناف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول الحماسي:

زَعَمْتُمْ أَنَّ أُخوتَكُمْ قُرَيْشٌ

لَهُمْ إِلفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلفٌ^(٥)

(١) مفتاح العلوم ص ١٢١.

(٢) يوسف ٥٣.

(٣) هود ٦٩.

(٤) النور ٣٦ - ٣٧.

(٥) الالف والايلاف: العهد.

شبه كمال الاتصال من مسائل الفصل والوصل، وهو أن تكون الجملة الثانية في الفصل بمنزلة المتصلة بالأولى لكونها جواباً عن سؤال اقتضته الأولى فتتزل منزله فتنفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال. قال السكاكي: «فتتزل ذلك منزلة الواقع ويطلب بهذا الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الكلام السابق لذلك. وتزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة، إما لتنبية السامع على موقعه أو لاغناؤه أن يسأل، أو لتلا يسمع منه شيء، أو لتلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو غير ذلك مما ينخرط في هذا السلك. ويُسمى النوع الأول قطعاً والثاني استئنافاً»^(١).

والاستئناف ثلاثة أضرب: لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقول الشاعر:

قال لي: كيف أنت؟ قُلْتُ عَلِيلٌ

سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

أي: ما بالك عليلاً وما سبب علتك؟

وإما عن سبب خاص كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٢) كأنه قيل: هلى النفس أمارة بالسوء؟ فقيل: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ. وإما عن غيرهما كقوله تعالى: ﴿قَالُوا: سَلَامًا قَالَ: سَلَامٌ﴾^(٣) كأنه قيل: فماذا قال ابراهيم عليه السلام؟

شجاعة العربية:

شجع شجاعةً: اشتد عند البأس، والشجاعة شدة القلب في البأس^(٨).

شجاعة العربية هو الالتفات وقد تقدم، وكان ابن جني^(٩) قد سماه كذلك وتبعه ابن الأثير وابن الأثير الحلبي^(١٠)، غير أنهما عدا الالتفات أحد أنواعه، ومن ذلك أيضًا عكس الظاهر، وتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوّر معنى الواحد للجماعة، ومعنى الجماعة للواحد، وتقدم المفعول على الفعل، وتقديم الظروف على المظروف، وتقديم الخبر على المبتدأ، ونوع الاستفهام، وتقديم الظلمات على النور، والتقديم بالذات، وتقديم السببية، وتقديم الرتبة، وتقديم الشرف، وتقديم الأكثر على الأقل. ولكن هذه الموضوعات - ما عدا - الالتفات أدخلها البلاغيون في أبواب أخرى تتصل بها كالتقديم والتأخير والتغليب والاستفهام.

وقد ذكر ابن الأثير أن هذا الفن سمي «شجاعة العربية» لأن «الشجاعة هي الإقدام وذاك أن الرجل

(١) سورة ص ٣٠، ٤٤.

(٢) الذاريات ٤٨.

(٣) دلائل الاعجاز ص ١٨١، الايضاح ص ١٥٥،

التلخيص ص ١٨٦، شروح التلخيص ج ٣

ص ٥٢، المطول ص ٢٥٨، الأطول ج ٢

ص ١٤.

(٤) مفتاح العلوم ص ١٢١.

(٥) البقرة ١٥.

(٦) البقرة ١٢.

(٧) الايضاح ص ١٥٥، التلخيص ص ١٨٥، ويتنظر

دلائل الاعجاز ص ١٧٨، شروح التلخيص ج ٣

ص ٥٠، المطول ص ٢٥٧، الاطول ج ٢

ص ١٣.

(٨) اللسان (شجع).

(٩) الخصائص ج ٢ ص ٣٦٠.

(١٠) المثل السائر ج ٢ ص ٤، الجامع الكبير

ص ٩٨، جوهر الكنز ص ١١٨.

حذف الجواب الذي هو «كذبتم في زعمكم» وأقام قوله «لهم إلف وليس لكم إلف» مقامه لدلالته عليه.

ويجوز أن يقدر قوله: «لهم إلف وليس لكم إلف» جوابًا لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف، كأنه لما قال المتكلم: «كذبتم» قالوا: «لم كذبتنا؟» فقال: «لهم إلف وليس لكم إلف» فيكون في البيت استئنافان.

وقد يُحذف ولا يقام شيء مقامه كقوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾^(١) أي: أيوب أو هو، لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه. ونحوه قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾^(٢) أي: نحن^(٣).

شبه كمال الانقطاع:

وهو أن تكون الجملة الثانية في الفصل بمنزلة المنقطعة عن الأولى؛ لأن عطفها عليها موهم لعطفها على غيرها ويُسمى الفصل لذلك قطعًا، ومثاله قول الشاعر:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنِّي أَبْغِي بِهَا

بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيْمُ

لم يعطف «أراها» على «تظن» لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على «أبغي» لقربه منه مع أنه ليس بمراد، ويحتمل الاستئناف.

وَقَسَمَ السَّكَاكِي الْقَطْعَ إِلَى قَسْمَيْنِ^(٤):

الأول: القطع للاحتياط وهو ما لم يكن لمانع من العطف كما في البيت: «وتظن سلمى...».

الثاني: القطع للوجوب، وهو ما كان لمانع كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٥) لأنه لو عطف لعطف إما على جملة «قالوا» وإما على جملة «إنا معكم» وكلاهما لا يصح. وكذا قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾^(٦).

وللقزويني في ذلك نظر لجواز أن يكون المقطوع في المواضع الثلاثة معطوفًا على الجملة المصدرية بالظرف، وهذا القسم لم يبين امتناعه^(٧).

الشَّمَاتة:

الشَّمَاتة: فرح العَدُوِّ، وقيل: الفرحة ببلية العَدُوِّ،
وقيل: الفرحة ببلية تنزل بمن تعاديه، والفعل منهما:
شَمِتَ به يَشْمِتُ شَمَاتَةً وشَمَاتًا وأشَمته الله به^(١).

وهذا النوع من مُستخرجات المصري قال: «هو
إظهار المسرة بمن نالته محنة أو أصابته نكبة ولم
استمع في ذلك مثل قول ابن الرومي:

لا زال يَوْمُكَ عِبْرَةً لَعَدِكَ
وبَكَتْ بِشَجْوِ عَيْنِ ذِي حَسَدِكَ
فَلَيْنَ بَكَيْتَ لَطَالَمَا نُكِبْتَ
بِكَ هِمَّةٌ لَجَأْتُ إِلَى سَنَدِكَ
لو تَسْجُدُ الأَيَّامُ ما سَجَدَتْ
إلا لِيَوْمِ فَتًى فِي عَضْدِكَ
يا نعمةً وَلَّتْ غَضَارُهَا
ما كان أَقْبَحَ حُسْنِهَا بِيَدِكَ
فلقد عَدَّتْ بَرْدًا على كَيْدِي
لَمَّا عَدَّتْ نارًا على كَيْدِكَ
ورأيت نُعمى اللّهِ زائدةً
لما استبانَ النَّقْصُ في عَدْدِكَ
لم يَبْقَ لي مما بَرى جَسَدِي
إلا بقايا الرّوحِ في جَسَدِكَ^(١١)

وقال المصري: «ولم أظفر منه في الكتاب العزيز بشيء

- (١) المثل السائر ج ٢ ص ٤، الجامع الكبير ص ٩٨.
- (٢) الطراز ج ٢ ص ١٣١.
- (٣) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٩٢.
- (٤) المجازات النبوية ص ٣٤.
- (٥) سورة ص ٣٢.
- (٦) الاحزاب ١٤.
- (٧) القيامة ٢٦.
- (٨) النقاب: جمع نقب، وهو الطريق في الجبل.
- (٩) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٩٣.
- (١٠) اللسان (شمت).
- (١١) تحرير التحبير ص ٥٦٧.

الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ويتورّد ما لا يتورده
سواه وكذلك هذا الالتفات في الكلام فإنّ اللغة العربية
تختص به دون غيرها من اللغات^(١)، وذكر العلوي
مثل ذلك عند كلامه على الالتفات^(٢).

شَجَاعَةُ الفَصَاحَةِ:

لم يذكر أحد هذا النوع في البديع، وهو من
مُستخرجات ابن جنّي قال: «هو عبارة عن حذف
شيء من لوازم الكلام وثوقًا بمعرفة السامع به»^(٣).
وقال الشريف الرضي: «وكان شيخنا ابو الفتح
رحمة الله يُسمي هذا الجنس «شجاعة الفصاحة»
لأنّ الفصيح لا يكاد يستعمله إلاّ وفصاحته جريّة
العنان، غزيرة المواد»^(٤)، ومثاله قوله تعالى:
﴿حتى توارث بالحجاب﴾^(٥) أي: الشمس، ولم
يَجْر لها ذِكْر، وقوله: ﴿ولو دُخِلَتْ عليهم من
أقطارها﴾^(٦) أي: المدينة، ولم يجر لها ذِكْر،
وقوله: ﴿إذا بَلَغْتَ التراقي﴾^(٧) أي: الروح، ولم
يَجْر لها ذِكْر.

ومنه قوله - ﷺ -: «أرجو أن لا يطلع علينا
نقابها»^(٨) يريد نقاب المدينة ولم يَجْر لها لكنّه أقام
علم المخاطبين بها مقام تصريحه.

ومن ذلك قول حاتم:

لَعَمْرُكَ ما يُغني الشراء عن الفتى

إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاقتُ بها الصَّدْرُ

أي: النفس، ولم يَجْر لها ذِكْر.

قال المدني: «وأكثر الأمثلة المذكورة عند علماء
المعاني من وضع المضمّر موضع المظهر إما لا
شتهاره ووضوح أمره أو لأنّ الذهن لا يلتفت الى
غيره أو لغير ذلك من الاعتبارات. وليس من الحذف
في شيء كما لا يخفى لكنّ ابن جنّي مثل لهذا النوع
بالحديث السابق فكأنه لاحظ أنّ المتكلم حذف من
الكلام مرجع الضمير لعلم السامع به»^(٩).

إلا قوله تعالى لفرعون وقد قال فرعون: ﴿أَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾^(١) الى قوله تعالى: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمَفْسِدِينَ﴾ الى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُم النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾^(٢) وعجز الآية أردت. وكقوله سبحانه: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٣).
 ومن تتبع هذه المعاني وجدها كثيرة^(٤).

(١) يونس ٩٠ - ٩١.

(٢) السجدة ٢٠.

(٣) التوبة ٣٥.

(٤) بديع القرآن ص ٢٨٢.

الصاو

صِحَّة الأقسام:

هو «استيفاء المُتكلِّم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً»^(١) وهو التقسيم، وقد تقدّم.

صِحَّة الأوصاف:

قال ابن سنان: «هو أن يُمدح الإنسان بما يليق به ولا ينفر عنه»^(٢)، ولذلك عيب البحري في مديحه الخليفة:

لا العذلُ يَرُدُّعُه ولا التَّ

غنيفُ عن كرمِ يَصُدُّه

وقيل: مَنْ هو الذي يَجسُرُ على عدل الخليفة وتعنيفه؟
وعيب عبدالرحمن القس في قوله:

سَلامٌ لِيَتَ لسانًا تَنطِقين به

قَبَلَ الذي نالني من صَوْتِه قُطعا

وقيل: هذا غاية الغلظ والجفاء والمخالفة لعادة أهل الهوى.

وعيب على كُثيرٍ قوله:

أريدُ لأنسى ذِكرَها فكأنما

تَمَثَّلُ لي ليلي بكلِّ سَبيلِ

وقيل: لم أراد أن ينسى ذكرها حتى تتَمَثَّل له؟

صِحَّة التشبيه:

قال ابن سنان: «هو أن يقال أحد الشيئين مثل

الآخر في بعض المعاني والصفات ولن يجوز أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر من جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تباين البتة لأن هذا لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه وذلك محال وإنما الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه وبالضد حتى يكون رديء التشبيه ما قلَّ شبهه بالمشبه به»^(٣).

ومن التشبيهات الرائعة قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالُهُمْ كَسَرابٍ بَقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجدهُ شيئاً﴾^(٤).

ومن بديع التشبيه قول النابغة الذبياني:

فإنك كالليل الذي هو مُدركي

وإن خِلْتُ أنَّ المُنتأى عنك واسعُ

صِحَّة التفسير:

صحة التفسير من أنواع المعاني عند قدامة وقد قال: «هي أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فاذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها ولا يزيد أو

(١) تحرير التحرير ص ١٧٣، بديع القرآن ص ٦٥،

حسن التوسل ص ٢٥٦، نهاية الأرب ج ٧

ص ١٣٦.

(٢) سر الفصاحة ص ٣٠١.

(٣) سر الفصاحة ص ٢٩٠.

(٤) النور ٣٩.

ينقص»^(١).

وصحة التفسير هو التفسير وقد تقدّم.

صِحَّةُ التَّقْسِيمِ:

هو صِحَّةُ الأقسام والتقسيم^(٢) وقد تقدّم.

صِحَّةُ الْمُقَابَلَةِ:

عَدَّهَا قَدَامَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعَانِي وَأَجْنَسَهَا وَقَالَ: «هِيَ أَنْ يَصْنَعَ الشَّاعِرُ مَعَانِي يَرِيدُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَبَعْضٍ أَوْ الْمَخَالَفَةَ فَيَأْتِي فِي الْمَوْافِقِ بِمَا يُوَافِقُ وَفِي الْمَخَالَفِ بِمَا يَخَالَفُ عَلَى الصِّحَّةِ أَوْ بِشَرْطِ شَرْوْطًا وَيَعِدُّ أَحْوَالًا فِي أَحَدِ الْمَعْنِيِّينَ فَيَجِبُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا يُوَافِقُهُ بِمِثْلِ الَّذِي شَرَطَهُ وَعَدَّدَهُ وَفِيمَا يَخَالَفُ بِاضْتِدَادِ ذَلِكَ»^(٣) وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَوَاعَجَبْنَا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحُ

وَفِيٍّ وَمَطْوِيٍّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرُ؟

فَقَدْ أَتَى بِأَزَاءِ كُلِّ مَا وَصَفَهُ مِنْ نَفْسِهِ بِمَا يَضَادُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِمَّنْ عَاتَبَهُ حَيْثُ قَالَ بِأَزَاءِ «نَاصِحُ»: «مَطْوِيٌّ عَلَى الْغِلِّ» وَبِأَزَاءِ «وَفِيٍّ»: «غَادِرُ».

وَقَالَ ابْنُ سِنَانٍ: «هُوَ أَنْ يَضَعُ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ مَعَانِي يَرِيدُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَبَعْضٍ أَوْ الْمَخَالَفَةَ فَيَأْتِي فِي الْمَوْافِقِ بِمَا يُوَافِقُ وَفِي الْمَخَالَفِ بِمَا يَخَالَفُهُ عَلَى الصِّحَّةِ»^(٤). وَقَالَ الْبَغْدَادِيُّ: «هُوَ أَنْ يُؤْتِيَ بِمَعَانٍ يُرَادُ التَّوْفِيقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَانٍ أُخْرَى وَمُضَادَةً فَيُؤْتِي فِي الْمَوْافِقِ بِمَوْافِقِهِ وَفِي الْمَضَادِ بِمُضَادِهِ»^(٥).

وَلَا يَخْرُجُ كَلَامُ الْمِصْرِيِّ عَمَّا ذَكَرَهُ قَدَامَةً وَالْمُتَقَدِّمُونَ^(٦)، وَسَيَكُونُ التَّفْصِيلُ فِي «الْمُطَابَقَةِ» وَالْفَرْقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّبَاقِ.

صِحَّةُ النَّسْقِ:

قَالَ ابْنُ سِنَانٍ عَنِ صِحَّةِ النَّسْقِ وَالنِّظْمِ: «هُوَ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي الْمَعْنَى الْوَاحِدِ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ مَعْنَى آخَرَ أَحْسَنَ التَّخْلِصَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِالْأَوَّلِ وَغَيْرِ

منقطع عنه»^(٧).

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنَ الْخُرُوجِ عِنْدَ الْآخِرِينَ، وَقَدْ أَوْضَحَ ابْنُ سِنَانٍ ذَلِكَ فَقَالَ: «وَمِنْ هَذَا الْبَابِ خُرُوجُ الشُّعْرَاءِ مِنَ النَّسِيبِ إِلَى الْمَدْحِ، فَإِنَّ الْمَحْدَثِينَ أَجَادُوا التَّخْلِصَ حَتَّى صَارَ كَلَامُهُمْ فِي النَّسِيبِ مُتَعَلِّقًا بِكَلَامِهِمْ فِي الْمَدْحِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ، فَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَلَمْ يَكُونُوا يَسْلُكُونَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرَ خُرُوجِهِمْ مِنَ النَّسِيبِ إِذَا مَنَّقَطَعًا وَإِنَّمَا عَلَى وَصْفِ الْإِبِلِ الَّتِي سَارُوا إِلَى الْمَمْدُوحِ عَلَيْهَا».

الصَّرْفُ:

هُوَ الْإِلْتِفَاتُ وَالْإِنْصِرَافُ^(٨)، وَقَدْ سَمَّاهُ كَذَلِكَ ابْنُ وَهْبٍ الَّذِي قَالَ: «وَأَمَّا الصَّرْفُ فَانَّهُ يَصْرِفُونَ الْقَوْلَ مِنَ الْمُخَاطَبِ إِلَى الْغَائِبِ وَمِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمَاعَةِ»^(٩). وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الْإِلْتِفَاتِ وَأَشِيرُ إِلَيْهِ فِي الْإِنْصِرَافِ.

(١) نقد الشعر ص ١٥٤، وينظر كتاب الصناعتين ص ٣٤٥، اعجاز القرآن ص ١٤٣، سر الفصاحة ص ٣١٨، قانون البلاغة ص ٤١٢، تحرير ص ١٨٥، بديع القرآن ص ٧٤.

(٢) البيان ج ١ ص ٢٤٠، نقد الشعر ص ١٤٩، جواهر الالفاظ ص ٦، كتاب الصناعتين ص ٣٤١، إعجاز القرآن ص ١٤١، سر الفصاحة ص ٢٧٧، الوافي ص ٢٧٣، قانون البلاغة ص ٤١١، ٤٤٥، المثل السائر ج ٢ ص ٣٠٤، الجامع الكبير ص ٢١٨، جواهر الكنز ص ١٤٤، الروض المريع ص ١٢٩.

(٣) نقد الشعر ص ١٥٢.

(٤) سر الفصاحة ص ٣١٣.

(٥) قانون البلاغة ص ٤١١.

(٦) تحرير التحرير ص ١٧٩، بديع القرآن ص ٧٣.

(٧) سر الفصاحة ص ٣١٥.

(٨) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠، معالم الكتابة ص ٧٦.

(٩) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٢.

الضار

ضَعْفُ التَّأْلِيفِ:

الجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢) أي: العدل.

وضعف التأليف من الموضوعات التي تحدث عنها البلاغيون في فصاحة الكلام، وقد قال القزويني: «وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها»^(٣).

(١) اللسان (ضعف).

(٢) المائة ٨.

(٣) الايضاح ص ٤، التلخيص ص ٢٦، شروح

التلخيص ج ١ ص ٩٥، المطول ص ٢٠، الاطول

ج ١ ص ٢٢.

الضَّعْفُ والضُّعْفُ: خلاف القوة، وقيل الضُّعْفُ - بالضم - في الجسد، والضُّعْفُ - بالفتح - في الرأي والعقل، يقال: ضَعُفَ يَضْعُفُ ضَعْفًا وِضْعَفًا^(١).

وضعف التأليف أن يركب الكلام تركيبًا خارجيًا على الأسلوب المألوف مثل: «ضرب غلامه زيدًا» فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر ممتنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظًا ورتبة. وقيل: يجوز لقول الشاعر:

جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بَنَ حَاتِمِ

جَزَاءَ الْكَلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلُ

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر «جزي» أي: رب

الطَّاء

الطَّاعَة وَالْعِصْيَان:

طاع يَطَاع وأطاع: لان وانقاد، وأطاعه إطاعة وانطاع له كذلك. وقد طاع له يطوع إذا انقاد له، فاذا مضى لأمره فقد أطاعه، فاذا وافقه فقد طاعه. والطاعة: اسم من أطاعه طاعة^(١). والعصيان خلاف الطاعة.

قال ابن منقذ: «اعلم أنَّ هذا الباب يمتحن به العالم والناقد وتعرف به فضيلة الكاتب والشاعر وهو أن يريد البيت على ما تقتضيه صناعة النقد فلا يوافق الوزن فيأتي بما لا يخرج عن الصناعة. ذكر الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري في كتابه المعروف باللامع العزيزي في ديوان شعر المتنبي في قوله:

يردُّ يداً عن ثوبها وهو قاديِرٌ

ويَعصي الهوى في طيفها وهو راقِدٌ

قال: أوجبت عليه الصناعة أن يقول: يردُّ يداً عن ثوبها وهو مستيقظ فلم يطاعه الوزن فلم يخرج عن الصنعة قوة وقدرة فقال: «قادر» وهو عكس «راقِد» في الصورة والمعنى، أمّا في الصورة فهو من جناس العكس وأمّا في المعنى فإنَّ الراقِد عاجز وهو ضدَّ القادر فتَمَّ له الطباق صورةً وَمَعْنَى وهذا من الافراد الأفاضل^(٢).

وأشار البلاغيون الى أنَّ أبا العلاء استنبط هذا الفن عند نظره في شعر المتنبي^(٣)، ونقلوا تعريفه ومثاله، ولذلك قال المصري: «هذا كلام المعري على هذا البيت، وهذا المعنى من البديع ولم يأت

بشاهد غيره وتبعه الناس بعد فأثبتوا هذا الباب وتكلموا فيه بمثل هذا الكلام واستشهدوا بهذا البيت ولم يأت أحد منهم بغيره وأضربوا جميعهم عن النظر فيه إما لحسن ظنهم بالمعري وموضعه من الأدب واعتقادهم فيه العصمة من الخطأ والسهو فيه وإما أن يكونوا قد مرَّ عليهم ما مرَّ عليه في هذا البيت^(٤). وأبدى المصري رأيه في البيت فقال: والذي ذهب عليهم أن البيت ليس فيه شيء أطاع الشاعر ولا شيء عصاه، ودليل ذلك أن قول المعري إنَّ المتنبي أراد مستيقظاً ليحصل منها ومن لفظة «راقِد» طباق فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول في هذا الوزن فيحكم على المتنبي لأنه لو أراد أن يكون في بيته طباق فحسب كان له أن يقول: يردُّ يداً عن ثوبها وهو ساهر أو ساهد، ويحصل له غرضه من الطباق بالجمع بين «ساهر» و «راقِد» ولا يكون عصاه شيء وأطاعه غيره، وإمّا المتنبي قصد أن يكون في بيته طباق وجناس فعدل

(١) اللسان (طوع).

(٢) البديع في نقد الشعر ص ١٧٥.

(٣) تحرير التحبير ص ٢٩٠، بديع القرآن ص ١٠٩، حسن التوسل ص ٢٧١، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٦، جواهر الكنز ص ٢٥٠، خزانة الأدب ص ٤١٨، شرح عقود الجمان ص ١٥٦، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٧، نفعات ص ٢٩٠، شرح الكافية ص ٣٠١.

(٤) تحرير التحبير ص ٢٩٠.

الطَّباقُ الخَفِيّ:

هو الجمع بين معنيين يتعلّق أحدهما بما يُقابل الآخر نوع تَعَلُّق مثل السببية واللزوم^(٥). وقد تقدّم في التضادّ.

طَباقُ السَّلْب:

هو الجمع بين فِعْلِيّ مصدر واحد مُثَبَّت ومنفيّ أو أمر ونهي^(٦). وقد تقدّم في التضادّ.

الطَّباقُ المَجازِيّ:

هو ما كان بألفاظ المَجاز^(٧)، وقد تقدّم في التضادّ.

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٧١، العمدة ج ٢ ص ٩، الوافي ص ٢٥٨، قانون البلاغة ص ٤٣٦، تحرير ص ١١١، بديع القرآن ص ٣١، نضرة الاغريض ص ٩٧، حسن التوسل ص ١٩٩، نهاية الارب ج ٧ ص ٩٨، البرهان ج ٣ ص ٤٥٥، جوهر الكنز ص ٨٤، الطراز ج ٢ ص ٣٧٧، الفوائد ص ١٤٥، خزانة ص ٦٩، معترك ج ١ ص ٤١٤ شرح عقود الجمان ص ١٠٥، انوار ج ٢ ص ٣١، الروض المريع ص ١١١، المنصف ص ٥٦ - ٥٧، نفحات الازهار ص ٣٩، شرح الكافية ص ٧٢.

(٢) تحرير ص ١١٢، بديع القرآن ص ٣٣، الايضاح ص ٣٣٦، التلخيص ص ٣٤٩، الاطول ج ٢ ص ١٨٣، معترك ج ١ ص ٤١٤، أنوار الربيع ج ٢ ص ٤١.

(٣) تحرير ص ١١٥، بديع القرآن ص ٣٣، خزانة ص ٧١.

(٤) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٣.

(٥) أنوار الربيع ج ٢ ص ٤٢.

(٦) تحرير ص ١١٤، بديع القرآن ص ٣٢، الايضاح ص ٣٣٦، التلخيص ص ٣٥٠، الاطول ج ٢ ص ١٨٣، معترك ج ١ ص ٤١٤، أنوار الربيع ج ٢ ص ٤١.

(٧) انوار الربيع ج ٢ ص ٣٧.

عن لفظة «ساهر» و «ساهد» الى لفظة «قادر» لأنّ القادر ساهر وزيادة، إذ ليس كل ساهر قادرًا والقادر لا بدّ أن يكون ساهرًا ليحصل بين «قادر» و «راقد» طباق معنوي وجناس عكس». ثم قال: «فقدت بين من هذا البحث أنّ بيت المتنبي هذا لا يَصْلُحُ أن يكون شاهدًا على هذا الباب لأنّه لم يعصه فيه شيء ولم يطعه غيره، ولا بدّ إذ قد أثبت هذا الباب لرشاقة تسمية من الاتيان بشاهد يليق به والذي يليق به من الشواهد قول عوف بن محلم السعدي:

إنّ الثمانين - وبُلغتها -

قد أخوّجت سَمعي الى ترّجمان

لانا نعلم أنّ أول ما يقصده المتكلم اخراج معناه في لفظ مساوٍ له إذ هو خير ضروب البلاغة لكونه وسطها وخير الأمور أوسطها... فاذا اضطر الوزن الى الزيادة على اللفظ او النقص منه اضطرارًا فقد عصته المساواة وأطاعه غيرها».

الطَّباق:

هو التضادّ والتطبيق والتكافؤ والمُطابَقة والمُقاسَمة^(١)، وقد تقدّم في التضادّ.

طَباقُ الإيجاب:

هو الجمع بين الشيء وضدّه^(٢)، وقد تقدّم في التضادّ.

طَباقُ التّزديد:

هو أنّ يرد آخر الكلام المُطابِق على أوّله فان لم يكن الكلام مُطابِقًا فهو رَدُّ الأعجاز على الصدور^(٣). وقد تقدّم في التضادّ.

الطَّباقُ الحَقِيقِيّ:

هو ما كان بألفاظ الحقيقة سواء كان من اسمين أو فعلين أو حرفين^(٤). وقد تقدم في التضاد.

الطَّباق المَعْنَوِيّ:

هو مُقَابِلَةُ الشَّيْءِ بَضْدِهِ فِي الْمَعْنَى لَا فِي اللَّفْظِ^(١)،
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي التَّضَادِّ.

البصر والسمع والشم والذوق واللمس - ومن ذلك قوله
تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ
مَكْنُونٌ﴾^(٨).

ومنه قول الشاعر:

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ السَّمَاءِ لَوَامِعًا
دُرَّرَ نُشْرُونَ عَلَى بَسَاطِ أَرْزَقِ

وقول الآخر:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلَ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ
رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ

الثاني: أن يكونا عقليين لا يدرك واحد منهما
بالحس بل بالعقل كتشبيه العلم بالحياة، والجهل
بالموت، والفقر بالكفر.

الثالث: تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى:
﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ
الْعَنْكَبُوتِ﴾^(٩)، وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾^(١٠).

الرابع: تشبيه المحسوس بالمعقول، ومنعه بعضهم
لأنَّ العقل مستفاد من الحس. قال الرازي: «إنه غير
جائز لأنَّ العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتبهة
اليها ولذلك قيل: «مَنْ فَقَدَ حِسًا فَقَدَ عَقْلًا». وإذا كان
المحسوس أصلًا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلًا

(١) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٩.

(٢) اللسان (طرد) و (عكس).

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٤٢١.

(٤) معترك ج ١ ص ٣٦٨، شرح عقود الجمان
ص ١٣٤، الاتقان ج ٢ ص ٧٤، التبيان في البيان

ص ٣٠٥.

(٥) النور ٥٨.

(٦) التحريم ٦.

(٧) اللسان (طرف).

(٨) الصافات ٤٨ - ٤٩.

(٩) العنكبوت ٤١.

(١٠) ابراهيم ١٨.

الطَّرْدُ وَالْعَكْسُ:

الطَّرْدُ: الإبعاد، والطرْدُ: الشَّلُّ، وَطَرَدْتُ الرَّجُلَ: إِذَا
نَحَيْتَهُ، وَاطَّرَدَ الشَّيْءُ: تَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا وَجَرَى، وَاطَّرَدَ
الْأَمْرُ: اسْتَقَامَ، وَاطَّرَدَ الْكَلَامُ: إِذَا تَتَابَعَ.

وَعَكَسَ الشَّيْءُ يَعْكِسُهُ عَكْسًا فَانْعَكَسَ: رَدَّ آخِرَهُ
عَلَى أَوَّلِهِ^(٢).

قال ابن الأثير: «هو أن يجعل المشبه به مشبهًا
والمشبه مشبهًا به، وبعضهم يسميه غلبة الفروع على
الاصول»^(٣).

وهو التشبيه المعكوس والمقلوب والمنعكس،
وقد تقدم في التشبيه، ولكن السيوطي عرّفه تعريفًا
آخر فقال: «قال الطيبي هو أن يأتي بكلامين يقرر
الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس»^(٤) كقوله
تعالى: ﴿لَيْسْتَ أَذِنَكَمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ
يَتَلْعَفُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿لَيْسَ
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ
عَلَيْكُمْ﴾^(٥). فمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك
الاقوات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها
وبالعكس. ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٦) ثم قال السيوطي: «وهذا
النوع يقابله في الإيجاز نوع الاحتباك».

طَرَفَا التَّشْبِيهِ:

الطَّرْفُ: الناحية من النواحي والطائفة من الشيء،
والجمع أطراف^(٧). يُطَلَقُ عَلَى الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ اسْمًا
«طَرَفِي التَّشْبِيهِ» وهما الركنان الأساسيان في التشبيه
وينقسم باعتبارهما إلى أربعة أقسام:

الأوّل: أن يكونا حسيين، والمراد بالحسي ما
يُدْرِكُ هُوَ أَوْ مَادَتُهُ بِأَحَدِي الْحَوَاسِ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ -

مطلوبًا وله أساليب مختلفة منها:

صيغ المدح والذم، ومنها «نِعْم» و «بِئْسَ» كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبَدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٦) وقوله: ﴿يَدْعُو لِمَنْ ضُرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْسِ الْمَوْلَى وَلِبَيْسِ الْعَشِيرِ﴾^(٧).

ومنه قول زهير في مدح هريم بن سنان:

نِعْمَ امْرَأً هَرِيمٌ لَمْ تَعْرِ نَائِبَةً
إِلَّا وَكَانَ لِمَرْتَاعِ لَهَا وَزَرَا
ومنها «حَبَذَا» و «لَا حَبَذَا» كقول جرير:

يَا حَبَذَا جَبَلُ الرِّيَانِ مِنْ جَبَلِ
وَحَبَذَا سَاكِنُ الرِّيَانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَذَا نَفْحَاتُ مِنْ يَمَانِيَّةٍ
تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَانِ أَحْيَانَا

ومنها الأفعال المَحْوَلَة الى «فَعَل» مثل قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾^(٨) والتعجب: وله صيغتان قياسيتان هما: «مَا أَفَعَلَهُ» كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٩)، وقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(١٠) وقول الشاعر:

(١) نهاية الايجاز ص ٥٩، وينظر البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٢٠.

(٢) نهاية الايجاز ص ٦٠.

(٣) الايضاح ص ٢٢١، خزانة الادب ص ١٨٣، البرهان ج ٣ ص ٤٢٠، التبيان في البيان ص ١٤٤.

(٤) اللسان (طلب).

(٥) البقرة ٢٧١.

(٦) النحل ٣٠.

(٧) الحج ١٣.

(٨) الكهف ٥.

(٩) عبس ١٧.

(١٠) البقرة ١٧٥.

للفرع أضلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز، ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك بالطيب فقال: «الشمس كالحجة في الظهور» و «المسك كأخلاق فلان في الطيب» كان سخيفاً من القول^(١).

وأجازه بعضهم، ومن أمثله قول القاضي التنوخي:

وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا
سُنَنٌ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

وقول أبي طالب الرقي:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ
يَوْمُ النَّدَى وَفَوَادُ مِنْ لَمْ يَعْشَقِ

وقول الآخر:

رَبِّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ أَمَلِي فِيهِ
كَ وَقَدْ رُحْتُ عَنْكَ بِالْحِرْمَانِ

وعلل الرازي حسن هذه التشبيهات بقوله: «واعلم أنَّ الوجه الحسن في هذه التشبيهات أنَّ يقدر المعقول محسوساً ويجعل كالأصل في ذلك المحسوس على طريق المبالغة وحينئذ يصح التشبيه»^(٢). ولم يستطع الرازي أن يتجاوز ذلك بعد أن رأى لمثل هذا اللون أمثله في كلام العرب^(٣).

الطَّلَبُ:

الطلب: محاولة وُجْدَانِ الشَّيْءِ وَأَخْذِهِ. وطلب اليَّ طَلَبًا: رَغِبَ، يُقَالُ: طَلَبْتُ يَافُطْلِبُهُ أَي: أَسْعَفْتُهُ بِمَا طَلَبَ^(٤).

والطلب من مباحث عِلْمِ المعاني فقد قَسَمُوا الْإِنشَاءَ إِلَى قَسْمَيْنِ:

الأوَّلُ: الْإِنشَاءُ الطَّلِبِيُّ، وَهُوَ مَا يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقَدْ طَلَبَ، وَهُوَ خَمْسَةٌ أَنْوَاعٍ: الْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالِاسْتِفْهَامُ، وَالتَّمْنِي، وَالنَّدَاءُ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَلَامٌ فِي هَذَا الْمَعْجَمِ.

الثَّانِي: الْإِنشَاءُ غَيْرِ الطَّلِبِيِّ وَهُوَ مَا لَا يَسْتَدْعِي

«قبلت». وهذه أساليب خبرية لكنّها لا يراد بها الاخبار لأنّها لا تحتمل الصدق والكذب ولذلك لم توضع مع الخبر.

ولا يهتمّ البلاغيون بهذه الأساليب الانشائية لقلة الاغراض المتعلقة بها، ولأنّ معظمها أخبار نقلت من معانيها الاصلية، وأما الانشاء الذي يعنون به فهو الطلبي لما فيه من تفنن في القول ولخروجه عن أغراضه الحقيقية الى أغراض مجازية^(٨).

الطّي والنّشر:

الطّي، نقيض النشر، طويته طيًا وطية^(٩) الطّي والنّشر هو اللفّ والنشر، وقد سمّاه بذلك الحموي^(١٠)، ولكنّ معظم البلاغيين يُسمونه: «اللفّ والنشر». وكان المبرد من أوائل الذين التفتوا الى هذا النوع وقال: «والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأنّ السامع يزُدُّ إلى كلّ خبره»^(١١) كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١٢)،

(١) مريم ٣٨.

(٢) الضحى ١ - ٢.

(٣) يوسف ٩١.

(٤) الحجر ٧٢.

(٥) هود ١٢.

(٦) البلايل: جمع بلبال، وهو الهم.

(٧) المائدة ٥٢.

(٨) البرهان في وجوه البيان ص ١١٣، مفتاح العلوم ص ٧٩، ١٤٥، الايضاح ص ١٣٠، التلخيص ص ١٥١، شروح التلخيص ج ٢ ص ٢٣٤، المطول ص ٢٢٤، الاطول ج ١ ص ٢٣١، الروض المربع ص ٧٧، ١٢٠، التبيان في البيان ص ١٣٠.

(٩) اللسان (الطي) و (النشر).

(١٠) خزانة الادب ص ٧٦.

(١١) الكامل ج ١ ص ١١٢.

(١٢) القصص ٧٣.

فما أكثر الإخوان حين تعدّهم
ولكنّهم في النائبات قليل

وقول الآخر:

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربي
وما أحسن المصطاف والمتربعا
و «أفعل به» كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾^(١). ويأتي سماعيا كقولهم: «لله درّه عالما». والقسم: ويكون بالواو والتاء والباء كقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾^(٢) وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾^(٣)، ومثل قولنا «أُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنِّي بريء». ومن صيغ القسم التي تأتي كثيرا «لعمرك» كقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٤).
وقول الشاعر:

لعمرك ما أدري وإنّي لأوجل
على أيّنا تعدو المنية أول

والرجاء؛ وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع، والحرف الموضوع له «لعل» كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ، إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٥).
وقول ذي الرّمة:

لعلّ انحذار الدّمع يُعقب راحة

من التّوجد أو يشفي نجّي البلايل^(٦)

أما الافعال التي تستعمل في هذا الاسلوب فهي «عسى» كقوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾^(٧)، وقول الشاعر:

عسى الكزب الذي أمسيث فيه

يكون وراءه فرج قريب

و«حري» مثل: «حري محمد أن يقوم».

و«أخلولق» مثل: «أخلولقت السماء أن تمطر».

وتسمّى هذه الثلاثة «أفعال الرجاء».

وصيغ العقود: مثل «بعث» و «اشتريت» و «وهبت» و

يهتدي الى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان»^(٦).

وقال عن قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾ (القصص ٧٣) «زواج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة: لتسكنوا في احدهما وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار، ولإرادة شكركم»^(٧). وقال عن الآية التي بعدها: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ؟﴾^(٨): «وقد سلكت بهذه الآية التي بعدها اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء، إيدان بأن لاشيء أجلب لغضب الله من الإشراف به، كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده»^(٩). فالزَمْخَشَرِي يُسَمِّي هذا النوع لَفًّا، وهو المصطلح الذي تعارف عليه البلاغيون ولكنهم أضافوا اليه «النشر». قال الرازي: «اللف والنشر هو أن تلف شيئين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يَرُدُّ الى كل واحد منهما ماله»^(١٠).

وأدخله الشَّكَاكِي في المُحَسَّنَات المعنوية وقال: «اللف والنشر، وهي أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلامًا مشتملًا على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يَرُدُّ كلاً منهما الى ما هو له»^(١١).

(١) الكامل ج ١ ص ٧٤١.

(٢) الكامل ج ٢ ص ٧٤٠.

(٣) المنصف ج ٢ ص ١١٧.

(٤) سر الفصاحة ص ٢٢٥.

(٥) البقرة ١٨٥.

(٦) الكشاف ج ١ ص ١٧٢.

(٧) الكشاف ج ٣ ص ٣٣٧.

(٨) القصص ٧٤.

(٩) الكشاف ج ٣ ص ٣٣٨.

(١٠) نهاية الأيجاز ص ١١٢، وينظر الايضاح في

شرح مقامات الحريري ص ٢٠.

(١١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.

وكرر الاستشهاد بهذه الآية، وقال معلقًا عليها: «علما بأن المُخَاطَبِينَ يَعْرِفُونَ وقت السكون ووقت الاكتساب»^(١). وقال مُعَلِّقًا على بيت امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا

لدى وَكُرِّهَا العُنَابُ والحَشْفُ البالي

«فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال: فهلا فصل فقال: كأنه رطبًا العناب وكأنه يابسًا الحشف؟ قيل له: العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهومًا ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا»^(٢).

وسماه ابن جني «المجمل الذي يفصله العلم به» وذكر الآية السابقة: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار...» وبيت امرئ القيس: «كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ...» وعلق عليهما بمثل تعليق المبرد، ثم قال: «وهذا في القرآن والشعر كثير اذا تفتنت له وجدته»^(٣). وتحدث ابن سنان عنه في التناسب وقال: «ومن التناسب ايضًا حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب ليكون ما يَرُجَع الى المقدم مقدمًا والى المؤخر مؤخرًا»^(٤) كقوله الشريف الرضي:

قَلْبِي وَطَرْفِي مِنْكَ هَذَا فِي جَمِي

قَيْظٍ وَهَذَا فِي رِيَاضِ رَبِيعٍ

فانه لما قَدَّمَ «قلبي» وجب أن يقدم وصفه بأنه في جَمِي قَيْظٍ، فلو كان قال: «طرفي وقلبي منك» لم يحسن في الترتيب أن يؤخر قوله: «في رياض الربيع» والطرف مقدم.

وقال الزَمْخَشَرِي تعليقًا على قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥): «شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر. فقوله: ﴿لِتُكْمِلُوا﴾ علة الأمر بمراعاة العدة ﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾ علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علة الترخيص والتيسير. وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد

والثاني: كقوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى﴾^(٥) فان الضمير في ﴿قالوا﴾ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنًا من الالتباس، لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه.

وسار شراح التلخيص على هذي القزويني^(٦)، ولم يخرج الآخرون على ما ذكره أو ما أشار إليه المتقدمون^(٧).

(١) المصباح ص ١١٢، حسن التوسل ص ٢٤٥،

نهاية الأرب ج ٧ ص ١٢٩.

(٢) الأيضاح ص ٣٥٥، التلخيص ص ٣٦١.

(٣) القصص ٧٣.

(٤) الدم: الثار على سبيل المجاز. المغرم؛ ما يلزم أدائه من المال. الموشج: شجر الرماح المقوم: المثقف المعدل.

(٥) البقرة ١١١.

(٦) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢٩، المطول ص ٤٢٦، الأطول ج ٢ ص ١٩٦.

(٧) التبيان ص ١٧٧، البرهان الكاشف ص ٣١٣، الطراز ج ٢ ص ٤٠٤، خزانة الأدب ص ٦٦، معترك ج ١ ص ٤٠٨، الاتقان ج ٢ ص ٩٣، شرح عقود الجمان ص ١١٨، أنوار الربيع ج ١ ص ٣٤١.

وتبعه في ذلك ابن مالك والحلي والثوري^(١)، والقزويني الذي قال: «هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يردّه إليه»^(٢)، ثم قال: فالأول ضربان، لأنّ النشر إما على ترتيب اللف كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣)، وقول ابن حيوس:

فَعَلَّ المِدامَ وَلونِها وَمذاقِها
فِي مُقَلَّتِيهِ وَوَجَنَّتِيهِ وَرِيقِهِ

وقول ابن الرومي:

أراؤكم ووجوهكم وشيوفكم
فِي الحادِثاتِ إِذا دَجَوْنَ نُجومَ

فِيها مَعالِمُ لِلهُدى وَمصابِخُ
تَجلو الدُّجى والأخرياتِ رُجومَ

وإما على غير ترتيبه كقول ابن حيوس:

كِيفَ أَسلو وَأنتَ حِقْفٌ وَغَضٌّ
وَغَزالٌ لَحْظًا وَقَدًّا وَرَدِّفا

وقول الفرزدق:

لَقَد حُنَّتْ قوماً لولجاتِ اليهم
طريدِ دمٍ أو حاملاً ثِقَلِ مَعْرَمِ

لَأَلْفَيْتَ فِيهِم مُعْطِيًا أو مُطاعِنًا

وراءك شزراً بالوشيج المقوم^(٤)

النظاء

الظَّرَافَةُ وَالسُّهُولَةُ:

الظُّرْفُ، البراعة وذكاء القلب، والظُّرْفُ: حسن العبارة، والحدق بالشيء، وظَرْفٌ يَظُرْفُ.

والسَّهْلُ نقيض الحَزْنِ، والسهولة: ضد الحزونة، يقال: قد سَهَّلَ الموضوع، وسَهَّلَ سُهولةً^(١).

عقد ابن منقذ باباً للظَّرَافَةِ والسهولة ولم يُعرِّفهما بل قال: «اعلم أنَّ أشعار العرب والمحدثين قد وَرَدَ فيهما الظريف السهل»^(٢) كقول بعضهم:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت
وأشهى لقلبي أن تهب جنوب

يقولون لو عزيت قلبك لازعوى
فقلت وهل للعاشقين قلوب؟

وقول الآخر:

إذا ما ظمئتُ إلى ريقها
جَعَلْتُ المدامةً منه بديلاً

وأين المدامةً من ريقها
ولكن أُعَلِّقُ قلباً عليلاً

وسَمَّاهَا الحموي «السهولة» وقال: «ذكرها النيفاشي مضافة إلى باب الظرافة»^(٣) وسَمَّاهَا المدني «التسهيل» ونقل ما ذكره الحموي^(٤). وقد تقدم التسهيل والسهولة.

(١) اللسان (ظرف) و (سهل).

(٢) البديع في نقد الشعر ص ١٤٣.

(٣) خزانة الأدب ص ٤٥٤.

(٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٠.

العين

العاطل:

فإنَّكَ كالليلِ الذي هو مُدْرِكِي
وإنْ خَلَّتْ أَنْ المَنْتَأَى عنكَ واسِعُ
عاب النقاد اختصاصه الليل دون النهار وقالوا: إنَّ
الليل والنهار في هذا سواء.

قال ابن منقذ: «ولقد غلط النقاد الذين عابوا ذلك،
وذلك أنَّ الأمر إذا كان محتملاً لمعنيين اختص
أحدهما الذي هو أشبه والأرجح. ومعلوم أنَّ هذا
الشعر في حال الخوف والليل بحال الخوف أولى
لأنه يشبه الاستتار والاختفاء فزال الاعتراض عن هذا
البيت، وصار مثل قول الغزي:

وبثنا نذودُ الوَحْشَ عِنا كأننا
قتيلانٍ لم يَعْلَمَ لنا الناسُ مَضْرَعَا
تُجَافِي عن المأثور بيني وبينها
وتُذَنِّي عليَّ السابريُّ المَضْلَعَا^(٧)
إذا أخذتها هِرَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ
بِمَنْكِبِ مِقْدَامِ على الرُّوعِ أَرْوَعَا
لما احتمل المأثور أنَّ يكون الحديد والسيف

عَطَلَتِ المرأةُ تَعَطَّلُ عَطَلًا وَعُطُولًا وتَعَطَّلَتْ إذا لم
يكن عليها حُلِّيٌّ ولم تلبس الزينة وخلا جيدها من
القلائد. وامرأة عاطل. ^(١)

والعاطل من الكلام هو الذي لا يكون كثير التحلية
بالأسجاع والفواصل، قال الكلاعي: «وإنما سَمَّينا هذا
النوع العاطل لقلة تحليته بالاسجاع والفواصل، وهذا
النوع هو الأصل والتجمل بكثرة السجع فرع طارئ
عليه» ^(٢).

وذكر ابن شيث القرشي نوعًا من السجع سَمَّاه
العاطل وقال: «وأما السجع العاطل فهو أنَّ تقابل
اللفظة أختها ولا تجمع بينهما القافية» ^(٣). وقد تقدم
في التسجيع أو السجع.

العام والخاص:

هو استعمال العام في النفي والخاص في
الاثبات ^(٤)، وقد تقدم.

العَبَث:

عَبَثَ به عَبَثًا لعب فهو عابث لآعب بما لا يعنيه
وليس من باله، والعَبَثُ، أن تَعَبَثَ بالشيء ^(٥).

قال ابن منقذ: «هو أنَّ يقصد الشاعر شيئًا من بين
أشياء من غير فائدة في ذلك» ^(٦).

كقول النابغة الذبياني:

- (١) اللسان (عطل).
- (٢) احكام صنعة الكلام ص ٩٦.
- (٣) معالم الكتابة ص ٦٩.
- (٤) المثل السائر ج ٢ ص ٣٢، الجامع الكبير
ص ١٦٩، جوهر الكنز ص ٢٩٣.
- (٥) اللسان (عبث).
- (٦) البديع في نقد الشعر ص ١٧٧.
- (٧) السابري: ثوب رقيق جيد.

نَصَحْتُ لِعَرَّاضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ
وَرَهْطِ بَنِي السُّودَاءِ وَالْقَوْمِ شُهْدِي
قُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفِي مُدَجِّجٍ
سِرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرِدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى
غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُهْتَسِدٍ
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ
غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةُ أَرْشِدِ
أَمَرْتَهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ
وَلَا يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ شَاهِدَ هَذَا الْبَيْتِ إِلَّا قَوْلُ شَاعِرِ
الْحَمَاسَةِ:

أقول لنفسي في الخلاء ألومها
لك الويل ما هذا التجلُّدُ والصَّبْرُ
وكقول ابن السليمان من شعراء الحماسة:
لعمرك إني يوم سَلَعٍ للائمٍ
لنفسي ولكن ما يَرُدُّ التَّلَوُّمُ
أمكنك من نفسي عدوِّي ضلَّةً
ألهفي على ما فات لو كُنْتُ أَعْلَمُ

وقد جاء من هذا الباب في كتاب الله قوله سبحانه
وتعالى: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (٦)
والله أعلم» (٧).

وقال مثل ذلك الحلبي والثوري والحموي

- (١) البديع في نقد الشعر ص ١٧٨.
- (٢) اللسان (عتب).
- (٣) تحرير التحرير ص ١٦٦، بديع القرآن ص ٦٣.
- (٤) حسن التوسل ص ٢٣٦، نهاية الأرب ج ٧
ص ١٢٥، خزنة ص ١٤٤، أنوار الربيع ج ٣
ص ٢٠٣، شرح الكافية ص ٨١.
- (٥) البديع ص ٧٤.
- (٦) الزمر ٥٦.
- (٧) تحرير ص ١٦٦.

كان حمله على السيف أولى، لأنَّ الحال حال خوف
بدليل قوله: «هزة الروح» ولأنَّه أراد العفة عنها بوضعه
السيف بينهما» (١).

عِتَابُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ:

عَتَبَ عَلَيْهِ يَعْتَبُ وَيُعْتَبُ عَتَبًا وَعِتَابًا: وَجَدَ عَلَيْهِ،
وعاتبه عتابًا ومُعَاتَبَةً: لَامَهُ (٢).

ذكر المصري أنَّ «عتاب المرء نفسه» من أفراد ابن
المعتر (٣) وتابعه في ذلك الحلبي والثوري وصفي
الدين الحلبي في بديعته والحموي والمدني (٤).
وليس الأمر كذلك لأنَّ ابن المعتر لم يذكر هذا الفن
في بديعه وإنما تحدث في محاسن الكلام عن «إعنات
الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس
له» (٥)، وذكر له أمثلة كقول الشاعر:

يقولون في البستانِ للعينِ لَذَّةً
وفي الخمرِ والماءِ الذي غَيْرِ آسِنِ
فإنَّ شِئْتَ أَنْ تَلْقَى الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا
ففي وَجْهِ مَنْ تَهْوَى جَمِيعُ الْمَحَاسِنِ
وقول الآخر:

عصاني قومي والرشاد الذي به
أمرتُ ومن يعصِ المجربَ يندم
فصبرًا بني بكرٍ على الموت إنني
أرى عارضًا ينهلُّ بالموتِ والدمِ

وهذا هو لزوم ما لا يلزم لاعتاب المرء نفسه. وكان
البيتان الاخيران مثار جدل البلاغيين مع أنَّ ابن المعتر
ذكرهما في إعنات الشاعر نفسه في القوافي، أي لزوم
ما لا يلزم. قال المصري: «وما أرى في هذين البيتين
من عتاب المرء نفسه إلا ما يتحيل به لمعناهما فيقدر
أنَّ هذا الشاعر لما أمر بالرشد وبذل النصح ولم يُطع
ندم على بذل النصيحة لغير أهلها وملزوم ذلك عتابه
لنفسه فيكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزام
لا دلالة مطابقة ولا تضمين. ومثل هذين البيتين قول
دريد بن الصمة:

قال ابن منقذ: «وقد جاء في أشعار العرب المتقدمين وقَلَّ في أشعار المتأخرين»^(١) ومن ذلك:

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعَجٍ
إِلَيَّ وَسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا

تفسيره: أحب بلاد الله إلي ما بين منعج وسلمي.

ومثله قول الفرزدق:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ مُمْلِكًا
أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

أي: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه.

وهذا من التعقيد الذي تحدث عنه البلاغيون في مباحث الفصاحة.

عَطْفُ الْأَوَائِلِ عَلَى الْآخِرِ:

ذكر المرزوقي هذا المصطلح^(١١)، ولعله يريد به رَدَّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ.

عَطْفُ الْمُظْهِرِ عَلَى ضَمِيرِهِ:

قال ابن الأثير: «وهذا إنما يُعَمَدُ إليه لفائدة، وهي تعظيم شأن الأمر الذي أظهر عنده الاسم

(١) حسن التوسل ص ٢٣٦، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٢٥، خزانة ص ١٤٤، أنوار الربيع ج ٣ ص ٢٠٣.

(٢) معترك ج ١ ص ٤٠٥، الاتقان ج ٢ ص ٩٢.

(٣) الفرقان ٢٧ - ٢٩.

(٤) الزمر ٥٦.

(٥) أنوار الربيع ج ٣ ص ٢٠٣.

(٦) خزانة الأدب ص ٢٤٤.

(٧) اللسان (عرض) و(حضر).

(٨) الصاحب ص ١٨٧.

(٩) اللسان (عسف).

(١٠) البديع في نقد الشعر ص ١٨٠.

(١١) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ٦.

والمدني^(١)، ولم يُشير السيوطي إلى مثل ما أشاروا ولم يعرف هذا النوع وإنما قال^(٢) إنَّ منه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(٤).

ولم يُعجِبْ هذا النوع بعضهم فقال صفي الدين في شرح بديعته: «هذا النوع أدخله ابن المعتز في البديع وليس في شيء منه بل هو حكاية حال واقعة ولم يمكنني أن أخلِّ بذكره»^(٥). وقال الحموي: «هذا النوع - أعني عتاب المرء نفسه - لم أجد العتب مُرتبًا إلا على من أدخله في البديع وعده من أنواعه، وليس بينهما نسبة والذوق السليم أعدل شاهد على ذلك ولولا أنَّ الشروع في المعارضة ملزم ما نظمت حصة مع جواهر هذه العقود ونهاية أمره أنه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر»^(٦).

الْعَرَضُ وَالتَّحْضِيضُ:

عَرَضَ الشَّيْءُ عَلَيْهِ يَعْرِضُهُ عَرَضًا: أَرَاهُ إِيَّاهُ.

وَحَضَّ يَحْضُهُ حَضًّا: حَثَّهُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ، وَحَضَّضْتُ الْقَوْمَ عَلَى الْقِتَالِ: حَرَضْتَهُمْ^(٧). قَالَ ابْنُ فَارَسٍ: «الْعَرَضُ وَالتَّحْضِيضُ مَتَقَارِبَانِ إِلَّا أَنَّ الْعَرَضَ أَرْفَقُ وَالتَّحْضِيضَ أَعَزَمُ وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي الْعَرَضِ: «أَلَا تَنْزِلُ؟ أَلَا تَأْكُلُ؟»^(٨)

العَسْفُ:

العَسْفُ: السَّيْرُ بِغَيْرِ هِدَايَةٍ وَالْأَخْذُ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، وَكَذَلِكَ التَّعَسُّفُ وَالْإِعْتِسَافُ. وَالْعَسْفُ: رُكُوبُ الْمَفَازَةِ وَقَطْعُهَا بِغَيْرِ قَصْدٍ وَلَا هِدَايَةٍ وَلَا تَوْخِي صَوِّبٍ وَلَا طَرِيقٍ مَسْلُوكٍ، وَعَسَفَ الْمَفَازَةَ: قَطَعَهَا. وَالْعَسْفُ: رُكُوبُ الْأَمْرِ بِلَا تَدْبِيرٍ وَلَا رُويَّةٍ عَسَفَهُ يَعْسِفُهُ عَسْفًا، وَعَسَفَ فُلَانٌ فُلَانًا: ظَلَمَهُ^(٩).

المضمّر أولاً»^(١) كقوله تعالى: ﴿أَو لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾^(٢). فقد صرح باسمه تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ مع إيقاعه مبتدأ في قوله: ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ وكان القياس أن يقول: «كيف يبدئ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة». والفائدة في ذلك أنه لما كانت الإعادة عندهم من الأمور العظيمة وكان صدر الكلام واقعا معهم في الابداء وقرره أن ذلك من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الابداء وإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الابداء، فوجب أن لا تعجزه الإعادة. فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الأمر الذي هو الإعادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبتدأ ثانيا.

العقد:

العقد: نفيض الحل، عقده يعقده عقداً وتعقاداً وعقده^(٣).

تحدث الحاتمي عن «نظم المنثور» وقال: «ومن الشعراء المطبوعين طائفة تخفي السرقة وتلبسه اعتماداً على منشور الكلام دون منظومه واستراقاً للألفاظ المؤجزة والفقر الشريفة والمواعظ الواقعة والخطب البارعة»^(٤). وكان أبو العتاهية ومحمود الوراق شديدي اللهج بذلك، وقد تقدّم أمثالهما الأخطل، عمّد الى قول بعض اليونانيين: «العشق شغل قلب فارغ» فنظمه فقال:

وكم قتلت أروى بلا دية لها

وأروى لفرغ الرجال قتول

ويروى أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى» فنظم أبو العتاهية بعض هذا اللفظ وأخل ببعضه، فقال:

أفرح بما تأتيه من طيب

إن يد المعطي هي العليا

وتكلم عليه ابن منقذ في باب «الحل والعقد» وقال: «اعلم أن الحل والعقد هو ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب وهو أن يأخذ لفظاً منشوراً فينظمه أو شعراً فينثره ويطارحه العلماء فيما بينهم»^(٥).

وقال المصري: «هو ضد الحل؛ لأنه عقد النثر شعراً. ومن شرائطه أن يؤخذ المنشور بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد فيه أو ينقص منه أو يحرف بعض كلماته ليدخل به في وزن من أوزان الشعر. ومتى أخذ معنى المنشور دون لفظه كان ذلك نوعاً من أنواع السرقات بحسب الآخذ الذي يوجب استحقاق الآخذ للمأخوذ. ولا يُسمّى عقداً إلا إذا أخذ المنشور برمته وإن غيّر منه بطريق من الطرق التي قدمناها كان المبقّى منه أكثر من المغيّر بحيث يعرف من البقية صورة الجميع»^(٦).

وقال القزويني: «أما العقد فهو أن ينظم نثر لا على طريق الاقتباس»^(٧) وتبعه البلاغيون في ذلك^(٨).

والعقد من القرآن الكريم كقول أبي نواس:

بنفسي غزال صار للناس قبلة

وقد زرت في بعض الليالي مُصلاًه

(١) اللسان (عقد).

(٢) العنكبوت ١٩ - ٢٠.

(٣) اللسان (عقد).

(٤) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٩٢.

(٥) البديع في نقد الشعر ص ٢٥٩.

(٦) تحرير التحبير ص ٤٤١.

(٧) الايضاح ص ٤٢٣، التلخيص ص ٤٢٦.

(٨) شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٢١، المطول

ص ٤٧٤، الاطول ج ٢ ص ٢٥٣، أنوار الربيع

ج ٦ ص ٢٩٦، نفحات ص ٣٢٤، التبيان في

البيان ص ٣٤٧.

ويقرأ في المِخْرَابِ والنَّاسُ خَلَقَهُ
«وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ»

فَقُلْتُ تَأْمَلُ مَا تَقُولُ فَإِنَّهَا
لِحَاظِكَ يَا مَنْ تَقْتُلُ النَّاسَ عَيْنَاهُ

وقول الآخر:

أَنْلَنِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتُ خِطَاءً
وَأَشْهَدُ مَعْشَرًا قَدْ شَاهَدُوهُ
فَإِنَّ اللَّهَ خَلَّاقُ الْبِرَايَا
عَنْتَ لَجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوَجُوهُ

يقول: «إذا تداينتم بدينين
إلى أجلٍ مُسَمًّى فَاكْتَبُوهُ»
والعقد من الحديث الشريف كقول الإمام الشافعي:

عُمْدَةُ الْخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِمَاتُ
أَرْبَعٍ قَالَهُنَّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ
أَلَقَ الْمَشْبَهَاتِ وَأَزْهَدُ وَدَعَّ مَا
لَيْسَ يَعْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّةِ

عقد قوله - عليه السلام - : «الحلال بين والحرام بين
بينهما أمور مشبهات» وقوله: «ازهد في الدنيا بحبك
الله» وقوله: «من حُشِنَ إسلام المرء ترك ما لا يعنيه»
وقوله: «إنما الاعمال بالنيات».

والعقد من كلام الحكماء كقوله المتنبّي:

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّدَ
ذَا عَفَا فَلَغَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

عقد فيه قول بعض الحكماء: «الظلم من طبع النفوس
وإنما يصدّها عن ذلك إحدى علتين، إما علة دينية
كخوف المعاد، أو علة سياسية كخوف القتل» -

وَفَرَّقَ الْمَدْنِي بَيْنَ الْاِقْتِبَاسِ وَالْعَقْدِ فَقَالَ: «إِنَّ
الْاِقْتِبَاسَ لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهُ نَظْمُ مَعْنَى شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ
اللَّهِ أَوْ رَسُولِهِ بَلْ تَضْمِينُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ
مِنْهُ بِخِلَافِ الْعَقْدِ كَمَا عَرَفْتَهُ فِي حَدِّ كُلِّ مِنْهُمَا»^(١).
وكان قد عرّف الاقتباس بقوله: «هو تضمين النظم أو
النثر بعض القرآن لا على أنه منه، بأن لا يقال: قال الله»

أو نحوه فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً^(٢). وعرّف
العقد بقوله: «هذا النوع عبارة عن أن يعمد الشاعر الى
شيء من كلام الله أو كلام رسوله أو السلف الصالح
من الصحابة ومن بعدهم، أو كلام الحكماء
المشهورين فينظمه بلفظه ومعناه أو معظم اللفظ
فيزيد فيه وينقص منه ليدخل في وزن الشعر، فإن
نظم المعنى دون اللفظ لم يكن عقدا بل نوعا من
السرقة خلافا لمن أدخله في العقد»^(٣).

العكس:

عكس الشيء يعكسه عكسا فانعكس، ردّ آخره
على أوّله^(٤). والعكس أن يُقدّم في الكلام جزء ثم
يؤخّر^(٥)، ويُسمّى التبديل وقد تقدّم. وللعكس معنى
آخر وهو أن يأتي الشاعر الى معنى لنفسه أو لغيره
فيعكسه، قال ابن شيث القرشي: «هو أن يؤتى
بالكلام وعكسه. وكلاهما مفيد كقوله تعالى:

(١) انوار الربيع ج ٦ ص ٣٠٥.

(٢) أنوار الربيع ج ٢ ص ٢١٧.

(٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٩٦، وينظر شرح الكافية
ص ٣٢٤.

(٤) اللسان (عكس).

(٥) كتاب الصناعتين ص ٣٧١، العمدة ج ٢ ص ٤،
٢٨٩، الوافي ص ٢٧٨، قانون البلاغة
ص ٤٠٩، ٤٧٧، البديع في نقد الشعر
ص ٤٦، التبيان ص ١٨١، تحرير ص ٣١٨،
بديع القرآن ص ١١١، حسن التوسل ص ٢٦٨،
نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٤، جوهر الكنز
ص ٢٨٥، الايضاح ص ٣٥١، التلخيص
ص ٣٥٨، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣١٨،
المطول ص ٤٢٤، الأطول ج ٢ ص ١٩٣،
البرهان ج ٣ ص ٤٦٧، خزنة ص ١٦٢، معترك
ج ١ ص ٤٠٥، الاتقان ج ٢ ص ٩٢، شرح عقود
الجمان ص ١١١، حلية اللب ص ١٣٤، أنوار
الربيع ج ٣ ص ٣٣٧، كفاية الطالب ص ١٩٦،
الروض المربع ص ١٥٣، نفحات ص ٧٠، شرح
الكافية ص ١٤٥.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١). ومن الشعر في فرس:

ولئن أهنت النَّفْسَ في إكرامها
فبها لي الإكرام وهي تُهانُ^(٢)

وليس هذا المعنى يبيد عن معناه الآخر.

عَكْسُ الظَّاهِرِ:

قال ابن الأثير: «هو نَفْيُ الشيء بإثباته، وهو من مُسْتَطَرَفَاتِ عِلْمِ البَيَانِ وذلك أَنَّكَ تَذَكَّرُ كَلَامًا يَدُلُّ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ نَفْيٌ لصفة موصوف وهي نفي للموصوف أصلاً»^(٣).

وأدخله ابن الأثير الحلبي في «شجاعة العربية» وقال: «وحقيقة أن تذكر كلاماً يدل ظاهره على معنى ويراد به معنى آخر عكسه»^(٤). كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٥). فهذا يدل ظاهره على أن هناك من يدعو مع الله إلهاً آخر وله به برهان، وما المراد ذلك بل المراد أن كل من يدعو مع الله إلهاً آخر لا برهان له به.

ومن أمثله ما قاله علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - في وصف مجلس الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «لا تنشئ فلتاته» أي: لا تذاع سقطاته، فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لا تُذاع وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتنشئ.

وهذا الأسلوب من أغرب ما توسعت فيه اللغة العربية وأمثله الشعرية قليلة ولذلك قال ابن الأثير: «ولقد مكثت زمناً أطول على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجِدْ إلا بيتاً لامرئ القيس وهو:

على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى لمناره

إذا سافَهُ العَوْدُ الديافي جَزَجْرًا^(٦)

فقوله: «لا يهتدى لمناره» أي: أن له مناراً إلا أنه لا يهتدى به، وليس المراد ذلك بل المراد أنه لا منار له

يهتدى به»^(٧).

وذكر بيتاً من نظمه وهو:

أدنين جلابَ الحياءِ فلن يُرى
لذيولهن على الطَّرِيقِ غُبَارُ

وظاهر هذا الكلام أن هولاء النساء يمشين هَوْنًا لحيائهن فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلاً أي أنهن مخبئات لا يخرجن من بيوتهن فلا يكون إذن لذيولهن على الطريق غبار، وهو أظهر من بيت ابن أحمر:

لا تفرغُ الأرنب أهوالها

ولا ترى الضبَّ بها ينجحر

فإن ظاهر المعنى أنه كان هناك ضبٌ ولكنه غير منجحر، وليس كذلك بل المعنى أنه لم يكن هناك ضبٌ أصلاً. وهذا الفن من التعبير عسر لأنه لا يظهر المعنى فيه.

عَكْسُ اللَّفْظِ:

قال قدامة: «إنه مثل: «اشكر من انعم عليك وأنعم علي من شكرك» ومثل: «إن من خوفك لتأمن خير ممن أمنك حتى تلقى الخوف». وكقول عمرو بن عبيد: «اللهم أغنني بالفقر اليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك»^(٨).

(١) الروم ١٩.

(٢) معالم الكتابة ص ٨٣ - ٨٤.

(٣) المثل السائر ج ٢ ص ٦٥، الجامع الكبير ص ١٠٥.

(٤) جواهر الكنز ص ١٢٣.

(٥) المؤمنون ١١٧.

(٦) اللاجب: الطريق الواضح. سافه: شمه، العود:

البعير الهرم. الديافي: المنسوب الى دياف بالشام. جرجر: ردد صوته.

(٧) المثل السائر ج ٢ ص ٦٦.

(٨) جواهر الالفاظ ص ٥.

عَكْسُ الْمَعْنَى:

وهو النوع الرابع من السرقات عند العلوي، فقد قَسَمَهَا إلى النسخ والسخن والمسوخ وعكس المعنى والزيادة عليه معنى آخر. قال عن عكس المعنى: «وما هذا حاله فهو بالغ في المجدد كل مبلغ، ومن لطافته ورشاقته يكاد يُخْرِجُه عن حَدِّ السَّرْقَةِ»^(١). ومن ذلك ما قاله أبو الشيص:

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٍ

حُبًّا بِذِكْرِكَ فَلْيَلْمُنِي اللَّوْمُ

فأخذه المتنبي وعكس ما قاله عكسًا لائقًا قال فيه:

أُجِبُّهُ وَأُجِبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ

إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

قال العلوي «وما هذا حاله فإنه من السرقات الخفية كما أشرنا إليه. وقد قال بعض الحدائق إن ما هذا حاله بأن يُسَمَّى ابتداءً أحق من أن يُسَمَّى سرقة». ومن هذا ما قاله بعض الشعراء في صفة الكرام ومدحهم:

لَوْلَا الْكِرَامُ وَمَا اسْتَنْوَهُ مِنْ كَرَمٍ

لَمْ يَدْرِ قَائِلُ شِعْرِ كَيْفَ يَمْتَدِّحُ

وقد سبقه بهذا المعنى أبو تمام خلا أن أبا تمام جعله في الكرم وهذا جعله في المدح قال أبو تمام في ذلك فأجاد كل الاجادة:

لَوْلَا خِلَالُ سَنِّهَا الشُّعْرُ مَا دَرَى

بُغَاةَ النَّدَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

الْعُنْوَانُ:

عنت الكتاب وأعنته لكذا أي عرضته له وصرفته إليه، وعنَّ الكتاب يُعُنُّه عُنًّا كعنوانه بمعنى واحد مشتق من المعنى. قال اللحياني: عُنَّتِ الْكِتَابَ تَعْنِيًّا وَعْنِيَّتِهِ تَعْنِيًّا إِذَا عُنُونْتَهُ ابْدَلُوا مِنْ إِحْدَى النُّونَاتِ يَاءً وَسُمِّيَ عُنْوَانًا لِأَنَّهُ يَعْنِي الْكِتَابَ مِنْ نَاحِيَّتِهِ وَأَصْلُهُ عُنَّانٌ فَلَمَّا كَثُرَتِ النُّونَاتُ قَلِبَتْ أَحْدَاها وَأَوَّاءُ، وَمِنْ قَالَ عُنْوَانُ الْكِتَابِ جَعَلَ النُّونَ لَامًا؛ لِأَنَّهُ أَخْفُ وَأَظْهَرُ مِنْ

النون، ويقال للرجل الذي يُعَرِّضُ وَلَا يُصْرِّحُ: قَدْ جَعَلَ كَذَا وَكَذَا عُنْوَانًا لِحَاجَتِهِ. قال ابن بري: والعُنْوَانُ: الأثر، وقال الليث: العُلْوَانُ لغة في العُنْوَانِ غير جيدة والعُنْوَانُ - بالضم هي اللغة الفصيحة^(٢).

والعنوان من مُبْتَدَعَاتِ الْمِصْرِيِّ قَالَ: «هُوَ أَنْ يَأْخُذَ الْمُتَكَلِّمُ فِي غَرَضٍ لَهُ مِنْ وَصْفٍ أَوْ فِخْرٍ أَوْ مَدْحٍ أَوْ هِجَاءٍ أَوْ عِتَابٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ يَأْتِي لِقِصْدِ تَكْمِيلِهِ بِالْفَافِ تَكُونُ عُنْوَانًا لِأَخْبَارِ مُتَقَدِّمَةِ وَقِصَصِ سَالِفَةٍ»^(٣). ومنه قول أبي نواس:

يَا هَاشِمُ بْنُ خَدِيحٍ لَيْسَ فَخْرُكُمْ

بِقَتْلِ صِهْرِ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّدِيدِ

أَدْرَجْتُمْ فِي إِهَابِ الْعَيْرِ جِثَّتَهُ

لَيْسَ مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ لَغْدِ

إِنْ تَقْتُلُوا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ فَقَدْ قَتَلْتُمْ

حُجْرًا بِدَارَةِ مَلْحُوبِ بْنِ أَسَدِ

وَيَوْمَ قُلْتُمْ لِعَمْرٍو وَهُوَ يَقْتُلُكُمْ

قَتَلَ الْكَلَابِ لَقَدْ أَبْرَحْتَ بِالْوَلَدِ

وَرَبِّ كِنْدِيَّةٍ قَالَتْ لِحَارِثِهَا

وَالدَّمَعُ يَنْهَلُ مِنْ مِثْنِي وَمَنْ وَحْدِ

أَلْهَى أَمْرًا الْقَيْسَ تَشْبِيْبٌ بِفَانِيَّةٍ

عَنْ ثَارِهِ وَصِفَاتُ النَّوِيِّ وَالْوَتْدِ^(٤)

فقد أتى أبو نواس في هذه الأبيات بعدة عنوانات: منها قصة قتل محمد بن أبي بكر وقتل حجر أبي امرئ القيس، وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجاء قبيلته وملوكهم.

ومثل ذلك قول أبي تمام في استعطافه مالك بن

(١) الطراز ج ٣ ص ١٩٨.

(٢) اللسان (غنن).

(٣) تحرير التحرير ص ٥٥٣، بديع القرآن ص ٢٥٧.

(٤) أبرحت: أهلكت. من مثنى ومن وحد: يريد من عينين اثنتين وعين واحدة. النَّوِيُّ: الحجارة توضع حول الخيمة أو الخباء لتمنع السيل.

طوق على قومه:

رَفْدُوكَ فِي يَوْمِ الْكَلَابِ وَشَقُّوْا
فِيهِ الْمَزَادَ بِجَحْفَلِ كَلَابٍ
وَهُمْ بَعِيْنَ أَبَاغٍ رَاشُوا لِلْعِدَى
سَهْمِيكَ عِنْدَ الْحَارِثِ الْحَرَّابِ
وَلِيَالِي الثَّرَثَارِ وَالْحَشَّاشِ قَدْ
جَلَبُوا الْجِيَادَ لَوَاحِقَ الْأَقْرَابِ
فَمَضَتْ كُهُولُهُمْ وَدَبَّرَ أَمْرَهُمْ
أَخْدَانَهُمْ تَدْبِيرَ غَيْرِ صَوَابِ
وَرَأَوْا بِلَادَ اللَّهِ قَدْ لَفَظَتْهُمْ
أَكْنَافُهَا رَجَعُوا إِلَى جَوَابِ
فَأَتَوْا كَرِيْمَ الْخِيْمِ مِثْلَكَ صَافِحًا

عن ذِكْرِ أَحْقَادٍ وَذِكْرِ ضِيَابٍ^(١)

فقد أتى أبو تمام في هذه الأيام من السيرة النبوية وأيام العرب كيوم الكلاب وأخبار بني جعفر بن كلاب مع ابن عمهم جؤاب.

وفي القرآن الكثير من عنوانات العلوم، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيَضْرِبُهُ عَمَّزٌ يُشَاءُ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(٢) فإن فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب. لا ظليل ولا يُغني عن اللهب﴾^(٣). فهذا عنوان العلم المنسوب إلى اقليدس. لأن المثلث الشكل أول أشكاله وهو أصل الأشكال، وهو شكل إذا نصب في الشمس لا يوجد له ظل لتحديد رؤوس زواياه. وأخذ البلاغيون هذا النوع من المصري كالحلبي والنويري وابن الأثير الحلبي والحموي والسيوطي والمدني^(٤). وهذا الفن قريب من التلميح الذي تقدّم ولكنه أوسع من التلميح وأبعد مدى، وقد تحدث العلوي عن الإشارة إلى القصص والأخبار في فن «التلميح»^(٥).

(١) الخيم: السجية. الضياب: الاحقاد.

(٢) النور ٤٣.

(٣) المرسلات ٣٠ - ٣١.

(٤) حسن التوسل ص ٣٠٢، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٦٦، جوهر الكنز ص ٢٣٧، خزانة الأدب ص ٣٧٣، معترك ج ١ ص ٤٠٧، معاهد التنصيص ج ٤ ص ١٥٦.

(٥) الطراز ج ٣ ص ١٧٠، نفحات ص ١٣٢، شرح الكافية ص ٢٤٧.

الغين

الغَرَابَةُ:

معناها فيحتاج في معرفته الى أن يُنْفَرَّ عنها في كتب اللغة المبسوطة»^(٣). ومن ذلك قول عيسى بن عمر وقد سقط عن حمارة واجتمع عليه الناس: «ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكؤكم على ذي جِنَّة أفرنقعوا عني» أي: اجتمعتم، تنحوا.

أو يخرج لها وجه بعيد كما في قول العجاج: «وفاحمًا ومزسنا مُسَرَّجًا» فإنه لم يُعْرِفَ ما أراد بقوله: «مُسَرَّجًا» حتى اختلف في تخريجه فقيل هو من قولهم للسيوف: «سريجية» منسوبة الى قين يقال له «سريج» يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيوف السريجية»، وقيل: من السراج، يريد أنه في البريق كالسراج، وهذا يقرب من قولهم «سَرَجَ وجهه» أي: حسن، و«سَرَجَ اللُّهُ وجهه» أي: بهجه وحسنه.

وكان ابن سنان قد قال عن فصاحة اللفظة المفردة: «أن تكون الكلمة - كما قال أبو عثمان الجاحظ - غير مُتَوَعَّرَةٍ وحشيّة»^(٤) وذكرَ عبارة عيسى ابن عمر أو أبي علقمة النحوي وبعض الأشعار، كقول أبي تمام:

لقد طَلَعَتْ في وَجْهِ مِضْرَ بوجْهِهِ

بلا طائِرٍ سَعْدٍ ولا طائِرٍ كَهْلٍ

- (١) اللسان (غرب).
- (٢) الفوائد ص ١٧٢.
- (٣) الايضاح ص ٣، التلخيص ص ٢٥، شروح التلخيص ج ١ ص ٨٣، المطول ص ١٨، الأطول ج ١ ص ١٩، الروض المريع ص ٨٤.
- (٤) سر الفصاحة ص ٦٩.

عَرَبٌ: بَعْدَ، والغريب: الغامض من الكلام، وكلمة غريبة وقد عَرَبَتْ^(١). قال ابن قَيِّم الجوزيَّة: «الغرابة: هي أن يكون المعنى مما لم يُسَبَقَ إليه على جهة الاستحسان فيقال: ظريف وغريب إذا كان عديم المثال أو قليله. والقرآن العظيم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قد مزجت القلوب عدوبته وحلت في العيون طلاوته وراق في الاسماع سماعه واستقر في الطباع انطباعه فلهذا لم يسأم على تردادده ولم تملَّه النفوس على دوام إيراده فكل آية منه حسنة المساق وكل كلمة منه عذبة المذاق وكل معنى منه دَقٌّ ورَقٌّ»^(٢). وقال: «ومن هذا النوع في أشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين كثير لا يُحصى، فمن ذلك قول العرب:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جَرَتْ

وأشفى لقلبي أن تهبَّ جنوب

يقولون لو عَزَّيَّتْ قلبك لا زعوى

فقلتُ وهل للعاشقين قلوبُ

والغرابة عند ابن قيم الجوزية غير ما ذهب اليه المتأخرون فهي عنده الندرة والروعة وقد قرنهما بالظرافة والسهولة، أما عند الآخرين فهي مما لا يحسن في فصيح الكلام، وقد اشترطوا لفصاحة المفرد شروطًا هي: خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي والكراهة في السمع. ويريدون بالغرابة «أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر

غَلَبَةُ الْفُرُوعِ عَلَى الْأُصُولِ:

غَلَبَهُ يَغْلِبُهُ غَلْبًا وَغَلْبًا، وَهِيَ أَفْصَحُ (٣).

وَعَلَبَةُ الْفُرُوعِ عَلَى الْأُصُولِ هُوَ التَّشْبِيهُ الْمَعْكُوسُ
أَوْ الْمَقْلُوبُ أَوْ الْمُنْعَكَسُ وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَالَّذِي سَمَّاهُ
كَذَلِكَ ابْنُ جَنِي (٤).

الْغَلَطُ:

الْغَلَطُ: أَنْ تَعَيَا بِالشَّيْءِ فَلَا تَعْرِفُ وَجْهَ الصَّوَابِ
فِيهِ، وَقَدْ غَلِطَ فِي الْأَمْرِ يَغْلِطُ غَلْطًا، وَأَغْلَطَهُ غَيْرُهُ (٥).

قال ابن منقذ: «الغلط هو أن يُغلط في اللفظ وما
يُغلط في المعنى» (٦). مثل قول زهير:

فَيَنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ كُلَّهُمْ

كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تَرْضَعُ فَتَفْطِمُ (٧)

أَرَادَ أَحْمَرَ ثَمُودَ وَهُوَ عَاقِرُ النَّاقَةِ. وَقَدْ احْتَجَّ لَهُ بَعْضُ
الْعُلَمَاءِ فَقَالَ: «أَرَادَ عَادًا الْأُخْرَى لِأَنَّهَا عَادَانُ» كَمَا
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ (٨) فَدَلَّ عَلَى
أَنَّ ثَمُودَ عَادَ الْآخِرَى.

وَكَقُولِ بَعْضِ الْعَرَبِ فِي الْحَمَاسَةِ:

وَبِيضَاءِ مَنْ نَسَجَ ابْنُ دَاوُدَ نَشْرَهُ

تَخَيَّرْتُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ الْمَلَابِسَا

وَإِنَّمَا الدِّرْعُ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ لَا سَلِيمَانَ.

وَكَانَ الْعَسْكَرِيُّ قَدْ تَحَدَّثَ عَنِ الْغَلَطِ فِي

(١) اللسان (غصب).

(٢) العمدة ج ٢ ص ٢٧٥، الرسالة العسجدية
ص ٥٤.

(٣) اللسان (غلب).

(٤) الخصائص ج ١ ص ٣٠٠.

(٥) اللسان (غلط).

(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٤١.

(٧) أشام: مشؤوم. أحمر عاد: المراد به عاقر ناقة
ثمود. يريد أن يقول تلك الحرب تطول عليكم
فلا يسرع في انكشافها.

(٨) النجم ٥٠.

فَأَنَّ «كَهْلًا» هَهُنَا مِنْ غَرِيبِ اللَّغَةِ وَقَدْ رُوي أَنَّ
الْأَصْمَعِي لَمْ يَعْرِفْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَلَيْسَتْ مَوْجُودَةً إِلَّا
فِي شَعْرِ بَعْضِ الْهَذَلِيِّينَ وَهُوَ قَوْلُهُ:

فَلَوْ كَانَ سَلْمَى جَارَهُ أَوْ أَجَارَهُ

رِيَاخُ بْنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طَائِرٌ كَهْلُ

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْكَهْلَ الضَّخْمُ، وَكَهْلٌ لَفْظَةٌ لَيْسَتْ
بِقَبِيحَةٍ التَّأْلِيفِ لَكِنِّهَا وَحَشِيَّةٌ غَرِيبَةٌ.

الْغَضَبُ:

الْغَضَبُ: أَخَذَ الشَّيْءَ ظَلْمًا، غَضَبَ الشَّيْءُ يَغْضِبُهُ
غَضْبًا وَاغْتَضَبَهُ فَهُوَ غَاصِبٌ، غَضَبَهُ عَلَى الشَّيْءِ: قَهَرَهُ
وَغَضَبَهُ مِنْهُ، وَالْإِغْتِصَابُ مِثْلُهُ (١).

الْغَضَبُ أَحَدُ أَنْوَاعِ السَّرْقَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ يَغْتَضِبُ
شَاعِرٌ أَبْيَاتَ شَاعِرٍ آخَرَ أَوْ قَوْلَهُ، وَهُوَ مِثْلُ صَنِيعِ
الْفَرَزْدَقِ بِالشَّمْرَدَلِ الْيَرْبُوعِيِّ وَقَدْ أَنْشَدَ فِي مَحْفَلٍ:

فَمَا بَيِّنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً

وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرِ حَزِّ الْحَلَاقِمِ

قال الفرزدق: «وَاللَّهِ لَتَدْعَتَهُ أَوْ لَتَدْعَنَّ عَرْضُكَ» فَقَالَ:
«خُذْهُ لَا بَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ».

وقال ذو الرُّمَّة بحضرته: «لَقَدْ قَلْتُ أَبْيَاتًا إِنَّ لَهَا
لِعَرُوضًا وَإِنَّ لَهَا لِمَرَادًا وَمَعْنَى بَعِيدًا» قَالَ: «مَا قَلْتُ؟»
فَقَالَ: قَلْتُ:

أَحِينُ أَعَاذَتْ بِنِ تَمِيمٍ نِسَاءَهَا

وَجَرَّدَتْ تَجْرِيدَ الْيَمَانِيِّ مِنَ الْغَمِّدِ

وَمَدَّتْ بِضَبْعِي الرِّبَابَ وَمَالِكِ

وَمَرُوسًا وَسَالَتْ مِنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدِ

وَمَنْ آلِ يَرْبُوعٍ زَهَاءَ كَأْتِهِ

دَجَى اللَّيْلِ مَحْمُودَ النِّكَايَةِ وَالرَّمْدِ

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: «إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا لَا تَعُودَنَّ إِلَيْهَا وَأَنَا أَحَقُّ
بِهَا مِنْكَ». قَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَعُودُ فِيهَا وَلَا أَنْشُدُهَا أَبَدًا إِلَّا
لَكَ» (٢).

وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: «أَحْسَنُ الشعرُ أكذبه» وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم»^(٩).

وقال العسكري: «الغلوّ تَجَاوُزُ حَدِّ المعنى والارتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها»^(١٠).

كقوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ القلوبُ الحناجرَ﴾^(١١) وقوله: ﴿ولا يَدْخُلُونَ الجنةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياطِ﴾^(١٢)، وقول الجعدي:

بَلَعْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَسَنَاؤُنَا
وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

وقول البحترى:

فلو أَنَّ مُشْتاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ ما

في وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المِثْبَرُ

وَعَدَّ الباقِلاني من البديع «الغلوّ والإفراط»^(١٣)، وتحدّث ابن رَشيق في المُبالغة عن هذا النوع، وقال: «فأما الغلوّ الذي يُنكره من يُنكر المُبالغة من سائر أنواعها ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه، ولو بطلت المُبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة الى كثير من محاسن الكلام»^(١٤). وعقد للمُبالغة بابًا

(١) كتاب الصناعتين ص ٦٩ وما بعدها.

(٢) الوساطة ص ١٠ وما بعدها.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٢٤٥ وما بعدها.

(٤) اللسان (غلا).

(٥) المذكية من الخيل: التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان.

(٦) العمدة ج ٢ ص ٦٥.

(٧) عيار الشعر ص ٨٩.

(٨) العتدات: القوائم. متونها: ضلوعها.

(٩) نقد الشعر ص ٦٥، وينظر شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ١١.

(١٠) كتاب الصناعتين ص ٣٥٧.

(١١) الأحزاب ١٠.

(١٢) الأعراف ٤٠.

(١٣) إعجاز القرآن ص ١١٧.

(١٤) العمدة ج ٢ ص ٥٥.

المعاني^(١) وذكر أمثلة كثيرة مما وَقَعَ فيه الشعراء، وتحدّث القاضي الجرجاني عن أغاليط الشعراء وذكر بيت زهير وغيره^(٢). وعقد ابن رَشيق بابًا في أغاليط الشعراء والرواة^(٣) وذكر مأخذ الأصمعي على زهير والشماخ ومآخذ الآمدي على البحترى وغير ذلك.

الغُلُوّ:

غلا في الدين والأمر يغلو غُلُوًّا، جاوز حدّه وأفراط، وفي الحديث: «اياك والغلوّ في الدين» أي التشدّد فيه ومُجاوزة الحد. والغلو: الإعداء، وغلا بالسهم يغلو غُلُوًّا وغلُوًّا وغالى به غلاءً رفع يده يريد به أقصى الغاية وهو التّجاوُز. وغلا السهم نفسه: ارتفع في ذهابه وجاوز المدى. والغلوّة قدر رمية بسهم وقد تستعمل الغلوّة في سباق الخيل، والغلوّة: الغاية مقدار رمية^(٤) قال ابن رَشيق: «واشتقاق الغلوّ من المغلاة، ومن غلوّة السهم وهي مدى رميته. يقال: «غاليت فلانًا مغلاةً وغلاءً» إذا اختبرت ما أيكما أبعد غلوّة سهم، ومنه قول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «جَزِيّ المذكيات غلاءً»^(٥) وقد جاء في حديث داخس «غلاء» و«غلاب» بالباء أيضًا. وإذا قلت: «غلا السعر غلاءً» فإنّما تريد أنّه ارتفع وزاد على ما كان، وكذلك غلت القدر غليًا أو غليانًا، إنّما هو أنّ يجيش ماؤها ويرتفع»^(٦).

والغلوّ أحد أنواع المُبالغة وقد سمّاه ابن طباطبا «التشبيهات البعيدة التي لم يلفظ أصحابها فيها ولم يخرج كلامهم في العبارة عنها سلسًا عذبًا»^(٧) كقول خُفاف بن نُدبة:

أبقى لها التعداد من عتداتها

ومتونها كخيوط الكتان^(٨)

وكان قُدامة من أوائل الذين أشاروا الى هذا الفن ومُصطلحه وقال: «إنّ الغلوّ عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديمًا،

كـ«قد» للإحتمال و«لو» و«لولا» للامتناع و«كاد» للمقاربة واداة التشبيه وآلة التشكيك وأشباه ذلك من القرائن اللفظية»^(٩)

وَفَرَّقَ ابن الأثير الحلبي بين الإغراق والغلو والمبالغة فقال: الإغراق والغلو والمبالغة هي ثلاث تسميات مُتقاربة وردت في باب واحد لقرب بعضها من بعض وسنذكر التمييز بين كل نوع منها. فاما الإغراق فهو الزيادة في المبالغة حتى يُخرجها عن حدّها... وأما الغلو فهو الزيادة في الخروج عن الحدّ... وأما المبالغة فهي مُشتقة من «بلغ المنزل وادياً»: جاءه. وَحَدُّهَا بلوغ القصد من غير تَجَاوُز الحدّ»^(١٠).

والغلو عند ابن مالك ضربان^(١١). مقبول ومردود، فالمقبول أن لا يتضمّن دعوى كون الوصف على مقدار غير ممكن الوصف بما هو خارج عن طباق الموصوف. وهو قسمان: أولاهما بالقبول ما اقترن به ما يقربه من الحق كقول الشاعر يصف فرساً:

ويكادُ يَخْرُجُ سرعةً عن ظِلِّهِ

لو كان يَزْعَبُ في فِرَاقِ رَفِيقِ

والقسم الآخر ما كان غير مقترن، كقول الشاعر:

(١) العمدة ج ٢ ص ٦٠.

(٢) المائدة ٧٧.

(٣) الوافي ص ٢٦٨، قانون البلاغة ص ٤٤٢، الرسالة

العسجدية ص ١٥٤.

(٤) البقرة ٢٠.

(٥) النور ٤٠.

(٦) النور ٣٥.

(٧) حسن التوسل ص ٢٧٦، نهاية الارب ج ٧

ص ١٤٩، الروض المربع ص ١٠٣.

(٨) المائدة ٧٧.

(٩) تحرير التحرير ص ٣٢٣.

(١٠) جوهر الكنز ص ١٣٥.

(١١) المصباح ص ١٠٣.

وقال: «ومن أسمائه أيضًا الإغراق والإفراط ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو ولا أرى ذلك إلا محالاً لمخالفته الحقيقة وخروجه عن الواجب والمُتعارَف»^(١)، ثم قال: «وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى ونحن نجده قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق فقال جلّ من قائل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾»^(٢).

ومنهم من يرى^(٣) أن أحسن الغلو ما نطق فيه بـ«كاد» و«كأن» و«لولا» كقول زهير:

لو كان يَقْعُدُ فوق الشمسِ من شَرْفِ

قَوْمٍ بأحسابهم أو مَجْدِهِم قَعَدُوا

وقول أبي صخر الهذلي:

تكاد يَدِي تَنْدَى إذا ما لمستها

وَيَنْبُتُ في أطرافها الوَرْقُ الخُضْرُ

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرَقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾^(٤) وقوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا﴾^(٥)، وقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(٦).

وَفَرَّقَ المصري بين الغلو والإغراق لأنّ منهم «من يجعله هو والإغراق شيئاً واحداً»^(٧) وقال: «وقد رأيت من لا يُفَرِّقُ بين الغلو والإغراق ويجعل التسميتين لباب واحد وهي عندي أنّ معنى البابين مختلف كاختلاف اسميهما إلا أنّ الإغراق أصله في النزاع وأصل في النزاع وأصل الغلو بعد الرمية وذلك أنّ الرامي ينصب غرضاً يقصد إصابته فيجعل بينه وبينه مدى يمكن معه تحقيق ذلك الغرض فاذا لم يقصد غرضاً معيناً ورمى السهم إلى غاية ما ينتهي إليه بحيث لا يجد مانعاً يمنعه من استيفاء السهم قوته في البعد سميت هذه الرمية غلوة فالغلو مشتق منها. ولما كان الخروج عن الحق الى الباطل يشبه خروج هذه الرمية عن حدّ الغرض المعتاد الى غير حدّ سُمِّي غلُوا. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾»^(٨) وهو لا يُعَدُّ من المحاسن إلا اذا اقترن به ما يقرب به من الحق

أليس عَجِيبًا بَأَنَّ امْرَأً

شديدَ الجِدالِ دَقِيقَ الكَلِمِ

يَموتُ وما عَلِمَتْ نَفْسُهُ

سوى عَلِمَهُ أَنَّهُ ما عَلِمَ

وأما الغلوّ المردود فأَنْ يَتَضَمَّنَ دعوى كَوْنِ الوصفِ غيرَ ممكنِ الوصفِ بما هو خارجٌ عن طَباعِ الموصوفِ، كقولِ أبي نَواسٍ:

وَأَخَفَّتْ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى أَنَّهُ

لِتَخَافُكَ التُّطْفُ التِّي لَمْ تُخَلِّقِ

وتحدّث القزويني عن الغلوّ في المُبالِغة التي هي أحدُ أبوابِ المُحسِّناتِ المعنويةِ وقال «وتحصّر في التبليغِ والإغراقِ والغلوّ، لأنّ المدعى للوصفِ من الشدّةِ أو الضعفِ إما أن يكونَ ممكنًا في نفسه أو لا، الثاني الغلوّ، والأوّلُ إمّا أن يكونَ ممكنًا في العادةِ أيضًا أو لا، الأوّلُ: التبليغِ والثاني الإغراقُ»^(١)، والمقبول من الغلوّ أصناف: أحدها: ما أدخل عليه ما يُقَرِّبه إلى الصّحةِ نحو لفظِة «يكاد» في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(٢) وقول الشاعر يصف فرسًا: ويكاد يخرج سرعةً...».

الثاني: ما تَضَمَّنَ نوعًا حَسَنًا من التَّخْيِيلِ كقول المتنبي:

عَقَدَتْ سَنابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا

لَوْ تَبَتَّغِي عَنقًا عَلَيْهِ لِأَمْكِنَا^(٣)

والثالث: ما أُخْرِجَ مَخْرَجَ الهَزْلِ والخِلاعةِ كقول

بعضهم:

أسكر بالأمس إن عزمت على الشد

رب غدا إن ذا من العجب

وتبع القزويني في هذا المعنى شُراخ التلخيص^(٤)، وَعَدَّ العلوي الغلوّ الضَّرْبَ الثالث من المُبالِغة وقال: «ما كان ممتنعًا وقوعه وهو الغلوّ ويكاد المفلقون في الشعر يستعملونه في مَدْحِهِم وهَجْوِهِم»^(٥).

وسار المدني على خطا المُتأخِّرين وقال: «الغلوّ هو أن تدعي لشيء وصفًا بالغًا حد الاستحالة عقلا وعادة، فتبين بهذا أن المُبالِغة دون الإغراق والإغراق دون الغلوّ لما مرَّ من أن المدعى في المُبالِغة ممكن عقلاً وعادة وفي الإغراق ممكن عقلا لاعادة، وفي الغلوّ مستحيل عقلا وعادة. والغلوّ إن أفضى إلى الكفر كان قبيحًا مردودًا وإلا كان مقبولًا، والمقبول يتفاوت في الحسن وأحسنه ما دخل عليه ما يُقَرِّبه إلى الصّحة كـ«كاد» و«لو» و«لولا» وحرف التشبيه^(٦).

(١) الايضاح ص ٣٦٥، التلخيص ص ٣٧٠.

(٢) النور ٣٥.

(٣) سنايكها: أطرافها، حوافرها واحدة سنبك. عثيرًا: غبارًا. عنقًا: سيرًا سريعًا.

(٤) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٦١، المطول ص ٤٣٤، الأطول ج ٢ ص ٢٠٨، شرح عقود الجمان ص ١٢٢، حلية اللب ص ١٢٢، وينظر المنصف ص ٧٨، كفاية الطالب ص ٢٠٠.

(٥) الطراز ج ٣ ص ١٢٩، وينظر المنزع البديع ص ٢٨٣، نفحات ص ٢٠١، كفاية الطالب ص ٢٠٠، شرح الكافية ص ١٥٣.

(٦) أنوار الربيع ج ٤ ص ٢٢٩.

الفاء

فائدة الخبر:

وكانَّ سَعْدِي إِذْ تُودَّعُنَا
وقد اشْرَابَ الدَّمْعُ أَنْ يَكِيفَا
فلفظة «اشْرَاب» من الفرائد ولا يقع مثلها في الدور...
وكقوله:

حتى إذا ما غلا ماء الشبَابِ لها
وأفعمت في تمامِ الجسمِ والعَصَبِ
فاستعارة الغليان لماء الشباب من الفرائد البديعة.
وكقول أبي تمام:

وقَدَّمَا كُنْتَ مَعْسُولَ الْأَمَانِي
ومأدومَ القوافي بالسدادِ

فلفظة «مأدوم» من الفرائد.
وتبعَ المصري المتأخرون في هذا النوع^(٧). وقد
سبق أن تحدّث البلاغيون كابن سنان وابن الأثير عن

- (١) اللسان (فيد).
- (٢) مفتاح العلوم ص ٨٢، الايضاح ص ١٧،
التلخيص ص ٤١، شروح التلخيص ج ١
ص ١٩٨، المطول ص ٤٤، الاطول ج ١
ص ٥٤، شرح عقود الجمان ص ١٠.
- (٣) اللسان (فرد).
- (٤) تحرير التحبير ص ٥٧٦، بديع القرآن ص ٢٨٧.
- (٥) يوسف ٥١.
- (٦) يوسف ٨٠.
- (٧) خزانة الأدب ص ٣٧٢، معترك ج ١ ص ٤٠٧،
الاتقان ج ٢ ص ٩٣، شرح عقود الجمان
ص ١٥٠، أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٦٧، نفحات
ص ٢٦٩، شرح الكافية ص ٢٤٥.

الفائدة: ما أفاد الله تعالى العبد من خير يستفيده
ويستحدثه، والفائدة: ما استفدت من علم أو مال،
أفدت المال أي اعطيته غيري وأفدته: استفدته.^(١)

فائدة الخبر هو الغرض الأساسي من إلقاء أسلوب
الخبر، وذلك أن قصد المُخْبِرِ بخبره إفادة المُخاطَبِ
نفس الحُكْمِ. مثل: «زيد قائم» لمن لا يعلم أنه قائم.
وهذا هو الأصل في الخبر إلا إذا أُريد به لازم الفائدة أو
خرج الى غرض مجازي^(٢).

الفرائد:

الفرد: الذي لا نظير له، والجمع أفراد، والفريد
والفرائد: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب
واحدته فريدة، والفريد: الدرُّ إذا نظم وفصل بغيره،
وقيل: الفريد: الجوهرة النفسية كأنها مُفردة في
نوعها، وفرائد الدر: كبارها.^(٣)

الفرائد من مُبتدعات المصري، وهذا النوع
مُختصّ بالفصاحة دون البلاغة لأنَّ «مفهومه إتيان
المُتكلِّم بلفظة تنزل من كلامه منزلة الفريدة من
حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته
وشدة عربيته حتى أن هذه اللفظة لو سقطت من
الكلام لعزَّ على الفصحاء غرامتها»^(٤) كقوله تعالى:
﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾^(٥) وقوله: ﴿فَلَمَّا اسْتِأْشَرُوا
مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^(٦).

ومنه قول أبي نواس:

الجيم دون تعريقها ودون الحَطّ الأسفل»^(٤).

الفساد:

الفساد: نقيض الصلاح، فسَدَ يَفْسُدُ وَفَسَدَ فسادًا^(٥).

عقد ابن منقذ بابًا للفساد وقال: «اعلم أنَّ الفساد هو فساد المُجاوِرة والتشبيه أو غير ذلك يقصد الشاعر»^(٦) مثل قول امرئ القيس:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّةِ

وَلَمْ اتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ حَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَأْ الزِّقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلُ

لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ^(٧)

وَحَقُّهُ أَنْ يَقُولَ:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ

لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

وَلَمْ أَسْبَأْ الزِّقَّ الرُّوِّيَّ لِلذِّةِ

وَلَمْ اتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ حَلْخَالِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي:

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ

كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً

وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَعْرُكٌ بِاسِمٍ^(٨)

(١) شرح عقود الجمان ص ١٥٠.

(٢) أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٦٧.

(٣) اللسان (فرط).

(٤) أسرار البلاغة ص ١٦٣.

(٥) اللسان (فسد).

(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٤٧.

(٧) اتبطن: اتخذها بطانة لي. سبأ الخمر: يسبؤها:

اشتراها. الزق: وعاء الخمر. الروي المملوء.

الكر: الرجوع على الاعداء. الإجفال: الانهزام.

(٨) كلمى: جرحى. هزيمة: مهزومة. الواضح:

الواضح، الجميل.

الكلمة وتأثيرها وقيمتها ولكنهم لم يُسمّوا ذلك «الفرائد» وإنما أدخلوه في بحث فصاحة الكلمة المفردة، ولذلك قال الشيوطي إنَّ هذا النوع مُختصّ بالفصاحة دون البلاغة^(١). وذكر المدني مثل ذلك وقال: «هذا النوع يختصّ بالفصاحة دون البلاغة لأنّه عبارة عن الإتيان بلفظة فصيحة تنزل منزلة الفريدة من القصيدة وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدلّ على عظم فصاحة المُتكلّم وقوة عارضته وجزالة عربيته بحيث لو أسقطت من الكلام عُري من الفصاحة»^(٢).

فَرْطُ الاستقصاء:

الفَرْطُ: كل شيء جاوز قدره، وأفرط عليه: حمّله فوق ما يطيق^(٣). فرط الاستقصاء هو الدقة والإفراط في التشبيه أو الصورة، وقد تحدّث عبد القاهر عن فرط الاستقصاء في التشبيه وفضل العناية بتأكيد ما بُدئ به، ومثّل له بقول أبي نواس في صفة البازي:

كَأَنَّ عَيْنِيهِ إِذَا مَا أَثَارَا

فَصَانِ قِيضًا مِنْ عَقِيْقِ أَحْمَرَا

فِي هَامِيَةِ غَلْبَاءِ تَهْدِي مَنْسَرَا

كَعَطْفَةِ الْجِيْمِ بِكَفِّ أَعْسَرَا

قال عبد القاهر: «أراد أن يُشَبَّه المنقار بالجيّم، والجيّم خطان الأوّل الذي هو مبدؤه وهو الأعلى والثاني وهو الذي يذهب الى اليسار، واذا لم توصل فلها تعريق كما لا يخفى، والمنقار إنّما يُشَبَّه الحَطّ الأعلى فقط، فلمّا كان كذلك كان «كعطفة الجيّم» ولم يقل كالجيّم ثم دقق بأن جعلها بكفّ أعسر لأنّ جيّم الأعسر قالوا أشبه بالمنقار من جيّم الأيمن، ثم إنّه أراد أن يؤكّد أنّ الشبه مقصور على الحَطّ الأعلى من شكل الجيّم فقال:

يقول من فيها بعقل فكّرا

لو زادها عينا الى فاءٍ ورا

فاتصلت بالجيّم صارت جعفرًا

فأراك عيانا أنّه عمد في التشبيه الى الحَطّ الأوّل من

وحقّه أن يقول:

وقفت وما في الموت شكّ لواقفٍ
ووجهك وضّاح وثغرك باسِمُ
تمرُّ بك الأبطال كلّمي هزيمةً
كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ
ومن ذلك قول بعض العرب:

فإنك إن تهجو تميمًا وترتشي
سراييلَ قيسٍ أو سحوقَ العمائم^(١)
كمهريقٍ ماءٍ في الفلاةِ وغرّة
سرابٍ أذاعته رياحُ السمائمِ
وقول الآخر:

فاني وتركي ندى الأكرمين
وقدحي بكفي زندًا شحاحا
كتاركةٍ بيضها بالعراءِ
وملبسةٍ بيضٍ أخرى جناحا
وحقه أن يكون:

واني وتركي ندى الأكرمين
وقدحي بكفي زندًا شحاحا
كمهريقٍ ماءٍ بالعلّةِ وغرّة
سرابٍ أذاعته رياحُ السمائمِ

و:

وإنك إذ تهجو تميمًا وترتشي
سراييلَ قيسٍ أو سحوقَ العمائمِ
كتاركةٍ بيضها بالعراءِ
وملبسةٍ بيضٍ أخرى جناحا

وكان ابن طباطبا قد تحدّث عن مثل ذلك في باب
تأليف الشعر وما يقع من مُشاكلة بين بيت وبيت أو
مصراع ومصراع^(٢).

وتحدّث ابن منقذ في هذا الباب عن فساد التفسير
وفساد التجنيس وفساد القسمة وفساد المُقابلة وفساد
المُجاورة وفساد التشبيه. فمن فساد التفسير قول

بعضهم:

فيا أيّها الحيرانُ في ظلّمة الدّجى
ومن خاف أن يلقاه بغي من الأذى
تعال إليه تلتق من نور وجهه
دليلاً ومن كفيه بحرًا من الندى
ومن فساد التجنيس قول ابي تمام:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت
فيه الطنون أمذهبت أم مذهب
ومن فساد القسمة أو التقسيم قول جرير:
صارت حنيفةً أثلاثًا فثلثهم
من العبيد وثلث من مواليتها

ومن فساد المُقابلة قول الأخطل:
إذا التقت الأبطال أبصرت لونه
مُضيئًا وألوان الكُماة خضوع
ومن فساد المُجاورة قول أبي الشيص:
وللهوى جرسٌ ينفي الرقاد به
فكلّما زومت نومة حرك الجرسا
ومن فساد التشبيه قول جميل:

لو كان في قلبي كقدر قلامة
حُبًا وصلّتك أو أتتك رسائلي

فساد التفسير:

التفسير هو أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به
مجملاً، وصحة التفسير هو أن يضع معاني يريد أن
يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فاذا ذكرها أتى بها
غير أن يخالف معنى ما أتى به منها ولا يزيد أو ينقص.
وفساد التفسير خلاف ذلك^(٣) وقد تقدّم في التفسير.

(١) السحوق: البالي.

(٢) عيار الشعر ص ١٢٤.

(٣) نقد الشعر ص ٢٣٠، الموشح ص ٣٦٧، قانون
البلاغة ص ٤١٥.

ومثاله قول بعضهم:

فيا أيُّها الحيرانُ في ظلمِ الدُّجى
ومَنْ خافَ أنْ يلقاهُ بَغْيِي من العدى
تعالَ اليه تَلَقَ من نورِ وجهه
ضياءً ومن كفيه بَحْرًا من الندى

فَسَادُ التَّقْسِيمِ:

فساد التقسيم من عيوب المعاني وذلك يكون بتكرار المعنى أو أن يُؤتى منها ما يكون بعضه داخلاً تحت بعض أو بأن يخل بما يقتضي المتكلم فيه استيفاءه^(١) وقد تقدّم في التقسيم. ومثاله قول جرير:

صارت حنيفةً أثلاثاً فثلثهم

من العبيد وثُلثُ من موالها

وَعَدَّ بعضهم هذا من الاكتفاء، لأنّ الباقي مفهوم وهو أن ثلثهم صرحاء^(٢)، وهذا من البلاغة.

فَسَادُ الْمُقَابَلَاتِ:

فساد المقابلات من عيوب المعاني، قال قدامة: «هو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر إما على جهة الموافقة أو المخالفة فيكون أحد المعنيين لا يُخالف الآخر ولا يُوافقه»^(٣). مثاله قول أبي عدي القرشي:

يا ابن خيرٍ الأخيـار من عبـدِ شمسٍ

أنت زَيْنُ الدنيا وَعَيْثُ الجنودِ

فليس قوله: «وعيث الجنود» موافقاً لقوله «زين الدنيا» ولا مضاداً، وذلك عيب، ومنه قوله أيضاً:

رُحماءٌ بذى الصلاحِ وضراً

بُونُ قُدماً لهامةِ الصنديدِ

فليس للصنديد فيما تقدّم ضد ولا مثل، ولعله لو كان مكان قوله: «الصنديد»: «الشرير» كان ذلك جيداً لقوله «ذي الصلاح».

الفصاحة:

أَفْصَحَ اللَّبْنُ: ذَهَبَ اللَّبُّ عَنْهُ، فَصَحَ اللَّبْنُ: إِذَا أَخَذْتَ عَنْهُ الرِّغْوَةَ، أَفْصَحَ الصَّبْحُ: بَدَأَ ضَوْؤُهُ وَاسْتَبَانَ وَكُلُّ مَا وَضَحَ فَقَدْ أَفْصَحَ. الفصاحة: البيان، يقال: فَصَحَ الرَّجُلُ فَصَاحَةً فَهُوَ فَصِيحٌ، وَكَلَامٌ فَصِيحٌ: بَلِيغٌ، وَلِسَانٌ فَصِيحٌ: طَلِقٌ. وَفُصِّحَ الْأَعْجَمِيُّ فَصَاحَةً: تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَفَهُمَ عَنْهُ وَقِيلَ: جَادَتْ لُغَتُهُ حَتَّى لَا يَلْحَنُ^(٤).

وقد وردت الفصاحة وما يتصل بها في القرآن الكريم فقال سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه موسى - عليه السلام -: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾^(٥) وجاءت في قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أنا أفصح العرب بيّد أتي من قريش».

ولفظه الفصاحة في كتاب الله وحديث الرسول العظيم لا تخرج عن معناها اللغوي وهو الظهور والبيان، وحينما دخلت هذه اللفظة في الدراسات البلاغية والنقدية ارتبطت بلفظة البلاغة، وأصبح البلاغيون لا يُفَرِّقُونَ بينهما في المرحلة الأولى من التأليف، فالجاحظ لم يضع حدّاً واضحاً بينهما وإنما أجراهما بمعنى واحد في مواضيع كثيرة من كتابه «البيان والتبيين» فقال في تعريف البلاغة: «قال بعضهم - وهو أحسن ما اجتبيناه ودوّناه - لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه. فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك»^(٦). وفي هذا التعريف التقاء

(١) نقد الشعر ص ٢٢٦، الموشح ص ١٢٤، قانون البلاغة ص ٤١٤.

(٢) المنزع البديع ص ١٩٣.

(٣) نقد الشعر ص ٢٢٩، الموشح ص ١٢٦، قانون البلاغة ص ٤١٥، منهاج البلغاء ص ١٣٧.

(٤) اللسان (فصح).

(٥) القصص ٣٤.

(٦) البيان ج ١ ص ١١٥.

من تمام البيان. والدليل على ذلك أن الألتغ والتمتام لا يُسميان فصيحين لنقصان ألهمتا على إقامة الحروف. وقيل زياد الأعجم لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف، وكان يعبر عن الجمار بالهمار، فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه»^(٥)

وأوضح المسألة بقوله: «ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى أن الببعاء يسمى فصيحًا ولا يسمى بليغًا، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه. وقد يجوز مع هذا أن يُسمى الكلام الواحد فصيحًا بليغًا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره مخج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف»^(٦). وعقد فصلًا في تمييز الكلام تحدث فيه عن صفات الألفاظ الحسنة وانتهى إلى أن الكلام إذا جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرونق والطلاوة وسلم من الحيف في التأليف وبعد عن سماجة التركيب وورد على الفهم الثاقب - قبله ولم يردده وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجّه، والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ»^(٧).

وعقد ابن سنان في كتاب «سر الفصاحة» فصولًا ضافية تحدث فيها عن صفات الحروف ومخارجها وفصاحة اللفظة المفردة والألفاظ المؤلفة. والفصاحة عنده «الظهور والبيان»^(٨) والفرق بينها وبين البلاغة «أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا

الفصاحة بالبلاغة والاشارة إلى أنهما شيء واحد. وقد تحدث عن الحروف وسلامتها وتآلفها وتكلم على تنافرها وغرابتها ووحشيتها، وهذا ما أدخله المتأخرون في شروط فصاحة الكلمة المفردة وفصاحة الكلام المركب.

وتحدث ابن قتيبة عن الألفاظ عند كلامه على الشعر وتقسيمه إلى أربعة أقسام: ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه^(١). ولم يُحدّد شروط اللفظ الفصيح أو البديع. وفعل مثل ذلك المُبرّد وثعلب وابن المعتز^(٢)، وذكر قدامة نعت اللفظ الحسن، وهو ما كان سمحًا، وسهل مخارج الحروف عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة. وحدّد عيوب اللفظ وهي أن يكون ملحونًا وجاريا على غير سبيل الإعراب واللغة، وأن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا في الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذًا وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - زهيرًا بمجانبته له وتنكبه إياه فقال: «لا يتبع حوشي الكلام»^(٣)

وذكر ابن وهب بعض ما يتصل باللفظ^(٤)، وكان العسكري من أوائل الذين وقفوا طويلا عند الفصاحة وفرّق بينها وبين البلاغة. وقد ذكر رأيين في الفصاحة، الأول أن الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما لأن كل واحدة منهما هي الابانة عن المعنى والاظهار له. الثاني: أنهما مختلفتان وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى. قال: «وقال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحًا إذ كانت الفصاحة تتضمن الآلة ولا يجوز على الله تعالى - الوصف بالآلة ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن

(١) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) الكامل ج ١ ص ٤٣، قواعد الشعر ص ٥٩.

(٣) نقد الشعر ص ٢٦.

(٤) البرهان في وجوه البيان ص ١٧٧، ٢٥٢.

(٥) كتاب الصناعتين ص ٧ - ٨.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٨.

(٧) كتاب الصناعتين ص ٥٧.

(٨) سر الفصاحة ص ٥٩.

الرابع: أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية، ومثل الكلمة العامية «تَفَرَّعَنَ» في قول أبي تمام:

جَلَيْتَ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حُرٌّ صَفْحَتِهِ
وقد تَفَرَّعَنَ فِي أَعْمَالِهِ الْأَجَلُ

الخامس: أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة ويردّه علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة.

السادس: أن لا تكون الكلمة قد عُبِّرَ بها عن أمر آخر يُكره ذكره فاذا وَرَدَتْ وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وإن كملت فيها الصفات كقول الشريف الرضي:

أَعَزَّرَ عَلِيٌّ بَأْنَ أَرَاكَ وَقَدْ خَلَّتْ
من جانبك مقاعدُ العُوَادِ

فايراد «مقاعد» في هذا البيت صحيح إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشأن لا سيما وقد أضافه الى من يحتمل إضافته اليهم وهم «العُوَاد» ولو انفرد لكان الأمر فيه سهلاً فاما اضافته الى ما ذكره ففيه قبح لا خفاء به.

السابع: أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف فانها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة، ومن هذا النوع قول أبي تمام:

فلاذربيجانَ احتيالٌ بعدما
كانت مُعَرَّسَ عِبْرَةٍ وَنَكَالِ
سَمُجَّتْ وَنَبَّهْنَا عَلَى اسْتِسْمَاجِهَا
ما حولها من نُضْرَةٍ وَجَمَالِ
فكلمتا «اذربيجان» و«استسماجها» رديتان لكثرة حروفهما.

الثامن: أن تكون الكلمة مُصَغَّرَةً في موضع عُبِّرَ بها (١) سر الفصاحة ص ٦٠.

تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني. ولا يقال في كلمة واحدة لا تُدَلَّ على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً^(١). ولكي تكون اللفظة الواحدة فصيحة ينبغي ان تتوفر فيها ثمانية اشياء:

الأول: أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج، ومثال التأليف من الحروف المتباعدة كثير وجُلُّ كلام العرب عليه، أما تأليف الحروف المتقاربة فمثل: «الهُعُجُح».

الثاني: أن يكون لتأليف اللفظة في السمع حسن ومزية على غيرها وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة كما نجد لبعض النغم والالوان حُسناً يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه. ومثاله في الحروف «ع ذ ب» فان السامع لقولهم: «العُذِيب» - اسم موضع - و«عذِيب» - اسم امرأة - و«عَذَب» و«عذاب» و«عَذَب» و«عَذَبَات» ما لا يجده فيما يقارب هذه الالفاظ في التأليف. وليس سبب ذلك بُعْدَ الحروف في المخارج فقط ولكنه تأليف مخصوص مع البعد ولو قدّمت الذال او الباء لم تجد الحسن على الصفة الاولى في تقديم العين على الذال لِضَرْبِ من التأليف في النغم يفسده التقديم والتأخير.

الثالث: أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية كقول أبي تمام:

لقد طَلَعَتْ فِي وَجْهِهِ مِضْرَ بُوْجْهِهِ
بلا طَائِرٍ سَعْدٍ وَلَا طَائِرٍ كَهْلٍ
فان «كهلاً» ههنا من غريب اللغة، وقد روي أن الأصمعي لم يَعْرِفَ هذه الكلمة وليست موجودة إلا في شعر بعض الهذليين وهو قوله:

فلو أن سَلَمَى جَارَهُ أَوْ أَجَارَهُ
رِيَاْحُ بِنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طَائِرٌ كَهْلُ

وقد قيل: إنَّ الكَهْلَ الضخَم، و«كَهْل» لفظة ليست بقبيحة التأليف لكنّها وحشية غريبة.

أخطأت فيه العامة، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة، سليمة من التنافر، والمراد بتعقيد الكلام أن يعثر صاحبه الفكر في متصرفه ويشيك الطريق الى المعنى^(٥).

واختصر ابن مالك القسم الثالث من «مفتاح العلوم» وتكلم على الفصاحة وأطلق عليها اسم البديع وقال: «هو معرفة توابع الفصاحة» وقال إن الفصاحة «صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الافهام لمعناه وتبين المراد منه»^(٦)، وقسمها الى معنوية ولفظية وذكر ما في «مفتاح العلوم» من صفات المعنوية واللفظية، ثم قسم المعنوية الى مختصة بالافهام والتبيين والى مختصة بالتزيين والتحسين.

وتحدث القزويني عن فصاحة اللفظة المفردة وفصاحة الكلام وقال إن الفصاحة تقع صفة للمفرد فيقال: «كلمة فصيحة» ولا يقال «كلمة بليغة» ووضع لللفظة المفردة شروطاً هي: خلوصها من تنافر الحروف، والغرابية، ومخالفة القياس اللغوي. وتحدث عن فصاحة الكلام وهي: خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها^(٧).

ولم يخرج شراح التلخيص عما وضع القزويني من شروط لللفظة الفصيحة والكلام الفصيح^(٨)، وهي

- (١) دلائل الاعجاز ص ٣٥.
- (٢) دلائل الاعجاز ص ٣٠٧ - ٣٠٨.
- (٣) نهاية الایجاز ص ٩.
- (٤) المثل السائر ج ١ ص ٦٤، وما بعدها، الجامع الكبير ص ٧٦ وما بعدها.
- (٥) مفتاح العلوم ص ١٩٦.
- (٦) المصباح ص ٧٥.
- (٧) الايضاح ص ٢، التلخيص ص ٢٤.
- (٨) شروح التلخيص ج ١ ص ٧٠، المطول ص ١٥، الأطول ج ١ ص ١٥، وينظر الروض المربع ص ٨٧ - ٨٨، ١٧٣ - ١٧٤، التبيان في البيان ص ٣٩٥.

فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك فإنها تحسن به كقول ابن أبي ربيعة:

وغياب قُمَيْرٍ كُنْتُ أَرْجُو طُلُوعَهُ

وَرَوْحَ رَغِيَانٍ وَنَوْمَ سُمَّرِ

وهذا تصغير مختار في موضعه.

ومُعْظَمُ هذه الشروط تدخل في فصاحة الألفاظ المؤلفة والإخلال بها قد يؤدي الى زيادة القبح والتنافر في الكلام؛ لأنه حين تكون الألفاظ مُجْتَمِعة تحتاج الى دقة في التركيب واختيار اللطيف منها.

وكانت الفصاحة والبراعة والبلاغة والبيان ألفاظاً مترادفة عند عبد القاهر لأنها يُعَبَّرُ بها عن «فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم»^(٩).

والفصاحة عنده تكون في المعنى، وليس للكلمة المفردة كبير أهمية، وكثيراً ما تُستعمل اللفظة في موضع فتكون حلوة الجرس عذبة وتستعمل في موضع آخر فتفقد تلك المزية، وإتّما كان ذلك «لأنّ المزية التي من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح مزية تحدث بعد أن لا تكون وتظهر في العلم من بعد أن يدخلها النظم. وهذا شيء إن أنت طلبته فيها وقد جئت بها أفراداً لم تَرْمُ فيها نظماً ولم تحدث لها تأليفاً طلبت محالاً، وإذا كان كذلك وجب أن تعلم قطعاً أن تلك المزية في المعنى دون اللفظ»^(١٠).

وعرّف الرازي الفصاحة بأنها «خلوص الكلام من التعقيد»^(١١) وأطنب ابن الاثير في الكلام على الفصاحة وناقش ابن سنان^(١٢)، وعندما قَسَمَ السكاكي البلاغة لم يَعتقدُ مستقلاً للفصاحة وإتّما تكلم عليها بعد أن انتهى من علم البيان، وقال إنها قسمان: قسم راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد، وقسم راجع الى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصيلة، وعلامة ذلك أن تكون كثيرة الدوران على ألسنة الموثوق بعريبتهم واستعمالها أكثر، لا مما أحدثه المولّدون أو

فانفصل وفصلت الشيء فانفصل: أي قطعتة فانقطع.
والوَصْلُ خلاف الفصل، وصل الشيء بالشيء
يَصِلُهُ وَصْلاً وَصِلَةً وَصِلَةً، واتصل الشيء بالشيء: لم
ينقطع^(٥).

والفصل في البلاغة أو الكلام ترك عطف بعض
الجمل على بعض، والوصل عطف بعضها على
بعض، وكان الجاحظ من أوائل الذين تكلموا عليه
في كتبهم^(٦)، ووقف عنده العسكري وقفة طويلة
وذكر أقوالاً كثيرة تدل على أهمية هذا الأسلوب،
وبحث ما يتصل بفصول القصيدة ومقاطعها^(٧).
وهذا ما لم يتطرق إليه المتأخرون في الفصل
والوصل، ولعل عبد القاهر من أشهر الذين بحثوه
بحثاً مفصلاً يقوم على التقسيم والتحديد، وربطوه
بباب العطف. وقد أجمل مواضع الفصل والوصل
بقوله: «إنَّ الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها
مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع
المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها
- لو عطفت - بعطف الشيء على نفسه. وجملة
حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله
إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن
يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه
فيكون حقها العطف. وجملة ليست في شيء من
الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع
الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون إياه ولا

(١) اللسان (فصل).

(٢) الايضاح ص ٤٣٤، التلخيص ص ٤٣٤، شروح
التلخيص ج ٤ ص ٥٤٠، المطول ص ٤٨١،
الاطول ج ٢ ص ٢٥٩.

(٣) سورة ص ٥٥.

(٤) المثل السائر ج ٢ ص ٢٧٥، وينظر المطول
ص ٤٨١.

(٥) اللسان (فصل) و(وصل).

(٦) البيان ج ١ ص ٨٨.

(٧) كتاب الصناعتين ص ٤٣٨.

شروط ذكرها السابقون غير أن المتأخرين وضعوها في
قواعد ثابتة وقسموها هذا التقسيم الذي أوتف دراسة
الألفاظ وجرسها وإيحائها عند مرحلة لم تتجاوزها
طوال القرون السابقة.

فَصْلُ الْخِطَابِ:

الفَصْلُ: بَوْنُ مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وفصل الخطاب:
البيّنة على المدعى واليمين على المدعى عليه، وقيل:
هو أن يفصل بين الحق والباطل^(١).

يُسَمَّى النوع الذي ينتقل فيه الشاعر من الفن الذي
شبه الكلام به إلى ما يلائمه اقتضاباً، ولكن بعض
ذلك الاقتضاب يقرب من التخلص ويُسَمَّى حينئذ
«فصل الخطاب»^(٢). كقوله تعالى: ﴿هَذَا، وَإِنَّ
لِلطَّاعِينَ لَشَرًّا مَّآبًا﴾^(٣) أي: الأمر هذا، أو هذا كما
مر. ومنه قول الكاتب: «هذا باب» أو «هذا فصل» أو
«أما بعد...» وهو ما ذكره ابن الأثير الذي قال: «فمن
ذلك ما يقرب من التخلص وهو فصل الخطاب والذي
أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه: «أما
بعد...» لأنَّ المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي
شأن بذكر الله وتحميده، فاذا أراد أن يخرج إلى
الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى
بقوله: «أما بعد...»^(٤). وذكر أنه يأتي في الشعر
قليلاً، ومن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز
البلدي في قصيدة منها:

هذا وكم لي بالجُنيّة سَكْرَةٌ

أنا من بقايا شُرْبِهَا مَخْمُورٌ

بَاكَرْتُهَا وَغُصُونُهَا مَغْرُوزَةٌ

والماء بين مُرُوزِهَا مَدْعُورٌ

الفَصْلُ وَالْوَصْلُ:

الفَصْلُ بَوْنُ مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، والفصل من الجسد:
موضع المفصل، وبين كل فصلتين وصل. والفصل
الحاجز بين الشئيين، فَصْلٌ بَيْنَهُمَا يَفْصِلُ فَصْلاً

ومن أمثلة كون الجملة الثانية توكيداً للأولى قول
المتنبي:

وما الدهرُ إلا من رواقِ قصائدي

إذا قلتُ شِعراً أصبحَ الدهرُ مُشيداً

فالجملة «إذا قلت...» توكيد للأولى؛ لأنَّ معنى
الجملتين واحد.

أو أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى، وهو
ضربان:

أحدهما: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل
البعض^(٦) من متبوعه كقوله تعالى: ﴿أمدُّكم بما
تعلمون. أمدُّكم بأنعامٍ وبنينٍ. وجناتٍ وعيونٍ﴾^(٧)
فانه مسوق للتنبيه على نعم الله تعالى عند
المُخاطَبين، وقوله: ﴿أمدُّكم بأنعامٍ وبنينٍ. وجناتٍ
وعيونٍ﴾ أوفى بتأديته مما قبله لدلالته عليها
بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم
معاندين، والأمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض
الأمداد بما يعلمون ويحتمل الاستئناف.

وثانيهما: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل
الاشتمال^(٨) من متبوعه كقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا
المرسلين. اتَّبِعُوا من لا يسألكم أجراً وهم

(١) دلائل الاعجاز ص ١٨٧.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٢٠.

(٣) الايضاح ص ١٤٧، التلخيص ص ١٧٥، شروح
التلخيص ج ٣ ص ٢، المطول ص ٢٤٧، الاطول
ج ٢ ص ٢، التبيان في البيان ص ١٠١.

(٤) البقرة ١ - ٢.

(٥) البقرة ٢.

(٦) بدل البعض: هو بدل الجزء من كله قليلا كان
ذلك الجزء او مساوياً للنصف أو اكثر منه. مثل:
«جاء للطلاب ربعم أو نصفهم أو ثلثاهم».

(٧) الشعراء ١٣٢ - ١٣٤.

(٨) بدل الاشتمال: هو بدل الشيء مما يشتمل عليه
على شرط ان لا يكون جزء منه مثل: «نفعني
المعلم علمه» و«أحببت خالدًا شجاعته».

مشاركاً له في معنى بل هو شيء إن ذُكر لم يُذكر إلا
بأمر ينفرد ويكون ذُكر الذي قبله وترك الذُكر سواء في
حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً، وحق هذا ترك العطف
البتة.

فترك العطف يكون إما للاتصال الى الغاية، أو
الانفصال الى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين
الامرین، وكان له حال بين حالين، فاعرفه^(١)

وعلى هذا الأساس وضع عبد القاهر أصول بحث
الفصل والوصل وقوانينه وذكر الأمثلة الكثيرة وحلَّها
تحليلاً علمياً وأدبياً. وجاء علماء البلاغة فاقتصروا
بحوثه وبوبوها وكان تحديدهم أدقَّ ضَبْطاً
وقواعدهم أكثر تقييداً. وكان الشكاكي من أشهر
الذين اتبعوه ولكنه لم يوضح الموضوع أو يبحثه
بحثاً مناسباً، وانصرف الى الكلام على الجامع
وأنواعه^(٢)، واستفاد القزويني وشرح التلخيص من
عبد القاهر والشكاكي وجمعوا بين تحديد القاعدة
والشرح والتحليل^(٣).

وقد اتفق البلاغيون على أن الفصل يجب في
خمسة مواضع:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وهو
«كمال الاتصال» وذلك أن تكون الجملة الثانية
تأكيداً للأولى والمقتضي للتأكيد دفع توهم التجوز
والغلط وهو قسمان:

أحدهما: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد
المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في
المعنى كقوله تعالى: ﴿الم. ذلك الكتاب لا ريب
فيه﴾^(٤) فإنَّ وزان ﴿لا ريب فيه﴾ وزان «نفسه» في
مثل: «جاءني محمد نفسه».

وثانيهما: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد
اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى كقوله تعالى:
﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدًى للمتقين﴾^(٥)، فإن
﴿هدى للمتقين﴾ معناه: أنه في الهداية بالغ درجة لا
يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة.

فالجمله الاولى خبرية لفظاً ومعنى والثانية انشائية معنى لا لفظاً، لأن لفظ الفعل خبر لا أمر.

أو أن لا يكون بين الجملتين جامع أو مناسبة بل تكون كل جملة مستقلة بنفسها مثل: «الليل رهيب، أقبل محمد» ولا صلة بين الجملتين ولذلك ترك العطف بينهما لكمال الانقطاع.

الثالث: أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الاولى فتنزل منزلته ويسمى هذا «شبه كمال الاتصال» أو «الاستئناف». والاستئناف ثلاثة أصرب لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الاولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقول الشاعر:

قال لي كيف أنت قلتُ عليلٌ
سَهَرٌ دائمٌ وحُزْنٌ طويلٌ

أي: ما بالك عليلًا؟ أو ما سبب علتك؟

وقول الآخر:

وقد غَرَضْتُ من الدنيا فهل زَمَنِي
مُعْطِ حَيَاتِي لِعِزٍّ بعدما غَرَضَا^(٣)

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ

لي التجاربُ في وُدِّ امرئٍ غَرَضَا

أي: لم تقول هذا؟ وما الذي اقتضاك أن تطوي عن الحياة الى هذا الحد؟ أي: تعرض عنها.

أو عن سبب خاص له كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٤) كأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء؟ فقيل: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

أو عن غير هذين النوعين كقوله تعالى: ﴿قالوا سلامًا قال سلام﴾^(٥) كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم

(١) يس ٢٠ - ٢١.

(٢) طه ١٢٠.

(٣) غرض: ضجر ومل. الغر: من لا تجربة له.

(٤) يوسف ٥٣.

(٥) هود ٦٩.

مهتدون^(١) فان المراد به حمل المُخاطبين على اتباع الرسل، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ﴾ أوفى بتأدية ذلك، لأن معناه: لا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة. ومنه قول الشاعر:

أقول له ارحلْ، لا تقيمنَّ عندنا

وإلا فكنَّ في السِّرِّ والجَهْرِ مُسْلِمًا

وقد فصل «لا تقيمنَّ» عن «ارحل» لقصد البدل؛ لأن المقصود من كلامه هذا كمال اظهار الكراهة لاقامته بسبب خلاف سره العلن. وقوله: «لا تقيمنَّ عندنا» أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله: «ارحل» لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد.

أو أن تكون الثانية بيانًا للأولى وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعة في إفادة الايضاح والمقتضي للتبيين أن يكون في الاولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام ازالته كقوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^(٢)، فصل جملة ﴿قال﴾ عما قبلها لكونها تفسيرًا له وتبيينًا.

ومنه قول أبي العلاء:

الناسُ للناسِ من بَدُوٍ ومن حَضِرٍ

بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمٌ

فالجمله الثانية «بعض لبعض...» إيضاح للأولى «الناس للناس» وهي بيان لها.

الثاني: أن يكون بين الجملتين كما الانقطاع وذلك أن تختلف خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى كقوله الشاعر:

وقال رائدُهم ارسوا نزاولها

فكُلُّ حَتْفِ امرئٍ يَجْرِي بِمَقْدَارِ

فالجمله الاولى «ارسوا» انشاء لفظًا ومعنى «نزاولها» خبر لفظًا ومعنى.

أو معنى لا لفظًا مثل: «مات فلان رحمه الله»

المنقطعة عن الاولى وينبغي هنا الفصل لأن عطفها عليها موهم لعطفها على غيرها، ويُسمى هذا الفصل «قطعاً»، ومنه قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها
بدلاً أراها في الضلال تهيم

لم يعطف «أراها» على «تظن» لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على «أبغي» لقربه منه مع أنه ليس بمراد، ويحتمل الاستئناف.

الخامس، أن تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الوصل كأن يكون للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون، الله يستهزئ بهم﴾^(٦). فجملة ﴿الله يستهزئ بهم﴾ لا يصح عطفها على جملة ﴿قالوا...﴾ لئلا يلزم من ذلك اختصاص استهزاء الله بهم غير ميقّد بوقت من الاوقات، ولا يصح أن تعطف جملة ﴿الله يستهزئ بهم﴾ على جملة «إنا معكم» لئلا يلزم أن تكون من مقول المنافقين مع أنها من مقول الله تعالى:

ويجب الوصل في ثلاثة مواضع:

الاول، أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الايهام وذلك بأن تكون إحداها خبرية والأخرى انشائية ولو فصلت لأوهم الفصل خلاف المقصود ومنه قول البلغاء: «لا، وايدك الله».

الثاني: أن تكون الجملتان متفتحتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأبرارَ لَفِي نعيمٍ وَإِنَّ

(١) الغمرة: الشدة.

(٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ١٨٢.

(٣) النور ٣٦ - ٣٧.

(٤) الالف والايلاف: العهد.

(٥) سورة ص ٤٤.

(٦) البقرة ١٤ - ١٥.

عليه السلام؟ فقيل: ﴿قال سلام﴾. ومنه قول الشاعر:

زَعَمَ العواذِلُ أَنني في غَمْرَةٍ

صَدَقُوا وَلكنْ غَمْرَتِي لا تَنجَلِي^(١)

لما حكى عن العواذل أنهم قالوا: هو في غمرة، وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأل فيقول: فيما قولك في ذلك وما جوابك عنه؟ أخرج الكلام مخرجه اذا كان ذلك قد قيل له وصار كأنه قال: أقول: صدقوا، أنا كما قالوا ولكن لا مطمع لهم في فلاحه. ولو قال: «زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا» لكان يكون لم يصح في نفسه أنه مسؤول وأن كلامه كلام مجيب^(٢).

وقد يُحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ له فيها بِالْعُدُوِّ وَالْأصَالِ. رِجالٌ لا تُلهيهم تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عن ذِكرِ اللَّهِ﴾^(٣) فيمن قرأ ﴿يُسَبِّحُ﴾ مبينا للمفعول كأنه قيل: من يسبحه؟ فقيل: رجال.

وقد يحذف الاستئناف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول الشاعر:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخوتكم قُرَيْش

لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ^(٤)

حذف الجواب الذي هو «كذبتهم في زعمكم» وأقام «لهم إلف وليس لكم إلف» مقامه لدلالته عليه. ويجوز أن يقدر قوله: «لهم إلف» جواباً لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف كأنه لما قال المتكلم «كذبتهم» قالوا:

«لم كذبنا؟» فقال: «لهم إلف وليس لكم إلف» فيكون في البيت استئنافان.

وقد يُحذف ولا يقام مقامه شيء كقوله تعالى: ﴿نِعَمَ العَبْدُ﴾^(٥) أي أيوب، أو: هو لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه.

الرابع: أن يكون بين الجملتين «شبهه كمال الانقطاع» وذلك بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة

مثال ذلك قول المتنبي:

تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنَنَا
تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي اغْتِيالًا
فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلاً
وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمْ انْهَمَالًا

قوله: «فكان مسير عيسهم» معطوف على «تولوا بغتة» دون ما يليه من قوله: «ففاجأني» لأننا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى من حيث أنه يدخل في معنى «كأن» وذلك يؤدي الى أن لا يكون «مسير عيسهم» حقيقة ويكون متوهماً كما كان تهييب البين كذلك، وهذا أصل كبير.

ويتصل بالفصل والوصل اقتران الجملة الحالية بالواو وعدم اقترانها، وقد ألحقه البلاغيون بهذا المبحث وعقد له عبد القاهر والرازي والسكاكي والقزويني^(٩) فصلاً وألحقوه ببات الفصل والوصل.

ولم يتعرض البلاغيون إلا للجمل حينما ترتبط أو تنفصل، وإن كان عبد القاهر قد اتخذ من عطف المفردات سبيلاً للحديث عن عطف الجمل^(١٠). ولعل السبكي كان من أحسن الذين تعرضوا لهذا المبحث^(١١)، وإن كان هذا المبحث أكثر التصاقاً بالنحو.

(١) الانفطار ١٣ - ١٤.

(٢) الروم ١٩.

(٣) النساء ١٤٢.

(٤) الاعراف ٣١.

(٥) البقرة ٨٣.

(٦) سبأ ٢.

(٧) البقرة ٢٤٥.

(٨) دلائل الاعجاز ص ١٨٨.

(٩) دلائل الاعجاز ص ١٥٦، نهاية الايجاز ص ١٣٧، مفتاح العلوم ص ١٣١، الايضاح ص ١٦٥.

(١٠) دلائل الاعجاز ص ١٧١ وما بعدها.

(١١) عروس الافراح ج ٣ ص ١١٣ وما بعدها.

الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ^(١)، وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٢) وقوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٤).

أو أن تكونا مُتَّفَقَتَيْنِ خَبْرًا وانشاءً معنى لا لفظاً كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقلوا للناس حسناً﴾^(٥)، عطف قوله: ﴿قولوا﴾ على قوله: ﴿لا تعبدون﴾ لأنه بمعنى: لا تعبدوا.

الثالث، أن يكون للجملة الأولى محلّ من الإعراب وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الاعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد لأن الجملة لا يكون لها محلّ من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد. وينبغي هنا أن تكون مناسبة بين الجملتين كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْقِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٧)، ولذلك عيب على أبي تمام:

لا والذي هو عالمٌ أنّ النوى

صَبِرٌ وَأَنَّ أبا الحسينِ كريمٌ

إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين - محمد بن الهيثم - ومرارة النوى ولا تعلق لأحدهما بالآخر.

ومن إشراك الجملة الثانية بالاولى في الحكم قول المتنبي:

وللسرّ مني مَوْضِعٌ لا يناله

نديمٌ ولا يُفْضِي اليه شرابٌ

فجملة «لا يناله نديم» صفة لـ «موضع» ولذلك جاز أن يعطف عليها جملة «ولا يفضي اليه شراب».

وذكر عبد القاهر لونا من الوصل^(٨) وهو أن يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان

فَضْلُ السَّابِقِ عَلَى الْمَسْبُوقِ:

عقد ابن منقذ لهذا النوع باباً^(١) وقال إنه كقول
حَسَّان بن ثابت:

تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يِقَاتِلَ دُونَهُمْ

وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ

أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ:

تَرَكَ الْأَحِبَّةَ نَاسِيًا لَا سَالِيًا

عُذْرُ النَّسِيِّ خِلَافُ عُذْرِ السَّالِي

وَقَالَ حَسَّانُ:

يَعْشُونَ حَتَّى مَا تَهَيَّرَ كَلَابُهُمْ

لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ:

إِلَى بَيْتِ حَانَ لَا تَهَيَّرَ كَلَابُهُ

عَلَيَّ وَلَا يُنْكِرُونَ طُولَ ثَوَائِي

وهذا من باب الأخذ والسرقات.

الْفَكُّ وَالسَّبْكُ:

فَكَكْتُ الشَّيْءَ فَانَفَكْتُ بِمَنْزِلَةِ الْكِتَابِ الْمُخْتَوِّمِ
تَفَكُّ خَاتَمِهِ، وَفَكَكْتُ الشَّيْءَ خَلَصْتَهُ، وَفَكُّ الشَّيْءِ
يَفْكُهُ فَكًّا فَانَفَكْتُ: فَصَلَّهُ.

سبك الذهب والفضة ونحوه من الذائب يسبكه
ويسبكه سبكا وسبكة: ذوبه وأفرغه في قالب.
والسبك: تسبيك السبيكة من الذهب والفضة يُذاب
ويفرغ في مسبكة من حديد^(٢).

عقد ابن منقذ للفك والسبك باباً وقال: «أما الفكُّ
فهو أن ينفصل المصراع الأول من المصراع الثاني ولا
يتعلق بشيء من معناه»^(٣) مثل قول زهير:

حَيِّ الدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ

بَلَى وَغَيَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدَّيْمُ

«وأما السبك فهو أن يتعلّق كلمات البيت بعضها
ببعض من أوّله إلى آخره»^(٤) كقول زهير:

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا

ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

ولذلك قيل: «خير الكلام المحبوك المسبوك الذي
يأخذ بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضٍ».

الفواصل:

الفصل، بون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد:
موضع المفصل وبين كل فصلين وصل. والفاصلة:
الخزرة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد
فصل النظم، وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين
خرزة^(٥)

انتبه الى الفواصل الأدباء والمفسرون منذ عهد
مبكر وقد ربط الخليل بينها وبين السجع فقال:
«سجع الرجل اذا نطق بكلام له فواصل كقوافي
الشعر من غير وزن»^(٦)، وقرنها سيبويه بالقوافي
فقال: «وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه
أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي»^(٧)،
وذكرها الفراء باسمها فقال عن قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾^(٨) «وانما ثناها هنا لأجل
الفاصلة، رعاية للتي قبلها والتي بعدها على هذا
الوزن. والقوافي تحتمل في الزيادة والنقصان ما لا
يحتمله سائر الكلام»^(٩).

وسماه ايضاً رؤوس الايات وقال وهو يتحدث عن
قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً﴾^(١٠) ان عمر بن

(١) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٢.

(٢) اللسان (فكك) و (سبك).

(٣) البديع في نقد الشعر ص ١٦٣.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ١٦٣.

(٥) اللسان (فصل).

(٦) كتاب العين ج ١ ص ٢١٤.

(٧) الكتاب ج ٤ ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٨) الرحمن ٤٦.

(٩) البرهان ج ١ ص ٦٥.

(١٠) النازعات ١١.

الفصول على ما ذكرناه. والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعا وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع وضرب لا يكون سجعا وهو ما تقابلت^(٩) حروفه المقاطع ولم تماثل. ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين - أعني المتماثل والمتقارب - من أن يكون يأتي طوعا سهلا وتابعا للمعاني، وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفا يتبعه المعنى فإن كان من القسم الاول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض. فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة^(١٠).

وتقسيم الفواصل الى حروف متماثلة وحروف متقاربة من عمل الرماني^(١١)، وهذا التقسيم يؤدي الى أن تكون الفواصل أشمل من السجع أي أنها تضم هذا اللون وغيره مما سمي الموازنة، وبذلك تكون الفواصل خاصة بكتاب الله ويبقى جزء منها أو ضرب واحد مرتبطا بالسجع الذي يخص كلام العرب.

وقال المصري إن مقاطع أي الكتاب العزيز لا تخلو من أن تكون أحد هذه الأقسام الأربعة: التمكين والتصدير والتوشيح والايغال، ثم قال: «ولهذا تُسمى مقاطعه فواصل لا سجعا ولا قوافي لاختصاص القوافي

الخطاب سمع وهو يقرأها: «إذا كنا عظاما ناخرة» وهي أجود الوجهين في القراءة لأن الآيات بالألف الأتزي أن (ناخرة) مع (الحافرة) و(الساخرة) أشبه بمجيء التنزيل و(الناخرة) و(النخرة) سواء في المعنى بمنزلة (الطامع) و(الطمع)^(١). وقال عن قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾^(٢) «وقد قرأ القراء «يسري» بإثبات الياء و«يسر» بحذفها، وحذفها أحب اليّ لمشاكلة رؤوس الآيات ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها»^(٣). وقال في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^(٤): «يريد» وما قلاك» فألقيت الكاف كما يقول: قد اعطيتك وأحسننت، ومعناه احسنت اليك، فتكتفي بالكاف الأولى من الأخرى إعادة لأن رؤوس الآيات بالياء فاجتمع ذلك فيه»^(٥). ومعنى ذلك أن فواصل الآيات شغلت القدماء وبدأت تدخل دراستها في كتب الإعجاز والبلاغة حينما يتطرقون للسجع لكي ينفوا هذا النوع عن كتاب الله الخالد. قال الرماني: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»^(٦). ونقل الباقلاني هذا التعريف^(٧) ونفى السجع عن القرآن الكريم وقال إن ما يختص به هو «الفواصل» ولا شراكة بينه وبين سائر الكلام ولا تناسب^(٨). وسُمِّيَتْ كذلك ليتجنبوا الاسجاع لأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر. ورد ابن سنان كلام الرماني وقال: «وأما الفواصل التي في القرآن فانهم سمّوها فواصل ولم يُسمّوها اسجاعا وفرّقوا فقالوا: إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها وقال علي بن عيسى الرماني إن الفواصل بلاغة والسجع عيب وعلل ذلك بما ذكرناه من أن السجع يتبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني، وهذا غير صحيح والذي يجب أن يحزر في ذلك أن يقال: إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع

(١) معاني القرآن ج ٣ ص ٢٣١.

(٢) الفجر ٤.

(٣) معاني القرآن ج ٣ ص ٢٦٠.

(٤) الضحى ٣.

(٥) معاني القرآن ج ٣ ص ٢٧٣.

(٦) النكت في اعجاز القرآن ص ٨٩.

(٧) إعجاز القرآن ص ٤٠٩.

(٨) اعجاز القرآن ص ٨٦ وما بعدها.

(٩) في هامش الكتاب: «الصواب - ما تقاربت».

(١٠) سر الفصاحة ص ٢٠٣.

(١١) النكت في اعجاز القرآن ص ٨٩.

بالشعر والسجع بالمنافرة عن معنى الكلام مأخوذ من سجع الطائر^(١).

وحيثما تحدّث البلاغيون عن السجع خَصُّوا الفواصل بالتفاتة واضحة فقال السكاكي عن السجع: «ومن جهاته الفواصل القرآنية»^(٢). وقال القزويني: «وقيل إنّه لا يقال في القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل»^(٣)، وتبعه في ذلك شراح التلخيص^(٤).

وعقد الزركشي فصلا في «معرفة الفواصل ورؤوس الآي» وقال: «وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع»^(٥). وفي هذا التعريف فضل بين السجع والفواصل. وفَرَّقَ الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي وقال: «أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يَكُنْ رؤوس آي وغيرها. وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية؛ فالفاصلة تُعَمُّ النوعين وتجمع الضربين، ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي: ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبِغُ﴾ - وهما غير رأس آيتين باجماع - مع ﴿إِذَا يَسْرُ﴾^(٦) وهو رأس آية باتفاق»^(٧).

ثم قال الزركشي: «وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين لكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام. وتُسَمَّى فواصل لأنّه يفصل عندها الكلامان وذلك أنّ آخر الآية فصل

بينها وبين وما بعدها ولم يُسَمَّوها أسجعا»^(٨).

ولكن الجعبري لم يوافق على ما ذكر الداني وقال: «وهو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ و﴿كُنَّا نَبِغُ﴾ وليس رأس آية لأنّ مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية»^(٩).

وفَصَّلَ الشيوطي في الفواصل وَلَخَّصَ ما ذكره شمس الدين بن الصائغ الحنفي مع مراعاة المناسبة في كتابه «إحكام الرأي في أحكام الآي»^(١٠).

ويتضح من كلام القدماء أنّ الفواصل أوسع دلالة من السجع ولذلك خَصُّوا بها كتاب الله وليتجنبوا مصطلح السجع الذي يتصل بالحروف المتشابهة لا المتقاربة أو الوقف.

(١) بديع القرآن ص ٨٩، وينظر معترك ج ١ ص ٣٩.

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٠٣.

(٣) الايضاح ص ٣٩٥، التلخيص ص ٤٠٠.

(٤) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٥٢، المطول ص ٤٥٥، الأطول ج ٢ ص ٢٣٤.

(٥) البرهان ج ١ ص ٥٣.

(٦) الآيات الثلاث هي: هود ١٠٥ والكهف ٦٤ والفجر ٤.

(٧) البرهان ج ١ ص ٥٣.

(٨) البرهان ج ١ ص ٥٣.

(٩) الاتقان ج ٢ ص ٩٦ والايان هما: هود ١٠٥ والكهف ٦٤.

(١٠) معترك ج ١ ص ٣٣ وما بعدها، وينظر دلائل الاعجاز ص ٢٩٦.

القاف

قُبِحَ الأَخَذُ:

قال العسكري: قُبِحَ الأَخَذُ أَنْ تَعْمَدَ إِلَى الْمَعْنَى فَتَتَنَاوَلَهُ بِلَفْظِهِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرَهُ أَوْ تَخْرُجَهُ فِي مَعْرُضٍ مُسْتَهْجِنٍ. وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يَحْسُنُ بِالْكُسُوفِ. أَخْبَرَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ: قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ: إِنَّا إِذَا سَمِعْنَا الْحَدِيثَ مِنْكَ نَسْمَعُهُ بِخِلَافِ مَا نَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِكَ. فَقَالَ: إِنِّي أَجِدُهُ عَارِيًّا فَأَكْسُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ حَرْفًا أَوْ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِي مَعْنَاهُ شَيْئًا^(١).

فَمَا أَخَذَ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَادَّعَى أَخْذَهُ - أَوْ ادَّعَى لَهُ - أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهُ وَلَكِنْ وَقَعَ لَهُ كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ قَوْلٍ طَرَفًا:

وُقُوفًا بِهَا صَخْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدُ

وقول امرئ القيس:

وُقُوفًا بِهَا صَخْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلُ

وقول البعيث:

أَتَرْجُو كُليْبُ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا
بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُليْبًا قَدِيمُهَا

وقول الفرزدق:

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا
بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعًا كِبَارُهَا

قال العسكري: «وَالأَخْذُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ مَعْيَا وَإِنْ ادَّعَى أَنْ الأَخْرَ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الأَوَّلِ بَلْ

وَقَعَ لِهَذَا كَمَا وَقَعَ لِذَلِكَ فَإِنَّ صِحَّةَ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالْعَيْبُ لَازِمٌ لِلأَخْرِ».

وَمِنَ الأَخْذِ الْمُسْتَهْجِنِ أَنْ يَأْخُذَ الْمَعْنَى فَيُفْسِدُهَا أَوْ يُعَوِّضُهَا أَوْ يُخْرِجُهَا فِي مَعْرُضٍ قَبِيحٍ وَكُسُوفٍ مُسْتَرْدَلَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي كَرِيمَةَ:

قَفَاهُ وَجْهٌ ثُمَّ وَجْهٌ الَّذِي

قَفَاهُ وَجْهٌ يُشْبِهُ البَدْرَا

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ:

بِأَبِي أَنْتَ مِنْ مَلِيحٍ بَدِيعٍ

بَدَّ حُسْنَ الوَجْهِ حُسْنُ قَفَاكَ

وَأَحْسَنُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِيهِ فَقَالَ:

مَا سَاءَ نِي إِغْرَاضُهُ

عَنِي وَلَكِنْ سَرَّنِي

سَالِفَتَاهُ عِوَضُ

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ

وَسَمِعَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ مَحْمُودِ الوَرَّاقِ:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً

عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ بَلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ

وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ العُمُرُ

إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا

وَإِنْ مَسَّ بِالصَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الأَجْرُ

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٢٩.

وكيف ذلك؟ قال: رأيت عقبة بن ربيعة ينشد رجزاً أعجبني، إنه يقول: «لو كان لقوله قران» قال الشاعر:

مهاذبةً مناجبةً قراناً
منادبةً كأنهم الأسود^(٥)

وأشده ابن الأعرابي:

وبات يذرسُ شعراً لا قران به
قد كان نَقَّحه حَوْلًا فما زادا

أراد بقوله: «قران» التشابه والموافقة وكان يطلب أن يوضع البيت الى جنب ما يشبهه ويوافقه^(٦).

فالجاحظ نقل هذا المصطلح وأراد به أن يكون الكلام متلاحماً، قال: «وإذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضياً موافقاً كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة. وأجود الشعر ما رأيت متلاحماً الاجزاء، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً وشبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»^(٧).

وطلب الجاحظ أن يكون اقتران بين الحروف لتخرج الالفاظ جميلة الجرس بديعة الايقاع، قال: «فهذا في اقتران الالفاظ فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير. والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير»^(٨). وهذا ما تحدث عنه اللغويون منذ عهد الخليل بن احمد الفراهيدي وبنوا عليه كثيراً من الأحلام اللغوية واستفادوا منه في

(١) اللسان (قبض).

(٢) الصاحبي ص ٢٢٨.

(٣) الاتقان ج ٢ ص ٦١، انوار الربيع ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤.

(٤) اللسان (قرن).

(٥) مهاذبة: سراع، مناجبة: جمع منجاب وهو الذي يلد النجباء. منادبة: الذين ينتدبون عند الحاجة.

(٦) البيان ج ١ ص ٦٨، ٢٠٥ - ٢٠٦، ٢٢٨.

(٧) البيان ج ١ ص ٦٧.

(٨) البيان ج ١ ص ٦٩.

وما منهما إلا له فيه نعمة
تضيقُ بها الأوهامُ والبُرُ والبَحْرُ

فقال وأساء:

الحمدُ لله إنَّ اللهَ ذو نِعَمٍ
لم يُخصِّها عدداً بالشكرِ مَنْ حمدا
شُكري له عَمَلٌ فيه عليٌّ له
شُكْرٌ يكونُ لشُكري قَبْلَهُ مَدداً

ومن ذلك قول الإمام علي - رضي الله عنه - «قيمة كل امرئ ما يحسنه» أخذه ابن طباطبا بلفظه وأخرجه بغيضاً متكلفاً بقوله:

فيا لائمي دَغني أغالِ بقيمتي
فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يُحسنونه

القَبْضُ:

القَبْضُ خلاف البَسْطِ، قَبْضُهُ يَقْبِضُهُ قَبْضًا. والقَبْضُ: جمع الكف على الشيء، وقبضت الشيء قبضاً: أخذته. والقَبْضُ في الشعر حذف الحرف الخامس الساكن من الجزء نحو النون من «فعلون»^(١).

قال ابن فارس: «ومن سنن العرب القَبْضُ محاذاةً للبسط الذي ذكرناه، وهو النقصان من عدد الحروف»^(٢)، كقول القائل: «عَرثي الوشاحين صموت الخَلخال». أي الخَلخال.

وسَمَّاهُ السيوطي «الاقطاع» وذكره المدني في «الاكتفاء»^(٣) وقد تقدما.

القِرانُ:

قَرَنْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: وَصَلْتُهُ، والقِرانُ: حَبْلٌ يُقْلَدُ البعير ويُقاد به^(٤).

والقِرانُ هو الربط بين أبيات القصيدة ليقع التشابه والانسجام، وقد ذكره الجاحظ وهو يتحدث عن تلاحم أبيات الشعر وتوافقها، قال أبو نوفل بن سالم لرؤية بن العجاج: «يا أبا الجحاف مُتَّ إذا شئت. قال:

معرفة الالفاظ الدخيلة.

الغُرُورُ ﴿٧﴾ وتخصيص الخبر بالمبتدأ مثل: «ما شاعر إلا المتنبى».

والقصر هو الحصر^(٨) وقد تقدم.

قُرْبُ الْمَأْخَذِ:

قال العسكري: «وأما قرب المأخذ فهو أن تأخذ عفو الخاطر وتتناول صفو الهاجس ولا تكد فكرك ولا تتعب نفسك وهذه صفة المطبوع»^(١). رُوي أَنَّ الرشيد أو غيره قال لندمائه وقد طلعت الثريا: «أما ترون الثريا؟» فقال بعضهم: «كأنها عَقْدُ رِيَا». وقال بعضهم لأبي العتاهية: «عَذَبَ الماء فطابا» فقال أبو العتاهية: «حبذا الماء شرابا». وهذا يدل على سرعة البديهة وعلى أَنَّ المتمكن من نفسه يضع لسانه حيث يريد.

القَسَمُ:

القَسَمُ: اليمين، والجمع أقسام، وأقسمت: حلفت وأصله من القسامة، والقسامة: الذين يحلفون على حَقهم ويأخذون^(٢).

والقسم هو الاقتسام^(٣) وقد تقدم.

قَصْدُ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ:

هو أن يُراد الجِدُّ في قالب الهَزْلِ^(٤)، كقول الشاعر:

إذا ما تميمي أتاك مفاخرًا
فَقُلْ عَدُّ عن ذا كيف أَكَلْكَ لِلضَّبِّ

القَصْرُ:

القَصْرُ: الحَبْسُ، وفي القرآن الكريم: ﴿حُوْرٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾^(٥)، أي محبوسات فيها. والقَصْرُ: كَفُّكَ نَفْسَكَ عن أمر وكفها من أن تطمح به غَرَبَ الطمع^(٦).

والقَصْرُ هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص وذلك كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي في قوله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاعٌ

القَطْعُ:

القَطْعُ: إبانة بعض أجزاء الجُزْم من بعض فصلاً، قَطَعَهُ يَقْطَعُهُ قِطْعًا^(٩). والقطع أن تكون العبارة الثانية منقطعة عن الاولى، ولذلك يجب الفصل. والقطع قد يكون للاحتياط كقول الشاعر:

وتظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أبغي بها
بَدَلًا، أراها في الضلال تَهيمُ

وقد يكون للوجوب كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شياطينِهِمْ قالوا إِنَّا معكم إِنما نحن مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(١٠).

وقد تقدّم القطع في شبه كمال الانقطاع والفصل والوصل^(١١).

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٩.

(٢) اللسان (قسم).

(٣) الطراز ج ٣ ص ١٥٣، وينظر كفاية الطالب ص ١٨٥، نفحات ص ٩٨، شرح الكافية ص ١٢٤.

(٤) حلية اللب ص ١٤٧.

(٥) الرحمن ٧٢.

(٦) اللسان (قصر).

(٧) الحديد ٢٠.

(٨) دلائل الاعجاز ص ٢٥٢، مفتاح العلوم ص ١٣٨، الايضاح ص ١١٨، التلخيص ص ١٣٧، شروح التلخيص ج ٢ ص ١٦٦، المطول ص ٢٠٤، الاطول ج ١ ص ٢١٣، معترك ج ١ ص ١٨١، الروض المربع ص ١٦٩.

(٩) اللسان (قطع).

(١٠) البقرة ١٤ - ١٥.

(١١) مفتاح العلوم ص ١٢٦. الايضاح ص ١٥٤،

التلخيص ص ١٨٥، شروح التلخيص ج ٣

ص ٥٠، المطول ص ٢٥٧، الاطول ج ٢

ص ١٣.

الْقَطْعُ لِلَاخْتِيَاطِ:

تَقَدَّمَ فِي شِبْهِ كِمَالِ الْإِنْقِطَاعِ وَالْقَطْعِ وَالْفِصْلِ وَالْوَصْلِ^(١).

الْقَطْعُ لِلْوُجُوبِ:

تَقَدَّمَ فِي شِبْهِ كِمَالِ الْإِنْقِطَاعِ وَالْقَطْعِ وَالْفِصْلِ وَالْوَصْلِ^(٢).

قَطْعُ النَّظِيرِ عَنِ النَّظِيرِ:

ذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْمُنِيرِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٣)، وَقَالَ: «وَفِي الْآيَةِ سِرٌّ بَدِيعٌ مِنَ الْبَلَاغَةِ يُسَمَّى قَطْعَ النَّظِيرِ عَنِ النَّظِيرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَطَعَ الظَّمَا عَنِ الْجُوعِ وَالضَّحْوِ عَنِ الْكَسُوفِ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّنَاسُبِ. وَالْغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ تَحْقِيقَ تَعْدَادِ هَذِهِ النِّعَمِ وَتَصْنِيفِهَا، وَلَوْ قَرَنَ كَلَامًا بِشَأْنِهِ لِتَوْهَمِ الْمَعْدُودَاتِ نِعْمَةً وَاحِدَةً. وَقَدْ رَمَى أَهْلُ الْبَلَاغَةِ سَمَاءَ هَذَا الْمَعْنَى قَدِيمًا وَحَدِيثًا فَقَالَ الْكَنْدِيُّ الْأُولَى:

كَأَنِّي لَمْ أَزَكِّبْ جَوَادًا لِلذِّدَّةِ

وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَزُشِفِ الرِّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ

لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

فَقَطَعَ رُكُوبَ الْجَوَادِ عَنِ قَوْلِهِ: «لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً» وَقَطَعَ تَبَطَّنَ الْكَاعِبِ عَنِ تَرَشُّفِ الْكَأْسِ مَعَ التَّنَاسُبِ، وَغَرَضُهُ أَنْ يَعِدَّ مَلَادَهُ وَمَفَاخِرَهُ وَيَكْثُرَهَا. وَتَبِعَهُ الْكَنْدِيُّ الْآخِرُ فَقَالَ:

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ

كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً

وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمٍ

فَاعْتَرَضَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بَانَهُ لَيْسَ فِيهِ قَطْعُ الشَّيْءِ عَنِ نَظِيرِهِ وَلَكِنَّهُ عَلَى فِطْنَتِهِ قَصَرَ فَهَمَهُ عَمَّا طَالَتْ إِلَيْهِ يَدُ أَبِي الطَّيِّبِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الطَّائِلِ الْبَدِيعِ.

عَلَى أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ سِرًّا لِذَلِكَ زَائِدًا عَلَى مَا ذَكَرَ، وَهُوَ أَنَّ قَصْدَ تَنَاسُبِ الْفَوَاصِلِ وَلَوْ قَرَنَ الظَّمَا بِالْجُوعِ فَقِيلَ: «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ وَلَا تَظْمَأَ» لَا نَتَشَرَّكَ سَلَكَ رُؤُوسِ الْآيِ، وَاحْسَنَ بِهِ مَنْتَظَمًا^(٤).

وَكَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ قَدْ أَشَارُوا إِلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ وَإِنْ لَمْ يَسْمُوهُ بِمِثْلِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ وَمِنْهُمْ ابْنُ طَبَّاطِبَا الَّذِي تَحَدَّثَ عَنِ ارْتِبَاطِ أَجْزَاءِ الْقَصِيدَةِ وَذَكَرَ بَيْتِي أَمْرِيءَ الْقَيْسِ وَغَيْرَهُمَا^(٥). وَتَكَلَّمَ عَلَيْهِ الْمَدَنِيُّ فِي بَابِ «اتِّتْلَافِ الْمَعْنَى لِلْمَعْنَى» وَذَكَرَ الْآيَاتِ نَفْسَهَا^(٦)، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

الْقَطْعُ وَالْعَطْفُ:

تَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ وَهْبٍ فَقَالَ: «فَمِمَّا قُطِعَ الْكَلَامُ فِيهِ وَأُخِذَ فِي فَنٍ آخَرَ ثُمَّ عَطِفَ بِتَمَامِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ﴾^(٧) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. وَمِثْلُهُ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدُومٌ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخِيقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيقَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِشْقٌ، الْيَوْمَ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾. ثُمَّ قَطَعَ وَأَخِذَ فِي كَلَامِ آخِرِ فَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْكَلَامِ الْأَوَّلِ فَقَالَ: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٨).

(١) مفتاح العلوم ص ١٢٦.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٢٦.

(٣) طه ١١٨ - ١١٩.

(٤) الانتصاف - هامش الكشف ج ٣ ص ٧٢.

(٥) عيار الشعر ص ١٢٤.

(٦) أنوار الربيع ج ٤ ص ١٩٨ وينظر يتيمة الدهر ج ١

ص ٣٣، المصباح ص ١١٥، الطراز ج ٣

ص ١٤٧، خزانة الأدب ص ٢٣١.

(٧) النساء ٢٣.

(٨) المائدة ٣.

وعقد الرازي للقلب فصلا وقال: «هو إما في الكلمة الواحدة أو في الكلمات فإن كان في الكلمة الواحدة فإما أن يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متأخرا عنه ويصير بعض الحروف كذلك دون بعض، فالاول يُسَمَّى مقلوب الكلّ مثل: «الفتح» و «الحتف» في قوله:

حُسَامُكَ مِنْهُ لِلأَحْبَابِ فَتُحِ
وَرُؤْمُحُكَ مِنْهُ لِلأَعْدَاءِ حُتْفُ

ثم إن وقع مثل هاتين الكلمتين على طرفي البيت سُمِّي مقلوبا مجنعا كقوله:

ساق هذا الشاعر الحي
ن الى مَنْ قَلْبُهُ قَاسِ

سار حي القوم فالهَمُ
مُ عَلِينَا جَبَلُ رَاسِ

وإن كان التقديم والتأخير في بعض حروف الكلمة سُمِّي مقلوب البعض كقوله - بِبَيْتِهِ - «استر عوراتنا وأمّن روعاتنا»، وإما إن كان القلب في مجموع كلمات بحيث يكون قرابتها من أولها الى آخرها عين قرابتها من آخرها الى أولها فذلك مقلوب مستوي مثل قول الحريري:

آس أرملا إذا عرى
وارع اذا المرء أسا^(٨)

وهذا ما ذكره الوطواط^(٩) من قبيل وذكره السكاكي

ومثل ذلك ما حكاه عن لقمان في وصيته لابنه إذ قال له: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١). تم قطع وأخذ في فن آخر فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ الى قوله: ﴿فَأَنْبِئْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢). ثم رجع الى تمام القول الأول في وصية لقمان فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْتَقَالٍ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(٣). الى آخر الآيات^(٤).

وهذا قريب من الفصل والوصل، ولكنه أوسع منه لأنه لا يخص ربط جملة بجملة أو فصل واحدة عن أخرى وإنما ربط المعاني أو فصلها أي: قطعها.

القلب:

القلب: تحويل الشيء عن وجهه، قلبه يقلبه قلبا^(٥).

القلب من الخروج على مقتضى الظاهر وذلك بأن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر^(٦).

وقد عقد ابن منقذ بابا للقلب ولكنه غير ما أراده الآخرون فهو «أن يقصد شيئا ويكون المقتضى بضد ذلك الشيء»^(٧) كما قال امرؤ القيس:

إذا قامتا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا

نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيَا الْقُرْنُفَلِ

عابوا عليه تشبيه المسك بالقرنفل وقالوا: إنما يشبه القرنفل بالمسك لأنه أجل منه. وقد خرّج النقاد له وجهها غير ذلك فقالوا إنه أراد قوله تَضَوَّعَ، أي مثل المسك كما قال أيضا:

أَلَمْ تَرِيَانِي كَلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا

وَجَدْتُ بِهَا طِيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ

أي: مثل الطيب. وهذا من التشبيه المقلوب أو المعكوس أو المنعكس.

(١) لقمان ١٣.

(٢) لقمان ١٤ - ١٥.

(٣) لقمان ١٦.

(٤) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٥) اللسان (قلب).

(٦) شروح التلخيص ج ١ ص ٤٨٦.

(٧) البديع في نقد الشعر ص ١٧٦.

(٨) نهاية الايجاز ص ٣٣.

(٩) حدائق السحر ص ١٠٨.

مفروق إلا أن الباقي بعضها في الكلمتين وهو أولها^(١٠). فالقلب أنواع مختلفة ولكن الاهتمام بما يخرج على مقتضى الظاهر كان أعظم، وقد ثارت مناقشات في هذه المسألة فأنكر بعضهم القلب، وقبلة بعضهم مطلقاً، وقبله بعضهم إذا تضمن اعتباراً لطيفاً، وهذا ما ذهب إليه القزويني بقوله: «والحق أنه إذا تضمن اعتباراً لطيفاً قبل والإرد»^(١١).

القوة:

القوة: نقيض الضعف والجمع قوى وقوى، وقد قوي الرجل والضعيف يقوى قوة فهو قوي^(١٢).

عقد ابن منقذ باباً للقوة والركاكة وقال: «هو أن يكون المعنى متناولاً واللفظ متداولاً كالكلمات المستعملة والالفاظ المهملة فيكون الشعر ركيكاً والنسج ضعيفاً»^(١٣) كقول امرئ القيس:

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٣.

(٢) المصباح ص ٩١، الايضاح ص ٣٩٩، التلخيص ص ٤٠٤، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٥٩، المطول ص ٤٥٧ الاطول ج ٢ ص ٢٣٦، حسن التوسل ص ٣٠٧، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧١، الطراز ج ٣ ص ٩٤، الفوائد ص ٢٣٨، معترك ج ١ ص ٤٠٦.

(٣) الايضاح ص ٤١٣، التلخيص ص ٤١٩، شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٠٠، المطول ص ٤٦٨، الأطول ج ٢ ص ٢٤٨.

(٤) القصص ٧٦.

(٥) النمل ٢٨.

(٦) النجم ٨.

(٧) الانعام ٥٢.

(٨) المدثر ٣.

(٩) طه ٩٤.

(١٠) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٨٨ وما بعدها.

(١١) الايضاح ص ٧٧.

(١٢) اللسان (قوي).

(١٣) البديع في نقد الشعر ص ١٦٤.

في المحسنات اللفظية^(١) وتبعه في ذلك ابن مالك والقزويني وشرح التلخيص وآخرون^(٢).

وذكر القزويني وشرح التلخيص نوعاً آخر من القلب في بحث السرقات وهو «أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول، سُمي بذلك لقلب المعنى الى نقيضه»^(٣)، ومنه قول أبي الشيص:

أجد الملامة في هواك لذيدة

حُباً لذكرِك فليمني اللوم

وقول المتنبي:

أحبه وأحب فيه ملامة

إن الملامة فيه من أعدائه

وتحدث الزركشي عن أقسام القلب وهي:

الأول: قلب الاسناد وهو أن يشمل الاسناد الى شيء والمراد غيره كقوله تعالى: ﴿ما إن مفاتيحه لتنوء بالعضية﴾^(٤)، ومعناه أن العصبه تنوء بالمفتاح لثقلها فأسند «لتنوء» الى «المفاتيح» والمراد اسناده الى العصبه.

الثاني: قلب المعطوف وهو جعل المعطوف عليه معطوفاً والمعطوف معطوفاً عليه كقوله تعالى: ﴿فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظروا ماذا يرجعون﴾^(٥) حقيقته: فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم. ومنه قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾^(٦) أي: تدلى فدنا.

الثالث: العكس وهو أمر لفظي كقوله تعالى: ﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾^(٧).

الرابع: المستوي وهو أن الكلمة أو الكلمات تقرأ من أولها الى آخرها ومن آخرها الى أولها لا يختلف لفظها ولا معناها كقوله تعالى: ﴿وربك فكبر﴾^(٨).

الخامس: مقلوب البعض وهو أن تكون الكلمة الثانية مُركبة من حروف الكلمة الاولى مع بقاء بعض حروف الكلمة الاولى كقوله تعالى: ﴿فرقت بين بني إسرائيل﴾^(٩). ف «بني» مُركب من حروف «بين» وهو

«الكتب» وهو القلب لكانه كرر الباء للمبالغة فيه. وفي الحروف - وهو قليل الاستعمال - مثل: «سأفعل» و «سوف أفعل» فان زمان «سوف» أوسع من زمان السين وما ذاك إلا لأجل امتداد حروفها^(٦).

وهذا النوع مما تَحَدَّث عنه اللغويون والنحاة كابن جني ولكنهم لم يجلوه كما جلاه ابن الأثير ولذلك قال: «هذا النوع قد ذكره أبو الفتح في كتاب «الخصائص» إلا أنه لم يُورده كما أوردته أنا ولا نبه على ما نبهت عليه من النكت التي تضمنته»^(٧) وكرر العلوي هذا الكلام في كتابه الطراز^(٨).

القول بالموجب:

هذا النوع من مُبتدعات المصري، قال: «هو أن يُخاطب المُتكلِّم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المُتكلِّم وذلك عين القول بالموجب لأنَّ حقيقته رَدُّ الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه»^(٩). كقول ابن حجاج:

قُلْتُ ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا

قال ثَقُلْتُ كاهلي بالأيدي

قُلْتُ طَوَّلْتُ قال لي بل تَطَوَّلْ

ت وأبرمت قُلْتُ: حَبْلٌ وِدَادِي

وقال ابن الدويذة المغربي في رجل أودع بعض القضاة

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٦٥، وينظر: كتاب

الصناعتين ص ٤٢٠.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٦٠، الجامع الكبير ص ١٩٣.

(٣) القمر ٤٢.

(٤) البقرة ٢٥٥.

(٥) الشعراء ٩٤.

(٦) الطراز ج ٢ ص ١٦٢ وما بعدها ولعل المراد أنه كرر (الكاف).

(٧) المثل السائر ج ٢ ص ٦٠.

(٨) الطراز ج ٢ ص ١٦٢.

(٩) تحرير التحرير ص ٥٩٩، بديع القرآن ص ٣١٤.

ألا إنني بالٍ على جَمَلٍ بالٍ

يقودُ بنا بالٍ ويتبعُنا بالٍ

قال ابن منقذ: «ومن العجب أن صاحب الصناعتين جعله من محاسن الشعر وَلَقَّبَهُ بالتعطف، ولا خلف بين العالم والجاهل في ركاكته»^(١).

وقال: «ومن الشعر الخلق:

ولو أَرْسَلْتِ من حُبِّك

مبهوتًا من الصين

لوافقِثُكَ قَبْلَ الصُّبْحِ

أو قَبْلَ تُصْلِيَنِ

قوة اللفظ لقوة المعنى:

قال ابن الأثير: «اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بُدَّ من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأنَّ الالفاظ أدلَّة على المعاني وأمثلة للابانة عنها فاذا زيد في الالفاظ أوجبت القسمة زيادة المعنى وهذا لا نزاع فيه لبيانه، وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة»^(٢). ومن ذلك «خشن» و «اخشوشن» فمعنى الاولى دون معنى الثانية لما فيها من تكرير العين وزيادة الواو ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٣)، وقد استعمل ﴿مقتدر﴾ لأنه أقوى وأبلغ من «قادر».

ومن ذلك قول أبي نواس:

فَعَفَوْتُ عني عَفْوٌ مُّقْتَدِرٍ

حَلَّتْ له نِقْمٌ فَأَلْفَاهَا

والأمر في اختلاف الصيغ كأمر هذا الاختلاف، ولذلك ينتقل المتكلم من لفظة الى أخرى حينما يريد أن يقوي المعنى أو يعطيه نوعًا من المبالغة والتوكيد.

وتحدَّث العلوي عن هذا النوع بمثل ما تكلم عليه ابن الأثير وقال إن ذلك يقع في الأسماء كقوله تعالى: ﴿الحي القيوم﴾^(٤) فانه أبلغ من «قائم»، وفي الأفعال كقوله تعالى: ﴿فكُتِبُوا فيها﴾^(٥)، فانه مأخوذ من

مالاً فادعى ضياعه:

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا

ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْنِي لَوْ تَعِي

أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا

وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْجِعٍ

ومنه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^(١) وموجب هذا القول إخراج الرسول - ﷺ - المنافقين منها لأنه الأعز وهم الأذلون وقد كان ذلك ألا ترى أن الله - سبحانه وتعالى - قال على أثر ذلك: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون ٨).

وَفَرَّقَ الْمَصْرِي بَيْنَ الْقَوْلِ بِالْمَوْجِبِ وَالتَّعْطِفِ مِنْ

وَجْهَيْنِ:

الأول: أن اللفظة التي تزيد في التعطف لا تكون مع اختها في قسم واحد وإنما تكون كل لفظ في شطر.

الثاني: أن الثانية من كلمتي التعطف لا تكون عكس معنى الكلام وهذه تعكس معناه. وذكر الحموي والنويري^(٢) أن القول بالموجب ضربان:

الأول: يقع صفة في كلام مدع شيئاً يعني به نفسه فتثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له ولا نفيها عنه كالأية السابقة.

الثاني: حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه كبيتي ابن حجاج، وقول الأرجاني:

غَالِطَنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِي ضَنْ

كسوة أغرت من الجلد العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهوى

مثل عيني صدقت لكن سقاما

وأدخله القزويني في المحسنات المعنوية وقسمه كتقسيم الحلبي والنويري وتبعه في ذلك شرح التلخيص^(٣).

وقال الحموي: إن القول بالموجب هو أسلوب الحكيم^(٤)، وليس الأمر كذلك بل هما يختلفان في الغاية وإن اتفقا في أن كليهما إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر. فغاية القول بالموجب رد كلام المتكلم وعكس معناه وغاية أسلوب الحكيم تلقي المخاطب بغير ما يتقرب بحمل كلامه على خلاف مراده تبييناً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تبييناً على أنه الأولى بحاله أو المهم له^(٥).

وقال الشيوطي^(٦): «ولم أرَ مَنْ أوردَ له مثلاً من القرآن، وقد ظفرت بآية منه وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ، قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٧).

وقال أيضاً: «وحذاق البديع شرطوا خلوه من لفظه «لكن» لأنهم خصصوا بها نوع الاستدراك»^(٨). ولكن المدني قال إن الطيبي سبقه إلى ذلك في «التبيان»^(٩).

(١) المنافقون ٨.

(٢) حسن التوسل ص ٣٠٥، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٠.

(٣) الايضاح ص ٣٨٠، التلخيص ص ٣٨٦، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٠٦، المطول ص ٤٤٤، الأطول ج ٢ ص ٢٢٠.

(٤) خزانة الادب ص ١١٦، وينظر نفحات ص ٩٤، شرح الكافية ص ٩٦.

(٥) أنوار الربيع ج ٢ ص ٢٠٩.

(٦) معترك ج ١ ص ٤٦٢.

(٧) التوبة ٦١.

(٨) شرح عقود الجمان ص ١٣١.

(٩) أنوار الربيع ج ٢ ص ٢٠٠.

الكاف

كثرة التكرار:

إِنَّ الَّذِينَ غَدَاوا بِبَيْتِكَ غَادِرُوا
وَشَلًّا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
فقد كشفه ذو الرُّمة بقوله:

ولما تلاقينا جَزَتْ من عيوننا
دُموعٌ كَشَفْنَا غَرْبَهَا بالأصابعِ
ونلنا سُقَاطًا من حديثِ كَأَنَّهُ

جَنَى النَّخْلِ ممزوجًا بماءِ الوقائعِ
وقال العتابي:

مَضَتْ على عهده الليالي
وأحدثت بَعْدَهُ أمورٌ
واعْتَضَتْ باليأسِ عَنْهُ صَبْرًا
واعتدل الحُزْنَ والسرورُ

(١) الايضاح ص ٧، التلخيص ص ٣١، شروح
التلخيص ج ١ ص ١١٢، المطول ص ٢٣،
الاطول ج ١ ص ٢٧.

(٢) تسعدني: تعينني. الغمرة: الشدة. سبوح: وصف
للفرس اذا كان حسن الجري.

(٣) اللسان (كشف).

(٤) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٩٠.

(٥) البكر: البيضة الاولى من بيض النعام. المقاناة:
المخالطة. غير المحلل: أي لا ينزل عليه لانه
ملح لا يتغذى به.

(٦) البرج: سعة في بياض العين. النعج: البياض
الخالص.

(٧) العمدة ج ٢ ص ٢٩٠.

(٨) البديع في نقد الشعر ص ٢١٤.

ذَكَرَهُ القزويني وشُراح التلخيص في شروط فصاحة
الكلام، ويريدون به ذكر الشيء مرة بعد مرة، وكثرته
يكون فوق الواحد أي اذا أعيد مرة ثانية كان تكرارًا
وإذا أعيد ثلاثة فاكتر كان «كثرة التكرار» ويدخل في
هذا تتابع الإضافات^(١). ومن ذلك قول المتنبي:

وَتُسَعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ
سَبَّوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(٢)

الكشف:

الكشف، رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه، كشفه
يكشفه كَشَفًا، وكشف الامر: أظهره^(٣).

تحدث الحاتمي عن كشف المعنى وإبرازه بزيادة
منه تزيد نصاعة وبراعة^(٤) مثال ذلك أن امرأ القيس
قال:

كِبْكِرِ المِقَانَاةِ البِيَاضِ بِصُفْرَةٍ

غذاها نَمِيرُ المَاءِ غَيْرِ المَحْلَلِ^(٥)

أخذ هذا المعنى ذو الرُّمة فكشفه وأبرزه وزاد فيه زيادة
لطيفة فقال:

كحلاءٍ في بَرَجِ صَفْرَاءٍ فِي نَعَجِ

كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ^(٦)

وذهب الي هذا المعنى ابن رَشِيق^(٧)، ولكن ابن منقذ
قال: «هو أن يكشف المتبع معنى المبتدع اذا كان فيه
شيء من الخفاء»^(٨)، وذكر بيتي امرئ القيس وذو
الرمة، وقول جرير:

قال غير واحد من البديعيين، وقال الطيبي في التبيان: «هو أن يحلي المتكلم كلامه بشيء من الحكمة والموعظة وشكايه الزمان والايحوان» وهذا أعم من الاول^(٧). ومن ذلك قول أبي تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حَسودٍ
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعرف طيب عزف العودِ

وقول الآخر:

حاول جسيمات الأمور ولا تقل
إن المحامد والعلی أزرأق
فازغب بنفسك أن تكون مقصراً
في غاية فيها الطلاب سباق

وقول العتابي يخاطب محبوبته:

تُحبينَ أني نلتُ ما نال جعفرُ
من المُلِكِ أو ما نال يحيى بنُ خالدٍ

فقلت: نعم، فقال:

وأنَّ أميرَ المؤمنين أحلَّنِي
محلَّهما بالمُرَهفاتِ البوارِدِ

فقلت: لا، فقال:

دعيني تَجِئني مِيتتي مُطمئنَّةً
ولم أتجشَّم هؤلَ تلكِ الموارِدِ

(١) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٩٠، العمدة ج ٢ ص ٢٩٠، البديع في نقد الشعر ص ٢١٤.

(٢) اللسان (جمع).

(٣) حسن التوسل ص ٢٤٣، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٨، وينظر حدائق السحر ص ١٨٦.

(٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣.

(٥) خزانة الأدب ص ١١٣.

(٦) شرح عقود الجمان ص ١٣٤.

(٧) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣١٨، نفحات ص ٧٧، شرح الكافية ص ١٢١.

كشفه بعضهم بقوله:

ولستُ أرجو ولستُ أخشى
ما أحدثت بعده الدهورُ
فليجهد الدهر في مساتي
فما عسى جهده يصيرُ
ويدخل هذا النوع في الأخذ والسراقات.

كشَف المَعْنَى:

وهو كشف الثاني معنى الاول وإبرازه اذا كان فيه شيء من الخفاء^(١)، وهو «الكشف» وقد تقدم.

الكلام الجامع:

جَمَعَ الشيء عن تفرقة يَجْمَعُه جمعًا، وجمعت الشيء: إذا جئت به من ههنا وههنا^(٢).

قال الحلبي والتويري: «هو أن يكون البيت كله جاريا مجرى مثل واحد»^(٣) كقول زهير:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ

على قومِهِ يُسْتَعْنِ عَنْهُ وَيُذَمِّمِ

ومن لا يُصانِع في أمورٍ كثيرةٍ

يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمِ

ومهما تُكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ

وإن خالها تخفى على الناس تُغَلِّمِ

وقال السبكي: «هو أن يجيء المتكلم مثلاً في كلامه بشيء من الحكمة والموعظة أو شكايه الزمان أو الأحوال»^(٤).

وقال الحموي: «هو أن يأتي الشاعر بيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الامثال ويتمثل الناظم بحكمها أو وعظها أو بحالة تقتضي إجراء المثل»^(٥). وعرفه السيوطي بمثل هذا التعريف^(٦) وقال المدني: «الكلام الجامع هو عبارة عن أن يأتي الشاعر بيت يكون جملة حكمة أو موعظة أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال. هكذا

فَأَنَّ جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ مَنُوطَةٌ
بِمَسْتَوِدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ

ومن ذلك قول ابن دريد:

مَنْ لَمْ يَعْظِهِ الدَّهْرُ لَمْ يَنْفَعِهِ مَا
رَاحَ بِهِ الْوَاعِظُ يَوْمًا أَوْ غَدًا
مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبْرًا أَيَّامُهُ
كَانَ الْعَمَى أَوْلَىٰ بِهِ مِنَ الْهَدَىٰ

الكَلَامُ الْمُوجَّه:

وَجَّهَ إِلَيْهِ كَذَا: أَرْسَلَهُ، وَوَجَّهَتْ فِي حَاجَةٍ
وَوَجَّهَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَتَوَجَّهْتُ نَحْوَكِ وَالْيَكِ، وَكَسَاءُ
مُوجَّهٍ: ذُو وَجْهَيْنِ^(١).

قال ابن الأثير: «المُوجَّه أي له وجهان وهو مما
يُدلُّ على براعة الشاعر وحسن تَأْتِيهِ»^(٢). والكلام
المُوجَّه هو القسم الثاني من أقسام تأويل المعنى،
فالاول أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره،
والثاني أن يفهم منه الشيء وغيره، وتلك الغيرية
ضد، والثالث أن يفهم منه الشيء وغيره وتلك
الغيرية لا تكون ضدا. والاول يقع عليه أكثر
الأشعار، والثاني قليل الوقوع جدًّا، والثالث أكثر
وقوعًا منه وهو واسطة بين الطرفين.

ومن ذلك قوله - ﷺ -: «من كلام النبوة الأولى إذا
لم تُشْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». وهذا يشتمل على معنيين
ضدين:

أحدهما: أن المراد به إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه
فافعل ما شئت.

والآخر: أن المراد به إذا لم يكن لك حياء
يَزْعُكَ^(٣) عن فعل ما يُسْتَحَىٰ منه فافعل ما شئت.

وهذان معنيان ضدان، أحدهما مدح والآخر ذم.

ومن ذلك قول المتنبي يخاطب كافورا:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ
وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا
كَلَامُ الْعِدَىٰ ضَرْبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ

ثم قال:

فَمَا لِكَ تُغْنِي بِالْأَيْسِنَةِ وَالْقَنَا
وَجَدُّكَ طَعَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ
فَإِنَّ هَذَا بِالذَّمِّ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالْمَدْحِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: لَمْ تَبْلُغْ مَا
بَلَّغْتَهُ بِسَعِيكِ وَاهْتِمَامِكِ بَلْ بَجِدَ وَسَعَادَةً وَهَذَا لَا
فَضْلَ فِيهِ؛ لِأَنَّ السَّعَادَةَ تَنَالُ الْخَامِلُ وَالْجَاهِدُ وَمَنْ لَا
يَسْتَحِقُّهَا، وَكَثُرَ مَا كَانَ الْمُتَنَبِّيُّ يَسْتَعْمَلُ هَذَا الْقِسْمَ
فِي قِصَائِدِهِ الْكَافُورِيَّاتِ.

كَمَالُ الْإِتِّصَالِ:

هو أن تكون الجملة الثانية متصلة اتصالاً تاماً
بالجملة الأولى^(٤). وقد تقدم في الفصل
والوصل.

كَمَالُ الْإِنْقِطَاعِ:

وهو من المواضع التي يجب فيها الفصل ويكون
لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه^(٥)، وقد تقدم في
الانقطاع والفصل والوصل.

كَمَالُ الْبَيَانِ:

قال العلوي: «إن لهذا الصنف من المكانية البلاغية
موقعا عظيما، وحاصله في لسان أهل البلاغة أنه
كشفت المعنى وايضاحه حتى يصل إلى النفوس على

(١) اللسان (وجه).

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٣٥.

(٣) يزعك: يكفك ويزجرك وبنهاك.

(٤) الايضاح ص ١٥١، التلخيص ص ١٨٠، شروح
التلخيص ج ٣ ص ٣٠، المطول ص ٢٥٢،
الاطول ج ٢ ص ٣٠.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٢٢، الايضاح ص ١٥٠،
التلخيص ص ١٧٩، شروح التلخيص ج ٣
ص ٢٥، المطول ص ٢٥١، الاطول ج ٢ ص ٧.

وذكر ابن المعتز فثنا من محاسن الكلام هو «التعريض والكناية»^(١) ولكنه لم يعرفهما وأدخل فيهما ما سُمي لغزا وذكر قول بعضهم:

أبوك أب ما زال للناس مُوجِعًا
لأعناقهم نَقْرًا كما يَنْقُرُ الصَّقْرُ
إذا عَوَّجَ الكُتَّابُ يوما سطورهم
فليس بِمُعَوَّجٍ له أبداً سَطْرُ
وتقع الكناية عند المُبرِّد على ثلاثة أضرب:

أحدها: التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي:
أكني بغير اسمها وقد عَلِمَ
اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مَكْتَمٍ
وقال ذو الرُّمة استراحة الى التصريح من الكناية:

أحبُّ المكانَ القفرَ من أجل اني
به اتغننى باسمها غير مُعْجِمٍ

وثانيها: الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش الى ما يدل على معناه من غيره كقوله تعالى في المسيح وأمه: ﴿كَانَا يَا كُلَانَ الطَّعَامِ﴾^(٢) وهو كناية عن قضاء الحاجة.

وثالثها: التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو

- (١) الطراز ج ٣ ص ٩٩.
- (٢) سر الفصاحة ص ٣١٩.
- (٣) اللسان (كني).
- (٤) البقرة ٢٢٣.
- (٥) مجاز القرآن ج ٢ ص ٧٣.
- (٦) النساء ٤٣، المائدة ٦.
- (٧) مجاز القرآن ج ١ ص ١٥٥.
- (٨) البيان ج ١ ص ١١٧. ولكن الجاحظ قال ايضا في رسالة نفي التشبيه (الرسائل ج ١ ص ٣٠٧): «وربما كانت الكناية أبلغ في التعظيم وأدعى الى التقديم من الافصاح والشرح».
- (٩) البيان ج ١ ص ٤٤.
- (١٠) البيان ج ١ ص ٢٦٣.
- (١١) البديع ص ٦٤.
- (١٢) المائدة ٧٥.

أحسن شيء وأسهله»^(١). وهو حسن البيان وقد تقدم.

كَمَالُ الْمَعْنَى:

قال ابن سنان: «وأما كمال المعنى فهو أن تستوفي الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل جودته»^(٢). وذلك مثل قول نافع بن خليفة الغنوي:

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ

وَيُعْطَوْهُ عَاذُوا بِالسِّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

فتمم المعنى بقوله: «ويُعْطَوْهُ» لأنه لو اقتصر على قوله: «إذا لم يقبل الحق منهم عاذوا بالسيوف» كان المعنى ناقصًا.

الْكِنَايَةُ:

الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنتى عن الأمر بغيره يكني كناية، وتكنى: تستر من كنتى عنه إذا ورى، أو من الكنية^(٣).

من أقدم الذين عرَضوا للكناية أبو عبيدة وهي عنده ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحًا في العبارة فهي تستعمل قريبة من المعنى البلاغي كما في قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾^(٤) فهو كناية وتشبيه^(٥)، وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٦) كناية عن الغشيان^(٧).

وقد تأتي الكناية بمعنى الضمير وهو ما ذكره سيبويه وكرره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» والفراء في «معاني القرآن». وأشار الجاحظ الى الكناية والتعريض وذكر أنهما لا يعملان في العقول عمل الافصاح والكشف^(٨)، وربطها هي والوحي باللحظ ودلالة الاشارة^(٩) ونقل عن شريح أنه قال: «الحدّة كناية عن الجهل» ونقل عن أبي عبيدة أنه قال: «العارضة كناية عن البذاء» قال: «وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قيل للعامل مستقص فذلك كناية عن الجور»^(١٠). وهذا هو المعنى الذي وقف عنده البلاغيون والنقاد.

يريد المُتَكَلِّمُ الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به ويأتي بلفظ هو رَدْفُه وتابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾^(٧). وقصور الطرف في الأصل موضوعة للعفاف على جهة التوابع والإرداف، وذلك أنَّ المرأة إذا عَفَّتْ قَصَرَتْ طرفها على زوجها فكان، قصور الطرف رَدْفًا للعفاف، والعفاف رَدْفٌ وتابع لقصور الطرف^(٨). وتكلم على المُمَاثِلَة وهي: «أنَّ يريد المُتَكَلِّمُ العبارة عن معنى فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر إلا أنه يُنبئ إذا أورده عن المعنى الذي أراده كقولهم: «فلان نقي الثوب» يريدون أنه لا عيب فيه وليس موضوع نقاء الثوب البراءة من العيوب وإنما استعمل فيه تمثيلاً^(٩).

وأدخل ابن رَشِيق الكناية في باب الإشارة وهي عنده من غرائب الشعر وملحه، وبلاغته عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدره وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يُعَرَفُ مُجْمَلًا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه. ومن أنواعها التفخيم والايماء والتعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز واللمحة واللغز واللحن والتعمية والحذف والتورية والتتبيع. وقال عن الكناية: «والعرب تجعل المهابة شاة لأنها عندهم ضائنة الظباء، ولذلك يُسمونها نعجة. وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله - عز وجل - في إخباره عن

(١) الكامل ج ٢ ص ٦٧٤.

(٢) نقد الشعر ص ١٧٤.

(٣) نقد الشعر ص ١٧٨.

(٤) سر الفصاحة ص ١٩٢.

(٥) سر الفصاحة ص ٢٧٠.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٣٦٨.

(٧) الرحمن ٥٦.

(٨) كتاب الصناعتين ص ٣٥٠.

(٩) كتاب الصناعتين ص ٣٥٣.

أَنْ يُعْظَمَ الرجل أَنْ يُدْعَى باسمه، وقد وقعت في الكلام على ضربين: في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ويُدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير أَنْ يُنادى باسم ولده صيانة لاسمه^(١).

وذكر قدامة فنا سَمَاهُ الإشارة، وهو أَنْ يكون اللفظ القليل مشتتملاً على معانٍ كثيرة بايماء اليها أو لمحبة تدلُّ عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة «هي لَمْحَةٌ دالَّة»^(٢). وذكر في باب ائتلاف اللفظ والمعنى فنا سماه «الإرداف» وهو أَنْ يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدلُّ على معنى هو رَدْفُه وتابع له فإذا دلَّ على التابع أبان عن المتبوع، كقول عمر بن ابي ربيعة:

بَعِيدُهُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفِلِ

أَبُوها و إِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهاشِمِ

وإنما أراد أَنْ يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بُعْدُ مَهْوَى الْقُرْطِ^(٣).

وتحدّث ابن سنان عن حسن الكناية عما يجب أَنْ يكنى عنه في المواضع التي لا يحسن التصريح فيها، وَعَدَّهُ أَضْلاً من أصول الفصاحة وشرطاً من شروط البلاغة^(٤).

وتحدّث عن الإرداف وقال: «ومن نعوت البلاغة والفصاحة أَنْ تُراد الدلالة على المعنى فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة بل يُؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورةً فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع، وهذا يُسَمَّى الإرداف والتتبيع لأنه يؤتى فيه بلفظ هو رَدْفُ اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعه»^(٥).

واختلط مُصْطَلِحاً «الكناية» و «التعريض» عند العسكري وقال: «هو أَنْ يُكنَى عن الشيء ويُعْرَضُ به ولا يُصْرَحُ على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء»^(٦) وتحدّث عن الإرداف والتوابع وقال: «أَنْ

وذكر العلوي عدّة تعريفات ثم قال: «فالمختار عندنا في بيان ما هية الكناية أن يقال هي اللفظ الدالّ على معنيين مختلفين حقيقة ومجازاً من غير واسطة لا على جهة التصريح»^(١٠).

وقال الزركشي: «الكناية عن الشيء: الدلالة عليه من غير تصريح باسمه، وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود ويجعله دليلاً عليه فيدلّ على المراد من طريق أولى»^(١١).

وفرق الحموي بين الكناية والإرداف فقال عنها: «الكناية هي الإرداف بعينه عند علماء البيان، وإنما علماء البديع أفردوا الإرداف عنها، والكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو ردفه في الوجود فيومىء اليه ويجعله دليلاً عليه»^(١٢). وقال في الإرداف: «نوع الإرداف قالوا:

- (١) سورة ص ٢٣.
- (٢) العمدة ج ١ ص ٣١٢.
- (٣) دلائل الاعجاز ص ٥٢، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٦، الروض المريع ص ١١٦.
- (٤) نهاية الايجاز ص ١٠٢.
- (٥) البرهان الكاشف ص ١٠٥، التبيان ص ٣٧.
- (٦) مفتاح العلوم ص ١٨٩.
- (٧) المثل السائر ج ٢ ص ١٩٤، الجامع الكبير ص ١٥٦.
- (٨) الايضاح ص ٣١٨، التلخيص ص ٣٣٧، شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٣٧، المطول ص ٤٠٧، الاطول ج ٢ ص ١٦٩، نفحات ص ١٦١، شرح الكافية ص ٢٠١.
- (٩) تحرير التحبير ص ١٤٣، بديع القرآن ص ٥٣.
- (١٠) الطراز ج ١ ص ٣٧٣.
- (١١) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٠١.
- (١٢) خزانة الادب ص ٣٥٩.

خصم داود - عليه السلام -: «إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً ولي نعجةً واحدة»^(١). كناية بالنعجة عن المرأة. وقال امرؤ القيس:

وببيضة خدر لا يُرام خباؤها

تمتعتُ من لهُوٍ بها غير مُعجلٍ

كناية بالبيضة عن المرأة^(٢). وقال إنّ من الكناية اشتقاق الكنية لانك تكني عن الرجل بالابوة، وذكر الأضرب الثلاثة التي ذكرها المُبرّد.

وبدأ فن الكناية يأخذ طابعه العلمي بعد ذلك فقال عبد القاهر: «الكناية أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به اليه ويجعله دليلاً عليه»^(٣).

وقال الرازي: اعلم أنّ اللفظة اذا اطلقت وكان الغرض الاصلي غير معناها فلا يخلو إما أن يكون معناها مقصوداً أيضاً ليكون ذالاً على ذلك الغرض الاصلي، وإما أن لا يكون. فالأول الكناية، والثاني المجاز»^(٤).

وقال ابن الزمكاني: «هي أن تريد إثبات معنى فترك اللفظ الموضوع له وتأتي بتاليه وجوداً لتومىء به اليه وتجعله شاهداً له ودليلاً عليه»^(٥).

وقال الشكاكي: «هي تزك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور الى المتروك»^(٦).

وذكر ابن الأثير عدّة تعريفات ورَجَّحَ «أنّها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز»^(٧).

وقال القزويني: «الكناية لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ»^(٨).

وقال المصري: «هي أن يُعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالطاهر»^(٩).

الأول: أنها حقيقة قاله ابن عبد السلام وهو الظاهر لأنها استعملت فيما وضعت له وأريد بها الدلالات على غيره.

الثاني: أنها مجاز.

الثالث: أنها لا حقيقة ولا مجاز واليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي وتجويزه ذلك فيها.

الرابع: وهو اختيار الشيخ تقي الدين السبكي أنها تقسم إلى حقيقة ومجاز، فإن استعمل اللفظ في معناه مراداً من لازم المعنى أيضاً فهو حقيقة وإن لم يرد المعنى بل عبّر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله فيما وضع له^(١).

ولم يكن للكناية في مراحل التأليف الأولى تقسيم واضح، ولكن ابن الأثير قسمها في كتابه «الجامع الكبير» إلى أربعة أقسام هي: التمثيل والإرداف والمجاورة والكناية التي ليست تمثيلاً ولا إردافاً ولا مجاورة^(٢). وفي كتابه «المثل السائر» قال إن هذا التقسيم غير دقيق، وقسمها إلى لونين: ما يحسن

إنه هو والكناية شيء واحد. قلت: وإذا كان الأمر كذلك كان الواجب اختصارهما وإنما أئمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني قالوا: إن الفرق بينهما ظاهر. والإرداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه^(١).

وقال المدني: «هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر لازمه المساوي لينتقل الذهن منه إلى الملزوم المطوي ذكره»^(٢)، وقال السجلماسي: «هي اقتضاب الدلالة على ذات المعنى بما له إليه نسبة»^(٣).

ولا يخرج كلام الآخرين على الكناية عما تقدم^(٤).

واختلف البلاغيون في الكناية، هل هي حقيقة أو مجاز؟ وقد أنكر الرازي أن تكون مجازاً^(٥) وفعل مثله عز الدين بن عبد السلام الذي قال: «الظاهر أن الكناية ليست من المجاز لأنك استعملت اللفظ فيما وضع له وأردت به الدلالة على غيره ولم تخرجه عن أن يكون مستعملاً فيما وضع له»^(٦). وذهبت جماعة إلى أنها مجاز كالعلوي الذي قال: «وهكذا اسم المجاز فانه شامل لأنواعه من الاستعارة والكناية والتمثيل»^(٧) وقال السكاكي: «إنها نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد»^(٨) ولذلك أحرر بحثها عن المجاز. وعده ابن الأثير الكناية من الاستعارة وقال إن كل كناية استعارة وليست كل استعارة كناية^(٩). وذهب القزويني إلى أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز^(١٠) وعلل الدسوقي ذلك بقوله: «الكناية إخراجها بناءً على أنها واسطة لا حقيقة ولا مجاز، أما أنها ليست حقيقة فلانها - كما سبق - اللفظ المستعمل فيما وضع له. والكناية ليست كذلك وأما أنها ليست مجازاً فلأنه اشترط فيها القرينة المانعة عن إرادة الحقيقة، والكناية ليست كذلك ولهذا أخرجها من تعريف المجاز»^(١١).

ولخص السيوطي المذاهب المختلفة في الكناية وحصرها في أربعة:

- (١) خزانة ص ٣٧٦.
- (٢) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٠٩.
- (٣) المنزوع البديع ص ٢٦٥.
- (٤) المصباح ص ٧٠، الأقصى القريب ص ٧٢، جوهر الكنز ص ١٠٠، الفوائد ص ١٢٦، وغيرها من كتب البلاغة.
- (٥) نهاية الإيجاز ص ١٠٣.
- (٦) الإشارة إلى الإيجاز ص ٨٥، وينظر البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٠١.
- (٧) الطراز ج ١ ص ١٩٧.
- (٨) مفتاح العلوم ص ١٥٧.
- (٩) المثل السائر ج ٢ ص ١٩٧.
- (١٠) الإيضاح ص ٣١٨، التلخيص ص ٣٣٧.
- (١١) حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٢٦.
- (١٢) الاتقان ج ٢ ص ٤١.
- (١٣) الجامع الكبير ص ١٥٧، وما بعدها.

وهذا كناية عن الشجاعة.
والكناية البعيدة هي الانتقال الى المطلوب من لازم
بعيد بوساطة لوازم متسلسلة كقول نصيب:

لعبد العزيز على قومه
وغيرهم من ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم
ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالزائرين
من الأم بابنتها الزائرة

فانه انتقل من وصف كلبه بما ذكر أن الزائرين معارف
عنده، ومن ذلك الى اتصال مشاهدتهم ليلاً ونهاراً،
ومنها الى لزومهم بابه، ومنها الى وفور إحسانه وهو
المقصود.

ومنه قول المتنبي:

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشؤ
ق اليها والشؤق حيث التحول

الثالث: الكناية التي يطلب بها تخصيص
الصفة بالموصوف وهي الكناية عن نسبة ويُرَاد
بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه أو كما قال ابن
الزملكاني: «أن يأتوا بالمراد منسوباً الى أمر يشتمل
عليه من هي له حقيقة»^(٤). ومن هذا النوع قول
زيد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى
في قبّة ضربت على ابن الحشرج
وقول الشنفرى:

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٢٠٠.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٠، الايضاح ص ٣١٩،
التلخيص ص ٣٣٨، شروح التلخيص ج ٤
ص ٢٤٧، المطول ص ٤٠٩، الاطول ج ٢
ص ١٧١.

(٣) الابيض: السيف. المخدم: القاطع.

(٤) البرهان الكاشف ص ١٠٥، التبيان ص ٣٨.

استعماله ومالا يحسن استعماله وهو عيب في الكلام
فاحش^(١). وقسمها الشكاكي ومن سار على نهجه
كالفرويني وشراح التلخيص^(٢) الى ثلاثة أقسام:

الأول: الكناية المطلوب بها نفس الموصوف،
وهي قريبة وبعيدة، ومثال القريبة قول الشاعر كناية
عن القلب:

الضاربين بكلّ أبيض مخدم
والطاعنين مجامع الأضغان^(٣)

و«مجامع الأضغان» كناية عن القلوب.

وقول أبي العلاء:

سليل النار دقّ ورقّ حتى
كان أباه أورثه السلالا

و«سليل النار» كناية عن السيف.

وقول الآخر:

ودب لها في موطن الحلم علّة
لها كالصلال الرقش شرّ ديب

و«موطن الحلم» كناية عن الصدور.

والكناية البعيدة أن يتكلف المتكلم اختصاصها
بأن يضم الى لازم لازماً آخر وآخر حتى يلفق
مجموعاً وصفياً مانعاً من دخول كل ما عدا
مقصوده، كأن يقال في الكناية عن الانسان: «حي
مستوي القامة عريض الأظفار».

الثاني: الكناية المطلوب بها نفس الصفة، وهي
قريبة وبعيدة، فالقريبة كقول طرفة:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه

خشاش كراس الحية المتوقد

وقد كنى عن صلابة جسمه وخفة لحمه ومضي رأيه
وتوقد ذهنه وذكائه.

وقول الآخر:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا

ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقال السكاكي بعد هذه الأقسام إنه قد يظن بعضهم أنّ هناك قسمًا رابعًا وليس الأمر كذلك قال: «وقد يظن أنّ ههنا قسمًا رابعًا وهو أنّ يكون المطلوب بالكناية الوصف والتخصيص معا مثل ما يقال: «يكثر الرماد في ساحة عمّرو» في الكناية عن أنّ عمّرو مضياف فليس بذلك إذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هما كنيتان وانتقال من لازمين الى ملزومين، أحد اللازمين كثرة الرماد والثاني تقييدها وهو قولك «في ساحة عمّرو»^(١).

وهذه الأقسام الثلاثة هي مما ذكره عبد القاهر^(٢)، غير أنّه لم يُحدِّدها تحديداً دقيقاً أو يفصل الأمثلة فصلاً تاماً، وكان السكاكي ومن سار على مذهبه قد أوقفوا هذا الفن عند هذه الحدود.

(١) مفتاح العلوم ص ١٩٣.

(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٣٦ وما بعدها.

يبيت بمنجاةٍ عن اللوم بيثها
إذا ما بيوت بالملامة حلت

وقول حسان بن ثابت:

بنى المجد بيتًا فاستقرَّ عماده
علينا فأعيا الناس أن يتحوّلا

وقول الآخر:

اليمُنُ يَتَّبِعُ ظِلَّهُ
والمجدُ يمشي في ركابه

وقول أبي نواس:

فما جازه جودٌ ولا حلّ دونه
ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ

وقول المتنبي:

إنّ في ثوبك الذي المجدُ منه
لضياءٌ يُزري بكلّ ضياءٍ

اللحن

لازم فائدة الخبر:

قال: قلت للجاحظ: إني قرأتُ في فصل من كتابك المُسمَّى كتاب البيان والتبيين أن مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام واستشهدت بيبي مالك بن أسماء - يعني قوله:

وَحَدِيثُ أَلْذُهْ هُوَ مِمَّا

يَنْعَتُ النَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا

نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

قال: هو كذاك. قلت: أفما سمعت بخير هند بنت أسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحن في كلامها فعاب ذلك عليها فاحتجبت بيت أخيها فقال لها: إن أخاك أراد المرأة فطنة، فهي تلحن بالكلام الى غير المعنى في الظاهر لتستر معناه وتورّي عنه وتفهمه من أرادت بالتعريض كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ ولم يُرد الخطأ في الكلام، والخطأ لا يستحسن من أحد. فوجم الجاحظ ساعة ثم قال: لو سقط اليّ هذا الخبر لما قلت ما تقدّم. فقلت له: فأصلحه، فقال: الآن وقد سار الكتاب في الآفاق.

(١) مفتاح العلوم ص ٨٢، الايضاح ص ١٧،
التلخيص ص ٤١، شروح التلخيص ج ١
ص ١٩٦، المطول ص ٤٤، الاطول ج ١
ص ٥٥.

(٢) محمد ٣٠.

(٣) اللسان (لحن).

(٤) البيان ج ١ ص ١٤٧.

لازم فائدة الخبر هو الغرض الثاني من أغراض الخبر الأصلية، وذلك أن يكون المخبر عالماً بالحكم كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك: «زيد عندك»^(١).

اللحن:

اللحن: من الأصوات المصوغة الموضوعة وجمعه ألحان ولحون، ولحن في قراءته إذا غرّد وطرب فيها بألحان، واللحن: ترك الصواب في القراءة والنشيد، يقال: لحن يلحن لحنًا ولحنًا. ولحن: قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم. وقول مالك ابن أسماء بن خارجة الفزاري:

وَحَدِيثُ أَلْذُهْ هُوَ مِمَّا

يَنْعَتُ النَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا

مَنْطِقٌ رَائِعٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا

نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

يريد أنها تتكلم بشيء وهي تريد غيره وتعرض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها كما قال عز وجل: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٢)، أي: في فحواه ومعناه^(٣).

وكان الجاحظ قد ظن أن اللحن هو الخطأ والخروج على الإعراب^(٤)، وقد روى الخطيب البغدادي عن يحيى بن علي أنه قال: حَدَّثَنِي أَبِي

هذا لا يُصلح^(١).

أي أنّ اللحن في قول مالك بن أسماء هو التعريض عن فطنة، والى ذلك ذهب ابن وهب حين قال: «وأما اللحن فهو التعريض بالشيء من غير تصريح أو الكناية عنه بغيره»^(٢). والعرب تفعل ذلك لوجوه وتستعمله في أوقات ومواطن فمن ذلك ما استعملوه للتعظيم أو للتخفيف أو للاستحياء أو للبقيا أو للانصاف أو للاحتراس. فأما ما يستعمل من التعريض للاعظام فهو أن يريد مرید تعريف ما فوقه قبيحا إن فعله فيعرض له بذلك من فعل غيره ويقبح له ما ظهر منه فيكون قد قبّح له ما أتاه من غير أن يواجهه به، وفي ذلك يقول الشاعر:

أَلَا رَبِّ مَنْ أَطْنَبْتُ فِي ذَمِّ غَيْرِهِ
لديه على فعلٍ أتاه على عمدٍ
ليعلم عند الفكر في ذاك أنما
نصيحته فيما خطبتُ به قُصدي

وأما التعريض للتخفيف فهو أن يكون لك الى رجل حاجة فتجيئه مسلماً ولا تذكر حاجتك فيكون ذلك اقتضاءً له وتعريضاً بمرادك منه، وفي ذلك يقول الشاعر:

أروح بتسليم عليك وأعتدي
وحشيتك بالتسليم مني تقاضيا

وأما التعريض للاستحياء فالكناية عن الحاجة بالنجو والعدرة.

وأما التعريض للبقيا فمثل تعريض الله - عز وجل - بأوصاف المنافقين وإمساكه عن تسميتهم إبقاءً عليهم وتألّفاً لهم. ومثل تعريض الشعراء بالديار والمياه والجبال والاشجار بقيا على الأفهم وصيانة لأسرارهم وكتماناً لذكرهم.

وأما التعريض للانصاف فكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) وأما التعريض للاحتراس فهو ترك مواجهة السفهاء والانذال بما

يكرهون وإن كانوا لذلك مستحقين خوفاً من بوادهم وتسرعهم وإدخال ذلك عليهم بالتعريض والكلام اللين.

وأدخل ابن رَشِيق اللحنَ في باب الإشارة وقال: «ومن الإشارات اللحن وهو كلام يعرفه المُخاطَب بفحواه وإن كان على غير وجهه»^(٤). وقال: «ويُسميه الناس في وقتنا هذا «المحاجاة لدلالة الحجا عليه» وذلك نحو قول الشاعر يحذر قومه:

خَلُّوا عَلَى النَّاقَةِ الْحَمْرَاءِ أَرْحُلَكُمْ
والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا
إِنَّ الذَّنَابَ قَدْ اخْضَرَّتْ بَرَاثِنَهَا
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَكْرٌ إِذَا شَبِعُوا

أراد بالناقاة الحمراء: الدهناء، وبالجمال الأصهب: الصمان، وبالذئاب: الأعداء. فيقول: «قد اخضرت أقدامهم من المشي في الكلاً والخصب والناس كلهم اذا شبعوا طلبوا الغزو فصاروا عدواً لكم كما أن بكر بن وائل عدوكم»^(٥) وفعل مثله السجلماسي الذي عدّ اللحن من التعمية وهو من جنس الإشارة^(٦).

لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ:

هو الإعانات أو الالتزام أو التضييق أو التشديد، وقد سَمَّاه كذلك مُعْظَمُ البلاغيين^(٧)، وسَمَّاه المدني

(١) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٤، معجم الادباء ج ٦ ص ٦٥.

(٢) البرهان في وجوه البيان ص ١٣٣.

(٣) سبأ ٢٤.

(٤) العمدة ج ١ ص ٣٠٧.

(٥) العمدة ج ١ ص ٣٠٨.

(٦) المنزِع البديع ص ٢٦٨، وينظر الأغاني ج ١٧ ص ٣٢٦، أمالي المرتضى ج ١ ص ١٥، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ج ١ ص ١١٤.

(٧) الوافي ص ٢٩٥، الايضاح في شرح مقامات

الحريري ص ١٦، المثل السائر ج ١ ص ٢٦٧،

الجامع الكبير ص ٢٦٦، التبيان ص ١٧٢، =

الالتزام وأشار الى الأسماء الأخرى^(١).

اللُّغز:

ألغز الكلام وألغز فيه: عَمِّي مراده وأضمره على خلاف ما أظهره، واللُّغز: ما ألغز من كلام فشبهه معناه، واللُّغز: الكلام المُلبَّس^(٦).

وقد عَقَدَ الجاحظ بابًا في «اللُّغز في الجواب»^(٧) وذكر عدة أخبار منها: «قالوا: كان الحطيئة يَزَعِي غنما له وفي يده عصا فَمَرَّ به رجل فقال: يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: عجراؤ من سَلَم. يَغْنِي عِصَاه. قال: إني ضيف، فقال الحطيئة: «للضيفان أعددتها».

وذكر بعض أشعار اللُّغز من ذلك أكل أولاد العقرب بطن أمهم كما في قول بعضهم:

وحاملة لا يَكْمُلُ الدهر حَمْلُهَا

تموت ويبقى حَمْلُهَا حين تعطب

وقال ابن وهب: «وأما اللُّغز فأنه من ألغز اليربوع ولغز اذا حفر لنفسه مستقيمًا ثم أخذ يمنة ويسرة ليخبي بذلك على طالبه. وهو قول استعمل فيه اللفظ المتشابه طلبًا للمعاينة والمحاجة. والقائدة في ذلك في العلوم الدنيوية رياضة الفكر في تصحيح المعاني وإخراجها من المناقضة والفساد إلى معنى الصواب والحق وقدر

=الاقصى القريب ص ١١٦، الايضاح ص ٣٩٩،
التلخيص ص ٤٠٦، شروح التلخيص ج ٤
ص ٤٦٣، المطول ص ٤٥٨، الاطول ج ٢
ص ٢٣٧، الطراز ج ٢ ص ٣٩٧، الفوائد
ص ٢٣٤، معترك ج ١ ص ٥١، الاتقان ج ٢
ص ١٠٤، شرح عقود الجمان ص ١٥٥،
نفحات ص ٣١٦.

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ٩٣.

(٢) اللسان (لطف).

(٣) قواعد الشعر ص ٤٣.

(٤) المرخ: الزند. العشر: الزندة، فالزند قائم والزندة مسطوحة على الارض.

(٥) قواعد الشعر ص ٤٤.

(٦) اللسان (لغز).

(٧) البيان ج ٢ ص ١٤٧.

لَطَافَةُ الْمَعْنَى:

لَطَفَ به وله يَلُطِفُ لُطْفًا، اذا رَفَقَ به، ولطف به لُطْفًا ولطافة وألطفه وألطفته: اتحفته، وألطفه بكذا أي: بَرَّه به، واللطفيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي^(٢).

قال ثعلب: «لطافة المعنى هو الدلالة بالتعريض على التصريح»^(٣) كقول امرئ القيس:

أَمْزُخْ حَيَاثُهُمْ أَمْ عُشْرُ

أَمْ الْقَلْبُ فِي إِثْرِهِمْ مَنْحَدِرٌ^(٤)

أي هل هم مقيمون كعود المرخ أو قد حَطَّوْا للرحلة كانسطاح العشر أو قد ارتحلوا فالقلب في إثرهم منحدر.

وقال ثعلب: «ومن لطف المعنى كل ما يدلُّ على الايماء الذي يقوم مقام التصريح لمن يُحسن فهمه واستنباطه»^(٥) كقول امرئ القيس:

وخليلٍ قد أقارقه

ثم لا أبكي على أثره

وقول مهلهل بن ابي ربيعة:

يُيَكِّي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ

لنحن أغلظُ أكبادًا من الإبل

وقول جرير:

وإني لا ستحيي أخي أن أرى له

علي من الفضل الذي لا يرى ليا

وقول عُزْوَةَ بن الورد:

أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ

وأحسو قُراخِ المَاءِ والماءِ بارِدُ

وقول نُصَيْبِ فِي سَلِيمَانَ بن عبد الملك:

فعاجوا فأنثوا بالذي أنت أهله

ولو سَكَّتُوا أَثْنَتْ عَلَيْهِ الْحَقَائِبُ

وقال المدني: «الإلغاز مصدر ألغز الكلام وفيه أتيت به مشتبهها، قال ابن فارس: اللغز: ميلك بالشيء عن وجهه. وفي الاصطلاح: أن يأتي المتكلم بكلام يعمي به المقصود بحيث يخفى على السامع فلا يدركه إلا بفضل تأمل ومزيد نظر»^(٧).

اللَّفَّ والنَّشْر:

هو الطِّي والنَّشْر^(٨)، وقد تقدّم.

اللَّمْحَة:

لمح اليه يَلْمَح لمحًا وألمح: اختلس النظر، وقال بعضهم: لمح: نظر، واللمحة: النظرة العجلة^(٩).

(١) البرهان في وجوه البيان ص ١٤٧.

(٢) اسرار البلاغة ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٣) العمدة ج ١ ص ٣٠٧.

(٤) البقرة ٢٦٠.

(٥) نصره الثائر ص ٣٤٧، وينظر المثل السائر ج ٢ ص ٢٢٤.

(٦) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٢، الروض المريع ص ١٢٢، التبيان في البيان ص ٢٤٦.

(٧) أنوار الربيع ج ٦ ص ٤٠.

(٨) الكامل ج ١ ص ١١٢، ج ٢ ص ٧٤٠ - ٧٤١، المنصف ج ٢ ص ١١٧، سر الفصاحة ص ٢٢٥، نهاية الايجاز ص ١١٢، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٠، مفتاح العلوم ص ٢٠٠، المصباح ص ١١٢، حسن التوسل ص ٢٤٥، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٩، الايضاح ص ٣٥٥، التلخيص ص ٣٦١، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢٩، المطول ص ٤٢٦، الاطول ج ٢ ص ١٩٦، الطراز ج ٢ ص ٤٠٤، معترك ج ١ ص ٤٠٨، الاتقان ج ٢ ص ٩٣، شرح عقود الجمال ص ١١٨، أنوار الربيع ج ١ ص ٣٤١، التبيان ص ١٧٧، البرهان الكاشف ص ٣١٣، الروض المريع ص ١٠٨، نفحات الأزهار ص ٥٠، التبيان في البيان ص ٣٢٩، شرح الكافية ص ٧٦.

(٩) اللسان (لمح).

الفطنة في ذلك واستنجد الرأي في استخراجها»^(١). وذلك مثل قول الشاعر:

رُبَّ ثَوْرٍ رَأَيْتُ فِي جُحْرِ نَمْلِ

وَنَهَارٍ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءٍ

فالثور ههنا القطعة من الأقط، والنهار فرخ الحبارى، فاذا استخراج هذا صح المعنى وإذا حمل على ظاهر لفظه كان محالاً.

وأدخل فيه الاسماء المشتركة مثل المجنون الذي به الخبل والمجنون الذي جنة الليل، والنبيد الذي يشرب والنبيد الصبي المنبوذ، والعلوي المرتفع والعلوي الفرس الشديد، والجرح المصدر من الجراح والجرح الكسب. ومثل ذلك كثير وقد جمعه أهل اللغة، وممن جوزّه وجمع أكثره ابن دريد في كتاب «الملاحن»، وقد ذكر عبد القاهر بعض تلك الملاحن^(٢).

وأدخل ابن رشيق اللغز في باب الإشارة وقال: «ومن أخفى الاشارات وأبعدها اللغز وهو أن يكون للكلام ظاهر عجيب لا يمكن وباطن ممكن عجيب»^(٣) كقول أبي المقدم:

وغلّام رأيتُهُ صارَ كَلْبًا

ثم من بعد ذلك صار غزالاً

فقوله: «صار» بمعنى عطف وما أشبهه، ومستقبله يَصُورُ، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾^(٤). وقال الصفدي: «اللغز هو أن تذكر شيئاً بصفات يشاركه فيها غيره فيرجع الذهن في ذلك الى حيرة لا يدري مصرفها الى أي متصف منهما بتلك الصفات لكونها تصدق من جهة وتكذب من أخرى. واشتقاقه من «اللغزى» وهي حفر يحفرها اليربوع تحت الارض ويجعلها متشعبة يمنة ويسرة ليخفي أمره على مَنْ يقصده فاذا طلبه في واحد منها خرج من آخر»^(٥).

وقال السبكي: «اللغز ويسمى الأحجية والمعنى وهو قريب من التورية وأمثله لا تكاد تنحصر، وفيه مصنفات للناس»^(٦).

وكذلك قول حسان ويكون ايضاً تبيعا:
 أولاد جفنة حوّل قَبْرِ أبيهم
 قَبْرِ ابنِ ماريةِ الكَرِيمِ المُفْضَلِ
 يريد أنهم ملوك ذوو حاضرة ومستقر عز، ليسوا
 أصحاب رحلة وانتجاع»^(٢).

(١) نقد الشعر ص ١٧٤.

(٢) العمدة ج ١ ص ٣٠٦.

وقد ذكر البلاغيون المتقدمون أنَّ البلاغة هي
 اللمحة الدالة^(١)، وَعَدَّ ابن رَشِيْق اللمحة من باب
 الإشارة، قال: «ومن الإشارات اللمحة كقول أبي
 نواس يصف يوماً مطيراً:

وَشَمْسُهُ حُرَّةٌ مُخَدَّرَةٌ

ليس لها في سماءها نُورٌ

فقوله: «حرة» يدل على ما أراد في باقي البيت إذ كان
 من شأن الحرة الحَفَر والحياء ولذلك جعلها مخدرة...

الميم

المؤاخاة:

من الائتلاف، وهو أن تكون معاني الالفاظ متناسبة»^(٥)
كقول ذي الرمة:

لمياء في شفيتها حوة لعس
وفي الثنايا وفي أنيابها شنب^(٦)
احترازًا عن مثل قول الكميت:

وقد رأيتُ بها حوذاً مُنعمَةً
بيضاً تكامل فيها الدل والشنب
فذكر «الشنب» مع «الدل» غير مناسب.
وقبح قول أبي تمام:

مشفقات سلبن العُرب سُمرتها
والروم زرقتها والعاشق القُصفا
وكان ينبغي أن يقول: «والعشاق قصفها» لكن منعه
الوزن والقافية.

المؤاخاة اللَّفْظِيَّة:

قَسَمُوا المؤاخاة الى مؤاخاة في الالفاظ ومؤاخاة

- (١) اللسان (أخا).
- (٢) خزانة الادب ص ١٣١.
- (٣) أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٩.
- (٤) الفوائد ص ٩٣.
- (٥) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١.
- (٦) اللمي: السمرة في الشفة تضرب الى الخضرة.
الحوة: حمرة في الشفة تضرب الى السواد.
الشنب: برودة وعذوبة في الفم ورقة في
الاسنان.

أخى الرَّجل مؤاخاة وإخاء، وفي الحديث أن النبي
ﷺ - أخى بين المهاجرين والأنصار، أي: ألف بينهم
بأخوة الاسلام والايمان. وقال الليث: الاخاء:
المؤاخاة والتأخي، والأخوة: قرابة الأخ والتأخي:
اتخاذ الاخوان^(١).

المؤاخاة هي الائتلاف أو التلفيق أو التناوب أو
مُراعاة النظر، و «مراعاة النظر هو أن يجمع الناظم
أو الناثر أمرًا وما يناسبه لا مع ذكر التضاد لتخرج
المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظًا لمعنى أو لفظًا
للفظ أو معنى لمعنى؛ إذ القصد جمع شيء الى ما
يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه»^(٢).
وقال المدني بعد تعريف مراعاة النظر: «ولا يخفى
أن هذا التفسير يدخل فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى،
وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف المعنى مع المعنى،
وكل من هذه الأقسام عدّه أرباب البديعيات نوعًا
برأسه ونظموا له شاهدًا مُستقلًا وجعلوه مغايرًا لهذا
النوع»^(٣). وَسَمَّاه ابن قيم الجوزية «المؤاخاة وقال:
«وهي على قسمين:

الأول: المؤاخاة في المعاني.

والثاني: المؤاخاة في الالفاظ.

ويكون للكلام بها رونق لأن النفس يعرض لها عند
الشعور شيء يطلع الى مناسبة فلا يرد إلا بعد تشوّف،
ولا كذلك المباين، فلذلك يقبح ذكر الشيء مع مباينه
في المعنى المذكور»^(٤). وقال السبكي: «هو أخصُّ

نافعًا بغناه إلا إذا كان جوادًا به منعما على غيره فانه
يَحْمَدُهُ المنعم عليه فذكر ﴿الغني﴾ ليدل به على كونه
غير مفتقر إليها وذكر ﴿الحميد﴾ لما كان جوادًا على
خلقه فلا جرم استحق الحمد من جهتهم.

ومن المؤاخاة المعنوية قول ذي الرمة:

لمياء في شفتيها حوّة لعس

وفي الثنايا وفي أنيابها شنب^(٧)

فقد ناسب بين «في شفتيها حوة» و «في الثنايا شنب».

ومثال مالا تناسب فيه قول الكميت:

وقد رأيت بها حوّدًا منعمة

بيضا تكامل فيها الدل والشنب

ولا تناسب بين «الدل» و «الشنب»^(٨).

المؤتلفة والمختلفة:

قال الحلبي والثوري: «هو أن يريد الشاعر التسوية
بين ممدوحين فيأتي بمعانٍ مؤتلفة في مدحهما ويروم
بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة لا ينقص
بها مدح الآخر فيأتي لأجل الترجيح بمعانٍ تخالف
التسوية»^(٩). ومنه قول الخنساء في أخيها صخر وقد
أرادت مساواته بأبيه مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل
لا ينقص بها قدر الولد:

جارى أباه فأقبلا وهما

يتعاوران مُلاءة الحُضِر

(١) الطراز ج ٢ ص ٣٨٨، الفوائد ص ٩٣.

(٢) النحل ١٠٨.

(٣) فصلت ٢٠.

(٤) البقرة ٧.

(٥) الحج ٦٣.

(٦) الحج ٦٤.

(٧) تقدم شرح المفردات في الصفحة السابقة.

(٨) الطراز ج ٢ ص ٣٩٠، الفوائد ص ٩٣.

(٩) حسن التوسل ص ٢٨٠، نهاية الارب ج ٧

ص ١٥١.

في المعاني وطلبوا أن يحسن مراعاة المؤاخاة اللفظية
كالإفراد والتثنية والجمع وغير ذلك من الأحكام
اللفظية، فاذا كان الأول مفردًا استحب في مقابله أن
يكون مفردًا مثله، وهكذا إذا كان مجموعًا، ومن ثم
عيب على أبي تمام قوله في وصف الرماح:

مثقفات سلبن العرب سمرتها

والروم زرقتها والعاشق القصفا

وعيب على أبي نواس قوله في وصف الخمر:

صفراء مَجْدُها مرازبُها

جَلَّتْ عن النظراءِ والمثل

لأنه جمع ثم أفرد في معنى، وكان الأحسن أن يقول:
«والامثال» ليطابق «النظراء»، أو «النظير» ليطابق
«المثل»^(١).

ومن جميل المؤاخاة اللفظية قوله تعالى: ﴿طَبَعَ
اللَّهُ على قلوبهم وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾^(٢)، وقوله:
﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَجَلَّدَهُمْ﴾^(٣)
وقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ على قلوبهم وعلى سَمْعِهِمْ وعلى
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾^(٤).

المؤاخاة المعنوية:

تأتي المؤاخاة المعنوية مطابقة على ما سبق من
الكلام، ومنها كثير في فواصل القرآن الكريم، ومن
ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(٥) فصل
الآية بقوله: ﴿لطيف خبير﴾ لما فيه من المطابقة
لمعناها لأنه ضمنها ذكر الرحمة للمخلوق بانزال الغيث
لما فيه من المعاش لهم ولانعامهم فكان لطيفًا بهم
خبيرًا بمقادير مصالحهم. ومنه قوله تعالى: ﴿له ما
في السماوات وما في الأرض وإنَّ اللَّهَ لهو الغنيُّ
الحميد﴾^(٦) وقد فصلها بقوله: ﴿الغني الحميد﴾
ليطابق ما أودعه فيها لأنه لما ذكر أنه مالك لما في
السماوات والأرض لا حاجة قابله بقوله: ﴿لهو
الغني﴾ أي: عن كل شيء؛ لأن كل غني لا يكون

وهما وَقَدْ برزا كأنهما
صقرانِ قَدْ حَطَّتا الى وَكْرٍ

حتى إذا نَزَتِ القلوبُ وقد
لُزَّتْ هناك العُذْرُ بالعُذْرِ

وعلا هُتَافُ الناسِ أيُّهما
قال المجيبُ هناك: لا أَذْرِي

بَرَقَتْ صَحيفَةٌ وجهِ والدهِ
ومضى على غُلُوَّائه يَجْرِي

أولى فأولى أن يساويه
لولا جلالُ السنِّ والكِبَرِ^(١)

وأول من سبق الى هذا المعنى زهير بقوله:

هو الجواد فان يَلْحَقُ بشأوهما
على تكاليفه فمثله لِحِقًا

أو يَشْبِقاه على ما كان من مَهَلٍ
فمثل ما قَدَّما من صالح سبقا

وهذا النوع سَمَّاه المصري باب جمع المختلفة
والمؤتلفة^(٢)، وقد تقدَّم.

ما لا يَسْتَحِيلُ بِالانْعِكَاسِ:

هذا النوع هو الذي سَمَّاه السَّكَّاكي «مقلوب

الكُلِّ»^(٣) وَسَمَّاه غيره «المقلوب المستوي» وَسَمَّاه

الحريري «مالا يستحيل بالانعكاس» وقال: «هو أن

يكون الكلام بحيث إذا قلبته أي ابتدأت به من حرفه

الأخير الى حرفه الأوَّل كان إياه، وهو يقع في النثر وقد

يقع في النظم». ونقل المدني هذه التسمية

والتعريف^(٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾^(٥) وقوله:

﴿رَبِّكَ فَكْبَرُ﴾^(٦).

وقول الارجاني:

مَوَدَّتْهُ تَدوْمٌ لِكُلِّ هَوْلِ

وَهَلْ كُتِبَ مَوَدَّتِيهِ تَدوْمٌ

وقول الآخر:

أَرَاهُنَّ نَادَمْنَهُ لَيْلَ لَهْوٍ

وهل ليلهنِ مدانِ نهارا

وقول الآخر:

عُجَّ تَنَمَّ قَرَبِكَ دَعْدَ آمِنًا

إِنَّمَا دَعْدَ كَبْرُقٍ مَنْتَجِعِ

وقول الحريري:

أَسْسُ أَرْمَلًا إِذَا عَرَا

وَارِعَ إِذَا المَرءُ أَسَا

ما يُقْرَأُ مِنَ الجِهَتَيْنِ:

أفرد له ابن قَيِّم الجَوْزِيَّةَ قِسْمًا وَمَثَلٌ له بقوله تعالى:

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾^(٧) وقوله: ﴿رَبِّكَ فَكْبَرُ﴾^(٨)، وهذا

من أنواع القلب وقد سَمَّاه السَّكَّاكي «مقلوب

الكل»^(٩) وَسَمَّاه الحريري والمدني «مالا يستحيل

بالانعكاس»^(١٠) وقد تقدَّم. قال ابن قيم الجوزية:

«وأرباب علم البيان يُسَمُّون هذا النوع العكس

والتقليب، وهو أربعة أنواع: قلب البعض، ومقلوب

الكل، والمُجَنَّح، والمستوي»^(١١).

ما يُؤْهِمُ فَسَادًا وَلَيْسَ بِفَسَادٍ:

قال ابن قيم الجوزية: «هو أن يَقْرُنَ الناظم أو الناثر

(١) الملاءة: الثوب الرقيق. الحضر: الارتفاع في

العدو. العذر: جمع عذار. صحيفة الوجه: بشرة

جلده.

(٢) تحرير التحبير ص ٣٤٤، بديع القرآن ص ١٢٧.

(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٣.

(٤) أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٨٨، نفحات ص ٢٥٠.

(٥) الانبياء ٣٣.

(٦) المدثر ٣.

(٧) الانبياء ٣٣.

(٨) المدثر ٣.

(٩) مفتاح العلوم ص ٢٠٣.

(١٠) انوار الربيع ج ٥ ص ٢٨٨.

(١١) الفوائد ص ٢٣٨.

يريدون المبالغة في وصف المصيبة به وأنها قد شملت وعمت وليس ذاك بكذب لأنهم جميعاً متواطئون عليه والسامع له يعرف مذهب القائل فيه، وهكذا يفعلون في كل ما أرادوا أن يعظموه ويستقصوا صنعته ونيتهم في قولهم: أظلمت الشمس أي: كادت تظلم، وكسف القمر أي: كاد يكسف، ومعنى «كاد» هم أن يفعل ولم يفعل^(١٢). وقال: «وكان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفن وينسبها إلى الإفراط وتجاوز المقدار وما أرى ذلك إلا جائزاً حسناً»^(١٣). وقال بعد أن ذكر أمثلة: «وهذا كله المبالغة في الوصف وينوون في جميعه: «يكاد يفعل» وكلهم يعلم المراد به»^(١٤).

وأدخل قدامة هذا النوع في نعوت المعاني وقال: «هي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له»^(١٥). وقد ذكر المصري والحموي^(١٦) أن قدامة هو الذي سَمَّاهَا «المبالغة» وسار النقاد والبلاغيون على تسميته لأنها أخف

كلاماً بما ليس يناسبه أو يُقدَّم التشبيه على ذكر المُشَبَّه. ومنه في القرآن كثير، وكذلك في أشعار العرب»^(١). ومنه قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾^(٢) قرنهما بقوله: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾^(٣) واتبعها بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾^(٤) فليس قبلها وبعدها ما يناسبها. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٥) الذي يقتضيه المعنى المناسب ظاهراً أن يقول: إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَظْمَأُ وَأَنْتَ لَا تَعْرَى فِيهَا وَلَا تَصْحَى.

وأدخل ابن قيم الجوزية في هذا النوع ما سَمَّاه ابن منقذ «فساداً»^(٦) وذكر أمثله وقد تقدم.

المَبَادِي والمَطَالِع:

وهذا النوع هو ما سمي «حسن الابتداء» أو «حسن الافتتاح»، وكان البلاغيون والنقاد قد اوصوا أن تكون الابتداءات حَسَنَةً دالة على ما يُؤتى به ومرتبطة به، وقد تقدم ذلك.

وقد سَمَّاهَا «المبادي» العسكري وابن منقذ والقرطاجني^(٧)، وسماها العلوي «المبادي والافتتاحات»^(٨).

المُبَالِغَةُ:

بالغ فلان في أمري: إذا لم يقصر فيه^(٩).

وقد تحدّث ابن المعتز في بديعه عن «الإفراط في الصفة» وهو أحد محاسن الكلام والشعر^(١٠)، وكان ابن قتيبة قد تحدث قبله عن المبالغة في الاستعارة وقال بعد قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾^(١١) «تقول العرب إذا أرادت تعظيم مهلك رجل عظيم الشأن رفيع المكان عامّ النفع كثير الصنائع: أظلمت الشمس له وكسف القمر لفقده وبكته الريح والبرق والسماء والارض.

(١) الفوائد ص ١٧٥.

(٢) البقرة ٢٣٨.

(٣) البقرة ٢٣٧.

(٤) البقرة ٢٤٠.

(٥) طه ١١٨ - ١١٩.

(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٤٧.

(٧) كتاب الصنائع ص ٤٣١، البديع في نقد الشعر

ص ٢٨٥، منهاج البلغاء ص ٢٠٩.

(٨) الطراز ج ٢ ص ٢٦٦.

(٩) اللسان (بلغ).

(١٠) البديع ص ٦٥.

(١١) الدخان ٢٩.

(١٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٢٧.

(١٣) تأويل مشكل القرآن ص ١٣١.

(١٤) تأويل مشكل القرآن ص ١٣٦.

(١٥) نقد الشعر ص ١٦٠، جواهر الالفاظ ص ٦.

(١٦) تحرير التعبير ص ١٤٧، خزانة الادب ص ٢٢٥.

وأعرف من مصطلح ابن المعتز ولكن هذا ليس دقيقاً لأن ابن قتيبة سبق الى مصطلحي «المبالغة» و «الإفراط» كما تقدّم.

وسمى الحلبي والثويري هذا النوع: المبالغة والتبليغ والإفراط في الصفة^(١) وقال ابن وهب: وأما المبالغة فإن من شأن العرب أن تبالغ في الوصف والذم كما من شأنها أن تختصر وتوجز وذلك لتوسعها في الكلام واقتدارها عليه، ولكل من ذلك موضع يستعمل فيه^(٢) وقسمها الى مبالغة في اللفظ وهي التي تجري مجرى التأكيد مثل: «هذا هو الحق بعينه»، وقول الحطيئة:

أَلَا حَبَّذا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ

وهِنْدٌ أَتى من دُونِها النَّأى والبُعْدُ

ومبالغة في المعنى، وهي إخراج الشيء على أبلغ غايات معانيه كقوله عز وجل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٣) فبالغ الله في تقبيح قولهم وإخراجه على غاية الذم.

ومنه قول زهير:

وفيهن مَلهى لِلطيفِ وَمَنْظَرٌ

أَنِيقٌ لَعِينِ النَّاظِرِ المَتوسِّمِ

وقال الرّماني: «المبالغة هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الابانة»^(٤) وهي على وجوه منها: المبالغة في الصفة المعدولة الجارية بمعنى المبالغة وذلك على أبنية كثيرة منها: «فَعْلان» و «فَعّال» و «فَعول» و «مِفْعَل» و «مِفْعَال» وذلك مثل، «رحمان» و «غفار» و «شكور» و «مطعن» و «منحار».

والمبالغة بالصيغة العامة في مواضع الخاصة كقوله تعالى: ﴿خالقُ كُلِّ شيءٍ﴾^(٥).

وإخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة كقوله تعالى: ﴿وجاء رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٦).

وإخراج الممكن الى الممتنع للمبالغة كقوله تعالى: ﴿ولا يدخُلون الجنةَ حتّى يَلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ﴾^(٧).

وإخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج كقوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لَعلى هُدَى أو في ضلال مُبين﴾^(٨).

وحذف الأجوبة للمبالغة كقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وَقَفوا على النارِ﴾^(٩).

ونقل الباقلائي تعريف الرّماني والوجوه السابقة^(١٠)، ولكنه قرنها قبل ذلك بالغلو وقال: «والمبالغة تأكيد معاني القول»^(١١). وقال السّجلماسي: «المبالغة هي تأكيد معاني القول»^(١٢).

وللبلاغيين والنقاد ثلاثة مذاهب في المبالغة:

الأوّل: أنّها غير معدودة من محاسن الكلام ولا من جملة فضائله، وحجتهم على هذا هي: أنّ خير الكلام ما خرج مخرج الحق من غير افراط ولا تفريط، أو كما عبّر عنه حسان بن ثابت بقوله:

وإنّما الشِعْرُ عَقْلُ المرءِ يَعْرضُهُ

على الأنام فان كَيْسًا وإنّ حُمُقا

(١) حسن التوسل ص ٢٣٤، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٤.

(٢) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٣.

(٣) المائدة ٦٤.

(٤) النكت في إعجاز القرآن ص ٩٦.

(٥) الانعام ١٠٢.

(٦) الفجر ٢٢.

(٧) الأعراف ٤٠.

(٨) سبأ ٢٤.

(٩) الأنعام ٢٧.

(١٠) إعجاز القرآن ص ٤١٤.

(١١) إعجاز القرآن ص ١٣٧.

(١٢) المنزح البديع ص ٢٧١.

وإنَّ أشعَرَ بَيْتِ أَنْتَ قَائِلُهُ

بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

قال الحموي: «وعند أهل هذا المذهب أنَّ المبالغة لم تسفر عن غير التهويل على السامع ولم يفر الناظم الى التخميم عليها إلا لعجزه وقصور همته عن اختراع المعاني المبتكرة لأنها في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر إذا أعيأه إيراد المعاني الغريبة فيشغل الأسماع بما هو محال وتهويل»^(١).

الثاني: أنها من أجل المقاصد في الفصاحة وأعظمها في البراعة وحجتهم على ذلك «إنَّ خير الشعر أكذبه» و «أفضل الكلام ما بولغ فيه».

الثالث: أنها فن من فنون الكلام ونوع من محاسنه ومتى كانت جارية على جهة الغلو والإغراق فهي مذمومة. قال ابن رَشِيْق: «فأما الغلو فهو الذي ينكر المبالغة من سائر أنواعها ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه، ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة الى كثير من محاسن الكلام»^(٢) وقال ابن مالك: «ولو كانت معيبة لما أتت في القرآن الكريم على وجوه شتى ولبطلت الاستعارة والتشبيه وكثير من محاسن الكلام»^(٣). وقال العلوي: «أمَّا من عاب المبالغة فقد أخطأ فإنَّ المبالغة فضيلة عظيمة لا يمكن دفعها وإنكارها، ولولا أنها في أعلى مراتب علم البيان لما جاء القرآن مُلاحِظًا لها في أكثر أحواله، وجاءت فيه على وجوه مُختلفة لا يمكن حصرها فقد أخطأ من عابها على الإطلاق. وأمَّا من استجادهها على الاطلاق فغير مصيب على الاطلاق أيضًا لأنَّ منها ما يخرج عن الحد فيعظم فيه الغلو والاغراق فيكون مذمومًا كما سيحكي عن أقوام أغرقوا فيها وتجاوزوا الحد بحيث لا يمكن تصوُّر ما قالوه على حال قرب ولا بعد لكن خير الأمور أوساطها فما كان من الكلام جاريًا على حدِّ الاستقامة من غير إفراط ولا تفريط فهو الحسن لامرأ فيه فيكون فيه نوع من المبالغة من غير خروج ولا تجاوز حد»^(٤).

وسار على هذا المذهب معظم البلاغيين والنقاد، فقال الحموي في تعريفها إنها «إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة»^(٥).

ويَتَّصِلُ بالمُبالِغَةِ الإغراق والغلو وقد تقدَّما، وَعَدَّ ابن رَشِيْق الإيغال ضَرْبًا من المُبالِغَةِ^(٦) إلاَّ أنَّه في القوافي خاصة وهذا الفن مما فرَّعه قُدَّامة الذي بحث الغلو منفصلاً عنها^(٧) وفعل مثله التبريزي والبغدادي وابن مالك والصنعاني^(٨) وذكرها ابن الأثير الحلبي في باب واحد غير أنه شرح كل قسم وقال: «هي تسميات متقاربة وردت في باب واحد لقرب بعضها من بعض»^(٩). وقال ابن منقذ: «إنَّ المعنى إذا زاد عن التمام سُمِّي مبالغة، وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم فسَمَّاه قوم الافراط والغلو والايغال وبعضه أرفع من بعض»^(١٠).

ولا يَخْرُجُ تقسيم المتأخرين كالقزويني وشُرَّاح التلخيص عما تقدَّم فهي تبليغ وإغراق وغلو، ولكنَّ أصحاب البديعيات عدُّوا كلَّ لون من هذه الألوان الثلاثة فنا قائمًا بذاته قال الحموي: «وهذا النوع - أعني المُبالِغَةَ - شَرَكُهُ قوم مع الإغراق والغلو لعدم معرفة الفرق وهو مثل الصبح ظاهر»^(١١).

ولو رجعنا الى التعريفات لوجدناها مُتقاربة، ولذلك جمعها القزويني في فصل واحد كما فعل

- (١) خزانة ص ٢٢٥.
- (٢) العمدة ج ٢ ص ٥٥، قراضة الذهب ص ٢٠.
- (٣) المصباح ص ١٠١.
- (٤) الطراز ج ٣ ص ١١٩.
- (٥) خزانة ص ٢٢٥.
- (٦) العمدة ج ٢ ص ٥٧.
- (٧) نقد الشعر ص ٦١.
- (٨) الوافي ص ٢٦٨، قانون البلاغة ص ٤٤١، المصباح ص ١٠٠، الرسالة العسجدية ص ١٥٣.
- (٩) جواهر الكنز ص ١٣٥.
- (١٠) البديع في نقد الشعر ص ١٠٤.
- (١١) خزانة ص ٢٢٥.

ابن الأثير الحلبي وابن قَيِّم الجَوْزِيَّة^(١).

وللمُبَالَغَة طرق وأنواع ذكرها البلاغيون^(٢) ولكنها لا تَخْرُج كثيرًا على ما ذكره الرمانى ومن جاء بعده.

المَبْدَأُ:

هو الابتداء أو حسن الابتداء أو حسن الافتتاح^(٣)، وقد تَقَدَّمَ.

المَبْسُوطُ:

البَسْطُ: نقيض القبض، بسطه يَبْسُطُه بسطًا فانبسط وبسَّطه فتبسط^(٤).

المبسوط هو الكلام المَطْوُول، وقد قال الجاحظ بعد قول الشاعر:

يَزْمُونُ بِالْحُطْبِ الطَّوَالِ وتارةً

وَحَيِّ المَلَا حِظَّ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ

«فذكر المبسوط في موضعه والمحذوف في موضعه والموجز والكناية والوحي باللحظ ودلالة الإشارة»^(٥). ويؤتى بالمبسوط إذا اقتضاه المقام.

المُتَابَعَةُ:

تَبَعَ الشَّيْءُ تَبَعًا وَتَبَاعًا فِي الْأَفْعَالِ وَتَبَعَتِ الشَّيْءُ تَبَوُّعًا: سرت في أثره. وتابع بين الأمور مُتَابَعَةٌ وَتَبَاعًا: وَاثَرُ وَوَالِي، وتابعته على كذا متابعة وَتَبَاعًا، وتتابعت الأشياء: تبع بعضها بعضًا^(٦).

قال الْمُظَفَّرُ العُلُوي: «المُتَابَعَةُ فِي الكَلَامِ المَشْهُورِ والشعر المظوم أن يأتي المُتَكَلِّمُ بالمعاني التي لا يجوز تقديم بعضها على بعض لأنَّ المعاني فيها متتالية فالأوَّل يتلوه الثاني، والثاني يعقبه الثالث الى أن ينتهي المُتَكَلِّمُ الى غاية مراده. ولا يجوز تقديم الثاني على الأوَّل ولا الثالث على الثاني»^(٧). كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾^(٨).

ومنه قول زهير:

يُوَخِّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرُ

لِيَوْمِ حِسَابٍ أَوْ يَعَجَّلُ فَيَنْقِمُ

وقال السَّبْكي: «هي إثبات الأوصاف في اللفظ

على ترتيب وقوعها»^(٩).

وقال الشَّيْطِيُّ: «الترتيب والمتابعة، وهو من

مستخرجات التيفاشي وهو أن يرتب أوصاف

الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل

فيها وصفًا زائدًا»^(١٠).

المُتَجَانِسُ:

وهو الجناس والمُجَانَسَةُ وما يتَّصَلُ بِهَا^(١١).

المُتَحَرِّيُّ:

حَرَى الشَّيْءُ يَحْرِي حَرْيًّا: نقص، والحَرْيُّ:

النقصان بعد الزيادة، والحَرْيُّ: الخلق، وما أحرأه:

مثل ما أحجأه، وأحْرَبَه: مثل أحج به، ومن أحر به

اشتق التحري في الأشياء ونحوها وهو طلب ما هو

(١) الايضاح ص ٣٦٥، التلخيص ص ٣٧٠.

(٢) تحرير التحبير ص ١٥٠، الطراز ج ٣ ص ١٢١،

١٢٥، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٥١،

معتك ج ١ ص ٤١٢، الاتقان ج ٢ ص ١٩٤،

معاهد التنصيص ج ٣ ص ٢٤، الروض المريع

ص ٩٧، ١١١، ١٥٣، ١٦٣، كفاية الطالب

ص ١٩٧، نفحات ص ٢٤٦، شرح الكافية

ص ١٥٠.

(٣) العمدة ج ١ ص ٢١٧.

(٤) اللسان (بسط).

(٥) البيان ج ١ ص ٤٤.

(٦) اللسان (تبع).

(٧) نضرة الاغريض ص ١٨٣.

(٨) غافر ٦٧.

(٩) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٢.

(١٠) شرح عقود الجمان ص ١٣٤.

(١١) قانون البلاغة ص ٤٠٩.

فاذا نطق الذال في كلمة «المكذّب» بالكسر كان البيت مدحًا للرسول - صلى الله عليه وسلم - واذا قرئت بالفتح انقلب المعنى الى الكفر.

وقال الرازي: «هو أن تدرج في الكلام لفظة لو غيّر إعرابها لانتقل المعنى الى ضدها»^(٥). مثل: «وَلَدَ اللَّهُ عيسى من العذراء البتول» - بالتشديد - وهو حق في الاسلام ولو ذكر بالتخفيف صار كفرًا.

وسمّاه ابن قيم الجوزية «المُزَلَّزَل» وقال: «هو أن يكون في الكلام لفظة لو غيّر وضعها أو إعرابها تغيّر المعنى»^(٦). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٧) لو ضمت التاء لتغير المعنى. وقوله: ﴿وَيَلِّ يَوْمئذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٨) لو فتحت الذال لتغير المعنى. وقوله: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾^(٩) لو فتحت الباء في ﴿رَبُّهُ﴾ لصار كفرًا. وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١٠) لو غيّر اعراب ﴿العلماء﴾ لاختل المعنى.

المُتَشَابِه:

هو التجنيس المتشابه. وسمّاه المدني «الجناس المقرون»^(١١) وقد تقدّم في التجنيس المتشابه.

مُتَعَارَفِ الْأَوْسَاط:

هو ما يُتَّفَقُ عليه من حَدِّ يكون مقياسًا للكلام. وقد

- (١) اللسان (حري).
- (٢) شرح عقود الجمان ص ١٥٧.
- (٣) اللسان (زلل).
- (٤) حدائق السحر ص ١٨٣.
- (٥) نهاية الايجاز ص ١١٦.
- (٦) الفوائد ص ١٨٠.
- (٧) الفاتحة ٧.
- (٨) المطففين ١٠.
- (٩) البقرة ١٢٤.
- (١٠) فاطر ٢٨.
- (١١) أنوار الربيع ج ١ ص ٩٨.

أخرى بالاستعمال في غالب الظن. وفلان يتحرى الأمر: يتوخاه ويقصده، والتحرى: قَصْدُ الأولى والأحق مأخوذ من الحَرَى وهو الخليق. والتحرى: القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول^(١).

قال الشيوطي: «هذا النوع اخترعته وسميته المُتَحَلِّ والمُنْتَقَل والمُتَحَرَّى، وهو أن يختار لفظ إذا قرأه الالغ لا يعاب عليه تحريا. وقد رأيت في ذلك بيتين في الرء لبعض الاقدمين وهما:

من شاء جَمَعَ معانٍ قد خُصِصَتْ بها
وجاوَزَتْ كُلَّ حَدٍّ لم يَنْلِ وَطَرًا
وكيف يُسْطاع أن تُحْصى فواضِلُها
وَزَنْدُكَ الفَرْدُ مَهْمَا تَقْتَدِخُهُ وِرا
ف«وطرا» تصير «وطغا» و«ورا» تصير «وغا»^(٢).

المُتَزَلِّزَل:

الزَّلْزَلَةُ والزَّلْزَالُ: تحريك الشيء، وقد زَلَّزَلَهُ زَلْزَلَةً وزِلْزَالًا. وقال بعضهم:

الزلزلة مأخوذة من الزلل في الرأي فاذا قيل: زُلِّزَلِ القوم فمعناه ضُربوا عن الاستقامة وأوقع في قلوبهم الخوف والحذر^(٣).

قال الوطواط: «وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر لفظًا في كلامه بحيث إذا غيّر حركة من حركات حروفه تحوّل الكلام من المدح الى الهجو»^(٤). ومثاله: «اللّه معذب الكفار ومحرقهم في النار» فاذا حركت الذال بالكسر في كلمة «معذب» وكذلك الرء في كلمة «محرق» كان ذلك عين الاسلام والدين الحق، أما اذا فتحت الذال والرء وقرأت الكلمات بالفتح كان ذلك محض الكفر.

ومنه قول الوطواط نفسه:

رسولُ اللّهِ كذّبه الأعادي
فَوَيْلٌ ثم وَيْلٌ للمكذّب

المُتَوَازِن:

هو أحد أنواع التسجيع أو السجع، وهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين مع اختلاف الحرف الأخير منهما^(٥). وقد تقدّم.

المُتَوَازِي:

هو أحد أنواع التسجيع أو السجع، وهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الأخير منهما^(٦) وقد تقدّم.

المَثَل:

المثل من أوّل المُصطلحات التي ظهرت في الدراسات القرآنية والبلاغية، وقد أشار إليه الفراء وهو يتحدّث عن قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾^(٧) قال: «وفي الإنجيل أيضًا كمثلهم في القرآن ويقال ذلك مثلهم في التوراة هو مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه... وهو مثلّ ضربه الله - عزّ وجلّ - للنبي - صلّى الله عليه وسلّم - إذ خرج وحده ثم قواه بأصحابه»^(٨).

وقال أبو عبيدة وهو يتحدّث عن قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾^(٩): «مجازه مجاز

(١) مفتاح العلوم ص ١٣٣.

(٢) الايضاح ص ١٧٧، التلخيص ص ٢١٠، شروح

التلخيص ج ٣ ص ١٦٠، المطول ص ٢٨٢،

الاطول ج ٢ ص ٣٢.

(٣) الموازنة ج ١ ص ٢٧٤.

(٤) نقد الشعر ص ١٦٣.

(٥) حسن التوسل ص ٢٠٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٠٥.

(٦) حسن التوسل ص ٢٠٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٠٤.

(٧) الفتح ٢٩.

(٨) معاني القرآن ج ٣ ص ٦٩.

(٩) النحل ٢٦.

قال الشكّاكي وهو يتحدّث عن الإيجاز والإطناب: «أمّا الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسّر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عُزفي في مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم ولا بُدّ من الاعتراف بذلك مقيسًا عليه ولنسمه مُتعارَف الأوساط وإنه في باب البلاغة لا يُحمَدُ منهم ولا يُذَمُّ»^(١). وبذلك يكون الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات مُتعارَف الأوساط، والإطناب هو أدائه بأكثر من عباراتهم.

ولكنّ القزويني قال: «البناء على متعارف الأوساط والبسط الذي يكون المقصود جديرًا به ردّ الى جهالة، فكيف يصلح للتعريف؟»^(٢). وحدّد الكلام بقوله: «المقبول عن طريق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له أو ناقص عنه أو وافٍ أو زائد عليه لفائدة». والأول هو المساواة، والثاني هو الإيجاز، والثالث هو الإطناب.

المُتَكَافِي:

هو التطبيق أو الطّباق، قال الآمدي: «وهذا باب - أعني المطابق - لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتابه المؤلف في نقد الشعر «المتكافي» وسَمّى ضَرْبًا من المتجانس المطابق»^(٣). وكان قدامة قد ذكر التكافؤ وقال عنه: «ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو أن يصف الشاعر شيئًا أو يذمه أو يتكلم فيه بمعنى ما أي معنى كان فيأتي بمعنيين متكافئين. والذي أريد بقولي «متكافئين» في هذا الموضوع: متقاومان، أمّا من جهة المضادة أو السلب أو الإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل، مثل قول أبي الشغب العبسي:

حُلُوُ الشَّمَائِلِ وَهُوَ مُرٌّ بِاسِلٌ

يحمي الذّمَارَ صَبِيحَةَ الْارْهَاقِ

فقوله: «حلو» و«مر» تكافؤ^(٤).

نظماً ونثراً، وأفضله أوجزه وأحكمه أصدقه»^(٩). وقد تقدّم في «إرسال المثل» و«إرسال المثليين» كثير من الأمثال السائرة.

مُجَارَاةُ الْخَصْمِ:

مُجَارَاةُ الْخَصْمِ من المصطلحات التي عرفت في علم الجدل، وقد قال الشيوطي «ومنها مجاراة الخصم ليعثر بأن يُسلم بعض مُقَدِّماته حيث يراد تبكيته وإلزامه»^(١٠) كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصَدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١١). فقوله: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فيه اعتراف الرسول بكونهم مقصورين على البشرية فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس مراداً بل هو مجاراة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله علينا بالرسالة.

(١) مجاز القرآن ج ١ ص ٣٥٩.

(٢) الاسراء ٢٩.

(٣) مجاز القرآن ج ١ ص ٣٧٥.

(٤) البيان ج ٤ ص ٥٥.

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٢٣ وما بعدها.

(٦) الكامل ج ١ ص ٣٥.

(٧) نهاية الايجاز ص ٨١، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٥.

(٨) الايضاح ص ٣٠٧، التلخيص ص ٣٢٤، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٤٧، المطول ص ٣٨٠، الاطول ج ٢ ص ١٤٦.

(٩) العمدة ج ١ ص ٢٨٠، وينظر المنصف ص ٤٩، كفاية الطالب ص ١٦٢.

(١٠) معترك ج ١ ص ٤٦٣.

(١١) ابراهيم ١٠ - ١١.

المثل والتشبيه»^(١). وقال عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾^(٢): «لا تمسك عما ينبغي لك أن تبذل من الحق، وهو مَثَلٌ وتشبيه»^(٣).

ويتضح في كلام الفراء وأبي عبيدة أن المَثَل قد يراد به المثل بمعناه العام أو يراد به التشبيه وما يتصل به من تمثيل، وقد استعمل الجاحظ «المثل» بمعنى الاستعارة فقال وهو يتحدّث عن قول الشاعر:

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَىٰ بِهِ

وَمَا خَيْرٌ كَفٌّ لَا تَنوُّءُ بِسَاعِدِ

«قوله: «هم ساعد الدهر» إنما هو مَثَلٌ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع»^(٤) و«ساعد الدهر» في البيت استعارة أو تشبيه بليغ، ومعنى ذلك أن الجاحظ اقترب في هذا المصطلح من السابقين. وقد يقرن أحياناً بين المثل والاشتقاق والتشبيه^(٥) أي أن «المثل» ظلّ مرتبطاً بالتشبيه وما يتصل به من استعارة أو تمثيل. وقال المبرّد بعد قول الشاعر:

تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا

أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمَتَقَاعَسِ

«قوله: «المتقاعس» إنما هو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره. ويقال: «عزة قعساء» وإنما هذا مثل، أي: لا تضع ظهرها على الأرض»^(٦). وهذا قريب من كلام السابقين.

وربط الرازي المثل بالتشبيه وقال: «المثل تشبيه سائر وتفسير السائر أن يكثر استعماله على معنى أن الثاني بمنزلة الاول. والأمثال لا تغير لأنّ ذكّرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة إنّها بمنزلة من قيل له هذا القول. فالأمثال كلها حكايات لا تغير»^(٧) والمثل عند القزويني وشراح التلخيص هو التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يُسمّى التمثيل مطلقاً. قال: «ومتى فشا استعماله كذلك سُمّي مثلاً ولذلك لا تُعَيَّرُ الأمثال»^(٨).

المَثَلُ السَّائِرُ:

قال ابن رَشِيْق: «المثل السائر في كلام العرب كثير

المَجَاز:

جزت الطريق وجاز الموضع جوازًا، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره وجاهزه وجاهزه وأجازه وأجاز غيره، وجاهزه: سار فيه وسلكه، وجاهزت الموضع جوازًا بمعنى جزته. والمجاز والمجازة: الموضع^(١).

المجاز اسم للمكان الذي يُجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههما، وحقيقته هي الانتقال من مكان الى آخر، وأخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الالفاظ من معنى آخر. وقد تحدّث البلاغيون والنقاد عن هذا الفن في كتبهم وسَمَّى أبو عبيدة أحد كتبه «مجاز القرآن» وعالج فيه كيفية التوصل الى فهم المعاني القرآنية باحتذاء اساليب العرب في كلامهم وسننهم في وسائل الإبانة عن المعاني. ولم يُعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية، وأشار ابن تيمية الى ذلك وهو يتحدّث عن الحقيقة والمجاز وقال: «إنّ الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم. وأوّل من عرّف أنّه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يُعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية ما يُعبّر به عن الآية»^(٢). ثم قال: «فان تقسيم الألفاظ الى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وما علمته موجودًا في المائة الثانية اللهم إلا أن يكون في أواخرها»^(٣) ولكن أسلوب الحقيقة والمجاز كان معروفًا ومستعملًا في كلام العرب قبل ذلك ويُسمى المجاز «سعة في الكلام»^(٤) أي انه غير حقيقي. وسماه الفراء «الإجازة» فقال بعد قوله تعالى: ﴿فَسُنِّيْـسِرْهُ

للعسرى﴾^(٥): يقول: قد خلق على أنّه شقي ممنوع من الخير، ويقول القائل فكيف قال: ﴿فَسُنِّيْـسِرْهُ للعسرى﴾ فهل في ﴿العسرى﴾ تيسير؟ فيقال في هذا في إجازته بمنزلة قول الله تبارك الله وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٦). والبشارة في الاصل على المفرح والسار، فاذا جمعت في كلامين: هذا خير، وهذا شر، جاز التيسير فيهما جميعًا^(٧).

وتعرّض الجاحظ للمجاز وهو عنده صورته المختلفة، ومن لطيف كلامه تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٨). وقوله إنها من باب المجاز والتشبيه على شاكلة قوله تعالى: ﴿أَكَّاوْنَ لِلشُّحْتِ﴾^(٩). وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل وركبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهما واحدًا في سبيل الأكل. وقال الله - عز وجل - في تمام الآية: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ وهذا مجاز آخر، وقرن بالآية بعض آيات آخر من التنزيل الحكيم وبعض أشعار العرب التي تجري مجراها في الاستعارة ثم عَقَّب بقوله: «فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز»^(١٠) وقال عن المجاز: «وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه وبأشباهه اتسعت»^(١١).

فالجاحظ يضع يده على أسلوب المجاز ويُحدِّد

- (١) اللسان (جوز).
- (٢) الايمان ص ٨٤.
- (٣) الايمان ص ٨٥.
- (٤) الكتاب ج ١ ص ٥٣.
- (٥) الليل ١٠.
- (٦) التوبة ٣.
- (٧) معاني القرآن ج ٣ ص ٢٧٠ - ٢٧١.
- (٨) النساء ١٠.
- (٩) المائدة ٤٢.
- (١٠) الحيوان ج ٥ ص ٢٥ - ٢٨.
- (١١) الحيوان ج ٥ ص ٤٢٦.

بين ما تجوز بها اليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز»^(٨). وقال: «وأما المجاز فقد عوّل الناس في حدّه على حديث النقل، وأنّ كل لفظ نُقل عن موضوعه فهو مجاز»^(٩).

وقال الرازي: «والمجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً»^(١٠). وهذا تعريف عبد القاهر الأول، ويبدو أنّه اختاره من التعريفات الثلاثة لأنّه أوضح وأكثر تفصيلاً.

وقال الشّكاكي: «المجاز هو الكلمة المُستعملة في غير ما هي موضوعه له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع»^(١١). وقال: «ولك أن تقول: المجاز هو الكلمة المُستعملة في غير ما تدلّ عليه بنفسها دلالة ظاهرة استعمالاً في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة ما تدلّ عليه بنفسها في ذلك النوع. ولك أن تقول: المجاز هو الكلمة المُستعملة في معنى معناها بالتحقيق استعمالاً في ذلك بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع».

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٧٦.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٩٩.

(٣) المقتضب ج ٢ ص ١٧١، ج ٣ ص ٧٠، ٣٠٧،

٣٦٠، الكامل ج ١ ص ٨٣، ج ٣ ص ١٢٨٧،

١٢٨٩.

(٤) الخصائص ج ٢ ص ٤٤٢.

(٥) الصاحبي ص ١٩٨.

(٦) العمدة ج ١ ص ٢٦٥.

(٧) أسرار البلاغة ص ٣٥٦.

(٨) أسرار البلاغة ص ٣٢٥، وينظر الايضاح في شرح

مقامات الحريري ص ٢.

(٩) دلائل الاعجاز ص ٥٣.

(١٠) نهاية الايجاز ص ٤٦.

(١١) مفتاح العلوم ص ١٧٠.

مصطلحه بكل ما خالف الحقيقة، وهذه خطوة كبيرة في ميدان البحث البلاغي في القرن الثالث للهجرة.

وخطا ابن قتيبة خطوة واسعة في دراسة المجاز وعقد له باباً كبيراً^(١). وانتهى بعد الكلام عليه وعرض أمثله الى القول بأنّ الطاعنين على القرآن بالمجاز لأنّه كذب، قوم جاهلون. قال: «وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم ولو كان المجاز كذباً وكل فعل ينسب الى غير الحيوان باطلاً - كان أكثر كلامنا فاسداً لأننا نقول: «نبت البقل» و«طالت الشجرة» و«أينعت الثمرة» و«أقام الجبل» و«ورخص السعر»^(٢).

واستعمل المُبرّد المجاز بما يقرب من استعمال أبي عبيدة، أي التفسير وما يعبر به عن معنى الآية^(٣).

وتعرض للمجاز ابن جني وقال وهو يعرف الحقيقة بأنها «ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك»^(٤). وقال ابن فارس: «وأما المجاز فمأخوذ من جاز يجوز إذا استن ماضيًا... أي أنّ الكلام الحقيقي يمضي لسننه لا يعترض عليه. وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه إلا أنّ فيه من تشبيه واستعارة وكف ما ليس في الأوّل»^(٥).

وقال ابن رشيق: «العرب كثيراً ما تستعمل المجاز وتعدّه من مفاخر كلامها فإنّه دليل الفصاحة ورأس البلاغة وبه بانت لغتها عن سائر اللغات»^(٦) وذَكَر بعض ما قاله ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن».

وقال عبد القاهر: «المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصفه بأنه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً»^(٧). وقال: «وأما المجاز فكلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل فهي مجاز. وإن شئت قلت: كلّ كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع الى ما لم تُوضع له من غير ان تستأنف فيها وضعاً لملاحظة

الراجع الى حكم الكلمة في الكلام. والمجاز العقلي^(٧). وهذا تقسيم السابقين ولم يقره الشكاكي ورأى أنّ المجاز ينبغي أن يكون لغويًا كُله، وهو مفيد وغير مفيد، والمفيد استعارة وغير استعارة.

وقسّم القزويني المَجَاز الى مُفْرَد وهو لغوي وشرعي وعرفي، ومُرَكَّب وهو التمثيل على سبيل الاستعارة. ثم قسّمه الى مُرْسَل واستعارة، وتبعه في ذلك شراح التلخيص^(٨).

وأقسام المجاز التي ذكرها المُتقدّمون هي:

المَجَاز الإِسْنَادِي:

هو المجاز الذي يكون في الإسناد أو التركيب وقد سُمّي كذلك لأنه مُتلقى من جهة الإسناد وهو المجاز

(١) المثل السائر ج ١ ص ٥٨، الجامع الكبير ص ٢٨، كفاية الطالب ص ١٥٧.

(٢) الطراز ج ١ ص ٦٣.

(٣) البرهان الكاشف ص ٩٨، ٩٩ التبيان ص ١٠٦،

تحرير التحبير ص ٤٥٧، بديع القرآن ص ١٧٥،

نضرة الاغريض ص ٢٣، الاشارة الى الايجاز

ص ٢٨، المصباح ص ٥٩، حسن التوسل

ص ١٠٤، نهاية الارب ج ٧ ص ٣٧، جوهر

الكنز ص ٥١، الايضاح ص ٢٦٨، التلخيص

ص ٢٩٢، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٩،

المطول ص ٣٥٢، الاطول ج ٢ ص ١١٧،

الفوائد ص ١١، الاتقان ج ٢ ص ٣٦، معترك

ج ١ ص ٢٤٦، شرح عقود الجمان ص ٩١،

حلية اللب ص ١١٥، انوار الربيع ج ٦ ص ١٠٤،

نفحات ص ٣٣٠، التبيان في البيان ١٧٦، شرح

الكافية ص ٢٠٨.

(٤) خزانة الادب ص ٤٣٦.

(٥) أسرار البلاغة ص ٣٤٤، ٣٧٦.

(٦) نهاية الايجاز ص ٤٨.

(٧) مفتاح العلوم ص ١٧٢.

(٨) الايضاح ص ٢٦٨، ٣٠٤، التلخيص ص ٢٩٣،

شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٠، المطول

ص ٣٤٨، الأطول ج ٢ ص ١١٧ كفاية

الطالب ص ١٥٦، الروض المربع ص ١٦٢.

وقال ابن الأثير: «وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة»^(١).

وقال العلوي: المجاز «مَفْعَل» واشتقاقه إما من الجواز الذي هو التعدي في قولهم: «جزت موضع كذا» إذا تعديته. أو من الجواز الذي هو نقيض الوجوب والامتناع. وهو في التحقيق راجع الى الأوّل؛ لأنّ الذي لا يكون واجبًا ولا ممتنعًا يكون مُتردّدًا بين الوجود والعدم فكأنه ينتقل من الوجود الى العدم أو من العدم الى الوجود. فاللفظ المُستعمل في غير موضوعه الأصليّ شبيه بالمُتنقّل فلا جَرَم سُمّي مجازًا»^(٢). ثم قال: «وأحسن ما قيل فيه: ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الاول والثاني». وهذا عنده أحسن تعريف المجاز لأنّ ما قاله ابن جنّي وعبد القاهر وابن الأثير فاسد.

وهذه تعريفات أصحاب المعاني والبيان ولا تخرج أقوال البلاغيين الآخرين عما قاله المُتقدّمون^(٣). أما البديعيون فقالوا في تعريفه: «المجاز عبارة عن تجوُّز الحقيقة بحيث يأتي المتطلع الى اسم موضوع لمعنى فيخصه إما أن يجعله مُفْرَدًا بعد أن كان مُرَكَّبًا أو غير ذلك من وجوه الاختصاص»^(٤).

ولم يُقسّم الأوائل المجاز الى أنواعه المعروفة، وعندما ألفَ عبد القاهر كتابيه «دلائل الاعجاز» و«أسرار البلاغة» أخذ المجاز منزلته واستقرت قواعده وأصوله وقسّمه الى مجاز لغوي ومجاز عقلي وفَرَّق بينهما^(٥)، وسار البلاغيون على خطاه، وقسم الرازي المجاز الى مجاز في الاثبات ومجاز في المثبت وهما العقلي واللغوي^(٦). وقسّمه الشكاكي الى لغوي وهو المجاز في المُفْرَد والعقلي وهو المجاز في الجملة، ثم قسّم مباحث المجاز الى خمسة هي: المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد، والمجاز اللغوي الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المُبالغة في التشبيه، والاستعارة، والمجاز اللغوي

العقلي^(١). وهذا النوع من المجاز تُستعمل فيه الألفاظ المفردة في موضوعها الأصلي ويكون المجاز عن طريق الإسناد. وإذا ما ذهبنا نستقصي بحث هذا اللون من المجاز عند الأوائل لانجدهم يشيرون الى اسمه هذا أو الى اسمه الآخر «المجاز العقلي» وإن كانت في كتاب سيبويه بعض أمثله كقول الخنساء:

ترعى إذا نسيت حتى إذا اذكرت

فإنما هي إقبال وإدبار

وكقولهم: «نهارك صائم» و«ليلك قائم»^(٢) وهذا الكلام محمول عنده على السعة والحذف.

وفي كتاب «الكامل» للمبرّد أمثلة من هذا اللون كقول جرير:

لقد لمتنا يا أمّ غيلان في الشرى

ونمت وما ليل المطي بنائم

وقول رؤية بن العجاج:

حارث قد فرجت عني غمي

فنام ليلي وتجلّى همّي^(٣)

والمبرّد يذهب في ذلك مذهب سيبويه ويرى أنّ هذا الأسلوب مُبالغة الى جانب السعة والحذف.

وتردّت هذه الأمثلة في كتاب الأمدي^(٤) وكتاب

ابن فارس الذي سَمّاه «إضافة الفعل الى ما ليس بفاعل في الحقيقة»^(٥). ولكنّ هؤلاء لم يُسمّوه باسمه ويرجع

الفضل في فصله عن المجاز اللغوي الى عبد القاهر الذي أولاه عناية كبيرة وقال في تعريفه: «وَخَدُّهُ أَنْ كَلَّ

كلمة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في الفعل لضرب من التأول فهو مجاز»^(٦). وسماه

مجازًا عقليًا ومجازًا حكميًا ومجازًا في الإثبات وإسنادًا مجازيًا^(٧). وسَمّاه السكّاكي مجازًا عقليًا

وتابعه ابن مالك والقزويني وشراح التلخيص^(٨) وعَلَّل المتأخرون هذه التسميات المختلفة فقال ابن يعقوب

المغربي: «ومن الإسناد مُطلقًا مجاز عقلي لأنّ حصوله بالتصرف العقلي، ويُسمّى مجازًا حكميًا لوقوعه في

إنّ عبد القاهر فتح السبيل للبلاغيين بدراسته العميقة لهذا النوع من المجاز، وقد نبّه العلوي الى هذه الحقيقة فقال: «اعلم أنّ ما ذكرناه في المجاز الإسنادي العقلي هو ما قرّره الشيخ النحرير عبد القاهر الجرجاني واستخرجه بفكرته الصافية وتابعه على ذلك الجهابذة من أهل الصناعة كالزمخشري

(١) التبيان ص ١٠٦، الاتقان ج ٢ ص ٣٦.

(٢) الكتاب ج ١ ص ١٦٩، وتنظر ص ٨٠، ٨٩، ١٠٨، ١١٠.

(٣) الكامل ج ١ ص ١١٨، ١٨٨، ج ٣ ص ١١٧٠، وينظر جمهرة أشعار العرب ص ١١.

(٤) الموازنة ج ١ ص ١٦٥، ١٩١، ٢١٦.

(٥) الصاحبي ص ٢١٠.

(٦) أسرار البلاغة ص ٣٥٦، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢.

(٧) دلائل الاعجاز ص ٢٢٧، ٢٣١، أسرار البلاغة ص ٣٣٨.

(٨) مفتاح العلوم ص ١٨٥، المصباح ص ٥٩، الايضاح ص ٢٦، التلخيص ص ٤٥، شروح التلخيص ج ١ ص ٢٣١، المطول ص ٥٧، الاطول ج ١ ص ٧٢.

(٩) مواهب الفتاح ج ١ ص ٢٣١.

(١٠) الاتقان ج ٢ ص ٣٦.

(١١) عروس الافراح ج ١ ص ٢٣١ وما بعدها.

وابن الخطيب الرازي وغيرهما»^(١).

«الحق». وكذلك لا نستطيع في قول الشاعر:

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي
لَحِينِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

وقوله:

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا

إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

أَنْ نَزَعِمَ أَنْ لـ «صَيَّرَنِي» فاعلاً قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى كما في «رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» و«يَحْمِي نِسَاءَنَا ضَرْبٌ»، ولا نستطيع كذلك أَنْ نَقْدَ لـ «يزيد» في «يزيدك وجهه» فاعلاً غير الوجه.

وَأَخَذَ الرَّمَخَشَرِيُّ آرَاءَ عَبْدِ الْقَاهِرِ وَطَبَّقَهَا فِي تَفْسِيرِهِ الْكَشَافَ^(٥)، وَسَارَ الرَّازِيُّ عَلَيَّ خَطَاهُ وَإِنْ خَالَفَهُ أحياناً^(٦)، وَحِينَمَا وَضَعَ الشَّكَاكِي عِلْمَ الْبَلَاغَةِ وَضَعَهَا الْأَخِيرُ قَالَ عَنِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ: «هُوَ الْكَلَامُ الْمَفَادُ بِهِ خِلَافٌ مَا عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ الْحُكْمِ فِيهِ لِيُضْرَبَ مِنَ التَّأْوِيلِ إِفَادَةٌ لِلخِلَافِ لَا بِوَسَايَةِ وَضَعٍ»^(٧) ثُمَّ رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ نَظْمَهُ فِي سَلْكَ الْإِسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ، وَالْيَ ذَلِكَ ذَهَبَ الْعُلُوِي الَّذِي قَالَ إِنَّ أَمْثَلَةَ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ مَجَازَاتٌ لُغَوِيَّةٌ اسْتَعْمَلَتْ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا الْأَصْلِيَّةِ، وَعَدَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الرَّازِيُّ مِنْ أَنَّهَا عَقْلِيَّةٌ فَاسِدًا^(٨). ثُمَّ قَالَ: «وَالْمَخْتَارُ عِنْدَنَا أَنَّ الْمَجَازَ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْأَحْكَامِ الْعَقْلِيَّةِ وَلَا وَجْهَ لِتَسْمِيَةِ الْمَجَازِ بِكَوْنِهِ عَقْلِيًّا، لِأَنَّ مَا هَذَا حَالَهُ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَوْضَاعِ اللَّغَوِيَّةِ دُونَ الْأَحْكَامِ الْعَقْلِيَّةِ»^(٩).

(١) الطراز ج ٣ ص ٢٥٧.

(٢) البقرة ١٦.

(٣) علط الناقة: وسمها بالعلاط وهي صفحة العنق أو حبل يجعل في عنق البعير الملغم: الفم.

(٤) دلائل الاعجاز ص ٢٢٨.

(٥) الكشاف ج ١ ص ٥٣، وينظر المطول ص ٥٨.

(٦) نهاية الايجاز ص ٤٧ وما بعدها.

(٧) مفتاح العلوم ص ١٨٥.

(٨) الطراز ج ١ ص ٧٥ - ٧٦.

(٩) الطراز ج ١ ص ٢٥٠.

لَقَدْ تَحَدَّثَ عَبْدُ الْقَاهِرِ عَنِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ فِي «دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ» وَ«أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ» وَخِلَاصَةً مَا قَالَه أَنَّ فِي الْكَلَامِ مَجَازًا يَكُونُ التَّجْوِزُ فِي حُكْمِ يَجْرِي عَلَى الْكَلِمَةِ وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ مَتْرُوكَةً عَلَى ظَاهِرِهَا وَيَكُونُ مَعْنَاهَا مَقْصُودًا فِي نَفْسِهِ وَمَرَادًا مِنْ غَيْرِ تَوْرِيَّةٍ وَتَعْرِيزٍ كَقَوْلِهِمْ: «نَهَارُكَ صَائِمٌ» وَ«لَيْلُكَ قَائِمٌ» وَ«نَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِي» وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾^(٢) وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

سَقَاها خَرُوقٌ فِي الْمَسَامِيعِ لَمْ تَكُنْ

عَلَاطًا وَلَا مَخْبُوطَةً فِي الْمَلَاغِمِ^(٣)

قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ: «أَنْتَ تَرَى مَجَازًا فِي هَذَا كُلِّهِ وَلَكِنْ لَا فِي ذَوَاتِ الْكَلِمِ وَأَنْفُسِ الْإِلْفَازِ وَلَكِنْ فِي أَحْكَامِ أَجْرِيَّتِ عَلَيْهَا. أَفَلَا تَرَى أَنَّكَ لَمْ تَتَّجِزْ فِي قَوْلِكَ: «نَهَارُكَ صَائِمٌ» وَ«لَيْلُكَ قَائِمٌ» فِي نَفْسِ «صَائِمٌ» وَ«قَائِمٌ» وَلَكِنْ فِي أَنَّ أَجْرِيَّتَهُمَا خَبِيرِينَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ الْمَجَازُ فِي الْآيَةِ فِي «رَبِحَتْ» وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِهَا إِلَى التَّجَارَةِ. وَهَكَذَا الْحُكْمُ فِي «سَقَاها خَرُوقٌ» لَيْسَ التَّجْوِزُ فِي «سَقَاها» وَلَكِنْ فِي أَنَّ أَسْنَادَهَا إِلَى الْخَرُوقِ. أَفَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا وَقَدْ أُرِيدُ بِهِ مَعْنَاهُ الَّذِي وَضَعُ لَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَحَقِيقَتُهُ فَلَمْ يَرِدْ بِ«صَائِمٌ» غَيْرَ الصُّومِ وَلَا بِ«قَائِمٌ» غَيْرَ الْقِيَامِ وَلَا بِ«رَبِحَتْ» غَيْرَ الرِّبْحِ وَلَا بِ«سَقَتْ» غَيْرَ السَّقْيِ كَمَا أُرِيدُ فِي قَوْلِهِ: «وَسَالَتْ بِاعْنَاقِ الْمَطْيِ الْإِبَاطِحِ» غَيْرِ السَّيْلِ»^(٤).

وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي الْمَجَازِ الْإِسْنَادِيَّ أَوْ الْعَقْلِيَّ أَنْ يَكُونَ لِلْفِعْلِ فَاعِلٌ فِي التَّقْدِيرِ إِذَا نَحْنُ نَقَلْنَا الْفِعْلَ إِلَيْهِ عَدْنَا بِهِ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِثْلَ أَنْ نَقُولَ فِي: رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ: رَبِحُوا فِي تِجَارَتِهِمْ، وَفِي «يَحْمِي نِسَاءَنَا ضَرْبٌ»: نَحْمِي نِسَاءَنَا بِضَرْبٍ، فَانْ ذَلِكَ لَا يَتَأْتَى فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَثْبِتَ لِلْفِعْلِ «أَقْدَمْنِي» فِي «أَقْدَمْنِي بِلَدِّكَ حَقَّ لِي عَلَى إِنْسَانٍ» فَاعِلًا سِوَى

وكصدور الكلام من الموحد في مثل قول الشاعر:

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ

كُرَّ الْغَدَاةَ وَمَرَّ الْعَشِيَّ

ولا بد لهذا النوع من المجاز أن تكون له علاقة، وأشهر علاقاته: المفعولية فيما بني للفاعل وأسند الى المفعول به الحقيقي كقوله تعالى: ﴿عَيْشَةَ رَاضِيَةً﴾^(٨) وهي مرضية. والفاعلية فيما بُني للمفعول واسند الى الفاعل الحقيقي مثل: «سَيْلٌ مُفْعَمٌ» والسيل هو الذي يُفْعِمُ لا يُفْعَمُ.

والمصدرية فيما بني للفاعل واسند الى المصدر مثل: «شِعْرٌ شَاعِرٌ» وقول أبي فراس:

سِيدُ كَرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ

وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقِدُ الْبَدْرُ

والزمانية فيما بُني للفاعل وأسند الى الزمان مثل: «نَهَارُهُ صَائِمٌ» و«لَيْلُهُ قَائِمٌ» وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾^(٩).

والمكانية فيما بني للفاعل وأسند الى المكان كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾^(١٠)، والنهر لا يجري لأنه مكان جري الماء.

والسببية فيما بني للفاعل وأسند الى السبب كقول الشاعر:

(١) الايضاح ص ٣١، التلخيص ص ٤٥.

(٢) شروح التلخيص ج ١ ص ٢٣١، المطول ص ٥٧، الاطول ج ١ ص ٧٢.

(٣) الانفال ٢.

(٤) الزلزلة ٢.

(٥) البقرة ١٦.

(٦) ابراهيم ٢٥.

(٧) القنزع: الشعر حوالي الرأس.

(٨) القارعة ٧.

(٩) الضحى ١ - ٢.

(١٠) الانعام ٦.

وَعَدَّهُ الْقَزْوِينِي مَجَازًا بِالْإِسْنَادِ وَأَخْرَجَهُ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ وَأَدْخَلَهُ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي وَقَالَ: «إِنَّا لَمْ نُورِدِ الْكَلَامَ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ الْعَقْلِيِّينَ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ كَمَا فَعَلَ الشُّكَّاكِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ لِدُخُولِهِ فِي تَعْرِيفِ عِلْمِ الْمَعَانِي دُونَ تَعْرِيفِ عِلْمِ الْبَيَانِ»^(١) وتابعه في ذلك شُرَاحُ التَّلْخِيصِ^(٢).

والمجاز العقلي ثلاثة أقسام:

الأول: ما طَرَفَاهُ حَقِيقَتَانِ مِثْلُ: «أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ» وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٣) وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(٤)

الثاني: ما طَرَفَاهُ مَجَازِيَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾^(٥) وقولهم: «أَحْيَا الْأَرْضَ شَبَابُ الزَّمَانِ».

الثالث: ما طَرَفَاهُ مُخْتَلِفَانِ أَيَّ مَا كَانَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ - الْمُسْنَدُ أَوْ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ - مَجَازًا دُونَ الْآخَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٦) وقولهم: «أَحْيَا الْأَرْضَ الرَّبِيعُ» و«أَنْبَتَ الْبَقْلَ شَبَابُ الزَّمَانِ» و«أَحْيَيْتَنِي رُؤْيَتِكَ» أَي: أَنْسَنِي وَسَرَّتَنِي. وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي:

وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا

وَيَقْتُلُ مَا تَحْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا

وَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ قَرِينَةٍ إِذَا لَفْظِيَّةٌ كَقَوْلِ أَبِي النَّجْمِ:

قَدْ أَضْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي

عَلَيَّ ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَضْنَعُ

مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَضْلَعِ

مَيِّزَ عَنْهُ قُنْزَعًا عَنْ قُنْزَعِ^(٧)

جَذْبِ اللَّيَالِي: أَبْطَيْتِي أَوْ أَسْرَعِي

وهذا مجاز بدليل قوله:

أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ ااطلعي

حَتَّى إِذَا وَافَاكَ أَفْقٌ فَارْجِعِي

أو غير لفظية كاستحالة صدور المُسْنَدِ مِنَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ أَوْ قِيَامِهِ بِهِ عَقْلًا مِثْلُ: «مَحَبَّتِكَ جَاءَتْ بِي إِلَيْكَ»

الشاعر:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ

رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا

أراد: إذا سقط المطر رعيناه أي: رعيناه النبات الذي يكون عنه، ولهذا سُمِّي النبات نَدَى لأنه عن الندى يكون. وقالوا: «ما به طَرَق» أي ما به قوة، والطَرَق: الشحم، فوضعه موضع القوة؛ لأنَّ القوة عنه تكون. وقولهم للمزادة «راوية» وإنما الراوية البعير الذي يُسقى عليه الماء فسُمِّي الوعاء الذي يحمله باسمه. ومن ذلك «الحَفْض» متاع البيت فسُمي البعير الذي يحمله حَفْضًا^(٨). وهذه أنواع المجاز المرسل الذي تحدث عنه المتأخرون.

وقال ابن جني عن البيت:

ذَرِ الْآكِلِينَ الْمَاءَ ظُلْمًا فَمَا أَرَى

يَنَالُونَ خَيْرًا بَعْدَ أَكْلِهِمُ الْمَاءِ

«فكأنه من باب الاكتفاء بالسبب عن المسبب، يريد قوما كانوا يبيعون الماء فيشترون بثمنه ما يأكلونه فاكتفى بذكر الماء الذي هو سبب المأكول من ذكر المأكول»^(٩).

وَقَسَمَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ الْمَجَازَ إِلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ نَوْعًا وَمُعْظَمُهَا يَدْخُلُ فِي الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى التَّوَسُّعِ وَالتَّشْبِيهِ وَالاسْتِعَارَةِ^(١٠). وَتَكَلَّمَ

(١) البرهان الكاشف ص ١٠٢، البرهان في علوم

القرآن ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) معترك ج ١ ص ٢٤٨.

(٣) الايضاح ص ٢٧٠، التلخيص ص ٢٩٥.

(٤) حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٢٩.

(٥) مفتاح العلوم ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٦) العلق ١٧.

(٧) معاني القرآن ج ٣ ص ٢٧٩، وينظر جمهرة أشعار

العرب ص ١٨.

(٨) الموازنة ج ١ ص ٣٤.

(٩) الخصائص ج ١ ص ١٥٢.

(١٠) المثل السائر ج ١ ص ٣٦٨ وما بعدها.

إِنِّي لَمِنْ مَعَشَرَ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ

قِيلُ الْكُفَاةِ: أَلَا أَيْنَ الْمَحَامُونَا؟

والقيل لمن يُفْن، وإنما الذي أفنى هو الشجعان.

المَجَازُ الْإِفْرَادِيّ:

هو أحد أنواع المَجَازِ اللُّغَوِيِّ. وهو المَجَازُ الْمُرْسَلُ الذي تكون عَلاقته بين ما استعمل فيه وما وضع له مُلابسة غير التشبيه. وقد سَمَّاهُ ابْنُ الزَّمَلِكَانِي وَالزَّرْكَشِيُّ «المَجَازَ الْإِفْرَادِيَّ»^(١) وَسَمَّاهُ الشُّيُوطِيُّ «المَجَازَ فِي الْمُفْرَدِ» وَقَالَ: «وَيُسَمَّى الْمَجَازُ اللَّغَوِيُّ»^(٢).

يكون المَجَازُ اللَّغَوِيُّ فِي نَقْلِ الْأَلْفَاظِ مِنْ حَقَائِقِهَا اللَّغَوِيَّةِ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى بَيْنَهَا صِلَةٌ وَمُنَاسَبَةٌ وَقَدْ يُسَمَّى الْمَجَازُ الْمُفْرَدُ. وَقَدْ قَسَّمَهُ الْقَزْوِينِيُّ إِلَى مُرْسَلٍ وَاسْتِعَارَةٍ لِأَنَّ الْعَلَاقَةَ الْمُصَحَّحَةَ إِنْ كَانَتْ تَشْبِيهِيَّةً مَعْنَاهُ بِمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ وَإِلَّا فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ. وَعَرَّفَ الْمُرْسَلُ بِقَوْلِهِ: «هُوَ مَا كَانَتْ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ مَا اسْتَعْمَلَ فِيهِ وَمَا وَضَعُ لَهُ مُلَابِسَةً غَيْرَ التَّشْبِيهِ»^(٣). وَسُمِّيَ هَذَا النَّوعُ مُرْسَلًا؛ لِأَنَّ الْإِرْسَالَ فِي اللَّغَةِ الْإِطْلَاقُ، وَالْمَجَازُ الْاسْتِعَارِيُّ مُقَيَّدٌ بِإِدْعَاءِ أَنَّ الْمُشَبَّهَ مِنْ جِنْسِ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَالْمُرْسَلُ مَطْلُوقٌ مِنْ هَذَا الْقَيْدِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ مُرْسَلًا لِإِرْسَالِهِ عَنِ التَّقْيِيدِ بِعَلَاقَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِلِ رَدِّ بَيْنَ عِلَاقَاتِ بِخِلَافِ الْمَجَازِ الْاسْتِعَارِيِّ فَإِنَّهُ بِعَلَاقَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الْمُشَابَهَةُ^(٤).

وَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا أَطْلَقَ اسْمَ «الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ» عَلَى هَذَا النَّوعِ قَبْلَ السَّكَّاكِيِّ^(٥) وَكَانَ الْقَدَمَاءُ قَدْ ذَكَرُوا أَنْوَاعَهُ وَلَمْ يُسَمِّوهُ، وَمِنْهُمْ الْفَرَّاءُ الَّذِي قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٦): «وَالْعَرَبُ تَقُولُ: النَّادِي يُشْهَدُونَ عَلَيْكَ وَالْمَجْلِسُ، يَجْعَلُونَ النَّادِي وَالْمَجْلِسَ وَالْمَشْهَدَ وَالشَّاهِدَ - الْقَوْمُ قَوْمَ الرَّجْلِ»^(٧). وَأَشَارَ الْأَمْدِيُّ إِلَى السَّبَبِيَّةِ وَالْمُجَاوِرَةِ وَهِيَ مِنْ عِلَاقَاتِ الْمُرْسَلِ كَقَوْلِهِمْ لِلْمَطَرِ: «سَمَاءٌ» وَقَوْلِهِمْ: «مَا زَلْنَا نَطَأَ السَّمَاءَ حَتَّى أَتَيْنَاكُمْ». قَالَ

الشيء على ما يؤول اليه كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾^(١١)، وقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١٢).

والمحلية فيما إذا ذكر لفظ المحل وأريد به الحال فيه كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(١٣) أي: المجتمعين في النادي. وقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(١٤) أي: بألسنتهم لأن القول عادة لا يكون إلا بها.

والحالية وهي عكس السابقة فيما إذا ذُكر لفظ الحال وأريد به المحل كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١٥) أي: في جنته التي تحل فيها الرحمة. وقوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(١٦) أي: لباسكم لحلول الزينة فيه. والآلية فيما إذا ذكر اسم الآلة وأريد الاثر الذي ينتج عنه كقوله تعالى:

(١) أسرار البلاغة ص ٣٧٦.

(٢) المصباح ص ٥٩، الايضاح ص ٢٧٠، التلخيص ص ٢٩٥، شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٩، المطول ص ٣٥٤، الاطول ج ٢ ص ١١٨.

(٣) الفوائد ص ١٠ وما بعدها، الطراز ج ١ ص ٦٩، البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٥٨ - ٢٩٩، وينظر المترع البديع ص ٢٩٧ - ٣٠٨.

(٤) المزمّل ٢.

(٥) النساء ٩٢.

(٦) البقرة ١٩.

(٧) البقرة ٢٤٩.

(٨) الفتح ١٠.

(٩) غافر ١٣.

(١٠) النساء ٢.

(١١) يوسف ٣٦.

(١٢) الزمر ٣٠.

(١٣) العلق ١٧.

(١٤) آل عمران ١٦٧.

(١٥) آل عمران ١٠٧.

(١٦) الاعراف ٣١.

عبد القاهر على هذا النوع ولم يُسمَّه مُرْسَلًا وإنما هو مجاز لغوي يقرب بالاستعارة وإن كانت علاقته غير المُشابهة. وفي قوله: «وأما لصلة وملازمة بين ما نقلها اليه وما نقلها عنه»^(١) تمييز للمجاز المرسل عن الاستعارة. وكان الشكّاكي - فيما نعلم - أول من أطلق التسمية وتابعه بدر الدين بن مالك والقزويني وشراح التلخيص^(٢)، وتوسّع ابن قيّم الجوزية والعلوي والزرکشي في بحث هذا النوع وجمعوا له علاقات كثيرة^(٣) ومن أشهرها: الجزئية وهي تسمية الشيء باسم جزئه كالعين في الرقيب وكقوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤) أي: صلّ. وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً﴾^(٥) أي: تحرير عبد مؤمن. ومنه قول الشاعر:

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي

فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

أي: الشعر.

والكلية فيما ذكر الكل وأريد الجزء كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾^(٦) أي: أناملهم، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾^(٧) أي: لم يذقه.

والسببية بأن يُطلق لفظ السبب ويُراد المسبب كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٨) أي: قدرته فإن اليد سببها. وكقول الشاعر:

لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سَابِغَةٌ

أَعْدُّ مِنْهَا وَلَا أَعْدُّهَا

أي: نعم؛ لأن الأيدي سبب فيها.

والمُسببية فيما إذا ذُكر لفظ المُسبب وأريد السبب كقوله تعالى: ﴿وَيُنزَلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾^(٩) أي: مطرًا هو سبب الرزق.

والسبق وهي اعتبار ما كان أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الِيتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾^(١٠) أي: الذين كانوا يتامى.

والاستعداد وهي اعتبار ما يكون أي اطلاق اسم

بن عبد السلام ذلك بقوله: «العرب اذا شبهوا جُزْمًا بجُزْمٍ أو معنى بمعنى أو معنى بجُزْمٍ فان أتوا بأداة التشبيه كان ذلك تشبيهًا حقيقيًا وإن أسقطوا أداة التشبيه كان ذلك تشبيهًا مجازيًا»^(١٢)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُ أَمْهَاتِهِمْ﴾^(١٣) اي: مثل أمهاتهم في الحرمة وتحريم النكاح. وقوله: ﴿أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا﴾^(١٤) أي: مثل ولد. وليس هذا من المجاز عند الآخرين.

مَجَاز التَّضْمِينِ:

قال ابن عبد السلام: «هو أن تُضْمِنَ اسمًا معنى اسم لإفادة معنى الاسمين فتعديده تعديته في بعض المواطن»^(١٥) كقوله تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾^(١٦) ضمن «لا تشرك» معنى لا تعدل. والعدل التسوية أي: لا تسووا بالله شيئًا في العبادة. وقوله: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(١٧) ضمن ﴿وَأَخْبَتُوا﴾ معنى أنابوا لإفادة الإخبات والابانة جميعًا.

ومنه قول الشاعر:

- (١) الشعراء ٨٤.
- (٢) هود ٤٣.
- (٣) مريم ٦١.
- (٤) الفرقان ٥٥.
- (٥) الانسان ٩.
- (٦) الواقعة ٢.
- (٧) القلم ٦.
- (٨) الشعراء ٧٧.
- (٩) النجم ٣٠.
- (١٠) التَّمَلُّ ٨٨.
- (١١) الاتقان ج ٢ ص ٣٦.
- (١٢) الاشارة الى الايجاز ص ٨٥.
- (١٣) الاحزاب ٦.
- (١٤) يوسف ٢١.
- (١٥) الاشارة الى الايجاز ص ٧٤.
- (١٦) لقمان ١٣.
- (١٧) هود ٢٣.

﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(١) أي: ذِكْرًا حَسَنًا، واللسان أداة الذكر.

والمُجَاوِرَةُ نحو «خلت الراوية» أي: السقاء، والراوية في الأصل للبعير الحامل لها وُسِّمَتْ باسمه لكونه حاملاً إياها أو مجاوراً لها عند الحمل.

ومنها إقامة صيغة مقام اخرى كإقامة فاعل بمعنى مفعول في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢) أي: لا معصوم، ومفعول مقام فاعل كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾^(٣) أي: آتيا، وفعل بمعنى مفعول كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾^(٤) اي: مظهرًا عليه. ومنها مجيء المصدر على فُعل كقوله تعالى: ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^(٥) أي شكرًا. وإقامة الفاعل مقام المصدر كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾^(٦) أي: تكذيب. وإقامة المفعول مقام المصدر كقوله تعالى: ﴿بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ﴾^(٧) أي: الفتنة. ووصف الشيء بالمصدر كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾^(٨) أي: فانهم عداوة.

ومنها مجيء المصدر بمعنى المفعول كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(٩) أي: المعلوم، وقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾^(١٠) أي: مصنوعه.

وفي كتاب الله كثير من المجاز المرسل وقد ذَكَرْتُ بعضه كتب علوم القرآن خاصة ككتاب «البرهان في علوم القرآن» للزرکشي و«الاتقان في علوم القرآن» و«معتك الاقران» للشيوطي.

مَجَاز التَّرْكِيبِ:

هو المجاز الإسنادي او المجاز العقلي^(١١)، وقد تَقَدَّمَ.

مَجَاز التَّشْبِيهِ

هو التشبيه المحذوف الأداة، وقد أوضح عز الدين

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً

إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْرًا ذُنُوبُ

فقد ضمن «عادت» معنى «صارت». وليس هذا من المجاز عند الآخرين.

مَجَازُ الْحَذْفِ:

هو المجاز بالنقصان، وكان الأوائل كسيبويه والفرّاء قد ذكروه وقالوا إنه على اتّساع الكلام^(١) مثاله أنّ المضاف اليه يكتسب إعراب المضاف في نحو قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(٢). فَإِنَّ الْحُكْمَ الذي يجب للقرية في الأصل هو الجر، والنصب فيها مجاز.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾^(٣) اي: اختار من قومه، فَإِنَّ الْحُكْمَ الذي يجب له ﴿قَوْمَهُ﴾ هو الجر، والنصب فيه مجاز.

ولا يُسَمَّى كل حذف مجازًا وقد أوضح عبد القاهر ذلك بقوله: «ولا ينبغي أن يقال إنّ وجه المجاز في هذا الحذف فإنّ الحذف اذا تجرد عن تغيير حكم من أحكام ما بقي بعد الحذف لم يُسَمَّ مجازًا، ألا ترى أنّك تقول: «زيد منطلق وعمرو» فتحذف الخبر ثم لا توصف جملة الكلام من أجل ذلك بأنّه مجاز، وذلك لأنّه لم يُؤدّد الى تغيير حكم فيما بقي من الكلام ويزيده تقريرًا أنّ المجاز اذا كان معناه أن تجوز بالشيء موضعه وأصله فالحذف بمجرّده لا يستحقّ الوصف به لأنّ ترك الذّكر وإسقاط الكلمة من الكلام لا يكون نقلًا لها عن أصلها إنّما يتصور النقل فيما دخل تحت النطق. واذا امتنع أن يُوصف المحذوف بالمجاز بقي القول فيما لم يُحذف. وما لم يُحذف ودخل تحت الذّكر لا يزول عن أصله ومكانه حتى يغيّر حكم من أحكامه او يغير عن معانيه، فاما وهو على حاله والمحذوف مذكور فتوهم ذلك فيه من أبعد المحال فاعرفه»^(٤) ونقل الرازي هذا الكلام وسَمَّى هذا اللون من المجاز

«المجاز بالنقصان»^(٥) في حين سَمَّاه الآخرون «مجاز الحذف». وذكر القزويني وشراح التلخيص وغيرهم كلام عبد القاهر الذي بالغ في النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز بالحذف أو الزيادة^(٦).

المَجَازُ الحُكْمِيّ:

هو المجاز العقلي وقد تقدّم في المجاز الإسنادي، وسُمِّي حُكْمِيًّا، لأنّ المجاز ليس في ذوات الكُلمِ وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت عليها^(٧).

مَجَازُ الزِّيَادَةِ:

وهو المجاز الذي يكون بزيادة، وحُكْمُهُ كَحُكْمِ مجاز الحذف أي ليست كل زيادة تُعدّ مجازًا. وقد أوضح عبد القاهر ذلك بقوله: «واذا صحّ امتناع أن يكون مجرد الحذف مجازًا او تحقّق صفة باقي الكلام بالمجاز من أجل حذف كان على الإطلاق دون أن يحدث هناك بسبب ذلك الحكم تغيّر حكم على وجه من الوجوه، علمت منه أنّ الزيادة في هذه القضية كالحذف فلا يجوز أن يقال إن زيادة «ما» في نحو: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾^(٨) مجاز، أو أنّ جملة الكلام

(١) الكتاب ج ١ ص ٢١٢، ج ٣ ص ٢٤٧، معاني القرآن ج ١ ص ٣٦٣، ٣٦٩.

(٢) يوسف ٨٢.

(٣) الأعراف ١٥٥.

(٤) أسرار البلاغة ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٥) نهاية الأيجاز ص ٥٦.

(٦) الايضاح ص ٣١٨، التلخيص ص ٣٣٦، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٣١، المطول ص ٤٠٥،

الاطول ج ٢ ص ١٦٦، الاتقان ج ٢ ص ٣٦،

٤٠، شرح عقود الجمان ص ١٠٠، حلية اللب

ص ١٢٩.

(٧) دلائل الاعجاز ص ٢٢٧، مفتاح العلوم

ص ١٨٧.

(٨) آل عمران ١٥٩.

وهو قسمان: الاستعارة والمجاز المرسل، وقد تقدّم.

مَجَازُ اللَّزُومِ:

ذكر عزُّ الدين بن عبد السلام نوعًا من المجاز سَمَّاهُ «مَجَازُ اللَّزُومِ»^(٩) وقال إنه أنواع:

أحدها: التعبير بالإذن عن المشيئة لأنَّ الغالب أنَّ الإذن في الشيء لا يقع إلا بمشيئته الآذن واختياره، والمُلازِمَةُ الغالبة مُصَحَّحَةٌ للمجاز، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١٠) أي: بمشيئة الله، ويجوز في هذا أن يراد بالإذن أمر التكوين، والمعنى: «وما كان لنفس أن تموت إلا بقول الله موتي».

الثاني: التعبير بالإذن عن التيسير والتسهيل في مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾^(١١) أي بتسهيله وتيسيره.

الثالث: تسمية ابن السبيل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ

(١) أشار الى قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف ٨٢).

(٢) الشورى ١١.

(٣) أسرار البلاغة ص ٣٨٤.

(٤) نهاية الايجاز ص ٥٦.

(٥) الإيضاح ص ٣١٧، التلخيص ص ٣٣٦، شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٣١، المطول ص ٤٠٥، الأطول ج ٢ ص ١٦٦، الاتقان ج ١ ص ١٨٠، شرح عقود الجمان ص ١٠٠، حلية اللب ص ١٢٩، التبيان في البيان ص ٢٠٨.

(٦) دلائل الاعجاز ص ٢٢٧، ٢٣١، أسرار البلاغة ص ٣٥٦، الطراز ج ٣ ص ٢٥٧، التبيان في البيان ص ٢٠٨.

(٧) المصادر السابقة ونهاية الايجاز ص ٤٧، مفتاح العلوم ص ١٨٦.

(٨) نهاية الايجاز ص ٤٨.

(٩) الإشارة الى الايجاز ص ٧٩.

(١٠) آل عمران ١٤٥.

(١١) البقرة ٢٢١.

تصير مجازًا من أجل زيادته فيه، وذلك أنَّ حقيقة الزيادة في الكلمة أنَّ تعرى من معناها وتذكر ولا فائدة لها سوى الصلة ويكون سقوطها وثبوتها سواء. ومحال أن يكون ذلك مجازًا لأنَّ المجاز أن يُراد بالكلمة غير ما وضعت له في الأصل أو يزداد فيها أو يوهم شيء ليس من شأنها كإيهامك بظاهر النصب في القرية^(١) أنَّ السؤال واقع عليها، والزائد الذي سقطه كثبوتها لا يتصور فيه ذلك. فأما غير الزائد من أجزاء الكلام الذي زيد فيه فيجب أن ينظر فيه، فإن حدث هناك بسبب ذلك الزائد حكم تزول به الكلمة عن أصلها جاز حينئذ أن يوصف ذلك الحكم أو ما وقع فيه بأنه مجاز كقولك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) إنَّ الجر في «المثل» مجاز لأنَّ أصله النصب، والجر حكم عرض من أجل زيادة الكاف ولو كانوا إذ جعلوا الكاف مزيدة لم يعملوها لما كان لحديث المجاز سبيل على هذا الكلام. ويَزِيدُهُ وضوحًا أنَّ الزيادة على الاطلاق لو كانت تستحق الوصف بأنَّها مجاز لكان ينبغي أن يكون كل ما ليس بمزيد من الكلام مستحقًا الوصف بأنَّه حقيقة حتى يكون الأسد في قولك: «رأيت أسدًا» وأنت تريد رجلًا حقيقة^(٣).

ونقل الرازي هذا الكلام^(٤) وتبعهما في ذلك البلاغيون^(٥).

المَجَازُ العَقْلِيّ:

هو المجاز الإسنادي ومجاز التركيب والمجاز الحكمي^(٦)، وقد تقدّم.

المَجَازُ فِي الإثْبَاتِ:

هو المجاز الإسنادي ومجاز التركيب والمجاز الحكمي والمجاز العقلي^(٧) وقد تقدّم.

المَجَازُ فِي المُثَبِّتِ:

هو المجاز في المفرد، ويُسمَّى المجاز اللغوي^(٨)،

السَّبِيلِ ﴿١﴾ لِمُلَازِمَتِهِ الطَّرِيقِ.

الرابع: نفي الشيء لانتفاء ثمرته وفائدته للزومهما عنه غالبًا في مثل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ (٢) أي وفاء عهد أو تمام عهد، فنفي العهد لانتفاء ثمرته وهو الوفاء والاتمام.

الخامس: التَّجَوُّزُ بلفظ الريب عن الشكِّ لِمُلَازِمَةِ الشكِّ القلق والاضطراب فَإِنَّ حَقِيقَةَ الرِّيبِ قلق النفس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٣) أي لا شكَّ في إنزاله أو في هدايته.

السادس: التعبير بالمُسَافِحَةِ عن الزنا لأنَّ السَّفْحَ صَبُّ المنيِّ وهو ملازم للجماع غالبًا لكنَّه حُصِّصَ بالزنا إذ لا غرض فيه سوى صَبِّ المنيِّ بخلاف النكاح فإنَّ مقصوده الولد والتعاقد والتناصر بالأختان والأصهار والأولاد والأحفاد ومثاله قوله تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ (٤) أي: غير مزانين.

السابع: التعبير بالمحلِّ عن الحالِّ لما بينهما من المُلَازِمَةِ الغالبة كالتعبير باليد عن القدرة والاستيلاء والعين عن الإدراك والصدر عن القلب وبالقلب عن العقل وبالأفواه عن الألسن وبالألسن عن اللغات وبالقرية عن قاطنيتها وبالساحة عن نازليها وبالنادي والندي عن أهلها. وقد وَرَدَ كُلُّ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

الثامن: التعبير بالإرادة عن المُقَارَبَةِ لأنَّ مَنْ أَرَادَ شَيْئًا قَرِبَتْ مَوَاقِعَتُهُ إِيَّاهُ غَالِبًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ (٥)

التاسع: التَّجَوُّزُ بترك الكلام عن الغضب لأنَّ الهجران وترك الكلام يلازمان الغضب غالبًا ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ (٦).

العاشر: التَّجَوُّزُ بنفي النظر عن الإذلال والاحتقار كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٧).

الحادي عشر: التَّجَوُّزُ باليأس عن العلم لأنَّ اليأس من نقيض العلوم مُلَازِمٌ للعلم غير مُنْفَكٍّ عنه، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيَّأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٨).

الثاني عشر: التعبير بالدخول عن الوطء ونَّ الغالب من الرجل إذا دخل بامرأته أنه يطأها في ليلة عرسها ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ (٩).

الثالث عشر: وصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه كقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمًا يَوْمًا يَوْمًا عَسِيرًا﴾ (١٠).

الرابع عشر: وصف المكان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (١١).

الخامس عشر: وصف الأعراض بصفة من قامت به، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ (١٢). والعزم صفة لذوي الأمر، وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَیْحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ (١٣) وصف التجارة بالربح وهو صفة للتاجر.

السادس عشر: الكنايات كقوله طرفة:

(١) البقرة ١٧٧.

(٢) التوبة ٧.

(٣) البقرة ٢.

(٤) النساء ٢٤، المائدة ٥.

(٥) الكهف ٧٧.

(٦) البقرة ١٧٤.

(٧) آل عمران ٧٧.

(٨) الرعد ٣١.

(٩) النساء ٢٣.

(١٠) المدثر ٩.

(١١) ابراهيم ٣٥.

(١٢) محمد ٢١.

(١٣) البقرة ١٦.

عَمَلُهُ ﴿٥﴾ فَإِنَّ قَوْلَ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والعلامة السببية لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان والتعبير بـ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ عن الوجدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه.

ونقل الشيوطي ذلك وقال: «وجعل منه ابن السيد قوله: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ ﴿٦﴾ فَإِنَّ الْمَنْزِلَ عَلَيْهِمْ لَيْسَ هُوَ نَفْسُ اللَّبَاسِ بَلِ الْمَاءِ الْمَنْبِتِ لِلزَّرْعِ الْمَتَّخِذِ مِنْهُ الْغَزْلَ الْمَنْسُوجَ مِنْهَا لِلْبَاسِ» ﴿٧﴾. وقال الزركشي: «قلت: وهذا تسمية ابن السيد مجاز المراتب» ﴿٨﴾.

مَجَازُ الْمَرَاتِبِ:

قال الزركشي وهو يتحدّث عن مجاز المجاز: «قلت وهذا تسمية ابن السيد مجاز المراتب» ﴿٩﴾، ولم يوضح صلة هذا النوع بمجاز المجاز ولعله واحد. وكان الشيوطي قد ذكر ذلك من غير أن يُسَمِّيَهُ «مجاز المراتب» عند كلامه على مجاز المجاز ﴿١٠﴾.

(١) الإشارة الى الايجاز ص ٧٩ - ٨٥.

(٢) أسرار البلاغة ص ٢٧٦، نهاية الإيجاز ص ٤٨،

مفتاح العلوم ص ١٨٥، الايضاح ص ٢٦٨،

التلخيص ص ٢٩٤، شروح التلخيص ج ٤

ص ٢٠، المطول ص ٣٥٣، الاطول ج ٢

ص ١١٧، معترك ج ١ ص ٢٤٨، الاتقان ج ٢

ص ٣٦.

(٣) الإشارة إلى الإيجاز ص ١٤٥.

(٤) البقرة ٢٣٥.

(٥) المائدة ٥.

(٦) الاعراف ٢٦.

(٧) معترك ج ١ ص ٢٦٨، الإتقان ج ٢ ص ٤١.

(٨) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٩٩.

(٩) البرهان ج ٢ ص ٢٩٩، معترك ج ١ ص ٢٦٨،

الاتقان ج ٢ ص ٤١.

(١٠) معترك ج ١ ص ٢٦٨، الاتقان ج ٢ ص ٤١.

وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً

وَلَكِنْ مَتَى يَشْتَرِفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ

وقال بعد هذا النوع: «والظاهر أن الكناية ليست من المجاز لأنك استعملت اللفظ فيما وضع له وأردت به الدلالة على غيره ولم تخرجه عن أن يكون مستعملاً فيما وضع له» ﴿١﴾.

فمجاز الزوم ليس مجازاً خاصاً ذا علاقة أو ملازمة معينة وإنما هو المجاز بأنواعه المختلفة، وقد ذكر فيه عز الدين بن عبد السلام المجاز المرسل والمجاز العقلي وأدخل فيه الكنايات وإن نفى كونها من المجاز.

الْمَجَازُ اللَّغَوِيُّ:

هو المجاز في المثلث أو في المفرد ﴿٢﴾، وهو نوعان: الاستعارة والمجاز المرسل، وقد تقدما.

مَجَازُ الْمَجَازِ:

قال عز الدين بن عبد السلام: «هو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة الى مجاز آخر فتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينه وبين الثاني» ﴿٣﴾. كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾ ﴿٤﴾.

فإنه مجاز عن مجاز فإن الوطاء يُتَجَوَّزُ عنه بالسر لأنه لا يقع غالباً إلا في السر فلما لازم السر في الغالب سُمِّيَ سِرًّا، ويُتَجَوَّزُ بالسر عن العقد لأنه سبب فيه، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة، والمصحح للمجاز الثاني التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب، كما سُمِّيَ عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح وكذلك سُمِّيَ العقد سِرًّا لأنه سبب في السر الذي هو النكاح، فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح، فمعنى قوله تعالى: ﴿لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾ لا تواعدوهم عقد نكاح.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ

وهذا يُسمَّى التمثيل وقد تقدّم، أو التمثيل على سبيل الاستعارة، ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلاً، ولذلك لا تُغيَّر الأمثال.

المَجَازُ المُفْرَدُ:

قال القزويني: «هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يَصِحُّ مع قرينه عدم إرادته»^(٦) وهو ثلاثة أنواع: الأول: لغوي مثل لفظ «الأسد» إذا استعمله المُخاطَب بعرف اللغة في الرَّجُل الشجاع.

الثاني: شرعي مثل لفظ «صلاة» إذا استعمله المُخاطَب بعرف الشرع في الدعاء.

الثالث: عرفي، وهو عرفي خاص مثل لفظ «فعل» إذا استعمله المُخاطَب بعرف النحو في الحديث. وعرفي عام مثل لفظ «دابة» إذا استعمله المُخاطَب بالعرف العام في الإنسان.

مَجَازُ النُّقْصَانِ:

هو مجاز الحذف^(٧)، وقد تقدّم.

(١) معترك ج ١ ص ٢٤٨، التبيان في البيان ص ١٧٦.

(٢) البقرة ١٦.

(٣) البرهان الكاشف ص ١٠١، التبيان ص ١٦١.

(٤) الايضاح ج ٢ ص ٣٠٤، التلخيص ص ٣٢٢،

شروح التلخيص ج ٤ ص ١٤١، المطول

ص ٣٧٩، الأطول ج ٢ ص ١١٧، البرهان ج ٢

ص ٢٥٦، شرح عقود الجمان ص ٩٧، حلية

اللب ص ١٢٨.

(٥) الحجرات ١.

(٦) الايضاح ص ٢٦٨، التلخيص ص ٢٩٤، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٠، المطول ص ٣٥٣،

الأطول ج ٢ ص ١١٧، الاتقان ج ٢ ص ٣٦.

(٧) الكتاب ج ١ ص ٢١٢، ٢١٣، معاني القرآن ج ١

ص ٣٦٣، ٣٦٩. أسرار البلاغة ص ٣٨٣،

الايضاح ص ٣١٨، التلخيص ص ٣٣٦، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٢٣١، المطول ص ٤٠٥، =

المَجَازُ المُرْسَلُ:

هو المجاز الإفرادي، وهو أحد أنواع المجاز اللغوي^(١) وقد تقدّم.

المَجَازُ المُرَشَّحُ:

هو الاستعارة الترشيحية كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٢)، وقد سمّاها كذلك ابن الزملكاني، قال: «ومن ترشيح الاستعارة، وتسمى المجاز المرشح»^(٣).

المَجَازُ المُرَكَّبُ:

قال القزويني: «هو اللفظ المُرَكَّبُ المُستعمل فيما شُبِّهَ بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المُشَبَّهة في جنس المُشَبَّه بها مُبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه»^(٤). كما كتب الوليد بن يزيد لما بُوع الى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له: «أَمَا بَعْدُ فَاتِي أَرَاكَ تُقَدِّمَ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَيَّ أَيُّهَا سَيِّدُ السَّلَامِ». شَبَّهَ صُورَةَ تَرَدُّدِهِ فِي الْمُبَايَعَةِ بِصُورَةِ تَرَدُّدِ مَنْ قَامَ لِيَذْهَبَ فِي أَمْرِ فَتَارَةٍ يَرِيدُ الذَّهَابَ فَيَقْدِمُ رِجْلًا وَتَارَةً لَا يَرِيدُ فَيُؤَخِّرُ أُخْرَى.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٥) فإنه لما كان التقدم بين يدي الرجل خارجاً عن صفة المتابع له صار النهي عن التقدم متعلقاً باليدين مثلاً للنهي عن ترك الاتباع.

ومنه قول ابن ميادة:

أَلَمْ تَكُ فِي يُمْنِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي

فَلَا تَجْعَلْتَنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَا

أي: كنت مُكْرَمًا عندك فلا تجعلني مُهَانًا، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطني في المنزل الوضيع.

المُجانِس:

الجنس: الضرب من كل شيء، يقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله^(١) أدخل قُدامة المُجانِس في باب ائتلاف اللفظ والمعنى وقال: «وأما المُجانِس فإن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ مُتجانِسة على جهة الاشتقاق»^(٢). كقول حيان بن ربيعة الطائي:

لقد عَلِمَ القبائلُ أنَّ قَوْمِي
لهم حَدٌّ إذا لُبِسَ الحديدُ

وقول الفرزدق:

خِفافٌ أخَفَّ اللهُ منه سحابة

وأوسعُه من كل سافٍ وحاصِبٍ^(٣)

وقال الآمدي مُعلقاً على تسمية قدامة: «وهذا باب - أعني المطابق - لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتابه المؤلف في «نقد الشعر» المتكافئ وسمي ضرباً من المتجانس المطابق، وهو أن تأتي بالكلمة مثل الكلمة سواء في تأليفها واتفاق حروفها ويكون معناهما مختلفاً نحو قول الأودى:

وأقطع الهَوَجَلَ مستأنِسا

بِهَوَجَلٍ عيرانة عَنتريس^(٤)

والهوجل الأوّل: الأرض البعيدة، والهوجل الثاني: الناقة العظيمة الخلق الموثقة^(٥). ثم قال: «وما علمت أن أحداً فعل هذا غير أبي الفرج فإنه وإن كان في هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الألقاب غير محظورة فاني لم أكن أحبُّ له أن يخالف من تقدمه مثل أبي العباس عبد الله ابن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها إذ قد سبقوا إلى التلقب وكفوه المؤونة»^(٦). ولكن قدامة فصل بين المطابق والمجانس وإن لم يأخذ بمصطلحات ابن المعتز مما أثار عليه مثل هذا النقد.

وقال الآمدي: «وقد رأيت قوماً من البغداديين يُسمّون هذا النوع «المُجانِس المُمائل» ويلحقون به الكلمة إذا ترددت وتكررت نحو قول جرير:

تَزوّدُ مِثْلَ زادِ أبِيكَ فِينا

فَنِعَمَ الزادِ أبِيكَ زادا

وبابه قليل»^(٧).

وقال ابن سنان: «ومن التناشُب بين الألفاظ المُجانِس، وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض إن كان معناهما واحداً، أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفاً، أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى. وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير مُتكلف ولا مقصود في نفسه»^(٨). ومن مجانس أبي تمام قوله:

يُمْدُونُ من أَيْدِ عَواصِ عَواصِمِ

تَصُولُ بِأَسِيفِ قَواضِ قَواضِيبِ

وهذا هو التجنيس أو الجناس، ثم قال ابن سنان: «وبعض البغداديين يُسمي تساوي اللفظتين في الصفة مع اختلاف المعنى: المماثل... ويُسمي المُجانِس ما توافقت فيه اللفظتان بعض الاتفاق» ثم قال بعد أن ذكر اعتراض الآمدي: «والصواب ما قاله أبو القاسم»^(٩). وسمي السجلماسي المُجانِسة والتجانُس محاذاة^(١٠).

=الاطول ج ٢ ص ١٦٦، الاتقان ج ٢ ص ٣٦،
٤٠، شرح عقود الجمان ص ١٠٠، حلية اللب
ص ١٢٩.

(١) اللسان (جنس).

(٢) نقد الشعر ص ١٨٦.

(٣) ساف: مذر. تسفيه: تذروه. الحاصب: الريح
الشديدة تثير الحصباء أي الحصى.

(٤) العيرانة: الناقة الصلبة. العنتريس: الناقة الغليظة.

(٥) الموازنة ج ١ ص ٢٧٤.

(٦) الموازنة ج ١ ص ٢٧٥.

(٧) الموازنة ج ١ ص ٢٧٥.

(٨) سر الفصاحة ص ٢٢٦.

(٩) سر الفصاحة ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(١٠) المنزع البديع ص ٣٩٥، وينظر المنصف
ص ٥٨.

المُجَانِسُ المُمَاثِلُ:

هو المجانس^(١)، وقد تقدّم.

المقصود^(٧).

كقول عنترة:

وَشَكَكْتُ بِالرَّمْحِ الْأَصَمَّ ثِيَابَهُ

ليس الكريم على القنأ بمحرّم

أراد بالثياب ههنا نفسه لأنه وصف المشكوك بالكرم ولا تُوصف الثياب به فثبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب.

وقوله:

بِزَجَاجَةٍ صَفْرَاءِ ذَاتِ أَسِرَّةٍ

قُرِنَتْ بِأَزْهَرِ فِي الشِّمَالِ مُفَدِّمٍ

الصفراء ههنا الخمر والذكر للزجاجة حيث هي مُجاوِرة لها ومُشتملة عليها. وَذَهَبَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتِيَابِكُ فَطَهَّرْ﴾^(٨) إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالثِّيَابِ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ.

مُجَاوِرَةُ الْأَضْدَادِ:

وهي الطَّباقُ عند ثعلب، قال: «وهو ذَكَرُ الشَّيْءِ مَعَ مَا يُعَدُّمُ وَجُودَهُ»^(٩) كقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾^(١٠)، وقول زهير في الفزاريين:

هَنِيئًا لِنِعْمِ السَّيْدَانِ وَجِدْتُمَا

عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٧٥.

(٢) شرح عقود الجمان ص ٢٩.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٥٥، الايضاح ص ٧٥،

التلخيص ص ٩٧ وشروح التلخيص ج ١

ص ٤٧٩، المطول ص ١٣٥، الاطول ج ١

ص ١٥٨.

(٤) اللسان (جور).

(٥) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٤١٣.

(٧) الجامع الكبير ص ١٦٤.

(٨) المدثر ٤.

(٩) قواعد الشعر ص ٥٣.

(١٠) طه ٧٤.

مُجَاوِرَةُ الْمُخَاطَبِ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُ:

هو حمل الكلام على خلاف القصد تنبيهاً على أنه أولى بالقصد^(٢). وقد سَمَّاهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ «الْمُغَالَطَةَ» وَسَمَّاهُ السَّكَاكِي «الْأَسْلُوبَ الْحَكِيمَ»^(٣). وقد تقدّم.

المُجَاوِرَةُ:

الجوار: المُجاوِرَةُ، والجار الذي يجاورك، وجاور الرَّجُلُ مُجَاوِرَةً وَجَوَارًا: سَاكِنَهُ^(٤).

المُجاوِرَةُ من مُبتدعات العسكري^(٥)، وقد قال في تعريفها: «المُجاوِرَةُ: تَرَدُّدُ لَفْظَتَيْنِ فِي الْبَيْتِ وَوُقُوعُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِجَنْبِ الْأُخْرَى أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ إِحْدَاهُمَا لَغْوًا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا»^(٦). وذلك كقول علقمة:

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه

أَتَى تَوَجَّهَ وَالْمَحْرُومُ مُحْرُومٌ

فقوله: «الغنم يوم الغنم» مجاورة، و«المحروم محروم» مثله.

وقول أبي تمام:

وما ضيقُ أقطارِ البلادِ أضاقني

إليك ولكنْ مَذْهَبِي فِيكَ مَذْهَبِي

وقوله:

دَأْبُ عَيْنِي الْبِكَاءُ وَالْحَزْنُ دَأْبِي

فاتركيني وقيت ما بي لما بي

وقوله:

أيام للايام فيك نضارة

والدهرُ فيَّ وفيك غير ملوم

والمُجاوِرَةُ عند ابن الأثير النوع الثالث من الكناية وذلك «أن يريد المؤلف ذكر شيء فيترك ذكره جانباً إلى ما جاوره فيقتصر عليه اكتفاءً بدلالته على المعنى

وقال:

وكنا متى يَعْزُرُ النبيَّ قبيلةً
نَصِلُ حافتيه بالقنا والقنابلِ

وقول الخنساء:

إِنَّ البكاءَ هو الشفا
ءُ من الجوى بين الجوانح

المُجَنِّسُ الْمُخْتَلِفُ:

هو التجنيس المختلف، وقد سَمَّاهُ كذلك المظفر
العلوي^(٥)، ومثاله قول الشاعر:

بكروم وبدور وقنا
تتشنى فوق كشبان النقا
ف«قنا» و«نقا» مجنس مختلف.

المُجَنِّسُ الْمُطْمَعُ:

هو التجنيس المطمع وقد سَمَّاهُ كذلك المظفر
العلوي وقال: «هو أن يأتي الشاعر بكلمة ثم يبدأ في
أختها على وَفْق حروفها فيطمع في أنه يجيء بمثلها
فيُبدلُ في آخرها حرفاً بحرف وهو حسن في
التجنيس»^(٦). ومنه قول الحطيئة:

مطاعينُ في الهيجا مطاعيمُ في الدجى
بنى لهم أبأؤهم وبنى الجدُّ
وقول أبي كدراء العجلي:

نهضتُ الى حديدٍ مشرفي
حديثِ الصَّقْلِ ماثورٍ حُسامِ

المُحَاجَاةُ:

كلمة محجبة: مُخَالَفَةُ المعنى للفظ وهي الأحجية

(١) اللسان (جدد).

(٢) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٦٧.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٢٩٠.

(٤) نضرة الاغريض ص ٨٦.

(٥) نضرة الاغريض ص ٧٨.

(٦) نضرة الاغريض ص ٧٢.

فظلَّ قصيراً على قومه

وظلَّ على الناسِ يوماً طويلاً

وقال حميد بن ثور يصف ذئبا:

ينامُ باحدى مُقلتيه وَيَتَّقِي

بأخرى الأعادي فهو يَقْظَانُ نَائِمٌ

المَجْدُودُ:

الجَدُّ: الحظ والرزق، يقال: فلان ذو جَدٍّ في كذا
أي: ذو حظٍّ، ورجل جُدٌّ - بضم الجيم - أي مجدود
عظيم الجَدِّ^(١).

قال الحاتمي: «المجدود اشتهاه الآخذ بالمعنى
دون المأخوذ منه، وهذا الشعر يُسَمَّى الشعر
المجدود لاشتهاه دون الأصل»^(٢). من ذلك قول
مهلهل: «يوم اللقاء على القنا بحرام» فأخذه عنترة
فأحسن واشتهر بيته لبراعته:

فَشَكَّكْتُ بِالرَّمْحِ الطَّوِيلِ إهَابَهُ
ليس الكريمُ على القنا بِمُحَرَّمِ

ومن ذلك قول امرئ القيس:

وشمائي ما قد عَلِمْتُ وما
نبحت كلابك طارقاً مثلي

فأخذه عنترة فأحسن فاشتهر بيته فقال:

فاذا صَحَّوْتُ فما أَقْصُرُ عن نَدَى

وكما عَلِمْتُ شمائي وتكرمي

وذكر ابن رشيح ذلك وقال عن بيت عنترة: «رزق جدًّا
واشتهارا»^(٣).

المُجَنِّسُ الْمُتَمِّمُ:

قال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بكلمة ثم
يأتي بأختها إلا أنه يُتَمِّمُها بحرف أو حرفين من غير
حروفهما»^(٤) كقول حسان:

ومن هذا الباب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه نحو:
﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٨) أي
يجازيهم جزاء الاستهزاء و﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(٩)
و﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^(١٠) و﴿تَسُوا
اللَّهُ فَتَسِيهِمْ﴾^(١١) و﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(١٢).

ومثل هذا في شعر العرب قول القائل:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا

فجهل فوق جهل الجاهلينا^(١٣)

ونقل الزركشي هذا الكلام^(١٤).

المُحْتَمِلُ لِلضُّدِّينِ:

قال الرازي: «هو أن يكون الكلام مُحْتَمِلًا
للمدح والذم احتمالاً متساوياً»^(١٥). كقول بشار
لرجل أعور:

خاط لي عَمْرُو قَبَاءَ

ليت عَيْنِيهِ سَوَاءَ

وقال ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة: «وهو أن يكون الكلام
مُحْتَمِلًا للشئ وضده»^(١٦) كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ

والأحجوة، وقد حاجيته محاجاةً وحجاءً: فاطنته
فحجوته. وحاجيته فحجوته: إذا أقيت عليه كلمة
محجية مخالفة المعنى للفظ. والاحجية: اسم
المحاجاة^(١).

والمحاجاة هي الإلغاز والتعمية وقد تقدّمت،
وذلك أن يريد المُتَكَلِّم شيئاً فيعبّر عنه بعبارات يدلّ
ظاهرها على غيره وباطنها عليه^(٢).

المُحَادَاة:

يقال: حاذيت موضعاً: إذا صيرت بحذائه، وحاذى
الشئء: وازاه^(٣) قال ابن فارس: «معنى المحاذاة أن
يجعل كلام بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن
كانا مختلفين فيقولون: «الغدايا والعشايا» فقالوا:
«الغدايا» لانضمامها الى «العشايا». ومثله قولهم:
«أعوذ من السامة واللامة» فالسامة من قولك:
«سَمَت» إذا خصت واللامة أصلها «ألمت» لكن لما
قرنت بالسامة جعلت في وزنها.

وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابة
المصحف، كتبوا ﴿والليل إذا سجي﴾^(٤) بالياء وهو
من ذوات الواو لما قرن بغيره مما يكتب بالياء. قالوا
ومن هذا الباب في كتاب الله - جل ثناؤه - : ﴿ولو
شاءَ اللَّهُ لَسَلَطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ﴾^(٥)، فاللام التي في
﴿لسلطهم﴾ جواب ﴿لو﴾. ثم قال: ﴿فلقاتلوكم﴾
فهذه حوذيت بتلك اللام، وإلا فالمعنى: لسلطهم
عليكم فقاتلوكم ومثله: ﴿لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا
أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ﴾^(٦) فهما لاما قسم ثم قال: ﴿أَوْ
لِيَأْتِيَنَّي﴾، فليس ذا موضع قسم لانه عُذْرٌ لِلْهُدْهِدِ
فلم يكن يقسم على الهدهد أن يأتي بعذر لكنه لما
جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه، ومن
الباب «وَزَنَّتُهُ فَاتَّرَنَ» و«كلته فاكتال» أي: استوفاه كيلاً
ووزناً، ومنه قوله - جل ثناؤه - : ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾^(٧) تستوفونها لأنها حقٌّ للأزواج على
النساء.

(١) اللسان (حجا).

(٢) تحرير التعبير ص ٥٧٩، خزانة الأدب ص ٣٩٣،
وينظر الروض المريع ص ١٢٢.

(٣) اللسان (حذو).

(٤) الضحى ٢.

(٥) النساء ٩٠.

(٦) النمل ٢١.

(٧) الاحزاب ٤٩.

(٨) البقرة ١٤ - ١٥.

(٩) آل عمران ٥٤.

(١٠) التوبة ٧٩.

(١١) التوبة ٦٧.

(١٢) الشورى ٤٠.

(١٣) الصاحبي ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(١٤) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٩١.

(١٥) نهاية الايجاز ص ١١٤.

(١٦) الفوائد ص ١٦٥.

فان «الحمرة» و«الخضرة» من المخالف، وبعض الناس يجعل هذا من المطابق. وكذلك قول عمرو بن كلثوم:

بأنا نُورِدُ الرِايَاتِ بِيضًا
وَنُصْدِرُهُنَّ حَمْرًا قَد رَوِينَا

وقول البحترى:

وإلا لقيت الموتَ أَحْمَرَ دونه
كما كان يلقي الدهرَ أَغْبَرَ دوني

ومن قبيح المخالف قول أبي تمام:

مَكْرُهُمْ عنده فصيحٌ وإنْ هم
خاطبوا مَكْرَهُ رَأَوْه جليبا

لأنه لما أراد أن يخالف بين «فصيح» و«جليب» وهو الذي قد جلب في السبي فلم يفصح بالكلام جعل «المكر» جليبا وذلك من «الاستعارات المستحيلة والأغراض الفاسدة»^(٦).

المُخَالَفة:

قال ابن منقذ: «المُخَالَفة هي الخروج عن مذهب الشعراء وترك الاقتفاء لآثارهم»^(٧). كقول نُصيب:

طَرَفْتِكَ صائِدَةُ القلوبِ وليس ذا
وَقَتَّ الزِيارَةَ فارِجِعي بِسلامِ
وليس المعهود ردَّ المحبوب على عقبه إذا أراد زيارة مُجِبِّه.

ومن ذلك قول كُثَيِّر:

ألا ليتنا يا عَزَّ من غَيْرِ رِيبَةٍ
بعيرانِ نَزَعِي في الخَلَاءِ وَنَعْرُبُ

(١) الكهف ٧٩.

(٢) هود ٨٧.

(٣) اللسان (خلف).

(٤) سر الفصاحة ص ٢٣٤.

(٥) سر الفصاحة ص ٢٣٩.

(٦) سر الفصاحة ص ٢٤٠.

(٧) البديع في نقد الشعر ص ١٦٥.

وراءهم مَلِكٌ يأخذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا^(١) يحتمل أن يكون أراد بـ﴿وراءهم﴾: أمامهم، ويحتمل أن يكون ﴿وراءهم﴾: وهو يطلبهم. وينخرط في هذا السلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(٢) إذا جعل هذا من باب التَّهَكُّم به والإزدراء عليه كان ذما. ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم: «من جعل قاضيًا ذبح بغير سكين» فان أريد به الذم يكون التقدير: من جعل قاضيًا فقد قتل بغير سكين لأنه ليس في قدرته إقامة الحق على وجهه وإجراء الأحكام على القانون المستقيم فيكون قد كُفِّ ما لا طاقة له به ومن كُفِّ ما لا طاقة له به فهو في ألم شديد يشبه ألم من ذبح بغير سكين ومن أراد المدح قال: إنه لشدة تحرزه في أحكامه واجتهاده في نقضه وإبرامه وإنعامه النظر فيما يحدث من الوقائع ويتجدد من خفايا الأحكام والنظر في أمر الوصايا ومال الأيتام الى غير ذلك من الأمور المُشَقَّة يحصل له من الألم مقدار ألم من ذبح بغير سكين بل أشد، لأن من ذبح بغير سكين يقاسي الألم في حال ذبحه ثم يستريح، والحاكم بهذه الأمور مُسْتَمِرَّ التعب دائم النكد مشتغل القلب منقسم الفكر دائم النظر.

المُخَالَف:

الخلاف المضادة، وقد خالفه مُخَالَفةً وَخِلَافًا^(٣).

قال ابن سنان وهو يتحدَّث عن المُطابِق: «وسمى أصحاب صناعة الشعر ما كان قريبًا من التضاد المُخَالَف. وقسم بعضهم التضاد فسمي ما كان فيهما لفظتان معناهما ضدان كالسواد والبياض المُطابِق، وسمي تقابل المعاني والتوفيق بين بعضها وبعض حتى تأتي في المُوافق بما يُوافق وفي المُخَالَف بما يُخَالَف على الصِّحَّة المُقابِلَة»^(٤). ثم قال: «فأما المُخَالَف وهو الذي يقرب من التضاد»^(٥) فكقول ابي تمام:

تَرَدَّى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فما أتى

لها الليلُ إلا وهي من سُندُسٍ حُضْرُ

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٧) أي: يجازيهم جزاء الاستهزاء.

ومنه أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير كقوله سبحانه: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٨).

ومنه أن يأتي على مذهب الاستفهام وهو تعجب كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾^(٩). كأنه قال: عمّ يتساءلون يا محمدا؟ ثم قال: عن النبأ العظيم يتساءلون.

ومنه أن يأتي على مذهب الاستفهام وهو توبيخ كقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١٠).

ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١١). وأن يأتي على لفظ الأمر وهو تأديب كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(١٢). وعلى لفظ الأمر وهو إباحة كقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾^(١٣) وعلى لفظ الأمر وهو فرض كقوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(١٤).

(١) الفوائد ص ٢٣٤.

(٢) نقد الشعر ص ٢٤٤، وينظر الموشح ص ٣٦٢.

(٣) الايضاح ص ٣، التلخيص ص ٢٥، شروح التلخيص ج ١ ص ٨٨، المطول ص ١٩، الأطول ج ١ ص ٢٠.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٣ - ٢٢٩.

(٥) الذاريات ١٠.

(٦) عبس ١٧.

(٧) البقرة ١٤ - ١٥.

(٨) المائدة ١١٦.

(٩) النبأ ١ - ٢.

(١٠) الشعراء ١٦٥.

(١١) فصلت ٤٠.

(١٢) الطلاق ٢.

(١٣) النور ٣٣.

(١٤) البقرة ٢٨٢.

يطردنا الرعيان من كل تُلعة

فلا عيشنا يصفو ولا الموت يقرب

فقيل: إِنَّ عَزَّةَ لَمَا سَمِعَتْ هَذَا قَالَتْ: تَمَنَيْتَ لَكَ الشَّقَاءَ الطَّوِيلَ.

ومنه قول عمر بن ابي ريعة:

وَإِذَا تَلَسَّنِي أَلْسُنُهَا

انني لَسْتُ بِمُوهُونَ فِقْرٍ

وهذا ضد ما فطر عليه طباع المحبين من احتمال المحبوبين والسكون وانقطاع الكلام عند رؤيتهم.

ومن ذلك قول جميل:

أُرِيدُ لِأَنْسِ ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا

تَخَيَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

وهذا خلاف مذاهب الشعراء لأنهم يحرصون على دوام ذكْرهم وطول محبتهم. ونقل ابن قَيْم الجَوْزِيَّة تعريف ابن منقذ وقال: «والقرآن العظيم كله مُخَالِفٌ لِأَسَالِيِبِ الشَّعْرِ وَقَوَائِنِ النِّظْمِ وَالنَّشْرِ الَّتِي يَسْتَعْمَلُهَا النَّازِمُونَ وَالنَّاثِرُونَ»^(١). وَسَمِّيَ قَدَامَةَ ذَلِكَ «مُخَالِفَةُ الْعَرَفِ» وَهُوَ مِنْ عِيُوبِ الْمَعَانِي وَذَلِكَ أَنْ يُؤْتَى بِمَا لَيْسَ فِي الْعَادَةِ وَالطَّبَعِ^(٢).

والمُخَالَفَةُ فِي فَصَاحَةِ اللَّفْظَةِ هِيَ مُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ كَقَوْلِ أَبِي النَّجْمِ الْعَجَلِيِّ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ» فَإِنَّ الْقِيَاسَ «الْأَجَلَ» بِالْإِدْغَامِ^(٣).

مُخَالَفَةُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مَعْنَاهُ:

وهو أنواع كثيرة، وقد تحدّث ابن قتيبة^(٤) عنها ومن ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾^(٥) وقوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٦). وقد يُراد بهذا أيضا التعجب من إصابة الرجل في منطقته أو في شعره أو رميه فيقال: «قاتله الله ما أحسن ما قال» و«أخزاه الله ما أشعره» و«لله دَرُّه ما أحسن ما اجتمع به». ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان كقوله تعالى:

كقوله: «فإن لم يستجيبوا لكم» الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال للكفار: «فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو»، يدل على ذلك قوله: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾^(٩).

ومنه أن تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوق أمرك الاثنين كقوله تعالى: ﴿القياء في جهنم كل كفار عنيد﴾^(١٠).

ومنه أن يُخاطب الواحد بلفظ الجميع كقوله سبحانه: ﴿قال رب ارجعون﴾^(١١).

ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان كقول سبحانه: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ ثم قال: ﴿وكذلك يفعلون﴾^(١٢) وليس هذا من قولها وانقطع الكلام عند قوله: ﴿أذلة﴾ ثم قال الله تعالى: ﴿وكذلك يفعلون﴾.

ومنه أن يأتي الفعل على بنية الماضي وهو دائم أو مستقبل كقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾^(١٣) أي: أنتم خير أمة.

ومنه أن يجيء المفعول به على لفظ الفاعل كقوله سبحانه: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من

(١) الأعراف ١٤٣.

(٢) النور ٢.

(٣) الحجر ٦٨.

(٤) التحريم ٤.

(٥) يشتجر من المشاجرة وهي الخصومة. وسرواتهم: أشرافهم.

(٦) الكهف ٦١.

(٧) الجمعة ١١.

(٨) يونس ٢٢.

(٩) هود ١٤.

(١٠) ق ٢٤.

(١١) المؤمنون ٩٩.

(١٢) النمل ٣٤.

(١٣) آل عمران ١١٠.

ومنه عام يراد به خاص كقوله سبحانه حكاية عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وأنا أول المؤمنين﴾^(١)، ولم يُرد كل المسلمين.

ومنه جمع يراد به واحد واثنان كقوله عز وجل: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾^(٢) ومنه واحد يراد به جميع كقوله تعالى: ﴿هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾^(٣). والعرب تقول: «فلان كثير الدرهم والدينار» يريدون الدراهم والدينانير. وقال الشاعر:

هُم المولى وإن جئنا
وإننا من لقائهم لزور

ومنه أن تصف الجميع صفة الواحد كقوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾^(٤) ويقال: «هم قوم عدل» قال زهير:

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم

هُم بيننا فهم رضا وهم عدل^(٥)

ومنه أن يوصف الواحد بالجمع كقولهم: «ثوب أهدام وأسمال»، وقول الشاعر:

جاء الشتاء وقميصي أخلاق

شراذم يضحك مني التواق

ومنه أن يجتمع شيان ولأحدهما فعل فيجعل الفعل لهما كقوله سبحانه: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما﴾^(٦).

ومنه أن يجتمع شيان فيجعل الفعل لأحدهما أو تنسبه إلى أحدهما وهو لهما كقوله تعالى: ﴿وإذا رآو تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾^(٧) وقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عند

دك راض والرأي مختلف

ومنه أن تُخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله عز وجل: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها﴾^(٨). وهذا هو الالتفات.

ومنه أن يُخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره

سَمَوْتُ اليها بعدما نام أهلها
 سُموَّ حَبَابِ الماءِ حالاً على حالٍ
 فإنه أول من طَرَقَ هذا المعنى وابتكره وسَلَّمَ الشعراء
 إليه فلم يَنازعه أحدٌ إياه. وَفَرَّقَ ابن رَشِيْق بين الاختراع
 والإبداع فقال: «والفرق بين الاختراع والإبداع وإن
 كان معناهما في العربية واحداً، أنَّ الاختراع: خلق
 المعاني التي لم يُسبق إليها والإتيان بما لم يكن منها
 قَطُّ، والإبداع: إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف
 والذي لم تَجْرِ العادة بمثله. ثم لزمته هذه التسمية
 حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع
 للمعنى والإبداع للفظ، فاذا تم للشاعر أن يأتي
 بمعنى مُخْتَرَع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد،
 وحاز قصب السبق. واشتقاق الاختراع من التليين
 يقال: «بيت خرع» إذا كان لينا، والخروع «فِعْوَل»
 منه فكأن الشاعر سهل طريقة هذا المعنى وَلَيَّنَه حتى
 أبرزه. وأما البديع فهو الحديد وأصله في الحبال وذلك
 أن يُفْتَل الحبل جديداً ليس من قُوَى حبل نُقِصَتْ ثم
 فتلت فتلاً آخر»^(٩).

وَذَكَرَ ابن الأثير مثل ما ذَكَرَ العسكري وقال إنَّ
 المعاني على ضربين^(١٠):

الأول: يتدعه مؤلّف الكلام من غير أن يقتدي فيه
 بمن سبقه، وهذا الضَرْبُ ربما يعثر عليه عند الحوادث
 المُتجدِّدة، وَيَتنبَّه له عند الأمور الطارئة. ومن ذلك ما

(١) هود ٤٣.

(٢) البقرة ١١٧، الانعام ١٠١.

(٣) مريم ٦١.

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٥٨ وما
 بعدها.

(٥) نقد الشعر ص ٢٤٤ وينظر الموشح ص ٣٦٢.

(٦) اللسان (خرع).

(٧) كتاب الصناعتين ص ٦٩.

(٨) العمدة ج ١ ص ٢٦٢.

(٩) العمدة ج ١ ص ٢٦٥.

(١٠) المثل السائر ج ١ ص ٣١٢.

رَحِمَ^(١) أي: لا معصوم من أمره. وأن يأتي «فعل»
 بمعنى «مُفْعِل» كقوله تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ﴾^(٢). أي: مبدعها. و«فَعِيل» بمعنى «فاعل»
 مثل: «حفيظ» و«قدير».

ومنه أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به وهو قليل
 كقوله تعالى: ﴿إِنَّهٗ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾^(٣) أي آتيا.
 ومعظم هذه الأنواع يدخل في المجاز ولا سيما
 المرسل، وفي الالتفات أو خروج الخبر والإنشاء عن
 الأغراض الأصلية. وقد أدخل الزركشي معظم هذه
 الألوان في المجاز الإفرادي أو المرسل^(٤).

مُخَالَفَةُ العُرْفِ:

أدخله قدامة في عيوب المعاني وقال: «ومن عيوب
 المعاني مُخَالَفَةُ العُرْفِ والإتيان بما ليس في العادة
 والطبع»^(٥). وهو المُخَالَفَةُ التي تَحَدَّث عنها ابن
 منقذ وابن قَيِّم الجَوْزِيَّة وقد تَقَدَّمت.

المُخْتَرَع:

اخترع فلان الباطل: إذا اخترقه، واخترع الشيء:
 اقتطعه واختزله، والاختراع: الاستهلاك، واخترع
 الشيء: ارتجله، وقيل: اخترعه اشتقه، ويقال: أنشأه
 وابتدأه^(٦).

تَحَدَّث البلاغيون والنُقَّاد عن المُخْتَرَع في باب
 المعاني قال العسكري^(٧): إِنَّهَا على ضربين: ضرب
 يتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام
 يقتدي به فيه أو رسوم قائمة في أمثلة يعمل عليها.
 وهذا الضَرْبُ ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة
 وَيَتنبَّه له عند الأمور النازلة الطارئة.

والآخر: ما يَحْتذيه على مثال تَقَدَّمَ ورسم فرط أي
 سبق.

وعقد ابن رَشِيْق باباً له وقال: «المُخْتَرَع من الشعر
 هو ما لم يُسَبِّق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله
 نظيره أو ما يقرب منه»^(٨) كقول امرئ القيس:

منشب. تقول: خلّصته من كذا تخليصًا أي نجّيته
تنجية فتخلص، وتخلّصه تخلّصًا كما يُتخلّص الغزل
إذا التبس^(٢).

والمُخلّص هو التخلّص أو حسن التخلّص وقد مرّ.
وفَرَّقَ الحموي بين الاستطراد والمُخلّص فقال:
«الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الأوّل
وقطع الكلام بعد المُستطرّد والأمران معدومان في
المُخلّص فإنّه لا يَزِجُ الى الأوّل ولا يقطع الكلام
بل يستمر الى ما يخلص اليه»^(٣).

المُخلّص المَلِيح:

عقد المظفر العلوي بابًا سماه «المُخلّص المَلِيح
الى الهجاء والمديح»^(٤) وهو التخلّص أو حسن
التخلّص وقد تقدّم.

المَدْح في مَعْرِضِ الدَّم:

هو تأكيد المدح بما يشبه الدم، وهو من محاسن
الكلام التي ذكرها ابن المعتز^(٥)، وسماه المظفر
العلوي «الاستثناء»^(٦) وسماه بعضهم «النفسي
والجحود»^(٧). وقد تقدّم.

المُدْرَج:

دَرَجَ يَدْرُجُ دَرْجًا: مشى مشيًا ضعيفًا ودبّ،
ودرجتُ الثوب. طويته والإدراج لف الشيء في
الشيء^(٨). والمُدْرَج من الحديث أن تزداد لفظة في
متن الحديث من كلام الراوي فيحسبها من يسمعها

(١) جوهر الكنز ص ١٤٢.

(٢) اللسان (خلص).

(٣) خزانة الأدب ص ٤٤.

(٤) نضرة الاغريض ص ١٨٨.

(٥) البديع ص ٩٢.

(٦) نضرة الاغريض ص ١٢٨.

(٧) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧، شرح الكافية ص ٣٠٥.

(٨) اللسان (درج).

ورد في شعر أبي تمام في وصف مصليين:

بَكَرُوا وَأَسْرُوا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ
قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبِطِ النَّجَارِ

لا يبرحون ومن رآهم خالهم

أبدًا على سفَرٍ من الأسفارِ

ومن ذلك ما جاء في شعر المتنبي في وصفه الحمى:

وزائرتي كأنّ بها حياءَ

فليس تزورُ إلا في الظلامِ

بذلتُ لها المطارفَ والحشايا

فعافتها وباتت في عظامي

كأنّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فتجري

مدامعُها بأربعةِ سِجَامِ

أراقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقِ

مُرَاقِبَةِ الْمَشُوقِ الْمَسْتَهَامِ

والثاني: يُحتذى فيه على مثال سابق ومنهج
مطروق، وهو جُلُّ ما يستعمله أرباب صناعة الكلام.

وقد سمّى ابن رَشِيْق الأوّل المُخْتَرَع، والثاني
التوليد، وكان هذا التقسيم من أسباب البحث في
السرقات ومُتَابَعَةِ الشعراء والكتاب فيما ابتدعوه
وأخذوه وتفصيل أنواع الأخذ.

المُخْتَلِف والمُؤْتَلَف:

هو أن يريد المُتَكَلِّم التسوية بين الممدوحين فيأتي
بمعنى مؤتلف في مدحهما ثم يروم بعد ذلك ترجيح
أحدهما على الآخر بزيادة فصل لا ينقص به مدح
الآخر فيأتي بمعنى يُخَالِف معنى التسوية^(١).

وهو جمع المختلفة والمؤتلفة والمؤتلفة
والمختلفة وقد تقدّم..

المُخَلِّص:

خَلِّصَ الشَّيْءَ يَخْلِصُ خَلُوصًا وَخِلَاصًا إِذَا كَانَ قَدْ
نَشَبَ ثُمَّ نَجَا وَسَلِمَ. والتخليص: التنجية من كل

قال المصري إنه من مُسْتَخْرَجَاتِهِ وَعَرَفَهُ بقوله: «هو أن يحكي المُتَكَلِّم مُرَاجَعَةَ فِي الْقَوْلِ وَمُحَاوَرَةَ فِي الْحَدِيثِ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ أَوْ بَيْنَ اثْنَيْنِ غَيْرِهِ بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ وَأَرْشَقِ سَبْكِ وَأَسْهَلِ الْفَازِ إِمَّا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ أَوْ فِي آيَاتٍ أَوْ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ»^(١٢).

وكان الوَطَواط قد تَحَدَّثَ عَنِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ^(١٣)، وفعل مثله الرازي^(١٤)، وهذا النوع هو المُرَاجَعَةُ التي ادَّعى المصري أنَّها من

(١) الباعث الحثيث ص ٧٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٩٤.

(٣) النمل ٣٤.

(٤) يوسف ٥١.

(٥) يوسف ٥٢.

(٦) يس ٥٢.

(٧) الأعراف ١١٠.

(٨) تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٦.

(٩) الفوائد ص ١٣٦، البرهان ج ٣ ص ٤٦٨، شرح

عقود الجمان ص ١٢٣، حلية اللب ص ١٤٤،

البحر المحيط ج ٣ ص ٣٠٥، ج ٥ ص ٣٥٠.

(١٠) البديع ص ٢٥٣، كتاب الصناعتين ص ٤١٠،

العمدة ج ٢ ص ٧٨، الوافي ص ٢٨٨، قانون

البلاغة ص ٤٥٤، تحرير التحبير ص ١١٩، بديع

القرآن ص ٣٧، المصباح ص ٩٤، حسن التوسل

ص ٢٢١، نهاية الأرب ج ٧ ص ١١٤، المصباح

ص ٩٤، جوهر الكنز ص ٣٠٢، الأيضاح

ص ٣٦٦، التلخيص ص ٣٧٤، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٣٦٨، المطول ص ٤٣٥،

الاطول ج ٢ ص ٢٠٩، شرح عقود الجمان

ص ١٢٣، حلية اللب ص ١٤٤، كفاية الطالب

ص ١٧١، نفحات الأزهار ص ١٤٨، كفاية

الطالب ص ١٧١، التبيان في البيان ص ٢٥٨،

شرح الكافية ص ١٣٧.

(١١) اللسان (رجع).

(١٢) تحرير التحبير ص ٥٩٠، بديع القرآن

ص ٣٠٠.

(١٣) حقائق السحر ص ١٥٩.

(١٤) نهاية الأيجاز ص ١١٤.

مرفوعة في الحديث فيرويهها كذلك^(١). قال الزركشي: «هذا النوع سَمَّيْتَهُ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ بِنَظِيرِ المُدْرَجِ مِنَ الْحَدِيثِ، وَحَقِيقَتُهُ فِي أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ أَنْ تَجِيءَ الْكَلِمَةُ إِلَى جَنْبِ أُخْرَى كَأَنَّهَا فِي الظَّاهِرِ مَعَهَا وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَا»^(٢). كقوله تعالى ذَاكِرًا عَنِ بَلْقَيْسِ: ﴿إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٣) هو من قول الله لا من قول المرأة. ومنه قوله تعالى: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُذُتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤) انتهى قول المرأة ثم قال يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾^(٥) معناه: ليعلم الملك أنني لم أخنه.

ومنه: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٦) تَمَّ الْكَلَامُ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. وقوله تعالى حكاية عن ملأ فرعون: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾^(٧) هذا قول الملأ ثم قال فرعون: «فماذا تأمرون».

وكان ابن قتيبة قد تحدث عن هذا النوع في باب «مخالفة ظاهر اللفظ معناه» وقال: «ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان»^(٨) وذكر الآيات السابقة.

المَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ:

هو الاحتجاج النظري أو إجماع الخصم بالحجة^(٩) وقد تقدّم. ولكن الذي شاع في كتب البلاغة هو مُصْطَلَحُ «المَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ» الذي نَسَبَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ إِلَى الْجَاحِظِ^(١٠).

المُرَاجَعَةُ:

رَجَعَ يَرْجِعُ: انصرف، وراجع الشيء ورجع إليه، وَرَجَّعَ: رَدَّدَ صَوْتَهُ فِي قِرَاءَةٍ أَوْ أَذَانٍ أَوْ غَنَاءٍ أَوْ زَمْرٍ، وَرَاجَعَهَا مُرَاجَعَةً: رَجَعَهَا إِلَى نَفْسِهِ، وَرَاجَعَهُ الْكَلَامَ مُرَاجَعَةً وَرَجَاعًا: حَاوَرَهُ إِتْيَاهُ^(١١).

مُبتدعاته^(١) وقد تقدّم السلب والإيجاب.

مُرَاعَاةُ الْحُرُوفِ:

قال التنوخي: «ومن البيان مراعاة الحروف ومعانيها ومواقع اللبس فيها واشتباها ببعض وهذا مما يحتاج الى الطباع السليمة والتدرب في معاني الشعر والخطب وما جاء من كلام العرب في مكاتباتهم الى غير ذلك مما استعملوه»^(٢). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعَيْنًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدائقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ. فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ»^(٣). قال التنوخي: لما زجر بـ ﴿كَلَّا﴾ وأخبر أن المرء لم يَقْضِ ما أمر به عقب الزجر بالأمر فأتى بالفاء مستأنفا للجملة الاخرى وتعقيبًا للزجر بالأمر وتنبهها على أن غفلة الإنسان مما ينبغي له سبب لأن يوعظ. فالفاء هنا دلّت على الاستئناف والتعقيب والتسبب. وعطف شق الأرض على صب الماء بـ «ثم» إذ لا بدّ بينهما من مهلة وقال: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ إذ انشقاق الأرض بالنبات فلا مهلة بينهما، ثم عطف النبات بعرضه على بعض بالواو لأنّ فيه ما يثبت بعرضه مع بعض وما يثبت بعرضه عقيب بعض وما يتقدم بعرضه على بعض ويتأخّر من غير تعقيب. والواو تُستعمل في هذه المواضع كلها إذ هي لمُجرّد الاشتراك. ثم قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ وليس وقت مجيئها عقيب ما قبلها فهي لتعقيب الوعظ بعرضه بعض إذ هو من توابع الزجر وليس في هذا العطف تعرض لتوالي الأوقات ثم قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ فعطف بالواو لأنّه يَفِرُّ من المفرور منه إذا لقيه ولقاؤه لهم قد يكون في وقت واحد وقد يكون في أوقات مختلفة، والواو هي الجامعة لذلك كله. وقدّم الأخ على الأم، والأم على الأب، والأب على الصاحبة والصاحبة على الابناء انتقالاً من كل واحد الى من هو

أعز منه وأشدّ حفاوة، والأب وإن كان كالأم أو مرجوحاً من جهة البر فانه يرجى نصره أكثر من الأم والمحافظة على الرجال أشد منها على النساء. وأخر الصاحبة عنه وإن كانت لا يرجى نصرها لزيادة الانس والمودة التي جعل الله بينهما، وأخّر البنين عنها لأنهم الغاية والنتيجة وزيادة حبهم بالطبع على كل أحد. ومثل ذلك حروف الجر قال: التنوخي: «وانظر الى حروف الجر في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤). استعمل «على» بالنسبة الى «الهدى» و «في» بالنسبة الى الضلال مع أن كلّ واحد منهما يجوز أن يقال فيه «على» و «في» لأنّ الهدى من الله والله الهادي والدالّ على طريق الهدى، فكل من «هدى» و «دل» فهو على الهدى، ولا يُوصف أحد بأنّه فيه إلا لقربه وعلو مرتبته، وهذا لا يكون إلا للآحاد ممن يشاء الله فاستعملت «على» لشمولها وأما الضلال فيوصف به من ضل عن الهدى. ومن لم يَهْتَدِ بعد وهو مما ينسب الى الإنسان على سبيل الأدب مع الله فالضلال محيط بالضال بالطبع حتى يهديه الله ف«في» هنا استعملت لأنها أبلغ من «على»، وأيضاً فإنّ التردد ههنا في الظاهر واما في نفس الأمر فالمشركون هم في الضلال منغمسون غاية الانغماس فتكون «في» أنسب. وكان ابن الأثير قد تحدث عن ذلك في «الحروف العاطفة والجارّة» وقال: «إنّ أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها فيجعلون ما ينبغي أن يجرب بـ «على» بـ «في»

(١) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١، خزنة الادب ص ٩٩، معترك ج ١ ص ٤١٨، الاتقان ج ٢ ص ٩٦، شرح عقود الجمان ص ١٣٤، أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٥٠، نفحات الأزهار ص ١٠٧، التبيان في البيان ص ٢٦٦، شرح الكافية ص ٩٩.

(٢) الاقصى القريب ص ٨٨.

(٣) عبس ٢٣ - ٣٦.

(٤) سبأ ٢٤.

المُرَافَدَة:

الرَّفْد: العطاء والصلة، رفته يرفده: أعطاه: وأرفده: أعانه، والمرفد: المعونة، والمُرَافَدَة: المُعَاوَنَة^(٩).

وقد ذكر الحاتمي المُرَافَدَة وقال: بينما كان جرير واقفاً بالمِرْبَدِ وقد ركبته الناس وعمر بن لجأ مواقفه أنشد جرير قوله:

يا تيم تيم عدي لا أبالكم
لا يلقينكم في سؤة عمُر
أحين صرت سناماً يا بني لجأ
وخاطرت بي عن أحسابها مُضَرُّ

فقال عمر جواب هذا:

لقد كذبت وشتر القول أكذبه
ما خاطرت بك عن أحسابها مُضَرُّ
ألبيست نزوة خوار على أمة
لبست الخلتان: البخل والخور

وكان الفرزدق قد رفته بهذين البيتين في هذه القصيدة فقال جرير لما سمعها: «قبحاً يا ابن قنب وفي رواية أخرى يا ابن قين - كذبت والله ولؤمت

- (١) المثل السائر ج ٢ ص ٥٠، الجامع الكبير ص ٢٠١.
- (٢) البيان ج ١ ص ١٠٤.
- (٣) البيان ج ١ ص ٤٤، ١٥٥.
- (٤) الحيوان ج ١ ص ٩٤.
- (٥) الحيوان ج ١ ص ٩٢ - ٩٣.
- (٦) الحيوان ج ٣ ص ٤٣، وينظر البيان ج ١ ص ١٣٦.
- (٧) نهاية الأيجاز ص ١١٣، وينظر حدائق السحر ص ١٣٠.
- (٨) مفتاح العلوم ص ٢٠٠، الايضاح ص ٣٤٣، التلخيص ص ٣٥٤، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠١، المطول ص ٤٢٠، الاطول ج ٢ ص ١٨٧، خزنة الادب ص ١٣١، شرح عقود الجمان ص ١٠٨، أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٩، نفحات ص ١١٤، التبيان في البيان ص ٢٩٠، شرح الكافية ص ١٢٨.
- (٩) اللسان (رفد).

في حروف الجر، وفي هذه الأشياء دقائق أذكرها لك^(١).

مُرَاعَاة مُقْتَضَى الْحَال:

أولى الجاحظ هذه المسألة اهتماماً كبيراً ونقل بعض الأقوال التي تذهب الى أن مراعاة مقتضى الحال من أهم ما ينبغي أن يتمسك به الشاعر أو الخطيب أو الكاتب، وقد جاء عن عبدالله بن مسعود قوله: «حدّث الناس ما مدحوك بأبصارهم وأذنوا لك بأسماعهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك»^(٢) ونقل الجاحظ قول الزيايدي:

يَرمون بِالْحُطْبِ الطُّوالِ وتارةً

وَحَيِّ المَلَا حِظِّ حَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ

وقال: «فمدح كما ترى الإطالة في موضعها والحذف في موضعه»^(٣).

وَذَكَرَ الجاحظ أَنَّ «الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام»^(٤). وقال إنَّ البلغاء «إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مديح الملوك أطالوا. فلإطالة موضع وليس ذلك بخطل ولإقلال موضع وليس ذلك من عجز»^(٥) وانتهى الجاحظ الى أن الذي قال: «لكل مقام مقال»^(٦) قد أصاب في القول.

مُرَاعَاة النَّظِير:

هو الائتلاف والتلفيق والتناسب والتوفيق والمؤاخاة، ولكنَّ معظم البلاغيين يسمونه: «مراعاة النظير» وأدخله الرازي في أقسام النظم وقال: «مراعاة النظير وهو عبارة عن جمع الأمور المتناسبة»^(٧). وأدخله السكاكي والقزويني وشراح التلخيص في المُحَسَّنَات المعنوية^(٨).

هذا شعر حنظلي، هذا شعر العزيز يعني الفرزدق، رفدك به^(١).

وقال ابن رَشِيق: «وأما المرافدة فأَنْ يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له»^(٢) ثم قال: «والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك إذا كانت شبيهة بطريقته ولا يُعَدُّ ذلك عيبًا، لأنَّه يقدر على عمل مثلها، ولا يجوز ذلك إلاَّ للحاذق المُبرِّز».

المُرْصَع:

الترصيع: التركيب، يقال: تاج مُرْصَع بالجواهر وسيف مُرْصَع أي مُحلَّى بالرصائع، وهي حلق يتخلى بها، الواحدة: رصيعة. ورصع العقد بالجواهر: نظمه فيه وضمَّ بعضه الى بعض^(٣).

قال الكلاعي: «وسَمَّينا هذا النوع المُرْصَع لأنَّه رُصِّعَ بالأخبار والأمثال والأشعار وروايات القرآن وأحاديث النبي - عليه السلام - الى غير ذلك من النحو والعروض وحلَّ أبيات القريض»^(٤).

والمُرْصَع أحد أنواع السجع عند الشَّيْطِي^(٥)، قال: «وهو أحسن من قول الترصيع كما قال الشيخ بهاء الدين لمُوافقة قولنا: «مطرف» و«متواز» وهو ما كان في الأولى مقابلاً لما في الثانية وَزْنًا وتقفيةً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(٦). وقد تقدَّم في السجع المُرْصَع.

المُزَاوَجَة:

ازدوج الكلام وتزواج: أشبه بعضه بعضًا في السجع أو الوزن أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى. والمُزَاوَجَة والازدواج بمعنى^(٧).

والمُزَاوَجَة هي التزواج^(٨)، وقد تقدَّمت.

مَزَج الشَّكِّ بِالْيَقِينِ:

هو إخراج ما يُعرَف صحته مخرج ما يُشكَّ فيه

ليزيد بذلك تأكيداً^(٩)، وهو تَجَاهُلُ العارف وقد تقدَّم.

المُزْدَوِج:

ذكر الجاحظ أمثلة لمزدوج الكلام^(١٠) كقوله - عليه السلام - في معاوية: «اللهم علِّمهُ الكتاب والحساب وَقِه العذاب»، أشار الى الكلام المزدوج وغير المزدوج^(١١)، ولم يوضحهما أو يُفَرِّق بينهما، ولكن الأمثلة التي ذكرها تشير الى معنى الازدواج والتعادل بين الجمل والعبارات.

وللمزدوج معنى آخر في الشعر وهو: «ما أتى على قافيتين الى آخر القصيدة، وأكثر ما يأتي على وزن الرَّجَز»^(١٢). وليس هذا ما يريده البلاغيون وإنما المزدوج عندهم الكلام المُتَعَادِل من سجع أو من غير سجع.

(١) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٤٩.

(٢) العمدة ج ٢ ص ٢٨٦.

(٣) اللسان (رصع).

(٤) احكام صنعة الكلام ص ١٣٠.

(٥) شرح عقود الجمان ص ١٥١.

(٦) الغاشية ٢٥ - ٢٦.

(٧) اللسان (زوج).

(٨) النكت في إعجاز القرآن ص ٩١، الرسالة

العسجدية ص ١٢٧، المصباح ص ٨٤، نهاية

الايجاز ص ١١١. مفتاح العلوم ص ٢٠٠،

الايضاح ص ٣٥٠، التلخيص ص ٣٥٨، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٣١٦، المطول ص ٤٢٣،

الاطول ج ٢ ص ١٩٢، خزانة الادب ص ٤٣٥،

معتك ج ١ ص ٤١١، الاتقان ج ٢ ص ٩٤،

شرح عقود الجمان ص ١١١، حلية اللب

ص ١٣٤، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٠١، المنزح

البديع ص ٤٠١، نفحات ص ١٤٠، شرح

الكافية ص ٣٠٧.

(٩) كتاب الصنائع ص ٣٩٦.

(١٠) البيان ج ٢ ص ١١٦.

(١١) البيان ج ٣ ص ٢٩.

(١٢) البرهان في وجوه البيان ص ١٦١.

المُزَلَّل:

قال ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة: «المُزَلَّل: هو أن يكون في الكلام لفظة لو غَيَّر وضعها أو إعرابها تَغَيَّر المعنى»^(١). وهو المتزلزل، وقد تَقَدَّمَ.

المُساوَاة:

سواء الشيء: مثله. يقال: ساويت بينهما وسَوَّيت وساوَّيت الشيء ساويت به^(٢).

عرض الجاحظ للمساواة وقال: «حقُّ المعنى أن يكون الاسم له طبقاً وتلك الحال لها وفقاً، ويكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولاً»^(٣). وذَكَرَها المُبَرِّد فقال مُعلِّقاً على بعض الآيات: «فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه»^(٤) وأدخلها قُدَّامة في نعت ائتلاف اللفظ والمعنى وقال: «المساواة وهو أن يكون اللفظ مُساوياً للمعنى حتى لا يَزِيد عليه ولا يَنْقُص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رَجُلًا فقال: «كانت ألفاظه قوالب لمعانيه» أي: هي مساوية لها لا يفضل أحدهما عن الآخر»^(٥).

وذَكَرَ الرُّمَّانِي نوعاً من الإيجاز وهو «مطابقة اللفظ للمعنى» وقال ابن رَشِيْق عنه: «فهم يُسمونه المساواة»^(٦). وكان قُدَّامة من قبل قد أطلق على قولهم: «أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى» اسم المساواة، وهو ما أخذه البلاغيون وأداروه في مباحثهم التي تَعَرَّضت للإيجاز والإطناب.

وَعَرَّفَ الكلاعي هذا النوع تعريفاً بديعاً فقال انها: «ما خيط ثوب لفظه على جسد معناه»^(٧). وقال العسكري: «هو أن تكون المعاني بِقَدْر الألفاظ والألفاظ بِقَدْر المعاني لا يَزِيد بعضها على بعض، وهو المذهب المُتوسِّط بين الإيجاز والإطناب»^(٨).

ونقل الباقلاني تعريف قُدَّامة وقال عن المساواة: «وذلك يُعَدُّ من البلاغة»^(٩)، ونقله ابن سِنان والتَّبْرِيْزي والبغدادي وابن الزمليكاني والمصري والتُّوَيْري وابن قَيِّم الجَوْزِيَّة والحموي^(١٠)، وقد أغرب الأخير حينما

عَدَّ المساواة في قِسْمِي الإيجاز والإطناب وَمَثَل لها لاعتبارها في قسم الإطناب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾^(١١). وقد قال المدني إنَّ كلامه هذا غريب والاستشهاد بهذه الآية أغرب^(١٢).

وأدخل الشَّكَاكِي المساواة في علم المعاني، وَجَعَلَهَا غير محمودة ولا مذمومة لأنَّه فَسَّرَهَا بالمتعارف من كلام أوساط الناس، قال: «أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يَتَسَيَّر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الأوساط على مَجْرَى مُتعارَفهم في التَّأدية للمعاني فيما بينهم، ولا بدُّ من الاعتراف بذلك مقيساً عليه ولنسمه مُتعارَف الأوساط، وإنَّه في باب البلاغة لا يُحَمَد منهم ولا يُذَمُّ»^(١٣). وليس الأمر كذلك لأنَّ المساواة أسلوب له أغراضه وقد ردَّ القزويني كلام الشَّكَاكِي وأوضح معنى المساواة بقوله: «المراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصاً عنه

(١) الفوائد ص ١٦٠.

(٢) اللسان (سوى).

(٣) البيان ج ١ ص ٩٣.

(٤) الكامل ج ١ ص ٤٢.

(٥) نقد الشعر ص ١٧١.

(٦) العمدة ج ١ ص ٢٥٠.

(٧) احكام صنعة الكلام ص ٨٩.

(٨) كتاب الصناعتين ص ١٧٩.

(٩) اعجاز القرآن ص ١٣٥.

(١٠) سر الفصاحة ص ٢٤٣، الوافي ص ٢٦٦،

قانون البلاغة ص ٤١٦، ٤٤٠، التبيان

ص ١٨٠، تحرير التحبير ص ١٩٧، بديع

القرآن ص ٧٩، نهاية الارب ج ٧ ص ٨،

الفوائد ص ١٧٨، خزانة الادب ص ٤٤٩،

نفحات ص ٢٤٩. كفاية الطالب ص ١٧٩،

شرح الكافية ص ٣٢٣.

(١١) النحل ٩٠.

(١٢) أنوار الربيع ج ٦ ص ٣١٤.

(١٣) مفتاح العلوم ص ١٣٣.

بحذف أو غيره ولا زائداً عليه»^(١).

وقال العلوي: «هي في مُصطلح فرسان البيان عبارة عن تأدية المقصود بمقدار معناه من غير زيادة فيه ولا نقصان عنه»^(٢)، وَقَسَّمَهَا إلى نوعين:

الأوّل: أن تكون مساواة مع الاختصار، وهذا نحو أن يَتَحَرَّى البليغ في تأدية معنى كلامه أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف الكثيرة المعاني التي يَتَعَسَّرُ تحصيلها على من دونه في البلاغة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾^(٤) فهذه أحرف قليلة تحتها فوائد غزيرة ونكت كثيرة.

الثاني: أن يكون المقصود المساواة من غير تحرُّ ولا طلب اختصار ويُسَمَّى «المُتَعَارَف».

قال العلوي: «والوجهان محمودان في البلاغة جميعاً خلا أن الأوّل أدل على البلاغة وأقوى على تحصيل المراد»^(٥). وقال السجلماسي: «هي مُساوِقة القول وبالجملة اللفظ للمعنى المدلول عليه به ومُطابقتة»^(٦).

وَيَتَضَحَّ من كلام البلاغيين اتِّجَاهَان:

الأوّل: أن المساواة واسطة بين الإيجاز والإطناب، والى ذلك ذهب الشُّكَّاكي والتيفاشي والقزويني وشُّرَّاح التلخيص.

الثاني: أن المساواة داخلية في قسم الإيجاز، والى ذلك ذهب ابن الأثير والطبي الذي سماها: «إيجاز قصر» وقال: «هو أن تقصر اللفظ على المعنى»^(٧).

قال المدني: «فالقزويني والتيفاشي والزنجاني وجميع أصحاب البديعيات على أنها محمودة بل معدودة من البلاغة التي وصف فيها بعض الوصّاف أحد البلغاء: «كانت ألفاظه قوالب لمعانيه»، وهذا قول مَنْ أدخلها في قسم الإيجاز أيضاً. وأما الشُّكَّاكي وأتباعه فعلى الثاني لأنهم فسروها

بالمُتعارَف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة»^(٨).

وَوَرَدَ مُصطلح المساواة بمعنى آخر، فقد عَقَدَ ابن منقذ باباً للمساواة وقال: «هو مساواة الآخذ منه للآخذ عنه، والأوّل أحق به لأنه ابتدع، والثاني اتَّبِعَ، فالأوّل سابق والثاني لاحق»^(٩) من ذلك ما قاله البحري في بركة:

إذا علتها الصِّبا أبدت لها حُبُّكَا
مثل الجواشِينِ مَضْقولاً حواشيها
أخذة الصولي فقال:

إذا ما الريح هبّت قُلْتُ دِرْعُ
وإن سَكَنْتْ فمراةً صَقِيلُ

ولكن ابن منقذ جمع المساواة مع التضييق والتوسيع في باب واحد وقال: «إنَّ النقاد قالوا: أن يكون اللفظ على قَدْر المعنى ولا يكون أطول منه ولا أقصر، ولذلك قالوا: «خير الكلام ما كانت ألفاظه قوالب لمعانيه»^(١٠).

وعقد ابن الأثير الحلبي باباً لمساواة اللفظ للمعنى وائتلافه وَقَسَّمَهُ إلى عدّة أقسام، وكانت مساواة الألفاظ للمعاني من غير زيادة ولا نقص

(١) الايضاح ص ١٧٧، التلخيص ص ٢١٣، شروح التلخيص ج ٣ ص ١٨٠، المطول ص ٢٨٦، الأطول ج ٢ ص ٣٥، وينظر معترك ج ١ ص ٢٩٣، الاتقان ج ٢ ص ٥٣، شرح عقود الجمان ص ٦٧، حلية اللب ص ٩٩.

(٢) الطراز ج ٣ ص ٣٢٢.

(٣) الرحمن ٦٠.

(٤) سبأ ١٧.

(٥) الطراز ج ٣ ص ٣٢٣.

(٦) المنزع البديع ص ١٨٢.

(٧) أنوار الربيع ج ٦ ص ٣١٤.

(٨) أنوار الربيع ج ٦ ص ٣١٧.

(٩) البديع في نقد الشعر ص ١٩٤.

(١٠) البديع في نقد الشعر ص ١٥٤.

سينان: «إنَّ المستحيل هو الذي لا يمكن وجوده ولا تصوُّره في الوهم مثل كون الشيء أسود أبيض وطالغاً نازلاً فإنَّ هذا لا يُمكن وجوده ولا تصوُّره في الوهم. والممتنع هو الذي يمكن تصوُّره في الوهم وإنَّ كان لا يمكن وجوده»^(٦).

المُستعار:

هو اللفظ المنقول في الاستعارة، ففي قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأسُ شيباً﴾^(٧) المستعار هو الاشتعال. والمستعار من المصطلحات القديمة^(٨)، وقد تقدم في الاستعارة.

المُستعار له:

هو الذي يُستعار له المعنى، وهو ما يُقابل المُشبهه في التشبيه، ففي قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأسُ شيباً﴾^(٩) المستعار له هو الشيب وقد تقدّم في الاستعارة.

المُستعار منه:

وهو الذي تُستعار منه صفة من الصفات، وهو ما يُقابل المُشبهه به في التشبيه ففي قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأسُ شيباً﴾^(١٠) المستعار منه النار،

(١) جوهر الكنز ص ٢٠٠، وينظر كفاية الطالب ص ١٧٩، الروض المربع ص ٨٣، ٨٧، ١٦٤، المنزح البديع ص ١٨٣.

(٢) اللسان (جلب).

(٣) احكام صنعة الكلام ص ٢٤٣.

(٤) اللسان (حول).

(٥) نقد الشعر ص ١٣٢.

(٦) سر الفصاحة ص ٢٨٧.

(٧) مريم ٤.

(٨) الكامل ج ١ ص ١٨٩.

(٩) مريم ٤.

(١٠) مريم ٤.

أحد تلك الأقسام^(١).

المُستجلب:

إنَّجَلَبَ الشيءَ واستجلب الشيءَ: طَلَبَ أن يُجَلَبَ إليه^(٢).

المُستجلب هو لزوم ما لا يلزم في السجع، قال الكلاعي وهو يتحدّث عن السجع: «ثم كُثرت الصناعة وتشدّد فيها القالة فاستجلبوا فيها السجع الفائق واللفظ الرائق فلم يأتوا بـ«غفور» مع «بصير» ولا وقفوا عند إتيانهم بـ«غفور» مع «شكور» وبـ«خبير» مع «بصير» بل جاءوا بـ«غفور» مع «كفور» فضموا الفاء وحرف المد واللين والراء، وجاءوا بـ«خبير» مع «ثبير» و«عبير» و«صبير» وجاءوا بـ«ميد» مع «غيد» و«جيد»، وجاءوا بـ«زيد» مع «قيد» و«أيد» وجاءوا بـ«غمر» مع «زمر» ولم يأتوا به مع «ثمر» وجاءوا بـ«قمر» مع «ثمر». فراعوا شكل الحرف المضمّن والتزموا من ذلك ما لا يلزم واستجلبوا منه ما ربما لم يأت في سياق الكلام. وكذلك لا يأتون بـ«قمر» مع «عمر» في حال الخفض ويجمعون بينهما في حالي الرفع والنصب، فاذا أدخلوا على «قمر» الالف واللام وافقوا التنوين.

وكان أبو العلاء يلتزم في أسجاعه ما لا يلزم كثيراً ولكنه كان لا يُراعي الإعراب، ولاتفاق الإعراب في السجع تأثير عظيم ويجب للكاتب إذا تخالف إعراب السجع أن يعلم عليه علامة تدل القارئ على الوقوف عليه فيحسن حينئذ في النطق ويلد في السمع»^(٣).

المُستحيل:

أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته، والكلام المستحيل: المحال، وهو ما عُدل به عن وجهه^(٤). تحدّث قدامة عن الاستحالة والتناقض وقال: «هما أن يُذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المُقابل له من جهة واحدة»^(٥) وقد تقدّم الكلام على الاستحالة.

وفَرَّقَ البلاغيون بين المستحيل والممتنع فقال ابن

وقد تقدم في الاستعارة.

إذا عفا عنك وأودى بنا الد

هُرُ فذاك المحسِنُ المَجْمَلُ

أخذه المتنبي فأتى به على عكس صورته وقلب أعلاه
أسفله:

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرزِيئَةِ فَضْلاً

تَكُنْ الأَفْضَلُ الأَعَزُّ الأَجْلاً

أنت يا فوقَ أن تُعزِّيَ عن الأ

حباب فوق الذي يُعزِيكَ عَقْلاً

وبالفاظك اهتدى فاذا عزّا

ك قال الذي قُلْتَ قَبْلاً

فالبيت الأخير هو الذي وقع فيه المسخ.

الوجه الثاني: عكس هذا، وهو أن ينقل من صورة
قبيحة الى صورة حسنة وهو معدود في السرقات،
كقول المتنبي:

لو كان ما يعطيهم من قبل أن

يعطيهم لم يَعْرِفُوا التأميلاً

وقد أخذه ابن نباتة السعدي فأجاد فيه فقال:

لم يُبْقِ جودُك لي شيئاً أوْمله

تركتني أَصْحَبُ الدنيا بلا أَمَلٍ

وسمى القزويني المسخ إغارة وقال: «وإن كان مع
تغيير لنظمه أو كان المأخوذ بعض اللفظ سُمِّيَ إغارة
ومسخاً»^(٥). وتبعه في ذلك شراح التلخيص^(٦).

(١) اللسان (مسخ).

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٦، الجامع الكبير
ص ٢٤٣.

(٣) الجامع الكبير ص ٢٤٨.

(٤) الطراز ج ٣ ص ١٩٦.

(٥) الايضاح ص ٤٠٥، التلخيص ص ٤١١، التبيان
في البيان ص ٣٧٤.

(٦) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٨٥، المطول
ص ٤٦٤، الاطول ج ٢ ص ٢٤٣.

المَسْخ:

المَسْخ: تحويل صورة الى صورة أقبح منها، يقال:
مَسَخَ يَمَسِخُهُ مَسْخًا^(١). والمسوخ أحد أنواع
السَّرقات، قال ابن الأثير: «وأما المَسْخ فهو إحالة
المعنى الى ما دونه مأخوذاً ذلك من مسخ الآدميين
قردة»^(٢) وقال إنَّ المسخ عيب في الكلام فاحش فما
جاء منه قول الشريف الرضي:

أَجِنُّ الى ما تُضْمِرُ الخُمْرُ والحلى

ويهدفُ وأُصدفُ عمّا في ضمانِ المآزِرِ

وقال المتنبي:

إِنِّي على شَغْفِي بما في خُمْرِها

لأَعِفُّ عما في سَراويلِها

«ألا ترى الى هذا المسخ ما أَقْبَحَهُ وذلك لو تأخَّر زمان
المتنبي عن زمان الشريف الرضي، وبمثل ذلك يُعرَف
التفاضل بين الشعراء وبين الكلامين، فقول الشريف
على ما تراه من اللطافة والحسن وقول أبي الطيب على
ما تراه من الرداءة والقبح»^(٣).

وقال العلوي: «هو إحالة المعنى الى ما هو
دونه واشتقاقه من قولهم: مسخت هذه الصورة
الآدمية الى صورة القردة والخنازير فتارة تكون
صورة الشعر حسنة فتنتقل الى صورة قبيحة،
وهذا هو الأصل في المسخ، وتارة تكون
الصورة قبيحة فتنتقل الى صورة حسنة فهذان
وجهان نذكر ما يتوجَّه منهما»^(٤).

الوجه الأول: أن ينقل الأحسن من الشعر الى
صورة قبيحة، ومثاله قول ديك الجن:

بحقِّ تعزِيكَ ومنكَ الهدى

مستخرج والصبر مستقبل

تقول بالعقل رأيت الذي

تأوي إليه وبه تعقل

المُسْنَدُ:

سند الى الشيء يسند سنودًا، واستند وتساند وأسند غيره، وما يُسند اليه يُسَمَّى مُسْنَدًا ومُسْنَدًا^(١).

المُسْنَدُ هو المحكوم به أو المُخْبِرُ به، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾^(٢) أسندنا المحبة الى الله تعالى فهي مُسْنَدٌ ولفظ الجلالة مُسْنَدٌ اليه.

ومواضع المُسْنَدِ هي: الفعل التام كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) ف ﴿أفْلَحَ﴾ فعل تام وهو مُسْنَدٌ و «المؤمنو» مُسْنَدٌ اليه.

ومنه قول المتنبي:

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ

وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِ

ف «ساءَ» فعل تام وهو مُسْنَدٌ و «فعل» مُسْنَدٌ اليه.

واسم الفعل مثل «مَه» بمعنى اكفف و «هيهات» بمعنى بعد، ومنه قول المتنبي:

هيهاتَ عاقَ عن العوادِ قواضِبُ

كثُرَ القَتِيلُ بها وَقَلَّ العاني

وخبر المبتدأ كقوله تعالى: ﴿المالُ والبنونَ زِينَةُ

الحياةِ الدنيا﴾^(٤) ف ﴿زينة﴾ خبر وهي مسند.

والمبتدأ المكتفي بمرفوعه وهو كُلُّ وصف اعتمد على استفهام أو نفي ورفع فاعلاً ظاهراً أو ضميراً منفصلاً وتمَّ الكلام به. مثل: «أقائم الرجلان؟» ف «قائم» مبتدأ وهو مسند لأنَّ «الرجلان» فاعل له سدَّ مسدَّ الخبر. ومنه قوله تعالى: ﴿أرأيتَ أنتَ عن آلهتي يا إبراهيمُ﴾^(٥) ف ﴿أرأيتَ﴾ مبتدأ وهو المُسْنَدُ والضمير ﴿أنتَ﴾ فاعل سدَّ مسدَّ الخبر.

وما أصله خبر المبتدأ وهو خبر كان وأخواتها

كقوله تعالى: ﴿وكانَ اللهُ عليماً حَكِيماً﴾^(٦).

وخبر «إنَّ» وأخواتها كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ

رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٧).

والمفعول الثاني لـ «ظن» وأخواتها كقوله تعالى:

﴿وما أَظُنُّ الساعةَ قائِمةً﴾^(٨). والمفعول الثالث لـ

«أرى» وأخواتها مثل: «أريتكَ العلمَ نافعا».

والمصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى:

﴿وبالوالدينِ إِحساناً﴾^(٩).

وقول قَطْرِي بن الفُجاءة:

فَصَبْرًا في مجالِ الموتِ صَبْرًا

فما نَيْلُ الخلودِ بمُسْتطاعِ

المُسْنَدُ إِلَيْهِ:

هو المحكوم عليه أو المُخْبِرُ عنه، ففي قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَاتِ والكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ

خالدينَ فيها هي حَسْبُهُم ولَعَنَهُمُ اللَّهُ ولَهُم عذابٌ

مُقيمٌ﴾^(١٠). أسند الوعد الى الله سبحانه وتعالى،

فلفظ الجلالة مُسْنَدٌ اليه، والوعد مُسْنَدٌ. ومواضع

المُسْنَدِ اليه هي: الفاعل للفعل التام وشبَّهه، ومن

الأوَّلِ قوله تعالى: ﴿أتى أمرُ اللهِ فلا تَسْتَعْجِلُوهُ

سُبْحانَهُ وتعالى عما يُشْرِكُونَ﴾^(١١) ف ﴿أمر﴾ مُسْنَدٌ

اليه لأنَّه فاعِلٌ.

وشبَّه الفعل هو مُسْتَقَاتَه كاسم الفاعل والصفة

المُشَبَّهة كقول عمر بن أبي ربيعة:

وكم مالِي عينيهِ من شَيْءٍ غَيْرِهِ

إذا راحَ نحو الجَمْرَةِ البِيضِ كالذَّمَى

ففي «مالِي» ضمير مستتر فاعل وهو المسند اليه.

(١) اللسان (سند).

(٢) الصف ٤.

(٣) المؤمنون ١.

(٤) الكهف ٤٦.

(٥) مريم ٤٦.

(٦) النساء ٩٢.

(٧) مريم ٣٦.

(٨) الكهف ٣٦.

(٩) البقرة ٨٣.

(١٠) التوبة ٦٨.

(١١) النحل ١.

وكان الفراء قد تحدّث عن هذا النوع ولكنه لم يُسمه، وقال المتأخرون: «هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته»^(٩) تحقيقاً أو تقديرًا. وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾^(١٠): «فإن قال قائل: رأيت قوله: ﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى إنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله»^(١١)، ألا ترى انه قال: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص فلا يكون القصاص ظلمًا وإن كان لفظه واحدًا»^(١٢). وهذا أحد أنواع المُشاكلة وهو «تحقيقًا» وأما تقديرًا ففي قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(١٣) فـ ﴿صِبْغَةَ﴾ ههنا الختانة وقد أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - بذلك أسوة باختتان إبراهيم - عليه السلام - وهي في مقابل صبغة النصارى أولادهم بغمسهم في الماء. فلفظ الصبغة لم يتقدم في الحقيقة وإنما

- (١) القيامة ٩.
- (٢) الضحى ٤.
- (٣) الاحزاب ٤٠.
- (٤) النور ٢٣.
- (٥) الكهف ٣٦.
- (٦) اللسان (شرك).
- (٧) تحبير التحبير ص ٣٣٩، خزانة الادب ص ٣٦٥، أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٢٠، الروض المربع ص ١٦٢.
- (٨) اللسان (شكل).
- (٩) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.
- (١٠) البقرة ١٩٣.
- (١١) أي قوله: أن الله لا يحب المعتدين.
- (١٢) معاني القرآن ج ١ ص ١١٦.
- (١٣) البقرة ١٢٨.

ومنه أمثلة الصفة المُشَبَّهة: «أنت القويُّ جسْمُهُ» فكلمة «جسمه» فاعل للصفة «القوي» وهي مُسند إليه. ونائب الفاعل كقوله تعالى: ﴿وَجَمِيعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾^(١)، فالشمس نائب فاعل وهي مُسند إليه. والمبتدأ الذي له خبر كقوله تعالى: ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(٢)، ﴿الآخرة﴾ مُسند إليه لأنها مبتدأ.

وما أصله المبتدأ وهو: اسم كان وأخواتها كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣). فـ ﴿محمد﴾ في الآية اسم كان وهو مُسند إليه لأنه في الأصل مبتدأ.

واسم إن وأخواتها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤). وهي مبتدأ في الاصل والمفعول الأول لـ «ظن» وأخواتها كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾^(٥)، فـ ﴿الساعة﴾ مُسند إليه لأنها مبتدأ في الاصل.

والمفعول الثاني لـ «أرى» وأخواتها مثل: «أريتك العلم نافعًا» فـ «العلم» مسند إليه وهو المفعول الاول لـ «أرى» وأصله مبتدأ لأنَّ الجملة «العلم نافع».

المُشَارَكَةُ:

شاركت فلانًا: صرت شريكه^(٦).

المُشَارَكَةُ أن يأتي الشاعر بلفظة مُشتركة بين معنيين اشتراكًا أصليًا وعُرفيًا فيسبق ذهن السامع الى المعنى الذي لم يقصده الشاعر فيأتي بعده بما يبين قصده^(٧). وهي الاشتراك وقد تقدّم.

المُشَاكَلَةُ:

الشكل: الشُّبُه والمِثْل، وقد تشاكل الشيطان وشاكل كل واحد منهما صاحبه^(٨).

تقدم معناه وهو الحالة المعروفة في النصارى عند الولادة^(١).

وقد سَمَّى المُبَرِّد هذا النوع «المزج»^(٢) ولعل أبا علي الفارسي كان أول من أطلق عليه اسم «المُشَاكَلَة»^(٣). ولا نَعْرِفُ قصد الرُّماني بالمُشَاكَلَة، وقد أشار إلى ذلك ابن رَشِيْق وهو يتحدَّث عن الجناس المضارع أو تجنيس المُضَارَعَة وقال: «وهذا النوع يُسَمِّيهِ الرُّماني المُشَاكَلَة وهي عنده ضروب: هذا أحدهما وهي المُشَاكَلَة في اللفظ خاصة وأما المُشَاكَلَة في المعنى فننبه عليها في أماكنها»^(٤).

ونظر التَّبْرِيْزي إلى المُشَاكَلَة نظرة أخرى فقال: «والمُشَاكَلَة أَنْ يَجْمَعَ الشاعِر في البيت كلمتين متجاورتين أو غير متجاورتين شكلهما واحد ومعنيهما مُخْتَلِفَان»^(٥) كقول أبي سعيد المخزومي:

حَدَقُ الآجَالِ آجَالُ

والهوى للحرِّ قَتَالُ

وهذا هو الجناس ولكنَّ السَّكَاكِي نظر إليها كنظرة الفَرَاءِ وذكَّر أمثله القرآنية والبيت المعروف:

قالوا اقترِحْ شيئًا نُجِدُّ لكَ طَبِخَهُ

قلت اطْبُخُوا لي جُبَّةً وقَمِيصًا^(٦)

وتبعه في ذلك ابن مالك والقزويني وشُراح التلخيص وغيرهم^(٧).

وذكر المصري كلام التَّبْرِيْزي وأمثله ولكنه قال: «وعندي أنَّ ما أنشده التَّبْرِيْزي في هذا الباب داخل في أحد قسمي التجنيس المُمَائِلِ والذي ينبغي أَنْ تُفسَّرَ به المُشَاكَلَة قولنا: إنَّ الشاعِر يأتي بمعنى مُشَاكِلٍ لمعنى في شعر غير ذلك الشعر أو في شعر غيره بحيث يكون كل واحد منهما وصفًا أو نسبتًا أو غير ذلك من الفنون غير أنَّ كل صورة أبرز المعنى فيها غير الصورة الأخرى. فالمُشَاكَلَة بينهما من جهة الغرض الجامع لهما والفرقة بينهما من جهة صورتيهما اللفظية»^(٨).

وقد انفرد المصري بهذا اللون لهذا الباب، ومثال مُشَاكَلَة الشاعِر نفسه قول امرئ القيس في وصف

الفرس:

وقد اغتدي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِهَا

بمنجريدٍ قَيْدَ الأوابِدِ هَيْكَلِ

وقوله في صفة الفرس أيضًا:

إذا ما جرى شوطين وابتلَّ عَطْفُهُ

تقولُ هزِيْزُ الرِيحِ مَرَّتْ بِأَثَابِ^(٩)

فامرؤ القيس في هذين البيتين قاصد وصف الفرس بشدة العدو غير أنه أبرز المعنى الأول في صورة الإرداف حيث قال: «قيد الأوابد» فجعله يدرك الوحش إدراك المُطْلَقِ للمُقَيَّدِ، وأبرز الثاني في صورتين وصف وتشبيه بغير أداة إذ شبه عدوه بعد جريه شوطين وعرقه بهزيز الرياح تمر بهذا الشجر الذي يسمع للريح فيه هزيز كحفيف الفرس الحاد إذا خرق الرياح بشدة عدوه. فكل معنى من هذين المعنيين مُشَاكِلٍ لصاحبه إذ الجامع بينهما وصف الفرس بشدة العدو. غير أن قدرة الشاعر تلاعبت به فأبرزته في صور مختلفة فهذا ما شاكل الشاعر فيه

(١) معاني القرآن ج ١ ص ٨٢.

(٢) ما اتفق لفظه ص ١٢، ١٣.

(٣) الحجة ج ١ ص ٢٣٦.

(٤) العمدة ج ١ ص ٣٢٦.

(٥) الوافي ص ٢٩٦.

(٦) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.

(٧) المصباح ص ٨٩، الايضاح ص ٣٤٨، التلخيص ص ٣٥٦، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٩، المطول ص ٤٢٢، الاطول ج ٢ ص ١٩١، خزنة الادب ص ٣٥٦، معترك ج ١ ص ٤١١، الاتقان ج ٢ ص ٩٤، شرح عقود الجمان ص ١١٠، حلية اللب ص ١٣٤، انوار الربيع ج ٥ ص ٢٨٤، رسالة في تحقيق المشاكلة (رسائل ابن كمال باشا) ج ١ ص ٦٩ - ٧٦، الروض المريع ص ١١٠، نفعات ص ٢٣٨، التبيان في البيان ص ٢٨٩، شرح الكافية ص ١٨١.

(٨) تحرير التحبير ص ٣٩٤.

(٩) الأثاب: نوع من الشجر.

مُشَاكَلَةُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى:

نفسه.

مُشَاكَلَةُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى مِنْ أَبْوَابِ عَمُودِ الشَّعْرِ الَّتِي حَدَّدَهَا الْقَدَمَاءُ قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ: «وَعِيَارُ مُشَاكَلَةِ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى وَشِدَّةُ اقْتِضَائِهِمَا لِلْقَافِيَةِ طَوْلُ الدَّرْبَةِ وَدَوَامُ الْمُدَارَسَةِ»^(٦).

وقال الزركشي: «ومتى كان اللفظ جزئاً كان المعنى كذلك»^(٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٨). ولم يقل من «طين» كما أخبر به سبحانه في غير موضع ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾^(٩)، إنما عدل من الطين الذي هو مجموع الماء والتراب الى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف، وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثرهما لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الالهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك فهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمراً في المعنى من غيره من العناصر ولما أراد سبحانه الامتتان على بني إسرائيل أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير تعظيماً لأمر ما يخلق به باذنه إذ كان المطلوب الاعتداد عليهم بخلقهم ليعظموا قدر النعمة به.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾^(١٠). فانه سبحانه إنما اقتصر على ذكر الماء دون بقية العناصر لانه أتى بصيغة الاستغراق، وليس في العناصر الأربع ما يُعْمَمُ

(١) الكاشف ج ١ ص ٨٥، وتنظر رسالة في تحقيق المشاكلة (رسائل ابن كمال باشا) ج ١ ص ٧٠.

(٢) المائدة ٦.

(٣) الرحمن ٦ - ٧.

(٤) الفاتحة ٢.

(٥) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٧٧.

(٦) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ١١.

(٧) البرهان ج ٣ ص ٣٧٨.

(٨) آل عمران ٥٩.

(٩) ص ٧١.

(١٠) النور ٤٥.

وأما ما شاكل فيه غيره فكقول جرير:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَازٌ
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ

وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا

وقول عدي بن الرقاع:

وكأنها بين النساء أعارها

عينيه أحور من جاذرِ جاسِمِ

وسنان أقصده النعاشُ فَرَنَّقَتْ

في عينه سِنَّةٌ وليس بنائمِ

فالمشاكلة بين الرجلين من جهة أن كلا منهما وصف العيون بالمرض والفتور فأبرز معناه في صورة غير الصورة الأخرى بحسب قوة عارضته في السبك وحسن اختياره اللفظ وجودة ذهنه في الزيادة والنقص في التفضيل بين هذين الشاعرين بحيث لا يسعه هذا المكان.

وذكر الزمخشري المُشَاكَلَةَ وقال: «شهد رجل عند شريح فقال: «إنك لسبط الشهادة» فقال الرجل: «إنها لم تجعد عني» فقال: «لله بلادك» وقبل شهادته. فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المُشَاكَلَةَ ولولا بناء الدار لم يصحّ بناء الجار وسبوط الشهادة لا تمتنع تجعيدها»^(١).

مُشَاكَلَةُ اللَّفْظِ لِلْفَرْقِ:

وهي قسمان: المُشَاكَلَةُ بِالثَّانِي لِلأَوَّلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾^(٢) عَلَى مَذْهَبِ الْجُمْهُورِ وَإِنَّ الْجَرَّ لِلْجَوَارِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا﴾^(٣).

والمُشَاكَلَةُ بِالأَوَّلِ لِلثَّانِي كَمَا فِي قِرَاءَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَيْلَةَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٤) بِكَسْرِ الدَّالِ^(٥).

في البانياس إذا أوطئت ساحتها
 خَوْفٌ وَحَيْفٌ وَإِقْلَالٌ وَإِقْلَاسٌ
 وكيف يطمع في أمنٍ وفي دَعَاةٍ
 مَنْ حَلَّ فِي بَلَدٍ يَنْصِفُ اسْمِهِ يَأْسُ
 واشتقاق المعنى من اللفظ مثل قوله أبي العتاهية:
 حَلِقْتُ لَحِيَةَ مُوسَى بِاسْمِهِ
 وبهارون إذا ما قُلِبَا

وقول ابن دُرَيْد:

لو أُوحي النحو إلى نفظويه
 ما كان هذا النحو يُقرا عليه
 أحرقه الله بنصفِ اسمِهِ
 وَصَيَّرَ الباقِي صُراخًا عليه

المُشْكِل:

أشكل الأمر: التيس (٥).

المُشْكِل نوع من السجع، قال الكلاعي: «وسمينا هذا النوع من السجع المشكل لأنه يأتي متفق اللفظ مختلف المعنى فربما أشكل. وكان المجيد (٦) قد عني بهذا النوع وشغف بهذا الفن. فمن ذلك خطبة أخبرني الوزير الفقيه (٧) انه قال: الحمد لله مودع الأشياء بين الكاف والنون المسبحة له البحار الزاخرة والنون (٨). الواحد الذي لا تجد له ضربيا والمنزل من خلال المزن ضربيا (٩). الذي كشف الخطوب الكامنة

(١) جوهر الكنز ص ٩٢.

(٢) الفوائد ص ٢٤٠.

(٣) اللسان (شقق).

(٤) كتاب الصناعتين ص ٤٢٩ - ٤٣٠، وينظر

الروض المربع ص ١٢١.

(٥) اللسان (شكل).

(٦) هو المجيد العسقلاني.

(٧) هو أبو بكر بن الاشيلي.

(٨) النون: الحوت.

(٩) الضريب: الثلج.

جميع المخلوقات إلا الماء ليدخل الحيوان البري فيها.

والمُشَاكَلَة بين اللفظ والمعنى ضرورية في التعبير، لأن لكل معنى لفظاً يدل عليه في صورة من الصور التي يريد الشاعر أو الكاتب أن يعبر عنها.

المُشَبَّه بِالتَّجْنِيس:

المُشَبَّه بالتجنيس هو الجناس الناقص، وقد سماه كذلك ابن الأثير الحلبي وقال: «وأما المُشَبَّه بالتجنيس فهو النوع المُسَمَّى بالجناس الناقص» (١). وَقَسَّمَهُ إلى ثمانية أقسام: جناس المُغَايِرَة، و جناس المُمَائِلَة، و جناس التصحيف، و جناس التحريف، و جناس التصريف، و جناس الترجيع، و جناس العكس، و جناس التركيب.

وَقَسَّم ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة الجناس إلى حقيقي ومُشَبَّه بالتجنيس (٢) ويريد بالحقيقي الجناس التام، وبالثاني: المُمَائِل والمغاير والتصحيف والتحريف والتشكيل والعكس والتركيب والتصريف والترجيع. وقد تَقَدَّمت.

المُشْتَقَّ:

اشتقاق الشيء: بنيانه من المُرتَجَل، واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يميناً وشمالاً، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه. والمشتق هو المأخوذ من مادة أخرى، اشتق يشتق (٣).

المشتق من ابتداء العسكري، فقد قال بعد أن فرغ من شرح أبواب البديع: «وقد عرض لي بعد نظم هذه الأنواع نوع آخر لم يذكره أحد وسميته المشتق وهو على وجهين: فوجه منهما أن يشتق اللفظ من اللفظ، والآخر أن يشتق المعنى من اللفظ» (٤). فاشتقاق اللفظ من اللفظ مثل قول الشاعر في رجل يقال له ينخاب: «وكيف ينجح من نصف اسمه خابا» وقول العسكري نفسه في البانياس:

البديع، قال الكلاعي: «وسَمَّينا هذا النوع المصنوع لأنه نمق بالتصنيع ووشح بأنواع البديع وحلي بكثرة الفواصل والأسجاع، واستجلب له منها ما يلذ في القلوب ويحسن في الأسماع»^(٧).

المُضادَّة:

الضدّ: كُلُّ شيء ضادٌّ شيئاً ليغلبه، وقد ضادّه وهما مُتضادّان^(٨) المُضادَّة نوع من التصدير أورد العجزي على الصُّدر، وهذا النوع من تسمية عبد الكريم^(٩)، وأنشد للفرزدق:

اضدِرْ همومك لا يغلبك واردها
فكلُّ واردةٍ يوماً لها صدْرُ

المُضارع:

المُضارعُ: المُشْبِه، والمُضارعة: المُشابهة، والمُضارعة للشيء: أن يُضارعه كأنه مثله أو شبهه^(١٠).

المُضارع أحد أنواع السجع، قال الكلاعي: «وهذا النوع سَمَّيناه المضارع لأنه تتشابه حروفه ولا يَتَّفِق آخرها فهو لا يخلص لباب السجع المنقاد ولا السجع المُستجلب فهو كالفعل المضارع الذي لم يخلص للحال ولا للاستقبال»^(١١) وهو كقولهم: «صَرَّ» و«صَلَّ»

(١) احكام صنعه الكلام ص ٢٤٦.

(٢) اللسان (صلت).

(٣) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٩.

(٤) الرسالة العسجدية ص ٥٥.

(٥) شرح عقود الجمان ص ١٥١.

(٦) اللسان (صنع).

(٧) احكام صنعة الكلام ص ١١٤.

(٨) اللسان (ضدد).

(٩) العمدة ج ٢ ص ٤.

(١٠) اللسان (ضرع).

(١١) احكام صنعة الكلام ص ٢٤٥.

وأبان وأوضح لأولياته طريق الهداية وأبان»^(١).

المُصالَّة:

أصلت السيف: جَرَّده من غمده^(٢).

المُصالَّة من أنواع الأخذِ والسرقات قال المُطرزِي: «المُصالَّة هي أخذُ البيت بأشْره غَضْباً من غير تغيير شيء منه ولا على سبيل رفو أو إمام أو إشمام»^(٣) وقال الصنعاني: «وهي قبيحة جداً من كل وجه عند النقدة»^(٤). كما فعل الصاحب بن عباد بيت المتنبي:

لَيْسَنَ الوشِي لا مُتَجَمِلاتٍ
ولكنْ كي يَصُنُّ به الجَمالا

صالته فقال:

لَيْسَنَ بُرودَ الوشِي لا لتجملٍ
ولكنْ لَصونِ الحُسنِ بين بُرودٍ
وكما فعل المتنبي بيت العباس بن الأحنف:

والنجمُ في كَبِدِ السَّماءِ كأنه
أعمى تَحَيَّرَ ما لديه قائِدُ

فقال:

ما بال هذي النجوم حائرة
كأنها العُمى مالها قائِدُ
وهذه مُصالَّة لا سرقة وهي مذمومة عند النقدة.

المُصَرَّع:

المُصَرَّع أحد أنواع السجع، وهو توافُق آخر المصراع الأوَّل وعجز المصراع الثاني في الوزن والرويِّ والإعراب^(٥). وقد سَمَّى البلاغيون هذا اللون التصريع، وقد تقدَّم.

المَصنوع:

صَنَعَه يَصنعه صُنْعاً فهو مصنوع وصُنِعَ: عمله^(٦).
المصنوع: هو الكلام المُنمَّق والمُوشَّح بأنواع

وقولهم: «طاب» و«طار» وقولهم: «النصر» و«النصل».

المُضَاعَف:

أضعف الشيء وضمَّه وضاغفه: زاد على أصل الشيء وجعله مثليه أو أكثر^(١). سَمَّى العسكري هذا النوع المُضَاعَف^(٢)، وسَمَّاه المصري التعليق وسَمَّاه الزنجاني المُوجَّه وسَمَّاه الشَّكَاكِي الاستتباع، وهو الوصف بشيء يَسْتَتَبِع وصفًا آخر من جنس الوصف الأوَّل مدحًا كان أو ذمًا أو غير ذلك^(٣) وقد تَقَدَّمَ الاستتباع.

المُضَاعَفَةُ:

هو المضاعف أو الاستتباع وقد عَرَّفَه العسكري بقوله: «هو أن يَتَضَمَّن الكلام معنيين معنى مُصْرَح به ومعنى كالمشار اليه»^(٤). وقد تَقَدَّمَ.

المُضَاف:

المضاف نوع من الجناس وذلك كقول البحري:

أيا قمر التَّمَامِ جَنَيْتَ ظُلْمًا

عَلِيَّ تَطَاوَلَ اللَّيْلِ التَّمَامِ

فجناس بقمر التمام والليل التمام، ومعنى التمام واحد في الأمرين ولو انفرد لم يعد تجنيسًا لأنَّ أحدهما صار موصولًا بالقمر والآخر بالليل فكانا كالمختلفين^(٥). وقد تَقَدَّمَ في التجنيس والجناس.

المُطَابِق:

طابق فلان فلانا: اذا وافقه^(٦).

المُطَابِق هو التجنيس عند ثعلب، وقد قال في تعريفه: «هو تكرير اللفظة بمعنيين مُخْتَلِفِينَ»^(٧) كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾^(٨)، وقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾^(٩) وقول طرفة:

كريمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ بِحَيَاتِهِ
ستعلمُ إنَّ مِنَّا صَدَى أَيْنَا الصَّدي^(١٠)

وقول الآخر:

سلامُ اللَّهِ يا مَطَرٌ عليها
وليس عليك يا مَطَرُ السَّلَامِ^(١١)

ولكنَّ الآتين تحتلان المُطَابِقَةَ أي فيهما طباق سلب في ﴿الموت﴾ و﴿ما هو بميت﴾ وفي ﴿سكاري﴾ و﴿ما هم بسكاري﴾، أما البيتان ففيهما جناس أي مطابق. وتابعه قُدَّامة فقال: «فأما المُطَابِقُ فهو ما يَشْتَرِك في لفظه واحدة بعينها»^(١٢) كقول زياد الأعجم:

ونبئتهم يستنصرون بكاهل

وللؤم فيهم كاهلٌ وسنام^(١٣)

المُطَابِقَةُ:

المُطَابِقَةُ هي التَّضَادُّ والتطابق والتكافؤ والطباق^(١٤)، وقد تَقَدَّمت.

(١) اللسان (ضعف).

(٢) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧، ٤٢٣.

(٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٤٨.

(٤) كتاب الصناعتين ص ٤٢٣، وتنظر ص ٢٦٧.

(٥) الوساطة ص ٤٤، الرسالة العسجدية ص ١٢٩.

(٦) اللسان (طبق).

(٧) قواعد الشعر ص ٥٦.

(٨) ابراهيم ١٧.

(٩) الحج ٢.

(١٠) الصدى: الهامة. الصدى: العطش.

(١١) مطر: من الغيث. مطر: اسم رجل.

(١٢) فقد الشعر ص ١٨٥.

(١٣) كاهل: سند ومعتمد. كاهل: أعلى الظهر مما يلي العنق.

(١٤) قواعد الشعر ص ٥٦، البديع ص ٣٦، نقد

الشعر ص ١٨٥، الوساطة ص ٤٤، كتاب

الصناعتين ص ٣٠٧، المنصف ص ٥٥. اعجاز

القرآن ص ١٢٢، العمدة ج ٢ ص ٥، سر =

مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ:

عَرَفَ الْعَرَبُ مُطَابَقَةَ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ، وَأَشَارَ الْحَطِئَةُ فِي قَوْلِهِ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى أَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا فَقَالَ:

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ

فَأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا^(١)

وَانْتَبَهَ إِلَى ذَلِكَ النَّحَاةُ وَاللُّغَوِيُّونَ، فَالْخَلِيلُ يَوْمَىءَ إِلَى مَا يَفِيدُ ذَلِكَ وَيَنْقُلُ سَبِيوِيَهُ عَنْهُ فِي بَابِ «عِدَّةٌ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْكَلِمُ» وَيَقُولُ: «وَأَمَّا «قَدْ» فَجَوَابُ لِقَوْلِهِ «لَمَّا يَفْعَلُ» فَتَقُولُ: قَدْ فَعَلَ. وَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لِقَوْمٍ يَنْتَظِرُونَ الْخَبَرَ»^(٢). وَدَعَا الْجَا حِظَّ إِلَى مُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ وَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ وَنَقَلَ قَوْلَهُمْ: «وَمَنْ عَلِمَ حَقَّ الْمَعْنَى أَنَّ يَكُونُ الْاسْمُ لَهُ طَبَقًا وَتِلْكَ الْحَالُ لَهُ وَفَقًا... وَمَدَارُ الْأَمْرِ عَلَى إِفْهَامِ كُلِّ قَوْمٍ بِمَقْدَارِ طَاقَتِهِمْ وَالْحَمَلُ عَلَيْهِمْ عَلَى أَقْدَارِ مَنَازِلِهِمْ»^(٣). وَنَقَلَ عَنِ صَحِيفَةِ بَشْرِ بْنِ الْمَعْتَمِرِ قَوْلَهُ: «يَنْبَغِي لِلْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَعْرِفَ أَقْدَارَ الْمَعْنَانِي وَيُوزَنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَقْدَارِ الْمُسْتَمْعِينَ وَبَيْنَ أَقْدَارِ الْحَالَاتِ فَيَجْعَلُ لِكَ طَبَقَةً مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا وَلِكُلِّ حَالَةٍ مِنْ ذَلِكَ مَقَامًا حَتَّى يَقْسِمَ أَقْدَارَ الْكَلَامِ عَلَى أَقْدَارِ الْمَعْنَانِي وَيَقْسِمَ أَقْدَارَ الْمَعْنَانِي عَلَى أَقْدَارِ الْمَقَامَاتِ وَأَقْدَارَ الْمُسْتَمْعِينَ عَلَى أَقْدَارِ تِلْكَ الْحَالَاتِ»^(٤). وَقَالَ: «وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلِكُلِّ صِنَاعَةٍ شَكْلٌ»^(٥). وَأَقْرَبُ أَقْوَالِهِ إِلَى هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ: «لِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ الْحَدِيثِ ضَرْبٌ مِنَ اللَّفْظِ وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْنَانِي نَوْعٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَالْسَخِيفُ لِلْسَخِيفِ، وَالْجَزَلُ لِلْجَزَلِ وَالْإِفْصَاحُ فِي مَوْضِعِ الْإِفْصَاحِ، وَالْكَنْيَاةُ فِي مَوْضِعِ الْكَنْيَاةِ، وَالْإِسْتِرْسَالُ فِي مَوْضِعِ الْإِسْتِرْسَالِ. وَإِذَا كَانَ مَوْضِعُ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ مُضْحِكٌ وَمُلْهُ وَدَاخِلٌ فِي بَابِ الْمَزَاحِ وَالطَّيِّبُ فَاسْتَعْمَلَتْ فِيهِ الْإِعْرَابُ انْقَلَبَ عَنْ جِهَتِهِ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظِهِ سَخْفٌ وَابْدَلَتْ السَخَافَةُ بِالْجَزَالَةِ صَارَ الْحَدِيثُ الَّذِي وَضَعَ عَلَى أَنْ يَسُرَّ النُّفُوسَ يَكْرِبُهَا وَيَأْخُذُ بِأَكْظَامِهَا»^(٦).

وقال: «وقد أصاب كل الصواب من قال: «لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ»^(٧).

وَذَكَرَ الْعَسْكَرِيُّ وَغَيْرُهُ عِبَارَةَ «لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ»^(٨)، وَرَبَطَ الْبَلَاغِيُّونَ حَسْنَ الْكَلَامِ وَقَبْحَهُ بِانْطِبَاقِهِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ وَغَيْرِهِ فَقَالَ الشَّكَّاكِيُّ: «إِنَّ مَدَارَ حَسَنِ الْكَلَامِ وَقَبْحَهُ عَلَى انْطِبَاقِ تَرْكِيْبِهِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ وَعَلَى لَا انْطِبَاقِهِ»^(٩). وَعَرَّفُوا الْبَلَاغَةَ بِأَنَّهَا «مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ»^(١٠).

=الفصاحة ص ٢٣٤، الرسالة العسجدية ص ١٣٧، نهاية الأيجاز ص ١١٠، مفتاح العلوم ص ٢٠٠، المثل السائر ج ٢ ص ٢٧٩، الجامع الكبير ص ٢١١، كفاية الطالب ص ١٢٨، المصباح ص ٨٧، منهاج البلغاء ص ٤٨، نضرة الأغرير ص ٩٧، حسن التوسل ص ١٩٩، نهاية الأرب ج ٧ ص ٩٨، الأيضاح ص ٣٣٤، التلخيص ص ٣٤٨، الفوائد ص ١٤٥، شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٦، المطول ص ٤١٧، الأطول ج ٢ ص ١٨٢، خزنة ص ٧١، معترك ج ١ ص ٤١٤، الأتقان ج ٢ ص ٩٥، عقود الجمان ص ١٠٥، أنوار ج ٢ ص ٣١، كفاية الطالب ص ١٢٨، الروض المربع ص ١٦٣، التبيان في البيان ص ٢٨٤، ٤٣١.

- (١) مجاز القرآن ج ٢ ص ٣. الكامل ج ٢ ص ٥٤٩.
- (٢) الكتاب ج ٤ ص ٢٢٣.
- (٣) البيان ج ١ ص ٩٣.
- (٤) البيان ج ١ ص ١٣٨.
- (٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٦٩.
- (٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٩. الكظم: مخرج النفس أخذ بكظمه: كربه وغمه.
- (٧) الجوارى - رسائل الجاحظ ج ٢ ص ٩٣، الحيوان ج ٣ ص ٤٣.
- (٨) كتاب الصناعتين ص ٢١، ٢٧.
- (٩) مفتاح العلوم ص ٨٤.
- (١٠) الأيضاح ص ٩، التلخيص ص ٣٣، شروح التلخيص ج ١ ص ١٢٤، المطول ص ٢٥، الأطول ج ١ ص ٣٠، حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٢٥، ١٢٦.

سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٩)، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾^(١٠). وقد تَقَدَّمَ فِي التَّجْنِيسِ وَالْجِنَاسِ.

الْمَطْمَعُ:

الطَّمَعُ: ضِدُّ الْيَأْسِ، يُقَالُ: طَمِعَ فِيهِ وَبِهِ طَمَعًا، وَالْمَطْمَعُ: مَا طَمِعَ فِيهِ^(١١). الْمَطْمَعُ هُوَ الْإِرْصَادُ وَالتَّسْهِيمُ، وَسَمَّاهُ قَدَامَةً وَالْعَسْكَرِيُّ التَّوَشِيحُ، وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ تَسْهِيمًا هُوَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَالْمَطْمَعُ تَسْمِيَةٌ ابْنِ وَكَيْعٍ^(١٢)، وَقَدْ قَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ: «فَأَمَّا تَسْمِيَةُ الْمَطْمَعِ فَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ سَهْوَةِ الظَّاهِرِ وَقِلَّةِ التَّكَلُّفِ فَإِذَا حَوَّلَ امْتَنَعَ وَبَعُدَ مَرَادُهُ»^(١٣).

الْمُعَارَضَةُ:

عَارَضُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ مُعَارَضَةٌ: قَابِلُهُ، وَعَارَضْتُ كِتَابِي بِكِتَابِهِ: أَي قَابَلْتُهُ، وَفُلَانٌ يُعَارِضُنِي: أَي يَبَارِئُنِي^(١٤).

قال ابن وهب: «المُعَارَضَةُ فِي الْكَلَامِ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَ الْكَلَامِينَ الْمَتَسَاوِينَ فِي اللَّفْظِ، وَأَصْلُهُ فِي مُعَارَضَةِ السَّلْعَةِ بِالسَّلْعَةِ فِي الْقِيَمَةِ وَالْمُبَايَعَةِ. وَإِنَّمَا

(١) الأيضاح ص ٩، وينظر التلخيص ص ٣٣ - ٣٥.

(٢) اللسان (طرف).

(٣) حسن التوسل ص ٢٠٩، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٠٥.

(٤) نوح ١٣ - ١٤.

(٥) اللسان (طلق).

(٦) التعريفات ص ١٩٤.

(٧) الرسالة العسجدية ص ١٣٣.

(٨) يوسف ٨٤.

(٩) النمل ٤٤.

(١٠) يونس ٢٦.

(١١) اللسان (طمع).

(١٢) العمدة ج ٢ ص ٣١.

(١٣) العمدة ج ٢ ص ٣٤، وينظر المنصف ص ٦٩.

(١٤) اللسان (عرض).

وَمُقْتَضَى الْحَالِ مُخْتَلِفٌ، فَإِنَّ مَقَامَاتِ الْكَلَامِ مُتَفَاوِتَةٌ، فَمَقَامُ التَّنْكِيرِ يَبِينُ مَقَامَ التَّعْرِيفِ، وَمَقَامُ الْإِطْلَاقِ يَبِينُ مَقَامَ التَّقْيِيدِ، وَمَقَامُ التَّقْدِيمِ يَبِينُ مَقَامَ التَّأخِيرِ، وَمَقَامُ الذِّكْرِ يَبِينُ مَقَامَ الْحَذْفِ، وَمَقَامُ الْقَصْرِ يَبِينُ مَقَامَ خِلَافِهِ، وَمَقَامُ الْفَصْلِ يَبِينُ مَقَامَ الْوَصْلِ، وَمَقَامُ الْإِيْجَازِ يَبِينُ مَقَامَ الْإِطْنَابِ وَالْمَسَاوَاةِ، وَكَذَا خِطَابُ الذِّكْرِ يَبِينُ خِطَابَ الْغَيْبِيِّ. وَانْتَهَى الْقَزْوِينِيُّ إِلَى أَنَّ «ارْتِفَاعَ شَأْنِ الْكَلَامِ فِي الْحَسَنِ وَالْقَبُولِ بِمُطَابَقَتِهِ لِلْإِعْتِبَارِ الْمُنَاسِبِ، وَانْحِطَاظِهِ بِعَدَمِ مُطَابَقَتِهِ لَهُ. فَمُقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الْإِعْتِبَارُ الْمُنَاسِبِ، وَهَذَا أَعْنَى تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بِالنَّظْمِ»^(١).

الْمُطْرَفُ:

طَرَفُ الرَّجُلِ حَوْلَ الْعَسْكَرِ وَحَوْلَ الْقَوْمِ، يُقَالُ: طَرَفَ فُلَانٌ إِذَا قَاتَلَ حَوْلَ الْعَسْكَرِ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَى طَرَفٍ مِنْهُمْ فَيُرْدُهُمْ، وَالْمُطْرَفُ مِنَ الْخَيْلِ: هُوَ الْأَبْيَضُ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ وَسَائِرُهُ يَخَالَفُ ذَلِكَ^(٢).

الْمُطْرَفُ أَحَدُ أَنْوَاعِ السَّجْعِ، وَيُرَاعَى فِيهِ الْحَرْفُ الْأَخِيرُ فِي كَلِمَتِي قَرِينَتِيهِ مِنْ غَيْرِ مَرَاعَاةِ الْوِزْنِ^(٣). كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(٤). وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي التَّجْنِيسِ وَالْجِنَاسِ.

الْمُطْلَقُ:

أَطْلَقَ النَّاقَةَ مِنْ عِقَالِهَا وَطَلَّقَهَا فَطَلَّقَتْ، وَنَاقَةٌ طَلَّقَتْ وَطُلِّقَتْ: لَا عِقَالَ عَلَيْهَا، وَأَطْلَقَهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ وَطَلِيقٌ^(٥). وَالْمُطْلَقُ: مَا يَدُلُّ عَلَى وَاحِدٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ^(٦).

الْمُطْلَقُ نَوْعٌ مِنَ الْجِنَاسِ، قَالَ الصَّنْعَانِيُّ: «إِنَّهُ كَثِيرٌ لَا يُعْتَبَرُ فِيهِ التَّمَامُ وَلَا النِّقْصَانُ»^(٧) كَقَوْلِ جَرِيرٍ:

وَمَا زَالَ مَعْقُولًا عِقَالٌ عَنِ النَّدَى

وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسٌ

وقوله تعالى: ﴿يَا أَسْفَا عَلَى يُوسُفَ﴾^(٨) وقوله حكاية عن صاحبة سليمان: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ

إذا انتكث الخيلُ ألفيته
صَبُورَ الجَنانِ رزينا خفيفا
قيل: إنه أراد رزينا من جهة العقل وخفيفا، ويقال: إنه
أراد رزينا في نفسه.
وقال أبو نواس:

لما بدا تُغَلِّبُ الصدود لنا
أرْسَلْتُ كَلْبَ الوضِلِ في طَلْبِهِ
فجاء يَسْعَى به معلقه
وقد لوى رأسه الى ذَنْبِهِ

المُعَاظَلَة:

عَاظَلَ مُعَاظَلَة: لزم بعضه بعضًا، وتعاظلت الجراد:
إذا تداخلت، ويقال: تعاظلت السباع وتشابكت،
وعاظل الشاعر في القافية عظامًا: ضمَّن. ورُوي عن
عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال لقوم من
العرب: أشعر شعرائكم من لم يعاظل الكلام ولم يتتبع
حوشيه، أي لم يحمل بعضه على بعض ولم يتكلم
بالرجيع من القول ولم يكرر اللفظ والمعنى^(٦)

المُعَاظَلَة من عيوب اللفظ عند قُدامة وهي التي
وصف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - زهيرًا
بمُجانبته لها فقال: «كان لا يُعَاظِلُ بين الكلام». ولا
يريد عمر مداخله بعض الكلام فيما يشبهه من بعض أو
فيما كان من جنسه وإنما أنكر أن يدخل بعضه فيما
ليس من جنسه وما هو غير لائق به. قال قدامة: «وما
أَعْرِفُ ذلك إلا فاحش الاستعارة»^(٧) كقول أوس بن
حجر:

- (١) البرهان في وجوه البيان ص ١١٨.
- (٢) يوسف ٧٠.
- (٣) بيان اعجاز القرآن ص ٥٣.
- (٤) الرسالة العسجدية ص ٥٦.
- (٥) البديع في نقد الشعر ص ١٥٢.
- (٦) اللسان (عظل).
- (٧) نقد الشعر ص ٢٠١.

تُسْتَعْمَلُ المُعَاظَلَة في التقيّة وفي مُخاطبة من خيفَ
شَرّه فيرضى بظاهر القول ويتخلّص في معناه من
الكذب الصراح^(١). ومن المُعَاظَلَة قوله تعالى
على لسان مُؤدّن يوسف: عليه السلام - ﴿أَيَّتْهَا
الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾^(٢) وهم لم يسرقوا الصواع
وإنما عَنَى سرقتهم إياه من أبيه.

وللمُعَاظَلَة مَعْنَى آخَر وهو أن يُعَارِضَ أحدهم
صاحبه في خطبة أو شعر فيجاريه في لفظه
ويباريه في معناه، وقد عُرِفَت المُعَاظَلَة منذ
الجاهلية^(٣).

وتَحَدَّثَ الصنعاني عن المُعَاظَلَة في فصل
الاستعانة وقال: «اعلم أن المُعَاظَلَة ليست من هذا
النمط بشيء ولا تُعْتَبَرُ في المُعَاظَلَة بالمعاني وإنما
العبرة باللفظ في الفصاحة والبلاغة بأنواعها، فلو
كان المُعَارِضُ يأخذ معنى ما يُعَارِضُ فيه ويكسوه
ألفاظًا من عنده ويستعين ببعض ألفاظه لكان هذا
احتذاءً وسرقة ولم يكن مُعَاظَلَة، ولكن يظهر للناس
سقوط المعارض وخذلانه وافتضاحه»^(٤). ومن ذلك
ما قاله امرؤ القيس:

خليلي مُرّا بي على أمِ جُنْدُبِ
لنقضي حاجاتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

وما قاله علقمة في معارضته:

ذَهَبَتْ من الهجرانِ في كل مَذْهَبِ
ولم يَكُ حَقًّا كُلُّ هذا التَّجَنُّبِ

فتباين معناه لآته وصف الهجران الذي هو نقيض
الوصال، وعدّ مع ذلك معارضا لأنه لما كان ما أتى به
مثلاً لما أتى به امرؤ القيس في الفصاحة.

ومن ذلك نقائض جرير والفرزدق وهي معروفة
مشهورة، وقصائدهم في المُعَاظَلَة كثيرة.

والمُعَاظَلَة والمُنَاقِضَة عند ابن منقذ: «أن يناقض
الشاعر كلامه أو يعارض بعضه بعضا»^(٥). كما قال
خُفاف:

بحافر ليست بمداخلة كلام في كلام وإنما هو
بُعْدٌ فِي الاسْتِعَارَةِ»^(٧).

وذكر ابن رَشِيقٍ للمُعَاظَلَّةِ عِدَّةَ مَعَانٍ فَالْعِظَالُ فِي
القَوَافِي التَّضْمِينِ فِي رَأْيِ الخَلِيلِ، وَالمُعَاظَلَّةُ سَوْءُ
الاسْتِعَارَةِ فِي رَأْيِ قُدَامَةَ، وَالمُعَاظَلَّةُ تَدَاخُلُ الحُرُوفِ
وَتَرَكَبُهَا، وَالمُعَاظَلَّةُ تَرْكِيْبُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهِ^(٨).

وَقَسَّمَ ابْنُ الأَثِيرِ المُعَاظَلَّةَ إِلَى نَوْعَيْنِ:

الأوَّلُ: المُعَاظَلَّةُ اللَّفْظِيَّةُ، وَهِيَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ: قَسَمَ
يَخْتَصُّ بِأَدْوَاتِ الكَلَامِ نَحْوَ «مِنْ» وَ«إِلَى» وَ«عَنْ»
وَ«عَلَى» فَانْ مَا يَسْهَلُ النُّطْقَ بِهِ إِذَا وَرَدَ مَعَ أُخْوَاتِهِ،
وَمِنْهَا مَا لَا يَسْهَلُ بَلْ يَرِدُ ثَقِيلاً عَلَى اللِّسَانِ، وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ:

إِلَى خَالِدٍ رَاحَتْ بِنَا أَرْحَبِيَّةٌ

مِرَافِقُهَا مِنْ عَنِّ كِرَاكِرِهَا نُكْبٌ^(٩)

وَقَسَمَ يَخْتَصُّ بِتَكَرُّرِ الحُرُوفِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ:

(١) ذَاتِ هَدْمٍ: يَعْنِي امْرَأَةً ضَعِيفَةً. الهَدْمُ: الكِسَاءُ.
النَّوْاشِرُ: عُرُوقٌ وَعَصَبٌ فِي بَاطِنِ الذَّرَاعِ،
التَّوَلَّبُ: وُلْدُ الحِمَارِ. الجَدْعُ: الصَّغِيرُ، السَّيِّئُ
الغِذَاءِ.

(٢) البَكْرُ: الفَتِي مِنَ الإِبِلِ، يَمْرِيهِ: يَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَهُ
مِنَ الجَرِيِّ.

(٣) أَسْرَارُ البَلَاغَةِ ص ٣٤.

(٤) المَوَازِنَةُ ج ١ ص ٢٧٦.

(٥) المَوَازِنَةُ ج ١ ص ٢٧٧، وَيَنْظُرُ سِرَّ الفِصَاحَةِ
ص ١٨٤، المِثْلُ السَّائِرُ ج ١ ص ٢٩٣، الجَامِعُ
الكَبِيرُ ص ٢٣٠. الأَقْصَى القَرِيبُ ص ١٠١.

(٦) كِتَابُ الصَّنَاعَتَيْنِ ص ١٦٢.

(٧) كِتَابُ الصَّنَاعَتَيْنِ ص ١٦٣.

(٨) العِمْدَةُ ج ٢ ص ٢٦٤.

(٩) المِثْلُ السَّائِرُ ج ١ ص ٢٩٤، ج ٢ ص ٤٤، وَيَنْظُرُ
الطَّرَازُ ج ٣ ص ٥٠، التَّبْيَانُ فِي البَيَانِ ص ٤٢٦.

(١٠) الأَرْحَبِيَّةُ: نَاقَةٌ مَنسُوبَةٌ إِلَى أَرْحَبِ الكِرَاكِرِ:
جَمْعُ كِرَاكِرَةٍ وَهِيَ رَحَى صَدْرِهَا. النُّكْبُ: جَمْعُ
نُكْبَاءٍ وَهِيَ المَائِلَةُ.

وَذَاتِ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا
تُضْمِتُ بِالمَاءِ تَوَلَّبًا جَدْعًا^(١)

فَسَمَّى الصَّبِي تَوَلَّبًا وَهُوَ وُلْدُ الحِمَارِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ جَبِيهَاءِ الأَسَدِيِّ:

وَمَا رَقَدَ الوَلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتَهُ

عَلَى البِكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٍ^(٢)

فَسَمَّى رَجُلَ الإِنْسَانِ حَافِرًا.

وَقَدْ تَحَدَّثَ عَبْدِ القَاهِرِ عَنِ هَذَا النُّوعِ فِي الاسْتِعَارَةِ
غَيْرِ المَفِيدَةِ، وَقَالَ: إِنَّ الاسْتِعَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جَانِبِ
اللفظ ولكنها من جهة المعنى الذي يفيد فائدة
خاصة^(٣).

وَقَالَ الأَمْدِيُّ: «وَقَدْ فَسَّرَ أَهْلُ العِلْمِ هَذَا مِنْ قَوْلِ
عُمَرَ وَذَكَرُوا مَعْنَى المُعَاظَلَّةِ وَهِيَ مُدَاخَلَةُ الكَلَامِ بَعْضُهُ
فِي بَعْضٍ وَرَكُوبُ بَعْضِهِ لِبَعْضٍ»^(٤). وَرَدَّ كَلَامَ قُدَامَةَ
وَقَالَ إِنَّ الأمثلة التي ذكرها ليست من المُعَاظَلَّةِ^(٥)،
وَذَكَرَ بَعْضَ أَنْوَاعِ المُعَاظَلَّةِ فِي شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ:

خَانَ الصَّفَاءَ أَخْ خَانَ الزَّمَانَ أَخَا

عَنهُ فَلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الكَمْدُ

وَقَوْلُهُ:

يَا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِي لَهْوَهُ

بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عَزَّ تَجَلُّدِي

وَقَوْلُهُ:

يَوْمَ أَفَاضَ جَوِّي أَغَاضَ تَغْزِيًّا

خَاضَ الهَوَى بَحْرِي حِجَاهِ المَزْبِيدِ

وَقَالَ العَسْكَرِيُّ إِنَّ المُعَاظَلَّةَ «مِنْ سَوْءِ
النُّظْمِ»^(٦) وَرَدَّ كَلَامَ قُدَامَةَ بِقَوْلِهِ: «وَهَذَا غَلَطٌ
مِنْ قُدَامَةَ كَبِيرٍ؛ لِأَنَّ المُعَاظَلَّةَ فِي أَصْلِ الكَلَامِ
إِنَّمَا هِيَ رَكُوبُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ بَعْضًا وَسُمِّيَ
الكَلَامُ بِهِ إِذَا لَمْ يُنْضَدْ نَضْدًا مَسْتَوِيًّا وَأَرْكَبُ
بَعْضُ أَلْفَازِهِ رِقَابَ بَعْضٍ وَتَدَاخَلَتْ أَجْزَاؤُهُ
تَشْبِيهًا بِتَعَاظُلِ الكَلَابِ وَالجِرَادِ، وَتَسْمِيَةِ القَدَمِ

وما مثله في الناس إلا مُملَكًا
أبو أمه حَيٌّ أبوه يُقارِبُه^(٢)

وَقَبْرِ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ
وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وقول الحريري

المعاني:

مَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ: محنته وحاله التي يصير إليها أمره،
والمعنى والتفسير والتأويل واحد، وعنيث بالقول كذا:
أردت. ومعنى كل كلام ومعناته مقصده^(٣).

علم المعاني من المُصطلحات التي أطلقها
البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما
يقرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو
تعريف وتنكير، أو قصر وخلافه، أو فصل ووصل، أو
إيجاز وإطناب ومساواة.

وليس في كتب البلاغة الأولى إشارة إلى هذا
العلم، ولا نعرف أحدًا استعمله قبل الشكاكي بمعناه
المعروف. وكان الأوائل يستعملون مُصطلح
«المعاني» في دراساتهم القرآنية والشعرية فيقولون
«معاني القرآن» أو «معاني الشعر» ويتخذون من ذلك
أسماءً لكتبهم. ولعلَّ عبارة «معاني النحو» التي وردت
في المناظرة التي جرت بين الحسن بن عبد الله بن
المرزبان المعروف بأبي سعيد السيرافي وأبي بشر مَتَّى
بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن
الفرات، كانت أقدم الإشارات إلى هذا المُصطلح
بمعناه القريب من البلاغة^(٤).

وعقد ابن فارس في كتابه «الصاحبي» بابًا سماه
«معاني الكلام»^(٥) وهي عند أهل العلم عشرة: خبر
واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض
وتحضيض، وتمن وتعجب. وبذلك يكون ابن فارس

(١) البهح: الفرح. الشرس: الصعب. ينظر المثل
السائر ج ١ ص ٢٩٤ - ٣٠٤.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٤٤.

(٣) اللسان (عنا).

(٤) الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٢١.

(٥) الصاحبي ص ١٧٩.

وازوَرَ من كان له زائرًا
وعاف عافي العرف عرفانهُ
وقسم أن ترد أَلْفَاظٌ على صيغة الفعل يتبع بعضها
بعضًا، كقول بعضهم:

بالنار فَرَّقَتْ الحوادثُ بيننا
وبها نَذَرْتُ أَعْوُدُ أَقْتُلُ رُوحِي
وقسم يتضمَّن مضافات كثيرة كقولهم:

حمامة جَزَعًا حَوْمَةَ الجَنْدَلِ اشْجَعِي

فَأَنْتِ بِمَرَأَى من سُعَادٍ وَمَسْمَعِ

وقسم ترد صفات مُتعدِّدة على نحو واحد كقول
المتنبي:

دَانٍ بَعِيدٌ مُجِبٌّ بَهِيحٌ

أَعَزُّ حُلُوٌّ لَيْسَ شَرِسٌ^(١)

الثاني: المُعَاظَلَةُ المعنوية وهي أن يُقدِّم ما الأُولى به
التأخير لأنَّ المعنى يختل بذلك ويضطرب. فالمُعَاظَلَةُ
المعنوية كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على
الموصوف، وتقديم الصلة على الموصول وغير
ذلك. ومن ذلك قول الشاعر:

فَقَدَّ والشك بَيِّنَ لي عِناءُ

بَوْشِكِ فِرَاقِهِمْ صُرْدٌ يَصِيحُ

وقول الآخر:

فَأَصْبَحْتُ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا

كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا

ومن ذلك قول الفرزدق:

إلى مَلِكٍ ما أمُّه من محاربٍ

أبوه ولا كانتُ كُليْبٌ تُصَاهِرُهُ

وقوله:

اشتمل عليه كتاب الله العزيز من النَّظْمِ الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعته وفواصله. وممن تحدثوا عن النظم أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي وأبو سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الخطابي وأبو الحسن علي بن عيسى الرَّمَّانِي وأبو بكر مُحَمَّد ابن الطيب الباقلاَنِي والقاضي عبد الجبار الأسد آبادي. وكان لكلامهم أثر في هذه الدراسة التي بلغت نضجها على يدي عبد القاهر الذي أطال الكلام عليها وسَمَّى موضوعات علم المعاني: «معاني النحو» أو النظم، وهو عنده تعليق الكلام بعضه ببعض وجعل بعضه بسبب من بعض^(٣)، أو هو «توخي معاني النحو». وتُعَدُّ دراسته لموضوعات النظم في كتابه «دلائل الإعجاز» من أنضج الدراسات الأسلوبية. وحينما قَسَّم السَّكَّاكِي البلاغة الى علومها المعروفة أطلق مُصطَلَح «علم المعاني» على الموضوعات التي سَمَّاهَا عبد القاهر نَظْمًا، وهو مُصطَلَح ليس جديدًا من حيث الاسم ولكنه جديد من حيث الدلالة. وكان الرَّمَّانِي والرازي والمُطَرِّزِي قد رَدَّدُوا هذا المُصطَلَح^(٤)، ولكنهم لم يُحدِّدوه أو يضعوا له منهجًا واضحًا، وبذلك كان السَّكَّاكِي أوَّل مَنْ استخدم هذا المُصطَلَح للدلالة على بعض موضوعات البلاغة. وأخذ البلاغيون بهذا المنهج وَعَرَفَ القزويني علم المعاني بأنَّه «علم يُعرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مُقتَضَى الحال»^(٥) وحصر علم المعاني في ثمانية أبواب:

الأوَّل: أحوال الإسناد الخبري.

- (١) الادب الصغير - آثار ابن المقفع ص ٣١٩، رسائل البلغاء ص ٥ - ٦.
- (٢) الحيوان ج ٣ ص ١٣٢.
- (٣) دلائل الاعجاز ص (ص).
- (٤) الكشف ج ١ ص (ك)، نهاية الايجاز ص ٣٦، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٥.
- (٥) الايضاح ص ١٢، التلخيص ص ٣٧.

أوَّل من أطلق «معاني الكلام» على مباحث الخبر والإنشاء التي أصبحت أهم أبواب علم المعاني.

وكان لنظرية النظم أثر كبير في ظهور هذا اللون من الدراسات، وللنحاة العرب يد طولى في دراسة الكلام وتحليله والوقوف عند الجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير أو ذكر وحذف. ولعل سيبويه كان من أقدم الذين وقفوا عند هذه الجوانب ودَرسها بعمق في فصول كتابه الشهير. ولكنَّ سيبويه والنحاة لم يُسَمِّوا هذه البحوث نَظْمًا وإنما هي قواعد تسيير عليها العرب في كلامها أو إنشائها. وإذا أردنا أن نتلمس فكرة النظم فينبغي أن نتلمسها في كتب أخرى، وأقدم إشارة عثرنا عليها عبارة ابن المُقَفَّع التي أشار فيها الى صياغة الكلام، قال: «فاذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل وأن يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وَجَدَ ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلائد وسموطاً وأكالييل ووضع كل فصّ موضعه وجمع الى كل لون شبهه مما يزيد به ذلك حُسناً فسمي بذلك صائغاً رقيقاً، وكصاغة الذهب والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلبي والآنية، وكان النحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة وسلكت سبلا جعلها الله ذللاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً إليها مذكوراً به أمرها وصنعتها. فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه فلا يعجب به إعجاب المخترع المبتدع، فانه إنما اجتباه كما وصفنا»^(١).

وأخذ البلاغيون معنى هذا الكلام وأداروه في كتاباتهم من غير أن يشاروا الى ابن المقفع، فقال الجاحظ: «إنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير»^(٢) وتحدّث عن النظم في كتبه وسَمَّى أحدها «نظم القرآن». وكان لمسألة إعجاز القرآن الكريم أثر في بلورة فكرة النظم، فقد ذهب قوم من المُتكلِّمين إلى أن وجه الإعجاز هو ما

وقد علَّلَ عبد القاهر ذمَّ المُعَقَّد بقوله: «والمُعَقَّد من الشعر والكلام لم يُذَمَّ لأنه مما تقع حاجة فيه الى الفكر على الجملة بل لأنَّ صاحبه يعثر فكرك في مُتصرِّفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه بل ربما قَسَمَ فكرك وشعب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصَّل وكيف تطلب»^(٣)، وقد تقدَّم الكلام على التعقيد.

المُعَمَّى:

عمي عليه الأمر: التبس، والتعمية أن تُعمِّي على الإنسان شيئاً فتلبسه عليه تلبيساً، وعمَّيت معنى البيت تعمية ومنه المُعمَّى من الشعر^(٤).

المُعَمَّى هو الأُحجية واللغز، قال السبكي عن اللغز: «ويُسَمَّى الأُحجية والمُعَمَّى وهو قريب من التورية وأمثله لا تكاد تنحصر، وفيه مُصنَّفات للناس»^(٥).

مَعْنَى المَعْنَى:

فَرَّقَ عبد القاهر بين المعنى ومعنى المعنى أي المعنى الأول والمعنى الثاني وقال: «تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يُفْضِي بك ذلك المعنى الى معنى آخر»^(٦).

ولا يُتوصَّل الى معنى المعنى إلا عن طريق صور البيان ولذلك قال عبد القاهر: «وضرب آخر أنت لا

(١) شروح التلخيص ج ١ ص ١٥١. المطول ص ٣٣،

الاطول ج ١ ص ٣٨.

(٢) اللسان (عقد).

(٣) أسرار البلاغة ص ١٣٥.

(٤) اللسان (عمي).

(٥) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣، وينظر نفعات ص ٣٣٩.

(٦) دلائل الاعجاز ص ٢٠٣، وينظر نهاية الايجاز ص ٨.

الثاني: أحوال المُسند اليه.

الثالث: أحوال المُسند.

الرابع: أحوال مُتعلِّقات الفعل.

الخامس: القصر.

السادس: الإنشاء.

السابع: الفصل والوصل.

الثامن: الإيجاز والإطناب.

وَوَجْهُ الحَضْرِ أَنْ الكلام إما خبر أو انشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أولاً يكون لها خارج، الأوَّل الخبر والثاني الإنشاء. ثم الخبر لا بدُّ له من إسناد ومُسند اليه ومُسند، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى. ثم المُسند قد يكون له مُتعلِّقات إذا كان فعلاً أو متصلاً به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه، وهذا هو الباب الرابع. ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بِقَصْرِ أو بغير قَصْرِ، وهذا هو الباب الخامس. والإنشاء هو الباب السادس. ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع. ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه، وهذا هو الباب الثامن.

وسيطر هذا المنهج على البلاغيين وظلت كتبهم تُقسِّم علم المعاني هذا التقسيم^(١)، ولم يخرج عنه مُعظَم المُتأخِّرين والمُحدِّثين.

المُعَقَّد:

العَقْد: نقيض الحل، عَقَدَه يَعْقِدُه عقداً، وعُقْدَة اللسان: ما غلظ منه، وعَقَّدَ كلامه: أعوصه وعمَّاه، وكلام مُعَقَّد: أي مُعَمَّض^(٢).

المُعَقَّد هو الكلام الذي يحتاج الى جهْدٍ في تقريب المعنى، وقد وُصِفَ البحتري بأنه يُعْطِي المعاني الدقيقة تسهيلاً وتقريباً ويردُّ الغريب الى المألوف القريب.

التورية وَعَدَّهَا الْمُغَالَطَةَ المعنوية وهي الضَرْبُ الْأَوَّلُ، أما الضرب الثاني فهو الإلغاز والأحجية^(٩) وقد تَقَدَّمَ الإلغاز والأحجية.

المُغَالَطَةُ المَعْنَوِيَّةُ:

قال العلوي: «اعلم أَنَّ المُغَالَطَةَ المعنوية هي أَنَّ تكون اللفظة الواحدة دالة على معنيين على جهة الاشتراك فيكونان مرادين بالنية دون اللفظ، وذلك لأنَّ الوضع في اللفظة المُشْتَرَكَة أَنَّ تكون دالة على معنيين فصاعداً على جهة البدلية هذا هو الأصل في وضع اللفظ المُشْتَرَك، فإذا كان المعنيان مرادين عند إطلاقها فإنما هو بالقصد دون اللفظ. والفرقة بين المُغَالَطَة والإلغاز هو أَنَّ المُغَالَطَة كما ذكرنا إنما تكون بالألفاظ المُشْتَرَكَة وهي دالة على أحدهما على جهة البدلية وَضَعًا، وقد يُرادان جميعًا بالقصد والنية بخلاف الإلغاز فإنه ليس دالاً على معنيين بطريق الاشتراك ولكنه دالٌّ على معنى من جهة لفظه وعلى المعنى الآخر من جهة الحدس لا بطريق اللفظ فافتراقاً بما ذكرناه»^(١٠).

ومثالها قول المتنبي:

يَشْلُهُمْ بِكُلِّ أَقْبَبٍ نَهْدٍ

لفارسيه على الخَيْلِ الخِيَارُ

- (١) دلائل الاعجاز ص ٢٠٢.
- (٢) نهاية الإيجاز ص ٨، منهاج البلغاء ص ١٤، ٢٣، ٢٠٦.
- (٣) اللسان (غلط).
- (٤) شرح عقود الجمان ص ٢٩.
- (٥) المثل السائر ج ٢ ص ٢١٥.
- (٦) المثل السائر ج ٢ ص ٢٢٤.
- (٧) الفوائد ص ١٢٣.
- (٨) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٤٥.
- (٩) الطراز ج ٣ ص ٦٣، وينظر الروض المربع ص ٨١.
- (١٠) الطراز ج ٣ ص ٦٣.

تَصِلُ منه الى الغرض بدلالة اللفظ وَخَدَهُ ولكنَّ يَدُلُّكَ اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض^(١). ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل.

وتحدّث الرازي والقرطاجني^(٢) عن ذلك، ومعنى هذا أَنَّ التفاوت لا يقع في المعاني الأول وإنما في المعاني الثواني أو في «معنى المعنى» وهذا أساس الإبداع.

المُغَالَطَةُ:

الغلط: كل شيء يعيا الإنسان عن جهة صوابه من غير تعمد، وقد غالطه مُغَالَطَة، والمُعْلَطَة والأغلوطة: الكلام الذي يُغلط فيه ويغالط به^(٣).

المُغَالَطَة من تسمية عبد القاهر وَسَمَّاهَا السَّكَاكِي «الأسلوب الحكيم» وذكرها الشيوطي باسم مُجَاوِبَة المُخَاطَب بغير ما يترقّب، وهو من خلاف مُقْتَضَى الظاهر^(٤).

وعقد ابن الأثير باباً في المُغَالَطَات المعنوية وقال: «وهذا النوع من أخلى ما استعمل من الكلام وأطفه لما فيه من التورية. وحقيقته أَنَّ يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض، والنقيض أحسن موقعاً وأطف مأخذاً»^(٥). وقال: «إِنَّ المُغَالَطَة هي التي تُطَلَّق ويُراد بها شيئان أحدهما دَلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوصفي والآخر دَلالة اللفظ على المعنى ونقيضه»^(٦).

وقال ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة: «المُغَالَطَة ذِكْر الشيء وما يُتَوَهَّم مُقَابِلًا له وليس كذلك»^(٧)، وَسَمَّى الزركشي التورية مُغَالَطَة، قال: «وُسَمِّي الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه، وهي أَنَّ يتكلّم المُتكلّم بلفظ مُشْتَرَك بين معنيين قريب وبعيد ويريد المعنى البعيد ويوهم السامع أَنّه أراد القريب»^(٨). وليست هذه المُغَالَطَة وإنما هي التورية، ولكنَّ العلوي أدخلها في

وكل أصمَّ يَعْسُلُ جانباه

على الكعبيين منه دمُّ مَمَارُ

يُغَادِرُ كُلَّ مَلْتَفَتِ اليه

وَلُبَّثُهُ لَشَعْلِيه وَجَارُ^(١)

فالثعلب هو الحيوان المعروف، والثعلب هو طرف سنان الرمح مما يلي الصَّعْدَةَ فلما اتفق الاسمان حَسُنَ لا محالة ذكر الوِجَارِ. ولما كان الوِجَارُ يصلح لهما جميعاً فاللِّبَّةُ وِجَارُ ثعلب السنان وهو بمنزلة جُحْر الثعلب أيضاً.

وهذا ما ذكره ابن الأثير في «المُغَالَطَاتِ المعنوية»^(٢) التي عقد لها باباً وللأحاجي باباً آخر، وهو ما ذكره العلوي في باب التورية.

المُغَايِرَةُ:

هي التَّغَايِيرُ والتَّلَطُّفُ^(٣)، وقد تقدَّما.

المُغَصِّن:

غَصَّنَ العنقودُ وأغصن: كبر حَبُّه شيئاً، والغُصْنُ: ما تَشَعَّبَ عن ساق الشجرة دقاقها وغلاظها، والغُصْنَةُ: الشعبة الصغيرة منه^(٤).

المُغَصِّنُ نوع من السجع، قال الكلاعي: «وسَمَّينا هذا النَّوعَ المُغَصِّنَ لأنَّه ذو فروع وأغصان. وقلما يستعلمه إلا المُحدِّثون من أهل عصرنا، وهو نحو قولِي: «وقد يكون من النعم والإحسان وما يصدر من الفم واللسان ومن النعماء والمعروف ما يسر بالأسماء والحروف». فقابلت سجعيتين بسجعيتين كل سجعة مُوافقة لصاحبيتها»^(٥). وقد يُقابل في هذا الفصل ثلاث بثلاث وأربع بأربع وخمس بخمس وست بست وسبع بسبع.

المُفَاضَلَةُ:

قال السجلماسي: هو ما فضل فيه المعنى على اللفظ»^(٦) وأدخل فيه الاختزال والتضمين.

المُفَصَّل:

فَصَّلَتِ الوشاح إذا كان نظمه مُفَصَّلاً بأنَّ يُجْعَلَ بين كل لؤلؤتين مَرَجَانَةٌ أو شذرة أو جوهرة تفصل بين كل اثنتين من لون واحد^(٧).

قال الكلاعي: «وسَمَّينا هذا النوع من البيان المُفَصَّلَ لأنَّه فُصِّلَ فيه المنظوم بالمنثور فجاء كالوشاح المُفَصَّل»^(٨). ونظير ذلك قول أبي محمد المهلبی: «رأيتَه فصيح الإشارة لطيف العبارة»:

إذا اختصر المعنى فشربة حائم

وإن رام إشهاباً أتى الفيض بالمدِّ

«قد نظرتَه فرأيتَه جسمًا معتدلاً وفهماً مشتعلًا»:

ونفسًا تفيض كفيض العمام

وظرفاً يناسب صفو المدام

المُقَابَلَةُ:

قَابَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ مُقَابَلَةٌ وَقِيَالًا: عَارِضُهُ، وَالمُقَابَلَةُ: المُوَاجَهَةُ والتَّقَابُلُ مثله^(٩).

قال أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين القرشي: سألت جعفر بن قدامة الكاتب وكان من

(١) يشلهم: يطردهم. الأقب: الضامر البطن. النهدي:

العالي المرتفع. الأصم: الشديد الذي ليس بأجوف. يعسل: يضطرب. الكعبان: اللذان في عامل الرمح. الممار: السائل الجاري. الثعلب: الحيوان المعروف. الوجار: بيت الثعلب.

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢١٥ وما بعدها.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧، ٤٢٧، خزانة الأدب ص ١٠٢، ١٠٤، انوار الربيع ج ٢ ص ٣٧١.

(٤) اللسان (غصن).

(٥) احكام صنعة الكلام ص ١٤١.

(٦) المنزوع البديع ص ١٨٢، وتنظر ص ١٨٥ وما بعدها.

(٧) اللسان (فصل).

(٨) احكام صنعة الكلام ص ١٤٤.

(٩) اللسان (قبل).

وقال الباقلاني: «المُقَابَلَة هي أن يُوفَّق بين معانٍ ونظائرها والمضاد بضده»^(٥). وعقد لها ابن رَشِيْق بَابًا غير باب المُطَابَقَة وقال: «وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً وآخره ما يليق به آخرًا ويأتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجيء المُقَابَلَة في الأضداد فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مُقَابَلَة»^(٦).

وقال التبريزي: المقابلة أن يأتي الشاعر في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف»^(٧).

وقال البغدادي: «وأما المُقَابَلَة فهي أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بينها في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحّة أو يشترط شروطاً في أحد المعنيين فيأتي بما يوافقه بمثل الذي شرطه وفيما يخالفه بأضداد ذلك»^(٨). وقال الرازي: «المُقَابَلَة هي أن تجمع بين شيئين مُتَوَافِقَيْن بين ضدّيهما ثم إذا شرطتهما بشرط وَجَبَ أن تشرط ضدّيهما بضد ذلك الشرط»^(٩).

ونقل السَّكَاكِي تعريف الرازي^(١٠) وأدخلها في المُحَسِّنَات المعنوية بعد أن فصلها عن المُطَابَقَة. ووضعها الصنعاني بين التقسيم والمُطَابَقَة وقال: «وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب وأن يؤتى من الموافق ما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر

جهاذة الشعر عن المُقَابَلَة فقال: سألت أبي عنها فقال: «هو أن يضع الشاعر معاني يعتمد التوفيق بين بعضها وبعض أو المُخَالَفَة فيأتي بالموافق مع ما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه على الصحّة أو يشترط شروطاً ويُعدّد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن يأتي بما يوافقه بمثل الذي شرط فيما يخالفه بأضداد ذلك. قال فقلت له: فانشدني أحسن ما قيل فيه فقال: لا أعرف أحسن من قول الأوّل:

أيا عَجَبًا كيف اتَّفَقنا فَناصِحٌ

وَفِيٍّ وَمَطْوِيٍّ على الغِلِّ غَادِرٌ

فجعل بازاء «ناصح»: مطويا على الغل، وبازاء «وفي»: غادرا^(١).

وتكلّم عليها قُدّامة وهي عنده من أنواع المعاني، قال: «ومن أنواع المعاني وأجناسها أيضا صحّة المقابلات وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحّة أو يشترط شروطاً ويُعدّد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدّده وفيما يخالف بأضداد ذلك كما قال بعضهم:

فواعجَبًا كيف اتَّفَقنا فَناصِحٌ

وَفِيٍّ وَمَطْوِيٍّ على الغِلِّ غَادِرٌ

فقد أتى بإزاء كل ما وصفه من نفسه بما يضاده على الحقيقة ممن عاتبه حيث قال بازاء «ناصح»: مطوي على الغل، وبازاء «وفي»: غادر»^(٢).

وقال قُدّامة عن تصحيح المُقَابَلَة إنَّها «أن يُؤْتَى بمعانٍ يُراد التوفيق بينهما وبين معانٍ أخرى في المضادة فيؤتى في الموافقة بالموافقة وفي المضادة بالمضادة»^(٣).

وقال العسكري: «المُقَابَلَة إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة المُوَافَقَة أو المُخَالَفَة»^(٤).

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٢، نضرة الاغريض ص ١٢٥.

(٢) نقد الشعر ص ١٥٢.

(٣) جواهر الالفاظ ص ٥.

(٤) كتاب الصناعتين ص ٣٣٧.

(٥) إعجاز القرآن ص ١٣٢.

(٦) العمدة ج ٢ ص ٥.

(٧) الوافي ص ٢٦٤.

(٨) قانون البلاغة ص ٤٣٩.

(٩) نهاية الايجاز ص ١١١، وينظر الايضاح في شرح

مقامات الحريري ص ١٦.

(١٠) مفتاح العلوم ص ٢٠٠.

تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(١)، والمُقابلة تكون غالبًا بالجمع من أربعة أضداد: ضدين في أصل الكلام وُضدين في عجزه وتبلغ الى الجمع من عشرة أضداد خمسة في الصدر وخمسة في العجز.

الثاني: لا يكون الطباق إلا بالأضداد، والمُقابلة تكون بالأضداد وغيرها^(١١) وتأتي المُقابلة على أنواع: الأول: مُقابلة اثنين باثنين كقوله تعالى: ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(١٢) وقول النبي - صلي الله عليه وسلم-: «إِنَّ الرَّفَقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» وقول النابغة الجعدي:

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ
عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

- (١) الرسالة العسجدية ص ١٤٣.
- (٢) معالم الكتابة ص ٨٢.
- (٣) الجامع الكبير ص ٢١٢.
- (٤) الإيضاح ص ٣٤١. التلخيص ص ٣٥٢، وينظر شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٩٦، المطول ص ٤١٩، التبيان في البيان ص ٢٨٨، شرح الكافية ص ٧٥.
- (٥) جواهر الكنز ص ٨٤.
- (٦) جواهر الكنز ص ٨٥.
- (٧) حُسن التَّوَسُّلِ ص ١٩٩، نهاية الأرب ج ٧ ص ٨٩.
- (٨) حُسن التَّوَسُّلِ ص ٢٠٣، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٠١.
- (٩) خزانة الأدب ص ٤٧، وينظر المنزِع البديع ص ٣٤٤.
- (١٠) الحجج ص ٦٦.
- (١١) الأقصى القريب ص ١٧٩، تحرير ص ١٧٩، بديع القرآن ص ٣١، الفوائد ص ١٨٤، البرهان ج ٣ ص ٤٥٨، خزانة ص ٥٧، معترك ج ١ ص ٤١٦، انوار الربيع ج ١ ص ٢٩٩، نفحات ص ١٥٦.
- (١٢) التوبة ص ٨٢.

ما تكون المُقابلة في الأضداد فاذا جاوزت المُطابَقة ضدين كانت مُقابلة^(١).

وقال ابن شيث القرشي: «المُقابلة هي أن يتساوى اللفظان في الكلام المضبوط بالسجعتين ويكون الثاني ضدَّ الأول مع التكافؤ في اللفظ»^(٢).

وأدخلها جماعة في المُطابَقة كابن الأثير الذي قال: «اعلم أن الأليق من حيث المعنى أن يُسمَى هذا النوع المُقابلة»^(٣). والقزويني الذي قال: «ودخل في المُطابَقة ما يُخَصَّ باسم المُقابلة وهو أن يُؤْتَى بمعنيين مُتوافقين أو معانٍ مُتوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب»^(٤). وجمع ابن الأثير الحلبي بين المُطابَقة والمُقابلة في باب واحد وإن عَرَفَ كلاهما تعريفًا مستقلًا، قال: «وَحَدُّ الطِّبَاقِ: ذِكْرُ الشَّيْءِ وَضَدَهُ، وَقِيلَ: هُوَ اشْتِرَاكُ الْمَعْنِيِّينَ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ، وَقِيلَ: هُوَ مَسَاوَاةُ الْمَقْدَارِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، وَالْكَلِّ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبٍ»^(٥). وقال: «فَأَمَّا حَدُّ الْمُقَابَلَةِ: فَهُوَ أَنْ تَكُونَ اللَّفْظَةُ مُقَابِلَةً لِأَخْتِهَا وَمَعْنَاهَا مُخْتَلِفٌ»^(٦).

وقال الحلبي والثوري: «والمُطابَقة أن تَجْمع بين ضدين مختلفين كالإيراد والإصدار، والليل والنهار، والسواد والبياض»^(٧)، وقالوا عن المُقابلة: «وهي أَعْمُ من الطِّبَاقِ وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا أَخْصَصُ، وَذَلِكَ أَنْ تَضَعُ مَعَانِي تَرِيدُ الْمُوَافَقَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا أَوْ الْمُخَالَفَةَ فَتَأْتِي فِي الْمُوَافِقِ بِمَا وَافَقَ، وَفِي الْمُخَالَفِ بِمَا خَالَفَ، أَوْ تَشْرَطُ شُرُوطًا وَتَعْدُ أَحْوَالًا فِي أَحَدِ الْمَعْنِيِّينَ فَيَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ فِي الثَّانِي بِمِثْلِ مَا شَرَطْتَ وَعَدَدْتَ»^(٨).

وقال الحموي رادًا كلام مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْفَنِينَ لَوْنٌ وَاحِدٌ: «وَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ فَإِنَّ الْمَقَابِلَةَ أَعْمُ مِنَ الْمُطَابَقَةِ، وَهِيَ التَّنْظِيرُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فَأَكْثَرُ وَبَيْنَ مَا يَخَالَفُ وَمَا يُوَافِقُ. فَبَقَوْلِنَا: «وَمَا يُوَافِقُ» صَارَتْ الْمَقَابِلَةُ أَعْمُ مِنَ الْمُطَابَقَةِ فَإِنَّ التَّنْظِيرَ بَيْنَ مَا يُوَافِقُ لَيْسَ بِمُطَابَقَةٍ»^(٩).

وَفَرَّقَ الْبَلَاغِيُّونَ بَيْنَ اللَّوْنَيْنِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأول: أَنَّ الطِّبَاقَ لَا يَكُونُ إِلَّا ضَدِّينَ غَالِبًا كَقَوْلِهِ

تعالى: ﴿فَتَلَكُ يُبِوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٥) فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم، ومقابلة بالالفاظ كقول عدي بن الرقاع:

ولقد ثنيت يد الفتاة وسادة
لي جاعلاً إحدى يدي وسادها
وقول عمرو بن كلثوم:

ورثناهن عن آباء صدق
ونورثها إذا متنا بنينا
وقد تأتي المقابلة باللفظ والمعنى كما في قول الشاعر:

ومن لو أراه صادياً لسقيته
ومن لو رأني صادياً لسقاني
ومن لو أراه عانياً لفديته
ومن لو رأني عانياً لفداني^(٦)

وذكر ابن رشيقي نوعاً من المقابلة سمّاها «مقابلة الاستحقاق» وقال: «لكنّ قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير في هذا الباب وأنشد للطرمّاح:

أسرناهم وأنعمنا عليهم
وأسقيناهم دماءهم الترابا
فما صبروا لبأس عند حرب
ولا أدوا لحسن يد ثوابا

فقدّم ذكر الأنعام على المأسورين وأخّر ذكر القتل في البيت الأول وأتى في البيت الثاني بعكس الترتيب وذلك أنّه قدّم ذكر الصبر عند بأس الحرب وأخّر ذكر الثواب على حسن اليد، اللهم إلا أن يريد بقوله: «فما صبروا لبأس عند حرب» القوم المأسورين إذ لم يقاتلوا

(١) الاعراف ١٥٧.

(٢) الليل ٥ - ١٠.

(٣) الايضاح ص ٣٤٢.

(٤) انوار الربيع ج ١ ص ٣٠٤.

(٥) النمل ٥٢.

(٦) كتاب الصناعتين ص ٣٣٧.

الثاني: مقابلة ثلاثة بثلاثة كقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾^(١) وقول أبي دلّامة:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا
وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل
وقول المتنبي:

فلا الجود يُفني المال والجِدُّ مُقْبِلٌ
ولا البخل يُبقي المال والجِدُّ مُدْبِرٌ
الثالث: مقابلة أربعة بأربعة كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾^(٢)، وقول الشاعر:

يا أُمَّةً كَانَ قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا
دَهْرًا فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَدْلِ يُرْضِيهَا
الرابع: مقابلة خمسة بخمسة كقول الشاعر:
بواطئ فوق خدّ الصُّبْحِ مُشْتَهَرٌ
وطائرٍ تَحْتَ ذَيْلِ اللَّيْلِ مَكْتَمٌ
وقول المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأثنني وبياض الصُّبْحِ يُغري بي
ولم يُدخِلِ القزويني هذا البيت في هذا النوع لأنّ اللام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما^(٣).

الخامس: مقابلة ستة بستة مثل قول الشاعر:

على رأس عبيد تاج عز يزينه
وفي رجل حرّ قيد ذلّ يشينه

قال الصفدي: «هذا أبلغ ما يمكن أن ينظم في هذا المعنى فإنّ أكثر ما عدّ الناس في باب المقابلة بيت أبي الطيب لأنّه قابل فيه بين خمسة وهذا قابل فيه بين ستة»^(٤).

هذه أقسام المقابلة المعروفة، وقسمها العسكري الى مقابلة في المعنى وهو مقابلة الفعل بالفعل كقوله

تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١٢) فنسبة قوله: ﴿مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾ الى قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ كنسبة قوله: ﴿يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ الى ﴿إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ لأنَّ القولين المتباينين يصدران عن متباينين.

والمُقَابَلَة اذا استعملت في موضعها كانت بديعة كما ظهر في الأمثلة السابقة، وهي والمُطَابَقَة تزيد المعنى وضوحًا، اما اذا استعملت في غير موضعها كانت فاسدة نائية، وقد أشار قدامة الى ذلك وتكلم على فساد المُقَابَلَات وقال: «ومن عيوب المعاني فساد المُقَابَلَات وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر إما على جهة المُوَافَقَة أو المُخَالَفَة فيكون أحد المعنيين لا يُخَالِف الآخر ولا يوافقُه، مثل ذلك قول أبي عدي القرشي:

يا ابنَ خيرِ الأخيَارِ من عَبْدِ شَمْسٍ

أنت زينُ الدنيا وَعَوْتُ الجُنُودِ

فليس قوله: «وعيث الجنود» موافقا لقوله: «زين الدنيا» ولا مضادًا، وذلك عيب^(١٣). وقال العسكري: «وفساد المُقَابَلَة أن تذكر معنى تقتضي الحال ذكرها بمُوَافَقَة أو مُخَالَفَة فيؤتى بما لا يوافق ولا يخالف مثل أن يقال «فلان شديد البأس نقي الثغر» أو «جواد الكلف أبيض الثوب» أو تقول: «ما صاحب

حتى يقتلوا دون الأسر واعطاء اليد، فإنَّ المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا وهذه عندهم تُسمى «مقابلة الاستحقاق» ويقرب منها قول أبي الطيب:

رِجْلَاهُ فِي الرِّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ
وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ وَالقَدَمُ

لأنَّ الكفَّ من اليد بمنزلة القدم من الرجل فبينهما مناسبة وليست مضادة ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى^(١).

وقسّمها ابن قَيِّم الجَوْزِيَة الى مُقَابَلَة لفظية ومعنوية^(٢) وقسّمها الزركشي الى ثلاثة أقسام: نظيري ونقيضي وخلافي^(٣)، ومثال المُقَابَلَة النظيرين مُقَابَلَة السِنَة والنوم في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٤) لأنهما جميعا من باب الرقاد المقابل باليقظة. ومثال مُقَابَلَة النقيضين قوله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبُهمُ أَيْقَاطًا وَهُمُ رُقُودٌ﴾^(٥)، ومثال مُقَابَلَة الخلافيين قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٦). قال المدني: «وهذا تقسيم غريب قلَّ مَنْ ذَكَرَهُ، ولعل قائله تفرد به»^(٧) وقسّم بعضهم المُقَابَلَة الى أربعة أنواع^(٨).

الأوّل: أن يأتي بكل واحد من المُقَدِّمَات مع قرينه من الثواني كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(٩).

الثاني: أن يأتي بجميع الثواني مُرْتَبَة من أوّلها كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١٠).

الثالث: أن يأتي بجميع المُقَدِّمَات ثم بجمع الثواني مُرْتَبَة من آخرها ويُسَمَّى رَدَّ العَجْزِ على الصدر كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١١).

الرابع: أن يأتي بجميع المُقَدِّمَات ثم بجمع الثواني مُخْتَلِطَة غير مُرْتَبَة ويُسَمَّى اللَّفِّ كقوله

(١) العمدة ج ٢ ص ١٦.

(٢) الفوائد ص ١٤٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٥٨.

(٤) البقرة ٢٥٥.

(٥) الكهف ١٨.

(٦) الجن ١٠.

(٧) أنوار الربيع ج ١ ص ٣٠٠.

(٨) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٦٠.

(٩) النبأ ١٠ - ١١.

(١٠) القصص ٧٣.

(١١) آل عمران ١٠٦ - ١٠٧.

(١٢) البقرة ٢١٤.

(١٣) نقد الشعر ص ٢٢٩.

اسم والثانية فعل. وأكثر ما يقع ذلك بالجمل الشرطية كقول ادريس بن اليمان من شعراء المغرب:

وكنت إذا استنزلت من جانب الرضى
نزلت نزل الغيث في البلد المحل
وإن هيح الأعداء منك حفيظة
وقعت وقوع النار في الحطب الجزل

فان هذا الشاعر لاءم بين الاستعارة في صدر البيت الأول والتشبيه في عجز البيت. ومن المقارنة ما يقرنه الشاعر من شعر غيره بشعره وهو عكس الإبداع والاستعانة، لأن الشاعر في هذين البابين يُقدّم شعر نفسه على شعر غيره وفي المقارنة يُقدّم شعر غيره على نفسه، كما قال الرشيد هارون للمجاز يوماً أجز: «الملك لله وحده» فقال المجاز: «وللخليفة بعده»، «وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده»^(٧).

ومن المقارنة ما يقرنه الشاعر من شعر نفسه فيكون في فن فاذا قرن البيت بأخر صار من فن غيره، ومن ذلك قول بعضهم:

له حق وليس عليه حق
ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقاً
عليه لغيره وهو الرسول

فإن البيت الأول مدح محض، فلما اقترن بالثاني صار

- (١) كتاب الصناعتين ص ٣٣٩، وينظر كفاية الطالب ص ١٤٤، المنصف ص ٦٧.
- (٢) منهاج البلغاء ص ٥٢، وينظر الروض المريع ص ١٠٧.
- (٣) اللسان (قرن).
- (٤) تحرير التحبير ص ٦٠٣.
- (٥) بديع القرآن ص ٣١٨.
- (٦) الانعام ٣١.
- (٧) هذا شعر ولكن كتب هكذا لينسجم مع كتابة الرواية.

خييراً ولا فاسقاً» و«ما جاءني أحمر ولا أسمر». ووجه الكلام أن نقول: «ما جاءني أحمر ولا أسود» و«ما صاحبت خييراً ولا شريراً» و«فلان شديد البأس عظيم النكاية وجواد الكف كثير العرف» وما يجري مع ذلك لأن السمرة لا تخالف السواد غاية المخالفة، ونقاء الثغر لا يخالف شدة البأس ولا يوافق^(١).

وقال القرطاجني: «وإنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضاً والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم كلا المعنيين في ذلك صاحبه»^(٢).

المُقارَنَة:

قارن الشيء الشيء مُقارَنَة وقِرَانًا: اقترن به وصاحبه، واقترن الشيء بغيره وقارنته قِرَانًا: صاحبتَه، وَقَرَنْتُ الشيءَ بالشيءِ: وصلته^(٣).

المُقارَنَة من مُبتدعات المصري، قال هو «أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المُبالغة أو غير ذلك من المعاني في كلامه بوصل يخفى أثره ويدق موضعه إلا عن الحاذق المدمن النظر في هذه الصناعة»^(٤). وفرّق بين هذا النوع والإبداع فقال: «المُقارَنَة وهو أن يقترن بديعان في كلمة من الكلام والفرق بين هذا الباب وباب الإبداع، أن الإبداع عبارة عن الإتيان ببيديعين فصاعداً في الكلمة المُفردة من غير اقتران»^(٥). ومن المُقارَنَة قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾^(٦) فإن هذه الآية الكريمة اقترن فيها التنكيت بتجنيس التغيرات، أما التنكيت ففي قوله تعالى: ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ والنكته في ترجيح الحمل على الظهور دون الرؤوس كون الظهور أقوى للحمل فأشار سبحانه الى ثقل الأوزار، والتجنيس بين ﴿أَوْزَارِهِمْ﴾ و﴿يَزِرُونَ﴾ لأن الأولى

هجوًا بحثًا.

ونقل الحلبي والثويري تعريف المصري للمُقارَنة وأمثلته^(١).

المُقاسمة:

تَقَسَّمُوا الشَّيْءَ وَاقْتَسَمُوهُ وَتَقَاسَمُوهُ: قَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ، وَقَاسَمْتَهُ الْمَالَ: أَخَذْتَ مِنْهُ قِسْمَكَ وَأَخَذَ قِسْمَهُ^(٢).

والمُقاسمة هي التضاد والتطبيق والتكافؤ والمطابقة، والشبوطي هو الذي ذكر هذا المصطلح فقال عن الطباق: «ويقال لهذا النوع أيضا التضاد والمُقاسمة والتكافؤ»^(٣).

المقاطع والمطالع:

مَقْطَعٌ كُلُّ شَيْءٍ وَمُنْقَطَعَةٌ: آخِرُهُ حَيْثُ يَنْقَطِعُ كَمَقْطَاعِ الرَّمَالِ وَالْأُودِيَةِ وَالْحَرَّةِ وَمَا أَشْبَهَهَا. وَمَقْطَاعِ الْأُودِيَةِ: مَا خَيْرُهَا، وَمُنْقَطَعٌ كُلُّ شَيْءٍ: حَيْثُ يَنْتَهِي إِلَيْهِ طَرَفُهُ.

المَطَّلَعُ: الطُّلُوعُ، يُقَالُ طَلَعَتِ الشَّمْسُ طُلُوعًا وَمَطَّلَعًا وَمَطَّلِعًا^(٤).

قال ابن رَشِيقٍ: «اختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع، فقال بعضهم: هي الفصول والوصول بعينها. فالمقاطع آخر الفصول، والمطالع: أوائل الوصول. وهذا القول هو الظاهر من فحوى الكلام. والفصل آخر جزء من القسيم الأوَّل وهي العروض أيضًا، والوصل أول جزء يليه من القسيم الثاني.

وقال غيرهم: المقاطع منقطع الأبيات وهي القوافي، والمطالع: أوائل الأبيات وقال قدامة بن جعفر في بعض تأليفه وقد ذكر الترصيع: «هو ان يُتَوَخَّى تَصْيِيرُ مَقْطَاعِ الْأَجْزَاءِ فِي الْبَيْتِ عَلَى سَجْعٍ أَوْ شَبِيهِهِ أَوْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فِي التَّصْرِيفِ»... فأشار بهذه العبارة إلى أنَّ المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى...

ومن الناس من يزعم أنَّ المَطَّلَعُ والمَقْطَعُ أول القصيدة وآخرها، وليس ذلك بشيء لأننا نجد في كلام جهابذة النقاد إذا وصفوا قصيدة قالوا: «حسنة المقاطع جيدة المطالع» ولا يقولون: المقطع والمطلع. وفي هذا دليل واضح لأنَّ القصيدة إنما لها أول واحد وآخر واحد ولا يكون لها أوائل وأواخر...

وسألت الشيخ أبا عبد الله مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ السَّمِينِ عَنْ هَذَا فَقَالَ: «المقاطع أواخر الأبيات والمطالع أوائلها» قال: ومعنى قولهم: «حسن المقاطع جيد المطالع» أنَّ يكون مقطع البيت - وهو القافية - مُتَمَكِّنًا غَيْرَ قَلْقٍ وَلَا مُتَعَلِّقًا بِغَيْرِهِ، فَهَذَا هُوَ حَسَنَةٌ، وَالْمَطَّلَعُ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ جُودَتُهُ أَنْ يَكُونَ دَالًّا عَلَى مَا بَعْدَهُ كَالْتَصْدِيرِ وَمَا شَاكَلَهُ.

وَرَوَى الْجَا حِظُّ^(٥) أَنَّ شَيْبَةَ بْنَ شَيْبَةَ كَانَ يَقُولُ: «الناس مُوَكَّلُونَ بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْإِبْتِدَاءِ وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ، وَأَنَا مُوَكَّلٌ بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْمَقْطَعِ وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ، وَحِظُّ جُودَةِ الْقَافِيَةِ - وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً - أَرْفَعُ مِنْ حِظِّ سَائِرِ الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ...»

وحكاية الجاحظ هذه تُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْطَعُ آخِرُ الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ وَهُوَ بِالْبَيْتِ أَلْيَقُ لِذِكْرِ حِظِّ الْقَافِيَةِ.

وَحَكَى أَيْضًا عَنْ صَدِيقٍ لَهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْعَتَابِيِّ^(٦): مَا الْبَلَاغَةُ؟ فَقَالَ: كُلُّ كَلَامٍ أَفْهَمَكَ صَاحِبِهِ حَاجَتَهُ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةٍ وَلَا حُبْسَةٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ فَهُوَ بَلِيغٌ. قَالَ: قُلْتُ: قَدْ عَرَفْتُ الْإِعَادَةَ وَالْحُبْسَةَ وَمَا الْاسْتِعَانَةُ؟ قَالَ: أَمَا تَرَاهُ إِذَا تَحَدَّثْتَ قَالَ عِنْدَ مَقْطَاعِ كَلَامِهِ: يَا هِنَاهُ، اسْمِعْ مِنِّي، وَاسْتَمِعْ إِلَيَّ، وَأَفْهَمُ، وَأَلَسْتَ تَفْهَمُ؟ هَذَا كُلُّهُ عِيٌّ

(١) حسن التوسل ص ٢١٣، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٧٥.

(٢) اللسان (قسم).

(٣) شرح عقود الجمان ص ١٠٥.

(٤) اللسان (قطع) و (طلع).

(٥) البيان ج ١ ص ١١٢.

(٦) البيان ج ١ ص ١١٣.

وفساد.

قصورًا وأقصر وقصّر وتقاصر^(٥).

المُقَصَّر هو الكلام الذي لا ينبئك بمعناه عند سماعك إياه ويحوجك الى شرح^(٦)، كقول الحارث بن حلزة:

والعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ

لِ النَّوْكِ مِمَّنْ رَامَ كَدًّا

أراد: والعيش الناعم خير في ظلال النوك من العيش الشاق في ظلال العقل، «وليس يُدَلُّ لحن كلامه على هذا فهو من الإيجاز المُقَصَّر»^(٧).

المَقْلُوب:

القلب: تحويل الشيء عن وجهه، قلبه يقلبه قلبًا^(٨).

عقد ابن قتيبة بابًا للمقلوب وهو يأتي على أشكال متعدّدة^(٩)، فمن ذلك أن يُوصَف الشيء بـضد صفته للتطهير والتفأول كقولهم للديغ: «سليم» تطهيرًا من السقم وتفاؤلًا بالسلامة، وللعطشان: «ناهل» أي: سينهل. وللمُبَالِغَة في الوصف كقولهم للشمس: «جَوْنَة» لشدة ضوئها. وللاستهزاء كقوله تعالى على لسان قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(١٠). ومن ذلك ما يُسَمَّى المتضادان باسم واحد والأصل واحد فيقال للصبح «صريم» وللليل «صريم» قال تعالى:

(١) العمدة ج ١ ص ٢١٥.

(٢) مجاز القرآن ج ٢ ص ٣، الكامل ج ٢ ص ٥٤٩.

(٣) ينظر الحيوان ج ١ ص ٢٠١، كتاب الصناعتين ص ٢١، ٢٧.

(٤) شرح عقود الجمان ص ٢٧.

(٥) اللسان (قصر).

(٦) كتاب الصناعتين ص ٣٦.

(٧) كتاب الصناعتين ص ١٨٨.

(٨) اللسان (قلب).

(٩) تأويل مشكل القرآن ص ١٤٢، وينظر أدب

الكاتب ص ٢٥.

(١٠) هود ٨٧.

وهذا القول من العتابي يُدَلُّ على أَنَّ المَقْطَاع أواخر الفصول، ومثله ما حكاه الجاحظ أيضًا عن المأمون أنه قال لسعيد بن أسلم: «واللَّهِ إِنَّكَ لتصغي لحديثي وتقف عند مقاطع كلامي».

وإذا جعل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلوع كانت الطاء واللام مفتوحتين، وإذا أُريد موضع القطع والطلوع كُسِرَت اللام خاصة وهو مسموع على غير قياس^(١).

مُقْتَضَى الحال:

وهو أن يكون الكلام مُطَابِقًا للحالة التي يُتحدَّث عنها ومُنَاسِبًا للموقف الذي يُتحدَّث فيه. وقد اهتم العرب بذلك منذ القديم، فقال الحطيئة:

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ

فَأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا^(٢)

وتحدّث عنه النحاة والبلاغيون وقالوا إن خير الكلام ما كان مُطَابِقًا لمُقْتَضَى الحال، وقالوا إن لكل مقام مقالًا^(٣)، إلى غير ذلك من الأقوال التي تقدّمت في «مطابقة الكلام لمقتضى الحال».

مُقْتَضَى الظاهر:

وهو أن يكون الكلام مُطَابِقًا للواقع أو أن تُؤدِّيَ الجمل والعبارات المعنى الذي تحمله الألفاظ أي ليس فيها تأويل وتوجيه غير ما تدلّ عليه الكلمات أو الكلام في الظاهر^(٤). وقد يخرج الكلام على ذلك فيقال إنه خرج على مقتضى الظاهر، ومن ذلك الالتفات والقلب والأسلوب الحكيم وغيرها، ولها في هذا المُعْجَم مَوَادّ.

المُقَصَّر:

قَصُر الشيء يقصُر قِصْرًا: خلاف طال. قِصْرته تقصيرًا: إذا صيرته قصيرا، وقصر عن الأمر يقصُرُ

مَقْلُوبُ الْبَغْضِ:

هو أن يكون في الكلام كلمتان أو أكثر يكون فيهما تقديم أو تأخير في بعض الحروف بحيث لا يشمل ذلك الاختلاف الحروف كلها مثل: «رقيب» و«قريب» و«شاعر» و«شارع» ومنه قول أبي فراس:

فَعِنْدِي خِصْبُ رُوَادٍ
وَعِنْدِي رِيٌّ وُرَادٍ^(٧)

مَقْلُوبُ الْكُلِّ:

سمّاه بعضهم المقلوب المستوي وعَرَفَهُ الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبته أي ابتدأت به من حرفه الأول كان آياه كقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾^(٨) وقوله: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ﴾^(٩) وقول الأرجاني:

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوِيلٍ
وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ^(١٠)

الْمَقْلُوبُ الْمُجَنِّحُ:

المقلوب المُجَنِّحُ هو مقلوب الكل ولكثهم يحتفظون بالكلمتين اللتين تقع فيهما هاتان الصنعتان

- (١) القلم ٢٠.
- (٢) ابراهيم ٤٧.
- (٣) الوهق: جبل في طرفه انشوطة يطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ.
- (٤) الكامل ج ١ ص ٣٢٢.
- (٥) الموازنة ج ١ ص ٥٢.
- (٦) نقد الشعر ص ٢٥٢، وينظر الموشح ص ١٢٨، شرح الكافية ص ٢٥٧.
- (٧) حدائق السحر ص ١٠٨، مفتاح العلوم ص ٢٠٣، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢١.
- (٨) يس ٤٠.
- (٩) المدثر ٣.
- (١٠) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢١، مفتاح العلوم ص ٢٠٣، خزانة الادب ص ٢٣٧، أنوار الربيع ج ٤ ص ٢٨٨.

﴿فَأَضْبَحْتُ كَالصَّرِيمِ﴾^(١) أي سوداء كالليل؛ لأنَّ الليل ينصرم عن النهار والنهار ينصرم عن الليل. ويقال للظلمة «سُدْفَةٌ» وللضوء «سُدْفَةٌ» وأصل السدفة: السترة، فكأن الظلام إذا أقبل سِتْرٌ للضوء، والضوء إذا أقبل سِتْرٌ للظلام.

ومن المقلوب أن يُقَدِّم ما يوضحه التأخير ويُؤخِّر ما يوضحه التقديم كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعَدِهِ رُسُلَهُ﴾^(٢). أي: مخلف رسله وعده، لأنَّ الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل فتقول: أخلفت الوعد وأخلفت الرسل.

ومن المقلوب ما قلب على الغلط كقول عبيد الله بن قيس الرقيات:

أسلمته في دمشق كما

أسلمت وحشية وهقا^(٣)

أراد: كما أسلم وحشية وهق، فقلب على الغلط. وأجاز المُبَرِّد القلب إذا لم يدخل الكلام لبس، قال: «رفعت لناري» من المقلوب إنما أراد: «رفعت له ناري» والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار^(٤)، ولم يُجَوِّزه الأمدى دائما قال: «وإنما كان يصدر عن العرب على سبيل السهو ولا يُسوِّغه مُتَأَخِّرًا، ومنه ما هو حسن وقد جاء مثله في القرآن»^(٥).

وأشار قدامة إلى نوع من المقلوب في عيوب ائتلاف المعنى والوزن قال: «ومنها المقلوب وهو أن يضطرَّ الوزن الشعري إلى إحالة المعنى فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد»^(٦) كقول عُزُورَةَ بن الورد:

فلو أني شَهِدْتُ أبا سعادٍ

غداً غداً بمُهَجَّتِه يَفُوقُ

فديتُ بنفسه نفسي ومالي

وما آلوك إلا ما أطيقتُ

أراد أن يقول: «فديت نفسه بنفسه» فقلب المعنى. وللقلب معانٍ أخرى تقدّمت في مادّة «القلب».

وتحبيره، يقال: لَخَّصَ لي خبرك أي بيَّنه لي شيئاً بعد شيء. ولخَّصت القول: اقتصرته فيه واختصرت منه ما يُحتاج إليه^(٧).

المُلخَّص من الشعر والكلام هو الذي يكون واضحاً بيِّناً، وهو خلاف المُعقَّد قال عبد القاهر: «وأما المُلخَّص فيفتح لفكرتك الطريق المستوي ويُمهِّده وإن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار وأوقد فيه الأنوار حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته وتقطعه قطع الواثق بالنُّجح في طيته فتَرِدُ الشريعة زرقاء والروضة غناء فتتال الري وتقطف الزهر الجني. وهل شيء أحلى من الفكرة إذا استمرت وصادفت نهجاً مستقيماً ومذهباً قويمًا وطريقة تنقاد، وتبيَّنت لها الغاية فيما ترتاد»^(٨).

المَلَكَة:

المَلِك: ما ملكت اليد من مال وخول، والمَلَكَة: مُلْكُك^(٩).

المَلَكَة هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال

(١) حدائق السحر ص ١٠٩، مفتاح العلوم ص ٢٠٣،

وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢١.

(٢) يس ٤٠.

(٣) المدثر ٣.

(٤) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢١،

مفتاح العلوم ص ٢٠٣، خزانة الادب ص ٢٣٧، معترك ج ١ ص ٤٠٦، شرح عقود الجمان ص ١٥٣. أنوار الربيع ج ٥ ص ٢٨٨.

(٥) اللسان (لأم).

(٦) حسن التوسل ص ٢١٠، نهاية الارب ج ٧

ص ١٠٦، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٤٠.

(٧) اللسان (لخص).

(٨) أسرار البلاغة ص ١٣٥.

(٩) اللسان (ملك).

فيضعون واحدة منها في أوَّل البيت والأخرى في نهايته. ويُسمَّى أحياناً «المقلوب المُعطف». ومثاله:

ساق هذا الشاعر الجب

نَ الى مَنْ قَلْبُهُ قاس

سار حيِّ القوم فالـ

هَمَّ علينا جَبَلٌ راس^(١)

المَقْلُوب المُسْتَوِي:

هو أن يقع قلب الكل في كلمتين أو أكثر، أي: إذا قلبت الجملة أو المصراع أو البيت كان كل واحد من هذه الثلاثة مُتَّفَقُ الأصل مع مقلوبه مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَرَبُّكَ فَكَبَّرُ﴾^(٣). وقد تقدم في مقلوب الكل^(٤).

المُلَاءَمَة:

تَلَامُ القوم والتأموا: اجتمعوا واتفقوا وتلاءم الشيطان إذا اجتمعا وأتصلا. ولأمت بين الفريقين إذا أصلحت بينهما، ولأمت بين القوم مُلَاءَمَة: إذا أصلحت وجمعت وإذا اتفق الشيطان فقد التأم. ولأمني الأمر: وافقني^(٥).

قال الحلبي والثوري: «فالمُلَاءَمَة تأليف الألفاظ الموافية بعضها لبعض على ضرب من الاعتدال»^(٦) كقول لبيد:

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوؤه

يعودُ رَمَادًا بَعْدَ إذ هو ساطِعُ

وما المالُ والأهلونُ إلا ودائعُ

ولا بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ

ثم قالوا: «وبعضهم يُعَدُّ التلفيق من باب الملاءمة، وهو أن يضمَّ الى ذِكر الشيء ما يليق به ويجري مجراه أي يجمع الأمور المُتناسِبة ويقال له «مراعاة النظر».

المُلخَّص:

لَخَّصْتُ الشيء: إذا استقصيت في بيانه وشرحه

وقال ابن سنان: «وبعض البغداديين يُسمَّى تساوي اللفظيتين في الصفة مع اختلاف المعنى، المماثل»^(٧). وقد سَمَّى قُدّامة هذا النوع المطابق وقال: «فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها»^(٨). وسَمّاه ابن رَشِيْق المُمائِلة^(٩)، وفعل مثله المُتأخرون وربطوا هذا الفن بالجناس أو المُوازنة^(١٠).

المُمائِلة:

مِثْل: كلمة تسوية يقال: هذا مِثْلُه ومِثْلُه، والفَرْقُ بين المُمائِلة والمساواة أنَّ المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأنَّ التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأمّا المُمائِلة فلا تكون إلا في المتفقين^(١١).

سَمَّى قُدّامة المُمائِلة تمثيلاً وهو من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى، قال: «هو أن يريد الشاعر إشارة الى معنى فيضع كلاماً يَدُلُّ علي معنى آخر، وذلك المعنى والكلام منبئان عما أراد أن يشير اليه»^(١٢)، كقول

(١) التعريفات ص ٢٠٥.

(٢) الايضاح ص ٩، التلخيص ص ٣٢.

(٣) شروح التلخيص ج ١ ص ١١٧، المطول ص ٢٤، الأطول ج ١ ص ٢٨.

(٤) اللسان (متن).

(٥) نضرة الاغريض ص ١٩٤.

(٦) الموازنة ج ١ ص ١٧٥.

(٧) سر الفصاحة ص ٢٢٨.

(٨) نقد الشعر ص ١٨٥.

(٩) العمدة ج ١ ص ٣٢١.

(١٠) تحرير التحبير ص ٢٩٧، بديع القرآن ص ١٠٧، المصباح ص ٨٠، الايضاح ص ٣٩٨، التلخيص ص ٤٠٤، شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٥٧، المطول ص ٤٥٧، الاطول ج ٢ ص ٢٣٦، خزانة الادب ص ٣٧٠، شرح عقود الجمان ص ١٥٢، انوار الربيع ج ٥ ص ١٧٨.

(١١) اللسان (مثل).

(١٢) نقد الشعر ص ١٨١.

لتلك الهيئة كيفية نفسانية، وتُسمَّى حالة ما دامت سريعة الزوال، فاذا تَكَرَّرت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير مَلَكَةً، وبالقياس الى ذلك الفعل عادة وخلقاً^(١).

قال القزويني عن فصاحة المُتكلِّم إنَّها «مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح»^(٢).

وشرحها بقوله: «فالمَلَكَةُ قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارّة لا تقتضي قسمة ولا نسبة وهو مختصّ بذوات الأنفس راسخ في موضوعه، وقيل: «مَلَكَةٌ» حتّى لا يكون المُعبّر عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحاً إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه. وقيل: «يقندر بها» ولم يقل: «يعبر بها» ليشمل حالتي النطق وعدمه. وقيل: «بلفظ فصيح» ليعم المُفرد والمُرَكَّب».

ولم يخرج البلاغيون عما رسمه القزويني وكل ما فعلوه هو شرح عباراته^(٣).

المُمائِنة:

المُمائِنة: المُباعِدة في الغاية، وسَيِّرٌ مِماتن: بعيد، وسار سياراً مِماتناً، أي بعيداً. ويقال: ماتن فلاناً فلاناً إذا عارضه في جدل أو خصومة^(٤).

قال المظفر العلوي: «أمّا المُمائِنة فهي تنازع الشعارين بينهما بيتاً يقول أحدهما صدره والآخر عجزه»^(٥).

المُمائِل:

هو المُجانِس المُمائِل، قال الآمدي: «وقد رأيت قوما من البغداديين يُسمُّون هذا النوع المُجانِس المُمائِل ويلحقون به الكلمة إذا ترددت وتكررت نحو قول جرير:

تَرْوَدُ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا

فَنِعْمَ الزَادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا

وبابه قليل»^(٦).

الرماح بن ميادة:

ألم تك في يمني يدك جعلتني
فلا تجعلني بَعْدَهَا في شمالكا
ولو أنني أذنبتُ ما كنتُ هالكا
على خَصْلَةٍ من صالحاتِ خِصالكا

وسَمَّاهَا أبو أحمد العسكري «المُمَاثَلَة»، قال عبد
القاهر وهو يتحدَّث عن قولهم: «إِنَّكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا
وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى»: «وذكر أبو أحمد العسكري أَنَّ هذا
النحو من الكلام يُسَمَّى المُمَاثَلَة، وهذه التسمية
تُوهَم أَنَّهُ شَيْءٌ غير المراد بالمثل والتمثيل وليس الأمر
كذلك»^(١).

وأخَذَ أبو هلال العسكري من خاله هذه التسمية
وقال: «المُمَاثَلَة أَنَّ يَرِيدُ المُمْتَكَلِمَ العبارة عن معنى فيأتي
بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر إلا أَنَّهُ يُنْبِئُ إِذَا أوردته
عن المعنى المراد»^(٢)، وذكر بيتي ابن ميادة: «ألم
تك...»، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : «إياكم
وخضراء الدمن» وقولهم: «فلا تَقِيَّ الثوب» ويتضح
أَنَّ المُمَاثَلَة عنده المثل أو ما يقرب من الكناية، وقد قال
الباقلاني إنها «ضَرْبٌ من الاستعارة سَمَّاهُ قَدَامَةَ التَّمثِيلِ
وهو على العكس من الإرداف مبني على الاسهاب
والبسط وهو مبني على الإيجاز والجمع، وذلك أَنَّ
يقصد الإشارة إلى معنى فيضع ألفاظًا تدل عليه،
وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قَصَدَ
الإشارة إليه»^(٣)، ومثل له بقولهم: «أراك تُقَدِّمُ رِجْلًا
وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى» وقوله تعالى: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾^(٤)،
وقول الحارثي:

بني عَمَّنَا لا تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا

دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغُمَيْرِ القَوَافِيَا

والآية الكريمة والبيت من شواهد الكناية لا الاستعارة.

وتابع التبريزي الباقلاني وقال: «المُمَاثَلَة ضَرْبٌ من
الاستعارة»^(٥) ونقل البغدادي تعريفه^(٦).

وأدخلها ابن رَشِيْق في التَّجْنِيسِ وقال: «التَّجْنِيسِ

ضروب كثيرة منها المُمَاثَلَة وهي أَنَّ تكون اللفظة
واحدة باختلاف المعنى»^(٧). وهذا ما ذكره الآمدي
وابن سِنَان^(٨). وفَسَّرَهَا المصري تفسيرًا آخر فقال: «هو
أَنَّ تَتَمَاثَلُ أَلْفَاظُ الكلام أو بعضها في الزِنَة دون
التقفية»^(٩) كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النُّجُومُ
الثَّاقِبُ. إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾^(١٠). فالطارق
والثاقب وحافظ مُتَمَاثِلَاتٌ في الزِنَة دون التقفية.

وقد تأتي بعض أَلْفَاظِ المُمَاثَلَة مقفاة من غير تَصَدُّ؛
لأنَّ التقفية في هذا الباب غير لازمة كقول امرئ
القيس:

فَتَوَرُّ القِيَامِ قَطْوَعُ الكلام

تَفْتَرُّ عن ذي غُرُوبٍ خَصِيرُ

كَأَنَّ المُدَامَ وَصَوَّبَ الغَمَامِ

وَرِيحَ الخُرَامِي وَنَشَرَ القَطْرُ

يُعَلُّ بِهَا بَرْدُ أنِيَابِهَا

إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ المَسْتَحِرُّ^(١١)

وتابعه ابن مالك فقال: «المُمَاثَلَة أَنَّ يَتَعَدَّدُ أو يُوجَدُ في
البيت أو نحوه مُمَاثَلَة في الوزن والتقفية أو في الوزن
فقط بين كلمتين متلاقيتين أو متوازيتين»^(١٢)، ومثل له
بقوله تعالى: ﴿وَرُبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

(١) أسرار البلاغة ص ١٠٠.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٣٥٣.

(٣) اعجاز القرآن ص ١١٩.

(٤) المدثر ٤.

(٥) الوافي ص ٢٧٤.

(٦) قانون البلاغة ص ٤٤٥.

(٧) العمدة ج ١ ص ٣٢١.

(٨) الموازنة ج ١ ص ٢٧٥، سر الفصاحة ص ٢٢٨.

(٩) تحرير التحرير ص ٢٩٧، بديع القرآن ص ١٠٧.

(١٠) الطارق ٢ - ٤.

(١١) تفتت: تبسم. الغروب: حدة الاسنان. خصير:

بارد. القطر: العود الذي يتبخر به. المستحرج:

المصوت بالسحر.

(١٢) المصباح ٨٠.

يريده، يقال: مَنَعَهُ يَمْنَعُهُ مَنَعًا وَمَنَعَهُ فامتنع وتمنع^(٩).

قال ابن سنان: «المُمتنع هو الذي يمكن تصوُّره في الوهم وإن كان لا يمكن وجوده مثل أن يُتصوَّر تركيب بعض أعضاء الحيوان من نوع في نوع آخر منه كما يُتصوَّر يد أسد في جسم انسان، فإنَّ هذا وإن كان لا يمكن وجوده فإنَّ تصوُّره في الوهم ممكن. وقد يَصِحُّ أن يقع المُمتنع في النظم والنثر على جهة المُبالغة ولا يجوز أن يقع المستحيل الجبته^(١٠).

المُناسِبَة:

ناسبه: شارَكه في نسبه، وفلانًا يُناسب فلانًا فهو نسيبه أي قريبه^(١١). المُناسِبَة عند الرُّماني النوع الثاني من التَّجانُس، قال: «وهي تدور في فنون المعاني التي تَرْجِعُ الى أصل واحد»^(١٢) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(١٣) فجونس بالانصراف عن الذِّكْر ثم صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أمّا هم فذهبوا عن الذكْر وأما قلوبهم فذهب بها الخير. ونقل الصنعاني كلام الرُّماني

- (١) الاسراء ٥٥.
- (٢) خزائن الادب ص ٣٧٠، نفحات ص ١٦٤، شرح الكافية ص ١٩٥.
- (٣) انوار الربيع ج ٥ ص ١٧٨.
- (٤) الايضاح ص ٣٩٨، التلخيص ص ٤٠٤.
- (٥) الصافات ١١٧ - ١١٨.
- (٦) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٥٧، المطول ص ٤٥٧، الاطول ج ٢ ص ٢٣٦، شرح عقود الجمان ص ١٥٢.
- (٧) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٧٩، وينظر تحرير التعبير ص ٢٩٨.
- (٨) المنزح البديع ص ٢٤٤.
- (٩) اللسان (منع).
- (١٠) سر الفصاحة ص ٢٨٧.
- (١١) اللسان (نسب).
- (١٢) النكت في اعجاز القرآن ص ٩٢.
- (١٣) التوبة ١٢٧.

والأرض ولقد فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا^(١)، وقول الشاعر:

مُعْتَقَةٌ مُصَفِّفَةٌ غَفَاژَ

شَامِيَةٌ إِذَا مُرِجَتْ مَرُوحٌ

وقول أبي تمام:

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسٌ

قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلِكْ ذَوَابِلُ

وقال البحتري:

فَأَحْجَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا

وَأَقْدَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ عِنكَ مَهْرَبًا

ونقل الحموي تعريف ابن مالك وأمثله^(٢)، وفعل مثله المدني^(٣).

وأدخلها القزويني في المُوازنة وقال: «فإن كان ما في إحدى القريبتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المُماثلة»^(٤) كقول تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٥)، ومثل قول أبي تمام: «مَهَا الْوَحْشُ...» وبيت البحتري: «فَأَحْجَمَ...» وتابعه في ذلك سُرَّاحُ التلخيص وغيرهم^(٦). وقال المدني: «والفرق بين المُماثلة والمُناسِبَة اللفظية توالي الألفاظ المُتَّزِنة في المُماثلة دون المُناسِبَة. ولا يَخْفَى أَنَّ هَذَا النَّوعَ - أَعْنِي المُماثلة - ليس تحته كبير أمر، لكنه لَمَّا كَانَ أَمْرًا زَائِدًا عَلَى مَا خَلَا عَنْهُ مِنَ الْكَلَامِ عُذُّ مِنَ الْبَدِيعِ»^(٧). والمُماثلة عند السجلماسي هي التمثيل قال: «المُماثلة وهو المُدْعَوَةُ أَيْضًا التَّمثِيلُ... وَحَقِيقَتُهَا التَّخْيِيلُ وَالتَّمثِيلُ لِلشَّيْءِ بِشَيْءٍ لَهُ إِلَيْهِ نِسْبَةٌ وَفِيهِ مِنْهُ إِشَارَةٌ وَشَبْهَةٌ. وَالْعِبَارَةُ عَنْهُ بِهِ وَذَلِكَ أَنَّ يَقْصِدُ الدَّلَالََةَ عَلَى مَعْنَى فَيَضَعُ أَلْفَاظًا تُدَلُّ عَلَى مَعْنَى آخَرَ، ذَلِكَ الْمَعْنَى بِالْفَاظِ مِثَالٌ لِلْمَعْنَى الَّذِي قَصِدُ الدَّلَالََةَ عَلَيْهِ»^(٨).

المُمتنع:

المنع: أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي

وأمثله^(١).

والمُناسبة عند المصيري نوعان^(٢): مُناسبة في المعاني ومُناسبة في الألفاظ فالمعنوية أن يبتدىء المُتكلم بمعنى ثم يُتمّ كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٣)، فانه سبحانه لما قدّم نفي إدراك الإبصار له عطف على ذلك قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ خطابًا للسامع بما يفهم إذ معترف العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار، ألا ترى أن حاشة البصر لا تُدرك إلا اللون من كل مُتلون، والكون من كل مُتكوّن فإدراكهما إتمامًا هو للمركبات دون الأفراد ولذلك لما قال ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ عطف على ذلك قوله ﴿الْخَبِيرُ﴾ تخصيصًا لذاته سبحانه بصفات الكمال؛ لأن كل من أدرك شيئًا كان خبيرًا بذلك الشيء.

ومن ذلك قول المتنبي:

على سابع موج المنايا بنحره

غداة كأنّ الثبل في صدره وبئله

فإن بين لفظة السباحة ولفظة الموج ولفظة الويل تناسبًا معنويًا صار البيت به مُتلاحمًا شديد مُلاءمة الألفاظ.

وأما المُناسبة اللفظية فهي تُوخّي الإتيان بكلمات مُترنات وهي على ضربين: تامة وغير تامة. فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مُقفأة وأخرى ليست بمُقفأة، فالتقفية غير لازمة للمُناسبة. ومن شواهد المُناسبة التي ليست بتامة في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ق. وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(٤). ومن شواهد التامة قوله - صلى الله عليه وسلم - مما كان يرقى به الحسنين - عليهما السلام - : «أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»، فقال النبي الكريم: «لامة» ولم يقل «لممة» وهي القياس لمكان المناسبة اللفظية

للتامة. ومثله قوله - عليه السلام - : «ارْجِعْنَ مَأْزَوَاتٍ غَيْرَ مَأْجورات» والمستعمل «موزورات» لأنه من «الوزر» غير مهموز وأما ما جاء من الشئنة من أمثلة المناسبة الناقصة فكقوله - صلى الله عليه وسلم - «إِنَّ أَحْبَبَكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمَوْطُونَ أَكْنَفًا»^(٥) فناسب - عليه السلام - بين «أخلاق» و«أكناف» مناسبة اتزان لا تقفيه.

ومن أمثلة المُناسبتين الناقصة والتامة قول أبي تمام:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس

قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

فناسب بين «مها» و«قنا» مُناسبة تامة وبين «الوحش» و«الخط» و«أوانس» و«ذوابل» مُناسبة غير تامة.

وَلَخَّصَ الْحَلْبِي وَالتُّوِيرِي وابن الأثير الحلبي والحموي^(٦) كلام المصيري وأخذوا بعض أمثله. ولم يخرج المدني كثيرًا على سابقه غير أنه قال: «المُناسبة على ضربين: معنوية ولفظية والمعنوية هي التَّناسب في المعاني وَيَندرج فيها مراعاة النظر والتوشيح وتَناسب الأطراف وائتلاف المعنى مع المعنى. وتوهم ابن حجة أن المُناسبة المعنوية أمر غير ذلك وعَرَّفَهَا بتعريف تَناسب الأطراف الذي سَمَّاه بعضهم بتشابه الأطراف المعنوي ومثّل لها

(١) الرسالة العسجدية ص ١٣٠.

(٢) تحرير التحرير ص ٣٦٣، بديع القرآن ص ١٤٥.

(٣) الانعام ١٠٣.

(٤) ق ١ - ٢.

(٥) الموطأ الاكناف: الرجل الدمث الاخلاق السهل الكريم.

(٦) حسن التوسل ص ٢٨٨، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٥٨، جوهر الكثر ص ٢٤١، خزنة الادب ص ١٦٦، نفحات ص ١٣٨، شرح الكافية ص ١٤١.

بتديله بغيره في الشعر بل يمكن ذلك في النثر لأنه يعسر في الشعر من أجل الوزن.

ومن القسم الأول قول المتنبي:

فلا يُبْرِمُ الأمر الذي هو حَالِلٌ

ولا يُحْلِلُ الأمر الذي هو يُبْرِمُ

فلفظة «حَالِلٌ» نافرة عن موضعها، وكانت له مندوحة عنها لأنه لو استعمل عوضاً عنها لفظة «ناقض» ل جاءت قارة في مكانها غير قلقة ولا نافرة.

ومما جاء من القسم الثاني قول المتنبي:

لا خلق أكرم منك إلا عارفٌ

بك داءً نفسك لم يقل لك هاتها

فإن عجز هذا البيت نافر عن مواضعه.

وذكر العلوي مثل ذلك ونقل كلام ابن الأثير وأمثله^(٦).

المناقضة:

النقض خلاف الإبرام، والنقض: اسم البناء المنقوض إذا هُدم، وفي حديث صوم التطوع: «فناقضني وناقضته» هي مُفاعلة من نقض البناء وهو هدمه أي ينقض قولي وأنقض قوله. وناقضه في الشيء مُناقضة ونقاضاً: خالفه. والمناقضة في القول: أن يُتكلم بما يتناقض معناه^(٧).

ذكر المصري أن المُناقضة من مُبتدعاته وقال: «هو

(١) أنوار الربيع ج ٣ ص ٣٦٤، وينظر المنزح البديع

ص ٥١٧، الروض المريع ص ١٠٥.

(٢) تحرير التحبير ص ٢٩٧، خزانة الادب ص ٣٧٢،

انوار الربيع ج ٥ ص ١٧٩.

(٣) معترك ج ١ ص ٥٧، الاتقان ج ٢ ص ١٠٨،

وينظر المنزح البديع ص ٤٠٣.

(٤) اللسان (نفر).

(٥) المثل السائر ج ١ ص ٣٠٤.

(٦) الطراز ج ٣ ص ٥٨.

(٧) اللسان (نقض).

بأمثلة مراعاة النظير وخلط بين النوعين^(١). ولم يتحدث عن المعنوية وإنما تكلم على اللفظية لأنها «هي المقصودة بالذكر»، ونقل تعريف المصري.

وفرقوا بين المُماثلة والمُناسبة فقالوا: الفرق بين المُماثلة والمُناسبة توالي الكلمات المستويات في المُماثلة وتفاوتها في المُناسبة^(٢).

وللمُناسبة معنى آخر ذكره الشيوطي وهو الترابط بين الآيات الكريمة وغيرها، قال: «المُناسبة في اللغة المُشاكلة والمُقارِية ومَرَجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من انواع علاقات التلازم الذهني كالسبب والمُسبب والعللة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه. وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً باعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حالته حال البناء المُحكّم المتلائم الأجزاء»^(٣).

المُنافرة بين الألفاظ:

التفرق: التفرُّق، ونافرت الرجل مُنافرة إذا قاضيته، والمُنافرة: المُفاخرة والمُحاكمة، وفي حديث أبي ذر: «نافر أخي أنس فلاناً الشاعر» أراد إنهما تفاخرا أيهما أجود^(٤).

قال ابن الأثير: «وحقيقة هذا النوع الذي هو المُنافرة، أن يُذكر لفظ أو ألفاظ يكون غيرها مما هو معناها أولى بالذکر»^(٥). وقال: «وعلى هذا فإن الفرق بينه وبين المُعاضلة أن المُعاضلة هي التراكب والتداخل أما في الألفاظ أو في المعاني، وهذا النوع لا تراكب فيه وإنما هو إيراد الألفاظ غير لائقة بموضعها الذي ترد فيه».

والمُنافرة نوعان:

الأول: يُوجد في اللفظة الواحدة، وإذا ورد هذا النوع في الكلام أمكن تبديله بغيره مما هو في معناه سواء كان ذلك الكلام نثراً أو نظماً.

الثاني: يُوجد في الألفاظ المتعددة، ولا يُمكن

فقال الواساني:

فصاك بي طيبه وصاك به
مني صنان في جدّة البصل
فأخذ معنى بيت المعزّي في صدر بيته وناقضه في بقيته
لكنه قصر عنه.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم
فاغتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾^(٤). فشرط
سبحانه المثلية في المجازاة أمرًا بالعدل فناقض في
ذلك الجاهلية فيما كانوا عليه من مدح الظلم كقول
عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(٥)

وقد تكلم قدامة من قبل على التناقض وقال: «ومما
يجب تقديمه أيضًا أن مناقضة الشاعر نفسه في
قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئًا وصفًا حسنًا ثم
يذمه بعد ذلك ذمًا حسنًا أيضًا غير مُنكر عليه ولا معيب
من فعله إذا أحسن المدح والذم بل ذلك عندي يدل
على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها»^(٦) كما
عابوا تناقض امرئ القيس في قوله:

فلو أن ما أشعى لأدنى معيشة
كفاني - ولم أطلب - قليل من المال
ولكنما أشعى لمجد مؤثّل
وقد يُدرك المجد المؤثّل أمثالي

وقوله في موضع آخر:

فتملاً بيتنا أقطاً وسمناً
وحسبك من غنى شبع وريّ

(١) تحرير التحبير ص ٦٠٧، بديع القرآن ص ٣٢٣.

(٢) تحرير التحبير ص ٦٠٨، بديع القرآن ص ٣٢٤.

(٣) الدخان ١٥.

(٤) البقرة ١٩٤.

(٥) بديع القرآن ص ٣٢٤ - ٣٢٦.

(٦) نقد الشعر ص ١٨.

تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل، ومُراد
المُتكلّم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم
وقوع المشروط فكأنّ المُتكلّم ناقض نفسه في
الظاهر إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين^(١) كقول
النابعة الذبياني:

وإنك سوف تحلم أو تناهي

إذا ما شئت أو شاب الغراب

فان تعليقه وقوع حلم المُخاطب على شبيه ممكن
وعلى شيب الغراب مستحيل، ومراده الثاني لا
الأول؛ لأن مقصوده أن يقول: إنك لا تحلم أبدًا.

والفرق بين هذا النوع ونفي الشيء بإيجابه أن
المناقضة ليس فيها نفي ولا إيجاب، ونفي الشيء
بإيجابه ليس فيه شرط ولا معناه.

ومن المناقضة نوع آخر يرجع أصله الى الأول
«وهو أن يأتي في لفظ الوعد ما يدل على الوعيد
فيسرّ المُخاطب ويسوؤه في وقت واحد فيتوجه على
ذلك اللفظ إشكال يوضحه بعده»^(٢). كقوله تعالى:
﴿إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾^(٣) فقوله -
سبحانه - : ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ و«عُدّ، ووصف
كشف العذاب بالقلة وعيد، فهو يسر ويسوء في
حالة واحدة، وإنما وصف بالقلة المنافية للكرم من
أجل أنه علّق كشف العذاب بشرط عدم العود الى
موجب العذاب فاقتضت البلاغة أن يقول ﴿قليلاً﴾
ليدمج في دلائل النبوة الإخبار بالغيب وهو وقوع
العود فيشرح بذكر لفظة ﴿قليلاً﴾ للإيضاح والإخبار
بوقوع العود الذي اقتضى أن يكون كشف العذاب
قليلاً من أجله. والشرط المأخوذ من قوة الكلام هو
الذي يردّ هذا النوع الى النوع الأول.

ومن المناقضة نوع آخر وهو مناقضة المُتكلّم غيره
في معنى ما كمناقضة أبي القاسم بن واسانة نُصيبيًا أو
عبد بني الحشاحس في قوله:

فما زال بُزدي طيبًا من ثيابها

الى الحول حتى أنهج البرد باليا

تَحْرِيًّا»^(٩). وقد تقدّم في المُتَحَرِّي والمُنْتَحَل.

الْمَنْزَع:

يقال للانسان إذا هوي شيئاً ونازعته نفسه اليه: هو يَنْزِعُ اليه نزاعاً، والمنزعة ما يرجع اليه الرجل من أمره ورأيه وتدبيره^(١٠).

قال القرطاجني: «إِنَّ الْمَنَازِعَ هِيَ الْهَيْئَاتُ الْحَاصِلَةُ عَنْ كَيْفِيَّاتٍ مَأْخُذِ الشُّعْرَاءِ فِي أَغْرَاضِهِمْ وَأَنْحَاءِ اعْتِمَادَاتِهِمْ فِيهَا وَمَا يَمِيلُونَ بِالْكَلَامِ نَحْوَهُ أَبَدًا وَيَذْهَبُونَ بِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْصَلَ بِذَلِكَ لِلْكَلَامِ صُورَةٌ تَقْبَلُهَا النَّفْسُ أَوْ تَمْتَنِعُ مِنْ قَبُولِهَا. وَالَّذِي تَقْبَلُهُ النَّفْسُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْمَأْخُذُ فِيهِ لَطِيفَةً وَالْمَقْصِدُ فِيهِ مُسْتَطَرَفًا، وَكَانَ لِلْكَلَامِ بِهِ حَسَنٌ مَوْقِعٌ مِنَ النَّفْسِ. وَالْمَعِينُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَنْزِعَ بِالْكَلَامِ إِلَى الْجِهَةِ الْمَلَائِمَةِ لَهْوَى النَّفْسِ مِنْ حَيْثُ تَشْرُهَا أَوْ تَعْجِبُهَا أَوْ تَشْجُوهَا حَيْثُ يَكُونُ الْغَرَضُ مَبْنِيًّا عَلَى ذَلِكَ نَحْوَ مَنْزَعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَزِ فِي خَمْرِيَّاتِهِ وَالْبَحْتَرِيِّ فِي طَيْفِيَّاتِهِ، فَإِنَّ مَنْزَعَهُمَا فِيمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ مَنْزَعٌ عَجِيبٌ»^(١١).

ثم قال: «وقد يعني المنزاع أيضاً كيفية مأخذ الشاعر في بنية نظمه وصيغة عباراته وما يتَّخذه أبداً كالقانون في ذلك كما أخذ أبي الطيب في توطئة

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٥٢.

(٢) خزانة الادب ص ١١٤، شرح عقود الجمان ص ١٣٢، نفحات ص ١٠٥، شرح الكافية ص ١٠١.

(٣) معترك ج ١ ص ٤٦٣.

(٤) الأعراف ٤٠.

(٥) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٦٧.

(٦) اللسان (نحل).

(٧) شرح عقود الجمان ص ١٥٧.

(٨) اللسان (نقي).

(٩) شرح عقود الجمان ص ١٥٧.

(١٠) اللسان (نزع).

(١١) منهاج البلاغ ص ٣٦٥.

وليس هذا ما ذهب اليه المصري:

وقال ابن منقذ: «المُعَارِضَةُ وَالْمُنَاقِضَةُ هُوَ أَنْ يُنَاقِضَ الشَّاعِرُ كَلَامَهُ أَوْ يُعَارِضُ بَعْضَهُ»^(١) كما قال خُفَاف:

إذا انتكث الخيل ألفتته

صبور الجنان رزينا خفيفا

وقيل: إنه أراد رزينا من جهة العقل وخفيفا، وقيل: إنه أراد رزينا في نفسه. وقد تقدّم ذلك في المُعَارِضَةُ، وليس هذا ما أراده المصري وإنما أراد تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المُتَكَلِّمُ المستحيل دون الممكن.

ونقل الحموي والشيوطي كلام المصري وأمثله^(٢)، وعَرَّفَهَا الشُّيُوطِيُّ تَعْرِيفًا آخَرَ فَقَالَ: «هِيَ تَعْلِيْقُ أَمْرٍ عَلَى مُسْتَحِيلٍ إِشَارَةً إِلَى اسْتِحَالَةِ وَقُوعِهِ»^(٣) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٤).

ورجع المدني الى كلام المصري وأمثله^(٥)، وبذلك ظل رأيه عمدة المُتَأَخِّرِينَ فِي هَذَا الْفَنِّ.

الْمُنْتَحَل:

انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان إذا ادَّعاه أنه قائله، وتَنَحَّلُهُ: ادَّعَاهُ وَهُوَ لِغَيْرِهِ، وَانْتَحَلَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا مَعْنَاهُ قَدْ أَلْزَمَهُ نَفْسَهُ وَجَعَلَهُ كَالْمَلِكِ لَهُ^(٦)

الْمُنْتَحَلُ هُوَ الْمُتَحَرِّيُّ وَالْمُنْتَقَى، قَالَ الشُّيُوطِيُّ: «هُوَ أَنْ يَخْتَارَ لَفْظًا إِذَا قَرَأَهُ الْأَلْثَغُ لَا يُعَابُ عَلَيْهِ تَحْرِيًّا»^(٧). وقد تقدّم في المُتَحَرِّي.

الْمُنْتَقَى:

النقاوة: أفضل ما انتقيت من الشيء، نقي الشيء يَنْقَى، وَتَنْقَاهُ: اخْتَارَهُ. وَنَقْوَةُ الشَّيْءِ: خِيَارُهُ، وَالتَّنْقِي: التَّخْيِيرُ^(٨).

الْمُنْتَقَى هُوَ الْمُتَحَرِّيُّ وَالْمُنْتَحَلُ، قَالَ الشُّيُوطِيُّ: «هُوَ أَنْ يَخْتَارَ لَفْظًا إِذَا قَرَأَهُ الْأَلْثَغُ لَا يُعَابُ عَلَيْهِ

ورب العرق بفتح الواو والراء إذا فسد فهو وَرِبٌ - بكسر الراء - فكأنَّ المُتَكَلِّمُ أفسد مفهوم ظاهر للكلام بما أبداه من تأويل باطنه^(٧).

قال التبريزي: «المُؤَاوَبَةُ أن يقول الشاعر في مديح أو هجاء أو وصف فإن أنكر عليه المديح بعض أعداء الممدوح ممن يخافه أو عثر عليه المهجوَّ غَيْرَ المعنى بلفظه إلى ما يتخلص به أو زاد أو نقص. وأصله من «الإزب» وهو المكر والخديعة يقال أربت بكذا وكذا»^(٨).

وقال المصري: «وحيثقتها أن يقول المُتَكَلِّمُ قولاً يَتَضَمَّنُ ما ينكر عليه بسببه لبعدهما يتخلص به منه هذا إن فطن له وقت العمل وإلا ارتجل حين يُجِبُّه به ما يُخَلِّصُه منه من جواب حاضر أو حاجة بالغة أو تصحيف كلمة أو تحريفها أو زيادة في الكلام أو نقص أو نادرة مُعْجِبَةٌ أو ظرفة مُضْحِكَةٌ»^(٩) وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى حكاية عن أكبر ولد يعقوب عليه السلام: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَيْكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقٌ﴾^(١٠) فإن بعض العلماء قرأ هذا الحرف «ان ابنك سُرِّقٌ» و«لم يُسَرِّقٌ» بفعل ما لم يُسَمِّ فاعله توخيًا للصدق فإن يوسف - عليه السلام - سُرِّقٌ ولم يسرق، فأتى بالكلام على الصحة بإبدال الضمة من فتحة وتشديد في الراء وكسرتها»^(١١).

(١) منهاج البلغاء ص ٣٦٦.

(٢) سبأ ٢٥.

(٣) سبأ ٢٤.

(٤) مفتاح العلوم ص ١١٨.

(٥) احكام صنعة الكلام ص ٢٤٢.

(٦) اللسان (ورب).

(٧) تحرير التحبير ص ٢٤٩، وينظر خزانة الادب

ص ١١٢، أنوار الربيع ج ٢ ص ٢٩٩.

(٨) الوافي ص ٣٠٠.

(٩) تحرير التحبير ص ٢٤٩، بديع القرآن ص ٩٤.

(١٠) يوسف ٨١.

(١١) بديع القرآن ٩٥.

صدور الفصول للحكم التي يوقعها في نهاياتها فإن ذلك كله منزع اختصاص به واختص بالاكثار منه والاعتناء به. وقد يعنى بالمنزع غير ذلك إلا أنه راجع الى معنى ما تقدّم، فإنه أبداً لطف مأخذ في عبارات أو معانٍ أو نظم أو أسلوب»^(١).

المُنْصِفُ:

قال الشُّكَاكِي وهو يَتَحَدَّثُ عن الجزاء والشرط: «ومن هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾»^(٢) وإلا فحق النسق من حيث الظاهر قبل ﴿لَا تُسْأَلُونَ﴾ عما عملنا ولا نسأل عما تجرمون وكذا ما قبله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾»^(٣). وهذا النوع من الكلام يُسَمَّى المُنْصِفُ»^(٤). ولم يُعَرَّفْهُ أو يحدد أقسامه وأهدافه.

المُنْقَادُ:

المنقاد نوع من السجع، قال الكلاعي: «وسَمَّيْنَا هذا النوع من السجع المنقاد لأنه ينقاد طوعاً ويأتي قبل أن يُسْتَدْعَى وَيُسْتَجَلَبُ وأكثر ما يأتي في فصل العامل»^(٥) فمنه ما يأتي مُتَّفَقًا في الوزن والسجع مثل «خبير» و«بصير» وربما خالفوا بحرف المد واللين فجاءوا ب«خبير» مع «غفور». وربما جاء متفقا في السجع دون الوزن ك«زيد» و«أيد» و«عمر» و«قمر». وربما أتوا بحروف متقاربة كالسين والصاد من حروف الهمس والطاء والظاء من حروف الاطباق. وكثيراً ما يقع السجع في هذا الباب بالكنائيات فيحترزون بها دون تكرار الحرف الذي قبلها فيقولون: لنا وبنا ويعتقد ونها فضلاً وسجعا.

المُؤَاوَبَةُ:

المُؤَاوَبَةُ: المداهاة والمُخَاتَلَةُ، وهي مأخوذة من الإزب وهو الدهاء فحوّلت الهمزة واوًا. ويقال: وَرِبَ العِرْقُ يُؤَرَّبُ: أي فسد^(٦).

وقال المصري: «المُؤَاوَبَةُ براء مُهْمَلَةٌ وهي من

يده وخرج به فقال: أقطع أنت لساني يا أبا الحسن؟ فقال: إني لممض فيك ما أمر. فهذه أحسن مواربة سمعت في كلام العرب. مضى به الى ابل الصدقة فقال: خذ ما أحببت.

ومن المواربة مُتَّصِلٌ ومُنْفَصِلٌ، فالمتَّصل ما كان تُخَلِّصُه في نفس الكلام، والمُنْفَصِل ما كان التَّخَلُّص فيه من كلام آخر كالذي تقدَّم لعلي - عليه السلام - والأخطل. ونقل ابن الأثير الحلبي والسبكي والحموي والشيبوطي كلام المصري^(١)، وقد اتَّضح أنَّ التَّبريزي نقلها من الإرب وهو المكر والخديعة ونقلها المصري من ورب العرق إذا فسد، وقد قال المدني: «وظاهر أنَّه لا يتعيَّن نقلها الى الاصطلاح من الورب بمعنى الفساد بل يجوز أن يكون من المُدَاهَنَات والمُخَاثَلَة كما قال في القاموس، بل هو أنسب بالمعنى الاصطلاحِي كما لا يحفى»^(٢).

والفرق بين المواربة والاحتراس «أنَّ الاحتراس يُؤتَى به وقت العمل عندما يتفطن المتكلم لموضع الدخل، والمواربة يُؤتَى بها وقت العمل وبعد صيرورة الكلام. والمواربة - بالراء المهملة - تكون بالتصحييف والتحريف واهتمام الكلمة والزيادة والنقص، والاحتراس بزيادة الجمل المفيدة المتضمنة معنى الانفصال عما يحتمله الكلام من الدخل، والمواربة تكون في نفس الكلام وتكون منفصلة عنه والاحتراس لا يكون إلا في نفس الكلام»^(٣) والفرق بين المواربة والانفصال «أنَّ المواربة تكون - كما تقدَّم - في كلمة من الكلام أو في كلام منفصل

(١) جوهر الكثر ص ٢٣٥، عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣، خزانه ص ١١٢، معترك ج ١ ص ٤١٧، الاتقان ج ٢ ص ٩٦، شرح عقود الجمان ص ١٢٨.

(٢) أنوار الربيع ج ٢ ص ٢٩٩، وينظر نفحات الأزهار ص ٦٣، شرح الكافية ص ٨٣.

(٣) تحرير التحبير ص ٢٤٥.

ومما وقع من المواربة بالتحريف قول عتبان الحروري:

فان يَكُ منكم كان مروانُ وابنه
وعمرو ومنكم هاشمٌ وحبیبُ
فمنا حُصينٌ والبُطينُ وقُعُنبُ
ومنا أميرُ المؤمنین شبيبُ

فأنه لما بلغ الشعر هشامًا وظفر به قال له: أنت القائل: «ومنا أميرُ المؤمنین شبيب» فقال: لم أقل كذا وانما قلت: «ومنا أميرُ المؤمنین شبيب» فتخلص بفتحة الراء بعد ضمها.

فهذا وأشباهه يحتمل أن يكون الدخل وقع فيه للشاعر وقت العمل ويحتمل ألا يكون وقع له وارتجل التخلص عند سماعه، والذي لا يُحتمل أن يكون فظن له حتى قيل له قول الأخطل:

لقد أوقع الجَحَّافُ بالبشر وقعةً
الى الله منها المشتكى والمعول

فإلاً تغيَّرَها قُريشٌ بملكِها
يكنُ عن قريشٍ مُستمازٌ ومزحلُ

فقال له عبد الملك بن مروان: الى أين يا ابن اللخناء؟ فقال: الى النار. فضحك منه وسكت عنه، فتخلص بهذه النادرة.

وقد تكون المواربة من غير ذلك كقوله - عليه السلام - للعباس بن مرداس حين أنشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

أتجعل نهبي ونهب العبي
يد بين عُيينة والأقرع

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ
يفوقان مِرْداسَ في مَجْمَعِ

وما أنا دون امرئٍ منهما
ومن تَضَع اليَوْمَ لا يُرْفَعِ

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا علي اقطع لسانه عني؛ فقبض علي - عليه السلام - على

أسبق في قول هذا المعنى لأن طرفه في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلاً وشعره أشهر من الشمس فكيف يكون مُوازدة؟^(٦)

ولم يدخل العلوي هذا النوع في السرقة لأن «ذلك إنما يكون فيمن علم حاله بالسبق لذلك الكلام ثم يأخذه غيره مع علمه بأنه له كسرقة المتاع يأخذه السارق وهو حقٌ لغيره على جهة الخفية»^(٧).

وقال المصري: «هو توارد الشاعرين المتعاصرين اللذين تجمعهما طبقة واحدة على معنى واحد إما مُجرّداً أو ببعض ألفاظه أو بأكثرها أو كلها، فإن كان أحدهما أقدم أو طبقتة أرفع حكم له على صاحبه بالسبق. وقد رأيت من يجعل اتفاق الشاعرين من طبقتين مختلفتين في عصرين متباينين إذا تقارب ما بينهما بعض التقارب في الأمرين أو في القوة والقدرة توارداً»^(٨). ومثال الأول بيتا امرئ القيس وطرفة، ومثال ما جاء من القسم الثاني ما جرى لابن ميادة وبيت الحطيئة. وسَمَّى ابن منقذ هذا الباب «التوارد»^(٩)، وقد تقدّم.

المُوازنة:

وازنه: عادله وقابله، وهو وَزَنه ووزنته ووزانه وبوزانه

- (١) تحرير التعبير ص ٢٤٦.
- (٢) اللسان (ورد).
- (٣) الوافي ص ٢٩٩، وينظر الايضاح في مقامات الحريري ص ١٩.
- (٤) الوافي ص ٢٩٩، وينظر تحرير التعبير ص ٤٠٠، كفاية الطالب ص ١٠٨.
- (٥) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٤٥.
- (٦) العمدة ج ٢ ص ٢٨٩.
- (٧) الطراز ج ٣ ص ١٧٠.
- (٨) تحرير التعبير ص ٤٠٠.
- (٩) البديع في نقد الشعر ص ٢١٧، وينظر نفاحات ص ٢٢٥، شرح الكافية ص ٢٠٥.

عنه، والانفصال لا يكون إلا بيت مُستقل أو جملة مُنفردة عن سياق الكلام مُتعلّقة به داخله فيه^(١).

المُوازدة:

ورد الماء وغيره: أشرف عليه، دخله أو لم يدخله، يقال: رجل وارد، وكل من أتى مكاناً منهلاً أو غيره فقد وَرَدَه^(٢).

قال التبريزي: «المُوازدة أن يتفق الشاعر أن إذا كانا في عصر واحد أو تأخر أحدهما عن الآخر على معنى واحد يتواردانه جميعاً بلفظ واحد من غير أخذ أحدهما عن الآخر. وهي مأخوذة من ورود الحيين الماء من غير انقاد»^(٣) وذلك نحو ما ذكره ثعلب عن محمد بن زياد الأعرابي قال: قال لابن ميادة حين قال:

بمستأسدِ القرين حوِّ تِلَاعِهِ

فنوّاره ميل الى الشمسِ ظاهره

أين يُذهب بك، هذا للحطيئة. قال: أكذاك؟ قال: نعم. قال: الآن علمت أنني شاعر ما سمعت بهذا إلا الساعة، إني لشاعر حين وافقته وواردت على قوله^(٤).

وقال الحاتمي: «أخبرنا أبو عمر عن ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي قال: قلت لابي عمرو بن العلاء: «أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ؟ لم يلق أحد منهما صاحبه ولا سمع بشعره؟ فقال لي: تلك عقول رجال توافت على ألسنتها»^(٥). وأدخل ابن رَشِيْق المُوازدة في باب السرقات وأشار الى بيت امرئ القيس:

وقوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ

يقولون لا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وبيت طرفه:

وُوقوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ

يقولون لا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ

ورفض أن تكون هذه مُوازدة، وقال إن امرأ القيس

وقال المصري: «هو أن تأتي الجملة من الكلام أو البيت من الشعر متزن الكلمات متعادل اللفظيات في التسجيع والتجزئة معاً في الغالب»^(٩). والفرق بين الموازنة والمماثلة التزام التسجيع في الموازنة وخلو المماثلة عنه، والفرق بينها وبين التجزئة مخالفة تسجيع أجزاء التجزئة ومشابهة تسجيع أجزاء الموازنة^(١٠).

وذكر المصري معنى آخر للموازنة فقال: «هي مقارنة المعاني بالمعاني ليعرف الراجح في النظم من المرجوح»^(١١). وهذا ما سماه الآمدي الموازنة وذكره النقاد في كتبهم^(١٢)، ولا يُراد به الموازنة بمعناها البديعي.

وقال المظفر العلوي: «وذلك أن يأتي الشاعر ببيت يكون عدد كلمات النصف الأول منه كعدد كلمات النصف الأخير، وتكون الأجزاء متساوية ومتى تغير شيء من أجزائه إذا تقطع أو زاد فيها أو نقص لم تحصل الموازنة وكذلك إذا استوت الأجزاء وتغيرت الكلمات بزيادة أو نقصان. وهذا لا يكاد يحصل للشاعر إلا بعد معرفة العروض، وإما أن يقع اتفاقاً من

- (١) اللسان (وزن).
- (٢) أعجاز القرآن ص ١٣٤.
- (٣) العمدة ج ٢ ص ١٩، وينظر المنزح البديع ص ٥١٤.
- (٤) العمدة ج ٢ ص ٢٨٨.
- (٥) الوافي ص ٢٦٥.
- (٦) معالم الكتابة ص ٨٢.
- (٧) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٨، الجامع الكبير ص ٢٧٠.
- (٨) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٩، وينظر الطراز ج ٣ ص ٣٨.
- (٩) تحرير التحبير ص ٣٨٦.
- (١٠) تحرير التحبير ص ٣٨٦، وينظر جوهر الكنز ص ٢٤٣.
- (١١) بديع القرآن ص ٩٥.
- (١٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ٣٧٤ وما بعدها.

أي: قبالته^(١) ذكر الباقلاني الموازنة ولم يُعرّفها^(٢)، وأدخلها ابن رشيقي في المُقابلة وقال: «ومن المُقابلة ما ليس مُخالفاً ولا مُوافقاً كما شرطوا إلا في الوزن والازدواج فقط فيسمى حينئذ موازنة»^(٣). ومنه قول ذي الرمة:

استحدثت الركب عن أشياعهم خبيراً

أم راجع القلب من إطرابه طرب

لأن قوله: استحدثت الركب موازن لقوله: «أم راجع القلب» وقوله: «عن أشياعهم خبيراً» موازن لقوله: «من إطرابه طرب» وكذلك «الركب» موازن لـ«القلب» و«عن» موازن لـ«من» و«أشياعهم» موازن لـ«إطرابه» و«خبيراً» موازن لـ«طرب».

وذكر ابن رشيقي هذا النوع في السرقات أيضاً ومثل لها بقول كثير:

تقول مرضنا فما عُدتنا

وكيف يعود مريض مريضاً

وازن في القسم الآخر قول نابغة بني تغلب:

بخلنا لبخلك قد تعلمين

وكيف يعيبُ بخيلٌ بخيلاً^(٤)

وقال التبريزي: «الموازنة أن تكون الألفاظ مُتعادلة الأوزان مُتواليّة الأجزاء»^(٥). وقال ابن شيث القرشي: «الموازنة وهو أن تتوازن الألفاظ وتكون السجعة رابعة»^(٦) وأدخلها ابن الأثير في الصناعة اللفظية وقال: «هي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنشور متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزناً»^(٧). وقال إن هذا النوع أخو السجع في المُعادلة دون المماثلة؛ لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها، فيقال كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعاً، وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة^(٨).

وسَمَّاهُ الوَطَواطُ كذلك وقال: «يقصد بالموجه في الفارسية ما يحتمل أن يكون على وجهين، وتكون هذه الصنعة بأن يمدح الشاعر ممدوحه بصفة من الصفات الحميدة بحيث يقرن بها صفة حميدة أخرى من صفاته فيحصل بذلك مدح الممدوح على وجهين»^(١٣). وقال المدني إنَّ الزنجاني سَمَّاهُ «الموجّه» أيضًا^(١٤) وسَمَّاهُ العسكري المَضاعِف^(١٥) وسَمَّاهُ السَّكَّاكي «الاستتباع»^(١٦) وسَمَّاهُ غيرهم التَّعليق. وقد تقدّم في الاستتباع.

المُورِي:

ورِيَت الخبر: جعلته ورائي وسترته، ووريته وأوريه تورية إذا سترته وأظهرت غيره، ووريت عنه: أردته وأظهرت غيره^(١٧).

- (١) نضرة الاغريض ص ٤٥.
- (٢) الاقصى القريب ص ١١٨.
- (٣) الايضاح ص ٣٩٨، التلخيص ص ٤٠٤.
- (٤) الغاشية ١٥ - ١٦.
- (٥) الصفات ١١٧ - ١١٨.
- (٦) اوانس: جمع آنسة. قنا: واحده قناة وهي الرمح. ذوابل: غير نضرات.
- (٧) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٥٥. المطول = ص ٤٥٦، الاطول ج ٢ ص ٢٣٥، وينظر الروض المريع ص ١٦٩، شرح الكافية ص ١٩٢.
- (٨) اللسان (وفق).
- (٩) حلية اللب ص ١٣٤.
- (١٠) اللسان (وجه).
- (١١) نهاية الايجاز ص ١١٤، حسن التوسل ص ٣١٩، نهاية الارب ج ٧ ص ١٨١، الفوائد ص ١٦٥.
- (١٢) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٠٠.
- (١٣) حدائق السحر ص ١٣١.
- (١٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٤٨.
- (١٥) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧.
- (١٦) مفتاح العلوم ص ٢٠٢.
- (١٧) اللسان (ورى).

غير قصد له فغير مُعتد بوقوعه. وقد اتفق وقوع ذلك في أشعار العرب من غير قصد له كثيرًا^(١).

وقال التنوخي: «هي أن تكون الكلمة التي هي خاتمة الفاصلة الأولى على زنة الكلمة التي هي خاتمة الفاصلة الثانية كانت على رويها أو لم تكن»^(٢). وأدخلها القزويني في المُحسِّنات اللفظية كما أدخلها ابن الأثير في الصناعة اللفظية وقال: «هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية»^(٣) كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزُرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ﴾^(٤) ثم قال القزويني «فان كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن تُحصَّ باسم المُماثلة» كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٥). وقول أبي تمام:

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ

قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ^(٦)

وقول البحتري:

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا

وَأَقْدَمَ لَمَّا يَجِدُ عَنْكَ مَهْرَبًا

وتابع القزويني في ذلك شُرَاحَ التلخيص^(٧).

المُوافَقَة:

الوفاق: المُوافَقَة، والتوافق: الاتِّفاق والتَّظَاهُر. وقد وافقه مُوافَقَةً وِوفاقًا واتفق معه وتَوافَقًا^(٨).

المُوافَقَة هي التَّناسُب والتَّوافُق^(٩). وقد تقدّم.

المُوجَّه:

وجَّهت الريح الحصى توجيها إذا ساقته، والموجه هو الذي يكون له صورتان، والأحدب الموجه. هو الذي له حدبتان^(١٠).

سَمَّاهُ الرازي والحلي والتُّويري وابن قَيِّم الجوزية بهذا الاسم^(١١)، وسَمَّاهُ الثعالبي «المدح المُوجَّه»^(١٢).

المُورَى هو التورية، قال الكلاعي: «وسمّياه هذا النوع من الكلام المُورَى؛ لأنَّ باطنه على غير ظاهره»^(١). وقد تقدّمت التورية.

المَوْصَل:

الوصل خلاف الفصل، ووصل الشيء بالشيء يصله وَصْلاً وَصِلاً، ووصّله: لأمه وأنهاه اليه وابلغه اياه. واتصل الشيء بالشيء: لم يَنْقَطِع^(٢). قال المطرزي: «هو أن يجيء في النظم والنثر

بكلمات ليس فيها كلمة إلا وحروفها يتصل بعضها ببعض في الخط»^(٣). كقول الحريري:

فتنتني فجننتني تجني
بتجرّ يفتنّ غيب تجرّ

والقطعة مبنية على هذا.

- (١) احكام صنعة الكلام ص ١٨٨.
(٢) اللسان (وصل).
(٣) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٢.

النون

النادر والبارد:

نَدَرَ الشيء يَنْدُرُ ندورًا: سقط، وقيل: سقط وشدَّ، ونوادِر الكلام تندر وهي ما شدَّ وخرج من الجمهور^(١).

عقد ابن منقذ بابًا للنادر والبارد وقال: «إنَّ الشعر النادر هو الذي يستفز القلب ويحمي المزاج في استحسانه، والبارد بضد ذلك»^(٢). مثل قول أبي العتاهية:

ماتَ واللَّهِ سَعِيدُ بَنٍ وَهَبٍ

رَجِمَ اللّهُ سَعِيدَ بَنٍ وَهَبٍ

يا أبا عثمان أبكيت عيني

يا أبا عثمان أوجعت قلبي

وهذا من البارد، أما النادر فهو كثير والقرآن «مشحون به فإنَّ أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفية للمقصود كل كلمة منه جامعة لمعانٍ شتى وكل آية تحتوي على معانٍ لغير المتكلم به لا تتأتى وكل سورة إحكام أحكامها لا ينحصر وإيجاز إعجازها قد أعجز البشر»^(٣).

النداء:

النِّداء والنِّداء: الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداةً ونداءً أي: صاح به^(٤).

النداء التصويت بالمنادى ليقبل، أو هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي. وقد أدخله البلاغيون المتأخرون^(٥) في أنواع الإنشاء الطلبي.

وللنداء عدَّة أدوات هي: الهمزة وآ، وأيا، وأي، وأي، وهيا، و: وا، ويا. وبعض هذه الأدوات للقريب وبعضها للبعيد، وقد أشار سيبويه إلى ذلك^(٦).

وقد يخرج النداء إلى أغراض مختلفة منها: الإغراء كقول المتنبي

يا أَعْدَلِ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي

فيك الخِصَامُ وَأَنْتَ الخِصْمُ والحَكْمُ

والاستغاثة كقول المتنبي:

واحرَّ قلباه مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمْ

ومَنْ بجسمي وحالي عنده سَقَمُ

والتَّعَجُّب كقوله تعالى: ﴿يا حَسْرَةً على العباد﴾^(٧).

والاختصاص مثل: «عليّ - أيها الرجل - يعتمد».

والتنبيه كقوله تعالى: ﴿يا ليتني مِتُّ قَبْلَ هذا﴾^(٨)

والتَّحَسُّر كقول ابن الرومي:

(١) اللسان (ندر).

(٢) البديع في نقد الشعر ص ١٦٠.

(٣) الفوائد ص ١٧٨.

(٤) اللسان (ندى).

(٥) مفتاح العلوم ص ١٥٤، الايضاح ص ١٤٦،

التلخيص ص ١٧٢، شروح التلخيص ج ٢

ص ٣٣٣، المطول ص ٢٤٤، الاطول ج ١

ص ٢٥٢، الروض المريع ص ٧٧.

(٦) الكتاب ج ١ ص ٣٢٥.

(٧) يس ٣٠.

(٨) مريم ٢٣.

يا شبابي وأين مني شبابي
أذنتني جباله بأنقصابٍ
لَهْفَ نفسي على نَعيمي ولَهوي
تحت أفنائه اللدانِ الرطابِ

وقول الآخر:

أيا قَبْرٍ مَعينٍ كيف وارت جودَه
وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُشرعا

النزاهة:

نَزَهَ نَزَاهَةً ونَزَاهِيَةً، وَأَرْضٌ نَزْهَةٌ ونَزْهَةٌ بعيدة عذبة،
ويتنزه عن الشيء: تباعد عنه، وفلان يتنزه عن الأقدار
ويُنزَهُ نَفْسَهُ عنها أي يباعد نفسه عنها. ورجل نَزَهُ
الخلق: عفيف^(١).

النزاهة من مُبتدعات المصري وإن كان القدماء
يدعون إليها، وقد قال أبو عمرو بن العلاء: «خير
الهجاء ما تنشده العذراء في خِدرها فلا يقبح
بمثلها». ولكن المصري أدخل النزاهة في فنون
البلاغة وقال: «وهو يختص غالبًا بفن الهجاء وإن
وقع نادرًا في غيره، فإنه عبارة عن نزاهة ألفاظ الهجاء
وغيره من الفحش»^(٢) وذكر عبارة أبي عمرو بن
العلاء. ومن ذلك قول جرير:

فَعُضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

فلا كَعْبًا بَلَّغْتَ ولا كِلابًا

وقد وقع من النزاهة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
مُعْرِضُونَ. وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ. أَفِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

وقال الحموي: «النزاهة ما نظمها أحد في بديعته
إلا صفي الدين الحلبي، وهو نوع غريب تُجول سوابق
الذوق السليم في حلبة ميدانه وتُغرّد سواجع الحشمة
على بديع أفنائه لأنه هجو في الأصل ولكنه عبارة عن
الإتيان بألفاظ فيها معنى الهجو إذا سمعته العذراء في

خدرها لم تنفر منه»^(٤).

وقال الشيوطي: «هو خلوص ألفاظ الهجاء من
الفحش»^(٥). وذهب إلى ذلك المدني أيضًا^(٦).

النزول:

عقد ابن الزمكاني فضلًا للإفراط والنزول ولم
يُعرّفهما وإنما قال: «إنّ هذا الغرض لا يُوصف
قاصده بالكذب إذ كان غرضه معلومًا وكان
مُتجوّزًا في مقاله غير قاصد إلى البتّ به والقطع
بمقتضاه كما لم يقض على من قال: «زيد أسد»
بالكذب و«إنه بحر متلاطم الأمواج»^(٧). ومثال
الإفراط قوله تعالى: ﴿وما أمرُ الساعةِ إلاّ كَلَمْحِ
البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^(٨). ومثال النزول قوله تعالى:
﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي
زُجَاجَةٍ﴾^(٩) وقوله في صفة الجنة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ
مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ
خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ. وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾^(١٠).

نسبة الشيء:

نسبة الشيء إلى ما ليس منه من عيوب المعاني،
قال قدامة: «هو أن يُنسب الشيء إلى ما ليس منه»^(١١)
كقول خالد بن صفوان:

(١) اللسان (نزه).

(٢) تحرير التحبير ص ٥٨٤، بديع القرآن ص ٢٩٢.

(٣) النور ٤٨ - ٥٠.

(٤) خزنة الادب ص ٧٧.

(٥) معترك ج ١ ص ٤١٨، الاتقان ج ٢ ص ٩٦، شرح

عقود الجمال ص ١٣٠، نفحات الأزهار

ص ٥٧، شرح الكافية ص ٩١.

(٦) أنوار الربيع ج ٢ ص ١٥٩.

(٧) البرهان الكاشف ص ٣١٠.

(٨) النحل ٧٧.

(٩) النور ٣٥.

(١٠) محمد ١٥.

(١١) نقد الشعر ص ٢٤٥.

مَحَاسِنُ أَوْصَافِ الْمَغْتَنِ جَمَّةٌ
وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدِ

النَّظْرُ وَالْمُلَاحَظَةُ:

النظر والملاحظة من السرقات، قال الحاتمي:
«وهذه ضروب دقيقة قلما ترد المدارك من الإشارة
الى المعنى وإخفاء السر»^(٦). ومثل له بقول أوس ابن
حجر:

سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ
وَخَسْبِكَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي

وقول الحطيئة:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُغْدَمُ جَوَازِيَهُ
لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فقوله: «لا يذهب العرف بين الله والناس» هو قول أوس
بن حجر: «سأجزيك أو يجزيك عني مثوب» لأن
المثوب هو الله عز وجل.

ولم يخرج ابن رشيقي على ذلك وقال: «إن الإلمام
ضرب من النظر»^(٧).

النَّظْمُ:

النَّظْمُ: التَّأْلِيفُ، نَظْمُهُ يَنْظِمُهُ نَظْمًا وَنَظْمًا،
وَنَظَّمَتِ اللَّوْلُوْأَى جَمْعَتَهُ فِي السَّلْكِ^(٨).

بدأت فكرة النظم منذ أن أخذ المعتزلة يبحثون في

(١) اللسان (نسخ).

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٦٥، الجامع الكبير
ص ٢٤٢.

(٣) الايضاح ص ٤٠٣، التلخيص ص ٤٠٩.

(٤) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٨١، المطول
ص ٤٦٣، الاطول ج ٢ ص ٢٤٢.

(٥) الطراز ج ٣ ص ١٩٠، وينظر التبيان في البيان
ص ٣٦١.

(٦) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٨٦.

(٧) العمدة ج ٢ ص ٢٨٧.

(٨) اللسان (نظم).

فَأَنَّ صَوْرَةَ رَاقَتِكَ فَخْبِرَ فَرَبَّمَا
أَمْرٌ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

فهذا الشاعر بقوله: «ربما أمر مذاق العود والعود
أخضر» كأنه يرمي الى أن سبيل العود الأخضر
في الأكثر أن يكون عذبا أو غير مُرٍّ وليس هذا
بواجب لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم
أولى منه بالآخر.

النَّسْخُ:

نسخ الشيء يَنْسُخُهُ نَسْخًا وَانْتَسَخَهُ وَاسْتَنْسَخَهُ:
اكتبه عن معارضة^(١).

النسخ أحد أنواع السرقات، قال ابن الأثير: «هو
أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه مأخوذاً
ذلك من نسخ الكتاب»^(٢).

وسماه القزويني نسخا وانحالا وقال: «فإن كان
المأخوذ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود؛
لأنه سرقة محضة»^(٣) وتبعه في ذلك شراح
التلخيص^(٤).

وقال العلوي: إن النسخ على وجهين^(٥):

الأول: أن يأخذ لفظ الأول ومعناه ولا يخالفه إلا
بروي القصيدة كقول امرئ القيس:

وَقَوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلِيٌّ مَطِيَّهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وقول طرفة:

وَقَوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلِيٌّ مَطِيَّهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ

الثاني: هو الذي يُؤْخَذُ فِيهِ الْمَعْنَى وَأَكْثَرُ اللَّفْظِ،
ومن ذلك ما قاله بعضهم يمدح معبداً صاحب الغناء
ويذكر فضله على غيره ممن تولع بالغناء:

أَجَادَ طَوَيْسٌ وَالشَّرِيحِيُّ بَعْدَهُ
وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدِ

ثم قيل بعد ذلك:

السكاكي والقزويني وشراح التلخيص.

وليس النظم عند عبد القاهر سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض^(٧). وليس النظم سوى حكم من النحو نتوخاه، أي أنه معاني النحو قال: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها. وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه»^(٨).

والفرق بين الأساليب ليس فرقا في الحركات وما يطرأ على الكلمات وإنما في معاني العبارات التي يُحدثها ذلك الوضع والنظم الدقيق، ولذلك فليست العمدة في معرفة قواعد النحو وحدها ولكن فيما تؤدي إليه هذه القواعد والأصول، أي أن الهدف منها الدلالة على المعنى. وقد كان النحو عند عبد القاهر واسعا أخذ به البلاغيون وبنوا عليه علم المعاني، وفرق كبير بين توخي معاني النحو والخروج عليها فالفرزدق أفسد عبارته حينما قال:

وما مثله في الناس إلا مُملكا

أبو أمه حَيَّ أبوه يُقاربه

والبحثري جاء بنظم بديع حينما قال:

بلونا ضرائب من قد نرى

فما إن رأينا لفتح ضريبا

(١) الادب الصغير - آثار ابن المقفع ص ٣١٩،

رسائل البلغاء ص ٥ - ٦.

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٩٠.

(٣) الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٠٧.

(٤) اعجاز القرآن ص ١٦٩.

(٥) كتاب التمهيد ص ١٥١.

(٦) المغني ج ١٦ ص ١٩٩. وما بعدها.

(٧) دلائل الاعجاز ص (ص).

(٨) دلائل الاعجاز ص ٦٤.

إعجاز القرآن الكريم فقد ذهب بعضهم إلى أن القرآن مُعجز بنظمه العجيب. وكان ابن المقفع قد أشار إلى نظم الكلام وأن الناظم كصاحب الفصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجانا فنظمه قلائد وسموفا وأكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع إلى كل لون شبهه مما يزيد به ذلك حسنا فسُمي بذلك صائغا رقيقا^(١).

وتحدث الجاحظ عن النظم وسُمي أحد كتبه «نظم القرآن» وذهب إلى أن كتاب الله معجز بنظمه البديع «الذي لا يقدر على مثله العباد»^(٢). وتطورت الفكرة عند أبي سعيد السيرافي الذي قال: «معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضبة لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ في ذلك وإن زاغ شيء عن النعت فإنه لا يخلو أن يكون سائغا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم»^(٣).

وأطال علماء الإعجاز في هذه المسألة وقال الباقلاني: «فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يُحتذى عليه ولا إمام يُقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الفذ الغريب والشيء القليل العجيب»^(٤). وقال: «ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها وكونها على وزن ما أتى به النبي - صلى الله عليه وسلم - وليس نظمها أكثر من وجودها مُتقدمة ومتأخرة ومُترتبة في الوجود، وليس لها نظم سواها»^(٥).

وكان القاضي عبد الجبار أكثر وضوحا حينما رأى أن الفصاحة والبلاغة تقوم على ضم الكلمات وتقارنها^(٦). وتلقف عبد القاهر ما كان من مسائل النظم وخطا خطوة واسعة ووضع أصول نظرية النظم التي جمدت بعد ذلك في مباحث علم المعاني عند

حَلَّقَ عبد القاهر في شرح النظم وإبرازها مع أنَّ الموضوعات التي عُولِجت في الفنين واحدة وهي ما يَتَّصِلُ بالجملة أو الجملتين من أساليب الخبر والانشاء، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والقصر وخلافه، والفصل والوصل، والإيجاز الإطناب والمساواة. وقد تقدَّم الكلام على ذلك في «المعاني».

التَّفْي:

تَحَدَّثَ ابن منقذ عن النفي وقال: «إِنَّ النفي قد كثر في أشعار العرب المُحدَثين»^(٢) كقول عَدِي:

وما مُخَدِّرٌ وَرَدُّ يَرشَحُ شبله
بخفان قد أحمى جميع المواردِ
كأنَّ دماءَ الهاديات بنحره
صَيَّبُ ملاءات خضيب مجاسد
بأمنع منه مَوئلاً حين تلقه
إذا الحرب أبدأت عن خدام الخرائد^(٣)
ومن ذلك قول الشاعر:

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة
دَعَتْ ساقَ حُرِّ ترحة وترنما
مطوِّقة خطباء تصدح كلما
دنا الصيفُ وانجاب الربيعُ فأنجما
عَجِبْتُ لها أنى يكون غناؤها
فصيحاً ولم تفغر بمنطقها فما

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧.

(٢) البديع في نقد الشعر ص ١٢٣، وينظر كفاية الطالب ص ١٨٤.

(٣) المخدر: الأسد. الورد: الجريء. خفان: مأسدة قرب الكوفة. الهاديات من الابل: أول رعيل يطفح منها. ثوب مجسد: مصبوغ بالزعفران. خدام: جمع خدمة وهي الخلخال.

هو المرءُ أبدأت له الحادثا
تُ عَزَمًا وَشِيكًا وَرَأْيًا صليبا
تَنقَلُ في خُلقي سُودِدِ
سَمَاحًا مُرَجِّي وَبَأْسًا مَهيبا
فكالسيفِ إن جِئته صارِخًا
وكالبحرِ إن جِئته مُشتشيبا

ولم تَحْسُنْ هذه الأبيات إلا لأنَّ الشاعر عَرَفَ كيف يصوغ الكلمات في عبارات جميلة ويضع كل كلمة الى لفقها ويربط بين الالفاظ ربطا بديعا، وليس كذلك الفرزدق الذي قدّم وأخر فأفسد المعنى وعقد التركيب.

ومن النظم ما يَتَّحد في الوضع ويدق فيه الصنع وذلك أن تَتَّخذ أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشد ارتباط ثانٍ بأوّل، وأن يحتاج في الجملة الى أن تُوضَعَ في النفس وضعا واحداً وأن يكون الحال فيها حال الباني يضع يمينه ههنا في حال ما يضع يساره هناك. ومنه ما لا يحتاج الى فكر وروية لكي ينتظم بل سبيله في صَمِّ بعضه الى بعض سبيل مَنْ عَمَدَ الى لآلٍ فخرطها في سِلِّك لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرق وكمن نضد أشياء بعضها الى بعض لا يريد في نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأي العين، وذلك إذا كان المعنى لا يحتاج أن يُصنع فيه شيء غير عطف لفظ على مثله. ولا بد أن يَتَغَيَّرَ المعنى إذا تَغَيَّرَ النظم وفي ذلك مجال رحب يجول فيه المنشئون.

لقد وَضَّحَ عبد القاهر أصول «علم المعاني» في كتابه «دلائل الإعجاز» وسَمَّاه «النظم» أو «معاني النحو» وليست معاني النحو إلا علم المعاني الذي عَرَفَهُ الشَّكَاكِي بقوله: «هو تتبع خواصِّ تراكيب الكلام في الإفادة وما يَتَّصل بها من الاستحسان وغيره ليحتزَّرَ بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»^(١). ولكن الشَّكَاكِي وَمَنْ جاء بعده لم يستطع أن يُحلِّق كما

ومن أمثلة ابن رَشِيْق قول امرئ القيس:

على لا حِبِّ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ

إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَزَجْرًا^(٨)

فقوله: «لا يهتدى بمناره» لم يُرَدَّ أنَّ له منارًا لا يُهْتَدَى به ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار.

ومن أمثلة المصري قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾^(٩) فان ظاهره نفي الإلحاف في المسألة لا نفي المسألة، والباطن نفي المسألة بتاتا. ومنه بيت امرئ القيس: «على لا حِبِّ...»

وقال المصري: «ومن هذا الباب قسم يُوجِب فيه المُتَكَلِّم لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَيَنْفِيهِ بَعِينَهُ عَنْ غَيْرِهِ أَوْ يَنْفِي عَنْ مَوْصُوفٍ مَا صِفَةٌ يُوْجِبُهَا لِمَوْصُوفٍ آخَرَ»^(١٠) كقول السموأل:

وَنَنكَرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ

وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

وقول الآخر:

(١) سباق حر: ذكر القماري. الخطبة - بالضم - لون كدر مشرب حمرة في صفرة.

(٢) الجشجاث: ريحانة طيبة الريح برية. العرار: نوع من النبات البري له رائحة طيبة. المنديل: العود، أو أجوده.

(٣) العمدة ج ٢ ص ٨٠.

(٤) تحرير التحبير ص ٣٧٧، بديع القرآن ص ١٥٢، كفاية الطالب ص ١٩٥.

(٥) حسن التوسل ص ٢٩٤، نهاية الارب ج ٧ ص ١٦٣، خزنة الادب ص ٢٣٣، نفحات ص ٢٧٥، شرح الكافية ص ١٥٨.

(٦) شرح عقود الجمان ص ١٣٤، الاتقان ج ٢ ص ٧٧.

(٧) أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٦٤.

(٨) اذا سافه العود: اذا شمه المسن من الابل صوت ورغا. النباطي: منوب الى النبط. جرجر: صوت.

(٩) البقرة ٢٧٣.

(١٠) تحرير التحبير ص ٣٧٨.

فلم أر مثلي شاقه صوتٌ مثلها

ولا عريبًا شاقه صوتٌ أعجمًا^(١)

وقول الآخر:

وما رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةٌ الشَّرِي

يَمُحُّ النَّدَى جَشَجَاثُهَا وَعَرَاؤُهَا

لَهَا أَرْحٌ بَيْنَ الْبِلَادِ كَأَنَّمَا

تَلَقَّى بِهَا عَطَاؤُهَا وَتَجَارُهَا

بَأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتَ طَارِقًا

وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبِ نَارُهَا^(٢)

نَفْيُ الشَّيْءِ بِإِجَابِهِ:

وَيُسَمَّى «نفي الشيء بنفي لازمه» قال ابن رشيق: «وهذا الباب من المُبَالِغَةِ وليس بها مختصًا إلا أنه من محاسن الكلام فاذا تأملتَه وَجَدْتَ باطنه نفيًا وظاهره ايجابًا»^(٣).

وقال المصري: «هو أن يثبت المُتَكَلِّمُ شَيْئًا فِي ظَاهِرِ كَلَامِهِ وَيَنْفِي مَا هُوَ مِنْ سَبَبِهِ مَجَازًا، وَالْمَنْفِي فِي بَاطِنِ الْكَلَامِ حَقِيقَةٌ هُوَ الَّذِي أَثْبَتَهُ»^(٤). ونقل الحلبي والثوري والحموي هذا التعريف^(٥). وقال الشُّيُوطِيُّ: «هذا النوع يورده المنطقيون في كتبهم ويُعَبِّرُونَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ عَلَى اصْطِلَاحِهِمْ وَيُمَثِّلُونَ لَهُ بِقَوْلِهِمْ: «ما في الدار زيد» ويقصدون عدم وجود زيد في الدنيا أصلًا فاذا وقع لأرباب الحديث والشُّنَّةِ مثل هذا فأنهم يتحاشون عن التعبير عنه باصطلاح المناطقة وقد وسع الله لهم في العبارة فليوردوه على اصطلاح أهل البديع»^(٦).

فللبلاغيين في تفسير هذا النوع عبارتان:

الأولى: ما فسَّره به ابن رَشِيْق فِي الْعُمْدَةِ وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْكَلَامُ ظَاهِرَهُ إِجَابَ الشَّيْءِ وَبَاطِنَهُ نَفْيَهُ.

الثانية: ما فسَّره به غيره وهو أن ينفي الشيء مُقَيَّدًا وَالْمَرَادُ نَفْيُهُ مُطْلَقًا مُبَالِغَةً فِي النَفْيِ وَتَأْكِيدًا لَهُ^(٧).

هضم الحشا لا يملأ الكف خصرها
ويملأ منها كل ججل وذملج

نفي العام:

قال التوحي: «ومن البيان أن نفي العام يستلزم نفي الخاص وإثبات الخاص يستلزم إثبات العام فيذكر المستلزم وهو أن يُؤتى في النفي بالأعم وفي الإثبات بالأخص»^(١). ومن ذلك قوله تعالى في قصة نوح - عليه السلام - ﴿قال الملاء من قومه إنا لنراك في ضلال مبين. قال يا قوم ليس بي من ضلالة﴾^(٢). ولم يقل: «ليس بي ضلال» لأن نفي الضلالة يستلزم نفي الضلال وهو أبلغ من عكسه، ولا يرد عليه بعض ضلالة إذ بعض الضلالة ضلالة وعكس ذلك يكون في الإثبات. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً﴾^(٣). أمر بالعمل الصالح من كان يؤمن بالله وهو جزئي ونهاه أن يُشرك به أحداً فاستعمل العام بعد النهي، والأمر إثبات والنهي نفي.

نفي الموضوع:

قال الشيبوطي: «هذا النوع أيضاً من مخترعاتي وسَمَّيته نفي الموضوع وهو كثير في الحديث وكلام البلغاء بأن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى فيُصرّح بنفيه عنه ويثبته لغيره مُبالغة في ادعاء ذلك الحكم»^(٤). كقوله - صلى الله عليه وسلم -: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، وقوله: «ليس الغنى عن كثرة المال ولكن الغنى غنى النفس». وقول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

النفي والجحود:

النفي والجحود هو تأكيد المدح بما يُشبهه الذم أو

المدح في معرض الذم، وقد تقدّم. قال المدني: «هذا النوع من مستخرجات ابن المعتز وسماه قوم تأكيد المدح بما يشبه الذم وآخرون النفي والجحود»^(٥). وأطلقه بعضهم على أحد قسَمَي التفرّيع وهو أن يتفرّع من الكلام معنًى واحد من أصل واحد إما في بيت أو آيات وإما في جملة من الكلام أو جمل، وهو أن يُصدّر الشاعر أو المُتكلّم كلامه باسم منفي بـ«ما» خاصة ثم يصف الاسم المنفي بمُعظم أوصافه اللائقة به إما في الحسن أو القبح ثم يجعله أصلاً يفرع منه معنى في جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك يفهم من مساواة المذكور بالاسم المنفي الموصوف»^(٦). كقول الأعشى:

وما روضة من رياض الحزن معشبة

غناء جاد عليها مُسبل هطل

يُضاحك الشمس منها كوكب شرق

مؤزّر بعيمم التبت مكتهل

يوماً بأطيب منها طيب رائحة

ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل^(٧)

قال المصري: «وقد سَمَى بعض المتأخرين هذا القسم من التفرّيع النفي والجحود لتقدم حرف النفي على جملة وأكثر ما يقع الأصل في بيت والتفرّيع منه في بيت آخر إما قريباً منه وإما بعيداً عنه. وقد يقع منه ما يكون الأصل والفرع معاً في

(١) الأقصى القريب ص ٧٧.

(٢) الأعراف ٦٠ - ٦١.

(٣) الكهف ١١٠.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٤١.

(٥) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧.

(٦) تحرير التحرير ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٧) العيمم من التبت: التام منه. المكتهل من التبت:

المتناهي. الأصل: جمع أصيل، وهو وقت ما

قبل الغروب.

بيت واحد»^(١) كقول أبي تمام:

ما رَبُّعٌ مَيِّةٌ مَعْمُورًا يَطِيفُ بِهِ

غَيْلَانُ أَبْهَى رُبِّيَ مِنْ رَبِّعِهَا الْحَرِبِ

ولا الخدودُ وإن أذمينَ من خَجَلِ

أشهى إلى ناظري من خَدِّهَا التَّرْبِ

والنفي والجُحود بهذا المعنى تكلم عليه ابن منقذ في باب «النفي» وقد تقدم.

النقل:

النقل تحويل الشيء من موضع إلى موضع، نَقَلَهُ يَنْقُلُهُ نَقْلًا فانتقل^(٢). تحدث الحاتمي عن نقل المعنى إلى غيره وقال: «هذا باب ينقل فيه المعنى عن وجهه الذي وُجِهَ له، واللفظ عن طريقه الذي سُلِكَ به فيها إلى غيره. وذلك صنعة راضية الكلام وصاغة المعاني وحذاق السراق إخفاءً للسرقة والاحتذاء وتورية عن الاتباع والافتقار... وأكثر ما يطوع النقل في المعاني خاصةً للمحدثين لأنهم فتحوا من نوادر الكلام ما كان هامدًا وأيقظوا من عيونه ما كان راقدًا وأجروا من معينه ما كان راكدًا وأضحكوا من مباسمه ما كان قاطبا وحلوا من أجياده ما كان عاطلاً»^(٣).

ومن ذلك قول امرئ القيس في صفة الثقة بالفرس:

إذا ما رَكِبْنَا قال وُلْدَانُ أَهْلِنَا

تعالوا إلى أن يأتي الصَّيْدُ نَحْطِبِ

نقل ابن مقبل هذا المعنى إلى صفة القَدْحِ فقال:

إذا استخبرته مِن مَعَدِّ عَصَابَةٍ

غدا رَبِّهَ قَبْلَ المَفِيضِينَ يَقْدَحُ

وقال ابن منقذ: «هو أن ينقل الشاعر معنى إلى معنى غيره، وهو كما قال أبو العلاء في تفسير شعر المتنبي:

ولخَطُّه في كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ

حتى كأنَّ مِدَادَهُ الأَهْوَاءُ

هذا يُسميه أهل النقد «النقل» لأنه ثقله من قول البحرى في الخمر:

أفرغت في الزجاج من كل قلب

فهي محبوبَةٌ إلى كُلِّ نَفْسِ

ومنه قول البحرى أيضًا:

وَلَوْ أَنَّ مَشْتاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ ما

في وَسِعِهِ لَمْشَى إِلَيْكَ المِنْبَرُ

منقول من قول الآخر:

ولهنَّ بالبيتِ العتيقِ لِبَانَةٌ

والبيتُ يَعْرِفُهُنَّ لو يَتَكَلَّمُ

لو كان حَيًّا قَبْلَكنَ ظَعائِنَا

حَيًّا الحَطِيمُ وجوهُهُنَّ وزمزمُ

لكنه نقله من النسب إلى المدح^(٤).

وأدخله القزويني في الأخذ الخفي وقال: «ومنه

النقل وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله»^(٥).

نقل الجزل إلى الجزل:

هو أن ينقل الشاعر أو الناثر المعنى الجزل إلى جزل

مثله، كقول أبي نواس:

بُخَّ صُوتُ المَالِ مِمَّا

مِنْكَ يَدْعُو وَيَصِيحُ

ما لهذا آخِذٌ

فوق يديه أم نَصِيحُ

أخذه مسلم بن الوليد فنقله إلى بناء أحسن منه

فقال:

تَظَلَّمَ المَالُ والأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ

(١) تحرير التحبير ص ٣٧٣.

(٢) اللسان (نقل).

(٣) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٨٢.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٥.

(٥) الايضاح ص ٤١٣، التلخيص ص ٤١٨، شروح

التلخيص ج ٤ ص ٤٩٩، المطول ص ٤٦٨،

الاطول ج ٢ ص ٢٤٧، وينظر الروض المريع

ص ١٦٣.

قال ابن منقذ: «ومنه السرقات المحمودة والمذمومة، قال ابن وكيع التنيسي: السرقات المحمودة عشر أولها استيفاء اللفظ الطويل في المعنى القصير»^(١) كقول بشار:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ
وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ
اِخْتَصَرَهُ سَلَمُ الْخَاسِرِ فَقَالَ:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا
وَفَازَ بِاللَّدَّةِ الْجَسُورِ
وَلَأَبِي تَمَامٍ فِي صِفَةِ قَصِيدَةٍ:

يَوَدُّ وِدَادًا أَنْ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ
إِذَا أَنْشِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا مَسَامِعُ
قَصَّرَهُ كُشَاجِمٌ وَنَقَلَهُ إِلَى آيَاتٍ فِي صِفَةِ قَيْنَةٍ
فَقَالَ:

جَاءَتْ بِوَجْهِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ
عَلَى قِوَامٍ كَأَنَّهُ غُصْنُ
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَقَرَّ مَجْلِسُنَا
وَصَارَ فِي حَجْرِهَا لَهَا وَثْنُ
غَنَّتْ فَلَمْ تَبْقَ فِيَّ جَارِحَةٌ
إِلَّا تَمَنَيْتُ أَنَّهَا أُذُنُ

واختصره آخر فقال:

لِي حَبِيبٌ خِيَالُهُ نُضِبَ عَيْنِي
سِرُّهُ فِي ضَمَائِرِي مَكْنُونُ
إِنْ تَذَكَّرْتَهُ فَكُلِّي قَلُوبُ

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٨٧.

(٢) الجشجات والعرار: نوعان من النبات طيب الرائحة. المنديل: العود الطيب الرائحة أو أجوده.

(٣) البديع في نقد الشعر ص ١٨٩، وينظر المنصف ص ٢٨.

(٤) البديع في نقد الشعر ص ١٨٦، وينظر المنصف ص ١٢.

(٥) البديع في نقد الشعر ص ١٨٣.

لا زال للمالِ والأعداءِ ظلًّا ما
وقول أبي العتاهية:

كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ
أَخْرَجَهَا الْمَوْجُ إِلَى السَّاحِلِ
أَخَذَهُ بَشَارُ فَرَادٍ وَأَحْسَنُ فَقَالَ:
كَأَنَّمَا أُفْرِغَتْ فِي جَوْفِ لُؤْلُؤَةٍ
فَكُلُّ نَاحِيَةٍ مِنْ وَجْهِهَا قَمَرٌ^(١)

نقل الجزل الى الرذل:

هو أن ينقل الشاعر المعنى الجزل أقل منه جزالة وبناء، كقول امرئ القيس:

أَلَمْ تَرِيَانِي كُفَّ مَا جِئْتَ طَارِقًا
وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ
أَخَذَهُ كَثِيرٌ فَقَالَ:

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيْبَةُ الثَّرَى
يَمُحُّ النَّدَى جَثَجَاتِهَا وَعَرَازِهَا
بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةٍ مُوهِنًا
وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا^(٢)
فَطَوَّلَ فِي اللَّفْظِ وَقَصَّرَ فِي الْمَعْنَى^(٣).

نقل الرذل الى الجزل:

هو نقل المعنى الرذل الى بناء جيد جزل كقول بشار:

يَا طِفْلَةَ السِّنِّ يَا صَغِيرَتَهَا
أَصْبَحْتَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ الْكَبِيرِ
أَخَذَهُ غَيْرُهُ فَقَالَ:

وَصَغِيرَةٌ عُلِّقَتْهَا
كَانَتْ مِنَ الْفِتَنِ الْكِبَارِ
كَالْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهَا
تَبْقَى عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ^(٤)

نقل الطويل الى القصير:

أو تأملته فكلّي عيون

نقل القصير الى الطويل:

قال ابن منقذ: «ومنه نقل اللفظ اليسير الى الكثير»^(١) كقول مسلم بن الوليد:

أَقْبَلْنَ فِي رَأْدِ الضُّحَى زُمْرًا
يَسْتُرُونَ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ
أخذه الآخر فطوله وقال:

وَإِذَا الْغَزَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ
وَبَدَا النَّهَارُ لَوَقْتِهِ يَتَرَجَّلُ
أَبَدَتْ لَوَجْهِ الشَّمْسِ شَمْسًا مِثْلَهُ
يَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا يَسْتَقْبَلُ
وقال أبي نواس:

لَا تُسَدِّدِينَ إِلَيَّ عَارِفَةً
حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
أخذه دُغْبَلُ الْخَزَاعِيِّ فَقَالَ:

تَرَكْتُكَ لَمْ أَتْرَكَكَ مِنْ كُفْرِ نِعْمَةٍ
وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِّيَادَةِ بِالْكَفْرِ
وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ رَاغِبًا
وَأَسْرَفْتُ فِي بَرِيٍّ عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ

النهي:

النهي خلاف الأمر، نهاء نهياً فانتهى وتناهى:
كف^(٢) النهي طلب الكف عن الفعل على وجه
الاستعلاء والالزام، وهو أحد أقسام الانشاء الطلبي.
ويتفق مع الامر في أنّ كل واحد منهما لا بدّ فيه من
اعتبار الاستعلاء، وأنهما يتعلقان بالغير فلا يمكن أن
يكون الانسان أمراً لنفسه أو ناهياً لها، وانهما لا بدّ من
اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما.

ويختلفان في أنّ كل واحد منهما مختص بصيغة
تخالف الآخر، وأنّ الامر دالّ على الطلب، والنهي دالّ
على المنع، وأنّ الأمر لا بدّ فيه من إرادة مأموره، وأنّ

النهي لا بدّ فيه من كراهية منهية^(٣).

وللنهي صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ «لا»
الناهية الجازمة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَّ
بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٤).

وقد تخرج هذه الصيغة الى معانٍ مجازية كثيرة
منها: الدعاء ويكون صادراً من الأدنى الى الأعلى
كقوله تعالى على لسان من يريد الدعاء: ﴿رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا﴾^(٥). وقول كعب بن زهير:

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوِشَاةِ وَلَمْ
أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

والالتماس، ويكون صادراً من أخ الى أخيه أو صديق
الى صديق كقوله تعالى على لسان هارون يخاطب
أخاه موسى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا
بِرَأْسِي﴾^(٦). وقول أبي العلاء:

لَا تَطْوِيَا السِّرَّ عَنِّي يَوْمَ نَائِبَةٍ
فِيَنَّ ذَلِكَ ذَنْبٌ غَيْرٌ مُغْتَفَرٍ

والتمني ويكون النهي موجهاً الى مالا يعقل كقول
الخنساء:

أَعِينِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا
أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

والنصح كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ
كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾^(٧)، وقول الشاعر:

لَا تَخْلِفَنَّ عَلَيَّ صِدْقِي وَلَا كَذِبِي

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٨٥، وينظر المنصف
ص ٢٧.

(٢) اللسان (نهي).

(٣) الطراز ج ٣ ص ٢٨٥.

(٤) الحجرات ١٢.

(٥) البقرة ٢٨٦.

(٦) طه ٩٤.

(٧) البقرة ٢٨٢.

فما يُفيدك إلا المأثم الكذبُ

والتويخ كقول الشاعر:

لا تَنهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثلهُ

عازٌّ عليك إذا فَعَلتَ عَظِيمُ

والتحقير كقول الحطيئة:

دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَلْ لِبُغْيَتِها

واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسِي

والتيئيس كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(١) وقول المتنبي في مدح سيف الدولة:

لا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ

إِنَّ الكَرَامَ بِأَسْخَاهِمَ يَدًا حَتَمُوا

وبيان العاقبة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلًا﴾^(٢) أي: عاقبه الظلم العذاب لا الغفلة^(٣)..

النوادر:

ندر الشيء يَنْدُرُ نَدُورًا: سَقَطَ، وَقِيلَ: سَقَطَ وَشَدَّ،
ونوادر الكلام تندز وهي ما شدَّ وخرج من الجمهور

وذلك لظهوره^(٤).

سَمِيَ قَدَامَةً هَذَا النُّوعِ الاسْتِغْرَابِ وَالطَّرْفَةِ،
وَسَمَّاهُ قَوْمَ التَّطْرِيفِ، وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ بِمَعْنَى
غَرِيبٍ لِقَلْتِهِ فِي كَلَامِ النَّاسِ^(٥). وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي
الاسْتِغْرَابِ.

(١) التوبة ٦٦.

(٢) ابراهيم ٤٢.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٥٢، الايضاح ص ١٤٥،
التلخيص ص ١٧٠، شروح التلخيص ج ٢
ص ٣٢٥. المطول ص ٢٤١، الاطول ج ١
ص ٢٤٩، وينظر الروض المريع ص ٧٧.

(٤) اللسان (ندر).

(٥) تحرير التحرير ص ٥٠٦، بديع القرآن ص ٢٢٢،
جوهر الكنز ص ٢٢٧، خزانة الادب ص ٢٢٣،
أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٨، نفحات ص ١١٣،
شرح الكافية ص ١٦٢.

الهجاء

الهجاء في معرض المدح:

هذا الفن من مبتدعات المصري، قال: «هو أن يقصد المتكلم الى هجاء إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجو»^(١). كقول بعضهم في بعض الأشراف:

له حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ

ومهما قال فالحَسَنُ الجَمِيلُ

وقد كان الرسولُ يرى حقوقًا

عليه لغيره وهو الرسولُ

فالبيت الاول لا يصلح إلا للمدح ومثله البيت الثاني لا يُفهم منه مدح ولا هجاء، ولكنه لما اقترن بالأول أهل نفسه وأخاه للهجاء وُعُدل بألفاظهما عن الثناء وحصل من اجتماعهما ما ليس لكل منهما على انفراده.

ومن ذلك قول عبد الصمد بن المعذل أو أبي العُمَيْثَل في أبي تمام وقد كانت في لسانه حبسة:

يا نبيَّ اللهِ في الشَّعْفِ

رِ ويا عيسى بن مريمَ

أنتَ من أشعِرِ خَلَقِ اللهُ

ما لم تَتَكَلَّمْ

فإنَّ حال هذين البيتين حال البيتين السابقين، إذ الاول منهما اذا انفرد كان مدحا محضًا واذا اجتمعا صارا هجوةً بحتا، غير أنَّ ثاني الآخرين مخالف لثاني الاولين.

ونقل السبكي تعريف المصري ولم يُمثَل لهذا

الفن^(٢) ونقله الحموي وأشار الى أنه من مستخرجات المصري^(٣) وفعل مثله السيوطي^(٤) والمدني الذي سَمَّاه «الهجو في معرض المدح»^(٥).

الهدم:

الهدم نقيض البناء، هَدَمَهُ يَهْدِمُهُ هَدْمًا وَهَدَمَهُ فَانْهَدَمَ^(٦).

الهدم من السرقات وذلك أن يأتي الشاعر بمعنى يعكسه الآخر، ولم يُعرِّفه ابن منقذ^(٧).

وقال ابن قيم الجوزية: «هو أن يأتي غيرك بكلام تَضْمَن معنى فتأتي أنت بضده فكأنه هَدَمَ ما بناه المتكلم»^(٨) ونقل الزركشي هذا التعريف^(٩).

ومن هذا النوع قول البلاذري:

قد يَزْفَعُ المرءُ الليثُ حجابَه

ضَعَةً ودون العُرْفِ منه حِجَابُ

عكسه الآخر فقال:

(١) تحرير التحبير ص ٥٥٠.

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣.

(٣) خزانة الادب ص ١١٧، نفحات ص ١٥٥، شرح الكافية ص ٨٥.

(٤) شرح عقود الجمان ص ١٣٠.

(٥) أنوار الربيع ج ٣ ص ٦٠.

(٦) اللسان (هدم).

(٧) البديع في نقد الشعر ص ١٩٠.

(٨) الفوائد ص ١٥٧.

(٩) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤١٢.

وذكر ابن المعتز في محاسن الكلام فنا سَمَاه
«الَهْزَلُ يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ»^(٤) وَمَثَلٌ لَهُ بِقَوْلِ أَبِي
الْعَتَاهِيَةِ:

أَرْقِيكَ أَرْقِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ
مِنْ بُحْلِ نَفْسٍ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيكَمَا
مَا سَلِمَ نَفْسِكَ إِلَّا مَنْ يَتَارَكُهَا
وَمَا عَدُوُّكَ إِلَّا مَنْ يُرْجِيكَمَا

وذكر هذا الفن البغدادي وابن الزمليكاني^(٥)، وقال
المصري: «هو أن يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه
فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب
والمجون المطرب». ونقل الحلبي والنويري
تعريفه^(٦).

وقال ابن الاثير الحلبي: «هذا الباب من نعوت
الألفاظ»^(٧) وَعَرَّفَهُ بِمِثْلِ تَعْرِيفِ الْمِصْرِيِّ. وَأَدْخَلَهُ
القزويني في المحسنات المعنوية ولم يُعَرِّفْهُ وَإِنَّمَا
قال: «فترجمته تغني عن تفسيره»^(٨) وذكر قول
امريء القيس:

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلْمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا
بَأَنَّ الْفَتَى يَهْدِي وَلَيْسَ بِفَعَّالٍ

وتبعه في ذلك شراح التلخيص^(٩)، وألحقه العلوي
بتجاهل العارف وقال: «ومما يلحق باذيال هذا الصنف
ويجيء على أثره الهزل الذي يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ»^(١٠) ونقل

- (١) قانون البلاغة ص ٤٢٠.
- (٢) الحيوان ج ٣ ص ٥.
- (٣) البيان ج ١ ص ٩٣.
- (٤) البديع ص ٦٣.
- (٥) قانون البلاغة ص ٤٥٩، التبيان ص ١٨٩، وينظر
كفاية الطالب ص ١٨٥.
- (٦) تحرير التحرير ص ١٣٨.
- (٧) جوهر الكنز ص ٢١١.
- (٨) الايضاح ص ٣٧٨، التلخيص ص ٣٨٥.
- (٩) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٠٢، المطول
ص ٤٤٣، الاطول ج ٢ ص ٢١٩.
- (١٠) الطراز ج ٣ ص ٨٢.

مَلِكٌ أَغْرُ مُحَجَّبٌ
مَعْرُوفُهُ لَا يُحَجَّبُ

وقال ابو تمام:

وَإِنْ يَحُلُّ بَيْنَنَا الْحِجَابُ فَلَنْ
يَحُجَّبَ عَنَا مَعْرُوفُهُ الْحُجْبُ

وقال حسان:

بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ
شُمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهْتَرُ كَلَابُهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
هَدَمَهُ الْآخِرُ فَقَالَ:

ذَهَبَ الزَّمَانُ بِرَهْطِ حَسَّانِ الْأَلَى
كَانُوا مَلَاذًا فِي الزَّمَانِ الْجَائِرِ
وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ يَحُلُّ ضِيُوفُهُمْ
مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ اللَّئِيمِ الْغَادِرِ
سُودُ الْوَجْهِ لَثِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ
فُطْسُ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْآخِرِ

الهذر والتبعيد:

وهو من عيوب اشتراك اللفظ، قال البغدادي:
«ومن عيوب هذا الجنس الهذر والتبعيد عند الحاجة
الى الايجاز والتقريب، وهذا هو زيادة الالفاظ على
المعاني من غير سبب يدعو اليها أو حاجة تبعث
عليها، والمثالات في ذلك موجودة كثيرة من كلام
العامة والدخلاء في الصناعة»^(١).

الهزل المراد به الجد:

كان الجاحظ يذكر بعض الفصول من الهزل
استنشاطاً للقارىء^(٢)، وقد قال عن إبراهيم بن
هانئ: «وكان ماجناً خليعاً وكثير العبث متحرراً،
ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في
باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضي»^(٣).

الحموي تعريف المصري^(١)، وقال المدني: «أرى أنه لا يختص بالمدح والذم بل كل مقصد أخرجه المتكلم هذا المخرج عُذٌّ من هذا النوع سواء كان مدحاً أو ذمّاً أو غزلاً أو شكوى أو اعتذاراً أو سؤالاً أو غير ذلك»^(٢) ومن أمثلة المدني قول اللحام في أبي طلحة قسورة بن محمد:

وَيْكَ أبا طَلْحَةَ ما تَشْتَحِي

بَلِغْتَ سَتِينَ وَلَمْ تَلْتَحِ

وقول ابن الهبارية:

يَقُولُ أبو سَعِيدٍ إِذْ رَأَيْتُ

عَفِيفًا مُنْذُ عَامٍ ما شَرِبْتُ

عَلَى يَدِ أَيِّ شَيْخٍ تُبِتَ قُلُ لِي

فَقُلْتُ عَلَى يَدِ الْإِفْلَاسِ تُبِتُ

وفي معناه للبهاء زهير:

قَالُوا فُلَانٌ قَدْ غَدَا تَائِبًا

وَالْيَوْمَ قَدْ صَلَّى مَعَ النَّاسِ

قُلْتُ مَتَى كَانَ وَأَنْتَى لَهُ

وَكَيفَ يَنْسَى لَذَّةَ الْكَاسِ

أَمْسِ بِهِذِي الْعَيْنِ أَبْصَرْتُهُ

سَكْرَانَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْأَسِ

وَرُحْتُ عَنْ تَوْبَتِهِ سَائِلًا

وَجَدْتُهَا تَوْبَةً إِفْلَاسِ

(١) خزانة الادب ص ٥٦، نفعات ص ١٥١، شرح

الكافية ص ٨٠.

(٢) أنوار الربيع ج ٢ ص ١٦٦.

الذوا

وَجْهَ الشَّبْهِ:

الآخر:

وَتَغْرُهُ فِي صَفَاءٍ
وَأَذْمَعِي كَاللَّي
وقول أبي العلاء:

أَنْتَ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ وَإِنْ جَا
وَزَّتْ كَيْوَانَ فِي عُلوِّ الْمَكَانِ

وينقسم أيضا باعتبار وجهه الى تشبيه غير تمثيلي،
وتشبيه تمثيلي وهو ما اتصف ببعض الشروط التي
وضعها البلاغيون حينما فرّقوا بين النوعين، وقد تقدم
ذلك في التشبيه والتمثيل.

الوحي:

الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام
الخفي وكل ما ألقته الى غيرك^(٢).

قال ابن وهب: «وأما الوحي فإنه الإبانة عما في
النفس بغير المشافهة على أي معنى وقعت من إيمان

(١) معاني القرآن ج ٣ ص ١١٧، النقائص ج ١
ص ٣٣، ٤٥، ١٣٦، الحيوان ج ٢ ص ١٦.
عيون الاخبار ج ٢ ص ١٨٦، الكامل ج ٢
ص ٦٧٩، ٧٦٦، نهاية الأيجاز ص ٧٣، مفتاح
العلوم ص ١٥٧ - ١٥٩، الأيضاح ص ٢٢٠،
التلخيص ص ٢٤٥، الطراز ج ١ ص ٢٨٤،
شروح التلخيص ج ٣ ص ٣٢١، المطول
ص ٣١٤، الأطول ج ٢ ص ٧٠، شرح عقود
الجمان ص ٧٩، التبيان في البيان ص ١٤٨.

(٢) اللسان (وحي).

وقد يُسَمَّى «وجه التشبيه» وهو المعنى الذي
يشارك فيه المشبه والمشبه به تحقيقاً أو تخيلاً^(١).
فالتحقيقي كتشبيه الشعر بالليل في السواد والتخييلي
كتشبيه السيرة بالمسك والاخلاق بالعنبر.

ووجه الشبه قد يكون واحداً حسياً كالنعومة في
تشبيه البشر بالحرير، أو واحداً عقلياً كالهداية في قوله -
ﷺ -: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». أو
متعدداً كقول أبي بكر الخالدي:

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ حُسْنًا

وَضِيَاءٍ وَمَنَا

وَشَبِيهَ الْغُضَنِ لِينًا

وَقَوَامًا وَاغْتَدَالًا

أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا

وَنَسِيمًا وَمَلَالًا

زَارْنَا حَتَّى إِذَا مَا

سَرْنَا بِالْقُرْبِ زَالًا

وينقسم التشبيه باعتبار وجهه الى قسمين:

الاول: مجمل، وهو التشبيه الذي لم يذكر وجهه
كقول النابغة الذبياني:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ

إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهِنَّ كَوْكَبٌ

الثاني: مُفَصَّل، وهو التشبيه الذي يُذكر فيه وجهه
كأبيات أبي بكر الخالدي: «يا شبيه البدر...» وقول

والوصل.

وَضْعُ جَمْعِ الْقِلَّةِ مَوْضِعَ الْكَثْرَةِ:

الجمل يقع بعضها موقع بعض لاشتراكها في مطلق الجمع^(٩)، وفي القرآن الكريم أمثلة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ﴾^(١٠) فان المجموع بالألف والتاء للقلة وغرف الجنة لا تحصى. وقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾^(١١) ومن شواهد مجيء جمع القلة مرادًا به الكثرة قول حسان:

لنا الجفناثُ العُرُ يُلَمَعْنَ فِي الضُّحَى
وأشياؤنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وَضْعُ الْخَبْرِ مَوْضِعَ الطَّلَبِ:

وذلك أن يكون في الأمر والنهي^(١٢) كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾^(١٣)، فالخبر هنا للأمر. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُشِيقَ﴾^(١٤)

- (١) الشورى ٥١.
- (٢) البرهان في وجوه البيان ص ١٣٩.
- (٣) مريم ١١.
- (٤) النجم ٤ - ٥.
- (٥) القصص ٧.
- (٦) النحل ٦٨.
- (٧) اللسان (وصل).
- (٨) دلائل الاعجاز ص ١٧٠، الايضاح ص ١٤٧، التلخيص ص ١٧٥، شروح التلخيص ج ٣ ص ٣، المطول ص ٢٤٧، الاطول ج ٢ ص ٢، شرح عقود الجمان ص ٥٨، حلية اللب ص ٩٥، الروض المريع ص ١٦٦، التبيان في البيان ص ١٠١.

- (٩) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٥٥.
- (١٠) سبأ ٣٧.
- (١١) الزمر ٤٢.
- (١٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٤٧.
- (١٣) البقرة ٢٣٣.
- (١٤) البقرة ١٩٧.

وإشارة ورسالة وكتابة، ولذلك قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا كَانَ لِيُبَشِّرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾^(١). وهو على وجوه كثيرة^(٢). فمنه الاشارة كقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٣).

ومنه الوحي المسموع من الملك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^(٤).

ومنه الوحي في المنام وهو الرؤيا الصحيحة كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾^(٥).

ومنه الالهام كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ﴾^(٦) أي: ألهمها.

ومنه الكتاب، ويقال منه: «وحيث الكتاب» إذا كتبه، قال الشاعر:

مَا هَيَّجَ الشُّوقَ مِنْ أَطْلَالِ دَارِسِيَّةٍ
أَضَحَّتْ قِفَارًا كَوْحِي خَطِّهِ الْوَاحِي

ومن الوحي الاشارة باليد والغمز بالحاجب والايماض بالعين كما قال الشاعر:

وَتُوحِي إِلَيْهِ بِاللِّحَاطِ سَلَامَهَا
مَخَافَةَ وَاشٍ حَاضِرٍ وَرَقِيبِ

وقال آخر:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيْفَةً أَهْلِهَا
إِشَارَةً مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ
وَأَيَقِنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا
وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُسَلَّمِ

الْوَصْلُ:

وصل الشيء بالشيء يَصِلُهُ وَضَلًا وَصِلَةً: اي ربطه^(٧).

والوصل في البلاغة هو الربط بين الجمل أو عطف بعض الجمل على بعض^(٨)، وقد تقدم في الفصل

أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا. وقد تقدم ذلك في الخبر.

وَضْعُ الطَّلَبِ مَوْضِعَ الْخَبَرِ:

أي أن ينقل الأسلوب الطلبي إلى الخبر^(١)، وقد تقدم ذلك في الأمر والنهي وغيرهما من أساليب الإنشاء الطلبي.

وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ:

قال الزركشي: «والعجب أن البيانيين لم يذكروه في أقسام الإطناب»^(٢) وقال السيوطي: «ورأيت فيه تأليفاً مفرداً لابن الصائغ»^(٣).

ولهذا النوع فوائد منها: زيادة التقرير والتمكين كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(٤). والاصل: هو الصمد. وقوله تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾^(٥).

وقصد التعظيم كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦).

وقصد الإهانة والتحقير كقوله تعالى: ﴿أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾^(٧).

والاستلذاذ بذكره كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾^(٨).

وزيادة التقدير كقوله تعالى: ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾^(٩).

وإزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^(١٠).

وأن يكون القصد تربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع كقوله تعالى: ﴿الحاقَّةُ ما الحاقَّةُ﴾^(١١).

وقصد تقوية داعية المأمور كقوله تعالى: ﴿فإذا عَزَمْتَ فتوكلْ على الله إنَّ اللهَ يُحِبُّ المتوكلين﴾^(١٢).

وتعظيم الأمر كقوله تعالى: ﴿أولم يروا كيف يُبْدِيُ اللَّهُ الخَلْقَ ثم يُعِيدُهُ إنَّ ذلك على الله يسير. قُلْ سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾^(١٣). وأن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف كقوله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته﴾^(١٤) بعد قوله في صدر الآية: ﴿إني رسول الله إليكم جميعاً﴾.

والتنبيه على علة الحكم كقوله تعالى: ﴿فبَدَّلَ الذين ظلموا قَوْلًا غير الذي قيل لهم﴾^(١٥).

وقصد العموم كقوله تعالى: ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾^(١٦).

وقصد الخصوص كقوله تعالى: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾^(١٧).

ومراعاة التجنيس كقوله تعالى: ﴿قُلْ أعوذُ برَبِّ الناس. مَلِكِ الناس. إِلِهِ الناس﴾^(١٨). ومنها أن يتحمل ضميراً لا بد منه كقوله تعالى: ﴿.. أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾^(١٩). وكونه أهم من الضمير كقوله

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٥٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤٨٢.

(٣) الاتقان ج ٢ ص ٧٢.

(٤) الاخلاص ١ - ٢.

(٥) الاسراء ١٠٥.

(٦) البقرة ٢٨٢.

(٧) المجادلة ١٩.

(٨) فاطر ١٠.

(٩) آل عمران ٧٨.

(١٠) آل عمران ٢٦.

(١١) الحاقة ١ - ٢.

(١٢) آل عمران ١٥٩.

(١٣) العنكبوت ١٩ - ٢٠.

(١٤) الاعراف ١٥٨.

(١٥) البقرة ٥٩.

(١٦) الكهف ٧٧.

(١٧) الاحزاب ٥٠.

(١٨) الناس ١ - ٣.

(١٩) الكهف ٧٧.

وَضْعُ الْمَاضِي مَوْضِعَ الْمُسْتَقْبَلِ:

هذا النوع من خلاف مقتضى الظاهر وذلك تبيينها على تحقيق وقوعه كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَابِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

وإما للاشراف أي: مشاركة وقوعه ومقارنته كقوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٣) أي: لو شارفوا أن يتركوا.

أو لابرار غير الحاصل في معرض الحاصل لقوة الاسباب الظاهرة كقول المشتري: «اشتريت» حال انعقاد أسبابه^(٤).

وقد بحث ابن الاثير هذا النوع في شجاعة العربية أو الالتفات وقال فائدة ذلك «أنَّ الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأنَّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الاشياء العظيمة

(١) البقرة ٢٨٢.

(٢) الانعام ١٢٤.

(٣) الشورى ٢٤.

(٤) الايضاح ص ٦٩، التلخيص ص ٩٠، شروح

التلخيص ج ١ ص ٤٥٢، المطول ص ١٢٨،

الاطول ج ١ ص ١٥١.

(٥) الاخلاص ١ - ٢.

(٦) الاسراء ١٠٥.

(٧) محقبة: موضوعة خلفنا على الركاب. مقروب:

موضع في قرابه.

(٨) آل عمران ١٥٩.

(٩) النمل ٨٧.

(١٠) الاعراف ٤٨.

(١١) النساء ٩.

(١٢) شرح عقود الجمان ص ٣٠.

تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(١) وكون ما يصلح للعود ولم يُسَقِ الكلام له كقوله تعالى: ﴿رُسُلُ اللَّهِ، اللَّهُ أَعْلَمُ﴾^(٢) والاشارة الى عدم دخول الجملة في حكم الاولى كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾^(٣).

وسمّاه القزويني: «وضع المظهر موضع المضمّر»^(٤) وذكر بعض دواعيه التي تقدمت، وقال إنه يأتي اسم اشارة، وذلك لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع كقوله ابن الراوندي:

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ

وَجَاهِلٍ وَجَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقًا

هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً

وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النَّحْرِيْرَ زَنْدِيْقًا

وإما للتهكم بالسامع كما اذا كان فاقد البصر، أو لم يكن ثمَّ مُشاراً اليه أصلاً. وإما للنداء على كمال بلاذته يأنه لا يدرك غير المحسوس بالبصر أو على كمال فطانته، بأنَّ غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره. وإما لادعاء أنه كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر كقول ابن الدمينية:

تَعَالَلْتِ كِي أَشَجِي وَمَا بِكَ عِلَّةٌ

تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكَ

ويأتي غير اسم اشارة وذلك لزيادة التمكين كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(٥) وقوله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ، وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾^(٦). وقول الشاعر:

إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَعْطِ الْحَقَّ سَائِلَهُ

وَالدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ وَالسَّيْفُ مَقْرُوبٌ^(٧)

وإما لادخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة، وإما لتقوية داعي المأمور كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٨).

وإما للاستعطاف كقول الشاعر: «إلهي عبْدُك

العاصي أناكا».

التي يستعظم وجودها»^(١).

وَضْعُ الْمُضْمَرِ مَوْضِعَ الْمُظْهَرِ:

هذا النوع من خلاف مقتضى الظاهر، كقولهم ابتداءً من غير جزوي ذِكْرٍ لفظاً أو قرينة حال: «نِعْمَ رجلاً زيدٌ» و «بِئْسَ رَجُلًا عَمْرُو» مكان: «نِعْمَ الرجلُ» و «بِئْسَ الرجلُ» على قول من لا يرى الأصل «زيدٌ نِعْمَ رجلاً» و «عَمْرُو بِئْسَ رجلاً». وقولهم: «هو زيد عالم» و «هو عمرو شجاع» مكان: «الشأن زيد عالم» و «القصة عمرو شجاع» ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف تكون فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكافرون﴾^(٣) وقال: «فإنها لا تَعْمَى الأبصار»^(٤). وهذا من أساليب التوسع في القول والايجاز والابهام أحياناً^(٥).

وَضْعُ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ:

هذا النوع من خلاف مقتضى الظاهر^(٦)، وهو «وضع الظاهر موضع المضمرة» وقد تقدم.

وَضْعُ النَّدَاءِ مَوْضِعَ التَّعْجِبِ:

هذا النوع من خروج النداء الى التعجب كقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(٧) قال الفراء: «معناه: فياحسرة»^(٨)، وقد تقدم في النداء.

وُقُوعُ الْحَافِرِ عَلَى الْحَافِرِ:

هذا النوع من السرقات وذلك أن يُؤخذ اللفظ والمعنى، وقد قسّمه ابن الاثير الى ثلاثة أنواع:^(٩)

الأول: أن يستوي الشاعران في كل لفظة من الالفاظ، وهذا يقع كثيراً في شعر جرير والفرزدق كقولهما:

وغرّ قد وسقت مُشَهَّرَاتٍ
طوالع لا تطيق لها جوابا
بكل ثنية وبكل ثغر
غرابتهن تنتسب انتسابا
بلعن الشمس حيث تكون شرقا
ومسقط قرنهما من حيث غابا
الثاني: أن يختلف الشاعران في لفظة واحدة من بيتيهما كقول امرئ القيس:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلِيٍّ مَطِيئِهِمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ
وقول طرفة:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلِيٍّ مَطِيئِهِمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ
الثالث: أن يختلف الشاعران في شطر بيتيهما، وهو أقرب الأضرب الثلاثة حالاً، كقوله جرير:

إِذَا غَضِبْتُ عَلِيَّ بَنُو تَمِيمٍ
حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا
وقول الفرزدق:

وَتَحَسَّبُ مِنْ مَلَائِمِهَا كَلِيْبٌ
عَلَيْهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ غَضَابَا

(١) المثل السائر ج ٢ ص ١٨، وينظر الجامع الكبير ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) الاخلاص ١.

(٣) المؤمنون ١١٧.

(٤) الحج ٤٦.

(٥) الايضاح ص ٦٨، التلخيص ص ٩٠، شروح التلخيص ج ١ ص ٤٥٢، المطول ص ١٢٨، الاطول ج ١ ص ١٥١.

(٦) الايضاح ص ٦٩، التلخيص ص ٩٠، شروح التلخيص ج ١ ص ٤٥٢، المطول ص ١٢٨، الاطول ج ١ ص ١٥١.

(٧) يس ٣٠.

(٨) البرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ٣٥٣.

(٩) الاستدراك ص ٦١ - ٦٢.

الخاتمة

- بعد الفراغ من طبع المعجم أعارني الاستاذ الجليل الدكتور محمود الجليلي كتاب «الحجة على من زاد على ابن حجة» للحاج عثمان بك الجليلي المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ^(١) فوجدته كتاباً نافعا يدل على ثقافة عصره. وقد رأيت اكمالاً لما بدأت به أن أشير الى موضوعاته ليرجع اليها الدارسون وهم يراجعون «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها».
- ١- براعة الاستهلال ص ١٥.
- ٢- الجناس المضارع ص ١٧.
- الجناس الناقص ص ١٩.
- الجناس المشوش ص ٢١.
- الجناس المجنح ص ٢١.
- ٦- الجناس المجوف: وهو من مخترعات زمان المؤلف، وحده: «بان تذكر كلمة حروفها ثلاثية أو خماسية ثم تذكرها مع اسقاطك حرفا من وسطها فتصير مجوفة كقولك سفر البر خير من سفر البحر» ص ٢٤.
- ٧- الجناس المرفو ص ٢٥.
- ٨- جناس التوهيم وهو من مخترعات المؤلف وهو «أن يذكر الناظم أو الناثر كلمتين تكون من حيث الخط مخالفة ومن حيث اللفظ موافقة فيتوهم السامع أنه جناس تمام فإذا نظر الى الخط رآه جناسا مشوشا» مثل اتفاق لفظتي «كالشافي» و«كشاف» في النطق لا في الخط. ص ٢٦.
- ٩- القول بالموجب ص ٢٩.
- ١٠- أسلوب ص ٣٠.
- ١١- المضاهاة وهو من مخترعات زمان المؤلف وهو «أن يماثل المتكلم كلمات بكلمات غيره مماثلة بحيث لو علم كلام الغير تبينت المماثلة في كلام المتكلم» مثل تماثل القولين: «ما بين جبهتها وباب بريدها» و«ما بين قلعتها وباب جديدها» ص ٣٣.
- ١٢- الاقتضاب ص ٣٥.
- ١٣- الاحتباك ص ٥٥.
- ١٤- التشبيه البليغ ص ٥٨.
- ١٥- الطرد والعكس ص ٦١.
- ١٦- التفريع ص ٦٢.
- ١٧- الترقى ص ٦٤.
- ١٨- التنزل (التنزيل) أو التذلي ص ٦٦.
- ١٩- المهمل ص ٦٧.
- ٢٠- المقطوع ص ٦٧.
- ٢١- المتصل ص ٦٨.
- ٢٢- التوزيع ص ٦٨.
- ٢٣- الاستعانة ص ٦٨.
- ٢٤- المعجم ص ٧١.
- (١) اعتنى بطبعه ونشره الدكتور محمد صديق الجليلي - مطبعة ام الربيعين في الموصل ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.

- ٢٥- الأخيف ص ٧٢.
- ٢٦- الأرقط ص ٧٢.
- ٢٧- المفصل ص ٧٢.
- ٢٨- الصامت ص ٧٢.
- ٢٩- الناطق ص ٧٢.
- ٣٠- الشبيه بالأخيف ص ٧٢.
- ٣١- اللاحق بالارقط ص ٧٢.
- ٣٢- الشبيه بالارقط ص ٧٢.
- ٣٣- المقصور والممدود ص ٧٣.
- ٣٤- الموازنة ص ٧٣.
- ٣٥- ذكر عدد الأبيات والانواع ص ٧٣.
- ٣٦- الاستشهاد ص ٧٣.
- ٣٧- ختام الختام ص ٧٣.
- ٣٨- التغليب ص ٧٣.
- ٣٩- الحقيقة ص ٧٥.
- ٤٠- التأريخ ص ٧٦.
- ٤١- حسن الختام ص ١٠٥.
- ولعل هناك كتباً لم تقع يدي عليها وأنا أعدُّ هذا المعجم الذي استغرق انجازه عشرة أعوام وتم طبعه وتصحيحه في سبع سنين دأباً، وما أنا بأسف على ما بذلت من جهد ووقت وحسبي أنني خدمت لغة القرآن الكريم، ورسمت طريقاً لمن يريد أن يخدم أمته ووطنه، ويحافظ على لغته الشريفة. وحينما يصدر «معجم النقد العربي القديم»^(١) الذي ينتظر الطبع أكون قد خدمت بلاغة العرب، وما التوفيق إلا من عند الله تعالى.

الدكتور احمد مطلوب

عضو المجمع العلمي العراقي

الخامس عشر من ايار ١٩٨٧ م

السابع عشر من رمضان ١٤٠٧ هـ. الجمعة

(١) طبعة وزارة الثقافة والاعلام العراقية وصدر في

جزعين كبيرين سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

المصادر

- ١- الاتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي. القاهرة ١٣٦٨هـ.
- ٢- إحكام صنعة الكلام. محمد بن عبد الغفور الكلاعي الاشبيلي الاندلسي تحقيق محمد رضوان الداية. بيروت ١٩٦٦م.
- ٣- أخبار أبي تمام أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبدو عزام ونظير الاسلام الهندي. القاهرة.
- ٤- أخبار البحري: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. تحقيق الدكتور صالح الاشقر. الطبعة الثانية - دمشق ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٥- الادب الصغير. عبد الله بن المقفع (آثار ابن المقفع) بيروت ١٩٦٦م.
- ٦- أدب الكاتب. ابن قتيبة. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ٧- الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالماخذ الكندية في المعاني الطائفة. ضياء الدين بن الاثير. تحقيق الدكتور حفني محمد شرف. القاهرة ١٩٥٨م.
- ٨- أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق هرير. استانبول ١٩٥٤م.
- ٩- الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز. عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام. دمشق.
- ١٠- الاطول. عصام الدين ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني. ترقية ١٢٧٤هـ.
- ١١- إعجاز القرآن. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني. تحقيق السيد احمد صقر. القاهرة - دار المعارف.
- ١٢- أعلام الكلام. محمد بن شرف القيرواني. القاهرة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.
- ١٣- الأغاني. أبو فرج الاصفهاني. دار الكتب المصرية - القاهرة. الجزء السابع عشر تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م. الجزء التاسع عشر تحقيق عبد الكريم العزباوي القاهرة ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ١٤- الأقصى القريب في علم البيان. محمد بن محمد التنوخي. القاهرة ١٣٢٧هـ.
- ١٥- أمالي المرتضى - الشريف المرتضى. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ١٦- الامتناع والمؤانسة. ابو حيان التوحيدي. تحقيق أحمد أمين واحمد الزين. القاهرة.
- ١٧- الانتصاف. احمد بن المنير الاسكندري. مطبوع في هامش تفسير الكشاف للزمخشري. الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.
- ١٨- أنوار الربيع في أنواع البديع. علي صدر الدين بن معصوم المدني. تحقيق شاكر هادي شكر. النجف الأشرف ١٣٨٨هـ - ١٩٥٣م.

- ١٩- الايضاح. الخطيب جلال الدين القزويني. تحقيق جماعة من علماء الازهر الشريف. القاهرة.
- ٢٠- الايضاح في شرح مقامات الحريري. أبو المظفر ناصر بن المطرزي. ايران - ١٢٧٢هـ.
- ٢١- الايمان. ابن تيمية. الطبعة الثانية - بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ٢٢- الباعث الحثيث - شرح اختصار علوم الحديث. ابن كثير. الطبعة الثالثة - القاهرة.
- ٢٣- البحر المحيط. أثير الدين أبو حيان الاندلسي، القاهرة ١٣٢٨هـ.
- ٢٤- البديع. عبد الله بن المعتز. طبعة كراتشكوفسكي. لندن ١٩٣٥م.
- ٢٥- البديع في نقد الشعر. اسامة بن منقذ. تحقيق الدكتور احمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد. القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- ٢٦- بديع القرآن. ابن أبي الاصبغ المصري. تحقيق الدكتور حفني محمد شرف. القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
- ٢٧- بديعيات الآثاري. زين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري تحقيق هلال ناجي. بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٢٨- البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م وما بعدها.
- ٢٩- البرهان في وجوه البيان. ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب. تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ٣٠- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن. عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني. تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي. بغداد ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٣١- بيان إعجاز القرآن. ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام. دار المعارف - القاهرة.
- ٣٢- البيان والتبين. ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- ٣٣- تأريخ بغداد. الخطيب البغدادي. القاهرة.
- ٣٤- تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ٣٥- التبيان في البيان. شرف الدين الحسين بن محمد عبد الله الطيبي. تحقيق الدكتور توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله. الكويت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٦- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن. عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني. تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي بغداد ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- ٣٧- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن. ابن أبي الاصبغ المصري. تحقيق الدكتور حفني محمد شرف. القاهرة ١٣٨٣هـ.
- ٣٨- التعريفات. السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرحاني. القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- ٣٩- التلخيص في علوم البلاغة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب. تحقيق عبد الرحمن البرقوقي. الطبعة الثانية القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
- ٤٠- التنبيه على حدوث التصحيف. حمزة بن الحسن الاصفهاني. تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس. دمشق ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٤١- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور. ضياء الدين ابن الاثير. تحقيق الدكتور

- مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد. بغداد ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
- ٤٢- الجمال في تشبيهات القرآن. ابو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين المعروف بابن نايقا البغدادي. تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي. بغداد ١٣٧٧هـ - ١٩٦٨م.
- ٤٣- جمهرة اشعار العرب. ابو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي. بيروت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ٤٤- جنى الجناس. جلال الدين الشيوطي. تحقيق الدكتور محمد علي رزق الخفاجي. ١٩٨٦م.
- ٤٥- جواهر الالفاظ. قدامة بن جعفر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
- ٤٦- جوهر الكنز. نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي. تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام. الاسكندرية - مصر.
- ٤٧- حاشية الدسوقي على شرح السعد لتلخيص المفتاح. محمد بن محمد عرفة الدسوقي. (شروح التلخيص) القاهرة ١٩٣٧م.
- ٤٨- الحجة. ابو علي الفارسي. القاهرة.
- ٤٩- حدائق السحر في دقائق الشعر. رشيد الدين محمد العمري المعروف بالوطواط. ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي. القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.
- ٥٠- حسن التوسل الى صناعة الترسل. شهاب الدين محمود الحلبي. تحقيق الدكتور اكرم عثمان يوسف. بغداد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٥١- حلية اللب المصون على الجوهر المكنون. أحمد الدمنهوري. مطبوع على حاشية شرح عقود الجمال للسيوطي. القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
- ٥٢- حلية المحاضرة في صناعة الشعر. أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر. الحاتمي. تحقيق الدكتور جعفر الكتاني. بغداد ١٩٧٩م.
- ٥٣- خزانة الأدب وغاية الارب. أبو بكر علي بن حجة الحموي. القاهرة ١٣٠٤هـ.
- ٥٤- الخصائص. أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق محمد وشيد رضا. القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ٥٥- دلائل الاعجاز. عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد رشيد رضا. الطبعة الخامسة - القاهرة ١٣٧٢هـ.
- ٥٦- رسائل ابن كمال باشا. تحقيق الدكتور ناصر سعد الرشيد. الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- ٥٧- رسائل البلغاء. محمد كرد علي. الطبعة الرابعة - القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- ٥٨- رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ج ١ - ٢ (القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) وج ٣ - ٤ (القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٥٩- رسالة الجواري. الجاحظ (رسائل الجاحظ ج ٤).
- ٦٠- الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية. عباس بن علي بن أبي عمر الصنعاني. تحقيق عبد المجيد الشرفي. ليبيا - تونس ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٦١- رسالة الغفران. أبو العلاء المعري. تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي). دار المعارف - القاهرة ١٩٥٠م.
- ٦٢- رسالة في البلاغة والإيجاز. الجاحظ (رسائل الجاحظ ج ٤).
- ٦٣- رسالة في تحقيق المشاكلة. ابن كمال باشا (رسائل ابن كمال باشا - تحقيق الدكتور ناصر سعد الرشيد - الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م).
- ٦٤- رسالة في قوانين صناعة الشعراء. الفارابي (مطبوعة في فن الشعر - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي - القاهرة ١٩٥٣م).
- ٦٥- رسالة القيان. الجاحظ. (رسائل الجاحظ

- ج ٢). ١٩٧٤ م.
- ٦٦- الروض المريع في صناعة البديع. ابن البناء المراكشي. تحقيق رضوان ابن شقرون. الدار البيضاء - المغرب ١٩٨٥ م.
- ٦٧- زهر الآداب وثمر الآلباب. ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني. تحقيق الدكتور زكي مبارك. الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.
- ٦٨- سر الفصاحة. ابن سنان الخفاجي. تحقيق عبد المتعال الصعيدي. القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.
- ٦٩- شرح الاشموني علي الفية ابن مالك. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
- ٧٠- شرح ديوان الحماسة. احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي. تحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون. القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م.
- ٧١- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان. جلال الدين السيوطي. القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.
- ٧٢- شرح الفوائد الغيائية. المولى عصام. القاهرة.
- ٧٣- شرح الكافية البديعية. صفي الدين الحلبي. تحقيق الدكتور نسيب نشاوي. دمشق ١٤٠٣ هـ.
- ٧٤- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف. ابو احمد العسكري. تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف. دمشق ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٧٥- شروح التلخيص. القاهرة ١٩٣٧ م.
- ٧٦- شروح سقط الزند. القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٧٧- الصحابي. احمد بن فارس. تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي. بيروت ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٧٨- طبقات فحول الشعراء. ابن سلام الجمحي. تحقيق محمود شاكر. الطبعة الثانية - القاهرة
- ٧٩- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز. يحيى بن حمزة العلوي القاهرة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م.
- ٨٠- عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح. بهاء الدين السبكي. (شروح التلخيص - القاهرة ١٩٣٧ م).
- ٨١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ابن رشيق القيرواني. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- ٨٢- عيار الشعر. محمد بن احمد بن طاطبا العلوي. تحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام. القاهرة ١٩٥٦ م.
- ٨٣- عيون الاخبار. ابن قتيبة. دار الكتب المصرية - القاهرة.
- ٨٤- فحولة الشعراء. ابو سعيد عبد الملك بن قريب. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني. القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م. وتحقيق ش - توري بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٧١ م.
- ٨٥- الفلك الدائر على المثل السائر. ابن أبي الحديد. (الجزء الرابع من المثل السائر - تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة - القاهرة).
- ٨٦- الفهرست. ابن النديم. تحقيق رضا تجدد. طهران.
- ٨٧- الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان. ابن قيم الجوزية. القاهرة ١٣٢٧ هـ.
- ٨٨- فوات الوفيات، ابن شاعر الكتبي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥١ م.
- ٨٩- القاموس المحيط. الفيروز ابادي.
- ٩٠- قانون البلاغة. ابو طاهر محمد بن

- ١٠٢- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد. ابو العباس المبرد القاهرة ١٣٥٠هـ.
- ١٠٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ضياء الدين بن الاثير. القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
- ١٠٤- مجاز القرآن. ابو عبيدة معمر بن المثنى. تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين. القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- ١٠٥- مجمع الامثال. ابو الفضل أحمد بن احمد النيسابوري الميداني. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الثانية. القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
- ١٠٦- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها. ابو الفتح عثمان بن جني. تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبدالحليم النجار والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي. القاهرة ١٣٨٦هـ.
- ١٠٧- المختصر. سعد الدين التفتازاني (شروح التلخيص - القاهرة ١٩٣٧م).
- ١٠٨- مراتب النحويين. أبو الطيب اللغوي. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- ١٠٩- المصباح في علم المعاني والبيان والبديع. بدر الدين بن مالك. القاهرة ١٣٤١هـ.
- ١١٠- المصون في الأدب. ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري. تحقيق عبد السلام محمد هارون. الكويت ١٩٦٠م.
- ١١١- المطول. سعد الدين التفتازاني. تركيا ١٣٣٠هـ.
- ١١٢- معالم الكتابة ومغانم الاصابة. عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي نشره الخوري قسطنطين المخلصي. بيروت ١٩١٣م.
- ١١٣- معاني القرآن. يحيى بن زياد الفراء. القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م وما بعدها.
- حيدر البغدادي (مطبوع في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي - الطبعة الرابعة - القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م).
- ٩١- قراضة الذهب في نقد اشعار العرب. ابن رشيق القيرواني. القاهرة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.
- ٩٢- قواعد الشعر. ابو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- ٩٣- الكامل. ابو العباس المبرد. تحقيق الدكتور زكي مبارك. القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
- ٩٤- كتاب التمهيد. ابو بكر محمد بن الطيب الباقلائي. تحقيق الأب رتشرد مكارثي اليسوعي - بيروت ١٩٥٧م.
- ٩٥- كتاب سيبويه. ابو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه. تحقيق عبد السلام محمد هارون القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م وما بعدها.
- ٩٦- كتاب الصنائع. ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري. تحقيق علي محمد اليجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ٩٧- كتاب العين. الخليل بن احمد الفراهيدي. تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي. بغداد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٩٨- كتاب المجموع او الحكمة العروضية في معاني الشعر. تحقيق الدكتور محمد سليم سالم. القاهرة ١٩٦٩م.
- ٩٩- الكشاف. جار الله الزمخشري. الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.
- ١٠٠- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب. ضياء الدين بن الاثير. تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن وهلال ناجي. الموصل ١٩٨٢م.
- ١٠١- لسان العرب. ابن منظور.

- ١١٤- معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص. عبد الرحيم العباسي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.
- ١١٥- معترك الاقران في إعجاز القرآن. جلال الدين السيوطي. تحقيق علي محمد البجاوي. القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٣م.
- ١١٦- معجم الادباء. ياقوت الحموي. طبعة مرغليوث الثانية - القاهرة ١٩٢٣م.
- ١١٧- الممتع في علم الشعر وعمله. عبد الكريم النهشلي القيرواني. تحقيق الدكتور منجي الكعبي. ليبيا - تونس.
- ١١٨- المغنى في أبواب التوحيد والعدل. القاضي عبد الجبار الأسد آبادي. (ج ١٦ تحقيق امين الخولي) القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- ١١٩- مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب. ابن هشام الانصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة.
- ١٢٠- مفتاح العلوم. ابو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي. القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- ١٢١- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين. ابو الحسن الاشعري. تحقيق هـ ريتز. استانبول ١٩٢٩م.
- ١٢٢- المقتضب. ابو العباس المبرد. تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. القاهرة ١٣٨٥هـ.
- ١٢٣- المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع. أبو محمد القاسم السجلماسي تحقيق علال الغازي. الرباط - المغرب ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- ١٢٤- المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره. ابن وكيع التنيسي. تحقيق محمد رضوان الداية. دمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٢٥- منهاج البلغاء وسراج الادباء. ابو الحسن حازم القرطاجني. تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة. تونس ١٩٦٦م.
- ١٢٦- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة - دار المعارف.
- ١٢٧- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح. ابن يعقوب المغربي (شروح التلخيص).
- ١٢٨- الموشح. محمد بن عمران المرزباني. تحقيق علي محمد البجاوي. القاهرة ١٩٦٥م.
- ١٢٩- نصره الثائر على المثل السائر. صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني. دمشق ١٩٧٢م.
- ١٣٠- نصره الاغريض في نصره القريض. المظفر بن الفضل العلوي. تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن. دمشق ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ١٣١- نَفحات الأزهار على نَسَمات الأسحار في مَدْح النَّبِيِّ الْمُخْتَار. عبد الغني النابلسي. الطبعة الثالثة. بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٣٢- النقائض. ابو عبيدة. ليدن ١٩٠٥م.
- ١٣٣- نقد الشعر. قدامة بن جعفر. تحقيق كمال مصطفى. القاهرة ١٩٦٣م.
- ١٣٤- نكت الانتصار لنقل القرآن. ابو بكر محمد بن الطيب الباقلائي. تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام. الاسكندرية ١٩٧١م.
- ١٣٥- النكت في اعجاز القرآن. ابو الحسن علي بن عيسى الرماني. (ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) القاهرة - دار المعارف.
- ١٣٦- نهاية الارب في فنون الادب. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. دار الكتب المصرية - القاهرة.
- ١٣٧- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز. فخر الدين الرازي. القاهرة ١٣١٧هـ.

- ١٣٨- النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ١٣٩- الوافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي. تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة وعمر يحيى. الطبعة الثانية - دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٤٠- الوساطة بين المتنبى وخصومه. القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي. الطبعة الثالثة - القاهرة.
- ١٤١- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

موضوعات الكتاب

٣١	الاتكاء	٥	مُقدِّمة الطَّبعة الثانية
٣١	إثبات الشيء للشيء	٧	مُقدِّمة الطَّبعة الأولى
٣٢	الاجازة		
٣٣	الاجتلاب		الهمزة
٣٤	الأحاجي	١١	الائتلاف
٣٥	الاحالة	١٢	ائتلاف الفاصلة
٣٥	الاحتباك	١٢	ائتلاف القافية
٣٦	الاحتجاج النظري	١٣	ائتلاف اللفظ مع اللفظ
٤٠	الاحتراس	١٥	ائتلاف اللفظ مع المعنى
٤٢	الأحجية	١٧	ائتلاف اللفظ مع الوزن
٤٢	الاختتام	١٨	الائتلاف مع الاختلاف
٤٢	الاختراع	١٨	ائتلاف المعنى مع المعنى
٤٣	الاختزال	٢٠	ائتلاف المعنى مع الوزن
٤٦	الاختصار	٢٠	ائتلاف الوزن مع المعنى
٤٦	الاختصاص	٢١	الابتداء
٤٨	الاختلاس	٢٣	الابداع
٤٨	اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها	٢٤	الابدال
٥٠	اختلاف صيغ الكلام	٢٥	إبراز الكلام في صورة المستحيل
٥٠	الأخذ	٢٥	الإبهام
٥٠	اخراج الكلام مخرج الشك	٢٧	الإتساع
٥١	الاخلال	٢٩	اتساق البناء
٥١	أداة التشبيه	٣٠	اتساق النظم
٥٢	الادماج	٣٠	الاتفاق

٩٠	الاستعارة التجريدية	٥٣	الارتقاد
٩١	الاستعارة التحقيقية	٥٣	الارتقاء
٩١	الاستعارة التخيلية	٥٤	الارداف
٩٢	الاستعارة الترشيحية	٥٦	إرسال المثل
٩٣	الاستعارة التصريحية	٥٧	إرسال المثليين
٩٤	الاستعارة التمثيلية	٥٧	الإرصاد
٩٥	الاستعارة التمليلية	٦٠	الازدواج
٩٦	الاستعارة التهكمية	٦١	الاستئناف
٩٦	الاستعارة الحقيقية	٦٣	الاستتباع
٩٦	الاستعارة الخاصة	٦٤	الاستثناء
٩٧	الاستعارة الخيالية	٦٦	استثناء الحصر
٩٧	الاستعارة العامة	٦٧	الاستثناء المعنوي
٩٧	الاستعارة العقلية	٦٧	الاستحالة والتناقض
٩٧	الاستعارة العنادية	٦٩	الاستحقاق
٩٧	الاستعارة غير المفيدة	٦٩	الاستخبار
٩٨	الاستعارة في الأسماء	٧٠	الاستخدام
٩٩	الاستعارة في الأفعال	٧٢	الاستدراج
١٠٠	الاستعارة في الحروف	٧٤	الاستدراك
١٠٠	الاستعارة القطعية	٧٦	الاستدعاء
١٠١	الاستعارة الكثيفة	٧٧	الاستدلال بالتعليل
١٠١	الاستعارة اللطيفة	٧٧	الاستدلال بالتمثيل
١٠١	الاستعارة المجردة	٧٨	الاستشهاد
	استعارة المحسوس للمحسوس	٧٩	الاستطراد
١٠١	بوجه حسي	٨٢	الاستظهار
	استعارة المحسوس للمحسوس	٨٢	الاستعارة
١٠٢	بوجه عقلي	٨٧	الاستعارة الاحتمالية
	استعارة المحسوس للمحسوس	٨٧	الاستعارة الأصلية
١٠٢	بما بعضه حسي وبعضه عقلي	٨٨	الاستعارة بالكناية
١٠٢	استعارة المحسوس للمعقول	٨٩	الاستعارة التبعية

١١٢	استفهام التذكير	١٠٢	الاستعارة المرشحة
١١٣	استفهام الترغيب	١٠٣	الاستعارة المطلقة
١١٣	استفهام التسهيل	١٠٣	استعارة المعقول للمحسوس
١١٣	استفهام التسوية	١٠٣	استعارة المعقول للمعقول
١١٣	استفهام التشويق	١٠٣	الاستعارة المفيدة
١١٣	استفهام التعجب	١٠٣	الاستعارة الممكنة
١١٣	استفهام التعظيم	١٠٤	الاستعارة الموشحة
١١٣	استفهام التفجع	١٠٤	الاستعارة الوفاقية
١١٤	استفهام التفخيم	١٠٤	الاستعانة
١١٤	استفهام التقرير	١٠٥	استعمال العام والخاص
١١٥	استفهام التكثير	١٠٧	الاستغراب
١١٥	استفهام التمني	١٠٨	الاستفهام
١١٥	استفهام التنبيه	١١٠	استفهام الاثبات
١١٥	استفهام التهديد	١١٠	استفهام الإخبار
١١٥	استفهام التهكم	١١٠	استفهام الاستبطاء
١١٥	استفهام التهويل	١١٠	استفهام الاستبعاد
٢١٥	استفهام التوبيخ	١١١	استفهام الاسترشاد
١١٦	استفهام الدعاء	١١١	استفهام الافتخار
١١٦	استفهام العتاب	١١١	استفهام الاكتفاء
١١٦	استفهام العرض	١١١	استفهام الأمر
١١٦	استفهام النفي	١١١	استفهام الانكار
١١٦	استفهام النهي	١١١	استفهام الاياس
١١٦	استفهام الوعيد	١١١	استفهام الايناس
١١٦	الاستقصاء	١١٢	استفهام التأكيد
١١٧	الاستلحاق	١١٢	استفهام التبيكيت
١١٨	الاستهلال	١١٢	استفهام التجاهل
١١٨	الاستيعاب	١١٢	استفهام التحذير
١١٩	الاسجال	١١٢	استفهام التحضيض
١١٩	الاسلوب الحكيم	١١٢	استفهام التحقير

١٤٦	الإعجاز	١٢١	الاسناد الخبري
١٤٨	الأعداد	١٢١	الاسهاب
١٤٩	الإعراض	١٢٢	الإشارة
١٤٩	الاعنات	١٢٤	الاشباع
١٥١	الاغارة	١٢٥	الاشترك
١٥٢	الاغراب	١٢٦	الاشتغال
١٥٣	الاغراق	١٢٦	الاشتقاق
١٥٥	افتتاحات الكلام	١٢٨	الاشراف
١٥٥	الافتنان	١٢٨	إصابة المقدار
١٥٦	الافراط	١٢٨	الاصطراف
١٥٨	الافراط في الاستعارة	١٢٩	الاصطلام
١٥٩	الاقتباس	١٣٠	الاضمار
١٦١	الاقنتار	١٣٠	الاضمار على شريطة التفسير
١٦١	الاققسام	١٣١	الاطالة
١٦٣	الاقتصاد	١٣١	الاطراد
١٦٤	الاقتصاص	١٣٢	الاطناب
١٦٥	الاقتضاب	١٣٤	الاطناب بالاعتراض
١٦٦	الاقتطاع	١٣٥	الاطناب بالايضاح
١٦٧	الاقتناص	١٣٥	الاطناب بالايغال
١٦٧	الاقحام	١٣٧	الاطناب بالبسط
١٦٧	الاقسام	١٣٧	الاطناب بالتميم
١٦٨	الاكتفاء	١٣٨	الاطناب بالتدليل
١٧٠	الاكثار	١٣٩	الاطناب بالتكرير
١٧٠	الاكمال	١٤٠	الاطناب بالتكميل
١٧١	الالتمام	١٤١	الاطناب بالتوشيع
١٧٢	الالتجاء	١٤٢	الاطناب بذكر الخاص
١٧٣	الالتزام	١٤٢	الاطناب بالزيادة
١٧٣	الالتفات	١٤٣	اعتدال الوزن
١٧٨	الالتقاط	١٤٣	الاعتراض

١٨٨	الأمر للتكوين	١٧٩	الالغاء
١٨٨	الأمر للتلهيف	١٧٩	الجمام الخصم بالحجة
١٨٨	الأمر للتمني	١٨٠	الالغاز
١٨٨	الأمر للتهديد	١٨١	الالمام
١٨٨	الأمر للخبر	١٨٢	الالهاب
١٨٩	الأمر للدعاء	١٨٢	الامتحان
١٨٩	الأمر للعجب	١٨٣	الامتناع
١٨٩	الأمر للفرض	١٨٣	الأمثال
١٨٩	الأمر للندب	١٨٤	الأمر
١٨٩	الأمر للمشورة	١٨٥	الأمر للاباحة
١٨٩	الأمر للواجب	١٨٦	الأمر للاحتقار
١٨٩	الأمر للوعيد	١٨٦	الأمر للإرشاد
١٩٠	الانتحال	١٨٦	الأمر للاعتبار
١٩٠	الانتقال	١٨٦	الأمر للإكرام
١٩١	الانتكاث	١٨٦	الأمر للالتماس
١٩١	الانتهاء	١٨٦	الأمر للامتنان
١٩٣	الانسجام	١٨٦	الأمر للانذار
١٩٥	الانشاء	١٨٦	الأمر للانعام
١٩٦	الانصراف	١٨٦	الأمر للإهانة
١٩٧	الانفاد	١٨٦	الأمر للتأديب
١٩٨	الانفصال	١٨٧	الأمر للتحريم
١٩٩	الانقطاع	١٨٧	الأمر للتخيير
١٩٩	الاهتمام	١٨٧	الأمر للتسخير
٢٠٠	الأواخر والمقاطع	١٨٧	الأمر للتسليم
٢٠١	الأوصاف	١٨٧	الأمر للتسوية
٢٠١	الايجاب والسلب	١٨٧	الأمر للتعجب
٢٠٢	الايجاز	١٨٧	الأمر للتعجيز
٢٠٤	إيجاز التقدير	١٨٨	الأمر للتفويض
٢٠٥	الايجاز الجامع	١٨٨	الأمر للتكذيب

٢٣٧	البيان	٢٠٥	إيجاز الحذف
		٢١١	إيجاز القصر
	التاء	٢١٣	الأيديع
٢٣٩	التأسيس	٢١٥	الأيضاح
٢٣٩	التأكيد	٢١٦	الأيضاح بعد الإبهام
٢٤١	تأكيد الذم بما يشبه المدح	٢١٦	الأيغال
٢٤٢	تأكيد المدح بما يشبه الذم	٢١٦	إيقاع الممتنع
٢٤٤	التأليف	٢١٦	الأيماء
٢٤٥	التأسيس	٢١٧	الأيهام
٢٤٥	التبديل	٢١٩	أيهام التضاد
٢٤٧	التبليغ	٢١٩	إيهام التناسب
٢٤٨	التبيين	٢١٩	إيهام التوكيد
٢٤٩	تتابع الإضافات	٢٢٠	إيهام الطباق
٢٥٠	التتبع	٢٢٠	إيهام المطابقة
٢٥١	التميم		
٢٥٥	التشيج		الباء
٢٥٥	التثقيف والتخفيف	٢٢١	البدل
٢٥٦	التثليم	٢٢٢	البديع
٢٥٦	تجاهل العارف	٢٢٤	البديعيات
٢٥٨	التجاوز	٢٢٦	البراءة
٢٥٨	التجريد	٢٢٦	البراءة
٢٦٢	التجزئة	٢٢٧	براءة الاستهلال
٢٦٣	التجزيء	٢٢٩	براءة التخلص
٢٦٣	التجميع	٢٣٣	براءة الطلب
٢٦٤	التجنيس	٢٣٣	براءة القطع
٢٦٨	تجنيس الإشارة	٢٣٣	براءة المطلع
٢٦٩	تجنيس الاشتقاق	٢٣٣	براءة المقطع
٢٦٩	تجنيس الإضافة	٢٣٤	البسط
٢٧٠	تجنيس الإضمار	٢٣٤	البلاغة
٢٧٠	تجنيس الإطلاق	٢٣٧	البليغ

٢٨٠	التجنيس المختلف	٢٧٠	تجنيس الاقتضاب
٢٨١	التجنيس المذيل	٢٧٠	تجنيس البعض
٢٨١	التجنيس المردد	٢٧١	التجنيس التام
٢٨٢	التجنيس المرفو	٢٧١	تجنيس التحريف
٢٨٢	التجنيس المركب	٢٧٢	تجنيس التداخل
٢٨٣	التجنيس المزدوج	٢٧٢	تجنيس التذيل
٢٨٣	التجنيس المستوفى	٢٧٢	تجنيس الترجيع
٢٨٣	تجنيس المشابهة	٢٧٣	تجنيس التركيب
٢٨٣	التجنيس المشوش	٢٧٣	تجنيس التصحيف
٢٨٤	التجنيس المصحف	٢٧٤	تجنيس التصريف
٢٨٤	التجنيس المضارع	٢٧٤	تجنيس التغاير
٢٨٥	التجنيس المضاف	٢٧٥	تجنيس التماثل
٢٨٦	التجنيس المطابق	٢٧٥	التجنيس الحقيقي
٢٨٦	التجنيس المطرف	٢٧٥	تجنيس الخط
٢٨٦	التجنيس المطلق	٢٧٥	تجنيس العكس
٢٨٧	التجنيس المطمع	٢٧٦	تجنيس القلب
٢٨٧	التجنيس المعكوس	٢٧٦	تجنيس القوافي
٢٨٨	تجنيس المعنى	٢٧٧	التجنيس الكامل
٢٨٨	التجنيس المغاير	٢٧٧	تجنيس الكناية
٢٨٩	التجنيس المفروق	٢٧٧	التجنيس اللاحق
٢٩٠	التجنيس المقارب	٢٧٨	تجنيس اللفظ
٢٩٠	التجنيس المقتضب	٢٧٨	التجنيس اللفظي
٢٩٠	التجنيس المقلوب	٢٧٨	التجنيس المبدل
٢٩٠	التجنيس المكرر	٢٧٩	التجنيس المتشابه
٢٩٠	التجنيس الملفق	٢٧٩	التجنيس المجنب
٢٩١	التجنيس المماثل	٢٧٩	التجنيس المحرف
٢٩٢	التجنيس المنفصل	٢٧٩	التجنيس المحض
٢٩٢	التجنيس الناقص	٢٨٠	التجنيس المحقق
٢٩٣	التحجيل	٢٨٠	التجنيس المخالف

٣١٦	التسجيع المطرف	٢٩٣	التحرز
٣١٦	التسجيل	٢٩٣	التحويل
٣١٦	التسليم	٢٩٣	تخصيص المسند
٣١٧	التسميط	٢٩٤	التخلص
٣١٩	التسهيل	٢٩٤	تخليص الألفاظ والمعاني
٣٢٠	التسهيم	٢٩٤	التخيير
٣٢٠	التسويم	٢٩٦	التخييل
٣٢١	التشابه	٢٩٧	التدبيح
٣٢٢	تشابه الأطراف	٢٩٨	التداول والتناول
٣٢٣	تشابه الأطراف المعنوي	٢٩٩	التدلي
٣٢٣	التشبيه	٢٩٩	التذنيب
٣٢٩	تشبيه أربعة بأربعة	٢٩٩	التذليل
٣٢٩	تشبيه الاضمار	٣٠٠	الترتيب
٣٢٩	التشبيه البعيد	٣٠٠	الترجي
٣٣٠	التشبيه البليغ	٣٠٠	الترجيع
٣٣١	التشبيه التخيلي	٣٠٢	الترديد
٣٣١	تشبيه التسوية	٣٠٥	الترشيح
٣٣١	تشبيه التفضيل	٣٠٦	الترصيع
٣٣٢	التشبيه التمثيلي	٣٠٩	الترقي
٣٣٤	تشبيه التوليد	٣٠٩	التزواج
٣٣٤	تشبيه ثلاثة بثلاثة	٣١٠	التسبيغ
٣٣٤	تشبيه ثمانية بثمانية	٣١١	التسجيع
٣٣٤	تشبيه الجمع	٣١٤	التسجيع الحالي
٣٣٥	التشبيه الجيد	٣١٤	التسجيع العاطل
٣٣٥	التشبيه الحسن	٣١٥	التسجيع المتماثل
٣٣٥	التشبيه الحسي	٣١٥	التسجيع المتوازن
٣٣٥	تشبيه خمسة بخمسة	٣١٥	التسجيع المتوازي
٣٣٥	التشبيه الخيالي	٣١٥	التسجيع المرصع
٣٣٦	تشبيه سبعة بسبعة	٣١٥	التسجيع المشطر

٣٤٣	التشبيه المستطرف	٣٣٦	تشبيه ستة بستة
٣٤٣	التشبيه المشروط	٣٣٦	تشبيه شيء بأربعة أشياء
٣٤٣	التشبيه المصيب	٣٣٦	تشبيه شيء بثلاثة أشياء
٣٤٣	التشبيه المطرد	٣٣٦	تشبيه شيء بخمسة أشياء
٣٤٤	التشبيه المطلق	٣٣٧	تشبيه شيء بشيء
٣٤٤	التشبيه المعرّي	٣٣٧	تشبيه شيء بشيئين
٣٤٤	تشبيه المعقول بالمحسوس	٣٣٧	تشبيه شيئين بشيئين
٣٤٤	تشبيه المعقول بالمعقول	٣٣٨	تشبيه صورة بصورة
٣٤٥	التشبيه المعكوس	٣٣٨	تشبيه صورة بمعنى
٣٤٦	تشبيه المعنى بالصورة	٣٣٨	التشبيه العجيب
٣٤٧	تشبيه المعنى بالمعنى	٣٣٩	تشبيه عشرة بعشرة
٣٤٧	تشبيه المفرد بالمركب	٣٣٩	التشبيه القاصد
٣٤٧	تشبيه المفرد بالمفرد	٣٣٩	التشبيه القريب
٣٤٧	التشبيه المفرط	٣٣٩	تشبيه الكناية
٣٤٧	التشبيه المفروق	٣٤٠	التشبيه المؤكد
٣٤٨	التشبيه المفصل	٣٤٠	التشبيه المتجاوز
٣٤٨	التشبيه المقارب	٣٤٠	التشبيه المتخيل
٣٤٨	التشبيه المقبول	٣٤٠	التشبيه المتعدد
٣٤٨	التشبيه المقلوب	٣٤٠	التشبيه المجمل
٣٤٩	التشبيه الملفوف	٣٤١	تشبيه المحسوس بالمحسوس
٣٤٩	التشبيه المنعكس	٣٤١	تشبيه المحسوس بالمعقول
٣٤٩	التشبيه الوهمي	٣٤١	التشبيه المحمود
٣٤٩	التشبيهات العقم	٣٤١	التشبيه المختصر
٣٥٠	التشبيهات المجتمعة	٣٤١	التشبيه المردود
٣٥٠	التشديد	٣٤٢	التشبيه المرسل
٣٥١	التشريع	٣٤٢	التشبيه المركب
٣٥٢	التشطير	٣٤٢	تشبيه المركب بالمركب
٣٥٣	التشعيب	٣٤٢	تشبيه المركب بالمفرد
٣٥٣	التشكيك	٣٤٢	التشبيه المستحسن

٣٧٩	التعريض	٣٥٤	التشهير
٣٨٢	التعريف والتنكير	٣٥٥	التصحيف
٣٨٥	التعطف	٣٥٥	التصدير
٣٨٦	تعقيب الكلام	٣٦٠	التصرف
٣٨٧	التعقيد	٣٦١	التصريح بعد الابهام
٣٨٨	التعليق	٣٦٣	التصريح
٣٩٠	التعليل	٣٦٦	التصريح الكامل
٣٩٢	التعمية	٣٦٦	التصريح المستقل
٣٩٢	التغاير	٣٦٦	التصريح المشطور
٣٩٣	التغليب	٣٦٦	التصريح المعلق
٣٩٤	التغيير	٣٦٦	التصريح المكرر
٣٩٤	التفخيم	٣٦٦	التصريح الموجه
٣٩٥	التفريط	٣٦٦	التصريح الناقص
٣٩٦	التفريع	٣٦٦	التصريف
٣٩٧	التفريق	٣٦٧	التضاد
٣٩٨	التفريق والجمع	٣٧١	التضمن
٣٩٨	التفسير	٣٧٣	تضمن المزدوج
٣٩٨	تفسير الاجمال والتفصيل	٣٧٤	التضييق
٣٩٨	تفسير الايضاح	٣٧٤	التطبيق
٣٩٨	التفسير بعد الابهام	٣٧٤	التطريز
٣٩٩	تفسير التبرع	٣٧٧	التطريف
٣٩٩	تفسير التضمن	٣٧٧	التطويل
٣٩٩	تفسير التعليل	٣٧٧	التظريف
٣٩٩	تفسير السبب	٣٧٨	تعادل الأقسام
٣٩٩	تفسير العدد	٣٧٨	تعادل الأوزان
٣٩٩	تفسير الغاية	٣٧٨	التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي
٣٩٩	التفصيل	٣٧٨	التعجب
٤٠١	التفضيل	٣٧٨	التعديد
٤٠١	التفقير	٣٧٩	التعديل

٤٢٢	التناسب بين المعاني	٤٠١	التفويف
٤٢٢	تناسب الفصول والوصول	٤٠٤	التقديم والتأخير
٤٢٢	التنافر	٤٠٦	التقسيم
٤٢٢	التناقض	٤٠٨	التقصير
٤٢٤	التنبيه	٤٠٩	التقطيع
٤٢٤	التندير	٤٠٩	التفقيه
٤٢٥	التنزيل	٤٠٩	تقليل اللفظ ولا تقليله
٤٢٥	التنسيق	٤١٠	التكافؤ
٤٢٧	تنسيق الصفات	٤١٠	التكرار
٤٢٧	التنظير	٤١٠	التكرير
٤٢٧	التنكيث	٤١١	التكلف
٤٢٨	التنكير	٤١١	التكميل
٤٢٨	التهجين	٤١٢	التلاؤم
٤٢٨	التهذيب	٤١٢	التلطف
٤٢٩	التهكم	٤١٢	التلفيف
٤٣٠	التوأم	٤١٣	التلفيق
٤٣١	التوارد	٤١٣	التلميح
٤٣١	التوافق	٤١٥	التلويع
٤٣١	التوجيه	٤١٥	التمام
٤٣٣	التورية	٤١٥	تمام الأقسام
٤٣٥	التورية المبينة	٤١٥	التمثيل
٤٣٦	التورية المجردة	٤١٦	التمزيج
٤٣٦	التورية المرشحة	٤١٧	التمكين
٤٣٧	التورية المهيأة	٤١٧	التمليط
٤٣٧	التوزيع	٤١٨	التمني
٤٣٨	التوسع	٤١٩	تمهيد الدليل
٤٣٨	التوسل	٤١٩	التناسب
٤٣٨	التوشيح	٤٢٠	تناسب الأبيات
٤٣٩	التوشيع	٤٢١	تناسب الأطراف

٤٥١	الجناس الحقيقي	٤٣٩	التوفيق
٤٥١	جناس الخط	٤٣٩	التوقيف
٤٥١	جناس العكس	٤٤٠	التوكيد
٤٥١	جناس القلب	٤٤٠	توكيد الضمير
٤٥١	الجناس اللاحق	٤٤٠	توكيد الضميرين
٤٥١	الجناس اللفظي	٤٤٠	التوليد
٤٥١	الجناس المتشابه	٤٤٢	التوهيم
٤٥١	الجناس المتوازن		
٤٥١	الجناس المتوج		
٤٥٢	الجناس المجنب	٤٤٤	الجامع
٤٥٢	الجناس المجنح	٤٤٥	الجحد
٤٥٢	الجناس المحرف	٤٤٥	الجزالة
٤٥٢	الجناس المذيل	٤٤٦	الجمع
٤٥٢	الجناس المردوف	٤٤٦	جمع الأوصاف
٤٥٢	الجناس المرفوف	٤٤٧	جمع المؤنث والمختلف
٤٥٢	الجناس المركب	٤٤٨	الجمع مع التفريق
٤٥٢	الجناس المزدوج	٤٤٩	الجمع مع التفريق والتقسيم
٤٥٢	الجناس المستوفى	٤٥٠	الجمع مع التقسيم
٤٥٢	الجناس المشتق	٤٥٠	الجناس
٤٥٣	الجناس المشوش	٤٥٠	جناس الإشارة
٤٥٣	الجناس المصحف	٤٥٠	جناس الاشتقاق
٤٥٣	الجناس المضارع	٤٥٠	جناس الاضمار
٤٥٣	الجناس المضاف	٤٥٠	جناس الاطلاق
٤٥٣	الجناس المطرف	٤٥٠	الجناس التام
٤٥٣	الجناس المطلق	٤٥١	جناس التحريف
٤٥٣	الجناس المطمع	٤٥١	جناس الترجيع
٤٥٤	الجناس المعتل	٤٥١	جناس التركيب
٤٥٤	الجناس المعكوس	٤٥١	جناس التصحيف
٤٥٤	الجناس المعنوي	٤٥١	جناس التصريف
			جناس التنوين

الجيم

٤٦٣	حسن التضمين	٤٥٤	جناس المغايرة
٤٦٣	حسن التعليل	٤٥٤	الجناس المفروق
٤٦٣	حسن التقسيم	٤٥٤	الجناس المقرون
٤٦٣	حسن التنقل	٤٥٤	الجناس المقصور
٤٦٣	حسن الجمع	٤٥٤	الجناس المقلوب
٤٦٣	حسن الخاتمة	٤٥٤	الجناس المكتنف
٤٦٤	حسن الختام	٤٥٤	الجناس المكرر
٤٦٤	حسن الخروج	٤٥٤	الجناس الملفق
٤٦٤	حسن الرصف	٤٥٥	الجناس الملفوف
٤٦٥	حسن المطالع والمبادي	٤٥٥	الجناس المماثل
٤٦٥	حسن المطلب	٤٥٥	الجناس الناقص
٤٦٥	حسن المقطع		جودة القطع
٤٦٦	حسن النسق		
٤٦٦	الحشو	٤٥٦	الحالي
٤٦٨	الحصر	٤٥٦	الحث والتحضيض
٤٧٠	حصر الجزئي وإحاقه بالكلي	٤٥٦	الحذف
٤٧١	الحقيقة	٤٥٨	الحدو
٤٧٢	الحقيقة الشرعية	٤٥٩	الحروف العاطفة والجاراة
٤٧٢	الحقيقة العرفية	٤٥٩	حسن الابتداء
٤٧٣	الحقيقة اللغوية	٤٥٩	حسن الاتباع
٤٧٣	الحل	٤٦٠	حسن الأخذ
٤٧٥	حل الآيات	٤٦١	حسن الارتباط
٤٧٥	حل الأحاديث	٤٦١	حسن الافتتاح
٤٧٥	حل الأشعار	٤٦١	حسن الانتهاء
٤٧٦	الحمل على المعنى	٤٦١	حسن البيان
٤٧٦	حمل اللفظ على اللفظ	٤٦١	حسن التأليف
٤٧٦	الحيدة والانتقال	٤٦٢	حسن التخلص
		٤٦٢	حسن الترتيب
	الخاء	٤٦٢	حسن التشبيه
٤٧٨	الخبر	٤٦٣	حسن التصرف

٤٨٦	الخطاب العام	٤٨٠	الخبر الابتدائي
٤٨٦	الخيف	٤٨٠	الخبر الانكاري
٤٨٧	الخيفاء	٤٨٠	الخبر الطلبي
	الذال	٤٨٠	الخبر للاسترحام
٤٨٨	الدلالة	٤٨٠	الخبر لإظهار التحشّر
٤٨٩	دلالة الاشارة	٤٨٠	الخبر لإظهار الضعف
٤٨٩	دلالة الالتزام	٤٨٠	الخبر للإنكار
٤٨٩	دلالة التضمن	٤٨١	الخبر للتحذير
٤٩٠	دلالة الخط	٤٨١	الخبر لتحريك الهمة
٤٩٠	دلالة العقد	٤٨١	الخبر للتعظيم
٤٩٠	الدلالة العقلية	٤٨١	الخبر للتمني
٤٩٠	دلالة اللفظ	٤٨١	الخبر للتويخ
٤٩٠	دلالة المطابقة	٤٨١	الخبر للتوعد
٤٩١	دلالة النصبه	٤٨١	الخبر للدعاء
٤٩١	الدلالة الوضعية	٤٨١	الخبر للفخر
٤٩١	الدليل	٤٨١	الخبر للمدح
	الذال	٤٨١	الخبر للنفي
٤٩٢	الذكر	٤٨١	الخبر بالنفي والإثبات
٤٩٣	ذكر الخاص بعد العام	٤٨٢	الخبر للنهي
٤٩٣	ذكر العام بعد الخاص	٤٨٢	الخبر للوعد
٤٩٣	الذم في معرض المدح	٤٨٢	الخبر للوعيد
٤٩٣	ذو القافيتين	٤٨٢	خذلان المخاطب
	الراء	٤٨٢	الخروج
٤٩٤	رجحان السابق على المسبوق	٤٨٣	الخروج على مقتضى الظاهر
٤٩٤	الرجع	٤٨٣	خروج اللفظ مخرج الغالب
٤٩٥	الرجوع	٤٨٣	الخروج من معنى الى معنى
٤٩٦	رد العجز على الصدر	٤٨٥	الخطاب
٤٩٦	الردالة	٤٨٦	الخطاب بالجملة الاسمية
			الخطاب بالجملة الفعلية

٥١٠	السلخ	٤٩٧	الرشاقة
٥١١	السهولة	٤٩٧	الرفو
٥١٢	سهولة المخرج	٤٩٧	الرقطاء
٥١٢	سوء الاتباع	٤٩٨	الرمز
٥١٢	سوء الرصف		
٥١٢	سوق المعلوم مساق غيره		الزاي
٥١٣	سياقة الأعداد	٥٠٠	الزيادة
٥١٣	سياقة العدد		السين
	الشين	٥٠٢	السؤال والجواب
٥١٤	شبه كمال الاتصال	٥٠٣	السابق واللاحق
٥١٥	شبه كمال الانقطاع	٥٠٤	السبر والتقسيم
٥١٥	شجاعة العربية	٥٠٤	السبك
٥١٦	شجاعة الفصاحة	٥٠٥	السجع
٥١٦	الشماتة	٥٠٥	السجع الحالي
	الصاد	٥٠٥	السجع الطويل
٥١٨	صحة الأقسام	٥٠٥	السجع العاطل
٥١٨	صحة الأوصاف	٥٠٥	السجع القصير
٥١٨	صحة التشبيه	٥٠٥	السجع المتطرف
٥١٨	صحة التفسير	٥٠٥	السجع المتماثل
٥١٩	صحة التقسيم	٥٠٥	السجع المتوازن
٥١٩	صحة المقابلة	٥٠٥	السجع المتوازي
٥١٩	صحة النسق	٥٠٥	السجع المرصع
٥١٩	الصرف	٥٠٦	السجع المشطر
	الضاد	٥٠٦	السجع المطرف
٥٢٠	ضعف التأليف	٥٠٦	السجع الموازي
	الطاء	٥٠٨	السرقة
٥٢١	الطاعة والعصيان	٥٠٩	سلامة الابتداع
		٥٠٩	سلامة الاختراع
		٥٠٩	السلب والايجاب

٥٣٥	العنوان	٥٢٢	الطباق
		٥٢٢	طباق الايجاب
	الغين	٥٢٢	طباق التردد
٥٣٧	الغراية	٥٢٢	الطباق الحقيقي
٥٣٨	الغصب	٥٢٢	الطباق الخفي
٥٣٨	غلبة الفروع على الأصول	٥٢٢	طباق السلب
٥٣٨	الغلط	٥٢٢	الطباق المجازي
٥٣٩	الغلو	٥٢٣	الطباق المعنوي
	الفاء	٥٢٣	الطرد والعكس
٥٤٢	فائدة الخبر	٥٢٣	طرفا التشبيه
٥٤٢	الفرائد	٥٢٤	الطلب
٥٤٣	فرط الاستقصاء	٥٢٥	الطي والنشر
٥٤٣	الفساد		
٥٤٤	فساد التفسير		الظاء
٥٤٥	فساد التقسيم	٥٢٨	الظرافة والسهولة
٥٤٥	فساد المقابلات		
٥٤٥	الفصاحة	٥٢٩	العين
٥٤٩	فصل الخطاب	٥٢٩	العاطل
٥٤٩	الفصل والوصل	٥٢٩	العام والخاص
٥٥٤	فضل السابق على المسبوق	٥٢٩	العبث
٥٥٤	الفك والسبك	٥٣٠	عتاب المرء نفسه
٥٥٤	الفواصل	٥٣١	العرض والتحضيض
	القاف	٥٣١	العسف
٥٥٧	قبح الأخذ	٥٣١	عطف الأوائل على الأواخر
٥٥٨	القبض	٥٣٢	عطف المظهر على ضميره
٥٥٨	القران	٥٣٣	العقد
٥٥٩	قرب المأخذ	٥٣٤	العكس
٥٥٩	القسم	٥٣٤	عكس الظاهر
٥٥٩	قصد الجد بالهزل	٥٣٥	عكس اللفظ
			عكس المعنى

٥٧٧	اللمحة	٥٥٩	القصر
		٥٥٩	القطع
	الميم	٥٦٠	القطع للاحتياط
٥٧٩	المؤاخاة	٥٦٠	القطع للوجوب
٥٧٩	المؤاخاة اللفظية	٥٦٠	قطع النظير عن النظير
٥٨٠	المؤاخاة المعنوية	٥٦٠	القطع والعطف
٥٨٠	المؤتلفة والمختلفة	٥٦١	القلب
٥٨١	ما لا يستحيل بالانعكاس	٥٦٢	القوة
٥٨١	ما يقرأ من الجهتين	٥٦٣	قوة اللفظ لقوة المعنى
٥٨١	ما يوهم فسادًا وليس بفساد	٥٦٣	القول بالموجب
٥٨٢	المبادي والمطالع		
٥٨٢	المبالغة		الكاف
٥٨٥	المبدأ	٥٦٥	كثرة التكرار
٥٨٥	المبسوط	٥٦٥	الكشف
٥٨٥	المتابعة	٥٦٦	كشف المعنى
٥٨٥	المتجانس	٥٦٦	الكلام الجامع
٥٨٥	المتحرى	٥٦٧	الكلام الموجه
٥٨٦	المتزلزل	٥٦٧	كمال الاتصال
٥٨٦	المتشابه	٥٦٧	كمال الانقطاع
٥٨٦	متعارف الأوساط	٥٦٧	كمال البيان
٥٨٧	المتكافئ	٥٦٨	كمال المعنى
٥٨٧	المتوازن	٥٦٨	الكناية
٥٨٧	المتوازي		
٥٨٧	المثل		اللام
٥٨٨	المثل السائر	٥٧٤	لازم فائدة الخبر
٥٨٨	مجاراة الخصم	٥٧٤	اللحن
٥٨٩	المجاز	٥٧٥	لزوم ما لا يلزم
٥٩١	المجاز الاسنادي	٥٧٦	لطافة المعنى
٥٩٥	المجاز الافرادي	٥٧٦	اللفز
٥٩٧	مجاز التركيب	٥٧٧	اللف والنشر

٦٠٧	المخالف	٥٩٧	مجاز التشبيه
٦٠٧	المخالفة	٥٩٧	مجاز التضمين
٦٠٨	مخالفة ظاهر اللفظ معناه	٥٩٨	مجاز الحذف
٦١٠	مخالفة العرف	٥٩٨	المجاز الحكمي
٦١٠	المخترع	٥٩٨	مجاز الزيادة
٦١١	المختلف والمؤتلف	٥٩٩	المجاز العقلي
٦١١	المخلص	٥٩٩	المجاز في الإثبات
٦١١	المخلص المليح	٥٩٩	المجاز في المثبت
٦١١	المدح في معرض الذم	٥٩٩	مجاز اللزوم
٦١١	المدرج	٦٠١	المجاز اللغوي
٦١٢	المذهب الكلامي	٦٠١	مجاز المجاز
٦١٢	المراجعة	٦٠١	مجاز المراتب
٦١٣	مراعاة الحروف	٦٠٢	المجاز المرسل
٦١٤	مراعاة مقتضى الحال	٦٠٢	المجاز المرشح
٦١٤	مراعاة النظر	٦٠٢	المجاز المركب
٦١٤	المرافدة	٦٠٢	المجاز المفرد
٦١٥	المرصع	٦٠٢	مجاز النقصان
٦١٥	المزاوجة	٦٠٣	المجانس
٦١٥	مزج الشك باليقين	٦٠٤	المجانس المماثل
٦١٥	المزدوج	٦٠٤	مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب
٦١٦	المزلزل	٦٠٤	المجاورة
٦١٦	المساواة	٦٠٤	مجاورة الأضداد
٦١٨	المستجلب	٦٠٥	المجدود
٦١٨	المستحيل	٦٠٥	المجنس المتمم
٦١٨	المستعار	٦٠٥	المجنس المختلف
٦١٨	المستعار له	٦٠٥	المجنس المطمع
٦١٨	المستعار منه	٦٠٥	المحاجة
٦١٩	المسخ	٦٠٦	المحاذاة
٦٢٠	المسند	٦٠٦	المحتمل للضدين

٦٣٤	المغالطة المعنوية	٦٢٠	المسند اليه
٦٣٥	المغايرة	٦٢١	المشاركة
٦٣٥	المغصن	٦٢١	المشاكله
٦٣٥	المفاضلة	٦٢٣	مشاكله اللفظ للفظ
٦٣٥	المفصل	٦٢٣	مشاكله اللفظ للمعنى
٦٣٥	المقابلة	٦٢٤	المشبهه بالتجنيس
٦٤٠	المقارنة	٦٢٤	المشتق
٦٤١	المقاسمة	٦٢٤	المشكل
٦٤١	المقاطع والمطالع	٦٢٥	المصالته
٦٤٢	مقتضى الحال	٦٢٥	المصرع
٦٤٢	مقتضى الظاهر	٦٢٥	المصنوع
٦٤٢	المقصر	٦٢٥	المضادة
٦٤٢	المقلوب	٦٢٥	المضارع
٦٤٣	مقلوب البعض	٦٢٦	المضاعف
٦٤٣	مقلوب الكل	٦٢٦	المضاعفة
٦٤٣	المقلوب المجنح	٦٢٦	المضاف
٦٤٤	المقلوب المستوي	٦٢٦	المطابق
٦٤٤	الملاءمة	٦٢٦	المطابقة
٦٤٤	الملخص	٦٢٧	مطابقة الكلام لمقتضى الحال
٦٤٤	الملكة	٦٢٨	المطرف
٦٤٥	المماتنة	٦٢٨	المطلق
٦٤٥	المماثل	٦٢٨	المطمع
٦٤٥	المماثلة	٦٢٨	المعارضة
٦٤٧	الممتنع	٦٢٩	المعاظلة
٦٤٧	المناسبة	٦٣١	المعاني
٦٤٩	المنافرة بين الألفاظ	٦٣٣	المعقد
٦٤٩	المناقضة	٦٣٣	المعمى
٦٥١	المنتحل	٦٣٣	معنى المعنى
٦٥١	المنتقى	٦٣٤	المغالطة

٦٦٧	نقل القصير الى الطويل	٦٥١	المنزِع
٦٦٧	النهي	٦٥٢	المنصف
٦٦٨	النوادر	٦٥٢	المنقاد
		٦٥٢	المواربة
	الهاء	٦٥٤	المواردة
٦٦٩	الهجاء في معرض المدح	٦٥٤	الموازنة
٦٦٩	الهدم	٦٥٦	الموافقة
٦٧٠	الهذر والتبعيد	٦٥٦	الموجه
٦٧٠	الهزل المراد به الجد	٦٥٦	المورى
		٦٥٧	الموصل
	الواو		
٦٧٢	وجه الشبه		النون
٦٧٢	الوحي	٦٥٨	النادر والبارد
٦٧٣	الوصل	٦٥٨	النداء
٦٧٣	وضع جمع القلة موضع الكثرة	٦٥٩	النزاهة
٦٧٣	وضع الخبر موضع الطلب	٦٥٩	النزول
٦٧٤	وضع الطلب موضع الخبر	٦٥٩	نسبة الشيء
٦٧٤	وضع الظاهر موضع المضمَر	٦٦٠	النسخ
٦٧٥	وضع الماضي موضع المستقبل	٦٦٠	النظر والملاحظة
٦٧٦	وضع المضمَر موضع المظهر	٦٦٠	النظم
٦٧٦	وضع المظهر موضع المضمَر	٦٦٢	النفي
٦٧٦	وضع النداء موضع التعجب	٦٦٣	نفي الشيء بإيجابه
٦٧٦	وقوع الحافر على الحافر	٦٦٤	نفي العام
		٦٦٤	نفي الموضوع
		٦٦٤	النفي والجحود
		٦٦٥	النقل
		٦٦٥	نقل الجزل الى الجزل
٦٧٧	الخاتمة	٦٦٦	نقل الجزل الى الرذل
٦٧٩	المصادر	٦٦٦	نقل الرذل الى الجزل
٦٨٦	الموضوعات	٦٦٦	نقل الطويل الى القصير